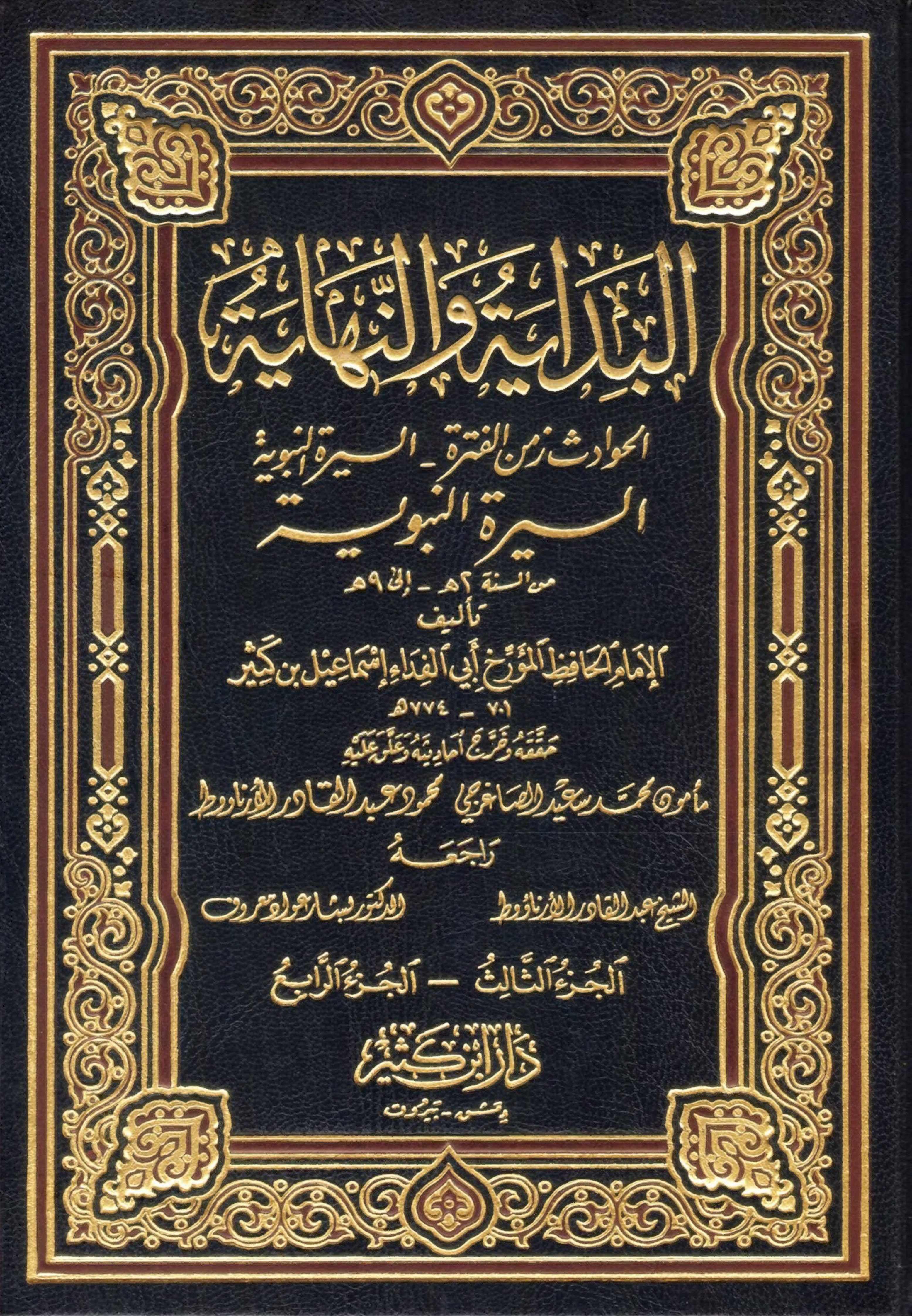
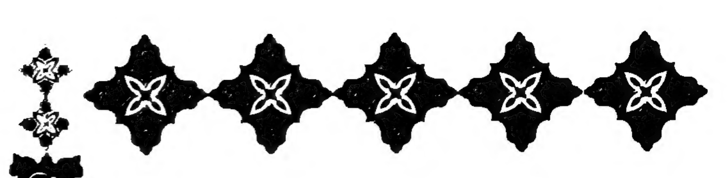

البداية والنهاية
الحوادث زمن الفترة - السيرة النبوية
السيرة النبوية
من السنة ٢هـ - إلى ٩هـ
تأليف
الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠١ - ٧٧٤هـ
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
مأمون محمد سعيد الصاغرجي محمود عبد القادر الأرناؤوط
راجعه
الشيخ عبد القادر الأرناؤوط الدكتور بشار عواد معروف
الجزء الثالث - الجزء الرابع
دار ابن كثير
دمشق - بيروت



الطبعة الثانية

1431 هـ - 2010 م

الموضوع: تاريخ

العنوان: البداية و النهاية 20/1

التأليف: الإمام ابن كثير

التحقيق: مجموعة من العلماء

الورق: كريم
ألوان الطباعة: لونان
عدد الصفحات: 10128
القياس: 17×24
التجليد: فني- لوحة
الوزن: 15215 غ

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي
و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من



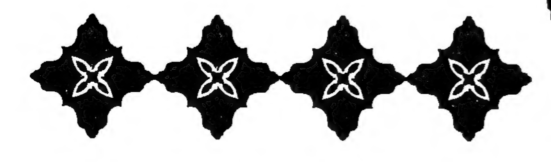
للطباعة و النشر و التوزيع

التنفيذ الطباعي:
مطبعة ايبكس - بيروت
التجليد:
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - سوريا - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541
بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
تلفاكس: 01 817857 - جوال: 03 204459
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com



ISBN: 978-9953-520-84-1



البداية والنهاية

الحوادث زمن الفترة - السيرة النبوية

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

مأمون محمد سعيد الصاغرجي

راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

الدكتور بشار عواد معروف

الجزء الثالث

دار ابن كثير

دمشق - بيروت



تنبيه : الرموز المستخدمة في حواشي هذا الجزء هي : (ط) هي النسخة المطبوعة من طبعة القاهرة . (ب) هي نسخة برلين . (ح) هي نسخة المكتبة الأحمدية بحلب .

ذكر شيء مما وقع من الحوادث[١] في زمن الفترة

فمن ذلك بنيان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم ، وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابنُ لَهِيْعَةَ وهو ضعيف[٢] ، وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم[٣]

وكذلك رواه سِمَاك بن حرب عن خالد بن عَرْعَرة عن علي بن أبي طالب قال : ثمّ تهدَّم فبنته العمالقةُ ، ثمّ تهدّم فبنته جُرْهم ، ثم تهدّم فبنته قريش[٤] .

قلت : سيأتي بناء قريش له ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين ، وقيل بخمس عشرة سنة . وقال الزهري : كان رسول الله ﷺ قد بلغ الحلم . وسيأتي ذلك كلّه في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة .

ذكر كعب بن لؤي

روى أبو نُعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن طلحة التَّيْمي ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي سلمة ، قال : كان كعبُ بن لُؤي يجمع قومَه يوم الجمعة ـ وكانت قريش تسمّيه العَرُوْبَة[٥] ـ فيخطبهم فيقول : أما بعد ، فاسمعوا وتعلّموا ، وافْهموا واعلموا ، ليل ساج ، ونهارٌ ضاح[٦] ، والأرض مِهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجومُ أعلام ، والأوّلون كالآخرين ، والأنثى والذكر ، والزوج إلى بلًى ما يهيج[٧] . فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أَصْهارَكم ، وثَمِّروا أموالكم . فهل رأيتم من هالكٍ رَجع ؟ أو ميت نُشِر ؟ الدارُ أمامكم ، والظنُّ غيرُ ما تقولون ، حَرَمُكم زَيِّنوه وعظّموه ، وتمسّكوا به ، فسيأتي له نبأ عظيم ؛ وسيخرجُ منه نبي كريم ، ثم يقول : [من الطويل]

نهارٌ وليلٌ كلّ يوم بحادثٍ ... سـواءٌ علينـا ليلُهـا ونهـارهـا

---

(١) في ط : شيء من الحوادث .

(٢) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي ، قاضي مصر ، كان يدلس عن الضعفاء . توفي سنة (١٧٤هـ) . المجروحين (٢/ ١١ ـ ١٤) .

(٣) عند ذكر قصة بناء البيت العتيق في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) وهذا سنده ضعيف أيضاً فإن خالد بن عرعرة مجهول الحال . وانظر « مختصر تاريخ دمشق » لابن عساكر (١٨/ ٢٣) .

(٥) في دلائل النبوة لأبي نعيم : وكانت قريش تسمي يوم الجمعة عَروبة . وكذلك في القاموس المحيط .

(٦) ليل ساج : يروح ويجيء ، ونهار ضاح : ظاهر مضيء .

(٧) في ط : والروح وما يهيج إلى بلى . وفي دلائل النبوة : والزوج إلى بلى صائرين . ويهيج : يثور .

يـؤوبـان بـالحـدَّاث حتـى تـأوّبـا وبـالنعَـم الضّـافـي علينـا ستـورهـا
علـى غَفْلَـةٍ يـأتـي النبـيُّ محمـدٌ فيخبـرُ أخبـاراً صـدوقـاً خبيـرهـا[١]

ثم يقول : واللهِ لو كنتُ فيها ذا سمعٍ وبصرٍ ، ويَدٍ ورِجْل ، لتنصَّبْتُ[٢] فيها تنصُّبَ الجمل ، ولأَرْقَلْت فيها إرْقالَ الفَحْل[٣] . ثم يقول : [من البسيط]

يـا ليتَنـي شـاهِـداً نجـواءَ دعـوتـه حينَ العشيرةُ تبغي الحقَّ خِذلانا[٤]

قال : وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله ﷺ خمسمئة عام وستون سنة[٥] .

* * *

ذِكْر تجديد حفر زمزم

على يدي عبد المطلب بن هاشم ، التي[٦] كان قد درس رسمُها بعد طم جُرْهُم لها إلى زمانه . قال محمد بن إسحاق : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحِجر [إذ أُتيَ فأُمِرَ بحفر زمزم][٧] . وكان أول ما ابتدأ به عبد المطلب من حَفْرها ، كما حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني[٨] ، عن عبد الله بن زُرَيْر[٩] الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يُحدّث حديث زمزم[١٠] حين أُمِرَ عبدُ المطلب بحفرها قال : قال عبد المطلب : إني لنائم في الحِجر ، إذ أتاني آتٍ فقال لي : احفر طيبةُ[١١] . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي

---

(١) في ط : صدوق .
(٢) تنصَّبَ : قام رافعاً رأسه .
(٣) في ط : ولأرقلت بها إرقال العجل . والإرقال : الإسراع .
(٤) في دلائل النبوة : فحواء .
(٥) دلائل النبوة (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧) ، وإسناده تالف فإن ابن زبالة ، كذاب ، كما في « التقريب » .
(٦) في ب : الذي .
(٧) سقطت من ط .
(٨) في ط : المزني . وهو تحريف . واليَزَني : نسبة إلى ذي يزن بطن من حمير . واشتهر بهذه النسبة مرثد بن عبد الله اليزني ، وهو مصري ، توفي سنة تسعين للهجرة . اللباب (٣/ ٤١١) .
(٩) في أ ، وط : رزين وهو سهو . وأثبت ما في ب ، والسيرة . وعبد الله بن زُرَيْر الغافقي المصري محدث ثقة ، رُمي بالتشيع . توفي سنة ثمانين للهجرة ، أو بعدها . تقريب التهذيب (١/ ٤١٥) .
(١٠) في ب : حفر زمزم .
(١١) سميت زمزم (طيبة) لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . الروض الأنف (١/ ١٦٧) .

فنمت ، فجاءني[١] فقال : احفر بَرَّة . قال : قلت : وما بَرَّة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمتُ ، فجاءني فقال : احفر المَضْنُونة[٢] . قال : قلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّ[٣] ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفَرْث والدم ، عند نُقرة الغراب الأَعْصَم[٤] ، عند قرية النمل . قال : فلما بيّنَ لي شأنها ، ودلَّ على موضعها ، وعَرَف أنه قد صدق ، غَدا بمعوله ومعَه ابنُه الحارث بن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر ، فلما بدا لعبد المطلب الطّي[٥] كَبَّر ، فعرفَتْ قريشٌ أنه قد أدرك حاجته . فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً ، فأشرِكْنا معك فيها . فقال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصصتُ به دونَكم ، وأُعْطيتُه من بينكم. قالوا له : فأنصفنا ، فإنا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَنْ شئتم أُحاكِمُكم إليه . قالوا : كاهنة بني سعد بن هُذَيْم . قال : نَعَم . وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطّلب ومعه نفرٌ من بني أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفرٌ ، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز ، حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا مَن معهم ، فأبَوا عليهم وقالوا : إنا بمفازة ، وإنا نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم . [فقال عبد المطلب : إني أرى أن يحفر كلُّ رجلٍ منكم حفرته لنفسه بما لكم][٦] الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابُه في حفرته ثمّ واروه حتى يكون آخرُهم رجلاً واحداً ، فضَيْعةُ رجلٍ واحدٍ أيسر من ضيعة ركبٍ جميعاً[٧] . فقالوا : نِعمّا أمرت به . فحفر كلّ رجل[٨] لنفسه حفرة ، ثمّ قعدوا ينتظرون الموت عطشاً . ثمّ إن عبد المطلب قال لأصحابه إن إلقاءنا بأيدينا[٩] هكذا للموت لا نضرِب في الأرض ، لا نبتغي لأنفسنا لَعَجْزٌ ، فعسى أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ارتحلوا[١٠] فارتحلوا ، حتى إذا بَعَثَ عبدُ المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عينُ ماء عذبٍ ، فكبّر عبد المطلب ، وكبّر أصحابُه ، ثمّ نزل فشرب

---

(١) في ب : رجعت فنمت في مضجعي فجاءني . وقيل لزمزم (برّة) : لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجّار . (الروض الأنف) .

(٢) سميت زمزم (المضنونة) لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين . (الروض الأنف) .

(٣) لا تنزف : لا يفرغ ماؤها ، ولا يلحق قعرها . ولا تذم : لا توجد قليلة الماء .

(٤) الأعصم من الغربان : الذي في جناحيه بياض . الروض الأنف (١/ ١٦٩) ، ففيه تفسير مطول لهذا الخبر .

(٥) في ط : الطمي . وهو تحريف . والطي : الحجارة التي تبنى على جوانب البئر .

(٦) سقطت من ب . وفي أ : بكم .

(٧) كذا في أ . والسيرة . وفي ب ، وط : جميعه .

(٨) في ب : كل منهم .

(٩) في ط : لأصحابه ألقينا بأيدينا .

(١٠) زيادة من ب ، والسيرة .

وشرب أصحابُه ، واستسقوا حتى ملؤوا أسقيتَهم ، ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال ، فقال : هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله . فجاؤوا ، فشربوا واستقوا كلّهم ، ثمّ قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا ، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سَقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو[١] الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبين زمزم[٢] .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم . قال ابن إسحاق : وقد سمعت مَنْ يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمرَ بحفر زمزم : [من الرجز]

ثُمَّ ادعُ بالماءِ الرِّوَى غيرِ الكَدِرْ يسقي حَجيجَ الله في كل مَبَرّ[٣]
ليس يُخافُ منه شيء ما عَمَرْ[٤]

قال : فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : تعلَّموا أني قد أُمرت أن أحفر زمزم ؟ قالوا : فهل بُيِّن لك أين هي ؟ قال : لا ! قالوا : فارجع إلى مَضْجَعك الذي رأيتَ فيه ما رأيت ، فإن يكُ حقاً من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعودَ إليك فرجع ، فنام[٥] . فأُتي فقيل له :

احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لن تندم . وهي تراثٌ من أبيك الأعظم . لا تنزِف أبداً ولا تُذَم . تسقي الحجيج الأعظم . مثل نَعام حافل لم يُقْسَم . ينذر فيها ناذرٌ لِمُنْعم . تكون ميراثاً وعقداً مُحْكم . ليست لبعض ما قد تعلم . وهي بين الفَرْث والدم[٦] .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال : وأين هي ؟ قيل له : عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً . فالله أعلم أين ذلك كان . قال : فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره ، زاد الأُموي : ومولاه أصرم[٧] ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغرابَ ينقر عندها بين الوثَنَيْن إسَاف ونائلة اللذين كانت قريش تَنْحَر عندهما ، فجاء بالمعوَل وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش وقالت[٨] والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين[٩] اللذين ننحر عندهما . فقال عبد المطلب لابنه

---

(١) في ب ، والسيرة : لهو .
(٢) السيرة (١/ ١٤٣ ـ ١٤٥) .
(٣) ماء رِوًى ، ورَواء : كثير .
(٤) ما عَمرَ : أي ما بقي .
(٥) في ط : ونام .
(٦) السيرة (١/ ١٤٥) .
(٧) من ب وط . والأموي هو يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي الحنفي ، المتوفى سنة (١٩١هـ) . وله كتاب في مغازي رسول الله . كشف الظنون (٢/ ١٧٤٧) .
(٨) في ب : فقالوا ، وكذلك في السيرة .
(٩) زيادة من ب توافق نص السيرة .

الحارث : ذُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضيّن لما أُمرتُ به . فلما عرفوا أنه غير نازع[١] خلّوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطّي ، فكبّر ، وعرف أنه قد صُدِق . فلما تمادى به[٢] الحفر وجد فيها غزالين من ذهب اللذين[٣] كانت جرهم قد دفنتهما ، ووجد فيها أسيافاً قَلَعِيَّةً وأدرعاً . فقالت له قريش : يا عبدَ المطّلب لنا معك في هذا شِرْك وحق . قال : لا ، ولكن هَلُمّ إلى أمر نَصَفٍ بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعلُ للكعبة قدحين ، ولي قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له . قالوا : أنصفت . فجعلَ للكعبة قدحين أصفرين ، وله أسودين ، ولهم أبيضين ، ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هُبل ، وهُبل أكبر أصنامهم ، ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : أعلُ هُبَل . يعني هذا الصنم . وقام عبد المطلب يدعو الله[٤]

وذكر يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق أن عبد المطلب جعل يقول : [من الرجز]

لا هُمّ أنتَ الملِكُ المحمود ربي فأنتَ المُبدِئُ المعيد[٥]
وممسك الراسيةِ الجلمودِ مِن عندك الطارفُ والتليد
إن شئتَ ألهمتَ كما تريد لموضع الحِليةِ والحديد
فبيّن اليوم لما تريد إني نَذَرتُ العاهدَ المعهود

اجعله ربِّ لي فلا أعود

[٦] قال : وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون . ثم إن عبد المطلب أقام سِقاية زمزم للحجاج .

وذكر ابن إسحاق وغيره أن مكة كان فيها بئار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ، ثم عدّدها

---

(١) نزع عن الأمر نزوعاً : كف وانتهى .
(٢) زيادة من ب ، ط ، والسيرة . وفي السيرة : عرفوا أنه قد صدق .
(٣) في ط : غزالتين . . اللتين .
(٤) السيرة (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦) . والنص القادم ليس في السيرة ، لأنه من رواية يونس ، وإنما هذب ابن هشام رواية البكائي عن ابن إسحاق .
(٥) في ط : اللهم . . . أنت .
(٦) تتمة خبر ابن إسحاق .

ابن إسحاق[١] ، وسمّاها ، وذكر أماكنها من مكة ، وحافِرِيها ، إلى أن قال : فَعفَّت زمزمُ على البئار كلّها ، وانصرف الناس كلّهم[٢] إليها ، لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلّها وعلى سائر العرب .

وقد ثبت في صحيح مسلم[٣] في حديث إسلام أبي ذرٍّ أن رسول الله ﷺ قال في زمزم : « إنّها لَطَعامُ طُعْمٍ ، وشِفاءُ سُقْمٍ » .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عبد الله بن الوليد ، حدّثنا عبد الله بن المؤمَّل ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ماءُ زَمزم لما شُرِب منه » .

وقد رواه ابن ماجه[٥] من حديث عبد الله بن المؤمَّل ، وقد تكلّموا فيه ، ولفظُه : « ماء زمزم لما شرب له » .

ورواه سويد بن سعيد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : « ماء زمزم لما شُرِب له » . ولكن سويد بن سعيد ضعيف . والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمَّل كما تقدم[٦] .

وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً : « ماء زمزم لما شُرب له » . وفيه نظر[٧] . والله أعلم .

وهكذا روى ابن ماجه[٨] أيضاً والحاكم[٩] عن ابن عباس أنه قال لرجل : إذا شَرِبْتَ من زمزم فاستقبلِ الكعبةَ ، واذكرِ اسمَ الله ، وتنفّس ثلاثاً ، وتضَلّع منها[١٠] ، فإذا فرغتَ فاحمد الله فإن رسول الله ﷺ قال : « إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلّعون من ماء زمزم » .

وقد ذُكِرَ عن عبد المطلب أنه قال : اللهم إني لا أُحِلُّها لمغتسل ، وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ . وقد ذكره

---

(١) السيرة (١/ ١٤٧ ـ ١٥٠) .
(٢) ليست في ب ، ولا في السيرة .
(٣) صحيح مسلم رقم (٢٤٧٣) ، في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر ، من حديث طويل .
(٤) المسند (٣/ ٣٧٢) .
(٥) سنن ابن ماجه رقم (٣٠٦٢) ، في المناسك ، باب الشرب من زمزم . وكذلك رواه أحمد (٣/ ٣٥٧) وهو حديث حسن . وأورد الحديث ابن حبان ، عن ابن المؤمل ، في المجروحين (٢/ ٢٨) ، وقال : لم يتابَع عليه .
(٦) وهو حديث حسن .
(٧) المستدرك (١/ ٤٧٣) وهو حديث حسن .
(٨) سنن ابن ماجه رقم (٣٠٦١) في المناسك ، باب الشرب من زمزم وإسناده ضعيف لضعف تابعيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .
(٩) المستدرك (١/ ٣٧٢) وقد سقط منه تابعيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .
(١٠) تضلَّع منها : أي أكثر من الشرب حتى يمتلىء جنبك وأضلاعك .

بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه ، فإنه هو الذي جدّد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم . وقد قال الأموي في « مغازيه » : حدّثنا أبو عبيد ، أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حَرْملة ، سمعت سعيد بن المسيِّب يحدّث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا أُحلُّها لمغتسل وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ . وذلك أنه جَعَل لها حَوضين : حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال : لا أحلّها لمغتسلٍ لينزّه المسجدَ عن أن يُغْتَسَل فيه .

قال أبو عبيد : قال الأصمعي : قوله : (وبل) إتباع قال أبو عبيد[١] : والإتباع لا يكون بواو العطف ، وإنما هو كما قال معتمر بن سليمان إن (بل) بلغة حمير مُباح[٢] ، ثم قال أبو عبيد : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن عاصم بن أبي النجود ، أنه سمع زراً ، أنه سمع العباس يقول : لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ . وحدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدّثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن علقمة أنه سمع ابن عباس يقول ذلك ، وهذا صحيحٌ إليهما ، وكأنهما يقولان ذلك في أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها ، فلا ينافي ما تقدم ، والله أعلم .

وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ، ثمّ صارت إلى ابنه أبي طالب مدةً ، ثمّ اتفق أنه أملق في بعض السنين ، فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر ، وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية[٣] ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك . فقال له العباس : بشرط إن لم تُعطني تترك السقاية لي أكْفِكَها . فقال : نعم . فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس ، فترك له السقاية ، فصارت إليه ، ثمّ من بعده صارت إلى عبد الله ولده ، ثمّ إلى علي بن عبد الله بن عباس ، ثمّ إلى داود بن علي ، ثم إلى سليمان بن علي ، ثم إلى عيسى بن علي ، ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين . ذكره الأُموي .

* * *

ذكر نذر عَبد المطلب ذبح أحد ولده[٤]

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب فيما يزعمون نَذَر حين لقي من قريشٍ ما لقي

---

(١) ليست في ب .
(٢) في اللسان (بلل) : قال الأصمعي : كنت أرى أن (بلاً) إتباع لحل ، حتى زعم المعتمر بن سليمان أن (بلا) : مباح في لغة حمير . النهاية في غريب الحديث (١/ ١٥٤) .
(٣) في ب : الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالرفادة .
(٤) سقط من ط : ذكر وأحد من العنوان .

عند[١] حفر زمزم : لئن وُلِد له عشرةُ نفرٍ ثمّ بلغوا معه حتى يمنعوه لَيَنْحَرنّ[٢] أحدَهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة ، وَعَرف أنهم سيمنعونه ، وهم : الحارث ، والزبير ، وحَجل ، وضرار ، والمقرّم ، وأبو لَهب ، والعباس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله[٣] ، جمعهم ثمّ أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله عزّ وجلّ بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم قِدْحاً ، ثمّ يكتبُ فيه اسمَه ، ثم ائتوني . ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَل في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدَى للكعبة ، وكان عند هُبل قِدَاح سبعة ، وهي الأزلام التي يتحاكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عَقْل أو نَسَب أو أمرٍ من الأمور جاؤوا فاستقسموا بها ، فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه[٤] .

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدح عند هُبل خرج القدح على ابنه عبد الله ، وكان أصغرَ ولده وأحبَّهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله ، وأخذ الشفرةَ ، ثمّ أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه . فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه ، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا[٥] .

وذكر يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق أن العباس هو الذي اجتذب عبدَ الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه ، فيقال : إنه شج وجهه شجاً لم يزل في وجهه إلى أن مات .

ثمّ أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عَرَّافة لها تابعٌ فيسألها عن ذلك ، ثمّ أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه فاذبحه ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه مخرج قبلته . فانطلقوا حتى أتوا المدينةَ ، فوجدوا العرّافة وهي سَجَاح[٦] ـ فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق ـ بخيبر ، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها ، وقصَّ عليها عبدُ المطلب خبرَه وخبرَ ابنه ، فقالت لهم : ارجعوا عني اليومَ حتى يأتيني تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها . فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ، ثمّ غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر ، كم الدِّيةُ فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبَكم وقرّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على

---

(١) كذا في ب ، وط . وهو موافق للسيرة . وفي أ : حين .
(٢) في ط : ليذبحن .
(٣) لم يذكر ابن إسحاق أسماء العشرة .
(٤) السيرة (١/ ١٥١ ـ ١٥٢) .
(٥) السيرة (١/ ١٥٣) .
(٦) وفي الروض الأنف (١/ ١٧٧) : عن عبد الغني أن اسمها : قُطبة .

صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم . فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل ، ثمّ ضربوا فخرج القِدح على عبد الله ، فزادوا عشراً ثمّ ضربوا فخرج القِدح على عبد الله ، فزادوا عشراً . فلم يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القِدحُ على عبد الله حتى بلغت الإبل مئة . ثمّ ضربوا فخرج القدح على الإبل . فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب ، وهو قائم عند هُبل يدعو الله : قد انتهى ، رضيَ ربُّك يا عبد المطلب . فعندها[١] زعموا أنه قال : لا ، حتى أضرب عليها بالقداح ثلاثَ مرات ، فضربوا ثلاثاً ويقع القِدح فيها على الإبل ، فنُحِرَت ثم تُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمْنَع . قال ابن هشام : ويُقال : ولا سَبُع[٢] .

ويقال[٣] : إنه لما بلغت الإبل مئة خرج على عبد الله أيضاً ، فزادوا مئة أخرى حتى بلغت مئتين ، فخرج[٤] القدح على عبد الله ، فزادوا مئة أخرى فصارت الإبل ثلاثمئة ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فنحرها عند ذلك عبد المطلب . والصحيح الأول . والله أعلم .

وقد روَى ابن جرير ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزُّهْري ، عن قبيصة بن ذُؤيب أن ابن عباس سألته امرأة أنها نَذَرت ذبح ولدها عند الكعبة ، فأمرها بذبح مئة من الإبل ، وذَكَر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألتْ عبدَ الله بن عمر فلم يفتها بشيء بل توقّف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة فقال : إنهما لم يُصيبا الفُتيا ، ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ، ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل . وأخذ الناس بقول مروان في ذلك[٥] . والله أعلم .

* * *

ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزُّهْرية

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطّلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمرّ به ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بني أسد بن عبد العُزّى بن قُصي ، وهي أم قتال أخت ورَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصي وهي عند الكعبة ، فنظرت إلى وجهه فقالت : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لك مثل

---

(١) قوله : فعندها ليس في ب . ولا السيرة .

(٢) السيرة (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .

(٣) في ب ، وط : وقد روي .

(٤) في ب : فزيدت الإبل حتى بلغت مئتين فضربوا فخرج .

(٥) في ط : بذلك . تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

الإبل التي نُحرت عنك وقَعْ عليَّ الآن . قال : أنا مع أبي ولا أستطيع خِلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهْبَ بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً[١] وشرفاً ، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ سيدةُ نساء قومها ، فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكَها مكانه[٢] ، فوقع عليها فحملت منه برسول الله ﷺ ، ثمّ خرج من عندها فأتى المرأة التي عَرَضت عليه ما عَرَضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليَّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ[٣] بالأمس ؟ قالت له : فارقك النورُ الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك[٤] حاجة . وكانت تسمع من أخيها وَرَقَة بن نوفل ـ وكان قد تنصَّر واتَّبع الكتبَ ـ أنه كائن في هذه الأمة نبي[٥] ، فطمعت أن يكون منها ، فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وسنذكر المولد مفصلاً .

ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تتأسف على ما فاتها من الأمر الذي رامته ، وذلك فيما رواه البيهقي من طريق يونُس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق رحمه الله : [من الوافر]

عليكَ بآلِ زهرةَ حيثُ كانوا ... وآمنةَ التي حَمَلت غلاما
نرى المهديَّ حينَ نزا عليها ... ونوراً قد تَقَدّمه أماما

[إلى أن قالت][٦] : [من الوافر]

فكلُّ الخَلْق يرجوهُ جميعاً ... يسودُ الناسَ مهتدياً إماما
براه اللهُ من نورٍ صَفَاه ... فأذهبَ نورُه عنّا الظلاما
وذلكَ صُنْعُ ربك إذ حَباهُ ... إذا ما سارَ يوماً أو أقاما
فيهدي أهلَ مكةَ بعدَ كُفرٍ ... ويفرضُ بعدَ ذلكمُ الصِّياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدّثنا علي بن حرب ، حدّثنا محمد بن عمارة القرشي ، حدّثنا مسلم بن خالد الزنجي ، حدّثنا ابن جُريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجَه مرَّ به على كاهنة من أهل تَبَالة مُتهوِّدة قد قرأت الكتب ،

---

(١) كذا في ب ، وهو موافق لنص السيرة . وفي أ : سناءً . وفي ط : سناً .
(٢) أُملك المرأة ، بالبناء للمجهول : تزوجها .
(٣) كذا في ب ، وط ، والسيرة . وفي أ : تعرضين .
(٤) في ب : اليوم حاجة . وكذلك في السيرة .
(٥) السيرة (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧) . ودلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٦٢ ـ ١٦٧) .
(٦) قوله : إلى أن قالت . زيادة من ب ، ط .

يقال لها : فاطمة بنت مُرّ الخثعمية ، فرأت نور النبوّة في وجه عبد الله ، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع عليَّ الآن وأُعطيكَ مئة من الإبل ؟ فقال عبد الله : [من الرجز]

أمَّا الحرامُ فالمماتُ دونَهُ ... والحِلُّ لا حِلَّ فأَسْتبينه
فكيفَ بالأمرِ الذي تبغينَه ... يحمي الكريمُ عِرضَه ودينه[١]

ثم مضى مع أبيه ، فزوّجه آمنةَ بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، فأقام عندها ثلاثاً . ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة ، فأتاها . فقالت : ما صنعتَ بعدي ؟ فأخبرها . فقالت : والله ما أنا بصاحبة رِيبة ، ولكني رأيتُ في وجهك نوراً ، فأردتُ أن يكون فيَّ . وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول : [من الكامل]

إنّي رَأيتُ مَخِيْلةً لَمَعتْ ... فتلألأتْ بِحَنَاتِم القَطْر[٢]
فَلَمَأْتُها نُوْراً يُضيء له ... ما حولَه كإضاءةِ البَدر[٣]
ورجوتُها فخراً أبوءُ به ... ما كلُّ قادحِ زَنْدِه يُوري
لله ما زُهريَّةٌ سلبت ... ثوبَيْك ما استَلبت وما تدري[٤]

وقالت فاطمة أيضاً : [من الطويل]

بني هاشمٍ قد غادرتْ من أخيكُمُ ... أمينةُ إذ للباهِ يَعْتَركانِ
كما غادرَ المصباحُ عند خُموده ... فتائلَ قد مِيثَت له بدِهانْ[٥]
وما كل ما يحوي الفتى من تِلادهِ ... بحزمٍ ولا ما فاتَه لِتَواني
فأَجملْ إذا طالبتَ أمراً فإنه ... سيكفيكَه جَدّانِ يعتلجانْ[٦]
سيكفيكه إما يدٌ مقفعلّةٌ ... وإما يدٌ مبسوطةٌ ببنانْ[٧]
ولما حَوت منه أمينة ما حوت ... حوت منه فخراً ما لذلك ثانْ[٨]

وروى الإمام أبو نعيم الحافظ في كتاب « دلائل النبوة » من طريق يعقوب بن محمد الزهري ، عن

---

(١) قوله : يحمي الكريم عرضه ودينه . زيادة من ط والروض الأنف .
(٢) المَخِيلة : السحابة تخالها ماطرة . الحناتم : السحائب السود .
(٣) لمأتها : أبصرتها . وفي دلائل النبوة : فلمائها .
(٤) أورد الخبر كذلك أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ١٦٤ ـ ١٦٦) . وهو في الروض الأنف (١/ ١٨٠) .
(٥) ميثت : خُلطت .
(٦) الجد : الحظ .
(٧) في ط : مقفللة . ومقفعلة : متشنجة منقبضَة .
(٨) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/١٦٦) .

عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبي عَون[١] ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ، عن ابن عباس قال : إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء ، فنزل على حَبْرٍ من اليهود ، قال : فقال لي رجلٌ من أهل الديور ، يعني أهل الكتاب : يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك ؟ قال : نعم إذا لم[٢] يكن عورة . قال : ففتح إحدى مَنْخَرَيّ فنظر فيه ، ثمّ نظر في الآخر فقال : أَشْهدُ أن في إحدى يديك مُلكاً ، وفي الأخرى نُبُوَّة ، وإنّا نجد ذلك في بني زُهْرة ، فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدري . قال : هل لك من شاعة ؟ قلت : وما الشاعة ؟ قال : زوجة . قلت : أمّا اليوم فلا . قال : فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهْب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت حمزة وصفية ، ثمّ تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب ، فولدت رسول الله ﷺ فقالت قريش حين تزوّج عبد الله بآمنة : فَلَجَ ، أي : فاز وغلب عبد الله على أبيه عبد المطلب[٣] .

* * *

(١) هو مولى المسور بن مخرمة . وفي ط : ابن عون . وهو خطأ .

(٢) في ب : فقلت نعم ما لم يكن .

(٣) دلائل النبوة (١/ ١٦١ ـ ١٦٢) .

كتاب سيرة رسول الله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[١] . ولما سأل هِرَقْلُ ملكُ الروم لأبي سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال : كيف نَسَبُهُ فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسَب . قال : كذلك الرُّسُلُ تُبعث في أنساب قومها . يعني في أكرمها أحساباً وأكثرِها قبيلة صلواتُ الله عليهم أجمعين .

فهو سيِّد ولدِ آدم ، وفخرُهم في الدنيا والآخرة ، أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، محمد ، وأحمد ، والماحي الذي يُمْحَى به الكفر ، والعاقِبُ الذي ما بعدَهُ نَبِيّ ، والحاشِرُ الذي يُحْشَرُ الناس على قدميه[٢] ، والمُقَفِّي[٣] ، ونبيُّ الرحمة ، ونبيُّ التوبة ، ونبيُّ المَلْحَمة ، وخاتم النبيين ، والفاتح ، وطه ، ويٰس ، وعبد الله .

قال البيهقي[٤] : وزاد بعضُ العلماء فقال : سماه الله في القرآن رسولاً ، نبيّاً ، أُمِّيّاً[٥] ، شاهداً ، مُبَشِّراً ، نذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنِه وسراجاً منيراً ، ورُؤُوفاً رحيماً ، [ونذيراً مبيناً] ، ومُذَكِّراً . وجعله رحمةً ونعمةً وهادياً ، [وسمَّاه عبداً] .

وسنورد الأحاديث المرويَّة في أسمائه عليه [الصلاة و][٦] السلام في بابٍ نَعْقِدُهُ بعد فراغ السيرة ؛ فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك ، اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران : البيهقيّ ، وأبو القاسم بن عساكر . وأفرد الناسُ في ذلك مصنفات[٧] حتى رام بعضُهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارحُ الترمذي بكتابه الذي سمَّاه الأَحْوَذِي[٨] ، فإنه ذكر من ذلك أربعة وستين[٩] اسماً . والله أعلم .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٤) ، في الأصل « رسالاته » وقرأ ابن كثير وحفص بالتوحيد : رسالته ، وبالجمع قراءة الباقين . الكشف (١/ ٤٤٩ ، ٤٥٠) .

(٢) معناه : على عهده وزمنه ، أي ليس بعده نبي إلى يوم القيامة والحشر ؛ وقيل : يُحشر الناس أمامي وقُدَّامي ؛ أي يجتمعون إليَّ يوم القيامة . مشارق الأنوار(١/ ٢١٣) واللسان (حشر) .

(٣) المقفِّي : المولِّي الذاهب ، فكأن المعنى أنه آخر الأنبياء ، المتَّبع لهم ، فإذا قَفَّى فلا نبي بعده . اللسان (قفي) .

(٤) في دلائل النبوة (١/ ١٦٠) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) في (ح ، ط) : أمينا ، والمثبت من الدلائل .

(٦) ما بين معقوفين ليس في ح وهو في ط وهكذا في سائر هذا الجزء كلما ذكر عليه الصلاة والسلام .

(٧) في ط : مؤلفات .

(٨) واسمه الكامل « عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي » .

(٩) كذا ، والذي قاله ابن العربي في عارضة الأحوذي (١٠/ ٢٨١) هو : سبعة وستون اسماً . ذكرها وعدَّها وأحصاها .

وهو ابن عبد الله ، وكان أصغر[١] أبيه عبد المطلب ، وهو الذبيح الثاني المُفَدَّىٰ بمئةٍ من الإبل كما تقدَّم[٢] .

قال الزُّهْرِيّ[٣] : وكان أجملَ رجالِ قريش .

وهو أخو الحارث ، والزُّبير ، وحمزة ، وضِرار ، وأبي طالب ـ واسمه عبد مناف ـ وأبي لهب ـ واسمه عبد العُزَّى ـ والمُقَوَّم ـ واسمه عبد الكعبة ـ وقيل : هما اثنان ، وحَجْل ـ واسمه المغيرة ـ والغَيْدَاق وهو كبير الجود ـ واسمه نوفل ـ ويقال : إنه حَجْل . فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام .

وعماته ستٌّ وهنّ : أَرْوَى ، وأُميمة ، وبَرَّة ، وصَفِيَّة ، وعاتِكة ، وأمُّ حكيم ـ وهي البيضاء ـ .

وسنتكلم على كلٍّ منهم فيما بعد إنْ شاء الله تعالى .

كلُّهم أولادُ عبد المطلب ـ واسمه شَيْبَة ـ يقال : لشيبةٍ كانت في رأسه ، ويقال له : شيبة الحَمْد لجوده . وإنما قيل له : عبد المطلب ، لأنَّ أباه هاشماً لما مرَّ بالمدينة في تجارته إلى الشام ، نزل على عمرو بن زيد بن لَبِيد بن حَرَام بن خِدَاش بن خِنْدِف بن عَدِيٍّ بن النجَّار[٤] الخَزْرَجي النجَّاري ، وكان سيِّدَ قومه ، فأعجبَتْه ابنتُه سَلْمى ، فخطبها إلى أبيها فزوَّجها منه ، واشترط عليه مقامها عنده ؛ وقيل : بل اشترط عليه أنْ لا تلد إلا عنده بالمدينة ، فلمَّا رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة ، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حُبْلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزَّة ، ووضعت سَلْمى ولدَها فسمَّتْه شَيْبَة ؛ فأقام عند أخواله بني عديٍّ بن النجَّار سبعَ سنين ، ثم جاء عمُّه المطلب[٥] بن عبد مَنَاف ، فأخذه خُفْيَةً من أمه ، فذهب به إلى مكة . فلما رآه الناس ورأَوْهُ على الراحلة قالوا : من هذا معك ؟ فقال : عبدي ثم جاؤوا فهنَّؤوه به ، وجعلوا يقولون له : عبد المطلب لذلك ؛ فغلب عليه ، وساد في قريش سيادةً عظيمة ، وذهب بشرَفهم ورياستهم . فكان جماعُ أمْرِهم عليه ، وكانت إليه السِّقايةُ والرِّفادة بعد المطلب ، وهو الذي جدَّد حفر زَمْزَم بعدما كانت مَطْمومةً من عهد جُرْهُم ، وهو أوَّلُ من حَلَّى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك الغزالتين[٦] اللتين من ذهب ، وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القَلَعية[٧] .

---

(١) فوقه في (ح) إحالة ، وفي الهامش : وَلَدِ ، وفوقها (خ) إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي رواية ط .

(٢) ص١١ ـ ١٣ من هذا الجزء .

(٣) قول الزهري في دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٨٧) .

(٤) كذا في ح ، ط ونسبه في الجمهرة لابن الكلبي (ص٩٦) وجمهرة ابن حزم (ص١٤) هكذا : عمرو بن زيد بن لبيد بن خِدَاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

(٥) في ح : عبد المطلب ، وشطبت كلمة عبد بخط ضعيف ، وجاء محذوفاً في ط وهو الصواب .

(٦) في ح : تلك الغزالين والمثبت من ط .

(٧) « القلعية » : نسبة إلى القَلَعة ، بفتح القاف واللام ، وهي موضع بالبادية تنسب إليه السيوف ، اللسان (قلع) .

قال ابن هشام[١] : وعبد المطلب أخو أسد ، ونَضْلَة[٢] ، وأبي صَيْفي ، وحَيَّة ، وخالدة ، ورُقَيَّة ، والشِّفَاء ، وضعيفة .

كلُّهم أولاد هاشم ، واسمه عمرو ، وإنما سُمي هاشماً لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سِنِيِّ المَحْل ، كما قال مطرود بن كعب الخُزَاعي في قصيدته ، وقيل للزِّبَعْرَىٰ والد عبد الله : [من الكامل]

عَمْرو الذي هَشَم الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكةَ مُسنِتون عِجافُ
سُنَّتْ إليْه الرِّحْلَتانِ كلاهما سَفَرُ الشتاءِ ورِحلةُ الأصيافِ[٣]

وذلك لأنه أول من سنَّ رِحْلتي الشتاءِ والصيف ، وكان أكبرَ ولد أبيه .

وحكى ابنُ جرير[٤] أنه كان تَوْأَمَ أخيه عبد شمس ، وأنَّ هاشماً خرج ورجلُه ملتصقةٌ برأس عبد شمس ، فما تخلَّصت حتى سال بينهما دم ، فتفاءل[٥] الناس بذلك أنْ يكون بين أولادهما حروب ، فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس سنة ثنتين[٦] وثلاثين ومائة من الهجرة .

وشقيقهم الثالث المطلب ، وكان المطلب أصغرَ ولد أبيه ، وأمُّهم عاتكة بنت مُرَّة[٧] بن هلال .

ورابعهم نوفل ، من أم أخرى ، وهي واقِدَة بنت عمرو المازنيَّة . وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم ، وصارت إليهم الرياسة ، وكان يقال لهم : المُجِيرون ؛ وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم ، فكان هاشم قد أخذ أماناً من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة ، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة ، وأخذ لهم المطلبُ أماناً من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر : [من الكامل]

يا أيها الرجلُ المحوِّلُ رَحْلَه ألَّا نـزلـتَ بـآلِ عبـدِ منـافِ[٨]

---

(١) السيرة النبوية (١/ ١٠٧) بخلاف في اللفظ .

(٢) في ح ، ط : فضلة ، تصحيف ، والمثبت من الاشتقاق (ص ٦٩) .

(٣) البيتان في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٦) وتاريخ الطبري (٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢) وأمالي المرتضى (٢/ ٦٩) وجمهرة الكلبي ، وفي حاشيته (ص ٩٢ ، ٩٣) مصادر أخرى في تخريجه ، وفي البيت الأول إقواء .

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٢) .

(٥) قد تقرأ في ح : فقال وكذا هي في ط وهو تصحيف ، ولإزالة اللبس كتبها الناسخ في الهامش بشكل واضح تحت كلمة بيان . ولفظ الطبري في تاريخه : فتُطُيِّر من ذلك ، فقيل تكون بينهما دماء . والفأل يكون فيما يحسن وما يسوء اللسان (فأل) .

(٦) كتب فوقها في (ح) : ثلاث ، وهو ما أُثبت في ط : وذِكْرُ من قتل من بني أمية ، ساقه ابن الأثير في الكامل (٥/ ٤٢٩ ، ٤٣٠) في حوادث سنة ١٣٢هـ .

(٧) في الاشتقاق (ص٣٧) : عاتكة بنت مُرّ إحدى بني سُلَيم .

(٨) الشاعر هو مطرود بن كعب الخزاعي كما تقدم في البيتين السابقين ، وهو من أبيات يبكي فيها عبد المطلب وبني =

وكان إلى هاشم السقايةُ والرِّفادَةُ[١] بعد أبيه ، وإليه وإلى أخيه المطلب نسَبُ ذوي القُرْبَى ، وقد كانوا شيئاً واحداً في حالتي الجاهلية والإسلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم في الشِّعْب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل ، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته[٢] : [من الطويل]

جَزَى اللهُ عَنَّا عبدَ شمسٍ ونَوْفلاً عُقوبةَ شرٍّ عاجلاً غَيْرَ آجلِ

ولا يُعْرف بنو أبٍ تباينوا في الوفاة مثلهم ؛ فإنَّ هاشماً مات بغزَّةَ من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بَسَلامَانَ[٣] من أرض العراق ، ومات المطلب ـ وكان يقال له : القمر لحُسْنه ـ بِرَيْمَان من طريق اليمن . فهؤلاء الأخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم أخ خامس ليس بمشهور ، وهو أبو عمرو واسمه عبدٌ[٤] ، وأصل اسمه عبد قُصَيّ ، فقال الناس عبد بن قُصَيّ ، دَرَجَ[٥] ولا عقب له . قاله الزُّبير بن بكَّار وغيره .

وأخوات ستّ ، وهنّ : تُماضِر ، وحَيَّة ، ورَيْطَة ، وقِلابة ، وأم الأَخْثَم ، وأم سفيان .

كلُّ هؤلاء أولاد عبد مناف ، ومناف اسم صنم ، وأصل اسم عبد مناف : المغيرة . وكان قد رأَس في زمن والده ، وذهب به الشرفُ كلَّ مذهب ـ وهو أخو عبد الدار الذي كان أكبر ولد أبيه ، وإليه أوصى بالمناصب كما تقدَّم . وعبد العُزَّى ، وعَبْد ، وبرَّة ، وتَخْمُر ، وأُمُّهم كلهم حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشِيَّة[٦] بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزَاعي ، وأبوها آخر ملوك خزاعة ، وولاة البيتِ منهم .

وكلُّهم أولاد قُصَيّ واسمه زيد .

وإنما سُمِّي بذلك ، لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعة بن حَرَام بن عُذْرة[٧] ، فسافر بها إلى بلاده وابنُها صغير ، فسمي قصيّاً لذلك . ثم عاد إلى مكة وهو كبير .

= عبد مناف . انظر سيرة ابن هشام (١/ ١٧٨) والروض الأنف (١/ ٢٠٣) وفيهما : هلا نزلت بإبدال الهمزة هاءً ، وهو جائز كما في الجنى (ص ٥٠٩) .

(١) في ح : الوفادة ، وهو تصحيف ، والمثبت من ط . والرِّفادة شيء ، كانت قريش تترافد به في الجاهلية ، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم ، فيشترون به للحاج الجُزُر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج . وأما السِّقاية فهي ما كانت قريش تسقيه الحجّاج من الزبيب المنبوذ في الماء . اللسان (رفد ، سقي) .

(٢) البيت في ديوانه (ص٨) والقصيدة بتمامها فيه (ص ٢ ـ ١٢) وفي سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢ ـ ٢٨٠) .

(٣) سَلامان : ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق . معجم ما استعجم (٣/ ٧٤٥) .

(٤) في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٩٤) عُبيد .

(٥) درج فلان : مات وما ترك نسلاً . الأساس (درج) .

(٦) في ح ، ط : جبشي تصحيف والمثبت من الإكمال (٢/ ٤١٢) .

(٧) كذا في الأصول ، نسبَهُ إلى جده ، ولعل الصواب من عذرة ، واسم أبي حرام : ضِنَّة بن عبد كبير بن عذرة كما في الإكمال (٢/ ٤١٢) .

ولمَّ شَعَث قريش ، وجمعها من متفرِّقات البلاد ، وأزاح يدَ خُزَاعة عن البيت ، وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه ، وصار رئيسَ قريش على الإطلاق ، وكانت إليه الرِّفادة[١] والسِّقاية ـ وهو سنَّها ـ والسِّدانة والحِجَابة واللواء ، ودارُه دار الندوة كما تقدم بَسْط ذلك كلِّه[٢] ـ ولهذا قال الشاعر[٣] : [من الطويل]

قُصَيٌّ ، لعَمْرِي كان يُدْعى مُجَمِّعاً   بـه جَمـعَ اللهُ القبـائـلَ مـن فِهْـرِ

وهو أخو زُهْرَة ، كلاهما ابن كلاب أخي تَيْم ، ويَقَظة أبي مخزوم ، وثلاثتهم أبناء مُرَّة أخي عدي وهُصَيص ، وهم أبناء كعب ، وهو الذي كان يخطب قومه كلَّ جمعة ، ويبشِّرهم بمبعث رسول الله ﷺ . ويُنْشد في ذلك أشعاراً كما قدَّمنا[٤] ، وهو أخو عامر وسَامَةَ وخُزَيمة وسعد والحارث وعوف ، سبعتُهم أبناءُ لُؤَيّ أخي تَيْم الأَدْرَم ، وهما أبناء غالب أخي الحارث ومحارب ، ثلاثتُهم أبناء فِهْر ، وهو أخو الحارث ، وكلاهما ابن مالك ، وهو أخو الصَّلْت ، ويَخْلُد ، وهم بنو النَّضْر الذي إليه جماع قريش على الصحيح ، كما قدَّمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك ومِلْكَان وعبد مناة وغيرهم ، كلُّهم أولاد كِنانَة أخي أسد وأَسَدَة والهُوْن أولاد خُزَيمة ، وهو أخو هُذَيْل ، وهما ابنا مُدْرِكة ، واسمه عمرو أخو طابخة ، واسمه عامر ، وقَمَعَة ، ثلاثـتُهم أبناء إلياس ، وأخو إلياس هو عَيْلان والد قيس كلِّها ، وهما ولدا مُضَر أخي ربيعة . ويقال لهما : الصريحان من ولد إسماعيل ، وأخواهما أنمار وإياد تيامَنا[٥] ، أربعتهم أبناء نزار أخي قضاعة ـ في قول طائفةٍ ممن ذهب إلى أنَّ قُضاعة حجازيَّة عدنانية ـ وقد تقدَّم بيانه[٦] ، كلاهما أبناء مَعَدِّ بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾[٧] : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسَبٌ يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضي الله عنه فيما قال وأزِيدُ فيما[٨] قال ؛ وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي إليه بالآباء ، وكثير منهم بالأُمَّهات أيضاً ،

---

(١) في ح : الوفادة : وهو تصحيف من الناسخ ، وتقدمت في الصفحة السابقة .
(٢) في (٢/ ٢١٠) من (ط) في الفصل الأخير منه تحت عنوان خبر قصي بن كلاب وما كان من أمره .
(٣) هو حذافة بن غانم كما في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٨٧ ، ٨٨) وساقه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٠) مع بيت آخر ونسبهما إلى حذافة بن غانم بن عامر القرشي ، وساقه أيضاً في أبيات (١/ ٦٦) لمحقق جمهرة الكلبي حاشية على الأبيات .
(٤) في (٢/ ٢٤٤) من (ط) تحت عنوان ذكر كعب بن لؤي .
(٥) « تيامنا » : أخذا ناحية اليمن . اللسان (يمن) .
(٦) في (٢/ ١٥٦ ، ١٥٧) من (ط) تحت عنوان ذكر أخبار العرب .
(٧) سورة الشورى الآية (٢٣) وقول ابن عباس في تفسير القرطبي (١٦/ ٢١) .
(٨) في ط : مما وفي ح : كما ، والمثبت من هامشها ، حيث ذكرت تحت كلمة : أصل ، إشارة إلى الأصل المقروء على نسخة المؤلف .

كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره في أُمّهاته وأُمّهات آبائه وأُمّهاتهم ما يطول ذِكره . وقد حرَّره ابنُ إسحاق[١] رحمه الله والحافظُ ابن عساكر[٢] .

وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه ، وأنه من ولد إسماعيل لا محالة ؛ وإن اخْتُلف في كم بينهما أباً ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم[٣] والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم ، وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشىء المتضمِّنة ذلك[٤] ، كل ذلك في أخبار عرب الحجاز ولله الحمد .

وقد تكلَّم الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً محرَّراً نافعاً .

وقد ورد في حديث انتسابه عليه السلام إلى عدنان ، وهو على المنبر ، ولكن الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي[٥] : أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر[٦] بن حفص المقرىء ـ ببغداد ـ حدّثنا أبو عيسى بكَّار بن أحمد بن بكَّار ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعيد ـ إملاءً ـ سنة ست وتسعين ومئتين ، حدّثنا أبو جعفر محمد بن أبان القَلانسيّ ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القُدَامي ، حدثنا مالك بن أنس ، عن الزُّهْري ، عن أنس ، وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن هشام . قالا : بلغ النبيَّ ﷺ أنَّ رجالاً من كِنْدة يزعمون أنهم منه وأنه منهم ، فقال : « إنما كان يقولُ ذلك العباسُ وأبو سفيانَ بنُ حَرْب فيأمنا بذلك[٧] ، وإنَّا لن نَنْتَفيَ من آبائنا ، نحن بنو النَّضْرِ بن كِنَانة » .

قال : وخطب النبيُّ ﷺ فقال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيْمةَ بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَرَ بنِ نِزَار ؛ وما افترق الناسُ فِرْقتين إلا جعلني الله في خيرهما[٨] فأُخْرجتُ من بين أبويّ ، فلم يُصِبْني شيءٌ من عُهْر الجاهلية ، وخرجتُ من نكاح ولم أَخْرُج من سِفَاح من لَدُن آدمَ حتى انتهيتُ إلى أبي وأمي ؛ فأنا خيركم نفساً ، وخيركم أباً » .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١) وما بعدها .
(٢) في تارخيه الكبير (السيرة النبوية ـ القسم الأول ص ٣٦ وما بعدها) .
(٣) الجزء الثاني (ص١٩٥) من نسخة (ط) .
(٤) الجزء الثاني (ص/ ٢٣٩ ـ ٢٧٦) من نسخة (ط) .
(٥) في دلائل النبوة (١/ ١٧٤) .
(٦) في ح : عمرو ، وفي الدلائل : محمد ، وكلاهما تصحيف ، والصواب من تاريخ بغداد (١١/ ٣٢٩) والإكمال (٣/ ٢٨٩) وغاية النهاية (١/ ٥٢١) .
(٧) عبارة البيهقي في الدلائل : « . . . وأبو سفيان بن حرب ، إذا قدما المدينة ليأمنا بذلك »
(٨) في ح ، ط : خيرهما ، والمثبت من الدلائل .

وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك ، تفرَّد به القُدَامي وهو ضعيف[١] . ولكن سنذكر له شواهد من وجوه أُخَر .

فمن ذلك قوله : « خرجتُ من نكاح لا من سِفَاح » . قال عبد الرزاق[٢] : أخبرنا ابنُ عُيَيْنَة عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] قال : لم يصبْهُ شيء من ولادة الجاهلية . قال : وقال رسول الله ﷺ : « إني خرجتُ من نكاح ولم أَخْرُجْ من سفاح » وهذا مرسلٌ جيد .

وهكذا رواه البيهقي[٣] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصَّغاني[٤] ، عن يحيى بن أبي بُكَيْر ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله أخرجني من النكاح ، ولم يُخْرِجْني من السفاح » .

وقد رواهُ ابن عَدِي[٥] موصولاً فقال : حدّثنا أحمد بن حفص ، حدّثنا محمد بن أبي عُمر العَدَنيّ المكيّ[٦] ، حدّثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال : أشهدُ على أبي حدّثني عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عليِّ بن أبي طالب ، أنَّ النبي ﷺ قال : « خرجتُ من نكاح ، ولم أخرُج من سِفَاح ، من لَدُنْ آدمَ إلى أنْ ولدني أبي وأمي ، ولم يُصْبني من سِفَاحِ الجاهليَّة شيءٌ » .

هذا غريبٌ من هذا الوجه ولا يكادُ يصحّ[٧] .

وقال هُشَيم : حدّثنا المديني عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاحٌ كنكاح الإسلام » .

---

(١) ذكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ٣٩ ، ٤٠) .

(٢) قول عبد الرزاق في تفسير الطبري (١١/ ٧٦) . (طبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م) ويبدو أن هذا الحديث مروي في التفسير لعبد الرزاق . وروي بنحوه في المصنف ٧/ ٣٠٣ (١٣٢٧٣) كتاب الطلاق باب الدعوة ، عن ابن جريج عن جعفر به ، أن رسول الله ﷺ قال : « أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

(٣) لم أجده في الدلائل .

(٤) في ح ، ط : الصنعاني وهو تصحيف ، والمثبت من اللباب (٢/ ٢٢٩ ، ٢٤٣) وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٢) .

(٥) لم أجد الحديث في الكامل لابن عدي ، وإنما أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/ ٤٠٢) من طريق ابن عدي .

(٦) في ح : محمد بن أبي عمر العدوي المالكي . وفي ط : محمد بن أبي عمرو العدني المكي ، والمثبت من الكامل لابن عدي والإكمال (٦/ ٤٠٣) والأنساب للسمعاني (٨/ ٤٠٨) ولسان الميزان (٥/ ١٠٣) وأبو عمر جده واسم أبيه يحيى ، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٦) وتهذيب التهذيب (٩/ ٥١٨) .

(٧) أحمد بن حفص منكر الحديث (الكامل ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) ، ومحمد بن جعفر متكلَّم فيه (الكامل ٦/ ٢٢٣٢ ، والميزان ٣/ ٥٠٠) ، وهو مرسل أيضاً ، فكلام المصنف صحيح .

وهذا أيضاً غريب ، أورده الحافظ ابن عساكر[١] ، ثم أسنده من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده ضعف والله أعلم .

وقال محمد بن سعد[٢] : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن عمه الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ولدت من نكاحٍ غير سِفاح »[٣]

ثم أورد ابن عساكر[٤] من حديث أبي عاصم، عن شبيب، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] . قال : من نبيٍّ إلى نبيّ ، حتى أُخرجت نبيّاً . ورواه عن عطاء .

وقال محمد بن سعد[٥] : أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : كتبتُ للنبيِّ ﷺ خمسمئة أُمّ ، فما وجدتُ فيهنَّ سِفَاحاً ولا شيئاً مما كان من أمْر الجاهلية .

وثبت في صحيح البخاري[٦] من حديث عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد المَقبُري ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « بُعِثْتُ من خيرِ قُرونِ بني آدم قرناً فقرناً ، حتى بُعِثتُ[٧] من القرن الذي كنتُ فيه » .

وفي صحيح مسلم[٨] من حديث الأوزاعي ، عن شدَّاد أبي عمار ، عن واثلة بن الأسْقع ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ اصطفى من ولَدِ إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدّثنا أبو نُعيم عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وَدَاعة قال : قال العباس : بلغه ﷺ بعضُ ما يقول الناس ، فصَعِد المنبر فقال : « مَنْ أنا ؟ » قالوا : أنت رسولُ الله . قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إنَّ الله خَلقَ

---

(١) في تاريخه (السيرة النبوية ـ القسم الأول) (ص٢٠٢) .
(٢) في الطبقات (١/ ٦١) ، وإسناده ضعيف جداً ، فإن الواقدي متروك الحديث .
(٣) يمكن أن يكون هذا الحديث بهذه الشواهد التي ذكرها المؤلف ، من حديث علي ، وابن عباس وأبي هريرة ، وعائشة ، رضي الله عنهم ، حسناً لغيره .
(٤) في تاريخه (السيرة النبوية ـ القسم الأول) ص(٢٠٢) وفي إسناده ضعف .
(٥) في الطبقات (١/ ٦٠) ، وإسناده تالف فيه هشام الكلبي وأبوه وهما تالفان .
(٦) فتح الباري (٣٥٥٧) المناقب باب صفة النبي ﷺ .
(٧) لفظ البخاري : كنت .
(٨) هكذا نسبه إلى مسلم بهذا اللفظ ، وهو وهم ظاهر ، فهذا لفظ أحمد (٤/ ١٠٧) والترمذي (٣٦٠٥) وهو عندهما من رواية محمد بن مصعب القرقساني عن الأوزاعي ، وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، ولم يتابع في هذه الزيادة ، فهي ضعيفة ، والحديث صحيح دون هذه الزيادة . وقد رواه مسلم بدونها رقم (٢٢٧٦) والترمذي (٣٦٠٦) وأوله عندهما (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل . . .) .
(٩) في مسنده (١/ ٢١٠) برقم (١٧٨٨) .

الخَلْقَ فجعلَني في خيرِ خَلْقِه ، وجعلهم فرقتَيْن[(١)] فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خيرِ قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيرُكم بيتاً وخيركم نَفْساً »[(٢)]

صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً إلى يوم الدين .

وقال يعقوبُ بن سفيان[(٣)] : حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله ، إنَّ قريشاً إذا التقَوْا ، لَقِيَ بعضُهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لَقُونا لَقُونا بوجوهٍ لا نعرفها . فغضب رسولُ الله ﷺ عند ذلك غضَباً شديداً ثم قال : « والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يدخلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحِبَّكم لله ولرسوله » فقلت : يا رسول الله ، إنَّ قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم فجعلوا مَثَلك كَمَثَلِ نخلةٍ في كَبْوَةٍ من الأرض[(٤)] . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يوم خَلَقَ الخَلْق جعلني في خيرهم ، ثم لما فرَّقهم جعلني في خيرِ [الفريقين ، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير]هم قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم ، فأنا خَيْرُهم نفساً وخيرُهم بيتاً » .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة[(٥)] عن ابن فُضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن [عبد المطلب بن] ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبي ﷺ ، فذكره بنحو ما تقدَّم ولم يذكر العباس .

وقال يعقوب بن سفيان[(٦)] : حدّثني يحيى بن عبد الحميد ، حدّثنا قيس بن عبد الله[(٧)] ، عن الأعمش عن عَبَايَة بن رِبْعيّ ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله قسم الخَلْق قسمين ، فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ . . . وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الواقعة : ٢٧ و٤١] فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خيرُ أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرها ثُلثاً ، فذلك قوله :

---

(١) في (ح) فريقين : والمثبت من ط والمسند .

(٢) وأخرجه الترمذي (٣٥٣٢ و٣٦٠٨) : عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان ، وقال : هذا حديث حسن . قلنا : يزيد بن أبي زياد ضعيف وكان يضطرب فيه وكذلك اقتصر الترمذي على تحسينه .

(٣) في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٥ ، ٤٩٧) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) قال شمر : قوله في كبوة . لم نسمع فيها من علمائنا شيئاً ، ولكنا سمعنا الكِبَا والكُبَة ، وهو الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت : وقال ابن الأثير : فإن صحت الرواية بها فوجهه أن تطلق الكَبْوَة ، وهي المرة الواحدة من الكَسْح ، على الكساحة والكناسة . اللسان (كبو) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١٦٨٥) كتاب الفضائل باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ ، وما يأتي بين معقوفين منه .
وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٦١١) المناقب باب ما جاء في فضل النبي ﷺ بنحوه عن يوسف بن موسى القطان البغدادي عن عبيد الله بن موسى . وقال : هذا حديث حسن . أقول : وفي إسناده ضعف .

(٦) في المعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٨) .

(٧) كذا في ح ، ط : ولم أجد لقيس هذا رواية عن الأعمش ، واكتفى الفسوي بذكر اسمه ، وذكر المحقق في الحاشية أنه قيس بن الربيع ، وهو الصواب الذي نص عليه المزي في ترجمة يحيى بن عبد الحميد الحماني من تهذيب الكمال (٣١/ ٤٢٠) .

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة : ٨] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] فأنا من السابقين ، وأنا خيرُ السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني في خيرها قبيلة ، فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] وأنا أتقى ولدِ آدمَ وأكرمُهم على الله ولا فخر ؛ ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، وذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . فأنا وأهلُ بيتي مطهَّرون من الذنوب .

وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة[١] .

وروى الحاكم والبيهقي[٢] من حديث محمد بن ذكوان ـ خال ولد حماد بن زيد ـ عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : إنا لقعودٌ بِفِناءِ النبيِّ ﷺ إذْ مرَّتْ به امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنةُ رسولِ الله ﷺ . قال أبو سفيان : مَثَلُ محمد في بني هاشم مَثَلُ الرَّيحانة في وسط النَّتْن . فانطلقتِ المرأةُ فأخبرتِ النبيَّ ﷺ فجاء رسولُ الله ﷺ يُعْرَف في وجهه الغَضَبُ فقال : « ما بالُ أقوالٍ تبلغُني عن أقوام : إنَّ الله خلق السمواتِ سبعاً ، فاختار العُلْيا منها فأسكنها مَنْ شاءَ من خلقه ، ثم خلق الخَلْق فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مُضَر ، واختار من مُضَر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ؛ فأنا من خيار إلى خيار ، فمَنْ أحبَّ العرب فبحبِّي أحَبَّهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » .

وهذا أيضاً حديثٌ غريب .

وثبت في الصحيح[٣] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أنا سيِّدُ ولدِ آدم يومَ القيامةِ ولا فَخْر » .

وروى الحاكم والبيهقي[٤] أيضاً من حديث موسى بن عُبيدة ، حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل ، عن الزُّهْري عن أبي أسامة وأبي سلمة[٥] ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « قال لي جبريل : قلَّبت الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجدْ رجلاً أفضلَ من محمد ، وقلَّبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضلَ من بني هاشم » .

قال الحافظُ البيهقيّ[٦] : وهذه الأحاديث وإنْ كان في رواتها من لا يُحْتَجُّ به[٧] ،

---

(١) إسناده تالف قيس بن عبد الله لا نعرفه ، وإن كان محرفاً عن قيس بن الربيع ـ وهو الأرجح ـ فهو ضعيف كما هو مبين في تحرير التقريب (٣/ ١٨٦) ، وعباية بن ربعي شيعي ضعيف (الميزان ٢/ ٣٨٧) ومن المحتمل أن الأعمش أخذه عن موسى بن طريف (وهو كذاب كما في الميزان ٤/ ٢٠٨) عن عباية ، فدلسه .

(٢) الحاكم في المستدرك (٤/ ٧٣) والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٧١) . أقول : وإسناده ضعيف .

(٣) مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) في دلائل النبوة (١/ ١٧٦) والطبراني في « الأوسط » رقم (٦٢٨٥) وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي .

(٥) في الدلائل : عن أبي سلمة فقط .

(٦) في الدلائل (١/ ١٧٦) .

(٧) في المطبوع من الدلائل : « يصح به » وهو تحريف .

فبعضها يؤكِّدُ بعضاً ، ومعنى جميعها يرجعُ إلى حديثِ واثلةَ بن الأسْقَع[(١)] ، والله أعلم .

قلت : وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبيَّ ﷺ : [من الطويل]

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ فعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّها وصَمِيمُها[(٢)]

فإنْ حُصِّلتْ أشرافُ عبدِ مَنَافِها ففي هاشِمٍ أشرافُها وقَدِيمُها

وإنْ فَخَرتْ يوماً فإنَّ محمداً هو المُصْطَفى من سِرِّها وكريمُها

تداعَتْ قريشٌ غَثُّها وسَمِينُها علينا فلم تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها

وكُنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدودِ نُقِيمُها

ونَحْمي حِماها كلَّ يوم كَرِيهةٍ ونضربُ عن أحجارِها من يَرُومُها

بنا انتعشَ العُودُ الذَّوِيُّ وَإنَّما بأكنافنا تَنْدَىٰ وتَنْمىٰ أُرُومُها[(٣)]

وقال أبو السُّكَين[(٤)] زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور : حدَّثني عمُّ أبي ـ زَحْرُ بن حِصْن ـ عن جدِّه حُميد بن مُنْهِب قال : قال جَدِّي خُرَيم بن أوس : هاجرتُ إلى رسول الله ﷺ، فقدِمْتُ عليه منصرفَهُ من تَبُوك ، فأسلمتُ ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله ، إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله ﷺ : « قل لا يَفْضُضِ اللهُ فاك » . فأنشأ يقول[(٥)] : [من المنسرح]

من قبلها طِبْتَ في الظِّلال وفي مستودعٍ ، حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ[(٦)]

ثم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ أنتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ

بل نُطْفَةٌ تركبُ السَّفِينَ وقد أَلْجَمَ نَسْراً وأهلَهُ الغَرَقُ

---

(١) في الدلائل بعد هذا : « وأبي هريرة » ، وهي زيادة مهمة .

(٢) سر الحسب : أوسطه ، يقال : فلان في سر قومه ، أي في أفضلهم . اللسان (سرر) .

(٣) قوله : الذَّوي ، من ذويَ يَذوى ـ وهي لغة ـ ذَبَلَ وضعف . وهو في (ح ، ط) « الذواء » ، والمثبت من الديوان . الأروم : جمع أرومة ، وهي الأصل . اللسان (أرم) . والأبيات في ديوان شيخ الأباطح ص٢٥ وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٩) . وإلى جانب البيت الأخير في القصيدة في ح ما نصه بلغ ، أي بلغ مقابلةً .

(٤) في (ط) : أبو السكن تصحيف ، والمثبت من ح ، وحاشية الإكمال (٢/ ٣١٥) رقم (٢) نقلاً عن عبد الغني .

(٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر ، السيرة النبوية ، القسم الأول (ص٢٠٩) والأسماء المبهمة للخطيب (ص٢٤٩) ومجمع الزوائد (٨/ ٢١٧ و٢١٨) وأورد ابن منظور أربعة منها في اللسان : (صلب ، خصف ، أفق ، نطق ، ظلل ، همن) . وعزيت الأربعة الأولى منها إلى حسان بن ثابت كما سيأتي ، وهي في ديوانه (١/ ٤٩٨ تحقيق وليد عرفات ط لندن ١٩٧١م) وأوردها القاضي عياض في الشفاء (١/ ١٦٧ ، ١٦٨ وزاد :

يا بَرْدَ نار الخليل ياسبباً لِعِصْمة النار وهي تحترق

ورويت الأبيات بتمامها مع زيادات مشروحة في شرح المواهب (٣/ ٩٨ ـ ١٠٠) .

(٦) أي في الجنة حيث خصف آدم وحوَّاء ـ عليهما السلام ـ عليهما من ورق الجنة . أي يلزقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما ، أي يطابقان بعض الورق على بعض . اللسان (خصف) .

تُنْقَلُ من صَالَبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ[١]

حتى احْتَوى بَيْتُكَ المُهَيْمِنُ من ... خِنْدِفَ علياءَ تحتها النُّطُقُ[٢]

وأنتَ لما وُلِدْتَ أشرقَتِ الـ ... أرْضُ وضاءَتْ بنورِكَ الأُفُقُ[٣]

فنحن في ذلك الضِّياءِ وفي الـ ... نُورِ وسُبْلَ الرشادِ نَخْتَرِقُ[٤]

وقد رُوي هذا الشعر لحسان بن ثابت ؛ فروى الحافظُ أبو القاسم بن عساكر[٥] من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد ، أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر ، أخبرنا عبد السلام بن أحمد بن محمد[٦] القرشي ، حدّثنا أبو حَصِين محمد بن إسماعيل بن محمد التميمي ، حدّثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني ، حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن بَيَان[٧] ، حدثنا سلاّم بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني ، حدّثنا ورقاء بن عمر ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس قال : سألتُ رسول الله ﷺ فقلت : فداك أبي وأمي ، أين كنتَ وآدم في الجنة ؟ قال : فتبسَّم حتى بَدَتْ نواجذه ثم قال : « كنت في صُلْبه ورُكِبَ بي السفينة في صُلْب أبي ـ نوح ـ وقُذِف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتقِ أبوايَ على سفاحٍ قطّ ، لم يزل الله ينقلُني من الأصلاب الحَسِيبة إلى الأرحام الطاهرة ، صفتي مَهْدي ، لا تتشعَّب شعبتانِ إلا كنتُ في خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوَّةِ ميثاقي ، وبالإسلام عهدي ، ونشر في التوراةِ والإنجيلِ ذِكري ، وبيَّن كلُّ نبيٍّ صفتي ، تشرق الأرضُ بنوري ، والغمامُ لوجهي وعلَّمني كتابه ـ ورُوي :

---

(١) أراد بالصالَب الصُّلْب . والطبق : القرن ، أراد : إذا مضى قرن ظهر قرن . اللسان (صلب ، طبق) . والصالب : بفتح اللام ، كذا ضبط في اللسان ضبط قلم ، وفي القاموس وشرحه بكسرها ضبط قلم أيضاً وذكر محقق التاج أن الكسر ضبط التكملة أيضاً .

(٢) « النُّطق » : جمع نطاق ، وهي أوساط الجبال العالية ، وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض ، أي نواح وأوساط منها ، شبهت بالنطق التي يشد بها أوساط الناس ؛ ضربه مثلاً له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته ، وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال ، وأراد ببيته شرفه . والمهيمن نعته ؛ أي حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف . اللسان (نطق ، همن) . وخندف هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي امرأة الياس بن مضر ، خرجت تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فسميت خندف ، والخندفة ضرب من المشي . جمهرة ابن الكلبي (ص٧٥ ، ٧٦) .

(٣) أنت الأفق ذهاباً إلى الناحية ؛ وضاءت لغة في أضاءت . اللسان (أفق) .

(٤) رواية ابن عساكر : تخترق . وسكَّن الباء من « سبل » ليستقيم الوزن ، وحقها الضم . وهذا من الضرائر الشعرية الضرائر (ص١٧١) .

(٥) في تاريخ ابن عساكر ـ السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٦) في ط : عبد السلام بن محمد بن أحمد ، والمثبت من (ح) وتاريخ ابن عساكر .

(٧) في ط : سنان وهو خطأ ، وفي تاريخ ابن عساكر : بُنان ، وكذا في الإكمال (١/ ٣٦٤) وذكر محققه في الحاشية : وقيل ابن بيان ، بفتح الموحدة تليها مثناة تحت مفتوحة مخففة . كما في التوضيح . وهو ما جاء في أصلنا (ح) .

في سحابه[١] ـ وشقَّ لي اسماً من أسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد[٢] ، ووعدَني أنْ يَحْبُوني بالحَوْضِ والكوثر ، وأن يجعلَني أولَ شافعٍ وأول مُشَفَّع ، ثمّ أخرجني من خيرِ قرنٍ لأُمتي ، وهم الحمَّادون ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » . قال ابن عباس : فقال حسان بن ثابت في النبيِّ ﷺ[٣] : [من المنسرح]

من قَبْلَها طِبْتَ في الظِّلال وفي … مستودَعٍ يَوْمَ يُخْصَفُ الوَرَقُ[٤]

ثـم سكَنْـتَ البـلادَ لا بَشَـرٌ … أنـتَ ولا نُطفَـةٌ ولا عَلَـقُ

مُطَهَّـرٌ تـركـبُ السَّفيـنَ وقـد … أَلْجَـمَ نَسْـراً وأهلَـهُ الغَـرَقُ

تُنقَلُ من صالَبٍ[٥] إلى رَحِمٍ … إذا مضـى طَبَـقٌ بَـدَا طَبَـقُ

فقال النبيُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ حسَّان » فقال عليُّ بن أبي طالب : وجَبتِ الجنةُ لحسَّان وربِّ الكعبة . ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث غريب جداً ـ قلت : بل منكر جداً[٦] ـ والمحفوظ أنَّ هذه الأبيات للعباس رضي الله عنه . ثم أوردها من حديث أبي السُّكين زكريا بن يحيى الطائي كما تقدم .

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مِرْداس السُّلَمي . فالله أعلم .

تنبيه : قال القاضي عياض في كتابه « الشفا »[٧] : وأما أحمد الذي أتى في الكتب ، وبشَّرت به الأنبياء ، فمنع اللهُ بحكمته أنْ يُسمَّى به أحدٌ غيره ، ولا يُدْعَى به مدعوٌّ قَبْلَهُ ، حتى لا يدخل لَبْسٌ على ضعيف القلب أو شكّ ؛ وكذلك محمد لم يُسَمَّ به أحدٌ من العرب ولا غَيْرُهم ، إلى أن شاع قُبَيل[٨] وجوده [ﷺ] وميلاده ، أنَّ نبيًّا يُبعث اسمُه محمد ؛ فسمَّى قومٌ قليلٌ من العرب أبناءَهم بذلك ، رجاءَ أنْ يكون أحَدُهم هو [و] ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام ١٢٤] وهم : محمد بن أُحَيْحَة بن الجُلاح

---

(١) يعني : وعلَّمني كتابه في سحابه ، ورواية ابن عساكر : ورواني في سحابه ، وفي (ط) : وعلمني كتابه وزادني [شرفاً] في سمائه .

(٢) زادت (ط) : وأحمد ، وليست هذه الزيادة في (ح) ولا في تاريخ ابن عساكر .

(٣) انظر تخريج الأبيات (ص ٢٧) الحاشية (٤) من هذا الجزء .

(٤) كذا رواية البيت في (ح) وتاريخ ابن عساكر . وقد أصابه زحاف الخَبْل في أوله بحذف « من » .

(٥) في (ح) : صلبة ، وفي تاريخ ابن عساكر ، صلب ، والمثبت من اللسان والرواية التي في الصفحة السابقة .

(٦) أثبت في هامش (ح) بخط مغاير تحت كلمة فائدة ما يأتي : ذكر ابن عراق في « تنزيه الشريعة » أن ابن عساكر كثيراً ما يقتصر في وصف الحديث بالنكارة ، وهو عنده موضوع ، يعرف ذلك بمراجعة كتابه . انتهى .
قلت : هو علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني المتوفى سنة ٩٦٣هـ في كتابه « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » .

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٢٩ ، ٢٣٠) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٨) في ح ، ط : قبل ، والمثبت من الشفا .

الأوْسي ، ومحمد بن مَسْلَمة[١] الأنصاريّ ، ومحمد بن البراء البكري[٢] ، ومحمد بن سفيان بن مُجَاشِع ، ومحمد بن حُمْران الجُعْفِيّ ، ومحمد بن خُزَاعي السُّلَمي لا سابع لهم . ويقال : إنَّ أول من سُمِّي محمداً : محمد بن سفيان بن مجاشع ؛ واليَمَنُ تقول : بل محمد بن الْيُحمد من الأزْد . ثم إنَّ الله حمى كلَّ من تسمَّى به أن يَدَّعي النبوَّة أو يدَّعِيها له أحد ، أو يظهر عليه سببٌ يشكِّك أحداً في أمْرِه ، حتى تحقَّقت السِّمَتان[٣] له ﷺ [و] لم ينازَعْ فيهما .

هذا لفظه .

باب مولد رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لما رواه مسلم في صحيحه[٤] من حديث غَيْلان بن جَرِير سمع عبد الله بن معبد الزِّمَّاني ، عن أبي قتادة ، أن أعرابيّاً قال : يا رسول الله ! ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، وأُنْزِل عليَّ فيه » .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا موسى بن داود ، حدّثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنَش الصَّنْعاني ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، واستُنبىء يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفع الحَجَر الأسودَ يوم الاثنين . تفرّد به أحمد .

ورواه ابن عُفَير وابن بُكَير[٦] عن ابن لَهِيعة ، وزاد : نزلت سورة المائدة يوم الاثنين : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] .

وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضاً : وكانت وقعة بدر يوم الاثنين . وممن قال هذا يزيد بن أبي حَبيب[٧] ، وهذا منكر جداً .

---

(١) في ح ، ط : سلمة ، والمثبت من الشفا وسيرة ابن هشام (١/ ٦٨٦) .
(٢) في ح ، ط : الكندي ، تحريف ، والمثبت من الشفا ، والإصابة (٣/ ٥٠٩) .
(٣) في ط : الشيمتان والمثبت من ح والشفا .
(٤) صحيح مسلم (١٩٧) الصيام باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر .
(٥) في مسنده ١/ ٢٧٧ رقم (٢٥٠٦) ، وإسناده ضعيف بطوله لضعف ابن لهيعة وعند مسلم عن أبي قتادة رقم (١١٦٢) (١٩٨) أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل عليَّ » وعن عائشة عند البخاري رقم (١٣٨٧) وفيه أن أبا بكر قال لها : في أي يوم توفي رسول الله ؟ قالت : يوم الاثنين .
(٦) في (ح) : رواه ابن عفرا وأبو بكر ، وفي ط : ورواه عمرو بن عفير ، والمثبت هو الصواب إن شاء الله ، ورواية كل من سعيد بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير في تاريخ ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٤) .
(٧) في ط : يزيد بن حبيب سقط منه لفظ أبي ، والمثبت من ح وهو يزيد بن سويد الأزدي أبو رجاء توفي سنة ١٢٨هـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ٣١) .

قال ابن عساكر[١] والمحفوظ أنَّ بدراً ونزول ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] يوم الجمعة . وصدق ابن عساكر .

وروى عبيد الله بن عمر عن كُريب، عن ابن عباس : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين[٢] .

وهكذا روي من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين . وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد ﷺ يوم الاثنين .

وأبعدَ بل أخطأ من قال : ولد يوم الجمعة لسبعَ عشرَة خلَتْ من ربيع الأول . نقله الحافظ ابن دِحْية[٣] فيما قرأه من كتاب « إعلام الورى بأعلام الهدى » لبعض الشيعة . ثم شرع ابنُ دحية في تضعيفه ، وهو جدير بالتضعيف ، إذ هو خلاف النص . ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول ، فقيل : لليلتين خَلَتا منه . قاله ابنُ عبد البرّ في « الاستيعاب »[٤] ، ورواه الواقدي[٥] عن أبي معشر نَجِيح بن عبد الرحمن المدني .

وقيل : لثمانٍ خلَوْن منه حكاهُ الحُميدي[٦] عن ابن حزم . ورواه مالك ، وعُقَيل ، ويونس بن يزيد ، وغيرهم ، عن الزُّهْري عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم ، ونقل ابنُ عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صحَّحوه ، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخُوَارِزْمي ، ورجَّحه الحافظ أبو الخطاب بن دحْية في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير » .

وقيل : لعشر خلون منه . نقله ابنُ دِحْية في كتابه . ورواه ابنُ عساكر[٧] عن أبي جعفر الباقر ، ورواه مجالد عن الشعبي كما مر .

وقيل : لثنتي عَشْرة خلَتْ منه ، نصَّ عليه ابن إسحاق[٨] ؛ ورواه ابن أبي شيبة في « مصنفه »[٩] عن

---

(١) في تاريخه (السيرة النبوية ـ القسم الأول) ص٥٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٥) .

(٣) هو عمر بن الحسن أبو الخطاب بن دحية الأندلسي الكلبي ، توفي سنة ٦٣٣هـ ، وكتابه الذي نقل منه المصنِّف هو التنوير في مولد البشير النذير كما سيأتي ، أو التنوير في مولد السراج المنير كما سيأتي في ترجمته (١٣/ ١٤٤ ، ١٤٥) من هذا الكتاب نسخة (ط) .

(٤) الاستيعاب (١/ ٣٠) بتحقيق البجاوي .

(٥) قول الواقدي هذا في طبقات ابن سعد (١/ ١٠٠) .

(٦) هو محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى ٤٨٨هـ والغالب على الظن أن قوله هذا في كتابه بلغة المستعجل نسخة منه في أنقرة . تاريخ بروكلمان (٦/ ١٠٣ ـ ١٠٦) وأعلام الزركلي (٦/ ٣٢٧ ، ٣٢٨) وكشف الظنون (١/ ٢٥٢) ومقدمة جذوة المقتبس (ص٩) و(١٢/ ١٥٣) من هذا الكتاب (ط) .

(٧) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٢) .

(٨) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٨) .

(٩) لم أجد هذا الحديث في مصنف ابن أبي شيبة ، وقد ذكر الهندي في كنز العمال (١٢/ ٤٤٤ ، ٤٤٥) أحاديث بنحوه=

عفَّان عن سعيد بن مِيناء عن جابر وابن عباس أنهما قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم .

وقيل : لسبعَ عشرة خلَتْ منه كما نقله ابن دِحْية عن بعض الشيعة .

وقيل : لثمانٍ بَقِين منه ، نقله ابنُ دحية من خط الوزير أبي رافع ابن الحافظ أبي محمد بن حزم ، عن أبيه . والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت .

والقول الثاني : أنه ولد في رمضان ، نقله ابن عبد البر عن الزُّبير بن بكَّار ، وهو قولٌ غريبٌ جداً ، وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أُوحي إليه في رمضان بلا خلاف ، وذلك على رأس أربعين سنةً من عمره ، فيكون مولدُه في رمضان ، وهذا فيه نظر والله أعلم .

وقد روى خَيْثَمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد ـ كُرْدُوس الواسطي ـ عن المعلَّى بن عبد الرحمن ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين في ربيع الأول ، وأُنزلت عليه النبوَّة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول ، وأُنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول .

وهذا غريب جداً ، رواه ابن عساكر[١] .

قال الزبير بن بكَّار : حملَتْ به أمُّه في أيام التشريق ، في شِعْب أبي طالب ، عند الجمْرة الوسطى ، وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف ـ أخي الحجَّاج بن يوسف ـ لثنتي عَشْرَة خلت من شهر رمضان .

ورواه الحافظ ابن عساكر[٢] من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم ، عن المسيّب بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : حُمل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرَّم ، وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، سنة ثلاثٍ وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وذكر غيره أنَّ الخَيْزُران ـ وهي أمُّ هارون الرشيد ـ لما حجَّتْ أمرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف[٣] بها اليوم .

وذكر السُّهيلي[٤] أنَّ مولدَه عليه الصلاة والسلام ، كان في العشرين من نَيْسان ، وهذا أعدل الأزمانِ

= ورمز فيها إلى ابن عساكر ، ولم يرمز في أي منها إلى ابن أبي شيبة . وأورده المؤلف في (٣/ ١٠٩) وقال : فيه انقطاع .

(١) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٥) وتمامه : وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول .

(٢) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٤) .

(٣) في ح : وتعرف بها اليوم .

(٤) قول السهيلي في الروض الأنف (١/ ١٨٤) بلفظ مختلف .

والفصول ، وذلك لسنة ثنتين وثمانين وثمانمئة لذي القرنين ، فيما ذكر أصحابُ الزِّيج . وزعموا أن الطَّالِعَ كان لعشرين درجةً من الجَدْي ، وكان المُشْتري وزُحَل مقترنَيْن في ثلاث دَرَج من العقرب وهي دَرَجَةُ وَسْط السماء . وكان موافقاً من البروج الحَمَل ، وكان ذلك عند طلوع القمر أوَّلَ الليل .

نقله كلَّه ابنُ دِحْية والله أعلم .

قال ابن إسحاق[١] : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل .

وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال إبراهيمُ بن المنذر الحِزَاميّ : وهو الذي لا يشكُّ فيه أحَدٌ من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام وُلد عام الفيل ، وبُعث على رأس أربعين سنةً من الفيل .

وقد رواه البيهقي[٢] من حديث أبي إسحاق السَّبيعي ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : ولد رسولُ الله ﷺ عام الفيل .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : حدَّثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة ، عن أبيه ، عن جدِّه قيس بن مَخْرَمة ، قال : ولدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عام الفيل ، كنا لِدَيْن[٤] .

قال : وسأل عثمانُ رضي الله عنه قَبَاثَ بن أَشْيَم أخا بني يَعْمَر بن لَيْث : أنتَ أكبرُ ، أمْ رسولُ الله ﷺ ؟ فقال : رسولُ الله ﷺ أكْبَرُ مني وأنا أقْدَمُ منه في الميلاد ، ورأيتُ خِثْيَ الفيلِ أخضرَ مُحِيلاً[٥] . ورواه الترمذي[٦] والحاكمُ[٧] من حديث محمد بن إسحاق به .

قال ابن إسحاق[٨] : وكان رسول الله ﷺ عام عُكَاظ ابنَ عشرين سنة .

وقال ابن إسحاق[٩] : كان الفِجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناءُ الكعبة بعد الفِجار بخمس عشرة سنة ، والمَبْعَث بعد بنائها بخمس سنين . وقال محمد بن جُبير بن مُطْعِم : كانت عُكاظ بعد الفيل بخمسَ عشرةَ سنة ، وبناء الكعبة بعد عُكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة . وروى الحافظ

---

(١) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٨) بلفظ مختلف .
(٢) في الدلائل (١/ ٧٥) .
(٣) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٩) .
(٤) لفظ ابن إسحاق : فنحن لِدَان ، وفي رواية لابن عساكر ص٦٠ : لدتان ، واللِّدَة : التِرْب ، وهو الذي يولد معك في وقت واحد . تقول : هما لدان ، وهم لدات ، ولدون : انظر اللسان والتاج (ولد ، لدي) .
(٥) « خِثْيَ الفيل » : يعني روثه . و« محيل » : متغير . اللسان (خثي ، حول) .
(٦) في جامعه (٣٦١٩) في المناقب باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ وقال : حسن غريب .
(٧) المستدرك (٢/ ٦٠٣ و٣/ ٤٥٦) .
(٨) قول ابن إسحاق في المستدرك (٢/ ٦٠٣) وسيرة ابن هشام (١/ ١٨٦) .
(٩) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٦) .

البيهقي[١] من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المديني ، حدّثنا الزُّبير بن موسى ، عن أبي الحويرث قال : سمعتُ عبد الملك بن مروان يقول لِقَبَاث بن أَشْيَم الكِنَاني ثمَّ اللَّيْثي : يا قَبَاث ، أنتَ أكبرُ ، أمْ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : رسول الله ﷺ أكبر مني ، وأنا أسنُّ ؛ ولد رسولُ الله ﷺ عام الفيل ، ووقفَتْ بي أُمِّي على رَوْث الفيل مُحِيلاً أعقله . وتُنُبِّىء رسولُ الله ﷺ على رأس أربعين سنة .

وقال يعقوب بن سفيان[٢] : [حدثنا أحمد بن الخليل] حدّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير ، حدّثنا نعيم ـ يعني ابنَ مَيْسَرة ـ عن بعضهم عن سُويد بن غَفَلة قال : أنا لِدَةُ رسولِ الله ﷺ ، ولدتُ عامَ الفيل .

قال البيهقي[٣] : وقد رُوي عن سُويد بن غَفَلة أنه قال : أنا أصغَرُ من رسولِ الله ﷺ بسنتين .

قال يعقوب[٤] : وحدّثنا إبراهيم بن المنذر : حدّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدّثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان النَّوفلي ، عن أبيه ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم قال : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، وكانت بعده عُكاظ بخمسَ عشرةَ سنة ، وبُني البيت على رأس خمسٍ وعشرين سنة من الفيل ، وتنبَّأ رسولُ الله ﷺ على رأس أربعين سنة من الفيل .

والمقصود أنَّ رسولَ الله ﷺ ولد عامَ الفيل على قول الجمهور ، فقيل بعده بشهر ، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل بخمسين يوماً ـ وهو أشهر ـ وعن أبي جعفر الباقر ، كان قدوم الفيل للنصف من المُحَرَّم ، ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة ، وقال آخرون : بل كان عامُ الفيل قبل مولد رسولِ الله ﷺ بعشر سنين . قاله ابن أَبْزَى . وقيل بثلاثٍ وعشرين سنة ، رواه شُعيب بن شعيب عن أبيه ، عن جَدِّه كما تقدم . وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة ، قاله موسى بن عقبة عن الزُّهْري رحمه الله . واختاره موسى بن عُقْبة أيضاً رحمه الله .

وقال أبو زكريا العجلاني : بعد الفيل بأربعين عاماً . رواه ابن عساكر[٥] . وهذا غريبٌ جدّاً ، وأغربُ منه ما قال خليفة بن خيَّاط[٦] : حدّثني شعيب بن حَيَّان عن عبد الواحد بن أبي عمرو ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله ﷺ قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضاً[٧] .

قال خليفة بن خياط[٨] : والمجتمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل .

---

(١) في الدلائل (١/ ٧٧ ، ٧٨) وما بين معقوفين منه .
(٢) في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) وما بين معقوفين منه .
(٣) في الدلائل (١/ ٧٩) .
(٤) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٠) وهو القسم المفقود من كتابه .
(٥) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٣) .
(٦) في تاريخه (ص٥٣) .
(٧) لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح باذام ، وقد قال الكلبي : « قال لي أبو صالح : كلُّ ما حدثتك كذب » (الميزان ١/ ٢٩٦) .
(٨) في تاريخه (ص٥٣) .

صفة مولده الشريف عليه الصّلاة والسّلام

قد تقدَّم أنَّ عبد المطلب لما ذبح تلك الإبلَ المئة عن ولده عبد الله ، حين كان نَذَرَ ذَبْحَه فسلَّمه الله تعالى ، كان قدَّر في الأزل من ظهور النبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ ، خاتم الرسل وسيِّدِ ولد آدم من صُلْبه ؛ فذهب كما تقدَّم ، فزوَّجه أشرفَ عَقِيلةٍ في قريش ، آمنةَ بنت وَهْبِ بن عبد مناف بن زُهْرَة الزُّهْرِيَّة . فحين دخل بها وأفْضَى إليها حملَتْ برسول الله ﷺ ، وقد كانت أُمُّ قِتَال رُقيقةُ بنت نَوْفل ـ أختُ وَرَقة بن نوفل ـ توسَّمَتْ ما كان بين عينَيْ عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودَّت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد ﷺ ، وأنه قد أَزِف زمانُه ، فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم : ليتزوجها ـ وهو أظهر والله أعلم ـ فامتنع عليها ، فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعته إياها كأنَّه تندَّم على ما كانت عرضَتْ عليه ، فتعرَّض لها لتعاوده ، فقالت : لا حاجة لي فيك . وتأسفَتْ على ما فاتها من ذلك ، وأنشدَت في ذلك ما قدَّمناه من الشعر الفَصِيح البليغ[(١)]

وهذه الصِّيانة لعبد الله ليست له ، وإنما هي لرسولِ الله ﷺ ، فإنَّه كما قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] . وقد تقدَّم الحديث المرويُّ من طريق جَيِّدة : أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدتُ من نكاح لا من سِفَاح »[(٢)] .

والمقصود أنَّ أُمَّهُ حين حملَتْ به توفي أبوه عبد الله وهو حَمْل في بطنِ أمه على المشهور .

قال محمد بن سعد[(٣)] : حدّثنا محمد بن عمر ـ هو الواقدي ـ حدّثنا موسى بن عبيدة الرَّبَذِي[(٤)] [عن محمد بن كعب] ، وحدّثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالا : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في عِيرٍ من عِيَرَاتِ[(٥)] قريش يحملون تجارات . ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا ، فمرُّوا بالمدينة وعبدُ الله بن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال : [أنا] أتخلَّفُ عند أخوالي بني عَدِيِّ بن النجّار . فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابُه فقدِمُوا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله ، فقالوا : خلَّفْناه عند أخواله بني عديِّ بن النجّار وهو مريض . فبعث إليه

---

(١) (ص١٤) من هذا الجزء .

(٢) (ص٢٣) من هذا الجزء .

(٣) في الطبقات (١/ ٩٩) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في ط : اليزيدي ، تصحيف ، والمثبت من ح والطبقات والإكمال (٤/ ١٤٢) وترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٥٦) .

(٥) في ح ، ط : عيران ، تصحيف ، والمثبت من الطبقات ، وعِيَرَات : كعنبات ، وقد تسكن ياؤه ، جمع عير ، وهي الإبل التي تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها . قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء . اللسان والتاج (عير) .

عبدُ المطلب أكبرَ ولدِهِ الحارث . فوجده قد توفِّي ، ودُفن في دار النابغة[١] ـ [وهو رجلٌ من بني عديٍّ بن النجار ، في الدار التي إذا دخلتَها فالدُّويرة عن يسارك ـ وأخبره أخوالُهُ بمرضه وبقيامهم عليه ، وما وَلُوا من أمره ، وأنهم قبروه] ، فرجع إلى أبيه فأخبره ، فوَجَدَ[٢] عليه عبدُ المطلب وإخوتُه وأخواته وَجْداً شديداً ، ورسولُ الله ﷺ يومئذ حَمْل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم تُوفِّي خمسٌ وعشرون سنةً .

قال الواقدي[٣] : هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسِنِّه عندنا .

قال الواقدي[٣] : وحدّثني مَعْمَر عن الزُّهْري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتارُ له تمراً فمات .

قال محمد بن سعد[٤] : وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عَوَانة بن الحكم قالا : تُوفي عبد الله بن عبد المطلب بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانيةٌ وعشرون شهراً ، وقيل سبعة أشهر .

وقال محمد بن سعد[٤] : والأول أثبت أنه تُوفي ورسولُ الله ﷺ حَمْل .

وقال الزُّبير بن بكَّار : حدّثني محمد بن حسن ، عن عبد السلام ، عن ابن خَرَّبُوذ قال : توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله ﷺ ابن شهرين ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جَدُّه وهو ابنُ ثمان سنين ، فأوصى به إلى عَمِّه أبي طالب .

والذي رجَّحه الواقدي وكاتبه الحافظ محمد بن سعد ، أنه عليه الصلاة والسلام تُوفي أبوه وهو جنينٌ في بطن أُمِّه . وهذا أبلغ اليُتْم وأعلى مراتبه .

وقد تقدم في الحديث[٥] « ورؤيا أمي التي رأتْ حين حَملتْ بي كأنَّه خرج منها نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشام » .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : فكانت آمنة بنت وَهْب أمُّ رسولِ الله ﷺ تحدِّث أنها أُتيتْ حين حملَتْ برسولِ الله ﷺ فقيل لها : إنَّكِ قد حملْتِ بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : [من الرجز]

---

(١) كذا في ح ، ط : والطبقات وتاريخ ابن الأثير (٢/ ١٠) وفي تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦) وقيل التابعة ، وبه جزم الزرقاني في شرح المواهب (١/ ١٣٢) وقال : بفوقية فموحدة فعين مهملة كما في الزهر الباسم .

(٢) وجد : حزِن ، ويقال بكسر الدال وضمها . التاج (وجد) .

(٣) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ٩٩) .

(٤) في الطبقات (١/ ١٠٠) .

(٥) تقدم الحديث في (٢/ ٨٥) من (ط) ، وانظر ما سيأتي ص٣٨ من هذا الجزء .

(٦) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٢) وط حميد الله وأخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٨٢) وابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٨) وابن إسحاق في المغازي والسير (ص٤٥) وابن هشام في السيرة (١/ ١٥٨) .

أُعِيــــذُهُ بــــالــــواحِــــدِي[١]

مــــن شَــــرِّ كُــــلِّ حــــاسِــــدِي

فــــي كــــلِّ بَــــرٍّ عَــــاهِــــدِي[٢]

وكُــــلِّ عَبْــــدٍ رائِــــدِي

[يَــــرُ]ودُ غَيْــــرَ رائِــــدِي[٣]

عبــــدُ الحميــــدِ المــــاجِــــدِي

حتى أراهُ وقــائــدَ المَشَــاهِــدِي[٤]

وآيةُ ذلك أنه يخرجُ معه نورٌ يملأ قصورَ بُصْرَى من أرض الشام ، فإذا وقع فسمِّيه محمداً ، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد ، يَحْمَدُهُ أهلُ السماء وأهلُ الأرض ، واسمه في الإنجيل أحمد ، يحمدُهُ أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه في القرآن محمد[٥] .

وهذا وذاك يقتضي أنها رأتْ حين حملَتْ به عليه الصلاة والسلام ، كأنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام . ثم لماوضعَتْه رأتْ عياناً تأويلَ ذلك كما رأتْهُ قبل ذلك هاهنا . والله أعلم .

وقال محمد بن سعد[٦] : أنبأنا محمد بن عمر ـ هو الواقدي ـ حدّثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري (ح)[٧] وقال الواقدي : وحدّثنا موسى بن عُبيدة عن أخيه، ومحمد بن كعب القُرَظي (ح) وحدّثني عبد الله بن جعفر الزُّهْري ، عن عمَّتِه أمِّ بكر بنت المِسْوَرِ ، عن أبيها ح وحدّثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المَدَني[٨] وزياد بن حَشْرَج ، عن أبي وَجْزَة. وحدّثنا معمر، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد (ح) وحدّثنا

---

(١) كذا في ح بإثبات ياء الوصل بعد حرف الروي في سائر الأبيات ، ويسميها العروضيون وصلاً لأنها تصل حركة حرف الروي المكسور ، كما في الوافي للتبريزي (ص٢٢٥) .

(٢) « البر » : ضد البحر وعاهد : اسم فاعل من عهد صفة لحاسد ، أي يتعهده بالحسد أينما سار ، كأنه لا ينفك عن حسده . شرح الموهب (١/ ١٢٩) . وفي سيرة ابن إسحاق (عامد) .

(٣) « الرائد » : الذي يتقدم بمكروه ، وهو طالب السوء . يرود : يطلبه له . غير رائد : غير طالب له الكلأ كناية عن أنه لا ينفعه بوجه . اللسان (رود) وشرح المواهب (١/ ١٢٩) . وما بين معقوفين من الدلائل وابن عساكر وفي سيرة ابن إسحاق : نزول غير زائد ، وهو تصحيف .

(٤) في ح : وسيرة ابن إسحاق والدلائل وابن عساكر : حتى أراه قد أتى المشاهد ، وفي نسخة ص : من الدلائل : حتى أراه قائد قد أتى المشاهد فكأنه ذكر الروايتين معاً ، فأثبت منه ما يقيم وزن البيت ويوجه معناه . ولا يخفى : أن البيتين الأخيرين من مشطور الرجز والباقي من منهوكه .

(٥) زاد البيهقي : فسمَّيْته كذلك .

(٦) في الطبقات (١/ ١٠١ ، ١٠٢) .

(٧) حرف الحاء في هذا الخبر يدل على تحويل السند .

(٨) في ح : المرني وقد تقرأ المدني وفي ط : المزني ، والمثبت من الطبقات ، ولم أقف على ترجمة له .

طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ـ أنَّ آمنة بنت وَهب قالت : لقد علقتُ به ـ تعني رسولَ الله ﷺ ـ فما وجدْتُ له مَشَقَّةً حتى وضعتُه ، فلما فصل مني خرج معه نورٌ أضاء له ما بين المشرق وإلى المغرب ، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضةً من التراب ، فقبضها ورفع رأسه إلى السماء . وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه ، رافعاً رأسه إلى السماء[١] ، وخرج معه نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشام وأسواقُها حتى رأيتُ أعناق الإبل ببصرى .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٢] : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن إسحاق[٣] ، حدّثنا أبو بِشْر[٤] مُبَشِّر بن الحسن، حدّثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدّثنا عبد العزيز ابن عمران، حدّثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه، عن ابن أبي سُوَيد الثقفي، عن عثمان بن أبي العاص، حدّثتني أمِّي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وَهْب رسولَ الله ﷺ ليلةَ ولدَتْه، قالت: فما شيءٌ أنظرُ إليه في البيت إلا نُوِّر، وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لَيَقَعْنَ عليّ.

وذكر القاضي عياض[٥] عن الشِّفَا[٦] أمِّ عبدِ الرحمن بن عوف ، أنها كانت قابلَتَه ، وأنها أُخبرت به حين سقَطَ على يديها واستهلّ ، سمعَتْ قائلاً يقول : يرحمكَ الله ، وأنه سطع نور منه نَوَّرَ رأتْ منه قصورَ الرُّوم[٧] .

قال محمد بن إسحاق[٨] : فلمَّا وضعَتْهُ بعثَتْ إلى عبد المطلب جاريتَها ـ وقد هلك أبوه وهي حُبْلَى ، ويقال : إنَّ عبدَ اللهِ هلك والنبيُّ ﷺ ابنُ ثمانيةٍ وعشرين شهراً ، فاللهُ أعلم أيَّ ذلك كان ـ فقالت : قد وُلد

---

(١) قوله : رافعاً رأسه إلى السماء ، محله في ح ، ط في آخر الحديث ، والمثبت من الطبقات .

(٢) في دلائل النبوة (١/ ١١٠ ، ١١١) ورواه الطبري في تاريخه (٢/ ١٥٦ ، ١٥٧) عن محمد بن سنان القزاز عن يعقوب بن محمد الزهري به ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٥) عن البيهقي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٠) وقال : رواه الطبراني ، وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو متروك احترقت كتبه ، فحدث من حفظه ، فاشتد غلطه وكان عارفاً بالأنساب .

(٣) هو ابن خزيمة .

(٤) في ط : يونس بن مبشر بن الحسن تحريف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وتاريخ ابن عساكر وترجمته في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٨) .

(٥) في الشفا (١/ ٣٦٦) بلفظ مختلف .

(٦) « الشفا » : بالقصر والمدّ ، كما في الإكمال (٥/ ٧٦ ح١) .

(٧) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص٤٠) من طريق النضر بن سلمة عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف كلاهما عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : كنت أنا ورسول الله ﷺ ترباً وكانت أمي الشفا فذكر الحديث .

(٨) قول ابن إسحاق في دلائل البيهقي ١/ ١١٢) وتاريخ ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٨ ، ٦٩) وانظره بلفظ مختلف في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٩ ، ١٦٠) وطبقات ابن سعد (١/ ١٠٣) .

لك غلامٌ فانظرْ إليه ، فلمَّا جاءها أخبرَتْهُ وحدَّثَتْهُ بما كانتْ رأتْ حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسمِّيه . فأخذه عبدُ المطلب ، فأدخله على هُبَل في جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عزَّ وجلَّ ويقول : [من الرجز]

الحمـــدُ للهِ الـــذي أعطـــانـــي
هـــذا الغـــلامَ الطيِّـــبَ الأرْدانْ[1]
قد سادَ في المَهْدِ على الغِلْمانِ
أُعِيـــذُه بـــالبيـــتِ ذي الأرْكـــانِ
حتـــى يكـــونَ بُلغـــةَ الفِتْيَـــانِ
حتـــى أراه بـــالـــغَ البُنْيـــانِ
أعيـــذُهُ مـــن كـــلِّ ذي شَنَـــآنِ
مـــن حـــاسـدٍ مضطَـــربِ العِنـــان
ذي هِمَّـــةٍ ليـــس لـــه عَيْنـــانِ
حتـــى أراه رافـــعَ اللســـانْ[2]
أنـــتَ الـــذي سُمِّيـتَ فـــي القـــرآن
فـــي كُتُـــبٍ ثـــابتـــة المَبـــانـــي[3]
أحمـــدُ مكتـــوبٌ علـــى اللســـان

وقال البيهقي[4] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ : أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدَّارَابْجِردي[5] ـ بمرو ـ حدّثنا أبو عبد الله البوشَنْجي ، حدّثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائري ، حدّثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن حارث الصُّدَّائي ـ بمصر ـ حدّثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : وُلِدَ رسولُ الله ﷺ مَخْتُوناً مَسْرُوراً ، قال فأعجب ذلك جدَّه عبد المطلب وحظِيَ عنده وقال : ليكوننَّ لابني هذا شأن . فكان له شأن[6] .

---

(١) « الأردان » : جمع رُدْن ، وهو أصل الكمّ . اللسان (ردن) وفي الأساس : كن طيب الأردان وإن لم تلبس الأردان . الأخيرة جمع رَدَن بالتحريك ، وهو الحرير والخز .
(٢) في تاريخ ابن عساكر : البنيان .
(٣) في ط : المثاني ، والمثبت من ح والدلائل .
(٤) في الدلائل : (١/ ١١٤) .
(٥) في ح : الدرايَرْدي ، وفي ط : الدرابودي ، والمثبت من دلائل البيهقي . ولم أقف على ترجمة له .
(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٠٣) من طريق يونس بن عطاء عن الحكم بن أبان ونقله عنه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص ٢١٠) .

وهذا الحديث في صِحَّتِه نظر ، وقد رواه الحافظ ابن عساكر[١] من حديث سفيان بن محمد المصِّيصي ، عن هشيم ، عن يونس بن عُبيد ، عن الحسن ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مِنْ كرامتي على الله أني وُلِدْتُ مَخْتُوناً ولم ير سوأتي أحد » .

ثمَّ أورده[٢] من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به .

ثم أورده[٣] من طريق محمد بن محمد بن سليمان ـ هو الباغَنْدِي ـ حدّثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي ، حدّثنا موسى بن أبي موسى المقدسي ، حدّثني خالد بن سلمة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ولد رسول الله ﷺ مسروراً مختوناً .

وقال أبو نعيم[٤] : حدّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ، حدّثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي ، حدّثنا سليمان بن سلمة الخَبَائري ، حدّثنا يونس بن عطاء ، حدّثنا الحكم بن أبان ، حدّثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس قال : وُلد رسولُ الله ﷺ مختوناً مسروراً ، فأعجبَ ذلك جدَّهُ عبد المطلب وحَظِيَ عنده ، وقال : ليكونَنَّ لابني هذا شأن . فكان له شأن .

وقد ادَّعى بعضُهم صِحَّتَه لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضُهم أنه متواتر ، وفي هذا كُلِّهِ نظر .

ومعنى مختوناً : أي مقطوع الخِتان : ومسروراً : أي مقطوع السُّرَّة من بَطْنِ أُمِّه .

وقد روى الحافظُ ابن عساكر[٥] من طريق عبد الرحمن بن عُيينة البصري ، حدّثنا عليُّ بن محمد المدائني السلمي ، حدّثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه ، عن أبي بكرة ، أنَّ جبريل خَتَنَ النبي ﷺ حين طَهَّر قَلْبَه . وهذا غريبٌ جداً .

وقد رُوي أنَّ جدَّهُ عبد المطلب خَتَنَهُ وعمِلَ له دَعْوَةً جمع قريشاً عليها ، والله أعلم .

وقال البيهقي[٦] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأني أحمدُ[٧] بن كامل القاضي ـ شفاهاً ـ أنَّ محمد بن إسماعيل حدَّثَه ـ يعني السلمي[٨] ـ حدّثنا أبو صالح [عبدُالله بن صالح قال :][٩] حدّثني معاوية بن صالح

---

(١) في تاريخه (ص٢١١) .
(٢) (ص ٢١٢) .
(٣) (ص ٢١٣) .
(٤) في دلائل النبوة (١/ ١٥٤/ ٩٢) .
(٥) ليس الخبر في تاريخ دمشق القسم الأول والثاني من طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق . وهو في طبعة دار الفكر ٣/ ٤١٠ ، وأخرجه الطبراني في الأوسط ٦/ ٧٠ (٥٨٢١) .
(٦) في الدلائل (١/ ١١٣) .
(٧) في ط : محمد تصحيف والمثبت من ح والدلائل وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٤٤) .
(٨) في الدلائل : أن محمد بن إسماعيل السلمي حدثهم .
(٩) ما بين معقوفين من الدلائل .

عن أبي الحكم التَّنوخي . قال : كان المولُود إذا وُلد في قريش دفعوه إلى نسوةٍ من قريش إلى الصبح يَكْفَأْنَ عليه بُرْمَةً[١] ، فلما ولد رسولُ الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوةٍ فكفأنَ عليه بُرْمَةً ، فلما أصبحن أَتَيْنَ فوجدنَ البُرْمَةَ قد انفلقت عنه باثنتين ، ووجدْنَهُ مفتوحَ العينين ، شاخصاً ببصره إلى السماء ، فأتاهُنَّ عبدُ المطلب ، فقلْنَ له : ما رأينا مولوداً[٢] مثله ، وجدناهُ قد انفلقتْ عنه البُرْمة ، ووجدناهُ مفتوح العينين[٣] ، شاخصاً ببصره إلى السماء . فقال : احْفَظْنَهُ فإنِّي أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يُصيبَ خيراً . فلما كان اليومُ السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبدَ المطلب ، أرأيتَ ابنَكَ هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سمَّيْتَه ؟ قال سمَّيْتُه محمداً . قالوا : أفرَغِبْتَ به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردتُ أنْ يَحْمَدَهُ اللهُ في السماء وخَلْقُه في الأرض .

قال أهلُ اللغة : كُلُّ جامعٍ لصفاتِ الخير يُسَمَّى محمداً ، كما قال بعضُهم : [من الطويل]

إليك ـ أبيتَ اللعنَ ـ أعملْتُ ناقتي إلى الماجدِ القَرْمِ الكريمِ المحمَّدِ[٤]

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عزَّ وجلَّ أنْ سمَّوه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ، ليلتقيَ الاسمُ والفعل ، ويتطابق الاسمُ والمسمَّى في الصورة والمعنى ، كما قال عمُّهُ أبو طالب ، ويروى لحسَّان[٥] .

وشـقَّ لـه مـن اسمِـهِ ليُجلَّـهُ فذو العَرْشِ محمودٌ وهذا محمَّدُ

وسنذكرُ أسماءَهُ عليه الصلاة والسلام وشمائلَهُ ـ وهي صفاتُهُ الظاهرة وأخلاقُه الطاهرة ـ ودلائل نبوَّتِهِ وفضائلَ منزلَتِهِ في آخر السيرة إنْ شاء الله .

وقال الحـافظ أبو بكر البيهقي[٦] : أخبرنا أبو عبد الله الحـافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا أحمد بن شيبان الرَّمْلي ، حدّثنا أحمد بن إبراهيم الحَلَبي[٧] ، حدّثنا الهيثم بن جميل ، حدّثنا زهير، عن محارب بن دثار ، عن عمرو بن يثربي ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله ، دعاني إلى الدخول في دِينك أمارةٌ لنبوَّتك ، رأيتُكَ في المَهْد تُنَاغي القمرَ وتشيرُ إليه بإصْبَعِك ، فحيثُ أشرتَ إليه مال . قال : « إنِّي كنتُ أُحَدِّثه ، ويحدِّثُني ، ويُلْهيني عن البكاء ، وأسمعُ

---

(١) « يكفأن « : يَقْلِبْنَ . البُرْمَةُ : القدر . اللسان (كفأ ، برم) .
(٢) في ح : مولداً والمثبت من ط والدلائل .
(٣) في ح ، ط : مفتوحاً عينيه والمثبت من الدلائل .
(٤) القرْم من الرجال : السيِّد المعظم . اللسان (قرم) وهذا البيت من شواهد اللسان (حمد) وروايته « إليك أبيت اللعن كان كلالها » وعزاه للأعشى ـ أعشى قيس ـ وهو في ديوانه (ص٢٨) وروايته : كان كلاهما .
(٥) ليس البيت في ديوان شيخ الأباطح وقد عزي لأبي طالب في خبر ساقه المعافى بن زكريا في الجليس (٢/ ٢٠٤) والبيت في ديوان حسان (١/ ٣٠٦) .
(٦) دلائل النبوة (٢/ ٤١) .
(٧) في ط : « الحبلي » وهو تحريف ، وما أثبتناه من الجرح والتعديل (٢/ ٤٠) وميزان الاعتدال (١/ ٨١) .

وَجْبَتَهُ[١] حين يسجدُ تحت العرش » . ثم قال : تفرَّد به الحَبَلي[٢] وهو مجهول[٣]

فصل
فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

قد ذكرنا في باب هواتف الجانّ ما تقدَّم[٤] من خُرورِ كثيرٍ من الأصنام ليلتئذٍ لوجوهها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشيُّ ملكُ الحبشة ، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصورُ الشام حين ولد ، وما كان من سقوطِهِ جاثياً رافعاً رأسه إلى السماء ، وانفلاقُ تلك البُرْمَة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ، ودنوّ النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلي[٥] عن تفسير بَقِيِّ بن مَخْلَد الحافظ ، أنَّ إبليسَ رَنَّ أربعَ رنَّات[٦] : حين لُعِن ؛ وحين أُهبط ؛ وحين وُلد رسولُ الله ﷺ ؛ وحين أُنزلت الفاتحة .

قال محمد بن إسحاق[٧] : وكان هشام بن عروة يحدِّث عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان يهوديٌّ قد سكن مكة يتَّجِر بها ، فلما كانت الليلةُ التي وُلد فيها رسولُ الله ﷺ قال في مجلس من قريش : يا معشر قريش ، هل وُلد فيكم الليلةَ مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلمه . فقال : الله أكبر ، أما إذاً[٨] أخطأكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقولُ لكم : وُلد هذه الليلة نبيُّ هذه الأمَّةِ الأخيرة ، بين كتفيه علامةٌ فيها شعراتٌ متواتراتٌ كأنهنَّ عُرْفُ فرس ، لا يرضعُ ليلتين ، وذلك أنَّ عِفْريتاً من الجنِّ أدخل أُصبعه في فمه ، فمنعه الرضاع .

فتصدَّع القومُ من مجلسهم وهم يتعجَّبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كلُّ إنسانٍ منهم أهله ، فقالوا : قد والله وُلد لعبد الله بن عبد المطلب غلامٌ سمَّوهُ محمداً ، فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديثَ اليهودي ؟ وهل بلغكم مَوْلِدُ هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاؤوا اليهوديَّ فأخبروه الخبر ؛

---

(١) وَجْبتُه : صوت سقوطه . ومنه حديث سعيد : لولا أصوات السافرة لسمعتم وجبة الشمس ؛ أي سقوطها مع المغيب . اللسان (وجب) .

(٢) في ط : « الليثي » وهو تحريف . والحَبَلي : أحمد بن إبراهيم .

(٣) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : « سألت أبي عنه وعرضت عليه حديثه ، فقال : لا أعرفه وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول ، يدل حديثه على أنه كذاب » (٢/ ٤٠) .

(٤) كذا في (ح ، ط) وباب هواتف الجانّ سيأتي في (ص١٤٦) وذكر النجاشي في (ص١٧٠) وهذا يدل على أن باب هواتف الجانّ منتزع من مكانه ومقدم على موضعه ، ويؤكد ذلك أيضاً قول المؤلف في (ص١٤٦) موضع الحاشية (٧) : وسيأتي قول سطيح لعبد المسيح .

(٥) في الروض الأنف (١/ ١٨١) .

(٦) « الرنة » : الصيحة الشديدة والصوت الحزين . اللسان (رنن) .

(٧) قول ابن إسحاق في دلائل البيهقي (١/ ١٠٨) ومستدرك الحاكم (٢/ ٦٠١ ، ٦٠٢) .

(٨) كذا في ح ، ط وفي الدلائل والمستدرك : « إذْ » وهو أشبه بالصواب .

قال : فاذهبوا معي حتى أنظر إليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة ، فقالوا[١] : أخرجي إلينا ابْنَكِ ، فأخرجَتْه ، وكشفوا له عن ظهره ، فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهوديُّ مَغْشياً عليه ؛ فلما أفاق قالوا له : مالك ويلك ؟ قال : قد ذَهبَتْ والله النبوَّةُ من بني إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ والله لَيَسْطُوَنَّ بكم سَطْوَةً يخرج خبرُها من المشرق والمغرب[٢] .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني صالح بن إبراهيم عن يحيى بن [عبد الله بن] عبد الرحمن بن أسعد بن زُرَارة قال : حدّثني منْ شئتَ من رجالِ قومي ممَّنْ لا أتَّهِم عن حسَّان بن ثابت قال : إنِّي لغلامٌ يَفَعَةٌ ابن سبعِ سنين أو ثمانِ سنين ، أعقِلُ ما رأيتُ وسمعت ، إذا بيهوديٍّ في يثرب يَصْرُخ ذاتَ غداة : يا معشر يهودَ ؛ فاجتمعوا إليه ـ وأنا أسمع ـ فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قد طلع نجمُ أحمد الذي يولد به في هذه الليلة .

وروى الحافظُ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »[٤] من حديث أبي بكر بن عبد الله العامري ، عن سليمان بن سُحيم ورُبَيْح[٥] بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد [الخُدْري] عن أبيه قال : سمعت أبي مالك بن سنان يقول : جئتُ بني عبد الأشهل يوماً لأتحدَّث فيهم ، ونحن يومئذٍ في هُدْنةٍ من الحرب ، فسمعت يوشع اليهوديَّ يقول : أظلَّ خروجُ نبيٍّ يقالُ له : أحمد ، يخرجُ من الحرم . فقال له خليفةُ بن ثعلبةَ الأشهلي كالمستهزىء به : ما صفته ؟ فقال : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل ، في عينيه حمرة ، يلبس الشَّمْلَة ، ويركب الحمار ، سيفُه على عاتقه ، وهذا البلد مُهاجَرُه . قال : فرجعت إلى قومي بني خُدْرَة ، وأنا يومئذ أتعجَّبُ مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟! كلُّ يهودِ يثربَ يقولون هذا . قال أبي مالكُ بن سنان : فخرجتُ حتى جئتُ بني قُرَيظة ، فأجد جمعاً ، فتذاكروا النبيَّ ﷺ فقال الزبير بن باطا : [قد] طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبيٍّ أو ظهوره ، ولم يبق [أحد] إلا أحمد وهذا مُهاجَرُه . قال أبو سعيد : فلما قدم النبيُّ ﷺ [المدينة] أخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أسلم الزبير وذووه[٦] من رؤساء اليهود ، إنما هم له تبع » .

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل والمستدرك : فقال : وهو أشبه بالصواب .
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠١ ، ٦٠٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : قلت : لا .
(٣) في سيرة ابن إسحاق (ص٦٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (ص١٦) وما يأتي بين معقوفين منهما . ومن تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٩) في ترجمة صالح بن إبراهيم .
(٤) دلائل النبوة (١/ ٧٩/ ٤٠) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) في ط : ذريح وفي الدلائل رميح ، وكلاهما تصحيف والمثبت من ح ، والتصحيح من الإكمال (٤/ ١٨٨) وميزان الاعتدال (٢/ ٣٨) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨) .
(٦) كذا في ط ، وفي ح ودلائل أبي نعيم ، وفي ط : لو أسلم الزبير لأسلم ذووه وهو الصواب .

وقال أبو نعيم[١] : حدّثنا عمر بن محمد ، حدّثنا إبراهيم بن السِّنْدي ، حدّثنا النَّضْرُ بن سلمة ، حدثنا إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت ، عن أُمِّ سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أحبار يهود بني قُرَيظة والنَّضِير يذكرون صفةَ النبيِّ ﷺ ، فلما طلع الكوكبُ الأحمر أخبروا أنه نبيّ ، وأنَّهُ لا نبيَّ بعدَه ، واسمه أحمد ، ومُهاجره إلى يثرب ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا .

وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه[٢] من طرق أُخرى ولله الحمد .

وقال أبو نعيم[٣] : حدّثنا أبو محمد بن حبان ، حدّثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدّثنا وهْبُ بن مُنَبِّه ، حدّثنا خالد عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد قال : قال زيد بن عمرو بن نُفَيل : قال المُوبَذَان ـ حَبْرٌ من أحبار الشام ـ : قد خرج في بلدك نبيّ ـ أو هو خارج ـ قد خرج نجمُه ، فارجِعْ فصدِّقْهُ واتَّبِعْه .

ذكر ارتجاج الإيوان[٤]
وسقوطِ الشُرُفات وخمودِ النيران ورؤيا المُوبَذَان وغير ذلك من الدَّلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه « هواتف الجِنَّان »[٥] : حدّثنا عليُّ بن حرب ، حدّثنا أبو أيوب يعلى بن عمران ـ من آل جرير بن عبد الله البجَلي ـ حدّثني مخزوم بن هانىء المخزومي عن أبيه ـ وأتت عليه خمسون ومئة سنة ـ قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس[٦] إيوانُ كسرى وسقطَتْ منه أربعَ عشرةَ شُرْفَة ، وخمدَت نار فارس ، ولم تخمُدْ قبل ذلك بألفِ عام ، وغاضَتْ بُحيرة ساوَة[٧] ، ورأى المُوبَذَان[٨] إبلاً صِعَاباً تقودُ خيلاً عِراباً قد قطعتْ دِجْلة

---

(١) في المطبوع (١/ ٧٩/ ٣٩١) بغير هذا الإسناد وسيشير المؤلف إلى ذلك بعد سطور .

(٢) ما أشرت إليه في الحاشية السابقة هي إحدى هذه الطرق ، وهذا مما يدل على أن المطبوع هو المختصر لكتاب الدلائل .

(٣) في دلائل النبوة ١/ ٨٠ .

(٤) في ط : ارتجاس إيوان كسرى .

(٥) في ح ، ط : هواتف الجان والمثبت من كتاب الخرائطي وذيل كشف الظنون (٤/ ٧٢٩) والجِنَّان جمع جانّ مثل حائط وحيطان . والنص فيه (ص١٧٩) .

(٦) فوقها في ح : ارتج ، وكتب فوقها حرف خ إشارة إلى أنها رواية نسخة ، وارتجس : اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت . اللسان (رجس) .

(٧) ساوه ، بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة : مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط ، بينها وبين كل منهما ثلاثون فرسخاً . معجم البلدان (٣/ ١٧٩) (ساوه) .

(٨) « الموبذان للمجوس » : كقاضي القضاة للمسلمين . اللسان (موبذ) .

وانتشرت في بلادها . فلما أصبح كِسْرى أفزعَهُ ذلك ، فتصبَّر عليه تشجُّعاً ، ثم رأى أنه لا يدَّخِرُ ذلك عن مرازبته ؛ فجمعهم ولَبِس تاجَهُ وجلس على سريره ، ثم بعث إليهم ؛ فلمَّا اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيما[1] بعثتُ إليكم ؟ قالوا : لا ، إلا أن يُخبِرَنا الملك . فبينما هم كذلك إذْ ورد عليهم كتابٌ بخُمودِ النيران ، فازداد غمّاً إلى غمِّه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله ، فقال المُوبَذَان : وأنا ـ أصلح الله الملك ـ قد رأيتُ في هذه الليلة رؤيا . ثم قصَّ عليه رؤياه في الإبل ، فقال : أيُّ شيءٍ يكونُ هذا يا مُوبَذان ؟ قال : حَدثٌ يكون في ناحية العرب ـ وكان أعلمَهم في أنفسهم ـ فكتب عند ذلك :

من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ؛ أمَّا بعد ، فوجِّه إليَّ برجلٍ عالمٍ بما أريدُ أنْ أسألَه عنه .

فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حَيَّان بن بُقَيْلة[2] الغسَّاني ؛ فلما ورد عليه قال له : ألك علمٌ بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال : لتخبرني ، أو ليسألني الملكُ عمَّا أحب ، فإنْ كان عندي منه علم ، وإلا أخبرتُه بمن يعلمه . فأخبره بالذي وجَّه به إليه فيه ؛ قال : علم ذلك عند خالٍ لي يسكنُ مشارفَ الشام يقال له : سَطِيح ، قال : فأتِهِ فاسألْهُ عما سألتُكَ عنه ، ثم أنبِئْني بتفسيره . فخرج عبدُ المسيح ، حتى انتهى إلى سَطِيح ، وقد أشفى على الضَّريح ، فسلَّم عليه وكلَّمه ، فلم يردَّ إليه سَطِيحٌ جواباً ، فأنشأ يقول : [من الرجز]

أَصَـمُّ أم يسمـعُ غِطْـريـفُ اليمـنْ[3]
أمْ فـازَ فـازْلَـمَّ بِـهِ شَـأْوُ العَنَـنْ[4]
يـا فـاصِـلَ الخُطَّـةِ أعيَتْ مَنْ ومَنْ[5]
أتـاكَ شيـخُ الحـيِّ مـن آلِ سَنَـنْ
وأُمُّـهُ مـن آلِ ذِئـبِ بْـنِ حَجَـنْ
أزرقُ مَهْـمُ النـابِ صـرَّارُ الأُذُنْ[6]

---

(١) كذا في ح بإثبات ألف ما ، وإثباتها قليل شاذ . انظر الخزانة (٦/ ٩٩) وما بعدها بتحقيق هارون .

(٢) في ح ، ط : نفيلة ، وفي الهواتف : حنان بن نفيلة ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإكمال (١/ ٣٤٧) وتاريخ ابن عساكر واللباب (١/ ١٦٧) .

(٣) « الغطريف » : السيد .

(٤) فاز : هلك ، ويروى فاد ، وهو بمعناه . ازلمَّ : من ازلأمَّ ، وازلامَّ بالمد : إذا ولَّى مسرعاً . والشأو : الغاية والسبق . والعنن : الموت . ومعنى « ازلم به شأو العنن » : ذهب به غايةُ الموت وسَبْقُه ذهاباً سريعاً . منال الطالب (١/ ١٣٧) . والبيت في اللسان (زلم) .

(٥) « الفاصل » : الحاكم المبيِّن . الخُطَّة : الحالة والقضية . قوله : أعيت من ومن : أي إن هذه الخطة لصعوبتها أعجزت كل من جلَّ قدره في حلمه وحكمته ، فحذف الصلة التي لمن ومن ، كما حذفت في قولهم : بعد اللتيا والتي . منال الطالب (١/ ١٣٨) .

(٦) « الأزرق » : أراد به النمر لزرقة عينيه . مَهْم الناب : محدَّده ، ويروى : مهو ولا ممهى ومهمى وكلها بمعنى ، =

أبيـضُ فَضْفَـاضُ الـرِّداءِ والبَـدَنْ
رسـولُ قَيْـلِ العُجْـمِ يَسْرِي للـوَسَـنْ[(١)]
تَجُـوبُ بـي الأرضَ عَلَنْـدَاةٌ شَجَـنْ[(٢)]
لا يَـرهَـبُ الـرَّعْـدَ ولا رَيْـبَ الـزَّمَـنْ
تـرفَـعُ بي وَجْناً وتَهْـوي بـي وَجَـنْ[(٣)]
حتـى أتـى عـاري الجـآجِي والقَطَـنْ[(٤)]
تَلُفُّـهُ فـي الـرِّيـحِ بَـوْغَـاءُ الـدِّمَـنْ[(٥)]
كـأنمـا حُثْحِـثَ مِـن حِضْنَـيْ ثَكَـنْ[(٦)]

قال : فلما سمع سَطيح شعره رفع رأسه يقول : عبدُ المسيح ، على جملٍ مُشيح ، أتى[(٧)] سطيح ، وقد أوفى على الضَّريح ، بعثك ملكُ بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخُمود النيران ، ورؤيا المُوبَذَان ، رأى إبلاً صعاباً ، تقودُ خيلاً عِراباً ، قد قطعَتْ دجلةَ ، وانتشرت في بلادها ، يا عبدَ المسيح ، إذا كثرتِ التِّلاوة ، وظهر صاحب الهِرَاوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضَتْ بُحيرة ساوَهْ ، وخمدَتْ نار فارس ، فليس الشام لسَطيح شاماً ، يملكُ منهم ملوكٌ ومَلِكات ، على عدد الشُّرُفات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ثم قضى سَطِيحٌ مكانَه ، فنهض عبدُ المسيح إلى راحلته وهو يقول : [من البسيط]

= ووقع في ح ومختصر ابن عساكر بم وفي ط نهم ، وأظنه تصحيف ـ والصرار الأذن : الذي نصب أذنه وسواها : منال الطالب (١/ ١٤٠) .

(١) « القيل » : من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم . « الوسن » : النوم ، وأراد به رؤيا الموبذان . « يسري » : من السرى ، سير الليل . منال الطالب (١/ ١٣٨) والمعجم الوسيط .

(٢) « العلنداة » : الناقة الطويلة العظيمة . « شجن » : متداخلة الخَلْق كأنها شجرة متصلة الأغصان ؛ ويروى « شزن » بفتح الشين والزاي وضمهما : أي نشيطة . منال الطالب واللسان (علند ، شجن) .

(٣) الوَجَن ، بسكون الجيم وفتحها : الأرض الغليظة الصلبة . اللسان (وجن) ؛ ويروى : ترفعني وجناء تهوي من وجن ، والوجناء : الناقة القوية الصلبة . منال الطالب (١/ ١٣٩) .

(٤) في ح : والعطن ، والمثبت من ط واللسان ومنال الطالب . الجآجي : جمع جؤجؤ ، وهو الصدر . والقطن : جمع قطنة ، وهي ما بين الفخذين ؛ وقيل : الصواب بكسر الطاء . اللسان (قطن) . والعاري : الذي ذهب لحمه ، وشحمه ، فكأنه عري منه ، يعني أن سرعة السير قد هزله وأذهب سمنه . منال الطالب (١/ ١٣٩) .

(٥) « البوغاء » : التراب الناعم ؛ والدمن : ما تدمَّن منه ، أي تجمَّع وتلبَّد . اللسان (بوغ ، دمن) .

(٦) « حثحث » : حُث وأُسرع : ثكن : اسم جبل حجازي : الحضن . الجنب . ومعنى البيت أنه من كثرة التراب والغبار الذي أصاب جمله في سرعة سيره ، كأنه نمر هُيِّج وأعجل من جانبي هذا الجبل . اللسان (حثث ، ثكن) ومنال الطالب (١/ ١٤١) . وروي في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور : جَفنيْ ثكن .

(٧) كذا في ح ، ط : وفي مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور : إلى .

شَمِّرْ فإنَّك ماضي العَزْمِ شِمِّيرُ ... لا يُفْزِعَنَّكَ تفريقٌ وتَغْييرُ[١]
إنْ يُمْسِ مُلْكُ بني ساسانَ أَفْرَطَهُمْ ... فإنَّ ذا الدَّهْرَ أطْوارٌ دَهاريرُ[٢]
فرُبَّما رَبَّما أَضْحَوْا بمنزلةٍ ... يخافُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المَهاصِيرُ[٣]
منهمْ أخو الصَّرْحِ بَهْرَامٌ وإخْوَتُهُ ... والهُرمُزانُ وسابُورٌ وسابورُ[٤]
والناسُ أولادُ عَلاَّتٍ فمَنْ عَلِموا ... أنْ قد أقَلَّ فمَحْقُورٌ ومَهْجُورُ[٥]
وَرُبَّ يَوْمٍ لهم ضَحْيَان ذي أَرَنٍ ... سُدَّتْ بلهْوِهِمُ فيه المزاميرُ[٦]
وهم بنو الأمِّ إمَّا إن رأوا نَشَباً ... فذاك بالغَيْبِ مَحفوظٌ ومَنْصُورُ[٧]
والخيرُ والشرُّ مَقْرُونانِ في قَرَنٍ ... فالخيرُ متَّبَعٌ والشرُّ مَحْذُورُ[٨]

قال : فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سَطِيح ، فقال كسرى : إلى أنْ يملكَ منا أربعةَ عشرَ ملكاً كانت أمورٌ وأمور ، فملك منهم عشرة في أربعِ سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه .

ورواه البيهقي[٩] من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلي بنحوه .

---

(١) ويروى : ماضي الهم ولا يفرغنك تشريد وتعزير . منال الطالب (١/ ١٣٤) .

(٢) « أفرطهم » : من أفرط الرجلُ القومَ : أي تقدَّمهم وتركهم وراءه . يريد زوال الملك عنهم . دهر دهارير : أي شديد ، كقولهم : ليلة ليلاء . منال الطالب (١/ ١٤٢) .

(٣) « المهاصير » : جمع مهصار ، والهصْر : أن تميل الشيء إليك وتكسره . أي أنها تكسر كلَّ ما ظفرت به . منال الطالب (١/ ١٤٣) ويروى : تهاب صوتهم مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٣٠٢) .

(٤) « الصرح » : القصر ، وكل بناء عالٍ . بهرام ، والهرمزان وسابور : من أسماء ملوكهم . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٥) « أولاد العَلاَّت » : الإخوة لأب وأمهات شتى . أقلَّ : افتقر وقلَّ ما بيده ، والمحقور : المُهان المطَّرَح . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٦) رواية البيت في ح :

ورب قوم لهم صحبان ذي أذن ... بدت تلهوهمُ فيه المزامير

وكذا في ط : وفيه : تلهيهم ، فجاء مصحفاً في أكثر من موضع ، وقد قوّمتُ روايته من تاريخ ابن عساكر حيث ساقه مع بيتين آخرين ، وسقط منه لفظ لهم . ويوم ضحيان : طلق ، والضحيان من كل شيء : البارز للشمس . وذو أرن : ذو نشاط . اللسان (ضحي ، أرن) .

(٧) « النشب » : المال . إمّا : هنا زائدة ، وتقديره : وهم بنو الأم إن رأوا ، ويروى : لمَّا أن رأوا بفتح أن . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٨) « القرن » : الحبل يُشدُّ به البعيران معاً . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٩) في دلائل النبوة (١/ ١٢٦ ـ ١٢٩) ورواه الطبري أيضاً : تاريخه (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٨) وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص٤١ ، ٤٢) وابن عساكر في تاريخه : مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢) والسهيلي في الروض الأنف (١/ ١٩) وابن الأثير في منال الطالب (١/ ١٣٢ ـ ١٣٤) والأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٢٧٦) وابن منظور في اللسان (سطح) وابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ٢٨ و٢٩) وابن هشام في السيرة (١/ ١٥) ومعجم =

قلت : كان آخرَ ملوكهم الذي سُلب الملك منه يَزْدَجِرْدُ بنُ شَهْريار بن أَبَرْوَيْز بن هُرْمُز بن أَنُوشِرْوَان ، وهو الذي انشقَّ الإيوان في زمانه ، وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومئة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم جيومَرْت[١] بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح .

حاشية :

أمَّا سَطِيح هذا ، فقال الحافظُ ابن عساكر في « تاريخه »[٢] : هو الرَّبيع بن رَبِيعة بن مسعود بن مازن بن ذِئْب بن عَدِيٍّ بن مازن بن الأَزْد ، ويقال : الربيع بن مسعود ، وأمه رويمة[٣] بنت سعد بن الحارث الحَجُوريّ . وذكر غير ذلك في نسبه .

قال : وكان يسكن الجابية ، ثم روي عن أبي حاتم السِّجْستاني قال : سمعتُ المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا : وكان من بعد لقمان بن عاد ، ولد في زمن سَيْل العَرِم ، وعاش إلى ملك ذي نُوَاس ، وذلك نحو من ثلاثين قرناً ، وكان مسكَنُهُ البحرين . وزعمَتْ عبد القيس أنه منهم ، وتزعم الأَزْد أنه منهم ، وأكثر المحدِّثين يقولون : هو من الأَزْد ، ولا ندري ممَّنْ هو ، غير أنَّ ولدَهُ يقولون :[٤] إنه من الأَزْد .

وروي عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيءٌ من بني آدم يشبه سَطيحاً ، إنما كان لحماً على وَضَم[٥] ، ليس فيه عظمٌ ولا عَصَب إلا في رأسه وعينَيْه وكفَّيه ، وكان يُطوى كما يُطوى الثوب من رِجلَيْه إلى عنقه . ولم يكن فيه شيءٌ يتحرَّك إلا لسانه . وقال غَيْرُه : إنه إذا غضِب انتفخ وجلس .

ثم ذكر ابنُ عباس أنه قدم مكَّةَ فتلقَّاه جماعةٌ من رؤسائها منهم عبدُ شمس وعبد مناف أبناءُ قُصَي ، فامتحنوه في أشياء ، فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عمَّا يكون في آخر الزمان ، فقال : خذوا مني ومن إلهام الله إيَّاي : أنتم الآن يا معشر العرب ، في زمان الهرم سواء بصائرُكم وبصائرُ العجم ، ولا علم عندكم ولا فَهَم ، ويَنْشُو[٦] من عَقِبكم دَهْم[٧] ، يطلبون أنواعَ[٨] العلْم ، يكسرون الصنَم ، يبلغون

= البلدان (ثكن) .

(١) في ط : خيومرت بالخاء المعجمة ، وفي ح بالحاء المهملة ، والمثبت من تاريخ الطبري (١/ ١٤٦ ، ١٤٧) والكامل لابن الأثير (١/ ٤٥ ، ٤٦) وفي الفارسية : كيومرث : اسم الإنسان الأول من أولاد آدم . أول ملوك البيشداديين . المعجم الذهبي (ص٤٨٩) .

(٢) قول ابن عساكر هذا في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٢٩٥) .

(٣) في ح : روعة ، وفي ط : ردعا ، والمثبت من مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور .

(٤) في مختصر تاريخ ابن عساكر : أنهم .

(٥) « الوضم » : شرائح من جراد النخل . مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ٢٩٧) .

(٦) « ينشو » : لغة في ينشأ . اللسان (نشو) .

(٧) « الدهم » : الجماعة الكثيرة . اللسان (دهم) .

(٨) في ح : انتزاع ، والمثبت من ط ومختصر تاريخ ابن عساكر .

الرَّدْم[١] ، يقتلون العُجْم ، يطلبون الغُنْم .

ثم قال : والباقي الأبَد ، والبالغ الأمَد ، ليخرجنَّ من ذا البلد ، نبيٌّ مهتدٍ ، يهدي إلى الرَّشَد ، [يرفُضُ يغوثَ والفَنَد][٢] ، يبرأ من عبادة الضَّدَد ، يعبدُ ربّاً انفرد ، ثم يتوفَّاه الله محموداً ، ومن الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ؛ ثم يلي أمرَهُ الصدِّيق ، إذا قضى صدَق ، وفي ردِّ الحقوق لا خَرِقٌ ولا نَزِق ، ثم يلي أمرَهُ الحَنِيف ، مجرِّبٌ غِطْريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف[٣] .

ثم ذكر عثمان ومَقْتَله ، وما يكونُ بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس ، وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ، ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله .

وقد قدَّمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن[٤] ، حين أخبره برؤياه قبل أن يُخبره بها ، ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيُّر الدول ، حتى يعود إلى سيف بن ذي يَزَن ، فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومَنْ يقطعه ؟ قال : نبيٌّ زكي ، يأتيه الوَحْي ، من قِبَلِ العليّ ، قال : وممَّنْ هذا النبيّ ؟ قال : من ولد غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر ، يكون المُلْكُ في قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأوَّلون والآخِرون ، يسعدُ فيه المحسنون ، ويَشْقى فيه المسيؤون . قال : أحقٌّ ما تخبرني ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق[٥] إذا اتسق ، إنَّ ما أنبأتُكَ لَحَقّ . ووافقه على ذلك شِقّ ، سواء بسواء ، بعبارةٍ أُخرى كما تقدَّم . ومن شعر سَطِيح قوله : [من الطويل]

عليكم بتقوى الله في السرِّ والجَهْرِ ... ولا تُلبِسُوا صِدْقَ الأمانةِ بالغَدْرِ
وكونوا لجار الجُنْبِ حِصْناً وجُنَّةً ... إذا ما عَرَتْهُ النائباتُ من الدَّهْرِ[٦]

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ، ثم أورد ذلك المُعَافى بنُ زكريّا الجَريري فقال[٧] : وأخبارُ سَطِيحٍ كثيرة ، وقد جمعها غيرُ واحدٍ من أهل العلم . والمشهور أنَّهُ كان كاهناً ، وقد أخبر عن النبيِّ ﷺ وعن نَعْته ومَبْعثه . ورُوي لنا[٨] بإسنادٍ الله به أعلم أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل عن سَطِيح فقال : « نبيٌّ ضيَّعَهُ قومُه » .

قلتُ : أما هذا الحديث فلا أصلَ له في شيءٍ من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أرَهُ بإسنادٍ أصلاً ،

---

(١) « الردْم » : قرية بالبحرين . معجم البلدان (٣/ ٤٠) .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح ، والفند : الخطأ في الرأي والقول ، والكذب . اللسان (فند) .
(٣) تتمة الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٩٩) .
(٤) (ص١٦٢ ، ١٦٣) من هذا الجزء (الطبعة القديمة) .
(٥) في ط : والقمر ، والمثبت من ح .
(٦) البيتان في مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ٢٩٥) وروايته : ولا تلبسوا صدق الأمانة بالعذر .
(٧) قول المعافى ليس في الجزءين المطبوعين من الجليس (١ و٢) .
(٨) القائل هنا ابن عساكر كما في مختصر تاريخه (ص٢٩٦) .

ويُروى مثلُه في خبر خالد بن سنان العبسي[١] ولا يصحُّ أيضاً ، وظاهر هذه العبارات تدلُّ على علم جيِّدٍ لِسَطيح ، وفيها روائـحُ التصديق ، لكنَّهُ لم يُدرِكِ الإسلام كما قال الجَريري . فإنه قد ذكرنا في هذا الأثر أنَّه قـال لابن أخته : يا عبد المسيح ، إذا كَثُرَت التلاوة ، وظهر صاحب الهِرَواة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضَتْ بُحيرة ساوَهْ ، وخمدَتْ نارُ فارس ، فليس الشامُ لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوكٌ ومَلِكات ، على عدد الشُّرُفات ، وكلُّ ما هو آت آت . ثم قضى سطيح . وكان ذلك بعد مَوْلد رسول الله ﷺ بشهرٍ أو شَيْعِه[٢] ـ أي أقلَّ منه ـ وكانت وفاتُه بأطراف الشام مما يلي أرضَ العراق ـ فالله أعلم بأمْرِهِ وما صار إليه .

وذكر ابنُ طَرَار الجَريري[٣] أنه عاش سبعمئة سنة ؛ وقال غيره : خمسمئة سنة ، وقيل : ثلاثمئة سنة ، فالله أعلم .

وقد روى ابنُ عساكر[٤] أنَّ مَلِكاً سأل سَطِيحاً عن نسب غلامٍ اختُلف فيه ، فأخبره على الجَلِيَّة في كلامٍ طويل ، مليحٍ فصيح ، فقال له الملك : يا سَطِيح ، ألا تُخبرني عن عِلمك هذا ؟ فقال : إنَّ علمي هذا ليس مني ، ولا بجَزْمٍ ولا بظني ، ولكن أخذْتُه عن أخٍ لي جِنِّي ، قد سمع الوَحْيَ بطورِ سَيْناء[٥] . فقال له : أرأيتَ أخاك هذا الجِنِّي ، أهو معك لا يفارقك ؟ فقال : إنه ليزولُ حيث أزول ، ولا أنطِقُ إلا بما يقول . وتقدَّم أنه وُلد هو وشِقُّ بن صَعْب بن يَشْكُر بن رُهْم بن قَسْر بن عَبْقَرَ[٦] الكاهن الآخر ، وُلدا في يومٍ واحد ، فحُملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحِمْيَرِيَّة ، فتفَلَتْ في أفواههما ، فورثا منها الكهانة ، وماتت من يومها . وكان نصفَ إنسان ، ويقال : إن خالد بن عبد الله القَسْريّ من سُلالته ؛ وقد مات شِقٌّ قبل سَطِيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيَّان بن بُقَيْلة[٧] الغسَّانيّ النصراني ، فكان من المعمَّرين ،

---

(١) (٢/ ٢١١) (الطبعة القديمة) من البداية والنهاية .

(٢) « الشيع » : مقدار من العدد ، وقولهم : بشهر أو شيعه ، أي : ونحو من شهر ، مقداره ، أو قريباً منه . اللسان (شيع) . ووقع في ط : شية ، تصحيف ، والمثبت من ح .

(٣) ابن طرار الجريري : هو المعافى بن زكريا السابق ذكره ، وطرار اسم جده . والضبط من التاج (طرر) . وترجمته تأتي في وفيات سنة ٣٩٠ من هذا الكتاب .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٢٩٦) .

(٥) في مختصر تاريخ ابن عساكر : بطور سنٍّي .

(٦) في ح : شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن يسر بن عقبة ، وهو تصحيف ، واضطرب تصحيفه في ط أيضاً ، وما أثبته من البيان والتبيين (١/ ٣٦١) والاشتقاق (ص٥١٦ ، ٥١٧) وجمهرة الأنساب (ص٣٨٨) والأغاني (٢٢/ ١) ط دار الكتب ومروج الذهب (٢/ ٣١٧ ، ٣٣٣) والإكمال (٧/ ١١٩) و(٦/ ٩٦) .

(٧) في ح ، ط : نفيلة ، انظر الحاشية (٢) من (ص٤٥) من هذا الجزء .

وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[١] وقال : هو الذي صالح خالدَ بن الوليد على [الحِيْرَة][٢] وذكر له معه قصةً طويلة ، وأنَّه أكل من يده سمَّ ساعةٍ فلم يُصِبْهُ سوء ، لأنه لما أخذه في يدِهِ ، قال : بسم الله ، وبالله ، ربِّ الأرض والسماء ، الذي لا يضرُّ مع اسمِهِ داء[٣] . ثم أكله ، فتجلّتْهُ غشية ، فضرب بذَقَنِهِ[٤] على صدره ، ثم عَرِق وأفاق رضي الله عنه . وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم .

إلى هنا الحاشية

وقال أبو نعيم[٥] : حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا عقبةُ بن مكرم ، حدّثنا المسيَّب بن شَرِيك ، حدّثنا محمد بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : كان بِمَرِّ الظَّهران[٦] راهبٌ من الرُّهْبان يدعى عيصا من أهل الشام ، وكان متخفِّراً بالعاص بن وائل ، وكان الله قد آتاه علماً كثيراً ، وجعل فيه منافعَ كثيرةً لأهل مكة من طِيبٍ ورِفْقٍ وعِلْم ، وكان يلزم صومعةً له ، ويدخلُ مكة في كلِّ سنة ، فَيَلْقَى الناس ويقول : إنه يوشك أنْ يولد فيكم مولودٌ يا أهل مكة ، يَدينُ له العرب ، ويملك العجم ، هذا زمانه ، ومن أدركه واتَّبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته ، وبالله ما تركتُ أرضَ الخُبْزِ[٧] والخمير والأمن ، ولا حلَلْتُ بأرض الجوع والبؤس والخوف إلَّا في طلبه .

وكان لا يولد بمكة مولود إلا يُسأل عنه ، فيقول : ما جاء بَعْدُ . فيقال له : فصِفْه . فيقول : لا . ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لاقٍ من قومه مخافةً على نفسه أن يكون ذلك داعيةً إلى أدنى ما يكونُ إليه من الأذى يوماً . ولما كان صبيحة اليوم الذي وُلد فيه رسولُ الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فوقف في أصل صومعته ، ثم نادى : يا عيصا . فناداه : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله ، فأشرف عليه فقال : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولودُ الذي كنتُ أحدِّثكم عنه يوم الاثنين ، ويُبعث يوم الاثنين ، ويموت يوم الاثنين . قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال : فما سمَّيتَه ؟ قال : محمداً . قال : والله لقد كنتُ أشتهي أن يكون هذا المولودُ فيكم أهلَ البيت ، لثلاث خصالٍ بها نعرفه ، منها : أنَّ نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأنَّ اسمه محمد ، انطلقْ إليه فإنَّ الذي كنتُ أحدِّثكم عنه ابنُك . قال :

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (١٠/ ٣١٠) ب (نسخة الظاهرية التي يرمز لها بحرف س) .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط واستدركته من تاريخ ابن عساكر والجليس الصالح (١٤/ ٤٤٧) .

(٣) في ح : أذاً ، وفي ط : أذى ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر .

(٤) في ح ، ط : بيديه ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر والجليس الصالح .

(٥) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهو في تاريخ ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٤٤ ، ٣٤٥) رواه بسنده عن أبي القاسم بن بشران عن أبي علي محمد بن أحمد بن الحسن بن الصواف عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة .

(٦) « الظهران » : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مرّ ، تضاف إلى هذا الوادي ، معجم البلدان (٤/ ٦٣) .

(٧) كذا في ح وفي ط وتاريخ ابن عساكر : أرض الخمر .

فما يُدريك أنه ابني ؟ ولعله أنْ يولد في هذا اليوم مولودٌ غيره ؟ قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكنْ الله يشبِّه علمَهُ على العلماء ، فإنه حجَّة . وآيةُ ذلك أنه الآن وَجِع ، فيشتكي[١] أياماً ثلاثة . فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يُعافى ؛ فاحفظ لسانك ، فإنه لم يُحسَدْ أحدٌ حَسَدَهُ قطّ ، ولم يُبْغَ على أحدٍ كما يُبْغَى عليه ، إنْ تعشْ حتى يبدوَ مقالُه ، ثم يدعو ، لَظَهر[٢] لك من قومك ما لا تحتمله ، إلا على صبرٍ على ذُلّ ؛ فاحفظْ لسانك ودَارِ عنه . قال : فما عمره ؟ قال : إنْ طال عمره أو قَصُر لم يبلغِ السبعين ، يموت في وِترٍ دونها من السنين ، في إحدى وستين أو ثلاثٍ وستين ، في أعمار جُلِّ أمَّته .

قال : وحُمل برسولِ الله ﷺ في عاشوراء المُحَرَّم . وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلةً خلتْ من رمضان سنة اثنتين وعشرين[٣] من غزوةِ أصحاب الفيل .

هكذا رواه أبو نعيم ، وفيه غرابة .

ذكر مراضعه وحواضنه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بَرَكَة تحضُنه ، وكانت ممن ورِثها عليه الصلاة والسلام من أبيه ، فلما كبر أعتقها وزوَّجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامةَ بن زيد رضي الله عنهم . وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاةُ عمِّه أبي لهب ثُوَيبة قبل حَلِيمة السعدية .

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[٤] من حديث الزُّهري عن عروة بن الزُّبير ، عن زينب بنت أم سَلمة عن أُمِّ حَبِيبة بنت أبي سفيان . قالت : يا رسولَ الله ، انْكِحْ أختي بنتَ أبي سفيان ـ ولمسلم عزَّة بنت أبي سفيان ـ فقال رسول الله ﷺ : « أوَ تُحبِّينَ ذلك » ؟ قلت : نعم ، لستُ لك بِمُخْلِيَة[٥] ، وأحَبُّ مَنْ شاركني في خيرٍ أُختي ، فقال النبيُّ ﷺ : « فإنَّ ذلك لا يَحِلُّ لي » قلت : فإنَّا نُحَدَّثُ أنك تريدُ أنْ تَنْكِحَ بنتَ أبي[٦] سلمة ـ وفي رواية دُرَّة بنت أبي سَلَمة ـ قال : « بنت أمِّ سَلَمة » ؟ قلت : نعم ،

---

(١) في (ح) : أنه الآن يشتكي وجع ، والمثبت من ط . وتاريخ ابن عساكر .
(٢) كذا في ح ، ط ، وفي تاريخ ابن عساكر : يظهر ، وهو أشبه بالصواب .
(٣) كذا في ح وط وتاريخ ابن عساكر : سنة ثلاث وعشرين . قلت : وفي سنة ولادته خلاف ، جمعه وساق أخباره الزرقاني في شرح المواهب (١/ ١٥٧) .
(٤) فتح الباري (٥١٠١) النكاح باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وصحيح مسلم (١٦ ـ ١٤٤٩) في الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة .
(٥) « مخلية » : أي منفردة . مشارق الأنوار (١/ ٢٣٩) وفي اللسان (خلو) : لم أجدك خالياً من الزوجات غيري .
(٦) في ح : أم ، والمثبت من ط والبخاري ومسلم .

قال : « إنها لو لم تكنْ رَبيبتي في حَِجْري ما حلَّتْ لي . إنها لابْنَةُ أخي من الرَّضاعة ، أرضعتني وأبا سَلَمة ثُويبةُ ، فلا تَعْرِضْنَ عليَّ بناتِكُنَّ ولا أخَوَاتِكُنّ » .

زاد البخاري : قال عُرْوة : وثُويبةُ مولاةٌ لأبي لهب [أعتقها فأرضعَتْ رسولَ الله ﷺ ، فلمَّا مات أبو لهب][1] أُرِيهُ بعضُ أهله بِشَرِّ حِيْبَةٍ[2] . فقال له : ماذا لقيتَ ؟ فقال : أبو لهب : لم ألقَ بعدكم خيراً ، غيرَ أني سُقِيتُ في هذه بعَتَاقتي ثُويبةَ[3] . [وأشار إلى النُّقْرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع][4]

وذكر السهيلي وغيره[5] : أن الرائي له هو أخوه العباس ، وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر . وفيه : إن أبا لهب قال للعباس : إنه ليخفَّف عليّ في مثل يوم الاثنين . قالوا : لأنه لما بشَّرته ثُويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته ، فجوزي بذلك لذلك .

ذكر رَضاعه عليه الصلاة والسلام
من حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة

قال محمد بن إسحاق[6] : فاسْتُرضع له عليه الصلاة والسلام من حَلِيمة بنتِ أبي ذُؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن [فُصَيَّة بن نَصْر بن] سعد بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة[7] بن قيس عيلان بن مضر .

قال : واسْمُ أبي رسولِ الله ﷺ الذي أرضعه ـ يعني زوج حليمة ـ الحارث بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة[8] بن سعد بن بكر بن هوازن . وإخوتُه عليه الصلاة والسلام ـ يعني : من الرَّضاعة ـ عبد الله بن الحارث ، وأُنَيسة بنت الحارث ، وحُذَافة[9] بنت الحارث ، وهي الشَّيْماء ،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ح .

(٢) « بشر حيبة » : أي بشرٍّ حال . والحيبة : الهم والحزن . اللسان (حوب) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٩/ ١٤٥) وأجيب بأن الخبر مرسل ، أرسله عروة ، ولم يذكر من حدثه به ، وعلى تقدير أن يكون موصولاً ، فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، وانظر تتمة البحث فيه .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري . وهو في الطبقات (١/ ١٠٨) ودلائل البيهقي (١/ ١٤٩) .

(٥) الروض الأنف .

(٦) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٥) والسيرة النبوية (١/ ١٦١) وتاريخ الطبري (٢/ ١٥٧) والروض الأنف (١/ ١٨٣) وما يأتي بين معقوفين منها جميعاً .

(٧) في ح ، ط : حفصة وهو تصحيف ، والمثبت من السيرة والطبري والروض والاشتاق (ص٢٦٦) .

(٨) قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة . السيرة (١/ ١٦١) .

(٩) في هامش ح : خدامة . وفوقها حرف خاء إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وقال السهيلي في الروض (١/ ١٨٦) : =

وذكروا أنها كانت تحضِن رسولَ الله ﷺ مع أمه[١] إذ كان عندهم .

قال ابن إسحاق[٢] : حدّثني جَهْم بن أبي جهم[٣] ، مولى لامرأة من بني تميم ، كانت عند الحارث بن حاطب ، وكان يقال له : مولى الحارث بن حاطب ، قال : حدّثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : حُدِّثتُ عن حليمة بنت الحارث أنها قالت : قدمتُ مكة في نسوة ـ [وذكر الواقدي[٤] بإسناده أنهنَّ كنَّ عشر نسوةٍ من بني سعد بن بكر ، يلتمسْنَ بها الرُّضعاء][٥] ـ من بني سعد نلتمسُ بها الرُّضعاءَ في سنةٍ شَهْباء[٦] ، فقدمتُ على أتانٍ لي قَمْراء كانت أذمَّت بالركب[٧] ، ومعي صبيٌّ لنا ، وشارف لنا والله ما تَبِضُّ بقطرة[٨] ، وما ننام ليلنا[٩] ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد في ثديي ما يُغنيه ، ولا في شارفنا ما يغذِّيه ، ولكنَّا كنَّا نرجو الغيث والفرج ؛ فخرجتُ على أتاني تلك ، فلقد أذَمَّتْ بالركب حتى شَقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً . فقدِمنا مكة ، فوالله ما علمتُ منا امرأةً إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله ﷺ ، فتأباه ، إذا قيل إنَّه يتيم تركناه ، قلنا : ماذا عسى أنْ تصنعَ إلينا أُمُّه ؟ إنما نرجو المعروفَ من أبي الولد ، فأما أمُّه فماذا عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقي من صواحبي امرأةٌ إلا أخذت رَضِيعاً غيري . فلما لم نجد غيرَه ، وأجمعنا الانطلاق ، قلت لزوجي الحارث بن عبد العُزَّى : والله إني لأكره أنْ أرجعَ من بين صواحبي ليس معي رضيع . لأنطلقنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنَّه . فقال : لا عليك أنْ

= خذامة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حذافة ، بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء » .

(١) في السيرة : إذا .

(٢) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٦) قوله هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٢) والطبري (٢/ ١٥٨) والدلائل للبيهقي (١/ ١٣٣) بألفاظ مقاربة .

(٣) في ح : جهيم بن أبي جهيم ، والمثبت من المصادر السابقة وميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦) وتعجيل المنفعة (ص٧٤) ، وقال فيه ابن حجر : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(٤) رواية الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١١٠) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من ط ليست في ح .

(٦) « سنة شهباء » : إذا كانت مجدبة . اللسان شهب . وقال السهيلي في الروض (١/ ١٨٦) : قال ابن هشام : إنما هو المراضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ . والذي قاله ابن هشام ظاهر ، لأن المراضع جمع مرضع ، والرضعاء : جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين : أحدهما حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ؛ والثاني أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ ، لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعاً ، علماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع » .

(٧) « أتان قمراء » : أي بيضاء . أذمت بالركب : أي حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها . اللسان والتاج (قمر ، ذمم) .

(٨) « الشارف » : الناقة المسنة . ما تبض : ما تدر ولا ترشح . اللسان (شرف ، بضض) .

(٩) في ح ، ط : ليلتنا ، والمثبت من مصادر التخريج .

تفعلي ، فعسى أنْ يجعلَ الله لنا فيه بركة . فذهبتُ فأخذتُه ، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجدْ غيرَه ؛ فما هو إلَّا أن أخذتُه فجئت به رَحْلي ، فأقبل عليه ثدياي بماشاء من لبن ، فشرب حتى رَوِي ، وشرب أخوه حتى رَوِي . وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شَرِب وشربتُ حتى رَوينا ؛ فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليمة [والله][1] إني لأراك قد أخذتِ نَسَمَةً مباركة ، ألم ترَيْ ما بتنا به الليلةَ من الخير والبركة حين أخذناه ؟! فلم يزلِ الله عزَّ وجلَّ يَزيدُنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعتْ أتاني بالرَّكْب حتى ما يتعلَّق بها حمار ، حتى إنَّ صواحبي ليقلن : ويلك يا بنتَ أبي ذؤيب ! هذه أتانك التي خرجتِ عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، والله إنها لهي ، فقلن : والله إنَّ لها لشأناً! . حتى قدمنا أرضَ بني سعد ، وما أعلمُ أرضاً من أرض الله أجْدَبَ منها ، فإنْ كانتْ غنمي لتَسْرَحُ ثم تَرُوح شِبَاعاً لُبَّناً ، فنحلُب ما شئنا وما حوالينا ـ أو حولنا ـ أحدٌ تَبِضُّ له شاةٌ بقطرةِ لبن ، وإنَّ أغنامَهُم لتروحُ جياعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم ـ أو لرعيانهم ـ : ويحكم ، انظروا حيث تَسْرَحُ غنمُ بنتِ أبي ذؤيب فاسْرَحوا معهم . فيسرحون مع غنمي حيثُ تسرح ، فتروحُ أغنامُهم جياعاً ما فيها قطرةُ لبن ، وتروح أغنامي شِبَاعاً لُبَّناً ، نحلُب ما شئنا ؛ فلم يزلِ الله يُرينا البركة ونتعرَّفها حتى بلغ سنتيه ، فكان يَشِبُّ شباباً لا تَشِبُه الغِلْمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جَفْراً[2] ، فقدِمنا به على أُمِّه ونحن أَضَنُّ شيءٍ به مما رأينا فيه من البركة ؛ فلما رأته أمه قالت لها : يا ظِئْر دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى ، فإنَّا نخشى عليه وَبَاءَ مكة . فوالله ما زلنا بها حتى قالت : فنعم . فسرَّحَتْه معنا ، فأقمنا به شهرَيْن أو ثلاثة ، فبينا هو خلفَ بيوتِنا مع أخٍ له من الرَّضاعة في بَهْم لنا جاءنا أخوه ذلك يشتدّ[3] ، فقال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثيابٌ بيض ، فأضجعاه ، فشقَّا بطنه . فخرجتُ أنا وأبوه نشتدُّ نحوه ، فنجده قائماً مُنْتَقَعاً[4] لونه . فاعتنقه أبوه وقال : يا بني ما شأنك ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، أضجعاني وشقَّا بطني ، ثم استخرجا منه شيئاً ، فطرحاه ثم ردَّاه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمة لقد خَشِيتُ أن يكون ابني قد أصيب ، فانطلقي بنا نردَّهُ إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوَّف .

قالت حليمة : فاحتملناه فلم تُرَعْ أمُّه إلا به ، فقدمنا [به][5] عليها فقالت : ما ردَّكما [به يا ظئر][5] فقد كنتما عليه حريصَيْن ؟ فقالا : لا والله ، إلَّا أنَّ الله قد أدَّى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نردُّه إلى أهله . فقالت : ما ذاك بكما ؟ فاصْدُقاني شأنكما . فلم تَدَعنا حتى

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح ، وهو في بعض مصادر التخريج وسيرة ابن إسحاق .

(٢) في اللسان (جفر) : وفي حديث حليمة ظئر النبي ﷺ ، قالت : كان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر ، فبلغ ستاً وهو جفر . قال ابن الأثير : استجفر الصبي ، إذا قوي على الأكل .

(٣) « يشتد » : يعدو . اللسان (عدو) . وفي شرح المواهب (١/ ١٨٠) : يسرع في المشي .

(٤) « ممتقعاً » : متغيِّراً . وفي ط ومصادر التخريج : منتقعاً بالنون ، وهو بمعناه .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح ، وهو في بعض مصادر التخريج وسيرة ابن إسحاق .

أخبرناها خَبَره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله إنَّه لكائنٌ لابني هذا شأن ، ألا أخبرُكما خبره ، قلنا : بلى . قالت : حملتُ به فما حملتُ حملاً قطُّ أخفَّ منه ، فأُريتُ في النوم حين حملتُ به ، كأنه خرج مني نورٌ أضاءتْ له قصورُ الشام ، ثم وقع حين ولدْتُه وقوعاً ما يقعُه المولود ، معتمداً على يديه ، رافعاً رأسَه إلى السماء ، فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روي من طريقٍ آخر ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي[١] .

وقال الواقدي[٢] : حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رَبَاح ، عن ابن عباس قال : خرجتْ حليمةُ تطلب النبيَّ ﷺ وقد وجدَتِ البَهْم[٣] تَقيل ، فوجدَتْهُ مع أخته ، فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أُمَّهْ ، ما وجد أخي حَرّاً ، رأيتُ غمامةً تُظِلُّ عليه ، إذا وقف وقفتْ ، وإذا سار سارت [معه] حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدّثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له : أخبرنا عن نفسك . قال : « نَعَمْ ، أنا دعوةُ أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأَتْ أُمِّي حين حملَتْ بي كأنَّه[٥] خرج منها نورٌ أضاءتْ له قصورُ الشام ، واستُرضعتُ في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا في بَهْمٍ لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض ، معهما طَسْت من ذهب مملوءة[٦] ثلجاً ، فأضجعاني فشقَّا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقَّاه ، فأخرجا منه عَلَقة سوداء ، فألقياها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى إذا ألقياه ردَّاه كما كان ؛ ثم قال أحدُهما لصاحبه : زِنْهُ بعشرةٍ من أمته ، فوزنني بعشرةٍ فوزنتهم ، ثم قال : زِنْه بمئةٍ من أمته ، فوزنني بمئة فوزنتهم ، ثم قال : زِنْه بألفٍ من أُمته ، فوزنني بألف فوزنتُهم ؛ فقال : دَعْه عنك ، فلو وزنتَهُ بأُمَّته لوزنهم . وهذا إسنادٌ جيِّد قوي .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في « الدلائل »[٧] من طريق عمر بن الصُّبح ـ وهو أبو نعيم ـ عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن شدَّاد بن أوس هذه القصة مطوَّلة جداً ، ولكنَّ عمر بن صُبح هذا متروكٌ كذاب

---

(١) على أنه ليس له إسناد صحيح .

(٢) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١٥٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) في الطبقات : وقد بدت البَهْم . والبَهْم : بفتح الموحدة جمع بهيمة وهي ولد الضأن . اللسان بهم .

(٤) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٨) والسيرة النبوية (١/ ١٦٦) وتاريخ الطبري (٢/ ١٦٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ١٤٥) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٠) .

(٥) في ط ومصادر التخريج : أنه .

(٦) في ح : ملأنه ، وفي ط : مملوء ، والمثبت من مصادر التخريج ، لأن الطست مؤنثة . وهي من آنية الصُّفْر . اللسان (طست) .

(٧) لم أجد القصة بهذا الإسناد في دلائل أبي نعيم .

متَّهم بالوضع. فلهذا لم نذكر لفظ الحديث ، إذْ لا يفرحُ به . ثم قال[١] : وحدّثنا أبو عمرو بن حمدان[٢] ، حدثنا الحسن بن سفيان[٣] ، حدّثنا عمرو بن عثمان، حدّثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، عن بَحِير بن سَعْد[٤] ، عن خالد ابن مَعْدان ، عن عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي ، عن عُتْبَة بن عَبْد أنه حدَّثه أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : « كانتْ حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقتُ أنا وابنٌ لها في بَهْم لنا ، ولم نأخذْ معنا زاداً ، فقلت : يا أخي ، اذهبْ فأْتنا بزادٍ من عند أُمِّنا . فانطلق أخي ومكثتُ عند البَهْم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نَسْران ، فقال أحدُهما لصاحبه : [أ]هو هو ؟ قال : نعم. فأقبلا[٥] يبتدراني ، فأخذاني فبطَحَاني للقفا ، فشقَّا بطني ثم استخرجا قلبي فشقَّاه ، فأخرجا منه عَلَقَتَيْن سوداوَيْن ، فقال أحدُهما لصاحبه : ائتني بماءِ ثلج ، فغسلا به جوفي ، ثم قال : ائتني بماءِ بَرَد ، فغسلا به قلبي ، ثم قال : ائتني بالسَّكِينة ، فذرَّها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطْه ، فخاطَهُ[٦] وختم على قلبي بخاتم النبوَّة ؛ فقال أحدُهما لصاحبه: اجعلْه في كِفَّة، واجعل ألفاً من أُمَّته في كِفَّة ؛ فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أُشفق أنْ يخرَّ عليَّ بعضُهم ؛ فقال : لو أنَّ أمته وُزنتْ به لمالَ بهم. ثم انطلقا فتركاني وفرقتُ فَرَقاً شديداً ، ثم انطلقتُ إلى أمي فأخبرتُها بالذي لَقيت ، فأشفقتْ أن يكون قد أُلبِسَ[٧] بي ، فقالت : أعيذُكَ بالله . فرحَّلَتْ بعيراً لها وحملَتْني على الرَّحْل ، وركبتْ خلْفي ، حتى بلَغْنا إلى أُمِّي ، فقالت : أديت أمانتي وذمتي وحدَّثَتْها بالذي لَقِيت ، فلم يَرُعْها ، وقالت : إني رأيتُ خرج مني نور أضاءَتْ منه قصورُ الشام » .

ورواه أحمد من حديث بقيَّة بن الوليد به[٨] .

---

(١) لم أجد أيضاً القصة بهذا الإسناد في دلائل أبي نعيم ، إلا أن فيه إشارة وروده فيه (١/ ٢٢٠) (ط عبد البر عباس ١٤٠٦هـ) قوله : « ورواه عبد الرحمن بن عمر [و] عن عتبة بن عبد . . . وقد تقدم ذكره . ولم أجده أيضاً .

(٢) سقطت اللفظة : بن من ح ، وهي في ط ، وأبو عمرو هذا هو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن سنان الحيري ، توفي ٣٧٦هـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩) .

(٣) في ح ، ط : الحسن بن نفير ، وهو تصحيف ، والمثبت من أسانيد أبي نعيم في كتابه الدلائل ، وهو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء الشيباني الخراساني النسوي . توفي سنة ٣٠٣هـ ترجمته ومصادرها في (١١/ ١٢٤ ـ ١٢٥) من هذا الكتاب (ط) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٧ ـ ١٦٢) .

(٤) في ح : يحيى بن سعيد وفي ط : بحير بن سعيد ، وكذا وقع في ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٤٣١) وهوتصحيف ، والمثبت من الإكمال (١/ ١٩٧) والتبصير (١/ ٦٠) .

(٥) في ح : فأقبل ، والمثبت من ط : ومسند أحمد .

(٦) في مسند أحمد : حُصه ، فحاصه ، وهو بمعناه .

(٧) كذا في ح ومسند أحمد وفي ط : لبس ، وجاء في اللسان (لبس) ما نصه : « وفي المولد والمبعث : فجاء الملك فشق قلبه ، قال : فخفت أن يكون قد التبس بي ، أي خولطت في عقلي ، من قولك : في رأيه لَبْس أي اختلاط » . وهي رواية الدارمي في سننه (١/ ٩) مقدمة ، باب كيف كان شأن النبي ﷺ عن عتبة بن عبد .

(٨) مسند أحمد (٤/ ١٨٤) ، وإسناده ضعيف ، لضعف بقية لأنه يدلس تدليس التسوية وهو أمر قادح في عدالته ، وقد عنعن هنا .

وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به .

وقد رواه ابنُ عساكر[١] من طريق أبي داود الطيالسي ، حدَّثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي ، أخبرني عمرُ بن عروة بن الزُّبير[٢] قال : سمعتُ عروة بن الزُّبير يحدِّث عن أبي ذرٍّ الغفاري قال : قلت : يا رسول الله ! كيف علمتَ أنَّكَ نبيٌّ حين علمت ذلك ، واستيقنتَ أنك نبي ؟ قال : « يا أبا ذرّ ، أتاني ملكان وأنا ببعض بَطْحاء مكة ، فوقع أحدُهما على الأرض ، وكان الآخرُ بين السماء والأرض ، فقال أحدُهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال هو هو . قال : زِنْهُ برجلٍ ، فوزنني برجلٍ فرجحْتُه » وذكر تمامه ، وذكر شقَّ صدره وخياطته ، وجعل الخاتم بين كتفَيْه . قال : « فما هو إلا أنْ ولَّيَا عني ، فكأنما أُعاينُ الأمْرَ مُعَاينةً » .

ثم أورد ابنُ عساكر[٣] عن أُبَيِّ بن كعب بنحو ذلك ، ومن حديث شدَّاد بن أوس بأبسطَ من ذلك[٤] .

وثبت في صحيح مسلم[٥] من طريق حَمَّاد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاهُ جبريلُ عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان[٦] ، فأخذَهُ فصَرَعَه ، فشقَّ عن قلبه[٧] ، فاستخرج القلب ، واستخرج منه عَلَقَةً سوداء فقال : هذا حظُّ الشيطانِ منك ، ثم غسَلَه في طَسْتٍ من ذهب بماءِ زمزم ، ثم لأَمَه ، ثم أعادَهُ في مكانه ؛ وجاء الغلمان يسعَوْن إلى أُمِّه ـ يعني ظِئْرَه ـ فقالوا : إنَّ محمداً قد قُتل فاستَقْبَلُوهُ وهو مُمْتَقَعُ[٨] اللَّون . قال أنس : وقد كنتُ أرى أثرَ ذلك المِخْيَط في صَدْره .

وقد رواه ابن عساكر[٩] من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن عبد رَبِّه بن سعيد ، عن[١٠] ثابت البُناني ، عن أنس ، أنَّ الصلاة فُرضت بمكة[١١] ، وأنَّ ملَكَين أتيا رسولَ الله ﷺ فذهبا به إلى زمزم ،

---

(١) في تاريخ دمشق السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٢ ، ٣٧٣) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .

(٢) جاء الاسم في ط مضطرباً : عمير بن عمر بن عروة بن الزبير ، والمثبت من ح وهو الصواب ، نَسَبه إلى جده الزبير ، وهو عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، يروي عن جده عروة ، ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦٩) . وساق الذهبي طرفاً من الحديث بهذا الإسناد في الميزان (١/ ٤١٢) في ترجمة جعفر بن عبد الله الحميدي وقال : فذكر حديثاً طويلاً لا يتابع عليه .

(٣) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٤ ـ ٣٧٥) .

(٤) المصدر السابق (ص٣٧٧ ـ ٣٨٣) .

(٥) صحيح مسلم (١٦٢) (٢٦١) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٦) في ح : الصبيان ، والمثبت من ط وصحيح مسلم .

(٧) في ح : بطنه ، والمثبت من ط وصحيح مسلم .

(٨) كذا في ح وط ، وفي صحيح مسلم : منتقع وهو بمعناه ؛ وقد مر (ص٥٥ ح٤) من هذا الجزء .

(٩) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٢) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .

(١٠) في ح : ابن ، والمثبت من ط .

(١١) في ح ، ط : بالمدينة وهو وهم ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر ورواية النسائي في السنن (١/ ٢٢٤) باب أين فرضت الصلاة من طريق سليمان بن داود عن ابن وهب به . ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء . تفسير القرطبي (١٠/ ٢١٠) .

فشقَّا بطنه ، فأخرجا حِشْوَتَه[(١)] في طَسْتٍ من ذهب ، فغسلاه بماءِ زمزم ، ثم كَبَسا[(٢)] جَوْفَه حكمةً وعلماً ؟

ومن طريق ابن وَهْب أيضاً[(٣)] ، عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهْري ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم[(٤)] بن عُتْبة بن أبي وقاص ، عن أنس قال : أُتي رسولُ الله ﷺ ثلاث ليال قال : خذوا خَيْرَهم وسيِّدَهم . فأخذوا رسولَ الله ﷺ فعُمِد به إلى زمزم ، فشُقَّ جوفُه ، ثم أُتي بتَوْرٍ[(٥)] من ذهب ، فغُسل جوفُه ، ثم مُلئ حكمةً وإيماناً .

وثبت[(٦)] من رواية سُليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس . وفي « الصحيحين » من طريق شريك بن أبي نَمِر ، عن أنس[(٧)] ، وعن الزُّهري ، عن أنس ، عن أبي ذرّ[(٨)] . وقتادة عن أنس . عن[(٩)] مالك بن صعصعة عن النبيِّ ﷺ في حديث الإسراء[(١٠)] ، كما سيأتي[(١١)] قصة شرح الصدر ليلتئذ وأنَّه غُسل بماء زمزم ؛ ولا منافاةَ لاحْتمال وقوع ذلك مرتين ، مرَّةً وهو صغير ، ومرَّةً ليلةَ الإسراء ، ليتأهَّبَ للوفود إلى الملأ الأعلى ، ولمناجاةِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ ، والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن إسحاق[(١٢)] : وكان رسولُ الله ﷺ يقولُ لأصحابه : « أنا أعْرَبُكم ، أنا قُرَشيٌّ واسْتُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر » .

وذكر ابن إسحاق[(١٣)] : أنَّ حليمة لما استرجعته[(١٤)] إلى أُمِّه بعد فِطامه ، مرَّتْ به على ركبٍ من

---

(١) « حشوته » : بكسر الحاء المهملة وضمها : أمعاؤه ، وما في البطن من كبد وطحال وغير ذلك اللسان (حشو) . ورواية النسائي : حَشْوَه .

(٢) في ط : لبسا وهو تصحيف . كبسا جوفه : أي ستراه . قاله السندي في حاشيته على شرح السيوطي لسنن النسائي (١/ ٢٢٥) .

(٣) عند ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٣) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .

(٤) في ط : عبد الرحمن بن عامر تصحيف ، والمثبت من ح وابن عساكر .

(٥) « التور » : الإناء . اللسان (تور) .

(٦) في صحيح مسلم (٢٦٠) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٧) فتح الباري في صفة النبي ﷺ (٣٥٧٠)، وفي التوحيد (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) (٢٦٢) .

(٨) فتح الباري في الصلاة (٣٤٩)، وفي ذكر بني إسرائيل (٣٣٤٢)، وفي الحج (١٦٣٦)، وفي أحاديث الأنبياء (٣٣٤٢)، ومسلم في الإيمان (١٦٣) .

(٩) في ط : « وعن »، وهو تحريف، وإنما رواه قتادة عن أنس عن مالك، عن النبي ﷺ .

(١٠) أخرجه البخاري مقطعاً في أربعة مواضع بعضها في بدء الخلق (٣٢٠٧)، وبعضها في الأنبياء (٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) وفي بدء الخلق (٣٢٠٧)، ومسلم في الإيمان (١٦٤) (٢٦٤) (٢٦٥) .

(١١) (٣/ ١١٥ ، ١١٦) .

(١٢) في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٧) .

(١٣) في المصدر السابق ، بألفاظ مقاربة .

(١٤) في ط : أرجعته .

النَّصَارى ، فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام وقلَّبوه وقالوا : إنا سنذهبُ بهذا الغلام إلى مَلِكنا ، فإنه كائنٌ له شأن . فلم تكَدْ تنفلتُ منهم إلا بعد جَهْد .

وذكر أنها لما ردَّته حين تخوَّفت عليه أنْ يكونَ أصابه عارض ، فلمَّا قَرُبَتْ من مكَّة افتقدَتْه فلمْ تجدْه فجاءتْ جدَّه عبدَ المطلب ، فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجده ورَقَةُ بن نَوْفلٍ ورجلٌ آخر من قريش ، فأتيا به جدَّه ، فأخذه على عاتقه ، وذهب فطاف به يعوِّذُهُ ويدعو له ، ثم ردَّه إلى أُمِّه آمنة .

وذكر الأموي[١] من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصي ـ وهو ضعيف ـ عن الزُّهْري ، عن سعيد بن المُسَيِّب قصةَ مولدِه عليه الصلاة والسلام ، ورضاعِه من حَلِيمة ، على غير سياق محمد بن إسحاق . وذكر أنَّ عبدَ المطلب أمر ابنَهُ عبدَ الله أن يأخذَهُ فيطوف به في أحياءالعرب ليجد[٢] له مرضعة ، فطاف حتى استأجر حليمة على رَضاعه . وذكر أنه أقام عندها ستَّ سنين تُزيرُه جدَّه في كلِّ عام ، فلما كان من شقِّ صدره عندهم ما كان ، ردَّتْه إليهم ، فأقام عند أمه ، حتى [إذا][٣] كان عمره ثماني سنين ، ماتت ، فكفَلَه جدُّهُ عبدُ المطلب ، فمات وله عليه الصلاة والسلام عَشْرُ سنين ، فكفَلَه عمَّاه شقيقا أبيه : الزُّبير وأبو طالب ، فلما كان له بضعَ عَشرَةَ سنة خرج مع عمِّه الزُّبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آياتٍ في تلك السَّفْرة ؛ منها أنَّ فَحْلاً من الإبل كان قد قطعَ بعضَ الطريق في وادٍ مَمَرُّهم عليه ، فلما رأى رسولَ الله ﷺ برك حتى حكَّ بكَلْكَلِه[٤] الأرضَ ، فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلاً عَرِماً[٥] فأيبسَهُ الله تعالى حتى جاوزوه . ثم مات عمُّه الزُّبير وله أربعَ عشرة سنة ، فانفرد به أبو طالب .

والمقصود أنَّ بركتَهُ عليه الصلاة والسلام حلَّت على حليمةَ السعْدِيَّة وأهْلِها وهو صغير ، ثم عادتْ على هوازِنَ بكمالهم فواضِلُه[٦] حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فمَتُّوا[٧] إليه برَضاعِه ، فأعتقهم وتحنَّن عليهم وأحسن إليهم ، كما سيأتي مفصَّلاً في موضعه إنْ شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق[٨] في وقعة هوازن : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده [عبد الله بن عمرو] قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحُنَين ، فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وَفْدُ هوازن بالجِعْرَانة[٩] وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أهلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ

---

(١) الأموي هو أبو محمد سعيد بن يحيى بن سعيد المتوفى (١٩١)هـ في كتابه المغازي .
(٢) في ط : ليتخذ .
(٣) زيادة ليست في ح ، ط : ويقتضيها السياق .
(٤) « الكلكل » : الصدر . اللسان (كلل) .
(٥) في ح : عرمرم والمثبت من ط ، والسيل العرم : السيل الذي لايطاق . والعرمرم : الكثير من كل شيء . اللسان (عرم) .
(٦) « الفواضل » : الأيادي الجميلة ، وفواضل المال : ما يأتيك من مرافقه وغلته . اللسان (فضل) .
(٧) « متوا » : توسلوا ، يقال : مت إليه بالشيء يمت متاً : توسّل . اللسان (متت) .
(٨) في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٨٨ ، ٤٨٩) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٩) ويقال : الجِعِرَّانة بكسر العين المهملة وتشديد الراء المفتوحة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . =

عليك ، فامْنُنْ علينا مَنَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صُرَد فقال : يا رسول الله . إنَّ ما في الحظائر(١) من السبايا خالاتُك وحواضنك اللاتي كن يكفُلْنك ، فلو أنَّا مَلَحْنا(٢) ابنَ أبي شَمِر ، أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجَوْنا عائدتَهما وعطفَهما ، وأنت خيرُ المكفولين . ثم أنشد : [من البسيط]

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في كَرَمٍ ... فإنَّك المرءُ نَرْجُوهُ ونَدَّخِرُ
أُمْنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقَها(٣) قَدَرٌ ... ممزَّقٌ شَمْلُها في دهرها غِيَرُ
أبقتْ لنا الدهرَ هتَّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبهمُ الغَمَّاءُ والغُمَرُ(٤)
إنْ لَمْ تُداركها نَعْماءَ تَنْشُرُها ... يا أرجحَ الناسِ حِلْماً حين يُخْتَبَرُ(٥)
أُمنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضعُها ... إذْ فُوكَ يَمْلَؤهُ من مَخْضِها دِرَرُ(٦)
أُمننْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضَعُها ... وإذْ يَزينُك ما تأتي وما تَذَرُ
لا تجعلنَّا كمن شالتْ نَعامَتُه ... واستَبْقِ منّا فإنَّا معشرٌ زُهُرُ(٧)
إنا لنشكرُ للنُّعمى وإنْ كُفرتْ ... وعندنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

وقد رُويتْ هذه القصة من طريق عبد الله(٨) بن رُمَاحِس الكلبي الرملي ، عن زياد بن طارق الجُشَميّ ،

= معجم البلدان (٢/ ١٤٢) .

(١) في ح : الحضائر ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام ، والحظيرة : المحيط بالشيء ، سواء كان خشباً أو قصباً ، جمعها الحظائر . التاج (حظر) .

(٢) « ملحنا » : أرضعنا . الشرح من حاشية ح ، وكتب فوقه : ش صحاح ، يعني الشرح من صحاح الجوهري . وجاء في اللسان (ملح) : وفي حديث وفد هوازن : أنهم كلموا رسول الله ﷺ في سبي عشائرهم ، فقال خطيبهم : إنا لو كنا ملحنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منزلك هذا منا لحفظ ذلك لنا ، وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك ؛ قال الأصمعي : في قوله ملحنا ، أي : أرضعنا لهما .

(٣) في ح : . . بيضة أعثانها قدر ، والمثبت من ط ومصادر التخريج . والبيضة : من قولهم : بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم ، وعشيرتهم . التاج (بيض) .

(٤) « الغماء » : الكرْب . الغُمَر : جمع غَمْرة ، وهي الشدة ، كغمرة الهم والموت . اللسان (غمم ، غمر) . وقال الزرقاني في شرح المواهب : « والغَمَرُ : بفتح المعجمة وتكسر وميم مفتوحة وراء : الحقد » .

(٥) الشطر الأول مختل الوزن بهذه الرواية ، ويستقيم برواية الواقدي وهي : ألا تداركها ، أو رواية الخطيب البغدادي والسهيلي وابن عساكر وهي : تُداركهُمُ .

(٦) « دِرر » : أي الدفعات الكثيرة من اللبن . قاله الحلبي في السيرة الحلبية (٣/ ١٢٦) قلت : هو جمع دِرَّة بكسر الدال ، وهي كثرة اللبن وسيلانه . اللسان (درر) .

(٧) « شالت نعامة القوم » : خفت منازلهم منهم ، وذهب عزهم ، وتفرقت كلمتهم . اللسان (شول) .

(٨) كذا في ح والتاج رمحس ، وفي ط واللباب (٢/ ٣٦) ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٥/ ٤٧١) وميزان الاعتدال (٣/ ٦) .

عن أبي صُرَد زهير بن جَرْوَل[١] ـ وكان رئيسَ قومه ـ قال : لما أسَرَنا رسولُ الله ﷺ يوم حُنين ، فبينا هو يَميزُ بين الرجال والنساء وثبتُ حتى قعدتُ بين يديه ، وأسمعتُه شعراً ، أذكره حين شبَّ ونشأ في هوازن حيث أرْضعوه : [من البسيط]

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في دَعَةٍ ... فإنَّك المرءُ نرجوهُ ونَنْتَظِرُ
أُمننْ على بَيْضةٍ قد عاقها قَدَرٌ ... ممزَّقٌ شَمْلُها في دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الحربُ هتَّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبهمُ الغَمَّاءُ والغُمَرُ
إنْ لم تُداركْها نعماءَ تنشرُها ... يا أرجحَ الناس حِلْماً حين يُختبر
أُمننْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضَعُها ... إذْ فُوك يملؤُهُ[٢] من مَحْضِها الدِّرَرُ
إذْ أنْتَ طفلٌ صغيرٌ كنتَ تَرضعها ... وإذْ يَزينُكَ ما تأتي وما تذَرُ
لا تجعلنَّا كمن شالَتْ نعامَتُهُ ... واسْتَبْقِ منا فإنَّا معشرٌ زُهُرُ
إنَّا لنشكُرُ للنُّعمى وإنْ كُفِرَتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
فألبسِ العَفْوَ مَن قد كنتَ تَرضعُه ... مِن أُمَّهاتِكَ إنَّ العفوَ مُشْتَهِرُ
إنّا نؤمِّلُ عفواً منك تُلْبسُهُ ... هذي البريَّةَ إذْ تعفو وتنتصرُ
فاعفو[٣] عفا الله عمَّا أنت رَاهبُهُ[٤] ... يومَ القيامة إذْ يُهْدى لك الظَّفَرُ

قال : فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت [قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسوله . وقالت][٥] الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ .

---

(١) كذا في ح ، ط : وفي المصادر السابقة : عن أبي جرول زهير بن صرد ، وقال السهيلي في الروض ٤/١٦٦ : وأما زهير الذي ذكره يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/٤٨٨) فهو ابن صرد ، يكنى أبا صرد ، وقيل : أبا جرول . وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٩٠) : زياد بن طارق عن أبي جرول ؛ نكرة لا يُعرف . تفرد عنه عبيد الله بن رماحس .

(٢) في ح : يملؤها وفي ط : تملؤه ، والمثبت من مختصر تاريخ ابن عساكر .

(٣) في ط : فاغفر .

(٤) في ح : واهبه ، والمثبت من ط ومصادر التخريج ، وهي مغازي الواقدي (٣/ ٩٥٠ ، ٩٥١) وتاريخ بغداد (٧/ ١٠٦) والروض الأنف (٤/ ١٦٦) ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٥/ ١٧١ ، ١٧٢) وشرح المواهب للزرقاني (٤/ ٤) ما بعدها ، وفيه : راهبه ، بموحدة : خائفه . والسيرة الحلبية (٣/ ١٢٦) .

(٥) ما بين معقوفين استدركته من تاريخ بغداد ومختصر تاريخ ابن عساكر . والحديث أخرجه البخاري فتح (٤٣١٨) (٤٣١٩) في المغازي باب قول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ... ﴾ وفي الوكالة (٢٣٠٧) و(٢٣٠٨) باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع ، وفي العتق (٢٥٣٩) و(٢٥٤٠) باب من ملك من العرب رقيقاً ، وفي الهبة (٢٥٨٣) و(٢٥٨٤) باب من رأى أن الهبة الغائبة جائز ، وباب إذا وهب جماعة لقوم ، وفي الجهاد (٣١٣١) و(٣١٣٢) باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ، وفي الأحكام (٧١٧٦) و(٧١٧٧) ، باب العرفاء للناس ، وأخرجه أبو داود (٢٦٩٣) في الجهاد باب في فداء الأسير بالمال . ورواه أيضاً الواقدي في المغازي (٣/ ٩٤٩ ، ٩٥٠) مطولاً ، وكذا ابن سعد في الطبقات (١/ ١١٤ ، ١١٥) وابن الأثير في جامع الأصول رقم (٦١٧١) في غزوة حنين .

وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف ما بين صبيٍّ وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسيَّ كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس : فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمئة ألف ألف درهم . فهذا كلُّه من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة ؟ .

فصـــل

قال ابن إسحاق بعد ذِكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رَضاعة حليمة له[١] : فكان رسول الله ﷺ مع أُمه آمنةَ بنتِ وَهْب ، وجدِّه عبد المطلب في كَلاءَةِ الله وحِفْظه ، يُنبته الله نباتاً حسناً لِمَا يريدُ به من كرامته ، فلما بلغ ستَّ سنين توفيت أُمُّه آمنة بنت وَهْب .

قال ابن إسحاق[٢] : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن أُمَّ رسولِ الله ﷺ آمنة توفيت وهو ابنُ ستٍّ سنين بالأبْواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدِمَتْ به على أخواله من بني عَدِيِّ بن النجّار ، تُزيره إيَّاهم ، فماتتْ وهي راجعة به إلى مكة .

وذكر الواقديُّ بأسانيده[٣] ، أنَّ النبيَّ ﷺ خرجتْ به أمُّه إلى المدينة ومعها أمُّ أيمن وله ستُّ سنين ، فزارتْ أخوالَه . قالت أمُّ أيمن : فجاءني ذات يومٍ رجلان من يهودِ المدينة فقالا [لي][٤] : أخرجي إلينا أحمد ننظر إليه . فنظرا إليه وقلَّباه ، فقال أحدُهما لصاحبه : هذا نبيُّ هذه الأمة ، وهذه دارُ هِجْرته ، وسيكونُ بها من القتل والسَّبْي أمْرٌ عظيم . فلما سمعتْ أُمُّه خافتْ وانصرفت به ، فماتتْ بالأبواء وهي راجعة .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا حسين بن محمد، حدّثنا أيُّوب بن جابر، عن سِماك، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن[٦] بريدة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بوَدَّان[٧] قال: « مكانكم حتى آتيكم » فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل[٨] ، فقال : « إني أتيتُ قبر أُم محمد ، فسألتُ ربي الشفاعة - يعني لها - فمنعنيها ، وإني كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور فَزُوروها ، وكنت نهيتُكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٨) .

(٢) بهذا اللفظ في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٨) وبلفظ مختلف في سيرة ابن إسحاق (ص٤٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ١١٦) .

(٤) ما بين معقوفين ليس في ح وهو من ط .

(٥) في مسنده (٥/ ٣٥٦ ، ٣٥٧) .

(٦) وقع في المسند : أبي بريدة ، وهو تصحيف ، وهو سليمان بن بُريدة .

(٧) « وَدَّان » : قرية جامعة من نواحي الفُرْع ، بينها وبين هَرْش ستة أميال ، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال ، قريبة من الجحفة . معجم البلدان (٥/ ٣٦٥) .

(٨) في المسند : « سقيم » خطأ (وهي كما هنا في طبعة مؤسسة الرسالة ٣٨/ ١٢٤) وهو الصواب .

أيام ، فكُلوا وأمْسِكُوا ما بدا لكم ، ونهيتُكم عن الأشربة في هذه الأوعية فاشربوا ما بدا لكم »[١] .

وقد رواه البيهقي[٢] من طريق سفيان الثوري ، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد[٣] ، عن سليمان بن بُرَيدة ، عن أبيه قال : انتهى النبيُّ ﷺ إلى رَسْم قبر فجلس ، وجلس الناسُ حوله ، فجعل يحرِّك رأسَه كالمخاطب ، ثم بكى ، فاستقبله عمر ، فقال : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « هذا قبر آمنة بنت وَهْب ، استأذنتُ ربي في أنْ أزورَ قبرها فأذِن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى عليّ ، وأدركتني رِقَّتها فبكيت » . قال : فما رأيتُ[٤] ساعةً أكثر باكياً من تلك الساعة .

تابعه محارب بن دِثَار عن ابن بُريدة عن أبيه .

ثم روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن بَحْر بن نصر[٥] ، عن عبد الله بن وَهْب ، حدَّثنا ابن[٦] جُرَيج ، عن أيوب بن هانىء ، عن مَسْروق بن الأجْدَع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر ، وخرَجْنا معه ، فأمَرَنا[٥] فجلسنا ، ثم تخطَّى القبورَ حتى انتهى إلى قبرٍ منها ، فناجاه طويلاً ، ثم ارتفع نَحيبُ رسولِ الله ﷺ باكياً ، فبكينا لبكاءِ رسول الله ﷺ ؛ ثم إنَّ رسول الله ﷺ أقبل إلينا ، فتلقاه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكانا وأفزعنا . فجاء فجلس إلينا فقال : « أفزَعَكم بكائي » ؟ قلنا : نعم . قال : « إنَّ القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبرُ آمنة بنت وَهب ، وإني استأذنتُ ربي في زيارتها فأذِنَ لي فيه ، واستأذنتُ ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه . ونزل علي : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٣ ـ ١١٤] . فأخذني ما يأخذُ الولد للوالدة من الرِّقَّة ، فذلك الذي أبكاني .

غريبٌ ولم يخرجوه[٧] .

وروى مسلم[٨] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عُبيد ، عن يزيد بن كَيْسان ، عن أبي حَازِم ،

---

(١) إسناده ضعيف ، لضعف أيوب بن جابر ، لكن متنه صحيح من غير هذا الوجه (بشار) .

(٢) في دلائل النبوة (١/ ١٨٩) .

(٣) في ح ، ط : علقمة بن يزيد ، تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي والإكمال (٧/ ٢٣١) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٨) .

(٤) في ط : رؤيت ، والمثبت من ح والدلائل .

(٥) في ح : محمد بن نصر . تصحيف ، والمثبت من ط والدلائل واللباب (١/ ٧٠) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٢٠) .

(٦) سقطت اللفظة من ح .

(٧) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ١٩٠) .

(٨) في صحيحه (١٠٨) الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه .

عن أبي هريرة قال : زارَ النبيُّ ﷺ قبرَ أُمِّه فبكى وأَبْكى مَنْ حَوْلَه ، ثم قال : « استأذنتُ ربِّي في زيارة قبر أُمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها[١] فلم يأذن لي ، فَزُورُوا القبور تُذَكِّركم الموت »[٢] .

وروى مسلم[٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفَّان ، عن حمَّاد بن سَلَمة ، عن ثابت عن أنس أنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ، أين أبي ؟ قال : « في النار » . فلما قفَّى[٤] دعاهُ فقال : « إنَّ أبي وأباك في النَّار » .

وقد روى البيهقي[٥] من حديث أبي نُعيم الفَضْل بن دُكَين ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزُّهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال : إنَّ أبي كان يصلُ الرَّحم ، وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » قال : فكأنَّ الأعرابيَّ وجد من ذلك فقال : يا رسول الله أين [أبي ؟ قال : « في النار » قال : أين][٦] أبوك ؟ قال : « حيثما مررتَ بقبرِ كافرٍ فبشره بالنار » . قال : فأسلم الأعرابيُّ بعد ذلك فقال : لقد كلَّفني رسولُ الله ﷺ تعباً ، ما مررت بقبر كافرٍ إلا بشَّرْتُه بالنار .

غريب ، ولم يخرِّجوه من هذا الوجه[٧] .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا سعيد ـ هو ابن أبي أيوب ـ حدّثنا ربيعة بن سيف المَعَافري ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : بينما نحن نمشي مع رسول الله ﷺ إذْ بَصُر بامرأةٍ لا نظنُّ أنه عرفها ، فلما توسَّط[٩] الطريق وقف حتى انتهت إليه ، فإذا فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال : « ما أخرجكِ من بيتك يا فاطمة » ؟ فقالت : أتيتُ أهلَ هذا البيت فترحَّمْتُ[١٠] إليهم مَيِّتَهم وعزَّيتُهم . قال : « لعلك بلغتِ معهم الكُدَى » ؟ قالت : معاذَ الله أنْ أكون بلغْتُها معهم وقد سمعتُك تذكر في ذلك ما تذكر . قال : « لو بَلَغْتِها[١١] معهم ما رأيتِ الجنة حتى يراها جَدُّ أبيك » .

---

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٣)، وأحمد (٢/ ٤٤١) ابن ماجه في سننه (١٥٦٩) و(١٥٧٢) الجنائز باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ، وأبو داود في سننه (٣٢٣٤) الجنائز باب في زيارة القبور ، والنسائي في سننه (٤/ ٩٠) الجنائز باب زيارة قبر المشرك ، وابن حبان (٣١٦٩) والحاكم (١/ ٣٧٥). وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ٤٦): رجاله كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك .

(٣) في صحيحه (٣٤٧) الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار .

(٤) قفَّى : ولَّى قفاه منصرفاً . شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٧٩) .

(٥) في دلائل النبوة (١/ ١٩١ ، ١٩٢) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من ط والدلائل ، وهو في ح .

(٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٧ ، ١١٨) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(٨) في مسنده (٢/ ١٦٨ ، ١٦٩) .

(٩) في مسند الإمام أحمد : « توجهنا الطريق » وما هنا أصح .

(١٠) كذا في ح ،ط وسنن النسائي ، وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وسنن البيهقي : فرحمت .

(١١) في ح ، ط : بلغتيها ، والمثبت من مسند الإمام أحمد وسنن النسائي .

ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي[١] من حديث ربيعة بن سيف بن ماتع المعافري الصنمي الإسكندري، وقد قال البُخاري[٢] : عنده مناكير . وقال النسائي[٣] : ليس به بأس، وقال مرة[٤] : صدوق، وفي نسخة[٥] ضعيف . وذكره ابنُ حِبَّان في الثقات ، وقال[٦] : كان يُخطىء كثيراً . وقال الدارقطني[٧] : صالح . وقال ابنُ يونس في تاريخ مصر[٨] : في حديثه مناكير ، توفي قريباً من سنة عشرين ومئة .

والمراد بالكُدَى : القبور ، وقيل : النَّوْح[٩] .

والمقصود أنَّ عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية ، خِلافاً لِفِرْقةِ الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب ، على ما سيأتي في وفاة أبي طالب ، وقد قال البيهقي ـ بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه « دلائل النبوة »[١٠] : وكيف لا يكون أبواه وجدُّه عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دينَ عيسى ابن مريم عليه السلام ، وكفرهم[١١] لا يقدح في نسبه عليه الصلاة والسلام ، لأنَّ أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يُسْلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديدُ العقد ولا مفارقتهن ، إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلتُ : وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديثَ الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصُّمَّ يُمتحنون في العَرَصات يوم القيامة ، كما بسطناه سنداً ومتناً عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[١٢] [الإسراء: ١٥] فيكون منهم من يجيب

---

(١) الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٨ ، ١٦٩) وأبو داود في سننه (٣١٢٣) الجنائز باب في التعزية ، والنسائي في سننه (٤/ ٢٦ ، ٢٧) الجنائز باب النعي ، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٩٢) وفي إسناده ضعف .

(٢) في التاريخ الكبير (٣/ ٢٩٠) .

(٣) تهذيب الكمال (٩/ ١١٤) .

(٤) لم نقف على هذا القول .

(٥) المجتبى (٤/ ٢٨) .

(٦) الثقات (٦/ ٣٠١) .

(٧) سؤالات البرقاني للدارقطني (١٥٣) .

(٨) هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي ، مؤرخ ، محدث ، له تاريخان ، أحدهما كبير في « أخبار مصر وتاريخها » والثاني صغير في « ذكر الغرباء الواردين على مصر » توفي ٣٤٧هـ الأعلام (٣/ ٢٩٤) وكشف الظنون (١/ ٣٠٤) .

(٩) قال ابن منظور في تفسيره : أراد المقابر ، وذلك لأنه كانت مقابرهم في مواضع صلبة ، وهي جمع كُدْية ، ويروى بالراء [الكُرَى] وهي القبور جمع كُرْيه أو كُرْوَة ، من كريت الأرض وكروتها : إذا حفرتها ، كالحفرة . اللسان (كدي ، كرو) .

(١٠) دلائل النبوة (١/ ١٩٢ ، ١٩٣) .

(١١) في الدلائل : وأمرهم .

(١٢) يعني بسطه في التفسير (٣/ ٢٨) وما بعدها .

ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة ، ولله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذي ذكره السُّهَيْلي ، وذكر أنَّ في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزِّنَاد ، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سأل ربَّه أن يُحيي أبويه ؛ فأحياهما وآمنا به ، فإنه حديثٌ منكرٌ جداً . وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضُه . والله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق[1] : وكان رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المطلب بن هاشم ـ يعني بعد موت أُمِّه آمنة بنت وهب ـ فكان يوضع لعبد المطلب فراشٌ في ظلِّ الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له . قال : فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفْر[2] حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخِّرُوه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إنَّ له لشأناً . ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسرُّه ما يراه يصنع .

وقال الواقدي[3] : حدّثني محمد بن عبد الله عن الزهري ، وحدّثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن[4] عبد الله ، وحدّثنا هاشم بن عاصم الأسلمي عن المنذر بن جَهْم ، وحدّثنا معمر عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد ، وحدّثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث ، وحدّثنا ابن أبي سَبْرَة ، عن سليمان بن سُحَيم ، عن نافع بن جُبير ـ دخل حديثُ بعض منهم في بعض ـ قالوا : كان رسول الله ﷺ يكون مع أُمِّه آمنةَ بنتِ وَهْب ، فلما تُوفيت قبضَهُ إليه جَدُّه عبد المطلب ، وضمَّهُ ورقَّ عليه[5] رِقَّةً لم يرقَّها على ولده ، وكان يقرِّبُه منه ويُدْنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني إنه يُؤْنس[6] ملكاً .

وقال قومٌ من بني مُدْلِج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإنَّا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في الحَجَر[7]

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٤٢ ، ٤٣) وسيرة ابن هشام (١/ ١٦٨) .

(٢) « الجفر » : الصبي إذا انتفخ لحمه وأكل وصارت له كرش . اللسان جفر .

(٣) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١١٧ ، ١١٨) .

(٤) في ح عن ، والمثبت من ط وطبقات ابن سعد .

(٥) كذا في الأصول وطبقات ابن سعد ، وليس في المعجمات تعدية للفعل (رق) بـ (على) وإنما « رق له » بمعنى رَحِمه .

(٦) في ط : يؤسس ، وفي الطبقات : ليُؤْنِسُ ، والمثبت من ح وفي اللسان من حديث نجدة الحروري وابن عباس : حتى تُؤْنِس منه الرُّشدَ ؛ أي تعلم منه كمال العقل وسداد الفعل وحسن التصرف .

(٧) فوق اللفظة في ح إشارة (٢) ليست إشارة لَحَق ، وفي الهامش كُتب (المقام) وفوقها حرف (خ) إشارة إلى أنها رواية نسخة ، وهي رواية الطبقات و ط .

والمقام في المسجد الحرام ، هو الحَجَر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين رفع بناء البيت ؛ وقيل : هو الحجر =

منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأُمِّ أيمن ـ وكانت تحضُنه ـ : يا بَرَكَة ، لا تغفلي عن ابني ، فإنِّي وجدتُه مع غلمانقريب[١] من السدرة ، وإنَّ أهل الكتاب يزعمون أنَّ ابني نبيُّ هذه الأمة . وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول : عليَّ بابني ، فيُؤتى به إليه . فلمَّا حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته ، ثم مات عبد المطلب ودُفن بالحَجُون[٢]

وقال ابن إسحاق[٣] : فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين هلك جدُّه عبد المطلب بن هاشم . ثم ذكر جمعَه بناتِهِ وأمْرَهُ إياهنَّ أن يرثينه ؛ وهن : أروى ، وأمية ، وبَرَّة ، وصفية ، وعاتكة ، وأمُّ حكيم البيضاء، وذكر أشعارهنَّ وما قُلْنَهُ في رثاء أبيهن ، وهو يسمعُ قبل موته ، وهذا أبلغ النَّوح . وبسط القول في ذلك .

وقد قال ابن هشام[٤] : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن إسحاق[٥] : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية بعده ابنُه العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً ، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وأقرَّها في يده رسولُ الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ[٦] بن عِمْران بن مخزوم . قال : فكان أبو طالب هو الذي يلي أمْرَ رسول الله ﷺ وكان إليه ومعه .

وقال الواقدي[٧] : أخبرنا مَعْمَر عن ابن [أبي][٨] نَجيح عن مجاهد ، وحدّثنا معاذ بن محمد الأنصاري ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وحدّثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ـ دخل حديث بعضهم في [حديث][٩] بعض ـ قالوا : لما توفي عبد المطلب قَبَض

= الذي وقف عليه حين غسلت زوج ابنه إسماعيل رأسه ، وقيل : بل كان راكباً فوضعت له حجراً من ذات اليمين فوقف عليه حتى غسلت شق رأسه الأيمن ثم صرفته إلى الشق الأيسر فرسخت قدماه فيه حال وقوفه عليه ؛ وقيل هو الحجر الذي وقف عليه حين أذن في الناس بالحج . وصفه في معجم البلدان (المقام ، ٥/ ١٦٤) .

(١) كذا في ح ، ط ، والوجه : قريباً بالنصب .
(٢) «الحجون»: جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها ، على ميل ونصف . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) واللسان (حجن).
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٤٥) وما بعدها وسيرة ابن هشام (١/ ١٦٩) وما بعدها .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٩) .
(٥) سيرة ابن إسحاق (ص٤٧) وسيرة ابن هشام (١/ ١٧٨ ، ١٧٩) .
(٦) في ح : عابد . وهو تصحيف ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والإكمال (٦/ ٩) .
(٧) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١١٩) .
(٨) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط ، وأثبته من الطبقات .
(٩) ما بين معقوفين من ط وطبقات ابن سعد .

أبو طالب رسولَ الله ﷺ ، فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبُّه حبّاً شديداً لا يحبّه ولدَه ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه ، وصَبَّ به أبو طالب صبابةً لم يُصَبَّ[١] مثلها بشيءٍ قط . وكان يخصُّه بالطعام ، وكان إذا أكل عيالُ أبي طالب جميعاً أو فُرَادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسولُ الله ﷺ شبعوا ، فكان إذا أراد أن يُغَدِّيَهم قال : كما أنتم حتى يأتيَ ولدي . فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فكانوا[٢] يُفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا ، فيقول أبو طالب : إنَّك لمبارَك ، وكان الصبيان يُصبحون رُمْصاً شُعثاً ، ويُصبح رسول الله ﷺ دَهِيناً كَحيلاً .

وقال الحسن بن عرفة : حدّثنا عليُّ بن ثابت ، عن طلحة بن عمرو ، وسمعتُ عطاء بن أبي رباح ، سمعتُ ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يُصبحون غُمْصاً رُمْصاً ، ويُصبح رسولُ الله ﷺ صَقِيلاً دَهِيناً[٣] وكان أبو طالب يُقرِّبُ إلى الصبيانِ صَحْفَتَهم[٤] أوّلَ البُكْرَة ، فيجلسون وينتهبون ، ويكف رسولُ الله ﷺ يدَهُ فلا ينتهبُ معهم[٥] . فلما رأى ذلك عمُّه عزَلَ له طعامَهُ على حِدَة .

وقال ابن إسحاق[٦] : حدّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، أنَّ أباهُ حدَّثه أنَّ رجلاً من لِهْبٍ كان عائفاً[٧] ، فكان إذا قدِم مكة أتاهُ رجالٌ من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف[٨] لهم فيهم ؛ قال : فأتى أبو طالب برسول الله ﷺ وهو غلام مع من[٩] يأتيه ؛ قال : فنظر إلى رسولِ الله ﷺ ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغَ قال : الغلام عليَّ به . فلما رأى أبو طالب حِرْصَهُ عليه غيَّبَهُ عنه ، فجعل يقول : ويلكم ، رُدُّوا عليَّ الغلامَ الذي رأيتُه آنفاً ، فوالله ليكونَنَّ له شأن . قال : وانطلق به أبو طالب .

---

(١) « صبَّ به » : أحبَّه وكلف به ، جاء في الأساس (صبب) : هو صبٌّ بها : كلِفٌ ، وهي صبَّة به . وهو من الصبابة ورِقَّة الهوى .

(٢) في ح : فكان ، والمثبت من ط .

(٣) قال صاحب اللسان بعد سياق الحديث (رمص) : غَمِصت العين ورمِصَت من الغَمَص والرمص ، وهو البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان ، والرَّمص : الرطب منه ، والغَمَص : اليابس ، والغُمْص والرُّمص : جمع أغمص وأرمص .

(٤) « الصحفة » : كالقصعة ، وهي تشبع الخمسة ونحوهم . اللسان (صحف) ، وحرف في ط إلى صفحتهم . وفي ح على الصواب .

(٥) « ينتهبون » : من الانتهاب وهو الأخذ . التاج (نهب) .

(٦) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٧) « بنو لِهبْ » : قبيلة من الأزْد ، وهم أهل العِيافة والزَّجْر ، زعموا أنها أعيف العرب . والعائف : المتكهِّن الذي يعيف الطير فيزجرها بالحدس والظن فيتفاءَل بأسمائها وأصواتها وممرِّها . اللسان والتاج (لهب ، عيف) .

(٨) في ح : ويعاف . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

(٩) في ح : ممن ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

فصـــل

في خروجِهِ عليه الصلاةُ والسلام مع عمِّه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بَحِيرَى الراهِب[١]

قال ابن إسحاق[٢] : ثم إنَّ أبا طالب خرج في ركبٍ تاجراً إلى الشام ، فلمَّا تهيَّأ للرحيل وأجمع السير صَبَّ به[٣] رسولُ الله ﷺ ـ فيما يزعمون ـ [فأخذ بزمام ناقته وقال : « يا عمّ ، إلى من تكلني ؟ لا أب لي ولا أُمّ » ؟] فَرَقَّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجنَّ به معي ولا أفارقُهُ ولا يفارقُني أبداً . أو كما قال فخرج به [معه] ، فلما نزل الرَّكْبُ بُصْرَى[٤] من أرض الشام ، وبها راهبٌ يقال له : بَحِيرى في صومعةٍ له . وكان إليه عِلْمُ أهْلِ النَّصْرانية ، ولم يزلْ في تلك الصومعةِ منذُ قُطّ[٥] راهب فيها[٦] ، إليه[٧] يصيرُ علمهم عن كتاب [فيها][٨] فيما يزعمون ، يتوارثونَهُ كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام بِبَحِيرَى ، وكانوا كثيراً ما يمرُّون [به قبل ذلك] فلا يكلِّمُهم ولا يعرض لهم[٩] حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا قريباً من صومعته ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيءٍ رآه وهو في صومعته . يزعمونَ أنَّهُ رأى رسولَ الله ﷺ في الرَّكب حين أقبلَ وغمامةٌ تُظِلُّه من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلُوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلَّتِ الشجرة ، وتهصَّرَتْ أغصانُ الشجرةِ على رسولِ الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها[١٠] . فلما رأى ذلك بَحِيرَى نزل من صومعته ، وقد أمرَ بطعامٍ فَصُنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إني

---

(١) مضت ترجمة بحيرى في الجزء الثاني وهي أيضاً في مختصر ابن منظور (٥/ ٥٤) والإصابة (١/ ١٧٦) وشرح المواهب (١/ ٢٣٤).

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٥٣) وما يأتي بين معقوفين منه . وأيضاً في سيرة ابن هشام (١/ ١٨٠) والروض (١/ ٢٠٥) وتاريخ الطبري (٢/ ٧٧) ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/ ٧) وشرح المواهب (١/ ٢٣٣) وما بعدها .

(٣) في سيرة ابن إسحاق صب له ـ أظنه تصحيفاً ـ وعند بعض الرواة : فضبَّ به . أي لزمه كما في شرح المواهب (١/ ٢٣٣) وقد مضى معناه (الصفحة السابقة ح١) من هذا الجزء .

(٤) « بُصْرى » : قصبة كورة حَوْران من أعمال دمشق ، فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ، وهي أول مدينة فتحت بالشام ، وردها عليه الصلاة والسلام مرتين . هذه إحداها ، والثانية في تجارة لخديجة مع ميسرة غلامها . معجم البلدان (١/ ٤٤١) ومختصر ابن منظور (٢/ ٥) وشرح المواهب (١/ ٢٣٤) وموقعها اليوم جنوبي دمشق ، وتبعد عنها مسافة ١٤٢كم تقريباً .

(٥) قُطُّ هنا بمعنى الزمان والدهر ، وهي مثلثة القاف . التاج (قطط) .

(٦) راهب كذا في ح ، ط ، والوجه : راهباً بالنصب ، ولفظة : فيها ، ساقطة من ح .

(٧) في ح : إليهم . والمثبت من ط .

(٨) في سيرة ابن إسحاق ومختصر ابن منظور : فيهم ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض الأنف .

(٩) في ح : إليهم . والمثبت من مصادر التخريج .

(١٠) « تهصَّرت » : أي تهدَّلت عليه ومالت ، من الهَصْر ، وهو عطف الغصن الرطب . اللسان (هصر) .

صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحبُّ أنْ تحضُروا كلُّكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحُرّكم . فقال له رجل منهم : والله يا بَحِيرى إنَّ لك لشأناً اليوم ، ما كنتَ تصنعُ هذا بنا وقد كُنَّا نمرُّ بك كثيراً ، فما شأنُكَ اليوم؟ قال له بَحِيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنَّكم ضَيْف ، وقد أحببتُ أنْ أُكرمكم وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم . فاجتمعوا إليه وتخلَّف رسولُ الله ﷺ من بينِ القوم لحداثةِ سِنِّه في رِحالِ القوم تحت الشجرة ، فلما رآهم بَحِيري لم يرَ الصفةَ التي يعرفُ ويجدُ[1] عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتخلَّفَنَّ أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلَّفَ عنك أحدٌ ينبغي له أنْ يأتيكَ إلا غلامٌ وهو أحدَثُنا سِنّاً ، فتخلَّف في رحالنا . قال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضُرْ هذا الطعامَ معكم . قال : فقال رجلٌ من قريش مع القوم : واللاتِ والعُزَّى ، إنْ كان للؤماً بنا أن يتخلَّف محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعامٍ من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه [، ثم أقبلَ به] وأجلسه مع القوم ، فلما رآه[2] بَحِيرى جعل يلحظُه لحظاً شديداً ، وينظرُ إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدُها عندَهُ من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى وقال له : يا غلام ، أسألك بحقِّ اللات والعُزَّى إلا أخبرتني عمَّا أسألُكَ عنه . وإنما قال له بَحِيرى ذلك ، لأنه سمع قومَهُ يحلِفُون بهما ، فزعموا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « لا تسألني باللاتِ والعُزَّى شيئاً ، فواللهِ ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهما » . فقال له بَحِيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألُك عنه ؟ فقال له : « سلْني عمَّا بدا لك » . فجعل يسألُه عن أشياءَ من حاله من نومِهِ وهَيْئَتهِ وأُموره . فجعل رسولُ الله ﷺ يُخْبِرُه ، فوافق[3] ذلك ما عند بَحِيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهرهِ فرأى خاتم النبوة بين كتفيه [على] موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبل على عمِّهِ أبي طالب فقال : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : ابني ، قال بَحِيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكونَ أبوه حيّاً ؟ قال : فإنَّهُ ابنُ أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمُّه حُبْلَى به . قال : صدقت ، ارجعْ بابن أخيك إلى بلَدِه ، واحْذَرْ عليه يهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ[4] شرّاً ، فإنَّهُ كائنٌ لابنِ أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسرعْ به إلى بلاده . فخرج به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن إسحاق[5] : فزعموا فيما روى الناس أنَّ زُرَيْراً ، وثماماً[6] ، ودَريساً ـ وهم نفرٌ من أهْلِ الكتاب ـ قد كانوا رأَوا رسولَ الله ﷺ مثلما رأى بَحِيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوهُ فردَّهم عنه بَحيرى ، فذكَّرَهُم اللهَ وما يجدون في الكتابِ من ذِكره وصفته ، وأنهم إنْ أجمعوا لما

---

(١) في ح : يعرفه بها ، وفي ط : ويجده ، والمثبت من مصادر التخريج .
(٢) في ح : رأى . والمثبت من ط ومصادر التخريج .
(٣) في سائر المصادر فيوافق . وهو أشبه بالصواب .
(٤) في ح : إنْ . . ليتبعنه ، وفي سيرة ابن إسحاق : ليبغينه . والمثبت من ط وباقي المصادر .
(٥) سيرة ابن إسحاق (ص٥٥) وسيرة ابن هشام (١/ ١٨٣) والروض الأنف (١/ ٢٠٧) ومختصر ابن منظور (٢/ ٩) .
(٦) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق وسائر مصادر تخريجه تماماً بالتاء المثناة من فوق .

أرادوا به لم يخلُصوا إليه ، حتى عرفوا ما قالَ لهم وصدَّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

وقد ذكر يونس بن بُكير عن ابن إسحاق أنَّ أبا طالب قال في ذلك ثلاثَ قصائد[١] . هكذا ذكر ابنُ إسحاق هذا السياق من غير إسنادٍ منه ، وقد ورد نحوُهُ من طريقٍ مسندٍ مرفوع .

فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي[٢] : حدّثنا عباس بن محمد الدُّوري ، حدّثنا قُرَاد أبو نوح ، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق[٣] عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام [فخرج] معه رسولُ الله ﷺ في أشياخٍ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب ـ يعني بَحِيرى ـ هبَطُوا فحلُّوا رحالَهُم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرجُ ولا يلتفتُ إليهم . قال : فنزل وهم يحلُّون رحالهم ، فجعل يتخلَّلُهم حتى جاء فأخذ بيد النبيِّ ﷺ فقال : هذا سيِّدُ العالمين ـ وفي روايةِ البيهقي[٤] زيادة : هذا رسولُ ربِّ العالمين ، ابتعثه الله رحمة للعالمين ـ فقال له أشياخٌ من قريش : وما علمك[٥] ؟ فقال : إنَّكم حين أشرفتُمْ من العَقَبة لم يَبْقَ شجرةٌ ولا حجَرٌ إلَّا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدون إلَّا لنبيّ ، وإني أعرفه بخاتم النبوَّة أسفل من غُضْرُوف كَتِفِهِ . ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به ـ وكان هو في رِعْيَةِ الإبلِ ـ فقال : أرسِلُوا إليه ، فأقبل وغَمامةٌ تُظِلُّه . فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه ، عليه غمامة . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيْءِ الشجرة ، فلما جلس مال فَيْءُ الشجرةِ عليه . قال : انظروا إلى فيءِ الشجرةِ مالَ عليه . قال : فبينما هو قائمٌ عليهم وهو يَنْشُدُهم ألَّا يذهبوا به إلى الرُّوم ، فإنَّ الرُّومَ إنْ رأَوْهُ عرفوهُ بالصِّفَةِ فقتلوه ؛ فالتفت فإذا هو بسبعةِ نفرٍ من الرُّوم قد أقبلوا . قال : فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا ، إنَّ هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر ، فلم يبقَ طريقٌ إلا بُعث إليه ناس ، وإنَّا أُخبرنا خَبَرهُ إلى طريقكَ هذه . [قال فقال : هل خلَّفتم أحداً هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : لا ، إنما أُخبرنا خَبَرَهُ][٦] إلى طريقك هذه . قال : أفرأيتم أمْراً أرادَ الله أنْ يقضِيَه ، هل يستطيعُ أحدٌ من الناس ردَّه ؟ فقالوا : لا . قال : فبايَعُوه وأقاموا معه عنده . قال : فقال الراهب : أَنْشُدُكم الله أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزَلْ يُناشده حتى رَدَّه ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوَّدَهُ الراهب من الكعك والزيت .

هكذا رواه الترمذي[٧] عن أبي العباس الفَضْلِ بن سَهْل الأعرج عن قُرَاد أبي نوح به .

---

(١) القصائد الثلاث في سيرة ابن إسحاق (ص٥٥ ـ ٥٧) .

(٢) في هواتف الجنان (ص٤٩) نسخة الظاهرية (ص١٩٤ المطبوعة) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) في الأصل : يونس عن أبي إسحاق ، وكذا في هواتف الجنان ، وهو تحريف ، والصواب من سنن الترمذي (٥/ ٢٥٠) وترجمة يونس بن أبي إسحاق في تهذيب التهذيب (١١/ ٤٣٣) وروايته فيه ثابتة عن أبي بكر بن أبي موسى ، كما ثبتت رواية قراد عنه في التهذيب أيضاً (٦/ ٢٤٧) واسم قراد : عبد الرحمن بن غزوان .

(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٢٤) .

(٥) بعد هذه اللفظة في نسخة الظاهرية من كتاب هواتف الجنان سقط بمقدار صفحة .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في الأصل (ح) .

(٧) جامع الترمذي (٣٦٢٠) المناقب باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ .

والحاكم[١] والبيهقي[٢] وابن عساكر[٣] ، من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم ، عن عباس بن محمد الدُّوري به .

وهكذا رواهُ غيرُ واحدٍ من الحفاظ ، من حديث أبي نَوْح عبدِ الرحمن بن غَزْوان الخُزاعي مولاهم ـ ويقال له[٤] الضَّبِّيّ ـ ويُعرف بقُرَاد ، سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرجَ لهم البخاري ؛ ووثَّقَهُ جماعةٌ من الأئمَّةِ والحُفَّاظ ، ولم أرَ أحداً جَرَّحَه ، ومع هذا في حديثهِ هذا غرابة ؛ قال الترمذي : حسنٌ غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال عبَّاس الدُّوري : ليس في الدنيا أحد يحدث به غَيْرُ قُراد أبي نوح ، وقد سمعه منه أحمد بن حنبل رحمه الله ، ويحيى بن مَعين لغرابته وانفراده . حكاهُ البيهقيُّ[٥] وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرابة أنه من مرسلاتِ الصحابة ، فإنَّ أبا موسى الأشعري إنما قدِم في سنةِ خَيْبَر سنة سبع من الهجرة ، ولا يُلتفتُ إلى قول ابن إسحاق في جَعْلِهِ له من المُهاجِرةِ إلى أرض الحبشةِ من مكة ، وعلى كُلِّ تقدير فهو مُرْسَل ؛ فإنَّ هذه القصة كانت ولرسولِ الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضُهم ثنتا عشرةَ سنة ، ولعل أبا موسى تلقَّاه من النبيِّ ﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعضِ كبارِ الصحابة رضي الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثاني : أنَّ الغمامةَ لم تُذكر في حديثٍ أَصَحَّ من هذا .

الثالث : أنَّ قولَهُ : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، إنْ كان عمره عليه الصلاة والسلام إذْ ذاك ثنتي عشرةَ سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمُر بلالٍ أقلُّ من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب ، اللهمَّ إلا أنْ يُقال : إنَّ هذا كان ورسولُ الله ﷺ كبيراً ؛ إمَّا بأنْ يكونَ سفرُه بعد هذا ؛ أو إنَّ القولَ[٦] بأنَّ عُمُرَهُ كان إذ ذاك ثنتيْ عشرةَ سنةً غيرُ محفوظ ، فإنَّهُ إنما ذكرَهُ مقيداً بهذا الواقدي[٧] .

وحكى السُّهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم[٨] .

---

(١) في المستدرك (٢/ ٦١٥ـ ٦١٦) .

(٢) انظر الحاشية الأولى من هذه الصفحة .

(٣) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/ ٦) .

(٤) ليست له في ح .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٦) .

(٦) في ط : إن كان القول . بزيادة كان ، وليست في ح .

(٧) هذا النقد قال به قبله الذهبي في السيرة (١/ ٥٨ ـ ٥٩) لذلك استنكره جداً ، والحمل فيه على أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان المعروف بقراد ، وينظر بلابد تعليقي على الترمذي (بشار) .

(٨) انظر قول السهيلي في الروض (١/ ٢٠٦) .

قال الواقدي[1] : حدّثني محمد بن صالح ، وعبد الله بن جعفر ، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحُصَين ، قالوا : لما بلغ رسولُ الله ﷺ اثنتيْ عشرةَ سنةً خرج به عمُّه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ، ونزلوا بالراهب بَحِيرى ، فقال لأبي طالب في السرِّ[2] ما قال ، وأمره أن يحتفظ به ، فردَّه معه أبو طالب إلى مكة .

[وشبَّ رسولُ الله ﷺ مع أبي طالب ، يَكْلَؤه الله ويحفظه ويحوطُه من أمور الجاهلية ومعايبها ، لما يريدُ من كرامته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمَهم مخالطةً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى][3] ما رُئي ملاحياً ولا ممارياً أحداً ، حتى سمَّاه قومُه الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ، فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضُده حتى مات .

وقال محمد بن سعد[4] : أخبرنا خالد بن خِدَاش[5] ، حدّثنا معمر بن سليمان : سمعتُ أبي يحدِّث عن أبي مِجلَز أنَّ عبد المطلب أو أبا طالب ـ شكَّ خالد ـ قال : لما مات عبد الله عطف على محمد [ﷺ] فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجَّه نحو الشام ، فنزل منزلاً ، فأتاه فيه راهب فقال : إنَّ فيكم رجلاً صالحاً . [فقال : إن فينا من يَقْرِي الضيف ، ويفكُّ الأسير ، ويفعل المعروف . أو نحواً من هذا .] ثم قال : أين أبو هذا الغلام ؟ قال فقال : ها أنا ذا وَلِيُّه ـ أو قيل هذا وليُّه ـ قال : احتفظْ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام ، إنَّ اليهودَ حُسُد ، وإني أخشاهم عليه . قال : ما أنت تقول ذلك ، ولكنَّ الله يقوله . فردَّه . قال : اللهمَّ إني أستودِعُكَ محمداً . ثم إنه مات .

حكى السُّهيلي[6] عن سِيَرِ الزهري أنَّ بَحِيرى كان حَبْراً من أحبار اليهود .

قلت : والذي يظهرُ من سياقِ القصَّة أنه كان راهباً نصرانياً . والله أعلم .

وعن المسعودي أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جِرْجِيس[7] .

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة[8] : سُمع هاتفٌ في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن

---

(١) انظر قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١٢٠ ، ١٢١) .
(٢) في ح : بالسر ، وفي الطبقات : في النبي ﷺ .
(٣) ما بين المعقوفين في سيرة ابن إسحاق بخلاف يسير ، وسيذكره المصنف في الصفحة التالية .
(٤) في الطبقات (١/ ١٢٠) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) في ط : خالد بن معدان ، والمثبت من ح وطبقات ابن سعد .
(٦) في الروض (١/ ٢٠٥) .
(٧) كذا في ح ، ط ، والضبط من شرح المواهب (١/ ٢٣٤) وفي الروض : سَرْجِس نقلاً عن المسعودي .
(٨) المعارف (ص٥٨) .

خير أهل الأرض ثلاثة : بَحِيرى ، ورِئَاب بن البراء الشَّنِّي ، والثالث المنتظر . وكان الثالثُ المنتظر هو رسول ﷺ . قال ابن قتيبة[١] : وكان قبرُ رِئَاب الشَّنيِّ وقبرُ ولدِه من بعده لا يزال يُرى عندهما طَشٌّ . وهو المطر الخفيف[٢] .

فصـــل

في مَنْشَئِه عليه الصلاة والسلام ومَرْبَاه وكفاية الله له ، وحِيَاطته ، وكيف كان يتيماً فآواه وعائلاً فأغناه

قال محمد بن إسحاق[٣] : فشبَّ رسولُ الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطُهُ من أقذار الجاهلية لما يُريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومِهِ مروءةً ، وأحسنَهُمْ خُلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنَهُمْ جِواراً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدَهُمْ من الفُحْش والأخلاق التي تُدَنِّسُ الرجال تنزُّهاً وتكرُّماً ، حتى ما اسمه في قومِهِ إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة . وكان رسولُ الله ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ يُحدِّثُ عما كان الله يحفظُهُ به في صِغَرِه وأمْر جاهليته أنَّهُ قال :

« لقد رأيتُني في غلمان من قريش ننقلُ[٤] الحجارةَ لبعض ما يلعَبُ به الغلمان ، كلنا قد تعرَّى وأخذ إزاره وجعله على رقبته فحملُ[٥] عليه الحجارة ، فإني لأُقبل معهم كذلك وأُدْبر ، إذْ لَكَمني لاكمٌ ما أراه لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شُدَّ عليك إزارك . قال : فأخذتُه فشددتُه عليّ ، ثم جعلتُ أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليَّ من بين أصحابي » .

وهذه القصة شبيهةٌ بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقُلُ هو وعمُّه العباس ، فإنْ لم تكنْها فهي متقدِّمَةٌ عليها كالتوطئة لها . والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق[٦] : أخبرنا ابنُ جُرَيج ، أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبد الله

---

(١) في المعارف (ص٥٨) بنحوه ، واللفظة في الروض : وقال القتبي .
(٢) كذا في ح ، ط ، وفي الروض واللسان (طشش) : المطر الضعيف وهو أشبه بالصواب .
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٥٧ ، ٥٨) ، والنص كما يبدو منقول من سيرة ابن هشام (١/ ١٨٣) فهو بألفاظه أشبه .
(٤) في ح : ننتقل .
(٥) في ط وسيرة ابن هشام : يحمل .
(٦) في المصنف (١١٠٣) الطهارة باب ستر الرجل إذا اغتسل ، وما بين معقوفين منه .

يقول : لما بُنيت الكعبة ذهب رسولُ الله ﷺ ينقل[١] الحجـارة ، فقال العباسُ لرسولِ الله ﷺ : اجْعَلْ إزارَك على عاتقك من الحجارة ، ففعل ، فخرَّ إلى الأرض ، وطمحَتْ عيناه إلى السماء . ثم قام فقال : « إزاري [إزاري] » فَشَدَّ عليه إزاره . أخرجاه في « الصحيحين » من حديث عبد الرزاق[٢] . وأخرجاه أيضاً من حديث رَوْح بن عبادة عن زكرياء بن إسحاق عن عَمْرو بن دينار عن جابرٍ بنحوه[٣] .

وقال البيهقي[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن إسحاق الصاغاني ، حدّثنا محمد بن بُكَيْر الحَضْرَمي ، حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدَّشْتَكِيّ ، حدّثنا عمرو بن أبي قيس ، عن سِمَاك عن عِكْرِمة ، حدّثني ابنُ عباس عن أبيه ، أنه كان ينقُلُ الحجارة إلى البيت حين بَنَتْ قريشٌ البيت ، قال : وأفردت قريش رجلَيْن رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشِّيد[٥] . قال : فكنتُ أنا وابنُ أخي ، وكُنَّا نحمل على رقابِنا وأُزُرنا تحتَ الحجارة ، فإذا غشينا الناس ائْتَزَرْنا[٦] . فبينما أنا أمشي ومحمد [ﷺ] أمامي ، قال : فخرَّ وانبطحَ على وجهه ، فجئتُ أسعى ، وألقَيْتُ حَجَري وهو ينظرُ إلى السماء ، فقلت : ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال : « إني نُهيت أَنْ أمشيَ عُرْياناً » . قال : وكنت أكتمها الناس[٧] مخافةَ أَنْ يقولوا مجنون .

وروى البيهقي[٨] من حديث يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق[٩] ، حدّثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة عن الحسن بن محمد بن عليٍّ بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبيطالب ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما هَمَمْتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يهمُّون به من النساء إلا

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي المصنف : « ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة » .
(٢) فتح الباري (٣٨٢٩) مناقب الأنصار باب بنيان الكعبة ، وصحيح مسلم (٣٤٠) (٧٦) الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة .
(٣) فتح الباري (٣٦٤) الصلاة باب كراهية التعرِّي في الصلاة وغيرها ، وصحيح مسلم (٣٤٠) (٧٧) الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة .
(٤) في الدلائل (٢/ ٣٢ ، ٣٣) .
(٥) « الشِّيد » : كلُّ ما طُليَ به الحائط من جصٍّ أو بلاط . اللسان (شيد) .
(٦) في ح ودلائل البيهقي : اتزرنا ، والمثبت من ط ، قال في التاج (أزر) : ولا تقل اتَّزر بالمئزر بإدغام الهمزة في التاء ، ومنهم من جوزه ، والائتزار هو لبس الإزار وتشميره .
(٧) في ط : أكتمها من الناس ، وليست من في ح ولا في دلائل البيهقي ، وفعل كتم يتعدى إلى مفعولين كما في اللسان ، ويعدى ايضاً بمن يقال : كتمه عنه وكتمه إياه . اللسان (كتم) .
(٨) في الدلائل (٢/ ٣٣ ، ٣٤) .
(٩) والخبر أيضاً في سيرة ابن إسحاق (ص٥٨) .

ليلتين ، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما . قلتُ ليلةً لبعض فتيان مكة ـ ونحن في رعاية غنمِ أهلنا[١] ـ فقلتُ لصاحبي أبْصِرْ لي غنمي حتى أدخلَ مكة ، أسمرُ فيها كما يسمرُ الفتيان . فقال : بلى . قال : فدخلتُ حتى [إذا][٢] جئتُ أوّلَ دارٍ من دور مكة سمعتُ عَزْفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوّج فلانٌ فلانة . فجلستُ أنظر ، وضَرَب الله على أذنيّ ، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت . ثم قلتُ له ليلةً أخرى : أبصِرْ لي غنمي حتى أسمُرَ [بمكة][٨] ففعل ، فدخلتُ ، فلما جئتُ مكة سمعتُ مثلَ الذي سمعتُ تلك الليلة ، فسألتُ ، فقيل : نكح فلانٌ فلانة ، فجلستُ أنظر ، وضرَبَ الله على أذنيّ ، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ؛ فرجعتُ إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلتُ : لا شيء ، ثم أخبرته الخبر . فوالله ما هممتُ ولا عدت بعدها لشيءٍ من ذلك ، حتى أكرمني الله عزَّ وجل بنبوته[٣] .

وهذا حديث غريب جداً ؛ وقد يكونُ عن عليٍّ نفسه ، ويكون قوله في آخره : « حتى أكرمني الله عزَّ وجلَّ بنبوَّته » مُقْحماً ، والله أعلم .

وشيخُ ابن إسحاق هذا ذكره ابنُ حِبّان في « الثقات »[٤] . وزعم بعضُهم أنَّه من رجالِ « الصحيحيْنِ » ، قال شيخنا في تهذيبه[٥] : ولم أقف على ذلك . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي[٦] : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا الحسن بن علي بن عفان[٧] العامريّ ، حدّثنا أبو أُسامة ، حدّثنا محمد بن عمرو عن أبي سَلَمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب ، عن أسامةَ بن زيد ، عن زيد بن حارثة ، قال : كان صنمٌ من نُحاسٍ يُقال له : إسَاف ونائلةُ[٨] ، يتمسَّحُ به المشركون إذا طافوا . فطاف رسولُ الله ﷺ وطُفْتُ معه ، فلما مررْتُ مسحتُ به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تمسَّه » . قال زيد : فطُفْنا ، فقلت في نفسي : لأمسَّنَّه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ألم تُنْهَ » ؟ قال البيهقي : زاد [فيه][٩] غيره عن

---

(١) في ح ، ط : رعاء غنم أهلها ، والمثبت من الدلائل وسيرة ابن إسحاق .
(٢) ما بين معقوفين من الدلائل وسيرة ابن إسحاق .
(٣) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الدلائل (١٢٨) (ط عبد البر عباس ١٤٠٦هـ) بطرق مختلفة عن محمد بن إسحاق به . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٨٨ ، ٨٩) وفيه : قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات وسبل الهدى (٢/ ٩٩ ، ١٠٠) .
(٤) الثقات لابن حبان (٩/ ٨٢) .
(٥) هو تهذيب الكمال للمزي ، (٢٥/ ٥٣٣) والتعليق عليه .
(٦) في الدلائل (٢/ ٣٤) .
(٧) في ح : عباس وهو تصحيف ، والمثبت من ط ودلائل البيهقي .
(٨) في دلائل البيهقي : إساف أو نائلة . وهو أشبه بالصواب . وانظر المحبّر (ص٣١١) .
(٩) ما بين معقوفين من دلائل البيهقي .

محمد بن عمرو بإسناده : قال زيد : فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم صنماً [قطُّ][٧] حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه[١] .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لِبَحِيرى حين سأله باللاتِ والعُزَّى : « لا تسألْني بهما فوالله ما أبغضتُ شيئاً بُغْضَهُما »[٢] .

فأما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي[٣] : أخبرنا أبو سعد المَالِيني ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدِيٍّ الحافظ ، حدّثنا إبراهيم بن أسْباط ، حدّثنا عثمان بن أبي شَيبة ، حدّثنا جَرير ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل[٤] ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان النبيُّ ﷺ يشهدُ مع المشركين مشاهدَهم ، قال : فسمع مَلَكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهبْ بنا حتى نقومَ خلف رسولِ الله ﷺ . قال : كيف نقومُ وإنما عَهْدُه باستلام الأصنام قُبيل ؟ قال : فلم يَعُدْ بعد ذلك أن يشهدَ مع المشركين مشاهدَهم . فهو حديثٌ أنكره غيرُ واحدٍ من الأئمة على عثمانَ بن أبي شَيبة حتى قال الإمام أحمد فيه : لم يكنْ أخوهُ يتلفَّظ بشيءٍ من هذا[٥] .

وقد حكى البيهقي عن بعضهم[٦] أنَّ معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام ، وذلك قبلَ أن يُوحى إليه والله أعلم .

وقد تقدَّم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهودَ مَشَاهِدِ المشركين حتى أكرمه الله برسالته[٧] .

وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمُزْدَلِفَةِ ليلةَ عَرَفة ، بل كان يقف مع الناس بعَرَفات ، كما قال يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق : حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان ، عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه جُبير ، قال : لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو على دين قومه ، وهو يقفُ على بعيرٍ له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي[٨] : معنى قوله : على دين قومه : ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

---

(١) وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٨٩) .
(٢) انظر ص٧١ من هذا الجزء .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥) .
(٤) في ح ، ط : محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل . وهو تحريف ، والمثبت من دلائل البيهقي وترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ١٣) وهو ابن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني .
(٥) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٨٧٧) عن عثمان بن أبي شيبة به ، وذكره ابن حجر في المطالب (٤٢٦١) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٣ و٨/ ٢٢٦) .
(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٣٦) .
(٧) حديث زيد بن حارثة في الصفحة السابقة .
(٨) في دلائل النبوة (٢/ ٣٧) وما بين معقوفين منه .

[في حَجِّهم ومناكحهم وبيوعهم] ، ولم يُشْرِكْ بالله قطّ ، صلواتُ الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويُفهم من قوله هذا أيضاً ، أنه كان يقفُ بعَرَفات قبل أنْ يُوحى إليه . وهذا توفيق من الله له .

ورواه الإمام أحمد[١] عن يعقوب ، عن محمد بن إسحاق به . ولفظُه : رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه وإنه لواقفٌ على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم [منها][٢] توفيقاً من الله .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا سفيان ، عن عمرو ، عن[٤] محمد بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه قال : أضْلَلْتُ بعيراً لي بعرفة ، فذهبتُ أطلبُه ، فإذا النبيُّ ﷺ واقف ، فقلتُ : إنَّ هذا من الحُمس[٥] ، ما شأنُه هاهنا ؟ وأخرجاه[٦] من حديث سُفيان بن عُيينة به .

ذكْرُ شهودِهِ عليه الصّلاة والسّلام حربَ الفِجَار

قال ابن إسحاق[١] : هاجت حربُ الفِجَار ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنة ، وإنما سُمِّي يومَ الفِجار ، بما استحلّ فيه هذانِ الحيَّان ـ كنانة وقيس عَيْلان ـ من المحارم بينهم . وكان قائدَ قريشٍ وكنانة حَرْبُ بنُ أُميَّة بن عبد شمس . وكان الظَّفَر في أولِ النهار لقيس على كِنَانة ، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانةَ على قيس .

وقال ابن هشام[٨] : فلما بلغ رسولُ الله ﷺ أربعَ عشرةَ سنةً ـ أو خمسَ عشرةَ سنة ـ فيما حدّثني أبو عُبيدة النَّحْوي عن أبي عمرو بن العلاء : هاجَتْ حربُ الفِجار بين قريشٍ ومن معها من كِنانة ، وبين قيس عيلان ، وكان الذي هاجها أنَّ عُروة الرَّحَّال بن عُتْبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن

(١) في مسنده (٤/ ٨٢) .
(٢) ما بين معقوفين من مسند الإمام أحمد . ودفع من عرفات : أي ابتدأ السير ودفع نفسه منها . النهاية (٢/ ١٢٤ دفع) .
(٣) في مسنده (٤/ ٨٠) .
(٤) في مسند أحمد : عن عمرو بن محمد بن محمد بن جبير بن مطعم . وهو تحريف ، وعمرو هذا هو عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي ، وروايته عن محمد بن جبير ، ورواية سفيان عنه ثابتة في تهذيب التهذيب في ترجمتهما .
(٥) « الحُمْس » : جمع الأحْمَس : وهم قريش ، ومَنْ ولدَتْ قريش ، وكنانة ، وجَدِيلة قيس ، سُمُّوا حُمساً لأنهم تحمَّسُوا في دينهم : أي تشددوا . والحماسة : الشجاعة ، كانوا يقفون بمُزْدَلِفة ولا يقفون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . النهاية (١/ ٤٤٠) (حمس) .
(٦) يعني البخاري ومسلم في صحيحيهما ؛ فتح الباري (١٦٦٤) الحج باب الوقوف بعرفة ، وصحيح مسلم (١٥٣ ـ ١٢٢٠) (١٥٣) الحج باب الوقوف وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ .
(١) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٨٦) .
(٨) في السيرة (١/ ١٨٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجارَ[١] لَطِيمةً ـ أي تجارةً[٢] ـ للنعمان بن المنذر ، فقال [لَهُ] البَرَّاضُ بن قيس ـ أحدُ بني ضَمْرَة بن بكر بن عبدِ مناة بن كِنانة ـ أتجيزُها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق . فخرج فيها عُروة الرَّحَّال ، وخرج البَرَّاض يطلبُ غَفْلَته ، حتى إذا كان بتَيْمن ذي طَلاَّل[٣] بالعالية غفَل عُروة ، فوثب عليه البَرَّاضُ فقتلَهُ في الشهر الحرام ، فلذلك سُمِّي الفِجَار ، وقال البَرَّاض في ذلك :

[من الوافر]

وداهيــةٍ تَهُــمُّ النــاسَ قَبْلــي   شدَدْتُ لها بني بَكْرٍ ضلوعي
هدمتُ بها بيوتَ بني كلابٍ   وأرْضعتُ المواليَ بالضروعِ
رفعـتُ لـه بـذي طَـلاَّلَ كَفِّـي   فَخَرَّ يَميدُ كالجِذْعِ الصَّرِيعِ[٤]

وقال لَبِيدُ بن رَبيعةَ بن مالك بن جعفر بن كلاب : [من الوافر]

وأبْلِغْ ـ إنْ عرضتَ ـ بني كلابٍ   وعـامـرَ والخُطُوبُ لهـا مَـوَالـي
وأبْلِغْ ـ إنْ عرضتَ ـ بني نُمَيْرٍ   وأخــوالَ القَتيــلِ بنــي هِــلالِ
بـأنَّ الـوافِـدَ الـرَّحَّـالَ أمْسَـى   مُقيمـاً عنـدَ تَيْمـنَ ذي طَـلالِ[٥]

---

(١) في ح : أجار والمثبت من ط ومصادر تخريجه ، وقد ورد في المحبَّر (ص ١٩٦) بالزاي المعجمة فأثبتها مصححاه بالراء المهملة ، وتبعهما محققو سيرة ابن هشام في ذلك (١/ ١٨٤) على الرغم من تظاهر الأصول في إعجامها كما في الأغاني (٢٢/ ٥٧) (ط دار الكتب) وجاء في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٢/ ٣١٢) : « . . . فطلب لها النعمان من يجيزها إلى عكاظ ليشتري له بثمنها طرائف اليمن . . . » وفي مجمع الأمثال للميداني (٢٨١٨) : « وكان النعمان يبعث إلى عكاظ بلطيمة كل عام تباع له هناك فقال : من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يقدمها عكاظ ؟ » وكذا في المستقصى (١/ ٢٦٥ ، ٢٦٦) (١١٢٢) والكامل لابن الأثير (١/ ٥٩٠) وفي التاج (برض) (ط الكويت) : ثم قدم [يعني البراض] على النعمان وسأله أن يجعله على لطيمة يريد أن يبعث بها إلى عكاظ . وفي اللسان (جوز) : أجازه : أنفذه وجوَّز لهم إبلهم : إذا قادها حتى تجوز « والمجيز » : العبد المأذون له في التجارة.

(٢) في النهاية (٤/ ٢٥١) (لطم) : « واللطيمة » : الجمال التي تَحْمل العِطْر والبَزّ ، غير الميرة .

(٣) سيأتي تعريفه في التعليق على أبيات لبيد الآتي ذكرها .

(٤) الأبيات مع الخبر في السيرة لابن هشام كما تقدم ، والأغاني (٢٢/ ٥٨) ومعجم البلدان (٤/ ٦١ ، ظلال) والروض الأنف (٢/ ٢١٠) وفيه : وألحقت الموالي بالضروع . جمع ضرع ، هو في معنى قولهم لئيم راضع ، أي : ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع ، وأظهرت فسالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم .

(٥) أبيات لبيد في ديوانه (ص٢٧٦) وسيرة ابن هشام كما تقدم ، والأغاني (٢٢/ ٥٨) عدا الثاني ، ومعجم البلدان (٤/ ٦١ ، ٦٢) (ظلال) و ـ وكذا في الديوان ـ (٢/ ٦٨ تيمن) عدا الثاني ، وفيه : تيمن ذي ظلال : واد إلى جنب فدك في قول بعضهم ، والصحيح أنه بعالية نجد . والروض الأنف (١/ ٢١٠) وفيه : تيمن : بكسر الميم وفتحها ، ولم يصرفه لوزن الفعل والتعريف ، وعلق ياقوت على الأبيات بقوله : في هذا عدة اختلافات [يعني طلال] بعضهم يرويه بالطاء المهملة ، وبعضهم يرويه بتشديد اللام والظاء المعجمة ، وقد حكيناه عن السهيلي ، وبعضهم يرويه بتخفيف اللام والظاء المعجمة ، وأكثرهم قال : هو اسم موضع ، وقال قوم في قول البراض : إن ذا ظلال اسم سيفه ، قال السهيلي : وإنما خففه لبيد وغيره ضرورة . . . وقد اختار ياقوت إعجام الظاء وقواه .

قال ابن هشام[١] : فأتى آتٍ قريشاً فقال : إنَّ البرَّاضَ قد قتل عُرْوَةَ ، وهو[٢] في الشهر الحرام بعُكاظ ، فارتحلوا وهَوَازنُ لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر ، فاتبعوهم فأدركوهم قبلَ أنْ يدخُلوا الحَرَم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، فدخلوا الحرم ، فأمسكت هَوَازنُ عنهم ، ثم التقَوْا بعد هذا اليوم أياماً ، والقومُ متساندون[٣] على كلِّ قَبيلٍ من قريش وكِنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كلِّ قبيلٍ من قيس رئيسٌ منهم .

قال : وشهد رسولُ الله ﷺ بعضُ[٤] أيامَهم . أخرجه أعمامُه معهم . وقال رسولُ الله ﷺ : « كنتُ أُنَبِّل على أعمامي » أيْ أرُدُّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رمَوْهم بها[٥] .

قال ابنُ هشام[٦] : وحديثُ الفِجار أطولُ ممَّا ذكرت ، وإنما منعني من استقصائه قَطْعُه حديثَ سيرةِ رسولِ الله ﷺ .

وقال السُّهيلي[٧] : والفِجار ، بكسر الفاء على وزن قِتال . وكانت الفِجَارات في العرب أربعة ذكرهنَّ المسعودي[٨] . وآخرهن ، فِجَار البَرَّاض هذا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شَمْطَة[٩] ، ويوم العبلاء ، وهما عند عُكاظ ، ويوم الشَّرِب[١٠] ـ وهو أعظمُها يوماً ـ وهو الذي حضَرَهُ رسولُ الله ﷺ وفيه قَيَّدَ رئيسُ قريشٍ وبني كنانة ـ وهو حَرْبُ بن أمية ـ وأخوهُ سفيان أنفسَهما لئلا يَفِرَّا[١١] . وانهزمتْ يومئذٍ قيس إلا بني نصر[١٢] فإنهم ثبتوا . ويوم الحُرَيْرَة عند نخلة[١٣] .

ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ ، فلما توافَوْا الموعد ركب عُتْبَةُ بنُ ربيعة جملَه ونادى :

---

(١) في السيرة (١/ ١٨٦) .
(٢) في السيرة : وهم .
(٣) « متساندون » : أي لم يجتمعوا على راية واحدة ، كل بني أب على راية ، ولم يكونوا تحت راية أمير واحد . اللسان (سند) .
(٤) كذا في ح وفي ط والسيرة : بعض .
(٥) وفي النهاية (٥/ ١٠ ، نبل) : يقال : نَبَّلْتُ الرجل ، بالتشديد ، إذا ناولته النبل ليرمي .
(٦) في السيرة (١/ ١٨٧) وفي ط بزيادة : « طويل هو » ليست في ح ولا في السيرة .
(٧) في الروض (١/ ٢٠٩ و٢١١) على خلاف في اللفظ .
(٨) انظر مروج الذهب (٢/ ٢٧٧) .
(٩) « شَمْطة » : رواه الأزهري بالظاء المعجمة ، كما في معجم البلدان (شمطة ، ٣/ ٣٦٣) .
(١٠) « الشرب » : موضع قرب مكة ، وبه كانت وقعة الفجار العظمى . معجم البلدان (شرب ، ٣/ ٣٣٢) .
(١١) في الروض : وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا ، فسُمُّوا العنابس . وكذا في معجم البلدان (شرب) .
(١٢) وقع في ط والروض بالضاد المعجمة ، وهو تصحيف ، وهم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، من قيس .
(١٣) « الحريرة » : كأنه تصغير حرة ، موضع بين الأبواء ومكة ، قرب نخلة . قاله ياقوت في معجم البلدان (حريرة ، ٢/ ٢٥٠) .

يا معشر مُضَر ، على ما[١] تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح . قالوا : وكيف ؟ قال نَدِي[٢] قتلاكم ونرهنكم رهائنَ عليها ، ونعفو عن دِياتنا . قالوا : ومَنْ لنا بذلك ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال عُتْبَةُ بنُ ربيعة . فوقع الصلح على ذلك ، وبعثوا إليهم أربعينَ رجلاً ، فيهم حَكيم بن حِزام فلما رأتْ بنو عامر بن صَعْصَعة الرهن في أيديهم عفوا عن دمائهم[٣] وانقضتْ حرب الفجار .

وقد ذكر الأمَويُّ حروبَ الفِجَار وأيامَها واستقصاها مطوّلًا فيما رواه عن الأثرم ، وهو المغيرة بن علي ، عن أبي عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى ، فذكر ذلك .

فصــل

في شهودهِ عليه [الصلاة] والسلام حلف الفضول

قال الحافظ البيهقي[٤] : أخبرنا أبو سَعْد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدِي الحافظ[٥] ، حدّثنا يحيى بن علي بن هاشم الخفَّاف ، حدَّثنا أبو عبد الرحمن الأذْرَمي ، حدَّثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهْري ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه ، [عن عبد الرحمن بن عوف] قال : قال رسول الله ﷺ : « شهدتُ مع عمومتي حِلْفَ المُطَيَّبين ، فما أُحِبُّ أنْ أنْكُثَه ـ أو كلمة نحوها ـ وأنَّ لي حُمْرَ النَّعَم » .

قال : وكذلك رواهُ بشرُ بن المفضل عن عبد الرحمن[٦]

قال[٧] : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، حدّثنا أبو عمرو بن مطر ، حدّثنا أبو بكر بن أحمد بن داود السِّمناني ، حدّثنا مُعَلَّى بن مهدي ، حدّثنا أبو عَوَانة عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما شهدتُ حِلْفاً لقريشٍ إلا حِلْفَ المَطَيَّبين ، وما أُحِبُّ أنَّ لي حُمْرَ النَّعَم وأني كنتُ نقَضْتُه » . قال : والمطيَّبون : هاشم ، وأُمَيَّة ، وزُهْرَة ، ومَخْزُوم .

قال البيهقي[٤] : كذا روي هذا التفسير مُدْرَجاً في الحديث ، ولا أدري قائله ؛ وزعم بعضُ أهلِ السير أنه أراد حِلْفَ الفُضُول ، فإنَّ النبيَّ ﷺ لم يُدْرِكْ حلفَ المطيَّبين .

---

(١) إثبات ألف ما جائز في لغة بعض العرب . انظر الخزانة (٦/ ٩٩) (٢/ ٢٣٨) . وفي ط والروض : علام بحذفها .

(٢) « ودى القتيل » : أعطى أولياءه حقه . اللسان (ودي) .

(٣) في ط : دياتهم .

(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٣٧ ، ٣٨) وما سيأتي بين معقوفين منه ومن الكامل لابن عدي .

(٥) والحديث في الكامل في الضعفاء لابن عدي (٤/ ١٦١٠) أورده في ترجمة عبد الرحمن بن إسحاق .

(٦) وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٩٠ و١٩٣) عن بشر بن المفضل عن عبد الرحمن به ، وأبو يعلى الموصلي رقم (٨٤٥) وهو حديث صحيح .

(٧) يعني البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٨) .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أنَّ قريشاً تحالفوا بعد موت قُصَيّ ، وتنازعوا في الذي كان جعله قُصَيٌّ لابنه عبد الدار ، من السِّقاية ، والرِّفادة ، واللواء ، والندوة ، والحِجابة ، ونازعهم فيه بنو عبد مناف . وقامت مع كُلِّ طائفةٍ قبائلُ من قريش ، وتحالفوا على النُصْرة لحِزْبهم ، فأحضر أصحابُ بني عبد مناف جَفْنَةً فيها طيب ، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا ، فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة[١] فسُمُّوا المُطَيَّبين كما تقدَّم ، وكان هذا قديماً ، ولكنَّ المُرَاد بهذا الحِلْف حلف الفُضُول ، وكان في دارِ عبد الله بن جُدْعان كما رواه الحُميدي عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الله ، عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر[٢] ، قالا : قال رسولُ الله ﷺ : « لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفاً لو دُعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردُّوا الفُضُول على أهلها وألَّا يعدّ[٣] ظالمٌ مظلوماً » .

قالوا : وكان حلفُ الفُضول قبل المَبْعَثِ بعشرين سنة ، في شهر ذي القعدة ، وكان بعد حرب الفِجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة . وكان حلف الفُضول أكرمَ حلفٍ سُمع به ، وأشرفَهُ في العرب ، وكان أول مَنْ تكلَّم به ودعا إليه الزُّبير بن عبد المطَّلب ، وكان سببُه أنَّ رجلاً من زُبيد قدِمَ مكَّة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصُ بنُ وائل[٤] ، فحبس عنه حقَّه ، فاستعدَى عليه الزُّبيديُّ الأحلافَ : عَبْدَ الدار ومخزوماً وجُمَح وسهماً وعَدِيَّ بن كعب ، فأبَوْا أنْ يُعينوا على العاص بن وائل ، وزَبَرُوه ـ أي : انتهروه ـ فلمَّا رأى الزُّبيدي الشرّ ، أوفى على أبي قُبَيْس[٥] عند طلوع الشمس ، وقريش في أنديتهم حول الكعبة ، وأنشد[٦] : [من البسيط]

يـا آلَ فِهْـرٍ لمظلـومٍ بضـاعتـه ... ببطـنِ مكـة نـائـي الـدارِ والنَّفَـرِ
ومُحْرِمٍ أشْعَثٍ لم يقضِ عُمْرَتَه ... يا للرِّجالِ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
إنَّ الحـرامَ لِمَـنْ تمَّـتْ كـرامتُـه ... ولا حـرامَ لثـوبِ الفـاجـرِ الغَـدِرِ

فقام في ذلك الزُّبير بن عبد المطَّلب وقال : ما لهذا مُتَّرَك ؟ فاجتمعتْ هاشمٌ وزُهْرَة وتَيم بنُ مُرَّة في دار عبد الله بنِ جُدْعان ، فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذي القَعْدَة ، في شهرٍ حَرَام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلومِ على الظالم ، حتى يُؤَدَّى إليه حقُّه ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً[٧] ، وما رَسَا ثَبِيرٌ

---

(١) في ط : بأركان البيت .
(٢) في ح : عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبي بكر . والمثبت من ط والروض (١/ ١٥٥) وسيأتي بسياق مختلف (ص٨٥) .
(٣) كذا في ح ، ط وفي الروض : يعز بالزاي المعجمة . قلت : لعله من الوعد والوعيد بالشر ، انظر اللسان (وعد) .
(٤) زاد السهيلي في الروض (١/ ١٥٦) وكان ذا قدر بمكة وشرف .
(٥) « أبو قبيس » : جبل مشرف على مسجد مكة معجم البلدان (قبيس ، ٤/ ٣٠٨) .
(٦) كذا في ح وفي ط : فنادى بأعلى صوته . وفي الروض : فصاح بأعلى صوته . والأبيات فيه .
(٧) يعني إلى الأبد ، وهذا القول من أمثالهم ، ساقه الجاحظ في الحيوان (٤/ ٤٧٠) والبيان والتبيين (٣/ ٧) والزمخشري=

وحِرَاء مكانَهما[١] ، وعلى التأسِّي في المَعاش . فسمَّتْ قُريش ذلك الحِلْف حِلْف الفُضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فصلٍ من الأمر . ثم مشَوْا إلى العاص بن وائل ، فانتزعوا منه سِلْعَةَ الزُّبيديّ ، فدفعوها إليه . وقال الزُّبير بنُ عبد المطَّلب في ذلك : [من الوافر]

حلفتُ لَنعقدَنْ حِلْفاً عليهم ... وإنْ كُنَّا جميعاً أهلَ دارِ
ونُسْميهِ[٢] الفُضُولَ إذا عَقدْنا ... يَعزُّ بهِ الغريبُ لَدَى الجِوارِ[٣]
ويَعْلَمُ من حَوالَى البيتِ أنَّا ... أبَاةُ الضَّيمِ نمنعُ كلَّ عارِ

وقال الزُّبير أيضاً : [من الكامل]

إنَّ الفُضولَ تعاقدوا وتحالفوا ... ألَّا يُقيمَ بِبَطْنِ مكَّةَ ظالمُ
أمْرٌ عليهِ تعاقَدوا وتواثقوا ... فالجارُ والمُعْتَرُّ فيهم سالمُ[٤]

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث : إنَّ رجلاً من خَثْعَم قدِم مكةَ حاجّاً أو مُعْتَمِراً ، ومعه ابنةٌ له ، يقال لها : القَتُول من أوضَأ نساءِ العالمين ، فاغتصبها منه[٥] نُبَيْهُ بن الحجَّاج وغيَّبها عنه ، فقال الخثعمي : من يُعْدِيني على هذا الرجل ؟ فقيل له : عليك بحِلْف الفضول . فوقف عند الكعبة ونادى : يا لَحِلْفِ الفُضول . فإذا هم يُعْنِقُونَ إليه[٦] من كل جانب ، وقد انتضَوْا أسيافَهم يقولون : جاءك الغَوْث ، فمالكَ ؟ فقال : إنَّ نُبيهاً ظلمني في بنتي وانتزعها مني قَسْراً ، فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج إليهم ، فقالوا له : أخرجِ الجاريةَ ويحك ، فقد علمتَ من نحن ، وما تعاقدنا عليه . فقال : أفعل، ولكن مَتِّعوني بها الليلة . فقالوا : لا والله ولا شَخْبَ لِقْحَة[٧] . فأخرجها إليهم وهو يقول : [من الخفيف]

راحَ صَحْبي ولم أُحَيِّ القَتُولا ... لم أُوَدِّعْهُمْ وَداعاً جميلاً
إذْ أجَدَّ الفضُول أن يمنعوها ... قد أراني ولا أخافُ الفضُولا[٨]

= في الأساس (صوف) والمستقصى (٢/ ٢٤٦) والميداني في مجمع الأمثال (٢/ ٢٣٠) وجاء في اللسان (صوف) : وصوف البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني، واحدته صوفة؛ ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة.

(١) « ثبير وحراء » : جبلان معروفان من جبال مكة ، معجم البلدان .

(٢) في ط والروض : نُسَمِّيه .

(٣) في ح ، ط : لذي الجوار ، والمثبت من الروض .

(٤) «المعترّ»: الفقير، والمتعرِّض للمعروف من غير أن يسأل. اللسان (عرر). والأبيات في الروض (١/ ١٥٦ ، ١٥٧).

(٥) ليست اللفظة في ح .

(٦) أي أتوا يهرعون إليه مسرعين . ومنه حديث أصحاب الغار « فانفرجت الصخرة فانطلقوا معانقين » أي : مسرعين ، من عانق مثل أعنق إذا سارع وأسرع . النهاية (٣/ ٣١٠) (عنق) .

(٧) « اللّقْحة » : الناقة الحلوب ، غزيرة اللبن ؛ والشخب : ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة ، وصوت اللبن عند الحلب . اللسان والتاج (لقح ، شخب) يعني : ولا مقدار هذه الغمزة للضرع .

(٨) في ح : إذا وجد الفضول . والمثبت من ط والروض .

لا تخالي أنِّي عَشِيَّة راحَ الرَّكْـ ـبُ هُنتم عليَّ أنْ لا يَزُولا[١]

وذكر أبياتاً أُخر غيرَ هذه .

وقد قيل : إنما سُمِّي هذا حِلْفَ الفُضول لأنه أشبه حلفاً تحالفَتْهُ جُرْهُم على مثل هذا ، منْ نَصْرِ المظلوم على ظالمه ، وكان الداعي إليه ثلاثةٌ من أشرافهم ، اسمُ كُلِّ واحدٍ منهم فَضْل ، وهم : الفضل بن فَضَالة ، والفضل بن وَدَاعة ، والفضل بن الحارث[٢] . هذا قولُ ابن قتيبة . وقال غيره : الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة[٣] . وقد أوردَ السُّهَيلي هذا رحمه الله .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[٤] : وتداعتْ قبائلُ من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا[٥] إلى دار عبدِ الله بن جُدْعان لشرفه وسِنِّه ، وكان حلفُهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطَّلب[٦] وأسد بن[٧] عبد العُزَّى ، وزُهْرَة بن كلاب ، وتَيْم بن مُرَّة . فتعاهدوا وتعاقدوا على أنْ لا يجدوا بمكَّةَ مظلوماً من أهلها وغيرهم[٨] ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا[٩] معه ، وكانوا على مَنْ ظلمه حتى يرُدَّ اللهُ عليه مظلمته ، فسمَّتْ قريش ذلك الحلف حلفَ الفُضول .

قال محمد بن إسحاق[١٠] : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ التَّيْمي ، أنه سمع طَلْحَة بن عبد الله بن عَوْف الزُّهْريَّ يقول : قال رسول الله ﷺ : « لقد شهدتُ في دارِ عبد الله بن جُدْعان حِلْفاً ما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم ، ولو أُدْعى به في الإسلام لأَجبت » .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادِ اللَّيْثي ، أنَّ محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي[١١] ، حدثه أنه كان بين الحُسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفْيان ـ والوليدُ يومئذٍ أمير المدينة ، أَمَّرَهُ عليها عمُّه معاوية بن أبي سفيان ـ منازعةٌ في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة[١٢] ، فكان الوليد تحاملَ على الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلفُ بالله لتنصفَنِّي

---

(١) في الروض : ألا أقولا . والأبيات فيه (١/ ١٥٧) .
(٢) في الروض : فُضيل بن الحارث . والمثبت من ح ، ط واللسان (حلف) .
(٣) في الروض : فُضيل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة .
(٤) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٣) والروض الأنف (١/ ١٥٥) .
(٥) كذا في ح وفي ط وسيرة ابن هشام : فاجتمعوا له في دار عبد الله .
(٦) في ح ، ط : وبنو عبد المطلب ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
(٧) في ط : وبنو أسد ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .
(٨) في ح ، ط : وغيرها ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
(٩) في السيرة والروض ؛ قاموا معه . وهو أشبه بالصواب .
(١٠) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٤) والروض الأنف (١/ ١٥٥) .
(١١) ليست اللفظة في ح .
(١٢) « ذو المروة » : قرية بوادي القرى ، وقيل : بين خُشُب ووادي القرى . معجم البلدان (مرو) (٥/ ١١٦) .

من حَقِّي أو لآخذنَّ سيفي ، ثم لأقومنَّ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ثم لأدعوَنَّ بحِلْفِ الفُضول . قال : فقال عبد الله بن الزُّبير ـ وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال ـ : وأنا أحلف بالله ، لئن دعا به لآخذنَّ سيفي ثم لأقومنَّ معه حتى يُنصَف من حقِّه أو نموتَ جميعاً . قال : وبلغتِ المِسْوَرَ بن مَخْرَمَة بنِ نوفل الزُّهْري ، فقال له مثل ذلك ، وبلغتْ عبدَ الرحمن بن عثمان بن عبيد الله[١] التَّيْمي فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليدَ بنَ عُتْبة أنصف الحسين من حقِّه حتى رَضِيَ .

فصـــل
في تزويجهِ عليه الصلاة والسلام خديجةَ بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ

قال ابن إسحاق[٢] : وكانت خَديجةُ بنتُ خُوَيلد امرأةً تاجرة ذاتَ شرفٍ ومال ، تستأجرُ الرجالَ على مالها مضاربةً[٣] ، فلما بلغها عن رسولِ الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعِظم أمانته ، وكَرَم أخلاقه ، بعثتْ إليه فعرضَتْ عليه أن يخرُج لها في مالٍ تاجراً إلى الشام ، وتعطيَهُ أفضلَ ما تُعطي غيرَهُ من التجار ، مع غلامٍ لها يقال له : مَيْسَرة ، فقبِلَهُ رسولُ الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معها غلامُها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسولُ الله ﷺ في ظِلِّ شجرةٍ قريباً من صَوْمعةِ راهبٍ من الرُّهْبان ، فاطَّلعَ الراهبُ إلى مَيْسَرة ، فقال : من هذا الرجلُ الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجلٌ من قريش ، من أهل الحَرَم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيّ .

ثم باعَ رسولُ الله ﷺ سِلْعَته ـ يعني تجارته ـ التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتريَ . ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان مَيْسَرةُ ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرةُ واشتدَّ الحرّ ، يرى ملَكَيْن يُظلاَّنِهِ من الشمس وهو يسير على بعيره؛ فلما قدم مكة على خَدِيجة بمالها باعتْ ما جاء به، فأضعف أو قريباً، وحدَّثها ميسرةُ عن قول الراهب ، وعمَّا كان يرى من إظلال الملَكَيْن إياه . وكانت خديجةُ امرأةً حازمةً شريفةً لَبيبة، مع ما أراد اللهُ بها من كرامتها[٤] . فلما أخبرها ميسرةُ ما أخبرها ، بعثَتْ إلى رسولِ الله ﷺ فقالت له ـ فيما يزعمون ـ يا بنَ عم، إني قد رغبتُ فيك لقرابتك وسِطَتِكَ[٥] في قومك، وأمانتك، وحُسْن خلقك، وصِدْق

(١) في ح : عبد الله ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض ، وعبد الرحمن هذا ، هو ابن أخي طلحة بن عبد الله كما في الإصابة .

(٢) في سيرة ابن إسحاق (ص٥٩) بألفاظ مقاربة، وانظره أيضاً في سيرة ابن هشام (١/ ١٨٧ ، ١٨٨) والروض (١/ ٢١٢).

(٣) زاد في السيرة : بشيء تجعله لهم ، والمضاربة أن تعطي مالاً لغيرك يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح . وهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة . اللسان (ضرب) .

(٤) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض : كرامته .

(٥) في سيرة ابن إسحاق : لقرابتك وشرفك في قومك وسطتك فيهم . والسِّطة : من وسط في حَسَبه : إذا حلّ في أكرمه ، فهو وسيط : إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً . اللسان (وسط) وفسر السهيلي بقوله : فلان أوسط القبيلة : أعرفها وأولاها بالصحيح .

حديثك. ثم عرضتْ نفسها عليه؛ وكانتْ أوسطَ نساءِ قريش نَسباً، وأعظمهنَّ شرفاً، وأكثرهنَّ مالًا. كلُّ قومِها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدِرُ عليه. فلما قالت ذلك لرسولِ الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمُّه حمزة حتى دخل على خُويلد بن أسَد، فخطَبَها إليه، فتزوَّجها عليه الصلاة والسلام.

قال ابن هشام[1]: فأصْدَقَها عشرين بَكْرَةً[2]، وكانتْ أوَّلَ امرأةٍ تزوَّجها، ولم يتزوَّجْ عليها غيرَها حتى ماتت.

قال ابن إسحاق[3]: فولدتْ لرسولِ الله ﷺ ولَدَهُ كُلَّهم إلا إبراهيم: القاسم ـ وبه كان يُكْنى ـ والطَّيِّب، والطاهر[4]، وزينب، ورُقَيَّة، وأم كُلْثُوم، وفاطمة.

قال ابن هشام[5]: أكبَرُهم القاسم، ثم الطَّيِّب، ثم الطاهر، وأكبر بناته رُقَيَّة، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة.

قال البيهقي[6] عن الحاكم: قرأتُ بخطِّ أبي بكر بن أبي خَيْثَمة، حدَّثنا مُصْعَبُ بن عبد الله الزُّبيري قال[7]: أكبر ولدِهِ عليه الصلاة والسلام القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله، وبلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال: خمسين، وهو أصح.

وقال غيره: بلغ القاسم أن يركبَ الدابَّةَ والنَّجيبة، ثم مات بعد النبوَّة.

وقيل: مات وهو رضيع، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ له مُرْضعاً في الجنة يستكمل رضاعه»[8] والمعروف أنَّ هذا في حقِّ إبراهيم.

---

(١) في السيرة (١/ ١٩٠).
(٢) «البَكْر»: الفتي من الإبل، بمنزلة الغلام من الناس، والأنثى بَكْرَة. اللسان (بكر).
(٣) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن إسحاق (ص٦١) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٠) والروض (١/ ٢١٤).
(٤) سياق ابن إسحاق وابن هشام يدل على أن الطاهر والطيب اثنان، وهذا خلاف ما ذهب إليه النسابون. قال ابن الكلبي في جمهرة النسب (ص١٢٥، ١٢٦) فولد النبي ﷺ: القاسم، وعبد الله، وهو الطيب، وهو الطاهر، اسم واحد، لأنه ولد بعدما أوحي إليه. وفي هامش أصل الجمهرة فائدة: الطيب والطاهر اسم ولد واحد، لأنه ولد بعد الوحي. وبنحو هذا سياق ابن حزم في جمهرة الأنساب (ص١٦) وبنحوه أيضاً عند السهيلي في الروض (١/ ٢١٤) وانظر زاد المعاد (١/ ١٠٣) وقول الزبير الآتي.
(٥) في السيرة (١/ ١٩٠).
(٦) في دلائل النبوة (٣/ ٧٠).
(٧) انظر نسب قريش لمصعب (ص٢١).
(٨) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٤٣٠، ٤٣١) وفي الحاشية، أخرجه البخاري عن سليمان بن حرب (٧٨) كتاب الأدب (١٠٩) باب من سمى بأسماء الأنبياء الحديث رقم (٦١٩٥) فتح الباري (١٠/ ٥٧٧) وفي الجنائز عن أبي الوليد. وأورده البيهقي أيضاً في (٧/ ٢٨٩) يرويه في حق إبراهيم ويقول لما مات إبراهيم، قال رسول الله ﷺ.

وقال يونس بن بكير : حدّثنا إبراهيمُ بن عثمان عن القاسم عن ابن عباس قال : وَلَدَتْ خَديجة لرسول الله ﷺ : غلامَيْن وأربعَ نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كُلثوم ، وزينب ، ورُقَيَّة .

وقال الزُّبير بن بكّار : عبد الله هو الطَّيِّب وهو الطاهر ، سُمِّي بذلك لأنه وُلد بعد النبوَّة ، فماتوا قبل البعثة ، وأمَّا بناتُه فأدركْنَ البعثة ، ودخلْنَ في الإسلام وهاجرْنَ معه ﷺ .

قال ابن هشام[١] : وأمَّا إبراهيم فمن ماريَةَ القِبْطِيَّة التي أهداها له المُقَوْقِسُ صاحبُ إسْكندرية ، من حَفْن ، من كورة ، أَنْصِنا[٢] .

وسنتكلَّمُ على ذِكر زوجاته وأولادِه عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام[٣] : وكان عُمُر رسولِ الله ﷺ حين تزوَّج خَديجة خمساً وعشرين سنة ، فيما حدَّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المدني . وقال يعقوبُ بن سفيان : كتبتُ عن إبراهيم بن المنذر ، حدّثني عمر بن أبي بكر المَوْصِلي[٤] ، حدّثني غيرُ واحدٍ أنَّ عمرو بن أسد زوَّج خديجة من رسولِ الله ﷺ وعمرُه خمسٌ وعشرون سنة وقريش تبني الكعبة .

وهكذا نقل البيهقيُّ عن الحاكم ، أنه كان عمرُ رسولِ الله ﷺ حين تزوَّج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها إذْ ذاك خمساً وثلاثين ـ وقيل : خمساً وعشرين سنة ـ وقال البيهقي[٥] :

باب
ما كان يشتغلُ به رسولُ الله ﷺ قبل أن يتزوَّج خديجة

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدّثنا سويد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن يحيى[٦] بن سعيد القرشي ، عن جدِّه سعيد ، عن أبي هريرة قال : قال

---

(١) في السيرة (١/ ١٩١) .

(٢) « حَفْن » : قرية من قرى صعيد مصر . وأنْصنا : كورة من كور مصر ، وهي مدينة أزلية من نواحي الصعيد شرقي النيل . معجم ما استعجم (١/ ١٩٩ و٢/ ٤٥٨) ومعجم البلدان (١/ ٢٦٥ و٢/ ٢٧٦) .

(٣) انظر قول ابن هشام في السيرة (١/ ١٨٧) بسياق مختلف .

(٤) في ح ، ط : المؤملي وكذا في أخبار القضاة (١/ ٢٦٨) في إسناد له ، والمثبت من دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧١) وكما سيأتي في إسناده ، ومن ترجمته في الجرح والتعديل (٦/ ١٠٠) وميزان الاعتدال (٣/ ١٨٤) وفيه : روى عنه إبراهيم بن المنذر .

(٥) في الدلائل (٢/ ٦٥) .

(٦) في ط : عمرو بن أبي يحيى . تحريف والمثبت من ح ، وترجمته في ميزان الاعتدال (٣/ ٢٩٣) وتهذيب التهذيب (٨/ ١١٨) وفيه ثبتت روايته عن جده ، ورواية سويد عنه .

رسول الله ﷺ : « ما بعث اللهُ نبياً إلا راعِيَ غنم » . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا رعَيْتُها لأهلِ مكةَ بالقَرَاريط » .

رواه البخاري[١] عن أحمد بن محمد المكي ، عن عمرو بن يحيى به .

ثم روى البيهقي[٢] من طريق الربيع بن بَدْر ـ وهو ضعيف[٣] ـ عن أبي الزُّبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « آجرتُ نفسي من خديجةَ سفرتَيْن بقَلُوص »[٤] .

وروى البيهقيُّ[٥] من طريق حمَّاد بن سَلَمة ، عن علي بن زيد ، عن عمَّار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، أنَّ أبا خديجةَ زوَّجَ رسولَ الله ﷺ وهو ـ أظنُّه قال ـ سكران .

ثمَّ قال البيهقي[٦] : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القَطَّان أنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان[٧] ، قال : حدّثني إبراهيم بن المنذر ، حدَّثني عمر بن أبي بكر المَوْصلي[٨] ، حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه ، عن مقسم أبي القاسم[٩] مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أنَّ عبدَ الله بن الحارث حدَّثه أنَّ عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدَّث به الناس عن تزويج رسولِ الله ﷺ خديجة ، وما يُكثرون فيه ، يقول : أنا أعلم الناسِ بتزويجه إياها ، إني كنتُ له تِرْباً ، وكنت لهُ إلْفاً وخِدْناً[١٠] ، وإني خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ ذاتَ يوم ، حتى إذا كنا بالحَزْوَرَة[١١] أجزْنا على

---

(١) في صحيحه ، فتح (٢٢٦٢) الإجارة باب رعي الغنم على قراريط . وفيه : « يعني كل شاة بقيراط ، يعني القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم » . وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٤٩) كتاب التجارات باب الصناعات ، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٢٥) .

(٢) في الدلائل (٢/ ٦٥ ، ٦٦) .

(٣) قوله : وهو ضعيف ، ليس في دلائل البيهقي . فهو من قول المصنف . وتضعيف الربيع في ميزان الاعتدال (٢/ ٣٨ ، ٣٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٩) .

(٤) « القلوص » : الفتيَّة من الإبل . اللسان (قلص) .

(٥) في الدلائل (٢/ ٧٣) .

(٦) في الدلائل (٢/ ٧١) .

(٧) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٣) في القسم المفقود منه ، وهو منقول عما هنا .

(٨) في ح ، ط : المؤملي ، والمثبت من الدلائل وحاشية (٣) من الصفحة السابقة .

(٩) في ح : مقسم بن القاسم . وفي ط : مقسم بن أبي القاسم . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٨) وهو مقسم بن بجرة ويقال : ابن نجدة أبو القاسم ويقال : أبو العباس مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل .

(١٠) « التِّرْب » : اللِّدَة ، وقد مضى شرحه (ص٣٣) في الحاشية (٤) من هذا الجزء . والخِدْن : الصديق . مختار الصحاح (خدن) . وزادت نسخة (ح) لفظة : وخرجنا بعد : وخدناً . فلعلها مصحفة عن كلمة أخرى والله أعلم .

(١١) « الحزورة » : بالفتح ثم السكون وفتح الواو ، وراء وهاء ، وهو في اللغة الرابية الصغيرة . وقال الدارقطني : كذا =

أخت خَدِيجةَ وهي جالسةٌ على أَدَمٍ تبيعها ، فنادتني ، فانصرفتُ إليها ووقف لي رسولُ الله ﷺ فقالت : أما لصاحبك[(١)] هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار : فرجعتُ إليه فأخبرتُه فقال : « بلى لَعَمْري » فذكرتُ لها قولَ رسولِ الله ﷺ فقالتْ : اغْدُوا علينا إذا أصبحنا . فغدَوْنا عليهم ، فوجدناهم قد ذبحوا بقرة ، وألبسوا أبا خديجة حُلَّة ، وصُفِّرَتْ لحيته ، وكلَّمتْ أخاها ، فكلَّم أباها وقد سُقي خمراً ، فذكرتْ له رسولَ الله ﷺ ومكانَهُ ، وسألتهُ أن يزوِّجه ، فزوَّجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ، ونام أبوها ، ثم استيقظ صاحياً ، فقال : ما هذه الحُلَّة وما هذه الصُّفْرة[(٢)] وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كلَّمتْ عمَّاراً : هذه حُلَّةٌ كساكها محمد بن عبد الله خَتَنُكَ ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زوَّجْتَهُ خديجة . فأنكر أن يكون زوَّجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحِجر ، وخرج بنو هاشم برسولِ الله ﷺ ، فجاؤوه فكلَّموه ، فقال : أين صاحبُكم الذي تزعمون أني زوَّجْتُه خديجة ؟ فبرز له رسولُ الله ﷺ فلما نظر إليه قال : إنْ كنتُ زوَّجْته فسبيل ذاك ، وإنْ لم أكن فعلتُ فقد زوَّجته[(٣)] .

وقد ذكره الزُّهري في سيره ، أن أباها زوَّجها منه ، وهو سكران ، وذكر نحو ما تقدَّم . حكاه السُّهيلي[(٤)] .

قال المَوْصلي[(٥)] : المجتمع عليه أنَّ عمَّها عمرو بن أسد هو الذي زوَّجها منه[(٦)] . وهذا هو الذي رجَّحه السُّهيلي ، وحكاه[(٧)] عن ابن عباس وعائشة قالت : وكان خويلد قد مات قبل الفِجار ، وهو الذي نازع تُبَّعاً حين أراد أخْذَ الحَجَرالأسود إلى اليمن ، فقام في ذلك خُويلد ، وقام معه جماعةٌ من قريش ، ثم رأى تُبَّعٌ في منامه ما رَوَّعَهُ ، فنزع عن ذلك وترك الحَجَر الأسود مكانه .

وذكر ابن إسحاق في آخر السيرة[(٨)] ، أن أخاها عمرو بن خُويلد هو الذي زوَّجها رسولَ الله ﷺ فالله أعلم .

= صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو وهو تصحيف ؛ وكانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت في المسجد لمَّا زيد فيه . معجم البلدان (٢/ ٢٥٥) .

(١) في ح ، ط : بصاحبك ، والمثبت من دلائل البيهقي .

(٢) في دلائل البيهقي النقيعة ، وهي ما ينحره الرجل إذا زُوِّج ، كما في اللسان (نقع) .

(٣) إسناده ضعيف جداً ، فإن عمر بن أبي بكر الموصلي متروك ذاهب الحديث كما قال أبو حاتم الرازي (الجرح والتعديل ٦/ الترجمة ٥٢٤) (بشار) .

(٤) في الروض (١/ ٢١٤) .

(٥) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٣) في القسم المفقود منه ، وهو منقول عما هنا .

(٦) قول الموصلي هذا ذكره البيهقي بعد سياق الخبر الآنف الذكر .

(٧) في الروض (١/ ٢١٣) بألفاظ مقاربة .

(٨) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٣) .

فصـــل

قال ابن إسحاق[١] : وقد كانت خديجةُ بنت خُويلد ذكرت لورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ـ وكان ابنَ عمِّها وكان ، نصرانياً قد تتبَّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس ـ ما ذكر لها غلامُها [ميسرة] من قول الراهب وما كان يرى منه ، إذْ كان الملَكان يُظِلاَّنه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إنَّ محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، قد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمة نبيٌّ يُنتظرُ ، هذا زمانه . أو كما قال : فجعل وَرَقَةُ يستبطيءُ الأمر ويقول : حتى متى ؟ وقال في ذلك : [من الوافر]

لججتُ وكنتُ في الذِّكْرى لَجُوجا ... لِهَـمٍّ طـالمـا بعـثَ النَّشِيجـا
ووصْفٍ من خديجةَ بعدَ وصْفٍ ... فقـد طـال انتظـاري يـا خَـدِيجـا
ببطْـنِ المكَّتَيْـنِ علـى رَجـائـي ... حديثكِ أنْ أرى منهُ خُروجا[٢]
بمـا خَبَّـرتِنـا مـن قـولِ قَـسٍّ ... مـنَ الرُّهْبَـانِ أكْـرَهُ أنْ يَعُـوجـا[٣]
بـأنَّ محمـداً سيسـودُ قـومـاً ... ويخصـمُ مَـنْ يكـونُ لـه حَجيجـا
ويَظْهَـرُ فـي البـلادِ ضيـاءُ نـورٍ ... يُقيمُ[٤] بـه البَرِيَّـةَ أنْ تَمُـوجـا[٥]
فيلقَـى مـن يحـاربُـه خَسـاراً ... ويَلقـى مـن يُسـالمُـهُ فُلُـوجـا[٦]
فيـالَيْتِـي إذا مـا كـانَ ذاكُـم ... شهِـدْتُ وكُنـتُ أوَّلَهـم وُلُـوجـا
وُلُوجاً في الذي كرهَتْ قُريشٌ ... ولـو عجَّـتْ بمكَّتِهـا عَجيجـاً
أُرجِّي في الذي كَرِهوا جميعاً ... إلى ذي العرشِ إن سَفَلُوا عُرُوجا
فـإنْ تَبْقَـوا[٧] وأبـقَ تكـن أمـورٌ ... يَضِـجُّ الكـافـرون لهـا ضَجِيجـا
وإن أهلِـكْ فكـلُّ فتـى سيلقَـى ... مـن الأقـدار مَتْلَفـةً حَـرُوجـا[٨]

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٩٤) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩١) والروض (١/ ٢١٦) وما يأتي بين معقوفين منها .

(٢) قال السهيلي في الروض (١/ ٢١٨) : ثنّى مكة وهي واحدة ، لأن لها بطاحاً وظواهر . . . على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة وجمعها . . . وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلد وأسفلها .

(٣) « القَسُّ » : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم . اللسان (قسس) .

(٤) كذا في ح والسيرة والروض ، وفي ط : يقوم .

(٥) قال السهيلي في شرحه : الضياء هو المنتشر عن النور . . . وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات ، هو الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن والذكر .

(٦) « الفلوج » : الفوز والظفر . التاج (فلج) .

(٧) في ط والسيرة والروض : يبقوا .

(٨) « المتلفة » : المهْواة المشرفة على تلف ، دونها جبل أو غيره ، أو تكون بين جبلين . اللسان (تلف ، هوى) وفي =

وقال ورقة أيضاً فيما رواه يونس بن بُكير عن ابن إسحاق عنه[١] : [من الطويل]

أتُبْكِـرُ أمْ أنـتَ العشيّـةَ رائـحُ ... وفي الصدر من إضْمارك الحُزْن قادحُ

لفُـرقـةِ قـومٍ لا أُحـبُّ فِـرَاقَهـم ... كـأنَّـكَ عنهـم بعـدَ يـومَيْـن نـازحُ

وأخبـارِ صِـدْقٍ خَبَّـرَتْ عـن محمـدٍ ... يُخَبِّـرُهـا عنـهُ إذا غـابَ نـاصِـحُ

فـذاكَ[٢] الـذي وجَّهْـتِ يـا خيـرَ حُـرَّة ... بغورٍ وبالنَّجْدَيْن حيثُ الصَحاصح[٣]

إلى سوقِ بُصرى في الرِّكابِ التي غَدتْ ... وهـنّ مـن الأحمـال قُعـصٌ دوالِـحُ[٤]

فَيُخبـرنـا عـن كُـلِّ خيـرٍ بعِلْمِـهِ ... وللحـقِّ أبـوابٌ لهـنّ مفـاتِـحُ[٥]

بـأنَّ ابـنَ عبـدِ الله أحمـدَ مُـرْسَـلٌ ... إلـى كُـلِّ مـن ضُمَّـتْ عليـه الأبـاطِـحُ

وظنِّـي بـه أنْ سـوف يُبعـث صَـادِقـاً ... كمـا أُرسـل العَبْـدانِ هـودٌ وصـالـحُ

ومـوسَـى وإبـراهيـمُ حتـى يُـرى لـه ... بَهـاءٌ ومنشـورٌ مـن الـذِّكـر واضـحُ

ويتبَعُـه حيـا لـؤيٍ وغـالـبٍ[٦] ... شبـابُهـمُ والأشيَبُـون الجحـاجِـحُ

فـإنْ أبـقَ حتـى يُـدرِكَ النـاسُ دَهْـرَهُ ... فـإنِّـي بـه مستبِشـرُ الـودِّ فـارحُ

وإلا فـإنـي يـا خَـديجـةُ فـاعلمـي ... عن ارضِكِ في الأرضِ العَرِيضة سائحُ

وزاد الأموي[٧] :

= (ح ، ط) : خروجا . أوله خاء معجمة ، والمثبت من السيرة والروض . قلت : لعل معناه : ضيِّقة ، من الحرج وهو الضيق . فيكون قوله : متلفة حروجاً . كناية عن القبر .

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٩٤ ، ٩٥) وأوردها السهيلي في الروض (١/ ٢٢٠) .

(٢) كذا في ح وفي ط : أتاك ، وفي الروض والاكتفا : فتاك .

(٣) في سيرة ابن إسحاق : « بغوري والنجدين » . والصحاصح : جمع صحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار . اللسان (صحح) .

(٤) في ح : والركاب . قعص : كذا في الأصول والسيرة والروض ، ولم يتجه لي معناه بهذا اللفظ . قلت لعله « نعص » بنون في أوله ، من النَّعَص ، وهو التمايل . والدوالح : جمع دالح ، وهو البعير [الذكر والأنثى سواء] إذا دلح ، وهو تثاقله في مشيه من ثقل الحمل . اللسان (نعص ، دلح) .

(٥) في ح : فواتح .

(٦) كذا في ح ، ط : وأظن الصواب فيه : حيا لؤي بن غالب . قال ابن حزم في جمهرة الأنساب ص١٢ : فولد لؤي بن غالب : كعب بن لؤي ، وفيه البيت والعدد ، وعامر بن لؤي ، وهذان الصريحان من ولد لؤي . وفي نسب قريش للمصعب (ص١٣) : فولد لؤي بن غالب كعباً وعامراً ، وهما البطاح . ويؤيد هذا ما جاء في رواية ابن إسحاق في السيرة والسهيلي في الروض : حيا لؤي جماعة .

(٧) ذكرت هذه الأبيات في هامش (ح) .

فمتَّبِعٌ دينَ الذي أَسَّسَ البِنَا ... وكانَ له فضلٌ على الناسِ راجحُ
وأَسَّسَ بُنْيَاناً بمكَّةَ ثابتاً ... تلألأَ فيه بالظلامِ المصابحُ
مَثاباً لأفناء القبائلِ كلِّها ... تَخُبُّ إليهِ اليَعْمُلاتُ الطلائحُ[١]
حَرَاجِيجُ أمثالُ القِدَاحِ من السُّرَى ... يُعَلَّقُ في أرساغِهِنَّ السَّرائحُ[٢]

ومن شعره فيما أورده له أبو القاسم السُّهَيْلي في « روضه »[٣] : [من البسيط]

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم : ... أنا النذيرُ فلا يغرزْكُمُ أحَدُ
لا تعبُدُنَّ إلَهاً غيرَ خالقِكم ... فإنْ دعَوْكم فقولوا بيْننا حَدَدُ[٤]
سُبْحان ذي العرشِ سُبْحاناً يدومُ له ... وقَبْلَنَا سبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ[٥]
مسخَّرٌ كلُّ ما تحتَ السماءِ له ... لا ينبغي أن يناوي ملكَهُ أحَدُ
لا شيء مما نَرى تبقى بَشاشَتُه ... يَبْقَى الإلَهُ ويُودي المالُ والولَدُ
لم تُغنِ عن هُرمُزٍ يوماً خَزائنُهُ ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلَدُوا
ولا سليمانُ إذْ تجري الرِّياحُ به ... والجِنُّ والإنْسُ فيما بينها ترِدُ[٦]
أينَ الملوكُ التي كانتْ لِعِزَّتِها ... من كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يَفِدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَذبٍ ... لا بدَّ من وِردِه يوماً كما وَرَدُوا

ثم قال : هكذا نسبه أبو الفرج إلى وَرَقَة . قال : وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُميَّة بن أبي الصَّلْت .

قلت : وقد رَوينا عن أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستشهد في بعض الأحيان بشيءٍ من هذه الأبيات ، فالله أعلم .

---

(١) « اليعملات الطلائح » : النوق السريعة التي جَهَدَها السير وأهزلها . « وتخبُّ » : من الخَبَب ، وهو السرعة في العدو . وفي ح : تخف . وهو بمعناه . اللسان (طلح ، عمل ، خبب) .

(٢) « حراجيج » : جمع حُرْجُوج وحُرْجيج ، وهي الناقة الطويلة . والسرائح : والسُّرُح : نعال الإبل ، وقيل سُيُور نعالها ، كل سير منها سريحة ، وقيل : السيور التي يُخصف بها . اللسان (حرج ، سرح) .

(٣) الروض الأنف (١/ ٢١٧) .

(٤) دعوة حَدَد ، محركة : أي باطلة . وأمر حَدَد : ممتنع باطل ، لا يحل أن يُرتكب . التاج (حدد) . ووقع في الروض : جدد ، بالجيم المعجمة .

(٥) « الجودي » : هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل . معجم البلدان (٢/ ١٧٩) . والجمد : بضمتين ، هو جبل لبني نصرٍ بنجد ، معجم البلدان (٢/ ١٦١) والأبيات فيه . ونسب هذا البيت لأمية بن أبي الصلت كما سيأتي ، وهو في ديوانه (ص٣٧٦) وتخريجه فيه .

(٦) كذا في ح ومعجم البلدان ، وفي ط والروض : مرد .

فصـــل

في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكَرَ البيهقيُّ[١] بناءَ الكعبة قبل تزويجة عليه الصلاة والسلام خديجة . والمشهور أنَّ بناء قريش الكعبة بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين . ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمنِ إبراهيم كما قدمناه في قصته ، وأورد حديثَ ابنِ عباس المتقدِّم في « صحيح » البخاري[٢] وذكر ما ورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم ، ولا يصحُّ ذلك ، فإنَّ ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أولُ من بناه مبتدِئاً ، وأولُ مَنْ أسَّسه ، وكانت بقعتُه معظَّمة قبل ذلك ، معتنًى بها ، مشرَّفةً في سائر الأعصارِ والأوقات ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧] .

وثبت في « الصحيحين »[٣] عن أبي ذرّ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، أيُّ مسجدٍ وُضع أوّل ؟ قال : « المسجدُ الحرام » قلتُ : ثم أيّ ؟ قال : « المسجدُ الأقصى » . قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » .

وقد تكلّمنا على هذا فيما تقدَّم[٤] ، وأنَّ المسجد الأقصى أسَّسه إسرائيلُ وهو يعقوب عليه السلام .

وفي « الصحيحَيْن[٥] : « إنَّ هذا البلد حرَّمَهُ اللهُ يومَ خَلَق السمٰواتِ والأرض ، فهو حرامٌ بحُرْمةِ اللهِ إلى يوم القيامة » .

وقال البيهقي[٦] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو عبد الله الصفَّار ، حدّثنا أحمد بن مِهْران ، حدّثنا عُبيد الله ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : كان البيتُ قبل الأرض بألفَيْ سنة ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [الانشقاق : ٣] قال : من تحته مدّاً[٧] .

---

(١) ذِكْرُ بناء الكعبة في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٣ ـ ٦٤) .

(٢) حديث البخاري هذا تقدم في الجزء الأول ، عند ذكر مولد إسماعيل عليه السلام .

(٣) فتح الباري (٣٤٢٥) الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ وصحيح مسلم (٢ ـ ٥٢٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٤) تقدم في (١/ ١٦٢) من هذا الكتاب ط .

(٥) صحيح البخاري ، فتح (١٨٣٤) جزاء الصيد باب لا يحل القتال بمكة و(٣١٨٩) الجزية والموادعة باب إثم الغادر للبر والفاجر ، وصحيح مسلم (١٣٥٣) (٤٤٥) الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها .

(٦) في الدلائل (٢/ ٤٤) .

(٧) في ط : مدت . والمثبت من ح ودلائل البيهقي . والحديث أخرجه الحاكم أيضاً بهذا اللفظ في المستدرك (٢/ ٥١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد !. أقول : وسيأتي كلام المصنف عليه .

قال : وقد تابعه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريبٌ جدّاً ، وكأنَّه من الزَّامِلَتَيْن اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك[(١)] ، وكان فيهما إسرائيليات يحدِّثُ منهما ، وفيهما منكراتٌ وغرائب .

ثم قال البيهقي[(٢)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي[(٣)] ، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدّثنا أبو صالح الجُهني ، حدّثني ابنُ لهيعةَ ، عن يزيد ، عن أبي الخير[(٤)] ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بعث اللهُ جبريلَ إلى آدم وحوَّاء ، فقال لهما : ابْنِيا لي بيتاً . فخطَّ لهما جبريل ، فجعل آدم يَحْفِر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودي من تحته : حَسْبُكَ يا آدم . فلمَّا بَنَياه أوحى اللهُ تعالى إليه أنْ يطوفَ به ، وقيل له : أنت أولُ الناس ، وهذا أولُ بيت ، ثم تناسختِ القرون حتى حجَّه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رَفَعَ إبراهيمُ القواعِدَ منه » .

قال البيهقي : تفرَّد به ابنُ لَهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووَقْفُهُ على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت ، والله أعلم .

وقال الربيع[(٥)] : أخبرنا الشافعي ، أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي لَبِيد ، عن محمد بن كعب القُرَظي ـ أو غيره ـ قال : حجَّ آدمُ فلقيتْهُ الملائكة فقالوا : برَّ نُسُكُكَ يا آدم ، لقد حجَجْنا قبلك بألفَيْ عام .

وقال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق[(٦)] : حدّثني بَقِيَّة ـ أو قال : ثقةٌ من أهل المدينة ـ عن عُروة بن الزُّبير أنه قال : ما مِنْ نبيٍّ إلا وقد حجَّ البيت ، إلا ما كان من هود وصالح .

قلتُ : وقد قدَّمنا حجَّهما إليه[(٧)] . والمقصودُ الحجُّ إلى محلِّته ، وبُقْعَتِه ، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ بناء ، والله أعلم .

---

(١) في ذلك أقوال وردت في الجزء الأول في قصة شعيب .

(٢) في الدلائل (٢/ ٤٤ ، ٤٥) .

(٣) في ط : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وهو محمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن جميل البغدادي المشهور بالجمال المتوفى سنة ٣٤٦هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٤٧ ـ ٥٤٨) .

(٤) في ح ، ط : يزيد بن أبي الخير . وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي . ويزيد هو ابن أبي حبيب ، وأبو الخير هو مرثد بن عبد الله اليزني ، ورواية كل منهما عن الآخر ثابتة في ترجمتهما في تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٢ و١١/ ٣١٨) .

(٥) قول الربيع وإسناده في دلائل البيهقي (٢/ ٤٥) .

(٦) قول يونس عن ابن إسحاق ساقه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٥ ، ٤٦) .

(٧) في الجزء الأول عند قصة هود وصالح .

ثم أورد البيهقيُّ[١] حديثَ ابنِ عباس المتقدِّم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه ، وهو في « صحيح » البخاري .

ثم روى البيهقي[٢] من حديث سِمَاك بن حَرْب ، عن خالد بن عَرْعَرة قال : سأل رجلٌ علياً عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] أهو أولُ بيتٍ بُني في الأرض[٣] ؟ قال : لا ، ولكنَّهُ أولُ بيتٍ وُضع فيه البركةُ للناس والهدى ، ومقامُ إبراهيم ومَنْ دخله كان آمناً ، وإنْ شئتَ نبَّأتك كيف بناؤه ؛ إنَّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض . فضاقَ به ذَرْعاً ، فأرسل إليه السَّكِينةَ وهي ريحٌ خَجُوجٌ[٤] لها رأس ، فاتَّبع أحدُهما صاحبَه حتى انتهت[٥] ، ثم تطوقتْ في موضع البيت تطوُّقَ الحيَّة ، فبنى إبراهيم ، حتى [إذا] بلغ مكان الحجر قال لابنه : ابغني حجراً . فالتمس [ثَمَّ] حجراً حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد رُكِّب ، فقال لأبيه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريلُ من السماء . فأتمَّه[٦] .

قال[٧] : فمرَّ عليه الدهر فانهدم ، فبنَتْهُ العمالقة ، ثم انهدم فبنَتْهُ جُرْهُم ، ثم انهدم فبنته قريش ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ رجلٌ شابّ . فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه ، فقالوا : نُحَكِّمُ بيننا أولَ رجلٍ يخرج من هذه السكة ، فكان رسولُ الله ﷺ أولَ من خرج عليهم ، فقضى بينهم أن يجعلوه في مِرْط[٨] ، ثم ترفعُه جميعُ القبائل كلُّهم .

وقال أبو داود الطيالسي[٩] : حدّثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام[١٠] ، كلُّهم عن سِمَاك بن حَرْب عن خالد بن عرعرة ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما انهدم البيت بعد جُرْهُم بنتْهُ قريش ، فلما أرادوا وضعَ الحجر تشاجروا ، مَنْ يضَعه ؟ فاتفقوا أن يضعه أولُ مَنْ يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله ﷺ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٦ ـ ٥٢) .
(٢) في الدلائل (٢/ ٥٥) وما يأتي بين معقوفين منه ، وأخرج الخبر أيضاً الطبري في تفسيره (٣/ ٦٩ ، ٧٠) .
(٣) سياق الخبر في ح على هذا النحو : « . . . سأل رجل علياً عن قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ﴾ فيه البركة ﴿ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ أهو أول بيت في الأرض ؟ » . والمثبت من ط ودلائل البيهقي .
(٤) « الريح الخجوج » : الشديدة المرّ ، التي تلتوي في هبوبها ، الخوَّارة . اللسان (خجج) .
(٥) في تفسير الطبري : حتى انتهت إلى مكة .
(٦) وأخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٩ ـ ٧١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وأورده الأزرقي في تاريخ مكة (١/ ٢٤ ، ٢٥) .
(٧) يعني البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٦) بالسند نفسه .
(٨) « المِرْط » : كل ثوب غير مخيط . اللسان (مرط) .
(٩) في مسنده رقم (١١٣) وما يأتي بين معقوفين منه . وهو في منحة المعبود (٢/ ٨٦ ، ٢٣١٦) .
(١٠) في مسند الطيالسي : وقيس وسماك كلهم عن سماك ، والمثبت من ح ، ط وتهذيب الكمال (١٢/ ١١٧ ، ٢٨٢) في ترجمتي سماك وسلام ، ورواية سلام عن سماك ثابتة فيهما .

من باب بني شَيْبَة ، فأمر بثوب ، فوضع ، [فأخذ] الحجر [ووضعه] في وسطه ، وأمر كلَّ فَخِذٍ أنْ يأخذوا بطائفة من الثوب ، فرفعوه ، وأخذه رسولُ الله ﷺ فوضعه .

قال يعقوبُ بن سفيان[١] : أخبرني أصْبَغ بن فَرَج ، أخبرني ابنُ وَهْب عن يونس عن ابن شهاب قال : لما بلغ رسول الله ﷺ الحُلُم ، أجْمرَتِ امرأةٌ الكعبة[٢] فطارتْ شرارةٌ من مِجْمَرها في ثياب الكعبة فاحترقتْ ، فهدموها ، حتى إذا بنوها فبلغوا موضعَ الرُّكْن اختصمتْ قريش في الرُّكْن ، أيُّ القبائل تلي رفعه ؟ فقالوا : تعالوا نُحَكِّم أولَ مَنْ يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وشاحُ نَمِرة ، فحكَّموه ، فأمر بالركن فوضع في ثوب ، ثم أخرج سيدَ كلِّ قبيلةٍ فأعطاهُ ناحيةً من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن ، فكان هو يضعه ، فكان لا يزدادُ على السِّنِّ إلا رِضى ، حتى دعَوْهُ الأمين قبل أن ينزل عليه الوَحْي ، فطفِقُوا لا ينحرون جَزُوراً إلا التمسوه ، فيدعو لهم فيها .

وهذا سياقٌ حَسَن ، وهو من سِيَر الزُّهْري ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحُلُم . والمشهور أنَّ هذا كان ورسول الله ﷺ عمره خمسٌ وثلاثون سنة ، وهو الذي نصَّ عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عُقْبة : كان بناءُ الكعبة قبل المَبْعَث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جُبير بن مُطْعِم وغيرهم . فالله أعلم .

وقال موسى بن عُقْبة : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفِجَار وحِلْفُ الفُضُول في سنةٍ واحدة ، إذْ كان عُمُر رسولِ الله ﷺ عشرين سنة[٣] ، وهذا يؤيِّدُ ما قال محمد بن إسحاق ، والله أعلم .

قال موسى بن عقبة[٤] : وإنما حمل قريشاً على بنائها أنَّ السُّيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الرَّدْم الذي صنعوه ، فأخرَّ به ، فخافوا أن يدخلها الماء . وكان رجلٌ يُقال له : مليح ، سرق طِيب الكعبة . فأرادوا أنْ يشيدوا بُنْيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلَها إلا مَنْ شاؤوا ، فأعدُّوا لذلك نفقةً وعُمَّالاً ، ثم غَدَوْا إليها ليهدموها على شَفَقٍ وحذَر ، أن يمنعَهُم [الله] الذي أرادوا . فكان أوَّل رجلٍ طلعها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة ، فلما رأَوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها ، فأعجبهم ذلك . فلما أرادوا أنْ يأخذوا في بنيانها ، أحضروا عُمَّالَهم فلم يقدرْ رجلٌ منهم أنْ يمضيَ أمامَهُ موضعَ قدم . فزعموا أنهم رأوا

---

(١) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٢) وهو في القسم المفقود منه ، اقتبسه المحقق من هنا .

(٢) « أجمرت الكعبة » : يعني بخرتها بالطيب وفي ط : جمرت ، وهو بمعناه ، يقال : أجمرتُ الثوب وجمَّرْتُه : إذا بخرته بالطيب ، اللسان (جمر) .

(٣) في ح ، ط : عشرون سنة .

(٤) قول موسى بن عقبة في عيون الأثر (١/ ٥١ ، ٥٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

حيَّةً قد أحاطتْ بالبيت ، رأسُها عند ذنبها ، فأشفقوا منها شفقةً شديدة ، وخَشُوا أن يكونوا قد وقعوا مما عمِلُوا في هَلَكة . وكانت الكعبة حرزَهم ومنعتَهم من الناس ، وشرفاً لهم . فلما سُقط في أيديهم ، والتبس عليهم أمْرُهم قام فيهم المغيرةُ بن عبد الله بن عمر[١] بن مَخْزوم ، فذكر ما كان من نُصْحه لهم وأمْرِه إياهم أنْ لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها، وأنْ يقتسموها أربعاً ، وأنْ لا يُدخلوا في بنائها مالاً حراماً .

وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبتِ الحيَّةُ في السماء وتغيَّبَتْ عنهم ، ورأوا أنَّ ذلك من الله عزَّ وجل . قال : ويقول بعض الناس : إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجْياد[٢] .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[٣] : فلما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وثلاثين سنةً ، اجتمعتْ قريش لبناء الكعبة ، وكانو يهمُّون بذلك ليسقفوها ، ويهابون هَدْمها ، وإنما كانتْ رَضْماً[٤] فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أنَّ نفراً سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان يكونُ[٥] في بئرٍ في جَوْف الكعبة ؛ وكان الذي وجد عنده الكنز دُويك ، مولى لبني مُلَيح بن عمرو من خُزَاعة ، فقطعتْ قريش يده ، وتزعم قريش أنَّ الذين[٦] سرقوه وضعوه عند دويك . وكان البحر قد رمى بسفينةٍ إلى جُدَّة ، لرجلٍ من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشَبَها فأعدُّوه لتسقيفها .

قال الأموي : كانت هذه السفينةُ لقيصر ملك الرُّوم ، تحمل له آلاتِ البناء من الرُّخام والخشَب والحديد ، سرَّحها قيصر مع بَاقُوم الرُّومي إلى الكنيسةِ التي أحرقها الفُرْس للحبشة ، فلما بلغتْ مرساها من جُدَّة بعث الله عليها ريحاً فحطَّمَتْها .

قال ابن إسحاق[٧] : وكان بمكة رجلٌ قِبْطِيٌّ نجَّار ، فتهيَّأَ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصلحها . وكانت حيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُهدى إليها كلَّ يوم ، فتتشرَّقُ[٨] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزأَلَّتْ وكشَّتْ[٩] وفتحتْ فاها ، فكانوا

---

(١) في ح ، ط : المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، والمثبت من عيون الأثر (١/ ٥٢) وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٢٦٤) والمحبر (ص٨٤ ، ١٣٢ ، ١٣٩) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٤٤) .

(٢) أجياد : كأنه جمع جيد وهو العنق ، موضع بمكة يلي الصفا . معجم البلدان (١/ ١٠٥) .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٨٣ ، ٨٤) وفيه الخبر مطول ، ويبدو أن المصنف نقله من سيرة ابن هشام (١/ ١٩٢ ، ١٩٣).

(٤) « الرَّضم » : صخور بعضها على بعض . النهاية (٢/ ٢٣١) (رضم) .

(٥) سقطت « يكون » من ط ، وهي ثابتة في ح وسيرة ابن هشام .

(٦) في ح : الذي .

(٧) سيرة ابن إسحاق (ص٨٣ ، ٨٤) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٣) .

(٨) في ح : فتتشرف وفي ط : فتشرف ، وفي سيرة ابن إسحاق : فتشرق ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض . والتشرّق ؛ الظهور للشمس حينما يدركها برد السحر . اللسان (شرق) والحيوان للجاحظ (٤/ ٣٩ ، ٦/ ٥٥) .

(٩) « احزألّت » : ارتفعت واجتمعت . كشت الأفعى كشاً وكشيشاً : وهو صوت جلدها إذا حكت بعضها ببعض . اللسان (حزل ، كشش) .

يهابونها . فبينما هي يوماً تشرَّقُ على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاختطفها[١] ، فذهب بها . فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكونَ اللهُ تعالى قد رضي ما أَرَدْنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب ، وقد كفانا اللهُ الحيَّة .

وحكى السُّهيلي عن رَزين[٢] ، أنَّ سارقاً دخل الكعبة في أيام جُرْهُم ليسرق كنزها ، فانهار البئر عليه[٣] ، حتى جاؤوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنتْ هذه[٤] البئرَ حَيَّةٌ رأسُها كرأس الجَدْي ، وبطنها أبيض ، وظهرها أسود ، فأقامتْ فيها خمسمئة عام ، وهي التي ذكرها محمد بن إسحاق .

قال محمد بن إسحاق[٥] : فلما أجمعوا أمرهم لهدْمها وبنيانها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ـ وقال ابنُ هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم[٦] ـ فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يا معشر قريش ، لا تُدخلوا في بنيانها مِن كَسْبكم إلا طيِّباً ، لا يُدخَلُ فيها مَهْرُ بغيّ ، ولا بَيْعُ ربا ، ولا مَظْلَمة أحدٍ من الناس . والناسُ يَنْحَلُونَ هذا الكلام الوليدَ بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر[٧] بن مخزوم .

ثم رجَّح ابنُ إسحاق أنَّ قائل ذلك أبو وهب بن عمرو ، قال : وكان خالَ أبي النبيِّ ﷺ وكان شريفاً ممدَّحاً .

وقال ابن إسحاق[٨] : ثم إنَّ قريشاً تجزَّأتِ الكعبة ؛ فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزُهْرة ، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضمُّوا إليهم ، وكان ظهرُ الكعبة لبني جُمَح وسهم ، وكان شِقُّ الحِجْر لبني عبدِ الدَّار بن قُصَيّ ، ولبني أسد بن عبد العُزَّى ولبني عدي بن كعب ، وهو الحَطِيم .

ثم إنَّ الناسَ هابوا هَدْمَها وفرِقوا منه ، فقال الوليد بن المُغيرة : أنا أبدؤكم في هَدْمها ، فأخذ المِعْوَل

---

(١) في سيرة ابن إسحاق : طائراً لا يدرون ما هو ، فاختطفها من متشرَّقها .

(٢) في الروض (١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ و١٣٧) بألفاظ مقاربة .

(٣) لفظ السهيلي : فسقط عليه حجر فحبسه فيها .

(٤) في الأصل : هذا ، وهو تصحيف من الناسخ ، لأن البئر مؤنثة ، يدل عليها الضمير في قوله : «فاقامت فيها» الآتي .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص٨٤) بلفظ مختلف ، ويبدو أن المصنف نقله من سيرة ابن هشام (١/ ١٩٤) فاللفظ له .

(٦) قلت : وهو الصواب ، كما جاء في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٠٨) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٤١) .

(٧) في ح ، ط : عمرو ، والمثبت من سيرة ابن هشام وسيرة ابن إسحاق .

(٨) سيرة ابن إسحاق (ص٨٥) واللفظ لابن هشام (١/ ١٩٥) .

ثم قام عليها وهو يقول : اللهمَّ لَمْ تُرَعْ[١] اللهم إنا لا نريدُ إلا الخير . ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنين ، فتربَّصَ الناسُ تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإنْ أُصيب لم نهدمْ منها شيئاً وردَدْناها كما كانت ، وإنْ لم يُصِبْهُ شيء فقد رضي الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليدُ غادياً على عمله ، فهدَمَ وهدمَ الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهَدْمُ بهم إلى الأساس ، أساسِ إبراهيم عليه السلام ، أَفْضَوْا إلى حجارةٍ خُضْر كالأسِنَّةِ آخِذٌ بعضُها بعضاً ـ ووقع في « صحيح » البخاري عن يزيد بن رُومَان : كأَسْنِمَةِ الإبل[٢] ـ قال السُّهيلي : وأرى رواية السيرة ـ كالأسنة[٣] ـ وهماً ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] فحدّثني بعضُ مَن يروي الحديث ، أنَّ رجلاً من قريش ممن كان يهدِمُها ، أدخل عتلةً[٥] بين حجرين منها ليقلع بها أحدَهما ، فلما تحرَّكَ الحجر انتفضتْ[٦] مكة بأسْرِها . فانتهَوْا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبد الله بن عباس ، أن أولية قريش كانوا يحدثون أنَّ رجلاً من قريش ، لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة انتهَوْا[٧] إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، عمد رجلٌ منهم إلى حجَرٍ من الأساس الأول ، فرفعه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول ، فأبصر القومُ بُرْقَةً تحت الحجر ، كادت تلتمعُ بصرَ الرجل ، ونزا الحجر من يده فوقع في موضعه وفزع الرجل والبناة . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا : لا تحرِّكوا هذا الحجر ولا شيئاً بحذائه .

---

(١) قال السهيلي في الروض : (١/ ٢٢٥) : اللهم لم تُرَعْ : هي كلمة تقال عند تسكين الرُّوع ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولا رَوْعَ في هذا الموطن فيُنفى ، ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر ، فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرَّوع الذي هو محال في حق الباري تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها . ويروى أيضاً « اللهم لم نزِغ » وهو جلي لا يشكل . أي لم نحل عن دينك . وهي رواية ابن هشام .

(٢) فتح الباري (١٥٨٦) الحج باب فضل مكة وبنيانها .

(٣) في ح ، ط : كالألسنة ، وهو تصحيف ، والمثبت من الروض (١/ ٢٢٨) ولفظه : وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب (كالأسنة) وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص٨٥) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٥) واللفظ له .

(٥) « العتلة » : العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح كقبيعة السيف ، تكون مع البناء يهدم بها الحيطان . وقبيعة السيف : ما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد ، وهي التي يُدخل القائم فيها . اللسان (عتل ، قبع) .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام : تنقضت ، وفي السيرة الحلبية (١/ ١٤٢) : تنفضت أي تحركت ، وفي شرح المواهب (١/ ٢٤٦) : تنغصت . قلت : أظن الصواب فيه إن شاء الله تنغضت ، بالغين والضاد المعجمتين ، أي : تحركت ورجفت ، جاء في النهاية (٥/ ٨٧) (نغض) : وفي حديث ابن الزبير : إن الكعبة لما احترقت نغضت ، أي تحركت ووهت .

(٧) سقطت اللفظة من ط وهي في ح .

قال ابن إسحاق[١] : وحُدِّثت أنَّ قريشاً وجدوا في الرُّكْن كتاباً بالسريانية ، فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجلٌ من يهود ، فإذا هو : أنا الله ذو بَكَّة ، خلقتُها يوم خلقتُ السماواتِ والأرض ، وصورتُ الشمس والقمر ، وحفَفْتُها بسبعة أملاكٍ حُنفاء ، لا تزولُ حتى يزولَ أخشباها ـ قال ابنُ هشام : يعني جبلاها ـ مباركٌ لأهلها في الماء واللبن .

قال ابنُ إسحاق[٢] : وحُدِّثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة [بيتُ] اللهِ الحرام ، يأتيها رِزْقُها من ثلاثة سُبُل ، لا يحلُّها أول من أهلها[٣] .

قال[٤] : وزعم ليثُ بن أبي سليم[٥] أنهم وجدوا [حجَراً] في الكعبة قبل مبعثِ النبيِّ ﷺ بأربعين سنة ـ إن كان ما ذُكر حقاً ـ مكتوباً فيه : مَنْ يزرعْ خيراً يحصدْ غِبْطة ، ومَنْ يزرعْ شرّاً يحصُدْ ندامة ، تعملون السيئات وتُجزَوْنَ الحسنات ؟! أجَل ، كما [لا] يُجْتَنى من الشَّوْك العِنَبُ[٦] .

وقال سعيد بن يحيى الأموي : حدّثنا المعتمر بن سليمان ، عن عبد الله بن بشر الرَّقيِّ ، عن الزهري ـ يرفع الحديث إلى النبيِّ ﷺ قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصَّفْح الأول : إني أنا الله ذو بَكَّة صنعتُها يوم صنعت[٧] الشمس والقمر ، وحفَفْتُها بسبعةِ أملاك حُنفاء ، وباركتُ لأهلها في اللحم واللبن . وفي الصَّفْح الثاني : إني أنا الله ذو بَكَّة ، خلقت الرحم وشقَقْتُ لها من اسمي ، فمَنْ وصلها وصلْتُه ، ومن قطعها بَتَتُّه . وفي الصَّفْح الثالث : إني أنا الله ذو بكَّة ، خلقتُ الخيرَ والشرَّ وقدَّرْتُه ، فطوبى لمن أجرَيْتُ الخيرَ على يديه ، وويلٌ لمن أجريتُ الشرَّ على يديه .

قال ابن إسحاق[٨] : ثم إنَّ القبائل من قريش جمعتِ الحجارة لبنائها ، كلُّ قبيلةٍ تجمع على حدة ، ثم بنَوْها ، حتى بلغ البناءُ موضعَ الرُّكْن ، فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تريد أن ترفعَهُ إلى موضعه دون الأخرى ؛

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٨٦) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) واللفظ له .

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٨٦) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) وما يأتي بين معقوفين منه ، واللفظ له .

(٣) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٢٧) : يريد ـ والله أعلم ـ ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير ، وحُصين بن نمير ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :

ألا مـن لقلـب مُعنـى غَـزِلْ ... بحب المحلة أُخت المُحِلْ

يعني بالمُحِلّ عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

(٤) القائل هو ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) وهو ضعيف .

(٦) وهو من أمثالهم : أي إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فإن الظلم لا يُكسبكَ إلا مثل فعلك . مجمع الأمثال للميداني (١/ ٨٦ ط محمد أبو الفضل إبراهيم مصر ١٩٧٧) والأمثال لأبي عبيد (ص٢٧٠) .

(٧) ساق الخبر السهيلي في الروض (١/ ٢٢٧) من طريق معمر بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بنوا الكعبة وجدوا فيها . . . وذكر الحديث ، ولفظه : صغتها يوم صغت . . .

(٨) سيرة ابن إسحاق (ص٨٦ ـ ٨٨) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) واللفظ له .

حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدُّوا للقتال ، فقرَّبتْ بنو عبد الدار جَفْنَةً مملوءةً دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديِّ بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديَهُمْ في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمُّوا لعقة الدم . فمكثتْ قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعضُ أهل الرواية ، أن أباأمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[١] بن مخزوم ـ وكان عامئذٍ أسنَّ قريش كلِّها ، قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ مَنْ يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا ، فكان أولَ داخلٍ دخل رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله ﷺ : « هَلُمَّ[٢] إليَّ ثوباً » فأُتي به ، وأخذ الرُّكْن فوضعه فيه بيدِهِ ثم قال : « لتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب ، ثم ارْفَعُوهُ جميعاً » ففعلوا ، حتى إذا بلغوا بـه موضعَه ، وضعَهُ هو بيده ﷺ . ثم بُني عليه . وكانت قريش تسمِّي رسول الله ﷺ الأمين .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا ثابت ـ يعني أبا زيد[٤] ـ حدّثنا هلال ـ يعني ابن خبَّاب[٥] ـ عن مجاهد عن مولاه ـ وهو السائب بن عبد الله ـ أنه حدّثه أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال : وكان لي حجر أنا نحتُّه ، أعبدُه من دون الله ، قال : وكنتُ أجيء باللبن الخاثر الذي أَنْفَسُه[٦] على نفسي فأصبُّهُ عليه ، فيجيءُ الكلبُ فيلحسه ، ثم يَشْغَرُ[٧] فيبول ، قال : فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ، ولا يرى الحَجَر أحد ، فإذا هو وسط حِجَارنا[٨] مثل رأس الرجل ، يكاد يتراءى منه وجهُ الرجل ، فقال بطْنٌ من قريش : نحن نضعُهُ . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا بينكم حَكَماً . فقالوا : أوَّلُ رجلٍ يَطْلعُ من الفَجّ . فجاء رسولُ الله ﷺ فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له : فوضعه في ثوب ، ثم دعا بطونهم ، فرفعوا نواحيه ، فوضعه هو ﷺ .

---

(١) في ح ، ط : عمرو ، انظر ما مضى (ص ٩٨ حاشية ١) .
(٢) في ط : هلموا ، والمثبت من ح والسيرة . وهلمّ : بمعنى أقبل ، تقال للواحد والاثنين والجماعة .
(٣) في مسنده (٣/ ٤٢٥) .
(٤) في ح ، ط : أبا يزيد ، وهو تصحيف ، والمثبت من المسند ، وهو ثابت بن يزيد أبو زيد الأحول البصري . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٥) وتهذيب التهذيب (٢/ ١٨) .
(٥) في ح ، ط : حبان وهو تصحيف ، والمثبت من المسند ، ترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ٧٧) وقد ضبطه ابن حجر في التقريب (٢/ ٣٢٣) بقوله : بمعجمة وموحدتين .
(٦) في ح ، ط : آنفه ، والمثبت من المسند ، يقال نفِسْتُ عليه الشيء أنفَسُه : إذا ضننْتَ به ولم تحب أن يصل إليه . اللسان (نفس) .
(٧) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه ليبول . اللسان (شغر) .
(٨) في ط : أحجارنا ، وفي المسند حجارتنا ، وكل ذلك جمع حَجَر . اللسان (حجر) . ط دار المأمون ١٤٠٠هـ ـ دمشق .

قال ابن إسحاق[١] : وكانتِ الكعبة على عهد النبي ﷺ ثماني عشرة ذراعاً ، وكانت تُكْسى القَبَاطيّ[٢] ، ثم كُسيت بعدُ البُرود . وأول مَنْ كساها الديباج الحجّاج بن يوسف[٣] .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحِجْر ـ وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام ـ قصَّرت بهم النفقة ، أي : لم يتمكَّنُوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم ، وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق ، وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحد فَيُدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا .

وقد ثبت في « الصحيحيْن »[٤] عن عائشة رضي الله عنها ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لها : « ألم تريْ أنَّ قومَكِ قصَّرَتْ بهم النَّفَقَة ، ولولا حِدْثانُ قومِكِ بكُفْر لنقضْتُ الكعبةَ ، وجعلتُ لها باباً شرقياً وبابا غربيّاً ، وأدخلتُ فيها الحِجْر » .

ولهذا لما تمكَّن ابنُ الزُّبير بناها على ما أشار إليه رسولُ الله ﷺ ، وجاءتْ في غاية البهاء والحُسْن والسناء كاملة على قواعد الخليل ، لها بابان ملصقان بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخلُ الناس من هذا ويخرجونَ من الآخر . فلما قَتَل الحجَّاجُ ابنَ الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان ـ وهو الخليفة يومئذ ـ فيما صنعه ابنُ الزبير ، واعتقدوا أنَّهُ فعل ذلك من تلقاء نفسه . فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه ، فعمدوا إلى الحائط الشامي ، فحصوه[٥] وأخرجوا منه الحِجْر ، ورصُّوا حجارته في أرض الكعبة ، فارتفع بابُها[٦] ، وسدُّوا الغربي ، واستمرَّ الشرقيُّ على ما كان عليه ، فلما كان في زمن المهدي ـ أو ابنه المنصور ـ استشار مالكاً في إعادتها على ما كان صنعه ابنُ الزبير ، فقال مالكٌ رحمه الله : إني أكره أن يتَّخذها الملوك مَلْعَبة ، فتركها على ما هي عليه . فهي إلى الآن كذلك .

وأما المسجد الحرام : فأول من أخَّـرَ بُنيانَ البيوتِ من حول الكعبة عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها ، فلما كان عثمان اشترى دُوراً وزادها فيه ؛ فلما ولي ابنُ الزبير أحكم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٩٨) .

(٢) « القباطي » : جمع قُبْطِيَّة ، وهي ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر ، وهي منسوبة إلى القِبْط على غير قياس . اللسان (قبط) .

(٣) ذكر السهيلي عن الزبير بن بكار في الروض (١/ ٢٢٤) أن ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج .

(٤) فتح الباري (١٢٦) العلم باب من ترك بعض الاختيار (١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦) الحج باب فضل مكة وبنيانها و(٣٣٦٨) الأنبياء باب (١٠) و(٤٤٨٤) التفسير باب قوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد » و(٧٢٤٣) التمني باب ما يجوز من اللوّ . وصحيح مسلم (١٣٣٣) (٣٩٨ ـ ٤٠٤) الحج باب نقض الكعبة وبنائها .

(٥) كذا في ح ، ط ولم يتجه لي معناه بهذا اللفظ . قلت : لعل معناه جعلوه مفتتاً كالحصى ، أو أن الصواب فيه : فحصْحَصُوه . من حَصْحَصَ التراب وغيره . إذا حرَّكته وفحصته يميناً وشمالاً . أو فحَصُوه من الفحص وهو البحث ، وفحص المطر التراب قلبه ونحّى بعضه عن بعض . اللسان (حصص ، فحص ، حصي) .

(٦) كذا في ح وفي ط : باباها .

بنيانه ، وحسّن جدرانه وكبّر[١] أبوابه ، ولم يوسّع شيئاً آخر . فلما استبدَّ بالأمر عبدُ الملك بن مروان زاد في ارتفاع جُدْرانه ، وأمر بالكعبة فكُسيت الدِّيباج . وكان الذي تولّى ذلك بأمره الحجّاج بن يوسف .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت ، والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] . وذكرنا ذلك مطوّلا مستقصى ، فمن شاء كتبه هاهنا ولله الحمد والمِنة .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما فرغوا من البنيان ، وبنَوْها على ما أرادوا قال الزُّبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحيَّةِ التي كانت قريش تهابُ بنيان الكعبة لها : [من الوافر]

عجبتُ لِمَا تصوَّبتِ العُقَابُ ... إلى الثعبانِ وهي لها اضطرابُ
وقد كانتْ يكونُ لها كشيشٌ ... وأحياناً يكونُ لها وِثابُ[٣]
إذا قُمنا إلى التأسيس[٤] شدَّت ... تُهيِّبُنا البناءَ وقد نهابُ[٥]
فلما أن خَشِينا الزَّجْرَ[٦] جاءتْ ... عُقَابٌ تَتْلَئِبُ لها انصبابُ[٧]
فضمَّتْها إليها ثم خلَّتْ ... لنا البنيانَ ليسَ له[٨] حِجاب
فقُمْنا حاشِدينَ إلى بناءٍ ... لنا منهُ القواعدُ والتُّرَابُ
غداةَ يرفَّع التأسيسُ منه ... وليسَ على مَساوينا ثيابُ[٩]
أعزَّ به المليكُ بني لُؤَيٍّ ... فليسَ لأصلِهِ منهم ذَهابُ
وقد حشَدَتْ هناك بنو عَدِيٍّ ... ومُرَّةُ قد تقدَّمها كِلابُ

---

(١) كذا في ح وفي ط : أكثر .
(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٨٩) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٨) والأبيات الآتية فيهما .
(٣) مضى معنى كشيش (ص٩٨ حاشية ٩) .
(٤) في سيرة ابن إسحاق البنيان .
(٥) كذا في ح ، ط : وفي سيرة ابن إسحاق يُهاب ، وفي سيرة ابن هشام تُهاب .
(٦) « الزجر » : المنع والنهي ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام : الرِّجز .
(٧) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٢٩) : قوله تتلئب ، يقال : اتلأَبّ على طريقه ، إذا لم يُعرِّج يمنة ولا يسرة ، وكأنه منحوت من أصلين : من تلا ، إذا تبع ، وألبَّ : إذا أقام ، وأبَّ أيضاً قريب من هذا المعنى . أب إبابة ، إذا استقام وتهيأ . وفي اللسان (تلأب) : اتلأب : استقام .
(٨) في ح ، ط : لها ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .
(٩) ويروى : وليس على مُسَوِّينا ثياب ، كما في سيرة ابن هشام . والمسوِّي : أي مسوِّي البنيان . وأما مساوينا فيريد السوءات كما في الروض (١/ ٢٢٩) .

فَبَوّأنـا المليـكُ بـذاكَ عِـزّاً وعنـد اللهِ يُلْتَمَسُ[١] الثـوابُ

وقد قدَّمنا في فصل ما كان الله يحفظ[٢] به رسول الله ﷺ من أقذار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمُّه ينقلانِ الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزارَه تحت الحجارة على كتفه نُهي عن خلْع إزاره ، فأعادَهُ إلى سيرته الأولى .

فصـــل

وذكر ابن إسحاق[٣] ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحُمْس ، وهو الشِّدَّة في الدِّين والصلابة . وذلك لأنهم عظَّموا الحَرَم تعظيماً زائداً ، بحيث التزموا بسببه أنْ لا يخرجوا منه ليلةَ عَرَفة ، وكانوا يقولون : نحن أبناءُ الحَرَم وقُطّان بيتِ الله . فكانوا لا يقِفُون بعَرَفات ، مع عِلْمهم أنها من مشاعِرِ إبراهيم الخليل عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظامِ ما كانوا قرّرُوه من البِدْعَةِ الفاسدة .

وكانوا لا يدَّخِرُونَ من اللَّبَنِ أَقِطاً[٤] ولا سمْناً ولا يَسْلؤُون[٥] شَحْماً وهم حُرُم . ولا يدخلونَ بيتاً من شعر ، ولا يستظِلُّون إن استظلُّوا إلا ببيتٍ من أدم . وكانوا يمنعون الحَجيج والعُمَّار ـ ما داموا مُحْرِمين ـ أنْ يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا[٦] إلا في ثياب قريش ، فإنْ لم يجدْ أحدٌ منهم ثوبَ أحدٍ من الحُمْس ـ وهم قريش وما وَلَدُوا ، ومَنْ دخل معهم من كِنانة وخُزَاعة ـ طاف عُرْياناً ، ولو كانتِ امرأة ، ولهذا كانتِ المرأةُ إذا اتفق طوافُها لذلك وضعتْ يدها على فَرْجها وتقول : [من الرجز]

اليـومَ يَبْـدُو بعضُـه أو كلُّـه ومـا بَـدَا منـه فـلا أُحِلُّـهُ[٧]

فإنْ تكرَّم أحدٌ ممن يجد ثوبَ أحمسي ، فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يُلْقِيَها فلا ينتفع بها بعد ذلك ، وليس له ولا لغيره أنْ يَمَسَّها . وكانت العربُ تسمِّي تلك الثياب اللُّقَى ، قال بعضُ الشعراء : [من الطويل]

كفى حَزَناً كَرِّي عليهِ كأنَّه لُقًى بين أيدي الطائفين حَرِيمُ

---

(١) في ح نلتمس ، والمثبت من ط والسيرة .
(٢) في ط : يحوط ، والمثبت من ح . والفصل المذكور يقع في (ص٧٥) من هذا الجزء .
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٨٠ ـ ٨٢) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٣) .
(٤) الأقط ، ويقال بتثليث الهمزة وسكون القاف : شيء يُتخذ من اللبن المخيض ، يُطبخ ثم يترك حتى يمصُل . اللسان (أقط) .
(٥) « سلأ السمن يَسْلَؤه » : طبخه وعالجه فأذاب زُبْدَه . اللسان (سلأ) .
(٦) كذا في ح ، ط ولعل الصواب : وألا يطوفوا .
(٧) في ط : وبعد هذا اليوم لا أُحِلُّه ، والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .

قال ابن إسحاق[١] : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ ، وأنزل عليه القرآن رداً عليهم فيما ابتدعوه فقال : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ أيْ جمهور العرب من عَرَفات ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

وقد قدَّمنا أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقفُ بعرفات[٢] قبل أن يُنزَّل عليه توفيقاً من الله له ، وأنزل الله عليه ردّاً عليهم فيما كانوا حرَّموا من اللِّباس والطعام على الناس : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ . . . ﴾ الآية [الأعراف ٣١ـ٣٢] .

وقال زياد البَكَّائي عن ابن إسحاق : ولا أدري أكان ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٧٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٣) .
(٢) تقدم ذكر ذلك في الجزء الثاني من هذه الطبعة .

كتاب
مَبعث رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً
وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن إسحاق[١] رحمه الله : وكانت الأحبار من اليهود ، والرُّهْبانُ من النصارى ، والكُهَّانُ من العرب[٢] قد تحدَّثوا بأمْرِ رسول الله ﷺ قبل مَبْعثه ، لما تقارب زمانه ؛ أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمَّا وجدوا في كُتبهم من صفتِهِ وصِفةِ زمانه ، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] الآية .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وفي صحيح البخاري[٣] عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنَنَّ به ولينصرنَّه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق : لئن بعث وهم أحياء ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه وليتبعُنَّه » .

يعلم من هذا أنَّ جميع الأنبياء بشَّرُوا به وأمروا باتباعه .

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٦٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٤) .

(٢) في ح : وكانت الأحبار من اليهود والكهان من النصارى من العرب . وكذا في ط وفيها : ومن العرب . وما أثبتُه من سيرة ابن هشام .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ في صحيح البخاري ، قال المؤلف رحمه الله في التفسير (١/ ٣٧٨) : قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . ولم يعزه لأحد ، لا للبخاري ولا غيره ، ولعله خطأ من النساخ .

وقد قال إبراهيمُ عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ . . . ﴾ الآية [البقرة : ١٢٩] .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا الفرج بن فضالة ، حدّثنا لُقْمان بن عامر ، سمعتُ أبا أمامة قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما كان بُدُوُّ[٢] أمْرِك . قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرى عيسى ، ورأتْ أُمِّي أنه يخرُجُ منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام » .

وقد روى محمد بن إسحاق[٣] ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ عنه مثله .

ومعنى هذا أنه أرادَ بُدُوَّ أمره بين الناس ، واشتهارَ ذِكْرِه وانتشارَه ، فذكر دعوةَ إبراهيمَ الذي تُنسب إليه العرب ، ثم بُشْرى عيسى الذي هو خاتمُ أنبياء بني إسرائيل كما تقدَّم . يدُلُّ هذا على أنَّ مَنْ بينهما من الأنبياء بشَّروا به أيضاً .

فأمَّا في الملأ الأعلى ، فقد كان أمْرُه مشهوراً مذكوراً معلوماً من قَبْلِ خلْقِ آدمَ عليه الصلاة والسلام كما قال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، حدّثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُويد الكلبي عن عبد الله[٥] بن هلال السُّلَمي ، عن العِرْباض بن سارية قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني عند الله خاتمُ النبيِّين ، وإن آدمَ [عليه السلام] لمنجَدِلٌ في طينته ، وسأنبِّئُكم بأوَّلِ ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أُمِّي التي رأتْ ، وكذلك أمهاتُ النَّبيِّين[٦] يَرَيْن » .

وقد رواهُ الليث عن معاوية بن صالح[٧] وقال : إنَّ أمَّه رأتْ حين وضعَتْه نوراً أضاءت منه قصورُ الشام .

---

(١) في المسند (٥/ ٢٦٢) ، وهو حديث حسن .

(٢) كذا في ح وفي ط : بدء ، وفي المسند : أول بدء .

(٣) مضى ذكر هذا الحديث وتخريجه (ص ٥٦ حاشية ٤) من هذا الجزء .

(٤) في مسنده (٤/ ١٢٧) وما يأتي بين معقوفين منه . أقول : وهو حديث حسن ، دون قوله : (وكذلك أمهات النبيين يرين) .

(٥) قال بشار : هكذا سماه عبد الرحمن بن مهدي في روايته ، وهو خطأ صوابه : عبد الأعلى بن هلال ، نبه على ذلك عبد الله ابن الإمام أحمد في تعليق له على مسند أبيه عقب هذا الحديث (٤/ ١٢٨) .
وقد جاء هذا الاسم في ط « عبد الأعلى » على الصواب ، وهو وإن كان صواباً لكنه خطأ ، لأن عبد الرحمن بن مهدي سماه عبد الله .

(٦) في الأصل : المؤمنين ، والمثبت من المسند .

(٧) في المسند أيضاً (٤/ ١٢٧) وأخرجه ابن سعد (١/ ١٤٨) ، الطبري في تفسيره (٢٠٧٢) ، والطبراني في الكبير (١٨/ حديث (٦٣٠) ، من طرق عن الليث بن سعد ، وهو حديث صحيح .

وقال الإمامُ أحمد أيضاً[١] : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا منصور بن سعد ، عن بُديل بن مَيْسرة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلتُ : يا رسول الله ؛ متى كنت[٢] نبيّاً ؟ قال : « وآدمُ بين الرُّوح والجَسَد » تفرد بهنَّ أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبي هريرة فقال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ـ يعني أبا القاسم البَغَوِي ـ حدّثنا أبو هَمَّام [عن][٣] الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، حدّثني يحيى ، عن[٤] أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : سُئل رسولُ الله ﷺ : متى وجبتْ لك النبوَّة ؟ قال : « بين خلْق آدم ونفخ الروح فيه » .

ورواه من وجهٍ آخر عن الأوزاعي به . وقال : « وآدم مُنْجَدِلٌ في طينته » .

ورُوي عن البغوي[٥] أيضاً عن أحمد بن المقدام ، عن بقيَّة ، عن[٦] سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب : ٧] قال رسول الله ﷺ : « كنتُ أوّلَ النبيين في الخَلْق وآخرَهُم في البعث » .

ومن حديث ابن مُزَاحم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قيل : يا رسول الله ، متى كنتَ نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الرُّوحِ والجسد »[٧] .

وأما الكُهَّان من العرب ، فأتتهم به الشياطينُ من الجن فيما تسترِقُ من السمع ، إذْ كانتْ وهي

---

(١) في المسند (٥/ ٥٩) ، وإسناده صحيح .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : كتبت .

(٣) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق ، إذ إن كنية الوليد بن مسلم « أبو العباس » لا « أبو همَّام » وأبو همَّام هذا هو الوليد بن شجاع السكوني ، وهو الذي يروي عن الوليد بن مسلم ويروي عنه أبو القاسم البغوي ، كما هو ثابت في تهذيب التهذيب (١١/ ١٣٥) .

(٤) وقع في ح : يحيى بن أبي سلمة وهو تصحيف ، والمثبت من ط ويحيى هو ابن أبي كثير الطائي مولاهم ، وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني .

(٥) البغوي هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المتوفى ٣١٧هـ ؛ وقد صححه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٥٣) : أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٤٩) عن قتادة مرسلاً ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي . قلت : وأخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٥) من طريق بشر عن يزيد به . وسيأتي مروياً عن أبي نعيم (ص١٢٩ حاشية ١٠) من هذا الجزء ، وساقه المصنف أيضاً في تفسيره (٣/ ٤٦٩) .

(٦) في ح ، ط : بقية بن سعيد بن بشير وهو تصحيف ، وبقية هو ابن الوليد أبو يحمد الحمصي الكلاعي ، وروايته عن سعيد بن بشير ، ورواية سعيد عن قتادة ثابتة في ترجمة سعيد في تهذيب التهذيب (٤/ ٨ ، ٩) .

(٧) سيأتي سياق الحديث في ص(١٢٩ حاشية ٦) مروياً عن أبي نعيم في دلائل النبوة ، ولم أجده فيه ، إلا أن محقق دلائل أبي نعيم ساقه في مقدمته ص٢٥ وترجح لديه أن المطبوع من الدلائل هو المنتخب وليس الكتاب بتمامه .

لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزالُ يقع منهما بعضُ ذكرِ أموره ، ولا يُلقي العرب لذلك[١] فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى . ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقارب أمرُ رسول الله ﷺ وحضر زمان مَبْعثه حُجبت الشياطينُ عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراقِ السمع فيها ، فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الجنُّ[٢] أنَّ ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله عزَّ وجلَّ .

قال : وفي ذلك أنزل اللهُ على رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن ١ و٢] إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كلِّه في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٠] الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كلِّه هناك .

قال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس[٤] أنه حدَّث أنَّ أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رُمي بها ، هذا الحي من ثقيف ، وأنهم جاؤوا إلى رجلٍ منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلاج ، وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً[٥] ، فقالوا له : يا عمرو ، ألم تر ما حدث في السماء من القَذْف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا ، فإنْ كانتْ معالمُ النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ، ويُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يُرمى بها ، فهو والله طيُّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخلق ؛ وإنْ كانتْ نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو[٦] ؟ .

وقال ابن إسحاق[٧] : وحدّثني بعضُ أهل العلم أنَّ امرأةً من بني سهم ، يقال لها : الغَيْطلة ، كانت كاهنةً في الجاهلية ، جاءها صاحبُها ليلة من الليالي فأنْقضَ[٨] تحتها ، ثم قال : أدْرِ ما أدْرِ[٩] ، يوم عقْرٍ

---

(١) ليست اللفظة في ح وهي مثبتة من ط .
(٢) في ط : الشياطين .
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٩٢) بألفاظ مقاربة وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٦) .
(٤) زاد ابن إسحاق في إسناده : [عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود] . ولم يزد ابن هشام هذه الزيادة في إسناده . قلت : لم أجد ليعقوب بن عتبة رواية عن عبيد الله في ترجمتهما في تهذيب المزي .
(٥) أثبتت اللفظة في هامش ح وسقطت من ط وفيها : وأمكرها .
(٦) في سيرة ابن إسحاق : فانظروا ما هو .
(٧) سيرة ابن إسحاق (ص٩١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٨) .
(٨) أنقض ، من النقيض ، وهو الصوت . النهاية (نقض) .
(٩) ذكر السهيلي رواية أخرى وهي : « وما بَدْر » ثم قال : وهي أبين من هذه . ووقع في سيرة ابن إسحاق : « أذن من أذن » وأظنه تصحيفاً .

ونحْر . فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلةً أخرى ، فأنْقَضَ تحتها ثم قال : شعوب ما شعوب ، تُصرع فيه كعبٌ لِجَنُوب[١] . فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن فانظروا ما هو . فما عرفوه حتى كانت وقعةُ بدر وأُحُد بالشِّعْب ، فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبته .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني علي بن نافع الجُرَشي أنَّ جَنْباً ـ بَطْناً من اليمن ـ كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب ، قالت[٣] له جَنْب : انظرْ لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا له في أسفل جَبَله ، فنزل إليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوسٍ له ، فرفع رأسَهُ إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس ، إنَّ الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهَّر قلبه وحشاه ، ومُكْثُه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتدَّ[٤] في جبله راجعاً من حيث جاء .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة سَوَاد بن قارِب ، وقد أخَّرناها إلى هواتف الجانّ[٥] .

فصـــل

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجالٍ من قومه قالوا : إنَّ مما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ـ أنْ كُنَّا نسمع من رجالٍ من يهود ـ وكنَّا أهلَ شِرْك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لا يزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يُبعث الآن نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرَم . فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسولَه ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعَّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وقال ورقاء عن ابن أبي نَجيح ، عن علي الأزدي : كانتِ اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبيَّ يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به ـ أي يستنصرون به ـ رواه البيهقي[٧] .

---

(١) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٣٩) : كعب هاهنا هو كعب بن لؤي ، والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأُحد من أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤي ، وشعوب هاهنا أحسبها : شعُوب بفتح الشين ، وهم اسم للمنيَّة ، فإن صح هذا فالوجه أن يقال : يصرع فيها .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٩) والروض (١/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) .

(٣) في ح : قال .

(٤) في سيرة ابن هشام : وأسند ، وهي أجود ، جاء في اللسان (سند) : وسند في الجبل وأسْند : رَقِي .

(٥) سيأتي باب هواتف الجان في (ص١٤٨) من هذا الجزء .

(٦) سيرة ابن إسحاق (ص٦٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١١) والروض (١/ ٢٤٥) .

(٧) الدلائل (٢/ ٧٥ ، ٧٦) .

ثم روى[١] من طريق عبد الملك بن هارون بن عَنْتَرَةَ[٢] ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت اليهود بخيبر تقاتل غطَفَان ، فكلَّما التقَوْا هُزمت يهود خَيْبر ، فعاذتِ اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم إنّا نسألك بحقِّ محمدٍ النبيِّ الأمي[٣] ، الذي وعدتنا أن تخرجَهُ لنا في آخر الزمان إلَّا نصرتنا عليهم . قال : فكانوا إذا التقَوْا دعَوْا بهذا الدعاء فهزموا غطَفَان ، فلمَّا بُعث النبيُّ ﷺ كفروا به ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية [البقرة : ٨٩][٤] .

وروى عطيَّةُ عن ابن عباس نحوهُ[٥] . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

وقال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لَبيد[٧] ، عن سَلَمة بن سَلامة بن وَقْش[٨] ـ وكان من أهل بَدْر ـ قال : كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشْهل ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشْهَل ـ قال سَلَمة : وأنا يومئذٍ أحدثُ مَنْ فيه سِنّاً ، على فروةٍ لي ، مضطجع فيها بفناء أهلي ـ فذكر القيامةَ والبَعْثَ والحساب والميزان والجنَّة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهلِ شِرْك ، أصحابِ أوثان ، لا يَرَوْنَ أنَّ بَعْثاً كائنٌ بعد الموت ؛ فقالوا له : ويحك يا فلان ، أو ترى هذا كائناً أنَّ الناس يُبعثون بعدَ موتهم إلى دارٍ فيها جنَّةٌ ونار ، يُجزَوْن فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يُحلف به ، ويودُّ أنَّ له بحظِّهِ من تلك النار أعظمَ تَنُّور في الدار يحمونه ثم يُدخلونه إياه ، فيُطبقونه عليه ، وأنْ ينجُو من تلك النار غداً . قالوا له : ويحك يا فلان ! فما آيةُ ذلك ؟ قال : نبيٌّ مبعوثٌ من نحو هذه البلاد ـ وأشار بيدهِ إلى نحو مكةَ واليمن ـ قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سنّاً ، فقال : إنْ يستنفِدْ هذا الغلام عمُرَه يدركْه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ رسولَهُ وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بَغْياً وحسَداً ؛ قال : فقلنا له : ويحك يا فلان ؟ ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ولكن ليس به .

---

(١) في الدلائل أيضاً (٢/ ٧٦) .
(٢) في ح ، ط : عنبرة ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي والإكمال (٦/ ٣٠٢) .
(٣) لا يسأل الله إلا بالله ، ولا يسأل بحق أحد .
(٤) إسناده تالف ، فإن عبد الملك بن هارون بن عنترة كذّبه يحيى بن معين وابن حبان ، وقال أبو حاتم الرازي : متروك ذاهب الحديث ، وضعفه أحمد والدارقطني وغيرهما (الميزان ٢/ ٦٦٦) (بشار) .
(٥) وهذا إسناد ضعيف أيضاً ، فإن عطية وهو ابن سعد العوفي ضعيف (بشار) .
(٦) سيرة ابن إسحاق (٦٣ ، ٦٤) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٢) والروض (١/ ٢٤٥) .
(٧) في سيرة ابن إسحاق : محمد بن لبيد ، وهو تصحيف ، وزاد ابن هشام : أخي بني عبد الأشهل .
(٨) في ح ، ط : سلمة بن سلام . وهو تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وتجريد الذهبي (١/ ٢٣٢) والإصابة (٢/ ٦٥) والتاج (وقش) والضبط منه .

رواه أحمد[١] عن يعقوب ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق[٢] . ورواه البيهقي[٣] عن الحاكم بإسناده ، من طريق يونس بن بُكير .

وروى أبو نعيم في « الدلائل »[٤] عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، عن سلمة[٥] قال : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهوديٌّ واحد يقال له : يوشع ، فسمعتُه يقول ـ وإني لغلام في إزار : قد أظلَّكم خروجُ نبيٍّ يُبعث من نحو هذا البيت ـ ثم أشار بيده إلى بيت الله ـ فمَنْ أدركه فلْيصدِّقْه . فبُعث رسولُ الله ﷺ فأسلمنا ، وهو بين أظهرنا ، لم يُسلم حسداً وبغياً .

وقد قدَّمنا حديثَ أبي سعيد عن أبيه في أخبار يوشع هذا عن خروج رسولِ الله ﷺ وصفته ونعْته وإخبار الزُّبير بن باطا عن ظهور كوكب مولدِ رسولِ الله ﷺ[٦] .

قال ابن إسحاق[٧] : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قُرَيظة قال : قال لي : هل تدري عمَّ كان إسلام ثَعلبة بن سَعْيَة ، وأَسِيدِ بن سَعْية ، وأَسدِ بن عُبيد ـ نفرٍ من بني هَدْل ، إخوةِ بني قُريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادَتهُم في الإسلام ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإنَّ رجلاً من اليهود من أرض الشام ، يقال له : ابن الهَيِّبان ، قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظْهُرِنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط ، لا يصلِّي الخَمْس أفضلَ منه ؛ فأقام عندنا ، فكنا إذا قَحط عنا المطرُ قلنا له : اخرجْ يا ابنَ الهَيِّبان فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدِّموا بين يدي مَخْرَجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مُدَّين من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرجُ بنا إلى ظاهر حرتنا[٨] فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرحُ مجلسَه حتى يمر السحاب ونُسقَى ؛ قد فعل ذلك غيرَ مرَّة ولا مرتين ولا ثلاث . قال :

---

(١) في المسند (٣/ ٤٦٧) .
(٢) في ط : « ابن عباس » ، وهو خطأ جد ظاهر ، وأثبتنا ما في المسند ، وهو الصواب (بشار) .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٧٨) .
(٤) لم أجد الحديث فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وقوله « عن عاصم » لا يصح فأين أبو نعيم من عاصم بن عمر ابن قتادة ، إلا أن يريد : « من طريق » .
(٥) في ط : « عن محمد بن سلمة » وهو غلط بيّن ، فلا يوجد مثل هذا الراوي الذي روى عنه محمود بن لبيد ، والصواب ما أثبتنا وهو سلمة بن سلامة بن وقش وانظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٣١٠) (بشار) .
(٦) انظر حديث أبي سعيد المتقدم ص(٤٣) من هذا الجزء في موضع الحواشي ٤ ـ ٦ في المتن وقد زادت نسخة ط هنا ما نصه : ورواه الحاكم عن البيهقي (كذا وكأنه يريد : البيهقي عن الحاكم) من طريق يونس بن بكير عنه . وهذه الزيادة ليست في ح ، ولعلها أثبتت خطأً بنقل النظر إلى موضع الحاشية (٦) من الصفحة السابقة ، لذا أسقطتها من المتن لعدم صحتها .
(٧) سيرة ابن إسحاق (ص٦٤ ، ٦٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٣) والروض (١/ ٢٤٦) .
(٨) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض : حرَّتنا ، وحَرْث موضع من نواحي المدينة . معجم البلدان (٢/ ٢٣٨) .

ثم حضرَتْه الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يَهُود ، ما ترَوْنه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : أنت أعلم . قال : فإني إنما قدِمتُ هذه البلدة أتوكف[١] خروجَ نبيٍّ قد أظلَّ زمانه ، هذه البلدة مُهَاجَرُه ، فكنتُ أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقد أظلَّكم زمانُه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسَبْي الذَّرَاري ممَّنْ[٢] خالفه ، فلا يَمْنَعنَّكم ذلك منه ، فلما بُعث رسولُ الله ﷺ وحاصر بني قُرَيظة قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ : يا بني قُرَيظة ، والله إنه للنَّبيُّ الذي عهِد إليكم فيه ابنُ الهَيَّبان . قالوا : ليس به ؛ قالوا : بلى والله إنه لهو بصفته . فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءَهم وأموالَهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أحبار[٣] يهود .

قلت : وقد قدَّمْنا في قدوم تُبَّع اليماني[٤] ، وهو أبو كَرِب تُبَّان أسعد إلى المدينة ، ومُحاصرته إيَّاها ، وأنه خرج إليه ذانك الحَبْرَان من اليهود فقالا له : إنه لا سبيل لك عليها ، إنها مهاجَرُ نبيٍّ يكونُ في آخرِ الزمان ؛ فثَنَاهُ ذلك عنها .

وقد روى أبو نُعيم في الدلائل[٥] ، من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سَلام عن أبيه عن جدِّه . قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله [عزَّ وجلَّ] لما أراد هُدى زيدِ بن سَعْنَة[٦] قال زيد : لم يبق من علاماتِ النبوَّة شيء إلا وقد عرفتُها في وجْه محمدٍ ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبُرْهما منه : يسبقُ حِلْمُه جهلَه ، ولا يزيدُه شدَّة الجهلِ عليه إلا حِلْماً . قال : فكنتُ أتلطَّف له لأنْ أُخالطه فأعرفَ حِلمه وجهله .

فذكر قصة إسلافِهِ للنبيِّ ﷺ مالاً في ثمرة ، قال : فلما حلَّ الأجل[٧] أتيتُه فأخذتُ بمجامع قميصه وردائه ـ وهو في جنازة مع أصحابه ـ ونظرتُ إليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد ، ألا تقضيني حقي ؟ فوالله ما علمتُكم بني عبد المطلب [إلَّا] لمُطُل[٨] ، قال : فنظر إليَّ عمر وعيناه تدورانِ في وجهه كالفلك

---

(١) « يتوكف الخبر » : ينتظره ، ويسأل عنه ويتوقعه . اللسان (وكف) .
(٢) في ح ، ط : فيمن ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .
(٣) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : أخبار بالخاء المعجمة .
(٤) انظر الجزء الثاني من الكتاب في قصة تبع أبي كرب .
(٥) الدلائل لأبي نعيم (١/ ٩١) وما يأتي بين معقوفين منه والخبر في الدلائل مطوَّل .
(٦) في ط : سَعْية . وهو على الصواب في ح والدلائل والروض؛ والضبط من الإكمال (٥/ ٦٦) . قال السهيلي في الروض : (١/ ٢٤٩) : ويقال في اسمه سَعْية بالياء ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون . المؤتلف والمختلف (٣/ ١٣٨٧) .
(٧) في دلائل أبي نعيم : فلما كان قبل محلِ الأجل بيومين أو ثلاثة .
(٨) مُطُل : بضم الميم والطاء : جمع مَطُول قياساً ، وهو من المَطْل : التسويف والمدافعة بالعِدَة والدين . اللسان (مطل) .

المستدير ، ثم قال : يا عدو الله ، أتقول لرسولِ الله ﷺ ما أسمع ؟! وتفعل ما أرى ؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لَوْمه[١] لضربتُ بسيفي رأسك . ورسولُ الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكونٍ وتُؤَدَةٍ وتبسُّم ، ثم قال : « أنا وهو كنَّا أحوجَ إلى غيرِ هذا منك يا عمر : أن تأمرني بحُسْن الأداء ، وتأمرَهُ بحُسْنِ التِّبَاعة ، اذهبْ به يا عمر فاقْضِهِ حقه . وزد عشرين صاعاً من تمر »[٢] . فأسلم زيد بن سَعْنة رضي الله عنه ، وشهد بقيةَ المشاهد مع رسولِ الله ﷺ وتوفي عام تبوك ، رحمه الله .

ثم ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله إسلامَ سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه فقال[٣] : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادةَ الأنصاريّ ، عن محمود بن لَبيد ، عن عبد الله بن عباس قال : حدّثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنتُ رجلاً فارسياً من أهل أصْبهان ، من أهلِ قريةٍ يُقال لها : جَيّ[٤] ، وكان أبي دِهقَان[٥] قريتِهِ ، وكنتُ أحَبَّ خلقِ الله إليه ، فلم يزل به حبُّه إيَّاي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية ؛ واجتهدتُ في المجوسية ، حتى كنتُ قَطِن[٦] النارِ التي يوقدها ، لا يتركها تَخبو ساعة[٧] قال : وكانتْ لأبي ضيعةٌ عظيمة ، قال : فشُغل في بُنْيان له يوماً ، فقال لي : يا بني ، إني قد شُغلت في بُنياني هذا اليومَ عن ضَيعتي ، فاذهبْ إليها فاطَّلعها ، وأمرني فيها ببعض ما يُريد ، ثم قال لي ولا تحتبس عني ، فإنك إن احْتبستَ عني كنتَ أهمَّ إليَّ من ضَيعتي ، وشغَلْتَني عن كلِّ شيءٍ من أمري . قال : فخرجتُ أريد ضيعتَه التي بعثني إليها ، فمررتُ بكنيسةٍ من كنائس النصارى ، فسمعتُ أصواتَهم فيها وهم يُصَلُّون ، وكنتُ لا أدري ما أمْرُ الناس لحَبْسِ أبي إياي في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون ، فلما رأيتُهم أعجبَتْني صلاتُهم ورغبتُ في أمرهم وقلت : هذا والله خيرٌ من الدِّين الذي نحن عليه ، فوالله ما بَرِحْتُهم حتى غَرَبتِ الشمس ، وتركتُ ضيعةَ أبي فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعتُ إلى أبي وقد بعث في طلبي ، وشغلتُهُ عن أمره كله ، فلما جئتُ قال : أيْ بُني ، أين كنت ؟ ألم أكنْ أعهدُ إليكَ ما عهدت ؟ قال : قلت : يا أبة ، مررتُ بأناسٍ يصلُّون في كنيسةٍ لهم ، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غرَبَتِ الشمس . قال : أيْ بُني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينُكَ ودينُ آبائك خيرٌ منه .

---

(١) في دلائل أبي نعيم : فوته .
(٢) في دلائل أبي نعيم : وزده عشرين صاعاً مكان مارعته .
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٦٠ ـ ٧٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٤) والروض (٢٤٧) .
(٤) « جَيّ » : بالفتح ثم التشديد : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة ، وهي الآن كالخراب منفردة ، وتسمى الآن عند العجم شهرستان ، وعند المحدثين المدينة . معجم البلدان (٢/ ٢٠٢) .
(٥) « الدِّهقان » : بكسر الدال وضمها : القوي مع التصرف مع حدة ، وزعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم ، ومن له عقار كثير ، فارسي معرّب . القاموس والمغرب (دهقن) .
(٦) قال شمر : قَطِن النار : خازنها وخادمها ، ويجوز أنه كان مقيماً عليها ، رواه بكسر الطاء . اللسان (قطن) .
(٧) زاد ابن إسحاق في سيرته هنا : فكنت كذاك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه .

قال : قلت : كلا والله ، إنه لخيرٌ من ديننا . قال : فخافني ، فجعل في رِجْلي قيداً ، ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركْبٌ من الشام فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركبٌ من الشام ، فجاؤوني النصارى[1] فأخبروني بهم ، فقلت : إذا قضَوْا حوائجَهم وأرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم فآذِنوني قال : فلما أرادوا الرجعةَ إلى بلادهم أخبروني بهم ؛ فألقَيْتُ الحديدَ من رجلي ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام ، فلما قدمتُها قلت : مَنْ أفضلُ أهلِ هذا الدِّين عِلْماً ؟ قالوا : الأُسْقُفُّ في الكنيسة . قال : فجئتُه فقلتُ له : إني قد رغبتُ في هذا الدِّين ، وأحببتُ أن أكونَ معك وأخدُمكَ في كنيستك ، وأتعلَّم منك ، فأصلِّي معك . قال : ادخُلْ . فدخلتُ معه ، فكان رَجُلَ سَوْء ، يأمرُهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزَهُ لنفسه ، ولم يُعطِهِ المساكين ، حتى جمع سبع قِلالَ من ذهبٍ ووَرِق . قال : وأبغضتهُ بُغْضاً شديداً لِمَا رأيته يصنع ، ثم مات ، واجتمعتْ له النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إنَّ هذا كان رجُلَ سوء ، يأمرُكم بالصدقة ويرغِّبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ، ولم يُعْطِ المساكين منها شيئاً . قال : فقالوا لي : وما عِلْمك بذلك . قال : فقلتُ لهم : أنا أدلُّكم على كَنْزه . قالوا : فدُلَّنا . قال : فأريتُهم موضِعَه ، فاستخرجوا سبع قِلال مملوءةً ذهباً ووَرِقاً ، فلما رأوها قالوا : لا ندفنُه أبداً . قال : فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاؤوا برجلٍ آخر فجعلوه موضعه .

قال سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمس ، أرى أنه أفضل منه ، أزهد في الدنياولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً . قال : فأحببتُه حُبّاً لم أُحِبَّ شيئاً قبلَه مثلَه . قال : فأقمتُ معه زمانا ، ثم حضرَتْهُ الوفاةُ فقلتُ له : إني قد كنتُ معك وأحببتُكَ حبّاً لم أُحِبَّهُ شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمْرِ الله تعالى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبمَ تأمُرني به ؟ قال : أيْ بُني ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه . لقد هلك الناس وبدَّلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالحَقْ به .

قال : فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحبِ المَوْصل[2] ، فقلت : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصاني عند موته أنْ ألحقَ بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقِمْ عندي . فأقمتُ عنده فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمْر صاحبه ، فلم يلبثْ أن مات ؛ فلما حضرَتْهُ الوفاةُ قلت له : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصى بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبما[3] تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنَّا عليه إلا رجلاً بنَصِيبين[4] وهو فلان ، فالحق به ؟

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : تجار من النصارى ، وهو أشبه بالصواب ، وفي سيرة ابن إسحاق : فقدم عليهم ناس من تجارهم ، فبعثوا إلي أنه قدم علينا تجار من تجارنا .

(٢) زاد ابن إسحاق في السيرة هنا : فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا .

(٣) كذا في ح وفي ط والسيرة : « وبم » وإثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ . وانظر (ص٨٢ حاشية ١) من هذا الجزء.

(٤) نَصِيبين ، بفتح فكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح : مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى =

فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب نَصيبين ، فأخبرتُه خبري وما أمرني به صاحبي[١] . فقال : أقم عندي ، فأقمتُ عنده ، فوجدتُه على أمر صاحبيه ، فأقمتُ مع خيرِ رجل ، فوالله ما لَبِث أن نزل به الموت ، فلما حُضر قلت له : يا فلان ، إنَّ فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلانٌ[٢] إليك ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمهُ بَقِيَ أحدٌ على أمرنا آمرُكَ أنْ تأتيَهُ إلا رجلٌ بعَمُّوريَّة[٣] من أرض الرُّوم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإنْ أحببتَ فأْته فإنَّه على أمرنا .

فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب عَمُّورية فأخبرتُه خبَري ، فقال : أقمْ عندي . فأقمتُ عند خيرِ رجل ، على هَدْي أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبتُ حتى كانتْ لي بقرات وغُنيمة . قال : ثم نزل به أمْرُ الله ، فلما حُضر قلت له : يا فلان ، إني كنتُ مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلانٌ إلى فلان ثم أوصى بي فلانٌ[٤] إليك ، فإلى مَنْ تُوصي بي أنت ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أيْ بُني ، والله ما أعلمُه أصبح أحدٌ على مثل ما كنَّا عليه من الناس آمرك أنْ تأتيَه ، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ مبعوثٍ بدينِ إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُه إلى أرض بين حرَّتين ، بينهما نَخْل ، به علاماتٌ لا تخفى ، يأكلُ الهديَّة ، ولا يأكلُ الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوَّة ؛ فإنِ استطعتَ أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثتُ بعمُّورية ما شاء الله أنْ أمكث ، ثم مرَّ بي نَفَرٌ من كلبٍ ، تجَّارٌ ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغُنيمتي هذه ، قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا واديَ القُرَى ظلموني ، فباعوني من رجلٍ يهودي عبداً ، فكنتُ عنده ، ورأيتُ النخلَ فرجوتُ أن يكون البلدَ الذي وصف لي صاحبي ، ولم يَحِقَّ في نفسي ؛ فبينا أنا عنده إذْ قَدِم عليه ابنُ عمٍّ له ، من بني قُرَيظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتُها بصفة صاحبي لها ، فأقمتُ بها ، وبُعث رسولُ الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، ممَّا أنا فيه من شغل الرِّقّ ؛ ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأسِ عَذْقٍ لسيدي أعمل فيه بعضَ العمل . وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابنُ عمٍّ له حتى وقف عليه فقال : يا فلان ، قاتل الله بني قَيْلَة ، والله إنهم لمجتمعون الآن بقُبَاء[٥] على رجلٍ قدم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبيّ . قال سلمان : فلما

= الشام، بينها وبين الموصل ستة أيام. معجم البلدان (٥/ ٢٨٨). وموقعها على الحدود الشمالية الشرقية من سورية.

(١) كذا في ح ، وفي ط : صاحباي ، وكذا في الروض ، وفي سيرة ابن هشام : صاحبه .

(٢) كذا في ح وسيرة ابن هشام والروض ، وزاد في ط : إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك .

(٣) عمُّوريَّة ، مشددة الميم والياء . قال الصاغاني : كذا ذكروا ، والقياس تخفيف الياء . هي في بلاد الروم . وهي التي غزاها المعتصم سنة ٢٢٣هـ. وعمورية أيضاً بليدة على شاطىء العاصي بين أفامية وشيزر. معجم البلدان (٤/ ١٥٨) والتاج (عمر) .

(٤) كذا في ح وسيرة ابن هشام والروض ، وزاد في ط : إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك

(٥) « قباء » : يُمد ويقصر : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، وبها مسجد التقوى . معجم البلدان (٤/ ٣٠١ ، ٣٠٢) .

سمعتُها أخذتْني العُرَواءُ[١] حتى ظننتُ أني ساقط على سَيِّدي ، فنزلتُ عن النخلة ، فجعلتُ أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال : فغضب سيِّدي فلكمني لكمةً شديدةً ، ثم قال : مالك ولهذا ؟! أقبلْ على عملك . قال : فقلت : لا شيء ، إنما أردتُ أن أستبينَهُ[٢] عمّا قال .

قال : وقد كان عندي شيءٌ قد جمعتُه ، فلما أمسيتُ أخذتُه ، ثم ذهبتُ به إلى رسولِ الله ﷺ وهو بقُبَاء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحابٌ لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيءٌ كان عندي للصدَقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم . قال : فقرَّبتُه إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « كُلوا » وأمسكَ يدَهُ فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة ؛ثم انصرفتُ عنه فجمعتُ شيئاً ، وتحوَّل رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ؛ ثم جئته [به][٣] فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هديَّة أكرمتُكَ بها . قال : فأكل رسولُ الله ﷺ منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه . قال : فقلتُ في نفسي : هاتان ثنتان . قال : ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو ببقيع الغَرْقد ، قد تبع جنازةَ رجلٍ من أصحابه[٤] وعليَّ شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمتُ عليه . ثم استدبرتُه أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرته عَرَف أني أستثبت في شيء وُصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه ، فأكْبَبْتُ عليه أقبِّلُه وأبكي ، فقال لي رسول الله ﷺ :« تحوَّل » فتحولتُ بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدَّثتك يا ابن عباس . فأُعجب رسولُ الله ﷺ أن يسمع ذاك أصحابه . ثم شَغَلَ سلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسولِ الله ﷺ بَدْرٌ وأُحُد .

قال سلمان : ثم قال لي رسولُ الله ﷺ : « كاتِبْ يا سلمان » فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمئة نخلة أُحْيِيها له بالفَقِير[٥] ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أعينوا أخاكم » . فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيَّة[٦] ، والرجل بعشرين ودِيَّة ، والرجل بخمس عشرة ودِيَّة ، والرجل بعشرة[٧] . يُعين الرجلُ بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمئة وَدِيَّة ؛ فقال لي رسول الله ﷺ : « اذهبْ يا سلمانُ ففقِّرْ

---

(١) في هامش ح : هي الرِّعْدة بنافض ، وقال ابن هشام في السيرة : والعرواء : الرِّعْدة من البرد والانتفاض ، فإن مع ذلك عَرَق فهي الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود .

(٢) كذا في ح ، وفي ط وسيرة ابن هشام والروض : أستثبته .

(٣) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام .

(٤) هو كلثوم بن الهدم كما في الروض (١/ ٢٥٢) .

(٥) « الفقير » : حُفير يحفر حول الفسيلة إذا غُرست اللسان (فقر) : وفيه : وفي الحديث : قال لسلمان : اذهب ففقِّر الفسيل ، أي احفر لها موضعاً تُغرس فيه .

(٦) « الوَدِيَّة » : واحدة الوَدِيّ : وهو فسيل النخل وصغاره . اللسان (ودي) .

(٧) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن هشام والروض : بعشر . قلت : تأنيث العدد جائز إذا كان المعدود ملحوظاً ، حاشية الخضري (٢/ ١٦٢) والنحو الوافي (٤/ ٥٤٥) .

لها ، فإذا فرغتَ فأتِني أكُنْ أنا أضعُها بيدي » . قال : ففقَّرْتُ ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغتُ جئتهُ فأخبرته ، فخرج رسولُ الله ﷺ معي إليها . فجعلنا نقرِّبُ إليه الوَدِيَّ ويضَعُه رسولُ الله ﷺ بيده ، حتى إذا فرَغْنا ـ فوالذي نفسُ سلْمان بيده ما ماتت ودية واحدة ـ فأدَّيت النخل وبقي عليَّ المال . فأُتي النبيُّ ﷺ بمثل بَيْضة الدجاجة من ذهب ، من بعض المعادن ، فقال : « ما فعل الفارسيُّ المكاتَب » ؟ قال : فدُعيت له ، قال : « خذْ هذه فأدِّها ممَّا عليك يا سلْمان » قال : قلت : وأين تقعُ هذه مما عليَّ يا رسول ؟ قال : « خُذْها فإنَّ الله سيؤدِّي بها عنك » قال : فأخذتُها فوزنتُ لهم منها ـ والذي نفسُ سلمانَ بيده ـ أربعين أُوقيَّة ، فأوفيتهم حقَّهم [منها][1] وعَتَقَ سلْمان . فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق حُرّاً ، ثم لم يفُتْني معه مشهد .

قال ابن إسحاق[2] : وحدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجلٍ من عبد القيس ، عن سلمان أنه[3] قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي عليَّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله ﷺ : فقلَّبها على لسانه ، ثم قال : « خُذْها فأوفِهم منها » فأخذتُها فأوفيتهم منها حقَّهم كلَّه ، أربعين أوقية .

وقال محمد بن إسحاق[4] : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حدّثني مَنْ لا أتَّهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال : حُدِّثت عن سلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره خَبَره : أن صاحب عَمُّورية قال له : ائتِ كذا وكذا من أرض الشام ، فإنَّ بها رجلاً بين غَيْضتَيْن يخرج كلَّ سنةٍ من هذه الغيضة مستجيزاً يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفي فاسألْهُ عن هذا الدِّين الذي تبتغي فهو يُخبرك عنه . قال سلمان : فخرجتُ حتى جئتُ حيثُ وصف لي ، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك ، حتى خرجَ[5] لهم تلك الليلةَ مستجيزاً من إحدى الغيضتَيْن إلى الأخرى ، فغشيه الناسُ بمَرْضاهم ، لا يدعو لمريضٍ إلا شُفي ، وغلبوني عليه ، فلم أخلُصْ إليه حتى دخل الغيضةَ التي يريدُ أن يدخل إلا مَنْكِبَه ؛ قال : فتناولتُه فقال : من هذا ؟ والتفت إليّ قال : قلت : يرحمك الله ، أخبرني عن الحنيفيَّة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألُ عن شيء ما يسأل عنه الناسُ اليوم ، قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعثُ بهذا الدين من أهل الحَرَم ، فأْتِهِ فهو يَحْمِلُكَ عليه .

ثم دخل فقال رسول الله ﷺ لسلمان : « لئنْ كنتَ صدقتني يا سلمان لقد لَقِيتَ عيسى بن مَرْيَم » .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وفيها رجلٌ مُبْهَم ، وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة ؛ وقد قيل إنه الحسن بن عمارة ، ثم هو منقطع ، بل مُعْضلٌ بين عمر بن عبد العزيز وسلْمان رضي الله عنه .

---

(١) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام والروض .
(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٧١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٢١) والروض (١/ ٢٥٢) .
(٣) سقط من ح قوله : عن سلمان أنه ، وهو في ط وسيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص٧٠ ، ٧١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٢١ ، ٢٢٢) والروض (١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .
(٥) في ح ، ط : يخرج ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .

قوله : « لئن كنتَ صدقتني يا سلمان لقد لَقِيت عيسى بن مريم » غريبٌ جداً بل مُنْكَر ؛ فإنَّ الفترة أقلُّ ما قيل فيها أنها أربعمئة سنة ، وقيل ستمئة سنة بالشمسيَّة ، وسلمان أكثر ما قيل : إنه عاش ثلاثمئة سنة وخمسين سنة .

وحكى العباس بن يزيد البَحْراني إجماع مشايخِهِ على أنه عاش مئتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمئة وخمسين سنة . والله أعلم . والظاهر أنه قال : « لقد لَقِيت وصيَّ عيسى ابن مريم » فهذا ممكن بالصواب[١] .

وقال السُّهيلي[٢] : الرجل المُبْهم هو الحسن بن عُمَارة ، وهو ضعيفٌ [بإجماعٍ منهم] فإنْ صحَّ لم يكنْ فيه نكارة . لأنَّ ابن جَرِير ذكر أنَّ المسيح نزل من السماء بعد ما رفع ، فوجد أُمه وامرأةً أخرى يبكيانِ عند جذع المصلوب ، فأخبرهما أنه لم يقتل ، وبعث الحواريين بعد ذلك . قال : وإذا جاز نزوله مرَّة جاز نزوله مراراً ، ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسِرُ الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويتزوَّج حينئذٍ امرأةً من بني جُذَام ، وإذا مات دُفن في حُجْرة روضةِ رسولِ الله ﷺ .

وقد روى البيهقي في كتاب « دلائل النبوة »[٣] قصةَ سلمان هذه ، من طريق يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق كما تقدَّم ، ورواها أيضاً[٤] عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن يحيى بن أبي طالب : حدّثنا عليُّ بن عاصم ، حدّثنا حاتم بن أبي صَغِيرة[٥] ، عن سِمَاك بن حَرْب ، عن زيد[٦] بن صُوحان أنه سمع سلمان يحدِّث كيف كان أول إسلامه ؛ فذكر قصةً طويلة ، وذكر أنه كان من رامَهُرْمُز[٧] ، وكان له أخٌ أكبر منه غنيّ ، وكان سلمانُ فقيراً في كنَفِ أخيه ، وأنَّ ابنَ دِهْقانها[٨] كان صاحباً له ، وكان يختلف معه إلى معلِّمٍ لهم ، وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عُبَّاد من النصارى في كهفٍ لهم ، فسأله سلمان أنْ يذهبَ به معه إليهم ، فقال له : إنك غلام ، وأخشى أنْ تَنُمَّ عليهم فيقتلهم أبي . فالتزم له أن لا يكون منه شيءٌ

---

(١) قلت : وهي رواية الذهبي في السير (١/ ٥١٢) عن ابن إسحاق به .

(٢) الروض الأنف (١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) بألفاظ مقاربة ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) دلائل النبوة (٢/ ٩٢) .

(٤) في الدلائل أيضاً (٢/ ٨٢) .

(٥) في ح ، ط : صفرة ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتقريب التهذيب (١/ ١٣٧) وتهذيب التهذيب (٢/ ١٣٠) .

(٦) في ح ، ط : يزيد . والمثبت من دلائل البيهقي وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٥) في ترجمته . قلت : أظن أن في السند انقطاعاً ، فوفاة سماك سنة ١٢٣هـ ووفاة زيد سنة ٣٦هـ ، وأخبار سلمان يرويها سماك عن أبي قدامة النعمان بن حميد عن زيد بن صوحان ، أو سماك عن رجل عن زيد ، انظر سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٧) . وسماك ممن يضطرب في حديثه فيزيد في الإسناد أو ينقص ، انظر في ذلك شرح علل الترمذي (١/ ١٤١) .

(٧) « رامَهُرْمُز » : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . معجم البلدان (٣/ ١٧) والتاج (هرمز) .

(٨) مضى شرح معنى دهقان (ص١١٥ الحاشية ٥) .

يكرهه ، فذهب بِهِ معه . فإذا هم ستة أو سبعة ، كأنَّ الرُّوحَ قد خرجتْ منهم من العبادة ، يصومونَ النهار ويقومونَ الليلِ ، يأكلون الشجر وما وجدوا ، فذكر عنهم أنهم يؤمنونَ بالرُّسُلِ المتقدِّمين ، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وابنُ أَمَتِه ، أيَّدَهُ بالمعجزات . وقالوا له : يا غلام ، إنَّ لك ربّاً وإنَّ لك معاداً ، وإنَّ بين يديك جنةً وناراً ، وإنَّ هؤلاء القومَ الذين يعبدون النِّيرانَ أهلُ كفرٍ وضلالة ، لا يرضى الله بما يصنعون ، وليسوا على دين .

ثم جعل يتردَّدُ مع ذلك الغلام إليهم ، ثم لزمهم سلمانُ بالكليَّة ؛ ثم أجلاهم ملِكُ تلك البلاد ، وهو أبو ذلك الغلام الذي صحبه سلمان إليهم عن أرضه ، واحتبسَ الملكُ ابنَهُ عنده ، وعرض سلمان دِينَهم على أخيه الذي هو أكبر منه ، فقال : إني مشتغل بنفسي في طلب المعيشة ، فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسةَ المَوْصل ، فسلَّم عليهم أهلُها ثم أرادوا أن يتركوني عندهم ، فأبَيْتُ إلا صُحْبتَهم ؛ فخرجوا حتى أتَوْا وادياً بين جبال ، فتحدَّر إليهم رهبانُ تلك الناحية يسلِّمون عليهم ، واجتمعوا إليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ، ويسألونهم عني فيُثنون عليَّ خيراً . وجاء رجلٌ معظَّم فيهم ، فخطبهم ، فأثنى على الله بما هو أهلُه ، وذكَرَ الرُّسل وما أُيِّدوا به ، وذكر عيسى ابن مريم ، وأنه كان عبدَ الله ورسولَه ، وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه . قال : فكان يصومُ النهار ويقوم الليل ، من الأحد إلى الأحد ، فيخرج إليهم ويَعِظُهم ويأمرُهم وينهاهم ، فمكث على ذلك مُدَّةً طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المَقْدِس ، فصحبه سلمانُ إليه . قال : فكان فيما يمشي يلتفتُ إليَّ ويُقبل عليّ ، فيعِظُني ويُخبرني أنَّ لي رباً ، وأنَّ بين يديَّ جنةً وناراً وحساباً ، ويعلِّمني ويذكِّرُني نَحْوَ ما كان يُذكِّر القومَ يومَ الأحد . قال : فيما يقول لي ؟ يا سلمان ، إنَّ الله سوفَ يَبْعَثُ رسولاً اسمُه أحمد ، يخرج من تِهَامة[(١)] ، يأكل الهديَّة ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفَيْه خاتم ، وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب ، فأمَّا أنا فإني شيخٌ كبير ، ولا أحسبني أُدركه ، فإن أدركتَهُ أنتَ فصدِّقْه واتَّبعْه . قلت له : وإنْ أمرني بترك دينِكَ وما أنت عليه ؟ قال : وإنْ أمرك ، فإنَّ الحقَّ فيما يجيءُ به ، ورِضَى الرحمن فيما قال .

ثم ذكر قدومَهما إلى بيت المقدس ، وأنَّ صاحبه صلَّى فيه هاهنا وهاهنا ، ثم نام ، وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظِّلُّ مكان كذا أنْ يُوقظه ، فتركه سلمانُ حيناً آخر أزْيَدَ مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذَكَرَ الله ولامَ سلمانَ على تَرْك ما أمَرَهُ بِهِ من ذلك . ثم خرجا من بيت المقدس ، فسأله مُقْعَدٌ فقال : يا عبد الله ، سألتُكَ حين وصلت فلمْ تعطني شيئاً ، وها أنا أسألك . فنظر فلم يجدْ أحداً ، فأخذ بيده وقال : قُمْ بسم الله ، فقامَ وليس به بأسٌ ولا قَلَبَةٌ[(٢)] ، كأنما نَشِط من عِقَال[(٣)] ؛ فقال لي يا عبد الله ، احْمِلْ عليَّ متاعي حتى

---

(١) ويروى : ويخرج بتهامة وكلا الروايتين مثبت في ح .

(٢) يقال : ما به قَلَبَة : أي ألمٌ وعِلَّة يخشى عليه منها . التاج (قلب) .

(٣) جاء في اللسان (نشط) : ويقال للآخذ بسرعة في أي عمل كان ، وللمريض إذا برَأ . . . كأنما أُنْشِط من عقال ، نشط أي حُلّ ؛ قال ابن الأثير : وكثيراً ما يجيء في الرواية : كأنما نشط من عقال، وليس بصحيح . النهاية (٥/ ٥٧) .

أذهبَ إلى أهلي فأبشِّرَهُم ، فاشتغلتُ به ، ثم أدركتُ الرجل فلم ألحقه ولم أدْرِ أين ذهب ، وكلّما سألتُ عنه قوماً قالوا : أمامك ، حتى لقيني ركبٌ من العرب من بني كلب ، فسألتهم ، فلما سمعوا لغتي أناخ رجلٌ منهم بعيرَه ، فحملني خلفه ، حتى أتَوْا بي بلادَهم . فباعوني ، فاشترَتْني امراةٌ من الأنصار ، فجعلَتْني في حائطٍ لها ، وقدِم رسولُ الله ﷺ .

ثم ذكر ذهابَهُ إليه بالصَّدَقةِ والهديَّة ليستعلم ما قال صاحبُه ، ثم تطلّب النظر إلى خاتم النبوّة ، فلما رآه آمن من ساعته . وأخبر رسولَ الله خبرَهُ الذي جرى له . قال : فأمر رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصديق ، فاشتراه من سيدته فأعتقه . قال : ثم سألتُه يوماً عن دين النصارى ، فقال : « لا خير فيهم » . قال : فوقع في نفسي من أولئك الذين صحِبْتُهم ، ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معي ببيت المقدس ، فدخلني من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى أنزل الله على رسول الله ﷺ : ﴿ [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ][1] وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . فدعاني رسولُ الله ﷺ فجئتُ وأنا خائف ، فجلستُ بين يديه ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الآيات [illegible] ثم قال : « يا سلمان ، أولئك الذين كنتَ معهم وصاحِبُك لم يكونوا نَصارى ، كانوا مسلمين » فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لهو أمرني باتِّباعك ، فقلت له : فإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال : نعم فاتركه ، فإنَّ الحقَّ وما يرضي الله فيما يأمرك .

وفي هذا السياق غرابةٌ كثيرة ، وفيه بعضُ المخالفة لسياق محمد بن إسحاق ، وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً ، وأقرب إلى ما رواه البخاريُّ في صحيحه[2] ، من حديث معتمر بن سليمان بن طَرْخان التَّيْمي عن أبيه ، عن أبي عثمان النَّهْدي ، عن سلمانَ الفارسي ، أنَّهُ تداوَلَهُ بضعةَ عشرَ ، من ربٍّ إلى ربّ . أي : من معلِّم إلى معلِّم[3] ، ومُرَبٍّ إلى مثله ، والله أعلم .

قال السُّهيلي[4] : تداولَهُ ثلاثونَ سيداً ، من سَيِّد إلى سَيِّد . فالله أعلم .

وكذلك استقصى قصةَ إسلامِهِ الحافظُ أبو نعيم في « الدلائل »[5] ، وأورد لها أسانيدَ وألفاظاً كثيرة ، وفي بعضها أنَّ اسْمَ سيِّدتِه التي كاتبَتْه خُليسةُ[6] . فالله أعلم .

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح والآية في سورة المائدة الآية (٨٢) .

(٢) فتح الباري (٣٩٤٦) كتاب مناقب الأنصار باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٧٧) : أي من سيد إلى سيد ، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق رب على السيد .

(٤) في الروض (١/ ٢٥١) .

(٥) (١/ ٢٥٨) وما بعدها .

(٦) في ح : حُليسة بحاء مهملة وضمة فوقها ، وفي ط : حلبسة ، وكلاهما تصحيف نبه عليه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٧٩) في القسم الرابع من حرف الحاء ، ثم ساق ترجمتها في حرف الخاء المعجمة (٤/ ٢٨٦) وقصة بيع =

ذكر أخبار غريبة في ذلك

قال أبو نعيم في « الدلائل »[١] : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلابي ، حدّثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السَّويَّة المِنْقَري ، حدّثنا عبّاد بن كسيب ، عن أبيه ، عن أبي عِتْوَارة الخُزاعي عن سَعْر[٢] بن سوادة العامري قال : كنتُ عَسِيفاً لعقيلةٍ من عقائل الحيّ ، أركبُ لها الصَّعْبَ والذَّلول[٣] ، لا أبقي[٤] من البلاد مَطْرَحاً[٥] أرجو ربحاً في متجر إلا أتيتُه ، فانصرفتُ من الشام بحرثٍ وأثاث ، أريدُ به كُبَّة[٦] الموْسم ودهماءَ العرب ، فدخلتُ مكة بليلٍ مُسْدِف ، فأقمتُ حتى تعرَّى عني قميص الليل ، فرفعتُ رأسي ، فإذا قِبابٌ مُسَامِتَةٌ شَعَفَ الجبال ، مضروبة بأنْطاعِ الطائف[٧] ، وإذا جُزُرٌ تُنحَر ، وأخرى تُساق ، وإذا أكَلَةٌ وحَثَثَةٌ على الطهاة يقولون : ألا عَجِّلُوا ألا عجلوا . وإذا رجل يجهز على نشَز من الأرض ، ينادي : يا وَفْد الله مَيِّلوا إلى الغَدَاء . وأُنَيْسَانٌ على مَدْرَجَةٍ يقول : يا وفد الله ، من طعِم فلْيَرُحْ إلى العشاء ، فجَهَرَني ما رأيت[٨] ، فأقبلتُ أريد عَميدَ القوم ، فعرف رجلٌ الذي بي ، فقال : أمامك . وإذا شيخ كأن في خدَّيه الأساريع[٩] ، وكأنَّ الشِّعرَى توقد من جبينه ، قد لاث على رأسه عِمامةً سوداء ، قد أبرز من ملائها جُمَّةً فَيْنَانة ، كأنها (سَاسَم[١٠]) - قال في بعض الروايات : تحته كرسيٌّ سَاسَم - ومن دونها نُمْرُقةٌ ، بيده قضيب يتخصَّر[١١] به ، حوله مشايخُ جَلَسَةٌ جِلَّة ، نواكسُ الأذقان ، ما منهم أحد يفيض بكلمة . وقد كان نُمي إليَّ خَبرٌ من أخبار الشام ، أنَّ النبيَّ الأميَّ هذا أوانُ نُجومه ،

= سلمان أيضاً في سير أعلام النبلاء (١/ ٥١٩) وما بعدها .

(١) لم أجده في دلائل أبي نعيم طبعة حيدر أباد الدكن الهند ، ولا التي بتحقيق قلعه جي وعبد البر عباس ، وذكره ابن حجر في الإصابة مختصراً في ترجمة « سعر » .

(٢) في ح : سعيد ، وفي ط : سعير ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإصابة في ترجمة سعر بن سوادة .

(٣) يقال : ركبوا كل صَعْب وذَلول في أمرهم : إذا بذلوا فيه الطاقة . والعسيف : الأجير . الأساس (ذلل) .

(٤) في ح : التّق ، أي : ألْتَاقُ ، من التاق بالمكان ، إذا لزمه وثبت فيه . والمثبت من ط .

(٥) في ط : مسرحاً ، والمثبت من ح ، والمطرح : المكان البعيد . المعجم الوسيط (طرح) .

(٦) « الكُبَّة » : الجماعة من الناس ، وفي حديث ابن مسعود : أنه رأى جماعة ذهبت فرجعت ، فقال : إياكم وكُبَّة السُّوق فإنها كبَّة الشيطان ، أي جماعة السوق ، واللفظة في ح : كبد الموسم ، أي وسطه ، وكبد كل شيء : وسطه ومعظمه . اللسان (كبب ، كبد) .

(٧) « أنطاع » : جمع نِطْع ، وهو البساط من الجلد . المعجم الوسيط (نطع) .

(٨) « جهرني الشيءُ » : راعني . اللسان (جهر) .

(٩) « الأساريع » : دود بيض الأجساد حمر الرؤوس . يكون في الرمل ، تشبه بها أصابع النساء ، ويقال : ثغر ذو أساريع : خطوط وطرائق ، وفي صفته ﷺ : كأن عنقه أساريع الذهب ، أي طرائقه . التاج (سرع) .

(١٠) في ط : سماسم ، والمثبت من ح ، والسَّاسَم : شجر أسود ، وقيل هو الأسود ، يتخذ منه السهام . والجُمَّةُ : مجتمع شعر الرأس ، ولاث العمامة على رأسه لفَّها . اللسان (سسم ، جمم ، لوث) .

(١١) في ط : متخصر .

فلما رأيته ظننتُه ذلك ، فقلت : السلامُ عليك يا رسول الله . فقال : مه مه ، كلا وكأنْ قد ، وليتني إيّاه . فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقالوا : هذا أبو نَضْلة ، هذا هاشم بن عبد مَنَاف . فولَّيتُ وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آلِ جفنة . يعني ملوكَ عرب الشام من غسان ، كان يقال لهم : آل جفنة ، وهذه الوظيفة التي حكاها عن هاشم هي الرِّفادة ، يعني إطعام الحجيج زمن الموسم[١] .

وقال أبو نعيم[٢] : حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدّثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى ، حدّثنا سعيد بن عثمان[٣] ، حدّثنا علي بن قتيبة الخراساني ، حدّثنا خالد بن إلياس ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعتُ أبا طالبٍ يحدِّث عن عبد المطلب قال : بينا أنا نائم في الحِجْر إذ رأيت رؤيا هالتني ، ففزِعْتُ منها فزعاً شديداً ، فأتيتُ كاهنةَ قريش ، وعليَّ مطرف خَزّ ، وجُمَّتي تضربُ مَنْكِبي ، فلما نظرتْ إليّ عرفتْ في وجهي التغيير ، وأنا يومئذٍ سيِّد قومي ، فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغيِّرَ اللَّون ؟ هل رابه من حَدَثان الدهر شيء ؟ فقلت لها : بلى ! وكان لا يكلِّمها أحدٌ من الناس حتى يُقَبِّل يدَها اليمنى ، ثم يضع يده على أُمِّ رأسها ثم يذكر حاجته ، ولم أفعل لأني كنت كبير قومي ؛ فجلستُ فقلت : إني رأيت الليلةَ وأنا نائم في الحِجْر ، كأنَّ شجرةً تنبت ، قد نال رأسها السماء ، وضربتْ بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيتُ نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً[٤] ؛ ورأيتُ العرب والعجم ساجدين لها ، وهي تزدادُ كلَّ ساعةٍ عِظَماً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تخفى وساعة تزهر ، ورأيتُ رَهْطاً من قريش قد تعلَّقوا بأغصانها ، ورأيتُ قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دَنَوْا منها أَخَّرَهم شابٌّ لم أر قطُّ أحسنَ منه وجهاً ، ولا أطيبَ منه ريحاً ، فيكسِرُ أظهرهم ، ويقلع أعينهم ؛ فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً ، فمنعني الشاب ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلَّقوا بها وسبقوكَ إليها . فانتبهتُ مذعوراً فزِعاً ، فرأيت وجه الكاهنة قد تغيَّر ، ثم قالت : لئن صدقَتْ رؤياك ليخرجَنَّ من صُلْبك رجلٌ يَملِكُ المشرق والمغرب ، ويَدين له الناس ثم قال ـ يعني عبد المطلب لأبي طالب ـ : لعلك تكونُ هذا المولود . قال : فكان أبو طالب يحدِّثُ بهذا الحديث [بعدما وُلد رسولُ الله ﷺ وبعد ما بُعث . ثم قال][٥] : كانت الشجرةُ والله أعلم أبا القاسم الأمين . فيقال لأبي طالب : ألا تؤمن ؟ فيقول : السُّبَّة والعار[٦] .

---

(١) إسناده ضعيف ، عباد بن كسيب ، ذكره البخاري في تاريخه وقال (٦/ الترجمة ١٦٢٤) : « لا يصح حديثه » وينظر الميزان (٢/ ٣٧٥) (بشار) .

(٢) في الدلائل (١/ ٩٩) .

(٣) في ح : سعيد بن أبي عثمان .

(٤) في ح : سبعين مرة ضعفاً .

(٥) لفظ العبارة التي بين المعقوفين في الدلائل هكذا : « والنبي ﷺ قد خرج ويقول : كانت . . . » .

(٦) إسناده ضعيف جداً ، فإن خالد بن إلياس متروك ، وهو من رجال التهذيب (بشار) .

وقال أبو نعيم[١] : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلاَبي ، حدّثنا العباس بن بكّار الضَّبِّي ، حدّثنا أبو بكر الهُذَلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال العباس : خرجتُ في تجارةٍ إلى اليمن في ركبٍ منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمتُ اليمن ، فكنتُ أصنع يوماً طعاماً ، وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفَر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وترسل إليَّ غداءك ؟ فقلت : نعم . فانصرفتُ أنا والنفر إلى بيته ، وأرسلتُ إلى الغداء ، فلما تغدَّى القوم قاموا واحتبسني ، فقال : هل علمت يا أبا الفضل أنَّ ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ فقلت : أيُّ بني أخي ؟ فقال أبو سفيان : إياي تكتم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد ؟ قلت : وأيُّهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله . فقلت : قد فعل ؟ قال : بلى قد فعل . وأخرج كتاباً باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أنَّ محمداً قام بالأبْطَح فقال : « أنا رسول ، أدعوكم إلى الله عزَّ وجل » فقال العبَّاس : قلت : أجدُه يا أبا حنظلة صادقاً[٢] . فقال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحبُّ أن تقول مثل هذا ، إني لا أخشى أنْ يكونَ عليَّ ضَيْرٌ من هذا الحديث ، يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحتْ قريش تزعم أنَّ لكم هَنَةً وهَنَةً[٣] ، كلُّ واحدةٍ منهما غاية . لَنَشَدْتُكَ يا أبا الفضل ، هل سمعتَ ذلك ؟ قلت : نعم ، قد سمعت . قال : فهذه والله شؤمتكم . قلت : فلعلَّها يُمْنَتُنا . قال : فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ[٤] حتى قدم عبد الله بنُ حُذَافَةَ بالخبر وهو مؤمن . ففشا ذلك في مجالس اليمن ؛ وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدَّث فيه حَبْرٌ من أحبار اليهود ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر ؟ بلغني أنَّ فيكم عمَّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدقوا ، وأنا عمُّه . فقال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال : نعم . قال : فحدِّثني عنه . قال : لا تسألني ، ما أحبُّ أن يدَّعي هذا الأمر أبداً ، وما أحبُّ أن أعيبه ، وغَيْرُه خيرٌ منه . فرأى اليهوديُّ أنه لا يُغمض[٥] عليه ولا يحبُّ أن يَعِيبه . فقال اليهودي : ليس به بأس[٦] على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس : فناداني الحَبْر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر ، فقلت للحبر : بلغني أنك سألتَ ابن عمي عن رجل منا زعم أنه رسول الله ﷺ فأخبرك أنه عمُّه ، وليس

---

(١) في دلائل (١/ ٢٠٣) ، وهو في السيرة الحلبية (١/ ١٨٥) مختصراً .

(٢) في ح ، ط والدلائل : صادق .

(٣) « الهَنَة » : تأنيث هن ، فهو كناية عن كل اسم جنس ؛ وفي حديث سطيح : ثم تكون هنات وهنات : أي شدائد وأمور عظام . اللسان (هنا) .

(٤) في ح : ليالي بإثبات الياء ، وهو جائز .

(٥) في ط : يغمس ، والمثبت من ح ، جاء في التاج (غمض) : وسمع الأمر فأغمض عنه وعليه ، يكنى به عن الصبر . ويقال : سمعت منه كذا وكذا فأغمضت منه وأغضيت ، إذا تغافلت عنه . وفي الأساس : التغميض عن الإساءة هو الإغضاء والتغافل .

(٦) كذا في ط وفي ح : ليس به لا بأس . . .

بعمه ، ولكن ابن عمه ، وأنا عمُّه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : صدق ؟ قال : نعم صدق . فقلت : سلني فإن كذبتُ فليردّ[١] عليّ . فأقبل عليّ . فقال : نشدتُكَ ، هل كان لابن أخيك صَبْوَةٌ أو سفهة ؟ قلت : لا وإلّه عبد المطلب ، ولا كذَب ولا خان ، وإنه كان اسمُه عند قريش الأمين . قال : فهل كتب بيده ؟ قال العباس : فظننت أنه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكان أبي سفيان أنه يكذبني ويردُّ[٢] عليَّ ، فقلت : لا يكتب . فوثب الحَبْر وترك رداءَهُ وقال : ذُبحت يهود ، وقُتلت يهود . قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا . قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنَّ اليهود تفزع من ابن أخيك . قلت : قد رأيتَ ما رأيت . فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ؟ فإنْ كان حقاً كنتَ قد سبقت ، وإنْ كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك . قال : لا أومن به حتى أرى الخيل في كَدَاء[٣] ، قلت : ما تقول ؟ قال : كلمةٌ جاءتْ على فمي ، إلا أني أعلم أنَّ الله لا يترك خيلاً تطلع من كَدَاء . قال العباس : فلما استفتح رسولُ الله ﷺ مكة ، ونظرنا إلى الخيل وقد طلعتْ من كداء ، قلت : يا أبا سفيان تذكر الكلمة . قال : إي والله إني لذاكرها ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

وهذا سياقٌ حسن عليه البهاء والنور ، وضياء الصدق ، وإن كان في رجاله من هو متكلَّمٌ فيه[٤] ، والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناهُ في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلْت[٥] ، وهو شبيهٌ بهذا الباب ، وهو من أغرب الأخبار وأحسن السياقات ، وعليه النور . وسيأتي أيضاً قصة أبي سفيان مع هرقل[٦] ملك الروم حين سأله عن صفات رسولِ الله ﷺ وأحواله ، واستدلاله بذلك على صدقه ونبوّته ورسالته . وقال له : كنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظنُّ أنه فيكم ، ولو أعلم أني أخْلُص إليه لتجشَّمتُ لُقِيَّه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولئن كان ما تقول حقاً ليملكنَّ موضع قدميَّ هاتين . وكذلك وقع ولله الحمد والمنة .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والأخبار عن الرهبان والأحبار والعرب ، فأكثر وأطنب ، وأحسن وأطيب ، رحمه الله ورضي عنه .

---

(١) في ح : فليرده .
(٢) في ح : ورادّ .
(٣) « كداء » : الثنية العليا بمكة ، مما يلي المقابر ، عند المحَصَّب . النهاية (٤/ ١٥٦) ومعجم البلدان (٤/ ٤٣٩) .
(٤) قال بشار : هكذا قال المصنف تهويناً ، مع أن العباس بن بَكَّار الضبي كذاب كما قال الدارقطني (الضعفاء والمتروكون ٤٢٣) وقبله قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٩٠) : « يروي من العجائب . . . لا يجوز الاحتجاج به بحال ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار للخواص » .
(٥) انظر في الجزء الثاني من هذا الكتاب (ط) .
(٦) انظر ما سيأتي في الجزء الرابع من هذا الكتاب والعبارة في ح هكذا : وسيأتي قصته مع هرقل .

قصة عمرو بن مُرَّة الجُهَني

قال الطبراني[١] : حدّثنا عليُّ بن إبراهيم الخزاعي الأهوازي ، حدّثنا عبد الله بن داود بن دِلْهاث بن إسماعيل بن عبد الله بن مسرع[٢] بن ياسر بن سُويد ـ صاحب رسول الله ﷺ ـ حدّثنا أبي ، عن أبيه دِلْهاث ، عن أبيه إسماعيل أنَّ أباه عبد الله حدّثه عن أبيه ، أنَّ أباه ياسر بن سُويد حدّثه عن عمرو بن مُرَّة الجُهَني قال : خرجتُ حاجّاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة ، نوراً ساطعاً خرج من الكعبة حتى وصل إلى جبل يَثْرِب ، وأشْعَرِ جُهينة[٣] ، فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبُعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء إضاءةً أخرى ، حتى نظرتُ إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن[٤] ، وسمعتُ صوتاً من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكُسرت الأصنام ، ووُصِلَت الأرحام . فانتبهتُ فزعاً ، فقلت لقومي : والله ليحدُثَنَّ لهذا الحيِّ من قريش حَدَث ، وأخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا إلى بلادنا جاء [الخبر][٥] أنَّ رجلاً يقال له : أحمد ، قد بُعث فأتيتُه فأخبرتُه بما رأيت ، فقال : « يا عمرو بن مُرَّة أنا النبيُّ المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحَقْن الدماء وصِلَة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار . فآمن بالله يا عمرو يُؤمنك الله من هَوْل جهنم » . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله ، آمنت بما جئت به من حلالٍ وحرام ، وإنْ رغَّم ذلك كثيراً من الأقوام[٦] . ثم أنشدتُه أبياتاً قلتُها حين سمعت به ، وكان لنا صنم ، وكان أبي سادناً به ، فقمتُ إليه فكسرته . ثمَّ لَحِقت بالنبيِّ ﷺ وأنا أقول : [من الطويل]

شهدتُ بأنَّ اللهَ حقٌّ وأنني ... لآلهةِ الأحجارِ أولُ تاركِ

---

(١) رواية الطبراني في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦) والخبر ساقه ابن الجوزي في الوفا (١/ ٨١) والكاندهلوي في حياة الصحابة (١/ ٢٩٣) وما بعدها ، وسوف يسوقه المصنف في ص ١٧٩ موضع الحاشية (٣) في المتن مطولاً عن أبي نعيم ، عنه .

(٢) في ح : مشرع وفي ط : شريح . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من التجريد للذهبي (٢/ ٧٢) والإصابة (٣/ ٤٧٨) في القسم الثاني من حرف الميم (باب م ـ س) ثم من الجرح والتعديل (٥/ ٤٨) في ترجمة عبد الله والإصابة (٣/ ٦٤٨) في ترجمة ياسر .

(٣) « الأشعر » : جبل جهينة ينحدر على يَنْبُع من أعلاه ، وينبع من المدينة على سبع مراحل باتجاه البحر ؛ والأشعر والأجرد جبلا جهينة ، بين المدينة والشام . معجم البلدان (١/ ١٩٨ و٥/ ٤٥٠) .

(٤) « أبيض المدائن » : قصر الأكاسرة بالمدائن ، كان من عجائب الدنيا ، لم يزل قائماً إلى أيام المكتفي في حدود سنة ٢٩٠هـ . وهو الذي وصفه البحتري في سينيته الشهيرة . انظر معجم البلدان (١/ ٨٥) .

(٥) ما بين معقوفين من الوفا (١/ ٨١) .

(٦) كذا في ط ، وفي ح : الأقوال .

وشمَّرتُ عن ساقِ[١] الإزارِ مُهاجراً إليكَ أجوبُ القَفْر بعد الدَّكادِكِ[٢]
لأصحبَ خيرَ الناسِ نفساً ووالداً رسولَ مَليكِ الناس فوقَ الحبائكِ[٣]

فقال النبيُّ ﷺ : « مرحباً بك يا عمرو بن مُرَّة » . فقلت : يا رسول الله ابعثْني إلى قومي ، لعل الله يمنُّ عليهم بي كما مَنَّ عليَّ بك . فبعثَني إليهم . وقال : « عليك بالرِّفْق ، والقول السديد ، ولا تكنْ فظًّا ، ولا متكبِّراً ولا حسوداً » .

فذكر أنه أتى قومه ، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسولُ الله ﷺ فأسلموا كلُّهم ، إلا رجلاً واحداً منهم ، وأنه وفد بهم إلى رسولِ الله ﷺ ؛ فرحَّب بهم وحيَّاهم ، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من الله[٤] على لسان رسول الله ﷺ ، بكتابٍ صادق ، وحقٍّ ناطق مع عمرو بن مُرَّة الجُهَني ، لجُهينة بن زيد : إنَّ لكم بطونَ الأرض وسهولَها ، وتلاعَ الأودية وظهورها ، تزرعون[٥] نباته ، وتشربون صافيه ، على أن تُقِرُّوا بالخُمُس ، وتصلُّوا صلاة الخَمْس ، وفي التِّيْعَةِ[٦] والصُّرَيمة [شاتانِ] إنِ اجتمعتا ، وإنْ تفرَّقتا [فـ]شاة شاة[٧] ، ليس على أهل المُثيرة[٨] صدقة ، ليس الوردة اللبقة[٩] . وشهد على نبيِّنا ﷺ مَنْ حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شمَّاس » .

---

(١) كذا في ح ، ط ، والصواب : ساقي . بالياء كما سيأتي (ص١٨٠) .

(٢) في النهاية واللسان : إليك أجُوب القُورَ بعد الدكاك ، وفيما سيأتي (ص١٨٠) إليه أدب الغور . . . » وفي طبقات ابن سعد : « الدعث بعد الدكاك » وفي الوفا ومجمع الزوائد . الدعث بعد الدكاك . والقور : جمع قارة وهي الجبل ، وقيل هو الصغير منه كالأكمة . وأما الغور : فكل منخفض من الأرض ؛ والدكادك : جمع دكداك ، وهو ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيراً . النهاية (٢/ ١٢٨) (دكدك) و(٤/ ١٢٠) (قور) واللسان (غور) .

(٣) « الحبائك » : الطُرُق ، واحدتها حَبيكة ، يعني بها السموات ، لأن فيها طرق النجوم . النهاية (١/ ٣٣٢) (حبك) . والأبيات في طبقات ابن سعد (١/ ٣٣٣) .

(٤) في الوفا (١/ ٨٣) : كتاب أمان من الله .

(٥) في الوفا (١/ ٨٣) والجمع وحياة الصحابة . ترعون . وهو أشبه بالصواب .

(٦) في ط : التليعة ، وفي المجمع « والسعة » وفي حياة الصحابة : الغُنيمة ، والمثبت من ح والنهاية (٣/ ٢٧) (صرم) وفيه ضُبطت التاء المثناة من فوق بالفتح ضبط قلم . والتصحيح من النهاية واللسان (تيع) ، وفيهما : التيعة ، بالكسر : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، وكأن الجُملة التي للسعاة عليها سبيل ، من تاع يتيع إذا ذهب إليه ، كالخمس من الإبل والأربعين من الغنم .

(٧) « الصُّريمة » : تصغير الصِّرْمة ، وهي القطيع من الإبل والغنم ، قيل : هي من العشرين إلى الثلاثين والأربعين ، كأنها إذا بلغت هذا القدر تستقلُّ بنفسها فيقطعها صاحبها عن معظم إبله وغنمه . والمراد بها في الحديث من مئة وإحدى وعشرين شاة إلى المئتين ، إذا اجتمعت ففيها شاتان ، وإن كانت لرجلين وفرِّق بينهما ، فعلى كل واحد منهما شاة . النهاية (٣/ ٢٧) (صرم) ، وما بين معقوفين منه .

(٨) في ح ، ط : الميرة . والمثبت من مجمع الزوائد ، جاء في النهاية (١/ ٢٢٩) (ثور) : ومنه الحديث « أنه كتب لأهل جُرش بالحِمى الذي حماه لهم للفرس والراحلة والمثيرة » أراد بالمثيرة بقر الحَرْث لأنها تثير الأرض .

(٩) كذا في ط ، وفي ح : ليس للوردة اللبقةِ ، ولم أهتد إلى معناه أو وجه الصواب فيه . وفي الدلائل (١/ ١٢٣) : =

وذكر شعراً قاله عمرو بن مُرَّة في ذلك كما هو مبسوطٌ في المسند الكبير[١] ، وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] . قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . أخذ من النبيِّين ميثاقاً خاصاً ؛ وأكد مع هؤلاء الخمسة أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أوَّلُهم نوح وآخرهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »[٢] من طرق ، عن الوليد بن مسلم ، حدّثنا الأوزاعي ، حدّثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خَلْقِ آدمَ ونَفْخ الرُّوح فيه » .

وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم ، وقال : حسنٌ غريب من حديث أبي هريرة ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[٣] .

وقال أبو نعيم[٤] : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي[٥] ، حدّثنا أبو جعفر النُّفَيْلي ، حدّثنا عمرو بن واقد ، عن عروة بن رُويم ، عن الصُّنَابِحي قال : قال عمر : يا رسول الله ، متى جُعلت نبياً ؟ قال : « وآدمُ مُنْجَدِلٌ في الطِّين » .

ثم رواه[٦] من حديث نَصْر بن مُزَاحم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر الجُعْفي ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول الله : متى كنتَ نبيّاً ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسَد » .

وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صُلْبه ذُرِّيَّته خصَّ الأنبياء بنورٍ بين أعينهم . والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه كان على قَدْر منازلهم ورُتَبِهم عند الله . وإذا كان الأمر كذلك ، فنور محمدٍ ﷺ كان أظهرَ وأكبر وأعظمَ منهم كُلِّهم ؛ وهذا تَنْويهٌ عظيم وتنبيهٌ ظاهرٌ على شَرَفِهِ وعُلُوِّ قَدْره .

= وليس للوارد التبعة وفي حاشية ط : كذا في الأصل ، ولعله يريد أنه لا يؤخذ في الصدقة كرائم الأموال . والله أعلم .

(١) لعله يريد معجم الطبراني ، وهو في القسم المفقود منه ، والشعر ذكره أيضاً ابن الجوزي في الوفا (١/ ٨٤) .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٤٨) .

(٣) جامع الترمذي (٣٦٠٩) المناقب باب في فضل النبي ﷺ . وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٩) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٣٠) .

(٤) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع من هذا الطريق ، وهو فيه (١/ ٤٨) من طريق آخر عن العرباض بن سارية . كما سيأتي وأخرجه الحاكم من طريق العرباض أيضاً (٢/ ٦٠٠) .

(٥) هو شيخ للطبراني ذكره في معجمه الصغير (١١٣٤) ، ومعجمه الأوسط (٩٤٣٥) و(٩٤٣٦) و(٩٤٣٧) و(٩٤٣٨) و(٩٤٣٩) و(٩٤٤٠) و(٩٤٤١) و(٩٤٤٢) و(٩٤٤٣) و(٩٤٤٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : لا أعرفه (٧/ ١٤٦) (بشار) .

(٦) ليس الحديث في دلائل أبي نعيم كما أسلفت في ص (١٠٩ حاشية ٧) .

وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُويد الكلبي ، عن عبد الله بن هلال السلمي(٢) ، عن العِرْباض بن سارية . قال : قال رسول الله ﷺ : « إني عندَ الله لَخَاتمُ النبيِّين ، وإنَّ آدم لمُنْجَدِلٌ في طينته ، وسأنبِّئُكم بأوَّل ذلك : دَعْوَةُ أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورُؤْيا أُمي التي رأتْ ، وكذلك أمهات النَّبيِّين(٣) يرين » .

ورواه اللَّيث(٣) ، وابن وهب ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، وزاد : « إنَّ أُمَّهُ رأتْ حين وضعَتْه نوراً أضاءَتْ منه قصورُ الشام » .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا منصور بن سعد(٥) ، عن بُدَيل ، عن عبد الله بن شَقيق، عن مَيْسَرة الفَجْر قال: قلت: يا رسولَ الله، متى كنتَ(٦) نبيّاً ؟ قال : « وآدمُ بينَ الرُّوح والجَسد » .

[إسناده جيد أيضاً(٧) . وهكذا رواه إبراهيم بن طَهْمان(٨) ، وحمّاد بن زيد وخالد الحذّاء عن بُدَيل بن مَيْسَرة به .

ورواهُ أبو نعيم(٩) عن محمد بن عمر بن سالم(١٠) ، عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي ، عن شيبان ، عن الحسن بن دينار(١١) ، عن عبد الله بن شقيق(١٢) ، عن ميسرة الفَجْر قال : قلت : يا رسول الله

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٢٧) وقد سبق للمؤلف أن ساقه ص(١٠٨) من هذا الجزء ، وهو حديث حسن ، دون قوله : (وكذلك أمهات النبيين يرين) وكانت أمهات المؤمنين والتصحيح من المسند .

(٢) في ط : « عبد الأعلى بن هلال السلمي » محرف ، فهو وإن كان صحيحاً لكنه خطأ لأن الذي في المسند من رواية عبد الرحمن بن مهدي « عبد الله » وهو مما أخطأ فيه عبد الرحمن بن مهدي ، فكتابته على الوجه الصحيح تفسد النص وتخالف الأصل ، وقد علقنا عليه قبل قليل (بشار) .

(٣) انظر ص(١٠٨) من هذا الجزء موضع الحاشية (٦) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٥٩) رقم الحديث (٢٠٤٧٤) .

(٥) في ح ، ط : منصور بن سعيد . والمثبت من المسند والجرح والتعديل (٨/ ١٧٢) وتهذيب المزي (٢٨/ ٥٢٧) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٧) .

(٦) في المسند : كُتِبْتَ .

(٧) هكذا قال ، ولا أدري لم قال ذلك ، فإسناد الحديث صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابية ميسرة الفجر ، وقد ذكره في الصحابة : البخاري ، والبغوي وابن السكن وابن قانع وغيرهم .

(٨) أخرجه ابن سعد (٧/ ٦٠) ، والطحاوي في شرح المشكل (٥٩٧٧) ، وابن قانع (٣/ ١٢٩) ، والحاكم (٢/ ٦٠٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٢٩) وغيرهم .

(٩) ليس في الدلائل وقد ساقه المحقق في مقدمته (ص٢٤ ، ٢٥) .

(١٠) في ط : « أسلم » محرف ، وهو محمد بن عمر بن محمد بن سالم المعروف بابن الجعابي المتوفى سنة ٣٥٥ ، وترجمته في تاريخ الخطيب (٤/ ٤٢ط . الدكتور بشار) .

(١١) في مقدمة الدلائل : الحسن بن زياد . وهو خطأ ، وهو الحسن بن دينار بن واصل ، ورواية شيبان بن فروخ عنه في تهذيب الكمال (١٢/ ٥٩٩) ، وهو كذاب معروف مترجم في الجرح والتعديل (٣/ الترجمة ٣٧) ، والكامل لابن عدي (٢/ ٧١٠) ، وضعفاء العقيلي (١/ ٢٢) ، والميزان للذهبي (١/ ٤٨٧) وغيرها (بشار) .

(١٢) في ط : عبد الله بن سفيان . والمثبت من مقدمة الدلائل ومصادر تخريج الحديث المروية من طريق عبد الله بن شقيق=

متى كنت[١] نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الرُّوح والجسد »][٢]

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه « دلائل النبوة »[٣] : حدّثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدّثنا الحسن بن سفيان ، حدّثنا هشام بن عمار ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن خُليد بن دَعْلج ، وسعيد عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ﴾ [الأحزاب ٧] قال : « كنتُ أوَّلَ النبيِّين في الخَلْق وآخرَهُمْ في البَعْث »[٤]

ثم رواه من طريق هشام بن عمَّار ، عن بقيَّة ، عن سعيد بن بَشير[٥] ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله . [وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله][٦] . وهذا أثبت وأصحّ ، والله أعلم .

وهذا إخبارٌ عن التنويه بذكرِهِ في الملأ الأعلى ، وأنَّه معروفٌ بذلك بينهم بأنه خاتمُ النبيِّين ، وآدم لم يُنفخ فيه الرُّوح ، لأنَّ عِلْمَ اللهِ تعالى بذلك سابقٌ قبل خلقِ السمواتِ والأرض لا محالة ، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى . والله أعلم .

وقد أورد أبو نُعيم[٧] من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همَّام ، عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه . « نحنُ الآخِرُون السابقونَ يومَ القيامة[٨] ، المقضي لهم قبل الخلائق ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قَبْلنا ، وأوتيناه من بعدهم .

وزاد أبو نعيم في آخره : فكان ﷺ آخرَهُمْ في البعث ، وبه خُتمت النبوَّة . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أولُ مكتوبٍ في النبوَّة والعَهْد .

ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلةُ لرسولِ الله ﷺ : لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتملُ أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم اللهُ ملائكتَهُ ما سبق في علمه وقضائه من بعثتِهِ له في آخر الزمان .

= عن ميسرة .

(١) في مقدمة دلائل أبي نعيم : كتبت .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٣) ليس في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع .

(٤) مضى في ص (١٠٩) من هذا الجزء حيث روي الحديث عن البغوي .

(٥) في ح : يسير ، وفي ط : نسير ، والمثبت من (ص ١٠٩) من هذا الجزء في سياق الحديث عن البغوي وترجمة سعيد بن بشير في تهذيب التهذيب (٤/ ٨ ، ٩) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٧) في دلائل النبوة (١/ ٤٩) .

(٨) إلى هنا في المطبوع من الدلائل ، وهذا يعزز ما ذهب إليه محقق الدلائل وسيرة ابن كثير من قبل من أن المطبوع من الدلائل هو المختصر .

وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه ولله الحمد .

وروى الحاكم في « مستدركه »[١] من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ـ وفيه كلام ـ عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدمُ الخطيئة قال : يا رب ، أسألُكَ بحقِّ محمد إلاَّ[٢] غفرت لي . فقال الله : يا آدم ، كيف عَرفْتَ محمداً ولم أخلُقْهُ بعد ؟ فقال : يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخْتَ فيَّ من روحك ، رفعتُ رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله . فعلمتُ أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخَلْقِ إليك . فقال الله : صدقتَ يا آدمَ ، إنه لأحبُّ الخَلْقِ إليَّ ، وإذ قد سألتني بحقه فقد غفرتُ لك ، ولولا محمد ما خلقتك » .

قال البيهقي : تفرَّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف[٣] ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ٨١ـ٨٢] .

قال عليُّ بن أبي طالب وعبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذَ عليه الميثاق ، لئن بُعث محمدٌ ﷺ وهو حيٌّ ليؤمنَنَّ به ولَيَنصُرَنَّه ، [وأمرَه أنْ يأخذَ الميثاق على أُمته ، لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه][٤] .

وهذا تنويهٌ وتنبيهٌ على شرفِهِ وعظمته في سائر المِلَل ، وعلى ألسنة الأنبياء ، وإعلامٌ لهم ومنهم برسالته في آخر الزمان ، وأنه أكرمُ المرسلين وخاتمُ النبيِّين .

وقد أوضح أمره وكشف خبرَه وبيَّن سرَّه[٥] ، وجلَّى مجده[٦] ومولده وبلده ، إبراهيمُ الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] فكان أوَّلُ بيانِ أمرِهِ على الجليَّة والوضوح بين أهلِ الأرض ، على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهماوعلى سائر الأنبياء .

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٦١٥) .
(٢) في المستدرك : لما .
(٣) عقَّب عليه الذهبي بقوله قلت : بل موضوع ، وعبد الرحمن واهٍ .
(٤) ما بين المعقوفين مستدرك في هامش ح .
(٥) في ح : مسيره .
(٦) كذا في ط ، وفي ح : وحكى محتده .

ولهذا قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا الفرج ـ يعني ابن فَضَالة ، حدّثنا لقمان بن عامر [قال] : سمعتُ أبا أُمامة قال : قلت : يا نبيَّ الله ، ما كان بَدْءُ أمرِك ؟ قال : « دَعْوَةُ أبي إبراهيم ، وبُشرىٰ عيسى ، ورأتْ أُمي أنَّهُ يخرجُ منها نورٌ أضاءتْ منه قصورُ الشام » .

تفرَّد به الإمام أحمد ، ولم يخرِّجْهُ أحدٌ من أصحاب الكتب الستة[٢] .

وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب المولد ، من طريق بقيَّةَ ، عن صفوان بن عمرو ، عن حُجْر ، عن أبي مريم[٣] أنَّ أعرابياً قال : يا رسول الله ، أيُّ شيءٍ كان أول أمْر نبوتك ؟ فقال : أخذَ اللهُ مني الميثاقَ كما أخذ من النبيِّينَ ميثاقَهم . ورأتْ أمُّ رسولِ الله ﷺ في منامها أنه خرج من بين رجلَيْها سراجٌ أضاءتْ له قصورُ الشام » .

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار[٤] : حدّثني ثَوْر بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبِرْنا عن نفسك . قال : « دَعْوةُ أبي إبراهيم ، وبُشْرى عيسى . ورأت أمي حين حملَتْ[٥] كأنَّهُ خرجَ منها نورٌ أضاءَتْ له بُصرى من أرْضِ الشام » .

إسنادُه جيد أيضاً . وفيه بشارةٌ لأهل محلَّتنا ، أرضِ بُصْرى ، وأنها أوَّلُ بُقْعَةٍ من أرض الشام خَلَص إليها نورُ النبوَّة ، ولله الحَمْدُ والمِنَّة ؛ ولهذا كانت أولَ مدينةٍ فُتحت من أرض الشام ، وكان فتحُها صُلْحاً في خلافةِ أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ـ كما سيأتي بيانُه ـ وقد قدِمَها رسولُ الله ﷺ مرَّتين في صُحبة عَمِّه أبي طالب وهوابن اثنتي عشرة سنةً ، وكانت عندها قصة بَحِيرى الراهب كما بينّاه ، والثانية ومعه مَيْسرة مولى خديجة في تجارةٍ لها . وبها مَبْرَك الناقةِ التي يقال لها : ناقة رسولِ الله ﷺ بركت عليه ، فأثَرُ ذلك فيها فيما يذكر ، ثم نُقل وبُني عليها مسجدٌ مشهور اليوم . وهي المدينةُ التي أضاءتْ أعناقُ الإبل عندها من نور النار التي خرجتْ من أرض الحجاز سنة أربعٍ وخمسين وستمائة ، وفق ما أخبر به رسولُ الله ﷺ في قوله : « تَخْرُجُ نارٌ من أرضِ الحجاز ، تُضيءُ لها أعناق الإبل ببُصْرى » وسيأتي الكلامُ على ذلك في موضعه إنْ شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان[٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٦٢) ، وهو حديث حسن .
(٢) ليست لفظة الستة في ح .
(٣) في ط : مريق، وهو تصحيف، والمثبت من ح، وأبو مريم هو سنان الصحابي. وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٩٨) مطولاً .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٦) والروض الأنف (١/ ١٨٨) .
(٥) في ط : حبلت .
(٦) انظر حوادث سنة ٦٥٤ من هذا الكتاب .

وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف ١٥٧] الآية .

قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا إسماعيل ، عن الجُرَيْري ، عن أبي صخر العقيلي[٢] ، حدّثني رجلٌ من الأعراب قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياةِ رسول الله ﷺ : فلما فرغتُ من بيعي[٣] قلت : لألقيَنَّ هذا الرجل ، فلأسمعنَّ منه . قال : فتلقَّاني بين أبي بكرٍ وعمر يمشون ، فتبعتُهم [في أقفائهم] حتى أتَوْا على رجلٍ من اليهود ، ناشر التوراة يقرؤها ، يُعَزِّي بها نفسه عن ابنٍ له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله[٤] . فقال رسول الله ﷺ : « أنْشُدُك بالذي أنزل التوراة ، هل تجدني في كتابك ، ذا صفتي ومَخْرَجي ؟ » فقال برأسه هكذا ـ أي لا ـ فقال ابنه : إي والذي أنزلَ التوراة إنَّا لنَجِدُ في كتابنا صفتَك ومَخْرَجك ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله . فقال : « أقيموا اليهوديَّ عن أخيكم » . ثم ولِيَ جَنَنَهُ[٥] وكَفَنَهُ والصلاة عليه .

هذا إسنادٌ جيِّد ، وله شواهدُ في الصحيح عن أنس بن مالكٍ ، رضي الله عنه .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا عبد الواحد بن غياث ، أبو بَحْر ، حدّثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدّثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن الفَلَتَان[٦] بن عاصم ، وذكر أن خاله قال : كنتُ جالساً عند النبي ﷺ إذْ شخَصَ بصَرُه إلى رجل ، فإذا يهوديٌّ عليه قميص وسراويل ونعلان ، قال : فجعل النبيُّ ﷺ يكلِّمُه وهو يقول : يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : « أتشهدُ أني رسولُ الله » !؟ قال : لا . قال رسول الله ﷺ : أتقرأ التوراة قال : نعم . قال : « أتقرأ الإنْجيل » ؟ قال : نعم . قال : « والقرآن » ؟ قال : لا ، ولو تشاءُ قرأتُه . فقال النبيُّ ﷺ : « فبم تقرأ التوراة والإنجيل ، أتَجِدُني نبياً ؟ » قال : إنَّا نَجِدُ نَعْتَكَ ومَخْرَجَك ، فلمَّا خرجتَ رَجَوْنا أنْ تكونَ فينا ، فلما رأيناك عرفناك أنَكَ لَسْتَ به . قال رسولُ الله ﷺ : « ولِمَ يا يهوديّ » ؟ قال : إنَّا نجدُه مكتوباً : يدخلُ من أُمَّتِهِ الجنَّةَ سبعونَ ألفاً بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١١) وما يأتي بين معقوفين منه . والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، والحسن بن سفيان في مسنده من طريق سالم بن نوح عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن أبي صخر كما في الإصابة (٤/ ١٠٧).

(٢) ضبط في الكنى لمسلم ص١٣٢ ، بضم العين وفتح القاف ضبط قلم .

(٣) في المسند : بيعتي .

(٤) في ط : وأجملهم والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٥) « الجنن » : القبر . واللفظة ساقطة من ط ، والعبارة في المسند « ثم ولي كفنه ، وحنَّطه وصلى عليه » .

(٦) في ط : الصلتان ، وفي ح : الغلتان ، بغين معجمة ، والمثبت من التجريد (٢/ ٨) والإصابة (٣/ ٢٠٩) والتاج (فلت) .

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه ، ولم يُخرِّجوه[١]

وقال محمد بن إسحاق[٢] عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة : قال : أتى رسول الله ﷺ [بيتَ المِدْراس][٣] فقال : « أخرِجُوا [إليَّ] أعْلَمَكم » فقالوا : عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسولُ الله ﷺ ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المَنِّ والسَّلوى ، وظلَّلهم به من الغمام : « أتعْلَمُني رسولَ الله ﷺ » ؟ قال : اللهمَّ نعم . وإنَّ القومَ ليعرفونَ ما أعرف ، وإنَّ صفتَكَ ونَعْتَك لَبيِّنٌ[٤] في التوراة ، ولكنهم حسدوك . قال : « فما يَمْنَعُكَ أنت » ؟ قال : أكره خلافَ قومي ، وعسى أن يتبعوكَ ويُسلموا فأسلم .

وقال سَلَمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : كتب رسولُ الله ﷺ إلى يهودِ خَيْبَر :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمدٍ رسولِ الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدِّق بما جاء به موسى ، ألا إنَّ الله قال لكم : يا معشرَ يَهود وأهلَ التوراة ، إنَّكم تجدونَ ذلك في كتابكم : إنَّ محمداً ﴿ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ [كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾][٥] . وإنِّي أنْشُدُكم بالله ، وبالذي أُنزل عليكم ، وأنشُدكم بالذي أطْعَمَ مَنْ كان قبلَكُم من أسلافكم وأسباطكم المنَّ والسَّلْوَى ، وأنشُدكم بالذي أيبسَ البحرَ لآبائكم حتى أنْجَاكم من فرْعون وعمله ، إلَّا أخبرتمونا ، هل تجدونَ فيما أنزلَ اللهُ عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإنْ كنتمُ لا تجدون ذلك في كتابكم ، فلا كُرْهَ عليكم ، قد تبيَّنَ الرُّشْدُ من الغَيّ . وأدعوكم إلى اللهِ تعالى وإلى نبيِّه » ﷺ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يَسَار في كتاب « المبتدأ »[٦] ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن كعب الأحبار .

---

(١) رواه الحسن بن سفيان في مسنده وابن أبي شيبة وابن منده كما في الإصابة (٣/ ٢٠٩) وأخرجه بنحوه الطبراني والبيهقي وابن عساكر عن الفلتان كما في الخصائص للسيوطي (١/ ١٤) .

(٢) كذا في ح ، ولم أجد لمحمد بن إسحاق رواية عن سالم مولى عبد الله بن مطيع في ترجمتهما في تهذيب المزي ، وليس الخبر في سيرة ابن إسحاق أو سيرة ابن هشام ، وهو في الوفا لابن الجوزي (١/ ٥٠) من غير إسناد عن أبي هريرة .

(٣) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط فاستدركته من الوفا لابن الجوزي (١/ ٥٠) . وسيأتي معنى المدراس (ص١٣٦ ح٣) .

(٤) في ط : لمبين .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح وفيها لفظ : الآية ، وهي من سورة الفتح الآية (٢٩) .

(٦) لم أجده في سيرة ابن إسحاق المطبوع ، وهو بنحوه في دلائل النبوة لأبي نعيم عن أحمد بن السندي ثنا الحسن بن علويه ثنا إسماعيل بن عيسى قال : ثنا إسحاق بن بشر قال : ثنا سعيد بن بشير ، به .

وروى غيره[١] عن وهْب بن مُنَبِّه ، أنَّ بختنَصَّر بعد أنْ خرَّب بيتَ المَقْدِس ، واستذَلَّ بني إسرائيل بسبع سنين رأى في المنام رؤيا عظيمةً هالَتْه ، فجمع الكَهَنة والحُزَّار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا ليقصَّها الملكُ حتى نخبرَهُ بتأويلها . فقال : إني أنسيتُها . وإنْ لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتُكُمْ عن آخركم . فذهبوا خائفين وَجِلين من وعيده . فسمع بذلك دانيالُ عليه السلام وهو في سجنه ، فقال للسَّجَّان : اذهبْ إليه فقل له : إنَّ هاهنا رجلاً عنده عِلْمُ رؤياك وتأويلُها . فذهب إليه ، فأعلمه ، فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجُدْ له ، فقال له : ما منعك من السجود لي ؟ فقال : إنَّ الله آتاني علماً وعلَّمني ، وأمرني أنْ لا أسجدَ لغيره . فقال له بختنَصَّر : إني أُحبُّ الذين يوفون لأربابهم بالعهود ، فأخبِرْني عن رؤياي . قال له دانيال : رأيتَ صنماً عظيماً ، رِجْلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه من فضَّة ، وأسفله من نُحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخَّار ، فبينا أنتَ تنظر إليه ، قد أعجبك حسنُه وإحكامُ صنعتِه ، قذَفَهُ الله بحجرِ من السماء ، فوقع على قِمَّة رأسِهِ حتى طحنه ، واختلط ذهَبُه وفضَّته ، ونحاسه وحديده وفخَّاره ، حتى تخيَّل لك أنَّه لو اجتمع الإنس والجنُّ على أن يميزُوا بعضَهُ من بعض ، لم يقدروا على ذلك ؛ ونظرتَ إلى الحجر الذي قُذف به ، يَرْبُو ويَعْظُم وينتشر ، حتى ملأ الأرض كلَّها ، فصرتَ لا ترى إلا الحجر والسماء .

فقال له بختنَصَّر : صدقت ! هذه الرُّؤيا التي رأيتُها ، فما تأويلها ؟ فقال دانيال : أما الصنم فأُمَمٌ مختلفةٌ في أوَّل الزمان وفي وسطه وفي آخره ؛ وأما الحجَرُ الذي قُذف به الصنم فدِينٌ يَقْذِفُ الله به هذه الأممَ في آخر الزمان ، فيظهرَهُ عليها ، فَيَبْعَثُ اللهُ نبياً أُمِّيّاً من العرب ، فيدوِّخ به الأمم والأديان ، كما رأيتَ الحجرَ دوَّخ أصنافَ الصنم ، ويظهر على الأديانِ والأمم ، كما رأيتَ الحجر ظهر على الأرض كلِّها ؛ فيمحِّص الله به الحق ، ويُزْهِقُ به الباطل ، ويَهْدي به أهلَ الضلالة ، ويعلِّم به الأمِّيِّن ، ويقوِّي به الضَّعَفة ، ويُعِزُّ به الأذلَّة ، وينصر به المستضعفين .

وذكر تمامَ القصة في إطلاق بختنَصَّر بني إسرائيل على يدي دانيال عليه السلام .

وذكر الواقدي بأسانيده عن المغيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله ﷺ قريباً من سؤال هرقل لأبي سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل أساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله ﷺ وأخبروه عن ذلك ، وهي قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[٢] .

وثبت في « الصحيح » أنَّ رسولَ الله مرَّ بمِدْرَاسِ[٣] اليهود فقال لهم : « يا معشر يَهُود ، أسلموا ، فوالذي نفسي بيده ، إنَّكم لتَجِدُون صفتي في كُتبكم . . . » الحديث .

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٥٤) .

(٢) دلائل أبي نعيم (١/ ٨٥) .

(٣) « المِدْراس » : بكسر أوله ، هو البيت الذي يدرس فيه اليهود كتابهم . فتح الباري (٦/ ٢٧١) .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا موسى بن داود ، حدّثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار قال : لَقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة . فقال : أجَلْ ، والله إنَّه لموصوفٌ في التوراة بصفته في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] وحِرْزاً للأُميِّين ، أنت عَبْدي ورسولي ، سمَّيْتُكَ المُتوكِّل ، لستَ بفظٍّ ولا غَلِيظ[٢] ، ولا سَخَّابٍ بالأسواق[٣] ، ولا يدفعُ بالسَّيِّئةِ السيئة ، ولكنْ يعفو ويغفر ، ولن يَقْبِضَهُ اللهُ حتى يُقيموا المِلّةَ[٤] العَوْجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، يفتح به أعيُناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً .

ورواهُ البخاري[٥] عن محمد بن سِنان العَوَقي ، عن فُلَيح به . ورواه أيضاً[٦] عن عبد الله ـ قيل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح[٧] ـ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علي[٨] ، ولفظه قريبٌ من هذا وفيه زيادة .

ورواه ابن جرير[٩] من حديث فُليح ، عن هلال ، عن عطاء ، وزاد : قال عطاء : فَلقِيتُ كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلف حرفاً .

وقال في البيوع[١٠] : وقال سعيد عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن سَلام .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي[١١] : أخبرناه أبو الحسين بن الفَضْل القطَّان ، حدّثنا عبد الله بن جعفر ، حدّثنا يعقوب بن سفيان[١٢] ، حدّثنا أبو صالح ، حدّثنا الليث ، حدّثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٧٤) .
(٢) في ح ، ط : لا فظ ولا غليظ ، والمثبت من مسند الإمام أحمد ، وهو حديث صحيح .
(٣) في ط : ولا صخاب في الأسواق ، والمثبت من ح ومسند الإمام أحمد . والسخَّاب من السخب ، وهو رفع الصوت بالخصام ، ويقال بالصاد المهملة بدل السين . فتح الباري (٤/ ٣٤٣) .
(٤) كذا في ح ، ط : وفي المسند : حتى يقيم به الملة العوجاء . قال ابن حجر في الفتح : العوجاء : أي ملة العرب ، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام ، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان .
(٥) فتح الباري (٢١٢٥) البيوع باب كراهية السَّخَب في الأسواق .
(٦) في فتح الباري (٤٨٣٨) التفسير باب إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . ومعلقاً ومسنداً ، وانظر فتح الباري (٤/ ٣٤٣) و(٨/ ٥٨٥) .
(٧) في فتح الباري : عبد الله بن مسلمة القعنبي ، وقال : كذا رواية أبي بكر وأبي علي بن السكن ، ووقع عند غيرهما « عبد الله » غير منسوب فتردد فيه أبو مسعود بين أن يكون ابن رجاء وابن صالح كاتب الليث . فتح الباري (٨/ ٥٨٥) .
(٨) في ح ، ط : علويه ، والمثبت من البخاري وترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ٨٢) .
(٩) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٨٣) في تفسير الآية (١٥٧) من سورة الأعراف . والحديث من الطريق المذكور مع الزيادة المشار إليها موجودة في الطبقات (١/ ٣٦٢) .
(١٠) يعني البخاري في كتاب البيوع ، فتح الباري (٤/ ٣٤٣) .
(١١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٧٦) .
(١٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٧٤) وهو في قسم النصوص المقتبسة من المجلد المفقود منه .

أبي هلال [عن هلال][١] بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن سَلام أنَّهُ كان يقول : إنَّا لنَجِدُ صفةَ رسولِ الله ﷺ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] وحِرْزاً للأُمِّيِّين ، أنت عَبْدِي ورسولي ، سمَّيْته المتوكِّل ، ليس بفظٍّ ولا غليظ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يَجْزي السَّيئة مثْلَها ، ولكنْ يعفو ويتجاوز ، ولن يَقْبِضَهُ حتى يُقيم به المِلَّة العَوْجاء بأنْ يشهدوا أنْ لا إله إلا الله ، يفتح به أعْيُناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي أنه سمع كعبَ الأحْبار يقولُ مثل ما قال ابنُ سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سَلام أشبه ، ولكنَّ الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتَيْن من كُتب أهل الكتاب[٢] ، وكان يحدِّثُ عنهما كثيراً ؛ وليُعْلَمْ أنَّ كثيراً من السلف كانوا يُطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب ، فهي عندهم أعمُّ من التي أنزلها الله على موسى ، وقد ثبت شاهدُ ذلك من الحديث .

وقال يونس عن محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني محمد بن ثابت بن شُرَحبيل ، عن أم الدرداء[٤] قالت : قلت لكعب الأحبار : كيف تجدونَ صفةَ رسولِ الله ﷺ في التوراة ؟ قال : نجدُهُ محمد رسول الله، اسمُهُ المتوكِّل ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، وأُعطي المفاتيح ، فَيُبَصِّر الله به أعْيُناً عُوراً ، ويُسمع بهِ آذاناً وُقْراً ، ويُقيم به ألْسُناً مُعْوجَّة ، حتى يشهدوا[٥] أنْ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريكَ له ، يُعين به المظلوم ويمنعه .

وقد رُوي عن كعب من غير هذا الوجه[٦] .

وروى البيهقيُّ[٧] عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، حدّثنا عُقْبة[٨] بن مُكْرَم ، حدّثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم ، حدّثنا حمزةُ الزيَّات ، عن سُليمان الأعمش ، عن علي بن

---

(١) ما بين معقوفين من دلائل أبي نعيم (١/ ٣٧٦) وترجمة هلال بن علي بن أسامة في تهذيب التهذيب (١١/ ٨٢) .
(٢) في ذلك أقوال مضت في الجزء الأول في قصة شعيب من هذا الكتاب والصفحة (٩٥) من هذا الجزء .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٧٦ ، ٣٧٧) .
(٤) في ط : عن ابن أبي أوفى عن أم الدرداء ، وليست هذه الزيادة في ح أو دلائل البيهقي .
(٥) في دلائل البيهقي : يُشْهَد .
(٦) هذه الرواية في طبقات ابن سعد (١/ ٣٦٠) .
(٧) في دلائل النبوة (١/ ٣٨١) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٨) قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . قال بشار : هكذا قال الحاكم ولا يصح كلامه البتة ، فعقبة بن مكرم الذي روى عنه الحسن بن سفيان لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة فضلاً عن مسلم ، وهو عقبة بن مكرم بن عقبة بن مكرم الضبي الهلالي الكوفي ، وقد ذكره المزي في التهذيب تمييزاً (٢٠/ ٢٢٦) له عن عقبة بن مكرم بن أفلح الصمي البصري (٢٠/ ٢٢٣) ، وهو الذي أخطأ فيه الحاكم فظنه هو الراوي عن الحسن بن سفيان مع أن نسبه ضبياً .
(٨) في ح ، ط : عتبة ، وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل وتهذيب المزي (٢٠/ ٢٢٦) .

مُدْرك ، عن أبي زُرْعة ، عن أبي هريرة : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص : ٤٦] قال : نُودوا : يا أمَّةَ محمد ، استجَبْتُ لكُمْ قبلَ أنْ تدعُوني ، وأعطيتكُم قبل أنْ تسألوني .

وذكر وَهْبُ بن مُنَبِّه[١] أنَّ الله تعالى أوحى إلى داود في الزَّبُور : يا داود إنَّهُ سيأتي من بَعْدِك نبيٌّ اسْمُه أحمد ومحمد[٢] ، صادقاً سيِّداً ، لا أغضَبُ عليه أبداً ، ولا يعصيني[٣] أبداً ، وقد غفرتُ له قبلَ أن يعصِيَني ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّر ، وأمَّتُه مَرْحُومة ، أعطيتُهم من النوافِل مثلَ ما أعْطيتُ الأنبياء ، وفرضْتُ عليهم الفرائضَ التي افترضتُ على الأنبياءِ والرُّسُل ، حتى يأتوني يومَ القيامةِ ونورهُمْ مِثْلُ نورِ الأنبياء .

إلى أن قال : يا داود ، إني فضَّلْتُ محمداً وأُمَّتَه على الأمم كلها .

والعِلْمُ بأنه موجودٌ في كُتب أهل الكتاب مَعْلُومٌ من الدِّين ضَرُورةً ، وقد دلَّ على ذلك آياتٌ كثيرة في الكتاب العزيز تكلَّمنا عليها في مواضعها ولله الحمد .

فمن ذلك قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٢ ـ ٥٣] . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧ ـ ١٠٨] . أي إنْ كان وَعدنا ربُّنا بوجودِ محمدٍ وإرساله لكائنٌ لا محالة ؛ فسبحان القدير على ما يشاء لا يُعجزُه شيء .

وقال تعالى إخْباراً عن القِسِّيسينَ والرُّهْبان : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣] . وفي قصَّة النَّجاشي وسَلْمان وعبد الله بن سَلام وغيرِهم كما سيأتي شواهدُ كثيرةٌ لهذا المَعْنى ولله الحَمْدُ والمِنَّة .

وذكَرْنا في تضاعيف قصص الأنبياء ما تقدَّم الإشارة إليه من وصْفِهم لبعثةِ رسولِ الله ﷺ ونعْته ، وبلد مولده ودار مُهاجَره ، ونعت أُمَّتِه في قصة موسى وشعيا وأرميا ودانيال وغيرهم ، وقد أخبر اللهُ تعالى عن آخر أنبياءِ بني إسرائيل وخاتمهم عيسى ابن مريم ، أنه قام في بني إسرائيل خَطيباً قائلاً لهم : ﴿ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] . وفي الإنجيل البِشارة بالفارقليط[٤] والمرادُ به محمد ﷺ .

---

(١) دلائل البيهقي (١/ ٣٨٠) .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي دلائل البيهقي : يسمى أحمد ومحمداً .

(٣) في ط : ولا يغضبني ، والمثبت من ح .

(٤) ويقال بالباء : البارقليط ، وهي رواية ح .

وروى البيهقي[١] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بُكير ، عن يونس بن عمرو ، عن العَيْزَار بن حُرَيث[٢] ، عن عائشةَ رضي الله عنها ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَكْتوبٌ في الإنجيل : لا فظٌّ ولا غَليظ ، ولا سَخَّابٌ في الأسواق ، ولا يَجْزي بالسيِّئةِ مِثْلَها ، بل يَعْفُو ويَصْفَح » .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : حدّثنا فيض البَجَلي ، حدّثنا سَلام بن مِسْكين ، عن مقاتل بن حَيَّان قال : أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى ابن مريم : جِدَّ في أَمْري ، واسمع وأَطِعْ يا بن الطاهر[٤] البِكْر البَتُول ، أنا خلقتُكَ من غير فَحْل فجعلتك آيةً للعالمين ؛ فإيَّاي فاعبُدْ ، فبين لأهل سوران بالسُّرْيانية ، بَلِّغْ من بين يديك أني أنا الحقُّ القائم الذي لا يزول[٥] ، صدِّقوا بالنبيِّ الأُمِّيِّ العربي ، صاحب الجمل والمِدْرَعة والعمامة ـ وهي التاج ـ والنعلَيْنِ والهِرَاوة ـ وهي القضيب ـ الجَعْدِ الرأس ، الصَّلْتِ الجبين[٦] ، المَقْرُونِ الحاجبيْن ، الأَنْجَلِ العينَيْن ، الأهدبِ الأشفار[٧] ، الأدعجِ العينين[٨] ، الأقْنَى الأنف[٩] ، الواضح الخدَّين ، الكثِّ اللِّحْية ، عَرَقُهُ في وَجْهه كاللُّؤْلؤ ، ريح المسكَ يَنْفَحُ[١٠] منه ، كأنَّ عُنُقَهُ إبْريقُ فِضَّة ، وكأنَّ الذهب يَجْري في تَرَاقيه ، له شَعَراتٌ من لَبَّتِهِ إلى سُرَّته ، تجري كالقَضيب ، ليس في بطنه شَعَرٌ غيره ، شَثْن الكَفِّ والقَدَمْ[١١] ، إذا جاء مع الناس غمَرَهُم ، وإذا مشى كأنما يتقلَّعُ[١٢] من الصخر ويتحدَّر من صَبَب ، ذو النسل القليل ـ وكأنَّهُ أرادَ الذكورَ من صُلْبِه .

هكذا رواهُ البيهقي في « دلائل النبوَّة » من طريق يعقوب بن سفيان[١٣] .

---

(١) في دلائل النبوة (١/ ٣٧٧) .

(٢) في ح ، ط : حرب ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٠٣) في ترجمته والتقريب .

(٣) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٧٥) وهو في قسم النصوص المقتبسة من المجلد المفقود منه .

(٤) في ط : الطاهرة . جاء في اللسان (طهر) : والمرأة طاهِرٌ من الحيض وطاهرةٌ من النجاسة ومن العيوب .

(٥) في ط : أزول .

(٦) « الصلت الجبين » : الواسع الجبين ، الأبيض الجبين الواضح . التاج (صلت) .

(٧) « الأهدب الأشفار » : أي طويل شعر الأجفان . التاج (هدب) .

(٨) « الأدعج العينين » : يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد ، وقيل : إن الدَّعج عنده : سواد العين مع شدة بياضها . التاج (دعج) .

(٩) « من القنى » : وهو ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديداب في وسطه ، وسُبوغ في طرفه اللسان (قنا) .

(١٠) « نفحَ الطِّيبُ » : إذا أرِجَ وفاح . التاج (نفح) وفي ط : ينضح ، ومعناه بنحوه .

(١١) أي أنهما تميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذي في أنامله غِلَظٌ بلا قصر ، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم . اللسان (شثن) .

(١٢) في ح ، ط : ينقلع ، والمثبت من دلائل النبوة ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/ ٤٦) .

(١٣) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٧٨) .

وروى البيهقيُّ[١] عن عمر[٢] بن الحكم بن رافع بن سِنَان، حدّثني بعض عمومتي وآبائي ، أنهم كانتْ عندهم ورقةٌ يتوارثونها في الجاهلية ، حتى جاء الله بالإسلامُ ، وهي[٣] عندهم ، فلما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة ذكروها له ، وأتوه بها مكتوبٌ فيها : بسم الله وقولُه الحق ، وقولُ الظالمين في تباب . هذا الذِّكر لأُمَّةٍ تأتي في آخرِ الزمان يغسلُون[٤] أطرافَهم ، ويَأْتَزِرُون[٥] على أوساطهم ، ويخوضون البحور إلى أعدائهم ، فيهم صلاةٌ لوكانت في قومِ نوحٍ ما أُهلكوا بالطُّوفان ، وفي عادٍ ما أهلكوا بالرِّيح ، وفي ثَمُودَ ما أُهلكوا بالصَّيْحَة . بسم الله ، وقولُه الحق ، وقولُ الظالمين في تباب . ثم ذكرَ قصةً أخرى ، قال : فعجب رسولُ الله ﷺ لما قُرئت عليه ، لمَا فيها .

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف[٦] : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] قصةَ هشام بن العاص الأموي حين بعثَهُ الصديق ، في سريةٍ إلى هِرَقْل يدعوهُ إلى الله عزَّ وجلَّ ، فذكر أنَّهُ أخرج لهم صُوَرَ الأنبياء في رُقعة ، من آدم إلى محمدٍ صلواتُ الله عليه وسلامُه عليهم أجمعين ، على النَّعْتِ والشَّكْلِ الذي كانوا عليه ؛ ثم ذكر أنه لما أخرج صورةَ رسولِ الله ﷺ قام قائماً إكراماً له ، ثم جلس وجعل ينظرُ إليها ويتأمَّلُها ؛ قال : فقلنا له : من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إنَّ آدمَ سأل ربَّهُ أن يُريَهُ الأنبياءَ من ذريته ، فأنزل عليه صورَهم ، فكان في خزانةِ آدم عليه السلام عند مَغْرِب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها إلى دانيال . ثم قال : أما والله إنَّ نفسي قد طابتْ بالخروج من مُلْكي وأني كنتُ عبداً لأشَرِّكُمْ مَلَكَةً[٧] حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرَّحَنا . فلما أتينا أبا بكرٍ الصِّدِّيق فحدثْناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا ، قال : فبكى وقال : مسكين لو أراد اللهُ به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسولُ الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نَعْتَ محمدٍ عندهم .

رواهُ الحاكمُ بطوله فَلْيُكْتَب هاهنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة[٨] .

---

(١) في دلائل النبوة (١/ ٣٨٢) .

(٢) في ح ، ط : عثمان بن الحكم بن رافع ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب في ترجمته (٧/ ٤٣٦ ، ٤٣٧) .

(٣) في ط : وبقيت عندهم ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٤) في ط : ليبلون ، وفي ح : يسلون ، وفي دلائل البيهقي : يسبلون ، والمثبت من الوفا لابن الجوزي .

(٥) في ح ، ط : ويوترون ، والمثبت من دلائل البيهقي والوفا .

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٣) في تفسير الآية .

(٧) يقال : فلان حَسَنُ المَلَكة ، إذا كان حَسَن الصنيع إلى مماليكه ، ومنه الحديث : « لا يدخل الجنة سيِّىء الملكة » وهو حديث ضعيف أي الذي يُسيء صُحْبة المماليك . النهاية (٤/ ٣٥٨) (ملك) .

(٨) دلائل النبوة (١/ ٣٨٥ ـ ٣٩٠) وقال ابن كثير بعد ذكر الخبر في تفسيره (٢/ ٢٥٣) وهكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم إجازة ، فذكره ، وإسناده لا بأس به .

وقال الأموي[١] : حدّثنا عبد الله بن زياد ، عن ابن إسحاق قال : وحدّثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر [بن عمرو][٢] بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه عمرو بن أمية قال : قَدِمتُ برقيقٍ من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي : يا عمرو لو رأينا رسولَ اللهِ لعرفناهُ من غير أن تُخْبِرَنا . فمرَّ أبو بكر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا : لا . فمرَّ عمر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا : لا ، فدخلنا الدار ، فمرَّ رسولُ الله ﷺ فنادَوْني : يا عمرو ، هذا رسولُ الله ﷺ فنظرت ، فإذا هو هو من غير أنْ يُخبرَهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم .

وقد تقدَّم إنذارُ سَبَأ لقومِهِ ، وبشارتُهُ لهم بوجودِ رسولِ الله ﷺ في شعرٍ أسلفناه في ترجمته[٣] فأغنى عن إعادته ، وتقدَّم قولُ الحبرَيْن من اليهود لِتُبَّع اليَماني حين حاصَرَ أهلَ المدينة : إنها مُهَاجَرُ نبيٍّ يكونُ في آخر الزمان ، فرجع عنها ونظم شعراً يتضمن السلام على النبي ﷺ[٤] .

قصَّةُ سَيْفِ بنِ ذي يَزَن الحِمْيَري وبشارتُه بالنبيِّ الأُمِّيّ

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه « هواتف الجِنَّان »[٥] : حدّثنا علي ابن حرب، حدّثنا أحمد بن عثمان بن حكيم[٦] ، حدّثنا عمرو بن بكر[٧] ـ هو ابن بكار القَعْنَبي ـ عن أحمد ابن القاسم عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن عبد الله بن عباس قال : لما ظهر سَيْفُ بن ذي يَزَن ـ قال أبو المنذر[٨] : واسمه النعمان بن قيس ـ على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسولِ الله ﷺ بسنتين أتته وفودُ العرب وشعراؤها تهنِّئُه وتمدحه ، وتذكر ما كان من حُسْن بلائه ، وأتاه فيمن أتاه وفود قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدْعان ، وخُويلد بن أسَد ،

---

(١) انظر ص(٦٠) من هذا الجزء ح١ .
(٢) ليس ما بين المعقوفين في ح وهو من ط .
(٣) انظر في الجزء الثاني من هذا الكتاب .
(٤) انظر في الشعر المشار إليه في الجزء الثاني عند قصة ربيعة بن نصر من هذا الكتاب .
(٥) في ح ، ط : هواتف الجان وما أثبته هو الاسم الصحيح كما سبقت الإشارة إليه (ص٤٤ ح٥) ، والنص هنا منقول منه (ص١٨٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، وساق الخبر أيضاً أبو الفرج في الأغاني (١٧/ ٣١١) وما بعدها (ط دارالكتب) وابن عساكر مختصر ابن منظور (٢/ ٥٧ ـ ٦١) وابن الجوزي في الوفا (١/ ١٢٥ ـ ١٢٨) .
(٦) في هواتف الجنان : حدثنا عثمان بن حكيم .
(٧) في دلائل أبي نعيم : عمرو بن بكير ، ولم أقف على ترجمة له. وسيأتي بهذا اللفظ في الصفحة (١٤٥) في موضع الحاشية (١٢) .
(٨) في ح ، ط : ابن المنذر تصحيف ، والمثبت من الهواتف ، وهو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وقوله هذا في نسب معد (٢/ ٥٤٥) .

في أناسٍ من وجوه قريش ، فقدِمُوا عليه صنعاء ، فإذا هو في رأسِ غُمْدانَ[١] الذي ذكره أمية بن أبي الصَّلْت : [من الطويل]

واشْرَبْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً في رأسِ غُمدانَ داراً منك مِحْلالاً[٢]

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم ، فأذِن لهم ، فدنا عبد المطلب ، فاستأذنه في الكلام ، فقال له : إنْ كنتَ ممن يتكلّم بين يدي [الملوك] فقد أذِنّا لك . فقال له عبد المطلب : إنَّ الله قد أحلَّك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذِخاً ، وأنبتك مَنْبِتاً طابتْ أَرُومَتُه ، وعزّت جُرْثُومَتُهُ[٣] ، وثبت أصله ، وبَسَق فَرْعُه في أكرم موطن ، وأطيب مَعْدِن ، فأنتَ ـ أبيتَ اللَّعْن[٤] ـ ملكُ العرب ، وربيعها الذي تُخصب به البلاد ، ورأس العرب الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعْقِلُها الذي يلجأ إليه العباد . سَلَفُكَ خير سلف ، وأنت لنا منهم خَيْرُ خَلَف ، فلن يَخْمُلَ[٥] مَنْ هم سَلَفُه ، ولن يَهْلِكَ من أنت خَلَفُه ؛ ونحن أيها الملك أهلُ حَرَم ، وَسَدَنَةُ بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكَرْبَ الذي فدَحَنا ، [فنحن] وَفْدُ التهنئة لا وفد المَرْزِئة[٦] .

قال : وأيُّهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال : ادْنُ . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورَحْلاً ، ومُستناخاً سهلاً ، وَمَلْكاً رِبَحْلاً[٧] يُعطي عطاءً جَزْلاً . قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهلُ الليل والنهار ، ولكم الكرامةُ ما أقمتم ، والحِبَاءُ[٨] إذا ظعنتم . ثم أُنهضوا إلى دارِ الكرامة والوفود ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذنُ لهم بالانصراف ، ثمّ انتبه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلِسَه وأخلاه ثم قال : يا عبد المطلب ، إني مفضٍ[٩] إليك من سِرِّ عِلْمي ، ما إنْ لو يكون غيرك

---

(١) « غمدان » : قصر في صنعاء ، بناه ليشرح بن يحصب ، وقيل : بناه سليمان بن داود عليهما السلام ، وفي معجم البلدان (٤/ ٢١٠) وصف لهذا القصر .

(٢) البيت في ديوان أمية من قصيدة له (ص٤٥٨) والمحلال : التي يكثر فيها الحلول والإقامة .

(٣) « الجرثومة » : الأصل ، وكذلك الأرومة . اللسان (أرم ، جرثم) .

(٤) « أبيت اللعن » : كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية ؛ معناه : أبيتَ أيها الملك أن تأتي ما تُلعن عليه . اللسان (لعن) .

(٥) في ح ، ط : يخمد ، والمثبت من هواتف الجنان .

(٦) « المرزئة » : المصيبة . اللسان (رزأ) .

(٧) « الملك الربحل » : الكثير العطاء . اللسان (ربحل) . وعبارة ح : مرحباً وأهلاً وسهلاً وناقة ورحلاً ، ومستناخاً وملكاً ربحلاً ، والمثبت من هواتف الجنان وط .

(٨) « الحِباء » : العطاء بلا مَنّ ولا جزاء . اللسان (حبو) .

(٩) في ح : مفوض ، وكذا في هواتف الجنان .

لم أَبُحْ به ، ولكني رأيتك مَعْدِنَه ، فأطلعتكَ طَلِيعَهُ[١] ، فلْيكن عندك مطوياً حتى يأذَنَ الله فيه ، فإنَّ الله بالغُ أمره ، إني أجد في الكتاب المكنون ، والعِلْم المخزونِ الذي اخترناه لأنفسنا واحتجنَّاهُ دونَ غيرنا خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامّةً ، ولرَهْطك كافةً ولك خاصة .
فقال عبد المطلب : أيها الملك ، مثلك سَرَّ وبَرَّ ، فما هو فداؤك أهل الوبَر . زمراً بعد زُمَر ؟ قال : إذا ولد مولودٌ بتهامة ، غلامٌ بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزَّعامة إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أبيتَ اللَّعَن ، لقد أُبْتُ بخير ما آبَ به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته[٢] إياي ما أزدادُ به سروراً .

قال ابنُ ذي يَزَن : هذا حِينه الذي يولد فيه ، أو قد وُلد ، واسمه محمد ، يموت أبوه وأمُّه ، ويكفله جدُّه وعَمُّه . وَلَدناه مراراً ، واللهُ باعثُه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً يُعِزُّ بهم أولياءَه ، ويُذِل بهم أعداءَه ، يضربُ بهم الناس عن عُرْض ، ويستبيحُ بهم كرائمَ الأرض ، يكسر الأوثان ، ويُخمِد النيران ، يعبد الرحمن ، ويَدْحَر الشيطان ، قوله فَصْل ، وحكمه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعَلُه ، وينهى عن المنكر ويُبطله .
فقال عبد المطلب : أيها الملك عزَّ جدُّك وعلا كَعْبُك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ؛ فهل الملكُ سارِّي[٣] بإفصاح ، فقد وضح لي بعض الإيضاح ؟ فقال ابن ذي يَزَن : والبيتِ ذي الحُجُب ، والعلاماتِ على النُّصُب[٤] ، إنك يا عبد المطلب ، لجَدُّه غير كذِب . فخرَّ عبد المطلب ساجداً ، فقال : ارفَعْ رأسَك ، ثَلج صَدْرُك ، وعلا أمْرُكَ ، فقد أحسستَ شيئاً مما ذكرتُ لك . فقال : أيها الملك ، كان لي ابن ، وكنتُ به مُعْجَباً ، وعليه رفيقاً ، فزوَّجته كريمةً من كرائم قومه ، آمنةَ بنت وَهْب ، فجاءتْ بغلامٍ سمَّيْتُه محمداً ، فمات أبوه وأمُّه ، وكفَلْتُهُ أنا وعَمُّه . قال ابنُ ذي يَزَن : إنَّ الذي قلتُ لك كما قلت ، فاحتفظْ بابنك واحذَرْ عليه اليهود ، فإنهم له أعداءٌ ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، واطوِ ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ، فإني لستُ آمَنُ أن تدخل لهم[٥] النَّفَاسَةُ من أن تكون لهم[٦] الرياسة ، فيطلبون له

---

(١) كذا في ح ، ط.وهواتف الجنان ، وفي النهاية (٣/ ١٣٣) واللسان (طلع) : أطلعتك طِلْعَه ؛ أي : أعلمتُكَه ، الطِلْع بالكسر : اسم من اطلع على الشيء إذا علمه .
(٢) كذا في ط وفي ح : اساره . وفي هواتف الجنان والوفا : ساره ، وأظن الصواب : مُسَارَّتِهِ .
(٣) العبارة في ط هكذا : فهذا نجارى فهل الملك سار لي بإفصاح فقد أوضح . . . وفي ح هكذا : فهذا ساري بإفصاح فقد وضح ، والمثبت من هواتف الجنان والوفا لابن الجوزي وسارِّي : من سارَّه في أذنه مسارَّةً : إذا ناجاه وأعلمه بسرِّه . اللسان (سرر) .
(٤) في ح ، ط وهواتف الجنان : النقب ، والمثبت من الوفا لابن الجوزي ، ومختصر ابن منظور ، والنصب : جمع نصيبة ، وهي علامة تنصب للقوم . التاج (نصب) .
(٥) في ح : يدخل لهم ، وفي هواتف الجنان : تدخلهم .
(٦) في ط : لكم ، والمثبت من ح وهواتف الجنان .

الغوائل[١] ، وينصِبونَ له الحَبَائل ، فهم فاعلونَ أو أبناؤهم ، ولولا أني أعلم أنَّ الموت مجتاحي قَبْلَ مَبْعَثِه ، لسرتُ بخيلي ورَجِلي حتى أصيِّرَ يَثْرِبَ دارَ مُلْكي[٢] ، فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أنَّ بيثرب استِحْكامَ أمْرِه ، وأهْلَ نصرته ، ومَوْضعَ قبره ؛ ولولا أني أقيهِ الآفات ، وأحْذَرُ عليه العاهات لأعلنتُ على حداثة سِنِّهِ أمْرَه ، ولأوطأتُ أسنانَ العرب عَقِبَه ، ولكني صارفٌ ذلك إليك ، من[٣] غير تقصيرٍ بمن معك . قال : ثم أمر لكلِّ رجلٍ منهم بعشرة أعْبُد وعشر إماءٍ وبمئةٍ من الإبل ، وحُلَّتين من البرود ، وبخمسةِ أرطالٍ من الذهب ، وعشرة أرطالِ فضَّة وكَرِشٍ مملوءٍ[٤] عَنْبَراً ، وأمَرَ لعبد المطلب بعشرةِ أضعافِ ذلك وقال له : إذا حالَ الحَوْل فأتني . فمات ابنُ ذي يَزَن قبل أن يحولَ الحول ؛ فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : لا يغبِطْني رجلٌ منكم بجزيلِ عطاء الملك ، فإنه إلى نفاد ، ولكنْ لِيَغْبِطْني بما يبقى لي ولعَقِبي من بعدي ، ذِكره وفخره وشرفه ، فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيُعلم ولو بعد حين . قال : وفي ذلك يقول أُميَّة بن عبد شمس[٥] : [من الوافر]

جلبْنا النُّصح تَحْقُبُه[٦] المطايا ... علـى أكـوارِ أجمـالٍ ونُـوقِ

مُغَلْغَلَـةً مَـرَافِقُهـا[٧] تَغَـالَـى ... إلـى صنعـاءَ مـن فـجٍّ عَمِيـقِ

تؤمُّ بنا ابنَ ذي يَزَن وتَفْري ... بـذاتِ بُطُـونهـا ذمَّ الطريـقِ[٨]

وتـرعَـى مـن مخـايلِـهِ بُـروقـاً ... مُوَاصِلَةَ الوميضِ إلى بُرُوقِ[٩]

فلما واصلتْ[١٠] صَنعاءَ حلَّتْ ... بدارِ المُلْكِ والحَسَب العريقِ

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[١١] من طريق عمرو بن بكير بن بكَّار القعنبي[١٢] .

---

(١) « الغوائل » : الدواهي . اللسان (غول) .

(٢) في ح ، ط : بيثرب ، وفي ط : مملكته ، والمثبت من هواتف الجنان .

(٣) في ح ، ط : عن ، والمثبت من هواتف الجنان والوفا لابن الجوزي .

(٤) كذا في ح ، ط والهواتف ، والصواب : مملوءة لأن الكرش مؤنثة .

(٥) ويروى الشعر لأمية بن أبي الصلت ، والأبيات في ديوانه (ص٤٢٤ ، ٤٢٥) .

(٦) كذا ضبط في هواتف الجنان ، ولعل الصواب في ضبطه : تُحْقَبُه ، ويروى تحمله كما في ديوان أمية .

(٧) في ح : مغلغلة مراتعها تعالى ، وفي ط : مقلقة ، وفي هواتف الجنان : مغلغلة مراقعها تعالى ، ورواية النهاية واللسان (غلل) : مغلغلة مغالقها تغالى ، والمثبت من الديوان والأغاني . والمغلغلة : المسرعة في سيرها ، والمرافق : جمع مرفق ، وهو المفصل بين الساعد والعضد ، وتغالى : تتغالى ، أي تسرع .

(٨) كذا في ح ، ط وهواتف الجنان ، ورواية الديوان والوفا : بطونَ خِفافِها أمُّ الطريق . وأم الطريق أعظمها . وهو أشبه بالصواب .

(٩) رواية الديوان : ونلمح من مخايله بروقاً .

(١٠) رواية الديوان وهواتف الجنان : واقعت .

(١١) الدلائل (١/ ١١٤ ـ ١١٩) .

(١٢) قال بشار : هذا من رواية الكلبي عن أبي صالح باذام، وقد قال أبو صالح له : كل ما حدثتك فهو كذب (الميزان ١/ ٢٩٦) .

ثم قال أبو نعيم[١] : أُخبرت عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد ربه[٢] بن محمد بن عبد العزيز ابن عفير بن[٣] عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن ، حدّثني أبي أبو يَزَن إبراهيم ، حدّثنا عمي أحمد بن محمد[٤] أبو رجاء[٥] به ، حدّثنا عمي محمد بن عبد العزيز ، حدّثني عبد العزيز بن عفير ، عن أبيه ، عن زرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال : لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحبشة . وذكره بطوله[٦] .

وقال أبو بكر الخرائطي[٧] : حدّثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القُلُوسي ، حدّثنا العلاء بن الفضل بن أبي سَوِيَّة ، أخبرني أبي عن أبيه عبد الملك بن أبي سَوِية ، عن جدِّه أبي سوية ، عن أبيه خليفة قال : سألت محمد بن عَدِي[٨] بن ربيعة بن سواءَة بن جُشَم[٩] بن سعد فقلت : كيف سمَّاك أبوك محمداً ؟ فقال : سألتُ أبي عمَّا سألتني عنه ، فقال : خرجتُ رابعَ أربعةٍ من بني تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جُنْدب بن العَنْبَر[١٠] ، ويزيد بن ربيعة بن كابِيَة[١١] بن

---

(١) ليس هذا القول في المطبوع من الدلائل وهو في دلائل البيهقي (٢/ ١٤٠٩) .

(٢) كذا في ح ، ط وفي دلائل البيهقي وميزان الاعتدال (١/ ٤٤) والإصابة (٢/ ٤٢٨) ترجمة عبد العزيز بن سيف : « إبراهيم بن عبد الله » .

(٣) في دلائل البيهقي : عن .

(٤) في دلائل البيهقي : أحمد بن حبيش وفي الإصابة : أحمد بن حسين .

(٥) كذا في ط ، وفي ح : رخي . قال الذهبي في الميزان : فهؤلاء لا يدرى من هم . وقال ابن حجر في الإصابة : ورجال هذا الإسناد مجاهيل .

(٦) وهذا إسناد تالف ، كلهم مجهولون لا يُدرى من هم ، كما بينه الإمام الذهبي في الميزان (١/ ٤٤) (بشار) .

(٧) في كتابه هواتف الجنان (ص١٩٣) والخبر ساقه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ١١٢ ، ١١٣) والبيهقي أيضاً في الدلائل(٢/ ١١٤) وابن عساكر في تاريخه مختصر ابن منظور (١٦/ ٣٠٥) وهو بتحقيقي وابن الجوزي في الوفا (١/ ٤٦ ، ٤٧) وابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٥١٣) والسيوطي في الخصائص (١/ ٢٣) . وانظر طبقات ابن سعد (١/ ١٦٩) والروض (١/ ١٨٢) ، في إسناده مجاهيل .

(٨) في ح ، ط : محمد بن عثمان . وهي تصحيف ، والمثبت من مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر والوفا لابن الجوزي والدلائل والإصابة .

(٩) في ح ، ط : خثعم ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل أبي نعيم والبيهقي ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر والإصابة ، وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٣٤) (ط العظم) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص٢١٥) .

(١٠) ليس : ابن العنبر في ح وفي ط : ابن العقيد . والمثبت من الهواتف ومختصر ابن منظور والإصابة . وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٦٣) ط العظم . وجمهرة الأنساب لابن حزم(ص٢٠٨) .

(١١) في ح ، ط والهواتف : كنانة ، والمثبت من الاشتقاق لابن دريد (ص٢٠٤) وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٧١ـ ٣٧٣) ط العظم ، وجمهرة النسب لابن حزم (ص٢١١) .

حُرْقُوص[١] بن مازن ، ونحن نُريد ابنَ جفنة ملك غسَّان ، فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات ، فتحدَّثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال : إنَّ هذه لغةٌ ما هي بلغةِ [أهلِ][٢] هذه البلاد . قلنا : نعم ، نحن قومٌ من مُضَر . قال : من أيِّ المُضَرِيِّين ؟ قلنا : من خِنْدِف . قال : أما إنه سيبعث [فيكم][٢] وشيكاً نبيٌّ خاتم النبيين ، فسارِعُوا إليه وخذوا بحظِّكم منه ترشُدوا . فقلنا له : ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال : فرجعنا من عند ابن جَفْنَة ، فولد لكلِّ واحدٍ منا ابنٌ فسمَّاه محمداً . يعني أنَّ كلَّ واحدٍ منهم طمع في أن يكون هذا النبيُّ المبشَّر به ولدَه .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي[٣] : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، حدّثنا حازم بن عِقَال بن[٤] حبيب ابن المنذر بن أبي الحِصْن[٥] بن السمَوْأل بن عادياء ، [حدثني جامع بن خَيْران[٦] بن جُميع بن عثمان بن سماك بن أبي الحِصْن[٧] بن السمَوْأل بن عاديا][٨] قال : لما حضرتِ الأوسَ بنَ حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر الوفاةُ، اجتمع إليه قَوْمُه من غسَّان فقالوا: إنه قد حضر من أمر الله ما ترى، وقد كنَّا نأمُرك بالتزويج في شبابك فتأبى، وهذا أخوك الخَزْرَج له خمسة بنين، وليس لك ولـدٌ غير مالك . فقال : لن يَهْلِكَ هالك تركَ مثل مالك ، إنَّ الذي يُخرج النارَ من الـوَثيمة[٩] ، قادرٌ أن يجعل لمالكٍ نَسْلاً ، ورجالاً بُسْلاً ، وكلٌّ إلى الموت . ثم أقبل على مالك وقال : أيْ بُني ، المنيَّة ولا الدنيَّة ، العقاب ولا العتاب ، التجلُّد ولا التلدُّد[١٠] ، القبر خيرٌ من الفقر ، إنَّه مَنْ قلَّ ذَلّ[١١] ؛ ومن كَرَم الكريم الدَّفْعُ عن الحريم ؛ والدَّهْر يومان ، فيوم لك، ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطَرْ ، وإذا كان عليكَ فاصطبِرْ ، وكلاهما سينحسِر ، ليس يفلتُ منهما الملك المتوَّج ، ولا اللئيم المُعَلْهَج[١٢] ، سَلِّم ليومك حيَّاك ربك ، ثمّ أنشأ يقول : [من الطويل]

---

(١) في ح ، ط : حربوص . وهو تصحيف ، والمثبت من الهواتف والاشتقاق (ص٢٠٣) وجمهرة ابن الكلبي وابن حزم المذكورين في الحاشية السابقة والتاج (حرقص) .
(٢) ما بين معقوفين من الهواتف .
(٣) في كتابه هواتف الجنان (ص١٨٧) ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه مختصر ابن منظور (٢/ ٦٣) ، وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ٢٨ ، ٢٩) وساق الخبر أبو علي القالي في أماليه (١/ ١٠٢) بنحوه عن أبي بكر بن دريد عن ابن الكلبي .
(٤) انفردت ط بزيادة : عقال بن زهر بن حبيب .
(٥) في ط : أبي الحصين . والمثبت من ح والهواتف والإكمال (٢/ ٢٧٨) .
(٦) في ط : جابر بن جدان ، والمثبت من الهواتف والإكمال (٢/ ٢٧٨) .
(٧) في ط : سماك بن الحصين والمثبت من الهواتف والإكمال .
(٨) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٩) « الوثيمة » : الصخرة ، والحجر المكسور . النهاية واللسان (وثم) .
(١٠) « التلدُّد » : التلفُّت يميناً وشمالاً تحيُّراً . اللسان (لدد) . ووقع في مختصر ابن منظور . « التلذذ » وهو تصحيف .
(١١) انفردت ط بزيادة : من كرَّ فرَّ .
(١٢) في ح والهواتف : المعلج ، قلت : لعل الصواب فيه : العُلَّج . وهو الشديد من الرجال قتالاً ونطاحاً . والمثبت من=

شَهِدتُ السبايا يومَ آلِ مُحَرِّقٍ ... وأدرك عُمْري[١] صيحةَ الله في الحِجْرِ
فلم أرَ ذا مُلكٍ من الناسِ واحداً ... ولا سُوقةً إلَّا إلى الموتِ والقبرِ
فعلَّ الذي أرْدَى ثموداً وجُرهماً ... سَيُعقِبُ لي نَسْلاً على آخر الدهْر
تقرُّ بهم من آلِ عمرو بن عامرٍ ... عيونٌ لدى الداعي إلى طلَب الوِتْر[٢]
فإن لم تكُ الأيّام[٣] أبلينَ جِدَّتي ... وشيَّبْنَ رأسي والمشيبُ مع العُمْرِ
فإنَّ لنا رباً علا فوقَ عرشِهِ ... عليماً بمايأتي من الخَيْرِ والشرِّ
ألم يأتِ قومي أنَّ لله دعوةً ... يفوزُ بها أهلُ السعادة والبِرِّ
إذا بُعث المبعوثُ من آلِ غالبٍ ... بمكةَ فيما بين مكةَ والحِجْرِ
هنالك فابْغُوا نَصْرَهُ ببلادكم ... بني عامرٍ إنَّ السعادةَ في النَّصْرِ

قال : ثم قضى من ساعته[٤] .

باب في هواتف الجانّ
وما ألقته الجِنَّان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان

وقد تقدَّم كلامُ شِقٍّ وسَطِيح لربيعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسولِ الله ﷺ[٥] . رسولٌ زكي ، يأتي إليه الوَحْي ، من قبل العلي . وسيأتي في المولد قول سَطِيح لعبد المسيح[٦] : إذا كثرتِ التلاوة ، وغاضت بحيرة ساوه ، وظهر صاحبُ الهِرَاوة ، يعني بذلك رسولَ الله ﷺ كما سيأتي بيانه مفصلاً .

وقال البخاري[٧] : حدّثنا يحيى بن سليمان الجُعْفي ، حدّثني ابنُ وَهْب ، حدّثني عُمر ـ وهو ابن محمد بن زيد ـ أن سالماً حدَّثه عن عبد الله بن عمر قال : ما سمعتُ عمر يقولُ لشيءٍ قطّ : إني لأظنُّه كذا

= ط والأمالي ، والمعلهج : الأحمق اللئيم والدعي الذي ليس بخالص النسب . التاج (علهج) .
(١) في ح ، ط : أمري ، والمثبت من الهواتف ومختصر ابن منظور والخصائص .
(٢) « الوِتْر » : الثأر . اللسان (وتر ، ذحل) .
(٣) كذا في ح ، ط ، وفي الهواتف ومختصر ابن منظور : فإن لم تكن الأيام .
(٤) إسناده تالف ، وعلامات الوضع بادية عليه (بشار) .
(٥) مضى هذا النص في الجزء الثاني من هذا الكتاب .
(٦) كذا في ح ، ط : وهذا يدل على تقدم هذا الباب لأن قول سطيح مضى في (ص٤٥) وانظر (ص٤٢ ح٤) .
(٧) فتح الباري (٣٨٦٦) مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وما يأتي بين معقوفين منه .

إلا كان كما يظُنّ . بينما عمر بن الخطاب جالسٌ إذْ مرَّ به رجلٌ جميل ، فقال [عمر :] لقد أخطأ ظني ، أو : إنَّ هذا على دينهِ في الجاهلية ، أو لقد كان كاهِنَهُم ، عليَّ الرَّجُل . فدعا به[١] فقال له ذلك ، فقال : ما رأيت كاليوم استُقْبِل به رجلاً مسلماً[٢] . قال : فإني أعزمُ عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنتُ كاهِنَهُم في الجاهلية[٣] . قال : فما أعجبُ ما جاءَتْكَ به جِنّيَّتُك ؟ قال : بينما أنا يوماً في السُّوق ، جاءَتْني أعرفُ فيها الفَزَع ، فقالت : [من الرجز]

ألَمْ تَرَ الجِنَّ وإبلاسها[٤] ويأسَها من بعدِ إنكاسِها[٥] ؟

ولحُوقها بالقِلاصِ وأحْلاسِها[٦]

---

(١) كذا في ح ، وفي ط : فدعي به ، وفي فتح الباري : فدُعي له ، والرجل هو سواد بن قارب كما سيأتي وكما في فتح الباري .

(٢) رواية البخاري : استُقبل به رجل مسلم ، وقال ابن حجر في شرحه : في رواية النسفي وأبي ذر رجلاً مسلماً . ورأيته مجوداً بفتح تاء (استقبل) على البناء للفاعل وهو محذوف تقديره : أحد ، وضبطه الكرماني استُقبل بضم التاء ، وأعرب رجلاً مسلماً على أنه مفعول رأيت ، وعلى هذا فالضمير في قوله : به ، يعود على الكلام ، ويدل عليه السياق .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧٩ ، ١٨٠) : الكاهن الذي يتعاطى الخبر من الأمور المغيبة . . . ولقد تلطف سواد في الجواب إذ كان سؤال عمر عن حاله في كهانته إذ كان من أمر الشرك ، فلما ألزمه أخبره بآخر شيء وقع له لما تضمن من الإعلام بنبوة محمد ﷺ وكان سبباً لإسلامه . وقال في (١٠/ ٢١٦ ، ٢١٧) : والكهانة : ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب ، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة ، فيلقيه في أذن الكاهن . . . وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم وهي على أصناف : منها ما يتلقونه من الجن ، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه ، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين ، وأرسلت عليهم الشهب ، فبقي من استراقهم ما يتخطَّفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ . وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما ، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل ولله الحمد ؛ ثانيها : ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً ، أو يطلع عليه من قرب لا من بعد ؛ ثالثها : ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس ، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه ؛ رابعها : ما يستند إلى التجربة والعادة ، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر ، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم ، وكل ذلك مذموم شرعاً . وورد في ذم الكهانة ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه : « من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . ثم ساق ابن حجر شواهد لهذا الحديث وأفاض .

(٤) « إبلاسها » : تحيُّرها ودَهَشها . النهاية (١/ ١٥٢/ بلس) .

(٥) « اليأس » : ضد الرجاء ، والإنكاس : الانقلاب ، قال ابن فارس : معناه أنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته ، فانقلبت عن الاستراق قد يئست من السمع (فتح الباري ٧/ ١٨٠) .

(٦) « القِلاص » : جمع قُلُص ، وهو جمع قَلُوص ، وهي الفتية من النياق ، والأحلاس جمع حِلْس ، وهو ما يوضع =

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائمٌ عند آلهتهم إذْ جاء رجلٌ بِعْجلٍ فذبحَهُ ، فصرخ به صارخٌ لم أسمعْ صارِخاً قطُّ أشدَّ صَوْتاً منه يقول : يا جَليح[1] ، أمْرٌ نَجِيح ، رجلٌ فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . فوثب القوم ، فقلت : لا أبْرَحُ حتى أعلمَ ما وراءَ هذا . ثمّ نادى : يا جليح ، أمرٌ نَجِيح ، رجلٌ فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقمتُ فما نَشِبْنا أنْ قيل : هذا نبيّ . تفرَّد به البخاري .

وهذا الرجل هو سَوَاد بن قارِب الأزْدي ، ويقال السَّدُوسي ، من أهل الشَّرَاة من جبال البَلْقاء[2] له صحبة ووفادة .

قال أبو حاتم وابن مَنْدَه : روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن علي ، وقال البخاري : له صحبة .

وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن [هارون بن][3] روح البَرْذَعي الحافظ ، والدَّارَقُطْني[4] ، وغيرُهما .

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المِصْري[5] : سَوَاد بن قارِب بالتخفيف .

وقال عثمان الوقَّاصي عن محمد بن كعب القُرَظي : كان من أشراف أهل اليمن . ذكره أبو نعيم في « الدلائل »[6]

وقد رُوي حديثُه من وجوهٍ أُخر مطوَّلة بأبسطَ من روايةِ البخاري[7]

= على ظهور الإبل تحت الرَّحْل . ووقع هذا القسيم (الشطر) غير موزون ؛ وفي رواية الباقر « ورحلها العيس بأحلاسها » وهذا موزون . فتح الباري (٧/ ١٨٠ ، ١٨١) .

« جليح بوزن عظيم » : معناه الوقح المكافح بالعداوة ؛ قال ابن التين : يحتمل أن يكون نادى رجلاً بعينه ، ويحتمل أن يكون أراد من كان بتلك الصفة . قال ابن حجر : ووقع في معظم الروايات : يا آل ذريح ، وهم بطن مشهور من العرب . فتح الباري (٧/ ١٨١) وقال السهيلي في الروض (١/ ٢٤٢) : يا جليح : سمعت بعض أشياخنا يقول : هو اسم شيطان ، والجليح في اللغة ما تطاير من رؤوس النبات وخفَّ نحو الفطر وشبهه .

(٢) في ح ، ط : السراة ، بالسين المهملة ، والمثبت من مختصر ابن منظور (١٠/ ٢١١) ومعجم البلدان (١/ ٤٨٩ البلقاء) و(٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢ الشراة) والبلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وبالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام ، أرض معروفة وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم .

(٣) إضافة مفيدة لأنه منسوب إلى جده ، وهو البرديجي المتوفى سنة ٣٠١هـ صاحب كتاب طبقات الأسماء المفردة .

(٤) المؤتلف والمختلف (٣/ ١٢٣٣) .

(٥) راجع المؤتلف والمختلف لعبد الغني ، ص ٧١ .

(٦) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١١١ ، ١١٢) (طبعة القلعجي ١٤٠٦هـ) .

(٧) ساق المصنف بعض هذه الوجوه فيما يأتي ، وأشرتُ إلى أماكنها ، وينضاف إليها دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٣٧ـ ١٤٢) ودلائل البيهقي (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٤) ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٠٨ ـ ٦١٠) وذكر الخبر ابن حجر في الإصابة ترجمة سواد عن ابن أبي خيثمة والروياني من طريق أبي جعفر الباقر ، وابن عبد البر في الاستيعاب ، والهيثمي في =

وقال محمد بن إسحاق[١] : حدَّثني من لا أتَّهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، أنه حُدِّث أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ﷺ إذْ أقبل رجلٌ من العرب داخل[٢] المسجد يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر قال : إنَّ الرجل لعلى شِرْكه ، ما فارقَهُ بعد ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فسلَّم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنتَ كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فيّ[٣] ، واستقبلْتَني بأمرٍ ما أراك قلتَهُ لأحدٍ من رعيتك منذ وَليت ما وليت . فقال عمر : اللهم غَفْراً ، قد كنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبُد الأصنام ، ونعتنق الأوْثان ، حتى أكرمنا الله برسولِهِ وبالإسلام . قال : نعم والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية . قال : فأخبِرْني ما جاء به صاحِبُك . قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِهِ[٤] فقال : ألم تَرَ إلى الجنِّ وإبْلاسها ، وإياسِها من دينها ، ولحوقها[٥] بالقِلاص وأحْلاسِها .

قال ابن إسحاق[٦] : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

[قال عبد الله بن كعب] : فقال عمر عند ذلك يحدِّث الناس : والله إني لعند وَثَنٍ من أوثان الجاهلية في نفَرٍ من قريش ، قد ذَبَحَ له رجلٌ من العرب عِجْلاً ، فنحن ننتظر أن يقسمَ لنا منه ، إذ سمعتُ من جَوْف العجل صوتاً ما سمعتُ صوتاً قطُّ أشدَّ منه ، وذلك قبل الإسلام بشهرٍ أو شَيْعِهِ يقول : يا ذَرِيح ، أمْرٌ نَجيح ، رجلٌ يصيح[٧] ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال رجل يصيح[٧] ، بلسان فصيح[٨] ، يقول : لا إله إلا الله . قال : وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشعر : [من السريع]

= مجمع الزوائد عن الطبراني (٨/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠) والسيوطي في الخصائص (١/ ١٠٢) والبغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب (٦/ ٢٧١ ـ ٢٧٥) وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧٩) : وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض .

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٩) والروض (١/ ٢٤٢) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في السيرة والروض : داخلاً .

(٣) « خلتَ في » : من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت ، كقولهم في المثل : من يسمع يَخَل ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : من يسمع يخل . دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي خلت فيّ دليل أيضاً ، وهو قوله : فيّ ، كأنه قال : خلت فيَّ الشر أو نحو هذا . الروض (١/ ٢٤٢) .

(٤) أي قَدْرَ شهر أو نحوه . غريب الحديث للخطابي (٢/ ٥٢١) .

(٥) في ح : وتخرقها ، والمثبت من ط .

(٦) في السيرة والروض : قال ابن هشام .

(٧) في ح : فصيح ، والمثبت من ط والسيرة والروض .

(٨) في ح : نصيح والمثبت من ط والسيرة والروض .

عَجِبْتُ للجِنِّ وإبْلاسِها وشَدِّها العِيسَ بأحْلاسِها
تَهْوِي إلى مكة تبغي الهُدَى ما مؤمنو[١] الجِنِّ كأنجاسِها

وقال الحافظ أبو يَعْلى المَوْصلي[٢] : حدّثنا يحيى بن حُجْر بن النعمان السَّامي[٣] ، حدّثنا علي بن منصور الأبناوي[٤] ، عن عثمان[٥] بن عبد الرحمن الوقَّاصي ، عن محمد بن كعب القُرَظي . قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس ، إذ مرَّ به رجل ، فقيل : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المارّ ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سَوَاد بن قارب الذي أتاه رَئِيُّهُ بظهورِ رسولِ الله ﷺ ، قال : فأرسل إليه عمر ، فقال له : أنت سَواد بن قارِب ؟ قال : نعم . قال : فأنت على ما كنتَ عليه من كهانتك ؟ قال : فغضب ، وقال : ما استقبلني بهذا أحدٌ منذُ أسلمتُ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : يا سبحان الله ! ما كنا عليه من الشرك أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك ! فأخبرني ما أنبأك رَئِيُّكَ بظهور رسولِ الله ﷺ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلةٍ بين النائم واليقظان إذْ أتاني رَئِيِّي فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، واسمعْ مقالتي ، واعقِلْ إنْ كنتَ تعقِل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لُؤَيٍّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول : [من السريع]

عجبتُ للجِنِّ وتَطْلابها وَشدِّها العيسَ بأقْتابها[٦]
تهوي إلى مكّةَ تبغي الهُدى ما صادقُ الجِنِّ ككذَّابها
فارْحَلْ إلى الصِّفْوةِ مِن هاشمٍ ليسَ قُدَامَاها كأذنابها[٧]

قال : قلت : دعني أنام فإني أمسيتُ ناعساً . قال : فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله

---

(١) في ح : مومني .
(٢) الخبر في مسند أبي يعلى (١/ ٢٦٣) وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) ، وأخرجه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح(٢/ ٦٧) عن عبد الباقي بن قانع عن محمد بن زكريا الغلابي عن بشر بن حجر عن علي بن منصور به .
(٣) في ح ، ط : الشامي ، بالشين المعجمة ، وهوتصحيف ، والمثبت من الإكمال (٤/ ٥٥٧) والأنساب (٧/ ١٦) ودلائل البيهقي .
(٤) في ط والمطبوع من دلائل البيهقي : « الأنباري » وهو تحريف ، فقد قيده الحافظ معين الدين بن نقطة الحنبلي في إكمال الإكمال في باب « الأنباري والأبياري والأبناوي الأنماري » ، فقال : « وأما الأبناوي بعد الباء المعجمة بواحدة نون وبعد الألف واو فهو : . . . وعلي بن منصور الأبناوي ، حدث عن عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي بقصة سواد ابن قارب ، روى عنه بشر (هكذا وقع عنده ، وصوابه : يحيى) بن حجر بن النعمان السامي » (١/ ١٦٧) ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في التبصير (١/ ٣٦) ، وكذلك ذكره المزي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي من التهذيب (١٩/ ٤٢٦) .
(٥) في ط : محمد بن عبد الرحمن الوقاصي وفي ح : محمد بن عثمان الوقاصي ، وفي الحاشية : وجميعه تصحيف ، والمثبت من اللباب (٣/ ٣٧٠) وتهذيب المزي (١٩/ ٤٢٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٣٣) ودلائل البيهقي .
(٦) « الأقتاب » : جمع قَتَب ، وهو الرحْل الصغير على قدر سنام البعير . المعجم الوسيط (قتب) .
(٧) الصفوة ، مثلثة الصاد ، والكسر أفصح اللغات فيه ، صفوة الشيء : خياره وأخلصه . الجليس (٢/ ٧٠) .

وقال : قم يا سواد بن قارِب واسمعْ مقالتي ، واعقِل إن كنتَ تعقل ، إنه بُعث رسولٌ من لُؤيٍّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثمّ أنشأ يقول : [من السريع]

عجبتُ للجنّ وتَخبارِها ... وشَدِّها العِيسَ بأكْوارِها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجنِّ ككُفَّارِها

فارْحَلْ إلى الصِّفْوةِ من هاشمٍ ... بينَ رَوابيها وأحْجَارِها

قال : قلت : دَعني أنام ، فإني أمسيتُ ناعساً . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارِب ، فاسمعْ مقالتي ، واعقل إنْ كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول : [من السريع]

عجبتُ للجنِّ وتَحْساسِها[١] ... وشدِّها العيسَ بأحلاسها

تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى ... ما خيِّرُ الجنِّ كأنْجاسها

فارْحَلْ إلى الصِّفْوة من هاشمٍ ... واسمُ بعينيكَ إلى رأسِها

قال : فقمتُ وقلت : قد[٢] امتحن الله قلبي ، فرحَّلْتُ ناقتي ثم أتيت المدينة ـ يعني مكة ـ فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حَوْلَه ، فدنوتُ فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هات ، فأنشأتُ أقول : [من الطويل]

أتاني نَجِيِّي بعدَ هدْءٍ ورقْدةٍ ... ولم يكُ فيما قد بلَوْتُ[٣] بكاذبِ

ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاكَ رسولٌ من لُؤيِّ بنِ غالبِ

فشمَّرتُ عن ذيلي الإزارَ ووسَّطَتْ ... بيَ الذِّعْلِبُ الوَجْناءُ غُبْرَ السَّباسِبِ[٤]

فأَشهدُ أنّ الله لا شيءَ غيرُه ... وأنَّكَ مأمونٌ على كلِّ غائبِ

وأنَّكَ أدْنَى المرسلينَ وَسيلةً ... إلى الله يا بنَ الأكرمينَ الأطايبِ

فمُرْنا بما يأتيكَ يا خيرَ مَنْ مَشَى ... وإنْ كان فيما جاء شَيْبُ الذوائبِ

وكنْ لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ ... سِواكَ بِمُغْنٍ عن سَوَادِ بنِ قارِبِ

---

(١) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٨٠) : وتحساسها : بفتح المثناة وبمهملات ، أي : أنها فقدت أمراً فشرعت تفتش عليه .

(٢) ليست : قد في ح .

(٣) في ح : يكون ، وفي ط : والمثبت من الروايات الأخرى .

(٤) « الذِّعْلب » : الناقة السريعة . « الوجناء » : الغليظة الصلبة ، وقيل : العظيمة الوجنتين . « وغبر السباسب » : القفار والمفاوز التي لا يهتدى للخروج منها ، مفردها : غبراء سبسب . النهاية (٢/ ١٦١ ذعلب) و(٥/ ١٥٨ وجن) و(٣/ ٣٣٧ غبر) و(٢/ ٣٣٤ سبسب) . وقال المعافى : السباسب ، وهي الأقضية الواسعة من الأرض ، وهي ما كان قفراً أملس . الجليس (١/ ٧٠) .

قال : ففرح رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بمقالتي فرحاً شديداً ، حتى رُئي الفرَحُ في وجوههم . قال : فوثب إليه عمرُ بن الخطاب فالتزمه وقال : قد كنتُ أشتهي أنْ أسمعَ هذا الحديثَ منك ، فهل يأتيك رَئِيُّك اليوم ؟ قال : أمَّا منذُ قرأتُ القرآن فلا ، ونعم العِوَضُ كتابُ الله من الجِنّ .

ثم قال عمر : كنا يوماً في حيٍّ من قريش يقال لهم : آل ذَرِيح ، وقد ذبحوا عِجْلاً لهم والجزَّار يُعالجه ، إذ سمعنا صوتاً من جَوْفِ العجل ولا نرى شيئاً ، قال : يا آل ذريح ، أمرٌ نَجيح ، صائح يَصيح ، بلسانٍ فصيح ، يشهدُ أن لا إله إلَّا الله .

وهذا منقطعٌ من هذا الوجه ، ويشهد له روايةُ البخاري . وقد تساعدوا على أنَّ السامعَ الصوتَ من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجِنَّان[١] : حدّثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدِّب ، حدّثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدّثنا سعيد بن عبيد الله الوَصَّافي[٢] ، عن أبيه ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : دخل سَوَادُ بن قارِب السَّدُوسي على عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فقال : نشدتُكَ بالله يا سواد بن قارب ، هل تُحسن اليوم من كَهَانتك شيئاً ؟ فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنينَ ! ما استقبلتَ أحداً من جُلَسائك بمثل ما استقبلتني به ! قال : سبحان الله يا سواد ! ما كنا عليه من شِرْكنا أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتكَ ؛ والله يا سواد ، لقد بلغني عنك حديثٌ إنه لعجَبٌ من العجَب ! [قال : إي والله يا أمير المؤمنين إنه لعجبٌ من العجب][٣] . قال : فحدِّثنيه . قال : كنتُ كاهناً في الجاهلية ، فبينا أنا ذات ليلةٍ نائمٌ إذْ أتاني نَجِيِّي ، فضربني برجله ، ثم قال : يا سَوَاد ، اسمعْ أقلْ لك . قلت : هات . قال : [من السريع]

عجِبْـتُ للجِـنِّ وأنجـاسهـا ورَحْلِهـا العيـسَ بـأحْـلاسهـا

تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى مـا مـؤمنـوهـا مثـلُ أرْجَـاسهـا

فارحلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ واسـمُ بعينيـكَ إلـى رأسهـا

قال : فنمتُ ولم أحفِل بقوله شيئاً ؛ فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ثمّ قال لي : قم يا سَوَاد بن قارب ، اْسمع أقلْ لك . قلت : هات . قال : [من السريع]

عجِبْـتُ للجِـنِّ وتطـلابهـا ورَحْلهـا[٤] العيـسَ بـأقتـابهـا

---

(١) (ص١٤٨) وقد جاء في ح ، ط : هواتف الجان ، وما أثبته هو الصحيح . انظر (ص٤٤ ح٥).

(٢) في ط : الوصابي . والمثبت من ح والهواتف والإكمال (٧/ ٤٠٠) واللباب (٣/ ٣٦٨) . ضعفه أبو حاتم . الجرح والتعديل (٤/ ٣٨) وميزان الاعتدال (٢/ ١٥٠) ولسان الميزان (٣/ ٣٧) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من ح وهو في ط والهواتف .

(٤) في ط : وشدها . والمثبت من ح والهواتف .

تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ما صادقو الجِنِّ ككُذَّابها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ   ليس المقاديمُ كأذنابها

قال : فحرَّك قولُه مني شيئاً ، ونمت ؛ فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله ثمّ قال : يا سواد بن قارب ، أتعقِلُ أم لا تعقل ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظهر بمكة نبيٌّ يدعو إلى عبادة ربِّهِ[١] فالْحَقْ به ، اسمع أقل لك . قلت : هات ، قال : [من السريع]

عجبتُ للجنِّ وأخبارها[٢]   ورَحْلِها العيسَ بأكْوارها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى   ما مؤمنوها مثل كُفَّارها[٣]
فارْحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ   بينَ روابيها وأَحجارها[٤]

قال : فعلمتُ أنَّ الله أرادَ بي خيراً ؛ فقمتُ إلى بُرْدة لي ، ففتقتُها ولبستُها ، ووضعتُ رجلي في غَرْز[٥] ركاب الناقة ، وأقبلتُ حتى انتهيتُ إلى النبي ﷺ فعرض عليَّ الإسلام ، فأسلمتُ ، وأخبرتُه الخبر . قال : « إذا اجتمع المسلمونَ فأخبِرْهم » . فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت : [من الطويل]

أتاني نَجِيِّي بعدَ هدْءٍ ورَقْدةٍ   ولم يكُ فيما قد بَلَوتُ بكاذبِ
ثلاث ليالٍ قولُه كُلَّ ليلةٍ   أتاك رسولٌ من لُؤَيِّ بن غالبِ
فشمرتُ عن ذيلي الإزارَ ووسَّطَتْ   بيَ الذِّعلبُ الوَجْناءُ غُبْر السَّباسِبِ
وأعلمُ أنَّ الله لا ربَّ غيرُه   وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غائبِ
وأنك أدنى المرسلينَ وسيلةً   إلى اللهِ يا بنَ الأكرمينَ الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيكَ يا خيرَ مرسَلٍ   وإنْ كان فيما جاءَ شَيَّبُ الذوائبِ

قال : فسُرَّ المسلمون بذلك ، فقال عمر : هل تُحِسُّ اليومَ منها بشيء ؟ قال : أمَّا مُذْ[٦] علَّمني الله القرآنُ فلا .

وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، عن عمر بن حفص قال : لما ورد سَوَاد بن قارب على عمر قال: يا سَوَاد بن قارب، ما بقي من كهانتك ؟ فغضب وقال: ما أظنُّك يا أمير المؤمنين استقبلتَ أحداً من العرب بمثل هذا ، فلما رأى ما في وجهه من الغضَب ، قال : انظرْ سواد ، للَّذي كنَّا عليه قبلَ اليوم من

---

(١) في ح : عبادة الله .
(٢) في ط : وتنفارها .
(٣) في ح : ما مؤمنوها ككفارها ، وفي ط : ما مؤمنو الجن ككفارها . والمثبت من الهواتف .
(٤) في الهواتف : وأحبارها ، وفوقها إشارت تضبيب .
(٥) « الغرز » : ركاب الرحل ، من جلود مخروزة ، فإذا كان من حديد أو خشب فهو ركاب ، وغرز رجله في الغرز : وضعها فيه ليركب وأثبتها . اللسان (غرز) .
(٦) في ط : إذ ، والمثبت من ح والهواتف .

الشِّرْك أعظم . ثمّ قال : يا سواد ، حدّثني حديثاً كنتُ أشتهي أسمعه منك . قال : نعم ، بينا أنا في إبلٍ لي بالشراة[١] ليلاً وأنا نائم ، وكان لي نَجِيٌّ ، فأتاني[٢] فضربني برجله فقال لي : قم يا سواد بن قارب ، فقد ظهر بتهامة نبيٌّ يدعو إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم . فذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر الشعر : [من الطويل]

وكُنْ لي شفيعاً يومَ لا ذو قرابةٍ سواكَ بمغنٍ عن سَوَاد بن قاربِ

فقال رسولُ الله ﷺ : « سِرْ في قومِكَ وقل هذا الشعر فيهم » .

ورواه الحافظ ابن عساكر[٣] من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي ، عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال : أخبرني سواد بن قارب الأزْدي . قال : كنتُ نائماً على جبلٍ من جبال الشراة فأتاني آتٍ فضربني برجله . وذكر القصة أيضاً .

ورواه[٤] أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء قال : قال سواد بن قارب : كنت نازلاً بالهند فجاءني رَئِيِّي ذات ليلة ، فذكر القصة .

وقال بعد إنشاد الشعر الأخير فضحك رسول الله ﷺ حتى بدتْ نواجذُه وقال : « أفلحتَ يا سَوَاد » .

وقال أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »[٥] : حدّثنا عبد الله بن جعفر[٦] ، حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن ، حدّثنا علي بن حرب ، حدّثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السّائب ، عن أبيه ، عن عبد الله العُمَاني[٧] قال : كان منا رجلٌ يقال له : مازن بن الغضوبة[٨] يَسْدُنُ صنماً بقريةٍ يقال لها : سمايا ، من عُمان ، وكانتْ تعظِّمه بنو الصامت وبنو خِطامة[٩] ومهرة ، وهم أخوال مازن ـ أمه[١٠] زينب بنت

---

(١) في ح ، ط : السراة بالسين المهملة .

(٢) في ط : وكان لي نجي من الجن أتاني .

(٣) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (١٠/ ٢١١) .

(٤) لم أجد الرواية في تاريخ ابن عساكر لعدم توفر الأجزاء التي ضمت ترجمة (سواد) .

(٥) دلائل النبوة (١/ ١٤٢ ـ ١٤٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٥٨) عن علي بن حرب به ، وذكره ابن حجر في الإصابة (ترجمة مازن بن الغضوبة) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٧) والسيوطي في الخصائص (١/ ١٠٣) . ومن بداية هذا الخبر إلى موضع ح ١٧ من المتن متقدم في ط متأخر في ح ، يدل على ذلك أرقام صفحات ح في الهامش .

(٦) في ح ، ط : عبد الله بن محمد بن جعفر ، والمثبت من دلائل أبي نعيم ، وهو عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس أو عبد الله بن جعفر الجابري ، وأبو نعيم يروي عنهما . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٥٣ و١٦/ ١٣٣) .

(٧) في دلائل أبي نعيم : المعافى .

(٨) في ح : المغضوبة . من غير إعجام ، وفي ط : العضوب بالعين المهملة ، وفي دلائل أبي نعيم : الغضوب ، وما أثبتناه من سائر المصادر المذكورة آنفاً وتجريد الذهبي (٢/ ٤٠) : وفي التاج (غضب) : وغضوبة بطن من العرب . ويسدن فهو سادن ، والسادن هو خادم الكعبة وبيت الأصنام . اللسان (سدن) .

(٩) في ح ، ط : حطامة . بالحاء المهملة والمثبت من دلائل أبي نعيم وجمهرة ابن دريد (٢/ ٢٣٢) والاشتقاق له (ص٢٧٤ ، ٤٤٦) ، والضبط من اللباب (١/ ٤٥٢) وضبط في الجمهرة والاشتقاق بضم الخاء المعجمة ضبط قلم .

(١٠) كذا في ط وفي دلائل أبي نعيم : أخوان مازن لأمه .

عبد الله بن ربيعة بن خويص[١] . أخبرني أحد بني نمران ـ قال مازن : فعتَرْنا ذات يوم عند الصنم عَتِيرة ـ وهي الذبيحة[٢] ـ فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : يا مازن ، اسمعْ تُسَرّ ، ظَهرخيرٌ وبُطن شَرّ ، بُعث نبيٌّ من مُضَر ، بدينِ اللهِ الأكبر[٣] ، فدَع نَحيتاً من حجَر ، تَسْلَم من حَرّ سَقَر . قال : ففزعتُ لذلك فزَعاً شديداً ، ثمّ عتَرْنا بعد أيام عَتيرةً أخرى ، فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : أقبلْ إليَّ أقبل ، تسمعْ ما لا يُجهل ، هذا نبيٌّ مرسل ، جاء بحق مُنزَل ، فآمنْ به كي تُعْدَل ، عن حَرِّ نارٍ تُشعل ، وقودها الجَنْدل[٤] . قال مازن : إنَّ هذا لعجب ، وإنَّ هذا لَخَيْرٌ يُرادُ بي .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ فقال : ظهر رجلٌ يقال له : أحمد ، يقول لمن أتاه : أجيبوا داعيَ الله ، فقلت : هذا نبأ ما سمعتُ ، فثُرتُ إلى الصنم فكسرْتُه أجذاذاً[٥] ، وركبتُ راحلتي حتى قدمت على رسول الله ﷺ فشرح الله صدري للإسلام ، فأسلمت ، وقلت : [من البسيط]

كسّرْتُ باجِرَ أجْذاذاً وكانَ لنا ... رَبّاً نُطيفُ به ضُلاً بتَضْلالِ[٦]

بالهاشميِّ هَدانا مِن ضَلالتنا ... ولم يكُنْ دينُه منّي على بالِ

يا راكباً بلِّغنْ عَمْراً وإخوتَها[٧] ... إني لِمَنْ قال ربي باجِرٌ قالِ

يعني بعمرو بني الصامت وإخوتها خطامة[٨] . فقلت : يا رسول الله إني امرؤٌ[٩] مولَعٌ بالطرب ، وبالهَلُوك من النساء[١٠] وبشرب الخمر ، وألحَتْ علينا السِّنُونَ فأذهبْنَ الأموال ، وأهْزَلْن الذَّراري ، وليس لي ولد ، فادْعُ الله أن يُذهب عني ما أجد ، ويأتينا بالحَيَا ، ويهب لي ولداً . فقال النبيُّ ﷺ : « اللهم أبدلْهُ بالطربِ قراءةَ القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعُهْر عِفَّةً ، وآتِهِ بالحيا ، وهَبْ له ولداً » قال : فأذهبَ الله عني ما أجد ، وأُخصبتْ عُمـان ، وتـزوجتُ أربع حرائر ، وحفظت شَطْر

---

(١) كذا في ح ، ط وفي دلائل أبي نعيم : حويص . بالحاء المهملة ولم أقف على ترجمة له .

(٢) جاء في النهاية (٣/ ١٧٨/ عتر) العتيرة التي كانت تعترها الجاهلية ، فهي الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ، فيصب دمها على رأسها .

(٣) في ح : يدين الله أكبر .

(٤) « الجندل » : الحجارة . اللسان (جندل) .

(٥) في الدلائل : فسرت إلى الصنم فكسرته جذاذاً . والمثبت من ح والنهاية (١/ ٢٥٠/ جذذ) وأجذاذاً : أي قطعاً وكِسَراً ، واحدها جَذّ .

(٦) « باجر » : تكسر جيمه وتفتح ، ويروى بالحاء المهملة ، وكان في الأزد . النهاية (١/ ٩٧/ بجر) والأصنام لابن الكلبي (ص٦٣) . ويقال للباطل : ضُلٌّ بتضلال . اللسان (ضلل) .

(٧) في دلائل البيهقي : وإخوته .

(٨) انظر الصفحة السابقة ، الحاشية (٩) .

(٩) ليست اللفظة في ح .

(١٠) « الهلوك من النساء » : الفاجرة ، وقيل : هي المتساقطة على الرجال . النهاية (٥/ ٢٧١/ هلك) .

القرآن ، ووهب لي حَيَّان بن مازن ، وأنشأ[١] يقول : [من الطويل]

إليــكَ رســولَ اللهِ خبَّــتْ مطيَّتــي ... تجوبُ الفيافي من عُمَانَ إلى العَرْجِ[٢]

لتشفعَ لي يا خيرَ من وطىء الثرى ... فيغفـر لـي ربـي فـأرجعُ بـالفَلْـجِ[٣]

إلـى معشرٍ خـالفتُ في الله دينهم ... فلا رأْيُهُم رأيي ولا شرجُهم شَرْجي[٤]

وكنتُ امرأً بالخمر والعُهْر مُولَعاً ... شبابيَ حتى آذنَ الجسمُ بالنَّهْجِ[٥]

فبـدَّلنـي بـالخمـرِ خَـوْفـاً وخشيـةً ... وبالعُهْر إحصاناً فحصَّن لي فَرْجي

فأصبحت هَمِّي في الجهادِ ونيَّتي ... فللـهِ مـا صَـوْمـي ولله مـا حجِّـي[٦]

قال : [فلما أتيت قومي أنَّبوني وشتموني][٧] ، وأمروا شاعراً لهم فهجاني ، فقلت : إن رددْتُ عليه فإنما أهجو نفسي ؛ فرحلتُ عنهم فأتَتْني منهم زُلْفَةٌ عظيمة ، وكنتُ القيِّمَ بأمورهم ، فقالوا : يا بن عم ، عِبْنا عليك أمراً وكرهنا ذلك ، فإنْ أبيت ذلك فارجعْ وقُمْ بأمورنا ، وشأنك وما تدين به . فرجعتُ معهم وقلت : [من البسيط]

لَبُغْضُكُـمْ عنـدنـا مُـرٌّ مـذاقتُـه ... وبُغْضُنـا عنـدكـمْ يـا قـومَنا لَبَـنُ[٨]

لا يفطـنُ الـدَّهْرُ إن بُثَّتْ معـايبُكم ... وكلُّكـم حيـنَ يُثنـى عَيْبُنَـا فَطِـنُ

شـاعرُنـا مُفْحَمٌ عنكـم وشـاعـركـم ... في جَدْبِنا مُبْلِغٌ في شتمِنا لَسِنُ[٩]

ما في القلوب عليكم فاعلموا وَغَرٌ[١٠] ... وفـي قلـوبِكُـمُ البغضـاءُ والإحَـنُ

قال مازن : فهداهم الله بعدُ إلى الإسلام[١١] جميعاً .

---

(١) في الدلائل لأبي نعيم والبيهقي : وأنشأت .
(٢) « العَرْج » : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقيا . معجم البلدان (٤/ ٩٩) .
(٣) « الفَلْج » ، بفتح فسكون : الفوز والنصر . التاج (فلج) .
(٤) يقال : ليس هو من شرجه : أي من طبقته وشكله . النهاية (٢/ ٤٥٦ شرج) .
(٥) « النَّهج » : البِلَى . النهاية (٥/ ١٣٤ نهج) .
(٦) إلى هنا ينتهي الخبر في دلائل أبي نعيم ، وتتمته في دلائل البيهقي بنحوه .
(٧) ليس ما بين المعقوفين في ح .
(٨) في ح ودلائل البيهقي ومجمع الزوائد : لين بالياء ، والمثبت من ط .
(٩) « المفحَم » : العَييّ ، ومن لا يقدر يقول شعراً . وأفحمه الهمُّ : منعه قول الشعر . « والجَدْب » : العيب والذم . وفي ح ، ط : حدبنا . بالحاء المهملة ، ولا يصح وفي دلائل البيهقي : حربنا .
(١٠) « الوَغْر » بفتح فسكون ، ويُحرَّك : الحقد والضغن والعداوة . التاج (وغر) . وفي ح : رعب .
(١١) في ح : بالإسلام . وإلى هنا تنتهي القطعة المتقدمة في ط المتأخرة في ح .

وروى الحافظ أبو نعيم[١] ، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل[٢] ، عن جابر بن عبد الله قال : إنَّ أول خبرٍ كان بالمدينة بمبعث رسولِ الله ﷺ أنَّ امرأةً بالمدينة كان لها تابعٌ من الجن ، فجاء في صورة طائرٍ أبيض ، فوقع على حائطٍ لهم ، فقالت له : لِمَ لا تنزلُ إلينا فتحدِّثنا ونحدِّثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها : إنه قد بُعث نبيٌّ بمكة حرَّم الزِّنا ومنع منا القرار[٣] .

وقال الواقدي : حدّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزُّهري ، عن علي بن الحسين قال : إنَّ أولَ خبرٍ قدم المدينة عن رسولِ الله ﷺ أنَّ امرأةً تُدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار ، فقالت : ألا تنزل ؟ فقال : لا ، إنه قد بُعث الرسول الذي حرَّم الزِّنا[٤] .

وأرسله بعض التابعين[٥] أيضاً وسمَّاه بابن لوذان ، وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة ، ثمّ لما قدم عاتَبَتْهُ فقال : إني جئتُ الرسولَ فسمعته يحرِّم الزِّنا ، فعليك السلام .

وقال الواقدي : حدّثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن عفان : خرجنا في عير إلى الشام قبل أن يُبعث رسولُ الله ﷺ فلما كنا بأفواه الشام ـ وبها كاهنة ـ فتعرضَتْنا ، فقالت : أتاني صاحبي فوقف على بابي ، فقلت : ألا تدخل ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد ، وجاء أمْرٌ لا يُطاق . ثم انصرفتُ ، فرجعتُ إلى مكة ، فوجدتُ رسولَ الله ﷺ قد خرج بمكة يدعو إلى الله عزَّ وجل .

وقال الواقدي[٦] : حدّثني محمد بن عبد الله الزهري قال : كان الوحي يُسمع ، فلما كان الإسلام مُنعوا ، وكانتِ امرأةٌ من بني أسد يقال لها : سعيرة ، لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحيَ لا يُستطاع ، أتاها فدخل في صدرها ، فضجَّ في صدرها ، فذهب عقلُها ، فجعل يقول من صدرها : وُضع العناق ، ومُنع الرِّفاق ، وجاء أمر لا يُطاق ، وأحمد حرَّم الزِّنا .

---

(١) في دلائل النبوة (١/ ١٣١) وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٩٢) رقم (١٢٢) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٨٩ ، ١٩٠) عن عبد الله بن جعفر الرقي عن عبيد الله بن عمرو به والإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٥٦) عن أبي المليح به ، وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٣) والخطيب في الأسماء المبهمة (ص٢٥٩) وسمَّى المرأة فيه بـ : فطيمة اليثربية ، وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٣) .

(٢) عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، فهو ضعيف عند التفرد ، وقد تفرد هنا (بشار) .

(٣) في مسند الإمام أحمد : الفرار . بالفاء .

(٤) طبقات ابن سعد (١/ ١٦٧) فيه الخبر بنحوه من طرق عن الزهري وعن علي بن الحسين ، وإسناده ضعيف ، لإرساله .

(٥) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٣٢) .

(٦) أخرجه ابن سعد بنحوه في الطبقات (١/ ١٦٧) عن علي بن محمد عن عبد الله بن محمد القرشي عن الزهري .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي[١] : حدّثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ، حدّثنا عُمارة بن زيد ، حدّثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، عمن حدّثه ، عن مِرْداس بن قيس الدَّوْسي[٢] قال : حضرتُ النبيَّ ﷺ وقد ذُكرتْ عنده الكهانةُ ، وما كان من تعبيرها[٣] عند مخرجه فقلت : يا رسول الله ، قد كان عندنا في ذلك شيءٌ ، أُخبرك أنَّ جاريةً منّا يقال لها : الخَلَصة ، لم نعلم عليها إلا خيراً ، إذْ جاءتنا فقالت : يا معشر دَوْس ، العَجَب العَجَب لما أصابني! هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قالت : إنِّي لفي غنمي ، إذْ غشيتني ظُلْمة ، ووجدتُ كحَسِّ الرجل مع المرأة ، فقد خَشِيتُ أن أكونَ قد حَبِلْت . حتى إذا دنتْ ولادتها ، وضعتْ غلاماً أغضف[٤] ، له أذنان كأُذُني الكلب ، فمكث فينا حتى إنَّه ليلعب مع الغلمان إذْ وثب وثبةً ، وألقى إزاره ، وصاح بأعلى صوته وجعل يقول : يا وَيْلَهُ يا وَيْلَهُ! يا عَوْلَهُ يا عَوْلَهُ[٥] ! يا ويل غَنْم ! يا ويل فهم ، من قابس النار . [من الرجز]

الخَيْـــلُ واللهِ وراءَ العَقَبَـــهْ فيهـــنَّ فتيـــانٌ حِسَـــانٌ نَجَبَـــهْ

قال : فركبنا وأخذْنا للأداة[٦] ، وقلنا : يا ويلك ! ما ترى ؟ فقال : هل من جاريةٍ طامث ؟ فقلنا : ومن لنا بها ؟ فقال شيخٌ منا : هي واللهِ عندي ، عفيفة الأم ، فقلنا : فعجِّلْها ، فأُتي بالجارية ، وطلع الجبل ، وقال للجارية : اطرحي ثوبَكِ واخْرُجي في وجوههم . وقال للقوم : اتَّبعوا أثرها . وقال لرجلٍ منا يقال له : أحمر بن حابس ، فقال : يا أحمر بن حابس ، عليك أوَّلَ فارس . فحمل أحمر ، فطعن أولَ فارسٍ فصرعه ، وانهزموا فغنمناهم . قال[٧] : فابتنينا عليهم بيتاً وسمَّيناه ذا الخَلَصَة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول ؛ حتى إذا كان مبعثُك يا رسول الله قال لنا يوماً : يا معشر دَوْس نزلت[٨] بنو الحارث بن كعب فاركبوا ، فركبنا ، فقال لنا : اكْدِسُوا الخيلَ كَدْساً[٩] ، [و][١٠] احشوا القوم رَمْساً ،

---

(١) في هواتف الجنان (ص١٥١/ ٤) وأخرجه ابن عساكر عن الخرائطي في السيرة النبوية (١/ ٣٦٥) وما يأتي بين معقوفين منهما ، وإسناده ضعيف ، واستغربه المصنف .

(٢) في ح ، ط السدوسي ، والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر نسخة (د) والإصابة ترجمة مرداس بن قيس .

(٣) في ح ، ط : تغييرها . والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر نسخة (د) والإصابة ترجمة مرداس بن قيس .

(٤) « الأغضف » : كل متثنٍّ متكسِّر مسترخٍ، وكلب أغضف: إذا صار مسترخي الأذن لطولها وسعتها. اللسان (غضف).

(٥) « الويل » : الحزن والهلاك والمشقة ، ومعنى النداء فيه : يا حزني ويا هلاكي ويا عذابي احضر ، فهذا وقتك وأوانك . وأما العَول : فهو من العويل والبكاءوالاستغاثة ، ولا يتكلم به إلا مع (ويله) . اللسان (ويل ، عول) .

(٦) كذا في ح ، ط : وفي الهواتف وابن عساكر : الأداة . وفي اللسان (أدا) : العرب تقول : أخذ هداته أي أداته ، على البدل . وأخذ للدهر أداته : من العُدَّة . ورجل مؤدٍ : ذو أداة : شاك في السلاح .

(٧) في ح والهواتف وابن عساكر : قالوا . والمثبت من ط .

(٨) في ح : يركب .

(٩) « كدست الخيل » : ازدحمت في سيرها فركب بعضها بعضاً . التاج والمعجم الوسيط (كدس) .

(١٠) كذا في ح ، ط والهواتف ، وأظن الصواب : واحثوا ، والرمس : تراب القبر .

القَوْهم[١] غُدَيَّة ، واشربوا الخمر عشيَّة . قال : فلقيناهم . فهزمونا وغلبونا ، فرجعنا إليه فقلنا : ما حالك ؟ وما الذي صنعتَ بنا ؟ فنظرنا إليه وقد احمرَّت عيناه وانتصبتْ[٢] أذناه وانبرم غضباناً[٣] حتى كاد أن ينفطر ، وقام ؛ فركبنا واغتفرنا هذه له ، ومكثنا بعد ذلك حيناً ، ثم دعانا فقال : هل لكم في غزوةٍ تهب لكم عِزّاً ، وتجعل لكم حِرْزاً ، ويكون في أيديكم كنزاً ؟ فقلنا : ما أحوجنا إلى ذلك! فقال : اركبوا فركبنا فقلنا : ما تقول ؟ فقال : بنو الحارث بن مسلمة ، ثم قال : [قفوا . فوقفنا ، ثم قال][٤] : عليكم بفَهْم . ثم قال : ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمُضَر ، هم أربابُ خيلٍ ونَعَم . ثمّ قال : لا ، رَهْطُ دُريد بن الصِّمَّة ، قليلُ العدد ، وفيُّ الذِّمَّة . ثمّ قال : لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة ، واسكنوها ضيعة[٥] عامر بن صعصعة ، فليكن بهم الوقيعة قال : فلَقيناهم ، فهزمونا وفضحونا[٦] ، فرجعنا وقلنا : ويلك! ماذا تصنع بنا ؟ قال : ما أدري ، كذَّبني الذي كان يصدُقني ؛ اسجنوني في بيتي ثلاثاً ، ثمّ ائتوني . ففعلنا به ذلك ، ثمّ أتيناه بعد ثالثة ففتحنا عنه ، فإذا هو كأنه جمرة[٧] نار ، فقال : يا معشر دَوْس ، حُرستِ السماء ، وخرج خير الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمكة وأنا مَيِّت ، فادفنوني في رأس جبل ، فإني سوف أضطرمُ ناراً ، وإنْ تركتموني كنتُ عليكم عاراً ، فإذا رأيتمُ اضطرامي وتلهُّبي ، فاقذفوني بثلاثةِ أحجار ، ثمّ قولوا مع كل حجر : باسمك اللهمّ . فإني أَهْدَى وأَطْفَى[٨] . قال : وإنَّه مات ، فاشتعل ناراً ، ففعلنا به ما أمر ، وقذفناه بثلاثةِ أحجار ، نقول مع كلِّ حجر : باسمك اللهم . فخمد وطَفِىء ، وأقمنا حتى قدم علينا الحاج ، فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله . غريب جداً .

وروى الواقدي[٩] عن ابن أبي ذئب ، عن مسلم بن جُنْدُب ، عن النَّضْر بن سفيان الهُذَلي ، عن أبيه ، قال : خرجنا في عيرٍ لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزَّرْقاء ومَعَان[١٠] قد عرَّسْنا من

---

(١) في ط : انفوهم والمثبت من ح والهواتف وابن عساكر .

(٢) في الهواتف : وابيضَّت .

(٣) في الهواتف : وانزمَّ غضباً . وغضباناً . كذا بالتنوين على لغة بني أسد في تأنيثه على غضبانة . ومن ثم صُرف . التاج (غضب) .

(٤) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٥) كذا في ح ، ط وفي الهواتف وابن عساكر : واشكروها صنيعة . وهو أشبه .

(٦) في هامش ح : خـ وقصمونا .

(٧) في ط : حجرة . والمثبت من ح والهواتف وابن عساكر .

(٨) يعني : أهدأ وأطفأ ، وهي رواية الهواتف وابن عساكر .

(٩) رواه ابن سعد عن الواقدي في الطبقات (١/ ١٦١) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٤) وقال أخرجه ابن سعد وأبو نعيم [ستأتي الإشارة إليه] وابن عساكر .

(١٠) « الزرقاء » : موضع بالشام بناحية مَعان . معجم البلدان (٣/ ١٣٧) وتقع إلى الشمال الشرقي من عمَّان . ومَعَان : بالفتح ، والمحدثون يقولونه بالضم : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء [عمَّان] . معجم البلدان (٥/ ١٥٣) وتقع إلى الشمال الشرقي من العقبة .

الليل[١] ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النيام هُبُّوا ، فليس هذا بحينِ رُقاد ، قد خرج أحمد ، فطُرِّدت الجنُّ كلَّ مُطَّرَد .

ففزعنا ونحن رفقة حَزَاوِرَةٌ[٢] ، كلُّهم قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا ، فإذا هم يذكرونَ اختلافاً بمكَّة بين قريش ، في نبيٍّ قد خرج فيهم ، من بني عبد المطلب اسمه أحمد . ذكره أبو نُعيم[٣] .

وقال الخرائطي[٤] : حدّثنا عبد الله بن محمد البَلَوي بمصر ، حدّثنا عُمارة بن زيد ، حدّثني عبد الله[٥] ابن العلاء، حدّثنا يحيى بن عروة، عن أبيه، أنَّ نفراً من قريش ، منهم وَرَقَةُ بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن قُصَيّ ، وزيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وعُبيد الله[٦] بن جَحْش بن رئاب ، وعثمان بن الحُويرث ، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليومَ من كلِّ سنةٍ عيداً ، كانوا يعظِّمونه وينحرون به الجَزُور[٧] ، ثم يأكلونَ ويشربونَ الخمر ، ويعكفُون عليه ؛ فدخلوا عليه في الليل فرأَوْه مكبوباً على وجهه ، فأنكروا ذلك ، فأخذوه فردُّوه إلى حاله ، فلم يلبثْ أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردُّوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة ، فلما رأوا ذلك اغتمُّوا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحُويرث : ماله قد أكثر التنكُّس؟ إنَّ هذا لأمرٍ قد حدث! وذلك في الليلة التي ولد فيها رسولُ الله ﷺ فجعل عثمان يقول : [من الطويل]

أيا صنمَ العيدِ الذي صُفَّ حولَهُ ... صَناديدُ وفدٍ من بعيدٍ ومن قُرْب
تنكَّستَ مغلوباً فما ذاكَ قُلْ لنا ... أذاكَ سفيهٌ أن تنكَّستَ للعَتْب[٨]
فإن كان من ذَنْبٍ أتينا فإننا ... نَبُوءُ بإقرارٍ ونُلْوي عن الذَّنْبِ
وإنْ كنتَ مغلوباً ونُكِّستَ صاغراً ... فما أنتَ في الأوثانِ بالسيِّدِ الربِّ

قال : وأخذوا الصنم فردُّوه إلى حاله ، فلما استوى هتف بهم هاتفٌ[٩] من الصنم بصوتٍ جهير ، وهو يقول : [من الطويل]

---

(١) « التعريس » : نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة . النهاية (٣/ ٢٠٦/ عرس) .

(٢) في ط : حزورة ، وفي ح : حراورة بالراء المهملة ، وفي الطبقات : جرارة . والمثبت من دلائل أبي نعيم والخصائص للسيوطي والنهاية (١/ ٣٨٠/ حزور) وفيه: جمع حَزْوَر، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع .

(٣) في دلائل النبوة (١/ ١٣٣) ، وإسناده ضعيف جداً .

(٤) في هواتف الجنان (ص١٥٧) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/ ٣٤٢) عن الخرائطي .

(٥) كذا في ط وتاريخ ابن عساكر ، وفي ح والهواتف : عبيد الله وسيأتي بهذا اللفظ في (ص١٦٥) موضع الحاشية (٢) ولم أقف على ترجمته .

(٦) في ح ، ط : عبد الله تصحيف ، والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر وسيرة ابن هشام (١/ ٢٢٢) والروض (١/ ٢٥٣) وجمهرة الأنساب (ص١٩١) والتاج (جحش) .

(٧) في الهواتف وابن عساكر : الجُزُر . والجَزُور : الناقة ، جمع جُزُر .

(٨) في تاريخ ابن عساكر : تكوست مقلوباً .

(٩) في ح : هتف به هاتفا . والمثبت من ط والهواتف وتاريخ ابن عساكر .

تــردَّى لمــولــودٍ أنــارتْ بنــورهِ جميعُ فِجاجِ الأرضِ في الشّرق والغربِ
وخــرَّتْ لــه الأوثــانُ طُـرّاً وأُرعــدتْ قلوبُ ملوكِ الأرضِ طُـرّاً من الرُّعْبِ
ونــارُ جميـعِ الفُـرْس بـاختْ وأظلمت وقد بات شاهُ الفرسِ في أعظَم الكَرْبِ[١]
وصـدّتْ عـن الكُهّـان بـالغيـبِ جِنُّهـا فـلا مخبـرٌ عنـه بحـقٍّ ولا كِـذْبِ
فيـالَ قُصَـيٍّ ارجعـوا عـن ضـلالِكـم وهبُّوا إلـى الإسلام والمنـزلِ الرَّحْـبِ

قال : فلما سمعوا ذلك خلَصُوا نَجِيّاً ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا ولْيَكْتُمْ بعضكم على بعض ، فقالوا : أجل . فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومكم على دين ، ولقد أخطؤوا المحَجَّة[٢] ، وتركوا دينَ إبراهيم ؛ ما حجَرٌ تُطيفونَ به ، لا يسمع ولا يُبصر ، ولا ينفع ولا يضرّ ! يا قوم ، التمسوا لأنفسكم الدين . قال : فخرجوا عند ذلك ، يضربون في الأرض ، ويسألون عن الحنيفيَّةِ ، دين إبراهيم عليه السلام .

فأمَّا ورقة بن نوفل فتنصَّر ، وقرأ الكتب حتى علم علماً ؛ وأما عثمان بن الحُويرث فصار[٣] إلى قيصر فتنصَّر وحسنت منزلته عنده ؛ وأما زيد بن عمرو بن نُفَيل فأراد الخروج فحُبس ، ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض ، حتى بلغ الرقَّةَ من أرض الجزيرة ، فلقي بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب ، فقال له الراهب : إنك لتطلبُ ديناً ما تجدُ منْ يحملك عليه ، ولكنْ قد أظلَّكَ زمانُ نبيٍّ يخرج من بلدك ، يُبعث بدين الحنيفيَّة . فلما قال له ذلك رجع يريدُ مكَّة ، فغارت عليه لَخْمٌ فقتلوه ؛ وأما عُبيد الله بن جَحْش فأقام بمكة حتى بُعث النبيُّ ﷺ ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصَّر وفارق الإسلام ، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً .

تقدم في ترجمة يزيد بن عمرو بن نُفَيل له شاهد[٤]

وقال الخرائطي[٥] : حدّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر الوزّان[٦] ، حدّثنا عمرو بن عثمان ،

---

(١) « باخت النار » : سكنت وفترت . وأبختها : أطفأتها . الأساس والتاج (بوخ) .
(٢) في ح ، ط : الحجة . والمثبت من الهواتف . والمَحَجة : الطريق المستقيم .
(٣) في ط : فسار ، والمثبت من ح والهواتف .
(٤) ورد ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب .
(٥) في هواتف الجنان (ص١٦٠) وأخرجه ابن عساكر عن الخرائطي في تاريخه (ج عبادة ـ عبد الله بن ثوب) (ص٢٣٧ ، ٢٣٨) وإسناده تالف فإن محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري منكر الحديث (الميزان ٣/ ٦٢٨) ورواه ابن هشام عن بعض أهل العلم بالشعر في السيرة (٢/ ٤٢٧) ورواه السهيلي في الروض (٤/ ١٢٠) عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن الزهري به ، وأسانيده كلها ضعيفة .
(٦) وقع في ط ومطبوعة الهواتف وتاريخ ابن عساكر : الوراق . وهو تصحيف ، والصواب من ح وأصل الهواتف والجرح والتعديل (٢/ ٤١) وتاريخ بغداد (٤/ ٢٨) والأنساب للسمعاني (ق٥٨٢ب) (ط : مرغوليوث ـ ليدن) .

حدّثني أبي ، حدّثني[١] عبد الله بن عبد العزيز ، حدّثني محمد بن عبد العزيز ، عن الزُّهْري عن عبد الرحمن بن أنس السُّلمي ، عن العباس بن مرداس ، أنَّه كان يُغير[٢] في لِقاحٍ له نصفَ النهار ، إذْ طلعتْ عليه نعامةٌ بيضاء ، عليها راكبٌ عليه ثيابٌ بياض مثل اللَّبَن ، فقال : يا عبأس بن مِرْدَاس ، ألم ترَ أنَّ السماءَ قد كفَّتْ أحراسَها ، وأنَّ الحرب تجرَّعتْ أنفاسها ، وأنَّ الخيل وضعتْ أحلاسها[٣] ، وأنَّ الدِّين[٤] نزل بالبرِّ والتقوى ، يومَ الاثنين ليلةَ الثلاثا ، صاحب الناقة القَصْوا[٥] . قال : فرجعتُ مَرْعوباً قد راعني ما رأيتُ وسمعت ، حتى جئتُ وثناً لنا يُدعى الضّمار[٦] ، وكنَّا نعبدُه ونُكَلَّم من جَوْفه ؛ فكنستُ ما حوله ، ثمّ تمسَّحْتُ به وقبَّلْته ، فإذا صائحٌ ، من جوفه يقول : [من الكامل]

قُـلْ للقبـائـلِ مـن سليـمٍ كُلِّهـا ... هلكَ الضِّمَارُ[٣] وفازَ أهلُ المسجدِ

هلكَ الضِّمَارُ[٣] وكان يعبدُ مَرَّةً ... قبـلَ الصـلاةِ مـع النبـيِّ محمَّـدِ

إنَّ الـذي ورِثَ النبـوَّةَ والهُـدَى ... بَعْدَ ابْنِ مريمَ من قريشٍ مهتدِ[٧]

قال : فخرجتُ مَرْعُوباً حتى أتيتُ قومي ، فقصصتُ عليهم القصة ، وأخبرتُهم الخبر ، وخرجتُ في ثلاثمئة من قومي من بني حارثة إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآني رسولُ الله

---

(١) في ط : حدثنا ، والمثبت من ح والهواتف .

(٢) في ط : يعر . والمثبت من ح والهواتف وتاريخ ابن عساكر ، وفي رواية أخرى عند ابن عساكر (ص٢٣٨) : بغمرة ، وغمرة موضع بالحجاز في طريق مكة .

(٣) « أحلاس » : جمع حِلْس : وهو ما ولي ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج . المعجم الوسيط (حلس) .

(٤) في ط : الذي ، والمثبت من ح والهواتف وتاريخ ابن عساكر .

(٥) القصوا : بألف من غير همز ، مراعاة للفاصلة في السجع كما في ح والقصواء : لقب ناقة رسول الله ﷺ ، والقصواء : الناقة التي قطع طرف أذنها ، ولم تكن ناقة النبي ﷺ قصواء ، وإنما كان هذا لقباً لها . وقيل : كانت مقطوعة الأذن . النهاية (٤/ ٧٥/ قصو) . والعبارة كما يبدو مضطربة ، وكذا هي في الهواتف ، وكذا رواها ابن عساكر عن الخرائطي ، ولابن عساكر (ص٢٣٩) رواية أخرى عن سليمان بن الحسن عن عمرو بن عثمان به وفيها : « مع صاحب الناقة القصوى » وكذا في الرواية عند أبي نعيم الآتي ذكرها ، وبهذه الرواية يزول الاضطراب من رواية الخرائطي والله أعلم .

(٦) في ح ، ط وأصل الهواتف وأصول تاريخ ابن عساكر : الضماد ، بالدال المهملة والمثبت من السيرة النبوية والروض الأنف ومعجم البلدان (٣/ ٤٦٢) والتاج (ضمر) . وضبطه السهيلي في الروضِ وياقوت : ضِمَار . على وزن فَعَالِ . وضبطه صاحب التاج « ضِمار » بكسر أوله . وقال السهيلي : هو مثل حَذَام ورقاشِ ، ولا يكون مثل هذا البناء إلا في أسماء المؤنث ، وكانوا يجعلون آلهتهم إناثاً كاللات والعزى ومناة لاعتقادهم الخَبيث في الملائكة أنها بنات . وفي ضمار لغة أهل الحجاز وبني تميم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخره راء ، وما لم يكن في آخره راء كخدام ورقاش فهو مبني في لغة أهل الحجاز ومعرب غير مجرى في لغة غيرهم ، كذلك قال سيبويه . الكتاب(٣/ ٢٧٨ ـ ٢٨١) (ط هارون) ، (٢/ ٤١) (ط بولاق) .

(٧) الأبيات في المصادر السابقة على خلاف في بعض الألفاظ .

ﷺ قال لي : « يا عباس ، كيف كان إسلامُك » ؟ فقصصت عليه القصة . قال : فسُرَّ بذلك ، وأسلمتُ أنا وقومي .

ورواهُ الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[١] من حديث أبي بكر بن أبي عاصم ، عن عمرو بن عثمان به .

ثمّ رواهُ أيضاً[٢] من طريق الأصمعي ، حدّثني الوصافي ، عن منصور بن المعتمر ، عن قَبيصة بنِ عمرو بن إسحاق الخُزاعي ، عن العبَّاس بن مِرْداس السُّلَمي قال : [كان] أوّل إسلامي أنَّ مِرْداساً أبي لما حضرَتْهُ الوفاةُ أوصاني بصنم له يقال ضمار[٣] ، فجعلتُه في بيت وجعلتُ آتيهِ كُلَّ يوم مرَّة ، فلما ظهر النبيُّ ﷺ [إذْ] سمعتُ صوتاً مرسلاً في جَوْفِ اللَّيل راعني ، فوثبتُ إلى ضمار[٣] مستغيثاً ، وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول : [من الكامل]

قـل للقبيلـة مـن سُلَيـم كُلِّهـا ... هلك الأنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ
أودى ضمار[٣] وكان يُعْبَدُ مرةً[٤] ... قبـل الكتـابِ إلـى النبـيِّ محمَّـدِ
إنَّ الـذي وَرِثَ النبـوَّةَ والهُـدى ... بعدَ ابنِ مَرْيمَ من قريشٍ مُهْتَدِ

قال : فكتمتُهُ[٥] الناسَ ، فلما رجع الناسُ من الأحزاب ، بينا أنا في إبلي بطرَفِ العَقيق من ذاتِ عِرْقٍ راقداً[٦] ، سمعتُ صوتاً ، وإذا برجلٍ على جناح نعامةٍ وهو يقول : النو رالذي وقعَ ليلةَ الثلاثاء مع صاحب الناقة العَضْباء[٧] في ديار إخوان بني العنقاء . فأجابه هاتفٌ من شماله وهو يقول : بَشِّرِ الجنَّ وإبْلاسَها أنْ وضَعتِ المَطِيُّ أحلاسَهَا ، وكَلأتِ السماءُ أحراسَها . قال : فوثبتُ مذعُوراً ، وعلمتُ أنَّ محمداً مُرْسَل ، فركبتُ فرسي وأحثثتُ[٨] السيرَ حتى انتهيتُ إليه ، فبايعتُه ثم انصرفت إلى ضمار[٩] ، فأحرقتُه بالنار ، ثم رجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأنشدتُه شعراً أقول فيه : [من الطويل]

---

(١) ليست هذه الرواية في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم .
(٢) في الدلائل (١/ ١٤٦) وما يأتي بين معقوفين منه ، وذكره السيوطي في الخصائص ، وقال فيه : أخرجه ابن جرير والمعافى بن زكريا وابن الطراح في كتاب الشواعر بأسانيدهم . قال بشار : وهذه الأسانيد كلها غير معروفة وكثير منها مختلق ، وكذلك أكثر ما أورده الخرائطي في كتابه .
(٣) في ح ، ط وأصل الدلائل : ضماد . وسبقت الإشارة إليه في الصفحة السابقة ح٦ .
(٤) في الدلائل : مدة .
(٥) في ح : فكتمه .
(٦) « العقيق » : ببطن وادي ذي الحُلَيفة ، وهو الأقرب منها ، وهو الذي جاء فيه أنه مهلُّ أهل العراق من ذات عِرْق . معجم البلدان (٤/ ١٣٩/ العقيق) .
(٧) « العضباء » : ناقة النبي ﷺ ، وعضباء : أي مشقوقة الأذن ، ولم تكن مشقوقة الأذن . النهاية (٣/ ٢٥١/ عضب) .
(٨) في ط : واحتثثت . وفي الدلائل : وأجشمت . والمثبت من ح .
(٩) في ح ، ط : وأصل الدلائل : ضماد .

لعمرُكَ إنِّي يومَ أجعلُ جاهلاً ضماراً لِربِّ العالمينَ مُشاركا
وتَرْكي رسولَ اللهِ والأوس حوله أولئك أنصارٌ له ما أولئكا
كتاركِ سهل الأرضِ والحَزْن يَبْتغي ليسلُكَ في وَعْثِ الأمورِ المسالكا
فآمنتُ باللهِ الذي أنا عبدُهُ وخالفتُ مَنْ أمسى يريد المهالكا
ووجَّهتُ وجهي نحو مكةَ قاصداً أبايعْ نبيَّ الأكرمينَ المباركا[١]
نبيٌّ أتانا بعدَ عيسى بناطقٍ من الحقِّ فيه الفَصْلُ فيه كذلكا
أمينٌ على القرآنِ أولُ شافعٍ وأولُ مبعوثٍ يجيبُ الملائكا
تلافى عُرى الإسلام بعدَ انتقاضها فأحكمَها حتى أقام المناسكا
عَنَيْتُكَ يا خيرَ البريَّةِ كُلِّها توسطتَ في الفرعين والمجدِ مالِكا
وأنت المُصَفَّى من قريشٍ إذا سَمَتْ على ضُمْرِها تبقَى القَرُونَ المباركا[٢]
إذا انتسبَ الحَيَّانِ كعبٌ ومالكٌ وجَدْناكَ مَحْضاً والنساءَ العَوَارِكا[٣]

قال الخرائطي[٤] : وحدّثنا عبد الله بن محمد البَلَوي بمصر ، حدّثنا عُمارة بن زيد ، حدّثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني شيخٌ من الأنصار يقال له : عبد الله بن محمود ، من آل محمد بن مَسْلَمة قال : بلغني أنَّ رجالاً من خثعم كانوا يقولون : إنَّ مما دعانا إلى الإسلام أنَّا كنَّا قوماً نعبد الأوثان ، فبينا نحن ذاتَ يومٍ عند وثنٍ لنا إذْ أقبل نفرٌ يتقاضَوْن إليه ، يرجون الفرجَ من عندهِ لشيءٍ شجَرَ بينهم ، إذْ هتف بهم هاتف يقول[٥] : [من الرجز]

يا أيُّها الناسُ ذوو الأجسامِ من بينِ أشياخٍ إلى غُلامِ
ما أنتمُ وطائشُ الأحلامِ ومسندُ الحُكمِ إلى الأصنامِ
أكلُّكم في حَيْرة نيام[٦] أمْ لا ترَوْنَ ما الذي أمامي

---

(١) قوله : أبايع . بالجزم من غير جازم لضرورة الشعر انظر الضرائر .

(٢) في ح : على صمها سعى القرون المباركا . والمثبت من ط والدلائل ، وضُمر : جمع ضامر ، وهو الفرس ؛ والقرون : بفتح القاف : النفس . اللسان (ضمر ، قرن) .

(٣) كذا في ح ، ط والدلائل ، ولعل الصواب : العواتكا ، والعواتك ثلاث نسوة كن من أمهات النبي ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال ؛ والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال ، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال . فالأولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة . النهاية (٣/ ١٨٠/ عتك) .

(٤) في هواتف الجنان (ص١٦٢) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٦٤) عن الخرائطي وأبو نعيم في الدلائل (١/ ١٤٥) بسنده عن ابن خربوذ المكي عن رجل من خثعم . وأخرجه الماوردي في أعلام النبوة (ص١٤٦) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٧) .

(٥) عبارة الخرائطي في الهواتف : إذ هتف بهم هاتف من الصنم فجعل يقول .

(٦) كذا في ح ، ط والهواتف ، ورواية ابن عساكر : حيرةِ النيامِ . وهي أشبه بالصواب للتخلص من الإقواء .

من ساطعٍ يَجْلو دُجى الظلامِ قـد لاحَ للنـاظـر مـن تِهَـامِ
ذاكَ نبـيٌّ سيّـدُ الأنـامِ قد جاء بعد الكُفْرِ بالإسلامِ
أكـرمَـه الـرحمـنُ مـن إمامِ ومـن رسـولٍ صـادقِ الكـلامِ
أعدَلُ ذي حكم من الحكّامِ يـأمـرُ بـالصـلاةِ والصِّيـامِ
والبِرِّ والصِّلاتِ[١] للأرحامِ ويـزجُـرُ النـاسَ عـن الآثـامِ
والرِّجْسِ والأوثانِ والحَرَامِ مـن هـاشـمٍ فـي ذِرْوَةِ السَّنَامِ
مستعلناً في البلدِ الحرامِ

قال : فلما سمعنا ذلك تفرَّقْنا عنه ، وأتينا النبيَّ ﷺ فأسلمنا .

وقال الخرائطي[٢] : حدّثنا عبد الله البَلَوي، حدّثنا عُمارة ، حدّثني عبد الله[٣] بن العلاء، حدّثنا محمد ابن عكبر[٤] ، عن سعيد بن جُبير ، أنَّ رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عُمير ؛ وكان أهدى الناسِ للطريق ، وأسْرَاهم بليل ، وأهجمهم على هَوْل ؛ وكانت العربُ تُسَمِّيه لذلك دُعْمُوص العرب ، لهدايته وخَرَاتَتِهِ[٥] ، وجَرَاءته على السير ، فذكر عن بُدُوِّ إسلامه قال : إني لأسيرُ برمْلِ عالِجٍ[٦] ذاتَ ليلة ، إذْ غلبني النوم، فنزلتُ عن راحلتي وأنَخْتُها ، وتوسَّدتُ ذراعَها ونمت ، وقد تعوَّذتُ قبل نومي فقلت : أعوذُ بعظيم هذا الوادي من الجِنّ، من أنْ أوذَى أو أُهاج ، فرأيتُ في منامي رجلاً شاباً يرصُدُ ناقتي ، وبيده حربةٌ يريد أن يضعها في نَحْرِها ؛ فانتبهتُ لذلك فزعاً ! فنظرتُ يميناً وشمالاً فلم أرَ شيئاً ، فقلت : هذا حُلْم ، ثمّ عدتُ فغفَوْت ، فرأيت في منامي مثلَ رؤياي الأولى ، فانتبهت ، فدرتُ حولَ ناقتي فلم أرَ شيئاً ، وإذا ناقتي ترعد ؛ ثمَّ غفَوْت فرأيتُ مثلَ ذلك ، فانتبهت ، فرأيتُ ناقتي تضطرب ، والتفت ، فإذا أنا برجلٍ شابٍّ ، كالذي رأيتُ في المنام بيده حربة ، ورجلٌ شيخٌ ممسِكٌ بيده يردُّهُ عنها وهو يقول : [من الكامل]

يا مالكَ بنَ مُهَلهِلِ بنِ دِثارِ[٧] مهـلاً فِـدًى لـك مِئْزَري وإزاري

---

(١) في ح : والصلة . والمثبت من ط والهواتف .

(٢) في الهواتف (ص١٦٤) وذكره ابن حجر في الإصابة (١/ ٤٩٨) عن الخرائطي بسنده مختصراً وقال : وفي إسناد هذا الخبر ضعف .

(٣) في أصل الهواتف : عبيد الله . انظر (ص١٦٢ ح٥) .

(٤) كذا في ح ، ط . وسقط من ط لفظ محمد ، وفي أصل الهواتف محمد بن عكير وكذا في الإصابة ، ولم أقف على ترجمة له ، وجزم محقق الهواتف أنه محمد بن بكير ولا أراه ، لأن ابن جبير قتله الحجاج سنة ٩٥هـ بينما توفي محمد بن بكير بعد ٢٢٠هـ كما في ترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ٨١) .

(٥) سقطت اللفظة من ط والهواتف . واللفظة مشتقة من الخِرِّيت ، وهو الدليل الحاذق والماهر الذي يهتدي لأخْراتِ المفاوز وهي طرقها الخفيفة ومضايقها التاج (خرت) .

(٦) « عالج » : رمال بين فيد والقُرَيّات ، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة (٤/ ٦٩ ، ٧٠) .

(٧) في الهواتف : إثار .

عن ناقةِ الإنْسيِّ لا تعرضْ لها ... واخترْ بها ما شئتَ من أثواري
ولقد بدَا لي منك ما لم أحتسِبْ ... ألا رعَيْتَ قرابتي وذِماري[١]
تسمو إليه بِحَرْبةٍ مسمومةٍ ... تَبّاً لِفعلِكَ يا أبا الغفّارِ[٢]
لولا الحياءُ وأنّ أهلَكَ جِيرةٌ ... لَعَلِمتَ ما كشَّفت من أخباري

قال : فأجابه الشاب وهو يقول : [من الكامل]

أأردتَ أن تعلو وتخفضَ ذِكرنا ... في غيرِ مَرْزئَةٍ أبا العَيْزار[٣]
ما كانَ فيهمْ سيِّدٌ فيما مضى ... إنَّ الخيارَ هُمُ بنو الأخيار
فاقصِدْ لقصدِك يا معكبرُ إنما ... كانَ المجيرُ مُهلهِلَ بنَ إثَار[٤]

قال : فبينما هما يتنازعان إذْ طلعت ثلاثة أثوارٍ من الوحش ، فقال الشيخ للفتى : قمْ يا بن أُختِ ، فخذْ أيَّها شئتَ فداءً لناقةِ جاري الإنسي . فقام الفتى ، فأخذ منها ثوراً وانصرف ؛ ثمّ التفتَ إليَّ الشيخُ فقال : يا هذا ، إذا نزلتَ وادياً من الأودية فخفتَ هَوْلَه فقل : أعوذُ بالله ربِّ محمدٍ من هَوْلِ هذا الوادي ، ولا تَعُذْ بأحدٍ من الجِنّ فقد بطل أمْرُها . قال : فقلت له : ومَنْ محمد هذا ؟ قال : نبيٌّ عربيّ ، لا شرقيٌّ ولا غربي ، بُعث يوم الاثنين . قلت : وأنّى مسكنُهُ ؟ قال : يثرب ذات النخل . قال : فركبتُ راحلتي حين بَرَق ليَ الصبح وجدَدْتُ السيرَ حتى تقحّمْتُ المدينة ، فرآني رسولُ الله ﷺ فحدّثني بحديثي قبل أن أذكُرَ له منه شيئاً ، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت . قال سعيد بن جُبير : وكنا نرى أنه هو الذي أَنْزَلَ الله فيه : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

وروى الخرائطي[٥] من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة[٦] ، عن داود بن الحُصَين[٧] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن علي قال: إذا كنتَ بوادٍ تخاف السَّبُعَ فقل: أعوذ بدانيال والجب من شَرِّ الأسد.

وروى البَلَوي[٨] عن عُمارة بن زيد ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني يحيى بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، عن ابن عباس قصة قِتالِ عليٍّ الجِنَّ بالبئر ذات العلم التي بالجُحْفَة حين

---

(١) « ذِمار الرجل » : كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته ، وإن ضيعه لزمه اللوم . التاج (ذمر) .
(٢) كذا في ح ، ط ، وفي الهواتف : العقار .
(٣) « المرزئة » : المصيبة ، مثل الرُّزْء . التاج (رزأ) .
(٤) كذا في ح والهواتف ، وفي ط : دثار ؛ وفي الهواتف : يا معيكر .
(٥) في الهواتف ص(١٦٦) وليس هذا الخبر في ح .
(٦) في ط : إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة. وهو تحريف: والمثبت من الهواتف وتهذيب المزي (٨/ ٣٨٠) وهو ضعيف .
(٧) في ط : داود بن الحسين. وهو تحريف: والمثبت من الهواتف وتهذيب المزي (٨/ ٣٧٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٨١).
(٨) يرويه عنه الخرائطي في الهواتف (ص١٦٧) وليس الخبر في ح .

بعثَهُ رسول الله ﷺ يستقي لهم الماء ، فأرادوا مَنْعَه ، وقطعوا الدَّلْوَ فنزل إليهم . وهي قصة مطوَّلة منكرة جدّاً ، والله أعلم .

وقال الخرائطي[١] : حدّثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره ، حدّثنا سليمان بن بنتِ شُرَحبيل الدمشقي[٢] ، حدّثنا عبد القدوس بن الحجَّاج[٣] ، حدّثنا مجالد[٤] بن سعيد ، عن الشعبي ، عن رجلٍ[٥] قال : كنتُ في مجلسِ عمرَ بنِ الخطاب ، وعنده جماعةٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ يتذاكرون فضائلَ القرآن ، فقال بعضهم : خواتيم سورةِ النحل ؛ وقال بعضهم : سورة يس . وقال علي : فأين أنتم عن فضيلةِ آية الكرسي ؟ أما إنها سبعون[٦] كلمة في كل كلمة سبعون[٧] بركة . قال : وفي القوم عمرو بن مَعْدِي كَرِب لا يُحيرُ جواباً . فقال : أين أنتم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر : حدِّثْنا يا أبا ثَوْر .

قال : بينا أنا في الجاهلية إذْ جهدني الجوع ، فأقحمتُ فرسي البرِّيَّة فما أصبتُ إلَّا بَيْضَ النَّعام ، فبينا أنا أسير إذا أنا بشيخٍ عربيٍّ في خيمة ، وإلى جانبه جاريةٌ كأنها شمسٌ طالعة ، ومعه غُنيمات له ، فقلت له : اسْتأْسِر[٨] ثَكِلَتْك أُمُّك . فرفع رأسه إليَّ وقال : يا فتى ، إنْ أردتَ قِرًى فانزلْ ، وإنْ أردتَ معونةً أعنَّاك . فقلت له : أستأسر . فقال : [من الطويل]

عَرِضْنا عَليكَ ٱلنزلَ مِنَّا تكرُّماً فلم ترعوي جَهْلاً كفِعلِ الأشائم[٩]
وَجِئْتَ ببُهْتانٍ وزُورٍ ودونَ ما تمنَّيتَه بالبيضِ حزَّ الغَلاصِم[١٠]

قال : ووثب إليَّ وثبةً وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأني مَثَلْتُ تحته ، ثم قال : أقتُلك أم

---

(١) في الهواتف (ص١٧٤) وأخرجه ابن حذلم الدمشقي في حديثه عن شيوخه ، وأبو بكر أحمد بن مروان المالكي في كتابه : « المجالسة وجواهر العلم » وابن عساكر في ترجمة عمرو بن معديكرب . انظر شعر عمرو بن معدي كرب (ص٢١٤) .

(٢) هو سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون المعروف بابن بنت شرحبيل . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٦) ومصادر ترجمته فيه يضاف إليها مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/ ١٦٩) .

(٣) كذا في ح ، ط والهواتف وفي شعر عمرو : محمد بن عبد القدوس . وهو أشبه بالصواب .

(٤) في ح ، ط : خالد . تصحيف ، والمثبت من الهواتف وشعر عمرو ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩) ، وهو ضعيف .

(٥) في شعر عمرو : الشعبي قال : حدثنا مكحول عن رجل . وهو أشبه بالصواب .

(٦) في الهواتف : خمسون .

(٧) سقطت اللفظة من ط ، وهي من ح والهواتف .

(٨) « استأسر » : أي كن أسيراً لي . التاج (أسر) .

(٩) قوله : ترعوي بإثبات الياء من الضرائر الشعرية ، وهو جائز .

(١٠) في الهواتف : الحلاقم ؛ والغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، وهو الموضع الناتىء في الحلق . اللسان (غلصم) وزاد في رواية ابن حذلم :

فبالأحرف اللاتي تمسَّكت حفظها دُحضت لحاك الله عن أنف راغم

أُخَلِّي عنك ؟ قلتُ : بل خلِّ عني . قال : فخلَّى عني . ثم إنَّ نفسي جاذبتْني بالمعاودة فقلت : استأسِرْ ثكلَتْك أمُّك . فقال : [من الوافر]

بِبِسمِ اللهِ والرَّحْمنِ فُزْنا هُنالكَ والرحيمِ به قَهَرْنا

وما تُغْني جَلادَةُ ذي حِفَاظٍ إذا يَوْماً[(١)] لمعركةٍ برزنا

ثم وثب إليَّ[(٢)] وثبةً كأني مَثَلْتُ تحته ، فقال : أقتلُكَ أمْ أُخَلِّي عنك ؟ قال : قلت : بل خَلِّ عني . فخلَّى عني ، فانطلقتُ غيرَ بعيد ، ثم قلتُ في نفسي : يا عمرو أيقهرُك مِثْلُ هذا الشيخ !؟ واللهِ لَلْمَوْتُ خيرٌ لك من الحياة . فرجعتُ إليه فقلت له : استأسِرْ ، ثكلَتْك أمك . فوثب إليَّ وثبةً وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكأني مثلتُ تحتَه ، فقال : أقتلُكَ أم أخلِّي عنك ؟ قلت : بل خلِّ عني ، فقال : هيهات ، يا جاريةُ ائتيني بالمُدْية . فأتَتْه بالمدية ، فجزَّ ناصيتي ، وكانتِ العرب إذا ظَفِرَتْ برجلٍ فجزَّتْ ناصيتَه استعبدَتْه ، فكنتُ معه أخدُمه مُدَّةً . ثم إنَّهُ قال : يا عمرو ، أريد أن تركب معي البرِّيَّة ، وليس بي منك وجَل ، فإني ببسم الله الرحمن الرحيم لواثق . قال : فسرنا حتى أتينا وادياً أشِباً نَشِباً[(٣)] مَهُولاً مَغُولاً[(٤)] ، فنادى بأعلى صوته : بسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبقَ طَيْرٌ في وَكْرِه إلا طار ، ثم أعادَ القول ، فلم يبقَ سَبُعٌ في مَرْبِضِه إلا هرب ، ثم أعاد الصوت فإذا نحن بحَبَشيٍّ قد خرج علينا من الوادي كالنخلة السَّحُوق ، فقال لي : يا عمرو ، إذا رأيتَنا قدِ اتَّخَذْنا[(٥)] فقل : غلَبَهُ صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم . قال : فلما رأيتُهما قدِ اتَّخذا قلت : غلَبَهُ صاحبي باللاتِ والعُزَّى ، فلم يصنعِ الشيخُ شيئاً ، فرجع إليَّ وقال : قد علمتُ أنَّكَ قد خالفتَ قولي . قلت : أجل ، ولستُ بعائد . فقال : إذا رأيتَنا قدِ اتَّخذنا فقل : غلبه صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم . قلت : أفعل ، فلما رأيتهما قد اتخذا ، قلت : غلبه

---

(١) في ح : قوم ، والمثبت من ط .

(٢) في ح ، ط : وثب لي ، والمثبت من الهواتف .

(٣) سقطت اللفظة من ط ، وهي مثبتة في ح والهواتف . والموضع الأشب : كثير الشجر . ونشب : لعل معناه نشبت وعلقت أشجاره والتفت . أو لعله هو من الإتباع اللسان (أشب ، نشب) .

(٤) « المَهُول » : أي فيه هَوْل ، وهو المخُوف . المغول : لعل معناه كثير الغيلان جمع غُول ، وهي جنس من الشياطين والجن ، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفلاة تتراءى للناس فتتغوَّل ـ تتلون ـ في صور شتى ، وتضلهم عن الطريق وتهلكهم . اللسان (هول ، غول) .

(٥) في ح ، ط ومطبوعة الهواتف : اتحدنا . بالحاء والدال المهملتين ، والمثبت من أصل الهواتف ، وأصل عجيبة بسم الله الرحمن الرحيم من رواية ابن حذلم نسخة الظاهرية ، والمنشور في شعر عمرو بن معدي كرب (ص٢١٤) وفيه تابع محققه رواية البداية والنهاية بالإهمال ولا معنى له ، إذ جاء في الأساس (أحد) : اتحد الرجلان ، وبينهما اتحاد ، ولا معنى له في هذا السياق . وبالإعجام كما جاء في أصل الهواتف ، وأصل ابن حذلم هو الصواب ، من قولهم : ائتخذ القوم يأتخذون ائتخاذاً : إذا تصارعوا فأخذ كل منهم على مصارعه أُخْذَةً يعتقله بها ، وقد تليَّنُ وتدغم فيقال : اتَّخذَ .

صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم . قال : فاتكأ عليه الشيخ فبعجَهُ بسيفه ، فاشتق[١] بطنه ، فاستخرج منه شيئاً كهيئةِ القِنْديل الأسود ، ثم قال : يا عمرو ، هذا غِشُّه وغِلُّه . ثم قال : أتدري مَنْ تلك الجارية ؟ قلت : لا . قال : تلك الفارعَةُ بنتُ السُّليل[٢] الجُرْهُمي ، وكان أبوها[٣] من خيارِ الجِنّ ، وهؤلاء أهلُها بنو عمِّها يغزونني منهم كلَّ عامٍ رجلٌ ينصرني الله عليه ببسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : قد رأيتَ ما كان مني إلى الحَبَشيّ ، وقد غلب عليَّ الجوعُ ، فأْتني بشيء آكلُه ، فأقحمتُ فرسي[٤] البرِّيَّة فما أصبتُ إلا بَيْضَ النَّعَام ، فأتيتُه به فوجدْتُه نائماً ، وإذا تحتَ رأسِهِ شيءٌ كهيئة الخشبة ، فاستلَلْتُه فإذا هو سيفٌ عَرْضُه شِبْر ، في سبعة أشبار ، فضربتُ ساقَيْهِ ضربةً أبنْتُ الساقَيْنِ مع القدمَيْن ، فاستوى على فَقَارِ ظَهْرِه وهو يقول : قاتلك الله ما أغدَرَكَ يا غدَّار! قال عمر : ثم ماذا صنعت ؟ قلتُ : فلم أزلْ أضربُه بسيفي[٥] حتى قطَّعْتُه إرْباً إرْباً . قال : فوجَمَ لذلك ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

بالغدرِ نلْتَ أخا الإسلام عن كَثَبٍ ... ما إنْ سمعتُ كَذَا[٦] في سالِفِ العَرَب

والعُجْـمُ تـأنـفُ ممـا جئتَـه كَـرَمـاً ... تَبـاً لمـا جئتَـه فـي السيِّـد الأرِبِ[٧]

إنـــي لأعجــبُ أنَّــى نِلْــتَ قِتْلَتَــهُ ... أم كيفَ جازاكَ عند الذَّنبِ لم تَتُبِ ؟

قَـرْمٌ عفـا عنـك مـرَّاتٍ وقـد عَلِقـت ... بالجسمِ منكَ يداهُ مَوْضِعَ العَطَبِ

لو كنتُ آخُذُ في الإسلام ما فعلوا ... في الجاهليَّةِ أهلُ الشِّرْكِ والصُّلُبِ[٨]

إذاً لنـالتْـكَ مـن عَـذْلـي مُشَطَّبـةٌ[٩] ... تدعو[١٠] لذائِقها بالوَيْلِ والحَرَبِ[١١]

قال : ثم ما كانَ من حالِ الجارية ؟ قلت : ثم إني أتيتُ الجارية ، فلمَّا رأتْني قالت : ما فعل الشيخ ؟ قلتُ : قتلَهُ الحَبَشِيُّ . فقالت : كذبتَ ، بل قتلتَهُ أنتَ بغَدْرِك . ثم أنشأت تقول : [من الخفيف]

---

(١) في الهواتف : فانشق .

(٢) في ح : السهيل . وفي الهامش : السليل . وفوقها خ إشارة إلى رواية أخرى ، والمثبت من ط والهواتف والضبط منه .

(٣) وكان أبوها ساقط من ط .

(٤) في ح ، ط : بفرسي ، والمثبت من الهواتف .

(٥) في الهواتف : بسيفه . وهو أشبه بالصواب .

(٦) في هامش أصل الهواتف : بذا . وفوقها خ إشارة إلى رواية في نسخة أخرى . ورواية ابن حذلم في شعر عمرو : بذا أيضاً .

(٧) « الأرِب » : الحاذق الكامل ، والماهر البصير . التاج والمعجم الوسيط (أرب) .

(٨) كذا على لغة من قال : « أكلوني البراغيث » الكتاب (٢/ ٤٠) ط هارون (١/ ٢٣٦ ط بولاق) .

(٩) سيف مشطب كمعظم : فيه شطب ، أي طرائق في متنه . التاج (شطب) .

(١٠) في ح : تدعا ، وفي الهواتف : يدعى .

(١١) « الحَرَب » : نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له ، والهلاك . التاج والمعجم الوسيط (حرب) .

عينُ[١] جُودي للفارسِ المِغْوارِ ثــم جُــودي بــواكفــاتٍ غِــزارِ
لا تَمَلِّي البكاءَ إذْ خانكِ الدَّهْـ ـرُ بــوافــي حقيقــةٍ صبَّــارِ
وتقــيٍّ وذي وَقــارٍ وحِلْــمٍ وعــديــلِ الفَخَــارِ يــومَ الفَخــارِ
لهفَ نفسي على بقائِكَ عمرٌو أسلمتْــكَ الأعمــارُ لــلأقــدار
ولعمــري لــو لــم تَــرُمْــهُ بغَــدْرٍ رُمــتَ ليثــاً بصــارِمٍ بتَّــارِ[٢]

قال : فأحفظَني قولُها ، فاستللتُ سيفي ، ودخلتُ الخيمةَ لأقتُلَها ، فلم أرَ في الخيمة أحداً ، فاستقتُ الماشية وجئتُ إلى أهلي .

وهـذا أثرٌ عجيب . والظاهر أنَّ الشيخ كان من الجانِّ ، وكان ممن أسلم وتعلَّم القرآن . وفيما تعلَّمه : بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوَّذُ بها .

وقال الخرائطي[٣] : حدَّثنا عبد الله بن محمد البَلَويّ ، حدّثنا عُمارة بن زيد قال : حدّثني عبد الله[٤] ابن العلاء ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن جدَّته أسماءَ بنتِ أبي بكر قالت : كان زيدُ بن عمرو بن نُفَيل ، ووَرَقَةُ بن نَوْفَل يذكرانِ أنَّهما أتيا النجاشيَّ بعد رجوع أبْرَهة من مكة . قالا : فلما دخلنا عليه قال لنا : اصْدُقاني أيها القرشيَّان ، هل وُلد فيكم مولودٌ أرادَ أبوهُ ذَبْحَه ، فضُربَ عليه بالقداح فسَلِم ، ونُحرت عنه إبلٌ كثيرة ؟ قلنا : نعم . قال : فهل لكما علم به ما فَعَل ؟ قلنا : تزوَّج امرأةً يقال لها : آمنة بنت وَهْب ، تركها حاملاً وخرج . قال : فهل تعلمان ولد أمْ لا ؟ قال ورقةُ بن نوفل : أُخبرك أيها الملك أني ليلةً قد بتُّ عند وثنٍ لنا ، كنَّا نُطيف به ، ونعبده ، إذْ سمعتُ من جَوْفه هاتفاً يقول : [من الوافر]

وُلـد النبـيُّ فـذلَّـتِ الأمـلاكُ ونَأى الضَّلالُ وأَدْبَرَ الإشْراكُ

ثمّ انتكس الصنَمُ على وجهه ، فقال زيد بن عمرو بن نُفَيل : عندي كخبره أيها الملك . قال : هات . قال : إني في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه ، خرجتُ من عند أهلي وهم يذكرون حَمْلَ آمنةَ ، حتى أتيتُ جبلَ أبي قُبيس أريد الخُلُوَّ فيه لأمرٍ رابني ، إذْ رأيتُ رجلاً نزل من السماء ، له جناحان أخضران ، فوقف على أبي قُبيس ، ثم أشرف على مكة فقال : ذَلَّ الشيطانُ وبطَلَتِ الأوثان ، ووُلد الأمين . ثم نشر ثوباً معه ، وأهوى به نحو المَشْرِق والمغرب ، فرأيتُه قد جلَّلَ ما تحت السمـاء ، وسطع نورٌ كاد أن يختطف بصري ، وهالني ما رأيت . وخفق الهاتفُ بجناحَيْه حتى سقط على الكعبة ؛ فسطع له نـورٌ أشرقت له تِهَامة ، وقال : ذَكتِ[٥] الأرضُ وأدَّتْ ربيعَها . وأومأ إلى الأصنام التي كانت على الكعبة

---

(١) في ط : يا عين ، وفي الهواتف : عيني ، والمثبت من ح .
(٢) في ح : لصارم ، وفي ط : كصارم ، والمثبت من الهواتف .
(٣) في هواتف الجنان (ص١٨٣) ، وإسناده تالف فعمارة بن زيد كذاب (الميزان ٣/ ١٧٧) .
(٤) في أصل الهواتف : عبيد الله ، وانظر ص (١٦٢) ح٥ وص (١٦٧) ح٣ .
(٥) في الهواتف : زلت . وهما بمعنى .

فسقطتْ كلُّها . قال النجاشي : ويحكما . أخبركما عمَّا أصابني ، إنِّي لنائم في الليلةِ التي ذكرتما في قُبَّة ، وقتَ خَلْوتي ، إذ خرجَ عليَّ من الأرض عُنق ورأس ، وهو يقول : حلَّ الويل بأصحاب الفيل ، رمَتْهُم طَيْرٌ أبابيل ، بحجارةٍ من سِجِّيل ، هلك الأشرمُ المعتدي المجرم ، وولد النبيُّ الأمي ، المكي الحَرَمي ، مَنْ أجابه سَعِد ، ومن أباه عند . ثم دخل الأرض فغاب ، فذهبتُ أصيح فلم أُطق الكلام ، ورُمْتُ القيام ، فلم أطقِ القيام ، فقرَعتُ القُبَّة بيدي ؛ فسمع بذلك أهلي ، فجاؤوني ، فقلت : احجبُوا عني الحبشة . فحجبوهم عني ، ثم أُطلق عن لساني ورجلي[١]

وروى الحافظ أبو القاسم بنُ عساكر في « تاريخه »[٢] في ترجمة الحارث بن هانيء بن المُدْلِج بن المِقْداد بن زَمْل بن عمرو العُذْري ، عن أبيه ، عن جدِّه عن أبيه ، عن زَمْل بن عمرو العُذْري قال : كان لبني عُذْرَة صنمٌ يقالُ له : حمام ، وكانوا يُعَظِّمونه ، وكان في بني هند بن حَرَام بن ضِنَّة[٣] بن عبد بن كبير[٤] بن عُذْرة ، وكان سادِنُه رجلاً يقال له : طارق ، وكانوا يَعْترونَ عنده[٥] ، فلما ظهر رسولُ الله ﷺ سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حَرَام . ظهر الحق وأودى حمام ، ودفع الشركَ الإسلام . قال : ففزعنا لذلك وهالَنا ، فمكثنا أياماً ، ثمّ سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق ، بُعث النبيُّ الصادق ، بوَحْيٍ ناطق ، صدع صادع بأرض تِهامَة ، لناصريه السلامة ، ولخاذليه الندامَة ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة . قال زَمْل : فوقع الصنم لوجهه . قال زَمْل : فابتعتُ راحلةً ورحلت ، حتى أتيتُ النبيَّ ﷺ مع نَفَرٍ من قومي وأنشدته شعراً قلتُه : [من الطويل]

إليكَ رسولَ اللهِ أعملتُ نَصَّها ... وكلَّفتُها حَزْناً وغَوراً من الرَّمْلِ[٦]

لأنصرَ خيرَ الناسِ نصراً مؤزَّراً ... وأعقِدَ حَبْلاً من حِبالك في حَبْلي

وأشهَدَ أنَّ اللهَ لا شيءَ غيرَهُ ... أدينُ به ما أثقلتْ قدمي نعلي[٧]

---

(١) جاء في ط بعد هذا الخبر مانصه : وسيأتي إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شرفة من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه ، وتفسير سطيح لذلك على يدي عبد المسيح . ولا وجود لهذا النص في ح ، وقد مرت قصة المولد ورؤيا كسرى في هذا الجزء ، وهذا يدل على إنزاله في غير موضعه في ط ، لذا آثرت إنزاله إلى الحاشية .

(٢) أورد الخبر ابن منظور في مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٦٨) ، وإسناده مجاهيل .

(٣) في ح : صبية ، وفي ط : ضبة ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٥/ ٢١٥) .

(٤) في ح ، ط ومختصر تاريخ ابن عساكر : كثير ؛ والمثبت من جمهرة ابن الكلبي (٢/ ١٩٦) وجمهرة ابن حزم (ص٣١٥) والإكمال (٢/ ٤١٢ و٥/ ٢١٥) . وقد ذكر ابن ماكولا وابن حجر من يسمى كبيراً إلا أنه لم يعدا هذا منهم . الإكمال (٧/ ١٦٠) والتبصير (٣/ ١١٨٧) .

(٥) « عَتَر الشاة والظبية ونحوهما يعترها » : ذبحها ، والعتيرة : أول ما يُنتج ، كانوا يذبحونها لآلهتهم . اللسان (عتر) .

(٦) في ح : وكلفتها خوفاً وفوراً ؛ وفي المختصر : أكلفها حزناً وفوراً ؛ والمثبت من ط .

(٧) في ح : ما أثقلت قدمي رجلي . والمثبت من ط والمختصر . والشعر ظاهر الوضع .

قال : فأسلمتُ وبايعتُه . وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلامِ الجِنّ » . ثم قال : « يا معشر العرب إنِّي رسولُ اللهِ إليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوهم إلى عبادةِ اللهِ وحده ، وأني رسولُه وعبدُه ، وأنْ يحجُّوا البيت ، ويصوموا شهراً من اثني عشرَ شهراً ، وهو شهرُ رمضان ، فمَنْ أجابني فله الجنة نُزُلا ، ومن عصاني كانت النار له مُنْقلبا » . قال : فأسلَمْنا وعقد لنا لواءً . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسولِ اللهِ لزَمْلِ بن عمرو ومَنْ أسلم معه خاصّة ، إني بعثته إلى قومه عامداً[1] ، فمن أسلم ففي حِزْب الله ورسوله . ومن أبى فله أمانٌ شهرين . شهد عليٌ بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري » ثمّ قال ابنُ عساكر : غريبٌ جداً . وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه : حدّثني محمد بن سعيد ـ يعني عمَّه ـ قال محمد بن المنكدر : إنه ذُكر لي عن ابن عباس قال : هتف هاتفٌ من الجِنّ على أبي قُبيس فقال : [من الخفيف]

قبَّحَ اللهُ رأيَكُمْ آلَ فِهْرِ ... ما أدقَّ العقول والأفهام[2]
حِينَ تُغْضي لِمَنْ يعيبُ عَلَيها ... دينَ آبائِها الحماةِ الكرامِ
حالفَ الجنُّ جِنُّ بُصرى عليكم ... ورجالُ النّخيلِ والآطامِ
توشِكُ الخيلُ أن تَرَوْها نهاراً ... تقتلُ القومَ في حرام تَهَام[3]
هَلْ كريمٌ مِنْكُم لَهُ نفسُ حرٍّ ... مَاجِدِ الوالدَيْن والأعمام[4]
ضَارِبٌ ضربَةً تكونُ نكالاً ... ورواحاً من كُربةٍ واغتمامِ

قال ابنُ عباس : فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله ﷺ : « هذا شيطانٌ يكلِّمُ الناسَ في الأوثان يقالُ له : مِسْعَر ، واللهُ مُخْزِيه » فمكثوا ثلاثةَ أيّام ، فإذا هاتفٌ يهتفُ على الجبل يقول : [من الرجز]

نحنُ قتلْنا في ثلاثٍ مِسْعرا
إذْ سفَّهَ الجنَّ وسنَّ المُنْكرا
قنَّعتُه سيفاً حُساماً مُشْهَرا
بشتمِهِ نبيَّنا المُطَهَّرا

فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا عِفْريتٌ من الجِنّ ، اسمه سمج ، آمَنَ بي سمَّيتهُ عبد الله ، أخبرني أنه

---

(١) كذا في ح ، ط وفي مختصر ابن منظور : عامة ، وهو أشبه بالصواب .
(٢) كذا في ح ، ط : ولعل الصواب : يا أدقَّ . . . جاء في الأساس (دقق) : ويقال للذين يمنعون الخير ويشحون : لقد أدقت بكم أخلاقكم ، من أدق الرجل إذا اتبع الدقيق من الأمور .
(٣) في ح : مصل . . . بهام ، وما أثبته أشبه بالصواب فـ بهام لا معنى لها في البيت ، وتهام نسبة إلى تهامة ، اسم مكة ، على غير قياس ، اللسان (تهم) . ورواية ط : أن تردها تهادى .
(٤) كذا في ح ، ط ، ورواية الشطر الثاني في ح : ماجد الجدَّين .

في طلبه ثلاثةَ أيام » . فقال عليّ : جزاهُ الله خيراً يا رسُول الله .

وقد روى الحافظُ أبو نُعيم في « الدلائل »[١] قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدّثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفَّار ، حدّثنا عباس بن الفرج الرِّياشيّ ، حدّثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حَوْشب عن ابن عباس ، عن سعد بن عُبادَة قال : بعثني رسولُ الله ﷺ إلى حَضْرَمَوت في حاجةٍ قبل الهجرة ، حتى إذا كنتُ في بعض الطريق ساعةً من الليل ، فسمعت هاتفاً يقول : [من الوافر]

أبا عَمرٍو تأوَّبَني[٢] السُّهودُ ... وراحَ النـومُ وامتنـعَ الهُجُـودُ
لِذكْرِ عِصابةٍ سلفوا وبادُوا ... وكـلُّ الخَلْـقِ قَصْـرُهُـمُ يَبِيـدُ
تـولَّـوْا واردِيـنَ إلـى المنـايـا ... حِياضـاً ليـس مَنْهَلُهـا الـورودُ
مضَوْا لِسبيلهمْ وبَقِيتُ خَلْفاً ... وَحيـداً ليـسَ يُسعِفُنـي وحيـدُ
سُـدًى لا أستطيعُ عِـلاجَ أمرٍ ... إذا مـا عـالَـجَ الطفـلُ الـوليـدُ
فَـلأيـاً مـا بَقِيتُ إلـى أنـاسٍ ... وقـدْ بـاتَـتْ بمَهْلِكها ثَمُـودُ
وعادٌ والقرونُ بذي شَعُوبٍ ... سـواءٌ كلُّهـم أرِمٌ حَصِيـدُ[٣]

قال : ثم صاح به آخر : يا خرعب ، ذهب بك العجبُ[٤] ، إنَّ العجب كل[٥] العجب بين زهرة ويثرب . قال : وما ذاك يا شاصب[٦] ؟ قال نبيُّ السلام ، بُعث بخير الكلام ، إلى جميع الأنام ، فأخرج من البلد الحرام إلى نَخيلٍ وآطام . قال : ما هذا النبيُّ المرسل ، والكتابُ المنزل ، والأمِّيُّ المفضَّل ؟ قال : رجلٌ من ولد لُؤَيِّ بنِ غالب بن فِهرِ بن مالك بن النَّضْرِ بن كِنَانة . قال : هيهات ، فات عن هذا سِنِّي ، وذهب عنه زَمَني ، لقد رأيْتُني والنضرَ بنَ كنانةَ نرمي غَرضاً واحداً ، ونشربُ حَلباً بارداً ، ولقد خرجتُ به من دُومة[٧] ، في غداة شبمة ، وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروي ما يسمع ويُثبت ما يُبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سُلَّ السيف ، وذهب الخوف ، ودُحِضَ الزِّنا ، وهَلَك الرِّبا . قال :

---

(١) الخبر في دلائل (١/ ١١٣) برقم (١١٨) ، وإسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب .
(٢) في ح ، ط : ناوَبَني ، ولا يستقيم به الوزن : وفي طبعة مصطفى عبد الواحد : تناوبني ، والمثبت من الدلائل ، ومعناه : راجعني.
(٣) « شعوب » : اسم المنيَّة ، سميت به لأنها تفرِّق . التاج (شعب) وأرم الشيء أرماً فهو أرِم : إذا فني وبلي . اللسان والوسيط (أرم) .
(٤) في ح : اللعب .
(٥) سقطت اللفظة من ح .
(٦) في ط : شاحب ، والمثبت من ح والدلائل .
(٧) في ط : دوحة .

فأخبرني ما يكون ؟ قال ذهبتِ الضرَّاء والبؤس والمجاعة[١] ، والشدة والشجاعة ، إلا بقيَّةً في خُزاعة . وذهبتِ الضرَّاءُ والبُوس ، والخلُق المَنْقُوس[٢] إلا بقية من الخَزْرَج والأوْس ، وذهبتِ الخُيَلاءُ والفَخْر[٣] ، والنميمة والغَدْر ، إلا بقيةً في بني بكر ـ يعني ابن هوازن ـ وذهب الفعل المُنْدِم ، والعمل المُؤْثم ، إلا بقيةً في خَثْعَم . قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : إذا غُلبتِ التَّرَّة[٤] ، وكُظِمتِ الجِرَّة[٥] ، فاخْرُجْ من بلاد الهِجْرَة ، وإذا كُفَّ السلام ، وقُطعتِ الأرحام ، فاخرُجْ من البلد الحرام . قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : لولا أُذُنٌ تسمع ، وعينٌ تلمع لاخبرتُكَ بما تفزَع . ثم قال : [من الخفيف]

لا منـــامٌ هَـــدَّأتَــه بنعيــمِ ... يا ابنَ غوطٍ ولا صباحٌ أتانا[٦]

قال : ثم صرصر[٧] صرصرةً كأنها صرصرةُ حُبْلى ، فذهب الفجر ، فذهبتُ لأنظر ، فإذا عَظَايَةٌ وثعبان ميتان .

قال : فما علمتُ أنَّ رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث .

ثمّ رواه عن محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن علي ، عن النضر بن سلمة ، عن حسان بن عبادة بن موسى ، عن عبد الحميد بن بَهْرَام ، عن شَهْر ، عن ابن عباس ، عن سعد بن عُبَادة قال : لما بايعنا رسولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبة خرجتُ إلى حَضْرَموت لبعض الحاج ، قال : فقضَيْتُ حاجتي ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ ببعض الطريق نمت ، ففزِعْتُ من الليل بصائح يقول : [من الوافر]

أبا عمرٍو تأوَّبَني[٨] السُّهُودُ ... وراحَ النـومُ وانقطـعَ الهجـودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدّثنا عمر[٩] بن محمد بن جعفر ، حدّثنا إبراهيم بن علي ، حدّثنا النَّضْر بن سلمة ،

---

(١) في ح : المخادعة .

(٢) « المنقوس » : من قولهم : نقس بين القوم : أفسد ، ورجل نقس : يعيب الناس ويلقِّبهم . التاج (نقس) ، وفي ط : المنفوس بالفاء .

(٣) في ح : الفقر .

(٤) في ط : البرة ، والمثبت من ح والتُّرَّة ، بضم التاء : ضبط القاموس ، وفي اللسان بفتحها ، وهي الجارية الرعناء الحسناء . التاج (ترر) .

(٥) يقال : كظم فلان على جِرَّته : إذا لم يسكت على ما في جوفه حتى تكلم به . الأساس (كظم) .

(٦) رواية العجز في ح : . . . عوط . . . أمانا .

(٧) سقطت اللفظة من ح .

(٨) انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٢ .

(٩) سقط عمر بن . من ط ، وهو في ح برسم : محصر بن ، وما أثبتُّه من دلائل أبي نعيم ، حيث ورد هذا الإسناد في الصفحات (٩١ و١٢١ و١٧٠ و١٧١) من الجزء الأول من الدلائل وترجمته في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٥٨) وسند الخبر الذي سيأتي بعد التالي ، وقد أورده ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٥/ ٣١٨ ، ٣١٩) .

حدّثنا أبو غزيّة[١] محمد بن موسى ، عن العطّاف بن خالد الوابصي[٢] ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : سمعتُ تميماً الداريَّ يقول : كنتُ بالشام حين بُعث النبيُّ ﷺ ، فخرجتُ لبعضِ حاجتي ، فأدركني الليل ، فقلت : أنا في جِوارِ عظيم هذا الوادي الليلة . قال : فلما أخذتُ مضجعي إذا أنا بمنادٍ يُنادي ـ لا أراه ـ عُذْ بالله ، فإنَّ الجنَّ لا تُجيرُ أحداً على الله . فقلت : أيم الله تقول[٣] ؟ فقال : قد خرج رسولُ الأمِّيِّين رسولُ الله ، وصلَّينا خلفه بالحَجُون ، فأسلمنا واتَّبَعْناه ، وذهب كَيْدُ الجِنّ ، ورُميَتْ بالشُّهب ، فانطلِقْ إلى محمد رسولِ ربِّ العالمين فأسلِم . قال تميم : فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى دير أيُّوب ، فسألتُ راهباً وأخبرتُه الخبر ، فقال الراهب : قد صدَقُوكَ ، يخرجُ من الحرم ومهاجَرُهُ الحرم ، وهو خيرُ الأنبياء فلا تُسْبَق إليه . قال تميم : فتكلَّفْتُ الشخوصَ حتى جئتُ رسولَ الله ﷺ فأسلمت .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن يزيد الهُذَلي ، عن عبد الله بن ساعدة الهُذَلي ، عن أبيه ، قال : كُنَّا عند صنَمِنا سُوَاع ، وقد جلَبْنا إليه غنماً لنا مئتي شاة ، قد أصابها جَرَب ، فأدْنَيْتُها منه لِتَطَلُّبِ بركتِه ، فسمعتُ منادياً من جَوْف الصَّنَم يُنادي : قد ذهب كَيْدُ الجِنّ ، ورُمينا بالشُّهب ، لنبيٍّ اسمُهُ أحمد . قال : فقلت : غَوَيْتُ والله ، فصرَفْتُ وَجْهَ غنَمي مُنْجِداً إلى أهلي[٤] ، فخبَّرَني بظهورِ النبيِّ ﷺ .

ذكرَهُ أبو نُعيم هكذا معلَّقاً[٥] ، ثم قال[٦] :

حدّثنا عمر بن محمد بن جعفر ، حدّثنا إبراهيم بن السِّنْديّ ، حدّثنا النَّضْر بن سلَمة ، حدّثنا محمد بن سلمة[٧] المَخْزومي ، حدّثنا يحيى بن سليمان ، عن حكيم بن عطاء الظفري[٨] ـ من بني سُليم من ولد راشد بن عبد ربِّه ـ عن أبيه ، عن جدِّه ، عن راشد بن عبد رَبِّهِ قال : كان الصَّنَمُ الذي يُقال له : سُوَاع بالمَعْلاة من رُهاط[٩] ، تَدينُ له هُذَيل وبنو ظفر بن سُليم ، فأرسلَتْ بنو ظَفَر راشدَ بن عبد ربِّهِ بهديَّةٍ من

---

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) في ط : الوصابي . تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال للمزي (٢٠/ ١٣٨) وتهذيب التهذيب لابن حجر ، نسبه إلى وابصة بن خالد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، أحد أجداده .

(٣) في تاريخ ابن عساكر : أيم تقول . وهو بمعنى : أي شيء تقول ؟ انظر مختصر تاريخ دمشق والتاج (أيم) .

(٤) في ح : أهله . والمثبت من ط ، وفي الإصابة : منحدراً .

(٥) ليس الخبر في دلائل أبي نعيم المطبوع ، وقد أورده ابن حجر في الإصابة في ترجمة ساعدة ، وذكر لرواية أبي نعيم له في الدلائل ، وقال : وإسناده ضعيف .

(٦) يعني أبا نعيم في الدلائل (١/ ١٥٠) ، وإسناده فيه مجاهيل .

(٧) في ط : مسلمة ، تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل والجرح والتعديل (٧/ ٢٧٦) .

(٨) في دلائل أبي نعيم : الصقري ، وفي الإصابة : السلمي . ولم أقف على ترجمة له فيما لدي من المصادر ، والمثبت هنا من الإصابة ، وهو أشبه بالصواب ، لأنه من بني ظفر بن سليم كما سيأتي .

(٩) « المعلاة » : بالفتح ثم السكون : موضع بين مكة وبدر . ورُهاط : بضم أوله : موضع على ثلاثة ليال من مكة ، وقال قوم : وادي رهاط في بلاد هذيل . وكان أول من اتخذ سواعاً من ولد إسماعيل حين فارقوا دين إسماعيل هذيل بن مدركة . معجم البلدان (٣/ ١٠٧ و٢٧٦ ، و٥/ ١٥٨) والأصنام (ص ٩ ، ١٠) .

سليم إلى سُوَاع ، قال راشد : فأُلْقيتُ مع الفَجْرِ إلى صنمٍ قِبَلَ صنم سُواع ، فإذا صارخٌ يصرخ من جَوْفِه : العجَب كلَّ العَجَب ، من خروج نبيٍّ من بني عبد المطلب ، يُحرِّم الزِّنا والرِّبا والذَّبْحَ للأصنام ، وحُرستِ السماء ، ورُمينا بالشُّهُب ، العجَب كلَّ العجَب . ثم هتف صنمٌ آخَرُ من جوفه : تُرِكَ الضِّمَارُ[1] وكان يُعبد ، خرج النبيُّ أحمد ، يُصَلِّي الصلاة ، ويأمرُ بالزكاةِ والصِّيام ، والبِرِّ والصِّلاتِ للأرحام . ثم هتف من جوفِ صنمٍ آخَرَ هاتفٌ يقول : [من الكامل]

إنَّ الذي ورثَ النبوَّةَ والهُدَى بَعْدَ ابنِ مَرْيَمَ من قريشٍ مهتدِ
نبيٌّ أتى يُخبِرُ بما قد سبق وبما يكونُ اليومَ حقاً أو غد[2]

قال راشد : فألفَيْتُ سُواعاً مع الفجر وثَعْلَبانِ يلحسانِ ما حولَه ، ويأكلان ما يُهدى له ، ثم يَعُوجانِ عليه بِبَوْلهما ، فعند ذلك يقولُ راشدُ بن عبدِ ربِّه[3] : [من الطويل]

أربٌّ يَبُـولُ الثُّعْلُبـانُ بـرأسِـه لقد ذلَّ مَنْ بالَتْ عليه الثعالبُ

وذلك عند مَخْرَج النبي ﷺ ومهاجَرِه إلى المدينة ، وتسامع الناسُ به ، فخرج راشدٌ حتى أتى النبيَّ ﷺ المدينةَ ومعه كلبٌ له ، واسم راشدٍ يومئذٍ ظالم ، واسْمُ كلبِهِ راشد ، فقال له النبيُّ ﷺ : « ما اسمك ؟ » قال : ظالم . قال : « ما اسْمُ كَلْبِك ؟ » قال : راشد . قال « اسمك راشِد ، واسم كلبك ظالم » وضحِك النبيُّ ﷺ ، وبايعَ النبيَّ ﷺ وأقامَ بمكة معه ، ثم طلبَ من رسولِ الله ﷺ قَطِيعةً برُهاط - ووصفَها له - فأقطعَهُ رسولُ الله ﷺ بالمَعْلاة من رُهَاط ، شَأْوَ الفَرَس[4] ، ورَمْيَتَهُ ثلاثَ مرَّاتٍ بحَجَر ، وأعطاهُ إدَاوةً[5] مملوءةً من ماءٍ ، وتفَلَ فيها وقال له : « فرِّغْها في أعلى القَطيعة ولا تمنع الناسَ فُضُولَها » ففعل ، فجعلَ الماءُ معيناً يجري[6] إلى اليوم ، فغرس عليها النخل .

---

(١) « الضمار » : صنم كان في ديار سليم بالحجاز معجم البلدان (٣/ ٤٦٢) وفي التاج (ضمر) : ضِمار صنم عبده العباس بن مرداس السلمي ورهطه .

(٢) كذا في ح ، ط : والبيت مضطرب الوزن في صدره ، وصواب قافيته غدا ، ونثر نثراً في دلائل أبي نعيم ، وروايته : نبي يخبر بما سبق وبما يكون في غد . وسقطت : قد من ط ، وفي خبر عباس بن مرداس في السيرة الحلبية (١/ ٢٣٤) سبق البيت الأول بيتان وهما :

قـل للقبـائـل مـن قـريـش كلِّهـا هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلـك الضمـار وكـان يعبـد مـدَّة قبل الصلاة على النبي محمـد

(٣) البيت ينسب لعباس بن مرداس وهو في ديوانه ، وينسب أيضاً لغاوي بن ظالم السلمي وأبي ذر الغفاري . اللسان (ثعلب) . والثعلبان : ذكر الثعالب ، والثعلب يطلق على الذكر والأنثى .

(٤) « شأو الفرس » : شوطها ومداها . اللسان (شأو) .

(٥) « الإداوة » : إناء صغير يُحمل فيه الماء . (المعجم الوسيط) .

(٦) كذا في ط ، وفي ح : محمر . وعلَّق الناسخ على الهامش ما نصه : لعله يجري ، وفي دلائل أبي نعيم : مجمة ، وأظن الصواب فيه : يجمُّ ؛ بمعنى يكثر . والله أعلم . اللسان (جمم) .

ويقال : إنَّ رُهَاط كلَّهَا تشربُ منه ، فسمَّاها الناسُ ماء الرسولِ ﷺ ؛ وأهلُ رُهاط يغتسلون بها .
وبلغَتْ رَمْيَةُ راشدِ الرَّكيب ، الذي يقال له : رَكيب الحَجَر[١] وغدا راشدٌ على سُوَاعٍ فكسره .

وقال أبو نعيم[٢] : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا علي بن إبراهيم الخُزاعيُّ الأهوازيّ ، حدّثنا أبو محمد عبدُ الله بن داود بن دِلْهاث بن إسماعيل بن مُسْرِع[٣] بن ياسر بن سويد صاحبِ رسولِ الله ﷺ حدّثنا أبي عن أبيه دِلْهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أنَّ أباه ياسراً حدَّثه عن عمرو بن مُرَّة الجُهني أنه كان يحدِّث قال : خرجتُ حاجّاً في جماعةٍ من قومي في الجاهلية ، فرأيتُ في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة ، حتى أضاء في جبلِ يثربَ وأشعر جُهينة[٤] ، فسمعتُ صوتاً في النور وهو يقول : انقشعتِ الظلماء ، وسطَعَ الضياء ، وبُعث خاتمُ الأنبياء ، ثم أضاء إضاءةً أخرى حتى نظرتُ إلى قصورِ الحيرة وأبيضِ المدائن[٥] ، فسمعتُ صوتاً في النُّور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكُسرتِ الأصنام ، ووُصلتِ الأرحام . فانتبهتُ فزِعاً ! فقلت لقومي : والله ليحدثَنَّ في هذا الحيِّ من قريش حدَث ، وأخبرتُهم بما رأيت ؛ فلما انتهينا إلى بلادِنا جاءنا رجلٌ فأخبرنا أنَّ رجلاً يقالُ له : أحمد قد بُعث ، فأتيتُه فأخبرتُه بما رأيت ، فقال : « يا عمرو بن مُرَّة إني المُرْسَل إلى العبادِ كافَّةً ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمُرُهمْ بحَقْن الدِّماء ، وصِلَة الأرحام ، وعبادةِ الله ، ورَفْضِ الأصنام ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشرَ شهراً ، فمَنْ أجاب فله الجنَّة ، ومن عصَى فله النار ؛ فآمِن يا عمرو بنَ مُرَّة يُؤَمِّنْكَ اللهُ من نار جهنَّم » . فقلت : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . آمنتُ بكلِّ ما جئتَ به من حلالٍ وحرام ، وإنْ أرْغَمَ ذلك كثيراً من الأقوام ؛ ثم أنشدتُه أبياتاً قلتُها حين سمعتُ به وكان لنا صنم ، وكان أبي سادِناً له ، فقمتُ إليه فكسرته ، ثم لحِقْتُ النبيَّ ﷺ وأنا أقول : [من الطويل]

شهـدتُ بـأنَّ اللهَ حـقٌّ وأنني لآلِهـةِ الأحجـارِ أولُ تـارِكِ

---

(١) « الركيب » : المَشَارة بالفتح : الساقية أو الجدول بين الدبرتين ، أو هي ما بين الحائطين من النخيل والكرم ، وقيل هي ما بين النهرين من الكرم ؛ أو المزرعة . التاج (ركب) .

(٢) إسناد الخبر في الدلائل (١/ ١٢١) مختلف عما هنا ، وهو في مجمع الزوائد عن الطبراني (٨/ ٢٤٤) والوفا (١/ ٨١) .

(٣) في ح : سرع ، تصحيف ، والمثبت من ط والإصابة في ترجمته في القسم الثاني منه ، ولسان الميزان (٦/ ٢٠) وقال عنه : مجهول . ويبدو أنه سقط اسم عبد الله بن أبي إسماعيل وابن مسرع كما سيأتي في إسناده . والإسناد للطبراني في معجمه الكبير (٢٢/ ٢٧٧) إلا أنني لم أقع على الخبر فيما طبع منه ، وكذلك هو في المعجم الأوسط (٤٢٢٠) ، وهو إسناد من المجاهيل .

(٤) مضى تعريف الأشعر في ص (١٢٧) ح(٣) .

(٥) مضى تعريف أبيض المدائن في ص (١٢٧) ح(٤) .

فشمَّرْتُ عن ساقي إزاراً مُهاجِراً إليكَ أدِبُ الغَوْرَ بعدَ الدَّكَادِكِ[١]
لأصحبَ خيرَ الناسَ نفساً ووالداً رسولَ مليكِ الناسِ فوقَ الحَبَائِكِ[٢]

فقال النبيُّ ﷺ : « مرحباً بك يا عَمرَو بن مُرّة »[٣] . فقلت : يا رسولَ الله ، بأبي أنت وأمي ابعثْ بي إلى[٤] قومي لعلَّ اللهَ أنْ يَمُنَّ بي عليهم كما مَنَّ بكَ عليّ . فبعثني إليهم وقال : « عليك بالقولِ السَّدِيد ، ولا تكنَّ فَظّاً ولا متكبِّراً ولا حَسُوداً » فأتيتُ قومي فقلت لهم : يا بني رِفاعة ، ثم يا بني جُهَينة ، إني رسولٌ من رسولِ الله إليكم ، أدعوكم إلى الجنَّة ، وأُحَذِّركمُ النَّار ، وآمرُكُمْ بحَقْنِ الدِّمَاء ، وصلةِ الأرحام ، وعبادةِ الله ، ورفض الأصنام ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهرٌ من اثنيْ عشرَ شهراً ؛ فمن أجابَ فله الجنَّة ، ومن عَصَى فله النار ؛ يا معشرَ جُهينة ، إنَّ الله ـ وله الحمد ـ جعلكم خيارَ مَنْ أنتم منه ، وبغَّضَ إليكم في جاهليّتِكم ما حُبِّبَ إلى غيركم من الرَّفَث ـ لأنهم كانوا يجمعونَ بين الأُخْتَين ، ويَخْلُفُ الرجلُ على امرأةِ أبيه ـ والتِّراتِ[٥] في الشهر الحرام ؛ فأجيبوا هذا النبيَّ المرسل ﷺ من بني لُؤَيِّ بن غالب ، تنالوا شرفَ الدنيا وكرامةَ الآخرة ، سارعوا وسارعوا في ذلك ، تكنْ في ذلك لكم فضيلةٌ عند الله . فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال : يا عمرَو بن مُرَّة ، أمَرَّ اللهُ عليك عَيْشَك ! أتأمرُنا أنْ نرفُضَ آلهتنا ، ونُفَرِّقَ جماعتنا بمخالفةِ دينِ آبائنا إلى ما يدعُو هذا القرشيُّ من أهل تهامة ؟ لا ، ولا مَرْحباً ولا كرامة ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

إنَّ ابنَ مُرَّة قد أتى بمقالةٍ ليستْ مقالةَ من يُريدُ صَلاحا
إني لأحسِبُ قولَهُ وفعالَهُ يوماً وإنْ طالَ الزمانُ رياحا
أتسفِّهُ الأشياخَ ممَّنْ قدْ مَضَى مَن رامَ ذلكَ لا أصابَ فَلاحا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أمَرَّ الله عيشه ، وأبْكَمَ لسانه ، وأكْمَهَ بصرَه . قال عمرو بن مُرَّة : واللهِ ما مات حتى سقط فُوه ، وكان لا يجدُ طعمَ الطعام ، وعمِيَ وخرِس .

وخرج عمرو بن مُرَّة ومَنْ أسلمَ من قومه حتى أتَوا النبي ﷺ ، فرحَّبَ بهم وحيَّاهم[٦] ، وكتب لهم كتاباً هذه[٧] نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من اللهِ على لسانِ رسولِ اللهِ ، بكتابِ

(١) مضى التعليق على ذلك في ص(١٢٨) ح(٢) .
(٢) مضى التعليق على ذلك في ص(١٢٨) ح(٣) .
(٣) سقط : بن مرة من ح .
(٤) في ح : على .
(٥) يعني : وبغض إليكم الترات ، وهي جمع تِرَة ، وهي الذَّحْل ، من قولهم : وترْتَهُ ، أي أدركته بمكروه ، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه . اللسان (وتر) .
(٦) في ط : وحباهم .
(٧) في ح : هذا .

صادق ، وحقٍّ ناطق ، مع عمرو بن مُرَّة الجُهَنيِّ لجُهينة بن زيد ، إنَّ لكم بُطُونَ الأرض وسُهولَها ، وتِلاعَ الأوديةِ وظهورَها ، ترعَوْن نباتَه ، وتشربونَ صافيه ، على أنْ تُقِرُّوا بالخُمس ، وتصلُّوا الصلواتِ الخَمْس ، وفي التِّيعَةِ والصُّريمة شاتان[١] إنِ اجتمعتا ، وإنْ تفرَّقتا[٢] فشاةٌ شاة . ليس على أهل المُثيرة[٣] صدَقة ، ليس الوردة اللبقة » . وشهد من حضرَنا من المسلمين بكتابِ قيس بن شماس رضي الله عنهم .

وذلك حين يقول عمرو بن مرة : [من الطويل]

ألــم تــرَ أنّ اللهَ أظهــرَ دِينَــهُ ... وبيَّــنَ بُـرْهــانَ القُـرانِ لعــامـرِ
كتـابٌ مـنَ الـرحمـنِ نـورٌ لجَمْعِنـا ... وأحْـلافِنـا فـي كُـلِّ بـادٍ وحَـاضـرِ
إلى خيرِ من يَمْشي على الأرض كلِّها ... وأفضلِهـا عنـد اعْتكـارِ الضَّـرَائـرِ[٤]
أطعنـا رسـولَ اللهِ لمَّـا تقطَّعَـتْ ... بطونُ الأعادي بالظُّبَى والخَواطِرِ[٥]
فنحنُ قبيلٌ قد بُني المجدُ حولَنا ... إذا اجتُلبت في الحرب هامُ الأكابرِ
بنو الحَرْبِ نَفْرِيها بأيدٍ طويلةٍ ... وبيـضٍ تـلالا فـي أكُـفِّ المغـاورِ
ترى حوله الأنصارَ تحمي أميرَهم[٦] ... بِسُمـر العـوالـي والصِّفَـاح البـواتِـرِ
إذا الحربُ دارت عند كلِّ عظيمةٍ ... ودارت رحـاهـا بـاللُّيُـوثِ الهـواصِـرِ
تبلَّــجَ منــهُ اللَّــونُ وازداد وجهـه ... كَمِثْـلِ ضيـاء البـدْرِ بيـنَ الـزواهـرِ

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدّثنا عبد الله ، حدّثنا أبو عبد الله ، حدّثنا المُجَالد بن سعيد والأجْلَح عن الشعبيّ ، حدّثني شيخٌ من جُهينةَ قال : مرض رجلٌ منا مرضاً شديداً فثَقُلَ ، حتى حفرنا له قبرَه ، وهيأنا أمْرَه ، فأُغمي عليه ثم فتح عينيه ، وأفاق فقال : أحفرتُمْ لي ؟ قالوا : نعم . قال : فمـا فعل القُصَل[٧] ـ وهو ابنُ عمٍّ له ـ قلنا : صالح ، مرَّ آنفاً يسألُ عنك . قال : أما إنَّه يُوشك أنْ يُجعل في حفرتي ، إنه أتاني آتٍ حين أُغمي عليَّ فقال : ابكِ هُبَل ، أما ترى حُفْرَتَك

---

(١) مضى التعليق على ذلك في ص(١٢٨) ح(٦ و٧) .
(٢) في ح : إن اجتمعا ، وإن تفرقا ، والمثبت من النهاية وط .
(٣) في ح ، ط : الميرة . والمثبت مما سبق ص(١٢٨) ح(٨) .
(٤) « الاعتكار » : الازدحام والكثرة ، وهي هنا بمعنى الاختلاط ، والضرائر : الأمور المختلفة ، كضرائر النساء لا يتفقن . قال ابن الأثير (٣/ ٢٨٤) : ويروى باللام . النهاية (عكر ، ضرر) .
(٥) « الظبى » : جمع ظبة ، وهي حد السيف . والخواطر : جمع خاطر وهو المتبختر ، من الخطران عند الصولة والنشاط ، وهو التصاول والوعيد . انظر اللسان (خطر ، ظبي) . ولفظ ح : الضبار الخواطر .
(٦) في الوفا : يحمون سربه .
(٧) الضبط من تبصير المنتبه (٣/ ١٠٨٠) .

تنْـتَل[١] ، وأمُك قد كادت تَثْكَل ؟ أرأيتَكَ إن حوّلْناها عنك بالمِحْوَل ، ثم ملأناها بالجَنْدَل ، وقذفنا فيها القُصَل ، الذي مَضَى فأجزأك ، وظنَّ أنْ لن يفعل ؟ أتشكرُ لرَبِّكَ وتُصَلّ ، وتدَعُ دينَ مَنْ أشرك وضَلّ ؟ قال : قلت : نعم . قال : قُمْ ، قد برئت . قال : فبرىء الرجل . ومات القُصَل فجُعل في حُفْرته .

قال الجُهَنيُّ : فرأيتُ الجُهنيَّ بعد ذلك يصلِّي ويسبُّ الأوثانَ ويقَعُ فيها[٢] .

وقال الأموي : حدّثنا عبد الله قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلس يتحدَّثون عن الجن ، فقال خُريم بن فاتك الأسدي : ألا أحدِّثك كيف كان إسلامي ؟ قال : بلى . قال : إني يوماً في طلب ذَوْدٍ لي ، أنا منها على أَثَر ، تنصَبُّ وتصعد[٣] ، حتى إذا كنت بأبْرَقِ العَزَّاف[٤] ، أنختُ راحلتي وقلت : أعوذُ بعظيم هذه البلدة ، أعوذ برئيس هذا الوادي ، فإذا بهاتف يهتف بي : [من الرجز]

ويحكَ ، عُذْ باللهِ ذي الجلالِ   والمجدِ والعلياءِ والإفضالِ
ثم اتلُ آياتٍ من الأنفال   ووحِّدِ اللهَ ولا تبالي

قال : فذُعرت ذُعْراً شديداً ، ثمَّ رجعتُ إلى نفسي فقلت : [من الرجز]

يا أيُّها الهاتفُ ما تقولُ ؟   أرَشَدٌ عندكَ أمْ تَضْليلُ ؟
بيِّنْ هداك اللهُ ما الحَوِيلُ[٥]

قال : فقال : [من الرجز]

هذا رسولُ الله ذو الخيراتِ   بِيَثْربٍ يَدْعُو إلى النَّجاةِ
يأمر بالبِرِّ وبالصَّلاةِ   ويَرْدَعُ الناسَ عن الهَناتِ[٦]

قال : قلت له : والله لا أبرَحُ حتى آتيَهُ وأؤمنَ به ، فنصبتُ رِجْلي في غَرْزِ[٧] راحلتي وقلت : [من الرجز]

أرشِدْني أرشِدْني هُديتا[٨]   لا جُعتَ ما عشتَ ولا عَرِيتا

---

(١) يقال : نثلوا حفرة فلان وانتثلوها : أي حفروا قبره . الأساس واللسان (نثل) .
(٢) إسناده ضعيف لجهالة من روى عنه الشعبي .
(٣) « تنصبّ » : تنحدر . انظر اللسان (صبب) .
(٤) في ح ، ط : العراق . وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر ومعجم البلدان (١/ ٦٨) وفيه : أبرق العزاف : ماء لبني أسد بن خزيمة ، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة ، يجاء من حومانة الدراج إليه . قالوا : وإنما سمي العزاف ، لأنهم يسمعون عزيف الجن .
(٥) « ما الحويل » : ما الحيلة ؟ والحويل : الحذق وجودة النظر ، والقدرة على دقة التصرف . اللسان (حول) .
(٦) في ط : ويزع ، وكلاهما بمعنى ، وهو الزجر والنهي والكف .
(٧) « الغرز » : ركاب الرَّحْل ، من جلد مخروز ، يعتمد عليه في الركوب . المعجم الوسيط (غرز) .
(٨) كذا في ح ، ط ، والبيت مضطرب الوزن ، ورواية أبي نعيم في الدلائل أشبه بالصواب وهي : أرشدني رُشْداً بها هُديتا .

ولا بـرحـتَ سيِّـداً مُقِيتـا   لا تُـؤثـرِ الخيـرَ الـذي أُتيتـا
على جميعِ الجِنِّ ما بَقِيتا

فقال : [من الرجز]

صـاحبَـكَ اللهُ وأدَّى رَحْلَكـا   وعظَّـمَ الأجْـرَ وعـافى نَفْسَكـا
آمِـنْ بـه أفلَـجَ ربِّـي حقَّكـا   وانْصُـرْهُ أعـزَّ ربِّـي نصْـرَكـا[١]

قال : قلت : مَنْ أنتَ عافاك الله ؟ حتى أخبرَهُ إذا قدِمتُ عليه ؟ فقال : أنا ملك بن ملك ، وأنا نَقيبُه على جِنِّ نَصِيبين . وكُفيت إبلَكَ حتى أضُمَّها إلى أهلك إنْ شاء الله . قال : فخرجتُ حتى أتيتُ المدينةَ يوم الجُمعة والناسُ أرسالٌ إلى المسجد ، والنبيُّ ﷺ على المنبر كأنه البدْر يخطُب الناس ، فقلت : أُنيخ على باب المسجد حتى يُصلي ، وأدخلُ عليه فأسلِّم وأُخْبره عن إسلامي ؛ فلما أنختُ خرج إليَّ أبو ذرٍّ فقال : مرحباً وأهلاً وسهلاً ، قد بَلَغَنا إسلامُك ، فادخُلْ فصلِّ . ففعلتُ ، ثم جئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرني بإسلامي . فقلت : الحمد لله . قال : « أما إنَّ صاحِبَك قد وفَى لك ، وهو أهْلُ ذلك ، وأدَّى اللهُ إبلَك إلى أهلك »[٢]

وقد رواه الطبراني في ترجمة خُرَيم بن فاتك من « معجمه الكبير » قائلاً[٣] : حدَّثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَرِيُّ[٤] ، حدّثنا محمد بن إبراهيم الشامي ، حدَّثنا عبد الله بن موسى الإسكندري ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرةَ قال : قال خُرَيْمُ بن فاتِك لعمرَ بن الخطاب : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أخبرك كيف كان بُدُوُّ إسلامي ؟ قال : بلى ، فذكره ، غيرَ أنه قال : فخرج إليَّ أبو بكرٍ الصدِّيق فقال : ادخلْ ، فقد بلغَنا إسلامُك . فقلت : لا أُحْسِنُ الطُّهُور . فعلَّمَني ، فدخلتُ المسجد ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ كأنه البدْرُ وهو يقول : « ما من مسلمٍ توضَّأ فأحْسَنَ الوُضُوء ، ثم صلَّى صلاةً يَحْفَظُها ويَعْقِلُها إلا دَخَلَ الجنَّة » فقال لي عمر : لتأتينِّي على هذا ببيِّنة أو لأُنكِّلَنَّ بك . فشهِدَ لي شيخَ قُريش عثمانُ بن عفَّان ، فأجازَ شهادَتَه .

---

(١) كذا في ح ، وفي ط : وانصره نصراً عزيزاً نصركا . وكلاهما مضطرب الوزن ، ولعل الصواب : وانصره نصراً عزَّ ربي نصركا . ورواية الدلائل : وانصر نبياً عزَّ ربي نصركا .

(٢) الخبر بنحوه في دلائل أبي نعيم (١/ ١٣٦) وأخرجه ابن عساكر مختصر ابن منظور (٨/ ٤١ ، ٤٢) . وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥١ ، ٢٥٢) . قال بشار : وإسناده معضل . وانظر رواية الطبراني التالية ، فهي من رواية محمد بن إبراهيم الشامي الكذاب .

(٣) المعجم الكبير رقم (٤١٦٥) .

(٤) في ح ، ط : اليسيري ، والمثبت من المعجم الكبير والمعجم الصغير ، والسير (١٤/ ٥٧) .

ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة[١] ، عن محمد بن تيم[٢] ، عن محمد بن خليفة ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك : حدثني بحديثٍ يعجبني[٣] فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم[٤] : حدَّثنا سليمان بن أحمد، حدَّثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي، حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شُرَحْبِيل ، حدَّثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَاني[٥] ، عن عبد الله بن الدَّيلمي قال : أتى رجلٌ ابنَ عباس فقال : بلغنا أنك تذكرُ سَطِيحاً ، تزعم أنَّ الله خلقه، لم يخلقْ من بني آدم شيئاً يشبهه ؟ قال: نعم، إنَّ الله خلق سَطيحاً الغسَّانيَّ لحماً على وضَم[٦] ، ولم يكن فيه[٧] عظمٌ ولا عصَب إلا الجُمْجُمة ، والكفَّان . وكان يُطْوَى من رجلَيْهِ إلى تَرْقُوَتهِ كما يُطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيءٌ يتحرَّكُ إلا لسانه . فلما أراد الخروجَ إلى مكة حُمل على وَضَمِه فأُتِي به مكة ، فخرج إليه أربعةٌ من قريش : عبد شمس وهاشم ابنا عبد مَنَاف بن قُصَيّ ، والأحوصُ بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص ، فانتمَوْا إلى غير نسَبِهم وقالوا : نحن أناسٌ من جُمَح ، أتيناك ، بلَغَنا قدومُك ، فرأينا أنَّ إتياننا إيَّاك حق لك واجبٌ علينا ، وأهْدَى إليه عقيل صفيحةً هنديَّة ، وصَعْدَة رُدَيْنيَّة ، فوضعت على باب البيت الحرام[٨] لينظروا ، أهل يراها سَطيحٌ أمْ لا ؟ فقال : يا عقيل ، ناولْني يدَك . فناولَه يدَه فقال :

---

(١) المعجم الكبير رقم (٤١٦٦) وفيه : محمد بن عفان ، وهو تحريف ، وترجمته في السير (١٤/ ٢١) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢١) قال فيه الذهبي : لم يصح .

(٢) في المعجم الكبير والمستدرك : محمد بن تسنيم الحضرمي . ولم أقف على ترجمة له ، وفي الميزان (٣/ ٤٩٤) : محمد بن تسنيم الوراق . قال الذهبي : لم أدر ما حاله ووافقه الحافظ في لسان الميزان .

(٣) في المعجم : تعجبني به .

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٥٢) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ٣٣) وقال : وأخرجه ابن عساكر . وهو في مختصره لابن منظور (٨/ ٢٩٧) .

(٥) في ح ، ط : الشيباني . بالشين المعجمة ، وكذا في الدلائل ، وهو تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٥/ ١١١) والأنساب (٧/ ٢١٥) والتقريب (٢/ ٣٥٥) وفيه : روايته عن الصحابة مرسلة .

(٦) « الوضم » : شرائح من جرائد النخل . هذا الشرح من رواية ابن عساكر ، وفي النهاية (٥/ ١٩٩) : الوضم : الخشبة التي يوضع عليها اللحم ، تقيه من الأرض . ومنه حديث عمر رضي الله عنه : إنما النساء لحم على وضم ، إلا ما ذُبَّ عنه . قال الأزهري : إنما خص اللحم على الوضم وشبه به النساء ، لأن من عادة العرب ، إذا نحر بعير لجماعة يقتسمون لحمه أن يقلعوا شجراً ويوضم بعضه على بعض ، ويُعضَّى اللحم - يفرَّق - ويوضع عليه ، ثم يُلقى لحمه عن عراقه ، ويقطَّع على الوضم ، هبراً للقَسْم ، وتؤجَّج النار ، فإذا سقط جمرها اشتوى من حضر شيئاً بعد شيء على ذلك الجمر ، لا يمنع منه أحد ، فإذا وقعت المقاسم حوَّل كل واحد قسمه عن الوضم إلى بيته ، ولم يعرض له أحد . فشبَّه عمر النساء وقلَّة امتناعهن على طلابهن من الرجال باللحم ما دام على الوضم .

(٧) زاد في ح هنا : . . . لحماً ولا عصب ولم يكن فيه .

(٨) في ح : فوضعت على باب الحرم .

يا عقيل ، والعالِمِ الخفيَّة ، والغافر الخطيَّة ، والذِّمَّةِ الوفيَّة ، والكعبةِ المبنيَّة ، إنك للجائي بالهديَّة ، الصفيحةِ الهندية ، والصعدةِ الرُّدَينيَّة . قالوا : صدقتَ يا سَطيح ، فقال والآتي[١] بالفَرَح ، وقوسِ قُزَح ، وسائرِ القُرَح[٢] ، واللَّطيم المُنْبَطِح[٣] ، والنَّخْلِ والرُّطَب والبَلَح ، إنَّ الغراب حيثُ مرَّ سَنَح ، فأخبر أنَّ القومَ ليسوا من جُمَح ، وأنَّ نسبَهُم من قريشٍ ذي البُطَح . قالوا : صدقتَ يا سَطيح ، نحن أهلُ البيت الحرام ، أتيناك لنزوركَ لما بَلَغنا من عِلْمِك ، فأخْبِرْنا عمَّا يكونُ في زماننا هذا ، وما يكون بعده ، فلعل أنْ يكونَ عندك في ذلك عِلْم . قال : الآن صدقتم ، خذوا مني ومن إلهام الله إيَّاي ، أنتم يا معشر العرب في زمان الهرَم ، سواءٌ بصائركم وبصائر العَجَم ، لا علم عندكم ولا فَهْم ، ويَنْشَؤُ من عَقِبكم ذوو فَهْم[٤] ، يطلبون أنواعَ العلم ، فيكسرون الصَّنَم ، ويبلغون الرَّدْم[٥] ، ويقتلون العُجْم ، يطلبون الغُنْم . قالوا : يا سَطيح ، فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذي الأركان ، والأمن والسكان[٦] لَيَنْشَؤُنَّ من عقبكم وُلْدان ، يكسرون الأوثان ، ويُنكرون[٧] عبادة الشيطان ، ويوحِّدُونَ الرحمن ، وينشُرون دينَ الدَّيَّان ، يُشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان[٨] . قالوا : يا سطيح ، من نَسْلِ مَنْ يكونُ أولئك ؟ قال : وأشرفِ الأشراف ، والمُحْصي للإسراف ، والمزعزعِ الأحْقَاف[٩] ، والمضعِفِ الأضعاف ، لَيَنْشَؤُنَّ الآلاف ، من عبدِ شمسٍ وعبدِ مَناف ، نُشوءاً يكون فيه اختلاف . قالوا : يا سوءتاهُ يا سَطيح ممَّا تخبرنا من العلم بأمرهم ! ومن أيِّ بلدٍ يخرج أولئك ؟ فقال : والباقي الأبَد ، والبالغِ الأمَد ، ليخرجَنَّ من ذا البلد ، فتىً يَهْدي إلى الرَّشَد ، يرفضُ يَغُوثَ والفَنَدْ[١٠] ، يبرأُ من عبادة الضدد ، يعبدُ ربّاً انفرد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً . ثم يلي أمره الصدِّيق إذا قضى صدق ، في ردِّ الحقوق لا خرِقٌ ولا نزِق ؛ ثم يلي أمره الحَنيف ، مُجَرَّبٌ غِطْريف ، ويترك قولَ العنيف[١١] . قد ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم يلي أمره داعياً لأمره مجرِّباً[١٢] . فتجتمع له جموعاً

---

(١) في ح والدلائل وابن عساكر : والآتِ والمثبت من ط .

(٢) كذا في ح ، ط وأظن رواية الخصائص وابن عساكر أشبه بالصواب ، وهي : والسابق القرَّح . والقرح : جمع قارح ، وهي من ذي الحافر ما استتم الخامسة ، والسابق هو الأول في الخيل في السباق . اللسان (قرح ، سبق) .

(٣) « اللطيم » : هو التاسع من سوابق النخيل ، وذلك أنه يلطم وجهه فلا يدخل السرادق . اللسان (لطم) .

(٤) في ح : دونهم ، وفي تاريخ ابن عساكر والخصائص : دَهْم . وهم الجماعة الكثيرة .

(٥) « الرَّدْم » : قرية بالبحرين . (معجم البلدان) .

(٦) في تاريخ دمشق والخصائص : والسلطان .

(٧) في تاريخ دمشق والخصائص : ويتركون .

(٨) كذا في ط وفي الدلائل: ويقتنون القيان، وسقطت العبارة من ح، وفي تاريخ دمشق والخصائص: ويسبقون العميان.

(٩) « الأحقاف » : جمع حقف ، وهو أصل الرمل وأصل الجبل وأصل الحائط . اللسان (حقف) .

(١٠) « يغوث » : من أصنام الجاهلية ، والفند : الخطأ في الرأي والقول ، والكذب .

(١١) زاد في رواية ابن عساكر هنا : يعني عمر .

(١٢) كذا في الدلائل وط ، وحُرّف في ح إلى : دراعاً لأمره محرماً ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : دارع لأمره =

وعُصَباً[١] ، فيقتلونه نِقمةً عليه وغضَباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبَحُ إزباً ، فيقوم به رجالٌ خُطَبا ، ثم يلي أمره الناصر[٢] ، ويخلطُ الرأيَ برأي النَّاكر[٣] ، يظهر في الأرض العساكر ؛ ثم يلي بعدَهُ ابنه ، يأخذُ جَمْعَه ، ويُقلُّ حمدَه ، ويأخذُ المالَ ويأكلُ وَحْدَه ، ويَكْثُرُ المالُ بعقبِه[٤] من بعده ؛ ثم يلي من [بعده عدةُ ملوك ، لا شكَّ ، الدَّمُ فيهم مسفوك ، ثم][٥] بعدهم الصُّعْلوك ، يطويهم كطيِّ الدُّرْنُوك[٦] ثم يلي من بعده عظهور[٧] ، يُقْصي الخلق[٨] ويُدْني مُضَر ، يفتتح الأرضَ افتتاحاً منكراً ، ثم يلي قصيرُ القامة ، بظهره علامة يموت موتاً وسلامة ؛ ثم يلي قليلاً باكر ، يترك الملك بائر[٩] ، يلي أخوه بسنَّته سائر ، يختص بالأموال والمنابر ، ثم يلي من بعدِهِ أَهْوَج ، صاحبُ دنيا ونعيم ، مُخَلَّج[١٠] ، يُثاوِرُه معاشرُه وذووه ، ينهضونَ إليه يخلعونَهُ بأخذِ الملك ويقتلونَه ، ثم يلي أمْرَهُ من بعده السابع ، يترك الملك مُخلًّى ضائع ، تثوَّرَ في ملكه كالمُشَوَّهِ جائع ، عند ذلك يطمعُ في الملك كلُّ عُرْيان ، ويلي أمْرَهُ اللَّهْفان ، يُوطىءُ[١١] نزاراً جمعَ قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان ، بين بَنْيان[١٢] ولُبْنان ، يُصنَّفُ اليمن يومئذ صنفان : صنف المَسَرَّة[١٣] ، وصنف المخذول ، لا ترى إلا حباء محلول[١٤] . وأسيراً مغلول[٤] . بين القراب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل [وتسلب الأرامل][١٥] ، وتُسقطُ الحوامل ، وتظهر الزلازل ،

= مجرِّب . وهو أشبه بالصواب .

(١) كذا في ح ، ط والدلائل ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : فيجتمع له جموع وعصب . وهو الصواب .

(٢) زاد رواية ابن عساكر : معاوية .

(٣) في تاريخ دمشق : ماكر .

(٤) في الدلائل : ويكنز المال لعقبه .

(٥) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٦) « الدرنوك » : ضرب من البسط ، له خمل قصير ، أو هو الطنافس . اللسان (درنك) ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : يطؤهم كوطأة الدرنوك .

(٧) كذا في ح ، ط ولا معنى له ، وأظن الصواب فيه : غضوَّر . ومعناه الأسد كما في التاج (غضر) ، ورواية تاريخ دمشق والخصائص : عضوض . من كان فيه عسف وظلم ، وهو أشبه بالصواب .

(٨) في ح ، ط : الحق . والمثبت من تاريخ دمشق والخصائص .

(٩) كذا في ح ، ط ويظهر على العبارة الاضطراب والتحريف ، والصواب ما جاء في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٩٩) : ثم يلي بُلْبُل ماكر ، يترك الملك مُخَلًّى بائر . والبلبل من الرجال الخفيف .

(١٠) « مخلج » : السمين ، فلحمه يضطرب . اللسان (خلج) .

(١١) في ح ، ط : يرضي . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .

(١٢) « بنيان » : قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . معجم البلدان (١/ ٥٠٢) ورواية تاريخ دمشق : بيسان . وهو أشبه بالصواب .

(١٣) كذا في ح ، وفي ط : المشورة ، وفي مختصر تاريخ دمشق المسوَّرة .

(١٤) كذا في ح ، ط والصواب : محلولا . . . مغلولا .

(١٥) ما بين المعقوفين سقط من ح .

وتطلبُ الخلافةَ وائل ، فتغضب نزار ، فتُدْني العبيدَ والأشرار ، وتُقْصي الأمثال والأخيار ، وتغلو الأسعارُ في صفَرِ الأصفار ، يُغَلُّ كلُّ جبَّار ، ثم يسيرون إلى خنادق وأنها ذاتُ أشعارٍ وأشجار ، تصد له الأنهار[١] ، ويهزمهم أوَّلَ النهار ، تظهر الأخيار ، فلا ينفعهم نومٌ ولا قرار . حتى يدخل مصراً من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجيء الرُّماة ، تلف مشاة ، لقتل الكماة ، وأسر الحماة ، وتهلك الغواة ، هنالك يدركُ في أعلى المياه . ثم يبور الدِّين ، وتُقلب الأمور ، ويكفر الزَّبُور ، وتُقطع الجسور ، فلا يفلت إلا مَنْ كان في جزائر البُحور ، ثم تبور الحُبوب ، وتظهر الأعاريب ، ليس فيهم مَعِيب[٢] ، على أهل الفسوق والريب ، في زمان عَصِيب ، لو كان للقوم حَيَا ، وما تُغْني المُنى . قالوا : ثم ماذا يا سَطيح ؟ قال : ثم يظهر رجلٌ من أهل اليمن كالشَّطَن ، يُذْهِبُ الله على رأسه الفتن .

وهذا أثرٌ غريب كتبناهُ لغرابته ، وما تضمَّنَ من الفتن والملاحم . وقد تقدَّم قصة شِقٍّ وسَطيح مع ربيعة بن نصر ، ملك اليَمن ، وكيف بشَّر بوجود رسولِ الله ﷺ وكذلك تقدَّم قصة سَطِيح مع ابن أُخته عبد المسيح حين أرسله ملك بني ساسان ، لارتجاسِ الإيوان ، وخُمود النيران ، ورؤيا الموبذان . وذلك ليلةَ مولدِ الذي نسخ بشريعته سائرَ الأديان[٣] .

باب كيف بدأ الوحي
إلى رسول الله ﷺ ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير[٤] عن ابن عباس وسعيد بن المسيِّب : أنه كان عمرُه إذْ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخاري[٥] : حدّثنا يحيى بن بُكَير ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : أوَّلُ ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوَحْي الرُّؤْيا الصالحة[٦] في النَّوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبْح ، ثمّ حُبِّبَ إليه الخَلاء ، فكان يخلو بغارِ حِراء فيَتَحنَّثُ فيه ـ وهو التعبُّد ـ اللياليَ ذواتِ العدَد ، قبل أنْ ينزِعَ إلى أهله ، ويتزوَّدُ لذلك ، ثم يرجع إلى خديجةَ فيتزوَّدُ

(١) في مختصر تاريخ دمشق : يعمِدُ لهم الأغيار .
(٢) في مختصر تاريخ دمشق : مُعين . وهو أشبه بالصواب .
(٣) تأمل هذه الأخبار فأكثرها مختلقة وإنما ساقها المصنف لغرابتها وليجمع كل ما قيل في هذا الموضوع ، فكن على حذر (بشار) .
(٤) يعني الطبري في تاريخه (٢/ ٢٩٢) .
(٥) فتح الباري رقم (٦٩٨٢) كتاب التعبير باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة .
(٦) وفي رواية : الصادقة . كما في الفتح وط .

لمثلها ، حتى جاءه[١] الحقُّ وهو في غار حِرَاءٍ ، فجاءه الملَكُ فقال : اقْرَأْ . فقال : « ما أنا بقارىء » قال : فأخذني فغطَّني[٢] حتى بَلَغ مني الجَهْد ، ثمّ أرسلني ، فقال : اقرأْ ، فقلتُ : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطَّني الثانيةَ حتى بلغ مني الجَهْد ، ثمّ أرسلني ، فقال : اقْرَأْ ، فقلتُ : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثمّ أرسلني فقال : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] ، فرجع بها رسولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُهُ ، فدخل على خديجة بنتِ خُويلد ، فقال : « زَمِّلُوني زَمِّلُوني » فزمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الرَّوْع ، فقال لخديجة ـ وأخبَرها الخبَر ـ : « لقد خَشِيتُ على نفسي » . فقالت خديجة : كلا والله ، لا يُخْزِيك اللهُ أبداً ، إنَّك لتصِلُ الرَّحِم ، وتَقْرِي الضَّيف ، وتَحْمِلُ الكَلّ ، وتَكْسِبُ المَعْدُوم ، وتُعينُ على نوائب الحقّ .

فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتتْ ورقةَ بنَ نَوْفَل بن أسد بنِ عبد العُزَّى ابنَ عمِّ خديجة ؛ وكان امرءاً قد تنصَّرَ في الجاهلية ، وكان يكتبُ الكتابَ العِبْرَانيّ[٣] ، فيكتب من الإنجيل بالعِبْرانيَّةِ ما شاءَ الله أنْ يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي ، فقالت له خديجة : يا ابنَ عمّ ، اسمَعْ من ابنِ أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خَبَر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس[٤] الذي كان ينزِلُ على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً[٥] ، ليتني أكونُ حيّاً إذْ يُخْرِجُكَ قومُك . فقال رسول الله ﷺ : « أو مُخرِجيَّ هم ؟ » فقال : نعم ، لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودي ، وإنْ يُدركني يومُكَ أنْصُرْك نصراً مُؤَزَّراً . ثم لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أنْ تُوفِّيَ ، وفَتر الوَحْيُ فترةً .

حتى حزنَ رسول الله ﷺ ـ فيما بلغَنا ـ حُزْناً غدا منه مِراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهِقِ الجبال ، فكلّما أوْفَى بذِرْوَةِ جبلٍ لكي يُلقي نفسَه تبدَّى له جِبْرِيلُ فقال : يا محمد ، إنَّك رسولُ الله حقاً فيسكنُ لذلك جَأْشُه ، وتَقِرُّ نفسُه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترةُ الوَحْي غَدا كمثلِ ذلك . قال : فإذا أوفى بِذِرْوةِ جبلٍ تبدَّى له جبريلُ فقال لهُ مثل ذلك .

---

(١) في الرواية الثانية المشار إليها في الحاشية (٢) السابقة والتي عند البخاري هي : حتى فَجِئَهُ الحق . ويبدو لي أن ابن كثير نقل هذه الأخيرة ، لأنه خصها بالشرح كما سيأتي (ص١٩٣) .

(٢) قال ابن حجر في الفتح (١/ ٢٤) : وفي رواية الطبري بتاء مثناة من فوق ، كأنه أراد ضمني وعصرني ، والغط : حبس النفس ، ومنه غطه في الماء ، أو أراد غمني ومنه الخنق . ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن . فأخذ بحلقي . اهـ .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (١/ ٢٥) : وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية . ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربي . والجميع صحيح ، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية .

(٤) « الناموس » : صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره ، كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء . انظر الفتح (٦/ ٤٢٢ و١/ ٢٦) وموضع الحاشية (٥) في المتن ص(١٩٦) من هذا الجزء .

(٥) يا ليتني فيها جذع : كذا في رواية الأصيلي ، وعند الباقين : جذعاً . بالنصب على أنه خبر كان المقدرة . قاله الخطابي . فتح الباري (١/ ٢٦) .

هكذا وقع مطوَّلاً في بابِ التعبير من البخاري[١] .

قال ابنُ شهاب[٢] : وأخبرني أبو سَلَمَة بنُ عبدِ الرحمن ، أنَّ جابرَ بنَ عبدِ الله الأنصاريَّ قال ـ وهو يحدِّثُ عن فَتْرةِ الوحي ـ فقالَ في حديثه : « بينا أنا أمشي ، إذْ سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعتُ بَصَري فإذا الملَكُ الذي جاءَني بحِرَاء جالسٌ على كُرْسيٍّ بينَ السماءِ والأرض . فرُعِبْتُ منه ، فرجعتُ فقلت : زَمِّلوني ، زَمِّلوني ، فأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٥] فَحمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَع » . ثمّ قال البخاري : تابعَهُ عبدُ الله بن يوسف ، وأبو صالح ـ يعني عن اللَّيث ـ وتابعه هِلالُ بنُ رَدَّاد ، عن الزُّهْري . وقال يونس ومعمر : بوادِرُه .

وهذا الحديث قد رواهُ الإمامُ البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه[٣] ، وتكلَّمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري في كتابِ بَدْء الوحي إسناداً ومتناً . ولله الحمد والمِنَّة .

وأخرجه مسلم في « صحيحه »[٤] من حديث اللَّيث به ، ومن طريق يونس ومَعْمَر ، عن الزُّهْري كما علَّقَهُ البخاري عنهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زياداتِ مسلم ورواياتِه ، ولله الحمدُ ، وانتهى سياقُهُ إلى قول ورقة : أنصرُك نصراً مُؤَزَّراً .

فقول أمِّ المؤمنين عائشة : أوَّلُ ما بُدىء به من الوحي الرؤيا الصادِقة ، فكان لا يَرَى رؤيا إلا جاءتْ مثل فَلَقِ الصُّبْح ، يُقَوِّي ما ذكَرَهُ محمد بن إسحاق[٥] بن يسار ، عن عُبيد بن عُمير اللَّيثي ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « فجاءني جِبْريلُ وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب[٦] . فقال : اقرأ . فقلتُ : ما اقرأُ ؟ فغتَّني ، حتى ظننت أنَّه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحوَ حديثِ عائشة سواء .

فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعدَهُ من اليَقَظَة ، وقد جاء مصرَّحاً بهذا في مغازي موسى بن عُقْبَةَ عن الزُّهري ، أنه رأى ذلك في المنام ثمّ جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظُ أبو نُعيم الأصبهاني في كتابه « دلائل النبوة »[٧] : حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن ،

---

(١) جمع ابن كثير في هذه الرواية بين روايتين عند البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب التعبير كما أشرت آنفاً والزيادة في الحديث من قوله : حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا إلى آخرة من بلاغات الزهري رقم (٦٩٨٢) في التعبير وليست موصولة ، فهي منقطعة .

(٢) يعني الزهري كما في الحديث السابق وبسنده المذكور آنفاً وهو في البخاري رقم (٤) كتاب بدء الوحي .

(٣) أرقامه في فتح الباري (٣٢٣٨ ، ٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٢٤ ، ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ ، ٤٩٥٤ ، ٦٢١٤) .

(٤) صحيح مسلم (٢٥٢ ـ ١٦٠) الإيمان باب بدء الوحي ، ورقم (٢٥٣ و٢٥٤) .

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٦) والروض (١/ ٢٦٨) .

(٦) « النمط » : ضرب من البسط له خَمْل رقيق ، أو ثوب من صوف ملوَّن له خمل رقيق . النهاية (٥/ ١١٩) والتاج (نمط) .

(٧) ليس في المطبوع منه .

حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا مِنْجَاب[١] بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ، قال : إنَّ أولَ ما يُؤتى به الأنبياءُ في المنام ، حتى تهدأ قلوبُهم ، ثم ينزِلُ الوحي بَعْدُ . وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسِه ، وهو كلامٌ حسن ، يؤيِّدُه ما قبله ويؤيده ما بعده .

ذكر عمرِه ﷺ وقت بعثتِه وتاريخها

قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا محمد بن أبي عدي ، عن داودَ بن أبي هند ، عن عامر الشَّعْبي : أنَّ رسولَ الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابنُ أربعين سنة ، فقرن بنبوَّتِهِ إسرافيل ثلاثَ سنين ، فكان يعلِّمُه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضتْ ثلاثُ سنين قرن بنبوته جِبريل ، فنزل القرآنُ على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاثٍ وستينَ سنة .

فهذا إسنادٌ صحيح إلى الشعبي ، وهو يقتضي أنَّ إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثمّ جاءَهُ جبريل[٣] .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا يُنافي هذا ، فإنه يجوز أنْ يكونَ أول أمره الرُّؤْيا ، ثم وُكِّل به إسرافيلُ في تلك المُدَّة التي كان يخلو فيها بِحرَاء ، فكان يُلقي إليه الكلمة بسرعة ، ولا يقيمُ معه ، تدريجاً له وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل ، فعلَّمه بعد ما غطَّه ثلاثَ مرَّات ، فحكَتْ عائشةُ ما جرى له مع جِبْرِيلِ ، ولم تحكِ ماجرى له مع إسرافيلَ اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا يحيى عن هشام[٥] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أُنزل على النبي ﷺ

---

(١) في ط : جناب . تصحيف ، والمثبت من ح ، ورواية منجاب عن عبد الله بن الأجلح ، ورواية ابن أبي شيبة عنه ثابتة في ترجماتهم في السير (١٤/ ٢١) وتهذيب الكمال (١٤/ ٧٩) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٧) .

(٢) أخذه المصنف من دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٣٢) الذي رواه عن ابن بشران ، عن ابن السماك ، عن حنبل بن إسحاق ، عن الإمام أحمد . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٩١) عن المعلى بن أسد العمي ، أخبرنا وهيب بن خالد عن داود به . وقال ابن سعد بعد إيراده الخبر : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي ﷺ ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون : لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض ﷺ اهـ .

(٣) لكنه مرسل ، فلا يحتج به (بشار) .

(٤) في المسند (١/ ٢٢٨) .

(٥) في ط : « يحيى بن هشام » ، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه من المسند ، ويحيى هو ابن سعيد القطان ، وهشام هو ابن حسان (بشار) .

وهو ابن ثلاثٍ وأربعين ، فمكث بمكةَ عشراً وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين[١]

وهكذا روى يحيى بن سعيد، عن سعيد[٢] بن المسيِّب . ثمّ رواهُ أحمد[٣] ، عن غُنْدر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وهو ابنُ أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عفّان ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، أخبرنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أقام النبيُّ ﷺ بمكة خمسَ عشرةَ سنةً ، سبعَ سنين يرَى الضَّوءَ ويسمع الصوت ، وثماني سنين يُوحَى إليه ، وأقام بالمدينة عشرَ سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسولُ الله ﷺ يرى عجائبَ قبلَ بعثتِه ، فمن ذلك ما في صحيح مسلم[٥] عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعْرِفُ حَجَراً بمكةَ كان يُسَلِّم عليَّ قبلَ أنْ أُبْعَث ، إني لأعْرِفُه الآن » . انتهى كلامُه .

وإنما كان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ الخَلاءَ والانفرادَ عن قومه ، لِمَا يراهم عليهِ من الضَّلال المُبين ، من عبادةِ الأوثان والسجود للأصنام ، وقويَتْ مَحبَّتُه للخَلْوَة عند مقاربة إيحاء الله إليه ، صلواتُ الله وسلامه عليه .

وقد ذكر محمد بن إسحاق[٦] عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العَلاء بن جارية[٧] ـ قال : وكان واعية ـ عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله ﷺ يخرجُ إلى حِرَاء في كلِّ عام شهراً من السنة يتنسَّكُ فيه ـ وكان مِنْ نُسُكِ قريشٍ في الجاهلية ـ يُطْعِمُ مَنْ جاءَهُ من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورتِهِ ، لم يدخلْ بيتَهُ حتى يطوفَ بالكعبة .

---

(١) هذا مما أخطأ فيه يحيى بن سعيد القطان على جلالة قدره ، فقد خالفه يزيد بن هارون عند ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٣) و(١٤/ ٢٩١) ، والنضر بن شميل عند البخاري (٣٦٢١) ، وابن أبي عدي عند الترمذي (٣٦٢١) وروح بن عبادة عند أحمد (١/ ٣٧١) وغيرهم فرووه عن هشام : « وهو ابن أربعين » ، وهو الصحيح الذي عليه الجمهور (بشار) . وانظر الذي بعده .

(٢) في ط : « وسعيد » خطأ ، والصواب ما أثبتنا ، والرواية في دلائل النبوة للبيهقي من طريق الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب (١/ ١٣٢) (بشار) .

(٣) في المسند (١/ ٢٣٦ و٢٤٩) .

(٤) في المسند (١/ ٢٧٩) وأخرجه أيضاً عن حسن عن حماد به في (١/ ٢٩٤) وعن أبي كامل عن حماد به في (١/ ٣١٢) .

(٥) صحيح مسلم (٢ ـ ٢٢٧٧) الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ .

(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٤) والروض (١/ ٢٦٦) ويرويه ابن كثير هنا بالمعنى . سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٥ و٢٣٦) عن وهب بن كيسان كما سيأتي .

(٧) في ح ، ط : حارثة . تصحيف ، والمثبت من التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٤٢١) والإصابة في ترجمة جده العلاء وسيرة ابن هشام .

وهكذا رُوي عن وهب بن كيسان ، أنَّهُ سمع عُبيد بن عُمير يحدِّثُ عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدلُّ على أن هذا كان من عادة المتعبِّدين في قريش ، أنهم يجاورون في حِرَاء للعبادة ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة[١] :

وثورٍ ومَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانَهُ   وراقٍ ليرْقَى في حِرَاءَ ونازِلِ

هكذا صوَّبه على رواية هذا البيت ، كما ذكره السُّهيلي وأبو شامة وشيخُنا الحافظ أبو الحجَّاج المِزِّي رحمهم الله ، وقد تصحَّف على بعض الرواة فقال فيه : وراقٍ ليرقى في حر ونازل ـ وهذا ركيك ومخالف للصواب . والله أعلم .

وحِرَاء يُقْصَر ويُمَدُّ ، ويُصرف ويُمنع ، وهو جبلٌ بأعلى مكة ، على ثلاثةِ أميالٍ منها ، عن يسار المارِّ إلى منى ، له قُلَّةٌ مشرفةٌ على الكعبة منحنية ، والغار في تلك المحنيَّة ، وما أحسن ما قال رُؤْبَة بن العَجَّاج[٢] :

فــلا وربِّ الآمِنــاتِ القُطَّــنِ   وربِّ رُكـنٍ مـن حِـرَاءَ مُنْحني

وقوله في الحديث : والتحنُّث : التعبد ، تفسيرٌ بالمعنى ، وإلَّا فحقيقة التحنُّث من حيثُ البِنْيَة فيما قاله السُهيلي[٣] : الدخول في الحِنْث ، ولكنْ سمعتُ ألفاظاً قليلةً في اللغة معناها الخروجُ من ذلك الشيء ، فتحنَّثَ : أي خرج من الحِنْث ، وتحوَّب ، وتحرَّج ، وتأثَّم ، وتهجَّد ، وهو تَرْكُ الهُجود ، وهو النوم للصلاة ، وتنجَّس وتقذَّر ، أوردها أبو شامة .

وقد سُئل ابنُ الأعرابي عن قوله يتَحَنَّث ، أي يتعبَّد ؟ فقال : لا أعرف هذا ، إنما هو يتحنَّف من الحنيفيَّة دينِ إبراهيم عليه السلام .

قال ابنُ هشام[٤] : والعربُ تقول : التحنُّث والتحنُّف ، يُبْدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جَدَث ، وجَدَف[٥] ، كما قال رُؤْبة[٦] :

لو كان أحجاري مع الأجْدَافِ

يريد الأجداث . قال : وحدَّثني أبو عُبيدة أنَّ العرب تقول : فُمَّ في موضع ثُمَّ .

قلت : ومن ذلك قول بعضِ المفسرين وفُومها أنَّ المراد ثومها .

---

(١) وهي قصيدة نشرت في ديوان شيخ الأباطح والبيت فيه (ص٣) وروايته : وعير وراق في حراء ونازل .

(٢) ديوان رؤبة (ص١٦٣) والبيتان هما ١١٣ و١١٦ من القصيدة ، وفيه : ورب وجه من حراء منحني .

(٣) الروض (١/ ٢٦٧) وقد نقل عنه ابن كثير بالمعنى .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٥) .

(٥) زاد ابن هشام في سيرته : يريدون القبر .

(٦) ديوان رؤبة (ص١٠٠) رقم البيت (٤٠) وروايته : لو كان أحجارٌ .

وقد اختلف العلماءُ في تعبُّده عليه السلام قبل البعثة ، هل كان على شرعٍ أم لا ؟ وما ذلك الشرع ؟ فقيل شرع[١] نوح ، وقيل شرع[١] إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى ، وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل : كلُّ ما ثبت أنه شرعٌ عنده اتَّبعه وعمل به ، ولبسطِ هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أُخر في أصول الفقه والله أعلم .

وقوله : حتى فجِئَهُ الحقُّ وهو بغارِ حِرَاء[٢] ؛ أي جاء بغتةً على غير موعد كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ الآية [القصص : ٨٦] .

وقد كان نزولُ صَدْر هذه السورة الكريمة وهي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] . وهي أولُ ما نزل من القرآن كما قرَّرْنا ذلك في « التفسير »[٣] ، وكما سيأتي أيضاً في يوم الاثنين كما ثبتَ في صحيح مسلم[٤] عن أبي قتادة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن صوم يومِ الاثنين ؟ فقال : « ذاكَ يومٌ وُلدتُ فيه ، ويومٌ أُنْزِلَ عليَّ فيه » .

وقال ابن عباس[٥] : وُلد نبيُّكم محمدٌ ﷺ يومَ الاثنين ، ونُبِّيءَ يومَ الاثنين .

وهكذا قال عُبيد بن عُمير ، وأبو جعفر الباقر ، وغيرُ واحدٍ من العلماء : إنه عليه الصلاة والسلام أوحي إليه يوم الاثنين . وهذا ما لا خلافَ فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك في شهر ربيع الأول كما تقدَّم عن ابن عباس وجابر أنَّه وُلد عليه السلام ، في الثاني عشرَ من ربيعِ الأول يوم الاثنين ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء : والمشهور أنه بُعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان ، كما نص على ذلك عُبيد بن عُمير ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك[٦] بما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] فقيل في ثاني عشرة .

وروى الواقديُّ بسنده[٧] عن أبي جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ يومَ الاثنين ، لسبعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من رمضان .

وقيل : في الرابع والعشرين منه .

---

(١) سقطت اللفظة من ح .
(٢) يعني في حديث البخاري المتقدم (ص١٨٨) ح(١) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٧) تفسير سورة اقرأ .
(٤) تقدم الحديث في (ص٣٠) في موضع الحاشية (٤) من هذا الجزء .
(٥) حديث ابن عباس وتخريجه في ص(٣٠ ح٥) من هذا الجزء ، وسيأتي في ص (٤٤٠) .
(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٩) والروض (١/ ٢٧٥) .
(٧) طبقات ابن سعد (١/ ١٩٤) .

قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدّثنا عمران أبو العوَّام ، عن قتادة ، عن أبي المَليح ، عن واثِلَةَ بنِ الأسْقَع ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أُنْزِلَتْ صُحف إبراهيم في أولِ ليلةٍ من رمضان ، وأُنْزِلت التوراةُ لستٍّ مضَيْنَ من رمضان ، والإنجيل لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلتْ من رمضان ، وأُنزل القرآن[٢] لأربعٍ وعشرين خلَتْ من رمضان » .

وروى ابنُ مردويه في « تفسيره » ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه ؛ ولهذا ذهب جماعةٌ من الصحابة والتابعين ، إلى أنَّ ليلةَ القدر ليلةُ أربعٍ وعشرين .

وأما قول جبريل (اقْرَأْ) فقال : « ما أنا بقارىء » فالصحيح أنَّ قوله « ما أنا بقارىء » نَفْيٌ ، أيْ لستُ ممن يُحسن القراءة . وممن رجَّحه النووي ، وقَبْلَه الشيخ أبو شامة ؛ ومَنْ قال : إنها استفهامية ، فقوله بعيد ، لأنَّ الباء لا تزاد في الإثبات . ويؤيد الأولَ روايةُ أبي نعيم[٣] من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله ﷺ ـ وهو خائف يُرْعَد ـ : « ما قرأتُ كتاباً قطُ ولا أُحْسِنُه ، وما أكتبُ وما أقرأ » فأخذَهُ جبريل فَغَتَّهُ غتّاً شديداً . ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد ﷺ : « ما أرى شيئاً أقرؤه ، وما أقرأ ، وما أكتب » ـ يُروى فغطَّني كما في الصحيحين وغتَّني ، ويُروى قد غتَّني ، أي : خنقَني « حتى بلغَ مني الجهد » يُروى بضمِّ الجيم وفتحها وبالنَّصْب وبالرفع ـ وفعل به ذلك ثلاثاً .

قال أبو سليمان الخطابي[٤] : وإنما فعل ذلك به ليبلُوَ صَبْرَه ، ويُحسنَ تأديبهَ ، فيرتاضَ لاحتمالِ ما كلَّفه به من أعباء النبوَّة ؛ ولذلك كان يَعْتَريه مثلُ حالِ المَحْموم ، وتأخذُه الرُّحَضَاء ـ أي : البُهْر والعَرَق ـ .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور : منها أنْ يستيقظ لعظَمَةِ ما يُلقَى إليهِ بعد هذا الصَّنيع المُشِقِّ على النفوس ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ولهذا كان عليه الصلاةُ والسلامُ إذا جاءَهُ الوَحْيُ يَحْمَرُّ وَجْهُه ، ويَغطُّ كما يَغطُّ البَكْرُ من الإبل[٥] ، ويتفصَّدُ جَبينُهُ عَرقاً في اليوم الشديد البَرْد .

وقوله[٦] : فرجع بها رسولُ الله ﷺ إلى خديجة يَرْجُفُ فؤادُه . وفي رواية : بَوَادِرُه ، جمع بادِرَة ، قـال أبو عبيدة : وهي لحمة بين المنكب والعُنق . وقال غيره : هو عروقٌ تضطرب عند الفَزَع ، وفي

---

(١) مسند أحمد (٤/ ١٠٧) . قال بشار : وإسناده ضعيف ، فقد تفرد به عمران بن داور القطان ، وهو ممن لا يحتمل تفرده لضعفه كما بيناه مفصلاً في تحرير التقريب (٣/ ١١٤) ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً ، أخرجه ابن عساكر من طريق علي بن أبي طلحة ، فهو به حسن انظر (مختصر تاريخ ابن عساكر) (٣/ ٣٥٨) .

(٢) في المسند : الفرقان .

(٣) ليس الخبر في المطبوع من الدلائل .

(٤) لم أجد قول الخطابي في كتابيه معالم السنن وغريب الحديث .

(٥) « يغط » : من الغطيط ، وهو الصوت الذي يخرج مع نَفَس النائم ، وهو ترديده حيث لا يجد مساغاً . والبَكْر : الفتيُّ من الإبل . النهاية واللسان (غطط ، بكر) .

(٦) أي في الحديث الذي أورده آنفاً .

بعض الروايات ترجُف بآدِلُه ، واحدتها بَأْدَلَة . وقيل بَأْدَل ، وهو ما بين العُنق والتَّرْقُوة ، وقيل : أصْلُ الثَّدي ، وقيل : لحم الثَّدْيَيْن ، وقيل غير ذلك .

فقال : « زَمِّلُوني زَمِّلُوني » فلما ذهب عنه الرَّوْعُ قال لخديجة : « ما لي ؟ أيُّ شيءٍ عَرَضَ لي ؟ » وأخبرها ما كان من الأمر . ثمّ قال : « لقد خَشِيتُ على نفسي » ، وذلك أنه شاهَدَ أمراً لم يَعْهَدْهُ قبل ذلك ، ولا كان في خَلَدِه ، ولهذا قالت خديجة : أبْشِرْ ، كلا والله لا يُخْزِيكَ اللهُ أبداً . قيل من الخِزْي ، وقيل من الحُزن ، وهذا لعلمها بما أجرى اللهُ به جميلَ العوائدِ في خَلْقِهِ ، أي : مَنْ كان متصفاً بصفات الخير لا يَخْزَى في الدنيا ولا في الآخرة . ثم ذكرتْ له من صفاتِه الجليلةِ[١] ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : إنك لتصِلُ الرَّحِم ، وتَصْدُقُ الحديث ـ وكان مشهوراً بذلك صلواتُ الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق ـ وتحمِلُ الكَلَّ ؛ أي : عن غيرِك ، تُعطي صاحبَ العَيْلَةِ[٢] ما يُريحُهُ من ثِقَلِ مُؤْنَةِ عِياله ـ وتَكْسِبُ المَعْدُوم ، أي تسبقُ إلى فعل الخير ، فتبادر إلى إعطاء الفقير ، فتكسب حسنَتَه قبل غيرك . ويسمَّى الفقيرُ مَعْدُوماً لأنَّ حياتَهُ ناقصة ، فوجودُهُ وعَدَمُه سواء ، كما قال بعضهم[٣] : [من الخفيف]

ليس مَن مات فاستراحَ بمَيْتٍ إنَّمـا الميْـتُ مَيِّـتُ الأحْيَـاءِ

وقال أبو الحسن التّهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم : [من الخفيف]

عُـدَّ ذا الفقـرِ ميِّتـاً ، وكُسَـاهُ كَفَنـاً بـاليـاً ، ومـأواهُ قَبْـرا[٤]

وقال الخطابي[٥] : الصواب : وتكسب المعدوم ، أي : تبذلُ إليه ، أو يكون : وَتكسِبُ المعدمَ بعطيه مالاً يعيشُ به . واختار شيخُنا الحافظ أبو الحجاج المِزِّي أنَّ المراد بالمعدوم هاهنا المال المُعْطى ، أي : يُعطي المال لمن هو عادِمُه . ومن قال : إن المراد تَكْسِبُ باتِّجَارِكَ المالَ المعدوم ، أو النفيس ، القليل النظير ، فقد أبْعَدَ النُّجْعَة ، وأغْرَقَ في النَّزْع[٦] ، وتكلَّف ما ليس له به علم ، وإنَّ مثل هذا لا يُمدَحُ به غالباً ، وقد ضعَّف هذا القول عياضٌ والنووي وغيرُهما ، والله أعلم .

---

(١) في ح : الجميلة .
(٢) « العَيْلَة » : الفقر والحاجة .
(٣) هو عدي بن الرعلاء الغساني ، قاله في عدة أبيات أوردها الحافظ ابن عساكر في ترجمته ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٦/ ٣٠٦) وتخريجها فيه وفي الحماسة الشجرية (١/ ١٩٤) .
(٤) البيت من قصيدة في ديوان أبي الحسن التهامي (ص٣٧) يمدح بها الشريف أبا عبد الله محمد بن الحسين النصيبي المتوفى سنة ٤٠٨هـ .
(٥) لم أجد قول الخطابي في كتابيه معالم السنن وغريب الحديث .
(٦) النِّجعة في الأصل : طلب الكلأ ومساقط الغيث ، وأبعد : اشتط وذهب بعيداً . والمراد هنا : أي اشتط في طلب هذا المعنى . وأغرق في النزع : أي أغرق النازع في قوسه ، أي استوفى مدها ليصيب هذا المعنى البعيد ، وهو يضرب مثلاً للغلو والإفراط التاج (نجع ، بعد ، غرق) .

وتَقْري الضَّيْف ـ أي : تُكرِمُه في تقديم قِرَاه ، وإحسان مأواه . وتُعينُ على نوائب الحق . ويُروى : الخير . أي : إذا وقعتْ نائبةٌ لأحدٍ في خير أعنتَ فيها ، وقمتَ مع صاحبها حتى يجد سِدَاداً من عَيْش ، أو قِوَاماً من عيش ، وقوله : ثم أخذَتْهُ فانطلقتْ به إلى ابن عمِّها وَرَقَة بن نوفل ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي . وقد قدَّمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نُفَيل رحمه الله[(١)] ، وأنَّهُ كان ممنْ تنصَّر في الجاهلية ففارقهم ، وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو ، وعثمان بن الحُويرث ، وعُبيد الله بن جَحْش ، فتنصَّرُوا كلُّهم ، لأنهم وجدوه أقربَ الأديانِ إذْ ذاك إلى الحق ، إلا زيد بن عمرٍو بن نُفيل فإنه رأى فيه دَخَلاً وتخبيطاً[(٢)] وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً . فأبَتْ فِطْرَتُه الدخولَ فيه أيضاً ، وبشَّروه : الأحبارُ والرهبانُ[(٣)] بوجودِ نبيٍّ قد أزِفَ زمانُه ، واقتربَ أوَانُه ، فرجع يتطلَّبُ ذلك ، واستمرَّ على فطرته وتوحيده ، لكن اخترمَتْهُ المنيَّةُ قبلَ البِعْثَةِ المحمدية ؛ وأدركها ورقةُ بن نوفل ، وكان يتوسَّمُها في رسول الله ﷺ كما قدَّمنا بما كانتْ خديجةُ تَنْعَتُه له وتصفُه له ، وما هو منطوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة ، وما ظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع أخذتْ بيدِ رسولِ الله ﷺ وجاءتْ به إليه ، فوقفت به عليه ، وقالت : ابنَ عم[(٤)] ، اسمعْ من ابنِ أخيك . فلما قصَّ عليه رسولُ الله ﷺ خبَرَ ما رأى قال ورقة : سُبُّوح سُبُّوح ! هذا الناموسُ الذي أُنزل على موسى ـ [والناموسُ في اللغة : هو الرسول في الخير ؛ والجاسوس : هو الرسول في الشر ـ وقال : الذي أنزله على موسى][(٥)] ، ولم يذكُره عيسى ، وإنْ كان متأخِّراً بعد موسىٰ ، لأنه كانت شريعتُه مُتَمِّمَةً ومكمِّلةً لشريعةِ موسى عليهما السلام ، ونسختْ بعضَها على الصحيح من قول[(٦)] العلماء . كما قال : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران : ٥٠] . وقولُ ورَقَةَ هذا كما قالت الجن : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٣٠] .

ثم قال ورقة : يا ليتني فيها جَذَعاً[(٧)] . أي : يا ليتني أكونُ اليومَ شاباً متمكِّناً من الإيمان والعِلْم النافع والعملِ الصالح ، يا ليتني أكون [اليوم شاباً متمكِّناً][(٨)] حَيّاً حين يُخرجك قومُك ، يعني حتى أخرجَ معك

---

(١) ط (٢/ ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٢) الدَّخَل ، محركة : الفساد والعيب والرِّيبة . والتخبيط : من الخبط في الظلام ، وهو السير على غير هدى : اللسان (دخل ، خبط) .

(٣) كذا في ح ، ط ، وهو على لغة من قال : أكلوني البراغيث .

(٤) في ح : أي عم .

(٥) ما بين المعقوفين مستدرك في هامش ح .

(٦) في ح : قولي .

(٧) انظر (ص١٨٨ ح٥) .

(٨) ما بين المعقوفين مستدرك في هامش ح .

وأنصرَكَ . فعندها قال رسول الله ﷺ : « أوَ مُخْرِجيَّ هُمْ ؟ » قال السُّهَيْلي[١] : وإنما قال ذلك ، لأن فراقَ الوطن شديدٌ على النفوس . فقال : نعم ، إنَّهُ لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودي ، وإنْ يُدْركني يومُكَ أنْصُرْكَ نصراً مؤزَّراً . أي : أنصركَ نصراً عَزيزاً أبداً .

وقوله : ثم لم ينشَبْ ورقَةُ أنْ تُوفِّي ، أي : تُوفِّي بعدَ هذه القصة بقليل[٢] رحمه الله ورضي عنه ، فإنَّ مثلَ هذا الذي صَدَر عنه ، تصديقٌ بما وجدوا ، إيمانٌ بما حَصَل من الوحي ، ونيَّةٌ صالحة للمستقبل .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا حسن ، عن ابن لَهِيعة ، حدّثني أبو الأسود ، عن عروة ، عن عائشة ، أنَّ خديجةَ سألتْ رسولَ الله ﷺ عن ورقَةَ بن نَوْفَل فقال : « قَدْ رأيتُهُ [في المنام] فرأيتُ عليه ثيابَ بَيَاضٍ ، فأحسَبُهُ لو كانَ من أهلِ النارِ لَمْ يَكُنْ عليه ثيابُ بَيَاض » .

وهذا إسنادٌ حسن[٤] ، لكنْ رواهُ الزُّهْري وهشام عن عروة مرسلاً . فالله أعلم .

وروى الحافظُ أبو يَعْلَى[٥] عن سُرَيج[٦] بن يونس ، عن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن ورَقَةَ بن نَوْفل فقال : [قد رأيتُهُ فرأيتُ عليه ثيابَ بَيَاضٍ][٧] ، أبْصَرْتُهُ في بُطْنَانِ الجنَّةِ وعليه السُّنْدُس »[٨] . وسُئل عن زيد بن عمرِو بنِ نُفيل فقال : « يُبْعَثُ يومَ القيامةِ أُمَّةً وَحْدَه »[٩] . وسئل عن أبي طالب [هل تَنْفَعُهُ نُبوَّتُك ؟] فقال : « [نعم] أخْرَجْتُهُ من غَمْرَةٍ من جهنم إلى ضَحْضَاحٍ منها » . وسئل عن خَدِيجة ـ لأنَّها ماتَتْ قَبْلَ الفَرَائِضِ وأحكامِ القرآن ـ فقال : « أبْصَرْتُها على نَهَرٍ في الجنَّة ، في بيتٍ من قَصَب ، لا صَخَب فيه ولا نَصَب » . إسنادٌ حَسَن[١٠] ، ولبعضه شواهِدُ في الصَّحِيح . والله أعلم .

---

(١) الروض الأنف (١/ ٢٧٦) .

(٢) ليست اللفظة في ح .

(٣) مسند أحمد (٦/ ٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) هكذا قال رحمه الله ، ومن أين يأتيه الحسن وهو من رواية ابن لهيعة وهو ضعيف ، بل الصواب ما ذكره المصنف بعد هذا أن الزهري رواه مرسلاً (أخرجه عبد الرزاق ٩٧٠٩) . وروى الترمذي (٢٢٨٨) بإسناد ضعيف جداً فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي ـ وهو متروك ـ عن الزهري عن عروة عن عائشة ، وضَعّفه . ولكن صححه الحاكم (٤/ ٣٩٣) فتعقبه الذهبي لظهور ضعفه الشديد . والخلاصة أنه لا يعرف إلا مرسلاً . (بشار) .

(٥) مسند أبي يعلى رقم (٢٨١) و(٢٠٤٧) .

(٦) في ح ، ط : شريح تصحيف ، والمثبت من مسند أبي يعلى والإكمال (٤/ ٢٧٢) وتهذيب الكمال (١٠/ ٢٢١) .

(٧) ما بين المعقوفين ليس في مسند أبي يعلى .

(٨) في مسند أبي يعلى : عليه سندس ، وفيه تقديم السؤال عن أبي طالب ثم عن خديجة ثم عن ورقة ثم عن زيد ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٩) زاد أبو يعلى : بيني وبين عيسى .

(١٠) هكذا قال رحمه الله وفي إسناده مجالد بن سعيد ليس بالقوي وتغير في آخر عمره كما قال الحافظ ابن حجر في =

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار[١] : حدّثنا عُبيد بن إسماعيل ، حدّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : قال رسول الله ﷺ : « لاتَسُبُّوا وَرَقَة ، فإني رأيتُ له جنَّةً أو جنَّتَيْنِ » .

وكذا رواه ابنُ عساكر[٢] من حديث أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ وهذا إسنادٌ جيد . ورُوي مرسلاً ، وهو أشبه .

وروى الحافظان : البيهقيّ وأبو نُعيم في كتابيهما « دلائل النبوة »[٣] ، من حديث يونس بن بُكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن عمرو بن شرحبيل ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لخديجة : « إني إذا خلَوْتُ وحدي سمعتُ نداءً ، وقد خَشِيت والله أنْ يكون لهذا أمر » . قالت : معاذَ الله ، ما كان ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لَتُؤَدِّي الأمانة ، وتصِلُ الرَّحِم ، ، وتَصْدُق الحديث ، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرتْ له خديجةُ ، فقالت : يا عَتِيق[٤] ، اذهبْ مع محمدٍ إلى وَرَقة . فلما دخل رسولُ الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر فقال : انطلقْ بنا إلى ورقة . قال : « ومنْ أخبرك ؟ » قال : خديجة ، فانطلقا إليه فقصَّا عليه . فقال رسول الله ﷺ : « إني إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً خَلْفي : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلقُ هارباً في الأرض » . فقال له : لا تفعلْ ، إذا أتاك فاثْبُتْ ، حتى تسمعَ ما يقولُ لك ، ثم ائْتني فأخْبرني . فلما خلا ناداه : يا محمد قُلْ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قُلْ لا إلٰه إلا الله . فأتى وَرَقَة ، فذكرَ له ذلك ، فقال له ورقة : أَبْشِرْ ، ثم أبشر . فأنا أشهدُ أنك الذي بشَّرَ بك[٥] ابنُ مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبيٌّ مُرسل ، وأنَّك ستؤمر بالجهاد بعد يومِك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفي [ورقة] قال رسولُ الله ﷺ : « لقد رأيتُ القَسَّ في الجنة عليه ثياب الحرير[٦] ، لأنه آمن بي وصدَّقني » يعني ورقة .

هذا لفظ البيهقي ، وهو مرسل ، وفيه غرابة ، وهو كونُ الفاتحةِ أولَ ما نزل ، وقد قدَّمنا من شعره ما يدلُّ على إضمارِهِ الإيمان وعَقْدِهِ عليه وتأكده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجةُ ما كان من أمره مع

= التقريب ، وقال البخاري : كان يحيى بن سعيد يضعفه ، وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يروي عنه شيئاً ، وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئاً يقول : ليس بشيء ، وضعفه ابن سعد ، والجوزجاني ، وأبو داود ، والترمذي ، والدارقطني ، والنسائي في أصح الروايات عنه وغيرهم . كما هو مبين في تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٥) وتعليقنا عليه (بشار) .

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٤١٦) وقال الهيثمي : رواه البزار متصلاً ومرسلاً ، وزاد في المرسل « كان بين أخي ورقة وبين رجل كلام ، فوقع الرجل في ورقة ليغضبه والباقي بنحوه ، ورجال المسند والمرسل رجال الصحيح » .

(٢) ليس الخبر في قسمي السيرة ١و٢ من تاريخ ابن عساكر المطبوع بمجمع اللغة العربية بدمشق وهو في (٦٣/ ٢٤) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٥٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، ولم أجد في المطبوع من دلائل أبي نعيم .

(٤) سقطت اللفظة من ح .

(٥) في الدلائل : به .

(٦) في ح : حَبَر وهو جمع حِبَرَة ، ضرب من برود اليمن ، والمثبت من ط والدلائل .

غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغمامة تظلِّله في هَجير القَيْظ . فقال ورقةُ في ذلك أشعاراً قدَّمناها قبل هذا ، منها قوله : [من الوافر]

لَجِجْتُ وكنتُ في الذّكرى لَجُوجاً ... لأمرٍ طالما بعث النَّشِيجا
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طالَ انتظاري يا خَديجا
ببطنِ المكّتَيْنِ على رجائي ... حديثَكِ أنْ أرى منهُ خُروجا
بما خبَّرْتِنا من قولِ قَسٍّ ... من الرُّهْبان أكرهُ أنْ يَعُوجا
بأنَّ محمداً سيسودُ قوماً ... ويَخْصِمُ مَنْ يكونُ له حَجيجا
ويُظهرُ في البلادِ ضياءَ نورٍ ... يقيمُ به البريَّةَ أنْ تَعُوجا[١]
ويلقى مَنْ يُحاربُهُ خَساراً ... ويَلقى مَنْ يسالمه فُلُوجا[٢]
فياليتي إذا ما كانَ ذاكم ... شَهِدتُ وكنتُ أوّلَهُم وُلُوجا
ولو كانَ الذي كرهتْ قريشٌ ... ولو عَجَّتْ بمكَّتِها عَجيجا
أُرَجِّي بالذي كرهوا جَميعاً ... إلى ذي العرشِ إذ سَفَلُوا عُروجا
فإن يَبْقَوا وأبْقَ تكنْ أمورٌ ... يَضِجُّ الكافرونَ لها ضَجِيجا[٣]

وقال أيضاً في قصيدته الأخرى : [من الطويل]

وأخبارِ صدقٍ خَبَّرَتْ عن محمَّدٍ ... يخبِّرُها عنهُ إذا غابَ ناصحُ
بأنَّ ابنَ عبدِ الله أحمدَ مرسلٌ ... إلى كلِّ من ضُمَّتْ عليه الأباطح
وظنِّي به أنْ سوفَ يُبْعَثُ صادِقاً ... كما أُرسِلَ العَبْدانِ هودٌ وصالح
وموسى[٤] وإبراهيمُ حتى يُرى له ... بهاءٌ ومنشورٌ من الذِّكْرِ[٥] واضح
ويتبعُه حيَّا لؤيِّ بنِ غالبٍ[٦] ... شبابُهمُ والأشْيَبُونَ الجحاجح
فإنْ أبقَ حتى يدركَ الناسُ دهرَهُ ... فإنِّي إذاً مستبشرُ الودِّ فارحُ
وإلا فإنِّي يا خديجةُ فاعلمي ... عن أرضِكِ في الأرضِ العَرِيضة سائح[٧]

---

(١) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن هشام (١/ ١٩٢) : تموجا . وهو أشبه ، لأن عوِجَ من باب تعب بمعنى التوى فمضارعه يَعْوَج .
(٢) فلج فلوجاً من باب قعد : ظفِر بما طلب . المصباح (فلج) .
(٣) في ح : بها . والأبيات في سيرة ابن هشام (١/ ١٩١ ، ١٩٢) .
(٤) هذه رواية ط والروض ، وفي ح : ونوح وإبراهيم .
(٥) في ط : منشور من الحق .
(٦) في الروض : ويتبعه حيا لؤي جماعة .
(٧) الأبيات في الروض (١/ ٢٢٠ ، ٢٢١) .

وقال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال ورَقَة[١] : [من الطويل]

فإنْ يكُ حقاً يا خديجةُ فاعلمي ... حديثُك إيّانا فأحمدُ مرسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما ... من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصَّدْرَ مُنْزَل
يفوزُ به مَن فازَ فيها بتوبةٍ ... ويشقى به العاني الغريرُ المضلَّل[٢]
فريقان منهمْ فِرْقةٌ في جِنانِهِ ... وأُخرى بأجْوازِ الجحيم تُغَلَّل[٣]
إذا ما دَعوا بالويلِ فيها تتابعتْ ... مقامعُ في هاماتهمْ ثمَّ تُشْعَلُ
فسُبحانَ من يُهوِي الرياحَ بأمره ... ومن هو في الأيام ما شاءَ يفعل
ومَن عرشُه فوق السمواتِ كلِّها ... وأقضاؤه[٤] في خَلْقِه لا تُبدَّل

وقال ورقة أيضاً[٥] : [من البسيط]

يا لَلرِّجالِ وصَرْفِ الدهر والقدَرِ ... وما لشيءٍ قضاهُ اللهُ من غِيرِ
حتى خديجةُ تدعوني لأُخبرَها ... أمراً أراهُ سيأتي الناسَ من أُخُرِ
وخبَّرَتْني بأمرٍ قد سمعتُ به ... فيما مضى من قديم الدهرِ والعُصُر
بأنَّ أحمدَ يأتيهِ ويخبرُه ... جبريلُ أنَّكَ مبعوثٌ إلى البَشَر
فقلتُ علَّ الذي ترجينَ يُنجزُه ... لكِ الإلٰهَ فرجّي الخيرَ وانتظري
وأرسليه إلينا كي نُسائلَهُ ... عن أمرِهِ ما يرى في النوم والسَّهَر
فقالَ ـ حين أتانا ـ مَنطِقاً عَجَباً ... يَقِفُّ منه أعالي الجِلْدِ والشَّعَرِ
إني رأيتُ أمينَ اللهِ واجَهَني ... في صورةٍ أُكملتْ من أعظم الصور
ثم استمر فكادَ[٦] الخوفُ يَذْعَرُني ... مما يسلِّم مِنْ حولي من الشجر
فقلتُ ظنّي وما أدري أيصدُقني ... أنْ سوفَ يُبْعَثُ يتلو مُنْزَل السُّور
وسوف أُنبيك[٧] إن أعلنتَ دعوتَهم ... من الجهادِ بلا مَنٍّ ولا كَدَر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من « الدلائل » وعندي في صحتها عن ورقةَ نظر ، والله أعلم .

[وقال ابن إسحاق : حدّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ـ وكان

---

(١) الأبيات في دلائل البيهقي (٢/ ١٥٠) .
(٢) في دلائل البيهقي : ويشقى بها العاتي الغوي المضلل . وهو أشبه ، ويحتمل : العاني إذا كان أسِيراً للأهواء .
(٣) الجَوْز من كل شيء وسطه وجمعه أجواز . وتُغَلَّل : تدخل فيها . اللسان (جوز ، غلل) .
(٤) كذا في ح ، ط والدلائل للبيهقي .
(٥) الأبيات في دلائل البيهقي (٢/ ١٥٠) .
(٦) في ح : فكان .
(٧) في ح : أبليك ، وفي ط : يبليك . والمثبت من الدلائل .

واعية - عن بعض أهل العلم ، أنَّ رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوَّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى يحسر البيوت عنه[١] ، ويُفضي إلى شعاب مكة وبُطونِ أوديتها ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجر إلَّا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلَّا الشجرَ والحجارة ، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكثَ ، ثمَّ جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان][٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني وَهْبُ بن كَيْسان مولى آلِ الزُّبير قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزبير وهو يقول لِعُبيد بن عُمير بن قتادةَ اللَّيثي : حدِّثنا يا عُبيد كيف كان بُدوُّ ما ابتُدِىءَ به رسولُ الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال عُبيد - وأنا حاضر ، يحدِّثُ عبدَ الله بنَ الزبير ومن عندَهُ من الناس - : كان رسول الله ﷺ يجاور في حِرَاء في كلِّ سنةٍ شهراً . قال : وكان ذلك مما تحنَّثُ[٤] به قريش في الجاهلية ، والتحنُّث التبرُّر[٥] .

فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قَضَى جِوارَهُ من شهرِه ذلك ، كان أولُ ما يبدأ به إذا انصرف من جِوارِه الكعبة ، قبل أنْ يدخلَ بيتَه فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجِعُ إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثَهُ فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حِرَاء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهلُه ، حتى إذا كانتِ الليلةُ التي أكرمَهُ الله فيها برسالته ، ورحِمَ العبادَ به[٦] جاءه جبريلُ بأمر الله تعالى . قال رسولُ الله ﷺ : « فجاءني وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباج[٧] ، فيه كتاب فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموت[٨] ، ثم أرسلني فقال : اقرأْ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما اقرأ ؟ فقال : فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلتُ : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا اقتداءً منه أنْ يعود لي بمثل ما صنع بي . فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ - ٥] . قال :

---

(١) في ط : لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب . والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
(٢) سقط الخبر من ح وهو في ط وسيرة ابن هشام (١/ ٢٣٤) والروض (١/ ٢٦٦) وفيهما : عبد الملك بن عبيد الله . تصحيف ، وقد تقدمت الإشارة إلى ترجمته في (ص١٩١) ح(٧) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) والروض (١/ ٢٦٧ ، ٢٦٨) .
(٤) في ط : يحبب ، وفي ح بإهمال الحروف ، والمثبت من السيرة والروض .
(٥) ومن معانيه أيضاً التعبُّد كما مر (ص١٩٢ في المتن) .
(٦) في السيرة والروض : بها .
(٧) انظر (ص١٨٧) ح(٢) .
(٨) الغت والغط سواء ، كأنه أراد عصرني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يُغمس في الماء قهراً . النهاية (غتت) .

فقرأتُها ، ثم انتهى وانصرف عني وهببتُ من نَوْمي فكأنما كتب في قلبي كتاباً[١] . قال فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل ، سمعتُ صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرفعتُ رأسي إلى السماء ، فأنظر[٢] ، فإذا جبريلُ في صورةِ رجلٍ صافٍّ قدمَيْه في أُفقِ السماء يقول : يا محمد أنت رسولُ الله وأنا جبريل . فوقفت أنظر إليه . فما أتقدَّم وما أتأخر ، وجعلتُ أصرِف وجهي عنه في آفاق السماء . فما أنظر في ناحيةٍ منها إلا رأيتُه كذلك ، فما زلتُ واقفاً ما أتقدَّم أمامي وما أرجعُ ورائي حتى بعثَتْ خديجةُ رُسلَهَا في طلبي ، فبلغوا [أعلى][٣] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ؛ ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي حتى أتيتُ خديجة فجلستُ إلى فَخذها مُضيفاً إليها[٤] فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشِرْ يا ابن العم واثْبُتْ ، فوالذي نفسُ خديجةَ بيده ، إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامتْ فجمعتْ عليها ثيابها ، ثم انطلقتْ إلى ورقةَ بنِ نوفل ، فأخبرتْهُ بما أخبرها به رسولُ الله ﷺ فقال ورقة : قُدُّوس قدُّوس ، والذي نفسُ ورقةَ بيدِه ، لئن كنتِ صدقْتِني يا خديجة ، لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنَّه لنبيُّ هذه الأمة ، وقولي له فَلْيَثْبُتْ .

فرجعتْ خديجةُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرتْه بقولِ ورقة ، فلما قضى رسولُ الله ﷺ جِوارَهُ وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبةِ فطاف بها ، فلَقِيَهُ ورقةُ بن نوفل وهو يطوفُ بالكعبةِ ، فقال : يا ابنَ أخي ، أخبرني بما رأيتَ وسمعت . فأخبره ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنَّكَ لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى ، ولتكذَّبَنَّهْ ، ولتؤذَيَنَّهْ ، ولتخرجَنَّهْ ، ولتقاتَلَنَّهْ ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصرَنَّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسَهُ منه فقبَّل يا فُوخَهُ[٥] ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

وهذا الذي ذكره عُبيد بن عُمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعدَهُ من اليقظة كما تقدم من قولِ عائشة رضي الله عنها : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[٦] . ويحتمل أنَّ هذا المنام كان بعدَ ما رآه

---

(١) انظر ما تقدم (ص١٨٩) والروض للسهيلي (١/ ٢٦٨/ ٢٦٩) .

(٢) في السيرة والروض : أنظر وهو أشبه .

(٣) ما بين معقوفين من السيرة والروض .

(٤) مضيفاً إليها : من أضاف إليه : إذا مال ودنا . التاج (ضيف) راجع الخشني .

(٥) « اليافوخ » : الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل أو الليِّن منه قبل أن يتلاقى العظمان ، معنى وسط الرأس . التاج (أفخ) وقال السهيلي في الروض (١/ ٢٧٤) : لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشتد وإنما يقال له الغاذية .

(٦) انظر ما تقدم (ص١٨٩) .

في اليقظة صبيحةَ ليلتئذ ، ويحتمل أنه كان بعده بمدَّة . والله أعلم[١]

وقال موسى بن عُقْبَة[٢] ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيِّب قال : وكان فيما بلغنا أولُ ما رأى يعني رسولَ الله ﷺ أن اللهَ تعالى أراه رؤيا في المنام ، فشق ذلك عليه ، فذكرها لامرأته خديجةَ فعصمها الله عن التكذيب ، وشرح صدرَها للتصديق ، فقالت : أبشرْ فإنَّ الله لم يصنعْ بك إلا خيراً ، ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها ، فأخبرها أنه رأى بطنَهُ شُقَّ ، ثم غُسل وطُهِّر ، ثم أعيد كما كان . قالت : هذا والله خيرٌ فأبشرْ ، ثم استعلَنَ له جبريل وهو بأعلى مكة ، فأجلسه على مجلسٍ كريم مُعْجب ، كان النبيُّ ﷺ يقول : « أجلسني على بساطٍ كهيئةِ الدُّرنوك[٣] ، فيه الياقوت واللُّؤلُؤ » . فبشَّرَهُ برسالةِ اللهِ عزَّ وجلّ ، حتى اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ فقال له جبريل : اقرأ . فقال : كيف أقرأ ؟ فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] .

قال : ويزعم ناسٌ أنَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ أولُ سورةٍ نزلَتْ عليه ، والله أعلم .

قال[٤] : فقبل رسولُ الله ﷺ رسالةَ ربِّه واتَّبع ما جاءه به جبريل من عند الله ، فلما انصرف مُنقلباً إلى بيته ، جعل لا يمرُّ على شجرٍ ولا حجرٍ إلا سلَّم عليه ، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً ، قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة قال : أرأيتكِ التي كنتُ أُحدِّثُكِ أني رأيتُه في المنام ؟ فإنَّهُ جبريلُ استعلَنَ إليّ ، أرسله إليَّ ربِّي عزَّ وجل » . وأخبرها بالذي جاءَهُ من الله وما سمع منه ، فقالت : أبشرْ ، فواللهِ لا يفعلُ الله بك إلا خيراً ، واقْبَلِ الذي جاءك من أمرِ الله ، فإنه حقّ ، وأبشرْ ، فإنَّكَ رسولُ الله حقاً .

ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ بنِ عبد شمس نصرانياً من أهل نِينوى[٥] ، يقال له عَدَّاس ، فقالت له : يا عدَّاس ، أُذَكِّرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علمٌ من جبريل ، فقال : قدُّوسٌ قدُّوس ، ما شأنُ جبريلَ يُذكَرُ بهذه الأرض التي أهلُها أهلُ الأوثان ! فقالت : أخبرْني بعلْمك فيه : قال : فإنَّهُ أمينُ الله بينه وبين النبيِّيْن ، وهو صاحبُ موسى وعيسى عليهما السلام .

فرجعتْ خديجةُ من عنده ، فجاءت ورقةَ بنَ نوفل ، فذكرت له ما كان من أمر النبي ﷺ وما ألقاه إليه

---

(١) انظر ما تقدم ص (١٨٩) .

(٢) أورده البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٤٢) عن موسى بن عقبة ، وبه أيضاً ذكره السيوطي في الخصائص (١/ ٩٣) وذكر تخريج أبي نعيم به أيضاً ولم أجده فيه .

(٣) «الدرنوك » : سِتْرٌ له خَمْل . النهاية (درنك) .

(٤) يعني سعيد بن المسيب .

(٥) « نينوى » : هي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل . معجم البلدان (٥/ ٣٣٩) وجاء في التاج (عدس) عن الروض للسهيلي : أن عداساً حين سمع رسولَ الله ﷺ يذكر يونس بن متي عليه السلام قال : والله لقد خرجت منها - يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متَّى ، فمن أين عرفت متَّى وأنت أُمِّي وفي أُمَّة أُمِّيَّة ؟ فقال ﷺ : هو أخي ، كان نبياً وأنا نبي .

جبريل . فقال لها ورقة : يا بُنَيَّةَ أخي ، ما أدري لعلَّ صاحبَكِ النبيُّ الذي ينتظرُ أهلُ الكتاب ، الذي يجدونَهُ مكتوباً عندهم في التوراةِ والإنجيل ، وأُقسمُ باللهِ لئن كان إيَّاه ، ثم أظهر دعواهُ وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنَّ اللهَ في طاعةِ رسولِه وحسنِ مؤازرته[١] ، للصبر[٢] والنصر . فمات ورقةُ رحمه الله .

قال الزهري : فكانت خديجة أولَ مَنْ آمن باللهِ وصدَّق رسوله ﷺ .

قال الحافظ البيهقي بعد إيرادِهِ ما ذكرناه[٣] ؛ والذي ذُكر فيه من شَقِّ بطنه ، يحتمل أن يكونَ حكايةً منه لما صُنع به في صباه ـ يعني شقَّ بطنه عند حليمة ـ ويحتمل أن يكون شُقَّ مرَّةً أخرى ثم ثالثة حين عُرِجَ به إلى السماء . والله أعلم .

وقد ذكر الحافظُ ابن عساكر في ترجمةِ ورَقَة[٤] بإسناده إلى سليمان بن طَرْخان التَّيْميِّ قال : بلغَنا أنَّ الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأسِ خمسينَ سنةً من بناءِ الكعبة[٥] ، وكان أول شيء اختصَّهُ به من النبوَّة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقصَّ ذلك على زوجته خديجةَ بنت خُويلد ، فقالت له : أبشرْ ، فوالله لا يفعَلُ اللهُ بك إلا خيراً . فبينما هو ذات يوم في حِرَاء ، وكان يفرُّ إليه من قومِهِ إذْ نزَل عليه جِبْريل ، فدنا منه ، فخافه رسولُ الله ﷺ مخافةً شديدة ، فوضع جبريلُ يدَهُ على صدره ومن خلفه بين كتفَيْه . فقال : اللهم احْطُطْ وِزْرَه ، واشرَحْ صدره ، وطهِّرْ قلبه ، يا محمد أبْشِرْ ! فإنك نبيُّ هذه الأمة ، اقرأْ . فقال له نبيُّ الله وهو خائفٌ يُرْعَد : « ما قرأتُ كتاباً قطُّ ولا أُحْسِنُه ، وما أكتبُ وما أقرأ » فأخذه جبريلُ فغتَّهُ غتّاً شديداً ، ثم تركه ثم قال له : اقرأْ . فأعادَ عليه مثلَه ، فأجلسه على بساطٍ كهيئةِ الدُّرْنُوك ، فرأى فيه من صفائِهِ وحسنِهِ كهيئةِ اللُّؤْلُؤِ والياقوت ، وقال له : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ الآيات ، ثم قال له : لا تخفْ يا محمد ، إنَّكَ رسولُ الله . ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ همُّه فقال : « كيف أصنعُ وكيف أقولُ لقومي ؟ » ثم قام رسولُ الله ﷺ وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامِه وهو في صورته[٦] ، فرأى رسولُ الله ﷺ أمراً عظيماً ملأ صَدْرَه ، فقال له جبريل : لا تخفْ يا محمد ، جبريلُ رسولُ الله ، جبريلُ رسولُ الله إلى أنبيائِهِ ورُسُله ؛ فأيقنْ بكرامةِ الله ، فإنك رسولُ الله ﷺ ، فرجع رسولُ الله ﷺ لا يمرُّ على شجرٍ ولا حجر إلا هو ساجدٌ يقول : السلامُ عليك يا رسولَ الله . فاطمأنَّتْ نفسُه ، وعرفَ كرامةَ الله إياه ، فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرتْ ما بوجهِهِ من تغيُّر لونه ، فأفزَعَها ذلك ، فقامتْ إليه : فلما دنَتْ منه جعلتْ تمسَحُ عن وجهه

---

(١) « لأبلين » : لأخبرَنَّ ، وأصله من قولهم : أبليت فلاناً يميناً : إذا حلفت له بيمين طيَّبتَ بها نفسه . اللسان (بلو) .

(٢) كذا في ح ، ط .وفي الدلائل : الصبر من غير لام .

(٣) الدلائل (٢/١٤٦) .

(٤) في تاريخ ابن عساكر (٦٣/١٧) ، وهو خبر ضعيف .

(٥) إن كان يريد بناء قريش فهذا لا يصح لأن رسول الله ﷺ شهدها كما هو معروف في كتب السيرة ، وإن كان يريد أول بنائها ، فهذا بعيد جداً (بشار) .

(٦) في ط : صعرته . تحريف .

وتقول : لعلك لبعض ما كنتَ ترى وتسمع قبلَ اليوم ! فقال : « يا خديجة ، أرأيت الذي كنتُ أرى في المنام ، والصوتَ الذي كنتُ أسمع في اليَقَظة وأُهالُ منه ، فإنَّهُ جبريلُ قد استعلن لي ، وكلَّمني وأقرأني كلاماً فزِعْتُ منه ، ثم عاد إليّ ، فأخبرني أنّي نبيُّ هذه الأمة ، فأقبلتُ راجعاً فأقبلتُ على شجرٍ وحجارة ، فقلْنَ : السلامُ عليكَ يا رسول الله » فقالتْ خديجة : أبشرْ ، فوالله لقد كنتُ أعلم أنَّ الله لنْ يفعلَ بك إلا خيراً ، وأشهدُ أنَّك نبيُّ هذه الأمةِ الذي تنتظرُهُ اليهود ، قد أخبرني به ناصحٌ ، غُلامي وبَحِيرَى الراهب[١] ، وأمرني أن أتزوَّجَك منذُ أكثرَ من عشرين سنة .

فلم تزَلْ برسولِ الله ﷺ حتى طعِمَ وشرب وضحِك ، ثم خرجتْ إلى الراهب وكان قريباً من مكة ، فلما دنتْ منه وعرفها قال : ما لكِ يا سيدةَ نساءِ قريش ؟ فقالت : أقبلتُ إليك لتخبرَني عن جبريل ، فقال : سبحان الله ربِّنا القدُّوس ! ما بالُ جبريلَ يُذكَرُ في هذه البلادِ التي يَعبُدُ أهلُها الأوثان ؟ جبريلُ أمينُ الله ، ورسُولُه إلى أنبيائه ورسُلِه ، وهو صاحبُ موسى وعيسى . فعرفتْ كرامةَ الله لمحمد ، ثم أتتْ عبداً لِعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ يقالُ له : عدَّاس ، فسألَتْهُ ، فأخبرها بمثلِ ما أخبرها به الراهب وأزيد ، قال : جبريلُ كان مع موسى حين أَغْرَق اللهُ فِرْعَوْنَ وقومه ، وكان معه حين كلَّمه الله على الطُّور ، وهو صاحبُ عيسى بن مريمَ الذي أَيَّدَهُ الله به .

ثم قامتْ من عنده فأتت ورقَةَ بنَ نوفل ، فسألَتْهُ عن جبريل ، فقال لها مثلَ ذلك ، ثم سألها : ما الخبر ؟ فأحلفتهُ أنْ يكتُم ما تقولُ له ، فحلف لها ، فقالت له : إنَّ ابنَ عبد الله ذكر لي ـ وهو صادق ، أحلفُ بالله ما كذَبَ ولا كُذِّبَ ـ أنه نزل عليه جبريلُ بحراء وأنه أخبره أنه نبيُّ هذه الأمة ، وأقرأه آياتٍ أُرسل بها . قال : فَذُعِرَ ورقَةُ لذلك وقال : لئنْ كان جبريلُ قد استقرَّتْ قدماهُ على الأرض ، لقد نزل على خيرِ أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبيّ ، وهو صاحبُ الأنبياء والرسل ، يُرْسله الله إليهم ، وقد صدَّقْتُكِ عنه ، فأرسلي إليَّ ابنَ عبد الله أسأله وأسمعُ من قوله وأحدِّثُه ، فإني أخافُ أنْ يكونَ غيرَ جبريل ، فإنَّ بعضَ الشياطينِ يتشبَّهُ به لِيُضِلَّ به بعضَ بني آدم ويفسِدَهم ، حتى يصيرَ الرجلُ بعدَ العقلِ الرضيّ ، مُدَلَّهاً مجنوناً .

فقامت من عنده وهي واثقةٌ بالله أنْ لا يفعلَ بصاحبها إلَّا خيراً ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرَتْهُ بما قال ورقَة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[٢] الآيات . فقال لها : « كلا والله ، إنَّه لجبريل » فقالت له : أُحِبُّ أن تأتيَهُ فتخبرَه ، لعلَّ الله أنْ يَهْدِيَه . فجاءَهُ رسولُ الله ﷺ فقال له ورقة : هذا الذي جاءك ، جاءك في نورٍ أو ظُلْمة ؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ عن صفةِ جبريل وما رآه من عظمتِه وهيئته[٣] ، وما أوحاهُ إليه . فقال ورقة : أشهدُ أنَّ هذا جبريل ، وأنَّ هذا كلامُ الله ، فقد أمرك

---

(١) أين لقيت سيدتنا خديجة بحيرى الراهب حتى يخبرها ؟ (بشار) .

(٢) القلم الآيتان (١ و٢) وسقط لفظ (ن) من ح .

(٣) سقطت اللفظة من ط .

بشيءٍ تبلِّغُه قومَك وإنه لأمر نبوة ، فإنْ أُدْرِكْ زمانَك أتَّبِعْك . ثم قال : أبشرِ ابنَ عبد المطلب بما بشَّرك اللهُ به . قال : وفشا[١] قولُ ورقةَ وتصديقُه لرسولِ الله ﷺ فشقَّ ذلك على الملأ من قومه . قال وفتَر الوحْي ، فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ، ولكنَّ الله قلاهُ . فأنزل الله ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ و ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ بكمالهما[٢] .

وقال البيهقي[٣] : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدّثنا يونس ، عن ابن إسحاق [قال :] حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزُّبير ، أنه حدَّثه عن خديجةَ بنتِ خُويلد أنها قالت لِرسولِ الله ﷺ فيما تُثَبِّتُهُ فيما أكرمه الله به من نبوَّته : يا ابنَ عمّ ، تستطيع أنْ تخبرَني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : « نعم » فقالت : إذا جاءك فأخبرني . فبينا رسولُ الله ﷺ عندها إذْ جاء جبريل فرآه رسولُ الله ﷺ فقال : « يا خديجة ، هذا جبريل » قالت : أتراهُ الآن ؟ قال : « نعم » قالت : فاجْلِسْ إلى شِقِّي الأيمن ، فتحوَّل فجلس ، فقالت : أتراه الآن ؟ قال : « نعم » قالت : فتحوَّلْ فاجلسْ في حِجْري فتحوَّل فجلس في حِجْرها ، فقالت : هل تراهُ الآن ؟ قال : « نعم » فتحسَّرَتْ رأسَها فشالَتْ خمارَها ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في حجرها ، فقالَتْ هل تراهُ الآن ؟ قال : « لا » قالت : ما هذا بشيطان ، إنَّ هذا الملكُ يا ابنَ عمّ ، فاثْبُتْ وأبْشِرْ . ثم آمنتْ به وشهدت أنَّ ما جاء به هو الحقّ .

قال ابن إسحاق[٤] فحدثتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعتُ أمي فاطمةَ بنتَ الحسين تحدِّثُ بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنِّي سمعتُها تقول : أدخلَتْ رسولَ الله ﷺ بينها وبين دِرْعِها فذهب عند ذلك جبريلُ عليه السلام .

قال البيهقي[٥] : وهذا شيءٌ كان من خديجةَ تصنَعُه تستَثْبِتُ به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً ، فأما النبيُّ ﷺ فقد كان وَثِقَ بما قال له جبريلُ وأراه من الآيات التي ذكرناها مرَّةً بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ تسليماً .

وقد قال مسلم في « صحيحه »[٦] : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا يحيى بن أبي بكير ، حدّثنا إبراهيم بن طَهْمان ، حدّثني سماكُ بن حَرْب عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « إني لأعرِفُ حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليَّ قبلَ أنْ أُبْعَث ، إني لأعرفُهُ الآنَ » .

وقال أبو داود الطيالسي[٧] : حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سِمَاك بن حَرْب ، عن جابر بن سَمُرَة ، أنَّ

---

(١) في ط : وذاع .

(٢) هما سورتا الضحى والشرح ورقمهما (٩٣ و٩٤) .

(٣) في الدلائل (٢/ ١٥١) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) لا يزال ينقل من دلائل البيهقي (٢/ ١٥٢) .

(٥) عقب الحديث السابق .

(٦) صحيح مسلم (٢٢٧٧) (٢) كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

(٧) مسند الطيالسي رقم (٧٨١) في مسند جابر . وأخرجه الترمذي عن الطيالسي به في جامعه (٣٦٢٤) المناقب باب في=

رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ بمكة لحجراً كان يسلِّم عليّ لياليَ بُعثت ، إني لأعرفُه إذا مرَرْتُ عليه » .

وروى البيهقي[١] من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّيِّ الكبير ، عن عباد بن عبد الله ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجرٌ ولا جبلٌ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

وفي رواية[٢] : لقد رأيتُني أدخلُ معه الوادي ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلَّا قال : السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمعُه .

فصـــل

قال البخاري في روايتِهِ المتقدِّمة[٣] : ثم فتر الوحْيُ حتى حزِن النبيُّ ﷺ فيما بلَغَنا حُزْناً غدا[٤] منه مراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهقِ الجبال ، فكلما أوفى بِذِرْوَةِ جبلٍ لكي يُلقي نفسَه تبدَّى لهُ جبريلُ فقال : يا محمد ، إنَّك رسولُ الله حقاً فيسكنُ لذلك جأْشُه وتَقِرُّ نفسُه ، فيرجع ، فإذا طالتْ عليه فترةُ الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذِرْوَةِ جبل تبدَّى له جبريلُ ، فقال له مثل ذلك .

وفي الصحيحين[٥] من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزُّهري قال : سمعتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدِّث عن جابر بن عبد الله قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدِّث عن فترةِ الوَحْي قال : « فبينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعتُ بصري[٦] فإذا الملَكُ الذي جاءني بحِرَاء قاعدٌ على كُرْسيٍّ بين السماء فجُئِثْتُ[٧] منه فَرَقاً[٨] حتى هَوَيْتُ إلى الأرض ، فجئتُ أهلي فقلت : زَمِّلُوني زَمِّلُوني

= آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو كما قال من أصل سماك بن حرب .

(١) في الدلائل (٢/ ١٥٣ ، ١٥٤) وأخرجه أيضاً الترمذي في سننه رقم (٣٦٣٠) المناقب باب (٦) عن عباد بن يعقوب عن الوليد بن أبي ثور عن عباد بن أبي يزيد عن علي وقال : هذا حديث غريب . أقول : يعني ضعيف .

(٢) عند البيهقي أيضاً في الدلائل (٣/ ١٥٤) .

(٣) المتقدمة ص(١٨٧ موضع الحاشية ٥) ، وقول البخاري هذا رقم (٦٩٨٢) . وقال ابن حجر (١٢/ ٣٥٩) : والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر ، والزيادة في الحديث من قوله : حتى حزن إلى آخره ، من بلاغات الزهري ، وليست موصولة فهي منقطعة .

(٤) قال ابن حجر (١٢/ ٣٦٠) : عدا بعين مهملة من العدو ، وهو الذهاب بسرعة ، ومنهم من أعجمها من الذهاب غدوة .

(٥) فتح الباري رقم (٤٩٢٥) تفسير سورة المدثر (٧٤) باب وثيابك فطهر ، وصحيح مسلم (٢٥٥ ـ ١٦١) الإيمان باب بدء الوحي .

(٦) زادت نسخة ط : قبل السماء . وليست هذه الزيادة في هذا الحديث عن البخاري ، وإنما هي في الحديث الذي يليه رقم (٤٩٢٦) .

(٧) « جئثت منه » : أي : ذعرت وخفت ، ويروى : جثثت ، وقيل معناه قُلعت من مكاني . وقال الحربي : أراد جُئثت ـ وهي رواية ح والصحيحين ـ فجعل مكان الهمزة ثاءً . النهاية (جأث ـ جثث) .

(٨) في ح فزعاً وفي البخاري « رعباً » .

فأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٥] . قال : « ثم حَمِيَ الوحْيُ وتتابع .

فهذا كان أولَ ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي ، لا مطلقاً ، ذاك قوله ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ وقد ثبتَ عن جابر أنَّ أوَّلَ ما نزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ واللائق حَمْلُ كلامِه ما أمكن على ما قلناه ، فإنَّ في سياقِ كلامه ما يدلُّ على تقدُّم مجيء الملَكِ الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه . ثم قوله : يحدِّثُ عن فترة الوحي ، دليلٌ على تقدُّم الوحي على هذا الإيحاء والله أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين[١] من حديث عليِّ بن المبارك ، وعند مسلم عن[٢] الأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال : سألتُ أبا سَلَمة بنَ عبد الرحمن : أيُّ القرآنِ أُنزِلَ قبلُ ؟ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ فقلت : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ فقال : سألتُ جابرَ بن عبدِ الله : أيُّ القرآنِ أُنزل قبلُ ؟ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ فقلت : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ؟ فقال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني جاورتُ بحِرَاء شهراً ، فلما قضَيْتُ جِوَاري نزلتُ فاستبطَنْتُ الوادي ، فنُوديتُ ، فنظرتُ بين يديَّ وخَلْفي وعن يميني وعن شِمالي فلم أر شيئاً ، ثم نظرتُ إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء ، فأخذَتْني رِعْدَة ـ أو قال وحشة[٣] ـ فأتيتُ خديجةَ ، فأمرتُهم يُدَثِّروني ، فأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ .

وقال في رواية[٤] : « فإذا الملَكُ الذي جاءني بحِرَاء جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض ، فجَئِثْتُ منه » .

وهذا صريحٌ في تقدُّم إتيانِهِ إليه ، وإنزالِهِ الوحيَ من الله عليه كماذكرناه والله أعلم .

ومنهم من زعم أنَّ أولَ ما نزل بعد فترةِ الوحي سورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق[٥] .

وقال بعضُ القراء[٦] : ولهذا كبَّرَ رسولُ الله ﷺ في أولها فرَحاً وهوقولٌ بعيد ، يردُّه ما تقدَّم من روايةِ صاحِبَي الصحيح من أنَّ أولَ القرآنِ نزولاً بعد فترةِ الوحي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ ولكنْ نزلتْ سورةُ والضحى بعد فترةٍ أُخرى كانت ليالِيَ يسيرة ، كما ثبت في الصحيحَيْن[٧] وغيرهما من حديث الأسود بن

---

(١) فتح الباري (٤٩٢٢) تفسير سورة المدثر (٧٤) وصحيح مسلم (١٦١) (٢٥٧) الإيمان باب بدء الوحي .

(٢) في ط : « وعند مسلم والأوزاعي » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، فقد رواه مسلم زهير بن حرب ، عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي . (بشار) .

(٣) في صحيح مسلم رجفة .

(٤) وهي رواية البخاري رقم (٤٩٢٥) باب وثيابك فطهر .

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤١) والروض (١/ ٢٨١) .

(٦) النشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٥ ، ٤٠٦) .

(٧) فتح الباري (٤٩٥٠) تفسير سورة والضحى (٩٣) باب ما ودعك ربك . وصحيح مسلم (١٧٩٧) (١١٥) الجهاد =

قيس عن جُنْدُب بن عبد الله البَجَلي قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقمْ ليلةً أو ليلتَيْنِ أو ثلاثاً فقالت امرأة[١] : ما أرى شيطانك إلّا تركك فأنزل الله ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ .

وبهذا الأمر حصل الإرسالُ إلى الناس ، وبالأول حصلتِ النبوة . وقد قال بعضُهم : كانت مدَّة الفترة قريباً من سنتَيْن أو سنتين ونصفاً ، والظاهر والله أعلم أنها المدَّةُ التي اقترن معه ميكائيل ، كما قال الشعبي وغيرُه[٢] ، ولا ينفي هذا تقدُّم إيحاءِ جبريل إليه أولاً : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ثم [حصلتِ الفترةُ التي اقترن معه ميكائيل ، ثم][٣] اقترن به جبريلُ بعد نزولِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ ثم حَمِيَ الوَحْيُ بعدَ هذا وتتابع ـ أي : تدارك شيئاً بعد شيء ـ وقام حينئذٍ رسول الله ﷺ في الرسالة أتمَّ القيام ، وشمَّرَ عن ساقِ العَزْم ، ودعا إلى الله القريبَ والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فآمن به حينئذٍ كلُّ لبيبٍ مُجيبٍ[٤] سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كلُّ جبارٍ عنيد ، فكان أولَ من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكرٍ الصديق ، ومن الغلمان عليُّ بن أبي طالب ، ومن النساء خَديجةُ بنتُ خُويلد زوجتُه عليه السلام ، ومن الموالي مولاه زيد بنُ حارثةَ الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم . وتقدَّم الكلام على إيمانِ ورَقَةَ بنِ نوفل بما وَجَدَ من الوحي[٥] ، ومات في الفترة رضي الله عنه .

فصل[٦]

في منع الجانّ ومَرَدةِ الشياطين من استراقِ السَّمْعِ حين أُنزل القرآن لئلا يختطف أحد منهم ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليِّهِ فيلتبس الأمر ويختلط الحقّ

فكان من رحمةِ الله وفضله ولطفه بخلقه أنْ حجَبَهم عن السماء ، كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ٨ ـ ١٠] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠ ـ ٢١٢] .

= والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين . وفيهما بألفاظ متقاربة .

(١) قال ابن حجر في الفتح (٨/ ٧١٠) : هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب .
(٢) قول الشعبي تقدم في ص (١٩٠) في المتن وفيه : إسرافيل لا ميكائيل .
(٣) ما بين المعقوفين سقط من ط .
(٤) في ط : نجيب .
(٥) انظر ص (١٩٦) .
(٦) في الهامش ما نصه : بلغ مقابلة .

قال الحافظ أبو نعيم[١] : حدّثنا سليمان بن أحمد ـ وهو الطبراني ـ حدّثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، حدّثنا محمد بن يوسف الفِرْيابي ، حدّثناإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان الجنُّ يصعَدُون إلى السماء يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمةَ زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكونُ حقّاً ، وأمّا ما زادوا فيكون باطلاً ، فلما بُعث النبيُّ ﷺ مُنعوا مقاعِدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكنِ النجومُ يُرْمَى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لأمرٍ قد حدث في الأرض ، فبعث جنودَه فوجدوا رسول الله قائماً يصلِّي بين جبلَيْن ، فأتوْه فأخبروه فقال : « هذا الأمْرُ الذي قد حَدَث في الأرض » .

وقال أبو عوانة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : انطلق رسولُ الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سُوق عكاظ ، وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلَتْ عليهم الشُّهُب ، فرجعتِ الشياطينُ إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيلَ بيننا وبين خبرِ السماء ، وأُرسلتْ علينا الشُّهُب ، فقالوا : ما ذاك إلا من شيءٍ حدَث ، فاضْرِبُوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها ، [فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها][٢] ، فمرَّ النَّفَرُ الذين أخذوا نحو تهامة ـ وهو بنَخْل[٣] ـ عامدين إلى سُوق عُكَاظ ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ، استمعوا له فقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبرِ السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١ ـ ٢] . فأوحى الله إلى نبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن : ١] الآية . أخرجاه في الصحيحيْن[٤] .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة[٥] : حدّثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : إنه لم تكن قبيلةٌ من الجنِّ إلا ولهم مقاعدُ للسمْع ، فإذا نزل الوحي سمعتِ الملائكة صوتاً كصوتِ الحديدة ألقيتها على الصَّفَا ، قال : فإذا سمعتْه[٦] الملائكةُ خرُّوا سجَّداً فلم يرفعوا رؤوسَهُمْ

---

(١) لم أجده في المطبوع من الدلائل ، وهو عند الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٢٤٣١) فيما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (١/ ٢٧٤) من طريق إسرائيل به ، والترمذي في جامعه (٣٣٢٤) تفسير سورة الجن من طريق الفريابي به وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط فاستدركته من صحيح مسلم واللفظ له .

(٣) في فتح الباري « بنخلة » وقال فيه ابن حجر(٨/ ٦٧٤) : موضع بين مكة والطائف . قال البكري : على ليلة من مكة ، وهي التي ينسب إليها بطن نخل . وقع في رواية مسلم بنخل بلا هاءٍ والصواب إثباتها .

(٤) فتح الباري (٤٩٢١) تفسير سورة ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ ، وصحيح مسلم (١٤٩ ـ ٤٤٩) الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن . وأخرجه أيضاً عن أبي عوانة به الترمذي في جامعه (٣٣٢٣) التفسير (٧٠) باب ومن سورة الجن وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) في المصنف (١٨٣٩١) المغازي باب ما رأى النبي ﷺ قبل النبوة .

(٦) في ح ، ط : سمعت ، والمثبت من المصنف .

حتى ينزل ، فإذا نزل قال بعضُهم لبعض : ماذا قال ربُّكم ؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا : الحق وهو العليُّ الكبير ، وإنْ كان مما يكون في الأرض من أمر الغَيْبِ أو موتٍ أو شيءٍ مما يكون في الأرض تكلَّموا به فقالوا : يكون كذا وكذا ، فتسمَعُه الشياطين فينزلونه على أوليائهم ، فلما بُعث النبيُّ محمد ﷺ دُحِروا بالنجوم ، فكان أولَ مَنْ علم بها ثقيف ، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه ، فيذبح كلَّ يومٍ شاة وذو الإبل ينحَرُ[١] كلَّ يوم بعيراً ، فأسرع الناس في أموالهم ، فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا فإنْ كانت النجومُ التي يُهتدَى بها ، وإلاّ فإنه لأمرٍ حدث . فنظروا فإذا النجومُ التي يُهتدى بها كما هي لم يَزُلْ منها شيء[٢] ، فكفُّوا ، وصرف الله الجِنَّ ، فسمعوا القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا . وانطلقتِ الشياطين إلى إبليسَ فأخبروه ، فقال : هذا حدَثٌ حدَثَ في الأرض ، فأْتُوني من كلِّ أرضٍ بتربة ، فأتَوْهُ بتربةِ تهامة ، فقال . . هاهنا الحدث .

[ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب][٣] .

وقال الواقدي : حدّثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمرو بن عبد الله العبسي[٤] ، عن كعب قال : لم يُرْمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى تنبَّأ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها ، فرأت قريشٌ أمراً لم تكن تراه ، فجعلوا يُسَيِّبُونَ أنعامهم ويعتقون أرقَّاءَهم يظنُّون أنه الفَنَاء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهلَ الطائف ففعلتْ ثقيفٌ مثل ذلك ، فبلغ عبدَ يا ليل بنَ عمرو ما صنعتْ ثقيف . قال : ولم فعلتُم ما أرى ؟ قالوا : رُمي بالنجوم ، فرأيناها تهافَتُ من السماء . فقال : إنَّ إفادةَ المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجلوا وانظروا ، فإنْ تكنْ نجوماً تُعرف فهو عندنا من فناء الناس ، وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو لأمر قد حدث . فنظروا فإذا هي لا تُعرف ، فأخبروه فقال : الأمر فيه مُهْلَةٌ بعدُ ، هذا عند ظهور نبي . فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ، فجاءَهُ عبدُ يا ليل فذاكره أمر النجوم ، فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدَّعي أنه نبيٌّ مرسل . فقال عبدُ يا ليل : فعند ذلك رُمي بها[٥] .

وقال سعيد بن منصور عن خالد ، عن[٦] حصين ، عن عامر الشعبي قال : كانت النجومُ لا يُرمى بها

---

(١) في ح ، ط : فينحر . والمثبت من المصنف .

(٢) في المصنف : لم يرم منها بشيء .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ح وقد أورده البيهقي في الدلائل بألفاظ مقاربة (٢/ ٢٤٠) .

(٤) كذا في ح وفي ط : عمر بن عبدان العبسي . ولم أقف على ترجمة له ، والخبر ساقه أبو الفرج بن الجوزي في الوفا (١/ ١٧٤) وروى فيه عن أبي بن كعب .

(٥) إسناده تالف ، الواقدي متروك ، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف ، وشيخه عمرو بن عبد الله العبسي مجهول . (بشار) .

(٦) في ح ، ط : خالد بن حصين . تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي (٢/ ٢٤١) ومما ثبت من رواية خالد بن عبد الله الواسطي ، عن حصين بن عبد الرحمن في تهذيب الكمال للمزي في ترجمتيهما ، ورواية سعيد بن منصور عن خالد .

حتى بُعث رسول الله ﷺ فسيَّبوا أنعامَهم ، وأعتقوا رقيقهم . فقال عبدُ يا ليل : انظروا ، فإنْ كانتِ النجومُ التي تُعرف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو لأمرٍ قد حدث . فنظروا فإذا هي لا تُعرف . قال : فأمسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروجُ النبيِّ ﷺ .

وروى البيهقي[١] والحاكم من طريق العَوْفي عن ابن عباس قال : لم تكن سماءُ الدنيا تحرسُ في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه ، فلعل مرادَ مَنْ نَفَى ذلك أنها لم تكنْ تُحْرَسُ حراسةً شديدة ، ويجب حمل ذلك على هذا ، لما ثبت في الحديث[٢] من طريق عبد الرزاق ، عن معمر عن الزُّهْري عن علي بن الحسين ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : بينا رسولُ الله ﷺ جالسٌ إذْ رُمي بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رُمي بهذا ؟ » قال : كنا نقول : مات عظيم ، وولد عظيم ، فقال : « لا ولكن » . فذكر الحديث كما تقدَّم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق ولله الحمد[٣] .

وقد ذكر ابن إسحاق في « السيرة »[٤] قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثَقِيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إنْ كانت أعلامُ السماء أو غيرها[٥] ، ولكن سماه عمرو بن أمية . فالله أعلم .

وقال السُّدِّي : لم تكن السماء تُحرس إلا أن يكونَ في الأرض نبيٌّ أو دِينٌ للهِ ظاهر ، وكانتِ الشياطينُ قبل محمد ﷺ قد اتخذتِ المقاعد في سماءِ الدنيا ، يستمعون ما يحدثُ في السماء من أمر ، فلما بَعَثَ الله محمداً ﷺ نبياً رُجموا ليلةً من الليالي ، ففزِعَ لذلك أهلُ الطائف ، فقالوا : هلك أهلُ السماء لما رأوا من شدَّةِ النار في السماء ، واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقَّاءهم ، ويُسَيِّبون مواشيَهم ، فقال لهم عبدُ يا ليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر أهلِ الطائف أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا[٦] في معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة[٧] في أمكنتها فلم يهلك أهلُ السماء ، وإنما هو[٨] من ابن أبي كبشة ، وإنْ أنتم لم ترَوْها فقد أُهلك أهل السماء ، فنظروا فرأوها ، فكفُّوا عن أموالهم ، وفزِعَتِ الشياطين في تلك الليلة ، فأتَوا إبليس فقال : ائتوني من كلِّ أرضٍ بقبضةٍ من تراب . فأتَوْه ، فشمَّ فقال : صاحبُكم بمكة . فبعث سبعةَ نفَرٍ من جِنِّ نَصِيبين ، فقدموا مكة ، فوجدوا رسولَ الله ﷺ في المسجد الحرام يقرأُ القرآن ،

---

(١) دلائل البيهقي (٢/ ٢٤١) ، وإسناده ضعيف لضعف العوفي واسمه عطية ، وما قبله مجاهيل .
(٢) كما في دلائل البيهقي (٢/ ٢٣٨) وبنحوه أخرجه مسلم (٢٢٢٩) (١٢٤) في السلام باب تحريم الكهانة من طريق صالح عن ابن شهاب به . وبنحوه أورده ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق به .
(٣) انظر ما تقدم (١/ ١٥) وما بعدها .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١١٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٦) والروض (١/ ٢٣٦) .
(٥) في السيرة والروض : فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها . . .
(٦) في ح : إلى .
(٧) في ح : مستمرة .
(٨) في ح : هذا .

فدنَوْا منه حِرْصاً على القرآن حتى كادت كلاكِلُهم تصيبُه ، ثم أسلموا ، فأنزل الله أمْرَهم على نبيِّه ﷺ .

وقال الواقدي[١] : حدّثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم ـ يعني إسحاق ـ عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : لما بُعث رسولُ الله ﷺ أصبح كلُّ صنم منكَّساً ، فأتت الشياطينُ فقالوا له : ما على الأرض من صنم إلَّا وقد أصبح منكَّساً . قال : هذا نبيٌّ قد بُعث ، فالتمسوه في قرى الأرياف ، فالتمسوه فقالوا : لم نجده . فقال : أنا صاحبه . فخرج يلتمسه ، فنودي عليك بجَبَّةِ القلب[٢] ـ يعني مكة ـ فالتمسه بها فوجده بها عند قَرْن الثعالب[٣] ، فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدتُه معه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : نزيِّن الشهواتِ في أعْيُنِ أصحابه ، ونحبِّبها إليهم قال : فلا آسى إذاً .

وقال الواقدي[٤] : حدّثني طلحةُ بن عمرو ، عن ابنِ أبي مُليكة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما كان اليوم الذي تنبَّأ فيه رسولُ الله ﷺ مُنعتِ الشياطينُ من السماء ، ورُموا بالشهب ، فجاؤوا إلى إبليس فذكروا ذلك له ، فقال : أمرٌ قد حدث ، هذا نبيٌّ قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مَخْرَجَ بني إسرائيل . قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد . فقال إبليس : أنا صاحبُه فخرج في طلبه بمكة ، فإذا رسولُ الله ﷺ بحِرَاء منحدراً معه جبريل فرجع[٥] إلى أصحابه فقال : قد بُعث أحمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحبِّبُها إلى الناس قال : فذاك إذاً .

قال الواقدي[٦] : وحدّثني طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بُعث محمد ﷺ مُنعوا ، فشكَوْا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر فَرَقِيَ فوق أبي قُبيس ـ وهو أولُ جبلٍ وُضع على وجه الأرض ـ فرأى رسولَ الله ﷺ يصلِّي خلف المقام ، فقال : اذهب فاكسرْ عُنقه . فجاء يخطِرُ وجبريل عنده ، فركضَه جبريل ركضةً طرحَهُ في كذا وكذا ، فولَّى الشيطانُ هارباً .

ثم رواه الواقدي[٧] وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رباح بن أبي معروف ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال : فركضَهُ برجله فرماه بِعَدَن .

---

(١) لم أجده فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات وأورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٤) وأبو الفرج بن الجوزي في الوفا (١/ ١٧٦) . وذكره أيضاً السيوطي في الخصائص (١/ ١١٠) .

(٢) في ط : بجنبة الباب ، والمثبت من ح والدلائل والوفا .

(٣) قرن الثعالب ، هو قرن المنازل : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة . معجم البلدان (٤/ ٣٣٢) .

(٤) لم أجده فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات وأورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٥) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١١١) .

(٥) في ح : فدفع . ومعناه : انتهى إلى أصحابه .

(٦) أورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٦) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١١٢) .

(٧) ذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١١٢) .

فصـــل
في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفيةُ ما جاءَهُ جبريلُ في أول مرة ، وثاني مرة أيضاً .

وقال مالك[١] عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنَّ الحارثَ بن هشام سأل رسولَ الله ﷺ قال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوَحْيُ ؟ فقال : « أحياناً يأتيني مثلَ صَلْصَلَةِ[٢] الجرَس ـ وهو أشدُّهُ عليّ ـ فيفصِمُ عني وقد وعَيْتُ ما قال ، وأحياناً يتمثَّلُ لي الملَكُ رجلاً يُكلِّمُني فأعِيَ ما يقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيتُه ﷺ ينزل عليه الوحيُ في اليوم الشديدِ البَرْد فيفصِمُ عنه وإنَّ جبينَهُ ليتفَصَّدُ عَرَقاً .

أخرجاه في الصحيحَيْن من حديث مالكٍ به[٣] .

ورواه الإمام أحمد[٤] عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة به نحوه .

وكذا رواه عَبْدَة بن سليمان ، وأنس بن عياض ، عن هشام بن عروة ، وقد رواه أيوب السختياني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال : سألتُ رسول الله ﷺ فقلت : كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة .

وفي حديث الإفك[٥] قالت عائشة : فوالله ما رام رسولُ الله ﷺ ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أُنزل عليه ، فأخَذَهُ ما كان يأخذُهُ من البُرَحَاء ، حتى إنه كان يتحدَّرُ منه مثلُ الجُمَان من العَرَق ، وهو في يومٍ شاتٍ من ثقلِ الوحي الذي نزل عليه .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عبدُ الرزاق ، أخبرني يونس بن سُليم قال : أملى عليَّ يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن[٧] عبد الرحمن بن عبدٍ القارِيّ : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : كان

---

(١) الموطأ (١/ ٢٠٢) القرآن باب ما جاء في القرآن .

(٢) في ح ، ط : صلصة تصحيف ، والمثبت من الموطأ . والصلصلة في الأصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين . فتح الباري (١/ ٢٠) .

(٣) فتح الباري (١/ ١٨) بدء الوحي باب حدثنا عبد الله بن يوسف . وصحيح مسلم (٢٣٣٣) الفضائل باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي .

(٤) في مسنده (٦/ ١٥٨) .

(٥) انظر حديث الإفك مخرَّجاً فيما سيأتي في الجزء الرابع .

(٦) في مسنده (١/ ٣٤) ، وإسناده ضعيف لجهالة يونس بن سليم .

(٧) في ح ، ط : عروة بن عبد الرحمن ، وهو تصحيف ، والمثبت من المسند . وما يأتي بين معقوفين منه .

إذا نزل على رسولِ الله ﷺ الوَحْي ، يُسمع عند وجهه [دَوِيٌّ] كدَوِيِّ النَّحْل ، وذكر تمام الحديث في نزول ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] .

وكذا رواه الترمذي والنسائي[١] من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائي : منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفي صحيح مسلم وغيره[٢] من حديث الحسن ، عن حِطَّانَ بنِ عبد الله الرَّقاشي ، عن عُبادة بن الصامت قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كُرِب لذلك وتربَّد وجهه ـ وفي رواية وغمض عينَيْه ـ وكنا نعرفُ ذلك منه .

وفي الصحيحين[٣] حديث زيد بن ثابت حين نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [فلما شكا ابنُ أمِّ مَكْتُوم ضرارَتَه نزلت][٤] ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ . قال : وكانت فخذُ رسولِ الله ﷺ على فَخِذي وأنا أكتب ، فلما نزل الوحي كادَتْ فخِذُه تَرُضُّ فَخِذي .

وفي صحيح مسلم[٥] من حديث همَّام بن يحيى ، عن عطاء ، عن يَعْلى بن أمية قال : قال لي عمر : أيَسُرُّك أنْ تنظُرَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو يُوحَى إليه ؟ فرفع [عمرُ] طرفَ الثوب عن وجهه وهو يُوحَى إليه بالجِعْرَانة[٦] ، فإذا هو محمرُّ الوَجْه ، وهو يَغِطُّ كما يَغِطُّ البَكْر[٧] .

وثبت في الصحيحَيْن[٨] من حديث عائشة لما نزل الحِجَاب ، وأنَّ سَوْدَةَ خرجتْ بعد ذلك إلى المَنَاصِع[٩] ليلاً ، فقال عمر : قد عرفناكِ يا سَوْدَة . فرجعتْ إلى رسولِ الله ﷺ فسألَتْهُ وهو جالسٌ يتعشَّى

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٣) ، و(٣١٧٣ م) ، والنسائي في الصلاة من سننه الكبرى (١٤٣٩) عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق به . وتنظر تحفة الأشراف (٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) حديث (١٠٥٩٤) بتحقيقنا (بشار) .

(٢) صحيح مسلم (١٦٩٠) (١٢) الحدود باب حد الزنى . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣١٧) به .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٣٢) الجهاد باب قول الله عز وجل [النساء : ٩٥] ، و(٤٥٩٢) التفسير باب لا يستوي القاعدون ، وصحيح مسلم (١٨٩٨) في الإمارة باب فرض الجهاد عن المعذورين .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من ح ، وهو مروي بالمعنى وبألفاظ مقاربة لما جاء في البخاري .

(٥) صحيح مسلم (١١٨٠) (٦) الحج باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٦) مضى التعريف بها في ص(٦٠ ح٩) .

(٧) « البَكْر » : الفتي من الإبل ، وغَطَّ : صوَّت في شقشقته ، فإن لم يكن له شقشقة فهو هدير ، وغطَّ النائم غطيطاً : تردَّد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . المصباح (غطط) .

(٨) فتح الباري (٤٧٩٥) التفسير باب ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ وصحيح مسلم (٢١٧٠) (١٧) في السلام باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان .

(٩) « المناصع » : هي المواضع التي يُتخلَّى فيها لقضاء الحاجة ، واحدها مَنْصَع ، لأنه يُبرز إليها ويُظهر . النهاية (٥/ ٦٥/ نصع) .

والعَرْقُ في يده[١] ، فأوْحَى الله إليه والعَرْقُ في يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنَّهُ قد أُذِنَ لكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لحاجَتِكُنَّ » .

فدلَّ هذا على أنه لم يكنِ الوحْيُ يُغَيِّبُ عنه إحساسَهُ بالكُلِّيَّة ، بدليلِ أنه جالس لم يسقُطْ ولم يسقطِ العَرْقُ أيضاً من يده صلواتُ الله وسلامه دائماً عليه .

وقال أبو داود الطيالسي[٢] : حدّثنا عباد بن منصور ، حدّثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا أنزل[٣] عليه الوَحْي تربَّدَ لذلك جسدهُ ووجههُ ، وأمسك عن أصحابه ، ولم يكلِّمْه أحدٌ منهم .

وفي مسند أحمد[٤] وغيره من حديثِ ابن لَهيعة ، حدّثني يزيدُ بنُ أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قلت : يا رسولَ الله ، هل تُحِسُّ بالوَحْي ؟ قال : « نعم ، أسمع صَلاصِلَ ثم أسْبُتُ[٥] عند ذلك ، وما من مرَّةٍ يُوحَى إليَّ إلا ظننتُ أنَّ نفسي تَفِيضُ منه »[٦] .

وقال أبو يعلى المَوْصلي[٧] : حدّثنا إبراهيم بن الحجاج ، حدّثنا عبد الواحد بن زياد ، حدّثنا عاصم ابن كُليب ، حدّثنا أبي عن خاله الفَلَتَان[٨] بن عاصم قال : كُنا عند رسولِ الله ﷺ وأُنزل عليه ، وكان إذا أُنزل عليه دامَ بصَرُه ، ومفتوحةً عيناه[٩] ، وفرَّغَ سمعَهُ وقَلْبَهُ لما يأتيهِ من الله عزَّ وجل[١٠] .

وروى أبو نعيم[١١] من حديث قتيبة ، حدّثنا عليُّ بن غُرَاب ، عن الأحوص بن حكيم ، عن أبي

---

(١) « العرق » : بفتح العين وإسكان الراء : وهو العظم الذي عليه بقية اللحم . شرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ١٥١) .

(٢) مسند الطيالسي (٢٦٦٧) .

(٣) في ح : نزل .

(٤) مسند أحمد (٢/ ٢٢٢) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .

(٥) كذا في ح ، وفي ط : أثبت ، وفي مسند أحمد : أسكت . وأسبت من السَّبْت ، وهو الراحة والسكون أو من القطع وترك الأعمال . النهاية (سبت/ ٢/ ٣٣١) .

(٦) « فاض الرجل » : مات ؛ وفاضت نفسه : خرجت . اللسان (فيض) . وفي ط تغيظ ، وهما بمعنى .

(٧) مسند أبي يعلى (١ ـ ١٥٨٣) من حديث الفلتان . وقد خرجه الحافظ ابن حجر في ترجمة الفلتان في الإصابة فقال : رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى في مسنديهما وابن حبان في صحيحه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩) وقال رواه أبو يعلى والبزار بنحوه والطبراني بنحوه ، ورجال أبي يعلى ثقات .

(٨) في ح بمهملات ، وفي ط : العليان ، وفي مجمع الزوائد (الغلبان) وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أبي يعلى الإصابة في ترجمة الفلتان .

(٩) كذا في ح ، وفي مسند أبي يعلى ومجمع الزوائد والإصابة من غير واو ، وفي ط : وعيناه مفتوحة .

(١٠) لم أجده فيما طبع من الدلائل وأورده السيوطي في الخصائص (١/ ١٢٠) .

(١١) تتمته في مسند أبي يعلى : قال : فكنا نعرف ذلك منه ، فقال للكاتب : اكتب ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . . =

عوانة[١] ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صُدِّع ، وغَلَّف رأسه بالحِنّاء .

هذا حديث غريب جداً .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا أبو معاوية شيبان ، عن ليث ، عن شَهْرِ بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني آخذةٌ بزمام العَضْباء ناقةِ رسولِ الله ﷺ ، إذْ نزلت[٣] عليه المائدةُ كلّها ، وكادت من ثقلها تَدُقُّ عَضُدَ الناقة .

وقد رواه أبو نعيم[٤] من حديث الثوري عن ليث بن أبي سُليم به .

وقال الإمام أحمدُ أيضاً[٥] : حدثنا حسن ، حدّثنا ابن لَهِيعة ، حدّثني حُيَيٌّ[٦] بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أُنْزلتْ على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تَحْمِله ، فنزل عنها .

وروى ابنُ مَرْدويه من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول : حدّثتني أمُّ عمرو عن عمها ، أنه كان في مسيرٍ مع رسول الله ﷺ فأُنزلتْ عليه سورةُ المائدة ، فاندقَّ عُنق الراحلة من ثِقْلِها .

وهذا غريبٌ من هذا الوجه[٧] . ثمّ قد ثبت في الصحيحَيْن[٨] نزولُ سورةِ الفتح على رسول الله ﷺ مَرْجِعَهُ من الحُدَيبية ، وهو على راحلته ، فكأنَّه[٩] يكون تارة وتارة بحسب الحال . والله أعلم .

وقد ذكرنا أنواع الوَحْي إليه ﷺ في أول شرح البخاري وما ذكره الحَليمي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم .

= ﴿ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٩٥] قال : فقام الأعمى فقال : يا رسول الله ، ما ذنبنا ؟ فأنزل الله ، فقلنا للأعمى : إنه ينزل على النبي ﷺ فخاف أن يكون ينزل عليه شيء من أمره فبقي قائماً يقول : أعوذ بغضب رسول الله . قال : فقال النبي ﷺ للكاتب : « اكتب ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ » .

(١) في ح : عن أبي عون ، ولم يتبين لي وجه الصواب فيهما .
(٢) في مسنده (٦/ ٤٥٥) . قال بشار : وإسناده ضعيف لضعف ليث ، وهو ابن أبي سليم ، وشيخه شهر بن حوشب .
(٣) في المسند : أنزلت .
(٤) لم أجده فيما طبع من الدلائل وقد ذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٢٠) عن أبي نعيم ، وإسناده ضعيف مثل سابقه .
(٥) في مسنده (٢/ ١٧٦) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .
(٦) في ط : جبر بن عبد الله ، تصحيف ، والمثبت من ح والمسند والإكمال (٢/ ٥٨١) .
(٧) صباح بن سهل منكر الحديث (الميزان ٢/ ٣٠٥) .
(٨) سيأتي من سياق البخاري في غزوة الحديبية (٣/ ١٧٧) ط .
(٩) في ط : فكان .

فصــــل

قال الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٦ ـ ١٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] وكان هذا في الابتداء ، كان عليه الصلاة والسلام من شِدَّةِ حِرْصِه على أَخْذِهِ من المَلَكِ ما يوحيه إليه عن الله عزَّ وجلَّ ليساوقه في التلاوة ، فأمرَهُ الله تعالى أنْ يُنْصِتَ لذلك حتى يَفْرُغ من الوحي ، وتكفَّلَ له أن يجمعَهُ في صدرِه ، وأن يُيَسِّرَ عليه تلاوتَه وتبليغَه ، وأن يُبَيِّنَهُ له ، ويفسِّرَهُ ويوضِّحَه ، ويُوقفَه على المرادِ منه . ولهذا قال : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] وقال : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ ﴾ أي في صدرك ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ أي وأنْ تقرأهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أي تَلاهُ عليكَ المَلَكُ ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨] أي فاستمِعْ له وتدبَّرْهُ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٩] وهو نظيرُ قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ .

وفي الصحيحين[١] من حديث موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ يُعالجُ من التنزيلِ شدَّة ، فكان يحرِّكُ شفتَيْه ، فأنزلَ اللهُ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : جَمْعَهُ في صدْرِك ، ثم تقرَأُهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فاستمِعْ له وأنصتْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ قال : فكان إذا أتاه جبريلُ أطْرَقَ ، فإذا ذهبَ قرأَهُ كما وعدَهُ الله عزَّ وجلَّ .

فصــــل

قال ابن إسحاق[٢] : ثم تتابع الوحيُ إلى رسولِ الله ﷺ وهومصدِّقٌ بما جاءَهُ منه ، قد قبله بقَبُوله ، وتحملَّ منه ما حمله على رضا العبادِ وسخطهم ، وللنبوَّةِ أثقالٌ ومُؤْنة ، لا يحملُها ولا يستضلعُ بها[٣] إلا أهلُ القوة والعَزْم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه ، لما يَلْقَوْن من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاؤا به عن الله عزَّ وجلَّ ، فمضى رسولُ الله ﷺ على ما أمر الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق[٤] : وآمنتْ خديجةُ بنت خُويلد وصدَّقتْ بما جاءه من الله ، ووازرَتْهُ على أمره ، وكانت أوَّلَ مَنْ آمنَ بالله ورسوله وصدَّق بما جاء منه ، فخفَّفَ الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً

---

(١) فتح الباري (٤٩٢٩) التفسير (٧٥) سورة القيامة باب فإذا قرآناه فاتبع قرآنه . وصحيح مسلم (٤٤٨) الصلاة باب الاستماع للقراءة .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠) والروض (١/ ٢٧٦) .

(٣) كذا في ط وفي ح : يستظلع ، وفي سيرة ابن هشام والروض يستطيع ، ولعل الصواب : يضطلع . من اضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة ، يقال : اضطلع بحمله أي قوي عليه ونهض به . انظر اللسان (ضلع) .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠) والروض (١/ ٢٧٧) .

يكرهه ، مِن ردٍّ عليه ، وتكذيبٍ له فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفِّفُ عنه ، وتصدِّقه وتهوِّن عليه أمر الناس ، رضي لله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسولُ الله ﷺ: « أُمرتُ أنْ أُبَشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قصَب ، لا صَخَب فيه ولا نصَب » .

وهذا الحديث مخرَّجٌ في الصحيحَيْن[٢] من حديث هشام .

قال ابنُ هشام : القصَب هاهنا : اللُّؤْلؤ المجوَّف .

قال ابن إسحاق[٣] : وجعل رسولُ الله ﷺ يذكر[٤] ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله .

وقال موسى بن عقبة عن الزُّهْري : كانت خديجةُ أولَ من آمن بالله وصدَّق رسوله ، قبل أن تُفرَض الصلاة .

قلت : يعني الصلواتِ الخمس ليلةَ الإسراء . فأمَّا أصْلُ الصلاة فقد وجب في حياةِ خديجةَ رضي الله عنها كما سنبيِّنهُ .

وقال ابن إسحاق[٥] : وكانت خديجةُ أولَ من آمن بالله ورسوله ، وصدَّق بما جاء به .

ثم إنَّ[٦] جبريل أتى رسولَ الله ﷺ حين افتُرِضتْ عليه الصلاة فهمَزَ له بِعَقبه في ناحيةِ الوادي فانفجرتْ له عينٌ من ماء زَمْزَم ، فتوضَّأ جبريلُ ومحمد عليهما السلام ، ثم صلَّى ركعتَيْن وسجد أربع سجدات ، ثم رجع النبيُّ ﷺ قد أقرَّ الله عينَه ، وطابتْ نفسُه ، وجاءه ما يُحبُّ من الله ، فأخذ يدَ خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضَّأ كما توضَّأ جبريل ، ثم ركع ركعتَيْن وأربع سجدات ، ثم كان هو وخديجة يصلِّيان سرّاً .

قلت : صلاةُ جبريلَ هذه غيرُ الصلاة التي صلاها به عند البيت مرَّتَيْن ، فبيَّن له أوقاتِ الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإنَّ ذلك كان بعد فرضيَّتها ليلة الإسراء ، وسيأتي بيانُ ذلك إنْ شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان[٧] .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤١) والروض (١/ ٢٧٧) .
(٢) فتح الباري (٣٨١٧) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ وصحيح مسلم (٢٤٣٢) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٣) .
(٤) في ط : يذكر جميع . وليست هذه الزيادة في ح ولا في سيرة ابن هشام .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠) والروض (١/ ٢٧٧) .
(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٤) والروض (١/ ٢٨٣) بنحوه .
(٧) سيأتي في ص(٣٥١، ٣٥٢) من هذا الجزء .

فصـــل
في ذكر أول من أسلم من متقدِّمي الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق(١) : ثم إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهم(٢) يصلِّيان ، فقال علي : يا محمد ما هذا ؟ قال : « دينُ الله الذي اصطفى لنفسه ، وبعث به رُسُلَه ، فأدعوكَ إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته وكفرٍ باللاتِ والعُزَّى » فقال علي : هذا أمْرٌ لم أسمعْ به قبل اليوم ، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب . فكره رسولُ الله ﷺ أنْ يُفشيَ عليه سرَّهُ قبل أن يستعلن أمْرُه . فقال له : « يا علي ، إذ لم تُسْلِم(٣) فاكتُمْ » . فمكث عليٌّ تلك الليلة ، ثمَّ إنَّ الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلامَ ، فأصبح غادياً إلى رسولِ الله ﷺ حتى جاءه فقال : ماذا عرضتَ عليَّ يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « تشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وتكفر باللاتِ والعُزَّى ، وتبرأُ من الأنداد » ففعل عليٌّ وأسلم ، ومكث يأتيه على خوفٍ من أبي طالب ، وكتم عليٌّ إسلامه ولم يظهره .

وأسلم ابنُ حارثة ـ يعني زيداً ـ فمكثا(٤) قريباً من شهر يختلف عليٌّ إلى رسول الله ﷺ ، وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حَجْر رسولِ الله ﷺ قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق(٥) : حدَّثني ابنُ أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال : وكان من نعمة الله على عليّ أنَّ قريشاً أصابتهم أزْمةٌ شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثيرة(٦) ، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ : « يا عباس ، إنَّ أخاكَ أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزْمة ، فانطلقْ حتى نخفِّفَ عنه من عياله » فأخذ رسولُ الله ﷺ علياً فضمَّهُ إليه ، فلم يزلْ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، فاتَّبَعَهُ عليٌّ وآمن به وصدَّقه .

وقال يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق(٧) : حدّثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي ـ من أهل الكوفة ـ حدّثني إسماعيلُ بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدِّه عفيف ـ وكان عفيف أخا الأشعث بن

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٣٧) .
(٢) كذا في ح ، وفي ط : وهما ، وعند ابن إسحاق : بيومين فوجدهما . وهو أشبه بالصواب .
(٣) جاء في حاشية ط ما نصه : في المصرية : إذ لم تسمع فاكتم . قلت : وما هو مثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .
(٤) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق : فمكث . وهو أشبه بالصواب .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٦) والروض (١/ ٢٨٥) بأوعب مما هنا .
(٦) في السيرة والروض : كثير .
(٧) في سير ابن إسحاق (ص١٣٧) وما يأتي بين معقوفين منه ، وساقه الذهبي في الميزان (١/ ٢٢٣) وروى نحوه سعيد بن خثيم الهلالي بسنده إلى إسماعيل ولم يصححهما البخاري قاله الذهبي .

قيس لأمه[١] ـ أنه قال : كنتُ امرأً تاجراً ، فقدمتُ مِنىً أيام الحجّ ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأً تاجراً ، فأتيتُه أبتاع منه وأبيعه ، قال : فبينا نحن إذْ خرج رجلٌ من خِباءٍ يصلّي ، فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجتِ امرأةٌ فقامتْ تصلّي ، وخرج غلامٌ فقام يصلّي معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدِّين ؟ إنَّ هذا الدِّين ما ندري ما هو ؟ فقال [العباس] : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أنَّ الله أرسله ، وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستُفتح عليه ، وهذه امرأته خديجةُ بنت خُويلد آمنتْ به ، وهذا الغلام ابنُ عمِّه عليُّ بن أبي طالب آمن به .

قال عفيف : فليتني كنتُ آمنت يومئذ ، فكنت أكون ثانياً .

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق[٢] ، وقال في الحديث : إذْ خرج رجلٌ من خِباءٍ قريب منه ، فنظر إلى السماء ، فلما رآها قد مالت قام يُصلِّي . ثم ذكر قيامَ خديجةَ وراءه .

وقال ابنُ جرير[٣] : حدّثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدّثنا سعيد بن خُثيم ، عن أسد بن عَبْدَةَ البَجَلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف[٤] . قال : جئت في[٥] الجاهلية إلى مكة ، فنزلتُ على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلَّقتْ في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌّ فرمى ببصره إلى السماء ، ثمّ استقبل الكعبة فقام مستقبلَها ، فلم يلبثْ حتى جاء غلامٌ فقام عن يمينه ، فلم يلبثْ حتى جاءتِ امرأةٌ فقامتْ خلفهما ، فركع الشابُّ ، فركع الغلامُ والمرأة ؛ فرفع الشابّ فرفع الغلام والمرأة ، فخرَّ الشابُّ ساجداً فسجدا معه ، فقلت : يا عباس ، أمرٌ عظيم ! فقال : أمر عظيم ! فقال أتدري[٦] مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري[٦] من الغلام ؟ قلت : لا ، قال : هذا عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أتدري[٦] مَنْ هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجةُ بنتُ خويلد زوجةُ ابنِ أخي ، وهذا حدثني أنَّ ربَّك ربُّ السماء والأرض ، أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وايْمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كُلِّها أحداً على هذا الدِّين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير[٧] : حدّثني ابنُ حُميد ، حدّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، حدّثنا محمد بن المنكدِر

---

(١) المعترضة ما بين الخطين ليست في سيرة ابن إسحاق ولا الميزان .
(٢) ميزان الاعتدال (١/ ٢٢٣) حيث ساقه عن إبراهيم هذا .
(٣) ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ٣١١) وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٧) عن يحيى بن الفرات القزاز عن سعيد بن خثيم به .
(٤) قوله « عن عفيف » سقط من ط ولا يصح إلا به ، فأثبتناه من تاريخ الطبري .
(٥) في ح : من ، وفي ط : زمن . والمثبت من تاريخ الطبري .
(٦) في ح : أتدرون ، والمثبت من ط وتاريخ الطبري .
(٧) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٢) .

وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي ، قالوا : عليٌّ أوّل من أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابنُ تسعِ سنين .

وحدّثنا[١] ابن حُميد ، حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : أولُ ذَكَر آمنَ برسول الله ﷺ وصلّى معه وصدَّقه عليُّ بنُ أبي طالب ، وهو ابنُ عشر سنين ، وكان في حَجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

قال الواقدي[٢] : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أسلم عليٌّ وهو ابنُ عشر سنين[٣] .

قال الواقدي[٤] : وأجمع أصحابنا على أنَّ علياً أسلم بعد ما تنبَّأ رسولُ الله ﷺ بسنة .

وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الأمة خديجةُ ، وأول رجلين أسلما أبو بكر وعليٌّ ، وأسلم عليٌّ قبل أبي بكر ، وكان عليٌّ يكتم إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لَقِيَهُ أبوه قال : أسلمت ؟ قال : نعم ! قال : وازِرِ ابنَ عمك وانصُرْه . قال : وكان أبو بكر الصديق أولَ من أظهر الإسلام .

وروى ابنُ جرير في تاريخه[٥] من حديث شعبة ، عن أبي بَلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أوّلُ من صلَّى عليٌّ .

وحدثنا عبد الحميد بن بحر[٦] ، حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل ، عن جابر ، قال : بُعث النبيُّ ﷺ يوم الاثنين ، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء .

وروى[٧] من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ـ رجلٍ من الأنصار ـ سمعتُ زيد بن أرقم يقول : أولُ من أسلم مع رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب . قال : فذكرتُه للنَّخَعيِّ فأنكره وقال : أبو بكر أولُ من أسلم .

ثم قال[٨] : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا العلاء ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبَّاد بن عبد الله ،

---

(١) القائل هو ابن جرير الطبري أيضاً في تاريخه (٢/ ٣١٢) بأوعب مما هنا .
(٢) قول الواقدي فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١) وفيما نقله الطبري في تاريخه (٢/ ٣١٤) .
(٣) في ح ، ط : إبراهيم عن نافع ، وهو تحريف ، والمثبت من الطبقات والطبري وترجمتي إبراهيم بن نافع وعبد الله بن أبي نجيح في تهذيب الكمال .
(٤) قول الواقدي في تاريخ الطبري (٢/ ٣١٤) .
(٥) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٠) .
(٦) في ح ، ط : عبد الحميد بن يحيى ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ الطبري (٢/ ٣١٠) وترجمته في الكامل لابن عدي (٥/ ١٩٥٩) ولسان الميزان (٣/ ٣٩٥) ، وهو ضعيف يسرق الحديث .
(٧) يعني الطبري في تاريخه (٢/ ٣١٠) .
(٨) يعني الطبري وما يأتي بين معقوفين منه .

سمعتُ علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّدِّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذبٌ مُفْتَرٍ ، صلَّيتُ مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين .

وهكذا رواه ابن ماجَهْ[١] ، عن محمد بن إسماعيل الرازي ، عن عُبيد الله بن موسى العَبْسي[٢] ـ وهو شيعيٌّ من رجال الصحيح ـ عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي ـ وثقوه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق[٣] الشيعة ـ وقال عليُّ بن المَديني : روى أحاديث مناكير . والمِنْهال بن عمرو ثقة ، وأما شيخُه عباد بن عبد الله ـ وهو الأسدي الكوفي ـ فقد قال فيه عليُّ بن المَديني : هوضعيفُ الحديث . وقال البخاري : فيه نظر . وذكره ابن حِبَّان في الثقات .

وهذا الحديث منكر بكلِّ حال ، ولا يقولُه عليٌّ رضي الله عنه ، وكيف يمكن أنْ يصلِّيَ قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصوَّرُ أصلاً ، والله أعلم .

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصدِّيق ، والجمعُ بين الأقوال كلِّها أنَّ خديجة أولُ من أسلم من النساء ، وظاهر السياقات ـ وقبل الرجال أيضاً ـ وأولُ مَنْ أسلم من الموالي زَيْد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان عليُّ بن أبي طالب . فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذْ ذاك أهلَ البيت . وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفعَ [من إسلام][٤] من تقدَّم ذِكْرهم إذْ كان صدراً معظَّما ، ورئيساً في قريش مكرَّماً ، وصاحبَ مال وداعيةً إلى الإسلام . وكان محبَّباً متألِّفاً يبذلُ المالَ في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله .

قال يونس عن ابن إسحاق[٥] ثمّ إنَّ أبا بكر الصديق لقي رسولَ الله ﷺ فقال : أحقٌّ ما تقول قريشٌ يا محمد ؟ مِن تَرْكك آلهتنا ، وتسفيهكَ عقولَنا ، وتكفيركَ آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بلى إني رسولُ الله ونبيُّه ، بعثني لأُبَلِّغ رسالتَه ، وأدعوكَ إلى الله بالحق ، فوالله إنَّه للحَقُّ ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يُقِرَّ ولم يُنكر . فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وأَقرَّ بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدِّق .

---

(١) في سننه (١٢٠) المقدمة باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١١١ ، ١١٢) من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي إسحاق عن المنهال به . وقال الذهبي : ولا هو بصحيح ، بل حديث باطل . وانظر ما قاله الذهبي في الميزان (٢/ ٣٦٨) في ترجمة عباد بن عبد الله .

(٢) في ط : الفهمي ، وفي ح : الغمسى . وكلاهما تحريف ، والمثبت من أنساب السمعاني (٨/ ٣٦٧) وترجمته في الميزان (٣/ ١٦) .

(٣) في ح : عتيق .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص١٣٩) .

قال ابن إسحاق[١] : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « ما دَعَوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانتْ عنده كَبْوَةٌ وتردُّدٌ ونظَر ، إلا أبا بكر ماعَكَم عنه حين ذكرتُه ، ولا تردَّد فيه » .

عكم : أي تَلَبَّثَ[٢] .

وهذا الذي ذكره ابنُ إسحاق في قوله : فلم يُقِرَّ ولم ينكرْ ، فإنَّ ابنَ إسحاقَ وغيرَهُ ذكروا أنَّهُ كان صاحبَ رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وكان يعلم من صِدْقِه وأمانتِه وحسنِ سجيَّته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخَلْق . فكيف يكذبُ على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إنَّ الله أرسله بادر إلى تصديقِه ولم يتلعثم ، ولا عَكَم ، وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناهُ في سيرته ، وأوردنا[٣] فضائله وشمائله وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً ، وأوردنا ما رواه كلٌّ منهما عن النبيِّ ﷺ من الأحاديث ، وما رُوي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاثَ مجلدات ، ولله الحمدُ والمِنَّة .

وقد ثبت في صحيح البخاري[٤] عن أبي الدرداء في حديثٍ ما كان بين أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما من الخصومة ، وفيه . فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله بعثني إليكم ، فقلتم كذبتَ ، وقال أبو بكرٍ : صدَقَ . وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا[٥] لي صاحبي ؟ » فما أُوذي بعدها .

وهذا كالنص على أنه أولُ من أسلم رضي الله عنه .

وقد روى الترمذي وابنُ حبّان[٦] من حديث شعبة عن سعيد الجُرَيري ، عن أبي نَضْرَة ، عن

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٣٩) .

(٢) في سيرة ابن إسحاق : عتم . ومعناهما متقارب ، وفي النهاية (عكم/ ٣/ ٢٨٥) ما عكم عنه : أي ما تحبّس وما انتظر ولا عدل .

(٣) في ح : وأوردت .

(٤) فتح الباري (٣٦٦١) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .

(٥) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٥) : قال أبو البقاء : إن حذف النون من خطأ الرواة ، لأن الكلمة ليست مضافة فيها ألف ولام ، وإنما يجوز الحذف في هذين الموضعين . ووجَّهها غيره بوجهين : أحدهما أن يكون « صاحبي » مضافاً وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الإضافة ، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيماً للصديق ، ونظيره قراءة ابن عامر ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ بنصب أولادهم وخفض شركائهم وفصل بين المضافين بالمفعول ، والثاني أن يكون استطال الكلام فحذف النون كما يحذف من الموصول المطول . اهـ .

(٦) في جامع الترمذي (٣٦٦٧) المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما . والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٦٨٦٣) إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة باب ذكر البيان بأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال . قال بشار : وهو حديث معلول رفعَهُ عقبة بن خالد عن شعبة ، وخالفه عبد الرحمن بن مهدي فرواه عن شعبة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، قال : قال أبو بكر . قال الترمذي : وهذا أصح . وكذلك قال ابن أبي حاتم في العلل=

أبي سعيد ، قال : قال أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه : ألستُ أحقَّ الناسِ بها ، ألستُ أولَ منْ أسلم ، ألستُ صاحبَ كذا ؟

وروى ابنُ عساكر[١] من طريق بهلول بن عبيد ، حدّثنا أبو إسحاق السَّبيعي عن الحارث ، سمعتُ عليّاً يقول : أولُ من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلَّى مع النبي ﷺ من الرجال عليُّ بن أبي طالب .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أولُ من صلَّى مع النبي ﷺ أبو بكر الصدِّيق .

رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسنٌ صحيح[٢]

وقد تقدَّم روايةُ ابنِ جرير ، من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم . قال : أولُ من أسلم عليُّ بن أبي طالب . قال عمرو بن مرة : فذكرتُه لإبراهيم النَّخعي فأنكره وقال : أولُ من أسلم أبو بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه[٣] .

وروى الواقدي بأسانيده[٤] عن أبي أروى الدوسي وأبي سَلَمَة بنِ[٥] عبد الرحمن في جماعةٍ من السلف : أوَّلُ من أسلم أبو بكر الصدِّيق .

وقال يعقوب بن سفيان[٦] : حدّثنا أبو بكر الحميدي ، حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن مالك بن مغول ، عن رجلٍ قال : سئل ابنُ عباس : مَن أوَّلُ مَنْ آمن ؟ فقال : أبو بكر الصدِّيق ، أما سمعتَ قول حسَّان :

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخي ثقةٍ ... فـاْذكُرْ أخـاكَ أبـا بكـرٍ بمـا فَعـلا
خيـرَ البـريّـةِ أوفـاهـا وأعـدَلَهـا ... بعـدَ النبـيِّ وأولاهـا بمـا حَمـلا
والتاليَ الثانيَ المحمودَ مَشْهَدُه ... وأوَّلَ الناسِ منهم صدَّقَ الرُّسُلا

= (٢/ ٣٨٨) ، وقال الدارقطني في العلل (١/ ٢٣٥) س ٣٧ : « وكذلك رواه ابن عُلية وابن المبارك وعدة عن شعبة مرسلاً ، وهو الصحيح » . وانظر بلا بد تعليقي على جامع الترمذي ، وراجع العلل له (٦٩٠) .

(١) نقله عن ابن عساكر المتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٦٦٩) فضل الصديق رضي الله عنه ، وهو في مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (١٣/ ٤٣) .

(٢) مسند أحمد (٤/ ٣٦٨ و٣٧٠) وجامع الترمذي (٣٧٣٥) المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب . ولفظه : أول من أسلم علي . قال عمرو بن مرة : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق . وأما لفظ أحمد فكرواية ابن جرير الآتي ذكرها ، وفضائل الصحابة للنسائي (٣٤) .

(٣) مضى في الصفحة التي قبلها ، وهو عند الترمذي فلا معنى لهذه الإحالة .

(٤) رواية الواقدي هذه في طبقات ابن سعد (٣/ ١٧١ ، ١٧٢) .

(٥) في ح ، ط : أبو مسلم . وهو تصحيف ، والمثبت من طبقات ابن سعد .

(٦) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٤) وهذا الخبر في القسم المفقود منه ، ومقتبس من هنا .

عــاشَ حميــداً لأمْــرِ اللهِ متَّبعــاً   بأمرِ صاحبِهِ الماضي وما انتَقلا[١]

وقد رواه أبو بكر بنُ أبي شيبةَ[٢] : حدّثنا شيخٌ لنا ، عن مجالد ، عن عامر قال : سألتُ ابنَ عباس ـ أو سئل ابنُ عباس ـ أيُّ الناس أولُ إسلاماً ؟ قال : أما سمعتَ قولَ حسان بن ثابت ؟ فذكره .

وهكذا رواه الهيثمُ بنُ عدي عن مجالد ، عن عامر الشعبي : سألتُ ابن عباس فذكره .

وقال أبو القاسم البغوي[٣] حدّثني سُرَيج بن يونس ، حدّثنا يوسف بن الماجشون[٤] قال : أدركتُ مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكُّون أنَّ أولَ القوم إسلاماً أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النَّخَعي ، ومحمدُ بن سيرين ، وسعد بن إبراهيم ، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة .

وروى ابنُ عساكر[٥] عن سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن الحنفية ، أنهما قالا : لم يكنْ أوَّلَهم إسلاماً ، ولكن كان أفضلَهُمْ إسلاماً . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة .

وثبت في صحيح البخاري[٦] من حديث همَّام بن الحارث ، عن عمار بن ياسر ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ وما معه إلا خَمْسَةُ أعْبُدٍ وامرأتان وأبو بكر .

وروى الإمام أحمدُ[٧] وابنُ ماجه[٨] من حديث عاصم بن أبي النَّجُود ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، قال : أولُ من أظهر الإسلام سبعة : رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمَّار ، وأمُّه سُمَيَّة ، وصُهَيب ، وبلال ، والمِقْداد . فأمَّا رسولُ الله ﷺ فمنعَهُ اللهُ بعمِّه ، وأمَّا أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأمَّا سائرهم فأخذَهُم المشركون فألبسوهم أدْرَاعَ الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بِلالاً فإنَّهُ هانتْ عليه نفسُهُ في الله ، وهانَ على قومه ، فأخذوه ، فأعْطَوْهُ الوِلْدَان فجعلوا يطوفونَ به في شعابِ مكةَ وهو يقول : أحدٌ أحَد .

وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلاً .

---

(١) الأبيات في ديوان حسان (١/ ١٢٥) بألفاظ مقاربة ، وتخريجها فيه .
(٢) في المصنف (١٨٤٣٣) المغازي باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه .
(٣) أظنه في معجم الصحابة الموجود منه جزءان هما العاشر والحادي عشر في الرباط (٣٤١ك) الأعلام (٤/ ١١٩) .
(٤) هو يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون .
(٥) مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (١٣/ ٤٣) .
(٦) فتح الباري (٣٦٦٠) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .
(٧) في مسنده (١/ ٤٠٤) .
(٨) في سننه (١٥٠) المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد ، وهو حديث صحيح .

فأمَّا ما رواه ابنُ جرير قائلاً[١] : أخبرنا ابنُ حُميد ، حدّثنا كنانة بن جَبَلة[٢] عن إبراهيم بن طَهْمان عن حجّاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن محمد بن سعد بن أبي وقَّاص ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أوَّلَكُم إسلاماً ؟ قال : لا ! ولقد أسلم قَبْلَهُ أكثرُ من خمسين ، ولكن كانَ أفْضَلَنا إسلاما . فإنَّهُ حديثٌ منكر إسناداً ومتناً .

قال ابنُ جرير[٣] : وقال آخرون : كان أولَ من أسلم زيدُ بنُ حارثة . ثمّ روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألتُ الزهري : مَنْ أولُ من أسلم من النساء ؟ قال خديجة : قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة .

وكذا قال عروة وسليمانُ بنُ يسار ، وغيرُ واحدٍ : أولُ من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأنَّ أولَ مَنْ أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن الغلمان عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن إسحاق[٤] : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزَّ وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مَألفاً لقومه ، مُحَبّاً[٥] سهلاً ، وكان أنسبَ قريشٍ لقريش ، وأعلم قريشٍ بما كان فيها من خير وشر ؛ وكان رجلاً تاجراً ، ذا خُلُقٍ ومعروف ، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر ، لعلمهِ وتجارتِه وحُسْنِ مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثِقَ به من قومه ممن يغشاهُ ويجلس إليه ، فأسلم على يديه فيما بلغني الزُّبيرُ بنُ العوَّام ، وعثمانُ بن عفَّان ، وطلحةُ بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقَّاص ، وعبد الرحمنِ بنُ عوف ، رضي الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسولِ الله ﷺ ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحقِّ الإسلام[٦] فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام ، فصدَّقوا[٧] رسولَ الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله .

وقال محمد بن عمر الواقدي[٨] : حدّثني الضحاك بن عثمان ، عن مَخْرَمَة بنِ سليمان الوالبيّ ، عن

---

(١) في تاريخه (٢/ ٣١٦) .
(٢) في ح ، ط : حبلة ، بالحاء المهملة ، والمثبت من الطبري وتهذيب الكمال (٢٥/ ٩٨) ، وقد جعل ابن ماكولا وغيره « جبلة » الجادة ، وأحصوا ما سواه فلم يذكروا كنانة هذا .
(٣) في تاريخه (٢/ ٣١٦) .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٠) .
(٥) في السير : محبَّباً .
(٦) زاد ابن إسحاق هنا : وبما وعدهم من كرامة فآمنوا . . .
(٧) في السير : فصلوا وصدقوا .
(٨) قول الواقدي هذا في طبقات ابن سعد (٣/ ٢١٤ ، ٢١٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٦٦) .

إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : قال طلحةُ بن عُبيد الله : حضرتُ سوق بصرى ، فإذا راهبٌ في صَوْمعتِه يقول : سلوا أهلَ المَوْسِم ، أفيهم رجلٌ من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلتُ : نعم ! أنا ، فقال : هل ظهر أحمدُ بعد ؟ قلتُ : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبدِ الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرجُ فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مَخْرَجُه من الحرَم ، ومُهاجَرُه إلى نَخْلٍ وحَرَّةٍ وسباخ ، فإياك أنْ تُسبَقَ إليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجتُ سريعاً حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث[١] ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين ، قد تنبَّأ ، وقد تبعه أبو بكرٍ بنُ أبي قُحافَة . قال : فخرجتُ حتى قدمت على أبي بكر ، فقلت : أتبعتَ هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلقْ إليه فادخلْ عليه فاتبعْهُ ، فإنه يدعو إلى الحقّ . فأخْبَرَهُ طلحةُ بما قال الراهب . فخرج أبو بكرٍ بطلحةَ فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبر رسولَ الله ﷺ بما قال الراهب ، فسُرَّ بذلك ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفلُ بن خُويلد بن العَدَوِيَّة ـ وكان يُدْعَى أَسَدَ قريش ـ فشدَّهما في حبلٍ واحد ، ولم يمنَعْهما بنو تَيم ، فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحةُ القرينَيْن .

وقال النبي ﷺ : « اللّهم اكْفِنا شرَّ ابنِ العدَوِيَّة » رواه البيهقي[٢]

وقال الحافظ أبو الحسن خيثمةُ بن سليمان الأطرابُلسي[٣] : حدّثنا عُبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المَصِّيصة[٤] ، حدّثنا أبو بكر عبد الله بن عُبَيْد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله ، حدّثني أبي عبيد الله ، حدّثني عبد الله بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : حدّثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسولَ الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم ، فقدتَ من مجالس قومك، واتَّهموك بالعيبِ لآبائها وأمهاتها . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني رسولُ الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ [رسولُ الله ﷺ من] كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحدٌ أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكرٍ فراح لعثمان[٥] بن عفَّان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان[٦] بن مظعون ، وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا رضي الله عنهم .

---

(١) في الطبقات : ودلائل البيهقي : حَدَث .
(٢) في دلائل النبوة (٢/ ١٦٧) وإسناده ضعيف .
(٣) في فضائل الصديق مجموع(٦٢) في الظاهرية ق (٣) أ ، ب ، وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) كذا ضبطه الأزهري وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى ، وتفرَّد الجوهري وخالد الفارابي بتخفيف الصادين ، والأول أصح . معجم البلدان (٥/ ١٤٤ ، ١٤٥) .
(٥) كذا في ح ، ط وفي فضائل الصديق : وراح بعثمان . وهو أشبه بالصواب .
(٦) في فضائل الصديق : ثم جاء الغد عثمان . بالرفع وهكذا الكنى بعدها بالرفع .

قال عبد الله بن محمد : فحدّثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لما اجتمع أصحابُ النبي ﷺ وكانوا ثمانيةً وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكرٍ على رسولِ الله ﷺ في الظُّهور ، فقال : « يا أبا بكر إنَّا قليل » . فلم يزلْ أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسولُ الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد ، كلُّ رجلٍ في عشيرته ، وقام أبو بكرٍ في الناس خطيباً ورسولُ الله ﷺ جالس ، فكان أوّلَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكرٍ وعلى المسلمين ، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووُطىء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفَتَيْنِ[١] ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه وجاءت بنو تَيْم يتعادَوْن ، فأجلتِ المشركينَ عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكرٍ في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكُّون في موته ، ثمّ رجعتْ بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة . فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلّم آخر النهار فقال : ما فعل رسولُ الله ﷺ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أُمِّ الخير : انْظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلَتْ به ألحَّتْ عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالي علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أمِّ جميل بنتِ الخطَّاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أمَّ جميل ، فقالت : إنَّ أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنتِ تُحبِّينَ أنْ أذهب معك إلى ابنك ؟ قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدتْ أبا بكر صريعاً دَنِفاً ، فدنت أمُّ جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إنَّ قوماً نالوا هذا منك لأهلُ فسقٍ وكُفْر ، وإني لأرجو أنْ ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسولُ الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمُّك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها[٢] . قالت : سالمٌ صالح . قال : فأين هو ؟ قالت : في دار أبي[٣] الأرقم . قال : فإنَّ لله عليَّ أنْ لا أذوقَ طعاماً ولا أشربَ شراباً أو آتي رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى إذا هدأتِ الرِّجل ، وسكن الناس، خرجتا به يتّكىء عليهما، حتى أدخلتاه على رسولِ الله ﷺ، قال: فأكبَّ عليه رسولُ الله ﷺ فقبّله وأكبَّ عليه المسلمون ، ورقَّ له رسولُ الله ﷺ رقّةً شديدة . فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي بَرَّةٌ بوالديها[٤] ، وأنت مبارك فادْعُها إلى الله وادْعُ الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسولُ الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمتْ ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً هم تسعةٌ وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرب

---

(١) في ح وفضائل الصديق : مخصوفين ، والمثبت من ط .

(٢) في فضائل الصديق : فيها .

(٣) سقطت كلمة أبي من ح ، والمثبت من فضائل الصديق ، وهي في ط : ابن .

(٤) في ح ، ط : بولدها . والمثبت من فضائل الصديق .

أبو بكر ، فدعا رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطاب ـ أو[١] لأبي جهل بن هشام ـ فأصبح عمر وكانتِ الدعوةُ يوم الأربعاء ، فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبّرَ رسولُ الله ﷺ وأهلُ البيت تكبيرةً سُمعت بأعلى مكة ، وخرج أبو الأرقم ـ وهو أعمى كافر ـ وهو يقول : اللهمَّ اغفرْ لبني عبد[٢] الأرقم فإنَّه كفر . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، على ما نُخفي دينَنا ونحن على الحق ، ويَظْهر دينُهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنَّا قليل قد رأيتَ ما لَقينا » فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق ، لا يبقى مجلسٌ جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان ، ثمّ خرج ، فطاف بالبيت ، ثمّ مرَّ بقريش وهي تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبَوْت ؟ فقال عمر : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله . فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل أصبعَيْه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحَّى الناس ، فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا[٣] منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيُظهِرُ الإيمان ، ثمّ انصرف إلى النبيِّ ﷺ وهو ظاهرٌ عليهم فقال : ما عليك[٤] بأبي وأمي ، والله ما بقي مجلسٌ كنتُ أجلسُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسولُ الله ﷺ وخرج عمرُ أمامه ، وحمزةُ بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلَّى الظُّهْر مؤمناً[٥] ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده [فصلَّى] ، ثم انصرف إلى النبيِّ ﷺ .

والصحيح أنَّ عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إنْ شاء الله . وقد استقصَيْنا كيفية إسلام أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادِها ، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد .

وثبت في صحيح مسلم[٦] من حديث أبي أمامة ، عن عمرو بنِ عَبَسَةَ السُّلَميِّ رضي الله عنه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في أوَّلِ ما بُعث وهو بمكة ، وهو حينئذٍ مُستخفي[٧] ، فقلت : ما أنت ؟ قال : « أنا نبيّ » فقلت : وما النبيّ ؟ قال : « رسولُ الله » قلت : الله أرسلك ؟ قال : « نعم » . قلت : بما أرسلك ؟ قال : « بأن تعبدَ الله وحده [وحده لا شريك له][٨] وتكسر الأصنام ، وتوصل[٩] الأرحام » قال

---

(١) في فضائل الصديق : ولأبي جهل من غير همزة .
(٢) في ح : غير . وفي ط : عبيد ، والمثبت من فضائل الصديق .
(٣) في ط : بشريف ممن دنا منه . والمثبت من ح وفضائل الصديق .
(٤) في فضائل الصديق : ما علمتك .
(٥) في فضائل الصديق : معلناً وهو أشبه .
(٦) صحيح مسلم (٨٣٢) صلاة المسافرين باب إسلام عمرو بن عبسة بألفاظ مقاربة .
(٧) كذا في ح ، ط والوجه : مستخف ، وفي صحيح مسلم : « فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً » .
(٨) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٩) كذا في ح ، ط : والوجه : وتصل . وفي صحيح مسلم : أرسلني بصلة الأرحام .

قلت : نِعْمَ ما أرسلكَ به ! فمن معك على هذا ؟ قال : حُرٌّ وعَبْد ـ يعني أبا بكر وبلالاً ـ [قال : فكان عَمْرٌو يقول : لقد رأيتُني وأنا رُبُعُ الإسلام][1] قال : فأسلمت ، قلت : فأتبعُكَ يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ولكنِ الْحَقْ بقومك ، فإذا أُخبرتَ أنّي قد خرجتُ فاتبعْني » .

ويقال : إنَّ معنى قوله عليه السلام « حُرٌّ وعبد » اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبي بكرٍ وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعةٌ قد أسلموا قبل عمرو بن عَبَسة ، وقد كان زيدُ بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً ، فلعلَّه أخبر أنه رُبُع الإسلام بحسَبِ علمه ، فإنَّ المسلين كانوا إذ ذاك يستترون[2] بإسلامهم ، لا يطَّلع على أمرهم كثيرُ أحدٍ من قراباتهم ، دع الأجانب ، دعْ أهل البادية من الأعراب والله أعلم .

وفي صحيح البخاري[3] من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم ، عن سعيد بن المُسَيِّب قال : سمعتُ سعدَ بن أبي وقَّاصٍ يقول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعةَ أيام ، وإني لَثُلُثُ الإسلام .

أمَّا قول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه فسهل ، ويُروى إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، وهو مشكل ، إذ يقتضي أنه لم يسبقْهُ أحدٌ بالإسلام . وقد علم أنَّ الصدِّيق وعلياً وخديجة وزيدَ بنَ حارثةَ أسلموا قبله ، كما قد حَكَى الإجماعَ على تقدُّم إسلام هؤلاء غَيْرُ واحد ، منهم ابنُ الأثير . ونص أبو حنيفةَ رضي الله عنه على أنَّ كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناءِ جنسه . والله أعلم . وأما قولُه : ولقد مكثتُ سبعة أيام وإنِّي لَثُلُث الإسلام ، فمشكل ، وما أدري على ماذا يُوضع عليه إلا أن يكونَ أخبر بحسَب ما عَلِمه ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسيُّ[4] : حدّثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ـ وهو ابنُ مسعود ـ قال : كنتُ غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبةَ بن أبي مُعيط بمكة . فأتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ـ وقد فرَّا من المشركين ـ فقال ـ أو فقالا ـ : « عندك يا غلام لبنٌ تسقينا ؟ » قلت : إني مؤتمَن ، ولستُ بساقيكما . فقال : « هل عندك من جَذَعَةٍ[5] لم يَنْزُ عليها الفحلُ بعد ؟ قلت : نعم . فأتيتُهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسولُ الله ﷺ الضَّرْعَ ودعا ، فَحفِلَ الضَّرْع ، وأتاه أبو بكر بصخرةٍ مُنْقَعِرَةٍ[6] ، فحَلَبَ فيها ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سَقَياني ، ثم قال للضرع : « اقْلِصْ » فَقَلَص ، فلما كان بعدُ ،

(١) سقط ما بين المعقوفين من ح ، وجاء في النهاية (ربع/ ٢/ ١٨٦) : وفي حديث عمرو بن عبسة : لقد رأيتني وإني لرُبُع الإسلام . أي رابع أهل الإسلام ، تقدمني ثلاثة وكنت رابعهم .

(٢) في ط فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون . والمثبت من ح .

(٣) فتح الباري (٣٨٥٨) مناقب الأنصار باب إسلام سعد بن أبي وقاص .

(٤) في مسنده (٣٥٣) .

(٥) الجذعة من الضأن : الفتية التي تمَّ لها سنة أو نحوها . النهاية (١/ ٢٥٠/ جذع) .

(٦) في ط : متقعرة ، والمثبت من ح ومسند الطيالسي ومسند أحمد . وفي رواية عند أحمد منقورة .

أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : علِّمني من هذا القولِ الطيِّب ـ يعني القرآن ـ فقال : « إنك غلامٌ مُعَلَّم » فأخذت من فيهِ سبعينَ سورةً ما يُنازعُني فيها أحد .

وهكذا رواهُ الإمام أحمد[١] ، عن عفَّان ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الحسن بن عَرَفَة عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النَّجُود[٢] به .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو عبد الله بن بُطَّة[٤] الأصبهاني ، حدّثنا الحسن بن الجَهْم ، حدّثنا الحسين بن الفرج ، حدّثنا محمد بن عمر ، حدّثني جعفر بن محمد بن خـالد بن الزبير ، [عن أبيه ـ أو][٥] عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ قال : كان إسلامُ خالد بن سعيد بن العاص قديمـاً ، وكان أولَ إخوته أسلم ، وكان بُدُوُّ إسلامه أنه رأى في المنام أنه وُقف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به ، ويرى في النوم كأنَّ أباه[٦] يدفعه فيها ، ويرى رسولَ الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيْه لا يقع ، ففزع من نومه فقال : أحلف بالله إنَّ هذه لرؤيا حقّ ؛ فَلَقِيَ أبا بكر بن أبي قُحافة ، فذكر ذلك له ، فقال : أُريدَ بك خير ، هذا رسولُ الله ﷺ فاتَّبعه ، فإنك ستتبعُه وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يَحْجُزكَ أنْ تدخلَ فيهـا ، وأبوك واقعٌ فيها ، فلقي رسولَ الله ﷺ وهو بأجْياد ، فقال : يا رسولَ الله ، يا محمد ، إلى ما[٧] تدعو ؟ قال : « أدعوك[٨] إلى الله وحدَهُ لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وتخلعَ ما أنت عليه من عبادةِ حجرٍ لا يسمع ولا يُبصر ولا يضُرّ ولا ينفع ، ولا يدري من عَبَدَهُ ممن لا يعبدُه » . قال خالد : فإني أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأشهدُ أنَّك رسولُ الله ، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بإسلامه ، وتغيَّب خـالد ، وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه ، فأتي به ، فأنَّبَهُ وضربه بمِقْرَعةٍ في يده حتى كسرها على رأسه ، وقال : والله لأمنعنَّكَ القُوت . فقال خـالد : إنْ منعتني فإنَّ الله يرزقُني ما أعيش به . وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه[٩] ويكون معه .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٣٧٩ ، ٤٦٢) .

(٢) ساق هذه الرواية البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٧٢) .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ١٧٢) .

(٤) بضم الباء الموحدة ، قيّده الذهبي في المشتبه (٨٤) ، وابن ناصر الدين في توضيحه (١/ ٥٥٦) وهو محمد بن أحمد بن بُطة المتوفى بأصبهان سنة ٣٤٤هـ (بشار) .

(٥) ليس ما بين المعقوفين في دلائل البيهقي .

(٦) في ح : كأن آت أتى يدفعه ، وفي ط : كان آتٍ أتاه . والمثبت من دلائل البيهقي .

(٧) في الدلائل : إلى من . وإثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ كما في الخزانة (٦/ ٩٩) .

(٨) في الدلائل : أدعو .

(٩) كذا في ح ، ط وفي الدلائل : يلـزمه وهو أشبه بالصـواب . وإلى جانب السطر في ح كلمة : بلغ . يعني بلغ مقابلة .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عمّ النبيِّ ﷺ

قال يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق[١] : حدّثني رجلٌ ممن أسلم ـ وكان واعية ـ أنَّ أبا جهل اعترض رسولَ الله ﷺ عند الصفا ، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهُ من العَيْب لدينه ، فذُكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس ، فضربه بها ضربةً شجَّه منها شَجَّةً مُنْكَرةً ، وقامت رجالٌ من قريش من بني مَخْزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهلٍ منه ، وقالوا : ما نراك يا حمزة إلا قد صبَوْت ؟ قال حمزة : ومَنْ يمنعني وقد استبانَ لي منه ما أشهد[٢] أنَّه رسولُ الله ﷺ وأنَّ الذي يقولُ حقّ ، فوالله لا أنزعُ ، فامنعوني إنْ كنتُم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإني والله لقد سببتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفتْ قريشٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد عزَّ وامتنع ، فكفُّوا عما كانوا يتناولون منه .

وقال حمزة في ذلك شعراً[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم رجع حمزةُ إلى بيته ، فأتاهُ الشيطانُ فقال : أنت سيِّدُ قريش أتَّبعْتَ هذا الصابىء وتركتَ دينَ آبائك ، للْمَوْتُ خيرٌ لك مما صنعت . فأقبل على حمزةَ بَثُّهُ وقال : ما صنعت ؟ اللهمَّ إنْ كان رُشْداً فاجعلْ تصديقَهُ في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعتُ فيه مَخْرَجاً . فباتَ بليلةٍ لم يبتْ بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح ، فغدا على رسولِ الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إني قد وقعتُ في أمرٍ ولا أعرف المخرجَ منه ، وإقامةُ مثلي على ما لا أدري ما هو ، أرُشْدٌ أم هو غَيٌّ شديد ؟ فحدِّثني حديثاً فقد اشتهيتُ يا ابن أخي أنْ تحدِّثَني ، فأقبل رسولُ الله ﷺ فذكرَهُ ووعَظَهُ ، وخوَّفه وبشَّره ، فألْقَى الله في قلبِهِ الإيمان بما قال رسولُ الله ﷺ . فقال : أشهد أنك الصادقُ شهادةَ الصِّدْق ، فأظْهِرْ يا ابن أخي دينَك ، فوالله ما أُحبُّ أن لي ما أظلَّته السماء ، وأني على دينيَ الأول . فكان حمزةُ ممن أعزَّ الله به الدين .

وهكـذا رواهُ البيهقيُّ[٥] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بُكير به .

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٧١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٩١) ، ونقله عن ابن إسحاق البيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٣) باختصار وابن كثير هنا ينقله عن البيهقي كما سيأتي .

(٢) في سيرة ابن إسحاق والدلائل : أنا أشهد . . .

(٣) ذكر ابن إسحاق في السيرة (ص١٧٣) والسهيلي في الروض (٢/ ٤٩ و٥٠) الأبيات المعزوَّة إلى حمزة رضي الله عنه .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٧٢) .

(٥) في الدلائل (٢/ ٢١٣ ، ٢١٤) .

ذكر إسلام أبي ذَرٍّ رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي[(١)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، حدّثنا الحسين بن محمد بن زياد ، حدّثنا عبد الله بن الرومي ، حدّثنا النضر بن محمد ، حدّثنا عكرمة بن عمار عن أبي زُمَيل سِماك بن الوليد ، عن مالك بن مرثد ، عن أبيه ، عن أبي ذرّ ، قال : كنت رُبُعَ الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثةُ نفرٍ وأنا الرابع[(٢)] ، أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيتُ الاستبشارَ في وجه رسول الله ﷺ .

هذا سياقٌ مختصر .

وقال البخاري : إسلام أبي ذَرّ[(٣)] : حدّثنا عمرو بن عباس ، حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن المثنى عن أبي جمْرَةَ[(٤)] ، عن ابن عباس ، قال : لما بلغ أبا ذر مبعثُ رسولِ الله ﷺ قال لأخيه : اركبْ إلى هذا الوادي فاعْلَمْ لي عِلْمَ هذا الرجلِ الذي يزعم أنه نبيٌّ يأتيه الخبَرُ من السماء ، فاسمعْ من قولِهِ ثم ائتِني ، فانطلق الآخر[(٥)] حتى قدِمَهُ وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذرٍّ فقال له : رأيته يأمُرُ بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشِّعر . فقال : ما شفيتني مما أردتُ . فتزوَّدَ وحملَ شَنَّةً فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسولَ الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسألَ عنه ، حتى أدركه بعضُ الليل اضطجع[(٦)] ، فرآه عليّ فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبِعَهُ ولم يسألْ واحدٌ منهما صاحبَهُ عن شيءٍ حتى أصبح ،ثم احتمل قِرْبَتَه وزادَهُ إلى المسجد ، وظلَّ ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمرَّ به عليٌّ فقال : أما آن للرجل أن يعلمَ مَنْزِلَه ؟ فأقامه ، فذهب به معه ، لا يسأل واحدٌ منهما صاحبَه عن شيء حتى إذا كان يومُ الثالث ، فعاد عليٌّ مثل ذلك ، فأقام معه فقال : ألا تحدِّثُني بالذي أقدمك؟ قال : إنْ أعطيتَني عهداً وميثاقاً لَتُرشِدَنِّي فعلتُ . ففعل ، فأخبره . قال : فإنَّهُ حَقّ وإنه رسولُ الله ﷺ فإذا أصبحتَ فاتْبَعْني فإني إنْ رأيتُ شيئاً أخافُ عليكَ قمتُ كأنِّي أُريقُ الماء ، وإنْ مضيتُ فاتْبَعْني حتى تدخُلَ مَدْخَلي ، ففعل ، فانطلق يَقْفُوهُ حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبيُّ ﷺ : « ارجِعْ إلى قومِكَ فأخْبِرْهم حتى يأتيك أمري » فقال : والذي بعثك بالحق

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٢١٢) .

(٢) مضى معنى ربع الإسلام (ص٢٣١ ح١) .

(٣) يعني باب إسلام أبي ذر ، فتح الباري (٣٨٦١) مناقب الأنصار باب إسلام أبي ذر الغفاري .

(٤) في ح ، ط : أبي حمزة . والمثبت من البخاري ، وقال ابن حجر في الفتح : هو بالجيم نصر بن عمران .

(٥) كذا في ح ، ط : وهي رواية الكشميهني كما في الفتح (٧/ ١٧٤) ، وفي البخاري : الأخ . وهو أخوه أنيس كما سيأتي .

(٦) ليست هذه الكلمة في البخاري .

لأَضْرُخَنَّ بها بين ظَهْرَانَيْهم . فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، ثم قام [القوم] فضربوه حتى أضجعوه[١] ، فأتى العباس فأكبَّ عليه فقال : وَيْلَكم ! ألستم تعلمون أنه من غِفَار ، وأنَّ طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم . ثم عاد من الغدِ بمثلها ، فضربوه وثاروا إليه ، فأكبَّ العباس عليه .

هذا لفظ البخاري .

وقد جاء إسلامُه مبسوطاً في صحيح مسلم[٢] وغيره ، فقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا سليمان بن المغيرة ، حدّثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت ، قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار ـ وكانوا يُحِلُّونَ الشهرَ الحرام ـ أنا وأخي أنيس وأُمُّنا ، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذي مالٍ وذي هيئة ، فأكرمنا خالُنا وأحسن إلينا ، فحَسَدنا قومُه ، فقالوا له : إنَّك إذا خرجت عن أهلك خَلَفَك إليهم أنيس ، فجاء خالنا فَنَثَى ما قيل له[٤] فقلت له : أمَّا ما مضى من معروفك فقد كدَّرْتَه ، ولا جِمَاعَ لنا فيما بعد[٥] . قال : فقرَّبْنا صِرْمَتَنا[٦] ، فاحتمَلْنا عليها ، وتغَطَّى خالُنا بثَوْبه ، وجعل يبكي قال : فانطلَقْنا حتى نزلنا حَضْرَةَ[٧] مكة ، قال فنافر أُنَيْسٌ عن صِرْمَتِنا[٨] وعن مثلها فأتيا الكاهن فخيَّر أُنيساً . فأتانا بصِرْمتنا ومثلِها ، وقد صلَّيتُ يا بن أخي قبلَ أنْ ألقى رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سنين ، قال : قلت : لمن ؟ قال : لله ، قلت : فأين توجَّهُ ؟ قال : حيث وجَّهني الله . قال : وأُصلِّي عشاءً حتى إذا كان من آخر الليل أُلقيتُ كأني خِفَاء[٩] حتى تعلوني الشمس . قال : فقال أُنيس : إنَّ لي حاجةً بمكة فألقني[١٠] حتى آتيك . قال :

---

(١) في البخاري : أوجعوه . وما بين معقوفين منه .
(٢) صحيح مسلم (٢٤٧٣) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه .
(٣) في مسنده (٥/ ١٧٤) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) في مسند أحمد : فنثى عليه ما قيل له ، وفي النهاية (نثي/ ٥/ ١٦) : فنثى علينا الذي قيل له . أي أظهره إلينا وحدثنا به .
(٥) أي : لا اجتماع لنا . النهاية (جمع/ ١/ ٢٩٧) .
(٦) « الصِّرْمة » : القطعة من الإبل ، وهي ما بين عشرة إلى بضع عشرة ، وقيل : أكثر من ذلك إلى الخمسين اللسان (صرم) .
(٧) أي بقربها ، الحضرة : قرب الشيء ، ولفظ الإمام أحمد ومسلم : بحَضْرَة .
(٨) معناه : تراهن هو وآخر أيهما أفضل ، وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك ، فأيهما أفضل أخذ الصرمتين ، فتحاكما إلى الكاهن فحكم بأن أُنيساً أفضل وهو معنى قوله فخير أنيساً أي جعله الخيار والأفضل . قاله النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٧) . وفي النهاية (نفر/ ٥/ ٩٣) : وفي حديث أبي ذر نافر أخي أنيسٌ فلاناً الشاعر وتنافر الرجلان : إذا تفاخرا ثم حكَّما بينهما واحداً ، أراد أنهما تفاخرا أيهما أجود شعراً .
(٩) « الخِفاء » : الكِساء ، وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء . النهاية (خفي/ ٢/ ٥٧) .
(١٠) كذا في ح ، ط وفي مسند أحمد وصحيح مسلم : فاكفني .

فانطلق ، فراثَ عليّ[١] ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك ؟ قال لَقيتُ رجلاً يزعُم أنَّ الله أرسله على دينك ، قال : فقلت ما يقولُ الناسُ له ؟ قال : يقولون إنه شاعرٌ وساحر [وكاهن . قال :] وكان أُنيس شاعراً . قال : فقال : لقد سمعتُ الكُهّان ، فما يقولُ بقولهم ، وقدوضعتُ قولَهُ على أَقْراءِ الشعر[٢] ، فوالله ما يلتئم لسانُ أحدٍ أنَّهُ شعر ، ووالله إنَّه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : فقلت له : هل أنت كافيَّ[٣] حتى أنطلق [فأنظر] ؟ قال : نعم ، وكنْ من أهل مكةَ على حَذَر ، فإنهم قد شَنِفُوا له[٤] ، وتجهَّموا له . قال : فانطلقتُ حتى قدمتُ مكة فتَضعَّفْتُ رجلاً منهم فقلت[٥] : أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابىء ؟ قال : فأشار إليّ ، فمالَ أهلُ الوادي عليَّ بكلِّ مَدَرَةٍ وعَظْم ، حتى خرَرْتُ مغشيّاً علي ، فارتفعتُ حين ارتفعت كأني نُصُبٌ أحمر ، فأتيتُ زمزم فشربْتُ من مائها ، وغسلتُ عني الدم ، ودخلتُ بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يا بن أخي ثلاثينَ من بين يومٍ وليلةٍ ، ما لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم ، فسمِنْتُ حتى تكسَّرت عُكَنُ بَطْني[٦] ، وما وجدتُ على كَبْدي سَخْفَةَ جُوع[٧] قال : فبينا أهلُ مكة في ليلةٍ قمراءَ إضْحِيانٍ[٨] ، وضرب الله على أصْمِخةِ[٩] أهل مكة ، فما يطوف بالبيت غيرُ امرأتين ، فأتتا عليَّ وهما تدعوان إساف ونائلة . فقلت : أنكِحوا أحدَهما الآخر : فما تناهما ذلك[١٠] ، [قال : فأتتا عليَّ] فقلت : وهنٌ[١١] مثلُ الخشبة ، غيرَ أنّي لم أركن . قال : فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا . قال : فاستقبلهما رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال : « ما لكما » فقالتا : الصابىءُ بين الكعبة

---

(١) « راث » : أي أبطأ . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٨) .

(٢) « أقراء الشعر » : أي طرقه وأنواعه . المصدر السابق .

(٣) في ح : كاتمي ، والمثبت من ط ومسند أحمد .

(٤) في ح ، ط : شنعوا ، والمثبت من مسند أحمد والنهاية (شنف/ ٢/ ٥٠٥) وفيه : في إسلام أبي ذر : فإنهم قد شنفوا له . أي أبغضوه . وفي مسند أحمد : وقال عفان : شيفوا له ، وقال بهز : سبقوا له ، وقال أبو النضر : شفوا له .

(٥) يعني نظرت إلى أضعفهم فسألته ، لأن الضعيف مأمون الغائلة غالباً . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٨) .

(٦) « العُكَن » : الأطواء في البطن من السِّمَن ، واحدتها : عُكْنة . اللسان (عكن) .

(٧) « سخفة » : هي بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الخاء المعجمة ؛ وهي رقة الجوع وضعفه وهزاله . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٨ ، ٢٩) .

(٨) « إضحيان » : مضيئة ، ويقال : ليلة إضحيان وإضحيانة . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٩) .

(٩) في ح : وصرت على أسحمه ، وفي ط : وضرب على أشحمة ، والمثبت من مسند الإمام أحمد والنهاية (صمخ/ ٣/ ٥٢) وفيه : هي جمع قلة للصِّماخ ، وهو ثقب الأذن ، ويقال بالسين ، وهي رواية مسلم أي أن الله أنامهم .

(١٠) في صحيح مسلم : « فما تناهتا عن ذلك » .

(١١) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٩) : الهنُ والهنة بتخفيف نونهما هو كناية عن كل شيء ، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر ، فقال لهما : ومثل الخشبة بالفرج ، وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك .

وأستارها . قالا : « ما قال لكما ؟ » قالتا : قال لنا كلمةً تملأُ الفم . قال : وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلمَ الحجَر ، وطاف بالبيت ، ثم صلّى . قال فأتيتُه فكنتُ أوّلَ من حيّاهُ بتحيّةِ أهلِ الإسلام . فقال : « عليك السلامُ ورحمةُ الله من أنت ؟ » قال : قلت من غفار ،قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته . قال : فقلت في نفسي . كرهَ أنِ انتميتُ إلى غفار . قال : فاردتُ أن آخذَ بيده فقدَعَني[١] صاحبهُ ، وكان أعلم به مني ، قال : متى كنتَ هاهنا ؟ قال : قلت : كنتُ هاهنا منذُ ثلاثين ، من بين ليلةٍ ويوم . قال : فمَنْ كان يُطعمك ؟ قلت : ما كان لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم ، فسمنتُ حتى تكسرتْ عُكَنُ بطني ، وما وجدتُ على كبدي سَخْفَةَ جُوع . قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعْمٍ[٢] » . قال : فقال أبو بكر : ائذَنْ لي يا رسول اللهِ في طعامِهِ اللّيلة . قال : ففعل ، قال : فانطلق النبيُّ ﷺ [وانطلق أبو بكر] وانطلقتُ معهما حتى فتح أبو بكرٍ باباً ، فجعل يقبضُ لنا من زبيب الطائف ، قال : فكان ذلك أولَ طعامٍ أكلتُه بها ، فلبثتُ ما لبثت . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني قد وُجّهتُ إلى أرضٍ ذاتِ نَخْل ولا أحْسَبُها إلا يثرب ، فهل أنت مبلِّغٌ عني قومكَ لعلَّ اللهَ ينفعُهم بك ويأجُرُكَ فيهم ؟ » . قال : فانطلقتُ حتى أتيتُ أخي أُنيساً . قال : فقال لي : ما صنعت ؟ قال : قلتُ : صنعتُ أني أسلمتُ وصدَّقت . قال : فما بي رغبةٌ عن دينك ، فإني قد أسلمتُ وصدَّقت . ثم أتينا أُمَّنا فقالت : ما بي رغبةٌ عن دينكما ، فإني قد أسلمتُ وصدَّقت ، فتحمَّلنا حتى أتينا قومنا غفاراً . قال : فأسلم بعضُهم قبلَ أنْ يقدَمَ رسولُ الله ﷺ المدينة ، وكان يؤمُّهُمْ خُفَافُ بن إيماءَ بنِ رَحَضَة[٣] الغفاريّ ، وكان سيِّدَهم يومئذ ، وقال بقيَّتُهم : إذا قدِم رسولُ الله ﷺ أسلمْنا . قال : فقدِمَ رسولُ الله ﷺ فأسلم بقيَّتُهم . قال : وجاءتْ أسْلَمُ فقالوا : يا رسول الله ، إخوانُنا نسلم على الذي أسلموا عليه . [فأسلموا] ، فقال رسولُ الله ﷺ « غِفَارُ غفرَ اللهُ لها ، وأسْلَمُ سالَمَها الله » .

ورواه مسلم عن هُدْبَة[٤] بن خالد ، عن سليمان بن المغيرة به نحوه .

وقد روى قصة إسلامه على وجهٍ آخر وفيه زيادات غريبة . فالله أعلم . وتقدَّم ذِكْرُ إسلام سلمان الفارسي في كتاب البِشَاراتِ بمبعثه عليه الصلاة والسلام[٥]

---

(١) في ط : فقذفني . والمثبت من ح ومسند أحمد وصحيح مسلم والنهاية (قدع/ ٤/ ٢٤) وفيه : أي كفَّني .

(٢) قال النووي : أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام . شرح صحيح مسلم (١٦/ ٣٠) .

(٣) وقع في ح ، ط : رخصة . وكذا في الإصابة في ترجمة خفاف ، والمثبت من مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم وشرحه للنووي (١٦/ ٣١) وقال في ضبطه : إيماء ممدود والهمزة في أوله مكسورة على المشهور وحكى القاضي فتحها أيضاً وأشار إلى ترجيحه وليس براجح ؛ ورحضة براءٍ وحاءٍ مهملة وضاد معجمة مفتوحات . وكذا ضبطه صاحب التاج (رحض) .

(٤) هو هدَّاب كما في صحيح مسلم (٢٤٧٣) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر . ويقال له : هُدْبَة كما في تقريب التهذيب (٢/ ٣١٥) .

(٥) وردت قصة إسلام سلمان في (ص١١٥) وما بعدها من هذا الجزء .

ذكر إسلام ضِمَاد

روى مسلم والبيهقي[١] من حديث داودَ بن أبي هند ، عن عمرِو بن سعيد ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال : قدم ضِمَادٌ مكة وهور جلٌ من أزْدِ شَنُوءة ، وكان يَرْقِي من هذه الرياح[٢] ، فسمع سفهاء من سفهاء الناس يقولون : إنَّ محمداً مجنون . فقال : أين[٣] هذا الرجل لعلَّ الله أنْ يشفيَهُ على يدي ؟ فلقيتُ محمداً فقلت : إني أرقِي من هذه الرياح ، وإنَّ اللهَ يَشْفي على يدي ، مَنْ شاء ، فهَلُمّ . فقال محمد : « إنَّ الحمد لله نحمَدُه ونستعينُه ، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له ، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له » ثلاثَ مرَّات . فقال : والله لقد سمعتُ قولَ الكهنة ، وقول السَّحَرة ، وقول الشعراء ، فما سمعتُ مثل هؤلاء الكلمات ، فهلمَّ يدك أبايعْكَ على الإسلام . فبايعه رسولُ الله ﷺ فقال له : « وعلى قومك ؟ » فقال : وعلى قومي . فبعث النبيُّ ﷺ جيشاً[٤] فمرُّوا بقوم ضِمَاد ، فقال صاحبُ الجيش للسرية : هل أصبتُم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجلٌ منهم : أصبتُ منهم مِطْهَرة . فقال : رُدَّها عليهم فإنهم قومُ ضِمَاد .

وفي رواية فقال له ضماد : أَعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاء ، فلقد بلغْنَ قاموس البحر[٥] .

وقد ذكر أبو نعيم في « دلائل النبوة »[٦] إسلام من أسلم من الأعيان فصلاً طويلاً واستقصى ذلك استقصاءً حسناً رحمه الله وأثابه .

وقد سرد ابنُ إسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم ، قال[٧] : ثمّ أسلم أبو عُبيدة ، وأبو سَلَمة ، والأرقم بن أبي الأرقم[٨] ، وعثمان بن مَظْعُون ، وعُبيدة بن الحارث ،

---

(١) صحيح مسلم (٨٦٨) الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ؛ ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٢٣) واللفظ له .

(٢) في صحيح مسلم : الريح . وقال النووي في شرحه (٦/ ١٥٧) : والمراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ، في غير رواية مسلم : يرقي من الأرواح ، أي الجن سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح .

(٣) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : آتي .

(٤) في ح : جيش ، وفي الدلائل وصحيح مسلم : سرية .

(٥) في ح : قابوس البحر . وفي صحيح مسلم : ناعوس البحر ، والمثبت من ط ، وقال النووي في شرحه (٦/ ١٥٧) : ضبطناه بوجهين أشهرهما ناعوس بالنون والعين ، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا ، والثاني قاموس بالقاف والميم ، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم اهـ . ثم ذكر روايات أخرى ومعناها ؛ وقاموس البحر : قعره أولجته التي تضطرب أمواجها .

(٦) في الجزء الثاني في مواضع متفرقة منه .

(٧) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٥٢) والروض (١/ ٢٩٠) . واللفظ مختصر من سيرة ابن هشام .

(٨) وقع في سيرة ابن إسحاق : وعبد الله بن الأرقم المخزومي . سقط منه لفظ أبو ، إذ هو أبو عبد الله الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي . الإصابة .

وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنتُ الخطَّاب ، وأسماءُ بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ـ وهي صغيرة ـ وقُدَامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخَبَّاب بن الأرتّ ، وعُمير[١] بن أبي وقَّاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاريّ ، وسَلِيط بن عمرو ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، [وامرأته أسماء بنت سلمة[٢] بن مُخَرِّبَة التميميَّة[٣] وخُنَيس بن حُذافة ، وعامر بن ربيعة][٤] ، وعبد الله بن جَحْش ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسماء بنت عُمَيس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته [فاطمة بنت المُجَلِّل ، وأخوه حطَّاب بن الحارث ، وامرأته][٥] فُكَيهة ابنة يَسَار ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجُمَحي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوفٍ[٦] . وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة[٧] بن سعيد بن سهم ، والنَّحَّام ، واسمُه نُعيم بن عبد الله بن أَسِيد ، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنةُ خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خُزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عَرِين بن ثعلبة التميمي ، حليفُ بني عدي ، وخالد بن البُكير ، وعامر بن البُكير ، وعاقل بن البُكير ، وإياس بن البُكير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غِيَرَة ، من بني سعد بن ليث ، وكان اسمُ عاقلٍ غافلاً فسمَّاه رسول الله ﷺ عاقلاً ، وهم حلفاء بني عدي بن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصُهيب بن سنان . ثم دخل الناسُ أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق[٨] : ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاثِ سنين من البعثة بأنْ يصدَع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين .

قال[٩] : وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ إذا صلَّوْا ذهبوا في الشِّعاب واستخفَوْا بصلاتهم من قومهم . فبينا سعدُ بن أبي وقاص في نفرٍ يُصلُّون بشعاب مكة إذْ ظهر عليهم بعضُ المشركين فناكروهم وعابوا عليهم

---

(١) في ح : وعمرو .
(٢) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام : سلامة وكلاهما سميت به كما في ترجمتها في الإصابة .
(٣) في ط : مخرمة التيمي . وهو تصحيف : والمثبت من المؤتلف والمختلف للدارقطني (٤/ ٢١٥٢) والمصادر في حاشيته وسيرة ابن هشام .
(٤) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٥) سقط ما بين المعقوفين من ح ، ط فاستدركته من سيرة ابن هشام وترجمتيهما في الإصابة .
(٦) في ح ، ط : المطلب بن أزهر بن عبد مناف . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وترجمته في الإصابة ، وفيه وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف » .
(٧) في ط : صبيرة . بياءين ، وقد تقرأ في ح : جبيرة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض والاشتقاق لابن دريد (ص١٢٥) .
(٨) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٢) والروض (٢/ ٣) .
(٩) يعني ابن إسحاق في السيرة (ص١٤٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٣) والروض (٢/ ٣) .

ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدٌ رجلاً من المشركين بلَحْي جملٍ فشجَّه ، فكان أول دمٍ أُهريق في الإسلام .

وروى الأمويُّ في مغازيه ، من طريق الوقَّاصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه : أنَّ المشجوج هو عبد الله بن خَطَل لعنه الله .

باب
أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام ، وأمرهِ له بالصبر والاحتمال والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذِّبين بعد قيام الحجةِ عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم وذِكْر ما لقي من الأذِيَّةِ منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ[1] جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢١٦ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء : ٢١٤ ـ ٢٢٠] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥] أي إنَّ الذي فَرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادُّك إلى دار الآخرة وهي المعاد ، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ ـ ٩٣] .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرةٌ جداً . وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ . وأوردْنا أحاديث جَمَّةً في ذلك ، فمن ذلك . قال الإمام أحمد[2] : حدّثنا عبد الله بن نُمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال : لما أنزل اللهُ [عزَّ وجلَّ] ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أتى النبيُّ ﷺ الصَّفَا فصعِدَ عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناسُ إليه بين رجلٍ يجيء إليه ، وبين رجلٍ يبعث رسولَه . فقال رسولُ الله ﷺ : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فِهْر ، يا بني كعب ، أرأيتم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل ، تريدُ أنْ تُغِيرَ عليكم ، صدَّقتموني ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فإني نَذِيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد » فقال أبو لهب ـ لعنه الله[3] ـ تبّاً لك سائرَ اليوم أما دعوْتَنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله عز وجل

(١) في ح : واخفظ .
(٢) في مسنده (١/ ٣٠٧) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٣) ليست الجملة المعترضة في مسند أحمد .

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] وأخرجاه[١] من حديث الأعمش به نحوه .

وقال أحمد[٢] : حدثنا معاويةُ بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عُمير ، عن موسى بن طلحة ، قال : لما نزلتْ هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسولُ الله ﷺ قريشاً فعمَّ وخصَّ فقال : « يا معشر قريش ، أنقذوا أنْفُسَكُمْ من النار ، يا معشر بني كعب [بن لُؤَي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد مناف] أنقذوا أنفسَكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمةُ بنتَ محمد أنقذي نفسَكِ من النار ، فإني والله لا أمْلِكُ لكم من الله شيئاً ، إلا أنَّ لكم رَحِماً سأبُلُّها بِبلالِها[٣] » .

ورواه مسلم[٤] من حديث عبد الملك بن عُمير ، وأخرجاه في الصحيحين[٥] ، من حديث الزُّهْري ، عن سعيد بن المُسَيِّب وأبي سَلَمَة ، عن أبي هريرة ، وله طُرُقٌ أُخَرُ عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره[٦] .

وقال أحمدُ أيضاً :[٧] حدثنا وكيع ، حدَّثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمَّا نزل ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قام رسولُ الله ﷺ فقال : « يا فاطمةُ بنتَ محمد ، يا صَفِيَّةُ بنتَ عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب لا أَمْلِكُ لكم من الله شيئاً ، سَلُوني من مالي ما شِئْتُمْ » .

ورواه مسلمٌ أيضاً[٨] .

وقال الحافظ أبو بكرٍ البيهقيُّ في الدلائل[٩] : أخبرنا محمد بن عبد [الله] الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني مَنْ سمع عبد الله بن الحارث بن نَوْفل ـ واستكتمني اسمه ـ عن ابن عباس ، عن عليِّ بن أبي طالب ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ

---

(١) يعني البخاري ومسلم ، فتح (٤٩٧٢) التفسير سورة ١١١ باب وتب . وصحيح مسلم (٢٠٨) الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٢) في مسنده (٢/ ٣٦٠) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً . والبلال جمع بلل ؛ وقيل : هو كل ما بلَّ الحلق من ماءٍ أو لبن أو غيره . النهاية (١/ ١٥٣/ بلل) .

(٤) صحيح مسلم (٢٠٤) الإيمان باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٥) فتح الباري (٢٧٥٣) الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ، وصحيح مسلم (٢٠٦) الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٦) مسند أحمد (٢/ ٣٣٣ و٥١٩) وجامع الترمذي (٣١٨٥) التفسير باب ٢٧ ومن سورة الشعراء وسنن النسائي (٣٦٤٤) الوصايا باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين .

(٧) في مسنده (٦/ ١٨٧) .

(٨) صحيح مسلم (٢٠٥) الإيمان باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٧٨ ، ١٧٩) وما يأتي بين معقوفين منه . وساقه أيضاً ابن الجوزي في الوفا (١/ ١٨٤) .

جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال رسولُ الله ﷺ : « عرَفْتُ أنّي إنْ بادَيْتُ[١] بها قومي رأيتُ منهم ما أكره فصمتُّ ، فجاءني جبريلُ عليه السلام فقال : يا محمد ، إنْ لم تفعل ما أمَرَكَ به رَبُّكَ عذَّبَكَ بالنار » . قال [علي] : فدعاني فقال : « يا عليّ إنَّ الله قد أمرني أن أُنذِرَ عشيرتي الأقربين [فعرفتُ أني إنْ باديتهم بذلك رأيتُ منهم ما أكره ، فصمتُّ من ذلك ، ثم جاءني جبريل فقال : يا محمد ، إن لم تفعل ما أُمرت به عذبك ربُّك] ، فاصْنَعْ لنا يا علي [رِجل] شاة على صاعٍ من طعام ، وأعِدَّ لنا عُسَّ لبنٍ[٢] ، ثم اجمعْ لي بني عبد المطلب » . ففعلت فاجتمعوا له يومئذٍ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون ، فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدَّمتُ إليهم تلك الجَفْنَة فأخذ رسولُ الله ﷺ منها حِذْيَةً[٣] فشقَّها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : « كلُوا بسم الله » . فأكل القوم حتى نَهِلُوا عنه ، ما نرَى إلا آثارَ أصابعِهم ، والله إنْ كان الرجلُ ليأكلُ مثلَها . ثم قال رسولُ الله ﷺ : « اسْقِهِمْ يا عليّ »[٤] . فجئتُ بذلك القَعْب ، فشربوا منه حتى نَهِلُوا جميعاً ، وايْمُ الله إنْ كان الرجل منهم ليشربُ مثله ، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بدَرَهُ أبو لهب ـ لعنه الله ـ إلى الكلام فقال : لهدَّ ما سحركم صاحبكم ؟ فتفرَّقُوا ولم يكلِّمْهُمْ رسولُ الله ﷺ . فلمَّا كان من الغد قال رسول الله ﷺ : « يا عليُّ عُدْ لنا بمثلِ الذي كنتَ صنعتَ لنا بالأمسِ من الطعام والشراب ، فإنَّ هذا الرجلَ قد بَدَرَني إلى ما سمعتَ قبلَ أنْ أكلِّمَ القوم » ففعلتُ ، ثم جمعتُهم له . فصنع رسولُ الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نَهِلُوا عنه ، ثم سقَيْتُهم من ذلك القَعْب حتى نهِلوا عنه ، وايْمُ الله إنْ كان الرجلُ ليأكلُ مثلها ويشربُ مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا بني عبد المطَّلِب ، إنِّي والله ما أعلمُ شاباً من العرب جاء قومَهُ بأفضلَ ممَّا جئتكم به ، إني قد جئتُكُم بأمْرِ الدُّنيا والآخرة » .

هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمَهُ ، عن عبد الله بن الحارث به .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير[٥] ، عن محمد بن حُميد الرازي ، عن سلمة بن الفضل الأبرش ، عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبي مريم بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، عن علي ، فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني قد جئتكم بخيرِ الدنيا والآخرة ، وقد أمَرَني الله أنْ أدْعُوَكم إليه ، فأيُّكم يؤازرُني على هذا الأمر على أنْ يكونَ أخي » وكذا وكذا . قال : فأحجم

---

(١) « باداه » : بارزه ، وكاشفتُ الرجل وباديته وجاليته بمعنى ، ومنه الحديث أنه أمر أن يُبَادِي الناسَ بأمره ؛ أي يظهره لهم . الأساس والنهاية (بدي) .

(٢) « العس » : القدح الكبير . المصباح (عسس) .

(٣) « الحذية » : القطعة من اللحم كالحِذْوة اللسان (حذا) واوية يائية .

(٤) في ح ، ط تكرار بمقدار خمسة أسطر ونصف ، لعلها سهو من الناسخ .

(٥) في تاريخه تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٣١٩) .

القومُ عنها جميعاً ، وقلتُ وإني[١] لأحدَثُهم سناً وأرْمَصُهم عيناً ، وأعظمُهم بطناً ، وأحْمَشُهُمْ ساقاً : أنا يا نبيَّ الله أكونُ وزيرَكَ عليه . فأخَذَ برقبتي فقال : « إنَّ هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا » . قال : فقام القوم يَضْحَكُونَ ويقولونَ لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

تفرَّد به عبدُ الغفَّار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذَّابٌ شيعي ، اتهمه عليُّ بن المَديني وغيرُه بوَضْع الحديث . وضعفه الباقون[٢] .

ولكنْ روى ابنُ أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدُّوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : قال علي : لما نزلتْ هذه الآية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال لي رسول الله ﷺ : « اصنَعْ لي رِجلَ شاة بِصَاعٍ من طعام ، وإناء لبن ، وادْعُ لي بني هاشم » . فدعَوْتُهم وإنَّهم يومئذٍ لأربعونَ غيرَ رجلٍ ، أو أربعونَ ورجلٌ ، فذكر القصة نحو ما تقدَّم ، إلى أن قال : وبدرهم[٣] رسولُ الله ﷺ الكلام . فقال : « أيكم يَقْضي عني دَيْني ويكونُ خليفتي في أهلي ؟ » قال : فسكتوا وسكتَ العباسُ خشية أنْ يُحيط ذلك بماله ، قال : وسكتُّ أنا لسِنِّ العباس . ثم قالها مرَّةً أخرى فسكتَ العباس ، فلما رأيتُ ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال : « أنت ؟ » قال : وإنِّي يومئذٍ لأسْوَؤهم هيئةً ، وإني لأعْمَشُ العينَيْن ، ضَخْمُ البطن ؛ حَمِشُ الساقين .

وهذه الطريق فيها شاهدٌ لما تقدَّم ، إلا أنه لم يذكرِ ابنَ عباس فيها . فالله أعلم .

وقد روى الإمام أحمدُ في « مسنده »[٤] ، من حديث عبَّاد بن عبد الله الأسدي ، وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدَّم ـ أو كالشاهد له ـ والله أعلم[٥] .

ومعنى قوله في هذا الحديث : مَن يقضي عني دَيْني ويكونُ خليفتي في أهلي : يعني إذا متُّ ، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه ، فاستوثق مَنْ يقوم بعدَهُ بما يُصلح أهله ، ويقضي عنه ؛ وقد أمَّنَهُ الله من ذلك في قوله تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ [وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾][٦] الآية .

---

(١) في ح ، ط : ولأني ، والمثبت من تاريخ الطبري .

(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠) .

(٣) في ح : بدأهم .

(٤) مسند أحمد (١/ ١١١ و١٥٩) .

(٥) قال بشار : كلا الحديثين ضعيف ، فعباد بن عبد الله الأسدي ضعيف ، وفي الثاني ربيعة بن ناجذ مجهول تفرد بالرواية عنه أبو صادق الأزدي ولم يذكره في الثقات سوى ابن حبان والعجلي ، وقال الذهبي في الميزان (٢/ ٤٥) : « لا يكاد يعرف ، وعنه أبو صادق بخبر منكر فيه : علي أخي ووارثي » ، وقال في المغني : فيه جهالة ، وينظر كتابنا تحرير التقريب (١/ ٣٩٨) .

(٦) سقط ما بين المعقوفين من ح والآية (٦٧) من سورة المائدة .

والمقصود أنَّ رسولَ الله ﷺ استمرَّ يَدْعُو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وسِرّاً وجِهاراً ، لا يصرِفُه عن ذلك صارف ، ولا يردُّه عن ذلك رادّ ، ولا يصدُّه عنه ذلك صادّ ، يتبع الناس في أنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ، ومواقف الحج . يدعو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وعَبْد ، وضعيفٍ وقويّ ، وغنيٍّ وفقير ، جميعُ الخَلْق في ذلك عنده[١] شَرْعٌ سَوَاء . وتسلَّط عليه وعلى من اتَّبعَهُ من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذيَّة القولية[٢] والفعلية ، وكان من أشدِّ الناس عليه عمُّه أبو لهب ـ واسمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب ـ وامرأتُه أمُّ جميل أرْوَى بنتُ حَرْب بن أمية ، أختُ أبي سفيان . وخالفه في ذلك عمُّه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسولُ الله ﷺ أحبَّ خلقِ الله إليه طبعاً ، وكان يَحْنُو عليه ويُحسن إليه ، ويُدَافع عنه ويحامي ، ويخالف قومَهُ في ذلك ، مع أنَّه على دينهم وعلى خَلَّتهم[٣] ، إلا أنَّ الله تعالى قد امتحن قَلْبَهُ بحبِّهِ حباً طبعيّاً[٤] لا شرعياً . وكان استمرارُه على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذْ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وَجَاهةٌ ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولاجترؤوا عليه ، ولمدُّوا أيديَهُم وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلقُ ما يشاء ويختار . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً ، فهذانِ العَمَّانِ كافران ، أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكونُ في القيامة في ضَحْضاحٍ من نار ، وذلك في الدَّرْكِ الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورةً في كتابه تُتْلَى على المنابر ، وتُقرأ في المواعظ والخُطَب ، تتضمَّن أنه سيَصْلى ناراً ذات لهب ، وامرأتُه حمَّالة الحَطَب .

قال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا إبراهيم بنُ أبي العباس ، حدّثنا عبد الرحمن بنُ أبي الزناد ، عن أبيه قال : أخبر[ني] رجلٌ يقال له : ربيعة بن عِبَاد من بني الدِّيل[٦] ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجَاز وهو يقول : « يا أيُّها الناس قولوا لا إلٰه إلا الله تُفْلِحُوا » والناسُ مجتمعون عليه ، ووراءه رجلٌ وضيءُ الوجه ، أحْوَلُ ذو غَدِيرتَيْن يقول : إنَّه صابىء كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألتُ عنه [فذكروا لي نسبَ رسولِ الله ﷺ] فقالوا : هذا عمُّه أبو لهب .

---

(١) ليست اللفظة في ح .

(٢) في ح : القوية ، ووضع فوقها : خ وأثبت الناسخ إلى جانب السطر في الهامش ما نصه : القولية . وإلى جانبها كلمة صح .

(٣) « الخلة » : بفتح الخاء : الخصلة . وبضم الخاء : الصداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف وفي دعارة . القاموس (خلل) .

(٤) في ح : طبعاً .

(٥) في المسند (٤/ ٣٤١) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٦) نسبته في الإكمال (٦/ ٦١/ الدؤلي) وفي الإصابة : الديلي ، وكلاهما جائز .

ثم رواه هو والبيهقي[١] من حديث عبد الرحمن بن أبي الزِّناد بنحوه .

وقال البيهقيُّ أيضاً[٢] حدّثنا أبو طاهر الفقيه ، حدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن[٣] القطّان ، حدّثنا أبو الأزهر ، حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدّثنا محمد بن عمرو[٤] ، عن محمد بن المنكدر ، عن ربيعةَ الدِّيلي .

قال : رأيتُ رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناسَ في منازلهم ، يدعوهم إلى الله ، ووراءَهُ رجلٌ أحْوَل ، تَقِدُ وجنتاهُ وهو يقول : [أيُّها الناس لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينكم ودينِ آبائكم . قلتُ : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب .

ثمّ رواه[٥] من طريق شعبة عن الأشعث بن سُليم ، عن رجل من كنانة . قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوق ذي المَجاز وهو يقول][٦] : « يا أيُّها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجلٌ خلْفَه يَسْفي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس ، لا يغرَّنَّكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللاتِ والعُزَّى .

كذا قال أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته ، وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى[٧] .

وأمّا أبو طالب فكان في غاية الشفَقَة والحُنُوِّ الطبيعي كما سيظهر من صنائعه وسجاياه ، واعتماده فيما يُحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

قال يونس بن بُكير ، عن طلحة بن يحيى بن عبيد الله ، عن موسى بن طلحة[٨] ، أخبرني عقيل بن أبي طالب قال : جاءتْ قريش إلى أبي طالب فقالوا : إنَّ ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانْهَهُ

---

(١) في المسند (٤/ ٣٤١) والدلائل (٢/ ١٨٥ ، ١٨٦) .

(٢) في الدلائل (٢/ ١٨٥) وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٩٢) عن محمد بن بشار عن عبد الوهاب عن محمد بن عمرو به .

(٣) في الدلائل : الحسين . وهو اسم أبيه ، والحسن جده ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣١٨) وتذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٢) .

(٤) في ح ، ط : محمد بن عمر ، والمثبت من الدلائل ومن ترجمته في تهذيب الكمال (٢٦/ ٢١٢) وهو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي .

(٥) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٦) .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٧) انظر مقتل أبي لهب في الجزء الرابع .

(٨) في ح ، ط : طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة . وهوتحريف ، والمثبت من ترجمة طلحة في تهذيب الكمال (١٣/ ٤٤١) والتاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٥١) ودلائل النبوة (٢/ ١٨٦) .

عنا . فقال : يا عقيل ، انطلقْ فأْتِني بمحمد ، فانطلقتُ إليه ، فاستخرجته من كِنْس[١] ـ أو قال خِنْس ـ يقول : بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فلما أتاهم قال : إنَّ بني عمِّك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم ، فانْتَهِ عن أذاهم . فحلَّق[٢] رسولُ الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا : نعم! قال : « فما أنا بأقدر [على] أن أدعَ ذلك منكم على أن تشتعلوا[٣] منها بشعلة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابنُ أخي قطّ ، فارجعوا .

رواه البخاري في التاريخ[٤] عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير .

ورواه البيهقي[٥] عن الحاكم عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عنه به ـ وهذا لفظه ـ .

ثمّ روى البيهقي[٦] من طريق يونس عن ابن إسحاق ، حدّثني يعقوب بن عتبة[٧] بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أنَّ قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إنَّ قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا ، فأبْقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أُطيق أنا ولا أنت ؛ فاكفُفْ عن قومك ما يكرهون من قولك . فظنَّ رسول الله ﷺ أن قد بَدَا لعمِّه فيه ، وأنَّه خاذلُه ومُسْلِمُه ، وضعُفَ عن القيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عمّ ، لو وضعتِ الشمسُ في يميني والقمر في يساري ما تركتُ هذا الأمر حتى يُظهرهُ الله أو أهلكَ في طلبه » ثم استعبر رسولُ الله ﷺ فبكى ، فلما ولَّى قال له حين رأى ما بلغ الأمرُ برسول الله ﷺ : يا ابن أخي ، فأَقبَلَ عليه ، فقال : امضِ على أمرك وافْعَلْ ما أحببت ، فوالله لا أُسْلِمُك لشيءٍ أبداً[٨] .

قال ابن إسحاق[٩] : ثم قال أبو طالب في ذلك : [من الكامل]

والله لـنْ يَصِلـوا إليـكَ بِجَمْعِهـم ... حتـى أُوسَّـدَ فـي التـرابِ دَفينـا
فامضي لأمرِكَ ما عليكَ غضاضةٌ ... أبشـرْ وقـرَّ بـذاكَ منـكَ عيـونـا
ودعوتَني وعلمتُ أنك ناصحي ... فلقدْ صدقتَ وكنتَ قِدْمُ أميناً[١٠]

---

(١) كذا في ح ، ط بالنون ، وكذا في أصل الدلائل ؛ قال ابن الأثير في النهاية (كبس/ ٤/ ١٤٣) بعد سياق الحديث : الكِبْس بالكسر : بيت صغير . ويروى بالنون ، من الكناس ، وهو بيت الظبي اهـ .

(٢) في هامش ح : فحدّق ، لعلها رواية نسخة .

(٣) في التاريخ للبخاري : تشعلوا منها شعلة ، وفي الدلائل : تستشعلوا منها شعلة .

(٤) التاريخ الكبير (٧/ ٥١) .

(٥) دلائل النبوة (٢/ ١٨٦) .

(٦) في الدلائل أيضاً (٢/ ١٨٧ ، ١٨٨) سيأتي .

(٧) في الدلائل : عقبة ، تصحيف .

(٨) الخبر بنحوه في سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦) .

(٩) دلائل النبوة (٢/ ١٨٨) والأبيات فيه .

(١٠) في الدلائل : قبل أمينا .

وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه ... مِن خيرِ أديانِ البريةِ دينا
لولا الملامةُ أو حِذاري سُبَّةً ... لوجدتَني سمحاً بذاك مُبينا

ثم قال البيهقي : وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً[1] ؛ وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الله تعالى عصَمَهُ بعمِّه مع خلافِهِ إيَّاه في دينه ، وقد كان يعصِمُه حيث لا يكون عمُّه بما شاء لا معقِّب لحكمه .

وقال يونس بن بكير ، عن[2] محمد بن إسحاق : حدّثني رجلٌ من أهل مصر قديماً منذ بضعٍ وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قصةٍ طويلة جرتْ بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ ، فلما قام رسولُ الله قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش ، إنَّ محمداً قد أبى إلا ما ترَوْن ، من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسبِّ آلهتنا ، وإني أُعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجر ، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه[3] ، فليصنع بعد ذلك بنو عبدِ منافٍ ما بَدَا لهم . فلما أصبح أبو جهلٍ ـ لعنه الله ـ أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام ، فكان إذا صلَّى صلَّى بين الركنين الأسودِ واليَمَاني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسولُ الله ﷺ يصلِّي ، وقد غدَتْ قريش ، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهلٍ الحَجَر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منبهتاً ، ممتقعاً لونه ، مرعوباً قد يَبِستْ يداه على حَجَره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجالٌ من قريش ، فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمتُ إليه لأفعل ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنَوْت منه عَرَض لي دونه فحلٌ من الإبل ، والله ما رأيت مثلَ هامته ، ولا قَصَرَتِه[4] ، ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فهمَّ أن يأكلني .

قال ابنُ إسحاق[5] : فذُكر لي أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ذلك جبريل ، لو دنا مني لأخذه »[6] .

وقال البيهقي[7] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو النضْر الفقيه ، حدّثنا عثمان الدارمي ، حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدّثنا الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبان بن صالح ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنتُ يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل ـ لعنه الله ـ فقال : إنَّ لله عليَّ إنْ رأيتُ محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ؛ فخرجتُ

---

(١) ساق ابن هشام شيئاً منها في السيرة (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) .

(٢) في ط : حدثني محمد بن إسحاق ، والمثبت من ح ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٩٠) والخبر فيه عن الحاكم الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به .

(٣) هذه رواية ط ودلائل البيهقي ، وأما رواية ح فهكذا : وإني أعاهد الله لأجلس له عند الحِجْر ، فإذا سجد فضخت رأسه . . .

(٤) « قصرته » : أي عنقه وأصل رقبته .

(٥) دلائل البيهقي (٢/ ١٩١) .

(٦) في ط : ولو دنا منه ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٧) في دلائل النبوة (٢/ ١٩١) .

على رسول الله ﷺ حتى دخلتُ عليه فأخبرتُه بقول أبي جهل ، فخرج غضباناً[١] ، حتى جاء المسجد ، فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط فقلت : هذا يومُ شرّ ، فأتزرْتُ ثم اتّبعته ، فدخل رسولُ الله ﷺ فقرأ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ، فلما بلغ شأن أبي جهل ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧] فقال إنسانٌ لأبي جهل : يا أبا الحكم ، هذا محمد ! فقال أبو جهل : ألا ترَوْنَ ما أرى ؟ والله لقد سدَّ أُفُقَ السماء عليّ ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ آخر السورة سجد .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة قال : قال ابنُ عباس : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً يُصلِّي عند الكعبة لأطأنَّ على عُنقه . فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « لو فعل لأخذَتْهُ الملائكةُ عِياناً » .

ورواهُ البخاريُّ[٣] عن يحيى ، عن عبد الرزاق به .

قال داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مرَّ أبو جهل بالنبيِّ ﷺ وهو يصلِّي فقال : ألم أنهك أنْ تصلِّيَ يا محمد ؟ لقد علمتَ ما بها أحد أكثر نادياً مني . فانتهره النبيُّ ﷺ . فقال جبريل : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٧ ـ ١٨] والله لو دعا ناديه لأخذَتْهُ زبانيةُ العذاب .

رواه أحمد والترمذي وصحّحه النسائي[٤] من طريق داود به .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا إسماعيلُ بن يزيد أبو يزيد[٦] ، حدّثنا فرات ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلِّي لآتينَّهُ حتى أطأ على عنقه . قال فقال : « لو فعل لأخذَتْهُ الزبانيةُ عياناً » .

وقال أبو جعفر بن جرير[٧] : حدّثنا ابن حميد ، حدّثنا يحيى بن واضح ، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العَيْزار ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمدٌ يصلِّي عند المقام لأقتلنَّه . فأنزل الله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ حتى بلغ من الآية [﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ

---

(١) كذا في ح ، ط والدلائل بالتنوين وهو جائز على لغة بني أسد . النحو الوافي (٤/ ٢١٧) والتاج (غضب) .
(٢) في مسنده (١/ ٣٦٨) .
(٣) فتح الباري (٤٩٥٨) التفسير سورة ٩٦ باب كلا لئن لم ينته . قلت : وأخرجه به أيضاً الترمذي في الجامع (٣٣٤٨) التفسير باب ومن سورة اقرأ باسم ربك (٩٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٩١ ، ١٩٢) .
(٤) مسند أحمد (١/ ٢٥٦) وجامع الترمذي (٣٣٤٩) باب ومن سورة اقرأ باسم ربك (٩٦) والسنن الكبرى للنسائي (١١٠٦١) و(١١٦٨٤) .
(٥) في مسنده (١/ ٢٤٨) .
(٦) في ح ، ط : أبو زيد . والمثبت من مسند أحمد وترجمته في تعجيل المنفعة (ص٣٨) .
(٧) في تفسيره ـ تفسير الطبري ـ (١٥/ ٢٥٦) في تفسير سورة العلق (٩٦) . وما يأتي بين معقوفين منه .

كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦]⁽¹⁾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ فجاء النبيُّ ﷺ يصلِّي ، فقيل [له] : ما يمنعك ؟ قال : قد اسودَّ ما بيني وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرَّك لأخذتْهُ الملائكة والناسُ ينظرون إليه .

وقال ابن جرير[٢] : حدّثنا ابن عبد الأعلى ، حدّثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يُعَفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ! قال فقال : واللاَّتِ والعزَّى ، لئن رأيتُه يصلِّي كذلك لأطأنَّ على رقبته ، ولأعفرنَّ وجهه بالتراب . فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلِّي ليطأ على رقبته . قال : فما فَجِئَهُمْ منه إلا وهو ينكُصُ على عَقِبَيْه ، ويتَّقي بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ قال : إنَّ بيني وبينه خَنْدقاً من نار وهوْلاً وأجنحة . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « لو دنا منِّي لاختطفَتْه الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل اللهُ تعالى ـ لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ـ ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ إلى آخر السورة .

وقد رواهُ أحمد ومسلم والنَّسائي وابن أبي حاتم والبيهقي[٣] من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا وهب بن جرير ، حدّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله قال : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ دعا على قريش ، غيرَ يوم واحد ، فإنه كان يصلِّي ورهْطٌ من قريش جلوس ، وسَلا جَزُورٍ قريبٌ منه . فقالوا : من يأخذ هذا السَّلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي مُعيط : أنا ، فأخذَهُ فألقاه على ظهره ، فلم يزلْ ساجداً حتى جاءتْ فاطمةُ فأخذَتْهُ عن ظهره ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ عليك بهذا[٥] الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبةَ بن ربيعة ، اللهمَّ عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهمَّ عليك بعقبة بن أبي مُعيط ، اللهم عليك بأبيٍّ بن خلف ـ أو أمية بن خلف ـ » شعبة الشاكّ قال عبد الله : فلقد رأيتُهم قُتلوا يوم بدرٍ جميعاً ، ثم سُحبوا إلى القَليب غيرَ أُبَيّ ـ أو أمية بن خلف ـ فإنَّه كان رجلاً ضخماً فتقطع .

وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ، ومسلم من طرق عن أبي إسحاق به[٦] .

والصواب أمية بن خلف ، فإنَّه الذي قُتل يوم بدر ، وأخوه أُبَيّ إنما قُتل يوم أحد كما سيأتي بيانه

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من ح .
(٢) هو ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٦) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٧٠) وصحيح مسلم (٢٧٩٧) (٣٨) صفات المنافقين وأحكامهم والنسائي في التفسير من سننه الكبرى (١١٦٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٨٨ ، ١٨٩) .
(٤) في مسنده (١/ ٤١٧) .
(٥) ليست اللفظة في مسند أحمد .
(٦) صحيح البخاري في الطهارة (٢٤٠) ، وفي الصلاة (٥٢٠) وفي الجهاد (٢٩٣٤) ، وفي الجزية (٣١٨٥) وفي مبعث النبي ﷺ (٣٨٥٤) ، وفي المغازي (٣٩٦٠) ، ومسلم في الجهاد (١٧٩٤) (١٠٧) و(١٠٨) و(١٠٩) و(١١٠) .

ـ والسَّلى هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميلُ على بعض ، أي يميل هذا على هذا من شدَّة الضحك لعنهم الله . وفيه أن فاطمة لما ألقَتْه عنه أقبلتْ عليهم فسبَّتْهم ، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه ﷺ دعا على الملأ منهم جملةً ، وعيَّن في دعائه سبعة . وقع في أكثر الروايات تسميةُ ستةٍ منهم : وهم عُتْبة ، وأخوه شَيْبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، وأمية بن خلف .

قال أبو إسحاق[1] : ونسيتُ السابع .

قلتُ : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري[2]

قصة الإراشي[3]

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق[4] حدّثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي . قال : قدم رجل من إراش بإبلٍ له إلى مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الإراشيُّ حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش مَنْ رجلٌ يُعْديني على أبي الحكم بن هشام ، فإني غريبٌ وابنُ سبيل ، وقد غلبني على حقِّي ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك [الرجل] ـ وهم يهوونَ به[5] إلى رسول الله لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ـ اذهب إليه ، فهو يعديك عليه . فأقبل الإراشيُّ حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجلٍ ممن معهم : اتبعْه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال : « محمد ، فاخرُجْ » فخرجَ إليه وما في وجهه قطرةُ دم ، وقد انتقع لونه . فقال : « أعْطِ هذا الرجل حقَّه » . قال : لا تبرَحْ حتى أُعطيه الذي له . قال : فدخل فخرج إليه بحقِّه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ . وقال للإراشي : « الحقْ لشأنك » . فأقبل الإراشيُّ حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد أخذتُ[6] الذي لي .

---

(١) في ح ، ط : ابن إسحاق . وهو تصحيف ، والصواب من صحيح مسلم في الحديث المشار إليه في الحاشية السابقة رقمه ١٠٩ .

(٢) فتح الباري (٥٢٠) الصلاة باب المرأة تطرح عن المصلِّي شيئاً من الأذى .

(٣) « الإراشي » : نسبة إلى إراش ، بالكسر والشين المعجمة ، موضع حكاه ياقوت في معجم البلدان (١/ ١٣٤) . وإراش أيضاً : هو ابن لِحْيان بن الغوث ، وقيل : هو ابن عمرو بن الغوث ، وهو والد أنمار ، أبو بجيلة من خثعم . انظر التاج (أرش) وإراشة أيضاً من بني وائل بن قاسط . انظر الاشتقاق ص٣٣٥ .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٩٣) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

(٥) في ح ، ط : يهزون به إلى رسول الله . والمثبت من دلائل النبوة للبيهقي وما بين معقوفين منه .

(٦) كذا في ط وفي ح والدلائل : أخذ من غير تاء .

وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحُه فقال : « أعط هذا الرجل حقَّه » . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه . ثم لم يلبث أنْ جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك ؛ فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرَبَ عليَّ بابي وسمعتُ صوته فملئتُ رُعْبا ، ثم خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامته ، ولا قَصَرَته ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فوالله لو أبيت لأكلني .

فصــــل

وقال البخاري[١] : حدّثنا عياش بن الوليد ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم التيميّ ، حدّثني عُروة بن الزُّبير [قال] : سألتُ ابن [عمرو] العاص فقلت : أخبِرْني بأشدِّ شيءٍ صنعه المشركون برسولِ الله ؟ قال : بينما النبيُّ ﷺ يصلِّي في حِجْر الكعبة ، إذْ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعيط ، فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر : ٢٨] الآية .

تابعه ابنُ إسحاق قال : أخبرني يحيى بن عروة ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال : قيل لعمرو بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة : حدثني عمرو بن العاص .

قال البيهقي[٢] : وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة .

انفرد به البخاري ، وقد رواه في أماكن من صحيحه[٣] ، وصرَّح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه ، لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدُّم هذه القصة .

وقد روى البيهقي[٤] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس عن محمد بن إسحاق : حدّثني يحيى بن عروة ، عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :

---

(١) في صحيحه ، فتح الباري (٣٨٥٦) مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٢) في الدلائل (٢/ ٢٧٦) بعد سياق حديث البخاري .

(٣) فتح الباري (٣٦٧٨) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ، وفي مبعث النبي ﷺ (٣٨٥٦) و(٤٨١٥) التفسير سورة المؤمن ٤٠ .

(٤) في الدلائل (٢/ ٢٧٥) وأخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة النبوية (١/ ٢٨٩) به .

ما أكثرُ ما رأيتَ قريشاً أصابتْ من[١] رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يوماً في الحِجْر ، فذكروا رسولَ الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرَّق جماعاتنا ، وسبَّ آلهتنا ، وصرنا منه على أمرٍ عظيم ـ أو كما قال ـ قال : فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول ، فعرفتُ ذلك في وجه رسولِ الله ﷺ فمضى ، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتُها في وجهه ، فمضى ، فمر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح » . فأخذت القوم كلمتُه حتى ما منهم من رجل إلا وكأنَّما على رأسه طائروقع حتى إنَّ أشدَّهم فيه وصاةً قبل ذلك ليرفَؤُهُ[٢] حتى إنه ليقول : انصرفْ أبا القاسم راشداً ، فما كنت بجهول .

فانصرف رسولُ الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم ، فقال بعضُهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسولُ الله ﷺ فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عَيْبِ آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « نعم ، أنا الذي أقولُ ذلك » ولقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائِه ، وقام أبو بكر يَبْكي دونه ويقول : ويلكم ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ثم انصرفوا عنه . فإنَّ ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغتْ منه قط .

فصــل

في تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ، واجتماعهم بعمِّه أبي طالب القائم في منعه ونصرته ، وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم ، فأبَى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذَى أحد ، وأُخفت في الله وما يُخاف أحد ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون[٤] من بين يوم وليلة ، وما لي ولبلالٍ ما يأكلُه ذو كَبِد إلا ما يُواري إبْطُ بلال » .

وأخرجه الترمذيّ وابنُ ماجَه[٥] من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي : حسنٌ صحيح .

---

(١) ليست اللفظة في ح ولا في الدلائل ، وهي في سيرة ابن هشام .
(٢) « يرفؤه » : أي يسكِّنه ويرفق به ويدعو له . النهاية واللسان (ارفأ) وفيهما : إن أشدهم فيه وضاءة ؟ .
(٣) في مسنده (٣/ ١٢٠) .
(٤) في المسند : ثلاثة .
(٥) جامع الترمذي (٢٤٧٢) صفة القيامة باب ٣٤ وسنن ابن ماجه (١٥١) المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضائل سلمان وأبي ذر والمقداد . ولفظ الأخير « ولقد أتت عليَّ ثالثة » .

وقال محمد بن إسحاق[١] : وحَدِبَ على رسولِ الله ﷺ عَمُّهُ أبو طاب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على أمر الله ، مظهراً لدينه لا يردُّه عنه شيء . فلما رأتْ قريش أنَّ رسولَ الله ﷺ لا يُعْتِبُهم من شيءٍ أنكروه عليه ، من فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأَوْا أنَّ عمَّه أبا[٢] طالب قد حَدِبَ عليه وقام دونه ، فلم يُسْلِمْهُ لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبةُ وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصّي ، وأبو سفيان صَخْر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البَخْتَري ـ واسمه العاصُ ابن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ، والأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزَّى ، وأبو جهل ـ واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعْد[٣] بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي ، والعاص بن وائل بن سُعيد بن سهم .

قال ابن إسحاق[٤] : أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب ، إنَّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا وسفَّه أحلامنا ، وضلَّلَ آباءنا ، فإما أن تكفَّه عنا وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردَّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شَرِيَ[٥] الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذِكر رسول الله ﷺ بينها فتذامروا[٦] فيه ، وحضَّ بعضهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مشَوْا إلى أبي طالب مرَّةً أخرى . فقالوا : يا أبا طالب ، إنَّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عنا ، وإنَّا والله لا نصبر على هذا من شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفَّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يَهْلِكَ أحدُ الفريقين ـ أو كما قالوا ـ ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم ، ولم يطِبْ نفساً بإسلامِ رسولِ الله ﷺ ولا خِذْلانِه .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أنَّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي إنَّ قومك قد جاؤوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له ، فأبق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أُطيق . قال : فظنَّ رسولُ الله ﷺ أنه

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٤) والروض (٢/ ٤) .
(٢) في ح ، ط : أبو طالب ، والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٣) في ح ، ط : سعيد ، والمثبت من سيرة ابن هشام وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٤) .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥) والروض (٢/ ٤) .
(٥) في ح ، ط : سرى بالسين المهملة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض والنهاية لابن الأثير (شري) وفيه : عظم وتفاقم ولجُّوا فيه . وجاء في الروض (٢/ ٩) فشري الأمر عند ذلك : أي انتشر الشر .
(٦) في ح : فتوامروا ، وتذامروا : تحاضُّوا . والقوم يتذامرون ، أي يحضُّ بعضهم بعضاً على الجد . اللسان (ذمر) .
(٧) سيرة ابن إسحاق (ص١٥٤) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦) والروض (٢/ ٥) .

قد بَدَا لعمِّهِ فيه بَدْوٌ[١] ، وأنَّه خاذله ومُسْلِمُه ، وأنَّه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري[٢] على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركتُه » قال : ثم استعبر رسولُ الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولَّى ناداه أبو طالب . فقال : أَقْبِلْ يا بن أخي ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : اذهب يا بن أخي ، فقلْ ما أحببت ، فوالله لا أسلمتُك لشيءٍ أبداً .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم إنَّ قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خِذْلانَ رسولِ الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته ، مشَوْا إليه بعُمارة بنِ الوليد بن المغيرة فقالوا له ـ فيما بلغني ـ : يا أبا طالب ، هذا عُمارة بن الوليد أنهد[٤] فتًى في قريش وأجمله ، فخُذْهُ فلك عَقْلُه ونَصْرُه ، واتخذْه ولداً فهو لك ، وأَسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودينَ آبائك ، وفرَّق جماعة قومِك ، وسفَّه أحلامنا فنقتله ، فإنما هو رجلٌ برجل ! قال : والله لبئس ما تسومونني ؟ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، وأُعطيكم ابني فتقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال المُطْعِمُ بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك وجهدوا على التخلُّص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنَّك قد أجمعتَ خِذْلاني ومظاهرةَ القوم عليّ ، فاصنَعْ ما بدا لك ـ أو كما قال ـ فحقب الأمر[٥] ، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادَى[٦] بعضُهم بعضاً . فقال أبو طالب عند ذلك يعرِّضُ بالمُطْعِمِ بن عديّ ويعمُّ مَنْ خذله من بني عبد مناف ومَنْ عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم[٧] : [من الطويل]

---

(١) كذا في ح ، ط وفي مصادر الخبر « بَدَاء » يقال : بدا له في الأمر ، بَدْواً وبداً وبداءً : أي تغيَّر له من أمره ، أي ظهر له رأي . انظر اللسان (بدو) والروض (٢/ ٨) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ٨) : خصَّ الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة وخصَّ القمر بالشمال لأنها الآية الممحوَّة ، وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نجوم . فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر . قال : كنت مع الآية الممحوة ، اذهب فلا تعمل لي عملاً . وكان عاملاً له فعزله ، فقتل الرجل في صفين مع معاوية واسمه حابس بن سعد . وخصَّ رسول الله ﷺ النيرين حين ضرب المثل بهما ، لأن نورهما محسوس والنور الذي جاء به من عند الله ـ وهو الذي أرادوه على تركه ـ هو لا محالة أشرف من النور المخلوق ، قال الله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ فاقتضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الأعلى أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيرين ، وهي الآية المبصرة بأشرف اليدين ، وهي اليمين ، بلاغة لا مثلها ، وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها . اهـ.

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص١٥٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦) والروض (٢/ ٥) .

(٤) في ح : أبهى . ومعنى أنهد ، أي : أقوى وأجلد . الروض (٢/ ٨) .

(٥) « حقب الأمر » : يريد اشتد . الروض (٢/ ٩) .

(٦) في ح ، ط : نادى بالنون ، والمثبت من مصادر الخبر .

(٧) القصيدة في ديوان شيخ الأباطح (ص٢١ ـ ٢٣) على خلاف في بعض ألفاظها وأبياتها ومطلعها : =

ألا قُــلْ لعمــرٍو والــوليــدِ ومُطعِــم ... ألا ليــتَ حظّــي مــن حيــاطتكــم بَكْــرُ[١]
مــن الخُــورِ حَبْحَــابٌ كثيــرٌ رُغــاؤهُ ... يُــرَشُّ علــى الســاقيــن مــن بــولِــهِ قَطْــرُ[٢]
تخلَّــفَ خلــفَ الــوِرْدِ ليــسَ بــلاحــقٍ ... إذا مــا عــلا الفَيفــاءَ قيــلَ لــه وَبْــرُ[٣]
أرى أخــوَيْنــا مــن أبينــا وأُمِّنــا ... إذا سُئــلا قــالا إلــى غيــرِنــا الأمــرُ
بلــى لهمــا أمــرٌ ولكــنْ تجــرْجَمــا ... كما جَرجمتْ من رأسِ ذي عَلَقَ الصخرُ[٤]
أخُصُّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونَوفلاً ... همــا نَبــذَانــا مثــلَ مــا نُبــذ الجمــرُ[٥]
همــا أغمــزا للقــومِ فــي أخــويهمــا ... فقــد أصبحــا منهــم أكفُّهمــا صِفــرُ[٦]
همــا أشــركــا فــي المجــدِ مَــنْ لا أبــالَــهُ ... مــن النــاسِ إلا أنْ يُــرَسَّ لــه ذِكْــرُ[٧]
وتَيْــمٌ ومخــزومٌ وزُهــرةُ منهــمُ ... وكــانُــوا لنــا مــولًــى إذا بُغــيَ النَّصْــرُ
فــواللهِ لا تنفــكُّ منَّــا عــداوةٌ ... ولا منهــمُ مــا قــام مِــنْ نسلِنــا شَفْــرُ[٨]

قال ابن هشام[٩] : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما .

= ألا ليت حظي من حياطة نصركم ... بأن ليس لي نفع لديكم ولا ضرُّ
وسار برملي فاطر الناب جاشم ... ضعيف القصيرى لا كبير ولا بكرُ

وقال في شرحه : جاشم : متكاره على السير ، والقصيرى : أضعف الأضلاع .

(١) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٠) : أي : إن بكراً من الإبل أنفع لي منكم ، فليته لي بدلاً من حياطتكم كما قال طرفة في عمرو بن هند : [من الوافر]

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثاً حول قبّتنا تخور

(٢) « الخور » : الضعاف : والحجاب بالحاء : الصغير . وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر : جبجاب بالجيم ، وفسره فقال : هو الكثير الهدر . الروض (٢/ ١٠) .

(٣) أي يشبه الوَبْر لصغره ؛ والوبر : دويبَّة على قدر السنَّوْر . ويحتمل أن يكون أراد أن يصغر في العين لعلو المكان وبعده . الروض (٢/ ١٠) والنهاية (وبر) .

(٤) رواية السهيلي في الروض : كما جرجمت من راس ذي علقٍ صخر وقال : وترك صرف علق إما لأنه جعله اسم بقعة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر . . . ثم قال : ولو رُوي : من رأس ذي علق الصخر . بحذف التنوين لالتقاء الساكنين لكان حسناً . الروض (٢/ ١٠ ، ١١) وقوله : جرجمت أي : سقط وتهدّم . ورواية الديوان : ترجما . . . كما رجمت . وقال : الترجم القول بالظن .

(٥) في ح : الخمر .

(٦) أغمز في الرجل إغمازاً : استضعفه وعابه وصغَّر شأنه اللسان (غمز) .

(٧) أي إلا أن يذكر ذكراً خفيّاً ، من رسَّ له الخبر : ذكره له . اللسان (رسس) .

(٨) في ط : ولا منكم ما دام من نسلنا شفر . والمثبت من ح . وشَفْر : أحد . يقال : ما بالدار شَفر وشُفُر : أي أحد . اللسان شفر .

(٩) ليست اللفظة في ح .

فصل
في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق(١) : ثم إنَّ قريشاً تذامروا(٢) بينهم على مَنْ في القبائل من منهم(٣) أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين يعذِّبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسولَ الله ﷺ بعمِّه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْع رسولِ الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ـ إلا ما كان من أبي لهب عدو الله ـ فقال(٤) في ذلك يمدحهم ويحرِّضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنُّصْرَة لرسولِ الله ﷺ : [من الطويل]

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعبدُ منافٍ سرُّها وصَمِيمُها
وإنْ حُصِّلتْ أشرافُ عبدِ منافِها ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإنْ فخرَتْ يوماً فإنَّ محمداً ... هو المصطفى من سرِّها وكريمها
تداعتْ قريشٌ غَثُّها وسمينُها ... علينا فلم تظفر وطاشَتْ حُلومُها(٥)
وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الرقابِ نُقِيمُها
ونحمي حِماها كلَّ يوم كريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها مَنْ يرومها(٦)
بنا انتعش العُودُ الذَّوَاءُ وإنما ... بأكنافِنا تندَى وتَنْمي أرومُها

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ ، وما تعنَّتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخَرْق العادات على وجه العِنَاد ، لا على سبيل(٧) الهدى والرشاد . فلهذا لم يُجابوا إلى كثيرٍ مما طلبوا ، ولا ما إليه رغبوا ، لعلْم الحقِّ سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمرُّوا في طغيانهم يعمهون ، ولظلُّوا

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨) .
(٢) في الأصل ح : توامروا ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .
(٣) سقطت اللفظة من ط .
(٤) أي أبو طالب .
(٥) هذه رواية ط وسيرة ابن هشام للبيت ، أما رواية ح فهكذا :
تداعت علينا غثها وسمينها ... فلم يظفروا شيئاً وطاشت حلومها
(٦) قال السهيلي في الروض (٢/ ١١) : ونضرب عن أحجارها من يرومها ، أي ندفع عن حصونها ومعاقلها ، وإن كانت الرواية : أجحارها ، بتقديم الجيم فهو جمع جحر ، والجحر هنا مستعار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها .
(٧) في ط : على وجه طلب الهدى . . .

في غيِّهم وضلالهم يتردَّوْن . قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ [قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ][1] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٩ ـ ١١١] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦ ـ ٩٧] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا][2] ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ [أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا][3] بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٠ ـ ٩٣] . وقد تكلَّمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير ولله الحمد .

وقد روى يونس وزياد عن ابن إسحاق[4] عن بعض أهل العلم ـ وهو شيخٌ من أهل مصر يقال له : محمد بن أبي محمد ـ عن سعيد بن جُبير ، وعكرمة عن ابن عباس قال : اجتمع عِلْيَةٌ[5] من أشراف قريش ـ وعدَّد أسماءهم ـ بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمدٍ فكلِّموه ، وخاصِمُوه حتى تُعْذِروا فيه . فبعثوا إليه : إن أشرافَ قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك ، فجاءهم رسولُ الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنه قد بدا لهم في أمره بَدَاءٌ[6] ، وكان حريصاً يحبُّ رُشْدَهم ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ، إنَّا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنَّا والله لا نعلمُ رجلاً من العرب أدْخَلَ على قومه ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمتَ الآباء ، وعِبْتَ الدِّين ، وسفَّهْتَ الأحلام ، وشتمتَ الآلهة ، وفرَّقْتَ الجماعة ، وما بقي من قبيحٍ إلا وقد جِئْتَه فيما بيننا وبينك ؛ فإنْ كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لَكَ من أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالاً ، وإنْ كنتَ إنما تطلب الشَّرَف فينا سوَّدْناك علينا ، وإنْ كنتَ تريدُ مُلْكاً ملَّكناكَ علينا ، وإنْ كان هذا الذي يأتيك [بما يأتيك][7] رَئِيّاً تراه قد غلب عليك ـ وكان يسمُّون التابعَ من الجِنّ الرَّئِيّ ـ فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا في طلب الطبِّ حتى نُبرِئَكَ منه أو نُعْذِرَ فيك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلبُ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ح وأثبت محله : « إلى قوله » .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح وأثبت محله لفظ : الآية وهي الآية ٥٩ من سورة الإسراء .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ح وأثبت محله : « إلى قوله » .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٩٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٩٥) والروض (٢/ ٣٦) .
(٥) في ح : جماعة .
(٦) مضى شرح معناه ص ٢٥٤ ح١ .
(٧) ليس ما بين معقوفين في ح ولا سيرة ابن هشام ولا الروض ، وهو في سيرة ابن إسحاق .

أموالكم ، ولا الشَّرَفَ فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكنَّ اللهَ بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليَّ كتاباً ، وأمرني أنْ أكونَ لكم بشيراً ونذيراً ، فبلّغتكم رسالةَ ربِّي ونصحتُ لكم ، فإنْ تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم من[1] الدنيا والآخرة ، وإنْ تردُّوه عليّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » ـ أو كما قال رسـول الله ﷺ ـ فقالوا : يا محمد ، فإنْ كنتَ غيرَ قابلٍ منَّا ما عرَضْنا عليك فقد علمتَ أنَّه ليس أحدٌ من الناس أضيقَ بلاداً ، ولا أقلَّ مالاً[2] ، ولا أشدَّ عيشاً منّا . فسَلْ لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به ، فَلْيُسَيِّرْ عنَّا هذه الجبالَ التي قد ضيَّقت علينا ، ولْيَبْسُطْ لنا بلادنا ، وليجر[3] فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعثْ لنا مَنْ مَضَى من آبائنا ، وليكُنْ فيمن[4] يبعث لنا منهم قصيُّ بن كلاب ، فإنَّه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألَهم عمَّا تقول أحقٌّ هو أم باطل ؟ فإنْ فعلت ما سألناك وصدَّقوك صدَّقناك وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « ما بهذا بُعثت ، إنما جئتُكم من عند الله بما بعثني به فقد بلَّغْتُكم ما أُرسلتُ به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوا عليَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فإنْ لم تفعل لنا هذا فخُذْ لنفسك فسلْ ربَّك أن يبعث لنا ملَكاً يصدِّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا[5] جِناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويُغنيك عمَّا نراك تبتغي ، فإنَّك تقومُ في الأسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسُه ، حتى نعرف فضلَ منزلتك من ربِّك إنْ كنتَ رسولاً كما تزعم . فقال لهم : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسألُ ربَّه هذا ، وما بُعثتُ إليكم بهذا ، ولكنَّ الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإنْ تقبلوا ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة . وإن تردُّوه عليَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فأسقطِ السماء كما زعمت أنَّ ربَّك إن شاء فعل ، فإنَّا لن نؤمن لك إلا أنْ تفعل . فقال : « ذلك إلى الله إنْ شاء فعل بكم ذلك » فقالوا : يا محمد ، ما علم ربُّك أنَّا سنجلسُ معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدَّم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبلْ منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلِّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمنُ بالرحمن أبداً ؛ فقد أعْذَرْنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركُك وما فعلت بنا حتى نهلكَكَ أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهم[6] بناتُ الله ، وقال قائلُهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله[7] والملائكة قَبيلاً .

(١) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض : في .
(٢) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض : ماءً . وهو أشبه بالصواب .
(٣) في سيرة ابن هشام والروض : وليفجِّرْ .
(٤) في ح ، ط : فيما . والمثبت من سيرة وابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض .
(٥) في سيرة ابن هشام والروض : لك .
(٦) في ط وسيرة ابن هشام والروض : وهي وفي سيرة ابن إسحاق : وهن والمثبت من ح .
(٧) في ح : حتى يأتينا الله .

فلما قالوا ذلك قام رسولُ الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابنُ عمته عاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال : يا محمد عرَضَ عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبلْه . ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتَك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوِّفُهم به من العذاب . فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيَها وتأتيَ معك بنسخةٍ منشورة ، ومعك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ؛ وايْمُ الله ، لو فعلتَ ذلك لظننتُ أني لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسولُ الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسِفاً لما فاتَهُ بما طمع فيه من قومه حين دعَوْه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلسُ ظلمٍ وعُدْوانٍ وعِنَاد ، ولهذا اقتضتِ الحكمة الإلَهية ، والرحمةُ الربَّانية ، ألَّا يجابوا إلى ما سألوا ، لأنَّ[1] الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب ؛ كما قال الإمام أحمد[2] : حدّثنا عثمان بن محمد ، حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : سأل أهلُ مكةَ رسولَ الله ﷺ أنْ يجعل لهم الصَّفا ذهباً ، وأنْ يُنَحِّيَ عنهم الجبال فيزْدَرِعوا ، فقيل له : إنْ شئت أن تَسْتَأنيَ بهم ، وإنْ شئتَ أن تؤتيَهُمُ الذي سألوا ، فإنْ كفروا هلَكُوا كما أهلكتُ مَنْ قبلهم من القرون . فقال[3] : « لا ، بل أستأني بهم » . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ [وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ][4] ﴾ الآية .

وهكذا رواه النسائي[5] من حديث جرير .

وقال أحمد[6] : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا سفيان عن سَلَمة بن كُهَيْل ، عن عمران بن حَكَم[7] ، عن ابن عباس قال : قالت قريشٌ للنبيِّ ﷺ : ادْعُ لنا ربَّك يجعل لنا الصَّفَا ذهباً ونؤمنُ بك . قال :

---

(١) في ح : سألوه لأنه ، والمثبت من ط .
(٢) في مسنده (١/ ٢٥٨) .
(٣) في ط : من قبلهم الأمم قال ، والمثبت من ح .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح ، والآية هي رقم (٥٩) من سورة الإسراء .
(٥) في التفسير (٣١٠) وهو في سننه الكبرى (١١٢٩٠) .
(٦) في مسنده (١/ ٢٤٢) .
(٧) في ح ، ط : حكيم ، والمثبت من مسند أحمد ؛ قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد (٤/ ٢٦) ما نصه : هكذا هو في الأصلين ، والظاهر أن أصل الرواية : عن عمران أبي الحكم . فأخطأ أحد الرواة فقال : عن عمران بن الحكم ، وليس في الرواة الذين رأينا تراجمهم من يسمَّى عمران بن الحكم . والصواب عمران بن الحارث أبو الحكم .

« وتفعلون »[١] قالوا : نعم . قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إنَّ ربَّكَ يقرأُ عليك السلام ويقول لك : إنْ شئتَ أصبح الصَّفا لهم ذهباً . فمَنْ كفر منهم بعد ذلك أعذِّبُه عذاباً لا أعذِّبه أحداً من العالمين ، وإنْ شئتَ فتحتُ لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل باب التوبة والرحمة » .

وهذان إسنادان جيِّدان ، وقد جاء مرسلاً عن جماعةٍ من التابعين ، منهم سعيد بن جُبير وقتادة وابن جُريج وغير واحد .

وروى الإمام أحمد والترمذي[٢] ، من حديث عبد الله بن المبارك حدّثنا يحيى بن أيُّوب ، عن عُبيد الله بن زَحْر ، عن علي بن يَزيد ، عن القاسم ، عن[٣] أبي أمامة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « عَرَضَ عليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أن يجعلَ لي بطحاءَ مكَّةَ ذهباً ، فقلت : لا ياربِّ ، [ولكن] أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعتُ تضرَّعْتُ إليك وذكرتُك ، وإذا شبعتُ حَمِدْتُك وشكرتك » لفظ أحمد . وقال الترمذي : هذا حديثٌ حسن ، وعليُّ بن يزيد يُضعَّف في الحديث .

وقال محمد بن إسحاق[٤] : حدّثني شيخٌ من أهل مصر ـ قدم علينا منذ بضعٍ وأربعين سنة ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثتْ قريشٌ النَّضْرَ بن الحارث وعُقْبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلوهم عن محمد وصفوا[٥] لهم صفته وأخبروهم[٥] بقوله ، فإنَّهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم علْمُ ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى قدِمَا المدينة ، فسألا أحبارَ يَهُود عن رسولِ الله ﷺ ووصفوا[١] لهم أمْرَهُ وبعضَ قوله ، وقالا : إنَّكم أهلُ التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهم أحبارُ يهود : سلوه عن ثلاثٍ نأمرُكم بهنّ ، فإنْ أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسَل ، وإنْ لم يفعلْ فالرجل متقوِّل ، فرَوْا فيه رأيكم : سلوهُ عن فتيةٍ ذهبوا في الدَّهْر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنَّه قد كان لهم حديثٌ عجيب ؛ وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ[٦] مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان [نَبَؤه][٧] ؛ وسلوه عن الروح ما هو[٨] ؟ فإنْ أخبركم بذلك فهو نبيٌّ فاتَّبِعُوه ، وإنْ لم يخبرْكم فإنَّه رجلٌ متقوِّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

---

(١) في ح ، ط : وتفعلوا ، والمثبت من مسند أحمد .
(٢) مسند أحمد (٥/ ٢٥٤) وجامع الترمذي (٢٣٤٧م) الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه وفي إسناده ضعف .
(٣) في ح : القاسم بن أبي أسامة . والمثبت من مسند أحمد والترمذي ، وما يأتي بين معقوفين منهما .
(٤) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٠١) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٠٠) والروض (٢/ ٣٩) .
(٥) في ط وسيرة ابن هشام والروض : وصفا . . . وأخبراهم ، والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .
(٦) في ط : طاف ، والمثبت من ح .
(٧) ما بين معقوفين من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .
(٨) في ط وسيرة ابن هشام والروض : ما هي ، والمثبت من ح والسير والمغازي . والروح : مذكر وقد يؤنث . اللسان (روح) .

فأقبل النَّضر وعُقبة حتى قدما على قريش فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمَرَنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، أخبِرْنا فسألوه عما أمروهم به . فقال لهم رسول الله ﷺ : « أخبرُكم غداً بما سألتُم عنه » ، ولم يستثن . فانصرفوا عنه ، ومكثَ رسولُ الله ﷺ خمسَ عشرةَ ليلةً لا يُحْدِثُ له في ذلك وَحْياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهلُ مكة وقالوا : وعَدَنا محمدٌ غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحْزَنَ رسولَ الله ﷺ مكْثُ الوحي عنه ، وشقَّ عليه ما يتكلّم به أهلُ مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عزَّ وجلَّ بسورة الكهف ، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخبر[1] ما سألوه عنه ، من أمر الفتية والرجل الطوَّاف ، وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد تكلَّمنا على ذلك كلِّه في التفسير مطولاً ، فمن أراده فعليه بكشفه من هناك .

ونزل قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٩] ثم شرَعَ في تفصيلِ أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء[2] تحقيقاً لا تعليقاً في قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٣ ـ ٢٤] ثم ذكر قصة موسى لتعلُّقها بقصة الخضِر، ثم ذي القرنَيْن، ثم قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣] ثم شرح أمره وحكى خَبَره .

وقال في سورة سبحان : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] أي : خَلْقٌ عجيبٌ من خلْقه ، وأمْرٌ من أمْرِه ، قال لها : كوني فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلَقَه ، وتفسير كيفيته[3] ، في نفس الأمر يصعُب عليكم بالنسبة إلى قدرةِ الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] وقد ثبت في الصحيحَيْن[4] أنَّ اليهود سألوا عن ذلك رسولَ الله ﷺ بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية ـ فإمَّا أنها نزلَتْ مرَّةً ثانية ، أو ذَكرها جواباً[5] ـ وإن كان نزولُها متقدِّماً ، ومن قال : إنها إنما نزلتْ بالمدينة واستثناها من سورة سُبْحَان ، ففي قوله نظر ، والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق[6] : ولما خَشِيَ أبو طالبٍ دَهْمَ العرَبِ أن يركبوهُ مع قومه قال قصيدَته التي تعوَّذَ فيها

---

(١) في ط : فأخبراهم . والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .

(٢) في ح : الأنبياء ، تصحيف .

(٣) في ط : وتصوير حقيقته ، والمثبت من ح .

(٤) فتح الباري (٤٧٢١) التفسير [سورة : ١٧] باب ويسألونك عن الروح ، وصحيح مسلم (٢٧٩٤) (٣٢) صفات المنافقين باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح .

(٥) في ح : أو ذكرنا جوابها .

(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢) والروض (٢/ ١٣) وفي سيرة ابن هشام (ص١٥٦) سبعة الأبيات الأولى من القصيدة . =

بحرَم مكَّة وبمكانه منها ، وتودَّدَ فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم في شعرِهِ أنَّه غير مسلمٍ لرسولِ الله ﷺ ، ولا تاركه لشيءٍ أبداً حتى يهلِكَ دونه . فقال : [من الطويل]

ولمـا رأيـتُ القـومَ لا وُدَّ فيهـمُ ... وقـد قطعـوا كـلَّ العُـرَى والـوسـائـلِ
وقـد صـارَحُـونـا بـالعَـدَاوةِ والأذى ... وقـد طـاوَعُـوا أمـرَ العـدوِّ المُـزايـلِ
وقـد حـالَفُـوا قـومـاً علينـا أَظِنَّـةً ... يَعَضُّـونَ غيظـاً خَلْفنـا بـالأنـامـلِ
صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاولِ[١]
وأحضرتُ عند البيت رَهْطي وإخوتي ... وأمسكـتُ مـن أثـوابِـهِ بـالـوصـائـلِ
قيـامـاً معـاً مُستقبليـنَ رِتـاجَـه ... لدى حيث يَقضي حَلفَه كلُّ نافلِ[٢]
وحيثُ يُنيخ الأشعـرونَ ركـابهـم ... بمُفْضَى السيولِ من إسافٍ ونائلِ
مـوسَّمـةَ الأعضـادِ أو قَصَـرَاتِهـا ... مخيَّسـةً بيـن السَّـديـسِ وبـازِلِ[٣]
تـرى الـوَدْعَ فيهـا والـرخـامَ وزينـةً ... بـأعنـاقهـا معقـودةً كـالعثـاكـلِ[٤]
أَعُوذُ بربِّ الناس من كلِّ طاعنٍ ... علينـا بسـوءٍ أو مُلـحٍّ ببـاطـلِ[٥]
ومـن كـاشـحٍ يسعـى لنـا بمَعيبـةٍ ... ومن مُلحِقٍ في الدين ما لم نحاولِ[٦]
وثَـوْرٍ ومـن أرسـى ثَبيـراً مكـانَـهُ ... وراقٍ ليـرقـى فـي حِـرَاءَ ونـازلِ[٧]

= والقصيدة في ديوان شيخ الأباطح (ص٢ ـ ١٢) .

(١) « المقاول » : الملوك . جمع مِقْول . اللسان (قول) . وأراد بالمقاول آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكاً، ولا كان فيهم من ملك ، بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان في آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب بن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بعامين . الروض (٢/ ٢٢) .

(٢) رواية الشطر الأول في السير والمغازي : عكوفاً معاً مستقبلين وتارة . وفي ح : يستقبلون .

(٣) قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٢) : وقوله : موسمة الأعضاد ، يعني معلمة بسمة في أعضادها ، ويقال لذلك الوسم السطاع والخباط في الفخذ ، والرقمة أيضاً في العضد ، ويقال للوسم في الكشح : الكشاح : ولما في قَصَرَةِ العنق العلاط . وقصراتها : جمع قصرة ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاد . والمخيَّسة : المذلَّلة التي لم تسرَّح ، ولكنها خُيِّست للنحر أو القَسْم . والسَّديس من الإبل : ما دخل في السنة الثامنة . والبازل : الذي خرج نابه وذلك في السنة التاسعة . الروض (٢/ ٢٢) واللسان (خيس ، سدس ، بزل) ولفظ ح : محبَّسة .

(٤) « الوَدْع » : بالسكون والفتح : خرزات تنظم ويتحلَّى بها النساء والصبيان . والرخام : أي ما قطع من الرخام ، فنظم ، وهو حجر أبيض ناصح . والعثاكل : أراد العثاكيل ، فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاض : وفيها العصافر ، أراد : العصافير . الروض (٢/ ٢٢) .

(٥) هكذا في ح ، ط وسيرة ابن هشام والروض : ولعل الصواب : ملجٍّ بالجيم .

(٦) في ح : لنا بمعشة . . ما لم يجادل .

(٧) قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٤) : وأصح الروايتين فيه : وراق لبرٍّ في حراءَ ونازلِ . قال البرقي : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره وهو الصواب .

وبالبيتِ حقِّ البيت من بطن مكةٍ ... وبالله إنَّ اللهَ ليس بغافلِ
وبالحجَرِ المسودِّ إذْ يمسحونه ... إذا اكتنفوهُ بالضُّحَى والأصائلِ[١]
وموطىءِ إبراهيمَ في الصخر رطبةً ... على قدمَيْه حافياً غيرَ ناعلِ[٢]
وأشواطِ بين المروَتَيْن إلى الصَّفَا ... وما فيهما من صورةٍ وتماثِلِ[٣]
ومن حجَّ بيتَ الله من كلِّ راكبٍ ... ومن كلِّ ذي نَذْرٍ ومن كلِّ راجلِ
وبالمشعَرِ الأقصى إذا عمدوا له ... إلالَ إلى مُفْضَى الشّراجِ القوابلِ[٤]
وتَوقافِهم فوقَ الجبال عشيَّةً ... يُقيمون بالأيدي صدورَ الرواحلِ
وليلةِ جمعٍ والمنازلِ من مِنَى ... وهل فوقَها من حُرمةٍ ومنازلِ
وجمعٍ إذا ما المقرُبات أجَزْنَه ... سِراعاً كما يخرُجْنَ من وقع وابلِ[٥]
وبالجمرةِ الكُبرى إذا صَمدوا لها ... يؤمُّون قَذْفاً رأسَها بالجنادلِ
وكندةَ إذْ هم بالحِصَابِ عشيَّةً ... تُجيزُ بهم حجَّاجُ بكرِ بن وائلِ[٦]
حليفانِ شدَّا عَقْدَ ما احتلفا له ... وردَّا عليه عاطفاتِ الوسائلِ
وحَطْمِهِمُ سُمرَ الصِّفاح وسَرْحَه ... وشِبْرِقَه وخْدَ النعامِ الجوافلِ[٧]

---

(١) رواية الروض : وبالحجر الأسود . دلّ عليه قوله : وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف يسمى الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك . اهـ . أما روايته في المتن فقد جاءت المسودّ . وقوله : إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل . ورواية ح : إذا كشفوه .

(٢) وقوله : وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة ، يعني موضع قدميه حين غسلت كنته (زوج ابنه) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع تركته بمكة ، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾ أي : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات قال : المقام جمع مقامة ، وقيل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه . الروض (٢/ ٢٥) .

(٣) بين المروتين : كنحو ما تقدم في بطن المكتين لما ورد مثنى من أسماء المواضع ، وهو واحد في الحقيقة . وتماثل : أراد تماثيل ، كمفاتح ومفاتيح . الروض (٢/ ٢٥) .

(٤) « المشعر الأقصى » : عَرَفَة ، وإلال ككتاب وسحاب : جبل عرفة ، وسمِّي إلالاً لأن الحجيج إذا رأوه ألُّوا في السير ، أي اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . والشراج : جمع شرج ؛ وهو مسيل الماء ، والقوابل : المتقابلة . الروض (٢/ ٢٥ ، ٢٦) وروايته إلالاً . معجم البلدان (١/ ٢٤٢ ، ٢٤٣) .

(٥) ليس هذا البيت في ح .

(٦) « الحِصَاب » : موضع رمي الجمار بمنى . معجم البلدان (٢/ ٢٦٢) .

(٧) « الصفاح » : جمع صفح ؛ وهو سطح الجبل . والسمر : يجوز أن يكون أراد به السمر يقال فيه : سمُر وسمْر بضم الميم وسكونها ، ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح=

فهل بعدَ هذا من مَعَاذٍ لعائذٍ ... وهل من مُعيذٍ يتقي اللهَ عادلِ[١]

يُطاع بنا العِدَى وودُّوا لو أنَّنَا ... تُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْكٍ وكابُلِ[٢]

كذبتم وبيتِ الله نترك مكةً ... ونظعنُ إلَّا أمرُكم في بلابِلِ[٣]

كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمداً ... ولمَّا نُطاعِنْ دُونَه ونناضلِ[٤]

ونسلمه حتى نصرَّعَ حوله ... ونَذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

وينهضَ قومٌ بالحديد إليكمُ ... نهوضَ الروايا تحتَ ذاتِ الصلاصل[٥]

وحتى نرى ذا الضِّغْنِ يركبُ رَدْعَهُ ... من الطَّعنِ فعل الأنكبِ المتحاملِ[٦]

وإنا لعمرُ الله إنْ جدَّ ما أرى ... لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثلِ

بكفَّيْ فتًى مثلِ الشهابِ سَمَيْدَعٍ ... أخي ثقةٍ حامي الحقيقةِ باسلِ

شهوراً وأياماً وحَوْلاً مُجَرَّماً ... علينا وتأتي حِجَّةٌ بعدَ قابلِ[٧]

وما تركُ قومٍ ـ لا أبا لكَ ـ سيِّداً ... يحوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ[٨]

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثِمَالَ اليتامى عِصْمةً للأراملِ[٩]

= أو الذم ، نحو حسن وقبح . كما قال : « وحسن ذا أدبا » . وجائز أن يراد بالسمر هاهنا جمع أسمر وسمراء ويكون وصفاً للبنات ، والشجر يوصف بالدهمة إذا كان مخضرّاً . والسَّرْح : جمع سَرْحة ، وهي الشجرة العظيمة . وقوله : وشبرقه ؛ وهو نبات يقال ليابسه : الحِلَّة ، ولرطبه الشبرق . والوَخْد : السير السريع . والجوافل : الذاهبة المسرعة . الروض (٢/ ٢٦) واللسان (وخد ، جفل ، سرح) .

(١) في ح : وهل من مقيل .

(٢) في ط : يطاع بنا أمر العِدَا ودأننا ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .

(٣) « البلابل والبلبال » : شدة الهم والوسواس في الصدور وحديث النفس . اللسن (بلل) .

(٤) في ح : نقاتل ، بدل : نطاعن . وقد تقدم شرح البيت .

(٥) في ح : وننهض قوماً . الروايا : هي الإبل تحمل الماء ، واحدتها : راوية . والصلاصل : المزادات لها صلصلة بالماء . الروض (٢/ ٢٦) .

(٦) ركب فلان رَدْعَه : إذا خرَّ لوجهه على دمه ، وطعنه فركب ردعه ، أي مقاديمه وعلى ما سال من دمه ، وقيل : ركب ردعه ، أي خرَّ ضريعاً لوجهه على دمه وعلى رأسه وإن لم يمت بعد ، غير أنه كلما همَّ بالنهوض ركب مقاديمه فخر لوجهه . والأنكب: من المنكب، وهو الميل في الشيء وعن الحق، وهي صفة المتطاول الجائر قال رجل من فقعس:

فهلا أعدُّوني لمثلي تفاقدوا ... إذا الخصم أبزى مائل الرأي أنكب

اللسان (ردع ، نكب) .

(٧) في ح ، ط : محرماً بالحاء المهملة ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، والسنة المجرَّمة : التامَّة التي انقضت . اللسان (جرم) .

(٨) في ح : يحوط الذمار من غير ثوب ثواكل » ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض (٢/ ٢٦) وجاء فيه : وهو مخفف من ذرِب ، والذرب اللسان : الفاحش المنطق ، والمواكل : الذي لا جدَّ عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

(٩) « ثمال اليتامى » : أي: يثملهم ويقوم بهم، والثِّمال : هو الغياث والملجأ والمطعم في الشدائد . الروض (١/ ٢٦)=

يلـوذُ بـه الهُـلاَّك مـن آلِ هـاشـمٍ — فهـمْ عنـدَهُ فـي نعمـةٍ وفـواضـلِ[١]

لعمـري لقـد أجْرَى أسيدٌ وبكـرُهُ — إلـى بُغضنـا وجـزَّآنـا لآكـلِ[٢]

وعثمـانُ لـم يَـرْبَـعْ علينـا وقُنْفُـذٌ — ولكـنْ أطـاعـا أمـرَ تلـك القبـائـلِ

أطـاعـاأُبَيّـاً وابـنَ عبـدِ يَغـوثِهـم — ولـم يـرقُبـا فينـا مقـالـةَ قـائـلِ

كمـا قـد لقينـا مـن سُبَيْـعٍ ونـوفـلٍ — وكـلٌّ تـولَّـى مُعـرِضـاً لـم يجـامِـلِ

فـإنْ يُلْفَيَـا أو يُمْكِـن اللهُ منهمـا — نَكِلْ لهمـا صـاعـاً بصـاعِ المكـايـل

وذاك أبـو عمـرٍو أبَـى غيـرَ بُغضنـا — ليُظْعِننـا فـي أهـلِ شـاءٍ وجـامـلِ[٣]

يناجي بنا في كلِّ مُمْسَى ومُصْبَحٍ — فنـاجِ أبـا عمـرو بنـا ثـم خَـاتِـلِ

ويـؤلـي لنـا بـاللهِ مـا إنْ يغشُّنـا — بلـى قـد نـراهُ جهـرةً غيـرَ حـائـلِ[٤]

أضـاقَ عليـه بغضُنـا كـلَّ تَلْعَـةٍ — من الأرض بينَ أخشُبٍ فمَجَادِلِ[٥]

وسـائـلْ أبـا الـوليـدِ مـاذا حَبَـوْتنـا — بسعيك فينا مُعْرِضاً كالمخاتلِ[٦]

وكنـتَ امـرأً ممَّـنْ يُعـاشُ بـرأيـهِ — ورحمتِـهِ فينـا ولسـتَ بجـاهـلِ

فعتبـةُ لا تسمـعْ بنـا قـولَ كـاشـحٍ — حسودٍ كذوبٍ مبغضٍ ذي دَغَاولِ[٧]

ومـرَّ أبـو سفيـانَ عنّـيَ مُعْـرِضـاً — كمـا مـرَّ قَيْـلٌ مـن عظـام المَقَـاولِ

يَفِـرُّ إلـى نَجْـدٍ وبَـرْدِ ميـاهِـهِ — ويزعُمُ أني لستُ عنكم بغافلِ[٨]

= واللسان (ثمل) .

(١) في ح وسيرة ابن هشام : فهم عنده في رحمة . والمثبت من ح .

(٢) أسيد هو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وبكره : هوعتاب ابنه كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٢) .

(٣) « الشاء والشوى » : اسم للجمع مثل الباقر والبقير ، ولا واحد لشاء والشوى من لفظه ، وإذا قالوا في الواحد : شاة ، فليس من هذا ، لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير : شويهة ، وفي الجمع شياه . والجامل : اسم جمع بمنزلة الباقر . الروض (٢/ ٢٦) .

(٤) في ط : خائل بالخاء المعجمة ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، والحائل : الحاجز بين الشيئين .

(٥) في ح : حرشب . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام ، وقوله : أخشُب : أراد الأخاشب ، وهي جبال مكة ، وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبُل ، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ؛ والمجادل : جمع مِجدَل ، وهو القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق ؛ والفاء في قوله : فمجادل . تعطي الاتصال بخلاف الواو . . . تقول : مطرنا بين مكة فالمدينة ، إذا اتصل المطر من هذه إلى هذه ؛ ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى . الروض(٢/ ٢٦ ، ٢٧) .

(٦) في ح : بسعيك في تفريقنا كالمخاتل ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

(٧) « الدغاول » : الدواهي : لا واحد لها ، والغوائل أيضاً . تاج العروس (غول) .

(٨) في ح : يحن إلى نجد .

ويخبـرُنـا فعـلَ المنـاصـح أنَّـهُ شفيقٌ ويُخْفي عارماتِ الدواخِلِ[١]
أمُطْعِمُ لم أخْذُلكَ في يوم نَجْدَةٍ ولا مُعْظِـمِ عنـدَ الأمـور الجـلائـلِ
ولا يـومَ خَصْـمٍ إذْ أتـوكَ ألـدَّةٍ أولي جَدَلٍ بين الخصوم المَسَاجِلِ[٢]
أمُطْعِـمُ إنَّ القـومَ سـامُـوكَ خُطَّـةً وإنِّـي متـى أوكـلْ فلسـتُ بـوائـلِ[٣]
جزى الله عنَّا عبدَ شمسٍ ونَوْفـلاً عقـوبـةَ شـرٍّ عـاجـلاً غيـر آجـلِ
بميـزانِ قسـطٍ لا يُخِـسُّ شَعيـرةً لـه شـاهـدٌ مـن نفسِـه غيـرُ عـائـلِ[٤]
لقـد سفهـتْ أحـلامُ قـوم تبـدَّلـوا بنـي خَلَـفٍ قيضـاً بنـا والغيـاطـلِ[٥]
ونحـن الصَّميـمُ مـن ذُؤابـةِ هـاشـم وآل قُصـيٍّ فـي الخطـوبِ الأوائـلِ
وسهـمٍ ومخـزوم تمـالَـوْا وألَّـبـوا علينا العِدَى من كل طِمْلٍ وخاملِ[٦]
فعبـدُ منـافٍ أنتـمُ خيـرُ قـومكـم فلا تُشركوا في أمركم كلَّ واغِلِ
لعمـري لقـد وَهَنْتُـمُ وعَجَـزْتُـمُ وجئتُمْ بـأمـرٍ مخطـىءٍ للمَفَـاصـلِ[٧]
وكنتـم حـديثـاً حَطْـبَ قِـدْرٍ وأنتـمُ ألان حِطَـابُ أَقْـدُرٍ ومَـراجـلِ[٨]
لِيهـنِ بنـي عبـدِ المنـافِ عقـوقُنـا وخـذلانُنـا وتـركُنـا فـي المعـاقـلِ

(١) « العارمات » : الشديدات . الدواخل : جمع داخلة ، وهي النيَّة والطويَّة والمذهب . اللسان والتاج (عرم ، دخل) .

(٢) في ح : أشدَّة بدل ألدَّة . وفي ط : من الخصوم . وكذا في سيرة ابن هشام ، والمثبت من ح . والمساجل : يروى بالجيم وبالحاء ، فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسجل وصبه ، فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مِسْجل بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحل بالحاء فهو جمع مسحل ، وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ؛ أي خصماء الألسنة . الروض (٢/ ٢٧) .

(٣) « ساموك » : كلَّفوك . الوائل : الناجي . اللسان (سوم ، وأل) .

(٤) « لا يخسُّ » : لا ينقص . ورواية ط : لا يخيس ، ويروى في غير السيرة : يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر : إذا أذهبه ، والعائل من قولهم : عال في الميزان : إذا نقص أو زاد . اللسان والتاج (خسس ، عول) والروض (٢/ ٢٧) .

(٥) « قيضاً » : أي معاوضة : ومنه قول النبي ﷺ لذي الجوشن : « إن شئت قايضتك به المختار من دروع بدر » فقال : ما كنت لأقيضه اليوم بشيء ، يعني فرساً له . والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغيطلة . الروض (٢/ ٢٧) .

(٦) « الطمل » : اللص والرجل الفاحش والفقير . الروض (٢/ ٢٧) .

(٧) في ح : أدهنتم ، بدل : وهنتم .

(٨) في ط : ألان أحطاب ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ؛ قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٦) : وقوله : وكنتم زماناً حطب قدر : حطب اسم للجمع من ركب وليس بجمع ، لأنك تقول في تصغيره : حطيب وركيب . وقوله : حطاب أقدر هو جمع حاطب فلا يصغر ، إلا أن تردَّه إلى الواحد فتقول : حويطبون ، ومعنى البيت : أي كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدر واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك . اهـ .

فإنْ نكُ قوماً نَبْتَئِرْ ما صنعتُمُ ... وتحتلبوها لَقْحَةً غيرَ باهلِ[١]
[وسائطُ كانتْ في لؤيِّ بن غالبِ ... نفاهم إلينا كلُّ صَقْرٍ حُلاحِلِ
ورهطُ نُفَيلٍ شرُّ من وَطِىءَ الحَصَى ... وألأَمُ حافٍ من معدٍّ وناعِلِ][٢]
فأَبلغ قُصَيًّا أنْ سينشَرُ أمْرُنا ... وبشِّرْ قصيًّا بعدنا بالتخاذُلِ
ولو طرقتْ ليلاً قصياً عظيمةٌ ... إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صَدَقوا ضرباً خِلال ديارِهم ... لكنَّا أُسَى عندَ النِّسَا والمطافلِ[٣]
فكلُّ صديقٍ وابنِ أُختٍ نَودُّه ... لعمري وجدنا غَيْبَهُ غيرَ طائلِ[٤]
سوى أنَّ رَهْطاً من كلابِ بنِ مرَّة ... براءٌ إلينا من مَعقَّةِ خاذلِ[٥]
[وهُنَّا لهمْ حتى تبدَّدَ جمعُهم ... ويُحْسَر عنَّا كلُّ باغٍ وجاهلِ
وكان لنا حوضُ السقايةِ فيهمُ ... ونحن الكُدَى من غالبٍ والكواهلِ
شبابٌ من المطَيَّبين وهاشمٌ ... كبِيض السيوفِ بين أيدي الصياقلِ
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفكُوا دماً ... ولا حالفوا إلا شِرَار القبائلِ
بضربٍ ترى الفتيانَ فيه كأنهم ... ضواري أُسودٍ فوقَ لحم خرادِلِ
بني أمةٍ محبوبةٍ هِنْدِ كِيَّة ... بني جُمَحٍ عُبَيْد قيس بن عاقل
ولكنَّنا نَسْلٌ كرامٌ لسادةٍ ... بهم نُعِيَ الأقوامُ عند البواطل]
ونِعم ابنُ أُختِ القومِ غير مكذَّبٍ ... زهيرٌ حساماً مفرَداً من حمائلِ
أشمُّ من الشُّمِّ البهاليلِ يَنْتَمي ... إلى حسَب في حَوْمةِ المجدِ فاضل
لعمري لقد كُلِّفتُ وَجْداً بأحمدٍ ... وإخوته دَأْبَ المحبِّ المُواصلِ[٦]
فمن مثلُه في الناسِ أيُّ مُؤمَّلٍ ... إذا قاسَهُ الحُكَّامُ عند التفاضلِ

---

(١) في ط وسيرة ابن هشام : نتَّئر ، والمثبت من ح وأثبتها الناسخ في هامشها وكتب فوقها كلمة : صح ، ومعنى نبتئر : من ابتأر الشيء إذا خبأه وادَّخره . اللسان (بأر) وقال صاحب الروض (٢/ ٢٧) : وقوله لقحة غير باهل : الباهل : الناقة التي لا صرار على أخلافها ، فهي مباحة الحليب .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من نسخ البداية والنهاية ، وبعض نسخ سيرة ابن هشام ، وهو مثبت في بعضها فأثبته هنا ناشر المطبوعة نقلا عن سيرة ابن هشام فتبعناه في ذلك .

(٣) في ط وسيرة ابن هشام : خلال بيوتهم . . . النساء المطافل ، والمثبت من ح ، والأسى : جمع أسوى . والمطافل : ذوات الأطفال ، واحدها مطفل . اللسان (أسو ، طفل) .

(٤) في ط وسيرة ابن هشام : وابن أخت نعده . . . وجدنا غبَّه .

(٥) « برا » : بفتح الباء وكسرها ، فبالكسر جمع بريْ مثل كريم وكرام ، وأما بَراء فمصدر مثل سلام . الروض (٢/ ٢٨) .

(٦) بعد هذا البيت في سيرة ابن هشام بيت آخر هو :

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكلِ

حليمٌ رشيد عادلٌ غيرُ طائس يوالي إلَهاً ليس عنه بغافل

كريمُ المساعي ماجدٌ وابنُ ماجدٍ له إرثُ مجدٍ ثابتٌ غيرُ ناصِلِ[١]

وأيَّدَهُ ربُّ العبادِ بنصره وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ زائلِ

فوالله لولا أنْ أجيءَ بسُبَّةٍ تجرُّ على أشياخِنا في المحافِل

لكنّا تَبِعناه على كلِّ حالةٍ من الدهر جدّاً غير قولِ التهازل

لقد عَلِموا أنَّ ابنَنا لا مكذَّبٌ لدينا ولا يُعنى بقولِ الأباطل

فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ تُقَصِّرُ عنها سَورةُ المتطاول[٢]

حَدِبْتُ بنفسي دونَهُ وحمَيْتُه ودافعتُ عنه بالذُّرَا والكلاكلِ[٣]

قال ابن هشام[٤] : هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر يُنكر أكثرها .

قلت : هذه قصيدةٌ عظيمةٌ بليغة جدّاً لا يستطيعُ أن يقولها إلا من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلَّقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطوَّلة بزياداتٍ أُخَرَ . والله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق[٥] : ثمّ إنهم عدَوْا على من أسلم واتَّبع رسولَ الله ﷺ من أصحابه فوثبَتْ كلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذِّبونهم[٦] بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاءِ مكةَ إذا اشتدَّ الحرّ ؛ مَنِ استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم مَنْ يُفتن من شدَّةِ البلاءِ الذي يُصيبهم، ومنهم من يَصْلُبُ لهم ويعصمه الله منهم ؛ فكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جُمَح ، مولَّداً من مولَّديهم ، وهو بلال بن رَبَاح ، واسمُ أُمِّه حَمَامة ، وكان صادقَ الإسلام طاهِرَ القلب ، وكان أميةُ بن خلف يُخرِجُه إذا حميتِ الظَّهيرة ثم يأمر بالصخرَةِ العَظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ ، وتعبد اللاتَ والعُزَّى . فيقول : ـ وهو في ذلك ـ أَحَدٌ أحد .

---

(١) هذا البيت والذي يليه ليسا في سيرة ابن هشام ، وفيها تقديم وتأخير في بعض الأبيات . وناصل : لا يزول .

(٢) « السَّورة » : الوَثْبة والرفعة في المجد والمنزلة . اللسان والأساس (سور) .

(٣) زاد ابن هشام بعدها هذين البيتين :

رجال كرام غير ميلٍ نماهمُ إلى الخير آباءٌ كرام المحاصل

فإن تك كعب من لؤي صقيبة فلا بد يوماً مرة من تزايل

(٤) في السيرة (٢/ ٨٠) .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص١٩٠) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٧) والروض (٢/ ٦٧) .

(٦) ما بعد هذه اللفظة ساقط من سيرة ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق[١] : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان ورَقَةُ بن نَوْفَل يمرُّ به وهو يعذَّب لذلك وهو يقول : أحَدٌ أحَد ، فيقول [ورقة :][٢] أحَد أحَد واللهِ يا بلال ، ثم يُقْبِلُ على أميَّة بن خلف ومَنْ يصنع ذلك به من بني جُمح فيقول : أحلفُ بالله ، لئنْ قتلتموه على هذا لأتَّخِذَنَّهُ حَنَاناً[٣] .

قلت : قد استشكل بعضُهم هذا من جهة أنَّ ورَقَة توفِّي بعد البِعْثة في فترة الوحي ، وإسلام مَنْ أسلم إنما كان بعد نزول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ فكيف يمرُّ ورَقَةُ ببلال ، وهو يعذَّب ؟ [وفيه نظر .

ثم ذكر ابنُ إسحاق[٤] مرور أبي بكرٍ ببلال وهو يعذَّب][٥] ، فاشتراه من أمية بعبدٍ له أسود فأعتقه وأراحَهُ من العذاب . وذكر مشتراه لجماعةٍ ممن أسلم من العَبيد والإماء ، منهم بلال ، وعامر بن فُهيرة ، وأم عُبَيس[٦] ، [وزِنِّيرة][٧] التي أُصيب بصَرُها ، ثم ردَّه الله تعالى لها ، والنهديَّة وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثَتْهما سيدتُهما تطحنانِ لها فسمعها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر : حِلاً[٨] يا أمَّ فلان ، فقالت : حلَّ أنت ، أفسدْتَهما فأعتِقْهما . قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتُهما وهما حُرَّتان ، أرْجِعا إليها طحينها . قالتا : أو نفرُغُ منه يا أبا بكر ثم نردُّه إليها ؟ قال : أو ذلك إنْ شئتما .

واشترى جاريةَ بني مؤمَّل - حي من بني عَدِيّ - كان عمر يضربها على الإسلام .

قال ابن إسحاق[٩] : فحدّثني محمد بن عبد الله بن أبي عَتِيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبير ، عن

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٩٠) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٨) والروض (٢/ ٦٧) .

(٢) ما بين معقوفين من سيرة ابن إسحاق .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٤٥٢) : « الحنان » : الرحمة والعطف ، والحنان الرزق والبركة . وكان ورقة على دين عيسى عليه السلام . وهلك قبيل مبعث النبي ﷺ ؛ لأنه قال للنبي ﷺ : إن يدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزرّاً . وفي هذا نظر ، فإن بلالاً ما عُذب إلا بعد أن أسلم . اهـ .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٩١) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٨) والروض (٢/ ٦٨) .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح ولعله سقط من انتقال النظر بين كلمة : يعذب الأولى والثانية .

(٦) في ح ، ط والروض : عميس . تصحيف ، والمثبت من السير والمغازي وسيرة ابن هشام والإصابة في ترجمتها في الكنى .

(٧) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط وأثبته من مصادر الخبر . قال السهيلي في الروض (٢/ ٧٨) : وأول اسمها زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فِعِّيلة ، هكذا صحَّت الرواية في الكتابة ، والزنيرة : واحدة الزنانير ، وهي الحصا الصغار ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول فيها : زنيرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تعرف زنيرة في النساء . اهـ .

(٨) في ح ، ط وسيرة ابن هشام : حل وفي السير والمغازي : أجل ، والمثبت من الروض . قال ابن الأثير في النهاية (حلل) : وفي حديث أبي بكر أنه قال لامرأة حلفت أن لا تعتق مولاة لها ، فقال لها : حِلاً أمَّ فلان ، واشتراها وأعتقها . أي تحلَّلي من يمينك ، وهو منصوب على المصدر .

(٩) في السير والمغازي (ص١٩١ ، ١٩٢) وسيرة ابن هشام (٢/ ٣١٩) والروض (٢/ ٦٨) .

بعض أهله ، قال : قال أبو قحافةَ لابنه أبي بكر : يا بني إنِّي أراكَ تُعْتِقُ ضعافاً ، فلو أنك إذْ فعلتَ ما فعلت أعتقتَ رجالاً جُلْداً ، يمنعونك ويقومون دونك ؟ قال : فقال أبو بكر : يا أبة ، إنِّي إنما أريدُ ما أريد . قال : فيتحدَّث أنه ما أنزل هؤلاءِ الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ ـ ٧] إلى آخر السورة .

وقد تقدَّم ما رواه الإمام أحمد وابنُ ماجة[١] من حديث عاصم بن بَهْدَلة ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلامَ سبعةٌ ، رسولُ اللهِ ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمُّهُ سُمَيَّة ، وصُهَيب ، وبلال ، والمِقْدَاد ؛ فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه ، و[أما] أبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذَهُم المشركون فألبسوهم أدراعَ الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنَّه هانتْ عليه نفسُهُ في الله تعالى ، وهان على قومه ، فأخذوه ، فأعطَوْه الولدان فجعلوا يطوفون به في شِعَابِ مكة وهو يقول : أحدٌ أحدٌ .

ورواه الثَّوْري عن منصور عن مجاهد مرسلاً .

قال ابنُ إسحاق[٢] : وكانتْ بنو مَخْزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهلَ بيت إسلام ـ إذا حميتِ الظهيرة يعذِّبونهم برَمْضَاء مكة ، فيمرُّ بهم رسولُ الله ﷺ فيقول ـ فيما بلغني ـ : « صبراً آلَ ياسر ، مَوْعِدُكُمُ الجنَّة » .

وقد روى البيهقيُّ[٣] عن الحاكم ، عن إبراهيم بن عِصْمَة العدل ، حدَّثنا السَّرِيُّ بنُ خُزيمة ، حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا هشام بن أبي عبد الله[٤] ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بعمَّارٍ وأهله وهم يُعَذَّبون فقال : « أبشرُوا آلَ عمَّار وآل ياسر[٥] ، فإنَّ موعدَكُمُ الجنَّة » .

فأما أمُّه فيقتلونها فتأبى إلا الإسلام[٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال : أول شهيدٍ كان في

---

(١) انظر ما تقدم (ص٢٢٦) موضع الحاشية (٧ و٨) وما يأتي بين معقوفين من ثم، وعاصم بن بهدلة هو ابن أبي النجود.
(٢) في المغازي والسير وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٩ ، ٣٢٠) والروض (٢/ ٦٨) .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٢٨٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة .
(٤) في ح ، ط : هشام بن أبي عبيد الله ، والمثبت من دلائل النبوة ومستدرك الحاكم وترجمته في تهذيب الكمال (٣٠/ ٢١٥) .
(٥) في دلائل النبوة : أو آل ياسر .
(٦) كذا وردت هذه العبارة في ح ، ط ، وليس في دلائل البيهقي .
(٧) كذا في الأصول ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٨٢) عن الحسين بن بشران قال : أخبرنا أبو عمرو بن السماك=

الإسلام استشهد أمُّ عمَّار سُمَيَّة ، طعنها أبو جهل بحَرْبَةٍ في قُبُلها[١] وهذا مرسل .

قال محمد بن إسحاق[٢] : وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغْري بهم في رجالٍ من قريش ، إذا سمع برجل قد أسلم له شرفٌ ومَنَعَة أنَّبه[٣] وخَزَاه وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ، لنسفهنَّ حِلْمك ، ولَنُفَيِّلَنَّ[٤] رأيَك ، ولنضعَنَّ شرفَك . وإنْ كان تاجراً قال : والله لنكسدَنَّ تجارتك ، ولنهلكنَّ مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغْرَى به ، لعنه الله وقبَّحه .

قال ابنُ إسحاق[٥] : وحدَّثني حكيم بن جُبير ، عن سعيد بن جُبير قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من العذاب ما يُعذَرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ! إنْ كانوا ليضربون أحدَهم ويُجيعونه ويُعطشونه ، حتى ما يقدر أنْ يستويَ جالساً من شدَّة الضُّرِّ الذي به ، حتى يُعطِيهمْ ما سألوه من الفِتْنَة ، حتى يقولوا له : اللات والعُزَّى إلَهان من دونِ الله ؟ فيقول : نعم ! [وحتى إنَّ الجُعَلَ ليمرُّ بهم فيقولون له : أهذا الجُعَل إلَهك من دون الله ؟ فيقول : نعم] افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ [وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ][٦] ﴾ الآية ، فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والتعذيب[٧] البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خَبَّاب بن

= قال : حدثنا حنبل بن إسحاق قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن حنبل (في المطبوع : أبو عبد الله يزيد بن أحمد ، وهو تحريف) قال : حدثنا وكيع به فذكره . قلت : لم أجد الخبر في مسند أحمد ولا في فضائل الصحابة له ، وذكره صاحب الكنز (٣٧٥٩٧) ورمز إلى أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه وهو فيه (١٧٦١٩) عن وكيع به ، ولم يرمز صاحب الكنز إلى الإمام أحمد ؛ وساقه ابن حجر في ترجمة سمية في الإصابة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد وقال : وهو مرسل صحيح السند . قال بشار : هذا من حديث ابن السماك ، وهو يروي عن أحمد بواسطة حنبل ، ولا علاقة له بالمسند .

(١) في ح ، ط : قلبها . والمثبت من دلائل النبوة والاستيعاب .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠) والروض (٢/ ٦٨) .

(٣) في ح : أباه . تصحيف ، والمثبت من ط .

(٤) في ط : ولنفلِّين . تصحيف ، والمثبت من ح . وهو فيَّلْتُ رأيه ، إذا خطَّأته وصحَّفته . انظر اللسان والأساس (فيل) .

(٥) في المغازي والسير (ص١٩٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠) والروض (٢/ ٦٩) وما بين معقوفين في هذا الخبر من هذه المصادر سقط من الأصول بسبب انتقال النظر .

(٦) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من ط حرفت فيه بعض الكلمات والآية هي رقم (١٠٦) من سورة النحل .

(٧) في ط : والعذاب .

(٨) في مسنده (٥/ ١١١) رقم (٢٠٩٦٦) .

الأرَتّ . قال : كنتُ رجلاً قَيْناً ، وكان لي على العاص بن وائل دَيْن ، فأتَيْتُه أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفُرَ بمحمد . فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تُبعث . قال : فإني إذا متُّ ثم بُعثت جئتني ولي ثمَّ مالٌ وولد فأعطيك[1] . فأنزل الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم : ٧٧ ـ ٨٠] .

أخرجاه في الصحيحين[2] وغيرهما من طرق عن الأعمش به .

وفي لفظِ البخاري[3] : كنتُ قَيْناً بمكة ، فعملتُ للعاص بن وائل سيفاً ، فجئتُ أتقاضاه فذكر الحديث .

وقال البخاري[4] : حدَّثنا الحُميدي ، حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا بَيَان[5] وإسماعيل قالا : سمعنا قيساً يقول : سمعتُ خَبَّاباً يقول : أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً[6] وهو في ظلِّ الكعبة ، وقد لَقينا من المشركين شدَّة ، فقلت : [يا رسول الله] ، ألا تدعو الله [لنا] ؟ فقعدَ وهو مُحْمَرٌّ وجْهُهُ فقال : « قد كان مَنْ كان قبلَكم ليُمشطُ بأمشاطِ الحديد ما دُون عظامِه من لحم أوْ عَصَب ، ما يصرِفُه ذلك عن دينه ، ويوضَعُ المنشار[7] على مفرِق رأسه فيُشَقُّ باثنين ، ما يَصْرِفُه ذلكَ عن دينه ، ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوْت ما يخافُ إلا اللهَ عزَّ وجلّ » زاد بَيَان : « والذئبَ على غنمه » .

وفي رواية[8] : « ولكنكم تستعجلون » انفرد به البخاري دون مسلم .

وقد رُوي من وجهٍ آخر عن خَبَّاب ، وهو مختصرٌ من هذا . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[9] : حدّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، وابن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن

---

(١) في مسند أحمد : فأعطيتك .

(٢) فتح الباري (٢٠٩١) بيوع باب ذكر القين والحداد ، وصحيح مسلم (٢٧٩٥) (٣٥) و(٣٦) صفات المنافقين باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح .

(٣) فتح الباري (٤٧٣٣) التفسير سورة ١٩ باب أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً .

(٤) فتح الباري (٣٨٥٢) مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) في ح ، ط : بنان . تصحيف ، والمثبت من فتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٤/ ٣٠٣) وهو بنان بن بشر الأحمسي البجلي ، وإسماعيل هو ابن أبي خالد ، وقيس هو قيس بن أبي حازم كما ذكر ابن حجر في الفتح .

(٦) في ح ، ط : ببردة ، والمثبت من فتح الباري .

(٧) كذا في ح ، ط : وفي البخاري والفتح : بميشار . وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٦٦) (الميشار) بكسر الميم وسكون التحتانية بهمز وغير همز ، تقول : وشرت الخشبة وأشرتها ، ويقال فيه بالنون ، وهي أشهر في الاستعمال .

(٨) فتح الباري (٣٦١٢) مناقب باب علامات النبوة في الإسلام .

(٩) في مسنده (٥/ ١١٠) رقم (٢٠٩٦١) .

أبي إسحاق ، عن سعيد بن وَهْب ، عن خبَّاب قال : شكَوْنا إلى النبيِّ ﷺ شدَّةَ الرَّمْضَاء [فما أشكانا ـ يعني في الصلاة ـ وقال ابنُ جعفر : فلم يُشْكِنا .

وقال أيضاً[١] : حدثنا سليمان بن داود ، حدّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعتُ سعيد بن وَهْبٍ يقول : سمعت خَبَّاباً يقول : شكونا إلى رسولِ الله ﷺ الرَّمْضَاء][٢] فلم يُشْكِنا .

قال شعبة : يعني في الظُّهر[٣] .

ورواه مسلم والنَّسائي والبيهقي[٤] من حديث أبي إسحاق السَّبيعي ، عن سعيد بن وَهْب ، عن خَبَّاب قال : شكَوْنا إلى رسولِ الله ﷺ حَرَّ الرَّمْضاء ـ زاد البيهقي في وجوهنا وأكُفِّنا ـ فلم يُشْكِنا[٥] .

وفي رواية[٦] : شكونا إلى رسولِ الله ﷺ الصلاة في الرَّمضاء فلم يُشْكنا .

ورواهُ ابنُ ماجه[٧] عن علي بن محمد الطَّنَافِسِيّ ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضَرِّب[٨] العَبْدي ، عن خباب قال : شكونا إلى رسولِ الله ﷺ حَرَّ الرَّمْضاء فلم يُشْكِنا .

والذي يقع لي ـ والله أعلم ـ أنَّ هذا الحديث مختصرٌ من الأول ، وهو أنهم شكَوْا إليه ﷺ ما يَلْقَوْن من المشركين من التعذيب بحرِّ الرَّمْضَاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتَّقون بأكفِّهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه ﷺ أن يدعُوَ الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ولم ينجزْه لهم في الحالة الرَّاهنة ، وأخبرهم عمَّن كان قبلهم أنهم كانوا يلقَوْن من العذاب ما هو أشدُّ مما أصابهم ، ولا يصرفُهم ذلك عن دينهم ، ويبشِّرُهم أنَّ الله سيتِمُّ هذا الأمر ويُظهره ويُعلنه وينشره وينصُره في الأقاليم والآفاق ، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حَضْرَمَوت لا يخافُ إلا اللهَ عز وجل والذئبَ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون ، ولهذا قال : شكَوْنا إلى رسول الله ﷺ حرَّ الرمضاء في وجوهنا وأكُفِّنا فلم يُشْكِنا ، أي : لم يدْعُ لنا في الساعة الراهنة . فمن استدلَّ بهذا الحديث على عدَمِ الإبراد أو على وجوب مباشرة المصلِّي بالكفِّ كما هو أحد قولي الشافعي ، ففيه نظر . والله أعلم .

---

(١) يعني الإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٠٨) رقم (٢٠٩٥٠) .
(٢) ما بين المعقوفين سقط من ح .
(٣) في ط : الظهيرة . والمثبت من ح ومسند الإمام أحمد .
(٤) صحيح مسلم (١٨٩ ـ ٦١٩) مساجد باب استحباب تقديم ظهر في أول الوقت ، وسنن النسائي (٤٩٧) مواقيت باب أول وقت الظهر ، وسنن البيهقي (٢/ ١٠٥) كتاب الصلاة باب الكشف عن الجبهة في السجود .
(٥) قوله : لم يُشْكِنا : أي لم يُزِل شكوانا . شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ١٢١) .
(٦) وهي رواية مسلم السابقة .
(٧) في سننه (٦٧٥) الصلاة باب وقت صلاة الظهر .
(٨) وقع في سنن ابن ماجه : مضرَّب . براء مشددة مفتوحة ، والصواب براء مشددة مكسورة كما في التقريب (١/ ١٤٥) وكتب الضبط الأخرى .

باب
مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحُجَّة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإنْ أظهروا المخالفة عِناداً وحسداً وبَغْياً وجُحوداً

قال إسحاقُ بن راهويه : حدَّثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيُّوب السّخْتِياني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسولِ الله ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلَغَ ذلك أبا جهل ، فأتاهُ فقال : يا عم ، إنَّ قومك يريدون[1] أنْ يجمعوا لك مالاً . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيتَ محمداً لتعرض ما قِبَله ، قال : قد علمتْ قريشٌ أنِّي من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلُغ قومَك أنَّك منكرٌ له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجلٌ أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برَجَزِه ، ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجنّ ، والله ما يُشبه الذي يقولُ شيئاً من هذا ، ووالله إنَّ لقوله الذي يقوله حلاوةً ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّهُ لمثمرٌ أعلاه ، مُغْدِقٌ أسفله ، وإنَّهُ لَيَعْلُو ولا يُعْلى ، وإنَّه لَيحْطِمُ ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومُك حتى تقولَ فيه ، قال : قف عني[2] حتى أفكِّر فيه . فلما فكَّر قال : إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤثَر يَأْثُرُهُ عن غيره . فنزلتْ : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ [المدثر : ١١ ـ ١٣] الآيات .

هكذا رواهُ البيهقي[3] عن الحاكم ، عن عبد الله بن محمد الصَّنْعاني بمكَّة ، عن إسحاق به .

وقد رواهُ حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة مرسلاً . فيه أنه قرأ عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقال البيهقي[4] : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار[5] ، عن يونس بن بُكَير[6] ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة عن ابن عباس ـ أنَّ الوليد بن المغيرة اجتمع ونفرٌ من قريش ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وقد حَضَر المواسم[7] فقال : إنَّ وفود

---

(١) في دلائل البيهقي (٢/ ١٩٨) : يرون .
(٢) كذا في ح ، ط ، وفي دلائل النبوة : فدعني ، وهو أشبه بالصواب .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ١٩٨) .
(٤) في دلائل النبوة (٢/ ١٩٩) .
(٥) قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » : أحمد بن عبد الجبار العُطَاردي ، ضعيف ، وسماعه للسيرة صحيح .
(٦) قال الحافظ في « التقريب » : صدوق يخطىء .
(٧) في ح : الموسم .

العرب ستقدمُ عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا ، فيكذِّب بعضُكم بعضاً ، ويردُّ قولُ بعضكم بعضاً . فقيل : يا أبا عبد شمس ، فقُلْ ، وأقِمْ لنا رأياً نقومُ به . فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع . فقالوا : نقولُ كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن ، رأيتُ الكُهَّان ، فما هو بزَمْزَمة الكُهَّان . فقالوا : نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخَنْقِه ولا تَخالُجِهِ ولا وسوسته . فقالوا : نقول شاعر ؟ فقال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر بِرَجَزِه وهَزَجِه وقَرِيضه ومَقْبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول هو ساحر ؟ قال ما هو بساحر ، قد رأينا السُّحَّار وسِحْرَهم ، فما هو بنَفْثِهِ ولا بعَقْدِه . قالوا : فما نقولُ يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إنَّ لقوله لحلاوة ، وإنَّ أصله لمُغْدق ، وإنَّ فَرْعَهُ لجنيّ[(١)] ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف[(٢)] أنه باطل ؛ وإنَّ أقربَ القول لأنْ تقولوا ساحر ، فتقولوا[(٣)] : هو ساحرٌ يفرِّقُ بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرَّقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدِموا المَوْسم ، لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّرُوهُ إيّاه ، وذكروا لهم أمره ، وأنزل الله في الوليد : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ [المدثر : ١١ ـ ١٣] الآيات . وفي أولئك النَّفر : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩١ ـ ٩٣] . قلت : وفي ذلك قال الله تعالى أخباراً عن جهلهم وقِلَّةِ عقلهم ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥] فحارُوا ماذا يقولون فيه ، فكلُّ شيءٍ يقولونه باطل ، لأن مَنْ خرج عن الحق مهما قاله أخطأ .

قال الله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٤٨ ، الفرقان : ٩] .

وقال الإمام عبد بن حُميد في مسنده[(٤)] ؛ حدثني أبو بكر بن أبي شيبة[(٥)] ، حدثنا عليُّ بن مُسْهِر عن الأجْلَح ـ هو ابن عبد الله الكِنْدِي ـ عن الذَّيَّال بن حَرْمَلَة الأسَدِي ، عن جابر بن عبد الله قال : اجتمع قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمَكم بالسِّحْر والكهانةِ والشعر ، فلْيأتِ هذا الرجل الذي[(٦)] فرَّق جماعتنا وشتَّتَ أمرنا ، وعابَ ديننا فلْيُكلِّمْه ولينظرْ ماذا يردُّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غيرَ عتبة بن ربيعة .

---

(١) في ح : وإنّ لفرعه ، وفي دلائل النبوة : إن فرعه لجناً .

(٢) في ح : أعرف .

(٣) كذا في ح ، ط والدلائل ، ولعل الصواب : فتقولون .

(٤) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٨٥) وخرّجه بقوله : لأبي بكر وأبي يعلى وعبد بن حميد . اهـ ، وفي الطبعة الجديدة بإسناده رقم (٤٢٢٩) . وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (٢/٢٥٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وذكره الهيثمي في المجمع ١٩/٦ ، ٢٠ وقال رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات .

(٥) في مصنفه (١٨٤٠٩) كتاب المغازي باب في أذى قريش للنبي ﷺ .

(٦) في ح : الذي قد فرق ، وليست هذه الزيادة في ط ولا في مصنف أبي بكر بن أبي شيبة .

فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاهُ عتبةُ فقال : يا محمد أنت خيرٌ أمْ عبدُ الله ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ . فقال : أنت خيرٌ أمْ عبد المطلب ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ . قال : فإنْ كنتَ تزعم أنَّ هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدُوا الآلهة التي عِبْتَ ، وإنْ كنت تزعمُ أنك خيرٌ منهم فتكلَّم حتى نسمع قولك ، إنَّا والله ما رأينا سَخْلَةً[١] قطُّ أشأم على قومه منك ، فرَّقتَ جماعتنا ، وشتَّتَّ أمرنا ، وعِبتَ ديننا ، وفضَحْتَنا في العرب حتى لقد طار فيهم أنَّ في قريش ساحراً ، وأنَّ في قريش كاهناً ؛ والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبْلى[٢] أن يقوم بعضُنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ؛ أيها الرجل ، إنْ كان إنما بك الحاجة جمَعْنا لك حتى تكون أغْنَى قريش رجلا ، وإنْ كان إنما بك الباءَةُ[٣] فاختَرْ أي نساءِ قريش شئت فلنزوجك عَشْراً . فقال رسول الله ﷺ : « أفرغتَ[٤] ؟ » قال : نعم . فقال رسولُ الله ﷺ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى أنْ بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١ ـ ١٣] . فقال عتبة : [حَسْبُك][٥] ما عندك غير هذا ؟ قال : « لا » فرجع إلى قُريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركتُ شيئاً أرى أنَّكم تكلِّمونه إلا كلَّمتُه [به][٦] . قالوا : فهل أجابك ؟ فقال نعم . ثم قال : لا والذي نصَبَها بنيَّة ، ما فهمتُ شيئاً مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقةً مثل صاعقةِ عادٍ وثمود . قال : ويلك يكلِّمُك الرجلُ بالعربية لا تدري ما قال ؟! قال : لا والله ما فهمتُ شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة .

وقد رواه البيهقي[٧] وغيره عن الحاكم وغيره[٨] ، عن الأصم ، عن عباس الدُّوري ، عن يحيى بن مَعِين ، عن محمد بن فُضَيل ، عن الأجْلَح به ، وفيه كلام[٩] ، وزاد : وإنْ كنتَ إنما بك الرِّياسة عقَدْنا ألويتنا لك ، فكنتَ رأساً ما بقيت .

وعنده أنه لما قال : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١٣] أمسك عتبةُ

---

(١) في النهاية : سخل ، السخل : المولود المحبب إلى أبويه . وهو في الأصل ولد الغنم .

(٢) كذا في ط ومصنف ابن أبي شيبة وفي ح بإهمال الحروف ، وفي المطالب العالية : صيحة الخيل . وهو أشبه بالصواب .

(٣) في ح ، ط : الباه ، والمثبت من مصنف ابن أبي شيبة والمطالب .

(٤) في ح ، ط : فرغت من غير همزة ، والمثبت من مصادر الخبر .

(٥) الزيادة من المصنف والمطالب .

(٦) الزيادة من المصنف والمطالب .

(٧) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤) .

(٨) ليست اللفظة في ط وأثبتها من ح .

(٩) يعني الأجلح ، وقد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وابن سعيد والجوزجاني والساجي وابن حبان وابن الجارود ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . واختلف فيه قول ابن معين بين ثقة وصويلح ، كما بيناه في تحرير التقريب (١/ ١٠٦) (بشار) .

على فيه وناشدَهُ الرَّحِمَ أنْ يَكُفَّ عنه ؛ ولم يخرجْ إلى أهله واحتَبَسَ عنهم . فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ، ما نرى عتبة إلا صَبَأ إلى محمدٍ وأعجبَهُ طعامُه ، وما ذاك إلا من حاجةٍ أصابَتْه ، انطلقوا بنا إليه ، فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا[1] إلا أنَّك صبَوْتَ إلى محمد وأعجبَك أمْرُه ، فإنْ كان بك حاجة جمَعْنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام محمد . فغضِبَ وأقسم بالله لا يكلِّمُ محمداً أبداً . وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ، ولكنِّي أتيتُه ـ وقص عليهم القصة ـ فأجابني بشيءٍ والله ما هو بسحرٍ ولا بشعر ولا كَهانة ، قرأ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١ ـ ١٣] فأمسكتُ بفيه وناشدتُه الرحمَ أنْ يكُفّ ، وقد علمتم أنَّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفتُ أنْ ينزلَ عليكم العذاب .

ثم قال البيهقي[2] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس[3] ، عن محمد بن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعب قال : حُدِّثتُ أنَّ عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً حليماً ـ قال ذات يوم وهو جالسٌ في نادي قريش ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ وَحْدَه في المسجد : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى هذا [فأُكلِّمَهُ] فأعرضَ عليه أموراً لعلَّه يقبلُ بعضَها ويكفُّ عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه[4] من المال والمُلْك وغير ذلك[5] ، حتى إذا فَرَغ عتبة قال له النبيُّ ﷺ : « أفرغْتَ[6] يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم . قال : « اسمَعْ مني » قال : أفعل . فقال رسولُ الله ﷺ :

---

(١) في الدلائل : حسبنا وهو أشبه بالصواب .

(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) هو يونس بن بكير .

(٤) في ط : على رسول الله ﷺ . بدل عليه ، والمثبت من ح والدلائل .

(٥) زادت نسخة ط ما سيأتي ، وليست هذه الزيادة في ح ولا في دلائل النبوة للبيهقي ، ويبدو أن هذه الزيادة هي التي اختصرها البيهقي من حديث عتبة ، فأعادها بعض النساخ دون أن ينتبه إلى ذلك ، والزيادة هي قوله : وقال زياد بن إسحاق : فقال عتبة : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا . . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون . . فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلمه . فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا بن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا الوليد أسمع » . قال : يا بن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . أو كما قال له .

(٦) في الدلائل : أفرأيتَ ، ولعله تصحيف .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ، حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ١ ـ ٣] فمضى رسولُ الله ﷺ يقرؤها ، فلما سمع بها عتبةُ أنصتَ لها وألْقَى بيديه خلْفَه ـ أو خلْفَ ظهره ـ معتمداً عليهما يسمع منه ، حتى انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ثم قال : « سمعتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : سمعتُ . قال : « فأنتَ وذاك » فقام عتبةُ إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغيرِ الوَجْه الذي ذهب به . فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنِّي والله قد سمعتُ قولاً ما سمعتُ مثله قط ، والله ما هو بالشعر [ولا السِّحْر] ولا الكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذي سمعتُ نبأٌ ، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كُفيتموهُ بغيركم ، وإنْ يظهرْ على العرب فملْكُه ملْكُكم ، وعِزُّه عِزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناسِ به . قالوا : سحَرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم .

ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي[(١)] : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدَمي بمكة ، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بِشْر الطَّيَالسي ، حدثنا داود بن عمرو الضَّبِّي ، حدثنا المثنى بن زُرْعَة عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما قرأ رسولُ الله ﷺ على عتبة بن ربيعة ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم ، أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واعْصُوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلاماً ما سمعتْ أُذناي كلاماً مثله ، وما درَيْتُ ما أردُّ عليه .

وهذا حديثٌ غريبٌ جداً من هذا الوجه .

ثم روى البيهقي[(٢)] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس[(٣)] ، عن ابن إسحاق : حدثني الزُّهْري قال : حُدِّثتُ أنَّ أبا جهلٍ وأبا سفيان والأخنس بن شُريق خرجوا ليلةً ليسمعوا من رسولِ الله ﷺ ، وهو يصلِّي بالليل في بيته ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً ليستمع منه ، وكلٌّ لا يعلمُ بمكانِ صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطَلَع الفجر تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً .

ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلةُ الثانية عاد كلُّ رجلٍ منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طَلَع الفجرُ تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرَّة .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٥) .
(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٦) .
(٣) هو يونس بن بكير ، وهو أحد رواة سيرة ابن إسحاق .

ثم انصرفوا ، فلما كانتِ الليلةُ الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرحُ حتى نتعاهد أن لا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما أصبح الأخنس بن شُرَيق أخَذَ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيانَ في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعتُ أشياءَ أعرفُها وأعرفُ ما يُرادُ بها . فقال الأخنس : وأنا والذي حلفتَ به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيُكَ فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت! تنازَعْنا نحن وبنو عبد مَنَافٍ الشَّرَف ، أطعموا فأطعَمْنا ، وحمَلوا فحملنا ، وأعطَوْا فأعطَيْنا ، حتى إذا تجاثَيْنا على الرُّكب ، وكنَّا كفَرَسَيْ رِهان قالوا : منا نبيٌّ يأتيهِ الوَحْيُ من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع[١] به أبداً ولا نصدِّقُه . فقام عنه الأخنس بن شُرَيق .

ثم قال البيهقي[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس ، حدثنا أحمد ، حدثنا يونس ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن المغيرة بن شعبة قال : إنَّ أوَّلَ يوم عرفتُ رسولَ الله ﷺ أنِّي [كنتُ] أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزِقَّة مكة ، إذْ لَقِينا رسول الله ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ لأبي جهل : « يا أبا الحكم ، هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنتَ مُنْتهٍ عن سَبِّ آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهدَ أنك قد بلَّغْت ؟ فنحن نشهد أنْ قد بلغت ، فوالله لو أني أعلمُ أنَّ ما تقول حقٌّ لاتَّبعتُك . فانصرف رسول الله ﷺ وأقبلَ عليَّ فقال : والله إني لأعلم أن ما يقولُ حق ، ولكنَّ بني قُصَيٍّ[٣] قالوا : فينا الحِجَابة . فقلنا : نعم ؛ ثم قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللِّواء . فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمْنا . حتى إذا تحاكَّت الرُّكب قالوا : منَّا نبيّ . والله لا أفعل .

وقال البيهقي[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر ، قالا[٥] : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدّثنا محمد بن خالد ، حدّثنا أحمد بن خالد[٦] ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق قال : مرَّ النبيُّ ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيُّكم يا بني عبد شمس .

---

(١) في الدلائل : لا نؤمن . وهو أشبه بالصواب .

(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٧) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) في ح : ولكن شيء أن بني قصى . وزادت ط بين معقوفين [يمنعني] بعد : ولكن . وما أثبتُّه من الدلائل .

(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٢٨٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) قوله : وأبو بكر سقط من ط وهو في ح والدلائل وزاد الدلائل « القاضي » .

(٦) في ح ، ط : أحمد بن خلف وهو تحريف ، والمثبت من دلائل البيهقي وترجمة كل من محمد بن خالد بن خَلِيٍّ الكلاعي وأحمد بن خالد بن موسى الوهبي في تهذيب الكمال (١/ ٢٩٩) المطبوع أو (٣/ ١١٩٣) (مصورة المخطوطة) .

قال أبو سفيان : وتعجَبُ أنْ يكون منَّا نبيّ ؟ فالنبيُّ يكون فيمنْ [هو] أقلّ منا وأذلّ . فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلامٌ من بين شيوخ نبياً ، ورسولُ الله ﷺ يسمع . فأتاهما فقال : « أما أنتَ يا أبا سفيان ، فمالله ورسولِهِ غضِبت ، ولكنك حَميتَ للأصل ؛ وأمَّا أنت يا أبا الحكم ، فوالله لتضحكَنَّ قليلاً ولتبكيَنَّ كثيراً » فقال : بئسما تَعِدُني يا ابن أخي من نبوَّتِك .

هذا مرسلٌ من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقولُ أبي جهلٍ ـ لعنه الله ـ كما قاله الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤١ ـ ٤٢] .

وقال الإمام أحمد(١) : حدّثنا هُشَيم ، حدّثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : نزلَتْ هذه الآيةُ ورسولُ الله ﷺ متوارٍ بمكة : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] قال : كان إذا صلّى بأصحابه رفعَ صوتَهُ بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سَبُّوا القرآن وسَبُّوامن أنزلَهُ ومَنْ جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءَتك فيسمعَ المشركونَ فيَسُبُّوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] عن أصحابك ، فلا تُسْمِعْهمُ القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ .

وهكذا رواه صاحبا الصحيح(٢) من حديث أبي بشر جعفر بن أبي وَحْشيَّة به(٣) .

وقال محمد بن إسحاق(٤) : حدَّثني داودُ بن الحُصَين عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا جهر بالقرآن ـ وهو يصلّي ـ تفرّقوا عنه وأبَوْا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعضَ ما يتلو ، وهو يصلّي ، استرق السمع دونهم فرَقَاً منهم ، فإنْ رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فإنْ خَفَضَ رسولُ الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيتفرَّقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ فلا يسمع من أرادَ أن يسمعَها ممن يَسْتَرِقُ ذلك ، لعلَّه يَرْعَوي إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

---

(١) في مسنده (١/ ٢١٥) .

(٢) البخاري في فتح الباري (٤٧٢٢) التفسير سورة الإسراء باب ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ ، و(٧٤٩٠) التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ ، ومسلم في صحيحه (٤٤٦) (١٤٥) الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة .

(٣) في ط : جعفر بن أبي حية . وهو تحريف ، والمثبت من ح وفتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٥) وهو جعفر بن إياس .

(٤) في السير والمغازي (ص٢٠٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٤) والروض (٢/ ٤٧) على خلاف في نهاية الخبر .

باب
هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ ، من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدم ذِكْر[١] أذيَّةِ المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من الضَّرْب الشديد ، والإهانة البالغة ، وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسوله ﷺ ، ومنعه بعمِّه أبي طالب ، كما تقدَّمَ تفصيلُه ولله الحمد والمنة .

وروى الواقدي[٢] أنَّ خروجهم إليها في رجب سنة خمسٍ من البعْثَة ، وأن أولَ من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا[٣] إلى البحر ، ما بين ماشٍ وراكب ، فاستأجروا سفينةً بنصف دينار إلى الحبشة[٤] ، وهم عثمان بن عفان ، وامرأته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حُذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سُهيل ، والزُّبَير بن العوَّام ، ومُصْعَب بن عُمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مَظْعون ، وعامر بن ربيعة العَنْزي ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم ، وحاطب بن عمرو ، وسُهيل بن بَيْضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابنُ جرير[٥] : وقال آخرون : بل كانوا اثنين وثمانينَ رجلاً ، سوى نسائهم وأبنائهم ؛ وعمار بن ياسر ـ فشَكٌّ[٦] ـ فإنْ كان فيهم فقد كانوا ثلاثةً وثمانينَ رجلاً .

وقال محمد بن إسحاق[٧] : فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما يُصيبُ أصحابَهُ من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عزَّ وجلَّ ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعَهُمْ مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرَجْتُمْ إلى أرض الحبشة ، فإنَّ بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرضُ صِدْق ، حتى يجعلَ الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ

---

(١) سقطت اللفظة من ح .
(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٤) .
(٣) في ح : أتوا . بدل : انتهوا .
(٤) لفظ الواقدي في الطبقات : ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار .
(٥) يعني الطبري في تاريخه (٢/ ٣٣٠) .
(٦) عبارة الطبري هكذا : وهو يُشَكُّ فيه ، وفي ط : نشك ، والمثبت من ح .
(٧) في السير والمغازي (ص٢١٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢١) والروض (٢/ ٦٩) .

إلى أرض الحبشة مخافةَ الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانتْ أولَ هجرةٍ كانتْ في الإسلام .

وكان أولَ من خرج من المسلمين عثمانُ بن عفان ، وزوجتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ .

وكذا روى البيهقي[١] من حديث يعقوب بن سفيان ، عن عباس العَنْبَرِيّ ، عن بشر بن موسى ، عن الحسن بن زياد البُرْجُمي ، حدثنا قتادة قال : إنَّ أولَ من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمانُ بن عفان رضي الله عنه ، سمعتُ النَّضْرَ بن أنس يقول : سمعت أبا حمزة ـ يعني أنس بن مالك ـ يقول : خرج عثمان بنُ عفَّان ومعه امرأتهُ رُقَيَّة بنتُ رسولِ الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهم ، فقدمتِ امرأةٌ من قريش فقالت : يا محمد ، قد رأيتُ خَتَنَك ومعه امرأته . قال : « على أيِّ حال رأيتِهما ؟ » .

قالت : رأيتُه قد حمل امرأتَهُ على حمارٍ من هذه الدَّبَّابَة[٢] ، وهو يسوقها . فقال رسولُ الله ﷺ : « صَحِبَهُما الله ، إنَّ عثمانَ أولُ من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن إسحاق[٣] : وأبو حذيفة [بن عتبة ، وزوجته سَهْلَة بنت سُهيل بن عمرو ـ وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة][٤] ـ والزُّبير بن العوَّام ، ومُصْعَب بن عُمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سَلَمة ابن عبد الأسد ، وامرأتُه أمُّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ـ وولدت له بها زينب ـ وعثمان بن مَظْعُون ، وعامر بن ربيعة ـ حليف آلِ الخطَّاب ، وهو من بني عَنْز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وأبو سَبْرَة ابن أبي رُهْم العامري ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ـ ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ـ وهو أوَّلُ مَنْ قدِمها فيما قيل ـ وسُهيل بن بَيْضاء .

فهؤلاء العشرة أولُ مَنْ خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني .

قال ابنُ هشام[٥] : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعضُ أهل العلم .

قال ابن إسحاق[٦] : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس وولدت له بها عبد الله بن جعفر ؛ وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أنَّ الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسولِ الله ﷺ إلى الشِّعْب، وفي هذا نظر . والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في

---

(١) في الدلائل (٢/ ٢٩٧) .

(٢) أي الضعاف التي تدِبّ في المشي ولا تسرع . النهاية لابن الأثير (دبب) .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٢) والروض (٢/ ٧٠) وهو تتمة الخبر المروي في الصفحة السابقة ، السير والمغازي (ص٢٢٣) .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٣) .

(٦) السير والمغازي (ص٢٢٦) وسيرة ابن هشام ـ واللفظ له ـ (١/ ٣٢٣) والروض (٢/ ٧٠) .

الهجرة الثانية إليها . وذلك بعد عَوْدِ بعض من كان خرج أولًا ، حين بلغهم أنَّ المشركين أسلموا وصلَّوا ، فلما قدموا مكة ـ وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ـ فلم يجدوا ما أُخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة .

وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهي الهجرة الثانية ـ كما سيأتي بيانُه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً . وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرَّعِيل الأول أظهر كما سيأتي بيانه . والله أعلم . لكنه كان في زمرةٍ ثانية من المهاجرين أولًا ، وهو المقدَّم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ، كما سنوردُه مبسوطاً .

ثم إنَّ ابن إسحاق سرد الخارجين[١] صحبةَ جعفرٍ رضي الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّث بن شِقّ الكِنَاني . وأخوه خالد . وامرأتُه أُمينةُ[٢] بنت خلف بن أسعد الخُزَاعي . وولدت له بها سعيداً ، وأُخْتَهَ[٣] أَمَةَ التي تزوَّجها بعد ذلك الزُّبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال : وعبد الله بن جَحْش بن رئاب ، وأخوه عُبيد الله ، ومعه امرأته أمّ حَبيبة بنت أبي سفيان ، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خُزَيمة ، وامرأته بَرَكة بنت يَسار مولاة أبي سفيان ، ومُعَيقيب بن أبي فاطمة ، وهو من موالي آلِ سعيد بن العاص[٤] . قال ابن هشام : وهو من دَوْس .

قال[٥] : وأبو موسى [الأشعري] عبدُ الله بن قيس[٦] حليفُ آلِ عتبة بن ربيعة ـ وسنتكلَّم معه في هذا ـ وعتبة بن غَزْوان ، ويزيد بن زَمَعة بن الأسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطُليب بن عُمير بن وهب بن أبي كثير[٧] بن عبد ، وسُويبط بن سعد بن حَرْمَلة ، وجَهْم بن قيس العَبْدَرِي[٨] ، ومعه امرأته أم حَرْمَلة بنت عبد الأسود بن جذيمة[٩] ، وولداه عمرو بن جَهْم وخزيمة[١٠] بن جهم ، وأبو الرُّوم ابن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِرَاس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة ، وعامر بن أبي وقَّاص أخو سعد ، والمطَّلب بن أزهر بن عبد عوف الزُّهْري ، وامرأته رَمْلَة بنتُ أبي عوف بن

---

(١) السير والمغازي (ص٢٢٦ ـ ٢٢٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢٣) واللفظ له .

(٢) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٣٢٣) : ويقال همينة . نقل ذلك ابن حجر في الإصابة في ترجمتها .

(٣) سقطت اللفظة من ط ، وهي مستدركة في هامش ح .

(٤) لفظ ابن هشام في السيرة النبوية هكذا : وهؤلاء آل سعيد بن العاص ، سبعة نفر .

(٥) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٦) زادت نسخة ح : من بني أسد بن خزيمة وامرأته بركة . وهذه الزيادة أقحمها الناسخ سهواً .

(٧) كذا في ط والروض (٢/ ٧١) والاستيعاب والإصابة في ترجمته ؛ وفي ح والسير والمغازي وسيرة ابن هشام « كبير » بالموحدة . ولم تذكره كتب ضبط الأسماء ـ كالإكمال والتبصير وغيرها ـ فيما أحصته من هذا الرسم .

(٨) في ح ، ط : العبدوي ، تحريف ، وهو منسوب إلى عبد الدار كما في السيرة .

(٩) في ط : خزيمة ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، ولم أقف على نص يضبطه .

(١٠) في ح : جذيمة ، تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام والإصابة في ترجمته .

ضَبيَرة[١] ؛ وولدت بها عبد الله . وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الأسود ، والحارث ابن خالد بن صَخر التَّيْمي ، وامرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبيلة[٢] ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة . وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشَّريد المخزومي ـ قال وإنما سمي شَمَّاساً لحُسْنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان ـ وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ؛ ومُعَتِّب بن عوف بن عامر ـ ويقال له عيهامة[٣] ـ وهو من حلفاء بني مخزوم. قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمانَ بن مَظْعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلَّل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه حطَّاب[٤] ، وامرأته فُكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامرأته حسَنة ، وابناهُ منها جابر وجُنَادة ، وابنها من غيره ، وهو شُرَحْبِيل بن عبد الله ـ [أحد الغَوْث بن مُرّ ، أخي تميم بن مُرّ][٥] ، وهو الذي يقال له : شُرَحْبيل بن حَسَنة ـ وعثمان بن ربيعة بن أُهبان بن وَهْب بن حُذَافة بن جمح ، وخُنَيس بن حُذَافة بن قيس بن عدي ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سَعْد[٦] بن سهم ، وهشام بن العاص ابن وائل بن سُعيد[٧] ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بنُ الحارث بن قيس بن عدي، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد أبناء الحارث[٨] بن قيس بن عدي [وأخو بشربن الحارث بن قيس بن عدي][٩] لأمِّه، وهو سعيد بن عمرو التميمي؛ وعُمير بن رئاب بن حُذيفة بن

---

(١) في ح : صبيرة بالصاد المهملة . ذكر محقق الاشتقاق لابن دريد في حاشية رقم (٣) ص (١٢٥) معلقاً على هذا الاسم ما نصه : رسم في الأصل بالضاد المعجمة وتحتها حرف صاد مهملة ، وفوق الحرف كلمة : معاً ، إشارة إلى أنه بالصاد والضاد معاً .

(٢) في سيرة ابن هشام والروض : جبلة .

(٣) كذا في ح، ط : وسيرة ابن هشام، وفي السير والمغازي : عيهلة، وفي الإصابة ميعانة. ولم أقف على نص يضبطه .

(٤) في ح ، ط : خطاب بالخاء المعجمة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والإكمال (٣/ ١٦٣) .

(٥) ليس ما بين المعقوفين في ح ، وتحرّف في ط إلى : أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٦) في ح ، ط وأصول ابن هشام : سعيد وهو تحريف ، والمثبت من جمهرة الأنساب لابن حزم ص(١٦٥) وترجمته في الإصابة .

(٧) غيَّر محققو سيرة ابن هشام أصول السيرة من سُعيد إلى سعد وهو خطأ لأن هشاماً وعمراً هما ابنا سُعيد لا سَعْد . جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٣) .

(٨) بعده في ط : وسعيد . ولا وجود له في ح وهو الصواب كما يدل عليه سياق ابن هشام في السيرة .

(٩) ما بين المعقوفين ليس في ط وهو من ح ولكن بتحريف الكلمة الأولى إلى : وأبو والتصحيح من سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٨) .

مُهشِّم بن سُعَيد[١] بن سهم ، وحليفٌ لبني سَهْم : وهو مَحْمِيةُ بن جَزْء الزُّبَيْدي ، ومعمر بن عبد الله العدوي ، وعروة بن عبد العُزَّى ، وعدي بن نَضْلة بن عبد العزَّى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مَخْرمة العامري ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَليط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سَوْدَة بنت زَمْعَة ، ومالك بن زَمْعَة[٢] ، وامرأته عمرة بنت السَّعْدِيّ ، وأبو حاطب بن عمرو العامريُّون وحليفُهم سعد بن خولة ـ وهو من اليمن ـ وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح الفِهري ، وسهيل بن بَيْضاء ـ وهي أمُّه ـ واسمها دعد بنت جَحْدَم بن أميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، وهو سهيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال بن ضَبَّة[٣] بن الحارث ، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن [هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث][٤] ، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن [أُهَيب بن ضبَّة بن الحارث][٥] ويقال : بل [ربيعة بن][٨] هلال بن مالك بن ضبَّة ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غَنْم بن زُهير[٦] ، وسعد[٧] بن عبد قيس بن لَقِيط ، وأخوه الحارث الفهريون .

قال ابن إسحاق[٨] : فكان جميعُ من لَحِق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ـ ثلاثةً وثمانين رجلاً إنْ كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

قلت : وذِكْرُ ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمَنْ هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريبٌ جداً . وقد قال الإمام أحمد[٩] : حدثنا حسن بن موسى ، سمعتُ حُدَيجاً[١٠] أخا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق

---

(١) غيَّر محققو سيرة ابن هشام أصول السيرة من : سُعيد إلى سعد وهو خطأ لأن عميراً من ولد سُعَيد لا من ولد سعد جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٣ و١٦٤) وترجمته في الإصابة .

(٢) في ح ، ط : ربيعة ، تحريف ، والمثبت من سيرة ابن هشام وجمهرة أنساب العرب (ص١٦٦) وترجمته في الإصابة .

(٣) في ح وسيرة ابن هشام : هلال بن أهيب بن ضبة . وأظنه تحريفاً ، والصواب : هلال بن مالك بن ضبة . كما في جمهرة ابن حزم (ص١٧٧) وترجمة سهل وسهيل ابني بيضاء في الإصابة .

(٤) ليس ما بين المعقوفين في ح والمثبت من ط وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠) وفيه : أهيب بدل : مالك . وقد نبه ابن هشام على هذا الخلاف .

(٥) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط استدركته من سيرة ابن هشام لأنه بيَّن فيه الخلاف بين مالك وأهيب ، وما جعلته خارج المعقوفين هو من ح .

(٦) زادت ط هنا لفظ : أخوات . أو أخوان . وليست هذه الزيادة في ح ولا في سيرة ابن هشام ، وهي إقحام من النساخ ليزيلوا الاضطراب بين النسخ المشار إليه آنفاً .

(٧) في ط : سعيد ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٧٨) ، ويبدو أن ثمة اختلافاً فيه فقد أورده ابن حجر في الإصابة في رسم : سعد وعزا إلى رسم : سعيد . وترجمه فيه .

(٨) في السير والمغازي (ص٢٢٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠) ـ واللفظ له ـ والروض (٢/ ٧٥) .

(٩) في مسنده (١/ ٤٦١) .

(١٠) في ح ، ط : خديجاً بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد والإكمال (٢/ ٣٩٦) .

عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود قال : بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي ، ونحن نَحْوٌ من ثمانين رجلاً ، فيهم عبد الله بن مسعود ، وجعفر ، وعبد الله بن عُرْفُطَة ، وعثمان بن مَظْعون ، وأبو موسى ، فأتَوْا النجاشيَّ ، وبعثتْ قريش عمرَو بن العاص وعُمارةَ بن الوليد بهديَّة ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إنَّ نفراً من بني عمِّنا نزلوا أرضك ورَغِبوا عنَّا وعن مِلَّتنا . قال فأين هم ؟ قالا : في أرضك ، فابعثْ إليهم . فبعَثَ إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكُم اليوم فاتَّبعوه ، فسلَّم ولم يسجُد ، فقالوا له : مالك لا تسجدُ للملك ؟ قال إنَّا لا نسجدُ إلَّا لله عزَّ وجلَّ ، قال وما ذاك ؟ قال إنَّ اللهَ بعثَ إلينا رسولاً ، فأمرنا أنْ لا نسجدَ لأحَدٍ إلَّا للهِ عزَّ وجلَّ ، وأمرَنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو : فإنَّهم يخالفونكَ في عيسى بنِ مريم ، قال : ما تقولونَ في عيسى بن مريم وأمِّه ؟ قال : نقول كما قال الله : هو كلمة الله ورُوحُه ، ألقاها إلى العذراءِ البَتُول ، التي لم يمسَّها بشَر ، ولم يَفرِضْها ولد[١] . قال : فرفع عُوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشةِ والقِسِّيسينَ والرُّهْبان ، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى[٢] هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتُم من عنده ، أشهدُ أنَّه رسول الله ﷺ ـ وأنَّه الذي نجِدُ في الإنجيل ، وأنه الرسولُ الذي بشَّرَ به عيسى بن مريم ، انزلوا حيثُ شتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتَيْتُه حتى أكونَ أنا الذي[٣] أحملُ نَعلَيْه . وأمر بهديَّة الآخرين فرُدَّتْ إليهما ، ثم تعجَّل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً . وزعم أنَّ النبيَّ ﷺ استغفر له حين بلغَهُ موتُه .

وهذا إسنادٌ جيد قوي ، وسياقٌ حسن[٤] . وفيه ما يقتضي أنَّ أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إنْ لم يكن ذِكْره مدرجاً من بعض الرواة والله أعلم . وقد رُوي عن أبي إسحاق السَّبيعي من وجهٍ آخر .

فقال الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[٥] : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا محمد بن زكرياء

---

(١) كذا في ح ، ط ومسند أحمد ، وفي النهاية لابن الأثير (فرض) : وفي صفة مريم عليها السلام : لم يفترضها ولد . أي لم يؤثر فيها ولم يحزَّها ، يعني قبل المسيح عليه السلام . وجاء في اللسان : والفَرْض : الحزُّ في الشيء والقطع . وسيأتي في موضع الحاشية (٩) من الصفحة التالية .

(٢) في المسند : ما يسوى .

(٣) ليست اللفظة في ح ولا المسند .

(٤) قال بشار : هكذا جَوَّد المصنف إسناده ، وحَسَّنه الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٩) ، وفي إسناده حُدَيْج بن معاوية ضعفه أبو زرعة الرازي وأبو داود والنسائي وابن سعد وابن ماكولا ، وقال البخاري : يتكلمون في بعض حديثه ، وقال ابن حبان في المجروحين : منكر الحديث كثير الوهم على قلة روايته ، وقال الدارقطني : يغلب عليه الوهم ، ولم يحسن القول فيه سوى أحمد ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، في بعض حديثه وهم ، يكتب حديثه . يعني للاعتبار في الشواهد والمتابعات . فمثل هذا لا يحتمل التفرد (وتنظر ترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) ، وتحرير التقريب ١/ ٢٥٦) .

(٥) دلائل النبوة (١/ ٣٣٠) وليس فيه من هذه الأسانيد إلا الأخير ، وأما الأول هذا فقد رواه أبو نعيم في الحلية =

الغَلَابي[(١)] ، حدَّثنا عبد الله بن رجاء ، حدّثنا إسرائيل ح وحدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا [محمد بن زكريا ، حدّثنا الحسن][(٢)] بن علّويه القطّان ، حدَّثنا عباد[(٣)] بن موسى الخُتَّلي ، حدّثنا إسماعيل بن جعفر ، حدّثنا إسرائيل ح[(٤)] وحدَّثنا أبو أحمد ، حدَّثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ حدَّثنا عبيد الله[(٥)] بن موسى ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى . قال : أمرنا رسولُ الله ﷺ أنْ ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرضِ النجاشيّ ، فبلغ ذلك قريشاً ، فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشيِّ هدية ، وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها ، وسجدَا له ، ثم قال عمرو بن العاص : إنَّ ناساً من أرضنا رَغِبوا عن ديننا وهم في أرضك . قال لهم النجاشي : في أرضي ؟ قالا : نعم ! فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلَّمْ منكم أحد ، أنا خطيبُكم اليوم ، فانتهينا إلى النجاشي ، وهو جالسٌ في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعُمارة عن يساره . والقسِّيسُونَ جلوسٌ سماطَيْن . وقد قال لهم عمرو وعُمارة : إنهم لا يسجدون لك . فلما انتهينا بدرَنا مَنْ عندَهُ من القسِّيسينَ والرُّهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجدُ إلا لله عز وجل . [فلما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجدُ إلا لله][(٦)] . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال : إنَّ الله بعث فينا رسولاً ـ وهو الرسولُ الذي بشَّرَ به عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام[(٧)] : ﴿ مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ فأمرنا أنْ نعبدَ اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ، [ونقيمَ الصلاة][(٨)] ، ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر . فأَعْجَبَ النجاشيَّ قولُه ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم ، فقال النجاشي لجعفر : ما يقولُ صاحبُكم في ابن مريم ؟ قال : يقول فيه قول الله : هو رُوْحُ الله وكلمته ، أخرجه من العذراء البَتُول التي لم يَقْرَبْها بشر ، ولم يَفْتَرِضْها ولد[(٩)] : فتناول النجاشيُّ عُوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسِّيسينَ والرُّهْبان ، ما يزيدُ[(١٠)] هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزْنَ هذه .

= (١/ ١١٤) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) الغَلَابي بالتخفيف كما في اللباب (٢/ ٣٩٥) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح وبدلاً عنه : سليمان .

(٣) في ح : عباس بن موسى . وهو تحريف .

(٤) هذا الإسناد في دلائل أبي نعيم المشار إليه في الحاشية (١) .

(٥) في دلائل أبي نعيم : عبد الله . تحريف ، والمثبت من ح وترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٥٣) وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٥٣) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح ولا دلائل أبي نعيم ولا الحلية ، وانفردت به ط .

(٧) زاد في الحلية : قال . والآية (٦) من سورة الصف .

(٨) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٩) في ح ، ط : يفرضها ، والمثبت من الحلية (١/ ١١٥) .

(١٠) في ح ، ط : ما يزيدون ، والمثبت من الحلية .

مرحباً بكم وبمن جئتُم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشَّرَ به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيتُه حتى أقبِّل نعلَيْه ؛ امكثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال : ردُّوا على هذَيْن هديتَهما .

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عُمارة رجلاً جميلاً ، وكانا أقبلا في البحر ، فشربا ومع عمرو امرأتُه ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مُرِ امرأتك فلْتقبِّلني . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فأخذ عُمارة عَمْراً فرَمَى به في البحر ، فجعل عمرو : يناشد عمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرٌو في ذلك . فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خَلَفَ[1] عُمارةُ في أهلك[2] ، فدعا النجاشيُّ بعمارة ، فنفخ في إحليله ، **فطار مع الوحش** .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل[3] من طريق أبي علي الحسن بن سلام السوَّاق ، عن عبيد الله بن موسى ، فذكر بإسناده مثلَه ، إلى قوله : فأمر لنا بطعامٍ وكسوة . قال : وهذا إسنادٌ صحيح ، وظاهرهُ يدلُّ على أنَّ أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن جدِّه أبي بُردة ، عن أبي موسى : أنهم بلغهم مَخْرَجُ رسولِ الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضعٍ وخمسين رجلاً في سفينة ، فألْقَتْهم سفينتُهم إلى النجاشيِّ بأرضِ الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابَهُ عندهم[4] ، فأمرهُ[5] جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسولِ الله ﷺ زمنَ خيبر . قال : وأبو موسى شهِدَ ما جرى بين جعفر وبين النجاشي ، فأخبر عنه . قال : ولعلَّ الراوي وهَم في قوله : أمرنا رسولُ الله ﷺ أن ننطلق ؛ والله أعلم .

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة[6] : حدَّثنا محمد بن العلاء ، حدَّثنا أبو أسامة ، حدَّثنا بُرَيْدُ[7] بن عبد الله عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : بلَغَنا مَخْرَجُ النبيِّ ﷺ ونحن باليمن ، فركبنا سفينةً ، فألقَتْنا سفينتُنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافَقْنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأقمنا معه حتى قدِمْنا ، فوافَيْنا[8] النبيَّ ﷺ حين افتتح خَيْبَر ، فقال النبيُّ ﷺ : « لكم أنتم أهلَ السفينةِ هجرتان » . وهكذا

---

(١) في ط : خلفك ، والمثبت من ح ومن دلائل أبي نعيم .
(٢) في ح : في الملك .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٩٩) .
(٤) في دلائل البيهقي : عنده .
(٥) في دلائل البيهقي : فأمرهم .
(٦) فتح الباري (٣٨٧٦) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة .
(٧) في ح ، ط : يزيد . وهو تصحيف ، والمثبت من فتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٤/ ٥٠) .
(٨) كذا في ح ، ط وفي فتح الباري : فوافقنا .

رواه مسلم[(١)] عن أبي كُريب وأبي عامر عبد الله بن بَراد [بن يوسف بن أبي بُردة بن أبي موسى][(٢)] كلاهما عن أبي أسامة به ، وروياه في مواضع أُخر مطولاً . والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فإنَّ الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من « تاريخه »[(٣)] من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سلمة كما سيأتي . فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم [السمرقندي ، عن أبي الحسين بن النقُّور ، عن أبي طاهر المخلِّص ، عن أبي القاسم][(٤)] البَغَوي ، قال : حدَّثنا أبو عبد الرحمن الجُعْفي ، عن عبد الله بن عمر[(٥)] بن أبان ، حدَّثنا أسد بن عمرو البَجَلي ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه . قال : بعثتْ قريشٌ عمرَو بن العاص وعُمارةَ بن الوليد بهديَّةٍ من أبي سفيان إلى النجاشي . فقالوا له ـ ونحن عنده ـ : قد صار إليك ناسٌ من سَفِلَتِنا وسفهائنا ، فادْفَعْهم إلينا . قال : لا ، حتى أسمعَ كلامهم . قال : فبعث إلينا فقال : ما يقولُ هؤلاء ؟ قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدونَ الأوثان ، وإنَّ الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدَّقناه . فقال لهم النجاشي : أعبيدٌ هم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دَيْن ؟ قالوا : لا . قال : فخلُّوا سبيلَهم . قال : فخرجْنا من عنده ، فقال عمرو ابن العاص : إنَّ هؤلاء يقولونَ في عيسى غيرَ ما تقول ، قال : إنْ لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدَعْهم في أرضي ساعةً من نهار . فأرسل إلينا ، فكانتِ الدعوةُ الثانية أشدَّ علينا من الأولى . قال : ما يقولُ صاحبُكم في عيسى ابن مريم ؟ قلنا : يقول : هو رُوْحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى عذراء بَتُول ، قال : فأرسل ، فقال : ادعوا لي فلاناً القسّ ، وفلاناً الراهب . فأتاهُ ناسٌ منهم فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقالوا : أنت أعلمنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال : ما عَدَا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحد ؟ قالوا : نعم ، فنادى منادٍ : مَنْ آذى أحداً منهم فأغرموه أربعةَ دراهم . ثم قال : أيكفيكُم ؟ قلنا : لا ، فأضعفها . قال : فلما هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وظهر [بها قلنا له : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة][(٦)] ، وقتل الذين كنَّا حدثناك عنهم ، وقد أردْنا الرحيلَ إليه ،فزوِّدْنا[(٧)] قال : نعم ! فحملنا وزوَّدنا . ثم قال : [أخبرْ صاحبَك بما صنعتُ إليكم ، وهذا صاحبي معكم أشهدُ أنْ لا إله إلا الله

---

(١) في صحيحه (٢٥٠٢) (١٦٩) فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس .

(٢) ما بين معقوفين ليس في ح .

(٣) سقطت ترجمة جعفر من النسخ المتبقية من تاريخ ابن عساكر والتي تحتفظ بها خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق إلا أنها لم تسقط من مختصر ابن منظور للتاريخ ، وهذا الخبر بالذات لم يذكره ابن منظور في مختصره .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٥) في ح : عمرو .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٧) في ط : فردنا . والمثبت من ح .

وأنَّهُ رسولُ الله ، وقل له يستغفر لي . قال [(١)] جعفر : فخرجْنا حتى أتينا المدينة ، فتلقَّاني رسولُ الله ﷺ واعتنقني ، ثم قال : « ما أدْري أنا بفتحِ خيبرَ أفرحُ أمْ بقدومِ جعفر ؟ »(٢) . ووافق ذلك فتحَ خيبر ، ثم جلس ، فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسلْه ما صنَعَ به صاحبُنا ؟ فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا وحمَلَنا وزوَّدَنا ، وشهد أنْ لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقال لي : قل له يستغفر لي . فقام رسولُ الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاثَ مرَّات : « اللهمَّ اغْفِرْ للنجاشي » فقال المسلمون : آمين . ثم قال جعفر : فقلتُ للرسول : انطلقْ فأخبرْ صاحبَك بما رأيتَ من رسولِ الله ﷺ .

ثم قال ابن عساكر : حسنٌ غريب .

وأما رواية أمِّ سلمة فقد قال يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق(٣) : حدَّثني الزُّهْري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة ، وأُوذيَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ وفُتنوا ورأوا ما يصيبُهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأنَّ رسول الله ﷺ لا يستطيعُ دفعَ ذلك عنهم ، وكان رسولُ الله ﷺ في مَنَعةٍ من قومه ومن عمِّه ، لا يصلُ إليه شيء مما يكره ومما ينالُ أصحابُه ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « إنَّ بأرضِ الحَبَشَةِ مَلِكاً لا يُظلم أحدٌ عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخيرِ دارٍ إلى خير جار ، آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلماً .

فلما رأتْ قريشٌ أنا قد أصَبْنا داراً وأمْناً ، [غاروا مِنَّا](٤) ، فاجتمعوا على أنْ يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردَّنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيَّؤوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بِطْرِيقٍ هديتَهُ قبل أن تتكلَّموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردَّهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدما عليه فلم يبقَ بطريقٌ من بطارقته إلا قدَّموا إليه هديته ، فكلَّموه فقالوا له : إنما قدِمنا على هذا الملك في [سفهاء من](٥) سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ، ولم يدخلوا في دينكم . فبعثنا قومهم ليردَّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلَّمناه فأشيروا عليه بأن يفعل . فقالوا : نفعل . ثم قدَّموا إلى النجاشي هداياه ،

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٢) سيأتي تخريج الحديث في (ص٢٩٦ ح٤) .

(٣) السير والمغازي (ص٢١٣) واللفظ له ، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٤) والروض (٢/ ٨٧) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٠١) عن الحاكم وأحمد بن الحسن القاضي وأبي سعيد بن أبي عمرو عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس به . وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٩٤) عن محمد بن أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن جرير عن محمد بن إسحاق به .

(٤) ليس ما بين المعقوفين في مصادر الخبر .

(٥) ما بين معقوفين من مصادر الخبر .

وكان من أحبِّ ما يُهْدُون إليه من مكة الأدَم ـ وذكر موسى بن عُقبة أنَّهم أهدَوْا إليه فرساً وجُبَّةَ ديباج ـ فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إنَّ فتية منا سفهاء فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدينٍ مبتدَعٍ لا نعرفُه ، وقد لجؤوا إلى بلادك ، فبَعَثَنا إليك فيهم عشائرُهم ، آباؤهم وأعمامُهم وقومُهم لتردَّهم عليهم ، فإنهم أعْلَى بهم عيناً[١] ، [فقالت بطارقته : صدقوا أيها الملك ، لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً][٢] ، فإنهم لن[٣] يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ، لا أردُّهم عليهم حتى أدعوَهم ، فأكلمهم وأنظر ما أمْرُهم ، قوم لجؤوا إلى بلادي ، واختاروا جِوَاري على جوار غيري ، فإنْ كانوا كما يقولون رددتُهم عليهم ، وإنْ كانوا على غير ذلك منعتُهم ولم أدخلْ بينهم وبينهم ، ولم أنعم عيناً .

[وذكر موسى بن عقبة أنَّ أمراءَه أشاروا عليه بأن يردَّهم إليهم . فقال : لا والله ! حتى أسمع كلامهم ، وأعلم على أيِّ شيءٍ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلَّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيُّها الرَّهْط ، ألا تحدِّثوني ، ما لكم لا تحيُّوني كما يُحَيِّيني مَنْ أتانا من قومكم ؟! فأخبروني ماذا تقولونَ في عيسى وما دينكم ؟ أنَصَارَى أنتم ؟ قالوا : لا . قال : أفيهودُ أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فعلى دينِ قومكم ؟ قالوا : لا . قال : فما دينُكم ؟ قالوا : الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبدُ الله لا نشركُ به شيئاً . قال : مَنْ جاءكم بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجلٌ من أنفسنا ، قد عرفْنا وجهه ونسَبَه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرُّسلَ إلى مَنْ قبلنا ، فأمَرَنا بالبِرِّ والصدَقة ، والوفاء ، وأداءِ الأمانة . ونهانا أن نعبدَ الأوثان ، وأمَرَنا بعبادةِ الله وَحْدَه لا شريك له ، فصدَّقْناه ، وعرَفْنا كلامَ الله ، وعلمنا أنَّ الذي جاءَ به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا ، وعادوا النبيَّ الصادقَ وكذَّبوه ، وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادةِ الأوثان ، ففرَرْنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إنَّ هذا لمن المِشْكاة التي خرج منها أمْر موسى . قال جعفر : وأمَّا التحيَّة فإنَّ رسولَ الله ﷺ أخبرَنا أنَّ تحيَّةَ أهلِ الجنة السلام ، وأمَرَنا بذلك فحيَّيْناكَ بالذي يُحَيِّي بعضُنا بعضاً . وأما عيسى ابنُ مريم فعبدُ الله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، وابنُ العذراء البَتُول . فأخَذَ عوداً وقال : والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزن هذا العُود . فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعتِ الحبشةُ لتخلعنَّك . فقال : والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً . وما أطاعَ اللهُ الناسَ فيَّ حين ردَّ عليَّ ملكي فأطع[٤] الناسَ في دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن إسحاق :][٥] .

فأرسل إليهم النجاشيُّ فجمعهم ، ولم يكن شيءٌ أبغضَ لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة

---

(١) « أعلى بهم عيناً » : أي أبصرُ بهم وأعلمُ بحالهم . اللسان (علو) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر الخبر .

(٣) في السير ودلائل البيهقي : لم .

(٤) كذا ، والصواب : فأطيع ، كما سيأتي (ص٢٩٥ س٣) .

(٥) هنا تتمة الخبر ، وما بين معقوفين ليس في ح ولا في مصادر الخبر المشار إليها في الحاشية (٤) من الصفحة السابقة .

من أن يسمعَ كلامهم . فلما جاءهم رسولُ النجاشي اجتمع القومُ فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقالوا : وماذا نقول ، نقول والله ما نعرف . وما نحن عليه من أمْرِ ديننا ، وما جاء به نبيُّنا ﷺ كائنٌ من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلِّمُه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له النجاشي : ما هذا الدينُ الذي أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ، ولا نصرانيَّة . فقال له جعفر : أيها الملك ، كنَّا قوماً على الشِّرْك نعبدُ الأوثان ، ونأكلُ المَيْتة ، ونُسيءُ الجِوار ، ونستحلُّ[١] المحارم ، بعضُنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحلُّ شيئاً ولا نحرِّمه ، فبعث الله إلينا نبيّاً من أنفسنا ، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أنْ نعبد الله وحدَهُ لا شريكَ له ونَصِلَ الأرحام ونحميَ[٢] الجوار ونصلِّيَ للهِ عزَّ وجلَّ ، ونصومَ له ، ولا نعبدَ غيرَه .

وقال [زياد عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحِّدَه ونعبده ونخلعَ ما كنا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدْقِ الحديث ، وأداءِ الأمانة ، وصِلَةِ الأرْحام ، وحسن الجوار ، والكفِّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقَوْل الزُّور ، وأكْلِ مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبدَ الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال ـ فعدُّوا عليه أمورَ الإسلام ـ فصدَّقْناه وآمنَّا به ، واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبَدْنا الله وحده لا شريك له ولم نشركْ به شيئاً ، وحرَّمْنا ما حرَّم علينا ، وأحْلَلْنا ما أحلَّ لنا ، فعَدَا علينا قومُنا فعذَّبُونا ليفتنونا عن ديننا ويردُّونا إلى عبادةِ الأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقُوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجْنا إلى بلادِك واخترناك على مَنْ سواك ورغبنا في جوارِك ورجَوْنا أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك .

قالت[٣] : فقال النجاشي][٤] : هل معك شيءٌ مما جاء به ؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحفَ حوله . فقال له جعفر : نعم . قال : هلمَّ فاتْلُ عليَّ مما جاء به ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلَّتْ لحيتُه ، وبكتْ أساقفتُه حتى أخْضَلُوا مصاحفهم . ثم قال : إنَّ هذا الكلام ليخرج من المشْكاة التي جاء بها موسى[٥] ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردُّهم عليكم ولا أُنْعِمُكم عيناً[٦] . فخرجْنا من عنده وكان أتقى الرجلَيْن فينا عبد الله بن أبي ربيعة ؛ فقال عمرو بن

---

(١) في ح : ونحل ، وفي ط : يستحل ، والمثبت من السير والدلائل .

(٢) في مصادر الخبر : ونحسن .

(٣) يعني أم سلمة كما جاء في أول الخبر .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في مصادر الخبر المذكورة في ح(٣) ص(٢٩٠) .

(٥) في بعض نسخ سيرة ابن هشام ودلائل البيهقي : عيسى .

(٦) أي : لا أجعل أعينكم تقرُّ بهم . يقال : نعم ونعمة عين : أي : قرة عين ، يعني أقرُّ عينك بطاعتك واتباع أمرك . اللسان (نعم) .

العاص : والله لآتينَّه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، ولأخبرنَّه أنهم يزعمون أنَّ إلٓهه الذي يعبد عيسى ابن مريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فإنَّهم وإن كانوا خالفونا فإنَّ لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لأفعلن !.

فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى قولًا عظيماً . فأرسلْ إليهم فسلْهم عنه . فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلُها ، فقال بعضُنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم[(١)] عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرَنا نبيُّنا أن نقوله فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال : ما تقولونَ في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : نقولُ هو عبد الله ورسوله وروحُه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول . فدلَّى النجاشيُّ يده إلى الأرض ، فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العُوَيد . فتناخرتْ بطارقته . فقال : وإن تناخرتُم والله ! اذهبوا فأنتم سُيُومٌ في الأرض ـ السُّيُوم : الآمنون في الأرض[(٢)] ـ مَنْ سبَّكم غَرِم ، من سبَّكم غرِم ، من سبَّكم غرِم ـ ثلاثاً ـ ما أُحِبُّ أنَّ لي دَبْراً وأني آذَيْتُ رجلاً منكم ـ والدَّبْرُ بلسانهم الذهب .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أُحِبُّ أنَّ لي دَبْراً من ذهب ؛ قال ابن هشام : ويقال : دَبْراً[(٣)] ، وهو الجبل بلغتهم ـ ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ اللهُ مني الرِّشْوَة حين ردَّ عليَّ مُلْكي ، ولا أطاعَ الناسَ فيَّ فأطيع الناس فيه . رُدُّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها ، واخْرُجا من بلادي : فخرجا مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به .

قالت : فأقمنا مع خير جارٍ في خير دار ، فلم ينشَبْ أنْ خرجَ عليه رجلٌ من الحبشة ينازعُه في مُلْكه ، فوالله ما علمنا حُزْناً حزِنًا قطُّ هو أشدَّ منه ، فرَقاً من أن يظهر ذلك الملكُ عليه ، فيأتي ملكٌ لا يعرفُ من حقِّنا ما كان يعرفه ، فجعلْنا ندعو الله ونستنصرُه للنجاشي فخرج إليه سائراً ، فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ [بعضهم لبعض][(٤)] : مَنْ رجلٌ يخرجُ فيحضر الوقعة حتى ينظرَ على مَنْ تكون ؟ وقال الزُّبير ـ وكان من أحدثهم سِنّاً ـ : أنا . فنفَخُوا له قِرْبَةً فجعلها في صدره ، فجعل يسبحُ عليها في النِّيل حتى خرج من شِقِّه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة ، فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشيُّ عليه . فجاءنا الزُّبير ، فجعل يُليحُ لنا بردائه ويقول : ألا فأبشروا ، فقد أظهر الله النجاشيّ . قلت : فوالله ما علمنا فرِحْنا

---

(١) في ح ، ط : يسألكم ، والمثبت من مصادر الخبر .
(٢) في النهاية لابن الأثير (سيم) : امكثوا فأنتم سيوم . أي آمنون : كذا جاء تفسيره في الحديث ، وهي كلمة حبشية ، وتروى بفتح السين . وقيل : سيوم جمع سائم ، اي تسومون في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد . اهـ . وفي ح والسير والمغازي : شيوم . بالشين المعجمة .
(٣) في ط : زبراً ، وفي ح : زيراً ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٨) والنهاية لابن الأثير (دبر) .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من دلائل البيهقي .

بشيءٍ قطُّ فرَحَنا بظهور النجاشيّ ؛ ثم أقمنا عندَهُ حتى خرج من خرج منّا [راجعاً][1] إلى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزُّهري : فحدثتُ هذا الحديث عروة بن الزُّبير عن أمِّ سلمة . فقال عروة : أتدري ما قولُه ما أخذ الله مني الرِّشْوة حين ردَّ عليَّ مُلْكي فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فِيَّ فأطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ، ما حدَّثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أمِّ سلمة . فقال عروة : فإنَّ عائشة حدثَتْني أنَّ أباه كان مَلِكَ قومَه ، وكان له أخٌ له من صُلْبه اثنا عشر رجلاً ، ولم يكنْ لأبي[2] النجاشي ولدٌ غيرَ النجاشي ، فأدارتِ الحبشةُ رأيَها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملَّكنا أخاه فإنَّ له اثني عشر رجلاً من صُلْبه فتوارثوا الملك ، لبقيتِ الحبشة عليهم دَهْراً طويلاً لا يكون بينهمُ اختلاف ، فغدَوْا[3] عليه فقتلوه وملَّكوا أخاه . فدخل النجاشي لعمِّه حتى غلب عليه ، فلا يدبِّر أمْرَهُ غيرُه ، وكان لبيباً حازماً من الرجال ، فلما رأتِ الحبشةُ مكانَهُ من عمِّه قالوا : قد غلب هذا الغلام على أمر عمِّه ، فما نأمن أنْ يملِّكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدَعْ منَّا شريفاً إلا قتله ، فكلِّموه فيه فلْيقتله أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشَوْا [إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفتَ أنَّا قتلنا][4] أباه وجعلناكَ مكانه ، وإنَّا لا نأمنُ أنْ يُمَلَّك علينا فيقتلنا ، فإمَّا أنْ تقتله وإمَّا أن تخرجَهُ من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتلُه اليوم ! بل أُخرجُه من بلادكم .

فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجَّار قذفه في سفينة بستمئة درهم أو بسبعمئة[5] ، فانطلق به فلما كان العشي هاجَتْ سحابةٌ من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطَّرُ تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلَتْه ، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ليس في أحدٍ منهم خير ، فمرجَ على الحبشة أمْرُهم[6] ، فقال بعضُهم لبعض : تعلمون والله إنَّ مَلِكَكم الذي لا يُصلح أمرَكم غيرُه للَّذي بعتُمْ بالغَدَاة ، فإنْ كان لكم بأمْرِ الحبشةِ حاجة فأدركوه قبل أن يذهب .

فخرجوا في طلبه ، فأدركوه فردُّوه ، فعقدوا عليه تاجَه ، وأجلسوه على سريره وملَّكوه . فقال التاجر : ردُّوا عليَّ مالي كما أخذتُمْ مني غلامي ، فقالوا : لا نُعطيك . فقال : إذاً والله لأكلمنَّه . فمشى إليه فكلَّمه فقال : أيُّها الملك ، إني ابتعتُ غلاماً فقبض مني الذينَ باعونيه[7] ثمنه ، ثم عدَوْا على غلامي

---

(١) الزيادة من السير والمغازي والدلائل .
(٢) في ح ، ط : لأب ، والمثبت من السير والمغازي والدلائل .
(٣) في ط والدلائل : فعدوا . بالعين المهملة .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من دلائل البيهقي .
(٥) في ح : أو تسع مئة .
(٦) أي التبس واختلط . اللسان (مرج) .
(٧) في ط : الذي باعوه ، والمثبت من ح .

فنزعوه من يدي ولم يردُّوا عليَّ مالي . فكان أولَ ما خُبر به من صلابةِ حُكمه وعَدْله أن قال : لتردُّنَّ عليه ماله . أو لتجعلنَّ يدَ غلامِهِ في يده ، فليذهبنَّ به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله فأعْطَوْه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرِّشوَةَ فآخذَ الرشوة حين ردَّ عليَّ ملْكي ، وما أطاع الناسَ فيّ فأطيع الناسَ فيه .

وقال موسى بن عقبة[١] : كان أبو النجاشي ملكَ الحبشة ، فمات والنجاشيُّ غلامٌ صغير ، فأوصى إلى أخيه : أنْ إليك ملكُ قومك حتى يبلغَ ابني ، فإذا بلغ فله الملك . فرغب أخوه في الملك ، فباع النجاشيَّ من بعض التجّار ، فمات عمُّه من ليلته وقَضَى ، فردَّتِ الحبشةُ النجاشيَّ حتى وضعوا التاجَ على رأسه .

هكذا ذكره مختصراً ، وسياقُ ابن إسحاق أحسنُ وأبْسَطُ ، فالله أعلم .

والذي وقع في سياقِ ابنِ إسحاق . إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغيرُ واحدٍ أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسولُ الله ﷺ حين تضاحكوا يوم وُضع سَلا الجَزُورِ على ظهره ﷺ وهو ساجدٌ عند الكعبة .

وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري . والمقصود أنَّهما حين خرجا من مكة كانت زوجةُ عمرٍو معه ، وعُمارة كان شاباً حسناً ، فاصطحبا في السفينة ، وكان عُمارة طمِعَ في امرأةِ عمرِو بن العاص ، فألقى عَمْراً في البحر ليُهْلكه فسبح حتى رجع إليها . فقال له عُمارة : لو أعلم أنك تُحسن السباحة لما ألقَيْتُكَ ، فحقد عمرٌو عليه ، فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصَّل إلى بعضِ أهلِ النجاشي ، فوشى به عمرٌو فأمر به النجاشيُّ فسُحر حتى ذهب عقلُه وساح في البرِّيَّة مع الوحوش .

وقد ذكر الأموي قصةً مطوَّلة جداً وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصَّده بعضُ الصحابة ومسكه ، فجعل يقول : أرسلني وإلا متّ . فلما لم يرسله مات من ساعته . فالله أعلم .

وقد قيل : إنَّ قريشاً بعثتْ إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرَّتين : الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة ، والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نُعيم في « الدلائل »[٢] والله أعلم .
وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر ؛ قاله الزهري ، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يُجبهم النجاشيُّ رضي الله عنه وأرضاه إلى شيءٍ مما سألوا . فالله أعلم .

[وقد ذكر زياد عن ابن إسحاق[٣] : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشيِّ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٩٥) .
(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٣١) .
(٣) السير والمغازي (ص٢٢١) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٣) والروض (٢/ ٨٦) .

أبياتاً يحضُّه فيها على العَدْل وعلى الإحسان إلى مَنْ نزل عنده من قومه : [من الطويل]

ألا ليتَ شعري كيفَ في النأْي جعفرٌ وعمـرٌو وأعـداءُ العـدوِّ الأقـاربُ
وما[١] نالت أفعالُ النجاشيِّ جعفراً وأصحـابَـهُ أو عـاقَ ذلـك شـاغِـبُ
تعلَّمْ[٢] ـ أبيتَ اللعنَ ـ أنك ماجدٌ كـريـمٌ فـلا يَشقـى إليـكَ المُجَـانـب
[تعلَّـــمْ بـــأنَّ اللهَ زادك بسطـــةً وأسبـابَ خيـر كلُّهـا بـكَ لازِبُ][٣]

وقال يونس عن ابن إسحاق[٤] : حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلِّم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه .

والمشهور أن جعفراً هو المترجم رضي الله عنه .

وقال زياد البكّائي عن ابن إسحاق[٥] : حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها . قالت : لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

ورواه أبو داود[٦] عن محمد بن عمرو الرازي عن سَلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق به : لما مات النجاشيُّ رضي الله عنه كنا نتحدَّث أنه لا يزال يُرَى على قبرِهِ نور .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق[٧] : حدَّثني جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعتِ الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقتَ ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيَّأ لهم سُفُناً وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هُزمت[٨] فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإنْ ظفرتُ فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ويشهدُ أن عيسى عبدُه ورسولُه وروحُه وكلمتُه ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قَبَائه عند المنكِبِ الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفُّوا له . فقال : يا معشر الحبشة ألستُ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما بكم[٩] ؟ قالوا : فارقتَ ديننا ، وزعمتَ أنَّ عيسى عبدٌ[١٠] . قال : فما تقولون أنتم في

---

(١) في مصادر الخبر : وهل نالت .
(٢) في ط : ونعلم . والمثبت من مصادر الخبر .
(٣) ما بين معقوفين ليس في ح .
(٤) السير والمغازي (ص٢١٧ ، ٢١٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٠٦) .
(٥) السير والمغازي (ص٢١٩) وسيرة ابن هشام والروض (٢/ ٩٠) .
(٦) في سننه (٢٥٢٣) الجهاد باب في النور يُرى عند قبر الشهيد ، وإسناده ضعيف .
(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٠) والروض (٢/ ٩٠) .
(٨) في ح : هربت .
(٩) في سيرة ابن هشام : فما بالكم ، وفي الروض : فمالكم .
(١٠) في ط : عبده ورسوله ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي ـ ووضع يدَهُ على صدره على قبائه ـ : وهو يشهدُ أنَّ عيسى ابنُ مريم . لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كَتَب ، فرَضُوا وانصرفوا . فبلغ [ذلك][١] رسول الله ﷺ ، فلما مات النجاشيُّ صلى عليه واستغفر له .

وقد ثبت في الصحيحين[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ نعى النجاشيَّ في اليومِ الذي ماتَ فيه ، وخرَجَ بهم إلى المصلَّى ، فصفَّ بهم وكبَّرَ أربعَ تكبيرات .

وقال البخاري : موت النجاشي[٣] : حدّثنا أبو الربيع ، حدّثنا ابن عُيينة ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ـ حين مات النجاشي ـ : « مات اليومَ رجلٌ صالح ، فقوموا فصلُّوا على أخيكم أصْحَمة » .

ورُوي ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد ، وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة[٤] . وهو أصحمة بن أبجر[٥] وكان عبداً صالحاً لبيباً زكياً[٦] ، وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن إسحاق[٧] : اسم النجاشيِ مصحمة ـ وفي نسخة صحَّحَها البيهقي أصحم ـ وهو بالعربية عطيَّة قال : وإنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

---

(١) زيادة من مصادر الخبر .

(٢) فتح الباري (١٣٣٣) الجنائز باب التكبير على الجنازة أربعاً . وصحيح مسلم (٦٢ ـ ٩٥١) الجنائز باب في التكبير على الجنازة .

(٣) يعني في باب موت النجاشي من كتاب مناقب الأنصار ، فتح الباري (٣٨٧٧) .

(٤) قال ابن حجر في الفتح (٣/٢٠٣) : وقع في جميع الطرق التي اتصلت لنا من البخاري : أصحمة . بمهملتين بوزن أفعلة مفتوح العين في المسند والمعلق معاً ، وفيه نظر لأن إيراد المصنف يشعر بأن يزيد خالف محمد بن سنان ، وأن عبد الصمد تابع يزيد ، ووقع في مصنف ابن أبي شيبة عن يزيد : صحمة ، بفتح الصاد وسكون الحاء ، فهذا متجه ، ويتحصل منه أن الرواة اختلفوا في إثبات الألف وحذفها . وحكى الإسماعيلي أن في رواية عبد الصمد « أصخمة » بخاء معجمة وإثبات الألف ، قال : وهو غلط فيحتمل أن يكون هذا محل الاختلاف الذي أشار إليه البخاري . وحكى كثير من الشراح أن رواية يزيد ورفيقه : صحمة بالمهملة بغير ألف ، وحكى الكرماني أن في بعض النسخ في رواية محمد بن سنان : أصحبة . بموحدة بدل الميم . اهـ .

(٥) كذا في ح وأصول المطبوعة وصحَّحه ناشرها بـ « بحر » محتجاً بالقاموس ، إلا أن الزَّبيدي شارحه قال (صحم) : كذا في النسخ ، والصواب ابن أبجر . اهـ . ثم ساق الخلاف في أصحمة كما بينته عن ابن حجر في الحاشية السابقة ، وزاد في اختلاف الروايات فيه قوله : صمخة . بتقديم الميم على الخاء ، وقيل غير ذلك مما استوعبه شراح البخاري . وسيأتي برسم : أبجر ص(٣٠١) نقلاً عن البيهقي .

(٦) ليست اللفظة في ح .

(٧) دلائل البيهقي (٢/ ٣١٠) .

قلت: كذا[١] ولعله يريد به قيصر، فإنه عَلَمٌ لكلِّ مَنْ ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الرُّوم، وكسرى علمٌ على مَنْ ملَكَ الفرس، وفرعون علمٌ لمن ملك مصر كافة[١]، والمقوقس لمن ملك الاسكندريَّة، وتُبَّع لمن مَلَك اليمن والشِّحْر[٢]، والنجاشِي لمن مَلَك الحبشة، وبطليموس لمن مَلَك اليونان وقيل الهند، وخاقان لمن ملَكَ التُّرْك.

وقال بعضُ العلماء إنما صُلِّي عليه لأنه كان يكتُم إيمانه من قومه، فلم يكن عنده يوم مات مَنْ يصلِّي عليه، فلهذا صلَّى عليه ﷺ. قالوا: فالغائب إنْ كان قد صُلِّي عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلدٍ أخرى؟ ولهذا لم يصلَّ على النبيِّ ﷺ في غير المدينة، لا أهل مكة ولا غيرهم، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم يُنقَلْ أنه صُلِّي على أحدٍ منهم في غير البلدة التي صُلِّي عليه فيها فالله أعلم.

قلت: وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاةَ على النجاشي، دليلٌ على أنه إنما مات بعد فتح خَيْبَر[٣] التي قدِم بقيةُ المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر، ولهذا رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «والله ما أدري بأيِّهما أنا أسرُّ، بفتح خَيْبَرَ أمْ بقدُوم جعفر بن أبي طالب»[٤] وقدموا معهم بهدايا وتُحَف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريِّين رضي الله عنهم، ومع جعفر هدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذو مخبر أو ذو مخمر[٥]، أرسله ليخدُمَ النبيَّ ﷺ عوضاً عن عمِّه رضي الله عنهما وأرضاهما.

وقال السهيلي[٦]: توفي النجاشي في رجب سنة تسعٍ من الهجرة، وفي هذا نظر. والله أعلم.

وقال البيهقي[٧]: أخبرنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطُّوسي، حدثنا أبو العباس

---

(١) ليست اللفظة في ح.
(٢) «الشِّحْر»: الشَّط وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. قال الأصمعي: هو بين عَدَن وعُمان. معجم البلدان (٣/ ٣٢٧).
(٣) كذا في الأصول، ولعل الصواب: في السنة التي.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٤) عن أنس بن سالم الخولاني وأحمد بن خالد بن مسرح قالا: حدّثنا الوليد بن عبد الملك بن مسرح حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا مسعر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه، وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/ ١٨٨٤) عن أحمد بن حفص، حدثنا بكر بن عبد الوهاب حدثنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه؛ وأخرجه البيهقي في السنن (٧/ ١٠١) النكاح باب ما جاء في قبلة ما بين العينين عن أبي القاسم زيد بن أبي هاشم العلوي وأبي القاسم عبد الواحد بن محمد بن النجار المقرىء بالكوفة قالا: أنبأ أبو جعفرٍ محمد بن علي بن دحم حدثنا إبراهيم بن إسحاق القاضي حدثنا قبيصة عن سفيان عن الأجلح عن الشعبي. مرسلا. وأخرجه ابن عساكر كما تقدم.
(٥) في ط: ذو نخترا أو ذو مخمرا. والمثبت من ح.
(٦) في الروض (٢/ ٩٤).
(٧) في الدلائل (٢/ ٣٠٧).

محمد بن يعقوب ، حدثنا هلال بن العلاء الرَّقِّي ، حدثنا أبي العلاءُ بن هلال[١] ، حدثنا أبي[٢] هلالُ بن العلاء عن أبيه ، عن أبي غالب ، عن أبي أُمامة قال : قدِم وَفْدُ النجاشي على رسولِ الله ﷺ فقام يخدُمهم ، فقال أصحابُه : نحن نكفيك [يا رسول الله][٣] . فقال : « إنهم كانوا لأصحابي مُكرِمين ، وإني أُحبُّ أنْ أكافئَهم » .

ثم قال[٤] : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدّثنا هلال بن العلاء ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا طلحة بن زيد[٥] ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي قتادة قال : قدم وفدُ النجاشي على رسولِ الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يخدُمهم ، فقال أصحابُه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا[٦] مُكْرِمين ، وإنِّي أُحبُّ أنْ أكافئهم » . تفرَّدَ به طلحة بن زيد عن الأوزاعي[٧] .

وقال البيهقي[٨] : حدَّثنا أبو الحسين بن بِشْران ، حدَّثنا أبو عمرو بن السماك ، حدَّثنا حنبلُ بن إسحاق ، حدَّثنا الحُميدي ، حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا عمرو قال : لما قدم عمرُو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرجْ إليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو : إنَّ أصْحَمَةَ يزعم أنَّ صاحبَكم نبيّ .

قال ابن إسحاق[٩] : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شَكِيمة لا يُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحابُ رسولِ الله ﷺ وبحَمْزَة حتى غاظوا[١٠] قريشاً ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنَّا نقدِرُ على أنْ نصلِّي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه .

قلت : وثبت في صحيح البخاري[١١] عن ابنِ مسعود أنه قال : ما زلنا أعِزَّةً منذُ أسْلَمَ عمر[١٢]

---

(١) في ط : العلاء بن مدرك ، وهو تحريف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وترجمته في تهذيب التهذيب .
(٢) في ط : أبو والمثبت من ح والدلائل .
(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح أو الدلائل .
(٤) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٠٧) .
(٥) في الدلائل : يزيد تحريف ، والمثبت من ح ، ط وترجمته في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٩٥) .
(٦) في ح : لأصحابي .
(٧) وهو متروك ، بل قال أحمد وعلي وأبو داود : كان يضع الحديث (بشار) .
(٨) في الدلائل أيضاً (٢/ ٣٠٧) .
(٩) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٢) والروض (٢/ ٩٥) .
(١٠) كذا في ط ، وفي ح : غاروا براء مهملة ، وفي سيرة ابن هشام والروض : غازوا .
(١١) فتح الباري (٣٦٨٤) فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب . و(٣٨٦٣) مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب .
(١٢) في ط : « عمر بن الخطاب » ، وليست في ح ولا في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف .

وقال زياد البكَّائي[١] : حدَّثني مِسْعَر بن كِدَام ، عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابنُ مسعود : إنَّ إسلامَ عمر كان فتحاً ، وإنَّ هجرتَه كانتْ نصراً ، وإنَّ إمارته كانت رحمة ، ولقد كنَّا وما نصلِّي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان إسلامُ عمر بعد خروج مَنْ خرج من أصحاب رسولِ الله ﷺ إلى الحبشة .

حدّثني[٣] عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمِّه أمِّ عبد الله بنت أبي حَثْمة قالت : والله إنَّا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجتنا ، إذْ أقبل عمر فوقف عليَّ وهو على شِرْكه ؛ فقالت : وكنَّا نلقى منه أذى لنا وشدَّةً علينا قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمَّ عبد الله . قلت : نعم والله ، لنخرجنَّ في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل اللهُ لنا مخرجاً . قالت : فقال : صحِبَكُم الله ورأيتُ له رِقَّةً لم أكنْ أراها . ثم انصرفَ وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجُنا . قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيتَ عمر آنفاً ورقَّته وحُزْنَهُ علينا . قال : أطمعتِ في إسلامه ؟ قالت : قلت نعم! قال : لا يُسلم الذي رأيتِ حتى يُسلم حمار الخطَّاب . قالت : يَأْساً منه لما كان يُرى من غِلْظَتِه وقسوته على الإسلام .

قلت : هذا يردُّ قولَ من زعم أنه كان تمام الأربعينَ من المسلمين ، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أنْ يُقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين ؛ ويؤيد هذا ما ذكره ابنُ إسحاق هاهنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه ، وسياقها فإنه قال[٤] : وكان إسلام عمر فيما بلغني أنَّ أختَهُ فاطمة بنت الخطَّاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل كانت قد أسلمت وأسلم زوجُها سعيد بن زيد، وهم مستخفُون بإسلامهم من عُمر ، وكان نُعيم بن عبد الله النحَّام ـ رجلٌ من بني عَدِيّ ـ قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومه ، وكان خَبَّابُ بن الأرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرئها القرآن ، فخرج عمرُ يوماً متوشِّحاً سيفه يريدُ رسولَ الله ﷺ ورَهْطاً من أصحابه ، فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصَّفا ، وهم قريبٌ من أربعينَ من بين رجالٍ ونساءٍ ، ومع رسولِ الله ﷺ عمُّه حمزة وأبو بكر بن أبي قُحَافة الصدِّيق ، وعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وفي رجالٍ من المسلمين ممن كان أقام مع رسولِ الله ﷺ بمكة ولم يخرُجْ فيمن خرج إلى أرض الحَبَشة . فلقِيَهُ نُعيم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريدُ محمداً هذا الصابئ الذي فرَّقَ أمْرَ قريش ، وسفَّه أحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها فأقتله . فقال له نُعيم : والله لقد غرَّتْك نفسُك يا عمر ، أترى بني عبد مَنَاف تاركيك تمشي

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٢) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٢١) .

(٣) المتكلم هو ابن إسحاق ، والخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٢) .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣) والروض (٢/ ٩٥) .

على الأرض وقد قتلتَ محمدا ؟ أفلا ترجعُ إلى أهل بيتك فتقيمَ أمْرَهم ؟ قال : وأيّ أهل بيتي ، قال : خَتَنك وابن عمّك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً ﷺ على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب[١] بن الأرتّ ، معه صحيفةٌ فيها ﴿ طه ﴾ يُقرِئُها إياها ، فلما سمعوا حِسَّ عمر تغيَّب خبّابٌ في مُخْدَعٍ لهم[٢] ـ أو في بعض البيت ـ وأخذَتْ فاطمةُ بنتُ الخطاب الصحيفةَ فجعلَتْها تحت فَخِذِها ، وقد سمع عمرُ حين دنا إلى الباب قراءةَ خبّاب عليها ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة[٣] التي سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئاً . قال : بلى والله ، لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبَطَش بخَتَنِه سعيد بن زيد . فقامت إليه أختُه فاطمةُ بنتُ الخطّاب لتكفّه عن زوجها فضربها فشجَّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختَنُه : نعم قد أسلَمْنا وآمنا بالله ورسوله فاصنَعْ ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأختِهِ من الدَّم ندم على ما صنع وارْعَوَى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفةَ التي كنتم تقرؤونَ آنفاً أنظرْ ما هذا الذي جاء به محمد ؟ ـ وكان عمر كاتباً ـ فلما قال ذلك قالتْ له أختُه إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافي وحلَفَ لها بآلهته ليرُدَّنَّها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعَتْ في إسلامه ، فقالت : يا أخي ، إنك نَجَسٌ على شِرْكك ، وإنَّه لا يمسُّه إلا المُطَهَّرُون . فقام عمر فاغتسل ، فأعطَتْهُ الصحيفة ، وفيها ﴿ طه ﴾ فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمَه . فلما سمع ذلك خبّاب بن الأرتّ خرج إليه فقال له : والله يا عمر ، إنِّي لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوةِ نبيِّه ﷺ ، فإني سمعتُه أمسِ وهو يقول : « اللهمَّ أيِّدِ الإسلامَ بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمرَ بنِ الخطَّاب » . فاللهَ اللهَ يا عمر . فقال عند ذلك : فدُلَّني يا خبابُ على محمدٍ حتى آتيَهُ فأُسلم . فقال له خباب : هو في بيتٍ عند الصَّفا ، معه نفرٌ من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشَّحه ثم عمد إلى رسولِ الله ﷺ وأصحابه ، فضرَبَ عليهمُ الباب . فلما سمعوا صوْتَه قام رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فنظر من خَلَلِ الباب ، فإذا هو بعمر متوشِّحٌ بالسيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فَزِع فقال : يا رسولَ الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشِّحاً بالسيف ، فقال حمزة : فأْذَنْ له ، فإنْ كان جاء يريدُ خيراً بذَلْناه ، وإنْ كان يريدُ شرّاً قتلناهُ بسيفه . فقال رسولُ الله ﷺ : « ايذنْ له » فأذِنَ له الرجل ونهض إليه رسولُ الله ﷺ حتى لَقيهُ في الحُجْرَة ، فأخذ بحُجْزَتِه أو بمجمع ردائه ثم جذَبهُ جذبةً شديدة فقال : « ما جاء بك يا ابنَ الخطاب ؟ فوالله ما أرى أنْ تنتهيَ حتى ينزلَ اللهُ بك قارعة » . فقال عمر : يا رسول الله جئتُك لأومنَ بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله . قال : فكبَّر رسولُ الله ﷺ

---

(١) في سيرة ابن هشام : إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب .

(٢) « المخدع » : هو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت ، وتضم ميمه وتفتح . اللسان (خدع) .

(٣) في ح : الهمهمة . وفي الهامش : الهينمة . وفوقها (خ) إشارة إلى رواية نسخة ، والهمهمة والهينمة : الكلام الخفي لا يفهم . النهاية لابن الأثير (همهم ، هينم) .

تكبيرة ، فعرف أهلُ البيت أنَّ عمر قد أسلم . فتفرّق أصحابُ رسولِ الله من مكانهم وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعلموا أنهما سيمنعان رسولَ الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوِّهم .

قال ابن إسحاق[١] : فهذا حديثُ الرواةِ من أهل المدينة عن إسلام عمرَ حين أسلم رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني عبد الله بن أبي نَجيح المكي عن أصحابه : عَطَاء ومجاهد وعمن روى ذلك . أنَّ إسلام عمر فيما تحدَّثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنتُ للإسلام مُبَاعداً وكنتُ صاحبَ خمرٍ في الجاهليَّة أُحِبُّها وأشربها[٣] ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحَزْوَرَة[٤] فخرجتُ ليلةً أريدُ جلسائي أولئك فلم أجدْ فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أني جئتُ فلاناً الخمَّار لعلِّي أجد عنده خمراً فأشربَ منها . فخرجتُ فجئتُه فلم أجدْه قال : فقلت : لو أنِّي جئتُ الكعبة فطُفْتُ سبعاً أو سَبْعَيْن ، قال : فجئتُ المسجد ، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي ، وكان إذا صلَّى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الرُّكْنَين : الأسود واليماني . قال : فقلت حين رأيتُه : واللهِ لو أنِّي استمعتُ لمحمدٍ الليلةَ حتى أسمعَ ما يقول ، فقلت : لئن دنوتُ منه لأستمع منه لأُرَوِّعَنَّه ، فجئتُ من قِبَلِ الحِجْر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشي رويداً ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي يقرأ القرآن ، حتى قمتُ في قبلتِه مستقبلَهُ ، ما بيني وبينه إلا ثيابُ الكعبة قال : فلما سمعتُ القرآن رقَّ له قلبي وبكَيْتُ ودَخَلني الإسلام ، فلم أزَلْ في مكاني قائماً حتى قَضَى رسولُ الله ﷺ صلاتَه ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج عل دارابن أبي حُسين ـ وكان مسكنه في الدار الرَّقْطَاء التي كانت بيد معاوية ـ . قال عمر : فتبعتُه حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزْهر أدركتُه . فلما سمع [رسول الله ﷺ][٥] حِسِّي عرفني ، فظنَّ أني إنما اتبعتُه لأُوذِيَه ، فَنَهَمني[٦] ، ثم قال : « ما جاءَ بك يا ابنَ الخطَّاب هذه الساعة » قال : قلت : جئتُ لأومنَ بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله . قال : فحمد الله رسولُ الله ﷺ ثم قال : « قد هَدَاكَ الله يا عمر » ثم مسَح صَدْري ودعا لي بالثبات ثم انصرفتُ ودخلَ رسولُ الله ﷺ بيتَه .

قال ابنُ إسحاق : فالله أعلم أيّ ذلك كان .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٦) والروض (٢/ ٩٦) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٦) والروض (٢/ ٩٧) .

(٣) في سيرة ابن هشام والروض : وأُسرُّ بها .

(٤) « الحزورة » : بالفتح ثم السكون وفتحت الواو ، وراء وهاء ؛ هو في اللغة الرابية الصغيرة وجمعها حزاور ، وقال الدارقطني : كذا صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو وهو تصحيف ، وكانت الحزورة سوق مكة وقد دخلت المسجد لمَّا زيد فيه . معجم البلدان (٢/ ٢٥٥) .

(٥) الزيادة من سيرة ابن هشام .

(٦) أي زجرني وصاح بي . النهاية لابن الأثير (نهم) .

قلت : وقد استقصيتُ كيفيَّة إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطوَّلاً في أول سيرتِه التي أفردْتُها على حدة ولله الحمد والمنَّة .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني نافع مولى ابنِ عمر عن ابن عمر . قال : لما أسلم عمر قال : أيُّ قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميـل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه ، قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلامٌ أعقِلُ كلَّ ما رأيت ـ حتى جاءه فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أني أسلمتُ ودخلتُ في دينِ محمد ﷺ ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجُرُّ رداءَه واتَّبعه عمر ، واتبعتُه أنا حتى قام على باب المسجد ، صرَخَ بأعلى صوته : يا معشر قريش ـ وهم في أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إنَّ ابنَ الخطَّاب قد صبأ . قال : يقول عمر من خلفه : كذَب ، ولكنِّي قد أسلمْتُ وشهدتُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وثاروا إليه ، فما بَرِح يقاتلُهم ويقاتلونه حتى قامتِ الشمس على رؤوسهم . قال : وطَلَح[٢] فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلـوا مـا بَدَا لكم ، فأحلفُ بالله أنْ لو قد كنَّا ثلاثمئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك إذْ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلَّةٌ حِبَرَة ، وقميصٌ مُوَشًى ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صَبأ عمر . قال : فمه ؟ رجلٌ اختارَ لنفسه أمْراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عديٍّ يُسلمون لكم صاحبَهم هكذا ؟ خلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِط عنه . قال : فقلت لأبي بعد أنْ هاجر إلى المدينة : يا أبة من الرجلُ الذي زَجَر القومَ عنك بمكةَ يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أيْ بُنَي العاصُ بن وائل السهمي .

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويّ ، وهو يدلُّ على تأخُّر إسلام عمر ، لأنَّ ابنَ عمر عُرض يومَ أُحُد وهو ابنُ أربعَ عشرةَ سنة ، وكانت أُحُد في سنة ثلاثٍ من الهجرة ، وقد كان مميِّزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون إسلامهُ قبل الهجرة بنحوٍ من أربع سنين ، وذلك بعد البِعْثة بنحْوِ تسعِ سنين والله أعلم .

وقال البيهقي[٣] حدَّثنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبَّار ، حدَّثنا يونس ، عن ابن إسحاق قال : ثم قدِم على رسولِ الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة ـ أو قريبٌ من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبَرُه من أرض الحبشة ، فوجدوه في المجلس ، فكلَّموه وساءلوه ، ورجالٌ من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسولَ الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الله عزَّ وجلّ ، وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا فاضَتْ أعينُهم من الدَّمْع ، ثمَّ استجابوا له وآمنوا به وصدَّقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهلٍ في نفرٍ من قريش فقال : خيَّبكم الله مِنْ ركْب بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينِكم ترتادون لهم ، فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئنَّ مجالسكم عنده حتى فارقتُم دينَكم وصدَّقتموهُ بما قال لكم ! ما نعلم ركباً أحمقَ منكم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٨) والروض (٢/ ٩٧) .

(٢) « طَلَحَ » : أي أعْيَا . النهاية (طلح) .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٦) .

ـ أو كما قال ـ قالوا لهم : لا نجاهلكم ، سلام عليكم ، لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم لا نألُوَن[١] أنفسنا خيراً . فيقال : إنَّ النَّفَرَ من نصارى نجران ؛ والله أعلم أيّ ذلك كان . ويقال : والله أعلم : إنَّ فيهم نزلت هذه الآيات : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٢ ـ ٥٥] .

فصل

قال البيهقي في « الدلائل »[٢] : باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس ، عن ابن إسحاق قال : هذا كتابٌ من رسول الله ﷺ إلى النجاشي : [« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي] الأصحم عظيم الحبشة ، سلامٌ على من اتَّبع الهُدَى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له . لم يتَّخِذْ صاحبةً ولا ولداً ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله ؛ وأدعوك بدعاية الله ، فإنِّي أنا رسولُه ، فأسلِمْ تَسْلَمْ ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] فإنْ أبَيْتَ فعليكَ إثْمُ النَّصارى من قومِك » .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة ، وفي ذِكْره هاهنا نظر ، فإن الظاهرَ أنَّ هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحبِ جعفرٍ وأصحابه ، وذلك حين كتَبَ إلى ملوكِ الأرض يدعوهم إلى الله عزَّ وجلّ قُبيل الفتح ، كما كتب إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّوم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي .

قال الزُّهْري : كانت كتبُ النبيِّ ﷺ إليهم واحدة يعني نسخةً واحدة ، وكلُّها فيها هذه الآية وهي من سورة آلِ عمران ، وهي مدنيَّة بلا خلاف ، فإنَّهُ من صَدْر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وَفْد نَجْرَان كما قرَّرْنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول ، وقوله فيه إلى النجاشي الأصحم ، لعلَّ الأصحم مقحمٌ من الراوي بحسب ما فهم . والله أعلم .

وأنسب من هذا هاهنا ما ذكره البيهقي[٣] أيضاً عن الحاكم ، عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه

---

(١) في الدلائل : لا نألوا .

(٢) دلائل النبوة (٢/ ٣٠٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٣) كتاب التاريخ من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٩) .

ـ بمرو ـ حدَّثنا حماد بن أحمد ، حدَّثنا محمد بن حُميد ، حدَّثنا سَلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : بعث رسولُ الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمْري إلى النجاشي في شأنِ جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسول الله إلى النجاشي الأصْحم ملكِ الحَبَشة ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الملكَ القدُّوس المؤمنَ المُهَيْمنَ ، وأشهدُ أنَّ عيسى روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم البَتُول[١] الطيبة الحصينة ، فحملتْ بعيسى ، فخلقَهُ من رُوحه ونَفْخَتِه ، كما خلَقَ آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحدَهُ لا شريكَ له ، والموالاة على طاعَتِه وأنْ تتَّبِعَني فتؤمنَ بي وبالذي جاءني ، فإني رسولُ الله ، وقد بعثتُ إليك ابنَ عمِّي جعفراً ، ومعه نفرٌ من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقِرَّهم ودع التجَبُّر فإنِّي أدعوك وجنودَك إلى الله عزَّ وجلَّ ، وقد بلَّغْتُ ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتَّبع الهُدى » .

فكتب النجاشي إلى رسولِ الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمدٍ رسولِ الله من النجاشي الأصحم بن أبجر ، سلامٌ عليك يا نبيَّ الله ، من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هدَاني إلى الإسلام ، فقد بلغني كتابُكَ يا رسول الله فيما ذكرتَ من أمْرِ عيسى ، فَوَربِّ السماءِ والأرض إنَّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفْنا ما بُعثتَ به إلينا ، وقَرَيْنا ابنَ عمِّك وأصحابَه ، فأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله صادقاً ومصدَّقاً وقد بايعتك[٢] وبايعتُ ابنَ عمِّك ، وأسلمتُ على يديه لله ربِّ العالمين ، وقد بعثتُ إليك يا نبيَّ الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر ، فإنِّي لا أمْلِكُ إلا نفسي ، وإنْ شئتَ أنْ آتيكَ فعلتُ يا رسولَ الله ، فإنِّي أشهدُ أنَّ ما تقولُ حق[٣] .

فصـــل

في ذِكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ وتحالفهم فيما بينهم عليهم ، على أن لا يبايعوهم ولا يُناكحوهم حتى يُسلموا إليهم رسولَ الله ﷺ ، وحَصْرهم إيَّاهم في شِعْبِ أبي طالب مدَّةً طويلة ، وكتاباتهم بذلك صحيفةً ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كلِّه من آياتِ النبوَّة ودلائل الصدق

قال موسى بن عقبة عن الزهري[٤] : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا ، حتى بلغ

---

(١) زادت ط : الطاهرة . وليست هذه الزيادة في ح أو الدلائل .
(٢) في ح : تابعتك . وكذا في إحدى نسخ الدلائل .
(٣) إسناده ضعيف لضعف محمد بن حميد الرازي ، فضلاً عن إرساله .
(٤) الدلائل للبيهقي (٢/ ٣١١) .

المسلمين الجهد ، واشتدَّ عليهم البلاء واجتمعت[١] قريشٌ في مكْرها أنْ يقتلوا رسولَ الله ﷺ علانيةً . فلما رأى أبو طالب عملَ القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أنْ يُدْخِلوا رسولَ الله ﷺ شِعْبَهُمْ ، وأمرهم أنْ يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمُهم وكافرُهم ، فمنهم من فعله حميَّةً ، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً ؛ فلما عرفتْ قريش أنَّ القوم قد منعوا رسول الله ﷺ ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يُسلموا رسولَ الله ﷺ للقَتْل ، وكتبوا في مكْرهم صحيفةً وعهوداً ومواثيق ، لا يقبلوا[٢] من بني هاشم صُلْحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم[٣] رأفة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم في شِعْبهم ثلاثَ سنين ، واشتدَّ عليهم البلاءُ والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا[٤] لهم طعاماً يقدم مكة ، ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشترَوْه يريدون بذلك أنْ يدركوا سفكَ دمِ رسول الله ﷺ ؛ فكان أبو طالب إذا أخذ الناسُ مضاجعَهم أمر رسولَ الله ﷺ فاضطجع على فراشِه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له ، فإذا نامَ الناسُ أمر أحدَ بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسولِ الله ﷺ وأمر رسولَ الله ﷺ أنْ يأتيَ بعضَ فُرشِهم فينامَ عليه ؛ فلما كان رأس ثلاثِ سنين تلاوم رجالٌ من بني عبد مناف ومن [بني][٥] قصي ، ورجالٌ سواهم من قريش قد ولدَتْهم نساءٌ من بني هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحِم واستخفُّوْا بالحق ، واجتمع أمرُهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغَدْر والبراءةِ منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأَرَضَة[٦] فلَحِسَتْ كلَّ ما كان فيها من عهدٍ وميثاق .

ويقال : كانتْ معلَّقةً في سقف البيت ، فلم تتركِ اسماً لله فيها إلا لَحِسَتْه ، وبقي ما كان فيها من شِرْكٍ أو ظلم أو قطيعة رحم ؛ وأطلع اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ على الذي صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لأبي طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب[٧] ما كذبني . فانطلق يمشي بعصابةٍ من بني عبد المطلب حتى أتى المسجدَ وهو حافلٌ من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك ، وظنُّوا أنهم خرجوا من شدَّة البلاء ، فأتَوْهم ليعطوهم رسول الله ﷺ . فتكلم أبو طالب فقال : قد حدَثَتْ أمورٌ بينكم لم نذكُرْها لكم ، فأْتُوا بصحيفتِكم التي تعاهدْتُم عليها فلعلَّه أن يكونَ بيننا وبينكم صُلْح . وإنما قال ذلك خشيةَ أنْ ينظروا في الصحيفة قبل أنْ يأتوا بها . فأتَوْا بصحيفتهم معجَبينَ بها ، لا يشكُّون أنَّ رسولَ الله ﷺ

---

(١) في ط : وجمعت ، والمثبت من ح والدلائل .
(٢) كذا في ح ، ط ودلائل البيهقي .
(٣) في الدلائل : به .
(٤) كذا في جميع الأصول والدلائل بحذف نون الرفع ، وهي لغة .
(٥) الزيادة من الدلائل .
(٦) « الأرضة » : دويبة ، أو دودة تأكل (تلحس) الخشب ونحوه . المعجم الوسيط (أرض) .
(٧) في ح : الثوابت ، والمثبت من ط والدلائل ؛ والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المضيء ، أو ما ارتفع من النجوم . اللسان (ثقب) .

مدفوعاً[١] إليهم فوضعوها بينهم وقال : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يَجْمَعُ قومكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقال أبو طالب : إنما أتيتُكم لأعطيَكم أمراً لكم فيه نَصَفٌ[٢] ، إنَّ ابن أخي أخبرني ـ ولم يكذبْني ـ أنَّ الله بريءٌ من هذه الصحيفةِ التي في أيديكم ، ومحا كلَّ اسم هو له فيها ، وترك فيها غَدْرَكم وقطيعتكم إيانا وتظاهرَكم علينا بالظُّلْم ، فإنْ كان الحديثُ الذي قال ابنُ أخي كما قال فأفيقوا ، فوالله لا نُسْلِمُه أبداً حتى نموت من عند[٣] آخرنا ، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناهُ إليكم فقتلتموه أو استحييتم .

قالوا : قد رَضِينا بالذي تقول ، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا : والله إنْ كان هذا قطُّ إلا سحرٌ من صاحبكم . فارتكسوا وعادوا بشرِّ ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدَّة على رسولِ الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه[٤] . فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إنَّ أولى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف ترَوْن ؟ فإنَّا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقربُ إلى الجبْتِ والسِّحْر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتُكم ، وهي في أيديكم طمس [الله][٥] ما كان فيها من اسمه ، وما كان فيها من بغي تركه ، أفنحن السَّحَرَةُ أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النَّفَرُ من بني عبد مناف وبني قُصَيّ ورجالٌ من قريش ولدتْهم نساءٌ من بني هاشم ، منهم أبو البَخْتَري والمُطْعِم بن عدي ، وزُهير بن أبي أمية بن المغيرة ، وزَمَعَة بن الأسود ، وهشام بن عمرو ؛ وكانت الصحيفةُ عنده وهو من بني عامر بن لُؤَيّ ـ في رجالٍ من أشرافهم ووجوههم ـ نحن بُرَآءُ مما في هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قُضي بليل . وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرَّؤوا منها ونقضُوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي[٦] .

قال البيهقي[٧] : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ـ يعني من طريق ابنِ لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير ـ يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله ـ وقد تقدَّم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشِّعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك . فالله أعلم[٨] .

---

(١) كذا في ح ، ط والدلائل ، والوجه : مدفوع .
(٢) « النَّصَف » : من الإنصاف وهو العدل ، قال ابن الأعرابي : أنصف ؛ إذا أخذ الحق وأعطى الحق ، والاسم النَّصف والنصَفة محركتين ، وتفسيره أن تعطيه من الحق كالذي تستحقه لنفسك . التاج (نصف) .
(٣) في ح ، ط : عندنا ، والمثبت من الدلائل .
(٤) في الدلائل : والشدة على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين رهطه ، والقيام بما تعاهدوا عليه .
(٥) الزيادة من الدلائل .
(٦) القصيدة ستأتي .
(٧) في الدلائل (٢/ ٣١٤) .
(٨) انظر قول موسى بن عقبة في ص(٢٨٢) .

قلت : والأشبه أنَّ أبا طالب إنما قال قصيدته اللاَّميَّة التي قدَّمنا ذِكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً فذِكْرُها هاهنا أنسب . والله أعلم .

ثم روى البيهقي(١) من طريق يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : لما مضى رسولُ الله ﷺ على الذي بعث به [وقامَتْ بنو هاشم وبنو المطلب دونه ، وأبَوْا أن يُسْلموه وهم من خلافه على مِثْلِ ما قومُهم عليه ، إلا أنهم أنِفُوا أن يُستذلُّوا ويُسْلِموا أخاهم لمن فارقه من قومه . فلما فعلتْ ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفتْ قريش أنْ لا سبيلَ إلى محمد ، اجتمعوا على أن](٢) يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفةً في ذلك وعلَّقوها بالكعبة ، ثم عدَوْا على مَنْ أسلم فأوثقوهم وآذَوْهم ، واشتدَّ عليهم البلاء وعظمتِ الفتنة وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شديداً .

ثم ذكر القصةَ بطولها في دخولهم شِعْبَ أبي طالب وما بلَغُوا فيه من فتنة الجهْد الشديد ، حتى كان يسمعُ أصواتَ صبيانِهم يتضاغَوْنَ من وراء الشِّعْب من الجوع ، حتى كره عامَّةُ قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة ، وذكر(٣) أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأَرَضة فلم تدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أكلَتْه وبقي فيها الظلم والقَطِيعة والبُهْتان ، فأخبر اللهُ تعالى بذلك رسولَ الله ﷺ فأُخبر بذلك عمُّه أبو طالب ، ثم ذكر بقيَّة القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابنُ هشام(٤) عن زيد عن محمد بن إسحاق : فلما رأت قريش أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا فيها أمْناً وقراراً ، وأنَّ النجاشِي قد مَنَعَ مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنَّ عمر قد أسلم فكان هو وحمزةُ مع رسولِ الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يَفْشُو في القبائل اجتمعوا وأتَمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب(٥) على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه(٦) في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علَّقوا الصحيفة في جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بنُ عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . قال ابنُ هشام : ويقال : النَّضْر بن الحارث ، فدعا عليه رسولُ الله ﷺ فشلَّ بعضُ أصابعه .

---

(١) في الدلائل (٢/ ٣١٤) .
(٢) سقط ما بين المعقوفين من ح وتقويمه من الدلائل .
(٣) في ح ، ط : وذكروا . والمثبت من الدلائل ، والذي ذكر هو محمد بن إسحاق كما تقدم .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٠) والروض (٢/ ١٠١) .
(٥) في ح ، ط : وبني عبد المطلب ، والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٦) في ح ، ط : كتبوا ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

وقال الواقدي : كان الذي كتبَ الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العَبْدَري[١]

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق ، وهو الذي شَلَّتْ يدُه فما كان ينتفع بها ، وكانت قريش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة .

قال الواقدي[٢] : وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما فعلتْ ذلك قريش انحازتْ بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شِعْبِه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبدُ العُزَّى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم .

وحدَّثني حسين بن عبد الله ، أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يا ابنة عتبة ، هل نصرتِ اللاتَ والعُزَّى وفارقتِ مَنْ فارقها وظاهر عليها[٤] ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق[٣] : وحُدِّثتُ أنه كان يقول ـ في بعض ما يقول ـ يَعِدُني محمد أشياءَ لا أراها يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يدَيْه فيقول : تبّاً لكما ، لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .

قال ابن إسحاق[٥] : فلما اجتمعتْ على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب : [من الطويل]

ألا أبلِغَـا عنِّـي علـى ذاتِ بيننـا ... لُؤَياً وخُصَّا من لُؤَيٍّ بني كَعْبِ[٦]
ألـم تعلمـوا أنـا وجـدْنـا محمـداً ... نبياً كموسى خُطَّ في أولِ الكُتْبِ[٧]
وأنَّ عليـه فـي العبـادِ محبـةً ... ولا خير ممَّنْ خصَّهُ اللهُ بالحُبِّ[٨]

---

(١) في ط : العبدوي ، والمثبت من ح والإكمال (٦/ ٣٤٩) .
(٢) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٩) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥١) والروض (٢/ ١٠٢) .
(٤) في سيرة ابن هشام والروض : فارقهما وظاهر عليهما .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٢) والروض (٢/ ١٠٢) والشعر فقط في السير والمغازي ص(١٥٧) .
(٦) هذه رواية ط وسيرة ابن هشام والروض . ورواية ح :
ألا بلِّغـا عنـي قـريشـاً وبيتنـا ... لؤياً وخصَّا من لؤي بني كعب
وفي السير : . . . على ذات نايها ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض وقال السهيلي فيه (٢/ ١٠٩) : « ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه : صفة لمحذوف مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، فكذلك إذا قلت ذات يده ، يريد أمواله أو مكتسباته .
(٧) رواية ح : نبياً كما قد خط . . . ، وفي الهامش : كموسى ، وفوقها حرف : خ إشارة إلى رواية نسخة .
(٨) قال السهيلي : معلقاً على الشطر الثاني في الروض (٢/ ١١٠) : وهو مشكل جداً لأن « لا » في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا منوناً تقول : لا خيراً من زيد في الدار ، و لا شراً من فلان ، وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير =

وأن الـذي ألصقتُـم مـن كتـابكـم ... لكم كائنٌ نحساً كراغيةِ السَّقْبِ[(١)]
أفيقـوا أفيقـوا قبـل أنْ يُحفَـرَ الثَّـرَى ... ويصبحَ من لم يجنِ ذنباً كذي الذنْب
ولا تَتْبَعُـوا أمـرَ الـوشـاةِ وتقطعـوا ... أواصـرَنـا بعـدَ المـودَّة والقُـرْبِ[(٢)]
وتستَجلِبـوا حَـرْبـاً عَـوانـاً وربمـا ... أمَرَّ على مَن ذاقه حَلَبُ الحرب[(٣)]
فلسنـا وربِّ البيـتِ نُسْلـم أحمـداً ... لعزَّاءَ من حضِّ الزمانِ ولا كَرْب[(٤)]
ولمـا تَبِـنْ منَّـا ومنكُـم سـوالـفٌ ... وأيـدٍ تبـارَتْ بـالقسـاسِيَـةِ الشُّهْـبِ[(٥)]
بمعتـركٍ ضَيْـقٍ تـرى كِسَـرَ القَنَـا ... بهِ والنسورَ الطُّخْمَ يعْكُفْنَ كالشَّرْبِ[(٦)]
كـأن مَجَـالَ الخيـل فـي حَجَـراتِـهِ ... ومعمعةَ الأبطالِ معركةُ الحرب[(٧)]
أليـس أبـونـا هـاشـمٌ شُـدَّ أزْرُهُ ... وأوصَـى بنيـهِ بـالطِّعـانِ وبـالضَّـرْبِ
ولسنـا نمـلُّ الحـربَ حتـى تملَّنـا ... ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النَّكْبِ
ولكنَّنـا أهـلُ الحفـائـظِ والنُّهـى ... إذا طـارَ أرواحُ الكمـاةِ مـن الـرُّعْـبِ

= موصول بما بعده كقوله تعالى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ لأن عليكم ليس من صلة التثريب، لأنه في موضع الخبر؛ وأشبه ما يقال في بيت أبي طالب أن خير مخفف من « خيِّر » كهيِّن وميِّت وفي التنزيل ﴿ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] هو مخفف من خيِّرات . وقوله « ممن من متعلقة بمحذوف ، كأنه قال : لا خير أخير ممن خصه الله ، وخير أخير : لفظان من جنس واحد فحسُن الحذف استثقالاً لتكرار اللفظ كما حسُن ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ و ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان . . . وفيه يجوز وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة لأن خيراً من زيد إنما معناه : أخير من زيد ، وكذلك شر من فلان ، إنما أصله : أشر على وزن أفعل ، وحذف الهمزة تخفيفاً ، وأفعل لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونوِّن ، فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتاً إلى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر . اهـ.

(١) في ح : لصَقتُم . . . لراغية الشعب . قال السهيلي في الروض (٢/ ١١١) : وقوله كراغية السقب : يريد ولد الناقة التي عقرها قدار ، فرغا ولدها ، فصاح برغائه كل شيء له صوت فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب ذلك مثلاً في كل هلكة اهـ .

(٢) في ح : وتقطعوا عناصرنا . . .

(٣) جاء في الأساس (حلب) : هذا فَيْءُ المسلمين وحَلَبُ أسيافهم . وذاقوا حلب أمرهم : أي وباله . وفي سيرة ابن هشام « جلب » بالجيم .

(٤) « العزَّاء » : الشدة من مرض أو موت أو غير ذلك . الأساس (عزز) .

(٥) قال السهيلي في الروض : (٢/ ١١١) : وقوله بالقساسية الشهب : يعني السيوف ، نسبها إلى قساس ، وهومَعْدن حديد لبني أسد ، وقيام اسم للجبل الذي فيه المعدن . ورواية ط والسيرة : وأيد أُترَّتْ . أي قطعت . وما أثبتُه رواية ح .

(٦) « النسور الطخم » : هي السود الرؤوس ، قاله صاحب العين ، وقال أيضاً : الطخمة سواد في مقدَّم الأنف . الروض (٢/ ١١١) .

(٧) « الحَجَرات » : النواحي مفردها . حجرة ، وهي الناحية . اللسان (حجر) .

قال ابن إسحاق[١] : فأقاموا على ذلك سنتَيْن أو ثلاثاً حتى جُهدوا ، ولم يصلْ إليهم شيءٌ إلا سرّاً مستخفياً به مَنْ أراد صِلَتَهُمْ من قريش . وقد كان أبو جهل بنُ هشام ـ فيما يذكرون ـ لَقِي حَكيمَ بنَ حِزَام بن خُويلد بن أسد معه غلامٌ يحمل قمحاً ، يُريد به عمَّتهُ خَدِيجة بنت خُويلد ، وهي عند رسولِ الله ﷺ في الشِّعْب ، فتعلَّق به وقال : أتذهبُ بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البَخْترِيِّ بنُ هشام بن الحارث بن أسد فقال : ما لك وله ؟ فقال : يحمِلُ الطعام إلى بني هاشم . فقال له أبو البختريّ : طعامٌ كان لعمَّتِه عنده بعثتْ به إليه أتمنعه أنْ يأتيَها بطعامها ؟ خلِّ سبيلَ الرجل . قال : فأبَى أبو جهل لعنه الله حتى نالَ أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختريِّ لَحْيَ بعيرٍ فضربه ، فشجَّهُ ووطِئَهُ وطْئاً شديداً ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابَه فيشمتون بهم ، ورسولُ الله ﷺ على ذلك يدعو قومَهُ ليلاً ونهاراً وسِرّاً وإعلاناً وجهاراً مُبَاديا لأمر[٢] الله تعالى ، لا يتقي فيه أحداً من الناس .

فجعلت قريشٌ حين منعَهُ الله منها وقام عمُّه وقومُه من بني هاشم وبني عبد المطلب[٣] دونه وحالُوا بينهم وبين ما أرادوا من البَطْش به ، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه وجعل القرآنُ ينزلُ في قريش بأحداثهم وفيمن نَصَبَ لعداوته ، منهم من سُمّي لنا ، ومنهم من نزل القرآن في عامَّةِ مَنْ ذكر الله من الكفار .

فذكر ابن إسحاق[٤] أبا لهب ونزولَ السورةِ فيه ، وأُميَّة بن خلف ونزول قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] السورة بكمالها فيه . والعاص بن وائل ونزول قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم : ٧٧] فيه . وقد تقدَّم شيءٌ من ذلك . وأبا جهل بن هشام وقولهُ للنبيِّ ﷺ لتتْركَنَّ سبَّ آلهتنا أو لنسبَّنَّ آلهتك ، ونزول قول الله فيه ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] الآية . والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن علقمة[٥] ، وجلوسه بعد النبي ﷺ في مجالسه حيث يتلو القرآن ، ويدعو إلى الله ، فيتلو عليهم النضْرُ شيئاً من أخبار رستم واسفنديار ، وما جرى بينهما من الحروب في زمنِ الفرس ، ثم يقول : والله ما محمدٌ بأحسنَ حديثاً مني ، وما حديثُه

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٣) والروض (٢/ ١٠٣) .

(٢) في ط : منادياً بأمر الله ، والمثبت من ح .

(٣) في السيرة والروض : وبني المطلب .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٦ ـ ٣٦٠) .

(٥) زادت ط بين معترضتين ما نصه : ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلي . وليست هذه الزيادة في ح ولعلها من النساخ لأن السهيلي أثبت نص ابن هشام كما هو ثم علق عليه بقوله الروض (٢/ ١١٥) : وقال في نسبه : كلدة بن علقمة ، وغيره من النساب يقول : علقمة بن كلدة ، وكذلك ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر عن الوليد . اهـ . جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٢٦) .

إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها . فأنزل اللهُ تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان : ٥] وقوله : ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾ [الجاثية : ٧] .

قال ابن إسحاق[١] : وجلس رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغنا[٢] ـ يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النَّضْر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غيرُ واحدٍ من رجال قريش ، فتكلَّم رسولُ الله ﷺ فعرض له النضر ، فكلَّمه رسولُ الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨ ـ ١٠٠] . ثم قام رسولُ الله ﷺ ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قامَ النَّضْرُ بن الحارث لا بن عبد المطَّلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمدٌ أنَّا وما نعبدُ من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنَّم . فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : أما والله لو وجدتُه لخصَمْتُه ، فسلوا محمداً أكلُّ ما[٣] يُعبَدُ من دون الله حَصَب جهنم مع من عَبَدَه ؟ فنحن نعبدُ الملائكة ، واليهود تعبدُ عُزَيْراً ، والنصارى تعبدُ عيسى . فعجِبَ الوليدُ ومَنْ كان معه في المجلس من قول ابن الزِّبَعْرَى ! ورأَوْا أنه قد احتجَّ وخاصم . فذُكر ذلك لرسولِ الله ﷺ . فقال : « كلُّ مَن أحبَّ أن يُعبد من دونِ الله فهو مع مَنْ عبَدَهُ في النَّار ، إنَّهم إنما يعبدُون الشياطين ومن أمَرَتْهُمْ بعبادته » . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١ ـ ١٠٢] أيْ : عيسى وعُزَير ومَنْ عُبد من الأحبار والرُّهْبان الذينَ مضَوْا على طاعةِ الله تعالى . ونزَل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بناتُ الله ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦] . والآيات بعدَها ونزَل في إعجاب المشركين بقول ابن الزِّبَعْرَى ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ ـ ٥٨] وهذا الجدل الذي سَلَكُوه باطلٌ وهم يَعْلَمُون ذلك لأنهم قومٌ عَرَبٌ ومِنْ لُغتِهم أنَّ ما لما لا يعقل ، فقوله : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] إنما أُريدَ بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانتْ صورَ أصنامٍ ، ولا يتناولُ ذلك الملائكةَ الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيحَ ، ولا عُزيراً ، ولا أحداً من الصالحين لأنَّ اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنىً . فهم يعلمون أنَّ ما ضربوه بعيسى بنِ مريم من المَثَل جدلٌ باطلٌ كما قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ . ثم قال : ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ أي عيسى ﴿ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ أي بنبوَّتنا ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩] أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٨) والروض (٢/ ١٠٦) .

(٢) في سيرة ابن هشام والروض : فيما بلغني .

(٣) في ط : أكل من بعده . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

خلقنا حواءَ من ذكرٍ بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقْنا سائر بني آدم من ذكرٍ وأنثى كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي أَمارةً ودليلاً على قُدْرتنا الباهرة ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ ﴾ [مريم : ٢١] نرحم بها مَنْ نشاء .

وذكر ابن إسحاق[١] : الأخنس بن شَرِيق ونزول قوله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم : ١٠] الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال : أينزَّلُ على محمدٍ وأُترك وأنا كبيرُ قريش وسيِّدُها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمير[٢] الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين . ونزل قوله فيه ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٢] والتي بعدها .

وذكر[٣] أُبيَّ بن خلف حين قال لعقبة بن مُعَيط : ألم يَبْلُغْني أنك جالستَ محمداً وسمعتَ منه ، وَجْهي من وجهك حرام إلا أنْ تتْفُلَ في وجهه . ففعل ذلك عدوُّ الله عقبةُ لعنَهُ الله ، فأنزل الله ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان ٢٧ ـ ٢٨] والتي بعدها . قال : ومشى أُبَيُّ بن خلف بعظمٍ بالٍ قد أرَمَّ[٤] فقال : يا محمد ، أنت تزعمُ أن الله يبعث هذا بعدما أرمّ . ثم فتَّهُ بيده ثم نفخَهُ في الرِّيح نحو رسول الله ﷺ . فقال : « نعم ، أنا أقولُ ذلك ، يبعثُهُ الله وإيَّاك بعدَما تكونانِ هكذا ، ثم يُدخلكَ النار » . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨ ـ ٧٩] إلى آخر السورة .

قال : واعترضَ رسولَ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ وهو يطوف عند باب الكعبة ـ الأسودُ بن المغيرة ، وأميَّةُ بن خلف ، والعاص بن وائل فقالوا : يا محمد ، هَلُمَّ فلنعْبُدْ ما تعبد ، وتعبدُ ما نعبد ، فنشترك نحن وأنتَ في الأمر . فأنزل الله فيهم ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون : ١ ـ ٢] إلى آخرها .

ولما سمع أبو جهل بشجرة الزَّقُّوم . قال : أتدرون ما الزَّقُّوم ؟ هو تمر يثرب[٥] بالزُّبْد . ثم قال : هلمُّوا فلنتزقَّمْ . فأنزلَ الله تعالى ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ ـ ٤٤] .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٠) والروض (٢/ ١٠٧) .
(٢) في ح : عمرو بن عمرو وفي أصل ط : عمرو بن عمر والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٦١) واختلف فيمن نزلت هذه الآية ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ من بني ثقيف ؛ فقيل : نزلت بأبي مسعود عروة بن مسعود ، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، أو مسعود بن عمرو بن عمر الثقفي ، أو كنانة بن عمرو بن عمير . تفسير الطبري (١٣/ ٦٥) وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٤ ، ٣٧٥) في تفسير آية ٣١ من سورة الزخرف .
(٣) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦١) .
(٤) « أرمَّ » : بلي ؛ وفي السيرة : ارفتَّ . ومعناه تحطم وتكسَّر . اللسان (رمم ، رمُت) .
(٥) في ط : يضرب ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض . قال السهيلي في الروض (٢/ ١١٨) .

قال[١] : ووقف الوليد بن المغيرة فكلّم رسولَ الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلِّمُه وقد طَمِع في إسلامه فمرَّ به ابنُ أمِّ مكتوم ـ عاتكة بنت عبد الله بن عَنْكَثَة[٢] ـ الأعمى ، فكلَّم رسولَ الله ﷺ ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشقَّ ذلك عليه حتى أضْجَرَه ، وذلك أنه شغَلَهُ عمَّا كان فيه من أمْرِ الوليدِ وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً ، وتركه فأنزل الله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴾ [عبس : ١ ـ ١٤] .

وقد قيل : إنَّ الذي كان يحدِّث رسولَ الله ﷺ حين جاءه ابنُ أمِّ مكتوم أميةُ بن خلف . فالله أعلم .

ثم ذكر ابنُ إسحاق[٣] مَنْ عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلامُ أهلِ مكة ، وكان النقلُ ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أنَّ رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ [النجم : ١ ـ ٢] يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد مَنْ هناك مِنَ المسلمين والمشركين والجنِّ والإنس ، وكان لذلك سببٌ ذكرهُ كثيرٌ من المفسِّرين عند قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] وذكروا قصة الغَرَانِيق[٤] ، وقد أحببنا الإضرابَ عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها مَنْ لا يضَعُها على مواضيعها ، إلا أنَّ أصلَ القصة في الصحيح .

قال البخاري[٥] : حدَّثنا أبو معمر ، حدَّثنا عبد الوارث ، حدَّثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سَجَدَ النبيُّ ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنس .

انفرد به البخاري دون مسلم .

وقال البخاري[٦] : حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا غُنْدَر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ الأسود ، عن عبد الله قال : قرأ النبيُّ ﷺ والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد مَنْ معه غيرَ شيخٍ أخذَ كفّاً من حصاً ـ أو تراب ـ فرفعه إلى جَبْهَتِهِ وقال : يكفيني هذا ، فرأيتُه بعد [ذلك] قُتل كافراً .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة[٧] .

---

(١) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٣) والروض (٢/ ١٠٨) .

(٢) ليس ما بين المعترضتين في ح ولا في سيرة ابن هشام ، وهو في الروض وترجمته في الإصابة عمرو بن أم مكتوم ويقال : اسمه عبد الله .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٥) وما بعدها .

(٤) قصة الغرانيق باطلة .

(٥) فتح الباري (٤٨٦٢) التفسير باب فاسجدوا لله واعبدوا .

(٦) فتح الباري (١٠٦٧) سجود القرآن باب ما جاء في سجود القرآن وسنتها . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٧) صحيح مسلم (٥٧٦) (١٠٥) المساجد ومواضع الصلاة باب سجود التلاوة ، وسنن أبي داود (١٤٠٦) الصلاة باب=

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا إبراهيم ، حدَّثنا رباح ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن عكرمة بن خالد ، عن جعفر بن عبد المطلب بن أبي وَدَاعَة ، عن أبيه قال : قرأ رسولُ الله ﷺ بمكة سورةَ النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعتُ رأسي وأبَيْتُ أنْ أسجد ـ ولم يكن أسلم يومئذ المطلب ـ فكان بعد ذلك[٢] لا يسمعُ أحداً يقرؤها إلا سجد معه .

وقد رواهُ النَّسائي[٣] عن عبد الملك بن عبد الحميد ، عن أحمد بن حنبل به .

وقد يجمع بين هذا والذي قبلَه بأنَّ هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناهُ ابنُ مسعود لم يسجد بالكُلِّيَّة . والله أعلم .

والمقصود أنَّ الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعةً لرسولِ الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ، ولم يبق نزاعٌ بينهم . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرةَ الحبشة بها ، فظنُّوا صحة ذلك ، فأقبل منهم طائفةٌ طامعين بذلك . وثبتتْ جماعةٌ ، وكلاهما محسِنٌ مُصيبٌ فيما فعل ، فذكر ابن إسحاق[٤] أسماء مَنْ رجعَ ، منهم : عثمان بن عفان ، وامرأتُه رُقَيَّة بنتُ رسولِ الله ﷺ ، وأبو حُذَيفة ابن عُتبة بن رَبيعة ، وامرأته سَهْلَة بنت سُهَيل ، وعبد الله بن جَحْش بن رِئَاب ، وعُتْبَة بن غَزْوان ، والزُّبير بن العوَّام ، ومُصعب بن عُمير ، وسُوَيبط بن سعد ، وطُلَيب بن عمر ، وعبد الرحمن بن عَوْف والمِقْدَاد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأتُهُ أم سلمة بنت أبي أُمَيَّة بن المغيرة ، وشَمَّاس بن عثمان ، وسَلَمة بن هشام ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ـ وقد حُبسا بمكة حتى مضت بدرٌ وأُحُدٌ[٥] والخندق ـ وعمَّار بن ياسر ـ وهو ممَّنْ شُكَّ فيه أَخَرَجَ إلى الحبشة أمْ لا . ومُعَتِّب بن عوف ، وعثمان بن مَظْعون ، وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخُنَيْس بن حُذَافة ، وهشام بن العاص بن وائل ـ وقد حُبس بمكة إلى بعد الخندق ـ وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وعبد الله بن مَخْرَمة ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ـ وقد حُبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بَدْرا ـ وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم ، وامرأته أم كلثوم بنت سُهيل ، والسكران بن عمرو بن عبد شَمْس ، وامرأتُه سَوْدَة بنت زمعة ـ وقد ماتَ بمكة قبل الهجرة ، وخَلَف على امرأته رسولُ الله ﷺ ـ وسعد بن خَوْلَة ، وأبو عُبيدة بن الجرَّاح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسُهَيل بن بَيْضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح ، فجميعُهم ثلاثةٌ وثلاثونَ رجلاً رضي الله عنهم .

= من رأى فيها السجود ، وسنن النسائي (٩٥٩) الافتتاح باب السجود في والنجم .

(١) في مسنده (٣/ ٤٢٠) رقم (١٥٤٠٣ ـ ١٥٤٠٤) .

(٢) ليست اللفظة في مسند أحمد .

(٣) سنن النسائي (٩٥٨) الافتتاح باب السجود في والنجم ، وهو حديث صحيح .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٥) وما بعدها .

(٥) في ح ، ط : مضت بدراً واحداً ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

وقال البخاري[١] : وقالت عائشة : قال رسولُ الله ﷺ : « أُريتُ دارَ هجرتِكُمْ ذاتَ نخلٍ بينَ لابتَيْن » فهاجر مَنْ هاجر قِبَلَ المدينة ، ورجَعَ عامَّةُ مَنْ كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة ، فيه عن أبي موسى وأسماء رضي الله عنهما عن النبي ﷺ .

وقد تقدَّم حديثُ أبي موسى وهو في الصحيحيْن[٢] ، وسيأتي حديثُ أسماء بنت عُمَيس بعد فتح خيبر حين قَدِمَ مَنْ كان تأخَّر من مهاجرةِ الحَبَشةِ إنْ شاء الله وبه الثقة[٣] .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا يحيى بن حمَّاد : حدَّثنا أبو عَوَانة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنَّا نسلِّمُ على النبيِّ ﷺ وهو يصلِّي ، فيرُدُّ علينا ، فلما رجعنا من عند النَّجاشي سلَّمنا عليه فلم يرُدَّ علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، إنَّا كنَّا نسلِّمُ عليك فتردُّ علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي لم تردَّ علينا ؟ قال : « إنَّ في الصلاة شُغْلاً » .

وقد روى البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي من طرُق أُخَر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به[٥] ؛ وهو يقوِّي تأويل مَنْ تأوَّل حديثَ زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين[٦] : كنا نتكلَّم في الصلاة حتى نزلَ قوله : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فأُمِرْنا بالسُّكوت ونُهينا عن الكلام .

على أنَّ المراد جنس الصحابة ، فإنَّ زيداً أنصاريٌّ مدنيّ ، وتحريمُ الكلام في الصلاة ثَبَتَ بمكة ، فتعيَّنَ الحَمْلُ على ما تقدَّم . وأمَّا ذكْرُه الآية وهي مدنيَّة فمشكل ، ولعلَّه اعتقدَ أنَّها المحرِّمة لذلك ، وإنما كان المحرِّم له غيرُها معها ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٧] : وكان ممن دخل معهم بِجِوَارٍ ؛ عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوارِ خاله أبي طالب ، فإنَّ أُمَّهُ بَرَّة بنتَ عبد المطَّلب . فأما عثمان بن

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٨٦) مناقب الأنصار بهجرة الحبشة . هكذا رواه هنا معلقاً مجزوماً ، وأخرجه موصولاً في باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (٣٩٠٥) عن عائشة في حديث طويل . وأخرجه أيضاً في (٢٢٩٧) الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده .

(٢) تقدم حديث أبي موسى في ص(٢٨٨ ح٦) ، وروايته التامة في فتح الباري (٣٨٧٦) مناقب الأنصار وباب هجرة الحبشة ، وصحيح مسلم (٢٥٠٢) (١٦٩) فضائل الصحابة باب فضائل جعفر بن أبي طالب .

(٣) سيأتي في (٤/ ٢٠٥) ط .

(٤) فتح الباري (٣٨٧٥) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة .

(٥) فتح الباري (١١٩٩) العمل في الصلاة باب ما ينهى من الكلام في الصلاة و(١٢١٦) باب لا يرد السلام في الصلاة ، وصحيح مسلم (٥٣٨) (٣٤) المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ، وسنن أبي داود (٩٢٣) الصلاة باب رد السلام في الصلاة ، وسنن النسائي (١٢٢١) السهو باب الكلام في الصلاة .

(٦) فتح الباري (١٢٠٠) العمل في الصلاة باب ما ينهى من الكلام في الصلاة ، و(٤٥٣٤) التفسير باب وقوموا لله قانتين ، وصحيح مسلم (٥٣٩) (٣٥) المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة .

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٩) .

مظعون فإنَّ صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدَّثني عمن حدَّثه عن عثمان قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحابُ رسولِ الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويغدو في أمانٍ من الوليد بن المغيرة قال : والله إنَّ غُدُوِّي ورَوَاحي في جوار رجلٍ من أهل الشِّرْك ، وأصحابي وأهلُ ديني يَلْقَوْنَ من البلاء والأذى في الله ما لا يُصيبني لنقصٌ كبير[1] في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفَتْ ذِمَّتُك ، وقد رددتُ إليك جِوارَك . قال : لِمَ يا ابنَ أخي ؟ لعلَّه آذاك أحدٌ من قومي ! قال : لا ، ولكنِّي أرضَى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره . قال : فانطلقْ إلى المسجد فارْدُدْ عليَّ جوارِي علانيةً كما أجَرْتُكَ علانيةً . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يردُّ عليَّ جواري . قال : صَدَقَ ، قد وجدْتُه وفيّاً كريم الجِوار ، ولكنِّي قد أحببتُ أنْ لا أستجيرَ بغيرِ الله فقد رددتُ عليه جِواره . ثمَّ انصرف عثمان رضي الله عنه ولَبيدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلسٍ من قريش يُنشدِهُم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد : [من الطويل]

* ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ *

فقال عثمان : صَدَقْت . فقال لَبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ[2] *

فقال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنَّةِ لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يُؤذَى جليسُكُم ، فمتى حدَثَ هذا فيكم ؟ فقال رجلٌ من القوم : إنَّ هذا سَفِيه في سفهاءَ معه قد فارقوا دينَنا ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك من قوله . فردَّ عليه عثمان حتى شَرِيَ أمْرُهما[3] ، فقام إليه ذلك الرجل ولطَمَ عَيْنَه فخضَّرَها والوليد بن المغيرة قريب يَرَى ما بلغ عثمان . فقال : أما والله يا ابن أخي إنْ كانت عينُك عمَّا أصابها لغَنِيَّة ، ولقد كنت في ذمَّةٍ منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ، إنَّ عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها في الله ، وإني لفي جوارِ مَنْ هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلمَّ يا بن أخي إلى جوارك فعُدْ . قال : لا .

قال ابن إسحاق[4] : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدَّثني أبي إسحاقُ بن يسار ، عن سَلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، أنه حدَّثه أنَّ أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجالٌ من بني مَخْزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، هلاً[5] منعت منا ابنَ أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منَّا ؟ قال : إنَّه استجار بي ، وهو ابنُ أُختي ، وإنْ أنا لم أمنعِ ابنَ أختي لم أمنع ابن أخي . فقام أبو لهب فقال : يا معشر

---

(١) في ح ، ط : كثير ، والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٢) البيت في شرح ديوان لبيد (ص ٢٥٦) من قصيدة يرثي فيها النعمان بن المنذر ، وتخريجه فيه (ص٣٨٩) .
(٣) « شري أمرهما » : أي عظم وتفاقم ولجُّوا فيه . النهاية لابن الأثير (شري) .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧١) والروض (٢/ ١٢١) .
(٥) في سيرة ابن هشام : لقد منعت . . .

قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهنَّ أو لنقومنَّ معه في كلِّ ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتيبة[1] . وكان لهم وليّاً وناصراً على رسولِ الله ﷺ فأبقَوْا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقولُ ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأنِ رسولِ الله ﷺ ، فقال أبو طالب يُحرِّضُ أبا لهبٍ على نصرتِه ونصرةِ رسولِ الله ﷺ[2] :

[من الطويل]

وإنَّ امـــرءاً أبـــو عُتَيْبـــة عمُّـــهُ ... لفـي روضـةٍ مـا إنْ يُسَـامُ المظـالمـا
أقــول لــهُ ، وأيــنَ منــه نَصِيحتــي ... أبـا مُعْتـبٍ ثبِّـتْ سَـوادك قـائمـا
ولا تقبلَــنَّ الــدهــرَ مــا عشــتَ خُطَّــةً ... تُسَـبُّ بهـا إمَّـا هبطْـتَ المـواسمـا
ووَلِّ سبيــلَ العجــز غيــرَك منهــمُ ... فـإنـك لـم تُخلـقَ علـى العجـزِ لازمـا
وحاربْ فإنَّ الحربَ نِصْفٌ ولن ترى ... أخا الحرب يُعطى الخَسْفَ حتى يسالما
وكيــفَ ولــم يَجْنُــوا عليــكَ عظيمــةً ... ولـم يخـذلـوك غـانمـاً أو مُغـارمـا
جــزى اللهُ عنَّــا عبــدَ شمــسٍ ونَــوْفَــلاً ... وتَيْمـاً ومخـزومـاً عُقُـوقـاً ومَـأثمـا
بتفــريقهــمْ مــن بعــدِ وُدٍّ وأُلفــةٍ ... جمـاعتَنـا كيمـا ينـالـوا المحـارِمـا
كــذبتــم وبيــتِ الله نُبْــزَى محمــداً ... ولما ترَوْا يوماً لدى الشِّعْبِ قائماً[3]

قال ابن هشام : وبقى منها بيتٌ تركناه .

ذكر عَزْم الصدِّيق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق[4] : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدَّثني محمد بن مسلم الزُّهْري ، عن عروة ، عن عائشة حين ضاقَتْ عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى ، استأذنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فأذِنَ له ، فخرج أبو بكرٍ رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً ـ أو يومين ـ لقيَهُ ابنُ الدُّغُنَّة[5] أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو

---

(١) في ط وسيرة ابن هشام : عتبة ، والمثبت من ح .
(٢) لم أجد الأبيات في ديوان شيخ الأباطح .
(٣) انظر صدر هذا البيت في (ص٢٦٤ موضع ح٤) .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٢) والروض (٢/ ١٢١) .
(٥) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٣٣) : ابن الدغنة : بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة ، وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون ؛ قال الأصيلي وقرأه لنا المروزي بفتح الغين . وقيل : إن ذلك لاسترخاء في لسانه والصواب الكسر ، وثبت بالتخفيف والتشديد من طريق ، وهي أمه وقيل أم أبيه وقيل دابته ، ومعنى الدغنة المسترخية وأصلها الغمامة الكثيرة المطر .

يومئذ سيد الأحابيش[١] فقال[٢] : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرَجني قومي وآذَوْني وضيَّقُوا عليَّ قال : ولم ؟ فوالله إنَّك لتزيِّنُ العشيرة ، وتُعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسِبُ المعدوم ؛ ارجعْ فإنك في جوَارِي . فرجع حتى إذا دخل مكة قام ابنُ الدُّغُنَّة فقال : يا معشر قريش ، إني قد أجرتُ ابنَ أبي قُحافة فلا يعرِضْ له[٣] أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفُّوا عنه . قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصبيانُ والعبيد والنساء يَعْجَبُون لما يَرَوْنَ من هيئته ! قالت : فمشى رجالٌ من قريش إلى ابنِ الدُّغُنَّة فقالوا : يا ابنَ الدُّغُنَّة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذيَنا ، إنه رجلٌ إذا صلَّى وقرأ ما جاء به محمد يَرِقّ ، وكانت له هيئة ، ونحن نتخوَّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يَفْتِنَهم ، فأْتِهِ فمُرْهُ بأن يدخل بيته فليصنَعْ فيه ما شاء . قالت : فمشى ابن الدُّغُنَّة إليه فقال : يا أبا بكر ، إني لم أُجِرْكَ لتؤذيَ قومَك . وقد[٤] كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذَّوْا بذلك منك ، فادْخُلْ بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أوَ أردّ عليك جوارك وأرْضَى بجوارِ الله ؟ قال : فارْدُدْ عليَّ جواري . قال : قد ردَدْتُه عليك . قالت : فقام ابنُ الدُّغُنَّة فقال : يا معشر قريش ، إنَّ ابنَ أبي قُحَافة قد ردَّ علي جواري فشأنكم بصاحبكم .

وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث متفرداً به ، وفيه زياداتٌ حسنة ، فقال[٥] : حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدَّثنا الليث ، عن عُقَيل ، قال ابن شهاب[٦] : فأخبرني عروة بن الزُّبير أنَّ عائشة زوجَ النبيِّ ﷺ قالت : لم أعْقِلْ أبويَّ[٧] قط إلا وهما يَدِينان الدِّين ، ولم يَمُرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرَفي النهار بُكْرَةً وعشيَّة ، فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد ، لَقِيَهُ ابنُ الدُّغُنَّة ـ وهو سيدُ القارَة ـ فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي

---

(١) في ح : القارَة ، وسيأتي ، والقارة : قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة كما في جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٨٨ ، ١٩٠) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣) وفتح الباري (٧/ ٢٣٣) .

(٢) زادت ط ما نصه : قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلي : اسمه مالك . قلت : جعلتُ هذه الزيادة في الحاشية لأنها ليست في ح ، من جهة ولا يعقل أن تكون من ابن إسحاق لتقدمه على الواقدي والسهيلي من جهة أخرى ، ثم إن ابن كثير ينقل عن ابن إسحاق وهو ما جاء في سيرة ابن هشام الذي أحلت عليه في أول الخبر . وقول السهيلي هذا في الروض (٢/ ١٢٧) أما قول الواقدي فلم أجده في طبقات ابن سعد . ولعل هذه الزيادة كانت تعليقاً في الحاشية على الكتاب فأدخلها بعض النساخ إلى المتن . والله أعلم .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣) : فلا يعترض إليه .

(٤) في ح : أي قد وفي سيرة ابن هشام : إنهم قد . وهو أشبه .

(٥) فتح الباري (٣٩٠٥) مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ، وساقه مختصراً في (٤٧٦) الصلاة باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس .

(٦) في ط : قال ابن هشام . تحريف ، والمثبت من ح وفتح الباري . وعُقيل هو ابن خالد بن عقيل الأيلي الأموي مولى عثمان ، ترجمته في تهذيب التهذيب ، يروي عن ابن شهاب الزهري وعنه الليث بن سعد .

(٧) في ح ، ط : أبواي ، والمثبت من فتح الباري .

فأريد أنْ أسيحَ في الأرض فأعبدَ ربِّي . فقال ابنُ الدغنَّة : فإنَّ مثلكَ يا أبا بكر لا يخرجُ ولا يُخرَجُ مثله ، إنك تَكْسِبُ المعدوم ، وتصِلُ الرَّحِم ، وتحمِلُ الكَلّ ، وتَقْري الضيف ، وتُعينُ على نوائب الحق . وأنا لك جارٌ فاعبُدْ ربَّك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابنُ الدُّغُنَّة ، وطافَ ابنُ الدغنَّة عشيةً في أشراف قريش فقال لهم : إنَّ أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلُه ولا يُخرج ، أتُخْرِجون رجلاً يكسِبُ المعدوم ، ويصلُ الرَّحِم ، ويحمِلُ الكَلَّ ، ويَقْري الضيف ، ويُعين على نوائب الحق ؟ فلم تُكذِّبْ قريشٌ بجوارِ ابنِ الدغُنَّة وقالوا لابن الدُّغُنَّة : مُرْ أبا بكر فلْيعبُدْ ربَّه في داره ويصلِّ فيها ولْيقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلنْ به ، فإنا نخشى أنْ يفتِنَ نساءنا وأبناءنا . فقال ابنُ الدغنَّة ذلك لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبُدُ ربَّه في داره ، ولا يستعلنُ بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره ، ثم بَدَا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفِناءِ دارِه ، وكان يصلِّي فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذَّفُ[1] عليه نساءُ المشركينَ وأبناؤهم [وهم] يعجبونَ منه وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملكُ عينَيْهِ إذا قرأ القرآن ، فأفزَعَ ذلك أشرافَ قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغُنَّة فقدِم عليهم ، فقالوا : إنَّا كنَّا أجرْنا أبا بكر بجوارك على أن يعبُدَ ربَّه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفِناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءةِ فيه ، وإنَّا قد خَشِينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانْهَهُ ، فإنْ أحبَّ على أنْ يقتصرَ أنْ يعبُدَ ربَّه في دارِه فعل ، وإنْ أبَى إلا أنْ يُعلن ذلك فسلْه أن يرُدَّ عليك ذِمَّتكَ ، فإنَّا قد كرِهنا نخفرك ، ولسنا مُقِرِّين لأبي بكرٍ الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابنُ الدغُنَّة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي قد عاقدتُ عليه قريش ، فإمَّا أن تقتصرَ على ذلك وإمَّا أنْ تردَّ إليَّ ذمَّتي ، فإنِّي لا أحبُّ أن تسمعَ العربُ أنِّي أُخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له . فقال أبو بكر : فإني أرُدُّ عليك جوارك وأرضى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ .

ثم ذكر تمامَ الحديث في هجرة أبي بكرٍ رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتي مبسوطاً[2] .

قال ابنُ إسحاق[3] : وحدَّثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق قال : لقيه ـ يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابنِ الدُّغُنَّة ـ سَفيهٌ من سفهاء قريش وهو عامدٌ إلى الكعبة ، فحَثَا على رأسه تراباً ، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة ـ أو العاص بن وائل ـ فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألا ترى ما يصنعُ هذا السَّفيه ؟ فقال : أنت فعلتَ ذلك بنفسك . وهو يقول : أي ربِّ ما أحْلَمَكَ ! أي ربِّ ما أحلمك ! أي رب ! ما أحلمك !

---

(١) في ح : وكان نساء المشركين ، والمثبت من النسخة المصرية بدلالة ط ، وفتح الباري ، وما يأتي بين معقوفين منه ، قال ابن حجر (٧/ ٢٣٤) : قوله فيتقذف ، بالمثناة والقاف والذال المعجمة الثقيلة ، تقدم في الكفالة بلفظ : فيتقصف . أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر ، وأطلق يتقصف مبالغة . قال الخطابي : هذا هو المحفوظ ، وأما يتقذف فلا معنى له إلا أن يكون من القذف أي يتدافعون فيقذف بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه فيرجع إلى معنى الأول .

(٢) سيرد في ص(٤٤٨) موضع الحاشية (١) من هذا الجزء .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٤) والروض (٢/ ١٢٢) .

فصـــل

كلُّ هذه القصص ذكرها ابنُ إسحاق معترضاً بها بين تعاقُدِ قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصْرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها ، وهي أمورٌ مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعيُّ رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيالٌ على ابن إسحاق .

ذكر نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق[١] : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثمَّ إنَّه قام في نقضِ الصحيفة نفرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حُبَيْب[٢] بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابنَ أخي نَضْلَةَ بن هاشم بن عبد مناف لأُمه ، وكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرفٍ في قومه ، فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشِّعْب ليلاً ، قد أوقره طعاماً ، حتى إذا بلغ به فمَ الشِّعْب خلَع خِطَامه من رأسه ثم ضرب على جَنْبَيْه فدخل الشعبَ عليهم . ثم يأتي به قد أوقره بزّاً[٣] فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنَّه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[٤] بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير ، أقد رضيتَ أنْ تأكلَ الطعام وتلبس الثياب وتَنْكِحَ النساء وأخوالُك حيثُ علمتَ لا يُباعون ولا يُبتاع منهم ، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم ؟ أمَا إنِّي أحْلِفُ بالله لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام ثم دعوتَهُ إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ، والله لو كان معي رجلٌ آخر لقمتُ في نَقْضِها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابْغِنَا ثالثاً . فذهب إلى المُطْعِم بن عدي فقال له : يا مُطْعِم أقد رضيتَ أن يَهْلِكَ بَطْنان من بني عبْد مناف وأنت شاهدٌ على ذلك موافق لقريش فيه ، أما

---

(١) السير والمغازي (ص١٦٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٤) ـ واللفظ له ـ والروض (٢/ ١٢٢) .

(٢) اختلف في ضبطه : حُبَيْب بياء مخففة أم : حُبَيِّب بالتثقيل . انظر الإكمال (٢/ ٢٩٥) وحاشية المعلمي اليماني عليه رقم (٣) ص(٢٩٦ ، ٢٩٧) .

(٣) قال السهيلي في الروض : (٢/ ١٢٧) : بزاً ، بالزاي المعجمة ، وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر : براً ؛ وفي رواية يونس : بزاً أو براً على الشك من الراوي .

(٤) في ح ، ط : عمرو ، والمثبت من السير والمغازي وسيرة ابن هشام .

والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنَّهم إليها منكم سراعاً ، قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ، قال : قدْ وجدتُ لك ثانياً . قال : مَنْ ؟ قال أنا ؟ قال : ابْغِنَا ثالثاً . قال : قد فعلتُ . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : ابْغِنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البَخْتَرِيِّ بن هشام فقال نحو ما قال للمُطْعِم بن عَدِي ؛ فقال : وهل تجد أحداً يُعينُ على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمُطْعِم بن عَدِيّ وأنا معك . قال : ابْغِنَا خامساً . فذهب إلى زَمَعَةَ بنِ الأسودِ بن المطلب بن أسد فكلَّمه وذكر له قرابتَهم وحقَّهم . فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه مِنْ أحد ؟ قال : نعم . ثم سمَّى القوم . فاتعدوا خَطْمَ الحَجُون[1] ليلاً بأعلى مكة . فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقُضُوها . وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أوَّلَ مَنْ يتكلَّم . فلما أصبحوا غدَوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهيرُ بن أبي أمية عليه حُلَّة ، فطاف بالبيت سبعاً ثمَّ أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكلُ الطعامَ ، ونَلْبَسُ الثياب ، وبنو هاشم هَلْكَى لا يبتاعونَ ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل ـ وكان في ناحيةِ المسجد ـ : والله لا تُشَقّ . قال : زَمَعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابَها حين كُتبت . قال أبو البَخْتَري : صدق زَمَعة ، لا نرضى ما كُتب فيها ولا نُقِرُّ به . قال المُطْعِم بن عدي : صدقتما وكذبَ مَنْ قال غيرَ ذلك ، نبرأُ إلى الله منها ومما كُتب فيها . قال هشام بن عمرو نَحْواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمْرٌ قد قُضِيَ بليل ، تُشوور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالسٌ في ناحيةِ المسجد ، وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقَّها فوجد الأَرَضَة قد أكلَتْها إلا « باسمكَ اللهمّ » وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عكرمة ، فشَلَّتْ يدُهُ فيما يزعمون .

قال ابن هشام[2] : وذكر بعضُ أهل العلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي طالب : « يا عم ، إنَّ الله قد سلَّط الأَرَضَة على صحيفةِ قريش ، فلم تدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتَتْه فيها ، ونفت منها الظُّلم والقطيعة والبُهْتان » . فقال : أرَبُّكَ أخبرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثمَّ خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إنَّ ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا ، فهلمَّ صحيفتكم ، فإنْ كانتْ كما قالوا فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإنْ كان كاذباً دفعتُ إليكم ابنَ أخي . فقال القوم : قد رَضِينا . فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسولُ الله ﷺ فزادهم ذلك شرّاً ، فعند ذلك صنع الرَّهْطُ من قريش في نَقْض الصحيفة ما صنعوا .

---

(١) « الحجون » : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها ، وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف . وقال الأصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) وخطمُه : مقدمة أنفه ، اللسان (خطم) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٧) والروض (٢/ ١٢٤) .

قال ابن إسحاق[١] : فلما مُزِّقتْ وبطلَ ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمْرِ أولئك القوم الذين قاموا في نَقْض الصحيفةِ يمدحُهم : [من الطويل]

ألا هـل أتَـى بَحْـرِيِّنـا صُنْـعُ ربِّنـا ... علـى نـأيِهـم واللهُ بـالنـاسِ أرْوَدُ[٢]

فيُخبِـرَهـم أنَّ الصحيفـة مُـزِّقـت ... وأنْ كـلُّ مـا لـم يـرضَـهُ اللهُ مُفْسَـدُ

تـراوحهـا إفْـكٌ وسِحْـرٌ مجمَّـع ... ولم يُلْفَ سِحْر آخرَ الدهرِ يصعد[٣]

تـداعـى لها مَن ليس فيها بقرقرٍ ... فطـائـرُهـا فـي رأسِهـا يتـردَّدُ[٤]

وكـانـت كفـاءً وقعـةً بـأثيمـةٍ ... ليُقطَـعُ منهـا سـاعـدٌ ومقلَّـدُ[٥]

ويظعـنُ أهـل المَكَّتيـن فيهـربـوا ... فـرائصُهـم مـن خشيـةِ الشرِّ تُـرْعَـدُ

ويتـرك حـرَّاثٌ يقلِّـب أمْـرَهُ ... أيُتْهِـمُ فيهـم عنـدَ ذاك ويُنْجِـدُ[٦]

[وتصعـد بيـن الأخشبَيْـنِ كتيبـةٌ ... لها حُدُجٌ سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَدُ][٧]

فمَـنْ ينْـشَ مـن حُضَّـارِ مكـةَ عِـزَّةً ... فعـزّتنـا فـي بطـنِ مكَّـة أتلـدُ[٨]

نشـأنـا بهـا والنـاسُ فيهـا قـلائـلٌ ... فلـم ننفكِـكْ نـزدادُ خيـراً ونُحمـدُ

---

(١) السير والمغازي (ص١٦٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٧) والروض (٢/ ١٢٤) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٢٨) : بحريِّنا : يعني الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . . . أروَد : أي أرفق ؛ ومنه : رويدك ، أي رفقاً ، جاء بلفظ التصغير لأنهم يريدون به تقليلاً ؛ أي أرفق قليلاً ، اهـ .

(٣) في ح : ترى أوجهاً ، وفي السيرة والمغازي : تداعى لها ، وفي ح ، ط : يلف سحراً . والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٤) « من ليس فيها بقرقر » : أي ليس بذليل ، لأن القرقر : الأرض الموطوءة التي لا يمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذي هزل ، لأن القرقرة الضحك . وقوله : وطائرها في رأسها يتردد : اي حظها من الشؤم والشر ، وفي التنزيل : ﴿ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ .

(٥) في سيرة ابن هشام والروض : رقعة بأثيمة .

(٦) في ط : أيتهم فيها . والمثبت من ح والسيرة والروض .

(٧) سقط البيت من ح ويبدو أنه سقط من المصرية أيضاً لأنه وضع بين معقوفين في ط . وأثبتناه من السيرة والروض ، وشرحه السهيلي (٢/ ١٢٨) نقلاً عن حاشية الكناني بقوله : لعل « حُدُج » بضم الحاء والدال جمع « حِدْج » وهو من مراكب النساء ونظير سِتْر وسُتُر ، فيكون المعنى : إن الذي يقوم لها مقام الحدُج سهم وقوس ومرهد . ثم قال : وفي العين : الحَدْج : حسك القطب ما دام رطباً ، فيكون الحدج في البيت مستعاراً من هذا ، أي لها حسك ، ثم فسره فقال : سهم وقوس ومِرْهد ، وهكذا في الأصل بالراء وكسر الميم ، فيحتمل أن يكون مقلوباً من مرهد : مفعل من رهد الثوب إذا مزقه ، ويعني به رمحاً أو سيفاً ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرهيد ، وهو الناعم ، أي ينعم صاحبه بالظفر . وفي بعض النسخ : مزهد بفتح الميم والزاي ، فإن صحت الرواية به فمعناه : مزهد في الحياة وحرص على الممات . والله أعلم . اهـ .

(٨) في السيرة والروض : مكة عزُّه .

ونُطعِمُ حتى يتركَ الناسُ فضلَهم ... إذا جَعلت أيدي المُفيضينَ تُرعَدُ[١]

جزى الله رهطاً بالحَجُون تجمَّعوا[٢] ... على مَلأٍ يَهدي لحزمٍ ويُرشد

قعوداً لدىٰ خَطْم الحجُونِ كأنهم ... مَقَاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجدُ[٣]

أعانَ عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا ما مشى في رَفْرَفِ الدِّرْع أحْرَدُ[٤]

جَرِيءٌ على جَلّ[٥] الخطوبِ كأنه ... شهابٌ بكفَّيْ قابسٍ يتوقَّدُ

من الأكرمينَ من لؤيِّ بن غالبٍ ... إذا سيمَ خسفاً وجهُه يتربَّدُ[٦]

طويلُ النِّجادِ خارجٌ نصفُ ساقِهِ ... على وجهه يَسقي الغمامُ ويُسْعِدُ

عظيمُ الرمادِ سيّدٌ وابنُ سيّدٍ ... يحُضُّ على مقرى الضيوفِ ويحشِدُ

ويبني لأبناءِ العشيرةِ صالحاً ... إذا نحنُ طُفنا في البلادِ ويمهَدُ

ألظَّ بهذا الصلحِ كلُّ مُبَرَّإٍ[٧] ... عظيمِ اللواءِ أمرُه ثمّ يُحمدُ

قضوا ما قضوا في ليلِهم ثم أصبَحوا ... على مَهَلٍ وسائرُ الناس رُقَّدُ

همُ رجعوا سهلَ بن بيضاءَ راضياً ... وسُرَّ أبو بكرٍ بها ومحمَّد

متى شُرِكَ الأقوامُ في حلِّ أمرنا ... وكنّا قديماً قبلَها نتودَّدُ[٨]

وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... وندركُ ما شِئنا ولا نتشدَّدُ

فيالَ قُصَيٍّ هل لكُم في نفوسِكم ... وهلْ لكُمُ فيما يجيءُ به غَدُ

فإني وإياكُم كما قالَ قائلٌ ... لديكَ البيانُ لو تكلّمتَ أسودُ[٩]

---

(١) « ترعد » : يعني أيدي المفيضين بالقداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخي . . . يريد أبو طالب إنهم يطعمون إذا بخل الناس . والميسر هي الجزور التي تقسم ؛ يقال : يسرت إذا قسمت . الروض (٢/ ١٢٩) .

(٢) في السيرة والروض : تبايعوا .

(٣) مضى شرح المقاول (ص٢٦٢ ح١) . وخطم الحجون (ص٣٢٢ ح١) .

(٤) « رفرف الدرع » : فضولها ، وقيل في معنى : رفرف خضر : فضول الفرش والبسط ، وهو قول ابن عباس ، وعن علي أنها المرافق ، وعن سعيد بن جبير : الرفارف رياض الجنة . والأحرد : الذي في مشيه تثاقل ، وهو من الحرَد ، وهو عيب في الرِّجل .

(٥) في السيرة والروض : جُلّى .

(٦) في ح : ابن لؤي .

(٧) « ألظ » : من الإلظاظ ، وهو الإلحاح كما في مختار الصحاح (لظظ) ، وفي ط والسيرة والروض : كل مبرأ . والمثبت من ح .

(٨) في السيرة والروض : جل أمرنا بالجيم ، وتقرأ في ح : متى يشرك لكنها من غير نقط .

(٩) « أسود » : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلاً . الروض (٢/ ١٢٩) . وقد زادت (ط) بعد هذا البيت ما نقلتُه هنا عن السهيلي في الروض ، وزادت فيه قوله : أي يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عمن قتلته .

ثمَّ ذكر ابن إسحاق[١] شعر حسان يمدحُ المُطْعِمَ بن عديّ ، وهشامَ بن عمرو لقيامهما في نقضِ الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة .

وقد ذكر الأموي هاهنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أوردَهُ ابنُ إسحاق .

وقال الواقدي : سألتُ محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : في السنة العاشرة ـ يعني من البعثة ـ قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عمُّ رسولِ الله ﷺ ، وزوجتُه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيانُ ذلك إن شاء الله تعالى .

فصــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمَّنُ نَصْبَ عداوة قريش لرسولِ الله ﷺ ، وتنفير أحياءِ العرب والقادمين إلى مكة لحجٍّ أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهار الله المعجزاتِ على يديه دلالةً على صدقه فيما جاءهم به من البيناتِ والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقوُّل ، واللهُ غالبٌ على أمره ، فذكر قصةَ الطفيل بن عمرو الدَّوْسي مرسلة[٢] ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دَوْس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشرافُ قريش وحذَّروه من رسول الله ﷺ ونهَوْهُ أن يجتمع به أو يسمع كلامه ؛ قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمعَ منه شيئاً ولا أكلِّمه ، حتى حشَوْتُ أُذنيَّ حين غدوتُ إلى المجسد كُرْسُفاً[٣] ، فَرَقاً من أنْ يبلُغَني شيءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه . قال : فغدوتُ إلى المسجد فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلِّي عند الكعبة ؛ قال : فقمتُ منه قريباً فأبَى اللهُ إلا أن يُسمعَني بعضَ قوله ، قال : فسمعتُ كلاماً حسناً . قال : فقلتُ في نفسي : واثكل أُمِّي ، والله إني لرجلٌ لَبيبٌ شاعر ما يَخْفَى عليَّ الحسَنُ من القبيح ، فما يمنعُني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلتُه ، وإنْ كان قبيحاً تركته .

قال : فمكثتُ حتى انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته فاتبعتُه ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه فقلت : يا محمد ، إنَّ قومك قالوا لي كذا وكذا ـ الذي قالوا ـ قال : فوالله ما بَرِحوا بي يُخَوِّفونني أمرَك حتى سددتُ أُذنيَّ بكُرْسُفٍ لئلا أسمع قولك ، ثم أبَى اللهُ إلا أن يُسمعني قولك ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعرضْ عليَّ أمرك . قال : فعرض عليَّ رسولُ الله ﷺ الإسلام وتلا عليَّ القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٠) والروض (٢/ ١٢٥) .
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٢) والروض (٢/ ١٣٠) .
(٣) « الكرسف » : القطن . النهاية لابن الأثير (كرسف) .

أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه . قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق وقلت : يا نبيَّ الله ، إني امرؤٌ مطاعٌ في قومي ، وأنا[١] راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادْعُ اللهَ أنْ يجعلَ لي آيةً تكونُ لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه . قال فقال : « اللهمَّ اجعلْ له آية » .

قال : فخرجتُ إلى قومي ، حتى إذا كنت بثنيَّةٍ تطلعُني على الحاضِر[٢] ، وقع بين عينيّ نورٌ مثلُ المِصْباح . قال فقلت : اللهمَّ في غير وَجْهي ، فإني أخشى أن يظنُّوا أنَّها[٣] مثلة وقعَتْ في وجهي لفراقي دينَهم . قال : فتحوَّل فوقع في رأسِ سَوْطي قال : فجعل الحاضرُ يتراءَوْن ذلك النورَ في رأس سَوْطي كالقنديل المعلَّق وأنا أتهبَّطُ[٤] عليهم من الثنيَّة حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

فلما نزلتُ أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فقلت : إليك عني يا أبة فلستُ منك ولستَ مني . قال : ولمَ يا بني ؟ قال : قلت : أسلمتُ وتابعتُ دين محمد ﷺ قال : أي بني ، فدينك ديني[٥] . فقلت : فاذهبْ فاغتسلْ وطهِّرْ ثيابك ثم ائتني حتى أعلِّمك مما عُلِّمت . قال : فذهبَ فاغتسل وطهَّر ثيابه ، ثمَّ جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسلم .

قال ثم أتتني صاحبتي فقلت : إليكِ عني ، فلستُ منكِ ولستِ مني . قالت : لم بأبي أنت وأُمِّي ؟ قال : قلت : فرَّق بيني وبينكِ الإسلام ، وتابعتُ دينَ محمد ﷺ قالت : فديني دينُك . قال : فقلت فاذهبي إلى حنا[٦] ذي الشَّرَى فتطهَّري منه ـ وكان ذو الشرى صنماً لدَوْس ، وكان الحمى حِمى حمَوْهُ له ، به وشَلٌ[٧] من ماءٍ يهبط من جبل ـ قالت : بأبي أنتَ وأُمِّي ، أتخشى على الصبيَّة من ذي الشَّرَى شيئاً ؟ قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك . قال : فذهبَتْ فاغتسلتْ ثمَّ جاءتْ ، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمتْ .

ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلام فأبطؤوا عليَّ ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ بمكة . فقلتُ : يا رسول الله ، إنه قد غلبني على دوسٍ الزِّنا فادْعُ اللهَ عليهم . قال : « اللهمَّ اهدِ دَوْساً ، ارْجِعْ إلى قومك فادْعُهم وارْفُقْ

---

(١) في ط : وإني .

(٢) « الحاضر » : القوم النزول على ماءٍ يقيمون به ولا يرحلون عنه . ويقال للمناهل المَحَاضر ، للاجتماع والحضور عليها . النهاية لابن الأثير (حضر) .

(٣) في ح ، ط : يظنوا بها ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) « أتهبَّط » : أي أتحدَّر . هكذا جاء في الرواية وهو بمعنى نهبط وأهبط . النهاية لابن الأثير (هبط) .

(٥) في ح : ديني دينك ، وفي السيرة : فديني دينك .

(٦) في ط : حمى ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض . قال السهيلي (٢/ ١٣٦) : حنا ذي الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حمى ، وهو موضع حموه لصنمهم ذي الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون تبدل من الميم ، كما قالوا : حلان وحلام للجَدي . ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن محنية الوادي ، وهو ما انحنى منه . اهـ .

(٧) « الوشل » : القليل من الماء ، وما بين معترضين هو قول ابن هشام كما في سيرته .

بهم » . قال : فلم أزلْ بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندق ، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ، ورسولُ الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دَوْس ، فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزلْ مع رسولِ الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يا رسول الله ، ابعثْني إلى ذي الكفَّيْن ، صنم عمرو بن حُمَمَة حتى أُحرقه .

قال ابن إسحاق[١] : فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يُوقدُ عليه النار يقول : [من الرجز]

يا ذا الكَفَينِ لستُ من عُبَّادكا[٢]

مِيلادُنا أقْدَمُ من مِيلادكا

* إني حشَوْتُ النارَ في فؤادكا *

قال : ثم رجع رسولُ الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قُبض رسولُ الله ﷺ ، فلما ارتدَّتِ العرب خرج الطُّفيل مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طُليحة ومن أرض نَجْدٍ كلِّها ، ثمَّ سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطُّفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجِّهٌ إلى اليمامة فقال لأصحابه : إنِّي قد رأيتُ رؤيا فاعْبُروها لي ؛ رأيتُ أنَّ رأسي حُلق وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيَتْني امرأةٌ فأدخلَتْني في فَرْجها ، وأرى ابني يطلُبني طلباً حثيثاً ، ثم رأيتُه حُبس عني ؟ قالوا : خيراً ، قال : أمَّا أنا والله فقد أوَّلْتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمَّا حلْق رأسي فوضْعُه ، وأما الطائر الذي خرج منه فرُوحي ، وأمَّا المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تُحفَرُ لي فأُغيَّبُ فيها . وأما طلَبُ ابني إيَّاي ثم حَبْسه عني ، فإنِّي أراه سيجتهد أنْ يصيبه ما أصابني . فقُتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة ، وجُرح ابنُه جراحة شديدة ، ثم استَبَلَّ منها ، ثمَّ قُتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصةَ الطُّفيل بن عمرو مرسلةً بلا إسناد . ولخبره شاهدٌ في الحديث الصحيح . قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن أبي الزِّنَاد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : لما قدم الطفيل وأصحابُه على رسولِ الله ﷺ قال : إنَّ دَوْساً قد استعصَتْ قال : « اللهمَّ اهْدِ دوساً وأْتِ بِهِمْ » .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٥) والروض (٢/ ١٣٢) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٣٦) : أراد : الكفَّين ، بالتشديد ، فخفف للضرورة ، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى « ذا الكفين » وخفف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر . فإن صحَّ هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كفاء ، ومن كفأت الإناء .

(٣) في المسند (٢/ ٤٤٨) رقم (٩٧٤٦) .

رواه البخاري[١] عن أبي نعيم ، عن سفيان الثوري .

وقال الإمام أحمد[٢] حدَّثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قدِم الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي وأصحابُه فقالوا : يا رسول الله ، إنَّ دَوْساً قد عَصَتْ وأبَتْ فادْعُ اللهَ عليها . قال أبو هريرة : فرفَع رسولُ الله ﷺ يدَيْه فقلت : هلكَتْ دَوْس . فقال : « اللهمَّ اهْدِ دَوساً ، وأتِ بهم »[٣]

إسناد جيد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا سليمان بن حرب ، حدَّثنا حماد بن زيد ، عن حجَّاج الصوَّاف ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي أتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، هل لك في حصن حصين[٥] ومنعة ؟ ـ قال : حصنٌ كان لدَوْسٍ في الجاهلية ـ فأبَى ذلك رسولُ الله ﷺ للذي ذخَر اللهُ للأنصار ، فلما هاجرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطُّفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجلٌ من قومه ، فاجتوَوُا المدينة ، فمرض فجزِع ، فأخذ مشاقص [له] فقطع بها براجمه فشخبَتْ يداه فما رقأ الدم حتى مات ؛ فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئةٍ حسنة ، ورآه مغطِّياً يديه ، فقال له : ما صنع ربُّك بك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيِّه ﷺ . قال : فما لي أراك مغطِّياً يديك ؟ قال : قيل لي لن نُصلحَ[٦] منك ما أفسدت . قال : فقصَّها الطُّفَيل على رسولِ الله ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ وليدَيْه فاغْفِرْ » .

رواه مسلم[٧] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن سليمان بن حرب به .

فإنْ قيل : فما الجمعُ بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحَيْنِ[٨] من طريق الحسن عن جُندب قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كانَ قبلكم رجلٌ به جُرْح فَجزع ، فأخذَ سكِّينا ، فحزَّ بها يده فما رَقَأ الدمُ حتى مات ، فقال الله عزَّ وجل : عبدي بادرني بنفسه ، فحرَّمْتُ عليه الجنة » .

فالجواب من وجوه : أحدها أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإنْ كان شركُه مستقلاً ، إلا أنه نبَّه على هذا لتعتبر أمته .

---

(١) فتح الباري(٣٤٩٢) المغازي باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي .
(٢) في المسند (٢/ ٥٠٢) رقم (١٠٤٧٤) .
(٣) في المسند : وأت بها .
(٤) في المسند (٣/ ٣٧٠) وما سيأتي بين معقوفين منه .
(٥) في المسند : حصينة .
(٦) في ط : يصلح ، والمثبت من مسند أحمد وصحيح مسلم .
(٧) في صحيحه (١١٦) (١٨٤) الإيمان باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر .
(٨) فتح الباري (٣٤٦٣) أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ـ واللفظ له ـ وصحيح مسلم (١١٣) (١٨٠) و(١٨١) الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .

الثاني : قد يكون ذاك عالماً بالتحريم ، وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام .

الثالث : قد يكون ذاك فعله مستحلاً له ، وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً .

الرابع : قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصِد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك .

الخامس : قد يكون ذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبرَ ذنْبِه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات ، فقاومتِ الذنب فلم يلج النار بل غُفر له بالهجرة إلى نبيِّه ﷺ .

ولكنْ بقي الشَّيْنُ في يده فقط ، وحسُنَتْ هيئة سائره فغطَّى الشينَ منه ، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطِّياً يدَيْه قال له : ما لك ؟ قال : قيل لي : لن نُصلح[1] منك ما أفسدت ، فلما قصَّها الطفيل على رسولِ الله ﷺ دعا له فقال : « اللهمَّ وليديهِ فاغْفِرْ » أي : فأَصْلِحْ منها ما كان فاسداً . والمحقَّق أنَّ الله استجابَ لرسولِ الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو .

قصَّة أعشى[2] بن قيس

قال ابن هشام[3] : حدَّثني خلاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي وغيرُه من مشايخ بَكْر بن وائل ـ من أهل العلم ـ أنَّ أعشى بن[2] قيس بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علي بن بَكْر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يُريدُ الإسلام ، فقال يمدح النبيَّ ﷺ : [من الطويل]

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرمَدَا	وبتَّ كما باتَ السَّليمُ مسهَّدا
وما ذاك من عِشْقِ النساءِ وإنما	تناسيتَ قبلَ اليومِ صُحْبَةَ مَهْدَدا[4]
ولكن أرى الدهرَ الذي هو خائنٌ[5]	إذا أصلحتْ كفَّايَ عادَ فأفسدا
كُهولاً وشُبَّاناً فقدتُ وثروةً	فللهِ هذا الدهرُ كيفَ ترَدَّدا
وما زلتُ أبغي المالَ مُذْ أنا يافعٌ	وليداً وكهلاً حين شِبْتُ وأمْرَدا
وأَبتذلُ العيسَ المراقيلَ تَغْتَلي[6]	مسافةَ ما بين النُّجَير فَصَرْخَدا

---

(١) في ط : يصلح ، والمثبت من مسند أحمد وصحيح مسلم .

(٢) في سيرة ابن هشام : بني قيس ، وكله صحيح .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٦) . والأبيات في ديوان الأعشى (ص١٣٥) .

(٤) في ط والديوان : خلة مهددا ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .

(٥) في الديوان : خاتر .

(٦) في ح ، ط : تعتلي . بالعين المهملة ، والمثبت من السيرة والديوان وأساس البلاغة ، والبيت فيه (غلي) ، وتغتلي : من الاغتلاء وهو الإسراع .

ألا أيُّهــذا الســائلـي أيــنَ يَمَّمَــتْ فــإنَّ لهــا فــي أهــل يثــربَ مَــوْعِـدا
فـإنْ تسـألـي عنـي فيـارُبَّ سـائـلٍ حَفِيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجـدَّتْ بـرجلَيْهـا النَّجـاءَ وراجعـتْ يـداهـا خِنـافـاً ليّنـاً غيـرَ أحـردا[١]
وفيهـا إذا مـا هجَّـرَتْ عجـرفيَّـةٌ إذا خلـتَ حربـاءَ الظهيـرةِ أصيداً[٢]
وآليـتُ لا آوِي لهـا مـن كـلالـةٍ ولا من حَفى حتى تُلاقي محمَّدا[٣]
متى ما تُناخي عند بابِ ابن هاشمٍ تُـراحـي وتلقَـيْ مـن فـواضلـه نَـدَى
نبـيٌّ يـرى مـالا تَـرَوْن وذِكـرُه أغـارَ لَعمـري فـي البـلاد وأنجـدَا
لـه صـدقـاتٌ مـا تُغِـبُّ ونـائـلٌ فليـسَ عَطـاءُ اليـوم مـانعَـهُ غـدا
أجِـدَّكَ لـم تسمعْ وصـاةَ محمـدٍ نبـي الإلَـهِ حيـثُ أوصـى وأشهـدا
إذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التُّقى ولا قيتَ بعد الموتِ مَن قد تزوَّدا
نـدمـتَ علـى أن لا تكـونَ كمثلِـهِ فتـرصـدَ لـلأمر الـذي كـان أرصـدا
فـإيـاكَ والميتـاتِ لا تقـربَنَّهـا ولا تـأخـذنْ سهمـاً حـديـداً لِتَفْصِـدَا
وذا النُصُـب المنصـوبِ لا تَنْسُكَنَّـهُ ولا تعبـدِ الأوثـانَ واللهَ فـاعْبُـدا
ولا تقـربَـنَّ جـارةً كـان سِـرُّهـا[٤] عليكَ حراماً فانكحَنْ أو تأبَّدَا[٥]
وذا الـرحِـمِ القُـربـى فـلا تقطعنَّـهُ لعـاقبـةٍ ولا الأسيـرَ المقيَّـدا
وسبِّحْ على حينِ العشية والضحى[٦] ولا تَحمـدِ الشيطـانَ واللهَ فـاحْمَـدا
ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذي ضَرارةٍ ولا تحسبـنَّ المـالَ للمـرءِ مُخْلِـدا

---

(١) في ح : النجاة . وفي ط : النجاد . والمثبت من السيرة والديوان . وخنافاً من خنفت الناقة تخنف بيديها في السير ، إذا مالت بهما نشاطاً . وليناً غير أحرد : أي تفعل ذلك من غير حرد في يديها ، أي اعوجاج . الروض (٢/ ١٣٧) .

(٢) يكون الجمل عجرفيَّ المشي ، وفيه تعجرف وعجرفية وعجرفة : قلة مبالاة لسرعته . القاموس (عجرف) . والأصيد المائل العنق ؛ ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط السماء في أول الزوال كالأصيد ، وذلك أحرُّ ما تكون الرمضاء . يصف ناقته بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت . الروض (٢/ ١٣٧) .

(٣) في ح والديوان : حتى تزور محمدا . وآليت لا آوي لها من كلالة ولا من حفى : أي لا أرقُّ لها ولا أرحمها ويروى : ولا من جنى . وهما بمعنى كما في الروض (٢/ ١٣٧) .

(٤) في سيرة ابن هشام : ولا تقربن حرة ، وفي ح : كان أمرها .

(٥) قوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالألف ، وكذلك فانكحن أو تأبدا ، ولذلك كتبت في الخط بألف ، لأن الوقف عليها بالألف ، وقد قيل في مثل هذا ، إنه لم يرد النون الخفيفة ، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف في كلام العرب . الروض (٢/ ١٣٨) .

(٦) في السيرة والديوان : العشيات .

قال ابن هشام : فلما كان بمكة ـ أو قريب منها ـ اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريدُ رسولَ الله ﷺ لِيُسلم . فقال له : يا أبا بَصير ، إنَّهُ يُحرِّم الزِّنا . فقال الأعشى : والله إنَّ ذلك لأمرٌ مالي فيه من أَرَب . فقال : يا أبا بصير ، إنَّه يحرِّمُ الخمر . فقال الأعشى : أمَّا هذه فوالله إنَّ في نفسي منها لَعُلالات ، ولكني منصرفٌ فأتروَّى منها عامي هذا ، ثمَّ آتيه فأسلم . فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يَعُدْ إلى النبيِّ ﷺ .

هكذا أورد ابنُ هشام هذه القصة هاهنا ، وهو كثيرُ المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخَذُ به ابنُ هشام رحمه الله ، فإنَّ الخمر إنما حُرِّمت بالمدينة بعد وقعة بني النَّضِير كما سيأتي بيانه ، فالظاهر أنَّ عَزمَ الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة ، وفي شعره ما يدلُّ على ذلك وهو قوله : [من الطويل]

ألا أيُّهذا السائلي أين يممتْ فإنَّ لها في أهلِ يثربَ مَوْعِدا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخِّرَ ذِكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ، ولا يُوردَها هاهنا . والله أعلم .

قال السُّهيلي[١] : وهذه غفلةٌ من ابنِ هشام ومَنْ تابعه ، فإنَّ الناس مجمعون على أنَّ الخمر لم ينزل تحريمُها إلا في المدينة بعد أُحُد .

وقد قال[٢] : وقيل : إنَّ القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة .

وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبلٌ إلى رسولِ الله ﷺ . قال وقوله : ثمَّ آته فأُسلم ـ لا يخرجُه عن كفره بلا خلاف . والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق[٣] هاهنا قصة الإراشي وكيف استعدى إلى رسول الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذلَّ اللهُ أبا جهلٍ وأرغم أنفَه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة ، وقد قدَّمنا ذلك في ابتداءِ الوحي وما كان من أذيَّة المشركين عند ذلك[٤] .

---

(١) في الروض (٢/ ١٣٦) .
(٢) يعني السهيلي في الروض .
(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٩) والروض (٢/ ١٣٣) .
(٤) مضى الخبر (ص٢٥٠) .

قصّة مصَارعة رُكانة
وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلتْ ﷺ

قال ابن إسحاق(١) : وحدَّثني أبي إسحاقُ بن يسار قال : وكان رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف أشدَّ قريش(٢) فخلا يوماً برسولِ الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسولُ الله ﷺ: « يا رُكانة ، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ » قال : إني لو أعلم أنَّ الذي تقولُ حق لاتَّبعتُك . فقال له رسول الله ﷺ : « أفرأيت إنْ صرعتُك ، أتعلم أنَّ ما أقولُ حقّ ؟ » قال : نعم . قال : « فقُمْ حتى أُصارعَك » . قال : فقام رُكانةُ إليه فصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله ﷺ أضْجعه لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال : عُدْ يا محمد ، فعاد فصرعه . فقال : يا محمد ، والله إنَّ هذا للعجب ! أتصرعني ؟ قال : « وأعجب من ذلك إنْ شئت أُريكه إن اتقيت الله واتبعتَ أمري » . قال : وما هو ؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني » . قال : فادْعُها . فدعاها فأقبلتْ حتى وقفتْ بين يديْ رسولِ الله ﷺ فقال لها : ارجعي إلى مكانك فرجعتْ إلى مكانها .

قال : فذهب رُكانةُ إلى قومه فقال : يا بني عبد مناف ، ساحِرُوا بصاحبِكم أهلَ الأرض ، فوالله ما رأيتُ أسحرَ منه قطّ . ثمَّ أخبرَهم بالذي رأى والذي صنَع .

هكذا روى ابنُ إسحاق هذه القصة مرسلةً بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذي(٣) من حديث أبي الحسن العسقلاني ، عن أبي جعفر بن محمد بن رُكانة ، عن أبيه ، أنَّ رُكانة صارع النبيَّ ﷺ فصرعه النبيُّ ﷺ . ثمَّ قال الترمذي : غريبٌ ولا نعرف أبا الحسن ولا ابنَ رُكانة(٤) .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسنادٍ جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن رُكانة صارَعَ النبيَّ ﷺ فصرعه النبيُّ ﷺ ثلاث مرَّات ، كل مرة على مئةٍ من الغنم ، فلما كان في الثالثة قال : يا محمد ، ما وَضَع ظهري إلى الأرض أحَدٌ قبلك ، وما كان أحدٌ أبغض إليَّ منك . وأنا أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله . فقام عنه رسولُ الله ﷺ وردَّ عليه غَنَمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلتْ ، فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرةِ من طُرقٍ جيدةٍ صحيحة(٥) ، في مرَّات متعدِّدة إنْ شاء الله وبه الثقة .

---

(١) السير والمغازي (ص٢٧٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٠) واللفظ له ، والروض (٢/ ١٣٤) .

(٢) في ح ، ط : قريشاً ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٣) سنن أبي داود (٤٠٧٨) اللباس باب في العمائم ، وسنن الترمذي (١٧٨٤) اللباس باب العمائم على القلانس .

(٤) عبارة الترمذي : « هذا حديث غريب (يعني : ضعيف) وإسناده ليس بالقائم ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن ركانة » .

(٥) سيأتي في (٦/ ١٢٣) من ط .

وقد تقدَّم عن أبي الأشدين[١] أنه صارعَ النبيَّ ﷺ فصرعَهُ رسولُ الله ﷺ .

ثم ذكر ابن إسحاق[٢] قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة ، فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدَّم ذلك بعد قصة النجاشي ولله الحمد والمنة[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان رسولُ الله ﷺ إذا جلس في المسجد يجلسُ إليه المستضعفون من أصحابه : خبَّاب، وعمَّار، وأبو فُكيهة يسار[٥] مولى صفوان بن أُمية ، وصُهيب . وأشباههم من المسلمين هَزِئت بهم قريش ، وقال بعضُهم لبعض : هؤلاء أصحابُه كما ترَوْن ، أهؤلاء منَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهدى والحق[٦] ، لو كان ما جاء به محمدٌ خيراً ما سبَقَنا هؤلاء إليه ، وما خصَّهم اللهُ به دوننا . فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٢ ـ ٥٤] .

قال : وكان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما يجلسُ عند المَرْوَة إلى مبيعة غلام[٧] نصراني يقال له : جَبْر ، عبدٌ لبني الحَضْرَمي . وكانوا يقولون : والله ما يعلِّم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جَبْر ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] .

ثم ذكر[٨] نزولَ سورةِ الكوثر في العاص بن وائل ، حين قال في رسولِ الله ﷺ : إنه أبتر ، أي : لا عَقِبَ له ، فإذا ماتَ انقطع ذِكْرُه . فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٣] أي : المقطوع الذِّكْر [بعده ، ولو خلَّف أُلوفاً من النَّسْل والذُّرِّيَّة وليس الذِّكر][٩] والصيتُ ولسان الصدق بكثرةِ الأولاد والأنسال والعَقِب ، وقد تكلَّمنا على هذه السورة في التفسير ولله الحمد .

---

(١) كذا في ح ، ط ولم يتقدم لهذه الكنية ذِكر ، فلعل الصواب : « أشد قريش » أو في النص سقطاً أو تصحيفاً .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩١) والروض (٢/ ١٣٥) .

(٣) مضى الخبر في (ص٣٠٣ ح٣) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٢) والروض (٢/ ١٣٥) .

(٥) في ط : ويسار ، والمثبت من ح والسيرة وترجمته في الإصابة ، ويقال في اسمه : أفلح . أيضاً .

(٦) في ط : ودين الحق والمثبت من ح والسيرة .

(٧) في ح : ميعه ، والمثبت من سيرة ابن هشام . قال السهيلي في الروض (٢/ ١٣٩) : المبيعة : مفعلة مثل المعيشة ، وقد يجوز أن يكون مفعلة بضم العين وهو قول الأخفش .

(٨) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٣) .

(٩) ليس ما بين المعقوفين في ح .

وقد رُوي عن أبي جعفر الباقر : أنَّ العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم بن النبيِّ ﷺ ، وكان قد بلغ أنْ يركب الدابَّة ويسير على النَّجيبة[١] .

ثم ذكر[٢] نزول قوله : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [الأنعام : ٨] وذلك بسبب قول أُبيّ بن خلف ، وزَمَعة بن الأسود ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث . لولا أنزل عليكَ مَلَكٌ يكلِّمُ الناسَ عنك .

قال ابنُ إسحاق[٣] : ومرَّ رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ بالوليدِ بن المغيرة وأميةَ بن خلف وأبي جهل بن هشام ، فهمزوه واستهزؤوا به . فغاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى في ذلك منْ أمرِهم ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠ ، والأنبياء : ٤١] .

قلت : وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ[٤] مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] .

قال سفيان عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : المستهزؤن الوليدُ بن المغيرة ، والأسود بن عبد يَغُوث الزُّهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة[٥] ، والحارث بن غَيْطَلَة[٦] ، والعاص بن وائل السَّهْمي ، فأتاهُ جبريلُ فشكاهم إليه رسولُ الله ﷺ فأراهُ الوليد ، فأشار جبريل إلى أنمله[٧] وقال : كُفيتَه ؛ ثم أراه الأسودَ بن المطلب ، فأومأ إلى عُنقه وقال : كُفيته ، ثم أراه الأسود بن عبد يَغُوث فأومأ إلى رأسه وقال : كُفيتَه ؛ ثم أراهُ الحارث بن غَيْطَلَة[٦] ، فأومأ إلى بطنه وقال : كُفيتَه ؛ ومرَّ به العاصُ بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال : كُفيتَه . فأما الوليد فمرَّ برجُلٍ من خُزاعة وهو يَرِيشُ نَبْلاً له فأصاب أنمله[٧] فقطعها ؛ وأمَّا الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قُروح فماتَ منها ، وأما الأسود بن المطَّلب فعَمِيَ . وكان سببُ ذلك أنه نزل تحت سَمُرَةٍ فجعل يقول : يا بَنيَّ ألا تدفعون عني قد قُتلت . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً ! وجعل يقول : يا بَنيَّ ألا تمنعون عني قد هلكت ، هاهو ذا الطَّعْنُ بالشوك

---

(١) هذه الرواية في الدر المنثور (٨/ ٦٥٢) وذكر السيوطي أن البيهقي أخرجها في الدلائل غير أني لم أجدها فيه .

(٢) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٥) .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٥) والروض (٢/ ١٤١) .

(٤) في ح ، ط : ولقد استهزىء برسل ، والمثبت من المصف سورة الأنعام الآية (٣٤) .

(٥) في ح : أبو ربيعة تصحيف ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١٦) والاشتقاق (ص٩٤) .

(٦) في ح : عنطل ، وفي ط : عيطل ، وفي دلائل البيهقي : عنطلة ، وكلها تصحيف ، والمثبت من جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٥) والتاج (غطل) وسيأتي في موضع آخر من الدلائل على الصواب . وسيأتي من رواية ابن إسحاق على أنه الحارث بن الطلاطلة من خزاعة لا من بني سهم . وذكر الروايتين الطبري في تفسيره (١٤/ ٧٠ ، ٧١) .

(٧) في دلائل النبوة : أبجله . والأبجل عِرْق غليظ في اليد بإزاء الأكحل . القاموس (بجل) .

في عينيّ . فجعلوا يقولون : ما نَرَى شيئاً ! فلم يزل كذلك حتى عَمِيَتْ عيناه . وأما الحارث بن غيطلة فأخذه الماءُ الأصفر في بطنه حتى خرج خُرْؤه من فيه فمات منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شِبْرِقة حتى امتلأت منها فمات منها .

وقال غيرُه في هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبْرِقَة ـ يعني شَوْكَة ـ فدخلتْ في أخمصِ قدمه شوكة فقتلَتْه . رواهُ البيهقي[1] بنحوٍ من هذا السياق .

وقال ابن إسحاق[2] : وكان عظماءُ المستهزئين كما حدَّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير خمسةَ نَفَر ، وكانوا ذوي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم ؛ الأسود بن المطلب أبو زَمَعة ، دعا عليه رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهمَّ أعْم بصَرَه وأثْكِلْهُ ولَدَه » . والأسود بن عبد يَغُوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطُّلاطِلَة . وذكر أنَّ الله تعالى أنزل فيهم ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٩٤ ـ ٩٦] . وذكر أنَّ جبريلَ أتى رسولَ الله ﷺ وهم يطوفونَ بالبيت ، فقام وقام رسولُ الله ﷺ إلى جَنْبه ، فمرَّ به الأسود بن المطلب فرَمَى في وجهه بورقةٍ خضراء فعَمِي ، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنُه فمات منه حَبَناً[3] . ومرَّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثرِ جُرحٍ بأسفلِ كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجلٍ يَرِيشُ نَبْلاً له من خزاعة ، فتعلَّق سهمٌ بإزاره فخدشه خَدْشاً يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات . ومر به العاصُ بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمارٍ له يريد الطائف ، فربض به على شِبْرِقةٍ فدخلت في أخمص رِجلِهِ شوكةٌ فقتلَتْه . ومرَّ به الحارث بن الطُّلاطلة فأشار إلى رأسه فامتحض قَيْحاً فقتله .

ثم ذكر ابنُ إسحاق[4] : أنَّ الوليد بنَ المغيرة لما حضره الموتُ أوصى بنيه الثلاثةَ وهم : خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بَنِيَّ ، أوصيكم بثلاث ، دمي في خُزَاعة فلا تُطِلُّوه ، والله إني لأعلم أنهم منه بُرَآء ولكني أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم . ورباي في ثَقِيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعُقْرِي[5] عند أبي أُزَيهر الدَّوسيّ فلا يفوتنَّكم به ـ وكان أبو أُزَيْهر قد زوّج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يُدْخِلْها عليه حتى مات ،

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٨) وأخرجه الطبراني في الأوسط بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٥/ ١٠١) في تفسير الآية . وذكره أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري ولم أعرفه ، وبقيه رجاله ثقات .

(٢) في السيرة والمغازي (ص٢٧٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨) والروض (٢/ ١٦٣) والطبري في التفسير (١٤/ ٧٠) ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢٠١) عن حبيب بن الحسن ، حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، حدثنا أحمد بن محمد حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به .

(٣) « الحَبَن » : داء في البطن ، يعظم منه ويرم . القاموس (حبن) . ووقع في ح ، ط : « فاستسقى باطنه » والمثبت من السيرة .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٠) والروض (٢/ ١٦٣) .

(٥) « العقر » : دية الفرج المغصوب . قاله السهيلي في الروض (٢/ ١٦٨) .

وكان قد قبض عُقْرَها منه ، وهو صَدَاقُها ـ فلما مات الوليد وثَبَتَ بنو مخزوم على خُزَاعة يلتمسون منهم عَقْلَ الوليد ، وقالوا : إنما قتله سَهْمُ صاحبكم ، فأبَتْ عليهم خُزَاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً ، وغَلُظَ بينهم الأمر . ثم أعطَتْهم خزاعةُ بعض العَقْل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن إسحاق[١] : ثم عَدَا هشامُ بن الوليد على أبي أُزَيهر وهو بسوق ذي المَجَاز فقتله ، وكان شريفاً في قومه . وكانت ابنته تحت أبي سفيان ـ وذلك بعد بدر ـ فعمد يزيدُ بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنَعَ ابنُه يزيد فلامه على ذلك [وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً في رجل من دوس][٢] ؟ وكتب حسان بنُ ثابت قصيدةً له يُحَرِّض[٣] أبا سفيان في دم أبي أُزيهر ، فقال : بئس ما ظنَّ حسان أن يقتل بعضنُا بعضاً وقد ذهب أشرافُنا يوم بَدْر . ولما أسلم خالدُ بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأله في رِبا أبيه من أهل الطائف .

قال ابن إسحاق[٤] : فذكر لي بعضُ أهل العلم أنَّ هؤلاء الآيات نزلْنَ في ذلك : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] وما بعدها .

قال ابن إسحاق[٤] : ولم يكنْ في بني أُزَيهر ثأرٌ نعلمه حتى حجزَ الإسلامُ بين الناس ، إلا أنَّ ضِرار بن الخطاب بن مِرْداس الأسلمي خرج في نفرٍ من قريشٍ إلى أرض دَوْس ، فنزلوا على امرأةٍ يُقال لها : أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشُط النساء وتجهز العرائس ، فأرادتْ دَوْس قتلَهم بأبي أُزيهر فقامتْ دونه أُمُّ غَيْلان ونسوةٌ كُنَّ معها حتى منعَتْهم .

قال السهيلي[٥] : يقال : إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابنُ هشام[٦] : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أَتَتْهُ أمُّ غَيْلان وهي ترى أنَّ ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لستُ بأخيه إلا في الإسلام ، وقد عرفتُ منَّتك عليه ، فأعطاها على أنها بنتُ سَبيل .

قال ابنُ هشام : وكان ضرارُ بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أُحُد فجعل يضربُه بعَرْض الرمح ويقول : انج يا ابنَ الخطاب لا أقتلك . فكان عمر يعرفُها له بعد الإسلام رضي الله عنهما .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٣) والروض (٢/ ١٦٤) .
(٢) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٣) في ط : يحض . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٤) والروض (٢/ ١٦٥) .
(٥) في الروض (٢/ ١٦٨) والقول فيه لضرار ؟
(٦) في السيرة النبوية (١/ ٤١٥) والروض (٢/ ١٦٦) .

فصـــل

وذكر البيهقيُّ[١] هاهنا دعاءَ النبي ﷺ على قريش حين استعصَتْ عليه بسبعٍ مثل سبع يوسف ، وأورَدَ ما أخرجاه في « الصحيحَيْن »[٢] من طريق الأعمش ، عن مسلم بن صُبيح ، عن مسروق ، عن ابن مسعود . قال : خمسٌ [قد] مضَيْن ؛ اللِّزَام[٣] ، والرُّوم ، والدُّخان ، والبَطْشَة ، والقمر .

وفي روايةٍ عن ابن مسعود . قال[٤] : إنَّ قريشاً ، لما استعصَتْ على رسولِ الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام . قال اللهمَّ أَعِنِّي عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسُف » قال : فأصابتهم سَنَةٌ فحصَّتْ[٥] كلَّ شيء ، حتى أكلوا الجِيفَ والميتة وحتى إنَّ أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجُوع . ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] قال : فعادوا فكفروا فأُخِّروا إلى يوم القيامة ـ أو قال : فأُخِّروا إلى يوم بَدْر ـ قال عبد الله : إنَّ ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يُكشفُ عنهم ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦] قال : يوم بَدْر .

وفي روايةٍ عنه ، قال[٦] : لما رأى رسولُ الله ﷺ من الناس إدْباراً قال : « اللهمَّ سبع كسبعِ يوسف » فأخذتْهُمْ سَنةٌ حتى أكلوا المَيْتَةَ والجلودَ والعظام . فجاءَهُ أبو سفيان وناسٌ من أهل مكةَ فقالوا : يا محمد ، إنك تزعمُ أنَّكَ بُعثتَ رحمةً وإنَّ قومَكَ قد هَلكُوا ، فادْعُ اللهَ لهم . فدعا رسولُ الله ﷺ فسقُوا الغيثَ ، فأطبقَتْ عليهم سبعاً فشكا الناسُ كثرة المطَر . فقال : « اللهمَّ حوالَيْنا ولا علينا » فانحدَرَتِ السحابة[٧] عن رأسه ، فسُقي الناسُ حولَهم .

قال : لقد مضَتْ آيةُ الدُّخان ـ وهو الجوع الذي أصابهم ـ وذلك قوله ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] وآيةُ الروم ، والبطشة الكبرى . وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بَدْر .

---

(١) في الدلائل (٢/ ٣٢٤) .

(٢) أورده في الدلائل (٢/ ٣٢٧) وهو في فتح الباري (٤٨٢٥) التفسير سورة الدخان باب يوم نبطش البطشة الكبرى . وصحيح مسلم (٢٧٩٨) (٤١) صفات المنافقين باب الدخان ، وما سيأتي بين معقوفين منهما .

(٣) المراد به قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ أي : يكون عذابهم لازماً . قالوا : وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر ، وهي البطشة الكبرى . مكمل إكمال الإكمال للسنوسي (٧/ ١٩٨ ، ١٩٩) .

(٤) دلائل البيهقي (٢/ ٣٢٥) واللفظ له والحديث في فتح الباري (٤٨٢٣) التفسير سورة الدخان باب (أنى لهم الذكرى) . و(٤٨٠٩) التفسير سورة ص باب (وما أنا من المتكلفين) .

(٥) في ح ، ط : « حتى فصت » ، والمثبت من دلائل البيهقي وصحيح البخاري ، وحصتْ كل شيء : أي أذهبته ، والحص : إذهاب الشعر عن الرأس . بحلق أو مرض . النهاية (حصص) .

(٦) في دلائل البيهقي (٢/ ٣٢٦) وهي رواية البخاري كما سيأتي ، فتح الباري (٢/ ٥١٠) (١٠٢٠) الاستسقاء باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط .

(٧) في ط : فانجذب السحاب . وفي ح : فانحدث ، والمثبت من الدلائل وصحيح البخاري في الفتح .

قال البيهقي[١] : يريد ـ والله أعلم ـ البطشةَ الكبرى والدخان وآية اللزام ، كلُّها حصلَتْ ببدر . قال : وقد أشار البخاري[٢] إلى هذه الرواية .

ثمَّ أورد[٣] من طريق عبد الرزَّاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى رسولِ الله ﷺ يستغيثُ من الجوع ، لأنهم لم يجدوا شيئاً ، حتى أكلوا العِلْهِزَ بالدَّم[٤] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٦] قال : فدعا رسولُ الله ﷺ حتى فرَّج الله عنهم .

ثم قال الحافظ البيهقي[٥] : وقد رُوي في قصة أبي سفيان ما دلَّ على أنَّ ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتَّيْن ، والله أعلم .

فصـــل

ثمَّ أورد البيهقي[٦] قصة فارس والرُّوم ، ونزولَ قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم : ١ ـ ٥] .

ثم رَوَى[٦] من طريق سفيانَ الثوري ، عن حَبيب بن أبي عَمْرَة[٧] ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون يُحِبُّون أنْ يظهرَ الرُّوم على فارس لأنهم أهلُ كتاب ، وكان المشركون يحبُّونَ أن تظهر فارسُ على الروم لأنهم أهلُ أوثان ؛ فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكر [ذلك][٨] أبو بكر للنبيِّ ﷺ فقال : « أمَا إنَّهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً إنْ ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإنْ ظهَرْنا كان بنا كذا وكذا . [فجعل بينهم أجل خمس سنين ، فلم يظهروا]

---

(١) في الدلائل (٢/ ٣٢٧) .

(٢) مضى في الصفحة السابقة ح٦ .

(٣) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٢٨) .

(٤) في ط : العهن . والمثبت من ح والدلائل ، وقوله : بالدم مستدرك في هامش ح . والعلهز : هو شيء يتخذونه في سني المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . وقيل : كانوا يخلطون فيه القِرْدان . ويقال للقراد الضخم « عِلْهِز » . وقيل : العلهز شيء ينبت ببلاد بني سُليم له أصل كأصل البَرْدِي . النهاية لابن الأثير (علهز) .

(٥) في الدلائل (٢/ ٣٢٩) .

(٦) في الدلائل (٢/ ٣٣٠) .

(٧) في ح : حبيب عن أبي عمرو ، وفي ط : حبيب بن أبي عمرو ، وكلاهما تحريف ، والمثبت من الدلائل وترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٣٨٦) .

(٨) في ط : فذكره ، والمثبت من ح والدلائل ، وما بين معقوفين في هذا الخبر منه .

فذكر ذلك أبو بكر للنبيِّ ﷺ فقال : « ألا جَعَلْتَهُ ـ أُراهُ[١] قال ـ دون العشر » . فظهرتِ الرُّوم بعد ذلك .

وقد أورَدْنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المُبَاحث ـ أي : المراهن ـ لأبي بكر أمية بن خلف ، وأن الرَّهْن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصدِّيق عن أمر رسولِ الله ﷺ وفي الرَّهن . وأنَّ غلبة الروم على فارس كان يوم بَدْر ـ أو كان يوم الحُديبية ـ فالله أعلم .

ثم روى[٢] من طريق الوليد بن مسلم ، حدَّثنا أُسَيد[٣] الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدِّث عن أبيه قال : رأيتُ غَلَبَة فارس الروم ، ثم رأيتُ غلبة الروم فارس ، ثم رأيتُ غلبة المسلمين فارسَ والرُّوم وظهورَهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمسَ عشرةَ سنة .

فصــل

في الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السماوات وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابنُ عساكر أحاديثَ الإسراء في أوائل البِعْثَة[٤] ، وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحوٍ من عشر سنين[٥] .

وروى البيهقي[٦] من طريق موسى بن عقبة ، عن الزهري أنه قال : أُسري برسولِ الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابنُ لَهيعة عن أبي الأسود عن عروة .

ثم روى [عن][٧] الحاكم عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بُكير ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السُّدِّيِّ أنه قال : فُرض على رسولِ الله ﷺ الخَمْس ببيت المقدس ، ليلة أُسري به قبل مُهَاجَرِهِ بستةَ عشرَ شهراً .

فعلى قول السدِّيّ يكون الإسراءُ في شهر ذي القعدة، وعلى قول الزُّهْرِيّ وعروة يكون في ربيع الأول.

---

(١) في ح : أداه ، وفي ط : أداة . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الدلائل .

(٢) أي البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٣٤) بسنده إلى يعقوب بن سفيان ، وهو في كتابه المعرفة والتاريخ (١/ ٢٧٩) وأخرجه ابن الأثير أيضاً في أسد الغابة في ترجمة الزبير بن عبد الله (٢/ ١٩٦) بسنده إلى يعقوب أيضاً .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٣١١) وأدرجه تحت من اسمه : أسيد بالتصغير ، وكذا ذكره ابن عساكر في تاريخه (٣/ ٢٥) (نسخة الظاهرية) ثم قال : ويقال : أسيد أي بفتح أوله وساق الخبر .

(٤) تاريخ ابن عساكر (١/ ٥٦٦) نسخة الظاهرية .

(٥) السير والمغازي (ص٢٩٥) .

(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٤) .

(٧) زيادة يقتضيها السياق ، والذي روى البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٥) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدَّثنا عفَّان[١] ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن عباس قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين ، الثاني عشر من ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات .

فيه انقطاع[٢] . وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته[٣] وقد أورد حديثاً لا يصحُّ سنَدُه، ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب، والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وهي ليلة الرغائب التي أُحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك ، والله أعلم . وينشد بعضُهم في ذلك :

ليلةَ الجمعةِ عُرِّج بالنبي ليلةَ الجمعةِ أوّل رجب[٤]

وهذا الشعر عليه ركاكة ، وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاةً عند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] فلتُكتَبْ من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعَزْو ، والكلام عليها ومعها ففيها مَقْنَعٌ وكفاية ، ولله الحمدُ والمِنَّة .

ولنذكُر ملخَّصَ كلامِ ابنِ إسحاق رحمه الله فإنَّه قال بعد ذكر ما تقدَّم من الفصول[٥] : ثم أُسْرِيَ برسولِ الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ وهو بيت المقدس من إيلياء ـ وقد فشا الإسلامُ بمكة في قريش وفي القبائل كلِّها .

وقال : وكان من الحديث فيما بلغني عن مَسْرَاهُ ﷺ عن ابن مسعود ، وأبي سعيد ، وعائشة ، ومعاوية ، وأم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنهم، والحسن بن أبي الحسن، وابن شهاب الزُّهْري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث، كلٌّ يحدِّثُ عنه بعضَ ما ذُكر لي من أمره وكان في مسراه وما ذُكر لي منه بلاءٌ وتمحيص وأمرٌ من أمْرِ الله [عزَّ وجلَّ] في قدرته[٦] وسلطانه ، فيه عبرةٌ لأولي الألباب ، وهدًى ورحمةٌ وثباتٌ لمن آمَنَ وصدَّق وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء لِيُرِيَهُ من آياته ما أراد ، حتى عايَنَ ما عاين من أمْرِهِ وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يُريد .

---

(١) في ط : عثمان ، والمثبت مما تقدم ص(٣٢) سطر (١) من هذا الجزء ، حيث أورد المؤلف الحديث .

(٢) يعني : بين عفان وسعيد بن مينا .

(٣) يسمى السيرة النبوية ، أو الدرة المضية في السيرة النبوية لعبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي ، وهو مخطوط . معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ (ص١١٠ و١١٦) .

(٤) كذا في ط وزادت ح بين الشطرين ﷺ ، وفي الشطر الثاني : ليلة جمعة .

(٥) السير والمغازي (ص٢٩٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٦) والروض (٢/ ١٤١) .

(٦) في ط : وقدرته ، والمثبت من مصادر الخبر عند ابن إسحاق وما بين معقوفين منها .

وكان عبدُ الله بن مسعود ـ فيما بلغني ـ يقول : أُتي رسولُ الله ﷺ بالبُرَاق ـ وهي الدابّةُ التي كانتْ تُحمل عليها الأنبياء قبلَه ، تضَعُ حافرَها في موضع منتهى طَرْفِها ـ فحُمل عليها ، ثمَّ خرج به صاحبُه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلَّى بهم ثم أُتي بثلاثةِ آنيةٍ من لبنٍ وخمرٍ وماءٍ .

فذكر أنه شرِب إناءَ اللبن ، فقال لي جبريل : هُديتَ وهدِيَتْ أُمتك .

وذكر ابنُ إسحاق في سياق الحسن البصري مرسلاً[١] أنَّ جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبَهُ البُرَاق وهو دابةٌ أبيض ، بين البَغْلِ والحمار ، وفي فخذيه جناحان يَحْفِزُ بهما رجلَيْه ، يضع حافره في منتهى طَرْفه . ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتُني ولا أفوته .

قلت : وفي الحديث وهو عن قتادة ، فيما ذكره ابنُ إسحاق[٢] أنَّ رسولَ الله ﷺ لما أراد ركوب البُرَاق شَمَسَ به[٣] ، فوضع جبريلُ يدَهُ على مَعْرَفَتِه ثم قال : ألا تستحي يا بُراق مما تصنع ، فوالله ما ركبكَ عبدٌ لله قبلَ محمدٍ أكرمُ عليه منه . قال : « فاستحى حتى ارفضَّ عرَقاً ثم قرَّ[٤] حتى ركبتُه » .

قال الحسن في حديثه : فمضَى رسولُ الله ﷺ ومضى معه جبريلُ حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياء ، فأمَّهم رسولُ الله ﷺ فصلَّى بهم ، ثم ذكر اختيارَهُ إناءَ اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له : هُديت وهديَتْ أُمَّتُك ، وحُرِّمَتْ عليكم الخمر .

قال : ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى مكة فأصبح يُخبر قريشاً بذلك ، فذكر أنه كذَّبه أكثرُ الناس ، وارتدَّتْ طائفةٌ بعد إسلامها ، وبادر الصدِّيقُ إلى التصديق وقال : إني لأصدِّقُه في خبر السماء بُكْرَةً وعشيَّة ، أفلا أصدِّقه في بيت المقدس ؟ وذكر أنَّ الصدِّيقَ سأله عن صفة بيتِ المقدس ، فذكرها له رسولُ الله ﷺ قال : فيومئذٍ سُمِّي أبو بكر الصدِّيق .

قال الحسن : وأنزل الله في ذلك ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] الآية .

وذكر ابنُ إسحاق[٥] فيما بلغَهُ عن أُم هانيء أنها قالت : ما أُسريَ برسولِ الله ﷺ إلا من بيتي ، نام عندي تلك الليلة بعدما صلَّى العشاءَ الآخرة ، فلما كان قُبيل الفَجْر أهَبَّنا[٦] ، فلما كان الصُّبْح وصلَّينا معه ، قال : « يا أُمَّ هانيء لقد صلَّيتُ معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ، ثم جئتُ بيتَ المقدس

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٧) والروض (٢/ ١٤٢) .
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٨) والروض (٢/ ١٤٢) .
(٣) « شمست الدابة والفرس » : شردت وجمحَتْ ومنعَتْ ظهرها فلا تستقر لحدتها وشغبها . اللسان (شمس) .
(٤) في ح : تقدم . وفوقها : قرَّ .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٢) والروض (٢/ ١٤٤) .
(٦) في ح : أنبهنا ، أي أيقظنا ، وهما بمعنى .

فصلَّيتُ فيه ، ثم قد صلَّيتُ الغَدَاة معكم الآن كما ترَيْن » . ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرَفِ ردائه ، فقلت : يا نبيَّ الله لا تحدِّثْ بهذا الحديث الناسَ فيكذِّبوك ويُؤذوك . قال : « والله لأحدِّثَنَّهموه » . فأخبرهم فكذَّبوه . فقال : وآيةُ ذلك أنِّي مرَرْتُ بعِيرِ بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرَهُمْ حِسُّ الدابّة ، فندَّ لهم بعِيرٌ فدلَلْتُهم عليه وأنا متوجِّهٌ إلى الشام ، ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضَجَنَان[١] مررتُ بعيرِ بني فلان ، فوجدتُ القومَ نياماً ولهم إناءٌ فيه ماء قد غطَّوا عليه بشيء ، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه ، ثم غطَّيْتُ عليه كما كان . وآية ذلك أنَّ عِيرَهم تُصَوِّبُ الآنَ من ثنيَّة التنعيم البَيْضَاء يقدُمها جمَلٌ أوْرَق[٢] ، عليه غِرَارتان ، إحداهما سوداء والأخرى بَرْقاء[٣] . قال : فابتدروا القومَ بالثنيَّة[٤] ، فلم يلقَهُمْ أول من الجمل الذي وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلواتُ الله وسلامُه عليه .

وذكر يونس بن بكير ، عن أسباط ، عن إسماعيل السُّدِّي ، أنَّ الشمسَ كادتْ أن تغرُبَ قبل أن يقدُمَ ذلك العِير[٥] ، فدعا الله عزَّ وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال : فلم تحتبس الشمسُ على أحدٍ إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقي[٦] .

قال ابن إسحاق[٧] : وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيدٍ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لما فرغتُ مما كان في بيت المقدس أُتي بالمِعْرَاج ولم أر شيئاً قط أحسنَ منه وهو الذي يمدُّ إليه ميِّتُكم[٨] عينيه إذا حُضر ، فأصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء يقال له : باب الحَفَظَة ، عليه بريدٌ[٩] من الملائكة يقال له : إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كلِّ مَلَكٍ منهم اثنا عشر ألف مَلَك . قال : يقول رسولُ الله ﷺ إذا حدَّث بهذا الحديث : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

ثم ذكر بقيةَ الحديث ، وهو مطوَّلٌ جداً ، وقد سقناه بإسنادِهِ ولفظه بكماله في التفسير ، وتكلَّمنا عليه ، فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسنادِهِ ضَعْف .

---

(١) « ضَجَنَان » : بالتحريك ونونين ، جُبَيل على بريد من مكة ، وقيل بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلاً . معجم البلدان (٣/ ٤٥٣) .

(٢) الأورق من كل شيء : ما كان لونه لون الرماد ، ومن الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . اللسان (ورق) .

(٣) « برقاء » : مؤنث أبرق ، وهو كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض . القاموس (برق) .

(٤) في ط وسيرة ابن هشام : فابتدر القومُ الثنية .

(٥) كذا في ح ، ط قلت : الصواب أن يقول : قبل أن تقدم تلك العير . لأن العير مؤنثة كما في اللسان ، وهي القافلة أو الإبل التي تحمل الميرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ . ويبدو أن اللفظ هنا لابن كثير نقلها عن البيهقي بتصرف كما سيأتي .

(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٠٤) : بنحوه عن الحاكم عن أبي العباس الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس به أقول : ويونس بن بكير صدوق يخطىء .

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٣) والروض (٢/ ١٥٤) .

(٨) في ح : يمتد إليه منكم . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض .

(٩) البريد هنا : الرسول . وفي السيرة والروض : ملك من الملائكة .

وكذا في سياق حديث أمِّ هانىء ، فإنَّ الثابت في الصحيحين[١] ، من روايةِ شَرِيك بن أبي نَمِر ، عن أنس أنَّ الإسراء كان من المسجد من عند الحِجْر ، وفي سياقه غَرَابَةٌ أيضاً من وجوه قد تكلَّمنا عليها هناك ، ومنها قوله : قبلَ أنْ يُوحَى إليه[٢] . والجوابُ أنَّ مجيئهم أولَ مرَّةٍ كان قبل أن يُوحَى إليه ، فكانتْ تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ، ثم جاءه الملائكة ليلةً أخرى ولم يقل في ذلك ، وذلك قبل أن يُوحَى إليه بل جاؤوا بعد ما أوحي إليه ، فكان الإسراءُ قطعاً بعد الإيحاء ، إمَّا بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون ، وهو الأظهر ؛ وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلاً ثانياً ـ أو ثالثا ـ على قوله أنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلَهية ، ثم ركب البُرَاق رِفْعَةً له وتعظيماً وتكريماً ، فلما جاء بيتَ المقدس ربطه بالحَلْقة التي كانت تربط بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس ، فصلَّى في قبلته تحيَّةَ المسجد .

وأنكر حُذيفة رضي الله عنه دخولَهُ إلى بيت المقدس وربْطَه الدَّابّة وصلاته فيه ، وهذا غريب ؛ والنصُّ المُثْبِتُ مقدَّمٌ على النافي .

ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم ، أكان قبل عُروجه إلى السماء كما دلَّ عليه ما تقدَّم أو بعد نزوله منها كما دلَّ عليه بعضُ السياقات ، وهو أنسبُ كما سنذكره على قولين ، فالله أعلم .

وقيل : إنَّ صلاته بالأنبياء كانتْ في السماء ، وهكذا تخَيُّرُه بين[٣] الآنية ، اللبن والخمر والماء ، هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح ؟ والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نُصب له المعراج ـ وهو السُّلَّم ـ فصعِدَ فيه إلى السماء ، ولم يكنِ الصُّعود على البُراق كما قد يتوهَّمُه بعضُ الناس ، بل كان البُراق مربوطاً على باب مسجدِ بيتِ المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعِدَ من سماءٍ إلى سماءٍ في المِعْرَاج حتى جاوز السابعة ، وكلما جاء سماءً تلقَّتْهُ منها مقرَّبوها ومَنْ فيها من أكابر الملائكة والأنبياء . وذكَرَ أعيان من رأى[٤] من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، وإدريس في الرابعة[٥] ، وموسى في السادسة ـ على الصحيح ـ وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخلُه كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبَّدون فيه صلاةً وطوافاً ،

---

(١) فتح الباري (٣٥٧٠) المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ، وصحيح مسلم (١٦٢) (٢٦٦) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٢) وهذه العبارة في رواية البخاري المشار إليها في الحاشية السابقة ، وقد زادت نسخة ط بعد قوله : وذلك .

(٣) في ط : من .

(٤) في ط : رآه .

(٥) كذا ، لم يذكر الثالثة ولا الخامسة ، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٦ ، ٤٠٧) من حديث أبي سعيد الخدري أنه رأى في الثالثة يوسف بن يعقوب ، وفي الخامسة هارون بن عمران .

ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتِبَهُم كلَّهم حتى ظهر لمستوى يسمعُ فيه صَرِيفَ الأقلام ، ورُفعت لرسولِ الله ﷺ سِدْرَةُ المُنْتَهى، وإذا ورَقُها كآذان الفِيَلَة ، ونَبِقُها كقِلالِ هَجَر[١] ، وغشيها عند ذلك أمورٌ عظيمة ، ألوانٌ متعدِّدة باهرة ، وركبتها الملائكةُ مثل الغِرْبان على الشجرة كثرةً ، وفَرَاش من ذهب ، وغشيها من نور الربِّ جلَّ جلاله ، ورأى هنالك[٢] جبريلَ عليه السلام له ستمئة جناح ما بين كلِّ جناحَيْن كما بين السماءِ والأرض وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٣-١٧] أي ما زَاغَ يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن المكان الذي حُدَّ له النظر إليه . وهذا هو الثباتُ العظيم والأدب الكريم ، وهذه الرؤيا الثانية لجبريلَ عليه السلام على الصفة التي خلقَهُ الله تعالى عليها ، كما نقلَهُ ابنُ مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين . والأُولى هي قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٥ ـ ١٠] وكان ذلك بالأبْطَح ، تدلَّى جبريلُ على رسولِ الله ﷺ ساداً عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماءِ والأرض ، حتى كان بينه وبينه قابَ قوسَيْن أو أدْنَى ، هذا هو الصحيحُ في التفسير كما دلَّ عليه كلامُ أكابرِ الصحابةِ المتقدِّم ذِكرُهم رضي الله عنهم .

فأمَّا قولُ شريك عن أنس في حديث الإسراء[٣] : ثمَّ دنا الجبَّارُ ربُّ العِزَّةِ فتدلَّى فكان قابَ قوسين أو أدنى فقد يكونُ من فَهْم الراوي فأقحمه في الحديث . والله أعلم .

وإنْ كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة [بل هو شيءٌ آخر غير ما دلَّتْ عليه الآيةُ الكريمة][٤] . والله أعلم .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمدٍ ﷺ وعلى أمته الصلواتِ ليلتئذ خمسين صلاةً في كلِّ يوم وليلة ، ثم لم يزَلْ يختلفُ بين موسى وبين ربِّهِ عزَّ وجل حتى وضعها الربُّ جلَّ جلاله وله الحمدُ والمِنَّة إلى خمس وقد قال : « هي خمسٌ وهي خمسون ، الحسنَةُ بعشرِ أمثالها »[٥] فحصل له التكليم

---

(١) « النَّبِق » : ثمر السِّدر ، واحدته : نَبِقَة ، وأشبه شيء به العُنَّاب قبل أن تشتد حمرته . وهَجَر : قرية قريبة من المدينة ، وليست هَجَر البحرين ؛ وكانت تعمل بها القِلال ، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء ؛ مفردها : قُلَّة وهي الجرَّة الضخمة . النهاية لابن الأثير والقاموس (نبق ، قلل) .

(٢) في ط : هناك .

(٣) هذا القول رواه البخاري فتح (٧٥١٧) التوحيد باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ وهذا الحديث ، اضطرب فيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، وساء حفظه ولم يضبط ولذلك ضعفه العلماء لاضطراب شريك فيه ، قال البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل ، وحمل الآية على جبريل أصح . قال بشار : وتعقب الحافظ ابن حجر في الفتح المواضع التي أخطأ فيها شريك وفصّل فيها .

(٤) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٢)(٢٥٩) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ وهو عند البخاري بنحوه المشار إليه في الحاشية (٣) من هذه الصفحة .

من الربِّ عزَّ وجل ليلتئذ ، وأئمة السُّنَّة كالمطبقين على هذا .

واختلفوا في الرؤية ، فقال بعضُهم رآه بفؤادِه مرَّتين ، قاله ابن عباس وطائفة ، وأطلق [ابن عباس][1] وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما ، وصرَّح بعضُهم بالرؤية بالعينين ، واختاره ابنُ جرير وبالغ فيه ، وتبِعَهُ على ذلك آخرون من المتأخرين .

وممن نصَّ على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيليُّ عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه[2] .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك لحديث أبي ذرّ في صحيح مسلم[3] : قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورٌ أنَّىٰ أراه » . وفي رواية[4] : « رأيت نوراً » .

قالوا : ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية ؛ ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما رُوي في بعض الكتب الإلٰهية : يا موسى إنه لا يراني حيٌّ إلا مات ، ولا يابسٌ إلا تدَهْدَه . والخلاف في هذه المسألة مشهورٌ بين السلف والخَلَف ، والله أعلم .

ثم هبط رسولُ الله ﷺ إلى بيت المقدس ، والظاهر أنَّ الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلٰهية العظيمة كما هي عادة الوافدين ، لا يجتمعون بأحد قبل الذي طُلبوا إليه ، ولهذا كان كلَّما مرَّ على واحدٍ منهم يقولُ له جبريل ـ عندما يتقدم ذاك للسلام عليه ـ : هذا فلان ، فسلِّم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعودِهِ لما احتاج إلى تعرُّفٍ بهم مرة ثانية . ومما يدلُّ على ذلك أنه قال : « فلما حانتِ الصلاةُ أمَمْتُهُمْ »[5] . ولم يحِنْ وقتٌ إذْ ذاك إلى صلاة الفجر فتقدَّمهم إماماً بهم عن أمر جبريلَ فيما يرويه عن ربِّه عز وجل ؛ فاستفاد بعضُهم من هذا أنَّ الإمام الأعظم يقدَّمُ في الإمامة على ربِّ المنزِل ، حيثُ كان بيت المقدس محلَّتهم ودارَ إقامتهم ؛ ثم خرج منهم فركب البُرَاق وعاد إلى مكة ، فاصبح بها وهو في غايةِ الثبات والسَّكينةِ والوَقَار .

وقد عايَنَ في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رآها ـ أو بعضها ـ غيرُه لأصبح مندهشاً أو طائشَ العقل ، ولكنه ﷺ أصبح واجماً ـ أي : ساكناً ـ يَخْشَى إنْ بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلطَّف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيتَ المقدس في تلك الليلة ، وذلك أنَّ أبا جهل لعنه الله ـ رأى رسولَ الله

---

(١) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٢) الروض الأنف للسهيلي (٢/ ١٥٦) وفتاوى الإمام النووي (ص١٥) المسمَّى : المنثورات « أو المسائل المنثورة » .
(٣) صحيح مسلم (٢٩١ ، ٢٩٢ـ١٧٨) الإيمان باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه .
(٤) هي رقم (٢٩٢) المشار إليها في الحاشية السابقة .
(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٨ ـ ١٧٢) الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال .

ﷺ في المسجد الحرام وهو جالسٌ واجم ، فقال : « إنّي أُسْرِيَ بيَ الليلةَ إلى بيتِ المَقْدِس » . قال : إلى بيت المقدس !؟ قال : « نعم » . قال : أرأيتَ إنْ دعَوْتُ قومَك لك لتخبرَهم أتخبرُهم بما أخبرتني به ؟ قال : « نعم » . فأراد أبو جهل جمعَ قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسولُ الله ﷺ جمعهم ليخبرَهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال : أَخْبِرْ قَوْمَكَ بما أخبرتني به . فقصَّ عليهم رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى وأنه جاء بيتَ المقدس هذه الليلة وصلَّى فيه ؛ فمن بين مصفِّقٍ وبين مصفِّر تكذيباً له واستبعاداً لخبره . وطار الخبرُ بمكة ، وجاءَ الناسُ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فأخبروه أنَّ محمداً ﷺ يقول كذا وكذا . فقال : إنكم تكذبونَ عليه . فقالوا : والله إنه ليقولُه . فقال : إنْ كان قالَهُ فلقَدْ صَدَق . ثم جاء إلى رسولِ الله ﷺ وحوله مشركو[1] قريش ، فسأله عن ذلك ، فأخبره ، فاستعلمه عن صفاتِ بيتِ المقدس ليَسْمَع المشركون ويعلموا صِدْقَهُ فيما أخبرهم به[2] .

وفي الصحيح[3] : أنَّ المشركين هم الذين سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك . قال : « فجعلتُ أخبرُهم عن آياته فالتبس عليَّ بعض الشيء[4] ، فجلَّى الله لي بيتَ المقدس حتى جعلتُ أنظرُ إليه دون دارِ عُقيل وأنعته لهم » . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابنُ إسحاق ما تقدَّم[5] من إخباره لهم بمرورِهِ بعيرهم وما كان من شربه ماءهم ، فأقام الله عليهم الحُجَّة واستنارت لهم المَحَجَّة ، فآمن مَنْ آمن على يقينٍ من ربِّه ، وكفر من كفر بعد قيام الحُجَّةِ عليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] ، أي : اختباراً لهم وامتحاناً .

قال ابنُ عباس : هي رؤيا عين أُريها رسولُ الله ﷺ وهذا مذهب جمهور السَّلَف والخَلَف من أنَّ الإسراء كان ببدَنِه ورُوحه صلواتُ الله وسلامُه عليه ، كما دلَّ على ذلك ظاهرُ السِّياقات ، من رُكوبه وصعوده في المِعْرَاج وغير ذلك . ولهذا قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] والتسبيحُ إنما يكونُ عند الآياتِ العظيمةِ الخارقة ، فدلَّ

---

(١) في ح ، ط : وحوله مشركي .

(٢) الحديث أخرجه بنحوه الإمام أحمد في مسنده : (١/ ٣٠٩) رقم (٢٨٢٠) عن ابن عباس وإسناده صحيح ، وذكره المؤلف في التفسير عن الإمام أحمد وقال : وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الأعرابي به (وهو في التفسير ٣٠٥ وسننه الكبرى ١١٢٨٥) . ورواه البيهقي (في الدلائل ٢/ ٣٦٣ و٣٦٤) من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات ، وهو في مجمع الزوائد (١/ ٦٤) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) يعني البخاري ، انظر فتح الباري (٣٨٨٦) مناقب الأنصار باب حديث الإسراء و(٤٧١٠) التفسير سورة بني إسرائيل (١٧) باب أسرى بعبده ليلاً .

(٤) في مسند أحمد : بعض النعت . ولا ذكر لهذه العبارة في البخاري ، مما يدل على أنه اقتبس هذا النص في مسند أحمد ، وأنه استشهد بالصحيح في ذكر أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ فحسب .

(٥) تقدم حديث أم هانىء .

على أنه بالرُّوح والجَسَد ، والعبدُ عبارةٌ عنهما ، وأيضاً فلو كان مناماً لما بادَرَ كُفَّارُ قريشٍ إلى التكذيب به والاستبعاد له ، إذْ ليس في ذلك كبيرُ أمْرٍ ، فدلَّ على أنه أخبرهم بأنه أُسْرِيَ به يقظَةً لا مناماً . وقولُه في حديث شَرِيك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحِجْر »[١] معدودٌ في غلطاتِ شريك ، أو محمولٌ على أنَّ الانتقالَ من حالٍ إلى حال يُسمَّى يقظَةً كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهبَ رسولُ الله ﷺ [إلى][٢] الطائف فكذَّبوه ، قال : « فرجعتُ مهموماً ، فلم أستفِقْ إلا بقَرْنِ الثعالب » . وفي حديث أبي أُسيد حين جاء بابنِهِ إلى رسولِ الله ﷺ ليحنِّكَهُ فوضعه على فَخِذِ رسول الله ﷺ واشتغل رسولُ الله ﷺ بالحديث مع الناس ، فرَفَعَ أبو أُسيد ابنَه ، ثم استيقظ رسولُ الله ﷺ فلم يجدِ الصبي ، فسأل عنه ، فقالوا : رفع ، فسمَّاهُ المنذر[٣] . وهذا الحمل أحسن من التغليط . والله أعلم .

وقد حكى ابنُ إسحاق فقال[٤] : حدَّثني بعضُ آلِ أبي بكرٍ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنها كانت تقول : ما فُقِدَ جسدُ رسولِ الله ﷺ ولكن الله أسْرَى برُوحِه .

قال[٥] : وحدَّثني يعقوب بن عتبة ، أنَّ معاوية كان إذا سُئل عن مَسْرَى رسولِ الله ﷺ قال كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابنُ إسحاق[٥] : فلم يُنكَرْ ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إنَّ هذه الآية نزلَتْ في ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] وكما قال إبراهيمُ عليه السلام : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] وفي الحديث : « تنامُ عيني وقلبي يَقْظان »[٦] .

قال ابنُ إسحاق[٧] : فالله أعلم أي ذلك كان ، قد جاءه وعايَنَ فيه ما عاينَ من أمر الله تعالى ، على أيِّ

---

(١) هو الحديث المشار إليه فيما تقدم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، والحديث سيأتي .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ، فتح الباري (٦١٩١) الأدب باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ، وصحيح مسلم (٢٩ ـ ٢١٤٩) الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

(٤) في السير والمغازي (ص٢٩٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٩) والروض (٢/ ١٤٣) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٠) والروض (٢/ ١٤٣) .

(٦) رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٠) وهو قطعة من حديث عائشة رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ولفظهم : « إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » : فتح الباري (١١٤٧) التهجد باب قيام النبي ﷺ (٢٠١٣) صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان ، وصحيح مسلم (٧٣٨) (١٢٥) صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ . وسنن أبي داود (١٣٤١) الصلاة باب في صلاة الليل ، وجامع الترمذي (٤٣٩) الصلاة باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ . وأورده البخاري من حديث جابر فتح (٧٢٨١) الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ بلفظ : « إن العين نائمة والقلب يقظان » .

(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٠) والروض (٢/ ١٤٣) .

حاله كان ، نائماً أو يقظاناً[١] ، كل ذلك حقٌّ وصدق .

قلت : وقد توقَّف ابنُ إسحاق في ذلك وجوَّز كلاً من الأمرَيْن من حيث الجملة ، ولكنَّ الذي لا يُشكُّ فيه ولا يتمارى أنه كان يقظاناً[٢] لا محالة لما تقدَّم ، وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أنَّ جسده ﷺ ما فُقِد ، وإنما كان الإسراءُ برُوحه أن يكونَ مناماً كما فهمه ابنُ إسحاق ، بل قد يكون وقع الإسراءُ بروحه حقيقةً [وهو يقظان لا نائم ، وركب البُرَاقَ وجاء بيت المقدس ، وصعِدَ السمواتِ وعاين ما عاين حقيقة][٣] ، ويقظةً لا مناماً . لعل هذا مُرَادُ عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها ، ومرادُ مَنْ تابعها على ذلك . لا مافهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام . والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا نُنْكِرُ وقوعَ منامٍ قبل الإسراء طِبْقَ ما وقع بعد ذلك ، فإنَّه ﷺ كان لا يرَى رؤيا إلا جاءَتْ مثل فَلَقِ الصُّبح ، وقد تقدَّم مثل ذلك في حديث بَدْءِ الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظةً مناماً قبله ليكون ذلك من باب الإرْهاص والتَّوْطئة والتثبُّت والإيناس . والله أعلم .

وقد[٤] اختلف العلماءُ في أنَّ الإسراء والمعراج : هل كانا في ليلةٍ واحدة ؟ أو كلٌّ في ليلةٍ على حِدَة ؟ فمنهم من يزعم أنَّ الإسراء في اليقظة ، والمعراجَ في المنام . وقد حكى المهلَّبُ بن أبي صُفْرَة في شرحه البخاري[٥] عن طائفةٍ أنهم ذهبوا إلى أنَّ الإسراء [كان][٦] مرتين ؛ مرَّةً برُوحه مناماً ، ومرة ببدنه ورُوحه يقظةً ، وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السُّهَيْلي ، [عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه . قال السُّهيلي][٧] : وهذا القول يجمع الأحاديث فإنَّ في حديث شَرِيك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه ، وتنامُ عيناه ولا ينامُ قلبه ، وقال في آخره : « ثم استيقظتُ فإذا أنا في الحِجْر »[٨] وهذا منام ، ودلَّ غيرُه على اليقظة .

ومنهم من يدَّعي تعدُّدَ الإسراء في اليقظةِ أيضاً ، حتى قال بعضُهم : إنها أربعُ إسراءات . وزعم بعضُهم أنَّ بعضها كان بالمدينة ، وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : يقظان . وهو أشبه بالصواب لأن مؤنثه : يقظى . إلا أن بعضهم أجازها على لغة بعض العرب .
(٢) مضى التعليق عليها في الحاشية السابقة .
(٣) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٤) في ط : ثم قد . والمثبت من ح .
(٥) هو المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأندلسي المريِّي المتوفَّى سنة ٤٣٥هـ - وهو غير الأزدي البصري قائد الكتائب - صنف شرحاً لصحيح البخاري ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٩) .
(٦) زيادة يقتضيها السياق منقولة من قول السهيلي في الروض (٢/ ١٤٩) الذي سيشير إليه المؤلف .
(٧) ما بين المعقوفين ليس في ح وأظنه مقحماً من قبل النساخ ، لأن السهيلي لم يذكر شيخه أبا بكر في هذا الموضع من الروض (٢/ ١٤٩) حيث عقد فصلاً : أكان الإسراء يقظه أم مناماً . وإن المؤلف هنا ينقل قول السهيلي بمعناه لا بلفظه ، ولفظ السهيلي : وهذا القول هو الذي يصح ، وبه تتفق معاني الأخبار . اهـ .
(٨) هو الحديث المشار إليه في الصفحة السابقة .

ما وقع في روايات وحديث الإسراء بالجمع المتعدد[١] فجعل ثلاثَ إسراءات ، مرةً من مكة إلى البيت المقدَّس فقط على البُرَاق ، ومرةً من مكة إلى السماء على البراق أيضاً لحديث حُذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إنْ كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلافُ الروايات فقد اختلف لفظُ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ، ومَنْ أراد الوقوف على ذلك فلينظرْ فيما جمعناه مستقصياً في كتابنا التفسير عند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] وإن كان إنما حمله أنَّ التقسيم انحصر في ثلاثِ صفات بالنسبة إلى بيتِ المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحَصْرِ العقلي والوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل . والله أعلم .

والعجب أنَّ الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكرِهِ موتَ أبي طالب ، فوافق ابنَ إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفَهُ في ذكره بعد موت أبي طالب ، وابنُ إسحاق أخَّرَ ذِكر موت أبي طالب على الإسراء ، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان .

والمقصود أنَّ البخاري فرَّق بين الإسراء وبين المِعْرَاج ، فبوَّبَ لكلٍّ واحدٍ منهما باباً على حِدَة فقال[٢] :

بابُ حديثِ الإسراءِ وقول الله سبحانَهُ وتعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدَّثنا الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، حدَّثني أبو سَلَمة بنُ عبد الرحمن قال : سمعتُ جابرَ بن عبد الله أنه سمع رسولَ الله يقول : « لما كذَّبَتْني قُريش قمتُ[٣] في الحِجْر ، فجلَّى اللهُ لي بيتَ المقدس ، فطفِقْتُ أُخبِرهُم[٤] عن آياتِهِ وأنا أنظُرُ إليه » .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث [الزهري ، عن أبي سَلَمة ، عن جابر به[٥] .

ورواه مسلم والنسائي[٦] من حديث][٧] عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه[٨] .

---

(١) في ح : بالمتعدد .

(٢) فتح الباري (٧/ ١٩٦) .

(٣) في ح ، ط : كنت في الحجر ، والمثبت من فتح الباري .

(٤) في ح ، ط : أحدثهم . والمثبت من فتح الباري .

(٥) صحيح مسلم (١٧٠) (٢٧٦) الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، وجامع الترمذي (٣١٣٣) التفسير باب سورة بني إسرائيل ، والنسائي في التفسير (٣٠٢) وهو في سننه الكبرى (١١٢٨٢) ، وبه أخرجه الإمام أحمد أيضاً في المسند (٣/ ٣٧٧) .

(٦) في ط : « مسلم والنسائي والترمذي » ، وهو خطأ ، فإن الترمذي لم يخرج الحديث من هذا الوجه ، ولا ذكره أحد بما فيهم المزي في تحفة الأشراف (١٠/ ٣٥٣ حديث ١٤٩٦٥ من طبعتنا) . ولا أشك أن لفظة « الترمذي » مقحمة من النساخ ، فإنها قد أقحمت في غير موضعها ، ذلك أن من عادة المؤلف تقديم الترمذي على النسائي عند الإحالة ، كما في الذي قبله (بشار) .

(٧) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٨) صحيح مسلم (١٧٢) (٢٧٨) الإيمان باب ذكر المسيح عيسى بن مريم والمسيح الدجال ؛ وهو في التفسير من السنن=

ثم قال البخاري باب حديث المِعْراج[١] : حدَّثنا هُدْبَةُ بن خالد ، حدَّثنا همَّام ، حدَّثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، أنَّ النبيَّ ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أُسريَ به . قال : « بينما أنا في الحَطِيم ـ وربما قال في الحِجْر ـ مضطجعاً إذْ أتاني آتٍ فقدَّ ـ قال : وسمعته يقول : فشقَّ[٢] ـ ما بين هذه إلى هذه » فقلتُ : للجارود ـ وهو إلى جنبي ـ : ما يَعني به ؟ قال : من ثُغْرَةِ[٣] نَحْره إلى شِعْرَتِه، وسمعتُه يقول : من قَصِّه[٤] إلى شِعرته . « فاستخرج قلبي ، ثـم أُتيتُ بطسْتٍ من ذهب مملوءةٍ إيماناً فغُسل قلبي، ثم حُشِيَ ثم أُعيد ، ثم أُتيتُ بدابَّةٍ دون البَغْل وفوق الحمار ، أبيض » ـ فقال له الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس نعم ـ « يضَعُ خَطوَهُ عند أقْصَى طَرْفِهِ ؛ فحُملْتُ عليه ، فانطلق بي جبريل[٥] حتى أتى السماءَ الدنيا فاستفتحَ ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعمَ المجيءُ جاء ! فَفَتح ، فلما خَلَصتُ فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه . فسلَّمت عليه ، فردَّ السلام ثم قال : مرحباً بالابنِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي إلى السماءِ الثانية ، فاستفتح قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ! ففَتح ، فلما خلَصْتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلِّمْ عليهما . فسلمتُ عليهما ، فردَّا ثم قالا : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعمَ المجيءُ جاء ! ففتح ، فلما خلصتُ إذا يوسُف ، قال : هذا يُوسف فسلِّم عليه فسلمتُ عليه ، فردَّ ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي حتى أتى السماءَ الرابعة فاستفتح ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟

= الكبرى (١١٢٨٤) و(١١٤٨٠) .

(١) فتح الباري (٣٨٨٧) .

(٢) في ط : إذ أتاني آت فقال وسمعته يقول فشق . وفي ح : فقال مال وضرب على اللفظة الثانية ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من صحيح البخاري في الفتح ، قال ابن حجر يشرحه (٧/ ٢٠٤) : القائل قتادة والمقول عنه أنس ، ولأحمد : « قال قتادة سمعت أنساً يقول » فشق .

(٣) في ح : ثعر ، وفي ط : نقرة . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من صحيح البخاري ، قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٠٤) : وهي الموضع المنخفض بين الترقوتين .

(٤) « قصه » : أي رأس صدره . فتح الباري (٧/ ٢٠٤) .

(٥) في ط : جبرائيل . وفي كل المواضع ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ففتح ، فلما خلصتُ إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلِّم عليه فسلمتُ عليه فردَّ . ثم قال : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي حتى أتى السماءَ الخامسة ، فاستفتح قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعمَ المجيءُ جاء ! فلما خلصتُ إذا هارون ، قال : هذا هارونُ فسلِّم عليه . فسلمتُ عليه . فردَّ ، ثم قال : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي حتى أتى السماءَ السادسة ، فاستفتح ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ! فلما خلصتُ إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلِّمْ عليه . فسلمتُ عليه ، فردَّ ، ثم قال : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح . فلماتجاوزتُ بكى ، فقيل له : ما يُبكيك ؟ قال : أبكي لأنَّ غلاماً بُعث بعدي يدخُل الجنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخلُها من أمتي .

ثم صعِدَ بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعثَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ! فلما خلصتُ إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلِّمْ عليه ، فسلَّمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابنِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم رُفعتْ لي سِدْرَةُ المُنْتَهَى ، [فإذا نَبِقُها مثل قِلالِ هَجَر ، وإذا ورقُها مثلُ آذان الفِيَلَة . قال : هذه سِدْرَة المنتهى][(١)] وإذا أربعةُ أنهار ؛ نهرانِ ظاهران ، ونهرانِ باطنان ، فقلتُ : ما هذا[(٢)] ، يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ؛ وأمَّا الظاهرانِ فالنيلُ والفرات ، ثم رُفع لي البيتُ المعمور - [يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك][(٣)] - ثم أُتيت بإناءٍ من خمر وإناءٍ من لَبَن وإناءٍ من عَسَل ، فأخذتُ اللَّبَن ، فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأُمَّتُك . ثم فرضت علي الصلاة خمسينَ صلاةً[(٤)] كلَّ يوم ، فرجعتُ فمررتُ على موسى فقال : بما[(٥)] أُمِرت ؟ قال : أُمرتُ بخمسين صلاة كلَّ يوم . قال : إنَّ أمتك لا تستطيعُ خمسينَ صلاةً كل يوم ، وإني والله قد جرَّبتُ الناسَ قبلك ، وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت من ح وصحيح البخاري .

(٢) في فتح الباري : « ما هذان » .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري ، وهو زيادة من رواية الكشميهني أشار لها ابن حجر في الفتح (٧/ ٢١٥) .

(٤) في ح ، ط : ثم فرض علي الصلوات خمسون ، والمثبت من الفتح .

(٥) إثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ ، وجائز في بعض لغة العرب ، انظر الخزانة (٦/ ٩٩) .

المعالجة ؛ فارجعْ إلى ربّك فاسْألْهُ التخفيفَ لأمتك . فرجعتُ ، فوضع عني عشراً . فرجعتُ إلى موسى فقال مثله ، فرجعتُ فوضعَ عني عشراً . فرجعتُ إلى موسى فقال مثله ، فرجعتُ فوضع عني عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعتُ فأُمرت بعشر صلواتٍ كل يوم ، فرجعت ، فقال مثله فرجعتُ فأُمـرتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم ، فرجعتُ إلى موسى فقال : بم[١] أمرت ؟ فقلت : أمرت بخمس صلواتٍ كلَّ يوم . قال : إنَّ أُمَّتك لا تستطيعُ خمسَ صلواتٍ كلَّ يوم ، وإنِّي قد جرَّبتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة ، فارجعْ إلى ربّك فاسألْه التخفيفَ لأُمتك . قال : سألتُ ربِّي حتى استحيَيْتُ ، ولكنْ أرضى وأُسَلِّم . قال : فلما جاوزتُ نادَى منادٍ : أمضَيْتُ فريضتي ، وخفَّفْتُ عن عبادي » .

هكذا روى البخاري هذا الحديث هاهنا . وقد رواه في مواضع أُخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة[٢] .

ورويناه من حديث أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب ، ومن حديث أنس عن أبي ذر . ومن طرقٍ كثيرة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ . وقد ذكرنا ذلك مستقصًى بطُرقِه وألفاظِه في التفسير[٣] ، ولم يقع في هذا السياق ذكرُ بيت المقدس ، وكان بعضُ الرواة يحذفُ بعضَ الخبر للعلم به ، أو ينساه ، أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارةً فيسوقُه كلَّه ، وتارة يحدِّث مُخاطِبَه بما هو الأنفعُ له[٤]

ومَنْ جعل كلَّ روايةٍ إسراءٍ على حِدَة كما تقدَّمَ عن بعضهم فقد أبعد جدّاً . وذلك أنَّ كلَّ السياقاتِ فيها السلامُ على الأنبياء ، وفي كل منها يُعَرِّفه بهم ، وفي كلِّها يفرضُ عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدَّعي تعدُّدَ ذلك ؟ هذا في غاية البُعْد والاستحالة . والله أعلم .

ثم قال البخاري[٥] : حدَّثنا الحُميدي ، حدَّثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] . قال : هي رُؤْيا عَيْن ، أُريها رسولُ الله ﷺ ليلةَ أُسري بهِ إلى بيتِ المقدس ؛ والشجرة الملعونةَ في القرآن . قال : هي شجرة الزَّقُّوم[٦]

---

(١) في فتح الباري : بما .

(٢) فتح الباري (٣٢٠٧) بدء الخلق باب ذكر الملائكة وفي الأنبياء (٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) ، وصحيح مسلم (١٦٤) و(٢٦٤) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ ، وجامع الترمذي (٣٣٤٦) التفسير باب ومن سورة ألم نشرح ، وسنن النسائي (٤٤٨) الصلاة باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩) وما بعد عند سورة الإسراء .

(٤) في ط : وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده ، والمثبت من ح .

(٥) فتح الباري (٣٨٨٨) مناقب الأنصار باب المعراج .

(٦) زادت نسخة ح هنا ما نصه : انفرد به البخاري، وليس كذلك، فقد رواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، حدَّثنا سفيان به .

فصـــل

ولما أصبح رسولُ الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبريل عند الزوال فبيَّن له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمرَ رسولَ الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا فصلى به جبريل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي ﷺ وهو يقتدي بجبريل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر : « أَمَّني جبريل عند البيت مرَّتين »[١] . فبين له الوقتَيْن الأول والآخِر . فهما وما بينهما الوقت الموسع ، ولم يذكر توسعةً في وقت المغرب .

وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبُرَيدة وعبد الله بن عمرو ، وكلُّها في صحيح مسلم[٢] . وموضع بسط ذلك في كتابنا الأحكام ولله الحمد .

فأما ما ثبتَ في صحيح البخاري[٣] عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فُرضتِ الصلاةُ أولَ ما فُرضتْ ركعتَيْن ، فأُقِرَّتْ صلاةُ السَّفَر ، وزيدَ في صلاةِ الحَضَر .

وكذا رواهُ الأوزاعي ، عن الزهري[٤] ، ورواه الشعبي ، عن مسروق عنها[٥] ؛ وهذا مشكل من جهةِ أنَّ عائشة كانتْ تتمُّ الصلاةَ في السفر ، وكذا عثمان بن عفان ، وقد تكلَّمنا على ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [النساء : ١٠١] .

قال البيهقي[٦] : وقد ذهب الحسَنُ البصريّ إلى أنَّ صلاة الحَضَر أول ما فُرضتْ أربعاً . كما ذكرَهُ مرسلاً من صلاته ﷺ صبيحةَ الإسراء الظهرَ أربعاً ، والعصرَ أربعاً ، والمغرب ثلاثاً يجهر في الأُولَيَيْن والعشاءَ أربعاً يجهر في الأولَيَيْن ، والصبح ركعتين يَجْهَرُ فيهما . قلت : فلعلَّ عائشةَ أرادتْ أنَّ الصلاةَ

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٣٩٣) الصلاة باب ما جاء في المواقيت ، والترمذي في الجامع (١٤٩) الصلاة باب ما جاء في مواقيت الصلاة ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٣٣ و٣٥٤) وابن خزيمة في صحيحه (٣٢٥) الصلاة باب ذكر مواقيت الصلاة الخمس ، والدارقطني في السنن (١/ ٢٥٨) الصلاة باب إمامة جبريل ، وغيرهم .

(٢) يضاف إليها حديث أبي مسعود الأنصاري وهي مروية في صحيح مسلم (١/ ٤٢٥ ـ ٤٣٠) الأرقام (٦١٠ ـ ٦١٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب أوقات الصلوات الخمس .

(٣) فتح الباري (٣٩٣٥) مناقب الأنصار باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ . وهذه الرواية هي المشار إليها عن معمر . ولفظها يختلف عن اللفظ الذي ساقه المؤلف وهو من طريق صالح بن كيسان عن عروة به ، وهو في صحيح البخاري فتح (٣٥٠) الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ، وهي رواية مسلم في صحيحه (١ ـ ٦٨٥) صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة المسافرين وقصرها ، وأخرجه مالك في الموطأ (٨) قصر الصلاة في السفر باب قصر الصلاة في السفر ، والنسائي في السنن (٤٥٤) الصلاة باب كيف فرضت الصلاة .

(٤) وهي رواية النسائي المشار إليها في الحاشية السابقة ، وأخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل (٢/ ٤٠٦) .

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣٠٥) الصلاة باب ذكر فرض الصلوات الخمس من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي به .

(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٤٠٧) .

كانتْ قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فُرضتِ الخمس فُرضت حَضَراً على ما هي عليه ، ورُخِّص في السفر أنْ يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً ، وعلى هذا لا يَبْقَى إشكال بالكليَّة . والله أعلم .

فصل

انشقاق القمر في زمان النبيِّ ﷺ

وجعل الله آية على صدقِ رسولِ الله ﷺ فيما جاء به من الهُدَى ودينِ الحق حيث كان وَفْقَ إشارته الكريمة[١] ، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ـ ٣] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه ﷺ ، وجاءَتْ بذلك الأحاديثُ المتواترة ، من طُرقٍ متعدِّدة ، تفيد القَطْعَ عند مَنْ أحاط بها ونظر فيها . ونحن نذكرُ من ذلك ما تيسَّر إنْ شاء الله ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلان . وقد استقصَيْنا[٢] ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطُّرقَ والألفاظ محرَّرةً ، ونحن نشير هاهنا إلى أطرافٍ من طُرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته . وذلك مَرْوِيٌّ عن أنس بن مالك ، وجُبير بن مطعم ، وحُذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، حدَّثنا معمر ، عن [الزهري ، عن] قتادة ، عن أنس بن مالك قال : سألَ أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ آيةً ، فانشقَّ القمرُ بمكةَ مرَّتَيْن . فقال : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

ورواه مسلم[٤] عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به . وهذا من مرسلاتِ الصحابة ؛ والظاهر أنه تلقَّاه عن الجمِّ الغفير من الصحابة ، أو عن النبيِّ ﷺ ، أو عن الجميع .

وقد روى البخاري ومسلم[٥] هذا الحديث من طريق شَيْبان ؟ زاد البخاري : وسعيد بن أبي عَروبة ، وزاد مسلم[٦] : وشعبة ، ثلاثتهم ، عن قتادة ، عن أنس : أنَّ أهلَ مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يُرِيَهُمْ آيةً ، فأراهُم القمرَ شِقَّتَيْنِ ، حتى رأَوْا حِرَاء بينهما . لفظ البخاري[٧] .

---

(١) في ط : كان ذلك وقت إشارته الكريمة ، والمثبت من ح .

(٢) في ط : تقصينا .

(٣) في المسند (٣/ ١٦٥) رقم (١٢٦٢٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في صحيحه (٢٨٠٢) (٤٦) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر .

(٥) فتح الباري (٣٦٣٧) المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . ورواية مسلم هي المشار إليها في الحاشية السابقة .

(٦) هي رقم (٢٨٠٢) (٤٧) من الكتاب والباب المشار إليه في الحاشية (٤) .

(٧) هذا اللفظ في الفتح (٣٨٦٨) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر . قال ابن حجر في قوله : حتى يروا حراء بينهما : أي : بين الفرقتين .

وأما جُبير بن مُطْعم ، فقال الإمامُ أحمد[١] : حدَّثنا محمد بن كثير ، حدَّثنا سليمان بن كثير ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعم ، عن أبيه قال : انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فصار فِرْقَتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرَنَا محمد ! فقالوا : إنْ كان سحَرَنا فإنه لا يستطيعُ أن يسحَرَ الناسَ كُلَّهم .

تفرَّد به أحمد[٢] .

وهكذا رواه ابنُ جرير[٣] ، من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به .

وقد رواه البيهقي[٤] من طريق إبراهيم بن طَهْمان وهُشيم كلاهما عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن جُبير بن محمد بن جُبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن جدِّه به ، فزاد رجلاً في الإسناد[٥] .

وأما حُذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في « الدلائل »[٦] من طريق عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن[٧] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ألا وإنَّ الساعة قد اقتربتْ ، ألا وإنَّ القمرَ قدِ انشقّ [على عهد رسول الله ﷺ][٨] ، ألا وإنَّ الدُّنيا قد آذنَتْ بفراق ، ألا وإنَّ اليوم المِضْمار[٩] وغداً السِّبَاق[١٠] . فلما كانت الجمعةُ الثانية انطلقتُ مع أبي إلى الجُمعة ، فحمدَ الله وقال مثله وزاد : ألا وإنَّ السابقَ مَنْ سبقَ إلى الجنة[١١] . فلما كنَّا في الطريق قلتُ لأبي : ما يعني بقوله : غداً السباق ؟ قال : مَنْ سبَقَ إلى الجنة .

---

(١) في المسند (٤/ ٨١ ـ ٨٢) .

(٢) وإسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن حصين بن عبد الرحمن لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم ، بينهما جبير بن محمد بن جبير كما سيأتي بعد قليل ، وجبير هذا مجهول . وقد رواه من هذا الوجه : الترمذي (٣٢٨٩) ، والطبراني في الكبير (١٥٥٩) ، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٨) . (بشار) .

(٣) يعني الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٦) في تفسير سورة القمر .

(٤) في الدلائل (٢/ ٢٦٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧١) في تفسير الآية وقال : أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير والحاكم وأبو نعيم والبيهقي عن جبير .

(٥) وهذا هو الأشبه كما بينه الإمام الدارقطني في العلل (٤/ الورقة ١٠٤) ، وقال البيهقي : أقام إسناده إبراهيم بن طهمان وهشيم وأبو كريب والمفضل بن يونس عن حصين .

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧٢) وقال : أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي عبد الرحمن السلمي قال خطبنا حذيفة . . . الحديث .

(٧) ليست اللفظة في ح .

(٨) ما بين معقوفين من الدر المنثور .

(٩) في ح والدر المنثور : الضمار ، والمثبت من ط والنهاية لابن الأثير وشرحه فيه : أي اليوم العمل في الدنيا للاستباق في الجنة . والمضمار : الموضع الذي تضمَّرُ فيه الخيل ، ويكون وقتاً للأيام التي تضمَّر فيها .

(١٠) إلى هنا في الدر المنثور .

(١١) في ط : الجمعة ، والمثبت من ح .

وأما ابنُ عباس ، فقال البخاري[١] : حدَّثنا يحيى بن بُكَيْر[٢] ، حدَّثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة ، عن ابن عباس ، قال : إنَّ القمر انْشَقَّ في زمانِ النبيِّ ﷺ .

ورواه البخاري أيضاً ومسلم[٣] من حديث بكر ـ وهو ابنُ مُضَر[٤] ـ عن جعفر [ـ هو ابن ربيعة ـ عن عِرَاك به .

وقال ابنُ جرير[٥] : حدَّثنا ابن مثنى ، حدَّثنا عبد الأعلى ، حدَّثنا داود بن أبي هند ، عن[٦] ابن عباس][٧] قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ . قال : قد مضى ذلك ، كان قبلَ الهجرة ، انشقَّ القمر حتى رأوا شِقَّيْه .

وهكذا رواهُ العَوْفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مرسلاته .

وقال الحافظ أبو نعيم[٨] : حدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا بكر بن سهل[٩] ، حدَّثنا عبد الغني بن سعيد ، حدَّثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جُريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وعن مقاتل عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ، قال ابن عباس : اجتمعَ المشركون إلى رسولِ الله ﷺ ، منهم الوليدُ بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، وزَمَعة بن الأسود ، والنضْر بن الحارث ، ونظراؤهم ، فقالوا للنبي ﷺ : إنْ كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتَيْن ، نصفاً على أبي قُبيس ونصفاً على قُعيقعان . فقال لهم النبيُّ ﷺ : « إنْ فعلتُ تؤمنوا ؟ » قالوا : نعم ـ وكانت ليلة بَدْر ـ فسأل اللهَ عزَّ وجل أنْ يُعطيَهُ ما سألوا ، فأمسى القمَرُ قد مَثُلَ[١٠] نصفاً على أبي قُبيس ، ونصفاً على قُعَيقِعان ، ورسولُ الله ﷺ يُنادي : « يا أبا سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، اشْهَدُوا » .

---

(١) فتح الباري (٤٨٦٦) التفسير سورة القمر (٥٤) باب وانشق القمر .
(٢) في ط : يحيى بن كثير ، وهو تصحيف ، والمثبت من ط وصحيح البخاري في الفتح .
(٣) فتح الباري (٣٨٧٠) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر ، وصحيح مسلم (٢٨٠٣) (٤٨) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر .
(٤) في ح، ط: ابن نصر، وهو تصحيف، والمثبت من صحيح البخاري ومسلم وترجمته في تهذيب الكمال (٧/ ٢٢٧).
(٥) يعني الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٦) في تفسير سورة القمر .
(٦) كذا في ح ، وزادت مطبوعة تفسير الطبري : عن علي قبل ابن عباس ، وأظنه تصحيفاً ، والصواب : عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .
(٧) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .
(٨) في دلائل النبوة (١/ ٣٦٨) وإسناده ضعيف لضعف بكر بن سهيل ، وشيخه عبد الغني بن سعيد الثقفي (الميزان ٢/ ٦٤٢) .
(٩) في ط : سهيل ، تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل أبي نعيم ، وترجمته في الميزان ولسان الميزان .
(١٠) في ح : فانشق القمر نصفاً . . . وفي ط : فأمسى القمر قد سلب نصفاً . . . ، والمثبت من دلائل النبوة لأبي نعيم .

ثم قال أبو نعيم[١] : وحدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا الحسن بن العباس الرازي ، عن الهيثم بن النعمان[٢] ، حدَّثنا إسماعيل بن زياد ، عن ابن جُريج ، عن عطاء عن ابن عباس ، قال : انتهى أهلُ مكة إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا : هل من آيةٍ نعرف بها أنك رسولُ الله ؟ فهبط جبرائيل فقال : يا محمد ، قل لأهل مكَّةَ أَنْ يحتفلوا هذه الليلة فسَيَرَوْا آيةً إن انتفعوا بها . فأخبرهم رسولُ الله ﷺ بمقالة جبرائيل فخرجوا [ليلة الشق][٣] ، ليلة أربعَ عشرة ، فانشقَّ القمرُ بنصفَيْن ، نصفاً على الصَّفَا ونصفاً على المَرْوَة ، فنظروا ، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثمَّ أعادوا النظر فنظروا ، ثمَّ مسحوا أعينهم ثمَّ نظروا ، فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحرٌ ذاهب[٤] فأنزل الله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

ثمَّ روى[٥] عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : جاءت أحبارُ اليهود إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا : أرِنا آيةً حتى نؤمن بها . فسأل ربَّهُ فأراهم القمرَ قدِ انشق فصار نصفين[٦] أحدهما على الصَّفَا ، والآخر على المَرْوَة ، قَدْرَ ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ، ثمَّ غاب . فقالوا : هذا سحرٌ مستمر[٧] .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني[٨] : حدَّثنا أحمد بن عمرو البزَّار[٩] ، حدَّثنا محمد بن يحيى القُطَعي ، حدَّثنا محمد بن بكر ، حدَّثنا ابن جُريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابنِ عباس ، قال : كَسَفَ القمرُ على عهد رسولِ الله ﷺ فقالوا : سحر القمر . فنزلَتْ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] .

وهذا إسنادٌ جيِّد ، وفيه أنه كَسَف تلك الليلة ، فلعلَّه حصل له انشقاقٌ في ليلةِ كُسوفه ، ولهذا خَفِيَ أمْرُه على كثيرٍ من أهل الأرض ، [ولعلَّ ذلك في بعض ليالي الشتاء حيث يكون أكثر الناس في البيوت ، أو ستره غَيْمٌ عن كثير من الأرض][١٠] ، ومع هذا قد شوهد ذلك في كثيرٍ من بقاعِ الأرض .

ويقال : إنه أُرِّخ ذلك في بعضِ بلاد الهند ، وبُني بناء تلك الليلة وأُرِّخ بليلةِ انشقاق القمر .

---

(١) ليست هذه الرواية في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، قال بشار : وإسنادها تالف ، فإسماعيل بن زياد كذاب .
(٢) في ط : العمان . والمثبت من ح ولم أقف على ترجمة له .
(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح .
(٤) في ط : واهب . وفي المطبوع بتحقيق عبد الواحد : راهب ، والمثبت من ح .
(٥) يعني أبا نعيم في دلائل النبوة (١/ ٣٦٩) .
(٦) في ط : انشق بجزأين . والمثبت من ح .
(٧) في ط : مفترى ، والمثبت من ح والدلائل .
(٨) في المعجم الكبير (١١٦٤٢) .
(٩) في ح ، ط : الرزاز ، وهو تصحيف ، والمثبت من معجم الطبراني وترجمة البزار في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٥٤) .
(١٠) ما بين المعقوفين مثبت في هامش ح بإشارة لَحَق في المتن .

وأما ابنُ عمر فقال الحافظ البيهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدَّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا العباس بن محمد الدُّوري ، حدَّثنا وهب بن جرير ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشق فِلْقَتَيْن[٢] ، فِلْقَة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبيُّ ﷺ : « اللهمَّ اشْهَدْ » .

رواه مسلم والترمذي من طرق[٣] ، [عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد][٤] ، به .

قال مسلم[٥] : كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود .

وقال الترمذي[٦] : هذا حديثٌ حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا سفيان ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود ، قال : انشقَّ القمَرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ شقتَيْن حتى نظروا إليه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اشهدوا » .

وهكذا أخرجاه[٨] من حديث سفيان ـ وهو ابنُ عيينة ـ به .

ومن[٩] حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود[١٠] قال : انشقَّ القمرُ ونحنُ مع رسولِ الله ﷺ بمنى ، فقال النبيُّ ﷺ : « اشهَدُوا » وذهبَتْ فِرْقَةٌ نحو الجبل . (لفظ

---

(١) في الدلائل (٢/ ٢٦٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧١) فقال : وأخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل . . . فذكر الحديث .

(٢) لفظ الدر المنثور : فرقتين . . . فرقة . . . وفرقة .

(٣) صحيح مسلم (٢٨٠١) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر ، وجامع الترمذي (٢١٨٢) في الفتن ، و(٣٢٨٨) في التفسير تفسير سورة القمر .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ط واستعيض عنه بلفظ : به وهو مثبت في ح .

(٥) يعني أنه ساق الإسناد ثم قال : مثلَ ذلك . صحيح مسلم (٢٨٠١) ، وحديث ابن مسعود برقم (٢٨٠٠) .

(٦) يعني بعد رواية الحديث رقم (٢١٨٢) .

(٧) في المسند (١/ ٣٧٧) رقم (٣٥٨٣) .

(٨) يعني البخاري ومسلم ، فتح الباري (٣٦٣٦) المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . وصحيح مسلم (٢٨٠٠) (٤٣) صفات المنافقين باب انشقاق القمر .

(٩) فتح الباري (٣٨٦٩) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر ، وصحيح مسلم (٢٨٠٠) (٤٤) صفات المنافقين باب انشقاق القمر .

(١٠) في ح : عن أبي معمر عن عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود ، وكذا في ط غير : سخبرة . ففيها : سمرة . ويبدو أنه مقحم من قبل الناسخ فأسقطته وأثبت ما جاء في البخاري ومسلم .

البخاري) ، ثم قال البخاري : وقال أبو الضُّحَى[(١)] عن مسروق عن عبد الله « [انشقَّ] بمكة » . وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطيالسي حديثَ أبي الضُّحى عن مسروق [ذلك في « مسنده[(٢)] » فقال : حدثنا أبو عوانة عن المغيرة ، عن أبي الضحى ، عن مسروق][(٣)] ، عن عبد الله بن مسعود . قال : انشقَّ القمر على عهدِ رسولِ الله ﷺ ، فقالت قريش : هذا سِحْرُ ابنِ أبي كبشة ، فقالوا : انظروا[(٤)] ما يأتيكم به السُّفَّار ، فإنَّ محمداً لا يستطيعُ أن يسحَرَ الناسَ كلَّهم . قال : فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك .

وقال البيهقي[(٥)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، [ثنا أبو العباس][(٦)] ، حدَّثنا العباسُ بن محمد الدُّوريّ ، حدَّثنا سعيد بن سليمان ، حدَّثنا هُشيم ، حدَّثنا مغيرة ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشقَّ القمرُ بمكةَ حتى صار فِرْقَتَيْن ، فقال كفَّار قريش لأهل مكة : هذا سِحْر ، سحركم به ابنُ أبي كَبْشَة ، انظروا السُّفَّار ، فإنْ كانوا رأَوْا ما رأيتم فقد صدق ، وإنْ كانوا لم يرَوْا مثل ما رأيتم فهو سِحْرٌ سحركم به . قال : فسُئِل السُّفَّار ، قال : وقد وقدِموا من كلِّ وجهة[(٧)] ، فقالوا : رأينا .

وهكذا رواه [ابنُ جرير[(٨)] من حديث المغيرة ، وزاد : فأنزل الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

رواهُ][(٩)] أبو نعيم من حديث جابر[(١٠)] عن الأعمش ، عن أبي الضُّحى ، عن مسروق عن عبد الله ، به .

وقال الإمام أحمد[(١١)] : حدَّثنا مؤمَّل ، حدَّثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال : انشقَّ القمَرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ حتى رأيتُ الجبل من بينِ فُرجتَي القمر .

---

(١) في ط : أبو الضحاك . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري ، وما سيأتي بين معقوفين منه .
(٢) في مسنده (٢٩٥) .
(٣) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو في ح .
(٤) في مسند أبي داود : انتظروا .
(٥) في الدلائل (٢/ ٢٦٧) .
(٦) ليس ما بين المعقوفين في دلائل البيهقي .
(٧) في الدلائل : وجه .
(٨) يعني الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٥) تفسير سورة القمر .
(٩) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .
(١٠) في ح : جرير . وأثبت ما في ط ، وليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل أبي نعيم ، وقد روى كل من جابر بن نوح الحماني وجرير بن حازم وجرير بن عبد الحميد عن الأعمش ، فالله أعلم أيهم المقصود في هذه الرواية . وترجمة الأعمش في تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦ ـ ٩١) .
(١١) في المسند (١/ ٤١٣) .

وهكذا رواه ابنُ جرير[(١)] من حديث أسباط ، عن سماك به .

وقال الحافظ أبو نعيم[(٢)] : حدَّثنا أبو بكر الطَّلْحي ، حدَّثنا أبو حَصِين محمد بن الحسين الوادِعي ، حدَّثنا يحيى الحِمَّاني ، حدَّثنا يزيد ، عن عطاء ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنَّا مع النبيِّ ﷺ بمنى فانشقَّ القمر ، حتى صار فِرْقَتَيْن فتوارت ، فِرْقةٌ خلْف الجَبَل ، فقال النبيُّ ﷺ : « اشهدوا ، اشهدوا »[(٣)] .

وقال أبو نعيم[(٤)] : حدَّثنا سليمان بن [أحمد ، حدَّثنا جعفر بن محمد القلانسي ، حدَّثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا الليث بن][(٥)] سعد ، حدَّثنا هشام بن سعد ، عن عتبة ، عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود ، قال : انشقَّ القمَر ونحن بمكَّة ، [فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة][(٥)] .

وحدَّثنا[(٦)] أحمد بن إسحاق ، حدَّثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدَّثنا محمد بن حاتم ، حدَّثنا معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ، قال : انشقَّ القمرُ بمكَّة ، فرأيتُه فِرْقَتَيْن .

ثم روى[(٤)] من حديث علي بن سعيد بن مسروق ، حدَّثنا موسى بن عمير ، عن منصور بن المعتمر ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : رأيتُ القمرَ واللهِ منشقاً باثنتَيْن بينهما حِرَاء .

وروى أبو نعيم[(٤)] من طريق السُّدِّي الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . قال : انشقَّ القمر فِلْقَتَيْن . فِلْقَةٌ ذهبَتْ ، وفلقةٌ بقيتْ . قال ابنُ مسعود : لقد رأيتُ جبلَ حِرَاء بين فِلْقَتي القمر ، فذهبَتْ فِلْقَة . فتعجَّب أهلُ مكَّة من ذلك وقالوا : هذا سحرٌ مصنوع ، سيذهب . وقال ليث بن أبي سُليم ، عن مجاهد . قال : انشقَّ القمَرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فصار فرقتَيْن ، فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكر : « اشْهَدْ[(٧)] يا أبا بكر » . وقال المشركون : سحرَ القمرَ حتى انشقَّ .

فهذه طرقٌ متعدِّدةٌ ، قويَّةُ الأسانيد ، تفيد القَطْع لمن تأمَّلها وعرف عدالة رجالها . وما يذكُره بعضُ القُصَّاص من أنَّ القمر سقط إلى الأرض حتى دَخَلَ في كُمِّ النبيِّ ﷺ وخرج من الكُمِّ الآخر فلا أصلَ له ،

---

(١) يعني الطبري في تفسير سورة القمر التفسير (٢٧/ ٨٥) .

(٢) ليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل أبي نعيم ، وقد ذكرها السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧١) فقال : وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود . . . فذكر الحديث .

(٣) في الدر المنثور : اشهدوا مرة واحدة .

(٤) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من الدلائل ولا في الدر المنثور .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٦) القائل أبو نعيم في الدلائل (١/ ٣٦٧) .

(٧) في ط : فاشهد ، والمثبت من ح .

وهو كذبٌ مُفْتَرى ليس بصحيح . والقمر حين انشقّ لم يزايلِ السماء ، غيرَ أنه حين أشار إليه النبيُّ ﷺ انشقَّ عن إشارته ، فصار فرقتَيْن ، فسارَت واحدة حتى صارت من وراء حِراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابنُ مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد[١] : فانشق القمر بمكة مرَّتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتَيْن . والله أعلم .

فصـــل

وفاة أبي طالب عمِّ رسول الله ﷺ

ثم من بعده خديجة بنت خُويلد زوجة رسولِ الله ﷺ ورضي الله عنها . وقيل : بل هي تُوفِّيت قبله والمشهور الأول . وهما المُشْفِقان ، هذاك[٢] في الظاهر وهذه في الباطن ؛ هذاك كافر ، وهذه مؤمنة صِدِّيقة رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابنُ إسحاق[٣] : ثم إنَّ خديجة وأبا طالب هَلَكا في عام واحد ، فتتابعَتْ على رسولِ الله ﷺ المصائب بهُلْكِ خديجة ، وكانت له وزيرَ صِدْق على الإسلام[٤] ، يسكنُ إليها ، وبهُلْكِ عمِّه أبي طالب ، وكان له عَضُداً وحِرْزاً في أمره ، ومَنَعةً وناصراً على قومه . وذلك قبلَ مُهَاجره إلى المدينة بثلاثِ سنين ، فلما هَلَك أبو طالب ، نالتْ قريش من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكنْ تطمَعُ به في حياة أبي طالب حتى اعترضَهُ سفيهٌ من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تُراباً . فحدَّثني هشامُ بن عروة ، عن أبيه ، قال : فدخل رسولُ الله ﷺ بيتَه والترابُ على رأسه ، فقامتْ إليه إحدى بناته ، فجعلتْ تغسلُه وتبكي ، ورسولُ الله ﷺ يقول : « لا تبكي يا بُنَيَّة ، فإنَّ الله مانعٌ أباك » . ويقول بين ذلك : « ما نالَتْني قريش شيئاً أكرهه[٥] حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أنَّ أحدهم ربما طرح الأذى في بُرْمَتِهِ[٦] ﷺ إذا نُصِبَتْ له . قال : فكان إذا فعلوا ذلك كما حدَّثني عمر بن عبد الله ، عن عروة ، يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه ، فيقف [به][٧] على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف ، أيُّ جوارٍ هذا » ؟! ثم يلقيه في الطريق .

---

(١) هي الرواية المتقدمة (ص٣٥٤) موضع الحاشية (٣) .
(٢) في ط : وهذان المشفقان هذا . والمثبت من ح .
(٣) السير والمغازي (ص٢٤٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٤١٦) والروض (٢/ ١٦٦) .
(٤) في ط : الابتلاء . والمثبت من ح ومصادر الخبر .
(٥) في سيرة ابن هشام : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه . وهو أشبه بالصواب .
(٦) البُرْمَة : القدر . النهاية لابن الأثير .
(٧) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام (١/ ٤١٦) .

قال ابن إسحاق[١] : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثِقَلُه قالت قريش بعضُها لبعض : إنَّ حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فَشَا أمْرُ محمدٍ في قبائل قريش كلِّها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فلْيأخُذْ لنا على ابنِ أخيه ولْيُعْطِهِ منَّا ، فإنا والله ما نأمن أن يبتزُّونا أمْرَنا .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني العبّاسُ بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله ، عن ابن عباس قال : لما مشَوْا إلى أبي طالب وكلَّموه ـ وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشَيْبَة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميَّة بن خلف ، وأبو سفيان بن حَرْب ، في رجالٍ من أشرافهم ـ فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منَّا حيثُ قد علمت ، وقد حضَرَك ما ترى وتخوَّفنا عليك وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابنِ أخيك فادْعُه فخُذْ لنا منه وخذْ له منَّا ، ليكفَّ عنا ولنكفَّ عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا لك[٢] ، ليعطوك وليأخذوا منك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم[٣] ، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتَدينُ لكم بها العَجَم » . فقال أبو جهل : نعم ، وأبيك وعشر كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعونَ ما تعبدونَ من دونه » . قال : فصفَّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : يا محمد أتريدُ أن تجعلَ الآلهة إلّهاً واحداً ؟! إنَّ أمرك لعَجَب ! قال : ثم قال بعضُهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضُوا على دينِ آبائكم حتى يحكم الله بنيكم وبينه ، ثم تفرقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يا ابنَ أخي ، ما رأيتك سألتَهم شَطَطا . قال : فطمع رسولُ الله ﷺ فيه[٤] ، فجعل يقول له : « أي عم ، فأنتَ فقُلْها أستحلَّ لك بها الشفاعةَ يوم القيامة » فلما رأى حِرْصَ رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي ، والله لو لا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظنَّ قُريش أني إنما قلتُها جَزعاً من الموت لقلتُها ، لا أقولُها إلا لأسُرَّكَ بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموتُ نظر العباسُ إليه يحرِّكُ شفتَيْه ، فأصْغَى إليه بإذنه ، قال : فقال : يا ابنَ أخي ، والله لقد قال أخي الكلمةَ التي أمرتَهُ أنْ يقولَها . قال فقال رسولُ الله ﷺ : « لم أسمَعْ »[٥] .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٧) والروض (٢/ ١٦٦) .

(٢) في ط : إليك ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٣) في ط : يا عم ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٤) في السيرة والروض : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه .

(٥) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٧٠) معلقاً على هذا الحديث : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعدما أسلم لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله « لم أسمع » لأن الشاهد العدْل إذا قال : سمعت وقال من هو أعدل منه : لم أسمع ، أُخذ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسباباً منعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم ، مع أن الصحيح من الأثر قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ وانظر ما نقله المؤلف عن السهيلي (ص٣٦٦ الآتية السطر الأول) .

قال : وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص : ١ - ٢] الآيات .

وقد تكلَّمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة .

وقد استدلَّ بعضُ مَنْ ذهب من الشيعة وغيرُهم من الغُلاة إلى أنَّ أبا طالبٍ مات مسلماً بقولِ العباس في هذا الحديث : يا ابنَ أخي ، لقد قال أخي الكلمةَ التي أمرتَهُ أنْ يقولها ـ يعني لا إله إلا الله ـ والجواب عن هذا من وجوه .

أحَدُها أنَّ في السَّنَدِ مُبْهَماً لا يُعرف حالُه ، وهو قولُه : عن بعضِ أهلِه . وهذا إبهامٌ في الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد ؛ وقد روى الإمام أحمد والنسائي وابنُ جرير[١] نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة ، عن الأعمش ، حدثنا عبّاد[٢] ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فذكره ولم يذكر قولَ العباس .

ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة الكوفي ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس ، ورواه الترمذي وحسَّنه والنسائي وابنُ جرير أيضاً[٣] .

ولفظ الحديث من سياق البيهقي[٤] فيما رواه من طريق الثوري ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبَّاس ، قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبيُّ ﷺ وعند رأسِ أبي طالب مَجْلسُ[٥] رجل ، فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك . وشكَوْه إلى أبي طالب ، فقال : يا ابن أخي ، ما تريدُ من قومك ؟ فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بها العرب ، وتؤدِّي إليهم بها الجزيةَ العجم ، كلمة واحدة » . قال ؛ ما هي ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال : فقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] قال : ونزل فيهم ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾ [ص : ٧] .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢٧) والنسائي في التفسير في سننه الكبرى (١١٤٣٧) وتفسير الطبري (٢٣/ ١٢٥) سورة ص .

(٢) هكذا سماه أبو أسامة حماد بن أسامة ، كما في رواية لأحمد (١/ ٢٢٨) والنسائي وابن جرير التي خرجت في الهامش السابق . وقد صَرَّح أحمد في موضع آخر (١/ ٣٦٢) أنه ابن جعفر . وسماه أبو أحمد الزبيري في روايته عن سفيان عن الأعمش : يحيى بن عباد (جامع الترمذي ٣٢٣٢) ، وسماه يحيى بن سعيد في روايته عن سفيان عن الأعمش يحيى بن عمارة ، كما سيأتي . وهو مجهول بكل حال ، فقد تفرد الأعمش بالرواية عنه ، ولم يوثقه أحد . (بشار) .

(٣) جامع الترمذي في التفسير (٣٢٣٢) و(٣٢٣٢م)، والنسائي في التفسير في الكبرى (١١٤٣٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٢٥) . (بشار) .

(٤) في الدلائل (٢/ ٣٤٥) ، وهو من رواية محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان .

(٥) في ط : فجلس ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

ثم قد عارضه ـ أعني سياقَ ابنِ إسحاق ـ ما هو أصحُّ منه ، وهو ما رواه البخاري قائلاً[١] : حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزُّهري ، عن ابن المُسَيِّب ، عن أبيه رضي الله عنه ، أنَّ أبا طالب لما حضرَتْهُ الوفاةُ دخلَ عليه النبيُّ ﷺ وعنده أبو جهل ، فقال : « أيْ عم ، قُلْ لا إله إلا الله ، كلمةً أحاجُّ لكَ بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، ترغب[٢] عن ملَّةِ عبدِ المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانِهِ حتى قال آخر شيءٍ[٣] كلمهم به : على مِلَّةِ عبدِ المطلب . فقال النبيُّ ﷺ : « لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك » . فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

ورواه مسلم[٤] عن إسحاق بن إبراهيم وعبد بن حُميد[٥] عن عبد الرزاق .

وأخرجاه[٦] أيضاً من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبيه بنحوه ، وقال فيه : فلم يزَلْ رسولُ الله ﷺ يعرضُها عليها ويَعُودان له بتلك المقالة[٧] ، حتى قال آخرَ ما قال : هو على مِلَّةِ عبد المطلب . وأبَى أنْ يقول لا إله إلا الله ؛ فقال النبيُّ ﷺ : « أمَا [والله] لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك » . فأنزل الله ـ يعني بعد ذلك ـ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة : ١١٣] ونزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي[٨] والنسائي[٩] ، من حديث يزيد بن كَيْسَان ، عن

(١) فتح الباري (٣٨٨٤) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب .

(٢) في ط : أترغب ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٣) في ط : ما كلمهم . والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٤) في صحيحه (٢٤) (٤٠) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت .

(٥) في ح سقط قوله : وعبد بن حميد عن ، وفي ط : إسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق . والمثبت من صحيح مسلم .

(٦) فتح الباري (١٣٦٠) الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، وصحيح مسلم (٢٤) (٣٩) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت . وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٧) هذا لفظ البخاري ، أما لفظ مسلم فهكذا : ويُعيدُ له تلك المقالة .

(٨) مسند أحمد (٢/ ٤٣٤ و٤٤١) وصحيح مسلم (٢٥) (٤١) و(٤٢) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، وجامع الترمذي (٣١٨٨) التفسير سورة القصص . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٤٥) عن أحمد بن سلمة عن عبد الله بن هاشم عن أبي أسامة عن يزيد بن كيسان به .

(٩) هكذا عزاه المصنف ـ إن صحت النسخ ـ إلى النسائي ، وهو وهم منه أو من النساخ فإن النسائي لم يخرج هذا الحديث من طريق يزيد بن كيسان ، ولا ذكره المزي في التحفة (٩/ ٤٥١ حديث ١٣٤٤٢ بتحقيقنا) . وقد أخرجه من طريق =

أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : لما حضرتْ وفاةُ أبي طالب أتاه رسولُ الله ﷺ فقال : « يا عماه ، قُلْ لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تعيِّرَني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جَزَع الموت لأقرَرْتُ بها عينَك ، ولا أقولُها إلا لأقرَّ بها عينك . فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وهكذا قال عبد الله بن عباس وابنُ عمر ومجاهد والشعبي وقتادة : إنها نزلتْ في أبي طالب حين عَرَض عليه رسولُ الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى أن يقولها ، وقال : هو على مِلَّة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملةِ عبد المطلب .

ويؤكد هذا كلَّه ما قال البخاري[(١)] : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عُمير ، حدثنا عبد الله بنُ الحارث قال : حدثنا العباسُ بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبيِّ ﷺ : ما أغنيتَ عن عمِّك ، فإنَّهُ كان يَحُوطُكَ ويَغْضَب لكَ[(٢)] ؟ قال : « هو في ضَحْضَاحٍ من نار ، ولولا أنا لكانَ في الدَّرْكِ الأسفل من النار » .

ورواه مسلم في صحيحه[(٣)] من طرق عن عبد الملك بن عُمير به .

وأخرجاه في الصحيحَيْن[(٤)] ، من حديث اللَّيث ، حدثني ابنُ الهادِ عن عبد الله بن خَبَّاب ، عن أبي سعيدٍ أنه سمع النبيَّ ﷺ وذُكر عنده عمُّه فقال : « لعله تنفَعُه شفاعتي يومَ القيامة ، فيُجْعَل في ضَحْضاحٍ من النارِ يبلغُ كَعْبَيْه يَغْلي منهُ دماغُه » . (لفظ البخاري) .

وفي روايةٍ[(٥)] : « يغلي منه أمُّ دِماغِهِ » .

وروى مسلم[(٦)] عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، عن عفَّان ، عن حمَّاد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أبي عثمان ، عن ابنِ عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أهْوَنُ أهْلِ النارِ عذاباً أبو طالب ، مُنْتَعِلٌ بنعلَيْن[(٧)] يَغْلِي منهما دماغُه » .

= يزيد : الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩٢) ، وابن حبان (٦٢٧٠) ، وابن مندة في الإيمان (٣٨) و(٣٩) ، والواحدي في أسباب النزول (٢٢٨) إضافة إلى من ذكروا في الهامش السابق . (بشار) .

(١) فتح الباري (٣٨٨٣) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب .

(٢) في هامش ح : لغضبك . وسقطت : لك من المتن .

(٣) صحيح مسلم (٢٠٩) (٣٥٧) الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه .

(٤) فتح الباري (٣٨٨٥) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب ، وصحيح مسلم (٢١٠) (٣٦٠) الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه .

(٥) هي رواية البخاري ، فتح (٦٥٦٤) الرقاق باب صفة الجنة والنار .

(٦) في صحيحه (٢١٢) (٣٦٢) الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً .

(٧) زادت ط : من نار . وليست هذه الزيادة في ح ولا في صحيح مسلم . أقول : وإنما هي عند أحمد (٣/ ٧٨) رقم (١١٦٧٨) وهي زيادة صحيحة .

وفي مغازي يونس بن بُكير[١] : « يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » . ذكره السُّهيلي[٢] .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار في « مسنده »[٣] حدَّثنا عمر[٤] ـ هو ابن إسماعيل بن مُجَالد ـ حدَّثنا أبي عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : سُئل رسولُ الله ﷺ ـ أو قيل له ـ هل نفعتَ أبا طالب ؟ قال : « أخرجتُه من النار إلى ضَحْضَاحٍ منها » . تفرَّد به البزَّار .

قال السُّهيلي[٥] : وإنما لم يقبلِ النبيُّ ﷺ شهادةَ العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأنَّ العباس كان إذْ ذاك كافراً غيرَ مقبول الشهادة .

قلت : وعندي أنَّ الخبر بذلك ما صحَّ لضعفِ سنده كما تقدَّم . ومما يدلُّ على ذلك أنه سأل النبيَّ ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدَّم ، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي[٦] : حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ ناجية بن كعب يقول : سمعت[٧] عليّاً يقول : لما تُوفي أبي أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : إنَّ عمَّك قد توفي . فقال : « اذهبْ فَوارِه » فقلت : إنَّه مات مشركاً . فقال : « اذهبْ فوارِه ، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتِيَني[٨] » . ففعلتُ ثم أتيتُه ، فأمرني أنْ أغتسل .

ورواه النسائي[٩] ، عن محمد بن المثنى ، عن غُنْدَر[١٠] ، عن شعبة .

ورواه أبو داود والنسائي[١١] من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجيةَ ، عن علي : لما ماتَ أبو طالب قلت : يا رسول الله ، إنَّ عمَّك الشيخَ الضَّالَّ قد مات فَمَنْ يُواريه ؟ قال : « اذْهَبْ فوارِ أباك ،

---

(١) السير والمغازي (ص٢٣٩) ولفظه : يغلي من وهجهما دماغه حتى يسيل على قوائمه .
(٢) في الروض (٢/ ١٧٠) .
(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٥) وقال : رواه البزار ، وفيه من لم أعرفه .
(٤) في ط : عمرو ، تصحيف ، والمثبت من ح وترجمته في تهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٤) .
(٥) في الروض (٢/ ١٧٠) .
(٦) في مسنده (١٢٠) .
(٧) في مسند الطيالسي : شهدت .
(٨) في ط : تأتي ، والمثبت من ح ومسند الطيالسي .
(٩) في السنن (١٩٠) الطهارة باب الغسل من مواراة المشرك . أقول : وهو حديث صحيح .
(١٠) في سنن النسائي : عن محمد . قلت : محمد هو ابن جعفر يعرف بغندر . ترجمته في التهذيب .
(١١) سنن أبي داود (٣٢١٤) الجنائز باب الرجل يموت له قرابة مشرك ، وسنن النسائي (٢٠٠٦) الجنائز باب مواراة المشرك . أقول : وهو حديث صحيح .

ولا تحدثَنَّ شيئاً حتى تأتيني » فأتيتُه[١] ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي[٢] بدعواتٍ ما يسرُّني أنَّ لي بهنَّ ما على الأرض من شيء .

وقال الحافظ البيهقي[٣] : أخبرنا أبو سعد الماليني ، حدَّثنا أبو أحمد بن عديّ ، حدَّثنا محمد بن هارون بن حُميد ، حدَّثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزْمَة ، حدَّثنا الفضل ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنَّ النبيَّ ﷺ عارَضَ[٤] جنازة أبي طالب فقال : « وصلَتْكَ رَحِم ، وجُزيتَ خيراً يا عم » .

قال : وروي عن أبي اليمَان الهوزني ، عن النبي ﷺ مرسلاً وزاد : « ولم يقُمْ على قبره » . قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخُوَارَزْمي تكلَّموا فيه .

قلت : قد روى عنه غيرُ واحدٍ ، منهم الفضل بن موسى السِّينَاني[٥] ومحمد بن سلام البِيكَنْدي ، ومع هذا قال ابنُ عدي[٦] : ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل مَنْ روى عنه ليست بمستقيمة .

وقد قدَّمنا ما كان يتعاطاهُ أبو طالب من المحاماة والمُحَاجَّة والممانعة عن رسولِ الله ﷺ والدفعِ عنه وعن أصحابه ، وما قاله فيه من الممادح والثناء ، وما أظهره له ولأصحابه من المودَّة والمحبَّة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها ، وما تضمنَتْه من العَيْب والتنقُّصِ لمن خالفه وكذَّبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية ، التي لا تُدانى ولا تُسامَى ولا يمكن عربياً مقاربتُها ولا معارضتُها ، وهو في ذلك كلِّه يعلم أنَّ رسول الله ﷺ صادقٌ بارٌّ راشد ، ولكنْ مع هذا لم يؤمنْ قلبُه . وفرَّق بين علم القلب وتصديقه كما قرَّرنا ذلك في شرح كتابِ الإيمان من صحيح البخاري ؛ وشاهدُ ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] وقال تعالى في قوم فرعون : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] وقال موسى لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢] وقولُ بعضِ السلف في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٦] أنها نزلتْ في أبي طالب حيث كان يَنْهَى الناسَ عن أذيَّة رسولِ الله ﷺ ويَنْأى هو عمَّا جاء به الرسولُ من الهُدَى ودينِ الحق . فقد رُوي عن ابنِ عباس ، والقاسم بن

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سنن النسائي : فواريته ثم جئت فأمرني . . وفي سنن أبي داود : فذهبت فواريته وجئته فأمرني .

(٢) إلى هنا في سنن أبي داود والنسائي ، وزاد النسائي قوله : وذكر دعاءً لم أحفظه .

(٣) في الدلائل (٢/ ٣٤٩) .

(٤) في ط : عاد من . وهو تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٥) نسبة إلى سينان إحدى قرى مرو كما في اللباب (٢/ ١٦٩) ، ووقع في ح : الشيباني . تصحيف ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٣) .

(٦) الكامل لابن عدي (١/ ٢٥٩) .

مُخَيمرة ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر . والله أعلم .

والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهَوْنَ الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحَّاك وغير واحد ـ وهو اختيارُ ابنِ جرير ـ وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذمِّ المشركين حيث كانوا يصدُّون الناسَ عن اتِّباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٥ و٢٦] وهذا اللفظ وهو قوله ﴿ وَهُمْ ﴾ يدلُّ على أنَّ المراد بهذا جماعة ، وهم المذكورونَ في سياقِ الكلام في قوله : ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٦] يدلُّ على تمامِ الذَّم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة ، بل كان يصُدُّ الناسَ عن أذيَّةِ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه بكلِّ ما يقدِرُ عليه من فعالٍ ومقال ، ونفسٍ ومال . ولكنْ مع هذا لم يقدِّرِ الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والحُجَّة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا اللهُ عنه من الاستغفار للمشركينَ لاستغفرْنا لأبي طالب وترحَّمنا عليه .

فصــل
في موت(١) خديجة بنت خُوَيْلِد

وذكرِ شيءٍ من فضائلها ومناقبها رضي الله عنها وأرضاها ، وجعل جناتِ الفردوس مُنْقَلَبها ومَثْواها . وقد فعل ذلك لا محالةَ بخبرِ الصادقِ المصدوق حيث بشَّرَها ببيتٍ في الجنَّة من قصَب ، لا صَخَبَ فيه ولا نصَب .

قال يعقوب بن سفيان(٢) : حدَّثنا أبو صالح ، حدَّثنا الليث ، حدَّثني عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : قال عروة بن الزُّبير : وقد كانت خديجةُ توفِّيت قبل أنْ تُفرض الصلاة .

ثمَّ روى من وجهٍ آخر عن الزُّهري أنه قال : توفِّيت خديجة بمكة قبل خروجِ رسولِ الله ﷺ إلى المدينة ، وقبل أنْ تفرض الصلاة .

وقال محمد بن إسحاق(٣) : ماتتْ خديجةُ وأبوطالب في عام واحد .

وقال البيهقي(٤) : بلغني أنَّ خديجة توفيت بعد موتِ أبي طالب بثلاثة أيام . ذكره أبو عبد الله بن مَنْدَه

---

(١) في ح : وفاة .
(٢) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٥) وهو من الجزء المفقود نقله المحقق من هنا .
(٣) السير والمغازي (ص٢٤٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٤١٦) والروض (٢/ ١٦٦) .
(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٢) .

في كتاب المعرفة[١] ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ .

قال البيهقي[٢] : وزعم الواقدي أنَّ خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عامَ خرجوا من الشِّعْب ، وأنَّ خديجة توفيتْ قبل أبي طالب بخمسٍ وثلاثين ليلة .

قلت : مرادُهم قبل أن تُفرض الصلواتُ الخمس ليلةَ الإسراء ، وكان الأنسب بنا أن نذكرَ وفاةَ أبي طالب وخديجة قبلَ الإسراء كما ذكرَهُ البيهقي وغير واحد ، ولكنْ أخَّرْنا ذلك عن الإسراء ، لمقصدٍ ستطلع عليه بعد ذلك ، فإنَّ الكلام به ينتظم ، ويتسق الباب كما تقفُ على ذلك إنْ شاء الله[٣] .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا قُتيبة ، حدَّثنا محمد بن فُضيل بن غَزْوان ، عن عُمارة عن أبي زُرْعة ، عن أبي هريرة ، قال : أتى جبريل إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، هذه خديجةُ قد أتتْ معها إناءٌ فيه إدامٌ ـ أو طعامٌ أو شراب ـ فإذا هي أتَتْك فاقرَأْ عليها السلام من ربِّها ومنِّي ، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنَّة من قَصَب ، لا صَخَب فيه ولا نَصَب .

وقد رواه مسلم[٥] من حديث محمد بن فُضَيل به .

وقال البخاري[٦] : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا يحيى ، عن إسماعيل قال : قلتُ لعبد الله بن أبي أوْفَى : بشَّرَ النبيُّ ﷺ خديجة ؟ قال : نعم ، ببيتٍ من قَصَب ، لا صَخَبَ فيهِ ولا نَصَب .

ورواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به[٧] .

قال السهيلي[٨] : وإنما بشَّرها ببيتٍ في الجنة من قصَب ـ يعني قصَبَ اللُّؤلؤ ـ لأنها حازَتْ قَصْبَ السَّبَق إلى الإيمان ، لا صَخَب فيه ولا نصَب ، لأنها لم ترفعْ صوتَها على النبي ﷺ ، ولم تُتْعِبْهُ يوماً من الدَّهْر ، فلم تصخَبْ عليه يوماً ، ولا آذته أبداً .

وأخرجاه في الصحيحَيْن[٩] من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أنها

---

(١) يعني كتاب معرفة الصحابة ، منه نسخة خطية في الظاهرية رقم ٣٤٤ حديث .
(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٣) بنحوه .
(٣) العبارة في ح هكذا : لمقصدٍ سيُطَّلع عليه بعد ذلك ، فإن الكلام ينتظم ، ويتسق السياق .
(٤) فتح الباري (٣٨٢٠) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة .
(٥) صحيح مسلم (٢٤٣٢) (٧١) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٦) فتح الباري (٣٨١٩) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة .
(٧) فتح الباري (١٧٩٢) العمرة باب متى يحل المعتمر ، وصحيح مسلم (٢٤٣٣) (٧٢) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٨) في الروض (١/ ٢٧٩) بنحوه .
(٩) فتح الباري (٣٨١٦) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وصحيح مسلم (٢٤٣٥) (٧٤) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

قالت : ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبي ﷺ ما غرتُ على خَدِيجة ، وهلكَتْ قبل أن يتزوَّجني ـ لِمَا كنتُ أسمعهُ يذكرُها ، وأمرَهُ اللهُ أنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ[١] من قصب . وإنْ كان ليذبَحُ الشاةَ فيُهْدِي في خلائلها منها ما يسَعُهنّ . (لفظ البخاري) .

وفي لفظٍ[٢] عن عائشة : ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غرْتُ على خديجة من كثرة ذِكْرِ رسولِ الله ﷺ إياها . قالت : وتزوَّجني بعدها بثلاثِ سنين ، وأمرَهُ ربُّه ـ أو جبريل ـ أن يُبَشِّرَها ببيتٍ في الجنَّة من قصَب .

وفي لفظٍ له[٣] قالت : ما غِرتُ على أحدٍ من نساء النبيِّ ﷺ ما غرتُ على خديجة ـ وما رأيتُها ـ ولكنْ كان [النبيُّ ﷺ] يُكثر ذكْرَها ، وربما ذبح الشاةَ فيقطِّعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائقِ خديجة ، فربما قلت [له] : كأنه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة ! فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها وَلَد » .

ثم قال البخاري : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا عليُّ بن مُسْهِر عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنَت هالَةُ بنتُ خُويلد : ـ أخت خديجة ـ على رسولِ الله ﷺ فعرَفَ استئذانَ خديجة ، فارتاعَ [لذلك] فقال : « اللهمَّ هالة » . فغِرْتُ فقلت ما تذكرُ من عجوزٍ من عجائز قريش ، حمراء الشِّدْقين هلكَتْ في الدهر ، أبدلك اللهُ خيراً منها .

وهكذا رواه مسلم[٤] عن سُويد بن سعيد ، عن عليِّ بن مُسْهِر به .

وهذا ظاهرٌ في التقريرِ على أنَّ عائشةَ خيرٌ من خديجة ، إمَّا فضلاً وإما عِشْرَةً . إذْ لم يُنكرْ عليها ولا ردَّ عليها ذلك ، كما هو ظاهرُ سياقِ البخاري رحمه الله ولكن قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا مؤمَّل أبو عبد الرحمن ، حدَّثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الملك ـ هو ابنُ عُمير ـ عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ يوماً خديجةَ فأطنبَ في الثناء عليها ، فأدركني ما يُدركُ النساءَ من الغيرة ، فقلت : لقد أعقبكَ اللهُ يا رسول الله ، من عجوزٍ من عجائزِ قريش حمراء الشدقين . قال : فتغيَّرَ وجْهُ رسولِ الله ﷺ تغيُّراً لم أرَهُ تغيَّر عند شيءٍ قط إلا عند نزول الوَحْي ، أو عند المَخِيلة[٦] حتى يعلم ، رحمةٌ أو عذاب[٧] .

وكذا رواهُ عن بَهْزِ بن أسد وعفَّان[٨] بن مسلم ، كلاهما عن حمَّاد بن سَلَمَة ، عن عبد الملك بن

---

(١) زادت ط هنا : في الجنة . وليست هذه الزيادة في ح ولا في صحيح البخاري في هذه الرواية .
(٢) هي الرواية التالية للرواية السابقة رقم (٣٨١٧) في صحيح البخاري .
(٣) يعني للبخاري وهي الرواية التالية للرواية السابقة رقم (٣٨١٨) . وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) في صحيحه (٢٤٣٧) (٧٨) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٥) في المسند (٦/ ١٥٤) .
(٦) « المخيلة » : السحابة التي تحسبها ماطرة ، أو هي الخليقة بالمطر . النهاية والقاموس (خيل) .
(٧) يعني أهي رحمةٌ أو عذاب ؛ ووقعت في ط : عذاباً بالنصب خطأً ، والمثبت من ح ومسند أحمد .
(٨) في ط : عثمان ، تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمته في تهذيب التهذيب .

عُمير به . وزاد بعد قوله : حمراء الشدقَيْن ؛ هلكتْ في الدهر الأول . قال : فتمعَّرَ وجهُه تمعُّراً ما كنتُ أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخِيلة ، حتى ينظر ، أرحمةٌ أو عذاب .

تفرَّد به أحمد . وهذا إسنادٌ جيِّد .

وقال الإمام أحمد[1] أيضاً عن [علي] بن إسحاق أخبرنا عبد الله [قال] : أخبرنا مجالد عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : كان النبيُّ ﷺ إذا ذكرَ خديجةَ أثْنَى عليها بأحسن[2] الثناء . قالت : فغِرْتُ يوماً فقلت : ما أكثرَ ما تذكرُها حمراء الشدقين[3] قد أبدلك الله خيراً منها . قال : « ما أبدلني اللهُ خيراً منها ، قد آمنتْ بي إذْ كفرَ بي الناس ، وصدَّقَتْني إذْ كذَّبني الناس ، وواستني[4] بمالها إذْ حرَمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذْ حرمني أولادَ النساء » .

تفرَّد به أحمد أيضاً ، وإسنادُه لا بأس به ، ومجالد روى له مسلم متابعةً ، وفيه كلامٌ مشهور ، والله أعلم . ولعل هذا أعني قوله : « ورزقني الله ولدَها إذْ حرمني أولاد النساء » كان قبل أن يُولد إبراهيم بنُ النبيِّ ﷺ من مَاريَة ، وقبل مَقْدَمها بالكلِّيَّة ، وهذا متعيِّن ، فإنَّ جميع أولادِ النبيِّ ﷺ كما تقدَّم وكما سيأتي من خديجة إلا إبراهيم فإنَّهُ من ماريَةَ القبطيَّة المصرية رضي الله عنها .

وقد استدلَّ بهذا الحديث جماعةٌ من أهل العلم على تفضيل خديجةَ على عائشة رضي الله عنها وأرضاها . وتكلَّم آخرون في إسناده ، وتأوَّله آخرون على أنها كانتْ خيراً عشرةً ، وهو محتملٌ أو ظاهر . وسببه أنَّ عائشة تمَّت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها : قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكِّي نفسها وتفضِّلها على خديجة ، فإنَّ هذا أمرٌ مَرْجِعه إلى الله عزَّ وجلَّ كما قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٩] الآية .

وهذه مسألةٌ وقع النزاعُ فيها بين العلماء قديماً وحديثاً وبجانبها طرقٌ يقتصر عليها أهل التشيُّع وغيرهم ، لا يعدِلون بخديجةَ أحداً من النساء ، لسلام الربِّ عليها ، وكونِ ولدِ النبيِّ ﷺ جميعهم - إلا إبراهيم - منها . وكونِه لم يتزوَّج عليها حتى ماتتْ إكراماً لها ، وتقدُّم[5] إسلامها ، وكونها من الصدِّيقات ، ولها مقامُ صدْقٍ في أول البِعْثَة . وبذلَتْ نفسَها ومالَها لرسولِ الله ﷺ .

وأمَّا أهلُ السُّنَّة ، فمنهم من يَغْلُو أيضاً ويُثبتُ لكلٍّ واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكنْ

---

(١) في المسند (٦/ ١١٧ ، ١١٨) وما بين معقوفين منه .

(٢) في المسند : فأحسن .

(٣) في المسند : الشدق .

(٤) في ط : وآستني . وكلاهما بمعنى ، والمثبت من ح والمسند .

(٥) في ط : وتقدير . والمثبت من ح .

تحمِلُهم قوةُ التسنُّن على تفضيلِ عائشةَ لكونها ابنةَ الصدِّيق ، ولكونها أعلمَ من خديجة فإنه لم يكنْ في الأُمم مثل عائشة في حفظِها وعلمِها وفصاحتها وعقلِها ، ولم يكنِ الرسولُ يحبُّ أحداً من نسائه كمحبَّتِه إيَّاها ، ونزلَتْ براءتُها من فوق سبعِ سمٰوات ، وروَتْ بعده عنه عليه السلام علماً جمَّاً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه ، حتى قد ذكر كثيرٌ من الناس الحديثَ المشهور « خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ عن الحُمَيْرَاء »[١] . والحق أنَّ كلاً منهما لها من الفضائل[٢] ما لو نظر الناظرُ فيه لبَهَرَهُ وحيَّرَهُ ، والأحسن التوقُّف في ذلك وردُّ علم ذلك إلى الله عزَّ وجل . ومن ظهر له دليلٌ يقطَعُ به ، أو يغلِبُ على ظنِّه في هذا الباب ، فذاك الذي يجبُ عليه أن يقول بما عنده من العلم ، ومن حصل له توقُّفٌ في هذه المسألة أو في غيرها فالطريقُ الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول : الله أعلم .

وقد روى الإمامُ أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي[٣] من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « خيرُ نسائِها مريم بنتُ عمران ، وخير نسائها خديجةُ بنتُ خويلد » أي : خير زمانهما[٤] .

وروى شعبة عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قرة بن إياس رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كَمَلَ من الرجال كثير ، ولم يكمُلْ من النساء إلا[٥] ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأةُ فرعون ، وخديجة بنت خُويلد ؛ وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائرِ الطعام » .

رواه ابنُ مردويه في تفسيره . وهذا إسنادٌ صحيح إلى شعبة وبعدَه . قالوا : والقَدْر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة ، أنَّ كلاً منهن كفَلَتْ نبيّاً مرسلاً وأحسنتِ الصُّحْبة في كفالتها وصدَّقَتْه . فآسيةُ ربَّتْ موسى وأحسنتْ إليه ، وصدَّقَتْه حين بُعث ؛ ومريم كفَلَتْ ولدَها أتمَّ كفالة وأعظمَها ، وصدَّقته حين أرسل ؛ وخديجة رَغِبتْ في تزويجِ رسولِ الله ﷺ بها وبذلَتْ في ذلك أموالها كما تقدَّم وصدَّقته حين نَزل عليه الوَحْي من الله عزَّ وجلَّ . وقولَه « وفضل عائشة على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعام » هو ثابتٌ في الصحيحَيْنِ[٦] من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مُرَّة ، عن مرَّة الطيِّب الهَمْدَاني ، عن أبي موسى

---

(١) حديث غريب جداً بل هو منكر ، قال الذهبي : هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد . كشف الخفا (١/ ٤٤٩) .

(٢) في ح : والحق أن لكل منهما فضائل .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٤) وفتح الباري (٣٨١٥) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وصحيح مسلم (٦٩ ـ ٢٤٣٠) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين ، وسنن الترمذي (٣٨٧٧) المناقب باب فضل خديجة رضي الله عنها ، وهو في السنن الكبرى (٨٣٥٤) .

(٤) قال القرطبي : الضمير عائد على غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة ، يعني به الدنيا . وقال الطيبي : الضمير الأول يعود على الأمة التي كانت فيها مريم والثاني على هذه الأمة . فتح الباري (٧/ ١٣٥) .

(٥) في ح : غير ثلاث .

(٦) فتح الباري (٣٤١١) أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [التحريم : ١١] ، =

الأشعري قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كَمَلَ من الرجالِ كثير ، ولم يَكْمُلْ من النساءِ إلا آسِيَةُ امرأةُ فِرْعَون ، ومريمُ بنتُ عمران ؛ وإنَّ فضلَ عائشة على النساءِ كفضْل الثريدِ على سائر الطعام » والثَّريد : هو الخبز واللَّحْم جميعاً ، وهو أفخر طعامِ العَرَب كما قال بعضُ الشعراء :

إذا ما الخبزُ تَأْدِمُهُ بلحْمِ فذاكَ ، أمانة الله ، الثريدُ

ويحتمل[1] قوله : « وفضلُ عائشةَ على النساءِ » أنْ يكون عامّاً[2] فيعم النساء المذكورات وغيرَهنَّ ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً[3] فيما عداهن ، ويَبْقى الكلامُ فيها وفيهنّ موقوفاً يحتملُ التسوية بينهن ، فيحتاج من رجَّح واحدةً منهنّ على غيرِها إلى دليلٍ خارج[4] ، والله أعلم .

فصــل

في تزويجه ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زَمَعَة رضي الله عنها

والصحيح أنَّ عائشةَ تزوَّجها أولاً كما سيأتي ، قال البخاري في تزويج عائشة[5] : حدَّثنا مُعَلَّى بنُ أسد ، حدَّثنا وُهيب عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها : « أُريتكِ في المنام مرَّتَيْن ، أرَى أنَّكِ في سَرَقةٍ من حَرِير[6] ، ويقول : هذه امرأتك ، فاكشفْ عنها ، فإذا هي أنتِ ، فأقول : إن كان[7] هذا من عند الله يُمْضِه » .

قال البخاري باب نكاح الأبكار[8] : وقال ابنُ أبي مُليكة : قال ابنُ عباس لعائشة : لم ينكحِ النبيُّ ﷺ بكراً غيرَكِ : حدَّثنا[9] إسماعيل بن عبد الله ، حدَّثني أخي[10] ، عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن

= وصحيح مسلم (٢٤٣١) (٧٠) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

(١) في ط : ويحمل والمثبت من ح .
(٢) في ط : محفوظاً فيعم ، والمثبت من ح .
(٣) في ط : عاماً فيما ، والمثبت من ح .
(٤) « الخارج » : الظاهر المحسوس . وفي ط : من خارج . والمثبت من ح .
(٥) فتح الباري (٣٨٩٥) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة .
(٦) سَرَقة : أي قطعة ، أي يريه صورتها . (فتح الباري ٧/ ٢٢٤) .
(٧) في صحيح البخاري : إن يك ، وفي رواية له : إن يكن .
(٨) فتح الباري (٩/ ١٢٠) النكاح باب نكاح الأبكار ـ في أول الباب ، وهو طرفٌ من حديث وصله البخاري في تفسير سورة النور . قاله ابن حجر في الفتح .
(٩) هنا يبدأ الحديث رقم (٥٠٧٧) في الموضع المشار إليه في الحاشية السابقة .
(١٠) هو عبد الحميد . قاله ابن حجر في الفتح .

عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلتُ يا رسولَ الله : أرأيتَ لو نزلتَ وادياً وفيه شجرةٌ قد أُكل منها ، ووجدتَ شجرةً لم يُؤكلْ منها ، في أيِّها كنتَ تُرْتِعُ بعيرك ؟ قال : « في التي لم يرتَعْ منها » تعني[(١)] أنَّ النبيَّ ﷺ لم يتزوَّجْ بكراً غيرها .

انفرد به البخاري ثم قال[(٢)] : حدَّثنا عُبيد بنُ إسماعيل ، حدَّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال لي رسولُ الله ﷺ « أُريتك في المنام [مرَّتين ، إذا رجلٌ يحملك في سرَقَةٍ من حرير ، فيقول : هذه امرأتك . فأكشفُها فإذا هي أنتِ ، فأقول : إنْ كان[(٣)] هذا من عند الله يُمضِه » .

ورواه مسلم[(٤)] من طريق هشام بن عروة به .

ورواه البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج[(٥)] : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « أُريتُكِ في المنام][(٦)] يَجِيءُ[(٧)] بكِ الملَكُ في سَرَقةٍ من حَرير فقال لي : هذه امرأتُك . فكشفتُ عن وجهكِ الثوبَ فإذا أنتِ هي[(٨)] ، فقلت إنْ يكُ[(٩)] هذا من عند الله يُمْضِه » .

وفي رواية[(١٠)] : « أُريتُكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ » .

وعند الترمذي[(١١)] : أنَّ جبريلَ جاءَهُ بصورتِها في خِرْقَةٍ من حَرير خَضْرَاء فقال : هذه زوجتُك في الدنيا والآخرة .

وقال البخاري باب تزويج الصغار من الكبار[(١٢)] : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، حدَّثنا الليث عن يزيد ،

---

(١) في الفتح : يعني .
(٢) في صحيحه فتح (٥٠٧٨) النكاح باب نكاح الأبكار .
(٣) في صحيح البخاري : إن يكن .
(٤) في صحيحه (٢٤٣٨) (٧٩) فضائل الصحابة باب في فضل عائشة .
(٥) فتح الباري (٥١٢٥) النكاح باب النظر إلى المرأة قبل التزويج .
(٦) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .
(٧) في ط : فيجيء ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .
(٨) في ح : فإذا هي أنت . والمثبت من ط وصحيح البخاري .
(٩) في ط : يكن ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .
(١٠) وهي رواية مسلم المشار إليها في ح(١٦) .
(١١) في الجامع (٣٨٨٠) المناقب باب فضل عائشة رضي الله عنها . قال بشار : واقتصر الترمذي على تحسينه واستغرابه وقال: لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بنِ عمرو بن علقمة، وقد روى عبد الرحمن بن مهدي هذا الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن علقمة بهذا الإسناد مرسلاً، ولم يذكر فيه عن عائشة ثم أشار إلى حديث عروة عن عائشة المتقدم في الصحيحين .
(١٢) فتح الباري (٥٠٨١) النكاح باب تزويج الصغار من الكبار .

عن عِرَاك ، عن عروة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دينِ الله وكتابِه ، وهي لي حلال » .

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنَّهُ مرسل وهو عند البخاري والمحقِّقين متَّصل ، لأنه من حديث عروةَ عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله .

وقال يُونس بن بُكير[١] : عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : تزوَّج رسولُ الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاثِ سنين ، وعائشةُ يومئذ ابنة ستِّ سنين ، وبَنَى بها وهي ابنةُ تسع . ومات رسولُ الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة .

وهذا غريب . وقد روى البخاري[٢] عن عُبيد بن إسماعيل عن أبي أُسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : تُوفِّيتْ خديجةُ قبل مَخْرَجِ النبيِّ ﷺ [إلى المدينة] بثلاثِ سنين ، فلبث سنتَيْن ـ أو قريباً من ذلك ـ ونكَحَ عائشة وهي بنتُ ستِّ سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين . وهذا الذي قاله عروة مرسلٌ في ظاهر السِّيَاق كما قدَّمنا ولكنَّهُ في حُكْمِ المتَّصِل في نفس الأمر . وقوله تزوَّجها وهي ابنة ستِّ سنين وبنى بها وهي ابنة تسع سنين ، ما لا خلافَ فيه بين الناس ـ وقد ثبت في الصِّحاح وغيرها ـ وكان بناؤه بها عليه السلام في السنةِ الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحوٍ من ثلاث سنين ففيه نظر . فإنَّ يعقوب بن سفيان الحافظ قال[٣] : حدَّثنا الحجّاج ، حدَّثنا حماد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوَّجني رسولُ الله ﷺ متوفَّى خديجة قبل مخرجِه من مكة وأنا ابنة سبع ـ أو ست ـ سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعبُ في أرجوحة وأنا مُجَمَّمَة ، فهيَّأنني وصنَّعْنَني ، ثمَّ أتَيْنَ بي إلى رسولِ الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين .

فقوله في هذا الحديث : متوفَّى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهمَّ إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفَّى خديجة ، فلا ينفي ما ذكره يونسُ بن بكير وأبو أسامةَ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، والله أعلم .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا فروة بنُ أبي المَغْرَاء ، حدَّثنا عليُّ بن مُسْهِر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : تزوَّجني النبيُّ ﷺ وأنا بنتُ ستِّ سنين ، فقدِمنا المدينة ، فنزَلْنا في بني الحارث بن الخزرج ، فَوُعِكْتُ فتمزَّق شعري[٥] ، وقد وفَتْ لي جُمَيْمَة[٦] ، فأتتني أمي أمُّ رُومان ـ وإنِّي

---

(١) السير والمغازي (ص٢٥٥) .
(٢) فتح الباري (٣٨٩٦) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة ، وما سيأتي بين معقوفين منه .
(٣) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٦٨) وهو من الجزء المفقود نقله المحقق من هنا .
(٤) فتح الباري (٣٨٩٤) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة .
(٥) « فتمزق » : أي تقطَّع ، ورواية الكشميهني : فتمرق . بالراء المهملة ، أي انتتف . فتح الباري (٧/ ٢٢٤) .
(٦) كذا في ط والنهاية لابن الأثير (جمم) ، وفي ح : ولي جُميمة ، وفي صحيح البخاري : فوفى جُميمة . قال ابن=

لفي أُرْجُوحةٍ ومعي صواحبُ لي ـ فصرخَتْ بي ، فأتيتُها ما أدري ما تريدُ مني ، فأخذتْ بيدي حتى أوقفَتني على باب الدار ، وإني لأنْهَجُ[١] ، حتى سكن بعضُ نفسي ، ثمَّ أخذتُ شيئاً من ماءٍ فمسَحْتُ به[٢] وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدَّار ، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة ، وعلى خير طائر . فاسلَمَتْني إليهن ، فأصلَحْنَ من شأني ، فلم يَرُعْني إلا رسولُ الله ﷺ ضُحىً ، فأسلمَتْني إليه ، وأنا يومئذٍ بنتُ تسع سنين .

وقال الإمامُ أحمد في مسند عائشةَ أمِّ المؤمنين[٣] : حدَّثنا محمد بن بشر ، حدَّثنا محمد بن عمرو[٤] حدثنا أبو سلمة ويحيى . قالا : لما هلكَتْ خديجةُ جاءتْ خولةُ بنت حكيم امرأةُ عثمانَ بنِ مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوّج ؟ قال : « مَنْ ؟ » قالت : إنْ شئتَ بكراً ، وإنْ شئت ثيّباً ، قال : « فمَنِ البِكْر » قالت : ابنة أحبِّ خلقِ الله إليك عائشة ابنة أبي بكر . قال : « ومَن الثَّيِّب » ؟ قالت : سَوْدَة بنتُ زَمْعَة . قد آمنتْ بكَ واتبعتك على ما تقول . قال : « فاذْهبي فاذكُريهما عليّ » فدخلتْ بيتَ أبي بكرٍ فقالت : يا أمَّ رُومان ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ، قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطُبُ عليه عائشة . قالتْ : انتظري أبا بكرٍ حتى يأتي . فجاء أبو بكر فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل اللهُ عليكم من الخير والبركة! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسولُ الله ﷺ أخطُب عليه عائشة قال : وهل تصلُح له ؟ إنما هي ابنةُ أخيه ، فرجعتْ إلى رسولِ الله ﷺ فذكرَتْ ذلك له قال : « ارْجِعي إليه فقولي له : أنا أخوكَ وأنتَ أخي في الإسلام ، وابنتُكَ تصلُح لي » فرجعَتْ فذكرتْ ذلك له ، قال : انتظري ، وخرج . قالت أمُّ رُومان : إنَّ مُطْعِمَ بن عَدي قد كان ذكرها على ابنه ، ووالله ما وَعَدَ وعداً قطُّ فأخلَفَه لأبي بكر[٥] . فدخل أبو بكرٍ على مطعم بن عَدِي وعنده امرأتُه أم الصَّبي[٦] . فقالت : يا ابن أبي قُحَافة لعلك مُصْبِي[٧] صاحبَنا مُدخلُه في دينِك الذي أنتَ عليه إنْ تزوَّج إليك ؟ فقال أبو بكر للمُطْعِم بن عدي : أقول هذه . يقول قال : إنها تقولُ ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب اللهُ ما كان في نفسِه من عِدَته التي وعدَه ، فرجع فقال لخولة : ادعي لي رسولَ الله ﷺ فدَعَتْه فزوَّجها إيَّاه ، وعائشة يومئذ

= حجر : فوفى . أي كثر ، وفي الكلام حذف تقديره : ثم فصلت من الوعك فتربَّى شعري فكثر ؛ وقولها : جميمة . مصغَّر الجُمَّة ، وهي مجتمع شعر الناصية ، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جُمَّة ، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة . فتح الباري (٧/ ٢٢٤) .

(١) « أنهج الرجل » : إذا أصابه البَهَر والربو من الجري والتعب ، وهو علو النَّفَس . مشارق الأنوار (٢/ ٢٩) .

(٢) في ط : فمست ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٣) مسند أحمد (٦/ ٢١٠) .

(٤) في ط : محمد بن بشر ، حدثنا بشر ، حدثنا محمد بن عمر . زيادة من الناسخ ليست في ح ولا في مسند أحمد .

(٥) في ط : ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه . والمثبت من ح والمسند .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : أم الفتى .

(٧) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : مصبٍ .

بنت ستِّ سنين . ثم خرجتْ فدخلتْ على سَوْدَة بنتِ زَمَعة فقال : ما أدخل الله عليكِ من الخيرِ والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسولُ الله ﷺ أخطُبك عليه ، قالت : وددْتُ ، ادخلي إلى أبي[١] فاذكري ذلك له ـ وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السِّنّ ، قد تخلَّف عن الحج ـ فدخلتْ عليه فحييته[٢] بتحيَّة الجاهلية ، فقال : مَنْ هذه ؟ قالت : خولةُ بنت حكيم . قال : فما شأنُك ؟ قالت : أرسلني محمد بن عبد الله أخطُب عليه سَوْدَة . فقال : كفؤٌ كريم ، ماذا تقولُ صاحبتُك ؟ قال : تحبُّ ذلك . قال : ادعيها لي . فدعَتْها ، قال : أيْ بُنَيَّة إنَّ هذه تزعم أنَّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطُبك وهو كفؤٌ كريم ، أتحبِّينَ أن أزوِّجَكِ به ؟ قالت : نعم . قال : ادعيهِ لي . فجاء رسولُ الله ﷺ فزوَّجها إياه . فجاء أخوها عبد بن زَمَعَة من الحجّ فجعل[٣] يَحْثِي على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أنْ تزوَّج رسولُ الله ﷺ سودةَ بنتَ زَمَعة . قالت عائشة : فقدِمنا المدينة فنزلْنا في بني الحارث بن الخَزْرَج في السُّنْح[٤] . قالت فجاء رسولُ الله ﷺ فدخل بيتَنا واجتمع إليه رجالٌ من الأنصار ونساءٌ ، فجاءَتْني أُمِّي وإني[٥] لفي أُرجوحةٍ بين عِذْقَيْن ، يُرجَح بي ، فأنزلَتْني من الأُرجوحة ولي جُميمة ، ففرَقَتْها ، ومسحَتْ وجهي بشيءٍ من ماءٍ ، ثم أقبلتْ بي تقودني حتى وقفتْ بي عند الباب وإني لأنْهَج[٦] حتى سكن من نَفَسي ، ثم دخلَتْ بي فإذا رسولُ الله ﷺ جالسٌ على سريرٍ في بيتنا وعنده رجالٌ ونساءٌ من الأنصار ، فأجلسَتْني في حَجْرِهِ[٧] ثم قالت : هؤلاء أهلك فباركَ الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجالُ والنساء فخرجوا ، وبنَى بي رسولُ الله ﷺ في بيتنا ما نُحِرتْ عليَّ جَزُور ، ولا ذُبحتْ عليَّ شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عُبادة بجَفْنَةٍ كان يرسلُ بها إلى رسولِ الله ﷺ إذا دار إلى نسائه[٨] ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مرسل ، وهو متصل لما رواه البيهقي[٩] من طريق أحمد بن عبد الجبار ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس الأوْدِي[١٠] عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قالت

---

(١) في ط : إلى أبي بكر . خطأ من الناسخ ، والمثبت من ح ومسند أحمد .
(٢) كذا في ح ، ط والمسند ، والوجه : فحيَّتْهُ .
(٣) في ط : فجاء . والمثبت من ح والمسند .
(٤) السُّنح : تقع في طرف من أطراف المدينة ، بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل . معجم البلدان (٣/ ٢٦٥) .
(٥) في ط : وأنا ، والمثبت من ح والمسند .
(٦) مضى معناه في الصفحة السابقة ح١ .
(٧) في ط : حجرة . بهاء معجمة باثنتين ، والمثبت من ح والمسند .
(٨) كذا في ط والمسند ، وفي ح : زار نساءه ، وفي الأساس (دور) : فلان يدور على أربع نسوة ويطوف عليهن : أي يسوسهن ويرعاهن .
(٩) في دلائل النبوة (٢/ ٤١١) .
(١٠) في ط : الأزدي ، تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل وتوضيح المشتبه (١/ ٢٨١) .

عائشة : لما ماتتْ خديجةُ جاءت خَوْلَة بنت حكيم فقالت : يا رسولَ الله ، ألا تزوَّج ؟ قال : « ومن » ؟ قالت : إنْ شئتَ بكراً وإنْ شئتَ ثيِّباً . قال : « مَنِ البِكْرُ ومَن الثَّيِّب » ؟ قالت : أما البِكْر فابنةُ أحبِّ خلقِ الله إليك عائشة ، وأما الثيِّب فسَوْدَة بنت زَمْعة ، قد آمنتْ بك واتبعَتْك . قال : « فاذكريهما عليَّ » وذكر تمام الحديث نحو ما تقدَّم .

وهذا يقتضي أنَّ عَقْدَهُ على عائشة كان متقدِّماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكنَّ دخوله على سَوْدَة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخَّرَ إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدَّم وكما سيأتي .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا أسود ، حدَّثنا شريك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كبِرَت سَوْدَةُ وهبَتْ يَوْمَها لي ، فكان رسولُ الله ﷺ يَقْسِم لي بيومها مع نسائه . قالت : وكانتْ أولَ امرأةٍ تزوَّجها بعدي .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو النَّضْر ، حدَّثنا عبد الحميد ، حدَّثني شهر ، حدَّثني عبد الله بن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ خطب امرأةً من قومه يقالُ لها سَوْدَة وكانت مُصْبِيَة ، كان لها خمس صِبْيَة ـ أو ستة ـ من بعلٍ لها مات . فقال رسولُ الله ﷺ : « ما يَمْنَعُكِ مني ؟ » قالت : والله يا نبيَّ الله ، ما يمنعُني منك[٣] أن لا تكونَ أحبَّ البريَّةِ إليَّ ، ولكنِّي أُكْرِمُك أن يضعوا هؤلاء الصبية عند رأسِكَ بُكْرةً وعشيَّة . قال : « فهل منَعَكِ مني شيءٌ غيرُ ذلك ؟ » قالت : لا والله ، قال رسولُ الله ﷺ : « يرحمكِ الله ، إنَّ خيرَ نساءٍ ركبنَ أعجاز الإبل ، صالحُ نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على بعلٍ بذاتِ يده » .

قلت : وكان زوجَها قبل رسول الله ﷺ السكران بن عمرو ، أخو سُهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدَّم[٤] ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه .

وهذه السياقات كلُّها دالَّةٌ على أنَّ العَقْد على عائشة كان متقدِّما على العَقْد بسَوْدَة ، وهوقول عبد الله بن محمد بن عقيل ، ورواه يونس ، عن الزُّهْري . واختار ابن عبد البرِّ أنَّ العَقْد على سَوَدة قبلَ عائشة ، وحكاه عن قتادة وأبي عُبيد . قال : ورواه عقيل عن الزُّهْري .

فصــل

قد تقدم ذِكر موت أبي طالب عمِّ رسولِ الله ﷺ ، وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفِّه ، ومُدَافعاً عنه بكلِّ ما يقدِرُ عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجترأ سفهاءُ قريش على رسولِ الله ﷺ ونالوا منه

---

(١) في المسند (٦/ ٦٨) رقم (٢٤٢٧٦) ورواه بنحوه البخاري رقم (٢٥٩٣) .
(٢) في المسند (١/ ٣١٨) وهو حديث حسن .
(٣) في ط : أن يمنعوا ، تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد .
(٤) تقدّم ذلك في الخبر (ص٢٨٥) .

ما لم يكونوا يَصِلُون إليه ولا يقدرون عليه . كما قد رواه البيهقي[١] عن الحاكم ، عن الأصم ، حدَّثنا محمد بن إسحاق الصَّغَاني[٢] ، حدَّثنا يوسف بن بهلول ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، حدَّثنا محمد بن إسحاق عمن حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيهٌ من سُفَهاء قريش ، فألقَى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته ، فأتتِ امرأةٌ من بناته ، تمسَحُ عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أيْ بُنيَّة لا تبكين[٣] ، فإنَّ الله مانعٌ أباك » ويقول ما بين ذلك : « ما نالتْ قريشٌ شيئاً أكرَهُه حتى مات أبو طالب »[٤] .

وقد رواه زياد البكَّائي عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلاً . والله أعلم .

وروى البيهقي[٥] أيضاً عن الحاكم وغيره[٦] ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ما زالتْ قريشٌ كاعّين[٧] حتى مات أبو طالب » .

ثم رواه[٨] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن عباس الدُّوري ، عن يحيى بن مَعِين ، حدَّثنا عقبة المجدَّر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « ما زالتْ قريشٌ كاعَّةً حتى توفي أبو طالب » .

وقد روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزي بسنده[٩] عن ثعلبة بن صُعَير ، وحَكيم بن حِزام أنهما قالا : لما تُوفِّي أبو طالب وخديجة ـ وكان بينهما خمسة أيام[١٠] ـ اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان ، ولزم بيته ، وأقلَّ الخروج ، ونالتْ منه قريشٌ ما لم تَكُنْ تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاءه فقال :

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٠) .
(٢) في ح ، ط : الصنعاني . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وترجمته في تذكرة الحفاظ (٥٩٨) وفيه : الصاغاني .
(٣) كذا في ح ، ط والدلائل .
(٤) زادت ط هنا ما نصه : ثم شرعوا . وهو زيادة من الناسخ لا وجود لها في الدلائل ، ولا في ح .
(٥) في الدلائل (٢/ ٣٤٩) وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده بطرقه .
(٦) هو أبو سعيد بن أبي عمرو شيخ البيهقي كما في الدلائل .
(٧) في النهاية لابن الأثير : ما زالت قريش كاعَّة . الكاعَّة : جمع كاعّ ، وهو الجبان ، يقال : كَعَّ الرجل عن الشيء ويكعُّ كعّاً فهو كاعّ ، إذا جبن عنه وأحجم ، أراد أنهم كانوا يجبنون عن أذى النبي ﷺ في حياة أبي طالب ، فلما مات اجترؤوا عليه .
(٨) في دلائل البيهقي (٢/ ٣٤٩ ، ٣٥٠) ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٥٩٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٢) وهو حديث حسن بطرقه .
(٩) لعله في كتابه المختار من أخبار المختار (مخطوط) وقد أورده في الوفا بأحوال المصطفى (١/ ٢١٠) من غير إسناد ، وفيه « صقير » وهو تصحيف .
(١٠) في الوفا : وكان بينهما شهر وخمسة أيام .

يا محمد ، امضِ لما أردتَ وما كنتَ صانعاً إذْ كان أبو طالب حيّاً فاصنَعْه ، لا واللات[١] لا يُوصَل إليك حتى أموت . وسبَّ ابنُ الغَيْطَلة رسولَ الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولَّى يَصِيح : يا معشر قريش صَبَأ أبو عتبة . فأقبلَتْ قريش حتى وقفوا على أبي لَهَب فقال : ما فارقتُ دينَ عبد المطلب ، ولكني أَمْنَعُ ابنَ أخي أنْ يُضام حتى يمضيَ لما يُريد . فقالوا : لقد أحسنت وأجملت ووصلْتَ الرَّحِم . فمكث رسولُ الله ﷺ كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرِضُ له أحدٌ من قريش ، وهابوا أبا لهب إذْ جاء عُقبة بن أبي مُعَيْط وأبو جهل[٢] إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخَلُ أبيك ؟ فقال له أبو لهب : يا محمد ، أين مُدْخَل عبد المطلب ؟ قال : « مع قومه » . فخرج إليهما فقال : قد سألتُه فقال مع قومه . فقالا : يزعم أنه في النار . فقال : يا محمد ، أيدخل عبدُ المطلب النار ؟ فقال رسولُ الله ﷺ[٣] : « ومَنْ ماتَ على ما مات عليه عبدُ المطلب دخل النار » فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ : والله لا بَرِحْتُ لك[٤] عدوّاً أبداً وأنت تزعم أنَّ عبد المطلب في النار . واشتدَّ عند ذلك أبو لهب وسائرُ قريش عليه .

قال ابن إسحاق[٥] : وكان النفر الذين يؤذون رسولَ الله ﷺ في بيته : أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أميه ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن الحمراء ، وابن الأصْدَاء الهُذَلي ـ وكانوا جيرانَه ـ لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم ـ فيما ذُكر لي ـ يطرح عليه رَحِم الشاة وهو يصلِّي ، وكان أحدُهم يطرحُها في بُرْمتِه إذا نُصبتْ له ، حتى اتخذ رسولُ الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلَّى ، فكان إذا طرَحُوا شيئاً من ذلك يحملُه على عُودٍ ثم يقف به على بابه ثم يقول : « يا بني عبدِ مناف ، أيُّ جوارٍ هذا » ؟! ثم يُلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أنَّ غالبَ ما رُوي مما تقدَّم من طَرْحِهم سَلا الجَزُور بين كتفيه وهو يصلِّي كما رواه ابنُ مسعود ، وفيه أنَّ فاطمة جاءتْ فطرحَتْهُ عنه وأقبلتْ عليهم فشتمَتْهُمْ ، ثم لما انصرف رسولُ الله ﷺ دعا على سبعةٍ منهم كما تقدَّم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال[٦] دونه أبو بكر الصديق قائلاً : أتقتلون رجلاً أنْ يقول : ربِّيَ الله !. وكذلك عَزْم أبي جهل ـ لعنه الله ـ على أن يَطَأ على عُنقه وهو يصلِّي فحيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك كان بعد وفاةِ أبي طالب والله أعلم . فذكرها هاهنا أنسب وأشبه .

---

(١) زادت ح : والعزى . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .
(٢) زادت ح : لعنهما الله . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .
(٣) زاد في الوفا : نعَمْ ومن مات . . .
(٤) زادت ط هنا : إلا . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٥) والروض (٢/ ١٦٦) .
(٦) في ح : قام .

فصـــل
في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله فردوا عليه ذلك ولم يقبلوه منه فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق(١) : فلما هلك أبو طالب نالت قريشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكنْ تنالُ منه في حياة عمِّه أبي طالب ، فخرج رسولُ الله ﷺ إلى الطائف يلتمسُ من ثقيف النُّصْرَة والمَنَعة بهم من قومه . ورجاءَ أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج إليهم وحدَه ؛ فحدَّثني يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بنِ كعب القُرَظي قال : لما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى الطائف عَمَد إلى نفرٍ من ثقيف هم سادةُ ثقيف وأشرافُهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبْد يا ليل ، ومسعود ، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عَوْف بن عُقْدَة بن غِيَرة بن عوف بن ثَقِيف . وعند أحدهم امرأةٌ من قريش ، من بني جُمَح ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلَّمهم لما جاءهم له من نُصرته على الإسلام والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم ـ هو يَمْرُطُ ثيابَ الكعبة(٢) ـ : إنْ كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وَجَد الله أحداً أرسله غيرَك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلِّمك أبداً ؛ لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظمُ خَطَراً من أنْ أرُدَّ عليك الكلام ، ولئن كنتَ تكذِبُ على الله ما ينبغي لي أنْ أكلِّمَك . فقام رسولُ الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خَيْر ثقيف ، وقد قال لهم ـ فيما ذُكر لي ـ : « إنْ فعلتم ما فعلتم فاكتُمُوا عليّ(٣) » وكره رسولُ الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيُذْئِرَهُم(٤) ذلك عليه . فلم يفعلوا ، وأغْرَوْا به سفهاءهم وعَبيدَهم يسبُّونه ويَصِيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوهُ إلى حائطٍ لعتبة بنِ ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثَقيف مَنْ كان يتبعه . فعَمَد إلى ظلِّ حَبَلَةٍ(٥) من عِنب ، فجلس فيه وابنا ربيعةَ ينظران إليه ويريانِ ما لَقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسولُ الله ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ المرأةَ التي من بني جُمَح ، فقال لها : « ماذا لَقِينا من أحْمائك »(٦) ؟!

فلما اطمأنَّ قال ـ فيما ذُكر ـ : « اللهمَّ إليك أشكو ضَعْفَ قُوَّتي ، وقِلَّة حيلتي ، وهَوَاني على الناس » ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربِّي ، إلى مَنْ تَكِلُني ؟! إلى بعيدٍ

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٩) والروض (٢/ ١٧٢) .

(٢) في الأساس (مرط) : فلان يمرط ما يجده ويمترطه : يجمعُه . ويقال : مرَّط الثوب ، قصَّر كُمَّيْه فجعله مِرْطاً . القاموس (مرط) .

(٣) في سيرة ابن هشام : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني .

(٤) يقال : أذأرتُ الرجل بصاحبه : أي حرَّشتُه وأوْلَعْتُه به وجرَّأتُه عليه . الصحاح (ذأر) .

(٥) « الحَبَلة » : الكرمة ، والحَبَل : شجر العنب . الروض (٢/ ١٧٧) والقاموس (حبل) .

(٦) إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد .

يتجهَّمني ، أم إلى عدوٍّ ملَّكْتَهُ أمْري ؟ إنْ لم يكنْ بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي ، ولكنْ عافيتُك هي أوسعُ لي ، أعوذُ بنورِ وجهك الذي أشرقتْ له الظلمات[١] ، وصَلَح عليه أمْرُ الدنيا والآخرة ، من أنْ تُنْزل بي غضَبَك ، أو يَحِلَّ عليَّ سَخَطُك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بك »[٢]

قال : فلما رآه ابنا ربيعةَ عتبةُ وشيبةُ ، وما لَقِيَ تحركتْ له رَحِمُهما ، فدَعَوْا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدَّاس فقالا له : خُذْ قِطْفاً من هذا العِنَب فضَعْهُ في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عدَّاس ، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسولِ الله ﷺ ثم قال له : كُلْ . فلما وضع رسولُ الله ﷺ يده فيه قال : « بسم الله » . ثم أكل ، فنظر عدَّاسٌ في وجهه ثم قال : واللهِ إنَّ هذا الكلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد! فقال له رسولُ الله ﷺ : « ومن أهلِ أيِّ بلادٍ أنتَ يا عدَّاس وما دينُك » ؟ قال : نَصْرَاني ، وأنا رجلٌ من أهلِ نِينَوَى . فقال رسولُ الله ﷺ : « من قريةِ الرجلِ الصالح يُونُس بن متَّى » . فقال له عدَّاس : وما يُدريك ما يونسُ بن متى ؟ فقال رسولُ الله ﷺ ذلك أخي ، كان نبيّاً وأنا نبيّ . فأكبَّ عدَّاس على رسولِ الله ﷺ يقبِّلُ رأسَه ويدَيْه وقدمَيْه[٣]

قال : يقولُ ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمَّا غلامك فقد أفسدَهُ عليك . فلما جاءهما عدَّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ، مالك تقبِّلُ رأسَ هذا الرجل ويدَيْه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيءٌ خيرٌ من هذا ، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبيّ ! قالا له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنَّك عن دينك ، فإنَّ دينَكَ خيرٌ من دينه .

وقد ذكر موسى بن عُقبة نحواً من هذا السياق ، إلا أنه لم يذكرِ الدُّعاء ، وزاد : وقعد له أهلُ الطائف صفَّين على طريقه ، فلما مرّ جعلوا لا يرفعُ رجلَيْه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدْمَوْه ، فخلص منهم وهما يسيلانِ بالدماء ، فعمد إلى ظلِّ نخلةٍ وهو مكروب ، وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما اللهَ ورسوله . ثم ذكر قصة عدَّاس النصراني كنحو ما تقدَّم .

وقد روى الإمام أحمد[٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا مروان بن معاوية الفَزَاريّ ، عن عبد الله

---

(١) معنى الوجه وإشراق الظلمات : أما الوجه إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة فهو ينقسم في الذكر إلى موطنين : موطن تقرّب واسترضاء بعمل كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ وكقوله ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ، فالمطلوب في هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ؛ وأصله أن من رضي عنك أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ولم يرك وجهه . والموطن الثاني : ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة ما ظهر من الشيء معقولاً كان أو محسوساً ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أي الظاهر إلى رأيك منه . الروض (٢/ ١٧٨) .

(٢) ذكر دعاء الطائف هذا الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٣٥) وفيه تدليس ابن اسحاق . فالحديث ضعيف .

(٣) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٧٩) : وزاد التيمي فيها أنَّ عدَّاساً حين سمعه يذكر يونس بن متَّى قال : والله لقد خرجت منها - يعني نينوى - وما فيها عشرة يعرفون ما متَّى ، فمن أين عرفت أنت متَّى ، وأنت أمي ، وفي أمة أمِّيَّة ؟ .

(٤) في مسنده (٤/ ٣٣٥) .

ابن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جَبَل[١] العَدْوانيّ ، عن أبيه ، أنه أبصر رسولَ الله ﷺ في مَشْرِق ثقيف ، وهو قائم على قوس ـ أو عصا ـ حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [الطارق : ١] . حتى ختمها . قال : فوعَيْتُها في الجاهليَّة وأنا مشرك ، ثم قرأتُها في الإسلام .

قال : فدعتني ثقيفٌ فقالوا : ماذا سمعتَ من هذا الرجل ؟ فقرأتُها عليهم ، فقال مَنْ معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنَّا نعلم ما يقولُ حقّاً لاتبعناه .

وثبت في الصحيحَيْن[٢] من طريق عبد الله بن وَهْب ، أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزُّبير أنَّ عائشة حدَّثَتْه أنها قالَتْ لرسولِ الله ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليكَ من يوم أُحُد ؟ قال : « ما لقيتُ من قومك كانَ أشدَّ منه يومُ العقبة[٣] ، إذْ عرضتُ نفسي على ابنِ عَبْدِ يا ليلَ بن عبدَ كُلال ، فلم يُجِبْني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وَجْهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتْني ، فنظرتُ فإذا فيها جِبْريلُ عليه السلام ، فناداني فقال : إنَّ الله قد سمع قولَ قَوْمِكَ لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَك الجِبال ، لتأمُرَهُ بما شئتَ فيهم . ثم ناداني مَلَكُ الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال : يا محمد[٤] ، إنَّ الله قد سمع قولَ قومِكَ لك ، وأنا مَلَك الجبال قد بعثني إليك ربُّك لتأمرني بما شئت ، إنْ شئتَ تطبق عليهم الأَخْشَبَيْن[٥] ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبُدَ اللهَ لا يُشرك به شيئاً » .

فصـــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق[٦] سماع الجن لقراءة رسولِ الله ﷺ وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنَخْلَة وصلَّى بأصحابه الصُّبْح ، فاستمع الجنُّ الذين صُرفوا إليه قراءته هنالك .

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة خالد بن أبي جبل : بفتح الجيم والموحَّدة ، ووقع في رواية البخاري وابن البرقي : جيل . بكسر الجيم بعدها تحتانية ساكنة ، ورجَّح ابن ماكولا الأول والخطيب الثاني .

(٢) فتح الباري (٣٢٣١) بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين ، وصحيح مسلم (١٧٩٥) (١١١) الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

(٣) كذا في ح ، ط ، ولفظ البخاري هكذا : لقد لقيتُ من قومك ما لقيت ، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة » . وكذا رواية مسلم إلا أنه ليس فيه قوله : « ما لقيت » ، وكذلك هي في إحدى روايات البخاري ، كما يظهر من إشارة في النسخة اليونينية .

(٤) زادت ط هنا ما نصه : قد بعثني الله وليست هذه الزيادة في ح ولا في الصحيحين .

(٥) « الأخشبان » : جبلا مكة ، أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قعيقعان ، وقال الصغاني : بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان ، ووهم من قال ثور كالكرماني ، وسُمِّيا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما . فتح الباري (٦/ ٣١٦) .

(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٤٢١) والروض (٢/ ١٧٣) .

قال ابنُ إسحاق : وكانوا سبعةَ نَفَر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

قلت : وقد تكلَّمنا على ذلك مستقصىً في التفسير ، وتقدَّم قطعةٌ من ذلك . والله أعلم .

ثم دخل رسولُ الله ﷺ مكة مَرْجِعَهُ من الطائف في جوار المُطْعِم بن عدي ، وازداد قومُه عليه حَنَقاً وغيظاً وجرأة وتكذيباً ، وعناداً ، والله المستعانُ وعليه التُّكْلان .

وقد ذكر الأموي في « مغازيه » أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث عبد الله بن أُريقط إلى الأخنس بن شَرِيق يطلبُ منه أن يُجيرَهُ بمكة . فقال : إنَّ حليفَ قريش لا يُجيرُ على صَميمها . ثم بعثه إلى سُهيل بن عمرو ليجيرَهُ فقال : إنَّ بني عامرِ بنِ لُؤي لا تجيرُ على بني كعب بن لؤي . فبعثه إلى المُطعِم بن عدي ليجيرَه فقال : نعم ، قل له فلْيأْتِ .

فذهب إليه رسولُ الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة ـ أو سبعة ـ متقلدي السيوف جميعاً ، فدخلوا المسجد وقالوا لرسولِ الله ﷺ : طُفْ واحْتَبَوْا بحمائل سيوفهم في المطاف ، فأقبل أبو سفيان إلى مُطْعِم . فقال : أمجيرٌ أو تابع[(١)] ؟ قال : لا بلْ مُجير . قال إذاً لا تُخْفَر . فجلس معه حتى قَضَى رسولُ الله ﷺ طوافه ؛ فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه . قال : فمكث أياما ثم أذن الله له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تُوفِّي مطعم بن عدي بعدَهُ بيسير ، فقال حسانُ بن ثابت : والله لأرْثِيَنَّه فقال فيما قال[(٢)] : [من الطويل]

فلو كانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ اليومَ واحداً ... من الناس نجّى مَجْدُهُ اليومَ مُطْعِما
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عِبادَكَ ما لبَّى مُحِلٌّ وأحرما
فلو سُئلَتْ عنه مَعَدٌّ بأسرها ... وقَحْطانُ أو باقي بقيَّةِ جُرْهُما
لقالوا هو المُوفي بخُفْرَةِ جارِهِ ... وذِمَّتِهِ يوماً إذاً ما تجشَّما[(٣)]
وما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقهم ... على مثلِهِ فيهم أعزَّ وأكْرَما[(٤)]
إباءً إذا يأبى وألينَ شيمةٍ ... وأنومَ عن جارٍ إذا الليلُ أظلما

قلتُ : ولهذا قال النبيُّ ﷺ يوم أُسَارَى بَدْر : « لو كانَ المَطْعِمُ بنُ عَدِي حيّاً ثمَّ سألني في هؤلاء النَّتْنى لوهبتُهُمْ له »[(٥)] .

---

(١) في ديوان حسان : أمجير أم مانع . والخبر في مقدمة القصيدة .
(٢) القصيدة في ديوان حسان (١/ ١٩٩) والخبر في مقدمة القصيدة . وتخريجها فيه .
(٣) كذا في ط ، وفي ح : تحتما . وفي الديوان : تذمَّما وهو أشبه .
(٤) في ح : المنيرة عندهم . . . أعزَّ وأعظما .
(٥) انظر الحديث في الجزء التالي .

فصـــل

في عَرْض رسول الله ﷺ نفسَهُ الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج أن يؤوه وينصروه ، ويمنعوه ممن خالفه وكذَّبه ، فلم يجبه أحد منهم لما ذخره الله للأنصار من الكرامة العظيمة رضي الله عنهم

قال ابنُ إسحاق[١] : ثم قدم رسولُ الله ﷺ مكة وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراقِ دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسولُ الله ﷺ يعرضُ نفسه في المواسم ـ إذا كانت ـ على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله عزَّ وجلّ ، ويُخبرهم أنه نبيٌّ مُرْسَل ، ويسألهم أنْ يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبيِّنَ عن الله ما بعثَهُ به .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني من أصحابنا من لا أتَّهم ، عن زيد بن أسلم ، عن ربيعة بن عباد الدُّؤَلي ـ ومن حدَّثه أبو الزناد عنه ـ وحدَّثني حُسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال : سمعتُ ربيعة بن عبَّاد يحدِّثه أبي ، قال : إني لغلامٌ شابٌّ مع أبي بمنى ، ورسولُ الله ﷺ يقفُ على منازلِ القبائل من العرب فيقول : « يا بني فلان ، إني رسولُ الله ﷺ إليكم ، أمرَكم أن تعبدوا اللهَ ولا تُشرِكوا به شيئاً ، وأنْ تَخلَعُوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنْداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدِّقوا بي ، وتمنعوني حتى أُبيِّنَ عن الله ما بعثني به » . قال : وخلفَهُ رجلٌ أحول وَضِيء له غَديرتان ، عليه حُلَّةٌ عَدَنيَّة ، فإذا فرغ رسولُ الله ﷺ من قوله وما دعا إليه . قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا اللاتَ والعُزَّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجِنّ من بني مالك بن أُقَيْش ، إلى ما جاء به من البِدْعَةِ والضَّلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال : فقلت لأبي : يا أبتِ ، من هذا الرجلُ الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمُّه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمد[٣] هذا الحديث عن إبراهيم بن أبي العباس ، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، أخبرني رجلٌ يقال له : ربيعة بن عبَّاد ، من بني الدِّيل ـ وكان جاهلياً فأسلم[٤] ـ قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في الجاهلية ، في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيُّها الناس ، قولوا لا إلٰه إلا الله تُفْلِحوا » والناسُ مجتمعونَ عليه ، ووراءهُ رجلٌ وَضِيءُ الوجه أحول ، ذو غَدِيرتين يقول : إنَّه صابىء كاذب ـ يتبعه حيثُ ذهب ـ فسألتُ عنه[٥] فقالوا : هذا عمُّه أبو لهب .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٢) والروض (٢/ ١٧٣) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٢) والروض (٢/ ١٧٣) .

(٣) في مسنده (٤/ ٣٤١) .

(٤) قوله : فأسلم . ليس في مسند أحمد .

(٥) زاد مسند أحمد هنا قوله : فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ .

ورواه البيهقي[١] من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن المُنْكَدِر ، عن ربيعة الدُّئلي : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوقِ ذي المَجاز يَتْبَعُ الناسَ في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءَهُ رجلٌ أحْوَل تَقِدُ وَجْنتاه وهو يقول : أيُّها الناس لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينكم ودينِ آبائكم . قلت : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا أبو لهب .

وكذا رواه أبو نعيم في « الدلائل »[٢] من طريق ابن أبي ذئب ، وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه .

ثم رواه البيهقي[٣] من طريق شعبة عن الأشعث بن سُليم ، عن رجلٍ من كنانة ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوقِ ذي المَجَاز وهو يقول : « يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تُفْلِحُوا » . وإذا رجلٌ خلفَهُ يَسْفِي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس ، لا يغرَّنَّكم هذا عن دينِكم ، فإنما يريدُ أن تتركوا عبادةَ اللاتِ والعُزَّى .

كذا قال في هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبَانِ على إيذائه ﷺ .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني ابنُ شهاب الزُّهري أنه ﷺ أتى كِنْدَةَ في منازلهم ، وفيهم سيِّدٌ لهم يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجل وعَرَض عليهم نفسه فأبَوْا عليه .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني محمد بن عبد الرحمن بن حُصين أنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطنٍ منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسَه حتى إنه ليقول : « يا بني عبد الله ، إنَّ الله قد أحسن اسم أبيكم » . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

وحدَّثني بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى بني حَنِيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرَضَ عليهم نفسَه ، فلم يكنْ أحدٌ من العربِ أقبحَ ردّاً عليه منهم .

وحدَّثني الزُّهري أنه أتى بني عامر بن صَعْصعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجلٌ منهم يقال له بَيْحَرة بن فراس : والله لو أني أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العربَ . ثم قال له : أرأيتَ إنْ نحنُ تابعناكَ[٥] على أمرك ، ثم أظهرك الله على من يخالفك ، أيكونُ لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر لله يضَعُه حيثُ يشاء » . قال فقال له : أفَنُهدِفُ نحورَنا للعرب دونَك[٦] ، فإذا أظهرك الله كان الأمر

(١) في الدلائل (٢/ ١٨٥) .
(٢) ليس فيما طبع منه .
(٣) في الدلائل (٢/ ١٨٦) .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٤) والروض (٢/ ١٧٤) .
(٥) في إحدى نسخ سيرة ابن هشام : بايعناك .
(٦) أي أنجعلها هدفاً لسهامهم ؟ والهدف : الغرض . الروض (٢/ ١٨١) .

لغيرنا ؟! لا حاجة لنا بأمرك . فأبَوْا عليه . فلما صدرَ الناسُ رجعتْ بنو عامر إلى شيخٍ لهم ، قد كان أدركه السنّ ، حتى لا يقدِرُ أنْ يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عمَّا كان في مَوْسِمهم فقالوا : جاءنا فتًى من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب يزعمُ أنه نبيّ يدعونا إلى أنْ نمنعه ونقومَ معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يده على رأسِه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تَلافٍ ؟ هل لذُنَابَاها من مَطْلبٍ[١] ؟ والذي نفسُ فلانٍ بيده ما تقوَّلها إسماعيليٌّ قطّ[٢] ، وإنها لحق ، فأين رأيُكم كان عنكم ؟!

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان رسولُ الله ﷺ في تلك السنين يعرضُ نفسه على قبائل العرب في كلِّ موسم ، ويكلِّم كلَّ شريفِ قوم ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يُؤْووه ويمنعوه ويقول : « لا أُكْرِهُ أحداً منكم على شيء ، مَنْ رَضِيَ منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أُكْرِهْه ، إنما أُريدُ أن تُحرزوني مما يُرادُ بي من القتل حتى أُبَلِّغ رسالة رَبِّي ، وحتى يقضيَ الله لي ولمن صحبني بما شاء » . فلم يقبلهُ[٣] أحدٌ منهم ، وما يأتي أحداً من تلك القبائل إلا قال : قومُ الرجلِ أعلم به ، أترَوْنَ أنَّ رجلاً يُصلحنا وقد أفسد قومَهُ ولفظوه ؟! وكان ذلك مما ذَخَرَهُ اللهُ للأنصار وأكرمَهُمْ به[٤] .

وقد روى الحافظ أبو نعيم[٥] من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموي ، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس عن العباس ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منَعة ، فهل أنت مُخْرِجي إلى السُّوق غداً حتى تُعَرِّفني[٦] منازلَ قبائلِ الناس » وكانتْ مجمعَ العرب . قال : فقلت : هذه كِنْدَةُ ولفّها[٧] ، وهي أفضلُ مَنْ يحجُّ البيت من اليمن ، وهذه منازلُ بكر بن وائل ، وهذه منازلُ بني عامر بن صعصعة ، فاختَرْ لنفسك ؟ قال فبدأ بكِنْدَةَ فأتاهم فقال : « ممنِ القوم ؟ » قالوا : من أهل اليمن . قال : « من أيِّ اليمن ؟ » قالوا : من كِنْدَة . قال : « من أيِّ كِنْدَة ؟ » قالوا : من بني عمرو بن معاوية . قال : « فهل لكم إلى خير ؟ » قالوا : وما هو ؟ قال : « تشهدونَ أنْ لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيمون الصلاة ، وتؤمنون بما جاء من عند الله » .

---

(١) « هل لها من تلافٍ » : أي تدارك . وقوله هل لذناباها من مطلب : مثل ضُرب لما فاته منها ، وأصله : من ذنَابَى الطائر : إذا أفلت من الحبالة ، فطلب الأخذ بذناباه . الروض (٢/ ١٨١) .

(٢) أي ما ادعى النبوة كاذباً أحد من بني إسماعيل . الروض (٢/ ١٨١) .

(٣) في ح : يصحبه . وإلى جانبها في الهامش : يقبله . وفوقها : (خ) إشارة إلى رواية نسخة .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٤) عن موسى بن عقبة ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٣٨٩) عن الطبراني ، حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة عن الأسود عن عروة بن الزبير فذكره .

(٥) ليس فيما طبع من دلائل النبوة وسيأتي شطر من هذا الخبر مثبت في الدلائل يشار إليه في موضعه .

(٦) في ط : حتى نقرّ في ، والمثبت من ح .

(٧) ليست اللفظة في ح .

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثني أبي عن أشياخ قومه أنَّ كندةَ قالت له : إن ظفِرْتَ تجعلْ لنا المُلْكَ من بعدك ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ المُلْكَ لله يجعلُه حيثُ يشاء » فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتَنا به .

وقال الكلبي فقالوا : أجئتنا لتصدَّنا عن آلهتنا وننابذ العَرَب . الحَقْ بقومك فلا حاجةَ لنا بك . فانصرف من عندِهم ، فأتَى بكر بن وائل فقال : « ممنِ القوم ؟ » قالوا : من بكر بن وائل . فقال : « من أيِّ بكر بن وائل » ؟ قالوا : من بني قيس بن ثعلبة . قال : « كيف العدَدُ ؟ قالوا : أكثر من الثرَى[1] . قال : « فكيف المنعة » ؟ قالوا : لا مَنَعة ، جاوَرْنا فارس ، فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال : « فتجعلون لله عليكم إنْ هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم ، أن تسبِّحوا الله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين » قالوا : ومن أنت ؟ قال : « أنا رسولُ الله » . ثم انطلق فلما ولَّى عنهم قال الكلبي : وكان عمُّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس : لا تقبلوا قولَه . ثم مرَّ أبو لهب فقالوا : هل تعرفُ هذا الرجل ؟ قال : « نعم ، هذا في الذِّرْوَة منَّا ، فعن أيِّ شأنِه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : يزعم أنه رسولُ الله ، قال : ألا لا ترفعوا بقوله رأساً[2] فإنَّه مجنون ، يَهْذي من أُمِّ رأسه . قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمرِ فارس ما ذكر .

قال الكلبي[3] : فأخبرني عبدُ الرحمن العامري[4] : عن أشياخٍ من قومه قالوا : أتانا رسولُ الله ﷺ ونحن بسوقِ عُكاظ ، فقال : « ممنِ القوم ؟ » قلنا : من بني عامرِ بن صَعْصَعة . قال : « من أيِّ بني عامرِ بن صعصعة ؟ قالوا : بنو كعب بن ربيعة . قال : « كيف المَنَعةُ ؟ قلنا : لا يُرامُ ما قِبَلنا ، ولا يُصْطلى بنارنا . قال : فقال لهم : « إنِّي رسولُ الله ﷺ وأتيتُكم لتمنعوني حتى أبلِّغ رسالةَ ربِّي ، ولا أُكْرِهُ أحداً منكم على شيءٍ » . قالوا : ومن أيِّ قريشٍ أنت ؟ قال : « من بني عبد المطلب » قالوا : فأين أنت من عبد مَنافَ ؟ قال : « هم أولُ مَنْ كذَّبني وطردني » . قالوا : ولكنَّا لا نطردُك ولا نؤمنُ بك ، وسنمنعُك حتى تبلِّغ رسالةَ ربِّك . قال : فنزلَ إليهم والقوم يتسوَّقون ، إذْ أتاهم بَيْحَرةُ[5] بن فراس القُشيري فقال : مَنْ هذا الرجل أراه عندكم ؟ أنكره . قالوا : محمد بن عبد الله القُرَشي . قال : فما لكم وله ؟ قالوا : ويزعم لنا أنه رسولُ الله فطلب إلينا أن نمنعَهُ حتى يبلِّغ رسالةَ ربِّه . قال : ماذا ردَدْتُم عليه ؟ قالوا بالرَّحْبِ والسَّعَة ، نُخرِجُك إلى بلادنا ونمنعُك ما نمنع به أنفسنا . قال بَيْحَرَة[5] : ما أعلم أحداً من

---

(١) في ط : كثير مثل الثرى .

(٢) في ط : لا ترفعوا برأسه قولًا ، والمثبت من ح .

(٣) قول الكلبي من هنا إلى نهاية الخبر في دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٨٠) يبدو أن مختصر المطبوع حذف الشطر الأول منه كما أشار محققه .

(٤) في ط : المعايري ، والمثبت من ح ودلائل النبوة .

(٥) في الدلائل : بجرة . والمثبت من ح ومما سلف (ص٣٨٢) نقلاً عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ، ومما ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة سميِّه بيحرة بن عامر .

أهل هذه السوق يرجعُ بشيءٍ أشرَّ من شيءٍ ترجعون به بدءاً ، ثم[١] لتنابذوا الناسَ وترميكم العربُ عن قوسٍ واحدة ، قومُه أعلم به لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعدَ الناس به ، أتعمدون إلى رَهيقِ قومٍ[٢] قد طردَهُ قومُه وكذَّبوه فتؤوونَه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتُم . ثم أقبل على رسولِ الله ﷺ فقال : قمْ فالْحَقْ بقومِك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربتُ عنقك . قال : فقام رسولُ الله ﷺ إلى ناقته فركبها ، فغمزَ الخبيثُ بَيْحَرَةُ شاكِلَتَها فقَمَصَتْ[٣] برسولِ الله ﷺ فألْقَتْه . وعند بني عامر يومئذ ضُبَاعة ابنة عامر بن قُرْط ، كانتْ من النسوةِ اللاتي أسلَمْنَ مع رسولِ الله ﷺ بمكة ، جاءتْ زائرةً إلى بني عمِّها ، فقالت : يا آل عامر ـ ولا عامرَ لي ـ أيُصنعُ هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحدٌ منكم ؟ فقام ثلاثةُ نفر من بني عمها إلى بَيْحَرَة واثنين أعاناه ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم رجلاً فجلَدَ به الأرض ، ثم جلس على صدره ، ثم علَوْا وجوهَهم لطماً ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ باركْ على هؤلاء والْعَنْ هؤلاء » قال : فأسلم الثلاثةُ الذين نصروه ، وقُتلوا شهداء وهم ؛ غطيف وغطفان ابنا سهل[٤] ، وعروة ـ أو عذرة[٥] ـ بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم .

وقد روَى هذا الحديثَ بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في « مغازيه » ، عن أبيه به . وهلك الآخرون لعناً وهم : بَيْحَرة بن فراس ، وحَزْن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عُبَادة ، أحد بني عقيل ، لعنهم الله لعناً كثيراً . وهذا أثرٌ غريب كتبناه لغرابته والله أعلم[٦] .

وقد روى أبو نُعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة عامر بن صَعْصعة وقبيح ردِّهم عليه . وأغرَبُ من ذلك وأطول ما رواه أبو نُعيم والحاكم والبيهقي[٧] ـ والسياق لأبي نعيم رحمهم الله ـ من حديث أبان بن عبد الله البَجَلي عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدَّثني عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرِض نفسه على قبائل العرب خرج ـ وأنا معه وأبو بكر ـ إلى مِنَى حتى دَفَعْنَا إلى مجلسٍ من مجالسِ العرب ، فتقدَّم أبو بكرٍ رضي الله عنه فسلَّم ، وكان أبو بكر مقدَّماً في كلِّ خير ، وكان رجلاً نسَّابة فقال : ممنِ القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأيِّ ربيعةَ

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : ثم بدأتم لتنابُذِ الناس .
(٢) « الرهيق » : السفيه . النهاية لابن الأثير . ووقع في ط : زهيق . تصحيف ، وسقطت لفظة قوم . والمثبت من ح والدلائل .
(٣) « الشاكلة من الفرس » : الجلد الذي في عرض الخاصرة والثَّفِنة وهو مدخل الفخذ في الساق . وقمصت : هو أن ترفع يديها وتطرحهما معاً وتعجن برجليها . اللسان والتاج (شكل ، قمص) .
(٤) كذا في ط ، وفي ح : سهيل ، وفي دلائل أبي نعيم : غطريف وغطفان ابنا سهل . ولم أقف لهما على ترجمة .
(٥) في ح : عزرة ولم أقف له على ترجمة .
(٦) هو من رواية الكلبي الكذاب .
(٧) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٧٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٢٢) وتاريخ ابن عساكر في ترجمة دغفل انظر مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٨/ ١٩٩) .

أنتم ؟ أَمِنْ هامها أم من لَهَازِمِها[١] ؟ قالوا : بل من هامتها العظمى . قال أبو بكر : فمن أيِّ هامتها العظمى أنتم ؟ فقالوا : ذُهْل الأكبر . قال لهم أبو بكر : منكم عَوْف الذي كان يقال لهم : لا حُرَّ بوادي عَوْف[٢] ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم بِسْطَام بن قيس بن مسعود أبو اللواء ومنتَهَى الأحياء ؟ قالوا لا . قال فمنكم الحَوْفَزان[٣] بن شريك ، قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم جسَّاس بن مُرَّة بن ذُهْل ، حامي الذِّمَار ومانع الجـار ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم المُزْدَلِف صاحبُ العِمَامة الفَرْدَة[٤] ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أخوالُ الملوك من كِنْدَة ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أصهار الملوك من لَخْم ؟ قالوا : لا . فقال لهم أبو بكرٍ رضي الله عنه : فلستم بذُهْل الأكبر ، بل أنتم ذُهْل الأصغر . قال : فوثب إليه منهم غلامٌ يُدْعَى دَغْفَل بن حنظلة الذُّهْلي ـ حين بَقَلَ وَجْهُهُ[٥] ـ فأخذ بزِمام ناقةِ أبي بكرٍ وهو يقول : [من الرجز]

إنّ علَى سائِلِنا أن نسألَهْ والعبءُ لا نعرفُهُ أوْ نحمِلَهْ

يا هذا، إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتُمْك شيئاً، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت؟ قال: رجلٌ من قريش. فقال الغلام : بخ بخ ! أهل السُّؤْدُدِ والرياسة ، قادمةُ العرب وهداتُها[٦] ، فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجلٌ من بني تَيْم بن مُرَّة . فقال له الغلام : أمكنتَ واللهِ الرامي من سواءِ الثُّغْرَة[٧] ؟ أفمنكم قُصَيُّ بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلِّبين عليها ، وأجْلَى بقيَّتَهم ، وجمعَ قومَهُ من كل أَوْبٍ حتى أوطنهم مكة ، ثم استولى على الدار ونزَّل قريشاً منازلَها ، فسمَّتْهُ العربُ بذلك مُجَمِّعاً ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

أليسَ أبوكم كان يُدعى مُجَمِّعاً بـه جَمَـع اللهُ القبـائـلَ مـن فِهْـرِ

فقال أبو بكر : لا . قال : فمنكم عبدُ مناف الذي انتهتْ إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال

---

(١) أي من أشرافها أو من أوساطها ؛ واللهازم : أصول الحنكين ، واحدتها لِهْزِمة ، فاستعارها لوسط النسب والقبيلة . اللسان (لهزم) .

(٢) أي لا سيِّد يناوئه ، وهو من أمثالهم ، يعني أنه يقهر من حلَّ بواديه ؛ يضرب للعزيز الذي يذلُّ له الأعزّاء . وعوف هو ابنُ مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان . مجمع الأمثال (٢/ ٢٣٦) والمستقصى (٢/ ٢٦٢ و١/ ٤٣٧) واللسان (عوف) .

(٣) سمِّي بذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ، فعرج من تلك الحفزة . وكل ما قلعته فقد حفزته . اللسان (حفز) والاشتقاق لابن دريد (ص٣٥٨) .

(٤) سمِّي المزدلف لاقترابه إلى الأقران وإقدامه عليهم . اللسان (زلف) وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص٣٥٨) : لأنه قال لقومه وهو في حرب : ازدلفوا قيد رمحي . أي اقتربوا .

(٥) « بَقَل وجهه » : أي أول ما نبتت لحيته . اللسان (بقل) . وترجمة دغفل هذا في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ١٩٨) والخبر فيه .

(٦) في ح والدلائل : وأزمة العرب ، والمثبت من ط . والقادم والقادمة : الرأس . القاموس (قدم) . وصحفت « هداتها » في ط والمثبت من الدلائل .

(٧) « سواء الثُّغْرَة » : أي وسط الثغرة ، وهي نقرة النحر فوق الصدر . اللسان (ثغر) .

أبو بكر : لا . قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف ، هاشم الذي هَشَم الثريدَ لقومه ، وأهل مكة مسنتون ، ففيه يقول الشاعر[(١)] : [من الكامل]

عَمْرو العُلا هشَمَ الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ
سَنُّوا إليه الرحلتَيْن كِلَيْهما عندَ الشتاءِ ورحلةَ الأصْيافِ
كانت قريشٌ بيضةً فتفلَّقَتْ فالمُحُّ خالِصُهُ لعبدِ مَنَافِ[(٢)]
الرائِشينَ وليس يُعْرَفُ رائشٌ والقائلينَ هلُمَّ للأضيافِ[(٣)]
والضاربين الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ والمانعينَ البَيْضَ بالأسيافِ[(٤)]
للهِ درُّكَ لو نزلتَ بدارِهم منعُوكَ من أَزْلٍ ومن إقْرافِ[(٥)]

فقال أبو بكر : لا . قال : فمنكم عبد المطلب شَيْبَةُ الحَمْد ، وصاحب عِيرِ[(٦)] مكة ، ومطعم طيرِ السماء ، والوحوش والسباع في الفلا ، الذي كأنَّ وجهه قمَرٌ يتلألأ في الليلةِ الظلماء ؟ قال : لا . قال : أفمِنْ أهلِ الإفاضة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الحِجَابَة أنت ؟ قال : لا . قال أفمن أهلِ النَّدْوَة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل السِّقَاية أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الرِّفَادَةِ أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن المفيضين [بالناسِ][(٧)] أنت ؟ قال : لا . ثم جذَبَ أبو بكرٍ رضي الله عنه زِمام ناقتِهِ من يده ، فقال له الغلام : [من الرجز]

صادَفَ دَرْءُ السَّيلِ دَرْءاً يدْفَعُهْ يَهيضُهُ حيناً وحيناً يَصْدَعُهْ[(٨)]

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبَّرْتُك أنك من زَمَعَاتِ قريش ولست من

(١) قيل : هو عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، وقيل غيره . سيرة ابن هشام (١/ ١٣٦) والروض (١/ ١٦١) .

(٢) في ح ، ط : فالمخ بالخاء المعجمة ، والمثبت من دلائل أبي نعيم والروض الأنف (١/ ١٦١) وكلاهما بمعنى ، وهو الخالص من كل شيء ، وبالمهملة : صُفْرة البيض . القاموس (محح ، مخخ) .

(٣) « الرائش » : من قولهم : رِشْتُ فلاناً : قوَّيتُ جناحه بالإحسان إليه فارتاش وتريَّش ، قال النابغة : [من البسيط]
كم قد أحَلَّ بدار الفقر بعد غِنًى قوماً وكم راشَ قوماً بعد إقتارِ
يَريش قوماً ويبري آخرين بهم لله من رائشٍ عمرٌو ومن بارِ
أساس البلاغة (ريش) .

(٤) « الكبش هنا » : قائد الكتيبة في الحرب ؛ وبَيْضُه : ما عليه من حديد وسلاح . والبَيْض الثانية : ساحة القوم ، وحوزة كل شيء . القاموس والأساس (كبش ، بيض) .

(٥) « الأزْل » : ضيق العيش . يقال : أزلوا حتى هزلوا : أي حُبسوا وضُيِّق عليهم . والإقراف : أن يأتيهم وهم مرضى فيصيبه ذلك . أساس البلاغة (أزل ـ قرف) .

(٦) في الدلائل : بئر مكة .

(٧) من الدلائل : وفي ح : أفمن الصفين أنت .

(٨) يقال للسيل إذا أتاك من حيث لا تحتسبه : سيلٌ دَرْء ، أي يدفع هذا ذاك ، وذاك هذا . وقوله يهيضه حيناً وحيناً يصدعه : أي يكسره مرة ويشقُّه أخرى . اللسان (درأ ، هيض) والبيتان فيهما . ووقع في ط في القافية : يرفعه . تصحيف .

الذوائب[١] . قال : فأقبل إلينا رسولُ الله ﷺ يتبسَّم . قال عليّ : فقلت له : يا أبا بكر لقد وقَعْتَ من الأعرابيِّ على باقِعَة[٢] . فقال : أجل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامَّةٍ إلا وفوقها طامَّة ، والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالقول[٣] .

قال : ثمَّ انتهينا إلى مجلسٍ عليه السَّكينةُ والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم ـ قال علي : وكان أبو بكرٍ مقدَّماً في كلِّ خَيْر ـ فقال لهم أبو بكر : ممِن القَوْم ؟ قالوا : من بني شيبان بن ثعلبة . فالتفت إلى رسولِ الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي ، ليس بعد هؤلاء من عِزٍّ في قومهم ـ وفي رواية : ليس وراء هؤلاء عذر[٤] من قومهم ، وهؤلاء [غرر في قومهم ، وهؤلاء][٥] غرر الناس ـ وكان في القوم مَفْروق بن عمرو ، وهانيء بن قَبيصة ، والمُثنَّى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروقُ بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بياناً ولساناً[٦] ، وكانت له غَدِيرتان تسقطان على صدره ؛ فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العددُ فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيدُ على ألف ، ولن يُغلب ألفٌ من قِلَّة . فقال له : فكيف المَنَعَةُ فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ، ولكل قوم جدّ . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوِّكم ؟ فقال مفروق : إنا أشد ما نكونُ غضباً حين نُلْقَى[٧] ، وأشد ما نكونُ لقاءً حين نغضب ، وإنَّا لنؤثرُ الجيادَ على الأولاد ، والسلاحَ على اللِّقاح ، والنصرُ من عند الله ، يديلُنا مرَّة ، ويُديل علينا[٨] . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : إنْ كان بلغكم أنَّه رسول الله ﷺ فهاهو ذا . فقال مفروق : قد بَلَغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال : إلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدَّم رسولُ الله ﷺ فجلس ، وقام أبو بكرٍ يُظِلُّه بثوبه ، فقال ﷺ : « أدعوكم إلى شهادةِ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ له وأنِّي رسولُ الله ، وأن تؤووني وتمنعوني وتنصروني ، حتى أؤديَ عن الله الذي أمرني به ، فإنَّ قريشاً قد تظاهرتْ على أمْرِ الله ، وكذَّبتْ رسولَه ، واستغنَتْ بالباطل عن الحق ، والله هو الغنيُّ الحميد » . قال له : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ إلى قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣] فقال له مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا

(١) أي ليست من أشرافهم : والزَّمَعَة في الأصل : التَّلْعَة الصغيرة ، أو هي ما دون مسايل الماء من جانبي الوادي . النهاية لابن الأثير (زمع) .
(٢) « الباقعة » : الرجل الداهية ، والذكي العارف الذي لا يفوته شيء . اللسان (بقع) .
(٣) وفي رواية : والبلاء موكَّلٌ بالمنطق . فذهب مثلاً ، وأبو بكر أول من قاله ، مجمع الأمثال (١/ ١٧) .
(٤) كذا في ط وفي ح : غرر . وليس ما بين المعترضتين في الدلائل .
(٥) ما بين المعقوبين ليس في ح .
(٦) في مختصر تاريخ ابن عساكر : جمالاً ولساناً .
(٧) في ح : نلتقي . والمثبت من الدلائل ، وسقطت اللفظة وما قبلها وما بعدها من ط .
(٨) « يديلنا » : ينصرنا .

قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهلِ الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسولُ الله ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل ٩٠] فقال له مفروق : دعوتَ والله يا قرشيُّ[1] إلى مكارم الأخلاق ومحاسنِ الأعمال ، ولقد أفِكَ قومٌ كذّبوكَ وظاهروا عليك ـ وكأنَّه أحبَّ أن يشركه في الكلام هانىءُ بن قَبيصة فقال ـ : وهذا هانىءُ بن قَبيصة شيخُنا وصاحبُ ديننا .

فقال له هانىء : قد سمعتُ مقالتَك يا أخا قريش ، وصدَّقْتُ قولك ، وإني أرى أنَّ تركَنا ديننا واتِّباعَنا إيَّاك على دينِك لمجلسٍ جلستَهُ إلينا ليس له أولٌ ولا آخر ، لم نتفكَّرْ في أمرك ، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلَّةٌ في الرأي ، وطَيْشةٌ في العقل ، وقلَّة نظرٍ في العاقبة ، وإنما تكونُ الزَّلَّةُ مع العَجَلة ، وإنَّ من ورائنا قوماً نكرَهُ أن نعقِد عليهم عَقْداً ؛ ولكنْ ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر ـ وكأنَّه أحبَّ أن يشركه في الكلام المثنَّى بنُ حارثة فقال ـ : وهذا المثنَّى شيخُنا وصاحبُ حَرْبنا .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقالتَك واستحسنتُ قولَك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلَّمتَ به . والجوابُ هو جوابُ هانىء بن قَبيصة ، وتركنا دينَنا واتِّباعنا إياك على ديننا لمجلسٍ جلستَهُ إلينا ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْنِ[2] أحدُهما اليمامة ، والآخر السماوة[3] . فقال له رسول الله ﷺ : « وما هذان الصَّرَيَان » ؟ فقال له : أما أحدُهما فطُفُوف[4] البَرِّ وأرضُ العرب ، وأما الآخر فأرضُ فارس وأنهارُ كسرى وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أن لا نحدثَ حدَثاً ، ولا نُؤْوي مُحدِثاً . ولعلَّ هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك ؛ فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنبُ صاحبه مغفور ، وعُذرُه مقبول ، وأما ما كان يلي بلادَ فارس ، فذنبُ صاحبِه غيرُ مغفور ، وعذرُهُ غيرُ مقبول ؛ فإن أردت أن ننصرَك ونمنعك مما يلي العرب فعلْنا . فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأْتُم الرَّدّ ، إذْ أفصحتُمْ بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطَهُ من جميع جوانبه » . ثم قال رسولُ الله ﷺ : « أرأيتُم إنْ لم تَلْبَثُوا إلا يسيراً حتى يمنحَكم اللهُ بلادَهم وأموالهم ويفرشَكُم بناتِهم ، أتسبِّحون الله وتقدِّسونه ؟ » فقال له النعمان بن شريك : اللهمَّ وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسولُ الله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] ثم نهض رسولُ الله ﷺ قابضاً على يد أبي بكر . قال علي : ثم التفتَ إلينا رسولُ الله ﷺ فقال : يا علي أيَّةُ أخلاقٍ للعربِ كانت في الجاهليَّة ؟ ما أشرفها ! بها يتحاجَزُون فيما بينهم في الحياة الدنيا » .

---

(١) في ط : يا أخا قريش ، والمثبت من ح والدلائل .

(٢) « الصَّرَيان » : تثنية صَرًى وهو الماء المجتمع الذي يحضره الناس . ورواية ح : صِيرَيْن تثنية صِير ، وهو بمعناه وبهما وردت الرواية في النهاية لابن الأثير (صير ، صري) ووقع في رواية ابن منظور في مختصر ابن عساكر : ضرَّتين .

(٣) في النهاية لابن الأثير : اليمامة والسمامة . وفي مختصر ابن منظور : الشأمة .

(٤) « الطُّفوف » : جمع طَفّ ، وهو ساحل البحر وجانب البرّ . النهاية لابن الأثير (طفف) .

قال : ثم دفعنا إلى مجلسِ الأوْسِ والخَزْرَج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبيَّ ﷺ .

قال عليّ : وكانوا صدُقاً صُبُراً ، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بذلك ، مما رأى من معرفة أبي بكرٍ رضي الله عنه بأنسابهم .

قال : فلم يلبَثْ رسولُ الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال : « ادعوا لإخوانكم من ربيعة ، فقد أحاطت بهم اليوم أبناء فارس » ثم دخل منزله ، فلم يلبَثْ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احْمَدُوا الله كثيراً[١] فقد ظَفِرتِ اليومَ أبناءُ ربيعةَ بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نُصروا » . قال : وكانت الوقعة بقُرَاقر إلى جَنْب ذي قار ، وفيها يقول الأعشى[٢] : [من الطويل]

فِدًى لبني ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ ناقتي ... وراكبُها عند اللِّقاء وقَلَّتِ
هُمُو ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقَدِّمةَ الهامُرْزِ حتَّى تولَّتِ
فللهِ عينا مَنْ رأى من فوارسٍ ... كذُهلِ بنِ شيبان بها حينَ ولَّتِ[٣]
فثَاروا وثُرْنا والمودَّة بينَنا ... وكانت علينا غَمْرةً فَتَجَلَّتِ[٤]

هذا حديثٌ غريبٌ جداً ، كتبناه لما فيه من دلائلِ النبوَّة ومحاسنِ الأخلاق ، ومكارم الشِّيَم ، وفصاحةِ العرب وقد ورد هذا من طريقٍ أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا وفارس والتقَوْا معهم بقُرَاقِر ـ مكانٍ قريبٍ من الفُرات ـ جعلوا شعارَهم اسم محمد ﷺ فنُصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام .

وقال الواقدي[٥] : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسولُ الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تَلِي مسجد الخَيْف ، وهو على راحلته مُرْدِفاً خلفه زيدَ بن حارثة ، فدعانا ، فوالله ما استجَبْنا له ولا خُيِّر لنا . قال : وقد كنَّا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعونا ، فلم نستجبْ له ، وكان معنا ميسرةُ بنُ مسروق العَبْسي ، فقال لنا : أحلفُ بالله لو قد صدَّقنا هذا الرجل وحَمَلْنَاهُ حتى نحلَّ به وسطَ بلادِنا لكان الرأي . فأحلف بالله ليظهرنَّ أمْرُهُ حتى يبلغ كلَّ مبلغ . فقال القوم : دعنا منك لا تعرِّضنا لما لا قِبَلَ لنا به . وطمع رسولُ الله ﷺ في ميسرة ، فكلَّمه فقال

---

(١) في ح : احمدوا الله تعالى فقد ظهرت .
(٢) الأبيات في ديوان الأعشى ميمون بن قيس (٢٥٩) بتحقيق د . محمد حسين هيكل .
(٣) رواية هذا البيت وبيتين من بعده في الديوان هكذا :

فلله عيناً من رأى من عصابة ... أشدَّ على أيدي السُّعاةِ من التي
أتتهم من البطحاء يبرق بَيْضُها ... وقد رفعت راياتها فاستقلَّتِ
فثاروا وثرنا والمنية بيننا ... وهاجت علينا غمرةٌ فتجلَّتِ

(٤) رواية ح للشطر الثاني هكذا : وكانت علينا جمرة فتولت .
(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٣٨٧) بسنده عن الواقدي . أقول : الواقدي : متروك مع سعة علمه . كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب .

ميسرة : ما أحسنَ كلامَكَ وأنورَه ! ولكنَّ قومي يخالفونني وإنما الرجلُ بقومه ، فإذا لم يعضُدوه فالعِدَى أبْعَدُ[1] . فانصرف رسولُ الله ﷺ ، وخرج القوم مبادرينَ[2] إلى أهليهم .

فقال لهم ميسرة : ميلوا بنا إلى[3] فَدَك ، فإنَّ بها يهود ، نسائلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود ، فأخرجوا سِفْراً لهم فوضعوه ، ثم درسوا ذِكْرَ رسولِ الله ﷺ النبيِّ الأميِّ العربي ، يركبُ الحمار ويَجْتَزِىء بالكِسْرَة ، وليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجَعْد القَطَط ولا بالسَّبَط ، في عينيه حُمْرَة ، مشرقُ[4] اللَّون . فإنْ كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادْخُلوا في دينه ، فإنا نحسُده ولا نتَّبِعُه ، ولنا منه في مواطن[5] بلاءٌ عظيم ، ولا يَبْقَى أحدٌ من العرب إلا اتَّبعه وإلا قاتله[6] ، فكونوا ممن يتَّبِعُه . فقال ميسرة : يا قوم ، إنَّ[7] هذا الأمر بيِّن ، فقال القوم نرجعُ إلى الموسم ونلقاه .

فرجعوا إلى بلادهم وأبَى ذلك عليهم رجالُهم ، فلم يتَّبعْهُ أحدٌ منهم ، فلما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة مهاجراً وحجَّ حجَّة الوداع لَقِيَهُ ميسرةُ فعرفه . فقال : يا رسولَ الله ، والله ما زلتُ حريصاً على اتِّباعك من يوم أنختَ بنا حتى كان ما كان ، وأبَى الله إلا ما ترى من تأخُّر إسلامي ، وقد مات عامَّةُ النفر الذين كانوا معي فأين مدخَلُهم يا رسول الله ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « كُلُّ مَنْ مات على غير دين الإسلام فهو في النار » فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسُن إسلامه ، وكان له عند أبي بكرٍ مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي قصصَ القبائل واحدةً واحدة ، فذكر عَرْضَهُ عليه السلام نفسَه على بني عامر وغسان ، وبني فَزَارة ، وبني مُرَّة ، وبني حنيفة ، وبني سُليم ، وبني عبس ، وبني نضر بن هوازن ، وبني ثعلبة بن عُكَابة ، وكِنْدة وكَلْب وبني الحارث بن كعب ، وبني عُذْرَة وقيس بن الخَطيم وغيرهم . وساق أخبارَها مطوَّلةً ، وقد ذكرنا من ذلك طَرَفاً صالحاً ولله الحمدُ والمنة .

وقال الإمام أحمد[8] : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، أنا إسرائيل ، عن عثمان ـ يعني ابن المغيرة ـ عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبيُّ ﷺ يعرضُ نفسَه على الناس بالموقف فيقول : « هل مِنْ رجلٍ يحمِلُني إلى قومه ؟ فإنَّ قريشاً قد منعوني أنْ أبلِّغ كلامَ ربي عزَّ وجل » فأتاه رجلٌ من هَمْدان فقال : « ممن أنت ؟ » قال الرجل : من هَمْدان . قال : « فهل عند قومِك من مَنَعة ؟ » قال :

---

(١) « العِدَى » : بالكسر ، الغرباء والأجانب والأعداء ، وأما بالضم فهم الأعداء خاصة . النهاية لابن الأثير (عدي) .
(٢) في ط والدلائل : صادرين ، والمثبت من ح .
(٣) في ط : ميلوا نأتي . والمثبت من ح والدلائل .
(٤) في الدلائل : مشرب .
(٥) في ط : وإنا [منه] في مواطن . وفي ح : وليأتيه بلاء . والمثبت من الدلائل .
(٦) في الدلائل : إلا اتبعه أو قاتله وهو أشبه بالصواب .
(٧) في ط : ألا [إن] هذا الأمر ، وفي ح : إلى هذا الأمر ، والمثبت من الدلائل .
(٨) في المسند (٣/ ٣٩٠) رقم (١٥١٣٠) .

نعم . ثم إنَّ الرجل خَشِيَ أن يُخْفِرَهُ[١] قومُه ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : آتيهم فأُخبرُهم ثم آتيكَ من عام قابِل . قال : « نعم » فانطلق وجاء وَفْدُ الأنصار في رجب .

وقد رواهُ أهل السُّنَنِ الأربعة من طرق عن إسرائيل به ، وقال الترمذي : حسنٌ صحيح[٢] .

فصـــل

قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعةً بعد بيعة ثم بعد ذلك تحوَّل إليهم رسولُ الله ﷺ إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة

حديث سويد بن صامت الأنصاري

وهو سويد بن الصامت بن عطيَّة بن حَوْط بن حُبَيِّب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأمُّه ليلى بنت عمرو النجَّاريَّة ، أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم ، فسويد هذا ابنُ خالة عبدِ المطلب جدِّ رسولِ الله ﷺ .

قال محمد بن إسحاق بن يسار[٣] : وكان رسولُ الله ﷺ على ذلك من أمره ، كلَّما اجتمع له الناسُ بالمَوْسم أتاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام ويعرضُ عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولا يسمع بقادمٍ يقدم مكةَ من العرب ، له اسمٌ وشرف إلا تصدَّى له فدعاه إلى الله تعالى ، وعرَض عليه ما عنده .

قال ابنُ إسحاق[٤] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سُويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عَوْف مكة حاجّاً ـ أو معتمراً ـ وكان سُويد إنما يُسمِّيه قومُه فيهم الكامل ، لجَلَدِه وشعرِه وشرَفه ونسبه ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو تَرَى   مقالَتَهُ بالغَيْب ساءَكَ ما يَفْرِي[٥]

---

(١) في المسند : يحقره ، وأخفرتُه : نقضتُ عهدَه ؛ ويحقره : يستهين به التاج (خفر ، حقر) .

(٢) في سنن أبي داود (٤٧٣٤) السنة باب في القرآن ، وسنن الترمذي (٢٩٢٥) فضائل القرآن باب (٢٤) حدثنا محمد بن إسماعيل ، وسنن ابن ماجه (٢٠١) المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ، وسنن النسائي الكبرى ، في النعوت (٧٧٢٧) . وأخرجه الدارمي (٣٣٥٧) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٣) و(٢٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٢/ ٦١٣) كتاب التاريخ .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٥) والروض (٢/ ١٧٤) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٥) والروض (٢/ ١٧٥) .

(٥) في ح : من يفري .

مقالتُه كالشَّهْدِ[١] ما كان شاهداً وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرةِ النَّحْرِ[٢]
يسرُّك باديهِ وتحتَ أديمهِ نَميمةُ غِشٍّ تَبْتَري عَقَبَ الظَّهرِ[٣]
تُبين لك العينانِ ما هو كاتمٌ من الغِلِّ والبغضاءِ بالنظر الشَّزْرِ
فَرِشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَني وخيرُ الموالي من يَريشُ ولا يَبري[٤]

قال[٥] : فتصدَّى له رسولُ الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فلعلَّ الذي معك مثلُ الذي معي . فقال له رسولُ الله ﷺ : « وما الذي معك ؟ » قال : مجلَّة لُقْمانَ[٦] ـ يعني حكمة لقمان ـ فقال رسولُ الله ﷺ : « اعرِضْها عليَّ » فعرضها عليه فقال : « إنَّ هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضلُ من هذا ؛ قرآنٌ أنزله الله عليّ ، هو هُدًى ونُور » فتلا عليه رسولُ الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام . فلم يَبْعُدْ منه وقال : إنَّ هذا القول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدِم المدينة على قومه ، فلم يلبَثْ أن قَتَلَتْهُ الخزرج ؛ فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنَّا لنراه قُتل وهو مسلم . وكان قتلُه قبل بُعَاث .

وقد رواه البيهقي[٧] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق بأخصرَ من هذا .

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق[٨] : وحدَّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ عن محمود بن لَبيد ، قال : لما قدم أبو الحَيْسَر أنسُ بن رافع مكة ومعه فتيةٌ من بني عبد الأشْهَل ، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم في خيرٍ مما جئتم له ؟ » فقالوا : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسولُ الله إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليَّ الكتاب » . ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياسُ بن معاذ ـ وكان غلاماً حدَثاً ـ : يا قوم ، هذا والله خيرٌ مماجئتم له . فأخذ أبو الحَيْسَر أنسُ بن

---

(١) في ح : كالشحم .
(٢) « المأثور » : يعني به السيف ، ومأثور : من الأثر ، وهو فِرَنْد السيف . الروض (٢/ ١٨٥) .
(٣) في ط : تميمة غش . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .
(٤) في ح : وشر الموالي ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض .
(٥) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٧) والروض (٢/ ١٧٥) .
(٦) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٨٣) : ولقمان كان نوبياً من أهل أيلة ، وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا ، وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل في اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحميري . اهـ .
(٧) في دلائل النبوة (٢/ ٤١٩) .
(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٧) والروض (٢/ ١٧٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٢٠) .

رافع حفنةً من تراب البَطْحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغيرِ هذا . قال : فصمَتَ إياس ، وقام رسولُ الله ﷺ عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعةُ بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبَثْ إياسُ بن معاذ أنْ هلك . قال محمود بن لَبِيد : فأخبرني مَنْ حضرَهُ[١] من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّلُ الله ويكبِّرُه ويحمَدُه ، ويسبِّحُه حتى مات . فما كانوا يشكُّون أنه قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسولِ الله ﷺ ما سمع .

قلتُ : كان يومُ بُعَاث ـ وبُعَاث موضعٌ بالمدينة ـ كانت فيه وقعةٌ عظيمة قُتل فيها خلقٌ كثير من أشرافِ الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبقَ من شيوخهم إلا القليل .

وقد روى البخاري في صحيحه[٢] عن عُبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة[٣] ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان يوم بُعَاث يوماً قدَّمَهُ الله لرسوله ، فقدِمَ[٤] رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق مَلَؤهم ، وقُتلَتْ سَرَواتُهم[٥] .

وقال[٦] أبو زرعة الرازي في كتابه « دلائل النبوة » باب إسلام رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء : حدَّثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد[٧] بن هانىء الشَّجري[٨] ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق[٩] ، حدَّثني عبيد[١٠] بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدِما مكة ، فلما هبطا من الثنيَّة رأيا رجلاً تحت شجرة ـ قال : وهذا قبل خروج الستة من

(١) في ط : حضرني ، وفي ح : حضر ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٢) فتح الباري (٣٧٧٧) مناقب الأنصار باب مناقب الأنصار .

(٣) في ط : عن أبي أمامة . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري في الفتح .

(٤) في ح ، ط : قدم والمثبت من صحيح البخاري .

(٥) « الملأ » : عِلِيَةُ القوم وأشرافهم . وفي ط : قتل سراتهم . وفي ح : قتلت سراتهم ، والمثبت من صحيح البخاري . قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١١١) : سرواتهم : أي خيارهم ، والسروات جمع سراة بفتح المهملة وتخفيف الراء ، والسراة جمع سَرِيّ وهو الشريف .

(٦) من هنا يبدأ سقط من نسخة ط وزيادة في ح تنتهي بنهاية هذا الفصل وهذا الخبر أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٩).

(٧) في ح : « إبراهيم بن محمد بن يحيى » مقلوب ، والصواب ما أثبتناه من المستدرك (٤/ ١٤٩) وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٠) ، والجرح والتعديل (٢/ ١٤٧) وغيرها . (بشار) .

(٨) في ح : « السِّجْزي » ، مصحف ، والصواب ما أثبتنا ، نسب كذلك لأنه كان ينزل الشجرة بذي الحليفة ، كما في أنساب السمعاني (٨/ ٦٣) ، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣١) ، وهي على ستة أميال من المدينة وتعرف اليوم بآبار علي . (بشار) .

(٩) قوله : « عن ابن إسحاق » ليس في المستدرك ، وما هنا أصح ، فرواية يحيى بن محمد بن عباد الشجري عن ابن إسحاق عند الترمذي ، ونص عليها المزي في التهذيب (٣١/ ٥٢١) ، ولا تصح روايته عن عبيد بن يحيى . (بشار) .

(١٠) في المستدرك : « عبد » محرف ، وما أثبتناه من تهذيب الكمال (٢٨/ ١٢١) . (بشار) .

الأنصار - قال : فلما رأيناه كلمناه[١] قلنا : نأتي هذا الرجل نستودعه راحلتينا حتى نطوف بالبيت ، فجئنا فسلَّمنا عليه تسليم أهل الجاهلية ، فردَّ علينا تسليم أهل الإسلام ، وقد سمعتُ بالنبي [ﷺ][٢] قال : فأنكرنا ، فقلنا : من أنت ؟ قال : « انزلوا » . فنزلنا فقلنا : أين هذا الرجل الذي يدَّعي ما يدَّعي ويقول ما يقول ؟ قال : « أنا هو » . قلنا : فاعْرِضْ علينا الإسلام . فعرض وقال : « من خلق السماوات والأرض والجبال ؟ » قلنا : خلقهنَّ الله . قال : « من خلقكم » ؟ قلنا : الله . قال : « فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدون ؟ » قلنا : نحن . قال : « الخالق أحقُّ بالعبادة أو المخلوق ؟ » قلنا : الخالق . قال : « فأنتم أحق أن تعبدوا ربكم ، وأنتم عملتموهن ، والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه ، وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله ، وصلةِ الرَّحِم ، وترك الولدان[٣] العدوان وإن غضب الناس » فقالا : لو كان هذا الذي تدعوه إليه باطلاً لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق ، فأمسك راحلتينا حتى نأتي البيت ، فجلس عنده معاذ بن عفراء . قال رافع : وجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة قداح ، وجعلت له بينها قدحاً فاستقبلت وقلت : اللهمَّ إن كان ما يدعو إليه محمد حقاً فأخرج قدَحَه سبع مرات ، فضربتُ بها سبع مرات ، فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فاجتمع الناسُ علي وقالوا : مجنونٌ رجلٌ صبأ . فقلت : رجلٌ صبأ ! بل رجل مؤمن . ثم جئت إلى النبي ﷺ بأعلى مكة ، فلما رآني معاذ بن عفراء قال : لقد جئتَ بوجهٍ ما ذهبت به . [قال][٤] رافع : فجئت وآمنت ، وعلَّمنا رسول الله ﷺ سورة يوسف [و][٤] اقرأ باسم ربك الذي خلق ، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فلما كنا بالعَقيق قال معاذ : إني لم أطْرُقْ ليلاً قط ، فبتْ بنا حتى نصبح . فقلت : أبيتُ ومعي ما معي من الخير !؟ ما كنتُ لأفعل . وكان رافع إذا خرج سفراً ثم قدم عرض قومه .

إسنادٌ حسن[٥] وسياقٌ حسَن[٦] .

---

(١) في ح : « وترك الولدان العدوان » ، وفي المستدرك : فلما رأيناه كلمناه قلنا . كما أثبتناه .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) كذا في ح ، ولكن كلمة الولدان مقحمة من الناسخ وليست في المستدرك .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) قال بشار : هكذا قال ، ومن أين يأتيه الحسن ويحيى بن محمد بن عباد بن هانىء الشجري ضعيف ، كما قال أبو حاتم وغيره . وقال الذهبي متعقباً تصحيح الحاكم لهذا الحديث في المستدرك : « يحيى الشجري صاحب مناكير » ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : ضعيف .

(٦) إلى هنا ينتهي السقط المشار إليه في الحاشية (٦) من الصفحة السابقة .

باب
بُدُوِّ إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق : فلما أراد اللهُ إظهار دينه وإعزازَ نبيِّه ، وإنجاز موعده له ، خرج رسولُ الله ﷺ في الموسم الذي لقيَهُ فيه النَّفَر من الأنصار فعرض نفسَه على قبائل العرب كما كان يصنعُ في كلِّ مَوْسم ، فبينا هو عند العقبة لَقِيَ رَهْطاً من الخزرج أراد الله لهم خيراً .

فحدَّثني عاصمُ بن عمر بن قتادة . عن أشياخٍ من قومه قالوا : لما لقيهم رسولُ الله ﷺ قال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا : نفرٌ من الخزرج . قال : « أمِن موالي يَهُود ؟ » قالوا : نعم . قال : « أفلا تجلسونَ أكلِّمكم ؟ » قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهمُ القرآن . قال : وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أنَّ يهودَ كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلْم ، وكانوا هم أهلَ شِرْكٍ وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزَوْهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا : إنَّ نبيّاً مبعوثٌ الآن قد أظلَّ زمانُه نتَّبعه ، نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَم . فلمَّا كلَّم رسولُ الله ﷺ أولئك النَّفَر ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنه النبيُّ الذي توعَّدكم به يهود ، فلا يسبِقُنَّكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدَّقوه وقبلوا منه ما عرَض عليهم من الإسلام وقالوا له : إنا قد ترَكْنا قومَنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم ، وعسى أن يجمعَهُم اللهُ بك ، فسنقدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإنْ يجمَعْهم الله عليك فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدَّقوا .

قال ابن إسحاق[1] : وهم ـ فيما ذُكر لي ـ ستة نفر ، كلُّهم من الخزرج ، وهم أبو أمامة أسعدُ بن زُرَارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار[2] ، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار ـ وهو ابن عَفْراء ـ النجّاريان ، ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق الزُّرَقي ، وقُطْبَة بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سواد[3] بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي بن أسَد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزْرَج السَّلَمي ثم من بني سواد ،

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٩) والروض (٢/ ١٧٦) .

(٢) زادت نسخة ط هنا ما نصه : قال أبو نعيم : وقد قيل : إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج . ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم ، وهذه الزيادة ليست في ح ويبدو لي أنها حاشية كانت في إحدى النسخ فأدخلها النساخ في المتن ، إذ ليس من عادة المؤلف أن يقحم رواية ما في رواية أخرى وخاصة إذا كانت من سيرة ابن هشام .

(٣) قال ابن هشام بعد أن ساق قول ابن إسحاق في السيرة (١/ ٤٣٠) : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له غَنْم . اهـ قلت : وكتب الأنساب تؤيد ما ذهب إليه ابن هشام ؛ انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٣٥٨ ، ٣٥٩) وترجمة قطبة بن عامر في الإصابة .

وعقبة بن عامر بن نابي بن زَيْد بن حَرَام بن كَعب بن سَلِمة السَّلَمي أيضاً ، ثم من بني حَرَام . وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سِنان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة السَّلَمي أيضاً ، ثم من بني عُبيد رضي الله عنهم .

وهكذا روي عن الشعبي والزُّهري وغيرهما[١] ، أنهم كانوا ليلتئذٍ ستةَ نفرٍ من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة[٢] فيما رواهُ عن الزُّهْري وعروة بن الزُّبير ، أنَّ أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم ؛ معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان ـ وهو ابن عبد قيس ـ وعُبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وعُويم بن ساعدة . فأسلموا وواعدُوه إلى قابل . فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذَ بن عَفْرَاء ، ورافع بن مالك ، أن ابعَثْ إلينا رجلاً يفقِّهُنا . فبعث إليهم مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زُرَارة وذكر تمامَ القصة كما سيوردُها ابنُ إسحاق أتمَّ من سياقِ موسى بن عقبة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما قدِموا المدينةَ إلى قومهم ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ ودعَوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذكْرُ رسولِ الله ﷺ حتى إذا كان العامُ المقبل وافَى المَوْسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم : أبو أمامة أسعدُ بن زُرارة المتقدِّم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدِّم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عَفْراء ، ورافع بن مالك المتقدِّم أيضاً . وذَكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق الزُّرَقي .

قال ابنُ هشام[٤] : وهو أنصاريٌّ مهاجريّ .

وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمَة بن أصْرم البَلَوِيّ ، والعباس بن عُبَادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلان بن يزيد بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العَجْلاني ، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدِّم ، وقُطْبَة بن عامر بن حَديدة المتقدم ؛ فهؤلاء عشرةٌ من الخزرج ، ومن الأوس اثنان وهما : عُويم بن ساعدة . وأبو الهيثم مالك بن التَّيِّهان .

قال ابنُ هشام[٥] : التَّيِّهان يخفَّفُ ويُثَقَّل كمَيْتٍ ومَيِّت .

---

(١) في ح : وعندهما .
(٢) دلائل البيهقي (٢/ ٤٣٠ ، ٤٣١) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٠) والروض (٢/ ١٧٧) .
(٤) في السيرة (١/ ٤٣١) .
(٥) في السيرة (١/ ٤٣٣) .

قال السُّهيلي[١] : أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، اسْمُه مالك بن مالك بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعُوراء بن جُشَم[٢] بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . قال : وقيل إنه أَرَاشِيّ وقيل بَلَوي . وهذا لم ينسُبْهُ ابنُ إسحاق ولا ابنُ هشام .

قال : والهيثم فَرْخُ العقاب ، وضرْبٌ من النبات[٣] .

والمقصود أنَّ هؤلاء الاثني عشر رجلاً شهدوا المَوْسِم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسولِ الله ﷺ فلَقُوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعةَ النساء وهي العقبةُ الأولى .

وروى أبو نُعيم[٤] أنَّ رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] إلى آخرها .

وقال ابن إسحاق[٥] : حدَّثني يزيد بن أبي حَبيب ، عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَني ، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنَابحي ، عن عُبادَة بنِ الصامت قال : كنتُ فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسولَ الله ﷺ على بَيْعة النساء ، وذلك قبل أن يُفترض الحرب ، على أن لا نُشرك بالله شيئاً ، ولا نَسْرق ولا نَزْني ، ولا نقتل أولادَنا ، ولا نأتي ببُهْتانٍ نَفْتريه بين أيدينا وأرجُلنا ولا نعصيه في معـروف . فإنْ وفَّيتُمْ فلكم الجنَّة ، وإنْ غَشِيتم من ذلك شيئاً فأمْرُكم إلى الله ، إنْ شاء عذَّب وإنْ شاء غَفَر .

وقد روى البخاري ومسلم[٦] هذا الحديث من طريق اللَّيث بن سعد عن يزيد بن أبي حَبيب به نحوه .

قال ابنُ إسحاق[٧] : وذكر ابنُ شهاب الزُّهْري عن عائذ الله بن عبد الله أبي إدريس الخَوْلاني أنَّ عُبادَةَ بن الصامت حدَّثه قال : بايعنا رسولَ الله ﷺ ليلة العقبةِ الأولى أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرِق ولا نزني ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأتي ببُهْتانٍ نفتريهِ بين أيدينا وأرجُلنا ، ولا نعصيهِ في معروف ، فإنْ وفَيْتم فلكم الجنَّة ، وإنْ غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدِّه في الدُّنيا ، فهو كفَّارةٌ له ، وإن سُترتم عليه إلى يوم القيامة فأمْرُكم إلى الله ، إنْ شاء عذَّب ، وإن شاء غَفَر .

---

(١) في الروض (٢/ ١٩٤ ، ١٩٥) .

(٢) في ح : عمر بن رعور بن جبير ، وفوق جبير خيثم ، وفي ط والروض : عامر بن زعون بن جشم . وكلاهما فيه تصحيف ، والمثبت من الاشتقاق لابن دريد (ص٤٤٣) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص٣٤٠) .

(٣) في الروض : ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة .

(٤) في الدلائل (١/ ٤٠٠) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٣) والروض (٢/ ١٨٥) .

(٦) فتح الباري (٣٨٩٣) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ ، وصحيح مسلم (١٧٠٩) (٤٤) الحدود باب الحدود كفارات لأهلها .

(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤) والروض (٢/ ١٨٥) .

وهذا الحديث مخرَّجٌ في الصحيحَيْن[١] وغيرهما من طُرق عن الزُّهري به نحوه ، وقوله : على بيعة النساء ـ يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحُدَيبية ـ وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا بعجيب ، فإنَّ القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما مَوْطنٍ كما بيَّناه في سيرته وفي التفسير ، وإنْ كانت هذه البيعة وقعَتْ عن وَحْيٍ غيرِ مَتْلُوّ ، فهو أظهر والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما انصرف عنه القوم بعث رسولُ الله ﷺ معهم مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدَّار بن قُصَي . وأمرَهُ أنْ يُقرئهم القرآن ، ويعلِّمهم الإسلام ويفقِّههم في الدين .

وقد روى البيهقي[٣] عن ابن إسحاق قال : فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ رسولَ الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم .

وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدّم ، إلا أنه جعل المرةَ الثانية هي الأولى .

قال البيهقي[٤] : وسياق ابن إسحاق أتمّ .

وقال ابن إسحاق[٥] : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لا أدري ما العقبةُ الأولى . ثم يقول ابنُ إسحاق : بلى لعمري قد كانت عَقَبة وعَقَبة . قالوا كلُّهم : فنزل مصعبٌ على أسعد بن زُرارة فكان يسمَّى بالمدينة المقرىء .

قال ابن إسحاق[٦] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأَوْس والخَزْرَج كرِه بعضُهم أن يؤمَّه بعضٌ رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدَّثني محمد بن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنيف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال : كنت قائدَ أبي حين ذهبَ بصرُهُ ، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلَّى على أبي أمامة أسعد بن زُرَارة قال : فمكث حيناً على ذلك لا يسمع الأذانَ للجمعة إلا صلَّى عليه واستغفرَ له . قال : فقلتُ في نفسي والله إنَّ هذا لي لَعَجْزٌ ، ألا أسأله ؟ فقلت : يا أبت مالك إذا سمعتَ الأذانَ للجمعة صلَّيتَ على أبي أمامة ؟ فقال : أيْ بُنَيّ ، كان أولَ مَنْ جمَّع بنا بالمدينة في هَزْم

---

(١) فتح الباري (٣٨٩٢) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ ، وصحيح مسلم (١٧٠٩) (٤١) الحدود باب الحدود كفارات لأهلها .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤) والروض (٢/ ١٨٥) .

(٣) في الدلائل (٢/ ٤٣٧) .

(٤) في الدلائل (٢/ ٤٣٣) .

(٥) قول ابن إسحاق هذا في الدلائل للبيهقي (٢/ ٤٣٨) .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤) والروض (٢/ ١٨٥) .

(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٥) والروض (٢/ ١٨٥) .

النَّبِيت[١] من حَرَّة بني بَيَاضة في نقيعٍ يقال له نَقيع الخَضِمات[٢] . قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

وقد روى هذا الحديث أبو داود وابنُ ماجَهْ[٣] من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله . وقد روى الدارقطني[٤] عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجُمعة . وفي إسناده غرابة ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق[٥] : وحدَّثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِيب[٦] ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم أنَّ أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عُمير يُريد به دارَ بني عبد الأشهل ، ودارَ بني ظَفَر ، وكان سعدُ بن معاذ ابنَ خالة أسعد بن زرارة . فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر على بئرٍ يقالُ له بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجالٌ ممن أسلم ، وسعدُ بن معاذ وأُسيد بن الحُضَير يومئذٍ سيِّدا قومِهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِكٌ على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأُسيد : لا أبالك ، انطلقْ إلى هذين الرجلَيْن اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضعفاءنا ، فازْجُرْهُما ، وانههما أن يأتيا دارَينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك ، هو ابنُ خالتي ولا أجد عليك مقدَّماً .

قال : فأخذ أُسيد بن حُضَير حَرْبَتَه ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زُرارة قال لمصعب : هذا سيِّدُ قومه وقد جاءك ، فاصْدُقِ الله فيه ، قال مصعب : إنْ يجلسْ أكلِّمْهُ . قال : فوقف عليهما متشتِّماً فقال : ما جاء بكما إلينا تسفِّهانِ ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ـ وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتنا في دارنا بهذا الوحيد الطريد الغريب لِيُسَفِّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه ـ قال ابنُ

(١) في ح : هزم الحرم . والمثبت من ط والسيرة والروض وقال السهيلي فيه (٢/ ١٩٦) : هزم النبيت جبل على بريد من المدينة .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٩٦) : بقيع : بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر وكذلك وجدته في رواية يونس عن ابن إسحاق وذكره البكري في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البقع أنه نقيع بالنون ذكره في باب النون والقاف . . . وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٤/ ١٧٧) : وأما نقيع الخضمات بقرب المدينة فبالنون ، كذا قيده الحازمي وغيره ، ونقل الحازمي أن الخطابي قال : من قاله بالباء فقد أخطأ ، وهو قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بني سلمة . وقال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٣٧٧) : فكأنه جمع خَضِمة ، وهي الماشية التي تخضم فكأنه سمي بذلك للخِصْب فيه .

(٣) سنن أبي داود (١٠٦٩) الصلاة باب الجمعة في القرى ، وسنن ابن ماجه (١٠٨٢) إقامة الصلاة باب في فرض الجمعة . وأخرجه أيضاً عن ابن إسحاق الدارقطني في السنن (٢/ ٥) الجمعة باب ذكر العدد في الجمعة . أقول : وهو حديث حسن .

(٤) لم أجده في كتاب السنن للدارقطني .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٥) والروض (٢/ ١٨٦) .

(٦) وقع في سيرة ابن هشام والروض : معيقب . والمثبت من ط وتهذيب الكمال للمزي وتهذيب التهذيب والتقريب لابن حجر والجرح والتعديل .

إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلسُ فتسمع ، فإنْ رضيتَ أمْراً قَبِلْتَه ، وإنْ كرهتَهُ كُفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت . قال : ثم ركز حَرْبَته وجلس إليهما ، فكلَّمه مُصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يُذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله . ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتُم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهَّر ، وتطهِّر ثوبَيْك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ، فقام فاغتسل ، وطهَّر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتَيْن ، ثم قال لهما : إنَّ ورائي رجلاً إن اتبعَكما لم يتخلَّفْ عنه أحدٌ من قومه ، وسأُرسله إليكما الآن ، سعدَ بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعدٍ وقومه وهم جلوسٌ في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن مُعاذ مُقْبِلاً ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلَّمتُ الرجلَيْن ، فوالله ما رأيتُ بهما بأساً . وقد نهيتُهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِرُوك[١] ، قال : فقام سعدُ بن معاذ مُغْضَباً مبادراً تخوُّفاً للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغْنَيْتَ شيئاً ، ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنَّينِ عرف أن أُسيداً إنما أراد أن يسمعَ منهما ، فوقف عليهما متشتِّماً ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا مني ، أتغشانا في دارَينا بما نكره ؟ ـ قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيدُ من وراءَهُ قومُه ، إنْ يتَّبِعْك لا يتخلَّفْ عنك منهم اثنان ـ قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإنْ رضِيتَ أمراً ورغبتَ فيه قَبِلْتَه ، وإنْ كرهتَه عَزَلْنا عنكَ ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ـ [وذكر موسى بنُ عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف][٢] ـ قال : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله . ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهَّرُ وتطهِّرُ ثوبَيْك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال : فقام فاغتسل ، وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أُسيد بن الحُضير .

فلما رآه قومُه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيِّدُنا وأفْضَلُنا رأياً وأيمننا نَقِيبةً . قال : فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، ورجع أسعد[٣]

---

(١) في ح ، ط : ليحقروك ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، والإخفار نقض العهد والغدر . اللسان (خفر) .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام .

(٣) في ط : سعد . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام[١] عنده يدعو[٢] الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخَطْمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوْسُ الله ، وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسْلَت واسمه صَيْفي ـ [وقال الزُّبير بن بكّار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الأسلت عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس . وكذا نسبه ابن الكلبي أيضاً] ـ وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسْلَت هذا ذكر له ابنُ إسحاق أشعاراً ربّانيةً[٣] حسنة ، تقرب من أشعار أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي .

قال ابن إسحاق فيما تقدم[٤] : ولما انتشر أمر رسولِ الله ﷺ في العرب ، وبلغ البلدان ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسولِ الله ﷺ حين ذُكر ، وقبل أن يُذكر من هذا الحيِّ من الأوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره[٥] بالمدينة وتحدَّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسْلت أخو بني واقف[٦] ـ وكان يحبُّ قريشاً ، وكان لهم صِهْراً . كانت تحته أرْنَبُ بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ، وكان يُقيم عندهم السنين بامرأته ـ قال قصيدةً يُعَظِّم فيها الحُرْمة ، وينهَى قريشاً فيها عن الحرب ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويذكِّرهم بلاءَ الله عندهم ودَفْعَهُ عنهم الفيل وكَيْدَه ، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول الله ﷺ : [من الطويل]

أيـا راكبـاً إمَّـا عـرَضْـتَ فبلِّغَـنْ ... مُغَلْغَلـةً عنّـي لُـؤَيَّ بـنَ غـالـبِ[٧]

رسـولَ امـرئٍ قـد راعَـه ذاتُ بينكـم ... علـى النَّـأْي محـزونٍ بـذلـك نـاصِـبِ

---

(١) في ط : فأقاما . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٢) في ط : يدعوان . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٣) في ط : بائية ، والمثبت من ح .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٢) والروض (٢/ ١٧) .

(٥) في السيرة والروض : ذكره .

(٦) زادت نسخة ط هنا ما نصه : قال السهيلي : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار ، قال : وهو الذي أنزل فيه وفي عمر ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ الآية . قال ابن إسحاق : قلت : إن إثبات هذه الزيادة خَلْطٌ شنيع وغفلةٌ فاضحة ، لأن أبا قيس بن الأسلت تقدم اسمه ونسبه قبل أسطر ، أما أبو قيس صرمة بن أبي أنس فشاعر آخر ذكره ابن هشام في السيرة (١/ ٥١٠) وساق السهيلي نسبه المذكور في هذه الزيادة في الروض (٢/ ٢٨٧) . ومن فضل الله تعالى أن هذه الزيادة ليست في ح ولعلها من تعليق أحد القراء أو النساخ والله أعلم .

(٧) « المغلغلة من الرسائل » : المحمولة من بلد إلى بلد . القاموس (غلل) وفي الروض (٢/ ٢٩) : الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها .

وقـد كـان عنـدي للهمـوم مُعَرَّسٌ ... ولـم أقـضِ منها حـاجتي ومـآربـي[١]

نُبيتُكـم شَـرْجَيْـنِ ، كـلَّ قبيلـة ... لهـا أزْمَـلٌ مـن بيـنِ مُـذْكٍ وحـاطِـب[٢]

أعيـذُكُـم بـالله مـن شـرِّ صُنْعِكـم ... وشـرِّ تَبـاغيكـم ودسِّ العقـارب

وإظهـارِ أخـلاقٍ ونجـوى سقيمـةٍ ... كـوَخـزِ الأشَـافـي وقْعُها حقٌّ صـائـب[٣]

فـذكِّـرهُـمُ بـالله أوَّلَ وَهْلَـةٍ ... وإحـلالِ إحـرام الظِّبـاء الشـوازِب[٤]

وقـلْ لهـمُ واللهُ يُحكـم حُكْمَـهُ ... ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكمُ في المَرَاحِب[٥]

متـى تبعثـوهـا تبعثـوهـا ذَميمـةً ... هـي الغُـولُ لـلأقْصَيْـنَ أو لـلأقـارب[٦]

تُقَطِّـعُ أرحـامـاً وتُهلـكُ أمَّـةً ... وتَبْـرِي السَّـدِيـفَ مـن سنَـامٍ وغـارب[٧]

وتستبـدلـوا بـالأتْحَمِيَّـةِ بعـدَهـا ... شَليـلاً وأصْـداءً ثيـابَ المحـارب[٨]

وبـالمسـكِ والكـافـورِ غُبْـراً سَـوابغاً ... كـأنَّ قَتيـرَيْهـا عيـونُ الجنـادِب[٩]

فـإيـاكُـم والحـربَ لا تَعْلَقَنَّكـم ... وحَـوْضـاً وخيـمَ المـاء مُـرَّ المشـارب

تـزيَّـنُ لـلأقـوام ثـم يَـرَوْنهـا ... بعـاقبـةٍ إذْ بَيَّنَـتْ أمَّ صـاحـب[١٠]

---

(١) « المُعَرَّس » : المكان الذي ينزله المسافرون آخر الليل للاستراحة . القاموس (عرس) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ٣٠) : نبيتكم شرجين : أي فريقين مختلفين ، ونبئتكم لفظ مشكل وفي حاشية الشيخ : نبيتكم شرجين ، وهو بيِّنٌ في المعنى ، وفيه زحاف خرم ، ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التبيت في هذا البيت فبعيد من معناه . والأزمل : الصوت ، والمذكي : الذي يوقد النار ، والحاطب : الذي يحطب لها . ضرب هذا مثلاً لنار الحرب كما قال الآخر : [من الوافر]

أرى خلل الرماد وميضَ جمرٍ ... ويوشك أن يكون لها ضرامُ

فإن النار بالعودين تُذْكى ... وإن الحـرب أولهـا الكـلامُ

(٣) « الإشفَى » : المِثْقب يخرز به . جمعه أشافي القاموس (شفى) .

(٤) أي : إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التي تأتيه من بُعْد لتأمن فيه فهي شازبة ، أي ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم ، وإحرام الظباء : كونها في الحرم ، يقال من دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام : مُحْرِم . الروض (٢/ ٣٠) .

(٥) « المراحب » : جمع مَرْحَب وهو من الأمكنة الواسع الفسيح انظر اللسان (رحب) .

(٦) « الغول » : الهلاك . الروض (٢/ ٣٠) والشطر الأول من البيت صدر بيت في معلقة زهير : [من الطويل]

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضرَ إذا ضريتموها فتضرم

(٧) « السَّديف » : شحم السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق . وتبري : تُهْزِل . القاموس (سدف ، غرب ، برى) .

(٨) « الأتحمية » : ثياب رقاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة . والأصداء : جمع صدأ الحديد . الروض (٢/ ٣٠) .

(٩) « القتير » : حلق الدرع ، شبهها بعيون الجراد . الروض (٢/ ٣٠) .

(١٠) قال السهيلي في الروض (٢/ ٣٠) : هو كقول عمرو بن معديكرب : [من الكامل]

=

تحـرَّقُ لا تُشْـوِي ضعيفـاً وتنتحـي ... ذوي العِزِّ منكم بالحُتوف الصوائبِ[١]
ألم تعلموا ما كان في حَرْبِ داحِسٍ ... فتعتبروا أو كانَ في حَرْب حاطِبِ
وكم ذا أصابتْ من شريفٍ مُسَوَّدٍ ... طـويـل العِمـاد ضيفُـه غيـرُ خـائـب
عظيـمِ رمـادِ النـارِ يُحمَـد أمـرُه ... وذي شيمةٍ مَحْضٍ كريمِ المَضَاربِ[٢]
ومـاءٍ هُـريـقَ فـي الضَّـلال كـأنمـا ... أذاعَتْ به ريحُ الصَّبَا والجَنَائبِ[٣]
يخبِّـركـم عنهـا امـرؤٌ حـقّ عـالـمٍ ... بـأيـامهـا والعلـمُ علـمُ التجـارب
فبيعوا الحِرَاب مِلْمُحاربِ واذكروا ... حِسَـابكـم واللهُ خيـرُ محـاسـب
وليُّ امرئٍ فاختارَ ديناً فلا يَكُنْ ... عليكـم رقيبـاً غيـرَ ربِّ الثـواقـبِ[٤]
أقيمـوا لنـا دينـاً حَنيفـاً فـأنتمـو ... لنـا غـايـةٌ ، قـد يُهتـدَى بـالـذوائـب
وأنتـم لهـذا النـاسِ نُـورٌ وعِصْمـةٌ ... تـؤمُّـون والأحـلامُ غيـرُ عـوازب
وأنتم إذا ما حُصِّلَ الناسُ جوهرٌ ... لكـم سُـرَّةُ البطحـاء شُـمُّ الأرانـبِ
تصـونـون أجسـامـاً كِـرامـاً عتيقـةً ... مهـذَّبـة الأنسـابِ غيـرَ أشـائـب
يرى طالبُ الحاجات نحو بيوتكم ... عصـائـبَ هَلْكَـى تهتـدي بعصـائـب
لقـد علـمَ الأقـوامُ أنَّ سَـرَاتكـم ... على كل حالٍ خيرُ أهلِ الجباجبِ[٥]
وأفضلُـــه رأيـــاً وأعـــلاه سُنّـــةً ... وأقـولُـه للحـقِّ وسْـط المـواكـب

الحـرب أول مـا تكـون فتيـة ... تسعـى بـزينتهـا لكـلِّ جهـولِ
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ... ولـت عجوزاً غيـر ذات خليل
شمطـاء جـزت رأسهـا فتنكـرت ... مكـروهـة للشـم والتقبيـل

فقوله أم صاحب : أي عجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجلٌ في سنه .

(١) « لا تُشوي » : لا تخطىء في قتلها . وتنتحي : تقصد . القاموس (شوي ، نحي) .

(٢) « كريم المضارب » : وفي حاشية الشيخ : لعله الضرائب . يريد جميع ضريبة (الطبيعة) ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم . الروض (٢/ ٣١) .

(٣) ويروى في الصلال جمع صَلَّة ، وهي الأرض التي لا تمسك الماء . أي رب ماءٍ هريق في الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يهريق ماء من أجل السراب إلا ضال غير مميز بمواضع الماء . وأذاعت به : أي بدَّدته فلم ينتفع به . وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور . ويروى : وما أهريق في أمر . ومعناه والذي أهريق في أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة . الروض (٢/ ٣١) .

(٤) أي هو وليُّ امرىءٍ اختار ديناً ، والفاء زائدة . الروض (٢/ ٣١) .

(٥) « الجباجب » : منازل منى ، وقيل هي حفر بمنى يجمع فيها دم البُدْن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها . الروض (٢/ ٣١) .

فقـومـوا فصلُّـوا ربَّكـم وتمسَّحـوا بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشب[١]

فعنـدكـمُ منـهُ بـلاءٌ ومِصْـدَقٌ غداةَ أبي يَكسومَ هادي الكتائب[٢]

كتيبتُـه بـالسَّهْـل تُمسـي ورَجْلـه على القاذفاتِ في رؤوسِ المناقب[٣]

فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردَّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب[٤]

فـولَّـوا سِراعـاً هـاربيـن ولـم يَـؤُبْ إلـى أهلـه مِلحُبْشِ غيـرُ عصـائـب

فإنْ تهلِكوا نهلِكْ وتَهلِكْ مواسمٌ يُعاشُ بها ، قولُ امرىءٍ غيرِ كاذب[٥]

وحَرْب داحس الذي[٦] ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيدة معمرُ بن المثنَّى وغيره : أنَّ فرساً يقال له داحس ، كانت لقيس بن زهير بن جَذِيمة بن رواحـة الغَطَفاني ، أجراه مع فرسٍ لحُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جَوَيَّة[٧] الغَطَفاني أيضاً ، يقال لها الغَبْراء ، فجاءتْ داحِسُ سابقاً ، فأمر حُذيفةُ من ضرب وجهها ، فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حَمَلُ بنُ بَدْر فلطم مالكاً ، ثم إنَّ أبا جُنيدب العَبْسي لقي عوفَ بن حُذيفة فقتله ، ثم لقي رجلٌ من بني فزارة مالكاً فقتله ، فشبَّتِ الحرب بين بني عبس وفزَارة ، فقُتل حذيفةُ بن بدر وأخوه حَمَلُ بن بدر وجماعاتٌ آخرون ، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطُها وذكرها .

قال ابن هشام[٨] : ويُقال : أَرسل قيسٌ داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفةُ الخطَّار والحَنْفاء ، والأول أصحّ . قال : وأما حَرْبُ حاطب فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . كان قَتَل يهودياً جاراً للخَزْرَج ، فخرج إليه يزيد[٩] بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن [مالك بن كعب][١٠]

---

(١) « الأخاشب » : جمع أخشب ، وهو الجبل الخشن العظيم . والأخشبان : جبلا مكة أبو قبيس والأحمر . القاموس : (خشب) .

(٢) « أبو يكسوم » : صاحب الفيل المذكور في التنزيل . القاموس (كسم) .

(٣) كذا في ح ، ط : القاذفات . ولعل الصواب : القُذُفات . وهي ما أشرف من رؤوس الجبال واحدتها قُذْفة كغُرْفَة . والمناقب : الجبل فيه ثنايا . اللسان (قذف ، نقب) .

(٤) « السافي » : الذي يرمي بالتراب ، والحاصب الذي يقذف بالحصباء . الروض (٢/ ٣١) .

(٥) في هامش ح عند نهاية القصيدة ما نصه : بلغ مقابلة على الأصل المعتمد الموقوف بشيخو .

(٦) كذا في ح ، ط والحرب مؤنثة وقد تذكَّر .

(٧) في ط : جؤية ، وفي سيرة ابن هشام : جؤيَّة . والمثبت من الإكمال (٢/ ١٧٠) من غير همز .

(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٧) والروض (٢/ ٢٠) .

(٩) في ط : زيد . والمثبت من السيرة وشرح القاموس مادة فسحم .

(١٠) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام ولا الروض ولا جمهرة الأنساب لابن حزم (ص٣١٢ ، ٣١٣) في ترجمته ، ولعله زيدَ وهماً .

ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن فُسْحُم[(١)] في نفرٍ من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعتِ الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ سُويد بن الصامت الأوسي ، قتله المُجَذَّر بن ذياد ، حليفُ بني عوف بن الخزرج ؛ ثم كانت بنيهم حروب يطول ذِكْرُها أيضاً .

والمقصود أن أبا قيس بن الأسْلَت مع علْمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بشرٌ كثير ولم يبق دارٌ ـ أي محلة ـ من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غيرَ دارِ بني واقف قبيلةِ أبي قيس ، ثبَّطهم عن الإسلام ، وهو القائل أيضاً : [من الوافر]

أربَّ النـاسِ أشيـاءٌ ألمَّـتْ ... يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بـالـذَّلُـولِ

أربَّ النـاس أمَّـا إذْ ضَلَلْنـا ... فَيَسِّـرْنـا لمعـروفِ السبيـلِ[(٢)]

فلـولا ربُّنـا كنَّـا يهـوداً ... وما دينُ اليهودِ بذي شُكولِ[(٣)]

ولـولا ربُّنـا كنَّـا نصـارَى ... مع الرُّهبانِ في جَبَلِ الجَلِيلِ[(٤)]

ولكنَّـا خُلقنـا إذْ خُلقنـا ... حنيفـاً دينُنـا عـن كـلِّ جيـلِ

نسوقُ الهَدْيَ ترسفُ مُذْعِناتٍ ... مكشَّفةَ المناكبِ في الجلُولِ[(٥)]

وحاصلُ ما يقول أنه حائرٌ فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثةِ رسول الله ﷺ فتوقَّف الواقفيُّ في ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذي ثبَّطَه عن الإسلام أولاً عبدُ الله بن أُبيٍّ بن سَلُول ، بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر به يهود ، فمنعه عن الإسلام .

قال ابنُ إسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج .

وأنكر الزُّبير بن بكّار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدي[(٦)] ، قال :

---

(١) في ط : قسحم . بالقاف تصحيف ، والمثبت من القاموس وشرحه : وفسحم أُمُّه ، ومعناه : الواسع الصدر .

(٢) في ح ، ط : إمَّا أن ضللنا . والمثبت من السيرة والروض .

(٣) أراد جمع شَكْل، وشَكْل الشيء ـ بالفتح ـ هو مثله، والشِّكل بالكسر: الدَّلُّ والحُسْن، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أي : ليس له نظير في الحقائق ؛ ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول . الروض (٢/ ٢٠٠) .

(٤) الجليل بالجيم الثُّمام ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف . الروض (٢/ ٢٠٠) .

(٥) « ترسف » : تمشي مشي المقيَّد . الجلول : مفردها جل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . القاموس (رسف ، جلل) . والأبيات في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨) والروض (٢/ ١٨٧) وما عدا الأول برواية مختلفة في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٨٥) .

(٦) رواية الواقدي بأطول مما هنا في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥) .

كان عزَمَ على الإسلام أولَ ما دعاه رسولُ الله ﷺ ، فلامَهُ عبدُ الله بن أُبَيّ ، فحلف لا يسلم إلى حَوْل فمات في ذي القعدة .

وقد ذكر غيرُه فيما حكاه ابنُ الأثير في كتابه : « أُسْد الغابة »[١] أنه لما حضرَهُ الموتُ دعاهُ النبيُّ ﷺ إلى الإسلام فسُمع[٢] يقول : لا إله إلا الله .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا حسن بن موسى ، حدَّثنا حماد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار ، فقال : « يا خال ، قُلْ لا إله إلا الله » فقال : أخالٌ أمْ عَمّ ؟ قال : « لا ، بلْ خال » قال : فخير لي أنْ أقولَ لا إله إلا الله ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم » .

تفرَّد به أحمد رحمه الله تعالى .

وذكر عكرمةُ وغيرُه أنه لما تُوفِّي أراد ابنُه أن يتزوَّج امرأتَهُ كُبَيشة بنت مَعْن بن عاصم ، فسألَتْ رسولَ الله ﷺ في ذلك ، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الآية[٤] .

وقال ابن إسحاق[٥] وسعيدُ بن يحيى الأموي في « مغازيه » : كان أبو قيس هذا قد ترهَّب في الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهَّر من الحائض من النساء ، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً ، لا يدخل عليه فيه حائضٌ ولا جُنُب . وقال : أعْبُد إلَه إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسولُ الله ﷺ المدينة فأسلم ، فحسُن إسلامه ، وهو شيخٌ كبير ، وكان قوَّالاً بالحق ، معظِّماً لله في جاهليَّته ، يقولُ في ذلك أشعاراً حِساناً وهو الذي يقول : [من الطويل]

يقول أبو قيسٍ وأصبحَ غادياً ... ألا ما استطعتُم من وَصَاتيَ فافعلوا

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٢٧٨) .

(٢) في ح : فسمعه ، والمثبت من ط وأسد الغابة .

(٣) في مسنده (٣/ ١٥٤) رقم (١٢٥٠١) وهو حديث صحيح .

(٤) سورة النساء الآية (٢٢) . قلت : رواية عكرمة في تفسير الطبري (٤/ ٣١٨) تقول : إن الآية نزلت في أبي قيس نفسه خلف على أم عبيد بنت ضمرة ، كانت تحت الأسلت أبيه . أما رواية غيره التي تعزوها لابنه قيس فقد أخرجها البيهقي في سننه (٧/ ١٦١) عن عدي بن ثابت الأنصاري . وأخرجها أيضاً الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦٨) وذكر رواية عكرمة أيضاً ابن حجر في الإصابة ترجمة كبشة هذه إذ يقال لها كبشة وكبيشة وقال : أخرجه أبو موسى المستغفري .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٠) قلت : ابن إسحاق يسوق هذا الخبر بعد هجرة النبي ﷺ ويعزو الشعر إلى أبي قيس صِرْمة بن أبي أنس لا إلى أبي قيس بن الأسلت ، ولا أدري سبب هذا الخلط بين الشاعرين والذي نبهت عليه سابقاً ، وإني لأستبعد أن يكون وضع هذه الفقرة هنا من صنع ابن كثير بدلالة ذكره اسم صرمة في الصفحة الآتية بعد هذه ، فحق هذه الأشعار إذاً أن يكون محلُّها فيما سيأتي بعد الهجرة كما ساقها ابن هشام في السيرة (١/ ٥١٠ ـ ٥١٢) . وربما كانت قد سقطت من هناك فأعيد وضعها إلى هنا على يد أحد النساخ والله أعلم .

فـأُوصيكـمُ بـالله والبـرِّ والتُّقَـى وأعـراضِكـم ، والبـرُّ بـالله أولُ
وإنْ قومُكم سادوا فلا تَحْسُدُنَّهُمْ وإنْ كنتمُ أهلَ الرِّياسةِ فاعدِلوا
وإنْ نزلتْ إحدى الدواهي بقومكم فـأنفسَكـم دونَ العشيـرة فـاجعلـوا
وإن نـابَ غُـرْمٌ فـادحٌ فـارْفقُـوهـمُ وما حَمَّلوكم في المُلِمَّاتِ فاحملوا
وإن أنتـمُ مَعَّـرْتُـمْ[١] فتعفَّفـوا وإنْ كان فضلُ الخيرِ فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضاً : [من الخفيف]

سبِّحـوا اللهَ شـرقَ كـلِّ صبـاحٍ طلعـتْ شمسُـه وكـلِّ هـلالِ
عـالـمُ السـرِّ والبيـانِ جميعـاً ليـس مـا قـال ربُّنـا بضـلالِ
ولـه الطيـرُ تستـريـد وتـأوي فـي وكـورٍ مـن آمناتِ الجبالِ[٢]
ولـه الـوحـشُ بـالفَـلاةِ تـراهـا في حِقافٍ وفي ظِلالِ الرمالِ[٣]
ولـه هـوَّدَتْ يهـودُ ودانَـتْ كـلَّ ديـنٍ مخـافـةً مـن عُضـالِ
ولـه شمَّـس النصـارى وقـامُـوا كـلَّ عيـدٍ لـربِّهـم واحتفـالِ[٤]
ولـه الـراهـبُ الحبيـسُ تـراه رَهْـنَ بـؤسٍ وكـان نـاعـمَ بـالِ[٥]
يـا بنـيَّ الأرحـامَ لا تقطَعـوهـا وصِلُـوهـا قصيـرةً مـن طِـوالِ[٦]
واتَّقـوا اللهَ فـي ضِعـاف اليتـامـى وبمـا[٧] يُستحَـلُّ غيـرُ الحـلال
واعلمـوا أنَّ لليتيـم وليّـاً عـالمـاً يَهتـدي بغيـر سـؤال
ثـم مـالَ اليتيـم لا تـأكلُـوه إنَّ مـالَ اليتيـم يـرعـاه والـي

---

(١) في ط : أمعزتم ، وفي السيرة : أمعرتم . براء مهملة ومعناه : افتقرتم ، والمثبت من ح وهو بمعناه .
(٢) « تستريد » : تطلب مواضع الكلأ . القاموس (كلأ) .
(٣) « الحقاف » : جمع حِقْف ، وهو ما اعوجَّ من الرمل . القاموس (حقف) .
(٤) « شمَّس النصارى » : يعني دين الشماسة ، وهم الرهبان لأنهم يشمِّسون أنفسهم ، يريدون تعذيب النفوس بذلك في زعمهم . الروض (٢/ ٢٨٨) .
(٥) في ط : أنعم . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .
(٦) قصيرة من طوال : فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد صِلوا قصرها من طولكم ، أي : كونوا أنتم طوالاً بالصلة والبر إن قصرت هي . وفي الحديث : « أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » . أراد الطول بالصدقة والبر ، فكانت صفة زينب بنت جحش . والتأويل الآخر أن يريد مدحاً لقوله بأن أرحامهم قصيرة النسب ، ولكنها من قوم طوال كما قال :

أحب من النسوان كل طويلة لها نسب في الصالحين قصير

الروض الأنف (٢/ ٢٨٨)
(٧) في السيرة : ربما . وهو أشبه .

يــا بَنــيَّ التُّخُــومَ لا تَجْـزِلـوهــا ... إنَّ جَــزْلَ التُّخــوم ذو عُقَّــال[١]
يــا بنــيَّ الأيــامَ لا تــأمنــوهــا ... واحــذَروا مَكـرهــا ومَـرَّ الليــالـي
واعلمــوا أنَّ مُــرَّهــا لِنفــادِ الْـ ... خلْـقِ مـا كـان فـي جـديـدٍ وبـال
واجمعـوا أمـرَكـم علـى البـرِّ والتَّقْـ ... ـوى وتَـرْكِ الخَنـا وأخـذِ الحـلال

قال ابن إسحاق[٢] : وقال أبو قيس صرمة[٣] أيضاً يذكرُ ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصَّهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم . [من الطويل]

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حجَّةً ... يُـذكِّـر لـو يَلقـى صَـديقـاً مُـواتيـا

وسيأتي ذِكرها بتمامها فيما بعد إنْ شاء الله وبه الثقة .

قصة بيعة العقبة الثانية[٤]

قال ابن إسحاق[٥] : ثم إنَّ مصعب بن عُمير رجع إلى مكة ، وخرج مَنْ خرج من الأنصار من المسلمين مع حُجَّاج قومهم من أهل الشِّرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم [ما أراد] من كرامته ، والنَّصر لنبيِّه ، وإعزاز الإسلام وأهله [وإذلال الشِّرك وأهله] .

فحدَّثني معبد بن كعب بن مالك أنَّ أخاه عبد الله بن كعب ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حدَّثه أنَّ أباه كعباً حدَّثه ـ وكان ممن شهد العقبة وبايع رسولَ الله ﷺ بها ـ قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين ، وقد صلَّينا وفقهنا ومعنا البراءُ بن معرور سيِّدُنا وكبيرُنا ، فلما وجَّهنا لسفرنا ، وخرجْنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء ، إني قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ أن لا أدعَ هذه البنيَّة مني بظَهْر ـ يعني الكعبة ـ وأنْ أصلِّي إليها . قال : فقلنا والله ما بلغنا أن نبيَّنا ﷺ يصلِّي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . فقال : إنِّي لمصلٍّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرتِ الصلاةُ صلَّينا إلى الشام وصلَّى هو إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال وقد كنَّا عبنا

---

(١) « التخوم » : حدود البلاد والقرى ، والعقال : ما يمنع الرَّجُلَ من المشي ويعقلها . يريد أن الظُّلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق ، ويحبسه في مضايق الاحتقاق . الروض (٢/ ٢٨٨) وفي السيرة والروض : لا تخزلوها . . . خزل . بالخاء المعجمة ، ومعناه : لا تقطعوها ، وكلا الروايتين بمعنى .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٢) والروض (٢/ ٢٥٥) .

(٣) سقطت هذه اللفظة من ح وهي في ط وسيرة ابن هشام . ولعل سقوطها من ح عن عمد لتوافق سياق الأبيات لأبي قيس بن الأسلت . كما تقدم في الصفحة السابقة .

(٤) سقطت هذه اللفظة من ح .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨) والروض (٢/ ١٨٧) وما يأتي بين معقوفين منهما .

عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك ، فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلقْ بنا إلى رسولِ الله ﷺ حتى أسأله عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيتُ من خلافِكم إيَّايَ فيه . قال : فخرجنا نسألُ عن رسولِ الله ﷺ ـ وكنَّا لا نعرفُه ولم نره قبل ذلك ـ فلَقِينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسولِ الله ﷺ قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تعرفانِ العباسَ بن عبد المطلب عمَّه ؟ قال : قلنا نعم ـ وقد كنَّا نعرفُ العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ـ قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . قال : فدخلنا المسجد وإذا العباسُ جالسٌ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ معه ، فسلَّمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسولُ الله ﷺ للعباس : « هل تعرفُ هذيْن الرجلَيْن يا أبا الفضل ؟ » قال : نعم هذا البراءُ بن مَعْرُور سيدُ قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله ﷺ : « الشاعر » ؟ قال : نعم . فقال له البراءُ بن معرور : يا نبيَّ الله ، إني خرجتُ في سفري هذا ، قد هداني الله تعالى للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعلَ هذه البنيَّة مني بظَهْر ، فصلَّيتُ إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : « قد كنتَ على قبلةٍ لو صبرتَ عليها » قال : فرجع البراءُ إلى قبلةِ رسولِ الله ﷺ فصلَّى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها[1] ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام أبو جابر ، سيدٌ من سادتنا ، أخذناه وكنَّا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلَّمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيدٌ من ساداتنا ، وشريفٌ من أشرافنا ، وإنا نرغبُ بك عما أنت فيه أن تكون حَطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسولِ الله ﷺ إيَّانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

وقد روى البخاري[2] : حدَّثني إبراهيم ، حدَّثنا هشام ، أنَّ ابن جُرَيج أخبرهم ، قال عطاء : قال جابر : أنا وأبي وخالي[3] من أصحاب العقبة .

قال عبد الله بن محمد : قال ابنُ عيينة : أحدُهم البراءُ بن مَعْرُور .

---

(١) في ط : فيها ، والمثبت من ح والسيرة .

(٢) في صحيحه ، فتح الباري (٣٨٩١) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة .

(٣) رواية البخاري : خالاي . وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٢٢) : ووقع عند ابن التين : وخالي . بغير ألف وتشديد التحتانية وقال : لعل الواو واو المعية أي مع خالي ، ويحتمل أن يكون بالإفراد بكسر اللام وتخفيف الياء . وقال الدمياطي : أم جابر هي أنيسة بنت غنمة بن عدي ، وأخواها ثعلبة وعمرو وهما خالا جابر ، وقد شهدا العقبة الأخيرة ؛ وأما البراء فليس من أخوال جابر ، قلت (القائل ابن حجر) : لكن من أقارب أمه وأقارب الأم يسمون أخوالاً مجازاً .

وحدثنا علي بن المَدِيني[١] ، حدثنا سفيان قال : كان عمرٌو يقول : سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول : شهِدَ بي خالايَ العقبة .

وقال الإمامُ أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، قال : مكث رسول الله ﷺ بمكةَ عشر سنين يتبعُ الناسَ في منازلهم ، بعُكاظ ومَجَنَّة ، وفي المواسم يقول : « مَنْ يُؤويني ؟ مَنْ يَنْصُرُني ؟ حتى أبلِّغَ رسالةَ ربِّي وله الجنَّة » [فلا يجدُ أحداً يؤويه ولا ينصره][٣] ، حتى إنَّ الرجلَ ليخرجُ من اليمن أو من مضر[٤] ـ كذا قال فيه ـ فيأتيه قومه [وذوو رحمه] فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي[٥] بين رحالهم[٦] ، وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثَنا الله إليه من يثرب ، فآويناه وصدَّقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ، ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رهطٌ من المسلمين يُظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً ، فقلنا : حتى متى نتركُ رسولَ الله ﷺ يُطردُ في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منَّا سبعونَ رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعبَ العقبة ، فاجتمعنا عندها[٧] ، من رجل ورجلَيْن حتى توافَيْنا فقلنا : يا رسولَ الله ، علامَ نبايُعك ؟ قال : « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العُسْر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنْ تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسَكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » . فقمنا إليه [فبايعناه] ، وأخذ بيده أسعدُ بن زُرارة ـ وهو من أصغرهم ـ وفي رواية البيهقي : وهو أصغر السبعينَ إلا أنا[٨] . فقال : رويداً يا أهلَ يثرب ، فإنَّا لم نضربْ إليه أكبادَ الإبل إلا ونحنُ نعلم أنه رسولُ الله ﷺ ، وأنَّ إخراجَهُ اليوم مفارقةُ العرب[٩] كافَّة ، وقتلُ خياركم و[أن] تعضَّكم السيوف ، فإما أنتم قومٌ تصبرونَ على ذلك فخذوه وأجرُكم على الله ، وإمَّا أنتم قوم تخافونَ من أنفسكم خيفة فذروه[١٠] . فبيِّنوا ذلك ، فهو أعذَرُ لكم عند الله . قالوا : أمطْ عنَّا[١١] يا أسعد

---

(١) وهي الرواية الثانية للحديث عند البخاري فتح (٣٨٩٠) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة .

(٢) في مسنده (٣/ ٣٢٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح ولا في مسند أحمد في هذه الرواية ، وهو من الرواية الثانية عند أحمد والبيهقي الآتي ذكرها .

(٤) في ح : مصر . بصاد مهملة .

(٥) في ط : ويمضى . والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : رجالهم بجيم .

(٧) في مسند أحمد : عليه .

(٨) ما بين معترضين من رواية البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٤٣) . وقوله : إلا أنا . يعني جابرٌ وهو راوي الخبر .

(٩) في ط : مناوأة للعرب . والمثبت من ح ومسند أحمد .

(١٠) كذا في ط ، وفي مسند أحمد : جبينة ، وسقطت الكلمتان من ح .

(١١) في ط : أبط تصحيف ، والمثبت من ح والمسند ، وفي النهاية لابن الأثير : أمط عنا : أي ابْعُدْ .

فوالله لا ندَعُ هذه البيعة أبداً ، ولا نُسلَبُها[(١)] أبداً . قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنَّة .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً ـ والبيهقي[(٢)] من طريق داود بن عبد الرحمن العطَّار ، زاد البيهقي عن الحاكم ـ بسنده إلى يحيى بن سليم ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن أبي الزُّبير[(٣)] ، به نحوه . وهذا إسناد على شرط مسلم[(٤)] ولم يخرِّجوه .

[وقال البزار[(٥)] : وروى غيرُ واحدٍ عن ابنِ خُثَيم ولا نعلمه يُروى عن جابر إلا من هذا الوجه][(٦)] .

وقال الإمام أحمد[(٧)] : حدَّثنا سليمان بن داود ، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن موسى بن عُقْبة[(٨)] ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، قال : كان العباسُ آخذاً بيد رسولِ الله ﷺ ورسولُ الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسولُ الله ﷺ : « أخذتُ وأعطَيْت » .

وقال البزَّار[(٩)] : حدَّثنا محمد بن معمر ، حدَّثنا قَبِيصة ، حدَّثنا سفيان ـ هو الثوري ـ عن جابر ـ يعني الجُعْفي ـ وداودُ[(١٠)] ـ وهو ابنُ أبي هند ـ عن الشعبي ، عن جابر ـ يعني ابنَ عبد الله ـ قال : قال رسولُ الله ﷺ للنقباء من الأنصار : « تُؤْوونني وتمنعونني ؟ » قالوا : نعم ، فما لنا ؟ قال : « الجنَّة » .

ثم قال[(١١)] : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد عن جابر .

ثم قال ابنُ إسحاق[(١٢)] ، عن معبد ، عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلثُ الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسولِ الله ﷺ نتسلَّلُ تسلُّلَ القَطَا مُسْتَخفين ، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتانِ من نسائنا :

---

(١) في ح : ولا نستقيلها ، وهي رواية البيهقي وفيه : نستقبلها . بالموحّدة تصحيف .

(٢) مسند أحمد (٣/ ٣٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٤٢) .

(٣) في ط : عن أبي إدريس . تحريف ، والمثبت من ح ومسند أحمد ودلائل البيهقي .

(٤) في ط : « إسناد جيد على شرط مسلم » ، وما أثبتناه من ح ، وهو الأصوب .

(٥) قول البزار هذا في كشف الأستار للهيثمي (٢/ ٣٠٨) وأخرجه أيضاً فيه (١٧٥٦) الهجرة والمغازي باب البيعة على الحرب .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح ، ولعلها ملاحظة كتبت على الهامش فدخلت النص .

(٧) في المسند (٣/ ٣٩٦) ، وإسناده حسن .

(٨) في ط : موسى بن عبد الله . تحريف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمة موسى بن عقبة في تهذيب الكمال (٢٩/ ١١٥) .

(٩) في كشف الأستار (١٧٥٥) الهجرة والمغازي باب البيعة على الحرب .

(١٠) في ط : عن داود . تحريف ، والمثبت من ح وكشف الأستار .

(١١) يعني البزار .

(١٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤١) .

نُسَيبة بنتُ كعب أمُّ عمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النجّار ، وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي ، إحدى نساء بني سَلِمة ، وهي أمُّ مَنيع .

وقد صرَّح ابنُ إسحاق في روايةِ يونس بن بُكير عنه بأسمائهم وأنسابهم ، وما ورد في بعض الأحاديث أنهما كانوا سبعين ، فالعرب كثيراً ما تحذف الكسر .

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة[1] : كانوا سبعين رجلاً ، وامرأة واحدة . قال : منهم أربعون من ذوي أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم . قال : وأصغرهم أبو مسعود ، وجابر بن عبد الله .

[وقول محمد بن إسحاق : إنهم خمسة وسبعون أثبت][2] .

قال كعب بن مالك[3] : فاجتمعنا في الشِّعب ننتظرُ رسولَ الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دينِ قومه ، إلا أنه أحبَّ أن يحضُرَ أمرَ ابنِ أخيه ويتوثَّق له ، فلما جلس كان أوَّل متكلِّم العباسُ بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج ـ قال : وكانتِ العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار الخزرجَ خزرجَها وأَوْسَها ـ : إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ، ومنَعة في بلده ، وإنه قد أبَى إلا الانحيازَ إليكم واللحوقَ بكم ، فإنْ كنتم ترَوْن أنكم وافُونَ له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ؛ وإن كنتم ترَوْن أنكم مُسْلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدَعُوه ، فإنه في عزٍّ ومنَعَةٍ من قومه وبلده . قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلَّم يا رسول الله ، فخذْ لنفسك ولربِّك ما أحببت .

قال : فتكلَّم رسولُ الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغَّب في الإسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعونَ منه نساءكم وأبناءكم » قال : فأخذ البراءُ بن معرور بيده ثم قال : نعم . فوالذي بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنعُ منه أُزُرَنا[4] : فبايعنا يا رسولَ الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحَلْقة[5] ، ورثناها كابراً عن كابر . قال : فاعترض القولَ والبراءُ يكلِّم رسولَ الله ﷺ أبو الهيثم بن التَّيِّهان فقال : يا رسول الله ، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً وإنَّا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيتَ إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ثم قال : « بل الدَّمَ الدَّم ، والهَدْمَ

---

(١) روايتهما في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٥٤) .
(٢) سقط ما بين المعقوفين من ط .
(٣) رجع الحديث إلى رواية ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤١) .
(٤) « أزرنا » : أي نساءنا وأهلنا ، كنَّى عنهنّ بالأزر . وقيل أراد أنفسنا ، وقد يكنَّى عن النفس بالإزار ، ومنه حديث عمر : كتب إليه من بعض البعوث أبيات في صحيفة منها :

ألا أبلـغ أبـا حفـص رسـولاً فدىً لك من أخي ثقة إزاري

أي أهلي ونفسي . النهاية لابن الأثير (١/ ٤٥) .
(٥) « الحلقة » : أي السلاح . النهاية لابن الأثير (١/ ٤٢٧) .

الهَدْمُ[١] ، أنا منكم وأنتم مني ، أحاربُ مَن حاربتم وأسالمُ مَنْ سالمتم » .

قال كعب : وقد قال رسولُ الله ﷺ : « أخرجوا إليَّ منكم اثني عَشَر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم » . فأخرجوا منهم اثني عشر نَقِيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن إسحاق[٢] : وهم أبو أمامة أسعد بن زُرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس [بن عمرو بن امرىء القيس][٣] بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العَجْلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خَنْساء بن سنان بن عُبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن [أبي] حَزيمة[٤] بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

فهؤلاء تسعةٌ من الخزرج ، ومن الأوس ثلاثة وهم : أُسَيد بن حُضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خَيْثَمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر[٥] بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

---

(١) « الهَدْم » : يُروى بسكون الدال وفتحها ، فالهدَم بالتحريك : القَبْر ، يعني أني أُقبر حيث تقبرون ، أو هو كحديث الآخر : « المحيا محياكم والممات مماتكم » أي لا أفارقكم . والهدْم بالسكون والفتح أيضاً : هو إهدار دم القتيل ، يُقال : دماؤهم بنيهم هَدْم : أي مُهْدَرة . والمعنى : إن طُلب دَمُكم فقد طُلب دمي ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الأُلْفَة بيننا ، وهو قول معروف للعرب ، يقولون : دمي دمك وهدمي هدمك ، وذلك عند المعاهدة والنصرة . النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٥١) والروض (٢/ ٢٠٢) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٣) والروض (٢/ ١٨٩) .

(٣) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام والروض .

(٤) في ط : خزيمة تصحيف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام وشرح السيرة لأبي ذر ، والإكمال (٣/ ١٤١) وضبطه : أوله حاء مهملة مفتوحة بعدها زاي مكسورة وقال : أبو ثابت أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وأحد النقباء الاثني عشر .

(٥) في ط : زنير ، وفي السيرة والروض : زبير . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من ح والإكمال (٤/ ١٦٧) وضبطه فيه : زنبر بفتح الزاي وبعدها نون ساكنة وباء مفتوحة .

قال ابنُ هشام[١] : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان بدَلَ رفاعة هذا .

وهو كذلك في رواية يونس ، عن ابن إسحاق . واختاره السُّهيلي وابنُ الأثير في « أسد الغابة »[٢]

ثم استشهد ابنُ هشام[٣] على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة ـ ليلة العقبة الثانية ـ حين قال : [من الطويل]

أبلــغْ أبيّــاً أنَّـــهُ فــالَ رأيُــه ... وحان غداةَ الشِّعبِ والحَيْنُ واقعُ[٤]

أبَــى اللهُ مــا منَّتْــكَ نفسُــك إنــه ... بمـرصـادِ أمـرِ النـاس راءٍ وسـامـعُ

وأبلـغْ أبـا سفيـانَ أنْ قـد بـدا لَنـا ... بـأحمـد نـورٌ مـن هُـدى الله سـاطـعُ

فـلا تـرغَبَـنْ في حشـدِ أمـرٍ تُـريـده ... وألِّـبْ وجمِّـعْ كـلَّ مـا أنت جـامـعُ

ودونَـك فـاعلـمْ أنّ نقـضَ عهـودنـا ... أبـاه عليـكَ الـرهـطُ حيـنَ تتـابعـوا

أبـاهُ البـراءُ وابـنُ عمـرو كـلاهمـا ... وأسعــدُ يــأبــاه عليــكَ ورافــعُ

وسعــدُ أبــاه الســاعــديُّ ومنــذِرٌ ... لأنفِـك إنْ حـاولـتَ ذلـك جـادِعُ

ومـا ابـنُ ربيـعٍ إن تنـاولـتَ عهـدَه ... بمُسْلِمِــهِ لا يطمعَــنْ ثَــمَّ طـامـعُ

وأيضـاً فـلا يعطيكَـهُ ابـنُ رَواحـة ... وإخفـارُه مـن دونـه السـمُّ نـاقـع

وفـاءً بـه ، والقـوقليّ بـنُ صـامـتٍ ... بمنـدوحـةٍ عمَّـا تُحـاولُ يـافـعُ[٥]

أبــو هيثــم أيضــاً وفــيٌّ بمثلهــا ... وفـاءً بمـا أعطـى مـن العهـدِ خـانـع

ومـا ابـنُ حُضيـرٍ إنْ أردتَ بمَطْمَـعٍ ... فهل أنتَ عن أُحموقةِ الغي نازع

وسعدُ أخو عمرو بن عوف فإنه ... ضَروحٌ لما حاولتَ مِلأمرِ مانع[٦]

أولاكَ نجــومٌ لا يُغِبُّــك منهــمُ ... عليكَ بنحسٍ في دُجى الليل طالع

قال ابنُ هشام[٧] : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان ولم يذكُرْ رفاعة .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة ، والله أعلم .

وروى يعقوبُ بن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك ، قال : كان الأنصار ليلة

---

(١) في السيرة النبوية (١/ ٤٤٥) والروض (٢/ ١٩٠) .

(٢) أسد الغابة (٥/ ٢٨٠) .

(٣) في السيرة (١/ ٤٤٥) والروض : (١٩٠) .

(٤) فال رأيه : ضعف وأخطأ . والحَيْن : الهلاك والمِحنة . القاموس (فيل ، حين) .

(٥) « القوقلي » : نسبة إلى قوقل وهو أبو بطن من الأنصار سمِّي به لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له قَوْقِلْ في هذا الجبل وقد أمنت ، أي : ارتقِ . وهم القواقلة . القاموس (قوقل) .

(٦) « الضَّرُوح » : الدفوع المنوع . القاموس (ضرح) وفي ح : للأمر .

(٧) في السيرة (١/ ٤٤٥) والروض (٢/ ١٩١) .

العقبة سبعين[١] رجلاً ، وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وحدثني شيخٌ من الأنصار أن جبريل عليه السلام كان يُشير إلى رسول الله ﷺ إلى مَنْ يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أُسيد بن حُضير أحد النقباء تلك الليلة . رواه البيهقي[٢]

وقال ابنُ إسحاق[٣] : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيلٌ على قومي » . قالوا : نعم .

وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ القوم لما اجتمعوا لبيعةِ رسولِ الله ﷺ قال العباس بن عُبادة بن نَضْلَة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخَزْرج ، هل تدرون علامَ[٤] تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإنْ كنتم ترَوْن أنكم إذا نُهكتْ أموالُكم مُصِيبةً وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إنْ فعلتم خزْيُ الدنيا والآخرة ، وإنْ كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذُه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا ؟ قال : « الجنَّة » قالوا : ابْسُطْ يدَك . فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عبادة ذلك ليشدَّ العقد في أعناقهم .

وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخِّر البيعة تلك الليلة ، رجاءَ أن يحضُرَها عبد الله بن أُبَي بن سَلُول سيِّدُ الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أيّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق[٥] : فبنو النجَّار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زُرارة كان أوَّلَ مَنْ ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التَّيِّهان .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدَّثني معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسولِ الله ﷺ البَراءُ بن مَعْرور ، ثم بايع القوم .

وقال ابنُ الأثير في « أسد الغابة »[٧] : وبنو سلمة يزعمون أنَّ أول من بايعه ليلتئذٍ كعب بن مالك .

وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم[٨] من حديث الزُّهْري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ،

---

(١) في ط : سبعون . والمثبت من ح ودلائل البيهقي .
(٢) في الدلائل (٢/ ٤٥٣) .
(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٦) والروض (٢/ ١٩١) .
(٤) في ح : على ما .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٧) والروض (٢/ ١٩١) .
(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٧) والروض (٢/ ١٩١) .
(٧) انظر الكامل (٢/ ١٠٠) .
(٨) فتح الباري (٣٨٨٩) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة ، وصحيح مسلم (٥٣ _ ٢٧٦٩) التوبة =

عن أبيه ، عن كعب بن مالك ، في حديثه حين تخلَّف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أُحبُّ أنَّ لي بها مَشْهَدَ بدْر ، وإنْ كانتْ بَدْرٌ أذْكَرَ في الناسِ منها[١].

وقال البيهقي[٢] : أخبرنا أبو الحسين بن بُشران ، أخبرنا أبو عمرو بن السمَّاك ، حدَّثنا حنبل بن إسحاق ، حدَّثنا أبو نُعيم[٣] ، حدَّثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي قال : انطلق رسولُ الله ﷺ معه العباس عمُّه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلَّمْ متكلِّمُكم ولا يطل[٤] الخُطْبَة ، فإنَّ عليكم من المشركين عيناً ، وإنْ يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم ـ وهو أبو أمامة ـ : سلْ يا محمد لربِّكَ ما شئت ، ثم سلْ لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « أسألكم لربِّي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسَكم » قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « لكم الجنة » . قالوا : فلك ذلك .

ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد[٥] ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن أبي مسعود الأنصاري فذكره ، قال : وكان أبو مسعود أصغرَهم .

وقال أحمد[٦] : عن يحيى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : فما سمع الشِّيبُ والشُّبَّانُ خطبةً مثلها .

وقال البيهقي[٧] : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش ، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام ، أخبرنا محمد بن يحيى الذُّهْلي ، أخبرنا عمرو بن عثمان الرَّقِّي ، حدّثنا زهير ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن إسماعيل بن عُبيد[٨] بن رفاعة عن أبيه قال : قدمتْ روايا خَمْر ، فأتاها عبادةُ بن الصامت فخرقها وقال : إنَّا بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط

= باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

(١) في ط : وإن كانت بدراً كثير في الناس منها . تصحيف وتحريف ، والمثبت من ح وصحيحي البخاري ومسلم .

(٢) في الدلائل (٢/ ٤٥٠) .

(٣) زاد البيهقي : الفضل بن دُكين .

(٤) كذا في ح ، ط وفي الدلائل ومسند أحمد : ولا يطيل : وله وجه .

(٥) يعني عند البيهقي ، وهي من رواية عبد الله عن أبيه في المسند (٤/ ١٢٠) ، وهي رواية ضعيفة لضعف مجالد ، والأصح أنها مرسلة عن الشعبي ، كما تقدم ، وكما في المسند أيضاً (٤/ ١٢٠) . (بشار) .

(٦) المسند (٤/ ١٢٠) وهو مرسل صحيح .

(٧) في الدلائل (٢/ ٤٥١) .

(٨) في ط : إسماعيل بن عبيد الله . وكلاهما صحيح إذ يقال له عُبيد وعبيد الله ، والمثبت من ح والدلائل وترجمته في تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١٥١) .

والكسل، والنفقة في العُسْر واليُسْر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أنْ نقولَ في الله لا تأخذنا فيه لومةُ لائم، وعلى أن ننصرَ رسولَ الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب ممّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فهذه بيعةُ رسولِ الله ﷺ التي بايعناهُ عليها.

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويّ ولم يخرِّجوه.

وقد روى يونس[١] عن ابن إسحاق: حدَّثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جدِّه عبادة بن الصامت. قال: بايَعْنا رسولَ الله ﷺ بيعةَ الحَرْب على السمع والطاعة في عُسْرنا ويُسْرنا، ومَنْشَطِنا ومكرهِنا، وأثرة علينا، وأنْ لا ننازعَ الأمْرَ أهله، وأن نقول بالحق أينما كنّا لا نخافُ في الله لومةَ لائم.

قال ابن إسحاق[٢] في حديثه عن معبد بن كعب، عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك، قال: فلمَّا بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطانُ من رأس العَقَبة بأنفذ صوتٍ سمعتُه قطّ: يا أهلَ الجَبَاجِب، ـ والجباجب المنازل ـ هل لكم في مُذَمَّم والصُّبَّاء معه قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا أزَبُّ العَقَبة، هذا ابنُ أَزْيَب» ـ قال ابنُ هشام: ويقال ابن أُزَيْب ـ: «أتسمع أي عدوَّ الله؟ أما والله لأتفرَّغَنَّ لك» ثم قال رسولُ الله ﷺ: «ارْفَضُّوا إلى رحالِكم». قال فقال العباس بن عُبادة بن نَضْلَة: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق إنْ شئتَ لنميلَنَّ على أهلِ منىً غداً بأسيافنا. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «لم نُؤْمَرْ بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا.

فلما أصبحنا غدَتْ علينا جِلَّةُ قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حَرْبنا. وإنه والله ما مِنْ حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم. قال: فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيءٌ وما علمناه. قال: وصدقوا لم يعلموا. قال: وبعضنا ينظرُ إلى بعض. قال: ثم قام القومُ وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المَخْزُومي وعليه نعلانِ له جَديدان. قال: فقلت له كلمة ـ كأني أريدُ أن أشركَ القومَ بها فيما قالوا ـ: يا أبا جابر، أما تستطيعُ أنْ تتَّخذ وأنت سيدٌ من سادتنا مثل نعلَيْ هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليّ. قال: والله لتنتعلنَّهما، قال: يقول أبو جابر: مَهْ أحفظتَ والله الفتى، فاردُدْ إليه نعلَيْه. قال: قلت والله لا أردُّهما. فألٌ والله صالح، لئن صدق الفألُ لأسْلُبَنَّه.

قال ابن إسحاق[٣]: وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتَوْا عبدَ الله بن أُبَيّ بن سَلُول فقالوا مثل

---

(١) هذه الرواية أيضاً عن البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٥٢).
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٧) والروض (٢/ ١٩٢).
(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٨) والروض (٢/ ١٩٢).

ما ذكر كعب من القول فقال لهم : إنَّ هذا الأمر جَسيم ما كان قومي ليتفرقوا[١] على مثل هذا وما علمتُه كان . قال : فانصرفوا عنه . قال : ونفر الناسُ من مِنى فتنطَّسَ القومُ الخبر[٢] ، فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذَاخِر[٣] ، والمنذرَ بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخَزْرَج ، وكلاهما كان نقيباً . فأمَّا المنذر فأعجزَ القومَ ، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربَطُوا يديه إلى عُنقه بنِسْع رَحْله[٤] ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكَّة يضربونه ويجذبونه بجُمَّتِه ـ وكان ذا شعرٍ كثير ـ قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفرٌ من قريش فيهم رجلٌ وضِيءٌ أبيض ، شَعْشَاع[٥] ، حلْوٌ من الرِّجال ، فقلت في نفسي : إن يكُ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا . فلما دنا مني رفع يدَه فلكمني لكمةً شديدة ، فقلتُ في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، قال : فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذْ أوَى لي[٦] رجلٌ ممن معهم ، قال : ويحك ، أما بينك وبين أحدٍ من قريش جِوَارٌ ولا عَهْد ؟ قال : قلتُ بلى والله ، لقد كنتُ أُجِيرُ لجبيرِ بن مُطْعِم تجّاره ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حَرْب بن أمية بن عبد شمس . فقال : ويحك ، فاهتِفْ باسم الرجلَيْن ، واذكر ما بينك وبينهما ، قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما : إنَّ رجلاً من الخزرج الآن يضربُ بالأبْطَح ليهتف بكما . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة. قالا : صدق والله إنْ كان ليجير لنا تجَّارنا ويمنعهم أن يُظلموا ببلده ؛ قال فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لَكَم سعداً سُهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البَخْتَري بن هشام .

وروى البيهقي[٧] بسنده عن عبد المجيد بن أبي عَبْس بن جَبْر[٨] عن أبيه قال : سمعتْ قريشٌ قائلاً

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : ليتفوَّتوا عليَّ بمثل هذا ، وهو من قولهم : تفوَّت فلانٌ على فلان في كذا ، وافتات عليه : إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه . النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٧٧/ فوت) .

(٢) أي أكثروا البحث عنه ؛ والتنطُّس : تدقيق النظر . الروض (٢/ ٢٠٤) .

(٣) جاء في معجم البلدان (١/ ١٢٧) : قال ابن إسحاق : لما وصل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح دخل من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته اهـ .

(٤) « النِّسْع » : سَيْرٌ يُنسج عريضاً على هيئة أعِنَّه النِّعال تُشَدُّ به الرحال ، والقطعة منه نِسْعة ، وسمِّي نسعاً لطوله . القاموس (نسع) .

(٥) « الشعشاع » : الطويل الحسن . القاموس (شعشع) .

(٦) « أوى له » : رقَّ له . القاموس (أوي) .

(٧) في الدلائل (٢/ ٤٢٨) .

(٨) في ح ، ط : عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير . وهو تحريف ، وفي دلائل البيهقي : حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عيسى بن خير ـ كذا قال ـ وهو عبد الحميد بن أبي عبس بن محمد بن خير عن أبيه قال . . . وفيه تحريف كثير أيضاً . والصواب إن شاء الله هو ما أثبتُّه من تاريخ البخاري (٦/ ١١١) والجرح والتعديل (٦/ ٦٤) والإكمال (٦/ ٨٩) رسم « عَبْس » وميزان الاعتدال (٢/ ٦٥١) ولسان الميزان (٤/ ٥٥) ويبدو أن التحريف ابتدأ من الكلبي أو ممن رووا عنه ، فلذلك علَّق البيهقي بقوله : كذا قال . ثم صحح =

يقول في الليل على أبي قُبَيس : [من الطويل]

فإن يُسْلِمِ السَّعدانِ يصبحْ محمدٌ بمكّةَ لا يخشى خِلافَ المُخَالِف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السَّعْدانِ ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هُذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلاً يقول : [من الطويل]

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُن أنت ناصراً ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغطارِفِ
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنَّيا على اللهِ في الفِردوسِ مُنْيَةَ عارفِ
فإنَّ ثوابَ اللهِ للطالبِ الهدى جِنانٌ من الفردوس ذاتُ رفارفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ ، وسعد بن عُبَادة .

فصل

قال ابن إسحاق[١] : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسولَ الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها . وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم : عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سَلِمة وأشرافِهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له مناة ، كما كانتِ الأشراف يصنعون ، يتخذُه[٢] إلَهاً ، يعظِّمه ويُطَهِّره ، فلما أسلم فتيانُ بني سَلِمة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرٍو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة ، وفيها عِذَرُ الناس منكَّساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم ! مَنْ عدا على إلَهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسُه ، حتى إذا وجده غسله وطَهَّرَهُ وطيَّبه ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل بك هذا لأخْزِيَنَّه فإذا أمسى ونام عمرو عَدَوْا عليه ففعلوا مثل ذلك . فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهِّره ويطيبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقَوْه يوماً فغسله وطهَّره ، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ثم قال له : إني والله ما[٣] أعلم مَنْ يصنعُ بك ما أرى ، فإنْ كان فيك خيرٌ فامتنعْ ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عدَوْا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلْباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقَوْه في بئرٍ من آبار بني سَلِمة فيها عِذَرٌ من عِذَر الناس ، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكَّساً

= الاسم ، غير أن محقق الدلائل لم يعر هذا التصحيح اهتمامه فبقيت بعض الأسماء محرفة كما كتبها النساخ أو أخرجتها لنا المطبعة . وذكر أبو عبس في الإصابة في الكنى محرفاً أيضاً إلى : أبو عبيس .

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٥٢) والروض (٢/ ٢٠٥) .
(٢) في ح : يصنعون شجرة ، وفي السيرة تتخذه إلهاً تعظمه وتطهِّره .
(٣) في ح : لا .

مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه ، وكلَّمه مَنْ أسلم من قومه فأسلم برحمةِ الله ، وحسُن إسلامه ، فقال حين أسلم ، وعرَفَ من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله الذي أنقذَهُ مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول : [من الرجز]

واللهِ لـو كنـتَ إلَهـاً لـم تكُـنْ
أنـتَ وكلـبٌ وسْـطَ بئـرٍ فـي قَـرَنْ
أُفٍّ لملقـاكَ إلَهـاً مُسْتَـدَنْ
الآنَ فتَّشنـاك عـن سـوء الغَبَـنْ[١]
الحمـدُ لله العلـيِّ ذي المِنَـنْ
الـواهـبِ الـرزَّاقِ ديَّـان الـدِّيَـنْ[٢]
هـو الـذي أنقـذنـي مـن قبـل أنْ
أكـونَ فـي ظلمـة قبـرٍ مُـرْتَهَـنْ[٣]

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية
وجملتهم على ما ذكره ابن إسحاق رحمه الله
ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فمن الأوس أحدَ عشرَ رجلاً ؛ أُسيد بن حُضير أحدُ النقباء ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان بدريٌّ أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وَقْش بدري ، وظُهير بن رافع ، وأبو بُرْدَة بن نيار[٤] بدري ، ونُهير بن الهيثم بن نابي بن مَجْدَعة بن حارثة ، وسعدُ بن خَيْثمة أحدُ النقباء بدريّ وقتل بها شهيداً ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر[٥] نقيبٌ بَدْريّ ، وعبد الله بن جُبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك بدري ، وقُتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرُّماة ، ومَعْنُ بن عدي بن الجَدّ بن عَجْلان بن الحارث بن ضُبيعة البَلَوِيّ ، حليفٌ للأوس ، شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعُويم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها .

---

(١) « مستدن » : قال أبو ذر في شرح السيرة : ذليل مستعبد . وقال السهيلي في الروض (٢/ ٢١٤) : من السدانة وهي خدمة البيت وتعظيمه . والغَبَن في الرأي اهـ . وفي القاموس : الضعف .

(٢) « الدِّيَن » : جمع دينة ، وهي العادة . ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديان ، أي هو ديَّان أهل الأديان . الروض (٢/ ٢١٤) .

(٣) زادت سيرة ابن هشام هذا البيت :

بأحمد المهدي النبيِّ المُرْتَهنْ

(٤) في ط : دينار تحريف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والقاموس (نير) .

(٥) في ح : زبير . وفي ط : زنير . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من السيرة وتبصير المنتبه .

ومن الخَزْرَج اثنانِ وستونَ رجلاً ؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدراً وما بعدها ، ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً . ومعاذ بن الحارث ، وأخواه عَوف ومُعَوِّذ وهم بنو عَفْراء بدريُّون ، وعُمارة بن حَزْم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة ؛ وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحدُ النقباء مات قبل بَدْر ، وسهل بن عَتيك بدري ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدري ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدري ، وقيسُ بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غَزِيَّة ، وسعد بن الرَّبيع أحدُ النقباء شهد بدراً وقُتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وعبدُ الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدراً وأُحُداً والخندق ، وقتل يوم مُؤْتة أميراً ، وبَشِير بن سَعْد بدري ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه[١] الذي أُرِيَ النداء [للصلاة][٢] وهو بدري ، وخلاد بن سُويد بدريٌّ أُحُدِيٌّ خَنْدَقيٌّ ، وقتل يوم بني قُريَظة شهيداً ، طُرحت عليه رَحًى فشدخَتْه ، فيقال إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ له لأجْرَ شهيدَيْن »[٣] وأبو مسعود عُقْبَة بن عمرو البدري ـ قال ابن إسحاق : وهو أحدَثُ مَنْ شهد العقبة سِناً ولم يشهد بدراً ، وزياد بن لَبِيد بدري ، وفروة بن عمرو بن وَدْفة[٤] بدريّ ، وخالد بن قيس بن مالك بدري ، ورافع بن مالك أحد النقباء ، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، وهو الذي يقال له مهاجري أنصاري لأنه أقام عند رسولِ الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهو بدريٌّ قُتل يوم أُحُد ، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدري ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدريٌّ أيضاً ، والبراء بن مَعْرور أحَدُ النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سَلِمة ، وقد مات قبل مَقْدَم النبيِّ ﷺ المدينة ، وأوصى له بثلُث ماله ، فردَّه رسول الله ﷺ على وَرَثَته ، وابنهُ بِشْر بن البَرَاء وقد شهد بدراً وأحداً والخندق وماتَ بخَيْبَر شهيداً من أكْلِه مع رسولِ الله ﷺ من تلك الشاة المَسْمومة رضي الله عنه ، وسِنَان بن صَيْفيٍّ بن صَخْر بدري ، والطُّفيل بن النعمان بن خَنْساء بدري ، قتل يوم الخندق ، ومعقل بن المنذر بن سَرْح بدري ، وأخوه يزيد بن المنذر بدري ، ومسعود بن زيد[٥] بن سُبيع ، والضحاك بن

---

(١) كذا في ح ، ط وأصول سيرة ابن هشام وفي الاستيعاب في الإصابة : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله .

(٢) من سيرة ابن هشام (١/ ٤٥٩) .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٣١) عن أحمد بن إبراهيم قال : أخبرنا أبو فضالة الفرج بن فضالة عن عبد الخبير بن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده فذكره . أقول : وإسناده ضعيف .

(٤) في سيرة ابن هشام : وذفة . ويقال : وَدْفَة . وضبطه ابن حجر في آخر ترجمته في الإصابة بقوله : ضبطه الداني في كتاب أطراف الموطأ له بفتح الواو وسكون الدال المهملة بعدها قاف . قال : وهي الروضة . قلت : والصحيح هو ضبط ابن هشام لأنه ليس في المعجمات : ودقة . بالقاف بمعنى الروضة إنما هو : وَذْفة . والذال المعجمة لغة فيه . وبهذا ضبطه ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٦١) قال : والوَذَفة زعموا : الروضة . ويقال : استوذفتُ الإناء إذا استقطرت ما فيه . وقال السهيلي في الروض (٢/ ٢١٥) : وَدْفة بدال مهملة وهو الأصح .

(٥) في السيرة : يزيد والمثبت من ح ، ط والإصابة في ترجمته .

حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري ، ويزيد بن خِذَام بن سُبيع[١] ، وجبَّار بن صَخْر [بن أمية][٢] بن خنساء بن سنان بن عُبيد بدري ، والطفيل بن مالك بن خنساء بدري ، وكعب بن مالك ، وسليم بن عمرو[٣] بن حَديدة بدري ، وقُطْبة بن عامر بن حَديدة بدري ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدريٌّ أيضاً ، وأبو اليَسَر كعب بن عمرو بدري ، وصَيْفيّ بن سَوَاد بن عبَّاد ، وثعلبة بن غَنَمة بن عدي بن نابي بدري واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدي ، وعَبْس بن عامر بن عدي بدري ، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي ، وعبد الله بن أُنَيس حَليفٌ لهم من قضاعة ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام أحد النقباء بدري ، واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجَمُوح بدري ، وثابت بن الجِذْع بدري ، وقتل شهيداً بالطائف ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بدري ، وخَديج بن سلامة حليفٌ لهم من بَلِيّ ، ومعاذ بن جَبَل ، شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عَمَوَاس في خلافة عمر بن الخطاب ، وعُبادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدراً وما بعدها ، والعباس بن عُبَادة بن نَضْلَة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها[٤] فكان يقال له مهاجري أنصاري أيضاً ، وقتل يوم أحدُ شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثَعلبة بن خَزْمة[٥] بن أصْرم حليفٌ له من بَلِيّ ، وعمرو بن الحارث بن كِنْدَة[٦] ، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدري ، وعُقبة بن وهب بن كَلَدة ، حليفٌ لهم بدري ، وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجريٌّ أنصاريٌّ أيضاً ، وسعدُ بن عُبَادة بن دُلَيْم أحدُ النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيبٌ بدري أُحُديّ ، وقُتل يوم بئر معونة أميراً ، وهو الذي يُقال له : « أعْنَقَ لِيَمُوت »[٧] وأما المرأتان فأمُّ عُمارة نُسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجَّار المازنيَّة النجَّارية . قال ابن إسحاق : وقد كانتْ شهدتِ الحربَ مع رسولِ الله ﷺ وشهدتْ معها أختُها وزوجُها زيد بن عاصم [بن كعب ، وابناها

---

(١) في الإصابة في ترجمة يزيد : يزيد بن خدام بن سبيع بموحدة مصغَّراً قال ابن حجر : واختلف النسخ في مغازي موسى بن عقبة ، ففي بعضها كذلك وفي بعضها حرام وفي بعضها خدارة .

(٢) زيادة من السيرة وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص٣٥٩) .

(٣) في ط : عامر ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، وكلاهما صحيح كما قال ابن حجر في الإصابة : عمرو أو عامر .

(٤) يعني حتى هاجر مع رسول الله ﷺ .

(٥) ويقال فيه : خَزَمة بالتحريك . الروض (٢/ ٢١٥) .

(٦) في السيرة والروض : لبدة . وأظنه تصحيفاً .

(٧) في ط : أعتق بمثناة من فوق تصحيف ، والصواب بالنون كما جاء في ح وسيرة ابن هشام . والقائل هو الرسول ﷺ ، أخرجه البيهقي في الدلائل باب غزوة بئر معونة (٣/ ٣٤٢) بسنده عن موسى بن عقبة ، وفيه : أعتق مصحَّف . قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣١٠/ عنق) : ومنه الحديث أنه بعث سرية ، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى بني سليم فانتحى له عامر بن الطفيل فقتله ، فلما بلغ النبي ﷺ قتله قال : أعنق ليموت . أي إن المنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه . اهـ . وكذا ذكره الزمخشري في الفائق (٣/ ٧٢) وقال : أعنق : من العَنَق ، وهو سيرٌ فسيح .

حَبيبُ[١] وعبد الله ، وابنها حَبيب هذا هو الذي قتله مُسيلمة الكذَّاب [[٢] حين جعل يقول له : أتشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله ؟ فيقول نعم ، فيقول : أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ فيقول : لا أسمع فجعل يقطِّعُه عضواً عضواً حتى مات في يديه ، لا يزيدُه على ذلك ؛ فكانت أمُّ عُمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قُتل مسيلمة ورجعتْ وبها اثنا[٣] عشر جرحاً من بينِ طعنةٍ وضربة رضي الله عنها وأرضاها ، والأخرى أمُّ مَنيع أسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة رضي الله عنها .

باب
بُدُوِّ الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزُّهْري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ـ وهو يومئذ بمكة ـ للمسلمين : « قد أُريتُ دار هجرتِكم ، أريتُ سَبْخَةً ذاتَ نَخْلٍ بين لابَتَيْنِ »[٤] فهاجر مَنْ هاجر قِبَلَ المدينة حينَ ذَكَر رسولُ الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة [بعضُ] مَنْ كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين .

رواه البخاري[٥]

وقال أبو موسى عن النبي ﷺ : « رأيتُ في المنام أني أهاجرُ من مكَّةَ إلى أرضٍ بها نخل ، فذهب وَهَلي[٦] إلى أنها اليمامةُ أو هَجَر ، فإذا هي المدينة يَثْرِب » .

وهذا الحديث قد أسندَهُ البخاري في مواضع أخر بطوله ، ورواه مسلم كلاهما عن أبي كُريب[٧] ، زاد مسلم : وعبد الله بن بَرَّاد[٨] كلاهما عن أبي أسامة ، عن بُرَيد[٩] بن عبد الله بن أبي بُرْدة عن جدِّه أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، عن النبي ﷺ الحديث بطوله .

---

(١) في ط : خبيب . بخاء معجمة وهو تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام وترجمته في الإصابة بحاء مهملة وبوزن عَظِيم .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٣) في ح ، ط : اثني عشر جرحاً .

(٤) وهما الحَرَّتان ، والحرَّة أرض حجارتها سود . فتح الباري (٧/ ٢٣٤) .

(٥) فتح الباري (٢٢٩٧) الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وما مر بين معقوفين منه .

(٦) وَهَلْتُ بالفتح أهِلُ وهلاً : إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره مثل وهمت . فتح الباري (١٢/ ٤٢٢) .

(٧) أخرجه البخاري فتح (٧/ ٢٢٦) مناقب الأنصار أول باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه وأخرجه أيضاً في (٣٦٢٢) المناقب باب علامات النبوة (٧٠٣٥) التعبير باب إذا رأى بقراً تنحر ، وصحيح مسلم (٢٠ ـ ٢٢٧٢) الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ .

(٨) في ط : مراد . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح مسلم والإكمال (١/ ٢٤٤) .

(٩) في ح ، ط : يزيد تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم والإكمال (١/ ٢٢٧) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السَّياري بمَرْو ، وحدثنا إبراهيم بن هلال ، حدثنا العامري ، عن علي بن الحسن بن شقيق ، حدَّثنا عيسى بن عُبيد الكِنْدي ، عن غيلان بن عبد الله العامري ، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير ، عن جرير ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إن الله أوحَى إليَّ : أيَّ هؤلاء البلاد الثلاث نزلتَ فهيَ دارُ هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرَيْن ، أو قِنَّسْرِين » قال أهلُ العلم : ثم عزَمَ له على المدينة فأمر أصحابَهُ بالهجرة إليها .

هذا حديثٌ غريبٌ جداً ، وقد رواهُ الترمذي في المناقب من جامعه[٢] منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حُريث ، عن الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عُبيد ، عن غيلان بن عبد الله العامريّ ، عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير ، عن جرير ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله أوحَى إليَّ : أيَّ هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دارُ هجرتك ؛ المدينة ، أو البَحْرَين ، أو قِنَّسْرين » . ثم قال : غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث الفضل ، تفرَّد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حِبَّان في « الثقات »[٣] إلا أنه قال : روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة[٤] ، والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق[٥] : لما أذن الله تعالى في الحرب [بقوله : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾ [الحج : ٣٩ ـ ٤٠] الآية . فلما أذنَ الله في الحرب][٦] وبايعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ، ولمن اتبعه ، وأوَى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله ﷺ أصحابَهُ من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنونَ بها » فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أولَ من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسولِ الله ﷺ من المهاجرينَ من قريش من بني مخزوم ، أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذَتْهُ قريش مَرْجِعَهُ من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٤٥٨) .

(٢) جامع الترمذي (٣٩٢٣) المناقب باب في فضل المدينة .

(٣) الثقات (٧/ ٣١١) .

(٤) قال بشار : هو شبه الموضوع .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٨) والروض (٢/ ٢١١) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام .

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني أبي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سَلَمة ، عن جدَّته أمِّ سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحلَ لي بعيرَه ، ثم حملني عليه ، وجعل معي ابني سلمةَ بن أبي سلمة في حَجْري ، ثم خرج يقود بي بعيرَه ، فلما رأتْهُ رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسُك غلبتَنا عليها ، أرأيت صاحبتنا[٢] هذه علامَ نتركُكَ تسيرُ بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رَهْطُ أبي سلمة فقالوا : لا والله لا نتركُ ابننا عندها إذْ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يدَه ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففُرِّق بيني وبين ابني وبين زوجي . قالت : فكنت أخرجُ كلَّ غداة فأجلسُ في الأبْطَح ، فما أزالُ أبكي حتى أُمسي ـ سنةً أو قريباً منها ـ حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمِّي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرَحِمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون[٣] من هذه المسكينة ؟ فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت : فقالوا لي الحَقي بزوجك إنْ شئت . قالت : فردّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني . قالت : فارتحلتُ بعيري ، ثم أخذتُ ابني فوضعتُه في حَجْري ، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معي أحدٌ من خلق الله . [قالت : فقلت : أتبلَّغ بمن لَقيتُ حتى أقدم على زوجي .] حتى إذا كنتُ بالتَّنْعيم[٤] لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال : إلى أين يا ابنة أبي أميَّة ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معي أحدٌ إلا الله وبُنَيِّ هذا . فقال : والله مالك من مَتْرك . فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبتُ رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخَ بي ثم استأخَرَ عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحطَّ عنه ، ثم قيَّدَه في الشجر ، ثم تنحَّى إلى شجرةٍ فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرَّواح قام إلى بعيري فقدَّمه فرحَله ثم استأخر عني وقال : اركبي . فإذا ركبتُ فاستويتُ على بعيري أتَى فأخذ بخطامه ، فقادني حتى ينزل بي ، فلم يزلْ يصنعُ ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُبَاء قال : زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادْخُليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكَّة . فكانت تقول : ما أعلمُ أهلَ بيتٍ في الإسلام أصابهم ما أصابَ آلَ أبي سَلَمة ، وما رأيتُ صاحباً قطُّ كان أكرم من عثمانَ بن طلحة .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٩) والروض (٢/ ٢١١) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في السيرة والروض : صاحبتك .

(٣) كذا في ط والسيرة ، وفي ح بمهملات . قلت : لعل الصواب : تحرَّجُون . من قولهم : تحرَّج من كذا : إذا تأثم . اللسان (حرج) .

(٤) « التنعيم » : موضعٌ بمكة في الحِلّ ، وهو بين مكة وسَرِف ، على فرسخين من مكة وقيل على أربعة . معجم البلدان (٢/ ٤٩) .

أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الحُديبية ، وهاجر هو وخالدُ بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته ؛ الحارث وكلاب ومُسافع ، وعمه عثمان بن أبي طلحة . ودَفَع إليه رسولُ الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابنِ عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيحَ الكعبة ، أقرَّها عليهم في الإسلام كما كانتْ في الجاهليَّة ، ونزل في ذلك قولُه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] .

قال ابن إسحاق[١] : ثم كان أوَّلَ من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامرُ بن ربيعة حليفُ بني عدي ، معه امرأتُه ليلى بنتُ أبي حَثْمَة العدويَّة ، ثم عبدُ الله بن جحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرَة بن مرَّة بن كبير[٢] بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، حليفُ بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد أبي أحمد[٣] .

وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوفُ مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمُّه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فغُلِّقَتْ دارُ بني جحش هجرةً ، فمرَّ بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مُصْعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تخفِقُ أبوابُها يَبَاباً ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفَّس الصُّعَداء وقال : [من البسيط]

وكلّ دارٍ وإنْ طالتْ سلامتُها ... يوماً ستدركُها النَّكْباءُ والحُوبُ[٤]

قال ابنُ هشام : وهذا البيت لأبي دُوَاد الإيادي في قصيدةٍ له ـ [قال السُّهيلي[٥] : واسم أبي دُوَاد حنظلة بن شرقي وقيل جارية][٦][٧] ـ ثم قال عتبة : أصبحت دارُ بني جحش خلاءً من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من قُلِّ بن قُلّ[٨] ثم قال ـ يعني العباس ـ : هذا من عمل ابنِ أخيك هذا ، فرَّق جماعتنا ، وشتَّت أمْرَنا ، وقطعَ بيننا .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٠) والروض (٢/ ٢١٢) .
(٢) في سيرة ابن هشام والروض : كثير . وهو تصحيف ، صوابه من الإكمال (٧/ ١٦٠) .
(٣) زادت نسخة ط هنا ما نصه : اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل : ثمامة . قال السهيلي : والأول أصح . وليست هذه الزيادة في ح وربما كانت هذه الزيادة من تعليقات على الكتاب فأدخلها النساخ في المتن والله أعلم .
(٤) الحُوب : التوجُّع .
(٥) في الروض (٢/ ٢١٦) .
(٦) ما بين المعقوفين ليس في ح . ولعله من تعليقات على الأصل ثم أدخله النساخ في المتن . انظر الحاشية السابقة .
(٧) في ط : حارثة . وهو تصحيف ، والمثبت من الروض (٢/ ٢١٦) والخزانة (٩/ ٥٩٠) والإكمال (٢/ ٣) وفيها : جارية بن الحجاج .
(٨) في ط : فل بن فل بالفاء ، وهو تصحيف ، والمثبت من السيرة وفيه : قال ابن هشام : القُلّ : الواحد . قال لبيد بن ربيعة : [من المنسرح]

كل بني حرة مصيرهم ... قُلٌّ وإن أكثرتْ من العَددِ

قال ابن إسحاق[١] : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقُبَاء على مُبَشِّر بن عبد المنذر ، ثم قدم المهاجرون أرسالا . قال : وكان بنو غَنْم بن دُودان أهلَ إسلام قد أوْعَبوا إلى المدينة هجرةً ، رجالُهم ونساؤهم[٢] ، وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأرْبد بن حُمَيِّر[٣] ومُنقذ بن نُبَاتة ، وسعيد بن رقيش ، ومُحرز بن نَضْلَة ، وزيد بن رُقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِحْصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكثم . والزُّبير بن عبيدة ، وتمَّام بن عُبيدة ، وسَخْبَرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش .

ومن نسائهم زينبُ بنتُ جَحْش ، وحَمْنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجُدَامة[٤] بنت جَنْدَل ، وأم قيس بنت مِحْصَن ، وأمّ حبيب بنت ثُمَامة ، وآمنة بنت رُقيش ، وسَخْبَرَة بنت تميم .

قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة[٥] : [من الطويل]

ولمـا رأتنـي أمُّ أحمـدَ غـادياً ... بذمَّةِ مَنْ أخشى بغيبٍ وأرهَبُ

تقـولُ فـإمَّـا كنـتَ لا بـدَّ فـاعـلاً ... فيمِّـمْ بنـا البلـدانَ ولْنَنْـأ يثـربُ

فقلـتُ لهـا مـا يثـربٌ بمظَنَّـةٍ[٦] ... وما يشأ الرحمنُ فالعبدُ يركب

إلى الله وجْهي والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلـى الله يـومـاً وجهَـه لا يُخَيَّـب

فكَمْ قد تركنا من حميم مُناصحٍ ... ونـاصحـةٍ تبكـي بـدمـعٍ وتنـدُب

تـرى أن وتـراً نـائيـاً عـن بـلادنـا ... ونحن نرى أنَّ الرغائبَ نطلُب

دعوتُ بني غَنْم لحقْنِ دمائهم ... وللحـقِّ لمـا لاح للنـاس مَلْحَـبُ

أجـابـوا بحمـدِ الله لمـا دعـاهُـمُ ... إلى الحقِّ داعٍ والنجاحِ فأوعبوا

وكنَّا وأصحاباً لنا فارقوا الهُدَى ... أعـانـوا علينـا بـالسـلاح وأجْلبـوا

كفَـوجَيْـن أمَّـا مِنْهُمـا فمـوفَّـقٌ ... على الحقِّ مهديٌّ وفوجٌ معذَّبُ

---

(١) في السيرة لابن هشام (١/ ٤٧١) والروض (٢/ ٢١٣) .

(٢) « أوعب بنو فلان » : جلَوْا أجمعون . اللسان (وعب) .

(٣) في ط : جُميرة . وسقط من ح ، وفي سيرة ابن هشام : ابن حُمَيِّرة ، ويقال ابن حُمَيْرَة . والمثبت من الإكمال (٢/ ٥١٧) والإصابة وقال ابن حجر فيه : أربد بن جُبير ، وقيل ابن حمزة ، وقيل ابن حُمَيِّر مصغَّراً مثقَّلاً ، وبهذا الأخير جزم ابن ماكولا .

(٤) في سيرة ابن هشام : جذامة . بالذال المعجمة ، تصحيف ، والصواب بالمهملة من القاموس . وانظر الروض (٢/ ٢١٨) .

(٥) الأبيات في السيرة لابن هشام (١/ ٤٧٣) والروض (٢/ ٢١٣) .

(٦) في سيرة ابن هشام والروض : بل يثرب اليوم وجهنا .

طَغَـوا وتمنَّـوا كِـذبـةً وأزلَّهـم ... عن الحقِّ إبليسٌ فخابوا وخيّبوا
ورعنـا إلـى قـول النبـيِّ محمـدٍ ... فطـابَ ولاةُ الحـق منـا وطُيِّبـوا
نمُـتُّ بـأرحـامٍ إليهـم قـريبـةٍ ... ولا قُـرْبَ بـالأرحـام إذ لا تُقـرَّبُ
فـأيُّ ابـنِ أختٍ بعـدنـا يـأمننكم ... وأيَّـةُ صِهْـرٍ بعـد صهـري يـرقَّـب
ستعلـم يـومـاً أيُّنـا إذ تـزايلـوا ... وزُيِّـل أمـرُ النـاسِ للحـقِّ أصـوبُ

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة . فحدَّثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، قال : اتَّعدنا لما أردتُ الهجرةَ إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص ؛ التَّناضب من أضاةِ بني غِفَار فوق سَرِف[٢] ، وقلنا : أيُّنا لم يُصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه . قال : فأصبحتُ أنا وعياش عند التَّناضب[٣] ، وحُبس هشام وفُتن فافتتن ؛ فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش ـ وكان ابنُ عمِّهما وأخاهما لأمِّهما ـ حتى قدما المدينة ورسولُ الله ﷺ بمكة ، فكلَّماه وقالا له : إنَّ أمك قد نذرَتْ أن لا يمسَّ رأسها مشط حَتَّى تراك ، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك ، فرقَّ لها ، فقلت له : إنه والله إنْ يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحْذَرْهم ، فوالله لو قد آذى أمَّكَ القملُ لامتشطَتْ ، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكة لاستظلَّتْ . قال فقال : أبرُّ قسم أُمِّي ولي هنالك مالٌ فآخذه . قال : قلت والله إنَّك لتعلمُ أني لمِن أكثرِ قريشٍ مالاً ، فلك نصفُ مالي ولا تذهبْ معهما . قال : فأبَى عليَّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت : أمَّا إذْ فعلت ما فعلت ، فخُذْ ناقتي هذه فإنَّها ناقة نَجِيبة ذَلُول فالْزَمْ ظهرَها ، فإنْ رابكَ من أمر القوم رَيْبٌ فانْجُ عليها .

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخي ، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا ، أفلا تُعْقِبُني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . فأناخ وأناخا ليتحوَّل عليها ، فلما استوَوْا بالأرض عدَوَا عليه فأوثقاهُ رباطاً ، ثم دخلا به مكة ، وفَتَناهُ فافتتن .

قال عمر : فكنَّا نقول لا يقبلُ اللهُ ممنِ افتتن توبةً . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، حتى قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، وأنزل الله : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣ ـ ٥٥] . قال عمر : فكتبتها بيدي ، وبعثتُ بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتتني جعلتُ اقرؤها بذي

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٤) والروض (٢/ ٢١٩) .
(٢) أضاءة بني غفار : على عشرة أميال من مكة ، والأضاة : الغدير ، كأنها مقلوب من وضأة ، واشتقاقه من الوضاءة بالمد وهي النظافة . الروض (٢/ ٢٢٧) .
(٣) الضبط من معجم البلدان (٢/ ٤٧) وبعضهم يضمُّ الضاد وهو موضع قرب مكة .

طُوَى[١] أُصَعِّد بها فيه وأُصَوِّب أخرى ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهِّمْنيها ، فألقى الله في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا وفيما كنَّا نقولُ في أنفسنا ، ويقال فينا . قال : فرجعتُ إلى بعيري فجلستُ عليه فلحقتُ برسولِ الله ﷺ بالمدينة .

وذكر ابنُ هشام[٢] أنَّ الذي قدم بهشام بن العاص ، وعياش بن أبي ربيعة إلى المدينة ؛ الوليد بن الوليد بن المغيرة ، سرقهما من مكة وقدِم بهما يحملهما على بعيره وهو ماشٍ معهما ، فعثر فدميَتْ أصبعُه فقال : [من الرجز]

هل أنتِ إلا أصبعٌ دَميتِ وفـي سبيـلِ الله مـا لَقِيـتِ

وقال البخاري[٣] : حدَّثنا أبو الوليد ، حدَّثنا شعبة ، أنبأنا أبو إسحاق ، سمع البراء قال : أوَّلُ مَنْ قدم علينا مصعبُ بن عُمير وابنُ أمِّ مكتوم ، ثم قدم علينا عمَّار وبلال .

وحدَّثني محمد بن بشَّار ، حدَّثنا غُنْدَر ، حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ البراء بن عازِب قال : أولُ مَنْ قدِم علينا مصعبُ بن عمير وابنُ أُمِّ مَكْتُوم ، وكانا يقرئانِ الناسَ ، فقدِمَ بلالٌ وسعدٌ وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نَفَراً من أصحاب النبيِّ ﷺ ، ثم قدم النبيُّ ﷺ فما رأيتُ أهلَ المدينة فرحوا بشيءٍ فرحَهم برسولِ الله ﷺ حتى جعل الإماءُ يقلن : قدم رسولُ الله ﷺ . فما قدم حتى قرأت : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ في سورٍ من المفصَّل .

ورواهُ مسلم في « صحيحه »[٤] من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب بنحوه وفيه التصريح بأنَّ سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسولِ الله ﷺ المدينة .

وقد زعم موسى بن عقبة ، عن الزهري ، أنه إنما هاجر بعد رسولِ الله ﷺ والصواب ما تقدَّم .

قال ابن إسحاق[٥] : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر ، وخُنيس بن حُذَافة السهمي زوج ابنته حفصة ، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وواقد بن عبد الله التميمي حليفٌ لهم ، وخَوْليُّ بن أبي خَوْليّ ، ومالك بن أبي خَوْلي حليفانِ لهم من بني عِجْل ، وبنو البُكير إياس وخالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بني

---

(١) ذو طُوَى : موضع عند مكة . معجم البلدان (٤/ ٤٥) .
(٢) في السيرة (١/ ٤٧٦) .
(٣) في صحيحه فتح (٣٩٢٤) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .
(٤) كذا ، ولم أجده في صحيح مسلم ولا ذكره المزي في تحفة الأشراف في حديث إسرائيل عن أبي إسحاق ، فهو وهم بلا ريب . والرواية التي فيها التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم الرسول ﷺ ساقها أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٤) عن عفان حدثنا شعبة عن أبي إسحاق به . ورواه أيضاً في (٤/ ٢٩١) عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق به .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٦) والروض (٢/ ٢٢٠) .

سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر[١] في بني عمرو بن عوف بقباء .

قال ابنُ إسحاق[٢] : ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم ، فنزل طلحةُ بن عبيد الله وصُهيب بن سنان على خُبيب بن إساف أخي بَلْحارث بن الخزرج بالسُّنْح[٣] . ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زُرَارة .

قال ابن هشام[٤] : وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهْديّ أنه قال : بلغني أنَّ صُهيباً حين أراد الهجرة قال له كفَّارُ قريش : أتيتنا صُعْلوكاً حَقيراً فكثُر مالك عندنا وبلغتَ الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكونُ ذلك . فقال لهم صُهيب : أرأيتم إنْ جعلتُ لكم مالي أتخلُّون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني قد جعلتُ لكم مالي . فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « رَبِحَ صُهيب ، رَبِحَ صُهيب » وقد قال الحافظ البيهقي[٥] : حدَّثنا الحافظ أبو عبد الله ـ إملاءً ـ أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ، أخبرنا عبدان الأهوازي ، حدَّثنا زيد بن الحَرِيش[٦] ، حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدَّثنا[٧] حصين بن حذيفة بن صيفي بن صُهيب ، حدَّثني أبي وعمومتي ، عن سعيد بن المُسَيِّب ، عن صهيب ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أريتُ دارَ هجرتكم سَبَخَةً بين ظهرانيْ حرَّتَيْن ، فإمَّا أن تكون هَجَر أو تكون يثرب » قال : وخرج رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنتُ قد هممت معه بالخروج فصدَّني فتيانٌ من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقومُ لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطْنه ـ ولم أكن شاكياً ـ فناموا . فخرجتُ ولحقني منهم ناسٌ بعدما سرت بريداً[٨] ليردُّوني ، فقلت لهم : هل لكم أن أعطيَكم أواقي[٩] من ذهب وتخلُّوا سبيلي ، وتوفون لي ؟ ففعلوا . فتبعتُهم[١٠] إلى مكة فقلت : احفروا تحت أُسْكُفَّة الباب فإنَّ تحتها أواقي[٩] ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَيْن ، وخرجتُ حتى قدمت على رسولِ الله ﷺ قُباء قبل أن يتحوَّل منها ، فلما رآني قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » ـ ثلاثاً ـ فقلت : يا رسول الله ، ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام .

قال ابن إسحاق[١١] : ونزل حمزةُ بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مَرْثَد كَنَّاز بن

---

(١) في ط : زنير وفي ح زبير : والمثبت من الإكمال (٤/ ١٦٧) .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٧) والروض (٢/ ٢٢٠) .
(٣) « السُّنْح » : موضع قرب المدينة . القاموس (سنح) .
(٤) السيرة (١/ ٤٧٧) والروض (٢/ ٢٢٠) .
(٥) في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٢) .
(٦) في ط : الجريش بالجيم تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل والإكمال (٢/ ٤٢٢) .
(٧) في ح : انا .
(٨) في ط : يريدوا . تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل .
(٩) في ح : أواني . والمثبت من ط والدلائل .
(١٠) في الدلائل : فسقتهم .
(١١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٨) والروض (٢/ ٢٢٠) .

الحُصَين[١] وابنه مرثد الغنويّان حليفا حمزة ، وأنَسَة وأبو كبشة موليا رسولِ الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم أخي بني عمرو بن عوف بقُباء ، وقيل على سعد بن خيثمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة . [والله أعلم][٢] . قال : ونزل عُبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحُصين ومِسْطَح بن أُثَاثَة وسُويبط بن سعد بن حُريملة أخو بني عبد الدار وطُليب بن عُمير أخو بني عبد بن قصي وخَبَّاب مولى عتبة بن غَزْوان على عبد الله بن سلمة أخي بَلْعَجْلان بقُباء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجالٍ من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزُّبير بن العوام وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم على منذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاح بالعُصْبة دار بني جَحْجَبَى ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حُذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة .

قال[٣] ابنُ إسحاق ، وقال الأموي : على خُبيب بن إساف أخي بني حارثة .

ونزل عتبة بن غزوان على عبَّاد بن بِشْر بن وَقْش في بني عبد الأشْهَل ؛ ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسَّان بن ثابت في دار بني النجَّار .

قال ابنُ إسحاق[٤] : ونزل العُزَّابُ من المهاجرين على سَعْد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عَزَباً والله أعلم أيَّ ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان[٥] : حدَّثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زُرارة بن مُصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : قدمنا من مكة فنزلنا العُصْبة ، ونزل عمر بن الخطَّاب وأبو عبيدة بن الجرَّاح وسالم مولى أبي حذيفة ، فكان يؤمُّهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنا .

فصل
في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] أرشده الله وألهمه أن يدعوَ بهذا الدُّعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً

---

(١) في السيرة والروض : حِصْن . وكلاهما صحيح كما في القاموس (كنز) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح ولا في السيرة .

(٣) كذا في ح ، ط ولعل الصواب : قاله . يعني القول السابق وهو موجود في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٩) فتكون هذه العبارة ملحقة عندئذ بالفقرة السابقة .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠) والروض (٢/ ٢٢١) .

(٥) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٦٧) وهو في القسم المفقود من الكتاب ونقله المحقق من هنا .

عاجلاً ، فأذن له تعالى في الهجرةِ إلى المدينة النبويَّة حيث الأنصار والأحباب فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل[١] وعثمان بن أبي شيبة[٢] ، عن جرير ، عن قابوس بن أبي ظَبْيَان[٣] ، عن أبيه ، عن ابن عباس : كان رسول الله ﷺ بمكة ، فأمر بالهجرة وأُنزل عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

وقال قتادة : ﴿ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ المدينة ﴿ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الهجرة من مكة ﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابنُ إسحاق[٤] : وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذَن له في الهجرة ولم يتخلَّفْ معه بمكة إلا من حُبس أو فُتن ، إلا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذنُ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فيقول له : « لا تَعْجَلْ لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يكونه .

فلما رأتْ قريشٌ أنَّ رسول الله ﷺ قد صار له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منَعةً ، فحذِرُوا خروجَ رسولِ الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ـ وهي دارُ قصيّ بن كلاب التي كانت قريشٌ لا تقضي أمراً إلا فيها ـ يتشاورونَ فيما يصنعون في أمر رسولِ الله ﷺ حين خافوه .

قال ابن إسحاق[٤] : فحدَّثني من لا أَتَّهمُ من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جَبْر[٥] وغيره ممن لا أَتَّهم ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمرِ رسولِ الله ﷺ غدَوْا في اليوم الذي اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزَّحْمة ، فاعترضهم إبليسُ لعنه الله في هيئة شيخٍ جليل عليه بتٌّ[٦] له فوقف على باب الدار ، فلما رأوه

---

(١) في مسنده (١/ ٢٢٣) رقم (١٩٤٨) .
(٢) أخرجه من طريق عثمان : الحاكم (٣/ ٣) وعنه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥١٦) . ورواه الترمذي (٣١٣٩) عن أحمد بن منيع عن جرير ، والطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٨) عن سفيان بن وكيع ومحمد بن حميد الرازي عن جرير ، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٧٢) من طريق الحسين بن سيار عن جرير ، وصححه الترمذي مع ضعف قابوس بن أبي ظبيان . (بشار) .
(٣) في ح : طهمان . تصحيف ، والمثبت من ط وتقريب التهذيب لابن حجر في ترجمة قابوس .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠) والروض (٢/ ٢٢١) .
(٥) زادت ح ، ط : عن عبد الله بن عباس . وليست هذه الزيادة في السيرة وهي مقحمة على النص فحذفتُها .
(٦) « البتُّ » : كساء غليظ مربَّع ، وقيل طيلسان من خز ويجمع على بتوت . النهاية لابن الأثير (بتت/ ١/ ٩٢) . وفي السيرة وط : بتله . وأظنه تصحيفاً من وصل التاء باللام .

واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نَجْد ، سمع بالذي اتعدتم له فحضرَ معكم ليسمعَ ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمَكم منه رأياً ونُصْحاً . قالوا : أجل فادخلْ . فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش : عتبة ، وشيبة ، وأبو سفيان وطعيمة بن عدي ، وجُبير بن مُطْعِم بن عدي ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضْر بن الحارث وأبو البَخْتَرِيِّ بنُ هشام ، وزَمَعَة بن الأسود ، وحَكيم بن حِزَام ، وأبو جَهل بن هشام ونُبيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج وأمية بن خلف ، ومَنْ كان منهم[١] وغيرهم ممن لا يعدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إنَّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتَّبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً . قال : فتشاوروا ، ثم قال قائلٌ منهم ـ[قيل إنه أبو البَخْتَرِي بنُ هشام][٢] ـ : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم ترَّبصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجَنَّ أمرُه من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي .

فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وأُلْفَتَنا كما كانت . قال الشيخ النجديّ : لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوةَ منطقِه ، وغلبته على قلوب الرجال ، بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ[٣] أنْ يحلّ على حيٍّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم بين أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أو تروا[٤] فيه رأياً غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إنَّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلِّ قبيلةٍ فتىً شاباً جَليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كلَّ فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يَعْمِدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجلٍ واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمُهُ في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً . فرضوا منا بالعقل فعقَلْناه لهم . قال : يقول الشيخُ النجدي : القولُ ما قال الرجل ، هذا الرأي ، ولا رأي غيره : فتفرَّقَ القومُ على ذلك وهم مجمعون له .

---

(١) في السيرة : معهم .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٣) في السيرة : ما أمنتم .

(٤) في السيرة : دَبِّروا ، والمثبت من ط .

فأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فقال له : لا تبِتْ هذه الليلةَ على فراشكَ الذي كنتَ تَبيتُ عليه . قال : فلما كانت عَتَمةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : « نمْ على فراشي وتَسَجَّ ببُرْدِي هذا الحَضْرَميِّ الأخضر ، فنمْ فيه ، فإنه لن يخلُصَ إليك شيءٌ تكرهه منهم » وكان رسولُ الله ﷺ ينامُ في بُرْده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابنُ إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعليّ وسُراقة ابن مالك بن جُعْشُم وغيرهم دخل حديثُ بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدَّم[١]

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القُرَظي قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال ـ وهم على بابه ـ : إنَّ محمداً يزعم أنكم إنْ تابعتموه على أمره ، كنتم ملوكَ العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جنانٌ كجنانِ الأردُنّ ، وإنْ لم تفعلوا كان فيكم ذَبْح ، ثم بُعثتم بعد موتكم ، ثم جُعلتْ لكم نارٌ تُحرَقون فيها .

قال : فخرج رسولُ الله ﷺ فأخذ حَفْنَةً من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرَوْنَه ، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ١ ـ ٩] ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكنْ معهم فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمداً ، فقال : خيَّبَكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ! أفما ترَونَ ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون فيرَوْنَ عليّاً على الفراش متسجِّياً بِبُرْدِ رسولِ الله ﷺ فيقولون : والله إنَّ هذا لمحمدٌ نائماً ، عليه بُرْدُه ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام عليٌّ من الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدَّثنا .

قال ابنُ إسحاق[٣] : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانو أجمعوا له قولُه تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] وقولُه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور : ٣٠ ـ ٣١] .

قال ابنُ إسحاق : فأذِنَ اللهُ لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة .

---

(١) رواية الواقدي هذه وأسانيده في طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٧) وما بعدها .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٣) والروض (٢/ ٢٢٢) .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤) والروض (٢/ ٢٢٣) .

باب
هجرةِ رسولِ الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكةَ إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وذلك أولُ التاريخ الإسلامي كما اتفق عليه الصحابةُ في الدولة العُمَرية كما بيَّناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين[١].

قال البخاري[٢] : حدَّثنا مَطَرَ بنُ الفَضْل ، حدثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ النبيُّ ﷺ لأربعينَ سنةً ، فمكث بمكَّة[٣] ثلاثَ عشرةَ [سنةً] يُوحى إليه ، ثم أُمر بالهِجْرَة فهاجر عشرَ سنينَ ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنة .

وقد كانت هجرتُه عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام ، وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس[٤] أنه قال : ولد نبيُّكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ونُبِّيء يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين[٥].

قال محمد بن إسحاق[٦] : وكان أبو بكر حين استأذنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فقال له : لا تعجَلْ لعلَّ الله أن يجعلَ لك صاحباً ؛ قد طمع بأن يكون رسولُ الله ﷺ إنما يعني نفسَه ، فابتاعَ راحلتَيْنِ فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك .

قال الواقدي[٧] : اشتراهما بثمانمئة درهم .

قال ابن إسحاق[٨] : فحدَّثني مَنْ لا أتَّهم عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة أمِّ المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطىءُ رسولُ الله ﷺ أن يأتيَ بيتَ أبي بكر أحدَ طرفي النهار ، إمَّا بُكْرَة ، وإمَّا عشِيَّة ، حتى إذا كان اليومُ الذي أَذِن الله فيه لرسوله في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظَهْرَيْ قومه ، أتانا رسولُ الله ﷺ

---

(١) أفرد المؤلف لعمر رضي الله عنه مصنفاً سمَّاه سيرة عمر ، أشار إليه في ص(٢٣٠) ، وذكر اتفاق الصحابة في الدولة العمرية على التأريخ الهجري في ص(٤٧٨) من هذا الجزء .

(٢) في صحيحه ، فتح (٣٩٠٢) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وما بين معقوفين منه .

(٣) في ط : فيها . بدل : بمكة ، وهو تصحيف ، والمثبت من ح والبخاري .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٧٧) رقم (٢٥٠٦) .

(٥) لفظ ابن عباس في المسند هكذا : ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . وتقدم ص(٣٠) وإسناده ضعيف بطوله ، ولبعض فقراته شواهد ، وقد تقدم الكلام عليه صفحة (٣٠) .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤) والروض (٢/ ٢٢٣) .

(٧) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٨) وزاد : من نَعَم بني قُشير .

(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤) والروض (٢/ ٢٢٣) .

بالهاجرة ، في ساعةٍ كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآهُ أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدَث ! قالت : فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسولُ الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ[١] أحدٌ إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أخْرِجْ عني مَنْ عِنْدَك » قال : يا رسول الله ! إنما هما ابنتاي ، وما ذاك فداك أبي وأمي ؟ قال : « إن الله قد أذِنَ لي في الخروج والهجرة » قالت : فقال أبو بكر : الصُّحْبَة يا رسولَ الله ؟ قال : « الصُّحبة » قالت : فوالله ما شعرتُ قطُّ قبل ذلك اليوم أنَّ أحداً يبكي من الفَرَح حتى رأيتُ أبا بكر يومئذٍ يبكي . ثم قال : يا نبيَّ الله ، إنَّ هاتين راحلتين كنتُ أعددتهما لهذا ، فاستأجَرَا عبد الله بن أرقد[٢] ـ قال ابنُ هشام : ويقال عبد الله بن الأُرَيْقط ـ رجلاً من بني الدُّئلِ بن بكر ، وكانت أمُّه من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركاً يدلُّهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابنُ إسحاق[٣] : ولم يعلم ـ فيما بلغني ـ بخروج رسولِ الله ﷺ أحدٌ حين خرج إلا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآلُ أبي بكر ؛ أمَّا عليّ فإنَّ رسولَ الله ﷺ أمره أن يتخلَّف حتى يؤدِّي عن رسولِ الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسولُ الله ﷺ وليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صِدْقِه وأمانته .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما أجمع رسولُ الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قُحَافة فخرجا من خوخةٍ لأبي بكر في ظهر بيته .

وقد روى أبو نُعيم[٤] من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق . قال : بلغني أنَّ رسولَ الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذي خلقني ولم أكُ شيئاً ، اللهم أعنِّي على هول الدنيا ، وبوائق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام ، اللهم اصحبني في سفري ، واخْلُفني في أهلي ، وباركْ لي فيما رزقتني ، ولك فذلِّلني ، وعلى صالح خُلقي فقوِّمْني ، وإليك ربِّ فحبِّبْني ، وإلى الناس فلا تكِلْني ، ربَّ المستضعفين وأنت ربِّي ، أعوذُ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكُشفت به الظلمات ، وصَلَح عليه أمْرُ الأولين والآخرين ، أنْ تُحلَّ عليَّ غَضَبَك ، وتنزل بي سخطَك ، أعوذ بك من زوالِ نعمتك ، وفجأة نقمتِك ، وتحوُّل عافيتك وجميعِ سخطك . لك العُتْبَى عندي خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام : وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء . . .

(٢) كذا في ح ، ط ، وقال ابن حجر في ترجمته في الإصابة : عبد الله بن أريقط ، ويقال أريقد بالدال بدل الطاء المهملتين ، وهو بقاف بصيغة التصغير اهـ .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) والروض (٢/ ٢٢٤) .

(٤) لم أجده في دلائل أبي نعيم . أقول : الحديث ضعيف ، لأنه عن ابن إسحاق بلاغاً ، فهو منقطع .

قال ابنُ إسحاق[١] : ثم عمدا إلى غارٍ بثَوْر ـ جبلٍ بأسفلِ مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمَّع لهما ما يقولُ الناسُ فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فُهَيرة مولاه أنْ يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى في الغار . فكان عبد الله بن أبي بكر يكونُ في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرونَ به ، وما يقولون في شأن رسولِ الله ﷺ وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامرُ بن فُهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنمَ أبي بكر فاحتلبا وذبحا . فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامرُ بن فُهيرة أثرَهُ بالغنم يُعَفِّى عليه . وسيأتي في سياقِ البخاري ما يشهد لهذا .

وقد [حكى ابنُ جرير[٢] عن بعضهم أنَّ رسولَ الله ﷺ سبق الصديقَ في الذهاب إلى غار ثور ، وأمر عليّاً أنْ يدلَّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه في أثناءِ الطريق .

وهذا غريبٌ جداً ، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً][٣]

قال ابنُ إسحاق[٤] : وكانت أسماءُ بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما . قالت أسماء[٥] : ولما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت لا أدري والله ، أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهلٍ يدَه ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدِّي لطمةً طرح منها قُرْطي ثم انصرفوا .

قال ابنُ إسحاق[٦] : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير أنَّ أباه حدَّثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسولُ الله ﷺ ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كلَّه معه ، خمسة آلاف درهم ـ أو ستة آلاف درهم ـ فانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جدِّي أبو قُحَافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال : والله إني لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت : قلت كلا يا أبة ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذت أحجاراً فوضعَتْها في كُوَّةٍ في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعتُ عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبة ضَعْ يدك على هذا المال . قالت فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغٌ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردتُ أنْ أسكِّن الشيخ بذلك.

---

(١) يتابع هنا الخبر السابق عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) ويختلف هنا من سيرة ابن هشام في تقديم وتأخير بعض الفقر .

(٢) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٤) .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) والروض (٢/ ٢٢٤) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٧) والروض (٢/ ٢٢٥) .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) والروض (٢/ ٢٢٥) .

وقال ابنُ هشام[١] : وحدَّثني بعضُ أهل العلم أنَّ الحسن بن أبي الحسن البصري قال : انتهى رسولُ الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسولِ الله ﷺ ، فلمس الغار لينظرَ أفيه سَبُعٌ أو حيَّة ، يَقِيَ رسولَ الله ﷺ بنفسه .

وهذا فيه انقطاعٌ من طرفيه .

وقد قال أبو القاسم البغوي : حدَّثنا داود بن عمرو الضبيِّ ، حدثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابنِ أبي مُليكة ، أنَّ النبيَّ ﷺ لما خرج هو وأبو بكرٍ إلى ثَوْر ، فجعل أبو بكرٍ يكون أمامَ النبيِّ ﷺ مرَّة . وخلفَهُ مرَّة ، فسأله النبيُّ ﷺ عن ذلك فقال : إذا كنتُ خلفك خشيتُ أنْ تُؤْتَى من أمامك ، وإذا كنتُ أمامَك خشيتُ أن تُؤتَى من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنتَ حتى أُدخل يدي فأُجِسَّهُ وأُقُصَّه ، فإنْ كانتْ فيه دابَّةٌ أصابَتني قبلك . قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جُحْرٌ فألقم أبو بكر رِجْلَهُ ذلك الجُحْر تخوُّفاً أن يخرج منه دابَّةٌ أو شيءٌ يؤذي رسولَ الله ﷺ .

وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أُخر في سيرة الصدِّيق رضي الله عنه[٢] .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنا موسى بن الحسن بن[٤] عباد ، ثنا عفَّان بن مسلم ، ثنا السريُّ بن يحيى ثنا محمد بن سيرين ، قال : ذكر رجالٌ على عهد عمر ، فكأنهم فضَّلوا عمر على أبي بكر ، فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلةٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر ، وليومٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر ؛ لقد خرج رسولُ الله ﷺ ليلةَ انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعةً بين يديه ، وساعة خلفه ، حتى فطِن رسولُ الله ﷺ فقال : « يا أبا بكر ! مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي ؟ » فقال : يا رسولَ الله ! أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرَّصَد فأمشي بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شيءٌ أحببتَ أن يكون بك دوني ؟ » قال : نعم ، والذي بعثك بالحق [ما كانت لتكن من ملمّةٍ إلَّا أحببتُ أنْ تكونَ لي دونك] ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسولَ الله حتى أستبرِىء لك الغار ؛ فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرىء الجِحَرَة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزلْ يا رسول الله . فنزل . ثم قال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خيرٌ من آل عمر .

وقد رواه البيهقي[٥] من وجه آخر عن عمر وفيه : أنَّ أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله ﷺ تارة ،

---

(١) في السيرة (١/ ٤٨٦) والروض (٢/ ٢٢٤) .
(٢) أفرد المؤلف لأبي بكر رضي الله عنه مصنفاً سمَّاه سيرة أبي بكر ، وقد أشار إليه في ص٢٢٧ من هذا الجزء .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٤٧٦) وما يأتي بني معقوفين منه .
(٤) في ط : أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان . وهو تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٨) .
(٥) في الدلائل (٢/ ٤٧٧) .

وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيَتْ رجلا رسولِ الله ﷺ حمله الصدِّيقُ على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجحرة[١] كلَّها ، وبقي منها جحرٌ واحد ، فألقمه كعبه فجعلتِ الأفاعي تنهَشُه ودموعُه تسيل ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « لا تحزَنْ إنَّ الله معنا » .

وفي هذا السياق غرابةٌ ونَكَارة .

ثم قال البيهقي[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : ثنا أبو العباس الأصم ، ثنا عباس الدُّوري ، ثنا أسود بن عامر شاذان ، ثنا إسرائيل عن الأسود ، عن جندب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسولِ الله ﷺ في الغار ، فأصاب يدَه حجَرٌ فقال : [من الرجز]

إنْ أنتِ إلا أصبعٌ دَميتِ وفي سَبيل الله ما لَقيتِ

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجَزَري أنَّ مِقْسماً مولى ابنِ عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] قال : تشاورتْ قريشٌ ليلةً بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوَثَاق ، يريدون النبيَّ ﷺ . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأَطْلَعَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ على ذلك ، فبات عليٌّ على فراش النبيِّ ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبيُّ ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركونَ يحرسُون علياً يحسَبونه النبيَّ ﷺ . فلما أصبحوا ثاروا عليه[٤] ، فلما رأوا علياً ردَّ الله مَكْرَهم . فقالوا : أين صاحبُك هذا ؟ فقال : لا أدري . فاقتصُّوا[٥] أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط[٦] عليهم ، فصعَّدوا [في] الجبل فمرُّوا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال .

وهذا إسنادٌ حسن[٧] ، وهو من أجود ما رُوي في قصة نسْجِ العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله رسولَه ﷺ .

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر[٨] : حدَّثنا بشَّارُ الخفَّاف

---

(١) كذا في ح ، ط والصواب فيه : سدّ تلك الجِحَرَة . وليست العبارة في دلائل البيهقي بهذا اللفظ .
(٢) في الدلائل (٢/ ٤٨٠) .
(٣) في مسنده (١/ ٣٤٨) رقم (٣٢٥١) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) في المسند : إليه .
(٥) في ط : فاقتفوا . والمثبت من ح والمسند .
(٦) في المسند : خُلِّط . وهو أشبه .
(٧) من أين يأتيه الحسن وفي إسناده عثمان الجزري وهو ضعيف ، وهو غير عثمان بن عمرو بن ساج المذكور في التهذيب ، وانظر تخريجه والكلام عليه مفصلاً في تعليقنا على تاريخ الخطيب (١٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) .
(٨) مسند أبي بكر ص ١٤٠ وما يأتي بين معقوفين منه .

حدثنا جعفر بن[١] سليمان ، حدَّثنا أبو عمران الجَوْني ، حدَّثنا المُعَلَّى بن زياد عن الحسن البصري قال : انطلق النبيُّ ﷺ وأبو بكر إلى الغار فدخلا فيه ، فجاء العنكبوت فنسجتْ على باب الغار ، وجاءت قريشٌ يطلبون النبيَّ ﷺ ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نَسْجَ العنكبوت قالوا : لم يدخلْ أحد ، وكان النبيُّ ﷺ قائماً يصلِّي ، وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي ﷺ : فداك أبي وأمي هؤلاء قومُك يطلبونك ، أما والله ما على نفسي أبكي[٢] ، ولكن مخافة أنْ أرى فيك ما أكره . فقال له النبيُّ ﷺ : « يا أبا بكر ، لا تخَفْ[٣] إنَّ اللهَ معنا » .

وهذا مرسلٌ عن الحسن ، وهو حسن بحاله[٤] من الشاهد[٥] ، وفيه زيادةُ صلاة النبيِّ ﷺ في الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلَّى ، وروى هذا الرجل ـ أعني أبو[٦] بكر أحمد بن علي القاضي[٧] ـ عن عمرو الناقد ، عن خلف بن تميم ، عن موسى بن مُطَير[٨] عن أبيه عن أبي هريرة أنَّ أبا بكرٍ قال لابنه : يا بني ، إذا حدث في الناس حدثٌ فأتِ الغارَ الذي اختبأتُ فيه أنا ورسولُ الله ﷺ فكُنْ فيه ، فإنَّه سيأتيكَ رزقُك فيه بُكْرَةً وعَشِيّاً[٩]] .

وقد نظم بعضُهم هذا في شعرِه حيث يقول : [من الخفيف]

نَسْجُ داودَ ما حمى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفخارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أنَّ حمامتَيْن عشَّشَتَا على بابه أيضاً ، وقد نظم ذلك الصَّرْصَرِيُّ في شعره حيث يقول[١٠] :

فعمَّى عليه العنكبوتُ بنسْجِهِ ... وظلَّ على البابِ الحمامُ يَبيضُ

والحديث بذلك رواهُ الحافظ ابنُ عساكر[١١] من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ، حدَّثنا عمرو بن علي ، حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القَيْسي ـ ويُلَقَّب عُوين ـ حدَّثني أبو مصعب المكِّي ، قال : أدركتُ زيد بن أرقم والمغيرةَ بن شعبة وأنس بن مالك ، يذكرون أنَّ النبيَّ ﷺ ليلة الغار ، أمرَ اللهُ شجرةً فخرجتْ

---

(١) في ح ، ط : جعفر وسليمان ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أبي بكر .
(٢) في ط : أثل . وكذا في ح إلا أنها من غير همز ، والمثبت من مسند أبي بكر .
(٣) كذا في ح ، ط ، في مسند أبي بكر : لا تحزن .
(٤) في ط : بماله .
(٥) بشار بن موسى الخفاف ضعيف جداً لا يصلح حديثه للشواهد والمتابعات . (بشار) .
(٦) كذا في ح ، ط والصواب : أبا .
(٧) مسند أبي بكر (ص١١٧) ، وانظر رواية البزار (ص٤٤٧ ح٣) .
(٨) في ح ، ط : مطر تصحيف ، والمثبت من مسند أبي بكر وميزان الاعتدال (٤/ ٢٢٣) .
(٩) في مسند أبي بكر : فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية ، وسيأتي قول المؤلف بتضعيف الرواية .
(١٠) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري أبو زكريا جمال الدين الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦هـ له ديوان شعر صغير مخطوط و « المنتقى من مدائح الرسول » أعلام الزركلي (٨/ ١٧٧) .
(١١) الرواية في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢/ ١٧٨) .

في وَجْهِ النبيِّ ﷺ تسترُه ، وأنَّ الله بعث العنكبوتَ فنسجَتْ ما بينهما ، فسترَتْ وجه رسولِ الله ﷺ ، وأمرَ اللهُ حمامتَيْن وحشيَّتَيْن فأقبلتا[١] تدِفَّان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبلَ فتيانُ قريش من كلِّ بطنٍ منهم رجل ، معهم عِصِيُّهم وقِسِيُّهم وهراواتُهم ، حتى إذا كانوا من رسولِ الله ﷺ قَدْرَ مئتي ذراع قال الدليل ـ وهو سُرَاقةُ بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي ـ : هذا الحَجَر ثم لا أدري أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطىء منذ الليلة ، حتى إذا أصبحنا . قال : انظروا في الغار . فاستبقه القومُ حتى إذا كانوا من النبيِّ ﷺ قَدْرَ خمسين ذراعاً ، فإذا الحمامتان ، فرَجَعَ . فقالوا : ما ردَّكَ أن تنظر في الغار ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفتُ أنْ ليس فيه أحد . فسمعَها النبيُّ ﷺ فعرف أنَّ الله قد دَرَأ عنهما بهما ، فشمَّتَ[٢] عليهما ـ أي برَّكَ عليهما ـ وأحْدَرهما[٣] الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى .

وهذا حديث غريبٌ جدّاً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نُعيم[٤] من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره ، عن عَوْن بن عمرو ـ وهو الملقَّب بِعُوَين ـ بإسناده مثله .

وفيه أن جميعَ حمام مكة من نسل تيك الحمامتَيْن .

وفي هذا الحديث أنَّ القائف الذي اقتفى لهم الأثر سراقةُ بن مالك المُدْلجي .

وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، أنَّ الذي اقتفى لهم الأثر كُرْز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا[٥] الأثر والله أعلم . وقد قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] يقول تعالى مُؤَنِّباً لمنْ تخلَّف عن الجهاد مع الرسول : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ أنتم فإنَّ الله ناصِرُه ومؤيِّدُه ومظفِّره كما نصَرَهُ ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من أهلِ مكة هارباً ليس معه غيرُ صاحبه وصديقِه أبي بكر ، ليس معه غيره ، ولهذا قال : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ أي : وقد لجأا إلى الغار فأقاما فيه ثلاثةَ أيام ليسْكُنَ الطلبُ عنهما ، وذلك لأنَّ المشركين حين فقدوهما كما تقدَّم ذهبوا في طلبهما كلَّ مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردَّهما ـ أو أحدَهما ـ مئةً من الإبل ، واقتصُّوا آثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذي يقتصُّ الأثر لِقُرَيش سُرَاقة بن مالك بن

---

(١) في ح : ومختصر ابن منظور : فأقبلا يدفَّان حتى وقعا ، والمثبت من ط وتدفان : تحركان أجنحتهما .
(٢) في س : فسمَّت . بالسين وكلاهما صحيح ، وقال ابن الأثير : والمعجمة أعلاهما وهو من الدعاء بالخير والبركة النهاية (٢/ ٣٩٧ و٤٩٩) .
(٣) في مختصر ابن منظور : فأخذهما .
(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٤١٩) .
(٥) في ح : اقتصّا .

جُعْشُم كما تقدَّم ، فصعَّدوا [في] الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرُّون على باب الغار ، فتُحاذي أرجلُهم لبابِ الغار ولا يرَوْنَهما ، حفظاً من الله لهما كما قال الإمامُ أحمد[١] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا همام ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ أبا بكرٍ حدَّثه ، قال : قلتُ للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أنَّ أحدَهم نظر إلى قدَمَيْه لأبصَرَنا تحت قدميه فقال : « يا أبا بكر ، ما ظنُّك باثْنَيْن اللهُ ثالثُهما » .

وأخرجَهُ البخاري ومسلم في صحيحَيْهما[٢] من حديث همَّام به .

وقد ذكر بعض أهلِ السِّير أنَّ أبا بكرٍ لما قال ذلك ، قال النبيُّ ﷺ : « لو جاؤنا من هاهنا لذهبنا من هاهنا » فنظر الصدِّيق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتَّصل به . وسفينةٌ مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمنكَرٍ من حيثُ القدرة العظيمة ، ولكنْ لم يردْ ذلك بإسنادٍ قويٍّ ولا ضعيف ، ولسنا نُثْبِتُ شيئاً من تِلْقاءِ أنفسنا ، ولكن ما صحَّ أو حَسُنَ سنَدُه قُلْنا به . والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزَّار[٣] : حدَّثنا الفضلُ بن سهل ، حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا موسى بن مُطَير القُرشي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنَّ أبا بكرٍ قال لابنه : يا بني ، إنْ حدَث في الناس حَدثٌ فأتِ الغار الذي رأيتني اختبأتُ فيه أنا ورسولُ الله ﷺ فكُنْ فيه ، فإنَّه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية[٤] .

ثم قال البزَّار : لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مُطَير هذا ضعيفٌ متروك ، وكذَّبه يحيى بن معين فلا يُقْبَلُ حديثه والله أعلم .

وقد ذكر يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق أنَّ الصدِّيق قال في دخولهما الغار ، وسَيْرهما بعد ذلك وما كان من قصة سُرَاقة كما سيأتي شعراً فمنه قوله : [من البسيط]

قال النبيُّ ـ ولم أجزَعْ ـ يوقِّرني ... ونحنُ في سُدُفٍ[٥] من ظُلمة الغارِ
لا تخشَ شيئاً فإنَّ الله ثالثُنا ... وقد توكَّل لي منهُ بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطوَّلةً جدّاً ، وذكر معها قصيدة أخرى[٦] والله أعلم .

---

(١) في مسنده (١/ ٤) رقم (١١) .
(٢) فتح الباري (٣٦٥٣) فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم ؛ وصحيح مسلم (١ ـ ٢٣٨١) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر .
(٣) مسند البزار (١٠٢) .
(٤) في ح : بكرة وعشيا .
(٥) في دلائل النبوة لأبي نعيم (٢/ ٤٣٢) في سدنة .
(٦) لأبي بكر أيضاً ومطلعها :

وقد روى ابنُ لَهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير ، قال : فمكث رسولُ الله ﷺ بعد الحج ـ يعني الذي بايع فيه الأنصار ـ بقية ذي الحجَّة والمحرَّم وصفر ، ثم إنَّ مشركي قريش أجمعوا أمْرَهم ومكرهم على أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ أو يحبسوه ، أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك ، فأنزل عليه : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الأنفال : ٣٠] الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كلِّ وجه يطلبونهما .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وأنَّ خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً .

وقد تقدَّم عن الحسن البصري فيما ذكره ابنُ هشام التصريح بذلك أيضاً .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدّثنا اللَّيث ، عن عُقَيل ، قال ابنُ شهاب : فأخبرني عروةُ بن الزبير ، عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قالت : لم أعقِلْ أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدِينانِ الدِّين ، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طَرَفي النهارِ بُكْرَةً وعَشِيَّة ، فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحوَ أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد لقيه ابنُ الدُّغُنَّة وهو سيِّد القارة . فذكرتُ ما كان من ردِّهِ لأبي بكر إلى مكة وجِوارَهُ له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فإني أردُّ عليك جوارك وأرضَى بجوارِ الله . قالت : والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة . فقال النبيُّ ﷺ للمسلمين : « إني أُريتُ دارَ هجرتكم ذاتَ نخلٍ بين لابَتَيْن وهما الحرَّتان . فهاجر مَنْ هاجر قبل المدينة ، ورجعَ بعض[٢] من كان هاجر قِبَلَ الحبشة إلى المدينة ، وتجهَّزَ أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسولُ الله ﷺ : « على رِسْلِكَ ، فإني أرجو أنْ يُؤذَنَ لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : « نعم » فحَبَسَ أبو بكر نفسهُ على رسولِ الله ﷺ ليصحَبَه ، وعلفَ راحلتَيْن كانتا عنده ورقَ السَّمُر ـ وهو الخَبَط ـ أربعة أشهر . [وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر][٣] ـ قال ابنُ شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوسٌ في بيت أبي بكر في حرِّ الظهيرة ، فقال قائلٌ لأبي بكر : هذا رسولُ الله ﷺ متقنِّعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر : فداءٌ له أبي وأمِّي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمْر . قالت : فجاء رسولُ الله ﷺ فاستأذن ، فأذِنَ له ، فدخل ، فقال النبيُّ ﷺ : « أخْرِجْ مَنْ عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلُكَ بأبي أنت يا رسول الله . قال : فإنه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصُّحْبَة بأبي أنت وأمي ؟ قال النبيُّ ﷺ « نعم » قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين . فقال رسولُ الله ﷺ : « بالثمن » . قالت عائشة : فجهَّزناهما أحثَّ الجَهَاز[٤] ، فصنعنا لهما

= ألم ترني صاحبتُ أيمن صاحب على واضح من سُنَّة الحق منهج

(١) البخاري (٢٢٩٨) في الحوالة : باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ والمناقب (٣٩٠٦) باب هجرة النبي ﷺ .

(٢) في فتح الباري : ورجع عامة من كان هاجر .

(٣) ليس ما بين المعقوفين في صحيح البخاري « فتح » .

(٤) « أحث » : بالمهملة والمثلثة أفعل تفضيل من الحث وهو الإسراع ، وفي رواية لأبي ذر : أحب . بالموحدة ، =

سُفْرَةً في جِرَاب ، فقطعتْ أسماءُ بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها فربطَتْ به على فم الجِرَاب ، فبذلك سُمِّيت ذات النطاقَيْن . قالت : ثم لحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبلِ ثَوْر ، فمكثا فيه ثلاثَ ليال ، يبيتُ عندهما عبدُ الله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لَقِن ، فيُدْلج من عندهما بسَحَر ، فيُصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يُكادان به إلا وَعَاه ، حتى يأتيَهما بخبرِ ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامرُ بن فُهَيرة مولى أبي بكر مِنْحَةً[1] من غَنَم ، فيريحها عليهما حين يذهب ساعةً من العشاء ، فيبيتانِ في رِسْل[2] ـ وهو لَبَنُ مِنْحَتِهما ورَضِيفُهما[3] ـ حتى يَنْعِقَ بهما[4] عامرُ بن فُهيرة بغَلَس ، يفعل ذلك في كلِّ ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيْل[5] وهو من بني عبد بن عَدِي هاديا خِرِّيتاً ـ والخِرِّيت : الماهر بالهداية[6] ـ قد غَمَس حِلْفاً[7] في آل العاص بن وائل السَّهْمي وهو على دين كُفَّار قريش فأمِنَاه فدفعا إليه راحلتَيْهما ، وواعداه غارَ ثَوْر بعد ثلاث ليال براحلتَيْهما صُبْحَ ثلاثِ ليال[8] . وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليل فأخذ بهم طريقَ السواحل .

قال ابنُ شهاب[9] : فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المُدْلِجيّ ـ وهو ابنُ أخي سُرَاقة ـ أنَّ أباه أخبره أنه سمع سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم . يقول : جاءنا رُسل كُفَّارِ قريش يجعلونَ في رسولِ الله ﷺ وأبي بكر دِيَةَ كلِّ واحدٍ منهما لمن قَتَله أو أسره ؛ فبينما أنا جالسٌ في مجلسٍ من مجالسِ قومي بني مُدْلج إذْ أقبلَ رجلٌ منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : يا سُراقة إني رأيت آنفا أَسْوِدَةً بالسَّاحل[10] ، أراها محمداً وأصحابَه . قال سراقة : فعرفتُ أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنَّك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا

= والأول أصح . والجهاز بفتح الجيم وقد تكسر : ما يُحتاج إليه في السفر . فتح الباري (٧/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

(١) « المِنْحَة » : أن يعطيه ناقة أو شاة ، ينتفع بلبنها ويُعيدها ، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زماناً ثم يردُّها . النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٦٤) .

(٢) « الرِّسْل » : اللبن الطَّري . قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٣٧) .

(٣) « الرَّضيف » : اللبن المرضوف ، أي الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته ، وهو بالرفع ويجوز الجر . فتح الباري (٧/ ٢٣٧) ووقع في ط : ورضيعهما . تصحيف .

(٤) « ينعق بهما » : أي يسمعهما صوته إذا زجر غنمه . قاله ابن حجر في الفتح ، وهي رواية أبي ذر ، وأما رواية ط والصحيح فـ : حتى ينعق بها . أي يصيح بغنمه .

(٥) « الدِّيل » : بكسر الدال وسكون التحتانية ، وقيل بضم أوله وكسر ثانيه مهموز . فتح الباري (٧/ ٢٣٧) .

(٦) هذا التفسير مدرج في الخبر من كلام الزُّهري بيَّنه ابن سعد . فتح الباري (٧/ ٢٣٨) .

(٧) أي كان حليفاً ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دم أو خلوق أو في شيء يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيداً للحلف . فتح الباري (٧/ ٢٣٨) .

(٨) ليست اللفظة في صحيح البخاري .

(٩) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٤٠) : هو موصولٌ بإسناد حديث عائشة السابق . وهو في الفتح (٣٩٠٦) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ .

(١٠) « أسودةً » : أي أشخاصاً . فتح الباري (٧/ ٢٤١) .

بأعْيُننا ، ثم لبثتُ في المجلس ساعة ، ثم قمتُ فدخلتُ فأمَرْتُ جاريتي أن تخرُجَ بفرسي وهي من وراءِ أكَمَةٍ فتحبسَها عليَّ ، وأخذتُ رُمْحي فخرجتُ به من ظَهْر البيت ، فخططت بزُجِّهِ الأرضَ وخفَضْتُ عالِيَهُ[١] ، حتى أتيتُ فرسي فركبتُها فرفَعْتُها تُقَرِّبُ بي[٢] حتى دنوتُ منهم ، فعثرَتْ بي فرسي فخرَرْتُ عنها ، فقُمتُ فأهوَيْتُ يدي إلى كنانتي فاستخرَجْتُ منها الأزلام فاستقسمتُ بها : أضرُّهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبتُ فرسي وعصَيْتُ الأزلام فجعل فرسي يُقَرِّبُ بي ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفِتُ ، وأبو بكرٍ يُكثر الالتفات ساخَتْ يدا فرسي في الأرض[٣] ، حتى بلغتا الرُّكْبَتَيْن ، فخررتُ عنها فقمتُ فأهويت ، ثم زجرتُها فنهضَتْ ، فلم تكد تُخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها غبارٌ[٤] ساطعٌ في السماء مثل الدخان ، فاستقسمتُ بالأزلام ، فخرج الذي أكره ؛ فناديتُهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبتُ فرسي حتى جئتُهم ، ووقع في نفسي حين لَقِيتُ ما لقيتُ من الحَبْس عنهم أنْ سيظهرُ أمْرُ رسولِ الله ﷺ ، فقلتُ له : إنَّ قومك قد جعلوا فيك الدِّيَة . وأخبرتُهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع فلم يَرْزَآني ولم يسألاني إلا أن قال[٥] : أخْفِ عنَّا . فسألتُه أن يكتُبَ لي كتابَ أمْنٍ ، فأمر عامر بن فُهَيرة فكتب في رقعةٍ من أدَم . ثم مضَى رسولُ الله ﷺ .

[وقد روى محمد بن إسحاق[٦] ، عن الزُّهْري ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم ، عن أبيه ، عن عمه سُرَاقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أولَ ما خرج من منزله ، فخرج السهمُ الذي يكره لا يضرُّه ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذي يكره لا يضرُّه . حتى ناداهم بالأمان . وسأل أن يكتب له كتاباً يكون أمارةَ ما بينَه وبين رسولِ الله ﷺ ؛ قال : فكتب لي كتاباً في عَظْم ـ أو رقعة أو خِرْقَة ـ وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجِعِرَّانة[٧] مرجعه من الطائف ، فقال له : « يوم وفاءٍ وبرّ ، ادْنُهْ » فدنَوْتُ منه وأسلمتُ .

---

(١) « الزُّج » : الحديدة التي في أسفل الرمح . وخفضت : أي أمسكه بيده وجرَّ زُجَّه على الأرض فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه ، لأنه كره إن تبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة . فتح الباري (٧/ ٢٤١) .

(٢) « فرفعتها » : أي أسرعت بها السير . وتقرّب بي : من التقريب ، وهو السير دون العدو وفوق العادة ، وقيل : أن ترفع الفرس يديها معاً وتضعهما معاً . فتح الباري (٧/ ٢٤١) وصحفت العبارة في ط إلى : فدفعتها ففرت بي ، وهي على الصواب في ح .

(٣) « ساخت » : غاصت . فتح (٧/ ٢٤١) .

(٤) لفظ البخاري في الفتح : عُثَان . بضم المهملة بعدها مثلثة خفيفة ، أي دخان . قال معمر : قلت لأبي عمرو بن العلاء : ما العثان ؟ قال : الدخان من غير نار ، وفي رواية الكشميهني : غبار بمعجمة ثم موحدة ثم راء . قاله ابن حجر .

(٥) في ط : قالا ، والمثبت من ح والبخاري .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٩) والروض (٢/ ٢٢٥) .

(٧) مضى التعريف بالجعرانة وضبطها ص(٦٠ ح٩) .

قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعْشُم . وهذا الذي قاله جيد .

ولما رجع سُرَاقة جعل لا يلقى أحداً من الطلب إلا ردَّه وقال : كُفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أنَّ رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة . جعل سُراقة يقصُّ على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبيِّ ﷺ وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساءُ قريش معرَّته ، وخَشُوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثيرٍ منهم ، وكان سُراقة أميرَ بني مُدْلِج ورئيسَهم ، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ إليهم : [من الطويل]

بني مدلج إني أخافُ سفيهَكم   سُـرَاقَـةُ مستغـوٍ لنصـرِ محمـدِ
عليكم به ألا يفرِّق جمعَكم   فيصبحَ شتَّى بعد عِزٍّ وسؤدُدِ

قال فقال سُراقة بن مالك يُجيب أبا جهل في قوله هذا : [من الطويل]

أبا حكم واللهِ لو كنتَ شاهداً   لأمرِ جوادي إذ تسُوخُ قوائمُهْ
عجبتَ ولم تشكُكْ بأنَّ محمداً   رسولٌ وبرهانٌ فمن ذا يقاومُهْ
عليكَ فكُفَّ القومَ عنه فإنني   إخالُ لنا يوماً ستبدو معالمه
بـأمرٍ تـودُّ النصـرَ فيـه فـإنهـم   وإنّ جميعَ الناسِ طرّاً مُسالمه

وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق ، وقد رواه أبو نعيم[١] بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمَّن كفراً بليغاً][٢] .

وقال البخاري[٣] بسنده إلى ابن شهاب : فأخبرني عروةُ بن الزبير ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لَقِيَ الزبير في ركبٍ من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكَسَا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسولِ الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدُونَ كلَّ غداةٍ إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أوَوْا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ من آطامِهم لأمرٍ ينظرُ إليه ، فبصُر برسولِ الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِين[٤] ، يزولُ بهم السراب[٥] ، فلم يملكِ اليهوديُّ أنْ قال بأعلى صوتِه : يا معشرَ العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقَّوْا رسولَ الله ﷺ بظهر الحَرَّة ، فعدل بهم ذاتَ اليمينِ حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهرِ ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسولُ الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسولَ الله ﷺ يُحيِّي أبا بكر حتى أصابتِ الشمسُ رسولَ الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٥) .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .
(٣) فتح الباري (٧/ ٢٣٩) .
(٤) أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير . فتح (٧/ ٢٤٣) .
(٥) أي يزول السراب من النظر بسبب عروضهم له . فتح (٧/ ٢٤٣) .

بردائه، فعرف الناسُ رسولَ الله ﷺ عند ذلك، فلبثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعَ عشرةَ ليلة، وأُسِّسَ[١] المسجدُ الذي أُسِّسَ على التقوى، وصلَّى فيه رسولُ الله ﷺ، ثم ركب راحلته، وسار يمشي معه الناسُ حتى بركَتْ عند مسجد رسولِ الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلِّي فيه يومئذٍ رجالٌ من المسلمين، وكان مِرْبداً للتمر، لسُهيلٍ وسهل، غلامَيْن يتيمين في حَجْر أسعد بن زُرَارة، فقال رسولُ الله ﷺ حين بركَتْ به راحلته: «هذا إنْ شاء الله المنزل»، ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغلامَيْن فساوَمَهُما بالمِرْبَدِ ليتَّخِذَهُ مسجداً، فقالا: بل نهَبُه لكَ يا رسول الله، فأبى رسولُ الله ﷺ أنْ يقبلَهُ منهما هِبَةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً. فطفِق رسولُ الله ﷺ ينْقُلُ معهم اللَّبنَ في بُنْيانه، وهو يقول حين ينقلُ اللَّبِنَ: [من الرجز]

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ هـــذا أبــرُّ رَبَّنــا وأطْهَــرْ[٢]

ويقول: [من الرجز]

لا هُمَّ إنَّ الأجرَ أجرُ الآخرَهْ فـارْحَـم الأنصـارَ والمُهـاجـرَهْ

فتمثَّل بشعرِ رجلٍ من المسلمين لم يُسَمَّ لي[٣].

قال ابن شهاب: ولم يبلُغْنا في الأحاديث أنَّ رسولَ الله ﷺ تمثَّل ببيتِ شعرٍ تامّ غير هذه الأبيات.

هذا لفظُ البخاري وقد تفرَّد بروايتِهِ دونَ مسلم، وله شواهد من وجوهٍ أُخَر، وليس فيه قصةُ أمِّ معبد الخزاعيَّة، ولنذكُر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أوَّلاً فأوَّلاً.

قال الإمامُ أحمدُ[٤]: حدَّثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العَنْقَزي، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البَرَاء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر من عازب سَرْجاً بثلاثةَ عشرَ درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مُرِ البراءَ فلْيحملْهُ إلى منزلي. فقال: لا، حتى تحدِّثنا كيف صنعتَ حين خرجَ رسولُ الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدْلجنا فأحْثَثْنا يومنا وليلتَنا حتى أظهرنا، وقام قائمُ الظهيرة، فضربتُ بصري[٥] هل أرى ظِلاًّ نأوي إليه، فإذا أنا بصخرةٍ فأهويتُ إليها فإذا بقيةُ ظِلِّها، فسوَّيْتُه لرسولِ الله ﷺ وفرشتُ له فروةً وقلت: اضْطَجِعْ يا رسولَ الله فاضطجع، ثم خرجتُ أنظر هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنابراعي

---

(١) الضبط من صحيح البخاري.

(٢) «الحِمال»: المحمول من اللَّبن. أبرُّ: عند الله أي أبقى ذُخْراً من حمال خيبر، أي التي يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك. قال ابن حجر: ووقع في بعض النسخ في رواية المستملي: الجمال. بفتح الجيم، وقوله: ربنا: منادى مضاف. اهـ فتح (٧/ ٢٤٦).

(٣) قال ابن حجر: قال غير الزهري: إن الشعر المذكور لعبد الله بن رواحة فكأنه لم يبلغه. وما في الصحيح أصح وهو قوله: شعر رجل من المسلمين، وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصاً الرجز في الحرب والتعاون على سائر الأعمال الشاقة اهـ.

(٤) في مسنده (١/ ٣) وما يأتي بين معقوفين منه.

(٥) في المسند: ببصري.

غنم ، فقلتُ : لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجلٍ من قريش . فسمَّاه . فعرفتُه ، فقلت : هل في غنمكَ من لَبَن ؟ قال : نعم . قلت : هل أنت حالبٌ لي ؟ قال : نعم ! فأمرتُه ، فاعتقل شاةً منها ثم أمرتُه فنفض ضَرْعَها من الغبار ، ثم أمرتُه فنفض كفَّيه من الغبار ، ومعي إداوةٌ على فمها خِرْقَة ، فحلب لي كُثْبَةً[١] من اللَّبَن فصبَبْتُ ـ [يعني الماء] ـ على القدَحِ حتى برد أسفله ، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ فوافَيْتُه وقد استيقظ ، فقلت : اشرَبْ يا رسول الله فشرِبَ حتى رضيتُ ، ثم قلت : هل آنَ[٢] الرحيلُ ؟ فارتحلنا والقومُ يطلبوننا ، فلم يُدْرِكْنا أحد منهم إلا سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم على فرسٍ له ، فقلت : يا رسولَ الله هذا الطلب قد لحِقَنا ؟ قال : « لا تحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا » حتى إذا دنا منَّا ، فكان بيننا وبينه قَدْرُ رمحٍ أو رمحين ـ أو قال : رمحين أو ثلاثة ـ قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ؟ وبكَيْت ، قال : لمَ تبكي ؟ قلت : أما والله ما على نفسي أبكي ، ولكنْ أبكي عليك . فدعا عليه رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهمَّ اكفِنَاهُ بما شئت » فساخَتْ قوائمُ فرسه إلى بطنها في أرض صَلْد ، ووثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمتُ أنَّ هذا عملك ، فادعُ الله أنْ يُنجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعَمِّيَنَّ على مَنْ ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذْ منها سهماً فإنك ستمرُّ بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا فخُذْ منها حاجتك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « لا حاجة لي فيها » ودعا له رسولُ الله ﷺ فأطلق ورَجَع إلى أصحابه ؛ ومَضَى رسولُ الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقَّاه الناسُ فخرجوا في الطرق وعلى الأناجير[٣] واشتدَّ الخدم والصبيانُ في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسولُ الله ﷺ ، جاء محمد . قال : وتنازَعَ القومُ أيُّهم ينزلُ عليه ، قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « أنزلُ الليلة على بني النجَّار أخوالِ عبدِ المطلب لأُكْرِمَهُمْ بذلك » فلما أصبح غدا حيث أُمِر .

قال البراء : أولُ مَنْ قدم علينا من المهاجرين مُصعب بن عُمير أخو بني عبدِ الدار ، ثم قدِم علينا ابنُ أمِّ مكتوم الأعمى أحدُ[٤] بني فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرينَ راكباً ، فقلنا ما فعل رسولُ الله ؟ قال : هو على أثري ، ثم قدم رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ معه . قال البراء : ولم يقدَمْ رسولُ الله ﷺ حتى قرأتُ سُوراً من المفصَّل .

أخرجاهُ في الصحيحَيْن من حديث إسرائيل بدون قولِ البراء : أول من قدم علينا إلخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به[٥] .

---

(١) « الكُثْبَة » : كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك . النهاية لابن الأثير (٤/ ١٥١) .

(٢) في المسند : أنى وفي طبعة شاكر : آنى . ووقع في ح : أتى . وفوقها « ن » .

(٣) في ح : في الطرق وفي الأناجير . والمثبت من المسند ، وفي النهاية لابن الأثير (١/ ٢٦) : في السوق وعلى الأجاجير والأناجير . وفيه : الإجَّاء والإنجاز : السطح وجمعه أجاجير وأناجير .

(٤) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : أخو .

(٥) فتح الباري (٣٦١٥) المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، وصحيح مسلم (٧٥ ـ ٢٠٠٩) الزهد والرقائق باب في=

وقال ابنُ إسحاق[١] : فأقام رسولُ الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر ، وجعلتْ قريشٌ فيه حين فقدوه مئة ناقة لمن ردَّه عليهم[٢] ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجره ببعيرَيْهما وبعيرٍ له ، وأتتهما أسماءُ بنتُ أبي بكر بسُفْرتهما ، ونسيتْ أن تجعل لها عِصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلِّق السُّفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نِطَاقها فتجعله عصاماً ثم علَّقتها به . فكان يقال لها ذات النطاقَيْن لذلك .

قال ابنُ إسحاق[٣] : فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسولِ الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال : اركَبْ فداك أبي وأمي ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أركبُ بعيراً ليس لي » قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي . قال : « لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتَها به ؟ » قال : كذا وكذا . قال « أخذتُها بذلك » قال : هي لك يا رسول الله .

وروى الواقديُّ بأسانيده[٤] أنه عليه السلام أخذ القصواء ، قال وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمئة درهم .

وروى ابن عساكر[٥] من طريق أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : وهي الجَدْعاء وهكذا حكى السُّهيلي[٦] عن ابن إسحاق أنها الجدعاء . والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق[٧] : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه ليخدمَهما في الطريق . فحُدِّثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل ؛ فذكر ضربَهُ لها على خدِّها لَطْمةً طرح منها قُرْطها من أذنها كما تقدَّم . قالت : فمكثنا ثلاث ليالٍ ما ندري أين وجهُ رسولِ الله ﷺ حتى أقبل رجلٌ من الجِنّ من أسفل مكة يتغنَّى بأبياتٍ من شعر غناءِ العرب ، وإنَّ الناس ليتَّبعونه ، يسمعون صوته وما يرَوْنه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول : [من الطويل]

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائِهِ ... رفيقَيْن حلاَّ خيمتي أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبرِّ ثم تروَّحا ... فأفلحَ من أمسى رفيقَ محمدِ

= حديث الهجرة . قلت : أما قول البراء فقد أخرجه البخاري من طريق شعبة عن أبي إسحاق في الفتح (٣٩٢٥) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٦) والروض (٢/ ٢٢٤) .
(٢) زاد ابن هشام هنا ما حذفه ابن كثير لتقدمه .
(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٦) والروض (٢/ ٢٢٤) .
(٤) طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٨) .
(٥) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٥٧) .
(٦) في الروض (٢/ ٢٣٠) .
(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٧) والروض (٢/ ٢٢٥) .

ليهْـنِ بنـي كعـبٍ مكـانُ فتـاتهـم ومقعـدُهـا للمـؤمنيـنَ بمَـرْصَـدِ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيثُ وَجْهُ رسولِ الله ﷺ ، وأنَّ وجهه إلى المدينة .

قال ابنُ إسحاق[١] : وكانوا أربعة ؛ رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقد ، كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أُرَيقط الدُّئلي . وكان إذ ذاك مشركاً .

قال ابن إسحاق[٢] : ولما خرج بهما دلُيلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفلَ مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفلَ من عُسْفان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَجَ[٣] ، ثم استجاز بهما حتى عارَضَ الطريقَ بعد أن أجاز قُدَيداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرَّار[٤] ثم أجاز بهما ثنيَّةَ المَرَة ، ثم سلك بهما لَقْفاً[٥] ، ثم أجاز بهما مَدْلَجة لَقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلَجة مِجَاجَ[٦] ثم سلك بهما مَرْجِحَ مجَاج ، ثم تبطَّن بهما مَرْجحَ من ذي الغَضَوَيْن[٧] ، ثم بطن ذي كَشْر[٨] ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأجْرَد ، ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعداء مَجْلجة تِعْهِن[٩] ، ثم على العَبَابيدَ[١٠] ، ثم أجاز بهما القاحَة[١١] ثم هبط بهما العَرْج وقد أبطأ عليهم بعضُ ظَهْرِهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يقال له أوس بن حُجْر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هُنيدة ، ثم خرج بهما دليلُهما من العَرْج ، فسلك بهما ثنية العائر عن يمين رَكوبة ـ ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن رئم ، ثم قدم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) والروض (٢/ ٢٢٥) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩١) والروض (٢/ ٢٣٦) .

(٣) « أمج » : بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان (١/ ٢٤٩) .

(٤) « الخرار » : واد من أودية المدينة معجم البلدان (٢/ ٣٥٠) .

(٥) ويقال : لفتاً وتكسر اللام ، الروض (٢/ ٢٤٤) .

(٦) اختلف في ضبطه فقيل : مِجَاج ، ومِجَاح ، ومُجَاح ، ومَجاج وقال السهيلي في الروض (٢/ ٢٤٤) : وقد ألفيت شاهداً لرواية ابن إسحاق في لقف ، وفيه ذكر مجاح بالحاء المهملة بعد الجيم وهو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعـن الله بـن لقـف مسيـلاً ومجاحاً وما أحب مجاحاً
لقيـت نـاقتـي بـه وبلقـف بلداً مجدباً وأرضاً شحاحاً

وانظر معجم البلدان (٥/ ٥٥) .

(٧) في ح ، ط : العَضَوين . بالعين المهملة ـ وهي رواية كما قال ابن هشام ، والمثبت من السيرة والروض ومعجم البلدان (٤/ ٢٠٦) .

(٨) في ح ، ط : ذي كشد . بالدال المهملة ، والمثبت من السيرة والروض ومعجم البلدان (٤/ ٤٦٢) .

(٩) قيل فيه : تِعْهِن وتَعْهِن وتُعهن . معجم البلدان (٢/ ٣٥) .

(١٠) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٤٩١) : ويقال : العبابيب .

(١١) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٤٩١) : ويقال : الفاجَّة . بالفاء والجيم .

بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضَّحاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها . والله أعلم[١] .

قال أبو نعيم[٢] : حدَّثنا أبو حامد بن جبلة ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ـ هو[٣] السرَّاج ـ حدَّثنا محمد ابن عبَّاد بن موسى العُكْلي[٤] ، حدَّثني أبي موسى بن عبَّاد ، حدَّثني عبد الله بن يَسَار[٥] ، حدَّثني إياس ابن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه . قال : لما هاجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكر مرُّوا بإبلٍ لنا بالجُحْفَة ، فقال رسولُ الله ﷺ : « لمن هذه الإبل ؟ » فقالوا : لرجلٍ من أسلم . فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سلمت إنْ شاء الله » فقال : « ما اسمك ؟ » قال : مسعود . فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سعدت إنْ شاء الله » . قال فأتاهُ أبي فحمله على جملٍ يقال له ابن الرداء[٦] .

قلت : وقد تقدَّم عن ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين .

والظاهر أنَّ بين خروجِه عليه السلام من مكة ودخولِه المدينة خمسة عشر يوماً ، لأنه أقام بغار ثَوْر ثلاثةَ أيام ، ثم سلك طريق الساحل ، وهي أبعدُ من الطريق الجادّ ، واجتاز في مروره على أُمِّ معْبَد بنت كعب ، من بني كعب بن خُزَاعة .

قال ابن هشام : وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف[٧] بن مَعْبَد بن ربيعة بن أصْرَم .

وقال الأموي : هي عاتكة بنت تبيع خُليف بن مُنقذ بن ربيعة بن أصْرَم بن ضَبيس بن حَرَام بن حُبْشيَّة ابن كعب بن عمرو[٨] ، ولهذه المرأة من الولد مَعْبَد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد ، واسمه أكتم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن ضَبيس ، وقصته مشهورة مرويَّة من طرق يشدُّ بعضُها بعضا .

وهذه قصة أُمِّ معبد الخُزَاعيَّة :

---

(١) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم .

(٢) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهي في الإصابة في ترجمة أوس بن عبد الله ومالك بن أوس ، وفي الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ١٩٠) .

(٣) في ط : عن السرَّاج . والمثبت من ح .

(٤) في ط : محمد بن عبادة بن موسى العجلي . تصحيف ، والمثبت من ح وأنساب السمعاني (٩/ ٣٣) .

(٥) في ح ، ط : سيار تصحيف ، والمثبت من الإصابة .

(٦) في ح : ابن الردِّي .

(٧) كذا في ح ، ط وفي الإصابة والروض : عاتكة بنت خالد ، وهو أشبه بالصواب .

(٨) أصاب النسب في مختلف المصادر تصحيف وتحريف كثير . انظر الاشتقاق لابن دريد (ص٤٧٤ و٤٧٣) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٢٣٨) والروض (٢/ ٢٣٥) وأثبتُّ ما ظننته أقرب للصواب فيها .

قال يونس عن ابن إسحاق[١] : فنزل رسولُ الله ﷺ بخيمة أمِّ معبد ، [واسمها عاتكة بنت خَلَف بن معبد بن ربيعة بن أصرم][٢] فأرادوا القِرَى ، فقالت : والله ما عندنا طعامٌ ولا لنا مِنْحَةٌ[٣] ولا لنا شاةٌ إلا حائل ، فدعا رسولُ الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضَرعها بيده ، ودعا الله وحلبَ في العُسّ حتى أرْغَى وقال : « اشربي يا أمَّ مَعْبَد » فقالت : اشرَبْ فأنت أحقُّ به ، فردَّهُ عليها فشربَتْ ، ثم دعا بحائلٍ أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائلٍ أخرى ففعل بها مثل ذلك فسَقَى دليله ، ثم دعا بحائلٍ أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروَّح .

وطلبتْ قريش رسولَ الله ﷺ حتى بلغوا أمَّ معبد ، فسألوا عنه فقالوا : أرأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون ، قدِمَنا فتًى حالبُ الحائل . قالت قريش : ذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار[٤] : حدّثنا محمد بن معمر ، حدّثنا يعقوب بن محمد ، حدّثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : لما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر مهاجرَيْن فدخلا الغار ، إذا في الغار جُحْر ، فألْقَمَه أبو بكر عَقِبَه حتى أصبح مخافَةَ أن يخرُجَ على رسول الله ﷺ منه شيءٌ ، فأقاما في الغار ثلاثَ ليال ، ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أمِّ معبد ، فأرسلَتْ إليه أمُّ معبد : إني أرى وجوهاً حساناً ، وإنَّ الحيَّ أقوى على كرامتكم منِّي ، فلما أمْسَوْا عندها بعثَتْ مع ابنٍ لها صغير بشفرةٍ وشاة . فقال رسولُ الله ﷺ : « اردُدِ الشفرةَ وهاتِ لنا فَرَقاً » ـ يعني القَدَح[٥] ـ فأرسلتْ إليه أن لا لَبَنَ فيها ولا وَلَد . قال : « هاتِ لنا فَرَقاً » فجاءت بفرقٍ فضرَب ظهرها فاجترَّتْ ودرَّت ، فَحَلب فملأ القدح ، فشرِبَ وسَقَى أبا بكر ، ثم حلب فبعث به إلى أمِّ معبد .

ثم قال البزَّار : لا نعلمه يُروى [بهذا اللفظ] إلَّا بهذا الإسناد ، وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدَّث عنه إلَّا يعقوب بن محمد ، وإن كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي[٦] من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني ، سمعتُ عبد الرحمن بن أبي ليلى [يحدث] عن أبي بكر الصديق . قال : خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ من مكة ، فانتهينا إلى حيٍّ من أحياء العرب ، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى بيت مُنْتَحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة ، فقالت : يا عبد الله ، إنما أنا امرأة وليس

---

(١) رواية ابن إسحاق هذه في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٩٣) .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .
(٣) « المنحة » : الناقة .
(٤) كشف الأستار للهيثمي (١٧٤٢) الهجرة والمغازي باب الهجرة إلى المدينة وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) « الفرَق » : مكيال يسع ثلاثة آصُع عند أهل الحجاز . النهاية لابن الأثير .
(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٤٩١) .

معي أحد ، فعليكما بعظيم الحيِّ إنْ أردتم القِرَى . قال : فلم يُجِبْها وذلك عند المساء ، فجاء ابنٌ لها بأعْنُزٍ يسوقُها ، فقالت : يا بني انطلقْ بهذه العَنْز والشَّفْرَة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمِّي اذْبَحَا هذه وكُلا وأطعمانا فلما جاء قال له النبيُّ ﷺ : « انطلق بالشفرة وجئني بالقَدَح » قال : إنها قد عزَبَتْ وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبيُّ ﷺ ضَرْعَها ، ثم حلب حتى مَلأ القدَح ، ثم قال : « انطلقْ به إلى أمِّك » فشربت حتى رويَتْ ، ثم جاء به فقال : « انطلقْ بهذه وجئني بأخرى » ففعل بها كذلك ، ثم سَقَى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبيُّ ﷺ فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا .

فكانت تسمِّيه المُبَارَك . وكَثُرَتْ غنمُها حتى جلبَتْ جَلْباً إلى المدينة ، فمرَّ أبو بكرٍ فرأى ابنَها فعرَفَه فقال : يا أُمَّهْ ، هذا الرجل الذي كان مع المُبَارك . فقامت إليه فقالت : يا عبد الله ، من الرجلُ الذي كان معك ؟ قال : أو ما تدرين من هو ؟ قالت : لا ، قال : هو نبيُّ الله . قالت : فأدخلني عليه . قال : فأدخَلَها ، فأطعمها رسولُ الله ﷺ وأعطاها ـ زاد ابنُ عبدان في روايته : ـ قالت : فدُلَّني عليه ، فانطلقتْ معي وأهدَتْ لرسولِ الله شيئاً من أقِطٍ ومتاعِ الأعراب . قال : فكساها وأعطاها . قال : ولا أعلمه إلا قال وأسلمَتْ .

إسنادٌ حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهةٌ بقصةِ أُمِّ معبد ، والظاهر أنها هي والله أعلم .

وقال البيهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا الحسن[٢] بن مُكرم ، حدَّثني أبو أحمد بشر بن محمد السُّكَّري ، حدثنا عبد الملك بن وهب المَذْحِجي ، حدثنا الحُرُّ بن الصَّيَّاح[٣] عن أبي مَعْبَد الخُزَاعي أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج ليلةَ هاجر من مكة إلى المدينة ، هو وأبو بكرٍ وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، ودليلُهم عبد الله بن أُرَيْقِط اللَّيْثي ، فمرُّوا بخيمتي أمِّ معبد الخزاعيَّة ، وكانت أمُّ معبد امرأةً بَرْزَةً[٤] جَلْدَة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة

---

(١) سقطت هذه الرواية من دلائل النبوة المطبوع للبيهقي وقد تسرَّع محققه (٢/ ٤٩٤) في الحاشية فذكر أن البيهقي لم يعرج على قصة أم معبد ، ولو أنه أمعن النظر في المتن وما هو مثبت هنا لما قال ذلك . قال البيهقي في (٢/ ٤٩٣) : فيحتمل أن يكون أولاً أي التي في كِسْر الخيمة ، كما روينا في حديث أم معبد ، ثم رجع ابنها بأعنز ، كما روينا في حديث ابن أبي ليلى ، ثم لما أتى زوجها وصفته له والله أعلم . فدل هذا على أن البيهقي روى حديث أم معبد قبل رواية ابن أبي ليلى ولو فتشت عنه قبلها لما وجدته وهذا يعني أنه سقط من النسخ التي اعتمدها في التحقيق والله أعلم . وقد ساق الحاكم إسناد هذه الرواية في المستدرك (٣/ ١١) .

(٢) في المستدرك : الحسين بن مكرم . تصحيف ، ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٢) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٢).

(٣) في ط : أبجر بن الصباح ، وفي ح : الحر بن الصباح . وكذا في المستدرك وكله تصحيف والمثبت من ترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٥١٤) والإكمال (٥/ ١٦١) .

(٤) « البَرْزَة » : الكَهْلَة التي لا تحتجب احتجاب الشوابّ ، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم . النهاية لابن الأثير (١/ ١١٧) .

فتُطعِمُ وتَسْقي ، فسألوها هل عندهـا لحمٌ أو لبنٌ يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك . وقالت : لـو كان عندنا شيءٌ مـا أعوزكم القِرَى ؛ وإذا القومُ مُرْمِلُون مُسْنِتُون . فنظر رسولُ الله ﷺ فإذا شاةٌ في كِسْرِ خيمتها فقال : « ما هذه الشاةُ يا أمَّ معبد ؟ » فقالت : شاةٌ خلَّفَها الجَهْدُ عن الغَنَم قال : « فهل بهـا من لبن ؟ » قالت : هي أجهدُ من ذلك قال : « تأذنينَ لي أن أحْلِبَها ؟ » قالت : إنْ كان بها حَلَبٌ فاحْلبها . فدعا رسولُ الله ﷺ بالشاة ، فمسحَها وذكر اسْمَ الله ، ومَسَحَ ضَرْعَها وذكر اسم الله ودعا بإناء لها يُرْبِضُ الرَّهْطَ[١] فتفَاجَّتْ ودَرَّتْ واجْتَرَتْ[٢] ، فحلب فيه ثجاً حتى عَلاهُ البَهاءُ[٣] فسقاها وسقى أصحابه ، فشربوا عَللاً بعد نَهَل ، حتى إذا رَوُوا شرب آخِرهم وقال : « ساقي القومِ آخرهم » . ثم حلب فيه ثانياً عَوْداً على بَدْء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا . قال : فقلَّما لبث حتى جاء زوجُها أبو معبد يسوق أعْنُزاً عِجافاً يتساوَكْنَ هَزْلَى[٤] ، لا نِقْيَ بهنَّ[٥] ، مُخُهنَّ قليل ، فلما رأى اللبن عَجب وقال من أين هذا اللبن يا أمَّ معبد ولا حلوبةَ في البيت والشاءُ عازب ؟ فقالت : لا والله ، إنه مرَّ بنا رجلٌ مبارك ، كان من حديثه كيت وكيت . فقـال : صِفيه لي ، فوالله إني لأراهُ صاحبَ قريش الذي تطلب . فقالت : رأيتُ رجلاً ظاهر الوَضَاءة ، حَسَن الخلق ، مليح الوجه ، لم تعبه ثَجْلَةٌ[٦] ، ولم تُزْرِ به صَعْلَةٌ[٧] ، قسيمٌ وسيم ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفـاره وَطَف ، وفي صوته صَحَل[٨] ، أحْوَرُ[٩] أكحل أزَجُّ أقْرَن ، في عُنقه سَطع وفي لحيته كَثَاثَة . إذا صمَتَ فعليه الوَقَار ، وإذا تكلَّم سما وعلاهُ البهاء ، حُلْو المَنْطِق ، فَصْلٌ لا نَـزْرَ ـ قليل ـ ولا هَذْرَ ـ كثير ـ كأنَّ منطقه خَرَزات نَظْمٍ يَتَحَدَّرْن ، أبْهَى الناسِ وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ؛ رَبْعَة ، لا تَشْنَؤُهُ[١٠] عينٌ من طول ، ولا تقتحمـه عينٌ من قِصَـر ، غُصْنٌ بين غُصنَيْنِ ، فهو أنْضَرُ الثلاثةِ منظراً ، وأحسنهم قدّاً ، له رُفقاء يَحُفُّون به ، إنْ قال أنصتوا لقوله ، وإنْ أمَرَ تبادروا لأمره . مَحْفُودٌ مَحْشُود ، لا عابِسٌ ولا معتد فقال ـ يعني بعلَها ـ : هذا والله صاحبُ قريش الذي تطلب ، ولو صادفتُه لالتمستُ أنْ أصحبه ، ولأجْهَدَنّ إنْ وجدتُ إلى ذلك سبيلاً . قال : وأصبح صوتٌ

---

(١) « يُرْبِض الرهط » : أي يُرويهم ويُثْقِلُهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض . النهاية لابن الأثير (٢/ ١٨٤) .

(٢) « تفاجَّت » : من التفاجّ وهو المبالغة في تفريج ما بين الرجلين . النهاية لابن الأثير (٣/ ٤١٢) .

(٣) « الثجّ » : اللبن السائل الكثير . ووقع في ح ،ط : حتى ملأه إليها . وهو تصحيف ، والمثبت من المستدرك والنهاية لابن الأثير (١/ ١٦٩) وفيه : أراد بَهَاء اللبن ، وهو وَبيص رغوته أي بريقها .

(٤) أراد أنها تتمايل من ضعفها . النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٢٥) .

(٥) « النِّقْي » : المخ . النهاية لابن الأثير .

(٦) « الثَّجْلَة » : ضِخَمُ البطن . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٠٨) .

(٧) « الصَّعْلَة » : صِغَرُ الرأس ؛ وهي أيضاً الدقّة والنحول في البدن . النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٢) .

(٨) « الوَطَف » : طول شعر الأجفان . والصَّحَل : كالبُحَّة وألا يكون حادَّ الصوت . النهاية لابن الأثير .

(٩) في ط : أحول ، والمثبت من ح .

(١٠) « لا تشنؤه » : أي لا يُبغَض لفرط طوله . هذه رواية ح والمستدرك والنهاية لابن الأثير . وفي الفائق للزمخشري (١/ ٨١) : لا يائس من طول . وفي ط : لا تنساه . تصحيف . وتقتحمه : تزدريه كما في الفائق .

بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرَوْن من يقول وهو يقول : [من الطويل]

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائِهِ رفيقَيْـنِ حـلاَّ خَيْمَتَـيْ أُمِّ مَعْبَـدِ
همـا نَـزَلا بـالبرِّ وارتحـلا بـه[١] فـأفلح مَنْ أمسى رفيقَ محمـدِ
فيـالَ قصـيّ مـا زَوَى اللهُ عنكـمُ بـه مـن فَعـالٍ لا تُجـارَى وسُؤْدُدِ
سلوا أختكم عن شاتِها وإنائها فـإنكـم إنْ تسـألـوا الشـاةَ تَشْهَـدِ
دعـاهـا بشـاةٍ حـائـلٍ فتحلَّبـتْ له بصريحٍ ضرّةُ الشاةِ مُزْبِدِ[٢]
فغـادره رهنـاً لـديهـا لحـالـبٍ يدرُّ لها في مصدرٍ ثم مَوْرِدِ[٣]

قال وأصبح الناس ـ يعني بمكة ـ وقد فقدوا نبيَّهم ، فأخذوا على خيمتَيْ أمِّ معبد حتى لحقوا برسولِ الله ﷺ .

قال وأجابه حسان بن ثابت : [من الطويل]

لقـد خـابَ قـومٌ زال عنهـم نبيُّهـم وقد سُرَّ مَنْ يَسْرِي إليهم ويَغْتدي[٤]
تـرحّلَ عـن قـوم فـزالـتْ عقـولُهـم وحـلَّ علـى قـوم بنـورٍ مجـدَّدِ
[هـداهـم بـه بعـد الضـلالـة ربُّهـم وأرشدَهم من يتْبَعِ الحقَّ يرشُدِ][٥]
وهـل يستـوي ضُـلاَّلُ قـومٍ تسفَّهـوا عَمًـى وهـداةٌ يهتـدون بمهتـدِ
نبـيٌّ يَـرَى مـالا يـرى النـاسُ حَـوْلَـهُ ويتلـو كتـابَ الله فـي كـلِّ مَشْهَـدِ
وإنْ قـال فـي يـومٍ مقـالـةَ غـائـبٍ فتصديقُها في اليوم أو في ضُحى الغدِ
ليهـنِ أبـا بكـرٍ سعـادةُ جـدِّه بصُحْبتـه ، مـن يُسْعِـدِ اللهُ يَسْعَـدِ
ويَهْـنِ بنـي كعـبٍ مكـانُ فتـاتِهـم ومقعـدُهـا للمسلميـنَ بمَـرْصَـدِ

قال ـ يعني عبد الملك بن وَهْب ـ : فبلغني أنَّ أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبيِّ ﷺ .

وهكذا رواه الحافظُ أبو نعيم[٦] من طريق عبد الملك بن وهب المَذْحِجيّ فذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك : بلغني أنَّ أمَّ معبد هاجرتْ وأسلمت ولحقت برسولِ الله ﷺ .

---

(١) في الفائق ودلائل أبي نعيم : هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم .
(٢) في ح : لديه بضرع ضرة الشاة مُزْبِدِ .
(٣) في الفائق ودلائل أبي نعيم : يرددها في مصدر ثم مورد .
(٤) ويروى : غاب عنهم نبيهم وقُدِّس من يسري . ديوان حسان (١/ ٤٦٤) ودلائل أبي نعيم (٢/ ٤٣٩) .
(٥) سقط هذا البيت من ح ، ط فأثبتُّه من مصادر الخبر .
(٦) ليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة ؛ غير أنَّ ما ذكره من قول عبد الملك مثبت في الدلائل (٢/ ٤٣٩) .

ثم رواه أبو نعيم[١] من طُرق عن مُكْرَم بن مُحْرِز الكعبي الخُزَاعي[٢] ، عن أبيه محرز بن مَهْدي عن حِزام بن هشام بن حُبيش بن خالد عن أبيه عن جدِّه حُبيش بن خالد صاحبِ رسولِ الله ﷺ ، أنَّ رسول الله ﷺ حين خرج[٣] من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فُهيرة ودليلُهم[٤] عبد الله بن أريقط الليثي ، فمرُّوا بخيمتَيْ أُمِّ معبد ، وكانتِ امرأةً بَرْزة جلدةً تحتبي بفناء القُبَّة .

وذكر مثل ما تقدَّم سواء .

قال : وحدَّثَنَاهُ[٥] ـ فيما أظنّ ـ محمد بن أحمد بن علي بن مَخْلد ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى ـ يعني الكُدَيمي ـ حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سَلِيط الأنصاري ، حدثني أبي عن أبيه سَليط البدري قال : لما خرج رسولُ الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فُهيرة وابنُ أُرَيقط يدلُّهم على الطريق ، مرَّا بأمِّ معبد الخُزَاعية وهي لا تعرفه فقال لها : « يا أمَّ معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت : لا والله إنَّ الغنم لعازِبَة . قال : « فما هذه الشاة ؟ » قالت : خلَّفها الجَهْدُ عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدَّم .

ثم قال البيهقي[٦] : يحتمل أن هذه القصص كلُّها واحدة .

ثم ذكر قصةً شبيهة بقصة شاة أمِّ معبد الخزاعية فقال[٧] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ـ إملاءً ـ حدَّثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا عُبيد[٨] الله بن إياد بن لَقِيط ، حدثنا إياد بن لَقِيط عن قيس بن النعمان قال : لما انطلق النبيُّ ﷺ وأبو بكر مستخفين ، مرُّوا بعبدٍ يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال : ما عندي شاة تُحلب ، غيرَ أنَّ هاهنا عناقاً حملَتْ أولَ الشتاء ، وقد أَخْدَجَتْ[٩] وما بقي لها لبن ، فقال : « ادْعُ بها » . فدعا بها ، فاعتقلها النبيُّ ﷺ ومسح

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٦) .

(٢) في ح، ط : بكر بن محرز الكلبي الخزاعي. وهو تصحيف، والمثبت من دلائل النبوة وأنساب السمعاني (١٠/ ٤٤٣) . قال بشار : وهو بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وتخفيفها ، قيده الدارقطني في المؤتلف (٤/ ٢١٥٣) والأمير في الإكمال (٧/ ٢٨٦) ، وتوهم محقق الأنساب فقيده بالتثقيل .

(٣) في ح ، ط : أخرج . والمثبت من دلائل أبي نعيم .

(٤) في ح ، ط : ودليلهما . والمثبت من دلائل أبي نعيم .

(٥) وليست هذه الرواية أيضاً فيما طبع من الدلائل لأبي نعيم ، وذكرها ابن حجر في الإصابة في ترجمة سَليط الأنصاري .

(٦) في الدلائل (٢/ ٤٩٢ و٤٩٣) بألفاظ مقاربة .

(٧) في الدلائل (٢/ ٤٩٧) .

(٨) في ح ، ط : عبد الله تصحيف ، والمثبت من الدلائل والتاريخ الكبير (٥/ ٣٧٣) . وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣١٧) .

(٩) خدجتِ الناقة : إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تامَّ الخلق ؛ وأخدجَتْهُ : إذا ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل . النهاية لابن الأثير (٢/ ١٢) .

ضَرْعَها ، ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بِمِجَنّ ، فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب . فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ مثلك قط . قال : « أو تراك تكتمُ عليَّ حتى أخبرك ؟ » قال : نعم . قال : « فإني محمدٌ رسولُ الله » فقال : أنت الذي تزعم قريشٌ أنه صابىء ؟ قال : « إنهم ليقولون ذلك » قال : فأشهد أنك نبيّ ، وأشهد أنَّ ما جئت به حَقّ ، وأنه لا يفعل ما فعلتَ إلا نبيّ ، وأنا مُتَّبِعُك . قال : « إنك لا تستطيعُ ذلك يومك هذا ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتِنا » ورواه أبو يعلى المَوْصليّ[١] عن جعفر بن حُميد الكوفي عن عبد الله بن إياد بن لَقِيط به .

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا[٢] قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدَّثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود[٣] ، حدثنا حمَّاد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنتُ غلاماً يافعاً أرْعَى غنماً لعقبة بن أبي مُعَيط بمكة ، فأتى رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ـ وقد فرّا من المشركين ـ فقال : « يا غلام ، عندك لبنٌ تَسْقِينا ؟ » فقلت : إني مؤتَمن ولستُ بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جَذَعة لم ينْزُ عليها الفحلُ بعد ؟ قلت : نعم فأتيتهُما بها ، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسولُ الله ﷺ الضَّرْع ، فدعا فحفَل الضَّرْع ، وجاء أبو بكر بصخرة منقعرة[٤] فحلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع : « اقْلِصْ » فقلَصَ . فلما كان بعدُ[٥] أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : علِّمني من هذا القول الطيِّب ـ يعني القرآن ـ فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّك غلامٌ مُعَلَّم » فأخذت من فيه سبعين سورةً ما يُنازعني فيها أحد .

فقوله في هذا السياق وقد فرّا من المشركين ليس المرادُ منه وقتَ الهجرة ، إنما ذلك في بعضِ الأحوال قبل الهجرة . فإنَّ ابنَ مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدَّم ، وقصتُه هذه صحيحة ثابتةٌ في الصحاح وغيرِها . والله أعلم .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد[٦] : حدثنا مصعب بن عبد الله[٧] ـ هو الزُّبيري ـ حدثني أبي ، عن فائد

---

(١) ذكره السيوطي في الخصائص فقال : أخرج أبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن قيس بن النعمان . . . فذكره . وهو في مسند أبي يعلى رقم (٥٣١١) من حديث ابن مسعود .

(٢) في دلائل النبوة (٢٣٣) وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٧٩) عن أبي بكر بن عياش عن عاصم به وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٨٥٠) عن عفان عن حماد به ، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٨٤٥٥) عن علي بن عبد العزيز وأبي مسلم الكش عن حجاج بن المنهال عن حماد به ؛ وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٧١) عن أبي بكر بن فورك عن عبد الله بن جعفر به .

(٣) يعني الطيالسي في مسنده (٣٥٣) .

(٤) في المصنف لابن أبي شيبة : منقعرة ـ أو منقرة ، وفي معجم الطبراني : مقعرة .

(٥) في دلائل أبي نعيم : الغد .

(٦) في ح : « وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله » ولا يصح البتة ، وما أثبتناه هو الصواب ، فالحديث من زيادة عبد الله على مسند أبيه (٤/ ٧٤) ، وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن مصعب الزبيري .

(٧) في ط ، ح : عبد الله بن مصعب . تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد .

مولى عبادل قال : خرجتُ مع إبراهيم بن عبد الرحمن إلى ابن سعد[١] حتى إذا كنَّا بالعَرْج أتى ابنُ سعد ـ وسعد هو الذي دلَّ رسولَ الله ﷺ على طريق رَكُوبة[٢] ـ فقال إبراهيم : أخبرني ما حدَّثك أبوك ؟ قال ابنُ سعد : حدثني أبي أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر ـ وكانت لأبي بكرٍ عندنا بنت مُسترضعة ـ وكان رسولُ الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغائر من رَكُوبة[٣] ، وبه لصَّانِ من أسلم يقال لهما المهانان ؛ فإنْ شئت أخذنا عليهما . فقال النبيُّ ﷺ : « خذ بنا عليهما » . قال سعد : فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدها يقول لصاحبه : هذا اليماني . فدعاهما رسولُ الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدَما عليه المدينة فخرجْنا حتى إذا أتينا[٤] ظاهر قُباء فتلقَّى[٥] بنو عمرو بن عوف فقال رسولُ الله ﷺ : « أين أبو أمامة أسعد بن زُرَارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلي يا رسول الله ، أفلا أخبره ذلك[٦] ؟ ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء ، فالتفت رسولُ الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتني أنزل إلى[٧] حياضٍ كحياض بني مُدْلج . انفرد به أحمد .

فصــل
في دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة وأينَ استقرَّ منزلُه بها وما يتعلَّقُ بذلك

قد تقدَّم الكلامُ فيما رواهُ البخاري عن الزهري عن عروة أنَّ النبيَّ ﷺ دخل المدينة عند الظهيرة[٨] .

قلت : ولعلَّ ذلك كان بعد الزوال ، لما ثبت في الصحيحَيْن[٩] من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، عن أبي بكر ، في حديث الهجرة قال : فقدمنا ليلاً فتنازعه القومُ أيُّهم ينزلُ عليه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أَنزلُ على بني النجَّار أخوالِ عبد المطَّلب أُكْرِمُهم بذلك » وهذا والله أعلم إمَّا أن يكون يومَ قدومِه إلى قُباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حرِّ الظهيرة ، وأقام

---

(١) عبارة المسند هكذا : خرجتُ مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة فأرسل إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى . . .

(٢) « رَكُوبة » : ثنية بين مكة والمدينة عند العَرْج . معجم البلدان (٣/ ٦٤) .

(٣) في ح : العامر من ركونة وفي ط : الغامر ، والمثبت من مسند أحمد وسيرة ابن هشام (١/ ٤٩٢) وقال ابن هشام : ثنية العائر . . . ويقال ثنية الغائر بالمهملة والمعجمة ، ونقله ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٧٣) .

(٤) في ح : فخرجا حتى إذا أتيا ، والمثبت من ط ومسند أحمد .

(٥) في ط : فتلقاه ، والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٦) في مسند أحمد لك ، والمثبت من ح ، ط .

(٧) في مسند أحمد : على .

(٨) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .

(٩) رواية الصحيحين تقدمت الإشارة إليها في المتن (ص٤٥٣) .

تحت تلك النخلة ، ثم سار بالمسلمين فنزل قُباء وذلك ليلاً ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً . لأنَّ العشيَّ من الزوال ؛ وإمَّا أن يكون المرادُ بذلك لما رحل من قُباء كما سيأتي ، وسار ، فما انتهى إلى بني النجَّار إلا عشاءً كما سيأتي بيانُه ، والله أعلم .

وذكر البخاري[(١)] عن الزهري عن عروة أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء ، وأقام فيهم بِضْع عشرةَ ليلة ، وأسَّسَ مسجد قُباء في تلك الأيام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلتُه في مكان مسجده ، وكان مِرْبَداً لغلامين يتيمَيْن وهما سَهْل وسُهيل ، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً . وذلك في دار بني النجَّار رضي الله عنهم .

وقال محمد بن إسحاق[(٢)] : حدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُوَيم[(٣)] بن ساعدة قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب[(٤)] النبيِّ ﷺ قالوا : لما بلغنا مخرجُ النبيِّ ﷺ من مكة وتوكَّفنا قدومَه ، كنا نخرجُ إذا صلينا الصُّبح إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظرُ النبيَّ ﷺ ، فوالله ما نبْرَحُ حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجدْ ظلاً دخلنا ـ وذلك في أيامٍ حارَّة ـ حتى إذا كان اليومُ الذي قدِم فيه رسولُ الله ﷺ جلسنا كما كنَّا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسولُ الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أولَ من رآه رجلٌ من اليهود [وقد رأى ما كنَّا نصنع ، وأنَّا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ] فصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْلَةَ[(٥)] ، هذا جدُّكم قد جاء . فخرجْنا إلى رسولِ الله ﷺ وهو في ظلِّ نخلة ومعه أبو بكر في مثل سِنِّه ، وأكثرنا لم يكنْ رأى رسولَ الله ﷺ قبل ذلك . ورَكِبَهُ الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظلُّ عن رسولِ الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظلَّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

وقد تقدَّم مثلُ ذلك في سياقِ البخاري[(٦)] وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه .

وقال الإمام أحمد[(٧)] : حدثنا هشام ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون : جاء محمد ؛ فأسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون : جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، قال : حتى جاء رسولُ الله ﷺ وصاحبُه أبو بكر ، فكَمَنَّا[(٨)] في بعض حِرَار[(٩)] المدينة ، ثم

---

(١) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٢) والروض (٢/ ٢٣٦) وما سيأتي بين معقوفين منهما .
(٣) وقع في سيرة ابن هشام والروض : عويمر . وهو تصحيف ، انظر ترجمة عبد الرحمن وترجمة أبي عويم في الإصابة وفيه ساق ابن حجر طرف الحديث .
(٤) في ح : رجال من قومي عن النبي ﷺ . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والإصابة .
(٥) « قيلة » : هي أم الأوس والخزرج . القاموس (قيل) .
(٦) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .
(٧) في مسنده (٣/ ٢٢٢) رقم (١٣٢٥١) وهو صحيح .
(٨) في ح : فمكنا . وأثبتنا ما في ط ، وهو الذي في الطبعة الجديدة من مسند أحمد (٢١/ ٤٠) . .
(٩) في ح ، ط : خراب تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد .

بعَثَا رجلاً من أهلِ البادية يؤذنُ بهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاءُ خمسمئةٍ من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمنَيْن مطاعَيْن . فأقبل رسولُ الله ﷺ وصاحبُه بين أظهرهم ، فخرج أهلُ المدينة حتى إنَّ العَوَاتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن : أيُّهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به . قال أنس : فلقد رأيتُه يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أر يومين شبيهاً بهما .

ورواهُ البيهقيُ[١] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصَّنْعاني ، عن أبي النَّضْر هاشم ابن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن أنس بنحوه ـ أو مثله ـ وفي الصحيحَيْن[٢] من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، عن أبي بكرٍ في حديث الهجرة ، قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر ، جاء رسول الله ﷺ ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله ﷺ ، فلما أصبح انطلق وذهب حيث أُمر .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عمرو الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي ، سمعتُ أبا خليفة يقول : سمعت ابنَ عائشة يقول : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة جعل النساءُ والصبيان يقلن : [من مجزوء الرمل]

طلعَ البدرُ علينا ... من ثَنيَّات الوَدَاع
وجبَ الشُّكْرُ علينا ... ما دعا لله داع[٤]

قال محمد بن إسحاق[٥] : فنزل رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون يعني حين نزل بُقباء ـ على كلثوم بن الهِدْم أخي بني عمرو بن عَوف ، ثم أحدِ بني عُبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهِدْم : إنما كان رسولُ الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهِدْم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزَباً لا أهل له ، وكان يقالُ لبيته بيت العزَّاب والله أعلم . ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خُبيب بن إساف أحدِ بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح ؛ وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق[٦] : وأقام عليُّ بن أبي طالب بمكة ثلاثَ ليالٍ وأيامها حتى أدَّى عن رسول الله ﷺ

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٧) .
(٢) فتح الباري (٣٦٥٢) فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، وصحيح مسلم (٧٥ ـ ٢٠٠٩) الزهد باب في حديث الهجرة .
(٣) في الدلائل (٢/ ٥٠٦) .
(٤) وإسناده ضعيف . والصواب أن ذلك كان عند رجوعه من تبوك ، ولذلك قال ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٥٥١) وبعض الرواة يهم في هذا ، ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع ، إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٣) والروض (٢/ ٢٣٧) .
(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٣) والروض (٢/ ٢٣٧) .

الودائع التي كانت عنده ، ثم لحق برسولِ الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهِدْم . فكان عليُّ بنُ أبي طالب إنما كانت إقامته بقُباء ليلةً أو ليلتين . يقول : كانت بقباء امرأةٌ لا زوجَ لها ، مسلمة ، فرأيتُ إنساناً يأتيها من جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه ، فيعطيها شيئاً معه فتأخذه ، فاستربْتُ بشأنه فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا الذي يضرب عليك بابكِ كلَّ ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو ؟ وأنت امرأةٌ مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهلُ بن حُنَيف . وقد عرف أني امرأةٌ لا أحد لي ، فإذا أمسى عدا على أوثانِ قومه فكسرها ، ثم جاءني بها فقال : احتطبي بهذا ، فكان عليٌّ رضي الله عنه يأثرُ ذلك من شأنِ سَهْل بن حُنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق[١] : فأقام رسولُ الله ﷺ بقُباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسَّس مسجده ؛ ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثماني عشرة ليلة .

قلت : وقد تقدَّم فيما رواه البخاري[٢] من طريق الزُّهري عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضعَ عشرة ليلةً ، وحكى موسى بن عقبة عن مُجَمِّع بن يزيد بن جارية[٣] أنه قال : أقام رسولُ الله ﷺ فينا ـ يعني في بني عمرو بن عَوْف بقُباء ـ اثنتين وعشرين ليلة .

وقال الواقدي : ويقال : أقام فيهم أربع عشرة ليلة . فالله أعلم .

قال ابنُ إسحاق[٤] : فأدركتْ رسولَ الله ﷺ الجمعةُ في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ـ وادي رانُونَاء ـ فكانت أولَ جمعةٍ صلاها بالمدينة .

فأتاه عِتْبان بن مالك وعباس بن عُبادة بن نَضْلَة ، في رجالٍ من بني سالم فقالوا : يا رسول الله ، أقِمْ عندنا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال « خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة » لناقته ، فخلُّوا سبيلَها فانطلقتْ حتى إذا وازت[٥] دار بني بَيَاضَة تلقَّاه زياد بن لبيد وفَرْوةُ بن عمرو ، في رجالٍ من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلينا إلى العدد والعُدَّة والمَنَعَة ؟ قال : « خلُّوا سبيلها فإنَّها مأمورة » فخلوا سبيلها . فانطلقتْ حتى إذا مرَّت بدار بني ساعدة اعترضه سعدُ بن عُبادة والمنذر بن عمرو ، في رجالٍ من بني

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٤) والروض (٢/ ٢٣٧) .
(٢) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .
(٣) في ح ، ط : حارثة ، تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٢/ ٤) وتقريب التهذيب .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٤) والروض (٢/ ٢٣٧) .
(٥) في ح : وارت ، وفي سيرة ابن هشام : وازنت . والمثبت من ط .

ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلّم إلينا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال : « خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازت[١] دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعدُ بن الرَّبيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رَوَاحة ، في رجالٍ من بني الحارث[٢] بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العدد والعُدَّة والمَنَعة . قال : « خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلَها ، فانطلقت حتى إذا مرَّت بدار عديِّ بن النجَّار ـ وهم أخواله دِنْياً ـ أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سَليط بن قيس وأبو سَليط أُسَيْرَة بن خارجة[٣] في رجالٍ من بني عديِّ بن النجَّار ، فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلى أخوالك إلى العدد والعُدَّة والمنعة ؟ قال : « خلُّوا سبيلها فإنَّها مأمورة » فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا أتتْ دارَ بني مالك بن النجَّار بركَتْ على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذٍ مِرْبداً لغلامَيْن يتيمَيْن من بني مالك بن النجار ، وهما سَهْل وسُهيل ابنا عمرو ، وكانا في حَجْر معاذ بن عَفْرَاء .

قلت : وقد تقدَّم في روايةِ البخاري[٤] من طريق الزُّهري عن عروة أنهما كانا في حَجْر أسعد بن زرارة ، والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة[٥] أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ في طريقه بعبد الله بن أُبيِّ بن سلُول وهو في بيت . فوقف رسولُ الله ﷺ ينتظر أن يدعوَهُ إلى المنزل ـ وهو يومئذٍ سيد الخزرج في أنفسهم ـ فقال عبد الله انظر الذين دعَوْك فانزلْ عليهم . فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه : لقد مَنَّ الله علينا بك يا رسول الله ! وإنا نريد أن نعقِدَ على رأسه التاج ونملِّكه علينا .

قال موسى بن عقبة[٦] : وكانتِ الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركبَ رسولُ الله ﷺ من بني عمرو بن عوف فمشَوْا حولَ ناقته لا يزال أحدُهم ينازعُ صاحبه زمام الناقة شُحّاً على كرامة رسولِ الله ﷺ وتعظيماً له ، وكلما مرَّ بدارٍ من دور الأنصار دعَوْهُ إلى المنزل فيقول ﷺ : « دعوها فإنها مأمورة ، فإنما أنزلُ حيث أنزلني الله » فلما انتهتْ به إلى دار أبي أيوب بَرَكَتْ به على الباب ، فنزل ، فدخل بيت أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

---

(١) في ح : وارت ، وفي سيرة ابن هشام : وازنت . والمثبت من ط .
(٢) في ح : من بلحارث .
(٣) كذا في (ح ، ط) وفي سيرة ابن هشام : أسيرة بن أبي خارجة ، وفي الإكمال (١/ ٧٨) : أُسيرة بن عمرو من بني عدي بن النجار .
(٤) تقدم في أول الصفحة (٤٥٢) .
(٥) في الحديث الذي رواه عنه البيهقي بسنده في دلائل النبوة (٢/ ٤٩٩) .
(٦) في الحديث الذي رواه عنه البيهقي بسنده في دلائل النبوة (٢/ ٥٠١) .

وقال ابنُ إسحاق[١] : لما بركتِ الناقةُ برسول الله ﷺ لم ينزلْ عنها حتى وثبت فسارَتْ غيرَ بعيد ، ورسول الله ﷺ واضعٌ لها زِمامها لا يَثْنِيها به ، ثم التفتَتْ خَلْفَها فرجعَتْ إلى مَبْرَكها أولَ مرَّة فبركتْ فيه ، ثم تحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ[٢] ووضعَتْ جِرانها ، فنزل عنها رسولُ الله ﷺ . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله ، فوضعه في بيته ونزل عليه رسولُ الله ﷺ ، وسأل عن المِرْبد : لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله ! لسهل وسُهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه ، فاتَّخذهُ مسجداً . فأمر به رسولُ الله ﷺ أن يُبنى ، ونزل رسولُ الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار .

وستأتي قصةُ بناء المسجد قريباً إن شاء الله .

وقال البيهقي في « الدلائل »[٣] : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر[٤] الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلد الدُّوري ، حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبي الورد ، حدثنا إبراهيم بن صِرْمَة ، حدثنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس . قال : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فلما دخلنا[٥] جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يا رسول الله ! فقال : « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب ، فخرجت جوَارٍ من بني النجَّار يضربنَ بالدُّفوف وهنَّ يقلْن :

نحنُ جوارٍ من بني النجَّار   يـا حبـذا محمـدٌ مـن جـارِ

فخرج إليهم رسولُ الله ﷺ فقال : « أتحبونني ؟ » فقالوا : إي والله يا رسول الله . فقال : وأنا والله أحبُّكم ، وأنا والله أحبُّكم ، وأنا والله أحبُّكم » .

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه لم يَرْوِه أحدٌ من أصحاب السنن ، وقد خرَّجه الحاكم في مستدركه[٦] كما يروى[٧]

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٥) والروض (٢/ ٢٣٨) .

(٢) في سيرة ابن هشام : زمَّتْ . تصحيف ، وفي النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٢٠) : تلحلحت وأرْزَمَتْ أي صوَّتت ، والإرزام : الصوت لا يفتح به الفم ، وفيه أيضاً : الناقة الرازم : أي ذات رُزام ، التي لا تتحرَّك من الهُزَال ، رزَمتْ فهي رازم . وفي اللسان (لحح) : تلحلحت عند بيت أبي أيوب ووضعت جِرانها : أي أقامت وثبتت ، وأصله من قولك ألَحَّ يُلِحُّ . ووقع في ح ، ط والسيرة : تحلحلت وهو خلاف المعنى .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٠٨) .

(٤) في ح ، ط : عمرو . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وترجمته ـ وهو الدارقطني ـ في السير (١٦/ ٤٤٩) .

(٥) في الدلائل : دخل . وهو أشبه بالصواب .

(٦) لم أجده في مستدرك الحاكم .

(٧) هكذا في ح ، ط ، ولعله يريد : كما يروى من طريق أخرى ، ثم ساقه من وجه آخر وهو الآتي (بشار) .

ثم قال البيهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن[٢] بن سليمان النحاس المقرىء ببغداد ، حدثنا عمر بن الحسن الحلبي ، حدثنا أبو خيثمة المصيصي ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عَوْف الأعرابي ، عن ثمامة عن أنس ، قال : مرَّ النبيُّ ﷺ بحيٍّ من بني النجار ، وإذا جوارٍ يضربن بالدفوف يقلْن : [من الرجز]

نحن جوارٍ من بني النجّارِ يا حَبَّذا محمدٌ من جار

فقال رسولُ الله ﷺ « يعلم الله أن قلبي يحبُّكم »[٣] .

ورواه ابن ماجه[٤] عن هشام بن عمَّار ، عن عيسى بن يونس به[٥] .

وفي صحيح البخاري[٦] عن أبي معمر عن عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : رأى النبيُّ ﷺ النساءَ والصِّبيانَ مقبلين ـ حسبتُ أنه قال من عُرْس ـ فقام النبيُّ ﷺ مُمْثِلاً[٧] فقال : « اللهمَّ أنتم من أحبِّ الناسِ إليّ » قالها ثلاث مرَّات .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صُهيب ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : أقبل رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وهو مردفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخٌ يعرف ، ورسولُ الله ﷺ شابٌّ لا يعرف ، قال : فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجلُ الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني[٩] السبيل . فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعني سبيلَ الخير . فالتفت أبو بكر ، فإذا هو بفارسٍ قد لحقهم فقال : يا نبي الله ، هذا فارسٌ قد لحق بنا . فالتفت رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهمَّ اصْرَعْهُ » فصرعتْه فرسُه ، ثم قامت تُحَمْحم ، ثم قال : مُرْني يا نبيَّ الله بما شئت . فقال : « قفْ مكانك ولا تتركنَّ أحداً يلحقُ بنا » . قال : فكان أولَ النهار جاهداً على

---

(١) الدلائل (٢/ ٥٠٨) .

(٢) في الدلائل : عبد الله بن سليمان . ولم أقف على ترجمة له .

(٣) في الدلائل : يحبُّكنَّ . وهو أشبه .

(٤) في السنن (١٨٩٩) وأخرجه الخطيب في تاريخه (١٥ / ٥٩ ط . د. بشار) ، وهو حديث صحيح .

(٥) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٠) من طريق ثابت عن أنس (بشار) .

(٦) فتح الباري (٣٧٨٥) مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلي .

(٧) قال ابن حجر في الفتح (٩/ ٢٤٨) : مُمْثِلاً . بضم أوله وسكون الميم الثانية بعدها مثلثة مكسورة وقد تفتح ، وضُبط أيضاً بفتح الميم الثانية وتشديد المثلثة والمعنى قائماً منتصباً ، قال ابن التين : كذا وقع في البخاري ، والذي في اللغة : مَثُل بفتح أوله وضم المثلثة وبفتحها قائماً يمثل بضم المثلثة مثولاً فهو مائل إذا انتصب قائماً . قال عياض : وجاء هنا ممثِّلاً يعني بالتشديد أي مكلِّفاً نفسه ذلك .

(٨) في مسنده (٣/ ٢١١) رقم (١٣١٣٨) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٩) في المسند : يهديني إلى السبيل .

رسولِ الله ﷺ ، وكان آخرَ النهار مَسْلَحةً له[١] . قال : فنزل رسولُ الله ﷺ جانب الحرَّة ، ثم بعث إلى الأنصار ، فجاؤا فسلَّموا عليهما وقالوا : اركبا آمنين مطاعين[٢] . فركب رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ، وحفُّوا حولهما بالسلاح ، وقيل في المدينة : جاء نبيُّ الله ﷺ فاستشرفوا نبيَّ الله ﷺ ينظرون إليه ويقولون : جاء نبيُّ الله ﷺ . قال : فأقبل يسيرُ حتى نزل[٣] إلى جانب جار أبي أيوب ، قال : فإنه ليحدث أهلَهُ[٤] إذْ سمع به عبدُ الله بن سلام وهو في نخلٍ لأهله ، يَخْتَرِفُ لهم[٥] ، فعجل أن يضع الذي يخترف فيها ، فجاء وهي معه ، فسمع من نبيِّ الله ﷺ ، فرجع إلى أهله ، فقال نبيُّ الله ﷺ : « أيُّ بيوتِ أهلنا أقرب » ؟ فقال أبو أيوب : أنا يا نبيَّ الله ، هذه داري ، وهذا بابي . قال : « فانطلق فهيِّىء لنا مَقيلاً » فذهب فهيَّأ [لهما مقيلاً] ثم جاء فقال : يا رسولَ الله ! قد هيَّأتُ مقيلاً ، قوما على بركة الله فقيلا . فلما جاء نبيُّ الله ﷺ جاء عبد الله بن سَلام فقال : أشهدُ أنك نبيُّ الله حقاً ، وأنك جئتَ بحق ، ولقد علمت يهودُ أني سيِّدهم وابنُ سيدِهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادْعُهم فسَلْهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله فوالذي لا إله إلا الله إنكم لتعلمونَ أني رسولُ الله حقاً ، وأني جئت بحق ، أسْلِمُوا » . فقالوا : ما نعلمه ـ ثلاثاً ـ .

وكذا رواه البخاري[٦] منفرداً به عن محمد ـ غير منسوب ـ عن عبد الصمد به .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدَّثني يزيد بن أبي حَبيب عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني ، عن أبي رُهْم السَّمَاعي ، حدَّثني أبو أيوب ، قال : لما نزل عليَّ رسولُ الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفْل ، وأنا وأمُّ أيُّوب في العُلْو ، فقلت له : بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ الله ! إني أكره وأُعْظِمُ أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظْهَرْ أنت فكُنْ في العُلْو ونَنزل نحن فنكون في السُّفْل . فقال : « يا أبا أيُّوب ! إنَّ أرفقَ بنا وبمن يَغْشانا أن أكون في سُفْل البيت » فكان رسولُ الله ﷺ في سُفله وكنّا فوقه في المَسْكن ؛ فلقد انكسر حُبٌّ لنا فيه ماءٌ ، فقمتُ أنا وأم أيوب بقَطيفةٍ لنا ، مالنا لحافٌ غيرها ننشفُ بها الماء ، تخوُّفاً أن يقطُرَ على رسولِ الله ﷺ منه شيءٌ فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا ردَّ علينا فَضْلَه تيمَّمْتُ أنا وأمُّ أيوب مَوْضِعَ يده

---

(١) أي بمثابة المسلحة ، وهو المكان الذي يراقَبُ منه العدوّ يقيم فيه القوم ذوو السلاح لئلا يطرقهم على غفلة . انظر النهاية لابن الأثير (سلح) .

(٢) في المسند : مطمئنَّين .

(٣) في المسند : جاء إلى جانب .

(٤) في المسند : أهلها . وهو أشبه .

(٥) يخترف لهم : يجني لهم من ثماره . القاموس (خرف) .

(٦) فتح الباري (٣٩١١) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٨) والروض (٢/ ٢٣٩) .

فأكلنا منه ، نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً ـ أو ثُوماً ـ فردَّه رسولُ الله ﷺ فلم أرَ ليده فيه أثراً . قال : فجئتُه فزِعاً فقلت : يا رسولَ الله ! بأبي أنت وأمي ، رددتَ عشاءك ولم أر فيه موضِعَ يدك ؟ فقال « إني وجدتُ فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجلٌ أُنَاجِي ، فأما أنتم فكلُوه » . قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعدُ .

وكذلك رواهُ البيهقي[١] من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حَبيب عن أبي الحسن ـ أو أبي الخير ـ مرثد بن عبد الله اليَزَني عن أبي رُهْم ، عن أبي أيوب . . . فذكره .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة[٢] ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عمرو الحيري ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد[٤] ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أبي أيوب ، أنَّ رسولَ الله ﷺ نزل عليه فنزل في السُّفل وأبو أيُوب في العُلْو ، فانتبه أبو أيوب [ليلةً] فقال : نمشي فوق رأسِ رسولِ الله ﷺ! فتنحَّوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبيِّ ﷺ ـ يعني في ذلك ـ فقال : « السُّفْل أرْفَقُ بنا » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها . فتحوَّل رسول الله ﷺ في العُلْو ، وأبو أيوب في السفل ، فكان يصنع لرسولِ الله ﷺ طعاماً ، فإذا جيءَ به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابع رسولِ الله ﷺ ، فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع رسولِ الله ﷺ فقيل له : لم يأكل . ففَزِعَ وصَعِدَ إليه فقال : أحرام ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « لا ، ولكني أكرهه » قال : فإني أكره ما تكره ـ أو ما كرهت ـ قال : وكان النبيُّ ﷺ يأتيه المَلَكُ .

رواه مسلم[٥] عن أحمد بن سعيد به .

وثبَتَ في الصحيحين عن أنس بن مالك[٦] قال : جيءَ رسولُ الله ﷺ ببَدْرٍ[٧] ـ وفي رواية بقِدْر ـ فيه خَضِراتٌ من بقُول ، [فوجَدَ لها ريحاً][٨] قال : فسأل فأخبر بما فيها [من البقول فقال : « قَرِّبوها » فقرَّبوها إلى بعض أصحابه][٨] فلما رآهُ كَرِهَ أكْلَها ، قال : « كُل ، فإني أُناجي مَنْ لا تُناجي » .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٥١٠) .

(٢) في مصنفه (٤٥٤١) العقيقة باب من يكره أكل الثوم .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٩) وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٤) في الدلائل : ثابت بن زيد . تصحيف ، وأبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي .

(٥) في صحيحه : (١٧١ ـ ٢٠٥٣) الأشربة باب إباحة أكل الثوم .

(٦) كذا في ح ، ط وهو وهم والذي في الصحيحين : عن جابر بن عبد الله . فتح الباري (٧٣٥٩) الاعتصام باب الأحكام التي تعرف بالدلائل ، وصحيح مسلم (٥٦٤) (٧٣) المساجد باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً .

(٧) أي طبق ، شبه بالبدر لاستدارته . النهاية لابن الأثير .

(٨) ما بين معقوفين من الصحيحين .

وقد روى الواقدي[١] أنَّ أسعد بن زُرارة لما نزل رسولُ الله ﷺ في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقة رسولِ الله ﷺ فكانت عنده ؛ وروَى عن زيد بن ثابت أنه قال : أولُ هديةٍ أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئتُ بها ، قصعةٌ فيها خبز مثرود بلبنٍ وسمن ، فقلت : أرسلتْ بهذه القصعة أُمِّي . فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعةُ سعد بن عُبادة ثريد وعُرَاق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسولِ الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام[٢] يتناوبون ، وكان مقامُه في دار أبي أيوب سبعةَ أشهر ، قال : وبعث رسولُ الله ﷺ ـ وهو نازل في دار أبي أيوب ـ مولاه زيدَ بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمئة درهم ليجيئا بفاطمةَ وأمِّ كلثوم ابنتَيْ رسولِ الله ﷺ ، وسودةَ بنتِ زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رُقَيَّةُ قد هاجرتْ مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها ـ بمكة ـ أبي العاص بن الربيع ؛ وجاءت معهم أمُّ أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيالِ أبي بكر وفيهم عائشةُ أمُّ المؤمنين ، ولم يدخل بها رسولُ الله ﷺ بعد .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفَّار ، حدَّثنا خلف بن عمرو العُكْبَري ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عطاف بن خالد ، حدثنا صدِّيق بن موسى[٤] عن عبد الله بن الزُّبير أنَّ رسولَ الله ﷺ قدم المدينة ، فاستناخت به راحلتُه بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يا رسول الله ! المنزل . فانبعثت به راحلتُه فقال : « دعوها فإنها مأمورة » ثم خرجتْ به حتى جاءتْ موضع المنبر فاستناخت ، ثم تخلَّلتِ [الناس][٥] ، وثمَّ عريشٌ كانوا يعرِشونه ويعمُرونه ويتبرَّدون فيه ، فنزل رسولُ الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل ، فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسولَ الله ! إنَّ منزلي أقربُ المنازلِ إليك فأنقُلْ رحلك إليّ ؟ قال : « نعم » . فذهب برحلِه إلى المنزل ، ثم أتاه رجلٌ فقال : يا رسول الله ! أين تحل ؟ قال : « إن الرجلَ مع رحله حيثُ كان » وثبت رسولُ الله ﷺ في العريش اثنتي عشرةَ ليلةً حتى بنى المسجد .

وهذه مَنْقَبةٌ عظيمةٌ لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسولُ الله ﷺ . وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ـ وكان ابنُ عباس نائباً عليها من جهة عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ فخرج له ابنُ

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٧) .

(٢) في ح : السلاح . والمثبت من ط وطبقات ابن سعد .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٩) .

(٤) صديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير ضعيف ، وترجمته في الميزان (٢/ ٣١٤) ولسان الميزان (٣/ ١٨٩) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص١٢٣) .

(٥) في ح ، ط : تحللت بالحاء المهملة ، والمثبت من الدلائل وما بين معقوفين منه .

عباس عن داره [حتى أنزله فيها كما أنزل رسولَ الله ﷺ في داره][١] ، وملَّكه كلَّ ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاهُ ابنُ عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دارُ أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلَّح ما وَهَى من بُنيانها ووهَبها لأهل بيتٍ فقراء من أهل المدينة .

وكذلك نزولُه عليه السلام في دار بني النجّار واختيار الله له ذلك منقبةٌ عظيمة لهم ، وقد كان في المدينة دورٌ كثيرة تبلغ تسعاً ، كلُّ دار محلَّة مستقلةٌ بمساكنها ونخيلها وزروعِها وأهلِها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلَّتهم وهي كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسولِ الله ﷺ دار بني مالك بن النجّار .

وقد ثبت في الصحيحين[٢] من حديث شعبة ، سمعتُ قتادة عن أنس بن مالك . قال : قال رسولُ الله ﷺ : « خيرُ دورِ الأنصار بنو النجّار ، ثم بنو عبد الأشْهَل ، ثم بنو الحارث بن الخَزْرَج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كلِّ دورِ الأنصار خير » فقال سعدُ بن عُبادة : ما أُرى النبيَّ ﷺ إلا قد فضَّل علينا . فقيل : قد فضَّلكم على كثير . هذا لفظ البخاري .

وكذلك رواه البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس وأبي سَلَمة عن أبي أُسَيْد مالك بن ربيعة . ومن حديث عباس[٤] بن سهل ، عن أبي حُميد ، عن النبيِّ ﷺ بمثله سواء .

زاد في حديث أبي حُميد ؛ فقال أبو أُسَيد لسعد بن عبادة[٥] : ألم تر أنَّ النبيَّ ﷺ خيَّرَ الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعدُ النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ! خيَّرت دورَ الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أو ليس بحَسْبكم أن تكونوا من الأخيار »[٦] .

بل قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرفُ والرفعةُ في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] وقال رسولُ الله ﷺ :

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٢) فتح الباري (٣٧٨٩) مناقب الأنصار باب فضل دور الأنصار ، وصحيح مسلم (٢٥١١) (١٧٧) فضائل الصحابة باب في خير دور الأنصار .

(٣) الأحاديث التي تلي الحديث السابق ذكره مخرجة في البخاري ومسلم .

(٤) في ح ، ط : عبادة بن سهل . تصحيف ، والمثبت من فتح الباري (٧/ ١١٥) والحديث فيه رقم (٣٧٩١) .

(٥) كذا في ح ، ط وفي البخاري : فلحقنا سعد بن عبادة فقال : أبا أسَيد ، ألم تر . . وهو أشبه بالصواب .

(٦) رواية البخاري : من الخيار .

« لولا الهِجْرَة لكنتُ امْرءاً من الأنصار ، ولو سَلَكَ الناسُ وادياً وشِعْباً لسلَكْتُ واديَ الأنصارِ وشِعْبَهم ، الأنصارُ شعار ، والناسُ دِثار[١] » .

وقال : « الأنصارُ كَرِشي وعَيْبَتي »[٢]

وقال : « أنا سِلْمٌ لمن سالمهم ، وحربٌ لمن حاربَهم »[٣]

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا حجَّاج بن مِنهال ، حدثنا شعبة ، حدَّثني عديُّ بن ثابت قال : سمعتُ البراءَ بن عازب يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ـ أو قال : قال رسولُ الله ﷺ ـ : « الأنصار لا يُحبُّهم إلا مؤمن ، ولا يُبغضُهم إلا منافق . فمن أحبَّهم أحبَّه الله ، ومن أبغضهم أبغضَه الله » .

وقد أخرجه بقيةُ الجماعةِ إلا أبا داود من حديث شعبةَ به[٥]

وقال البخاريُّ أيضاً[٦] : حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة عن عبد الله بن عبد الله بن جَبْر[٧] ، عن أنس بن مالك ، عن النبيِّ ﷺ قال : « آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآيةُ النِّفاق بغضُ الأنصار » .

ورواه البخاري أيضاً عن أبي الوليد الطيالسي[٨] ، ومسلم[٩] ، من حديث خالد بن الحارث ، وعبد الرحمن بن مَهْديّ ، أربعتُهم عن شعبة به .

والآيات والأحاديث في فضائلِ الأنصار كثيرةٌ جداً . وما أحسنَ ما قال أبو قيس صرمةُ بن أبي أنس المتقدِّم ذكْرُه[١٠] أحد شعراءِ الأنصار في قدوم رسولِ الله ﷺ إليه ونصرهم إياه ، ومواساتهم له ولأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، فتح الباري (٤٣٣٠) المغازي باب غزوة الطائف ، وصحيح مسلم (١٣٩ ـ ١٠٦١) الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

(٢) أخرجه الشيخان ، فتح الباري (٣٨٠١) مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من محسنهم » ، وصحيح مسلم (٢٥١٠) (١٧٦) فضائل الصحابة باب من فضائل الأنصار .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٦٢) وهو جزء من حديث طويل رواه بسنده إلى كعب بن مالك وقد تقدم .

(٤) في فتح الباري (٣٧٨٣) مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان .

(٥) وأخرجه مسلم (٧٥) (١٢٩) الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان . وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٩٠٠) المناقب باب في فضل الأنصار وقريش ، وابن ماجه (١٦٣) ، والنسائي (٢٢٩) .

(٦) فتح الباري (٣٧٨٤) مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان .

(٧) في ط : عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير . وهو تصحيف ، والمثبت من ح وفتح الباري .

(٨) في ط : أضاف الناشر [و] فقال : والطيالسي ظناً منه أنه أبو داود ، وليست الواو في البخاري ولا في ح ، وأبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الطيالسي تجد ترجمته ومصادرها في السير (١٠/ ٣٤١) .

(٩) صحيح مسلم (٧٤) (١٢٨) الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان .

(١٠) تقدم ذكره وشعره في (ص٤٠٦ و٤٠٧) وما بعدها .

قال ابن إسحاق[١] : وقال أبو قيس صِرْمةُ بن أبي أنس أيضاً يذكرُ ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصَّهم به من رسوله عليه السلام : [من الطويل]

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشْرة حِجَّة ... يـذكّـر لـو يَلْقَـى صـديقـاً مُـواتيـا
ويعـرضُ فـي أهـلِ المـواسـم نفسَـه ... فلـم يـرَ مـن يُـؤْوي ولـم يَـرَ داعيـا
فلمـا أتـانـا واطمـأنَّـتْ بـه النَّـوَى[٢] ... وأصبـح مسـروراً بِطَيْبَـةَ راضيـا
وألفى صديقاً واطمأنتْ به النَّوَى ... وكـانَ لـه عَـوْنـاً مـن الله بـاديـا
يقـصُّ لنـا مـا قـالَ نـوحٌ لقـومـه ... وما قال موسى إذ أجابَ المناديا
فأصبحَ لا يَخْشَى من الناسِ واحداً ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا[٣]
بـذلنـا لـه الأمـوالَ مـن حِـلِّ مـالنـا ... وأنفُسنـا عنـدَ الـوَغَـى والتـآسيـا
نُعادي الذي عادَى من الناس كلِّهم ... جميعاً ولو كانَ الحبيبَ المواسيا[٤]
ونعلـمُ أنَّ اللهَ لا شـيء غيـره ... وأن كتـابَ الله أصبـحَ هـاديـا[٥]
أقـولُ إذا صلَّيـتُ فـي كـلِّ بيعـةٍ ... حَنـانَيْـكَ لا تُظْهِـرْ علينـا الأعـاديـا
أقـول إذا جـاوزتُ أرضـاً مُخيفـةً ... تبـاركـتَ اسـمَ الله أنـتَ المـواليـا
فَطـأْ مُعـرضـاً إنَّ الحتـوفَ كثيـرةٌ ... وإنـك لا تُبقـي لنفسـك بـاقيـا
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيُهُ ... إذا هـو لـم يجعـلْ لـه اللهَ واقيـا
ولا تحفـلُ النخـلُ المعيمـةُ ربَّهـا[٦] ... إذا أصبحـتْ رَيّـاً وأصبـحَ نـاويـا

ذكرها ابنُ إسحاق وغيرُه ، ورواها عبد الله بن الزُّبير الحُميدي وغيره ، عن سفيان بن عُيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عجوزٍ من الأنصار قالت : رأيتُ عبدَ الله بن عباس يختلفُ إلى صِرْمة بن قيس يروي هذه الأبيات . رواه البيهقي[٧] .

فصـل

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها ، وصارتْ كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ،

---

(١) في سيرة ابن هشام : (١/ ٥١٢) والروض (٢/ ٢٥٥) .
(٢) في السيرة والروض : فلما أتانا أظهر الله دينه . وهو أشبه بالصواب .
(٣) في ح : باغيا .
(٤) في السيرة والروض : المصافيا . وقد قُدّم هذا البيت فيهما على التالي له .
(٥) في السيرة والروض : ونعلم أن الله أفضلُ هاديا .
(٦) في ح : ولا نجعل النحل المقيمة ربها ، والمثبت من ط والسيرة .
(٧) في الدلائل (٢/ ٥١٣) .

ومَعْقلاً وحِصْناً منيعاً للمسلمين ، ودارَ هَدْيٍ للعالمين ، والأحاديثُ في فَضْلها كثيرةٌ جداً ، لها موضعٌ آخر نوردها فيه إن شاء الله .

وقد ثبَتَ في الصحيحَيْنِ[(١)] من طريق خُبيب [بن] عبد الرحمن بن يَسَاف ، عن حفص[(٢)] بن عاصم ، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الإيمانَ لَيأرِزُ إلى المدينةِ كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها »[(٣)] .

ورواه مسلمٌ أيضاً[(٤)] عن محمد بن رافع عن شَبَابة، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبيِّ ﷺ نحوه .

وفي الصحيحَيْن أيضاً[(٥)] ، من حديث مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع أبا الحُباب سعيدَ بن يَسَار ، سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسولُ الله ﷺ : « أُمرتُ بقَرْيةٍ تأكل القُرَى[(٦)] ، يقولون : يثرب ، وهي المدينة ، تَنْفي[(٧)] الناس كما ينفي[(٧)] الكِيرُ خَبَثَ الحديد » .

وقد انفرد الإمامُ مالكٌ عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقي[(٨)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالا : حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو موسى الأنصاري ، ثنا سعد[(٩)] بن سعيد ، حدَّثني أخي عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اللهم إنك أخرجتني من أحبِّ البلاد إليّ ، فأسكني أحبَّ البلادِ إليك » فأسكنه الله المدينة .

وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّاً ، والمشهور عن الجمهور أنَّ مكةَ أفضلُ من المدينة ، إلا المكان الذي ضمَّ

---

(١) فتح الباري (١٨٧٦) فضائل المدينة باب الإيمان يأرز إلى المدينة . وصحيح مسلم (١٤٧) (٢٣٣) الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ، وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في ح ، ط والدلائل (٢/ ٥٢٠) : جعفر بن عاصم . وهو تصحيف ، والمثبت من الصحيحين . ووقع في ح ، ط : حبيب . تصحيف أيضاً ، تجد ترجمته في تهذيب الكمال (٨/ ٢٢٧) .

(٣) « يأرزُ » : ينضمُّ ويجتمع . فتح الباري (٤/ ٩٣) .

(٤) صحيح مسلم (١٤٦) الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً .

(٥) فتح الباري (١٨٧١) فضائل المدينة باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس ، وصحيح مسلم (١٣٨٢) (٤٨٨) الحج باب المدينة تنفي شرارها . وأخرجه أيضاً مالك في الموطأ (٢/ ٨٨٧) الجامع باب ما جاء في سكن المدينة .

(٦) قال النووي في شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٤) : ذكروا في معنى أكلها القرى وجهين : أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر ، فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها . والثاني : معناه أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها .

(٧) في ط : تنقي . . . ينقي . بالقاف تصحيف ، والمثبت من ح والصحيحين .

(٨) في الدلائل (٢/ ٥١٩) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣) .

(٩) في ح ، ط : سعيد بن سعيد ، وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل ومستدرك الحاكم ، وترجمته في تهذيب الكمال (١٠/ ٢٦١) وأخوه هو عبد الله بن سعيد المَقْبري .

جسدَ رسولِ الله ﷺ ، وقد استدلَّ الجمهور على ذلك بأدلَّةٍ يطولُ ذِكْرُها هاهنا ومحلُّها ، ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأشهرُ دليلٍ لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد[١] : حدثنا أبو اليَمَان ، حدثنا شعيب عن الزُّهري ، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنَّ عبد الله بن عديِّ بنِ الحمراء أخبره ، أنَّه سمع النبيَّ ﷺ وهو واقفٌ بالحَزْوَرَة في سوقِ مكَّة يقول : « والله إنَّكِ لخيرُ أرضِ الله ، وأحبُّ أرضِ الله إليّ ، ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خرَجتُ » .

وكذا رواه أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان عن الزُّهري به[٢] .

وهكذا رواهُ الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ[٣] من حديث الليث ، عن عَقِيل ، عن الزُّهري به . وقال الترمذي : حسنٌ صحيح . وقد رواه يونس عن الزُّهري به . ورواهُ محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، وحديث الزُّهْريِّ عندي أصحّ .

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر عن الزُّهري ، عن أبي سَلَمَة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة . قال : وقف رسولُ الله ﷺ على الحَزْوَرَة فقال : « علمتُ أنَّكِ خيرُ أرضِ الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أنَّ أهلَكِ أخرجوني منكِ ما خرجتُ » .

وكذا رواهُ النسائي من حديث معمر به[٥] . قال الحافظُ البيهقي[٦] : وهذا وهم من معمر ، وقد رواهُ بعضُهم عن محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، وهو أيضاً وهم ، والصحيح رواية الجماعة .

وقال أحمدُ أيضاً[٧] : حدثنا إبراهيم بنُ خالد حدثنا رباح ، عن معمر ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري ، عن أبي سَلمة ، عن بعضهم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال وهو في سوق الحَزْوَرة : « والله إنكِ لخيرُ أرضِ الله ، وأحبُّ الأرض إلى الله ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خَرَجت »[٨] .

---

(١) في مسنده (٤/ ٣٠٥) رقم (١٨٧١٥) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٠٥) رقم (١٧٨١٦) .

(٣) جامع الترمذي (٣٩٢٥) المناقب باب في فضل مكة ، وسنن ابن ماجه (٣١٠٨) المناسك باب فضل مكة . وهو في السنن الكبرى والنسائي (٤٢٥٢) .

(٤) في مسنده (٤/ ٣٠٥) رقم (١٨٧١٧) وهو حديث صحيح .

(٥) في فضائل مكة من سننه الكبرى (٤٢٥٤) .

(٦) في الدلائل (٢/ ٥١٨) .

(٧) في مسنده (٤/ ٣٠٥) .

(٨) وهذا من أوهام معمر أيضاً حيث رواه عن أبي سلمة « عن بعضهم » ، والصواب : عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي ، كما تقدم (بشار) .

ورواه الطبراني عن أحمد بن خُليد الحلبي ، عن الحُميدي ، عن الدَّراوَرْدِي[١] ، عن ابنِ أخي الزُّهري ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم . والله أعلم .

ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة[٢]

اتفق الصحابةُ رضي الله عنهم في سنة ست عشرة ـ وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثماني عشرة ـ في الدولة العُمَريَّة على جعل ابتداءِ التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أنَّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رُفع إليه صكٌّ ـ أي : حُجَّةٌ ـ لرجلٍ على آخر وفيه ؛ إنه يحلُّ عليه في شعبان . فقال عمر : أيُّ شعبان ؟ أشعبانَ هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضعِ تاريخ يتعرَّفون به حُلولَ الدُّيُون وغير ذلك ، فقال قائل : أرِّخوا كتاريخ الفُرْس . فكره ذلك ، وكانتِ الفرسُ يؤرِّخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرِّخُوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرِّخون بملك اسكندر بن فِلِبُّس المقدوني فكره ذلك . وقال آخرون : أرِّخوا بمولد رسولِ الله ﷺ . وقال آخرون : بل بمَبْعَثِه . وقال آخرون : بل بهِجْرَته ، وقال آخرون : بل بوفاتِه عليه السلام . فمالَ عمرُ رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهورِهِ واشتهاره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخاريُّ في « صحيحه »[٣] : التاريخ ومتى أرَّخوا التاريخ . حدَّثنا عبد الله بن مسلمة[٤] حدثنا عبد العزيز عن أبيه ، عن سهل بن سعد قال : ما عدُّوا من مَبْعَثِ النبيِّ ﷺ ولا من وفاته ، ما عدُّوا إلا من مَقْدَمِه المدينة .

وقال الواقدي : حدَّثنا ابنُ أبي الزِّناد عن أبيه ، قال : استشار عمر في التاريخ ، فأجمعوا على الهجرة .

وقال أبو داود الطيالسي ، عن قرَّة بن خالد السَّدُوسي[٥] ، عن محمد بن سيرين قال : قام رجلٌ إلى عمر فقال : أرِّخوا . فقال : ما أرِّخوا ؟ فقال : شيءٌ تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا .

---

(١) في ح : الداروردي .

(٢) في ط : وقائع السنة الأولى من الهجرة .

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٦٧) كتاب مناقب الأنصار باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ .

(٤) في ح ، ط : مسلم . تصحيف ، والمثبت من البخاري وتهذيب الكمال في ترجمته .

(٥) في ح : فروة بن خالد السدي . تصحيف ، والمثبت من ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٥) ولم أجد الخبر في مسند أبي داود الطيالسي ، وقد أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٨٩) عن أمية بن خالد عن أبي داود الطيالسي به .

فقال عمر : حسنٌ ، فأرِّخوا . فقالوا : من أيِّ السنينَ نبدأ ؟ فقالوا : من مبعثه . وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا : وأيُّ الشهور نبدأ ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم فهو مَصْرَف الناسِ من حجِّهم ، وهو شهرٌ حرام . فاجتمعوا على المحرَّم .

وقال ابن جرير[(١)] : حدَّثنا قتيبة ، حدثنا نوح بن قيس الطَّاحي[(٢)] ، عن عثمان بن مِحْصَن ، أنَّ ابنَ عباس كان يقول في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر : ١ ـ ٢] هو المحرَّم فجر السنة .

ورُوي عن عبيد بن عُمير[(٣)] ، قال : إنَّ المحرَّم شهرُ الله ، وهو رأسُ السنة يُكسى البيت ، ويؤرِّخ به الناس ، ويُضرب فيه الوَرِق .

وقال أحمد[(٤)] : حدَّثنا روح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار قال : إنَّ أولَ مَنْ ورَّخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قدِم المدينة في ربيع الأول ، وأنَّ الناس أرَّخوا لأول السنة .

وروى محمد بن إسحاق[(٥)] عن الزُّهري ، وعن محمد بن صالح عن الشعبي ، أنهما قالا : أرَّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي. ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرَّخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة ـ أو ثماني عشرة ـ وقد ذكرنا هذا الفصل محرَّراً بأسانيده وطُرقه في السيرة العُمَريَّة[(٦)] ولله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وجعلوا أولها من المحرَّم فيما اشتهر عنهم ، وهذا قول جمهور الأئمة.

وحكى السُّهيليُّ وغيره عن الإمام مالك أنه قال : أول السنة الإسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسولُ الله ﷺ .

[وقد استدلَّ السُّهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٨] أي من أولِ حُلولِ النبيِّ ﷺ المدينة ، وهو أولُ يومٍ من التاريخ كما اتفق الصحابةُ على أولِ سني التاريخ عام الهجرة][(٧)] .

---

(١) لم أجد هذا الخبر في تفسير الطبري وهو في تاريخه (٢/ ٣٩٠) وجاء في الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٤٩٨) في تفسير الآية : وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس في قوله ﴿ والفجر ﴾ قال : هو المحرم أول فجر السنة .

(٢) في ط : الطائي ، وهو تصحيف ، والمثبت من ح والمؤتلف والمختلف للدارقطني (٣/ ١٤٩٢) وتاريخ الطبري .

(٣) هذه الرواية في تاريخ الطبري أيضاً (٢/ ٣٩٠) بنحوه .

(٤) هذه الرواية أيضاً أخرجها الطبري (٢/ ٣٩٠) عن أحمد بن ثابت الرازي عن أحمد به ، ولم أجدها في مسند أحمد .

(٥) أخرجه الطبري عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق به بأتم ماهنا .

(٦) هذه الرواية في تاريخ الطبري أيضاً (٢/ ٣٩٠) بنحوه .

(٧) استدلال السهيلي هذا في الروض (٢/ ٢٤٦) .

ولا شكَّ أنَّ هذا الذي قاله الإمامُ مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أولَ شهورِ العرب المحرَّم ، فجعلوا السنةَ الأولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرَّم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام . والله أعلم .

فنقول وبالله المستعان : استهلت سنة الهجرة المباركة ورسولُ الله ﷺ مقيمٌ بمكة ، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قدَّمنا في أوسط أيام التشريق ، وهي ليلةُ الثاني عشر من ذي الحجَّة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الأنصار وأذن رسولُ الله ﷺ للمسلمينَ في الهجرةِ إلى المدينة ، فهاجر مَنْ هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكةَ مَنْ يمكنه الخروج إلا رسولُ الله ﷺ ، وحبَس أبو بكرٍ نفسَه على رسولِ الله ﷺ ليصحبَه في الطريق كما قدَّمنا ، ثم خرجا على الوَجْه الذي تقدَّم بسطُه ، وتأخر عليُّ بن أبي طالب بعد النبيِّ ﷺ بأمره ليؤدِّي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقُباء[1] . فقدِم رسولُ الله ﷺ يوم الإثنين قريباً من الزَّوال وقد اشتدَّ الضَّحَاءُ[2] .

قال الواقدي وغيرُه : وذلك لليلتَيْن خَلَتا من شهر ربيع الأول .

وحكاه ابنُ إسحاق إلا أنه لم يعرِّج عليه ، ورجَّح أنه لثنتي عشرةَ ليلةً خلَتْ منه ، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور .

وقد كانت مدةُ إقامته عليه السلام بمكة بعد البِعْثة ثلاثَ عشرةَ سنةً في أصحِّ الأقوال ، وهو روايةُ حماد بن سلمة عن أبي جَمْرَة الضُّبَعي[3] عن ابن عباس ، قال : بُعث رسولُ الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وهكذا روى ابنُ جرير[4] عن محمد بن مَعْمَر ، عن رَوْح بن عبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسولُ الله ﷺ بمكة ثلاثَ عشرةَ .

وتقدَّم أنَّ ابن عباس كتب أبياتَ صِرْمَة بن أبي أنس بن قيس[5] : [من الطويل]

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً ... يـذكِّـرُ لـو يَلْقَـى صـديقـاً مُـوَاتيـا

---

(١) في ح : ثم يلحق به .

(٢) « الضحاء » : قريباً من نصف النهار ، وأما الضَّحْوَة فهو ارتفاع أول النهار ، والضُّحى بالضم والقصر : فوقه . النهاية (٣/ ٧٦) .

(٣) في ح ، ط : عن أبي حمزة الضبي . وهو تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال في ترجمة حماد (٧/ ٢٥٦) والتبصير لابن حجر (١/ ٤٥٤) وأبو جمرة هو نصر بن عمران . وقد أخرج هذه الرواية الطبري في تاريخه (٢/ ٣٨٤) عن محمد بن خلف عن آدم عن حماد به .

(٤) في تاريخه (٢/ ٣٨٥) .

(٥) مضت الأبيات ص(٤٧٥) .

وقال الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه استشهد بقول صِرْمة :

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حجَّةً يـذكِّـر لـو يلقـى صـديقـاً مـواتيـا

وهكذا رواهُ ابنُ جرير[١] ، عن الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي خمسَ عشرةَ حجَّة ، وهو قولٌ غريبٌ جداً ؛ وأغرب منه ما قال ابنُ جرير[٢] :

حُدِّثت عن روح بن عبادة ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : نزل القرآنُ على رسولِ الله ﷺ ثمانيَ سنين بمكة ، وعشراً بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة .

وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسنُ البصري من أنه أقام بمكة عشرَ سنين ؛ ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيدُ بن المُسَيِّب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو روايةٌ عن ابن عباس رواها أحمدُ بن حنبل[٣] عن يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : أُنزل على النبيِّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين ، فمكث بمكة عشراً .

وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال[٤] : قُرن إسرافيل برسولِ الله ﷺ ثلاث سنين يُلقي إليه الكلمة والشيء ـ وفي رواية يسمع حسَّه ولا يرى شخصَه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي . والله أعلم .

فصـــل

ولما حلَّ الرِّكابُ النبويُّ بالمدينة ، وكان أولَ نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف ، وهي قُبَاء كما تقدم فأقام بها ـ أكثر ما قيل ـ ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثماني عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة . وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال .

والأشهر ما ذكره ابنُ إسحاق[٥] وغيرُه ، أنه عليه السلام أقام فيهم بقُباء من يوم الإثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسَّس في هذه المُدَّة المختلف في مقدارها ـ على ما ذكرناه ـ مسجدَ قباء . [وقد ادَّعى السُّهَيلي أنَّ رسولَ الله ﷺ أسَّسه في أولِ يومٍ قدم إلى قُباء ، وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَّمَسۡجِدٌ

---

(١) في تاريخه (٢/ ٣٨٦) .

(٢) في تاريخه (٢/ ٣٨٧) .

(٣) في مسنده (١/ ٢٢٨) رقم (٢٠١٧) وهو حديث صحيح .

(٤) مضى الخبر .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٤) .

أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة: ١٠٨] وردَّ قول من أعربها من تأسيس أول يوم [(١)، وهو مسجدٌ شريفٌ فاضل نزل فيه قولُه تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨] كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذكرنا الحديث الذي [في صحيح مسلم(٢) أنه مسجد المدينة والجواب عنه. وذكرنا الحديث الذي](١) رواه الإمامُ أحمد(٣): حدّثنا حُسين(٤) بن محمد، حدثنا أبو أُوَيْس(٥)، حدثنا شُرَحْبِيل عن عُويم بن ساعدة، أنه حدثه أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاهم في مسجد قُباء فقال: « إنَّ اللهَ قد أحْسَنَ عليكم الثَّناء في الطَّهور في قصة مسجدكم، فماهذا الطَّهُورُ الذي تطَّهرون به؟ » قالوا: والله يا رسول الله! ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيرانٌ من اليهود، فكانوا يغسِلُونَ أدبارهم من الغائط فغسَلْنا كما غسلوا.

وأخرجه ابنُ خُزيمةَ في صحيحه(٦) وله شواهد أُخر.

ورُوي عن خُزيمة بن ثابت، ومحمد بن عبد الله بن سلام، وابنِ عباس.

وقد روى أبو داود والترمذي، وابن ماجه(٧)، من حديث يونس بن الحارث، عن إبراهيم بن أبي ميمونة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « نزلت هذه الآيةُ في أهْلِ قُبَاء: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨] قال: كانوا يَسْتَنْجُونَ بالماءِ فنزلَتْ فيهم هذه الآية ». ثم قال الترمذي: غريبٌ من هذا الوجه.

قلت: ويونس بن الحارث هذا ضعيفٌ والله أعلم.

وممن قال بأنه المسجدُ الذي أُسِّسَ على التقوى ما رواهُ عبدُ الرزَّاق، عن معمر، عن الزهري، عن

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح وقد سبق أن أشير إلى ذلك ص(٤٧٩) موضع الحاشية (٧) وقول السهيلي هذا في الروض (٢/ ٢٤٦) فأظن هذه الزيادة من عمل النساخ والله أعلم.

(٢) صحيح مسلم (١٣٩٨) (٥١٤) الحج باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ. وأيضاً تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٦) في تفسير الآية.

(٣) مسند أحمد (٣/ ٤٢٢) رقم (١٥٤٢٤).

(٤) في ح، ط: حسن بن محمد. تصحيف، والمثبت من مسند أحمد وترجمته في تهذيب الكمال (٦/ ٤٧١) وهو الحسين بن محمد بن بهرام التميمي المؤدب المروزي توفي سنة ٢١٤هـ.

(٥) في ح، ط: أبو إدريس. تصحيف، والمثبت من مسند أحمد وترجمته في تهذيب الكمال (١٥/ ١٦٦) وهو عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي، توفي سنة ١٦٧هـ، وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد.

(٦) صحيح ابن خزيمة (٨٣) الوضوء أبواب الاستنجاء بالماء باب ذكر ثناء الله عز وجل على المتطهرين بالماء. قال بشار: وإسناده ضعيف، لضعف أبي أويس، وشرحبيل بن سعد، وفي سماع شرحبيل من عويم نظر كما قال الحافظ ابن حجر (٤/ ٣٢٢).

(٧) سنن أبي داود (٤٤) الطهارة باب في الاستنجاء بالماء، وجامع الترمذي (٣١٠٠) التفسير باب من سورة التوبة، وسنن ابن ماجه (٣٥٧) الطهارة باب الاستنجاء بالماء.

عروة بن الزُّبير . ورواه علي بنُ أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وحُكي عن الشعبي ، والحسنِ البصري ، وقتادة ، وسعيد بن جُبير ، وعطية العَوْفي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وقد كان النبيُّ ﷺ يزورُه فيما بعدُ ويصلِّي فيه ، وكان يأتي قُباء كلَّ سبت ، تارةً راكباً وتارةً ماشياً . وفي الحديث : « صلاةٌ في مسجد قُباء كَعُمْرَة »[١] .

وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلةِ مسجد قباء ، فكان هذا المسجد أولَ مسجد بني في الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجدٍ جُعل لعموم الناس في هذه المِلَّة . واحترَزْنا بهذا عن المسجد الذي بناه الصدِّيق بمكة ، عند باب دارِه يتعبَّدُ فيه ويصلِّي ، لأنَّ ذاك كان لخاصَّةِ نفسه ، لم يكن للناس عامةً . والله أعلم .

وقد تقدَّم إسلامُ سلمانَ في البشارات ، أنَّ سلمانَ الفارسيّ لما سمع بقدوم رسولِ الله ﷺ إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً ، فوضعه بين يديه ، وهو بقُباء ، قال : هذا صدقة . فكفَّ رسولُ الله ﷺ فلم يأكُلْه ، وأمر أصحابَهُ فأكلُوا منه ، ثم جاء مرةً أخرى ومعه شيءٌ فوضعه وقال : هذه هديَّة . فأكل منه وأمر أصحابَهُ فأكلوا . تقدَّم الحديث بطوله[٢] .

فصــــل
في إسلام عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه

قال الإمامُ أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن زُرارة ، عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه[٤] ، فكنتُ فيمن انجفل ، فلما تبيَّنتُ وجهه عرفتُ أنه ليس بوجه كذَّاب ، فكان أولُ شيءٍ سمعتُه يقول : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلُّوا باللَّيل والناسُ نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤) الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٣) الصلاة باب في الصلاة في مسجد قباء و(١٢٥٧٠) الفضائل باب في مسجد قباء ، كلاهما عن أسيد بن ظهير الأنصاري وقال الترمذي : حسن صحيح (كما في تحقيق الدكتور بشار ، وانظر تعليقه عليه) ، وأخرجه ابن ماجه في السنن عن أُسيد أيضاً (١٤١١) إقامة الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء وكذا البيهقي في السنن (٥/ ٢٤٨) الحج باب إتيان مسجد قباء والصلاة فيه ؛ وأخرجه ابن ماجه برقم (١٤١٢) في الباب نفسه والنسائي في السنن (٦٩٩) المساجد باب فضل مسجد قباء كلاهما عن سهل بن حنيف بلفظ « من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قُباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة ، وكذا أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٢) في كتاب الهجرة .

(٢) مضى الحديث (ص١١٣ ـ ١١٧) ؛ وقد أشار ناشر ط في الحاشية هنا إلى الأسطر الثلاثة الأخيرة أنها لم تذكر في النسخة الحلبية يعني ح ، وهذه النسخة بين يدي لا نقص فيها فلعله أراد أن يقول : المصرية ؛ فوَهَم .

(٣) في مسنده (١/ ٤٥١) .

(٤) في المسند : عليه ، وفي النهاية : قِبَلَه ، ومعناه : ذهبوا مسرعينَ نحوه . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٧٩) .

ورواه الترمذي وابنُ ماجه[١] من طرق ، عن عوف الأعرابي ، عن زُرارة بن أوفى به عنه . وقال الترمذي : صحيح .

ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبيِّ ﷺ ورآه أولَ قدومه حين أناخ بقُباء في بني عمرو بن عوف .

وتقدَّم في رواية عبد العزيز بن صُهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبي أيوب بعد[٢] ارتحاله من قُباء إلى دار بني النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أولَ ما رآه بقُباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجَّار . والله أعلم .

وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبيُّ ﷺ جاء عبدُ الله بن سَلام فقال أشهدُ أنَّك رسولُ الله وأنك جئت بحقّ ، وقد علمت يهودُ أنِّي سيِّدُهم وابنُ سيِّدِهم ، وأعلمُهم وابنُ أعْلَمِهم ، فادْعُهم فسلْهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إنْ يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيّ . فأرسل نبيُّ الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يا معشرَ اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمونَ أنِّي رسولُ الله حقّاً وأني جئتكم بحقّ فأسلموا » قالوا : ما نعلمه ـ قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاثَ مرار ـ قال : « فأيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بنُ سَلام » ؟ قالوا : ذاكَ سيدُنا وابنُ سيدِنا ، وأعلمُنا وابن أعلِمنا . قال : « أفرأيتُم إنْ أسلم » قالوا : حاش لله ما كان ليُسلم . قال : « يا ابن سَلام اخْرُج عليهم » فخرج فقال : يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبتَ . فأخرجهم رسولُ الله ﷺ .

هذا لفظه[٣] .

وفي رواية[٤] : فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا : شرُّنا وابنُ شرِّنا ، وتنقَّصُوه . فقال : يا رسول الله هذا الذي كنتُ أخاف .

وقال البيهقي[٥] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، حدّثنا محمد بن إسحاق الصَّغَاني[٦] ، حدثنا عبد الله بن بكر[٧] ، حدثنا حُميد عن أنس ، قال : سمع عبد الله بن سَلام بقدوم النبيِّ ﷺ ـ وهو في أرض له ـ فأتى النبيَّ ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيّ ؛ ما أولُ أشراطِ الساعة ؟

---

(١) جامع الترمذي (٢٤٨٥) صفة القيامة باب (٤٢) وسنن ابن ماجه (٣٢٥١) الأطعمة باب إطعام الطعام .
(٢) في ط : عند .
(٣) يعني البخاري في (٧/ ٢٤٩ ، ٢٥٠) .
(٤) للبخاري في الفتح (٣٩٣٨) مناقب الأنصار باب ٥٠ .
(٥) في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٨) .
(٦) في ح، ط : الصنعاني . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وسير أعلام النبلاء في ترجمته (١٢/ ٥٩٢) ومصادرها فيه .
(٧) في ط : عبد الله بن أبي بكر . تصحيف ، والمثبت من ط ودلائل البيهقي وترجمته في تهذيب الكمال (١٤/ ٣٤٠) .

وما أولُ طعام يأكلُه أهلُ الجنة ؟ وما ينزعُ الولدُ[١] إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفاً » قال : جبريل ؟! قال : « نعم » قال : عدوُّ اليهود من الملائكة . ثم قرأ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٩٧] ، « أما أول أشراطِ الساعة : فنارٌ تخرجُ على الناس من المشرقِ تسوقهم إلى المغرب ؛ وأمَّا أولُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنة فزيادةُ كبد حُوت ، وإذا[٢] سبق ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نزع الولدُ ، وإذا سبق ماءُ المرأةِ نزَعَتْ » فقال : أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله ﷺ ؛ يا رسول الله ! إنَّ اليهودَ قومٌ بُهتٌ[٣] وإنهم إنْ يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهَتُوني ، فجاءت اليهود ، فقال : « أيُّ رجلٍ عبدُ الله فيكم ؟ » قالوا : خيرُنا وابنُ خيرِنا ، وسيدُنا وابنُ سيدِنا . قال : « أرأيتم إنْ أسلمَ ؟ » قالوا : أعاذهُ الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله . قالوا : شرُّنا وابنُ شرِّنا . وانتقصوه . قال : هذا الذي كنتُ أخافُ يا رسولَ الله .

ورواه البخاري[٤] عن عبد الله بن مُنير ، عن عبد الله بن بكر به ، ورواه[٥] عن حامد بن عمر ، عن بشر بن المفضل ، عن حميد ، به .

قال محمد بن إسحاق[٦] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجلٍ من آل عبد الله ابن سَلام . قال : كان من حديث عبد الله بن سَلام حين أسلم ـ وكان حَبْراً عالماً ـ قال : لما سمعتُ برسولِ الله ﷺ وعرفتُ صفته واسمه وهيئته والذي كنَّا نتوكَّف له[٧] ، فكنتُ مُسِرّاً لذلك ، صامتاً عليه حتى قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فلما قدم نزل بقُباء في بني عمرو بن عَوف ، فأقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأسِ نخلةٍ لي أعمل فيها ، وعمتي خالدةُ بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسولِ الله ﷺ كبَّرْتُ ، فقالت عمتي حين سمعتْ تكبيري : لو كنت سمعتَ بموسى بن عمران ما زدتَ ! قال : قلتُ لها : أي عَمَّة ، والله هو أخو موسى بنِ عمران ، وعلى دينِه بُعثَ بما بُعث به . قال فقالت له : يا ابنَ أخي أهو الذي كنَّا نُخبرُ به أنه يُبعث مع نفسِ الساعة ؟ قال قلتُ لها : نعم . قال : فذاك إذاً .

قال : فخرجتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأسلمتُ ثم رجعتُ إلى أهل بيتي ، فأمرتُهم فأسلموا ، وكتمتُ

---

(١) في ط : وما بال الولد . . . والمثبت من ح والدلائل .
(٢) في ط : وأما الولد إذا سبق ، والمثبت من ح والدلائل والبخاري .
(٣) « بُهْت » : جمع بَهُوت وهو من بناء المبالغة في البُهْت : وهو الكذب والافتراء . مثل صَبُور وصُبُر . ثم سُكِّن تخفيفاً . النهاية لابن الأثير (١/ ١٦٥) .
(٤) فتح الباري (٤٤٨٠) التفسير باب قوله من كان عدوّاً لجبريل من سورة البقرة .
(٥) فتح الباري (٣٩٣٨) مناقب الأنصار باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه .
(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٦) إلا أنه لم يذكر إسناده ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٠) عن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي عن أحمد بن عُبيد الصفار عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن الضحاك بن الحارث عن عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق به .
(١) « توكف الخبر » : انتظر وَكْفَه ، أي وقوعه . النهاية لابن الأثير .

إسلامي من اليهود وقلت : يا رسول الله ! إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْت ، وإني أحبُّ أنْ تُدخلَني في بعضِ بيوتِك فتغيِّبَني عنهم ، ثم تسألُهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم ، قبلَ أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إنْ يعلموا بذلك بهَتُوني وعابوني . وذكر نحو ما تقدَّم .

قال : فأظهرتُ إسلامي وإسلامَ أهلِ بيتي ، وأسلمتْ عمتي خالدة بنت الحارث .

وقال يونس بن بُكير[١] : عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، حدثنا محدِّثٌ عن صفيةَ بنتِ حُيَيّ قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط[٢] أهش إليهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ قُباء ـ قرية بني عمرو بن عوف ـ غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلِّسين[٣] ، فوالله ما جاآنا إلا مع مغيب الشمس ، فجاآنا فاترَيْن كسلانَيْن ساقطَيْن يمشيانِ الهُوَينى ، فهششتُ إليهما كما كنتُ أصنع ، فوالله ما نظر إليّ واحدٌ منهما ، فسمعتُ عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : تعرفه بنعته[٤] وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوتُه والله ما بَقِيت .

وذكر موسى بن عقبة[٥] عن الزهري أنَّ أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم ، أطيعوني ، فإنَّ الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيي بن أخطب ـ وهو يومئذ سيدُ اليهود ، وهما من بني النَّضِير ـ فجلس إلى رسولِ الله ﷺ وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ـ وكان فيهم مُطاعاً ـ فقال : أتيتُ من عندِ رجلٍ والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أمّ ، أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعدَه لا تَهلِك . قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان ، واتبعه قومُه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه جُدَيُّ بن أخطب[٦] ، فلا أدري ما آل إليه أمرُه ، وأما أخوه حُيَيُّ بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوةَ النبيِّ ﷺ وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبُه لعنه الله حتى قُتل صبراً بين يدي رسولِ الله ﷺ يوم قَتَل مقاتلة بني قُرَيظة كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) قول يونس هذا في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٣٣) أخرجه بإسناده عنه به .
(٢) في الدلائل : لم ألقهما قط مع ولد لهما أهش . . .
(٣) في ح : بغلس .
(٤) في الدلائل : بعينه .
(٥) خبر موسى بن عقبة هذا في دلائل البيهقي (٢/ ٥٣٢) ذكره بإسناده إلى ابن شهاب الزهري .
(٦) في ط : واسمه حيي بن أخطب . تصحيف والمثبت من ح والمؤتلف والمختلف للدارقطني (١/ ٥٢٦) والإكمال (٢/ ٦٢) ولم يذكرا كنيته ، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٥١٤) ثلاثة : حيي بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب وجُدي بن أخطب .

فصـــل

ولما ارتحل عليه السلام من قُباء وهو راكبٌ ناقته القَصْواء ، وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلَّى بالمسلمين الجُمعةَ هنالك ، في وادٍ يقالُ له وادي رانُوناء[١] ، فكانت أولَ جمعةٍ صلاها رسولُ الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقاً لأنه والله أعلم لم يكن يتمكَّن هو وأصحابه بمكَّة من الاجتماع حتى يُقيموا بها جمعةً ذات خطبةٍ وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدَّة مخالفةِ المشركين له ، وأذيَّتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير[٢] : حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابنُ وهب ، حدثنا[٣] سعيدُ بن عبد الرحمن الجُمَحي أنه بلغه عن خطبة النبيِّ ﷺ في أولِ جمعةٍ صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمده وأستعينُه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادي مَنْ يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسله بالهدى ودينِ الحقِّ والنورِ والموعظة على فترةٍ من الرُّسل ، وقلَّةٍ من العلم ، وضلالةٍ من الناس ، وانقطاعٍ من الزمان ، ودنوٍّ من الساعة ، وقُربٍ من الأجل ؛ مَنْ يطعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد ؛ ومن يعصِهما فقد غَوَى وفرَّط ، وضلَّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خيرُ ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحُضَّه على الآخرة . وأن يأمرَهُ بتقوى الله . فاحذروا ما حذَّركم اللهُ من نفسِه . ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى . وإنه تقوى لمن عَمِل به على وَجَلٍ ومَخَافة ، وعون صدق على ما تَبْغُونَ من أمرِ الآخرة ، ومَنْ يُصلح الذي بينَهُ وبين الله من أمر السرِّ والعلانية ، لا ينوي بذلك إلا وَجْهَ الله يكن له ذِكراً في عاجلِ أمره وذُخْراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرءُ إلى ما قدَّم ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أنَّ بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذِّركُم الله نفسَه والله رؤوفٌ بالعباد . والذي صدَّق قوله ، وأنجز[٤] وعده ، لا خُلْفَ لذلك ، فإنَّهُ يقولُ تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٩] واتقوا الله في عاجل أمرِكم وآجلِه ، في السِّرِّ والعلانية ، فإنَّه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥] ، ومن يتَّقِ اللهَ فقد فازَ فَوْزاً عَظيماً ؛ وإنَّ تقوى الله تُوَقِّي مَقْتَه ، وتوقِّي عُقوبتَه ، وتوقِّي سُخْطَه ؛ وإنَّ تقوى الله تُبَيِّضُ الوجهَ[٥] ، وتُرْضي الربَّ ، وترفع

---

(١) في ط : رانواناء . تصحيف ، والمثبت من هامش ح ومعجم البلدان (٣/١٩) وقال فيه : بوزن عاشوراء وخابوراء .

(٢) في تاريخه (٢/ ٣٩٤) .

(٣) في ط : عن وفي الطبري : حدثني .

(٤) في ح : ونجز ، وكذا في بعض نسخ الطبري .

(٥) في الطبري : الوجوه .

الدرجة ، خُذُوا بحظِّكم ولا تفرِّطوا في جَنْب الله ، قد علَّمكم الله كتابَه ، ونَهَج لكم سبيله ليعلمَ الذينَ صدَقوا وليعلمَ الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسنَ الله إليكم وعادُوا أعداءه وجاهِدُوا في الله حقَّ جهادِه هو اجتباكم وسمَّاكم المسلمين ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] ولا قوَّة إلا بالله ، فأكثرُوا ذكْرَ الله واعملوا لما بعد الموت[(١)] فإنه مَنْ أصلح ما بينهُ وبين الله يَكْفِهِ ما بينه وبين الناس ، ذلك بأنَّ الله يقضي على الناس ولا يقضُون عليه ، ويملكُ من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

هكذا أورده ابنُ جرير ، وفي السند إرْسال .

وقال البيهقي[(٢)] : باب ـ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ـ .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني المغيرة[(٣)] بن عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شَرِيق ، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمنِ بنِ عوف قال : كانتْ أول خطبةٍ خطبها رسولُ الله ﷺ بالمدينة أنْ قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال : « أما بعدُ أيها الناس ، فقدِّموا لأنفسكم ، تعلَمنَّ والله ليُصْعقَنَّ أحدكم ثم ليدعَنَّ غنمه ليس لها راعٍ ، ثم ليقولَنَّ له ربُّه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجُبه دونه ـ : ألم يأتك رسولي فبلَّغك ، وآتيتُك مالاً وأفضلت عليك ، فما قدَّمتَ لنفسك ؟ فينظر يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر قُدَّامه فلا يرى غير جهنَّم ، فمن استطاع أن يَقيَ وجهه من النار ولو بشقٍّ تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمةٍ طيبة ، فإنَّ بها تُجْزى الحسنةُ عشرَ أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، والسلامُ على رسول الله[(٤)] ورحمة الله وبركاته .

ثم خطب رسولُ الله ﷺ مرَّةً أخرى فقال : « إنَّ الحمد لله أحمدُه وأستعينه ، نعوذُ بالله من شرور أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له][(٥)] ، إنَّ أحسن الحديثِ كتابُ الله ، قد أفلح مَنْ زَيَّنَهُ الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكُفْر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أَحْسَنُ الحديث وأبلغُه ، أحبُّوا مَن أحبَّ الله ، أحبوا الله من كلِّ قلوبكم [ولا تملُّوا كلامَ الله وذِكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبُكم][(٥)] فإنه من كلِّ يختار الله

---

(١) في الطبري : اليوم .

(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٤) وأخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٥٠٠) .

(٣) المغيرة هذا لم أقف له على ترجمة في كتب العلم ، لكن من أقربائه ، إن وجد : أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني ، ابن أخت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ، وهو مترجم في التهذيب (٣٣/ ٣٦١) (بشار) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١) : والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٥) ما بين معقوفين من الدلائل وسيرة ابن هشام .

ويصطفى، فقد سمَّاه خِيرتَهُ من الأعمال وخيرته[١] من العباد، والصالح من الحديث ومن كلِّ ما أُوتي الناسُ من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حقَّ تقاته ، واصْدُقوا الله صالحَ ما تقولون بأفواهِكم وتحابُّوا بروحِ الله بينكم إنَّ الله يغضَبُ أن يُنكَثَ عهدُه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وهذه الطريق أيضاً مرسلة إلا أنها مقوِّيةٌ لما قبلها وإن اختلفتِ الألفاظ .

فصــل

في بناء مسجده الشريف في مدة مقامه عليه [الصلاة] والسلام بدار أبي أيوب رضي الله عنه

وقد اختُلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره : أقلّ من شهر . والله أعلم.

قال البخاري[٢] : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبدُ الصمد قال : سمعتُ أبي يحدِّث فقال : حدثنا أبو التَّيَّاح يزيد بن حُميد الضُّبَعي[٣] ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة نزلَ في عُلْوِ المدينة ، في حيٍّ يقال لهم : بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً ، ثم أرسلَ إلى ملأ بني النجّار فجاؤوا متقلِّدي سيوفهم ، قال : وكأنِّي أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ على راحلته وأبو بكر رِدْفَه ، ومَلأ بني النجّارِ حولَه ، حتى ألْقَى[٤] بفناءِ أبي أيوب ، قال : فكان يصلِّي حيثُ أدركَتْه الصلاة ، ويصلِّي في مرابضِ الغنم . قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى مَلأ بني النجّار ، فجاؤوا فقال : « يا بني النجّار ثامنوني بحائطِكم هذا[٥] » فقالوا : لا والله لا نطلبُ ثمنَهُ إلا إلى الله . قال : فكان فيه ما أقولُ لكم ، كانت فيه قبورُ المشركين ، وكانت فيه خِرَبٌ ، وكان فيه نخل ، فأمر رسولُ الله ﷺ بقبور المشركين فنُبشتْ ، وبالخِرَبِ فسُوِّيتْ ، وبالنخل فقُطِع . قال : فصفُّوا النخلَ قبلةَ المسجد ، وجعلوا عِضَادَتَيْهِ حجارة . قال : فجعلوا ينقلُون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسولُ الله ﷺ معهم يقول[٦] :

اللهمَّ إنه لا خيرَ إلا خَيْرُ الآخرة ، فانصرِ الأنصارَ والمهاجرة .

---

(١) في الدلائل والسيرة : ومصطفاه من العباد .

(٢) فتح الباري (٣٩٣٢) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٣) في ط : الضبي . تصحيف ، والمثبت من ح والبخاري في الفتح .

(٤) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٦٦) : ألقى : أي نزل ، أو المراد ألقى رحله .

(٥) « ثامنوني » : أي قرروا معي ثمنه ، أو ساوموني بثمنه ، تقول : ثامنت الرجل في كذا ، إذا ساومته . فتح الباري (٧/ ٢٦٦) .

(٦) في الفتح : ورسول الله ﷺ معهم يقولون : وكتب قولهم في البخاري كما يكتب الشعر في شطرين . وفي رواية أخرى وهي الآتي ذكرها :

اللهمَّ لا خير إلا خير الآخرة — فاغفر للأنصار والمهاجره

وانظر قول ابن هشام ص(٤٩٢ ح٢) .

وقد رواه البخاري في مواضعَ أخر ومسلم[١] من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد .

وقد تقدَّم في صحيح البخاري[٢] ، عن الزهري ، عن عروة ، أنَّ المسجد الذي كان مِرْبَداً ـ وهو بَيْدَرُ التمر ـ ليتيمَيْن كانا في حَجْر أسعد بن زُرارة وهما سَهْل وسُهيل ، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا : بل نهَبُه لك يا رسول الله ! فأبَى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً . قال : وجعل رسولُ الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب : [من الرجز]

هذا الحِمالُ لا حمالَ خَيْبَرْ   هــذا أبَــرُّ رَبَّنــا وأطْهَــرْ

ويقول : [من الرجز]

لا هُمَّ إنَّ الأجرَ أجْرُ الآخِرَهْ   فـارْحَـم الأنْصَـارَ وَالمُهـاجِـرَهْ

وذكر موسى بن عُقْبَة أنَّ أسعد بن زُرَارة عوَّضَهما منه نخلاً له في بني بَيَاضة ، قال : وقيل ابتاعه منهما رسولُ الله ﷺ .

قلت : وذكر محمد بن إسحاق[٣] أن المِرْبَدَ كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عَفْراء وهما سهل وسُهيل ابنا عمرو ، فالله أعلم .

وروى البيهقي[٤] من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، حدّثنا الحسن بن حماد الضبي ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما بنى رسولُ الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن ، حتى اغبرَّ صَدْرُه ، فقال : « ابنوهُ عَرِيشاً كعريشِ موسى » فقلت للحسن : ما عريشُ موسى ؟ قال : إذا رفع يديه بلغ العريش ـ يعني السقف ـ .

وهذا مرسل .

ورَوَى[٥] من حديث حمَّاد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن يعلى بن شداد بن أوس ، عن عُبادة ، أنَّ الأنصار جمعوا مالاً فأتَوْا به النبيَّ ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ابنِ هذا المسجدَ وزَيِّنْه ، إلى متى نصلِّي تحت هذا الجريد ؟ فقال : « ما بي رغبةٌ عن أخي موسى ، عريشٌ كعريشِ موسى » .

---

(١) فتح الباري (٤٢٨) الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويُتخذ مكانها مساجد وفي الحج (١٨٨٦) والبيوع (٩٠٦) ، وفي موضعين من الوصايا (٢٧٧١) و(٢٧٧٤) و(٢٧٧٩) ؛ وصحيح مسلم (٥٢٤) (٩) المساجد باب ابتناء مسجد النبي ﷺ .

(٢) تقدم الخبر ص(٤٥١ ، ٤٥٢) .

(٣) تقدم حديث ابن إسحاق في أول ص(٤٦٨) .

(٤) دلائل البيهقي (٢/ ٥٤٢) .

(٥) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٤٢) .

وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه .

وقال أبو داود[١] : حدَّثنا محمد بن حاتم ، حدَّثنا عبيد[٢] الله بن موسى ، عن شَيْبَان[٣] ، عن فراس ، عن عطيَّة ، عن ابن عمر ، أنَّ مسجد النبيِّ ﷺ كانت سَوَاريه على عهد رسول الله ﷺ من جُذوع النَّخْل ، أعلاهُ مُظَلَّلٌ بجريدِ النخل ، ثم إنها نَخِرَتْ[٤] في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع وبجريدِ النخل ، ثم أنها نَخِرَتْ[٤] في خلافة عثمان فبناها بالآجُرّ ، فلم تزَلْ[٥] ثابتةً حتى الآن .

وهذا غريب .

وقد قال أبو داودَ أيضاً[٦] : حدَّثنا مجاهد بن موسى ، حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، حدَّثني أبي ، عن صالح[٧] ، حدثنا نافع عن ابن عمر أخبره ، أنَّ المسجد كان على عهد رسولِ الله ﷺ مبنيّاً باللَّبِن ، وسقفُه الجَريد ، وعمدُهُ خشب النخْل ، فلم يزد فيه أبو بكرٍ شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللَّبن والجَرِيد ، وأعاد عمده خشباً ؛ وغيَّرَهُ عثمان رضي الله عنه ، وزاد فيه زيادةً كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة[٨] وجعل عمدَهُ من حجارةٍ منقوشة وسَقَفَهُ بالسَّاج[٩] .

وهكذا رواه البخاريُ[١٠] عن علي بن المَدِيني ، عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأوِّلاً قوله ﷺ « مَنْ بَنَى للهِ مسجداً ولو كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بنى الله له بيتاً في الجنة »[١١] ووافقه الصحابةُ الموجودون على ذلك ولم يُغَيِّرُوه بعده ، فيُستدل بذلك على

---

(١) في السنن (٤٥٢) الصلاة باب في بناء المسجد ، وإسناده ضعيف ، كما قال المصنف .

(٢) في ط : عبد الله ، تصحيف ، والمثبت من ح وسنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (٢/ ٨٨٩) وهو أبو محمد الكوفي .

(٣) في ح ، ط : سنان ، تصحيف ، والمثبت من سنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (١٢/ ٥٩٢) . وهو شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم توفي سنة ١٦٤هـ .

(٤) في ط : تخربت . تصحيف ، والمثبت من ح وسنن أبي داود . ومعنى نخرت : بليت وتفتت . القاموس (نخر) .

(٥) في ط : فما زالت . والمثبت من ح والسنن .

(٦) في السنن (٤٥١) الصلاة باب في بناء المسجد .

(٧) في ح ، ط : عن أبي صالح . وهو تحريف ، والمثبت من سنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (١٣/ ٧٩) وهو صالح بن كيسان المدني يروي عن نافع مولى ابن عمروعنه إبراهيم بن سعد عن إبراهيم .

(٨) قال الخطابي في معالم السنن (١/ ٢٥٦) : القصة : شيء يشبه الجصّ وليس به . وقال أبو داود في آخر الحديث : القصة : الجصّ .

(٩) « الساج » : نوع من الخشب يؤتى به من الهند . فتح الباري (١/ ٥٤٠) .

(١٠) فتح الباري (٤٤٦) الصلاة باب بنيان المسجد .

(١١) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان بسنده إلى أبي ذر ، الإحسان (١٦١٠) وقال الأستاذ شعيب في حاشيته : إسناده =

الراجح من قول العلماء أنَّ حكم الزيادة حكم المزيد ، فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشدِّ الرحال إليه ؛ وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق ، زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبَهُ على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانُه في وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارتِ الرَّوضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن إسحاق[١] : ونزل رسولُ الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، وعمل فيه رسولُ الله ﷺ ليرغِّب المسلمين في العمل فيه ؛ فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين : [من الرجز]

لئـنْ قَعـدْنـا والنبـيُّ يعمَـلُ لـذاك منَّـا العمـل المَضلَّـلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون : [من الرجز]

لا عيـشَ إلا عيـشُ الآخـرَهْ اللهم ارحمِ الأنصارَ والمُهاجرهْ[٢]

فيقول رسولُ الله ﷺ : « لا عيش إلا عيشُ الآخرة ، اللهم ارحمِ المهاجرينَ والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللَّبِن فقال : يا رسول الله ! قتلوني ، يحملون عليَّ ما لا يحملون . قالت أمُّ سلمة : فرأيتُ رسولَ الله ﷺ ينفُضُ وَفْرَتَهُ بيده ـ وكان رجلاً جَعْداً ـ وهو يقول : « وَيْحَ ابنِ سُميَّة ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئةُ الباغية » .

وهذا منقطعٌ من هذا الوجه ، بل هو مُعْضَلٌ بين محمد بن إسحاق وبين أمِّ سلمة ، وقد وصله مسلم في صحيحه[٣] من حديث شعبة عن خالد الحذَّاء عن سعيد والحسن ـ يعني ابني أبي الحسن البصري ـ عن أمِّهما خيرة مولاة أمِّ سلمة ، عن أمِّ سلمة قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « تقتلُ عماراً الفئةُ الباغية » .

ورواه[٤] من حديث ابنِ عُلَيَّة عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، عن أمِّه ، عن أمِّ سلمة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمار وهو ينقلُ الحجارة : « ويحُ لك يا ابنَ سُمَيَّة ، تقتُلُكَ الفئةُ الباغية » .

= صحيح ، وهو في مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٣١٠) وأخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ١٣٨) والبيهقي في السنن (٢/ ٤٣٧) بإسنادهم عن أبي ذر ، والطيالسي في مسنده (٤٦١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٨٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٤٧٩) والطبراني في الصغير (٢/ ١٢٠) والبزار (٤٠١) والبيهقي (٢/ ٤٣٧) من طرق عن الأعمش به . وتقدم من حديث عمر . . . ومن حديث عثمان . اهـ .

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٦) .

(٢) قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

(٣) صحيح مسلم (٢٩١٦) (٧٢) الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت .

(٤) يعني مسلماً في صحيحه برقم (٢٩١٦) (٧٣) وابن عُليّة هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم .

وقال عبد الرزاق[١] : أخبرنا معمر عن[٢] الحسن يحدِّث عن أمه ، عن أمِّ سلمة قالت : لما كان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه يبنون المسجد ، جعل أصحابُ النبيِّ ﷺ يحمل كلُّ واحدٍ لَبِنةً لَبِنة ، وعمار يحمل لَبِنتَيْن ، لبنةً عنه ولبنةً عن النبيِّ ﷺ فمسح ظهره[٣] . وقال « ابنَ سُميَّة ، للناسِ أجْر ، ولك أجْرَان ، وآخر زادِكَ شربةً من لبن ، وتقتُلك الفئةُ الباغية » .

وهذا إسنادٌ على شرط الصحيحَيْن[٤] .

وقد أورد البيهقي[٥] وغيرُه من طريق جماعةٍ عن خالد الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ قال : كنا نحملُ في بناءِ المسجد لبنةً لبنة ، وعمار يحمل لبنتَيْن لبنتَيْن ، فرآه النبيُّ ﷺ ، فجعل ينفُض الترابَ عنه ويقول : « وَيْحَ عمار تقتلُه الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النار » قال : يقول عمار : أعوذُ بالله من الفِتَن .

لكن روى هذا الحديث الإمامُ البخاري[٦] عن مُسَدَّد ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن خالد الحذَّاء ؛ وعن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهَّاب الثقفي ، عن خالد الحذَّاء به ؛ إلا أنه لم يذكر قوله « تقتلك الفئة الباغية »[٧] .

---

(١) في المصنف (٢٠٤٢٦) باب أصحاب النبي ﷺ .
(٢) في المصنف : معمر عمن سمع الحسن يحدث ، قال بشار : الصحيح ، فإن معمراً لم يحدث عن الحسن .
(٣) في المصنف : فقام النبي ﷺ فمسح ظهره .
(٤) كيف يكون على شرط الشيخين ؟ فإن كان ما أورده المصنف صحيحاً ، فإن معمراً لم يحدث عن الحسن ، بل رأى جنازته وهو صغير ، وذكر أنه طلب العلم سنة مات الحسن ، كما رواه عبد الرزاق عنه (تاريخ البخاري الصغير ٢/ ١١٥ ، والجرح والتعديل ٨/ الترجمة ١١٦٥) ، ولم تذكر كتب العلم رواية له عن الحسن ، ولا ذكر ذلك المزي في التهذيب . وإن كان ما جاء في مصنف عبد الرزاق هو الصواب ، أعني بينهما رجل مجهول ـ وهو الأرجح ـ فلا يصح هذا الإسناد لجهالة من روى عنه معمر . (بشار) .
(٥) في دلائل النبوة (٢/ ٥٤٦) .
(٦) فتح الباري (٤٤٧) الصلاة باب التعاون في بناء المسجد، و(٢٨١٢) الجهاد باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله .
(٧) هذا هو الصواب ، وكذلك ذكر المزي هذا الحديث ولم يذكر فيه عبارة « تقتله الفئة الباغية » (تحفة الأشراف ٣/ ٤١٥ حديث ٤٢٤٨ بتحقيقي) وكذا ذكر البيهقي في الدلائل أن البخاري تركها . أما وجود العبارة في المطبوع من الفتح في الموضعين (٤٤٧) و(٢٨١٢) فهو من تصرف الناشرين ، ولم يحسنوا صنعاً . ويلاحظ أن إشارة قد وضعت في النسخة اليونينية من صحيح البخاري على هذه العبارة فكتب في أولها « لا » وفي آخرها « إلى » أي : احذف هذه العبارة ، فالأصح أن هذه العبارة مقحمة من بعض الروايات ، وأن الروايات المتقنة الأصيلة قد خلت منها ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٥٤٢) « واعلم أن هذه الزيادة لم يذكرها الحميدي في الجمع وقال : إن البخاري لم يذكرها أصلاً ، وكذا قال أبو مسعود (الدمشقي) . قال الحميدي : ولعلها لم تقع للبخاري أو وقعت فحذفها عمداً ، قال : وقد أخرجها الإسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث . قلت (ابن حجر) : ويظهر لي أن البخاري حذفها عمداً وذلك لنكتة خفية وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ فدل على أنها في هذه =

قال البيهقي[١] : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم[٢] من طريق عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد قال : أخبرَني مَنْ هو خيرٌ مني أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفرُ الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بُؤْسَ ابنِ سُمَيَّة تقتُلُكَ فئةٌ باغية » .

وقد رواه مسلمٌ أيضاً[٣] من حديث شعبة عن أبي مَسْلَمة[٤] ، عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد ، قال : حدَّثني مَنْ هو خيرٌ منِّي ـ أبو قتادة ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمارِ بن ياسر : « بؤساً لك يا ابنَ سُمَيَّة تقتلك الفئة الباغية » .

وقال أبو داود الطَّيالسي[٥] : حدَّثنا وهيب عن داود بن أبي هند ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناسُ يحملون لَبِنةً لَبنة ، وعمار ـ ناقِهٌ من وَجَعٍ كانَ به ـ فجعل يحملُ لبنتَيْن لبنتَيْن . قال أبو سعيد : فحدَّثني أصحابي أنَّ رسولَ الله ﷺ كان ينفضُ الترابَ عن رأسه ويقول : « وَيْحَكَ ابنَ سُميَّة تقتلك الفئةُ الباغية » .

قال البيهقي[٦] : فقد فرَّق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويُشبه أن يكون قولُه الخندق وَهْماً ، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق . والله أعلم .

قلت : حَمْلُ اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلواتُ الله وسلامه عليه عن عمَّار أنه تقتُله الفئةُ الباغية ، وقد قتله أهلُ

= الرواية مدرجة ، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرط البخاري . وقد أخرجها البزار من طريق داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد فذكر الحديث في بناء المسجد ، وحملهم لبنة لبنة وفيه : فقال أبو سعيد : فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه قال : ياابن سمية تقتلك الفئة الباغية . . . وهذا الإسناد على شرط مسلم وقد عين أبو سعيد من حدثه بذلك ، ففي مسلم والنسائي من طريق أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : حدثني من هو خير مني أبو قتادة ، فذكره ، فاقتصر البخاري على القدر الذي سمعه أبو سعيد من النبي ﷺ دون غيره ، وهذا دال على دقة فهمه وتبحره في الاطلاع على علل الحديث . » انتهى كلام الحافظ .

قلت : فهذا من أقوى دليل على أن الحافظ ابن حجر يؤيد أن هذه العبارة ليست في الصحيح ، فكيف يكتبها في « الفتح » ؟ لكن الناشرين كتبوا المتن من مكان وكتبوا الحواشي من النسخ الخطية ، وخلاصة القول أن ما ذكره المصنف ابن كثير هو الصواب ، وأن العبارة ينبغي أن تحذف من المطبوع من صحيح البخاري (بشار) .

(١) في الدلائل (٢/ ٥٤٨) .

(٢) صحيح مسلم (٧١ ـ ٢٩١٥) الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت .

(٣) وهي الرواية التي تلي الرواية السابقة برقم (٧٢) .

(٤) في ح ، ط : عن أبي مسلم . وهو تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم وترجمته في تهذيب الكمال (١١/ ١١٤) وهو سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي الطاحي البصري .

(٥) مسند الطيالسي (٢١٦٨) .

(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٥٤٩) .

الشام في وقعة صِفِّين وعمَّار مع علي وأهلِ العراق كما سيأتي بيانُه وتفصيلُه في موضعه . وقد كان عليٌّ أحقَّ بالأمر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بُغاةً تكفيرُهم كما يحاولُه جهلَةُ الفرقة الضالَّة من الشِّيعة وغيرهم ، لأنهم وإنْ كانوا بغاةً في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطَوْه من القتال وليس كلُّ مجتهدٍ مصيباً ، بل المصيبُ له أجران والمخطىء له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية ـ (لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة) ـ فقد افترى في هذه الزيادة على رسولِ الله ﷺ ، فإنه لم يقلْها إذ لم تُنقل من طريقٍ تُقبل . والله أعلم .

وأما قولُه : يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فإنَّ عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الأُلفة واجتماع الكلمة . وأهلُ الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون مَنْ هو أحقُّ به ، وأن يكون الناسُ أوزاعاً على كلِّ قُطْرٍ إمامٌ برأسه ، وهذا يؤدِّي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة ، فهو لازمُ مذهبهم وناشىءٌ عن مسلكهم ، وإنْ كانوا لا يقصدونه . والله أعلم . وسيأتي تقريرُ هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعةِ صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحُسْنِ تأييده وتوفيقه ، والمقصود هاهنا إنما هو قصة بناء المسجدِ النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في « الدلائل »[1] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا عبيد بن شريك ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حَشْرَج بن نُبَاتة ، عن سعيد بن جُمْهَان ، عن سَفينة مولى رسولِ الله ﷺ ، قال : [لما بنى رسول الله ﷺ المسجد] جاء أبو بكر بحجرٍ فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجرٍ فوضعه ، ثم جاء عمر بحجرٍ فوضعه ، فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء ولاةُ الأمْرِ بعدي » .

ثم رواه[1] من حديث يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني ، عن حَشْرَج ، عن سعيد ، عن سَفينة . قال : لما بنى رسولُ الله ﷺ المسجد وضع حجراً . ثم قال : « ليضعْ أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضعْ عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمانُ حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسولُ الله ﷺ : « هؤلاء الخلفاء من بعدي » .

وهذا الحديث بهذا السياق غريبٌ جداً .

والمعروف ما رواه الإمامُ أحمد[2] عن أبي النَّضْر ، عن حَشْرَج بن نُباتة العبسي ؛ وعن بَهْز وزيد بن الحُبَاب ؛ وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جُمْهان عن سفينة قال سمعت رسولَ الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون من بعد ذلك المُلك » ثم قال سفينة : أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشر سنة ، وخلافة علي ست سنين .

---

(١) (٢/ ٥٥٣) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٢) في المسند : (٥/ ٢٢٠ ، ٢٢١) رقم (٢١٨١٦) .

هذا لفظ أحمد ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائيُ[١] من طرق عن سعيد بن جُمْهَان ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عَضُوضاً » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بني مِنْبَرٌ يخطب الناس عليه ، بل كان النبيُّ ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جِذْعٍ عند مصلاهُ في الحائط القبلي ، فلما اتُّخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطُب عليه ، فلما جاوز ذلك الجِذْع خار ذلك الجذعُ وحَنَّ حنين النُّوق العِشَار لما كان يسمع من خُطَب الرسولِ عليه السلام عنده ، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضَنَهُ حتى سكن كما يسكنُ المولودُ الذي يسكت ، كما سيأتي تفصيل ذلك من طرقٍ[٢] عن سهل بن سعدِ الساعدي ، وجابر بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وأمِّ سلمة رضي الله عنهم . وما أحسن ما قال الحسنُ البصري : بعدَ ما روَى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يا معشر المسلمين ، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ، أو ليس الرجالُ الذين يرجونَ لقاءه أحقُّ أن يشتاقوا إليه ؟!

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا يحيى ، عن[٤] أنيس بن أبي يحيى ، حدَّثني أبي قال : سمعتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ قال : اختلف رجلانِ : رجلٌ من بني خُدْرَة ، ورجلٌ من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال الخدري : هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ وقال العَمْرِي هو مسجدُ قُبَاء ، فأتَيَا رسولَ الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجدِ رسول الله ﷺ وقال : « في ذلك خيرٌ كثير » يعني مسجدَ قُباء .

ورواه الترمذي[٥] عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به ، وقال : حسنٌ صحيح .

وروى الإمام أحمد[٦] عن إسحاق بن عيسى ، عن الليث بن سعد ، والترمذي والنسائي[٧] جميعاً عن

---

(١) سنن أبي داود (٤٦٤٦) السنة باب في الخلفاء ، وجامع الترمذي (٢٢٢٦) الفتن باب ما جاء في الخلافة ، والنسائي في المناقب من سننه الكبرى (٨١٥٥) .

(٢) سيرد في الجزء التالي .

(٣) في المسند (٣/ ٢٣) رقم (١١١٢١) .

(٤) في ط : يحيى بن أنيس بن أبي يحيى . وهو تحريف ، والمثبت من ح والمسند .

(٥) في الجامع (٣٢٣) الصلاة باب ما جاء في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ، وهو حديث صحيح كما قال .

(٦) في المسند (٣/ ٨) رقم (١٠٩٨٧) .

(٧) جامع الترمذي (٣٠٩٩) تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ؛ وسنن النسائي (٦٩٧) مساجد باب ذكر المسجد الذي =

قتيبة عن الليث عن عمرانَ بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه ، قال : تمارى رجلانِ في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ؛ وذكر نحو ما تقدَّم .

وفي صحيح مسلم[١] من حديث حُميد الخرَّاط عن أبي سلمة بنِ عبد الرحمن ، أنه سأل عبد الرحمن ابن أبي سعيد : كيف سمعتَ أباكَ يقول في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ؟ فقال : قال أبي : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فسألته عن المسجد الذي أسِّسَ على التقوى ؟ فأخذ كفّاً من حَصْبَاء ، فضربَ بهِ الأرض ، ثم قال : « هو مَسْجِدُكم هذا » .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثناوكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التَّيْمي[٣] عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلانِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ وقال الآخر : هو مسجد قُباء ، فأتَيَا رسولَ الله ﷺ فسألاه فقال : « هو مسجدي هذا » .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أُبَيِّ بن كعب ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « المسجد الذي أُسِّس على التقوى مسجدي هذا » .

فهذه طرقٌ متعدِّدة لعلها تقرِّب من إفادة القَطْع بأنه مسجدُ الرسولِ ﷺ ، وإلى هذا ذهب عمر وابنُه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المُسَيِّب ، واختاره ابنُ جرير . وقال آخرون : لا منافاة بين نزولِ الآية في مسجدِ قُباء كما تقدَّم بيانُه ، وبين هذه الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك ، لأنَّ هذا أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ الرِّحالُ إليها كما ثبت في الصحيحَيْن[٥] من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثةِ مساجد ؛ مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » .

وفي صحيح مسلم[٦] عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ قال : « لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها .

= أسس على التقوى ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح من حديث عمران .

(١) صحيح مسلم (١٣٩٨) (٥١٤) الحج باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ .

(٢) في المسند (٥/ ٣٣١) رقم (٢٢٧٠٤) .

(٣) في ط : التميمي . تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمته في تهذيب الكمال (٩/ ١٣٢) .

(٤) في المسند (٥/ ١١٦) رقم (٢١٠٠٥) .

(٥) فتح الباري (١١٨٩) مسجد مكة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم (١٣٩٧) (٥١١) الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .

(٦) صحيح مسلم (٨٢٧) (٤١٥) الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

وثبت في الصحيحَيْن[١] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحَرَام » .

وفي مسند الإمام أحمد[٢] بإسناد حسن زيادةٌ حسنة وهي قوله « فإن ذلك أفضل » .

وفي الصحيحَيْن[٣] من حديث يحيى القطّان ، عن خُبَيْب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هُريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما بينَ بيتي ومنبري رَوْضَةٌ من رياضِ الجنَّة ، ومنبري على حَوْضي » .

والأحاديثُ في فضائل هذا المسجدِ الشريف كثيرةٌ جداً ، وسنوردُها في كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إنْ شاء الله ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلان ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمامُ مالكٌ وأصحابُه إلى أنَّ مسجدَ المدينة أفضلُ من المسجد الحرام ، لأنَّ ذاك بناهُ إبراهيم ، وهذا بناه محمدٌ ﷺ ، ومعلومٌ أنَّ محمداً أفضلُ من إبراهيمَ عليه السلام . وقد ذهب الجمهورُ إلى خلاف ذلك ، وقرَّروا أنَّ المسجد الحرام أفضلُ لأنه في بلدٍ حرَّمَهُ الله يوم خلق السمواتِ والأرض ، وحرَّمه إبراهيمُ الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره ، ولبَسْط هذه المسألة موضعٌ آخر وبالله المستعان .

فصــل

وبُني لرسولِ الله ﷺ حول مسجده الشريف حُجَرٌ لتكون مساكنَ له ولأهله ، وكانتْ مساكنَ قصيرةَ البناء قريبةَ الفِناء قال الحسن بن أبي الحسن البصري ـ وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أمِّ سَلَمة ـ لقد كنتُ أنالُ أطولَ سقفٍ في حُجَرِ النبيِّ ﷺ بيدي .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلاً ضَخْما طُوَالا رحمه الله .

وقال السُّهيلي في « الرَّوض »[٤] : كانت مساكنُه عليه السلام مبنيَّةً من جَريد عليه طين ، وبعضها من حجارةٍ مرضومة[٥] وسقوفها كلُّها من جَريد . ثم[٦] حكَى عن الحسن البصري ما تقدَّم .

---

(١) فتح الباري (١١٩٠) مسجد مكة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم (١٣٩٤) (٥٠٦) الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

(٢) لعل الرواية المذكورة في المسند (٣/ ٣٤٣) عن جابر والزيادة فيه هكذا « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة » . ولم أجد هذه الزيادة فيما روي من طريق الإمام أحمد في مسنده .

(٣) فتح الباري (١١٩٦) فضل الصلاة في مسجد مكة باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وصحيح مسلم (١٣٩١) (٥٠٢) الحج باب ما بين القبر والمنبر .

(٤) (٢/ ٢٤٨) بنحوه وبألفاظ مقاربة .

(٥) زاد السهيلي في الروض : بعضها فوق بعض . وهو تفسير المرضومة .

(٦) في ط : وقد حكى ، والمثبت من ح ويعني بالذي حكى السهيليّ . وما يأتي بين معقوفين من الروض .

قال : وكانتْ حُجَرُه [أكسيةً] من شعرٍ مربوطةٍ بخشب من عَرْعَر[١]

قال[٢] : وفي تاريخ البخاري أنَّ بابه عليه السلام كان يُقْرَع بالأظافير ، فدلَّ على أنه لم يكن لأبوابه حَلَق . قال : وقد أُضيفت الحُجَر كلُّها بعد موت أزواج رسولِ الله ﷺ إلى المسجد .

قال الواقدي وابنُ جَرير وغيرهما[٣] : ولما رجع عبد الله بن أُريقط الدُّئَلي إلى مكة بعث معه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر زيدَ بن حارثة وأبا رافع موليا رسولِ الله ﷺ ليأتوا بأهاليهم من مكة ، وبعثا معهم بجمَلَيْن وخمسمئة درهم ليشتروا بها إبلاً من قُدَيد ؛ فذهبوا فجاؤوا ببنتي النبيِّ ﷺ فاطمة وأم كلثوم وزوجتَيْه سودةَ وعائشةَ ، وأمِّها أمِّ رُومان وأهلِ النبيِّ ﷺ وآلِ أبي بكر صحبةَ عبد الله بن أبي بكر ، وقد شَرَدَ بعائشة وأمِّها أمِّ رُومان الجمَلُ في أثناء الطريق ، فجعلتْ أمُّ رُومان تقول : واعروساه ! وابنتاه ! قالت عائشة : فسمعتُ قائلاً يقول : أرسلي خِطامَه ، فأرسلتْ خطامه فوقف بإذن الله وسلَّمَنا الله عزَّ وجلَّ . فقَدِموا فنزلوا بالسُّنْح[٤] . ثم دخل رسولُ الله ﷺ بعائشةَ في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي ، وقدمتْ معهم أسماءُ بنتُ أبي بكر امرأةُ الزبيرِ بن العوَّام وهي حاملٌ مُتِمٌّ بعبد الله بن الزُّبير كما سيأتي بيانُه في موضعه من آخر هذه السنة .

فصــل
فيما أصابَ المهاجرين من حُمَّى المدينة رضي الله عنهم أجمعين

وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا الله فأزاحها عن مدينته .

قال البخاري[٥] : حدَّثنا عبد الله بن يوسف[٦] ، ثنا مالك عن[٧] هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وُعِكَ[٨] أبو بكرٍ وبلال ، قالت : فدخلتُ عليهما فقلت : يا أبةِ كيف تَجِدُك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبو بكر إذا أخذَتْهُ الحُمَّى يقول : [من الرجز]

كُلُّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ في أهلِهِ[٩] والموتُ أدْنَى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

---

(١) « العَرْعَر » : شجر السَّرْو . القاموس (عرعر) .
(٢) يعني السهيلي في الروض .
(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٦٢ ، ٦٣) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٠٠) .
(٤) تقدم تعريف السُّنح (ص٣٧٧ ح٤) .
(٥) فتح الباري (٣٩٢٦) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .
(٦) في ط : عبد الله بن وهب بن يوسف . تحريف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري في الفتح .
(٧) في ح ، ط : مالك بن هشام . تحريف ، والمثبت من صحيح البخاري .
(٨) « وُعِك » : أصابه الوعك وهي الحُمَّى . فتح الباري .
(٩) « مصبَّحٌ » : أي مصاب بالموت صباحاً ، أو يقال له وهو مقيم بأهله : صبَّحَكَ اللهُ بالخير وقد يفجؤه الموت في بقية=

وكان بلال إذا أقلع عنه الحُمَّى يرفع عَقِيرَتَهُ ويقول : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي هل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجليلُ[١]
وهـل أرِدَنْ يـومـاً ميـاهَ مَجنَّـةٍ وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفيلُ[٢]

قالت عائشة : فجئتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه فقال : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكة أو أشدّ ، وصحِّحْهَا ، وبارِكْ لنا في صاعِها ومُدِّها ، وانقُلْ حُمَّاها فاجْعَلْها بالجُحْفة » .

ورواه مسلم[٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً .

وفي رواية البخاري[٤] له عن أبي سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، فذكره ، وزاد بعد شعرِ بلال : ثم يقول بلال : اللهمَّ الْعَنْ عُتبةَ بن ربيعة ، وشيبةَ بن ربيعة ، وأُميَّة بن خَلَف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوَبَاء . فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكةَ أو أشدّ ، اللهمَّ بارِكْ لنا في صاعِها وفي مُدِّها[٥] وصحِّحها لنا ، وانقُلْ حُمَّاها إلى الجُحْفَة » قالت : وقدمنا المدينة وهي أوْبأ أرضِ الله ، وكان بُطْحانُ يجري نَجْلاً[٦] ـ تعني ماءً آجناً ـ .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق[٧] : حدثني هشام بن عروة وعمر[٨] بن عبد الله بن عروة [عن عروة] بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوْبأ أرض الله من الحُمَّى فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسُقْم ، وصرف الله ذلك عن نبيِّه . قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فُهَيرة وبلال موليا أبي بكر في بيتٍ واحد ، فأصابَتْهُمُ الحُمَّى ، فدخلتُ عليهم أعودهم وذلك قبل أن يُضرب علينا الحِجَاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدَّةِ الوَعْك ، فدنَوْتُ من أبي بكرٍ فقلت : كيف تَجِدُك يا أبة ؟ فقال : [من الرجز]

كلُّ امرىءٍ مصبَّحٌ في أهلِهِ والموتُ أدْنَى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

= النهار . الفتح (٧/ ٢٦٢) .

(١) « الإذْخِر » : حشيش طيب الريح أطول من الثيل ، واحدته إذْخِرَة . اللسان (ذخر) . وجليل : نبت ضعيف يُحشى به خَصَاص البيوت وغيرها (فتح الباري) .

(٢) مجنة موضعٌ على أميال من مكة ، (قد تكسر ميمه) . وشامَةٌ وطفيلُ : جبلان ، قال الخطابي : كنت أحسب أنهما جبلان حتى ثبت عندي أنهما عينان . فتح الباري (٧/ ٢٦٣) .

(٣) صحيح مسلم (١٣٧٦) (٤٨٠) الحج باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها .

(٤) فتح الباري (١٨٨٩) فضائل المدينة باب ١٢ بعد باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة . وما يأي بين معقوفين منه .

(٥) في الفتح : في صاعِنا وفي مدِّنا .

(٦) « بُطحان » : وادي المدينة .

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٥٨٨) والروض (٣/ ١٠) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٨) وقع في الروض : وعمرو بن عبد الله بن فروة . تحريف .

قالت : فقلت : والله ما يَدْري أبي ما يقولُ . قالت : ثم دنوتُ إلى عامر بن فُهيرة فقلت : كيف تَجِدُك يا عامر ؟ قال : [من الرجز]

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِهِ ... إنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ
كلُّ امرىءٍ مجاهدٌ بطَوْقِهِ ... كالثورِ يَحْمي جِلدَهُ بِرَوْقِهِ[1]

قالت : فقلت : والله ما يدري عامرٌ ما يقول . قالت : وكان بلال إذا أدركته الحُمَّى اضْطَجَعَ بفِناءِ البيت ثم رفع عَقِيرَتَه فقال : [من الطويل]

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بفَخٍّ وحَوْلي إذْخِرٌ وجَليلُ[2]
وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجَنَّةٍ ... وهل يَبْدُوَنْ لي شامةٌ وطَفِيلُ

قالت عائشة : فذكرتُ لرسولِ الله ﷺ ما سمعتُ منهم وقلت : إنهم لَيَهْذُونَ وما يعقلون من شِدَّةِ الحُمَّى . فقال : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة ، كما حَبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدّ ، وباركْ لنا في مُدِّها وصاعها ، وانقُلْ وباءَها إلى مَهْيَعَة » ومَهْيَعة هي الجُحْفَة .

وقال الإمامُ أحمد[3] : حدَّثنا يونس ، حدثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة اشتكى أصحابُه واشتكى أبو بكر وعامرُ بن فُهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنتْ عائشةُ رسولَ الله ﷺ في عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبي بكر : كيف تجدك ؟ فقال : [من الرجز]

كلُّ امرىءٍ مصبَّحٌ في أهلِهِ ... والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وسألت عامراً فقال : [من الرجز]

إني وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِهِ ... إنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ

وسألتُ بلالاً فقال : [من الطويل]

يا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بفَخٍّ وحولي إذْخِرٌ وجَليلُ[4]

فأتَتِ رسولَ الله ﷺ فأخبرَتْه ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدّ ، اللهم باركْ لنا في صاعها وفي مُدِّها ، وانقُلْ وباءها إلى مَهْيَعَة » . وهي الجُحْفَة فيما زعموا .

---

(١) « الرَّوْق » : القرن . اللسان (روق) . بطوقه : بطاقته . قاله ابن هشام في السيرة .
(٢) « فخ » : موضع بمكة . القاموس المحيط .
(٣) في مسنده (٦/ ٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) وقع في مسند أحمد : بفج . بالجيم وهو تصحيف . انظر معجم البلدان (٤/ ٢٣٧) وما سبق .

وكذا رواه النَّسائي عن قُتيبة عن الليث به[١] .

ورواهُ الإمام أحمد[٢] من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ وهي أوْبأ أرضِ الله ، وواديها بُطحان نَجْل . قال هشام : وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وَبِيئاً فأشرف عليها[٤] الإنسان قيل له أن ينهقَ نَهيقَ الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضرَّهُ وباءُ ذلك الوادي . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة : [من الطويل]

لعمري لئنْ عَشَّرْتُ[٥] من خيفةِ الرَّدَى   نهيقَ الحمارِ إنني لَجزوعُ

وروى البخاري[٦] من حديث موسى بن عُقْبة ، عن سالم ، عن أبيه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « رأيتُ كأنَّ امرأةً سوداءَ ثائرةَ الرأس ، خرجَتْ من المدينة حتى قامت بمَهْيَعَة ـ وهي الجُحْفَة ـ فأولتُها أنَّ وباءَ المدينة نُقل إلى مَهْيَعَة ـ وهي الجُحْفَة ـ » .

هذا لفظ البخاري ولم يخرِّجه مسلم ، ورواه الترمذي وصحَّحه ، والنَّسائي وابنُ ماجَهْ[٧] من حديث موسى بن عقبة .

وقد روى حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، [عن أبيه] ، عن عائشة قالت : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهي وبيئة[٨] ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : « وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفَة » . قال هشام : فكان المولود يولد بالجُحْفَة فلا يبلغُ الحلم حتى تصرَعَهُ الحُمّى .

رواه البيهقي في « دلائل النبوة »[٩] .

---

(١) أخرجه في الحج من سننه الكبرى (٤٢٧٢) ، وفي الطب منها (٧٥١٩) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في المسند (٦/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٥٦٧) .
(٤) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : عليه .
(٥) في ح ، ط : عبرت. وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل ، والبيت لعروة بن الورد وهو في ديوانه ص(٩٥) وساقه صاحبا اللسان والتاج في (عشر) ؛ وعشَّر الحمار تعشيراً : تابع النهيق عشراً .
(٦) في صحيحه فتح (٧٠٣٨) و(٧٠٣٩) و(٧٠٤٠) التعبير باب المرأة السوداء وباب المرأة الثائرة الرأس .
(٧) جامع الترمذي (٢٢٩٠) الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ وسنن ابن ماجه (٣٩٢٤) تعبير الرؤيا باب تعبير الرؤيا والنسائي في تعبير الرؤيا من سننه الكبرى (٧٦٥١) .
(٨) في دلائل النبوة : وبئة .
(٩) (٢/ ٥٦٨) وما ورد بين معقوفين منه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهي وبيئة[١] ، فأصاب أصحابَهُ بها بلاءٌ وسُقْم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيِّه ﷺ .

وقد ثبت في الصحيحَيْن[٢] عن ابن عباس قال : قدم رسولُ الله ﷺ وأصحابه [صبيحة رابعة ـ يعني مكة ـ عام عمرة القضاء][٣] ، فقال المشركون : إنه يقدمُ عليكم وَفْدٌ قد وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِب ؛ فأمرهم رسولُ الله ﷺ أن يَرْمُلوا وأن يمشوا ما بين الرُّكْنَيْن ، ولم يمنَعْهُ أن يرملوا الأشواطَ كلها إلا الإبقاءُ عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت في سنةِ سبعٍ في ذي القَعْدَة ، فإما أن يكون تأخَّر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رُفع وبقي آثارٌ منه قليل . أو أنهم بَقُوا في خُمَارِ ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المُدَّة . الله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق[٤] : وذكر ابنُ شهاب الزُّهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ رسولَ الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابُه أصابَتْهُمْ حُمَّى المدينة حتى جهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيِّهِ ﷺ حتى كانوا وما يصلُّون إلا وهم قعود ، قال فخرج رسولُ الله ﷺ وهم يصلُّون كذلك فقال لهم : « اعلموا أنَّ صلاة القاعد على النِّصْفِ من صلاة القائم » . فتجشَّمَ المسلمونَ القيامَ على ما بهم من الضعف والسُّقْم التماسَ الفَضْل .

فصـــل

في عقده عليه الصلاة السلام الأُلْفَة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقرَّرهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قَيْنُقَاع وبنو النَّضِير وبنو قُرَيظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بُخْت نَصَّر حين دوَّخ بلادَ المَقْدِس فيما ذكره الطَّبَري[٥] . ثم لما كان سيل العرم وتفرَّقَتْ سَبَأ شَذَر مَذَر نزل الأوسُ والخزرج المدينةَ عند اليهود ، فحالفوهم وصاروا يتشبَّهون بهم لما يرَوْن لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء ، لكن مَنَّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وخَذَلَ أولئك لحسَدهم وبَغْيهم واستكبارهم عن اتِّباع الحقّ .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٥٦٨) : وهي أوبأ أرض الله من الحمى . والمصنف ينقل عنه .
(٢) فتح الباري (١٦٠٢) الحج باب كيف كان بدءُ الرَّمَل (٤٢٥٦) المغازي باب عمرة القضاء ، وصحيح مسلم (١٢٦٦) (٢٤٠) الحج باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة .
(٣) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٥٦٠) والروض (٣/ ١٠) .
(٥) تاريخ الطبري (١/ ٥٣٨ ، ٥٣٩) .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عفَّان ، حدثنا حمَّاد بنُ سَلَمة ، حدثنا عاصم الأحول عن أنس بن مالك ، قال : حالَفَ رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارِ أنس بن مالك .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبخاري ومسلم وأبو داود[٢] من طُرقٍ متعدِّدة عن عاصم بن سليمان الأحول عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسولُ الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا نصر بن باب ، عن حجاج ـ هو ابنُ أرطاة ـ قال : وحدَّثنا سُريج ، حدثنا عبَّاد عن حجَّاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنَّ النبيَّ ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُم[٤] ، وأن يَفْدوا عانِيَهُم بالمعروف ، والإصلاح بين المسلمين .

قال أحمد : وحدَّثنا سُريج ، حدثنا عبَّاد عن حجَّاج ، عن الحكم عن مِقْسَم[٥] عن ابن عباس مثله .

تفرَّد به الإمام أحمد .

وفي صحيح مسلم[٦] عن جابر : كتب رسولُ الله ﷺ على كل بَطْنٍ عُقُولَه[٧] .

وقال محمد بن إسحاق[٨] : كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَعَ فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتابٌ من محمد النبيِّ ﷺ[٩] بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثْرِب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، أنهم أُمَّةٌ واحدةٌ من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم ، يتعاقَلُونَ بينهم وهم يَفْدُونَ عانِيَهُمْ بالمعروف والقِسط ، وبنو عوف على رِبْعَتِهم يتعاقلون مَعَاقِلَهُم الأولى ، وكلُّ طائفة تَفْدي عانِيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين .

---

(١) في مسنده (٣/ ٢٨١) .

(٢) مسند أحمد (٣/ ١١١) و(١٤٥) وفتح الباري (٢٢٩٤) في الكفالة ، و(٦٠٨٣) الأدب باب الإخاء والحلف ، (٧٣٤٠) الاعتصام باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ، وصحيح مسلم (٢٥٢٩) (٢٠٤) و(٢٠٥) فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ، وسنن أبي داود (٢٩٢٦) الفرائض باب في الحلف .

(٣) في المسند (١/ ٢٧١ و٢/ ٢٠٤) .

(٤) «يعقلون معاقلهم » : أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها . والمَعَاقل : الدِّيات جمع مَعْقُلة . النهاية لابن الأثير (عقل) .

(٥) في ط : قاسم . تحريف ، والمثبت من ح وترجمته في تهذيب التهذيب ، وهو مقسم بن بجرة .

(٦) صحيح مسلم (١٥٠٧) (١٧) العتق باب النهي عن بيع الولاء وهبته .

(٧) في ط : عقولة . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح مسلم . والعقول : الديات .

(٨) سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١) والروض (٢/ ٢٤٠) وما يأتي بين معقوفين منهما ، وأخرجه أبو عبيد في الأموال (ص٢٠٢) عن يحيى بن بكير وعبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد عن عُقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه قال : بلغني أن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب . . فذكره .

(٩) في ط : النبي الأمي . وفي ح : النبي بين . . والمثبت من سيرة ابن هشام .

ثم ذكر كلَّ بَطْنٍ من بطونِ الأنصار ، وأهلَ كلِّ دارٍ بني ساعدة ، وبني جُشَم ، وبني النجار ، وبني عمرو بن عوف ، وبني النَّبيت ، إلى أن قال : وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[١] بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِداءٍ وَعَقْل[٢] ، ولا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دَسِيعَةَ[٣] ظُلْم أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديَهُمْ عليه جميعهم ولو كان ولدَ أحدِهم ، ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر ، ولا يُنصر كافر على مؤمن ، وإنَّ ذِمَّةَ الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ، وإنَّ المؤمنين بعضُهم مواليَ بعض دون الناس ، وإنَّ مَنْ تبعنا من يهود فإنَّ له النَّصْر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرَ عليهم ، وإنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمنٌ دون مؤمن في قتالٍ في سبيل الله إلا على سواءٍ وعَدْل بينهم ؛ وإنَّ كلَّ غازيةٍ غزَتْ معنا يَعْقُبُ بعضُها بعضاً[٤] ، وإن المؤمنين يُبِيءُ[٥] بعضُهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْيٍ وأقْوَمِه ، وإنه لا يجير مشرك مالًا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعْتَبَطَ[٦] مؤمناً قَتْلاً عن بَيِّنةٍ فإنَّه قَوَدٌ به إلى أن يرضى وليُّ المقتول ، وإنَّ المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلُّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وإنه لا يحل لمؤمنٍ أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدِثاً ولا يُؤويه ، وأنه من نَصَره أو آواه فإنَّ عليه لعنة الله وغضَبَه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْل ؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيءٍ فإنَّ مرده إلى الله عزَّ وجل ، وإلى محمد ﷺ وإنَّ اليهود يتفقونَ مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإنَّ يهودَ بني عَوف أمَّة مع المؤمنين ، لليهود دينُهم وللمسلمين دينُهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظَلَم وأَثِم فإنه لا يُوتِغُ[٧] إلا نفسَه وأهلَ بيته ، وإنَّ ليهود بني النجّار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جُشَم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة[٨] مثل ما ليهود بني عوف ، وإنَّ بِطَانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن

---

(١) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٥٠٢) : المُفْرَح : المثقل بالدَّين والكثير العيال .

(٢) في السيرة : في فداء أو عقل .

(٣) في ط : دسيسة . تصحيف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والنهاية لابن الأثير وفيه (٢/ ١١٧) : أي طلب دفعاً على سبيل الظلم ، فأضافه إليه ، وهي إضافة بمعنى من . ويجوز أن يراد بالدسيعة العطية : أي ابتغى منهم أن يدفعوا إليه عطية على وجه ظُلْمهم .

(٤) أن يكون الغزو بينهم نُوَباً ، فإذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلَّف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها . النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٦٧) .

(٥) في ح : يبوء . والمثبت من السيرة وط ، وجاء في اللسان (بوء) : باءَ دَمُهُ بوءاً وبواءً : عَدَلَهُ ، وأباءَهُ وباوَأهُ : إذا قُتل به وصار دمه بدمه . والبَواء السَّواء . وفلان بَوَاءُ فلان : أي كفؤه إن قتل به اهـ .

(٦) في ح ، ط : اغتبط . تصحيف ، والمثبت من السيرة ، وجاء في النهاية لابن الأثير (٣/ ١٧٢/ عبط) : أي قتله بلا جنايةٍ كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، فإن القاتل يقاد به ويقتل . وكل من مات بغير عِلَّة فقد اعتبُط .

(٧) « لا يوتغ » : أي لا يُهلك . النهاية (وتغ) .

(٨) كذا في ط وفي ح : سطنه بالسين المهملة ، وفي السيرة والروض : الشُّطَّيبة . وفي الأموال لأبي عبيد : وإن بني الشَّطْبَة بطن من جفنة . ولم أقف عليه .

محمد [ﷺ] ، ولا يَتَحَجَّرُ[١] على ثأرِ جُرْحٍ ، وإنه مَنْ فَتَكَ فبنفسه ، إلا من ظُلم ، وإن الله على أثر[٢] هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتُهم ، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة ، وإنَّ بينهم النصحَ والنَّصيحة والبرَّ دون الإثم ، وإنَّه لم يأثم امرؤ بحَلِيفه ، وإنَّ النصرَ للمظلوم ، [وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين] وإنَّ يثرب حرام جَوْفُها[٣] لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجارٍ[٤] يُخاف فسادُه فإن مرَدَّه إلى الله وإلى محمدٍ رسولِ الله ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه ، وإنه لا تُجارُ قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النَّصْر على مَنْ دَهِم يثرب ، وإذا دُعُوا إلى صُلْح يصالحونه ويَلْبَسونه فإنهم يصالحونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا مَنْ حارب في الدين على كل أناس[٥] حصَّتهم من جانبهم الذي قِبَلهم ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ أو آثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلا من ظَلَم أو أثم ، وإنَّ الله جارٌ لمن برَّ واتَّقى » .

كذا أوردهُ ابنُ إسحاق بنحوه . وقد تكلَّم عليه أبو عُبيد القاسمُ بن سلام رحمه الله في كتاب الغَريب وغيره[٦] بما يطول ذكره .

فصل
في مؤاخاة النبيِّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليرتفق المهاجريُّ بالأنصاريّ

كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر : ٩] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ[٧] أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٣٣] .

---

(١) في ط : ينحجر . بالنون والواو المهملة وفي السيرة والروض : ينحجز بالزاي ، والمثبت من ح ، والمعنى والله أعلم : أن القتيل يؤخذ بحقه ، وأن القاتل يلقى جزاءه ولا يمكن السكوت عنه . فقد جاء في النهاية (حجر/ ١/ ٣٤٢) : « لما تحجَّر جُرْحُه ، أي اجتمع والتأم وقرب بعضه من بعض » .

(٢) كذا في ح ، ط وفي السيرة والروض : على أبرِّ هذا . أي على الرضا .

(٣) في ط : حرفها ، وفي ح : خوفها ، والمثبت من السيرة والروض والأموال ، وفيه : حرَمٌ جَوْفها .

(٤) في ح : استجبار . والمثبت من ط والسيرة والروض .

(٥) في ح : إنسان . والمثبت من ط والسيرة والروض .

(٦) انظر تخريج الخبر في الحاشية (٣) ص(٥٠٤) .

(٧) في الأصول ﴿ عاقَدَتْ ﴾ ، وهي رواية البخاري؛ وبها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ عَقَدَتْ ﴾ بغير ألف . انظر السبعة لابن مجاهد ص(٢٣٣) والكشف للقيسي (١/ ٣٨٨) .

قال البخاري[(١)] : حدَّثنا الصَّلْتُ بن محمد ، حدثنا أبو أسامة ، عن إدريس ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ قال : وَرَثة ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ كان المهاجرون لما قَدِموا المدينة يَرِثُ المهاجريُّ الأنصاريّ دونَ ذوي رَحِمه للأخوَّةِ التي آخى النبيُّ ﷺ بينهم ، فلما نزلتْ ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ نُسِخَتْ ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ من النَّصرِ والرِّفادةِ والنَّصِيحة ، وقد ذهب الميراثُ ، ويوصي له .

وقال الإمام أحمد[(٢)] : قُرِىء على سفيان ، سمعتُ عاصماً عن أنس قال : حالف النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا . قال سفيان : كأنَّه يقول آخى .

وقال محمد بن إسحاق[(٣)] : وآخَى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ : « تآخُوا في اللهِ أخوَيْنِ أخوين » ثم أخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال : « هذا أخي » فكان رسولُ الله ﷺ سيِّدُ المرسلين ، وإمامُ المتقين ، ورسولُ ربِّ العالمين ، الذي ليس له خَطيرٌ[(٤)] ولا نَظير من العباد ، وعليُّ بن أبي طالب أخوَينِ ؛ وكان حمزةُ بنُ عبد المطلب أَسَدُ الله وأسدُ رسولِه وعمُّ رسولِ الله ﷺ وزيدُ بن حارثة مولى رسولِ الله ﷺ أخوَيْن ، وإليه أَوْصَى حمزةُ يومَ أُحُدٍ [حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت] ؛ وجعفرُ بن أبي طالب ذو الجناحَيْنِ [الطيَّار في الجنة] ومُعاذُ بن جَبَل أخوَيْن ـ قال ابنُ هشام : كان جعفر يومئذٍ غائباً بأرضِ الحبشة ـ قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر ، وخارجةُ بن زيد الخزرجي أخوَيْن ؛ وعمر بن الخطاب ، وعِتْبان بن مالك أخوَيْنَ ؛ وأبو عبيدة ، وسعد بن معاذ أخوين ؛ وعبدُ الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع أخوين ؛ والزبير بن العوَّام ، وسلَمَةُ بنُ سَلامة بن وَقْش أخَوَيْن ، ويقال : بل كان الزُّبير وعبدُ الله بن مسعود أخَوَين ؛ وعثمانُ بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر النجَّاري أخوين ؛ وطلحة بن عُبيد الله ، وكعب بن مالك أخوَيْن ؛ وسعيد بن زيد ، وأُبَيُّ بن كعب أخَوَين ؛ ومُصْعَب بن عُمير ، وأبو أيُّوب أخَوَيْن ؛ وأبو حُذَيْفة بن عتبة ، وعبَّاد بن بِشْر أخوَين ؛ وعمَّار ، وحُذيفة بن اليَمان العَبْسي حليف بني عبدِ الأشْهَل أخوين ؛ ويقال : بل كان عمَّار وثابت بن قيس بن شمَّاس أخوَيْن .

قلت : وهذا السندُ[(٥)] من وجهين . قال : وأبو ذر بُرَيْر بن جُنَادة[(٦)] والمنذر بن عمرو

---

(١) في صحيحه فتح (٤٥٨٠) التفسير باب ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ . . . ﴾ الآية .

(٢) في المسند (٣/ ١١١) رقم (١٢٠٢٨) ، وإسناده صحيح .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٤) والروض (٢/ ٢٤٢) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٤) في ح : خَطَر . وهما بمعنى . الخَطَر : المِثْل في العُلوّ والقَدْر ، ولا يكون في الشيء الدُّون كالخَطير كأمير ؛ وفي الحديث « ألا هل مشمِّرٌ للجنة فإن الجنة لا خطر لها » أي لا مثل لها . انظر التاج والنهاية لابن الأثير (خطر) .

(٥) في ح : وهذا النسب .

(٦) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٥٠٦) : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر جندب بن جنادة .

المُعْنِق[١] ليموت أخَوَيْن ، وحاطب بن أبي بَلْتَعة وعُويم بن ساعدة أخَوَيْن ؛ وسلمان ، وأبو الدرداء أخوين ؛ وبلال ، وأبو رُوَيْحة عبد الله بن عبد الرحمن الخَثْعَمي ثم أحد الفَزَع[٢] أخوين .

قال : فهؤلاء ممن سُمِّي لنا ممن كان رسولُ الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ؛ أمَّا مؤاخاة النبيِّ ﷺ وعلي فإنَّ من العلماء من يُنكر ذلك ويمنع صحته ؛ ومستندُه في ذلك أنَّ هذه المؤاخاة إنما شُرعت لأجل ارتفاق بعضِهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاةِ النبيِّ ﷺ لأحدٍ منهم ، ولا مهاجريّ لمهاجريٍّ آخر ، كما ذكره من مؤاخاةِ حمزةَ وزيد بن حارثة ، اللهمَّ إلا أن يكون النبيُّ ﷺ لم يجعل مصلحةَ عليٍّ إلى غيره ، فإنه كان ممن يُنفق عليه رسولُ الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدَّم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكونُ حمزة قد التزم بمصالحِ مولاهم زيدِ بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .

وهكذا ذِكْرُه لمؤاخاةِ جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإنَّ جعفر بن أبي طالب إنما قدِم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانُه ، فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أولَ مقدَمه عليه السلام إلى المدينة ؟ اللهم إلا أنْ يقال : إنه أرصد لإخوته إذا قدم حين يقدم ، وقوله : وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواهُ الإمام أحمد[٣] : حدثنا عبدُ الصمد ، حدثنا حمَّاد ، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ آخى بين أبي عبيدةَ بن الجرَّاح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم[٤] منفرداً به عن حجَّاج بنِ الشَّاعِر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به . وهذا أصحُ مما ذكره ابنُ إسحاق من مؤاخاةِ أبي عُبيدة وسعد بن معاذ . والله أعلم .

وقال البخاري[٥] باب كيف آخى النبيُّ ﷺ بين أصحابه ؛ وقال عبدُ الرحمن بن عوف : آخى النبيُّ ﷺ بيني وبين سعد بن الرَّبيع لما قدِمنا المدينة . وقال أبو جُحَيْفة : آخى النبيُّ ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما .

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن حُميد ، عن أنس قال : قدم عبدُ الرحمن بن عوف فآخَى النبيُّ ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فعَرَض عليه أنْ يُناصِفَه أهلَهُ وماله . فقال عبدُ الرحمن : بارك اللهُ لكَ في أهْلِكَ ومالك ، دُلَّني على السُّوق . فربح شيئاً من أقط وسمن ، فرآه النبيُّ ﷺ بعد أيام

---

(١) في ح ، ط : المعتق . تصحيف ، والمثبت من السيرة والروض . وهو لقبه لأنه لما بلغ النبي مقتله قال : أعنق ليموت . أي إن المنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه . انظر النهاية (عنق) وما سيأتي .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٥٢) : الفَزَع : هو ابن شَهْرَان بن عِفْرس بن حلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم ، وانظر المؤتلف والمختلف للدارقطني (٤/ ١٨١٨) .

(٣) في المسند (٣/ ١٥٢) رقم (١٢٤٨٤) .

(٤) في صحيحه (٢٥٢٨) (٢٠٣) فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي ﷺ .

(٥) في صحيحه فتح (٣٩٣٧) مناقب الأنصار .

وعليه وضرٌ من صُفْرَة[(١)] ، فقال النبيُّ ﷺ : « مَهْيَم يا عبد الرحمن ؟ »[(٢)] قال : يا رسول الله ! تزوجْتُ امرأةً من الأنصار . قال : « فما سُقْتَ فيها ؟ » قال : وَزْنَ نواةٍ من ذَهَب ، فقال النبيُّ ﷺ : « أوْ لمْ ولو بشاة » .

تفرَّد به من هذا الوَجْه .

وقد رواهُ أيضاً في مواضعَ أخر ، ومسلم من طرقٍ عن حُميد به[(٣)] .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت وحُميد عن أنس ، أنَّ عبد الرحمن بنَ عوف قدم المدينة فآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال له سعد : أي أخي أنا أكثرُ أهلِ المدينة مالاً ، فانظُرْ شَطْرَ مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فانظُرْ أيُّهما أعجبُ إليك حتى أُطَلِّقها . فقال عبدُ الرحمن : بارَكَ اللهُ لك في أهـلك ومـالك ، دُلُّوني على السُّوق . فدلُّوه ، فذهب فاشترى وباعَ فربح ، فجاء بشيءٍ من أقطٍ وسَمن ؛ ثم لبث ما شاء الله أنْ يَلْبَث فجاء وعليه رَدْعُ زَعْفَران[(٥)] فقال رسول الله ﷺ : « مَهْيَمْ ؟ » فقال : يا رسول الله ! تزوجتُ امرأةً ، قال : « ما أصدقتَها ؟ » قال : وزنَ نَوَاةٍ من ذهب . قال : « أوْ لِمْ ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوتُ أن أصيبَ ذهباً وفضة[(٦)] .

وتعليقُ البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريبٌ ، فإنه لا يُعرَفُ مسنداً[(٧)] إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقَّاه عنه . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[(٨)] : حدثنا يزيد ، أخبرنا حُميد عن أنس ، قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ! ما رأينا مثل قومٍ قدِمْنا عليهم أحسن مواساةً في قليل ، ولا أحسنَ بَذْلاً من[(٩)] كثير ! لقد كفوْنا المؤونة

---

(١) « وضر من صفرة » : أي لَطْخٌ من خَلُوق أو طيبٌ له لون ، وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته ، والوضر : الأثر من غير الطيب . النهاية لابن الأثير (وضر) .

(٢) « مَهْيَمْ » : أي ما أمرك وما شأنك ؟ وهي كلمة يمانية . النهاية لابن الأثير (مهيم/ ٤/ ٣٧٨) .

(٣) فتح الباري (٢٠٤٩) البيوع باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ [الجمعة : ١٠] . وصحيح مسلم (١٤٢٧) (٧٩) النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد .

(٤) في المسند (٣/ ٢٧١) .

(٥) « رَدْعُ زعفران » : لَطْخٌ منه . القاموس (ردع) ، ووقع في ط : ودع . تصحيف .

(٦) في المسند : أو فضة . وهو أشبه .

(٧) جاء في هامش ح فوق قوله : مسنداً . ما نصُّه : هذا غريب! بل رواه البخاري موصولاً في أول البيوع فراجعه تجده عن عبد الرحمن . قلت : هذا صحيح ، انظر فتح الباري (٢٠٤٨) كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ . . . ﴾ [الجمعة : ١٠] ،

(٨) في المسند (٣/ ٢٠٠) .

(٩) في المسند : في . وهو أشبه .

وأشركونا في المَهْنأ ، حتى لقد خشينا[١] أن يذهبوا بالأجر كُلِّه . قال : « لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

هذا حديثٌ ثلاثيُّ الإسناد على شرط الصحيحَيْن ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابتٌ في الصحيح من[٢] .

وقال البخاري[٣] : أخبرنا الحكم بن نافع أخبرنا شُعيب ، حدثنا أبو الزِّنَاد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار [للنبيِّ ﷺ] : اقْسِمْ بيننا وبين إخواننا النَّخيل . قال : « لا » قالوا : تكفونَنا المؤونة[٤] ونَشْرَكُكُم في الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا .

تفرد به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رسولُ الله ﷺ للأنصار : « إنَّ إخوانَكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله ﷺ : « أو غيرَ ذلك ؟ » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونَهم وتقاسمونهم الثَّمَر » قالوا: نعم[٥] .

وقد ذكرنا[٦] ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحُسْن سجاياهم عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ الآية .

فصــل

في موت أبي أُمامة أسعد بن زُرَارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجَّار أحد النقباء الاثني عشر ليلةَ العقبة على قومه بني النجار ، وقد شهد العقباتِ الثلاث وكان أولَ مَنْ بايع رسولَ الله ﷺ ليلةَ العقبة الثانية في قول ، وكان شاباً ، وهو أول من جَمَّع بالمدينة في نقيع الخَضِمات في هزم النَّبيت كما تقدَّم[٧] .

قال محمد بن إسحاق[٨] : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زُرَارة والمسجد يُبنى ، أَخَذَتْهُ الذّبحة ـ أو الشَّهْقَة[٩] ـ .

---

(١) في المسند : حسبنا . وهنا أجود .
(٢) كذا بياض في كل من ط وح .
(٣) في صحيحه فتح (٢٣٢٥) الحرث والمزارعة باب إذا قال اكفني مؤونة النخل ، وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) « المؤونة » : العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها . فتح الباري (٥/ ٨) .
(٥) أخرجه الطبراني في التفسير (٢٨/ ٤٧) في تفسير سورة الحشر الآية (٩) وذكره المصنف أيضاً في تفسير الآية .
(٦) ص(٤٧٣ ، ٤٧٤) من هذا الجزء .
(٧) في هذا الجزء (ص٤٠٣ ، ٤٠٤) .
(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٧) والروض (٢/ ٢٤٣) .
(٩) « الذبحة » : كهُمَزة وعِنَبَة وكِسْرة وصُبْرَة : وجع يعرض في الحلق من الدم ؛ وقيل : هي قُرْحة تظهر فيه فينسدُّ معها=

وقال ابنُ جرير في « التاريخ »[١] : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن معمر ، عن الزُّهري ، عن أنس أنَّ رسولَ الله ﷺ كَوَى أسعد بن زُرارة في الشَّوْكة . رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق[٢] : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بئس الميتُ أبو أمامة ليهود ومنافقي العرب ، يقولون لو كان نبيّاً لم يَمُتْ صاحبُه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » .

وهذا يقتضي أنه أول مَنْ مات بعد مقدَم النبيِّ ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بنُ الأثير في « أسد الغابة »[٣] : أنه مات في شوال بعد مقدم النبي ﷺ بسبعة أشهر . فالله أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق[٤] عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنَّ بني النجّار سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يقيمَ لهم نقيباً بعد أبي أمامة أسعد بن زُرارة ؛ فقال : « أنتم أخْوَالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبُكم » وكره أن يخصَّ بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجّار الذي يعتدُّون به على قومهم أنْ كان رسولُ الله ﷺ نقيبَهم .

قال ابن الأثير[٥] : وهذا يردُّ قول أبي نعيم وابن مَنْدَه في قولهما أنَّ أسعد بن زرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار ، وصدق ابن الأثير فيما قال .

وقد قال أبو جعفر بن جرير في « التاريخ »[٦] : كان أولَ مَنْ تُوفِّي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين ـ فيما ذُكر ـ صاحب منزله كلثومُ بنُ الهِدْم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات . ثم توفِّي بعده أسعدُ بن زُرارة وكانت وفاتُه في سنة مقدمِهِ قبل أن يَفْرُغَ بناءُ المسجد بالذّبْحَة أو الشَّهْقَة .

قلت : وكلثوم بن الهِدْم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأَوْسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسولِ الله ﷺ المدينة ، ولما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ونزل بقُبَاء نزل في منزل هذا في الليل ، وكان

= وينقطع النفس فتقتل . والشهقة : الصَّيْحَة . النهاية لابن الأثير (ذبح) واللسان (شهق) .

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٨) .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٧) والروض (٢/ ٢٤٣) .
(٣) أسد الغابة (١/ ٧١) .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٧) والروض .
(٥) أسد الغابة (١/ ٧١ ، ٥٢) .
(٦) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٧) .

يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الرَّبيع رضي الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دارِ بني النجَّار كما تقدَّم .

قال ابن الأثير[١] : وقد قيل إنه أولُ مَنْ مات من المسلمين بعد مقدَم رسولِ الله ﷺ ، ثم بعده أسعد بن زُرارة .

ذكره الطبري[٢] .

فصـــل
في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أولَ مولود ولد في الإسلام من المهاجرين كما أنَّ النعمان بن بشير أولُ مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما . وقد زعم بعضُهم أنَّ ابن الزُّبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسودُ[٣] .

ورواهُ الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثْمَة عن أبيه عن جده .

وزعموا أنَّ النعمان ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر على رأس أربعةَ عشرَ شهراً من الهجرة ، والصحيحُ ما قدَّمنا .

قال البخاري[٤] : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء أنَّها حملَتْ بعبدِ الله بن الزُّبير ، قالت : فخرجتُ وأنا مُتِمٌّ ، فأتيتُ المدينة ، فنزلتُ بقُباء ، فولدْتُهُ بقباء ، ثم أتيتُ به رسولَ الله ﷺ فوضعه في حَجْره ، ثم دعا بتمرةٍ فمضَغَها ثم تفل في فيه ، فكان أولَ شيءٍ دخلَ جوفَه ريقُ رسولِ الله ﷺ ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرَّكَ عليه . فكان أولَ مولودٍ ولد في الإسلام .

تابعَهُ خالد بن مَخْلَد عن عليِّ بن مُسْهِر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها هاجرَتْ إلى النبيِّ ﷺ وهي حُبْلى .

حدثنا[٥] قُتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أوَّلُ مولودٍ وُلد في الإسلام عبدُالله بن الزُّبير ، أتَوْا به النبيَّ ﷺ فأخذ النبيُّ ﷺ تمرةً فلاكَها ثم أدخلها في فيه ، فأولُ ما دخل بطنَهُ ريقُ النبيِّ ﷺ .

فهذا حُجَّةٌ على الواقدي وغيره لأنه ذكر أنَّ النبيَّ ﷺ بعث مع عبد الله بن أُرَيْقط لما رجع إلى مكة

---

(١) في أسد الغابة (٤/ ٢٥٢) .
(٢) في تاريخه (٢/ ٣٩٧) .
(٣) أبو الأسود هو محمد بن عبد الرحمن كما في تاريخ ابن عساكر ص٣٩٢ في ترجمة عبد الله بن الزبير .
(٤) في صحيحه فتح (٣٩٠٩) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .
(٥) يتابع المصنف نقل التالي من صحيح البخاري ورقمه (٣٩١٠) .

زيدَ بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيالِ أبي بكر ، فقدِموا بهم إثر هجرةِ النبيِّ ﷺ وأسماء حامل مُتِمّ ، أي مُقْرِبٌ قد دَنَا وَضْعُها لولدها ، فلما ولدَتْه كبَّر المسلمون تكبيرةً عظيمة فرحاً بمولده ، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا .

فصـــل

وبنى رسولُ الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الإمام أحمد[١] : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أُمَيَّة ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوَّجني رسولُ الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأيُّ نساءِ رسولِ الله ﷺ كان أحظى عنده مني ؟! وكانت عائشةُ تستحبُّ أن تُدخل نساءها في شوال .

ورواهُ مسلم والترمذي والنسائي وابنُ ماجَهْ من طرق عن سفيان الثوري به[٢] . وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري .

فعلى هذا يكون دخولُه بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعةِ أشهر ـ أو ثمانية أشهر ـ وقد حكى القولين ابنُ جرير[٣] ، وقد تقدَّم في تزويجه عليه السلام بسَوْدَة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وأن دخوله بها كان بالسُّنح نهاراً[٤] ، وهذا خلاف ما يعتادُه الناسُ اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال ردٌّ لما يتوهَّمُه بعضُ الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشيء لما قالَته عائشة رادَّةً على من توهَّمه من الناس في ذلك الوقت : تزوَّجني في شوَّال ، وبنى بي في شوال ـ أي دخل بي ـ في شوال ، فأيُّ نسائه كان أحْظَى عنده مني ؟ فدلَّ هذا على أنها فهِمَتْ منه عليه السلام أنها أحبُّ نسائِهِ إليه ، وهذا الفهم منها صحيح ، لما دلَّ على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديثُ الثابتُ في صحيح البخاري[٥] عن عمرو بن العاص ، قلت يا رسول الله : أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » .

---

(١) في المسند (٦/ ٢٠٦) .

(٢) صحيح مسلم (١٤٢٣) (٧٣) النكاح باب استحباب التزوج والتزويج في شوال . وجامع الترمذي (١٠٩٣) النكاح باب ما جاء في الأوقات التي يستحب فيها النكاح . وسنن النسائي (٣٣٧٧) النكاح باب البناء في شوال . وسنن ابن ماجه (١٩٩٠) النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء .

(٣) في تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٨) .

(٤) تقدم الخبر ص(٣٧٦ ، ٣٧٧) .

(٥) فتح الباري (٣٦٦٢) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .

فصـــل

قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة ـ يعني السنة الأولى من الهجرة ـ زيد في صلاة الحَضَر ـ فيما قيل ـ ركعتان ، وكانت صلاةُ الحضر والسفرِ ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبيِّ ﷺ المدينة بشهرٍ في ربيع الآخر لمُضِيٍّ ثنتي عشرةَ ليلة منه[٢] . وقال[٤] : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم[٣] الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرّت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . ورُوي من طريق الشعبي عن مسروق عنها .

وقد حكى البيهقي[٤] عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فُرضت فُرضت أربعاً . والله أعلم .

وقد تكلّمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء : ١٠١] الآية .

فصـــل

في الأذان ومشروعيته عند مقدمه عليه السلام المدينة النبوية

قال ابن إسحاق[٥] : فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع الأنصار استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامتِ الحدود وفُرض الحلالُ والحرام وتبوَّأ الإسلامُ بين أظهرهم ، وكان هذا الحيُّ من الأنصار هم الذين تبوَّءوا الدارَ والإيمان وقد كان رسولُ الله ﷺ حين قدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين مواقيتها بغيرِ دَعْوة ، فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يجعل بُوقاً كبوقِ يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالنَّاقوس فنُحت ليُضرب به للمسلمين للصلاة ؛ فبينا هم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرَج النداءَ ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلةَ طائف ، مرَّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران يحملُ ناقوساً في يده ، فقلت : يا عبد الله أتَبيعُ هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : ألا أدلُّكَ على خيرٍ من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول ، الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٠) .

(٢) في ط : مضت . والمثبت من ح وتاريخ الطبري ، وفي نسخة منه : مضت منه .

(٣) تقدم في حديث الإسراء .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٣٦٢) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٨) والروض (٢/ ٢٥٣) .

محمداً رسول الله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، حيَّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : « إنها لرؤيا حق إنْ شاء الله ، فقمْ مع بلال فألقِها عليه فليؤذِّن بها ، فإنه أنْدَى صوتاً منك »[١] . فلما أذَّن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسولِ الله ﷺ وهو يجرُّ رداءَه وهو يقول : يا نبيَّ الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ الذي رأى . فقال رسولُ الله : فلله الحمد .

قال ابنُ إسحاق[٢] : حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجَهْ وابنُ خزيمة[٣] من طرق عن محمد بن إسحاق به . وصحَّحه الترمذي وابنُ خزيمة وغيرُهما .

وعند أبي داود أنه علمه الإقامة قال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهدُ أن لا إله إلا الله ، أشهد أنَّ محمداً رسول الله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، قد قامتِ الصلاةُ قد قامتِ الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

وقد[٤] روى ابنُ ماجَهْ هذا الحديث عن أبي عُبيد محمد بن عُبيد بن ميمون عن محمد بن سَلَمة الحرَّاني عن ابنِ إسحاق كما تقدَّم ، ثم قال[٥] : قال أبو عُبيد : وأخبرني أبو بكر الحَكَميّ أنَّ عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك : [من الخفيف]

أحمدُ الله ذا الجلالِ وذا الإكـ ـرام حَمْداً على الأذانِ كثيرا[٦]
إذْ أتاني به البشيرُ من اللهِ فأكرِمْ به لديَّ بَشيرا
في ليالٍ والَى بهنَّ ثلاثٍ كلَّما جاء زادني توقيرا

---

(١) « أندى » : أرفع وأعلى وأبعد . وقيل : أحسن وأعذب . النهاية لابن الأثير (ندي) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٩) والروض (٢/ ٢٥٣) .

(٣) سنن أبي داود (٤٩٩) الصلاة باب كيف الأذان . وجامع الترمذي (١٨٩) الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان . وسنن ابن ماجه (٧٠٦) الأذان باب بدء الأذان . وصحيح ابن خزيمة (٣٦٣) جماع أبواب الأذان والإقامة باب ذكر الدليل على أن من كان أرفع صوتاً وأجهر كان أحق بالأذان .

(٤) تأخر هذا الحديث في ح إلى ما بعد قول المصنف : والله أعلم . في تعليقه على حديث الإسراء الذي رواه السهيلي .

(٥) سنن ابن ماجه (٧٠٦) وهو حديث صحيح كما قال الترمذي ، فإن ابن إسحاق قد صرح بالسماع فانتفت شبهة تدليسه ، وقد صححه جماعة من الأئمة إضافة الترمذي منهم : البخاري والنووي والذهبي . أما ما ساقه أبو عبيد من الشعر عن الحكمي بعد الحديث فإسناده منقطع ، كما هو ظاهر ، فلا يصح سنده (بشار) .

(٦) رواية البيت في ح ، ط هكذا :

الحمد لله ذي الجلال وذي الإكرام

ولا يستقيم به الوزن ، والمثبت من سنن ابن ماجه ، وإعجام : كثيراً منه ومن ح .

قلت : وهذا الشعر غريب ، وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاثَ ليالٍ حتى أخبر به رسولَ الله ﷺ فالله أعلم .

ورواه الإمام أحمد[١] من حديث محمد بن إسحاق ، قال : وذكر الزُّهري عن سعيد بن المُسَيِّب عن عبد الله بن زيد به ، نحو روايةِ ابنِ إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ، ولم يذكر الشعر .

وقال ابنُ ماجَه[٢] : حدَّثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ، حدثنا أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن سالم عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ استشار الناسَ لما يهمُّهُمْ من الصلاة[٣] ، فذكروا البوق فكَرِهَهُ من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوسَ فكرِهَهُ من أجل النَّصارى . فأري النداء تلك الليلة رجلٌ من الأنصار يُقال له عبد الله بن زيد وعمرُ بن الخطاب ، فطرَقَ الأنصاريُّ رسولَ الله ﷺ ليلاً ، فأمر رسولُ الله ﷺ بلالاً فأذَّن به .

قال الزُّهري : وزادَ بلالٌ في نداءِ صلاةِ الغَداة ، الصلاةُ خيرٌ من النَّوْم . مرَّتَيْن[٤] . فأقرَّها رسولُ الله ﷺ فقال عمر : يا رسول الله ، رأيت مثلَ الذي رأى ولكنَّه سبقني .

وسيأتي تحريرُ هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير إن شاء اللهُ تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذي أورَدَهُ السُّهيلي بسنده[٥] من طريق البزَّار : حدّثنا محمد بن عثمان بن مخلد ، حدثنا أبي ، عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليِّ بن أبي طالب ، فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملكٌ من وراء الحِجاب ، فأذَّن بهذا الأذان ، وكلما قال كلمةً صدَّقَهُ الله تعالى ، ثم أخذ الملَكُ بيد محمد ﷺ فقدَّمه فأمَّ أهلَ[٦] السماء وفيهم آدَمُ ونوح .

ثم قال السُّهيلي : وأخلِقْ بهذا الحديثِ أنْ يكون صحيحاً لما يعضُدُه ويُشَاكِلُه من حديث الإسراء .

فهذا الحديث ليس كما زعم السُّهيلي أنه صحيح بل هو مُنْكر ، تفرَّد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تُنسب إليه الفِرْقَةُ الجاروديَّة وهو من المُتَّهمين[٧] . ثم لو كان هذا قد سمعه رسولُ الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهِجْرَة في الدعوةِ إلى الصلاة . والله أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٤٢ ، ٤٣) رقم (١٦٤٢٩) .

(٢) في سننه (٧٠٧) الأذان باب بدء الأذان ، وإسناده ضعيف بسبب شيخ ابن ماجه فإنه مجمع على تضعيفه . على أن متن الحديث صحيح من حديث ابن عمر فهو في الصحيحين البخاري (٦٠٤) ، ومسلم (٣٧٧) .

(٣) في سنن ابن ماجه : يُهمُّهُمْ إلى الصلاة .

(٤) ليس لفظ : مرتين في سنن ابن ماجه .

(٥) في الروض (٢/ ٢٨٥) وكشف الأستار (٣٥٢) الصلاة باب بدء الأذان .

(٦) في ح ، ط : فأمَّ بأهل ، والمثبت من الروض وكشف الأستار .

(٧) ميزان الاعتدال (٢/ ٩٣) .

قال ابن هشام[١] : وذكر ابنُ جريج قال : قال لي عطاء : سمعتُ عُبيد بن عُمير يقول : ائتمر النبيُّ ﷺ وأصحابُه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينا عمر بن الخطاب يُريد أن يشتريَ خشبَتَيْن للناقوس إذْ رأى عمرُ في المنام : لا تجعلوا الناقوسَ ، بل أذِّنوا للصلاة . فذهب عمرُ إلى النبيِّ ﷺ ليُخبره بما رأى وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك ، فما راعَ عمرَ إلا بلالٌ يؤذِّن ؟ فقال رسولُ الله ﷺ حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوَحْي » .

وهذا يدلُّ على أنه قد جاء الوحيُ بتقريرِ ما رآه عبدُ الله بن زَيْد بن عبد ربه ، كما صرَّح به بعضُهم . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأةٍ من بني النجّار قالت : كان بيتي من أطول بيتٍ حول المسجد ، فكان بلال يؤذِّنُ عليه للفجر كلَّ غَدَاة فيأتي بسَحَر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطَّى ثم قال : اللهمَّ [إنِّي] أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا دينك . قالت : ثم يؤذِّن ؛ قالت : والله ما علمتُه كان تركها ليلةً واحدة ـ يعني هذه الكلمات . ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به[٢] .

فصـــل
في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابنُ جرير[٣] : وزعم الواقديّ أنَّ رسولَ الله ﷺ عقَدَ في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجَرِه لحمزة بن عبد المطَّلب لواءً أبيض في ثلاثينَ رجلاً من المهاجرين ليعترض لعِيراتِ قُريش[٤] ، وأنَّ حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمئة رجلٍ من قريش ، فحجز بينهم مَجْديُّ بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال . قال : وكان الذي يحمل لواءَ حمزةَ أبو مرثد الغَنَويّ .

فصـــل
في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابنُ جرير[٣] : وزعم الواقديُّ أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ عقَدَ في هذه السنة على رأسِ ثمانيةِ أشهر في

---

(١) في السيرة (١/ ٥٠٩) والروض (٢/ ٢٥٣) وما يأتي بين معقوفين منهما .
(٢) سنن أبي داود (٥١٩) الصلاة باب الأذان فوق المنارة ، وهو حديث حسن .
(٣) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٢) .
(٤) « عِيَرَات » : جمع عِير ، قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث وحرَّكوا الياء لمكان الجمع بالتاء . وقد قال بعضهم : عِيْرات . بالإسكان اللسان (عير) .

شوال ، لعُبيدة بن الحارث لواءً أبيض وأمرَهُ بالمسير[١] إلى بطن رابغ . وكان لواؤه مع مِسْطَح بن أُثَاثة ، فبلغ ثنيَّة المَرَة وهي بناحيةِ الجُحْفَة[٢] في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاريّ ، وأنهم التقوْا هم والمشركين على ماءٍ يُقالُ له أحياء ، وكان بينهم الرَّمي دون المُسَايفة[٣] . قال الواقدي : وكان المشركون مئتين عليهم أبو سفيان صَخْر بن حَرْب وهو الثابت[٤] عندنا ؛ وقيل : كان عليهم مِكْرَز بن حَفْص .

فصـــل

قال الواقدي[٥] : وفيها ـ يعني في السنة الأولى في ذي القَعْدَة ـ عقد رسولُ الله ﷺ لسعدِ بن أبي وقَّاص إلى الخرَّار لواءً أبيض يحملُه المقدادُ بن الأسود ؛ فحدَّثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد [عن أبيه] . قال : خرجتُ في عشرين رجلاً على أقدامنا ـ أو قال أحد وعشرين رجلاً ـ فكنا نكمُنُ النهارَ ونسير الليل حتى صبَّحنا الخرَّار صُبْح خامسة ، وكان رسولُ الله ﷺ قد عهد إليَّ أن لا أجاوز الخرَّار ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم . قال الواقدي : كانت العير ستين ، وكان مَنْ مع سعد كلُّهم من المهاجرين .

قال أبو جعفر بن جرير[٦] رحمه الله وعندَ ابنِ إسحاق رحمه الله أنَّ هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلُّها في السنة الثانيةِ من الهِجْرَة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابنِ إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر رحمه الله لمن تأمَّله كما سنوردُه في أول كتابِ المغازي في أولِ السنةِ الثانيةِ من الهجرة وذلك تِلْو مانحنُ فيه إنْ شاء الله تعالى ، أو يحتمل أن يكون مرادُه أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وسنزيدُها بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدي رحمه الله عنده زياداتٌ حسنة ، وتاريخٌ محرَّرٌ غالباً فإنه من أئمةِ هذا الشأن الكبار وهو صدوقٌ في نفسه مِكْثار كما بسطْنَا القولَ في عدالته وجَرْحِه في كتابنا الموسوم « بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » ولله الحمدُ والمِنَّة .

فصـــل

وممن ولد في هذه السنة المباركة ـ وهي الأولى من الهجرة ـ عبدُ الله بن الزُّبير ، فكان أولَ مولودٍ ولد

---

(١) في ح : بالسير . وكذا في إحدى نسخ الطبري .
(٢) الجُحْفَة : على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام . معجم البلدان (٢/ ١١١) .
(٣) في ط : المسابقة . والمثبت من تاريخ الطبري . والمسايفة : التضارب بالسيف .
(٤) في ط : المثبت . والمثبت من ح .
(٥) قول الواقدي في تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) وما يأتي بين معقوفين منه ، الخبر في مغازي الواقدي (١/ ٢) .
(٦) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) .

في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أمِّ المؤمنين ابنتَي الصدِّيق رضي الله عنهما ، ومن الناس من يقول : ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون عبد الله بن الزبير أولَ مولودٍ ولد بعد الهجرة من المهاجرين ، ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الأول ، كما قدَّمنا بيانه ولله الحمد والمِنَّة[1] ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابنُ جرير[2] : وقد قيل : إنَّ المختارَ بن أبي عُبيد وزياد بن سُمَيَّة وُلدا في هذه السنة[3] . فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة ؛ كلثوم بن الهِدْم الأوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقُباء إلى حين ارتحل منها إلى دارِ بني النجَّار كما تقدَّم ، وبعده ـ فيها ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيبُ بني النجَّار ، توفي ورسولُ الله ﷺ يبني المسجد كما تقدَّم رضي الله عنهما وأرضاهما .

قال ابن جرير[4] : وفي هذه السنة ـ يعني الأولى من الهجرة ـ مات أبو أُحَيحة بمالِهِ بالطائف ، ومات الوليد بن المغيرة والعاصُ بن وائل السَّهْمي فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شِرْكهم لم يُسلموا لله عزَّ وجل[5]

•••

(١) في ص(٥١٢) .
(٢) في تاريخه (٢/ ٤٠٢) .
(٣) أشار ناشر ط في الحاشية إلى أنه في الأصلين : السنة الثانية ، غير أنني لم أجد كلمة : الثانية في ح .
(٤) في تاريخه (٢/ ٣٩٨) .
(٥) في هامش ح ما نصه : بلغ مقابلة على أصل معتمد وقف . . . حسب الطاقة .

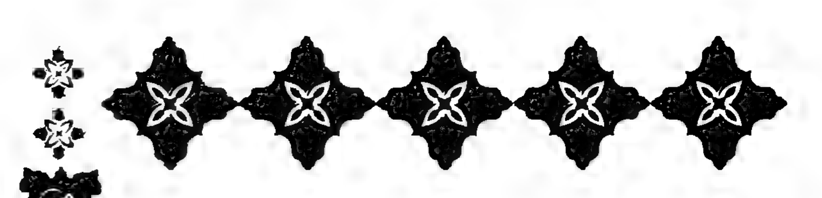
الفهرس

الموضوع	الصفحة
ذكر شيء مما وقع من الحوادث في زمن الفترة	٥
ذكر تجديد حفر زمزم	٦
ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده	١١
تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة	١٣
كتاب سيرة رسول الله ﷺ	١٧
باب مولد رسول الله ﷺ	٣٠
صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام	٣٥
فصل فيما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ	٤٢
ذكر ارتجاج الإيوان	٤٤
ذكر مراضعه وحواضنه عليه الصلاة والسلام	٥٢
ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام	٥٣
فصل في خروجه ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب	٦٩
فصل قصة بحيرى	٧٤
فصل في منشئه ﷺ ومرباه وكفاية الله له..	٧٥
ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار	٧٩
فصل في شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول	٨٢
فصل في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد	٨٦
باب ما كان يشتغل به رسول الله ﷺ	٨٨
فصل في تجديد قريش بناء الكعبة	٩٤
كتاب مبعث رسول الله ﷺ وذكر شيء من البشارات	١٠٧
ذكر أخبار غريبة في ذلك	١٢٣
قصة عمرو بن مرة الجهني	١٢٧
قصة سيف بن ذي يزن الحميري وبشاراته بالنبي الأمي	١٤٢
باب في هواتف الجانّ	١٤٨
باب كيف بدأ الوحي	١٨٧
ذكر عمره ﷺ وقت بعثته وتاريخها	١٩٠
فصل في منع الجانّ ومردة الشياطين من استراق السمع..	٢٠٩
فصل في كيفية إتيان الوحي	٢١٣

الموضوع	الصفحة
فصل في ذكر أول من أسلم من متقدمي الإسلام من الصحابة	٢٢٠
ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب	٢٣٣
ذكر إسلام أبي ذر	٢٣٤
ذكر إسلام ضماد	٢٣٨
باب أمر الله رسوله ﷺ بإبلاغ الرسالة	٢٤٠
قصة الإراشي	٢٥٠
فصل في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين	٢٥٦
باب مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم	٢٧٤
باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ	٢٨١
ذكر عزم الصِّديق على الهجرة إلى أرض الحبشة	٣١٨
ذكر نقض الصحيفة	٣٢١
قصة أعشى بن قيس	٣٢٩
قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها	٣٣٢
فصل في الإسراء والمعراج وما رأى هنالك من الآيات	٣٣٩
فصل في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ	٣٥٤
فصل وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ	٣٦١
فصل في موت خديجة بنت خويلد	٣٦٨
فصل بتزويجه ﷺ بعد خديجة بعائشة وسودة	٣٧٣
فصل في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف	٣٨١
فصل في عرض رسول الله ﷺ نفسه على أحياء العرب	٣٨٥
فصل قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام	٣٩٦
إسلام إياس بن معاذ	٣٩٧
باب بُدُوّ إسلام الأنصار	٤٠٠
قصة بيعة العقبة الثانية	٤١٣
فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية	٤٢٥
باب بُدُوِّ الهجرة من مكة إلى المدينة	٤٢٨
فصل في سبب هجرة رسول الله ﷺ	٤٣٦
باب هجرة رسول الله ﷺ	٤٤٠
فصل في دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة	٤٦٣
ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة	٤٧٨
فصل في إسلام عبد الله بن سلام	٤٨٣
ذكر خطبة رسول الله ﷺ	٤٨٧

الموضوع	الصفحة
فصل في بناء مسجده الشريف	٤٨٩
تنبيه على فضل هذا المسجد	٤٩٦
فصل فيما أصاب المهاجرين من حمَّى المدينة	٤٩٩
فصل في عقده عليه الصلاة والسلام الألفة بين المهاجرين	٥٠٣
فصل في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار	٥٠٦
فصل في ميلاد عبد الله بن الزبير	٥١٢
فصل : وبنى رسول الله ﷺ بعائشة	٥١٣
فصل في الأذان ومشروعيته	٥١٤
فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب	٥١٧
فصل في سرية عبيدة بن الحارث	٥١٧
الفهرس	٥٢١

* * *



الموضوع: تاريخ

العنوان: البداية و النهاية 1/20

التأليف: الإمام ابن كثير

التحقيق: مجموعة من العلماء

الطبعة الثانية

1431 هـ - 2010 م

الورق: كريم
ألوان الطباعة: لونان
عدد الصفحات: 10128
القياس: 17×24
التجليد: فني ـ لوحة
الوزن: 15215 غ

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي
و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من

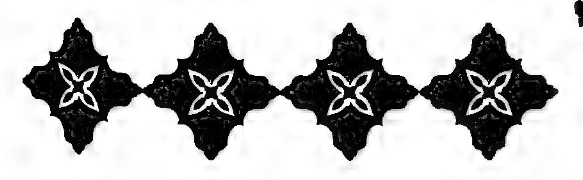


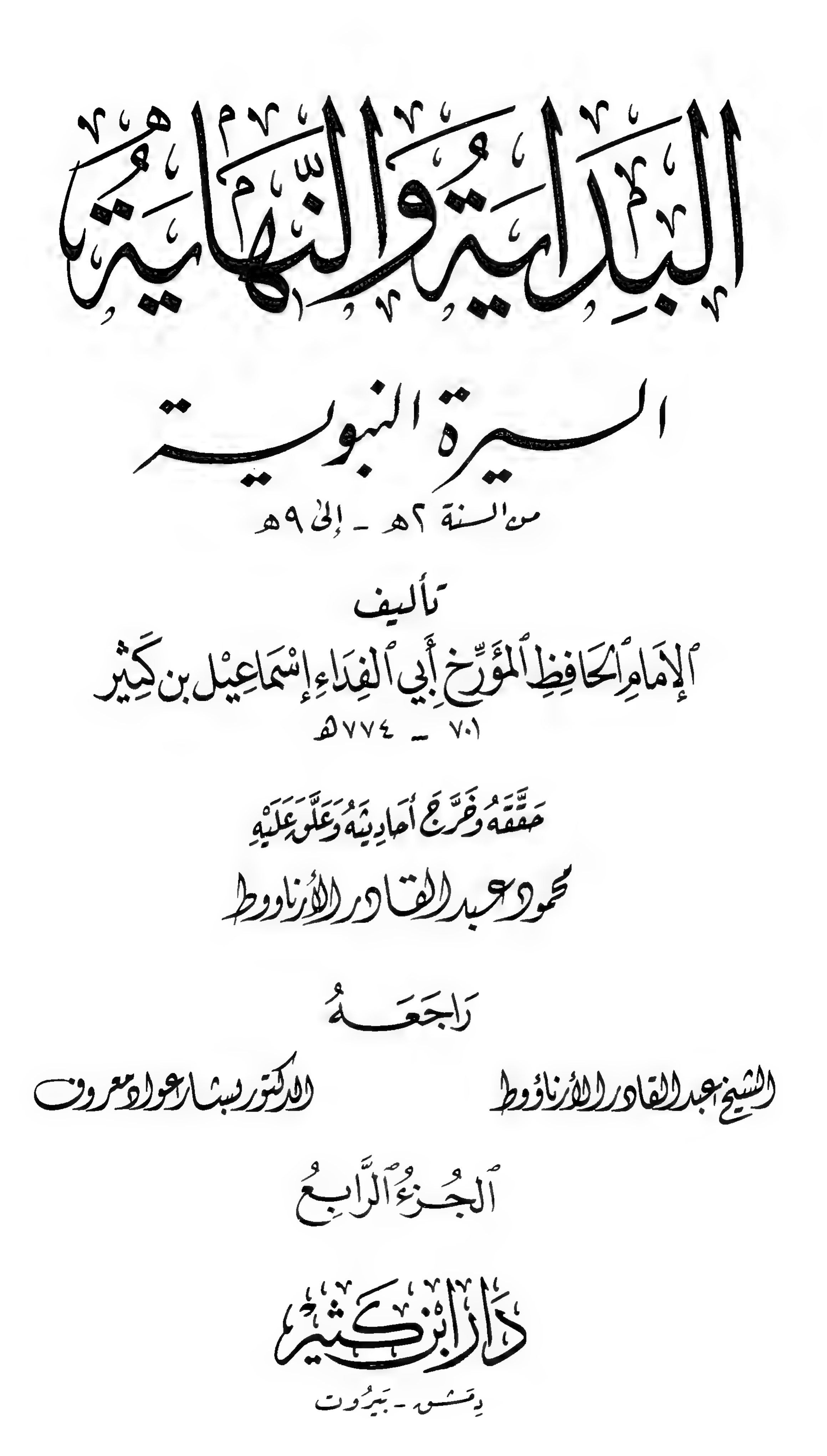
للطباعة و النشر و التوزيع

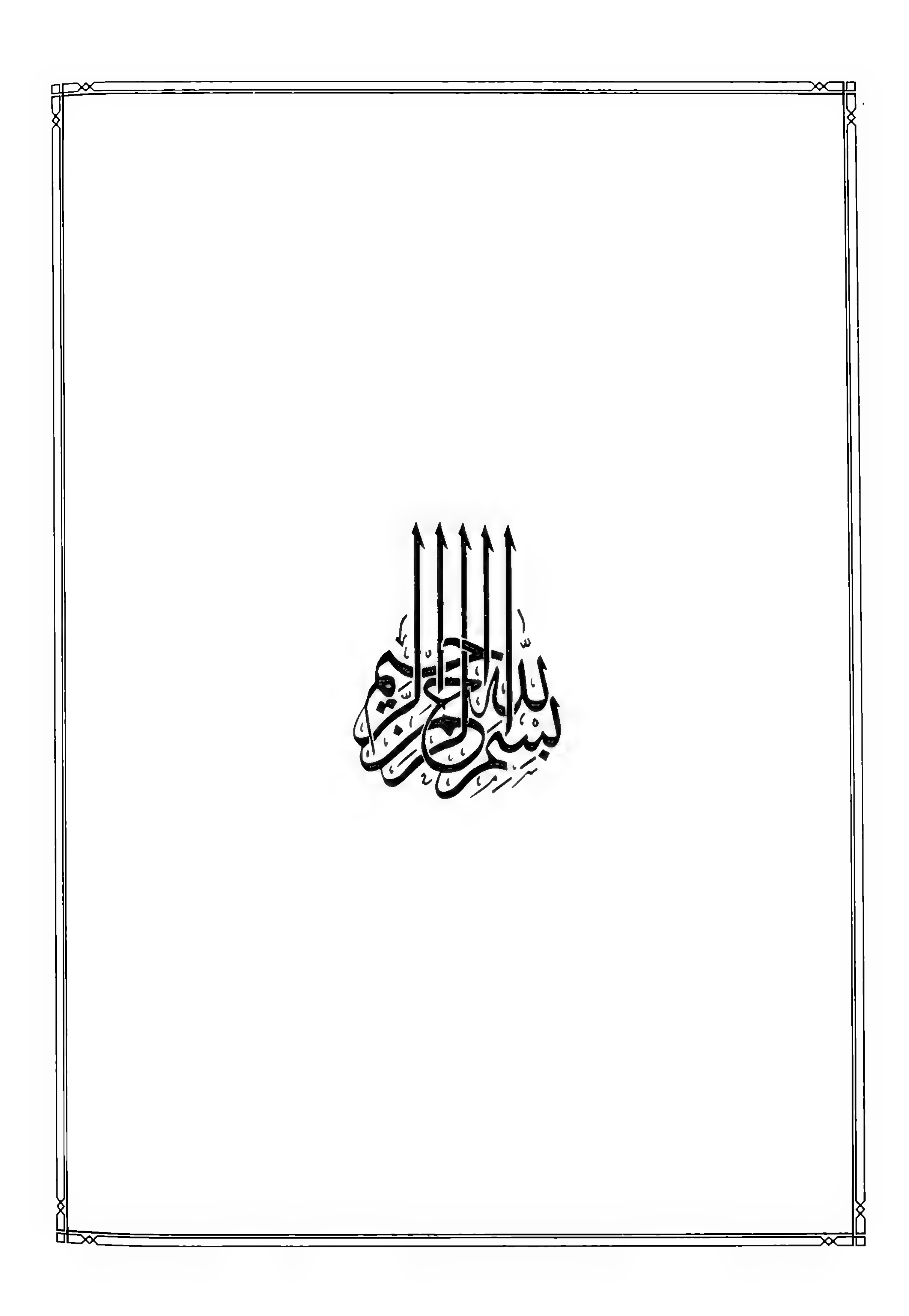
التنفيذ الطباعي:
مطبعة ايبكس - بيروت
التجليد:
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - سوريا - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541
بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
تلفاكس: 01 817857 - جوال: 03 204459
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com






البداية والنهاية
السيرة النبوية
من السنة ٢هـ - إلى ٩هـ
تأليف
الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠١ - ٧٧٤هـ
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
محمود عبد القادر الأرناؤوط
راجعه
الشيخ عبد القادر الأرناؤوط
الدكتور بشار عواد معروف
الجزء الرابع
دار ابن كثير
دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ
شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

ذكر ما وقع في السّنة الثانية من الهجرة من الحوادث

وقع فيها كثير من المغازي والسّرَايا ، ومن أعظمها وأجلّها بدر الكبرى ، التي كانت في رمضان منها ، وقد فرَّق الله بها بين الحقّ والباطل ، والهدى والغيّ .

وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث ، فنقول وبالله المستعان :

كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « السيرة »[١] ، بعد ذكره أحبار[٢] اليهود ، ونصبهم العداوة للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات : فمنهم ؛ حييّ بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر ، وجديّ ، وسلاّم بن مشكم ، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق ، وسلاّم بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع الأعور ، تاجر أهل الحجاز ، وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر ـ كما سيأتي ـ والرّبيع بن الرّبيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيّيء ، ثم أحد بني نبهان ، وأمّه من بني النّضير ـ وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع ، كما سيأتي ـ وحليفاه الحجّاج بن عمرو ، وكردم بن قيس ، لعنهم الله ، فهؤلاء من بني النّضير .

ومن بني ثعلبة بن الفطيون[٣] ؛ عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز أحد أعلم بالتوراة منه ـ قلت : وقد قيل : إنّه أسلم .

وابن صلوبا ، ومخيريق ـ وقد أسلم يوم أحد كما سيأتي ـ وكان حَبْرَ قومه[٤] .

ومن بني قينقاع ؛ زيد بن اللّصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيحان[٥] ، وعزيز بن أبي

---

(١) تنبيه : كتاب « السيرة النبوية » لابن إسحاق لا يعرف مكان وجوده كاملاً فيما أعلم ، والذي نشر منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ثم بتحقيق الدكتور سهيل زكّار ، إنما هو قطعة منه ليس فيها الموطن الذي نقل عنه المؤلف رحمه الله ، وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٤) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) في (آ) : « أخبار » والمثبت من (ط) وهو مناسب للسياق .

(٣) انظر شرح الإمام السُّهَيلي لها في « الروض الأنف » (٤/ ٣٩٧) .

(٤) في (آ) : « خير قومه » وفي (ط) « حبر قومه » وهو الصواب .

(٥) كذا في (آ) و(ط) : « شيحان » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « سيحان » بالسين .

عزيز ، وعبد الله بن صيف[١] ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحريّ بن عمرو ، وشأس[٢] بن عديّ ، وشأس[٢] بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو[٣] ، وسكين بن أبي سكين ، وعديّ بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وأزار بن أبي أزار .

قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر[٤] .

ورافع بن حارثة [ورافع بن حريملة][٥] ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

قلت : وقد تقدّم إسلامه[٦] ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : وكان حبرهم[٧] وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله[٨] .

قال ابن إسحاق[٩] : ومن بني قريظة ؛ الزّبير بن باطا بن وهب ، وعزّال بن شمويل ، وكعب بن أسد ـ وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه عام الأحزاب ـ وشمويل بن زيد [وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنّحّام بن زيد ، وكردم[١٠] بن كعب ، ووهب بن زيد] ونافع بن أبي نافع ، وعديّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا .

قال : ومن بني زريق ؛ لبيد بن أعصم ، وهو الذي سحر رسول الله ﷺ[١١]

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : « ابن ضيف » .

(٢) في (آ) : « شأس » وفي (ط) « شاش » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .

(٣) في (آ) و(ط) : « بن عمير » وهو خطأ ، وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .

(٤) في (آ) و(ط) : « ابن أبي آزر » . وفي « السيرة النبوية » و« الروض الأنف » (٤/٣٠٦) : « آزر بن آزر » وأثبته عنهما .

(٥) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وأثبته عن (ط) فقط .

(٦) يعني إسلام (عبد الله بن سَلام) رضي الله عنه .

(٧) في (آ) : « وكان خيرهم » وأثبت لفظ (ط) .

(٨) انظر ترجمته وما جاء حول قصة إسلامه رضي الله عنه في « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) وتعليقي عليه ، طبع دار ابن كثير .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٥١٥ ـ ٥١٦) .

(١٠) كذا في (آ) و(ط) في هذا الموطن : « كردم » وفي « السيرة النبوية » : « قردم » بالقاف . وما بين الحاصرتين عن (ط) وحدها .

(١١) قلت : وقد روى حديث سحرِ (لبيد بن أعصم اليهودي) لرسول الله ﷺ البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله =

ومن يهود بني حارثة ؛ كنانة بن صوريا .

ومن يهود بني عمرو بن عوف ؛ قردم بن عمرو .

ومن يهود بني النجّار ؛ سلسلة بن برهام .

قال ابن إسحاق[١] : فهؤلاء أحبار يهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، رضي الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين [كانوا][٢] يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ ، على وجه التّعنّت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النّصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، إلّا ما كان من عبد الله بن سلام ، ومخيريق .

ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام ، وإسلام عمّته خالدة[٣] ، كما قدّمناه ، وذكر إسلام مخيريق يوم أحد[٤] ، كما سيأتي ، وأنّه قال لقومه ، وكان يوم السبت : يا معشر يهود ، والله إنّكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ . قالوا : إنّ اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج [حتى أتى رسول الله][٥] ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد ويصنع فيها ما أراه الله[٦] ، وكان كثير الأموال ، ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه ، قال : فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني : « مخيريق خير يهود »[٧]

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق[٨] من مال إلى هؤلاء [الأضداد] من اليهود ، من المنافقين من الأوس والخزرج ، فمن الأوس ؛ زويّ بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصّامت الأنصاريّ ، وفيه نزل : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] وذلك أنّه قال حين تخلّف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقاً ، لنحن شرّ من الحمير[٩] . فنماها ابن امرأته عمير بن سعد

= عنها . انظر تفاصيل ذلك وشرحه والتعليق عليه في « جامع الأصول » لابن الأثير (٥/ ٦٥ ـ ٦٧) بتحقيق والدي وأستاذي فضيلة المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٦) وقد ذكر كلام ابن إسحاق باختصار .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة مني يقتضيها سياق الكلام .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٦ ـ ٥١٧) واسمها (خالدة بنت الحارث) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٨) .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٦) في (آ) و(ط) : ((يرى فيها ما أراه الله)) وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف في نقله .

(٧) رواه ابن سعد في « الطبقات » (١/ ٥٠١ و٥٠٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٢٢٩) من طريق الواقدي ، وهو متروك .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٩) .

(٩) في (ط) : ((لنحن شرّ من الحمر)) .

إلى رسول الله ﷺ ، فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك . قال[١] : وقد زعموا أنّه تاب وحسنت توبته ، حتى عرف منه الإسلام والخير . قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذي قتل المجذّر بن ذياد البلويّ ، وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين ، وكان منافقاً ، فلمّا التقى الناس ، عدا عليهما فقتلهما ، ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام[٢] : وكان المجذّر قد قتل أباه سويد بن الصّامت في بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد . كذا قال ابن هشام .

وقد ذكر ابن إسحاق أنّ الذي قتل سويد بن الصَّامت إنّما هو معاذ بن عفراء ، قتله [غيلةً] في غير حرب ، قبل يوم بعاث ، رماه بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال : لأنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ،فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ؛ ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغني عن ابن عباس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٦][٣] . إلى آخر القصة قال : وبِجَادُ بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحبّ أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا »[٤] . وكان جسيماً ، أدلم[٥] ، ثائر شعر الرأس ، أحمر العينين ، أسفع الخدّين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ، ثم ينقله إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنّما محمد أذن ؛ من حدّثه بشيء صدّقه . فأنزل الله فيه : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ ﴾ الآية [التوبة : ٦١][٦]

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتّب بن قشير ، وهما اللّذان عاهدا الله ﴿ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [التوبة : ٧٥][٧] ، ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك .

ومعتّب هو الذي قال يوم أحد : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] . فنزل فيه

---

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٠) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٠) وما بين الحاصرتين مستدرك منه .

(٣) رواه النسائي (٧/ ١٠٧) بنحوه ، وهو حديث صحيح .

(٤) ذكره ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/ ٥٢١) ولفظه عنده : ((من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث)) .

(٥) الأدلم من الرجال : الطويل الأسود . « لسان العرب » (دلم) .

(٦) رواه ابن أبي حاتم بسند حسن .

(٧) رواه الطبري في « تفسيره » وغيره ، وهو ضعيف جداً .

الآية[١] ، وهو الذي قال يوم الأحزاب : كأنّ محمداً يعدنا أنّا نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢][٢]

قال ابن إسحاق[٣] : والحارث بن حاطب .

قال ابن هشام : ومعتّب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ـ وهما من بني أميّة بن زيد ـ من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أميّة بن زيد ، في أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق[٤] : وعبّاد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف وبَحْزَج ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وعمرو بن خذام[٥] ، وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطّاف ، وابناه يزيد[٦] ومجمّع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضّرار ، وكان مجمّع غلاماً حدثاً ، قد جمع أكثر القرآن ، وكان يصلّي بهم فيه ، فلمّا خرّب مسجد الضّرار ـ كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك ـ وكان في أيام عمر ، سأل أهل قباء عمر أن يصلّي بهم مجمّع ، فقال : لا والله ، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضّرار؟ فحلف بالله ماعلمت بشيء من أمرهم . فزعموا أنّ عمر تركه فصلّى بهم . قال : ووديعة بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] فنزل فيه ذلك .

قال : وخذام بن خالد ، وهو الذي أخرج مسجد الضّرار من داره .

قال ابن هشام مستدركاً على ابن إسحاق في منافقي بني النّبيت من الأوس : وبشر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق[٧] : ومربع بن قيظيّ ، وكان أعمى ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه[٨] وهو ذاهب إلى أحد : لا أحلّ لك ، إن كنت نبيّا ، أن تمرّ في حائطي . وأخذ في يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ، وإسناده حسن .
(٢) أخرجه جويبر عن ابن عباس ، وجويبر ضعيف جداً .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٢) .
(٥) في (آ) : « حزام » وفي (ط) : « عمرو بن حرام » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : « يزيد » وفي « السيرة » : « زيد » . وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الإصابة » (٣/ ٦٥٣) في رسم « يزيد » وذكر الخلاف في الاسمين ، وقال : الصواب أنهما أخوان .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٣ـ٥٢٥) .
(٨) الحائط : البستان .

رسول الله ﷺ : « دعوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر »[١] .

وقد ضربه سعد بن زيد الأشهليّ بالقوس فشجّه . قال : وأخوه أوس بن قيظيّ ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ . قال الله : ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣][٢]

قال : وحاطب بن أميّة بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً ، قد عسا[٣] في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له : يزيد بن حاطب . أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر ، فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنّة يا بن حاطب .

قال : فنجم[٤] نفاق أبيه ، فجعل يقول : أجل ، جنّة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال : وبشير بن أبيرق [وهو][٥] أبو طعمة ، سارق الدّرعين ، الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ الآيات [النساء : ١٠٧][٦]

قال : وقزمان ، حليف لبني ظفر ، الذي قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لمّا آلمته الجراحة ، قتل نفسه ، وقال : والله ما قاتلت إلّا حميّة على قومي ، ثم مات ، لعنه الله[٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلّا أنّ الضحّاك بن ثابت كان يتّهم بالنِّفاق وحبّ يهود . فهؤلاء كلّهم من الأوس .

قال ابن إسحاق[٩] : ومن الخزرج ؛ رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، [وعمرو بن قيس] ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجدّ بن قيس ، وهو الذي قال : ﴿ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾ [التوبة : ٤٩][١٠]

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » : « . . . أعمى البصيرة » .
(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير الطبري ، وابن المنذر والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٣٥ـ٤٣٦) عن عروة بن الزبير وغيره مرسلاً .
(٣) أي : كبر وأسن . انظر « لسان العرب » (عسو) .
(٤) أي : ظهر .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » .
(٦) رواه الترمذي بنحوه رقم (٣٠٣٦) وهو حديث حسن .
(٧) انظر « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني عند شرحه للحديث رقم (٤٢٠٢) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٥) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٦ ، ٥٢٧) .
(١٠) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : رواه أبو نعيم وابن مردويه من طريق الضحّاك عن ابن عباس ، ورواه ابن مردويه من حديث عائشة بسند ضعيف أيضاً ، ومن حديث جابر بسند فيه مبهم .

وعبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وكان رأس المنافقين ـ ورئيس الخزرج والأوس أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملّكوه عليهم في الجاهلية ، فلمّا هداهم الله للإسلام قبل ذلك ، شرِق اللعين بريقه[١] ، وغاظه ذلك جدّاً ـ وهو الذي قال : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : ٨][٢]

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جدّاً ، وفيه وفي وديعة ـ رجل من بني عوف ـ ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهطه ، نزل [قوله تعالى] : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ الآيات [الحشر : ١٢][٣] . حين مالوا في الباطن إلى بني النّضير .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق[٤] مَنْ أسلم من أحبار اليهود على سبيل التّقيّة ، فكانوا كفاراً في الباطن ، فأتبعهم بصنف المنافقين ، وهم من شرّهم ؛ سعد بن حنيف ، وزيد بن اللّصيت ، وهو الذي قال حين ضلّت ناقة رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنّه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله ﷺ : « والله لا أعلم إلّا ما علّمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، فهي في هذا الشّعب ، قد حبستها شجرة بزمامها » . فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك[٥] .

قال : ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حُرَيملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات ـ فيما بلغنا ـ : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » .

ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي هبّت الريح الشديدة يوم موته ، عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك ، فقال : « إنّها هبّت لموت عظيم من عظماء الكُفّار » فلمّا قدموا المدينة ، وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم[٦] .

وسلسلة بن بِرهام ، وكنانة وابن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود .

قال[٧] : فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ، ويسمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون

---

(١) أي غص به . انظر « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٤٦٥ـ٤٦٦) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٠٠) .
(٣) رواه ابن إسحاق وابن المنذر وأبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عباس .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .
(٥) ورواه الواقدي في « المغازي » (٢/ ٤٢٣) ، عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه ، والبيهقي في « الدلائل » (٤/ ٥٩ـ٦٠) ، عن موسى بن عقبة مرسلاً .
(٦) وذكره الواقدي في « المغازي » (٢/ ٤٢٢ـ٤٢٣) ، عن رافع بن خديج وجابر بن عبد الله ، وابن إسحاق في « سيرته » في غزوة بني المصطلق عن شيوخه الثلاثة مرسلاً ، وسيأتي عند المصنِّف .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٨ـ٥٢٩) .

ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدّثون بينهم ، خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ ، فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس ، أحد بني النّجّار ، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله ، فسحبه حتى أخرجه [من المسجد][1] ، وهو يقول ، لعنه الله : أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجّاريّ فلبّبه بردائه ، ثم نتره[2] نتراً شديداً ، ولطم وجهه ، فأخرجه من المسجد وهو يقول : أفّ لك منافقاً خبيثاً .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته ، وقاده بها قوداً عنيفاً ، حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعاً ، فلدمه[3] بهما لدمة في صدره خرّ منها . قال : يقول : خدشتني يا عمارة . فقال عمارة : أبعدك الله يا منافق ، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النّجّار ـ وكان بدريّاً ـ إلى قيس بن عمرو بن سهل ـ وكان شاباً ، وليس في المنافقين شابّ سواه ـ فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه [من المسجد] .

وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له : الحارث بن عمروْ ـ وكان ذا جمّة ـ فأخذ بجمّته ، فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث[4] . فقال : إنّك أهل لذلك أي عدوّ الله ؛ لما أنزل فيك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ ؛ فإنّك نجس .

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زويّ بن الحارث ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأفّف[5] منه ، وقال : غلب عليك الشيطان وأمرُه .

ثم ذكر ابن إسحاق[6] ما نزل فيهم من الآيات[7] من سورة « البقرة » ، ومن سورة « التوبة » ، وتكلّم على تفسير ذلك ، فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٢) نتره : جذبه .
(٣) أي ضربه ببطن كفه . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٩) وما بين الحاصرتين في النص تكملة منه .
(٤) كذا في (آ) و(ط) : ((يا أبا الحارث)) والذي في « السيرة النبوية » لابن هشام : ((يا بن الحارث)) .
(٥) أي تَضَجَّر . انظر « لسان العرب » (أفف) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٣٠ـ٥٧٢) .
(٧) في (آ) : ((من القرآن)) وأثبت لفظ (ط) .

ذكر
أول المغازي ، وهي غزوة الأبواء ، ويقال لها : غزوة ودّان

وأول البعوث ، وهو بعث حمزة بن عبد المطلب ، أو عبيدة بن الحارث ، كما سيأتي في [المغازي] .

قال البخاري[١] : كتاب المغازي ، قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم بواط ، ثم العشيرة .

ثم روى[٢] عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل : كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة . شهد منها سبع عشرة ، [أوّلهن] العسيرة ، أو العشيرة ، وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة ، إن شاء الله وبه الثقة[٣] .

وفي « صحيح البخاريّ »[٤] ، عن بريدة ، قال : غزا [مع][٥] رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة .

ولمسلم عنه[٦] ، أنّه غزا مع رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة .

وفي رواية له عنه[٧] ، أنّ رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان منهنّ .

وقال الحسين بن واقد[٨] ، عن ابن بريدة ، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، ومكة ، وحنين ، وبعث أربعاً وعشرين سريّة .

وقال يعقوب بن سفيان[٩] : حدّثنا محمد بن عثمان الدّمشقيّ التّنوخيّ ، ثنا الهيثم بن حميد ، أخبرني النّعمان ، عن مكحول ، أنّ رسول الله ﷺ غزا ثماني عشرة غزوة ، قاتل في ثمان غزوات ؛ أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكّة ، ثم حنين والطائف .

---

(١) انظر « فتح الباري » (٧/ ٢٧٩) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣٩٤٩) .
(٣) انظر ص (٢٢) من هذا الجزء .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٤٧٣) .
(٥) زيادة من « صحيح البخاري » .
(٦) انظر « صحيح مسلم » رقم (١٨١٤) (١٤٧) .
(٧) رواها مسلم رقم (١٨١٤) (١٤٦) وابن أبي شيبة في « المغازي » رقم (١١٣) .
(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٥٩) .
(٩) هو في « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٣٠٠) مرسلاً .

قوله : بئر معونة ، بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد ، كما سيأتي .

قال يعقوب[١] : حدّثنا سلمة بن شبيب ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزّهريّ ، سمعت سعيد بن المسيّب يقول : غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة . وسمعته مرة أخرى يقول : أربعاً وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهماً ، أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطّبرانيّ ، عن الدّبريّ[٢] ، عن عبد الرزّاق ، عن معمر ، عن الزّهريّ قال : غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة .

وقال عبد بن حميد في « مسنده »[٣] : حدّثنا سعيد بن سلاّم ، ثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزّبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم[٤] (من طريق هشام ، عن قتادة أنّ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين ، ثم قال الحاكم[٥]) : لعلّه أراد السّرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في « الإكليل » على الترتيب ، بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المئة .

قال : وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى ، أنّه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر السّرايا والبعوث دون الحروب نيّفاً وسبعين ، وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جدّاً ، وحمله كلام قتادة على ما قال ، فيه نظر .

وقد روى الإمام أحمد[٦] ، عن أزهر بن القاسم الراسبيّ ، عن هشام الدّستوائيّ ، عن قتادة أنّ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون ؛ أربع وعشرون بعثاً ، وتسع عشرة غزوة ، خرج في ثمانٍ منها بنفسه ؛ بدرٍ ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين .

وقال موسى بن عقبة[٧] ، عن الزّهريّ : هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ؛ يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ـ وهو يوم الأحزاب وبني قريظة ـ في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان من سنة خمس ، ثم قاتل يوم

---

(١) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) مرسلاً ، وعبد الرزاق في المصنف (٩٦٥٩) مرسلاً أيضاً .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عبّاد الدّبَري ، راوي كتب عبد الرزاق عنه ، وروى عنه الطبراني وغيره ، وكان صدوقاً . مات سنة (٢٨٥) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٢٥٦) .

(٣) هو في ((المنتخب من مسند عبد بن حميد)) رقم (١٠٦٥) .

(٤) وأخرجه البيهقي أيضاً في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٦٢) .

(٥) انظر « فتح الباري » (٧/ ٢٨١) .

(٦) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٦٢) وانظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٥ـ٦) .

(٧) ورواه من طريقه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٣٠٢ ، ٣٠٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) وأصله في البخاري رقم (٤٠٢٦) .

خيبر سنة ستّ ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين ، وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حجّ أبو بكر سنة تسع ، ثم حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، قال : وكانت أول غزوة غزاها الأبواء .

وقال حنبل بن إسحاق(١) ، عن هلال بن العلاء(٢) ، عن عبد الله بن جعفر الرّقّيّ ، عن مطرّف بن مازن اليمانيّ ، عن معمر ، عن الزّهريّ(٣) قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ الآية [الحج : ٣٩] بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة ، لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال : ثم غزا بني النّضير ، ثم غزا أحداً في شوال ـ يعني من سنة ثلاث ـ ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ستّ ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان ، وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الأبواء(٤) ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصّفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة ، ثم ذكر البعوث . هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر(٥) ، وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتّباً .

وهذا الفنّ مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتّهيّؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقديّ ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن أبيه ، سمعت عليّ بن الحسين يقول : كنا نعلَّم مغازي النبيِّ ﷺ كما نعلَّم السورة من القرآن .

قال الواقديّ(٦) : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمِّي الزّهريّ يقول في علم المغازي : علم الآخرة والدنيا .

وقال محمد بن إسحاق(٧) ، رحمه الله ، في « المغازي » بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه ، من تعيين

---

(١) هو حنبل بن إسحاق أبو علي ، ابن عمّ الإمام أحمد بن حنبل ، وكان ثقة ثبتاً صدوقاً ، من أعلام الحنابلة الكبار ، مات سنة (٢٧٣) هـ . انظر ترجمته ومصادرها في « المنهج الأحمد » (١/ ٢٦٤) و« شذرات الذهب » (٣/ ٣٠٧) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي فضيلة المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .

(٢) في (آ) و(ط) : « حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء » وهو خطأ ، والصواب ما أثبته .

(٣) انظر « مغازي الزهري » ص (١٠٥) .

(٤) كذا في (آ) و(ط) وهي مكررة في السياق ، ولعلها : « بواط » . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٤٦٣) .

(٥) لم أجده في نسخ « تاريخ دمشق » المخطوطة والمطبوعة المتوافرة عندي على كثرتها ، ويبدو أنه مما سقط منها وهو كثير ، وذكره ابن منظور في « مختصره » (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩) .

(٦) وأخرجهما من طريقه الخطيب البغدادي في « الجامع » رقم (١٥٩١) و(١٥٨٩) والواقدي متروك .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٠ ، ٥٩١) وقد أخرجه من طريقه بنحوه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠) .

رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين ، وجمعهم في أسفل سافلين : ثم إنّ رسول الله ﷺ تهيّأ لحربه ، وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوّه ، وقتال من أمره به ممن يليه [من المشركين] .

قال : وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الإثنين حين اشتدّ الضّحاء ، وكادت الشمس تعتدل ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، فأقام بقية شهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر ، وجماديين ، ورجباً ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجّة ، وولي [تلك] الحجّة المشركون ، والمحرّم .

ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر ، على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق(١) : حتى بلغ ودّان ، وهي غزوة الأبواء .

قال ابن جرير(٢) : ويقال لها : غزوة ودّان أيضاً ، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم مخشيّ بن عمرو الضّمريّ ، وكان سيدهم في زمانه ذلك ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام(٣) : وهي أول غزوة غزاها ، عليه السلام .

قال الواقدي(٤) : وكان لواؤه ـ عليه السلام ـ مع عمّه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق(٥) : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصيّ في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنيّة المرة ، فلقي [بها] جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلّا أنّ سعد بن أبي وقّاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانيُّ حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنيّ حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنّهما خرجا ليتوصّلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٠٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١) .
(٤) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٨) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١ـ٥٩٢) .

وروى ابن هشام ، عن أبي عمرو[1] بن العلاء ، عن أبي عمرو المدنيّ أنّه قال : كان عليهم مكرز بن حَفْصٍ .

قلت : وقد تقدّم عن حكاية الواقديّ قولان ؛ أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجّح أنه أبو سفيان ، فالله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق[2] القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السّريّة التي أولها : [من الطويل]

أمن طيف سلمى بالبطاح الدّمائث ... أرقتَ وأمرٍ في العشيرة حادثِ
ترى من لؤيّ فرقة لا يصدّها ... عن الكفر تذكير ولا بعثُ باعثِ
رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذّبوا ... عليه وقالوا لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دعوناهم إلى الحقّ أدبروا ... وهرّوا هريرَ المُجْحَرات اللواهثِ

القصيدة إلى آخرها .

وذكر[3] جواب عبد الله بن الزِّبعرى في مناقضتها التي أولها : [من الطويل]

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث ... بكيتَ بعين دمعها غير لابثِ
ومن عجب الأيام والدَّهر كلّه ... له عجب من سابقات وحادث
لجيش أتانا ذي عرام يقوده ... عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
لنترك أصناما بمكّة عكّفاً ... مواريث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة ، وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أنّ الإمام عبد الملك بن هشام ، رحمه الله ـ وكان إماماً في اللغة ـ ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين .

قال ابن إسحاق[4] : وقال سعد بن أبي وقّاص في رميته تلك فيما يذكرون : [من الوافر]

ألا هل أتى رسول الله أنّي ... حميتُ صحابتي بصدور نبلي
أذود بها أوائلهم ذياداً ... بكلّ حزونة وبكلّ سهلِ
فما يعتدّ رام في عدوٍّ ... بسهم يا رسول الله قبلي
وذلك أنّ دينك دين صدق ... وذو حقّ أتيتَ به وفضلِ
ينجّى المؤمنون به ويخزى ... به الكُفَّار عند مقام مهلِ
فمهلاً قد غويتَ فلا تعبني ... غويَّ الحيّ ويحك يا بن جهلِ

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » (١/ ٢٣) : « ابن أبي عمرو » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٢-٥٩٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٣-٥٩٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٤-٥٩٥) .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين . وقد خالفه الزّهريّ وموسى بن عقبة[١] والواقديّ[٢] ، فذهبوا إلى أنّ بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث ، والله أعلم .

وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقّاص أن أول أمراء السّرايا عبد الله بن جحش الأسديّ .

قال ابن إسحاق[٣] : وبعض العلماء يَزْعُمُ أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة ، وهكذا حكى موسى بن عقبة ، عن الزّهريّ[٤] .

فصل

قال ابن إسحاق[٥] : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر[٦] من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام [بذلك الساحل] في ثلاثمئة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجديّ بن عمرو الجهنيّ ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق[٧] : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أنّ بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشبّه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزّهريّ[٨] ، أنّ بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونصّ على أنّ بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل ، عليه السلام ، من الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدّم . وقد تقدّم عن الواقديّ أنّه قال : كانت سريّة حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سريّة عبيدة في شوّال منها ، والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق[٩] ، عن حمزة ، رضي الله عنه ، شعراً يدلّ على أن رايته أول راية عقدت في

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨) من طريقهما .
(٢) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥) .
(٦) سيف البحر : ساحله . انظر « لسان العرب » (سيف) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦) .
(٨) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨ ـ ٩) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٦) .

الإسلام ، لكن قال ابن إسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال لم يكن يقول إلا حقاً ، فالله أعلم أيّ ذلك كان ، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول ، والقصيدة هي قوله : [من الطويل]

ألا يا لقومي للتّحلّم والجهلِ ... وللنقص من رأي الرجال وللعقلِ
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ ... لهم حرمات من سوامٍ ولا أهلِ
كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا ... لهم غير أمر بالعفاف وبالعدلِ
وأمر بإسلام فلا يقبلونه ... وينزل منهم مثل منزلة الهزلِ
فما برحوا حتى انتدبتُ لغارةٍ ... لهم حيث حلّوا أبتغي راحة الفضلِ
بأمر رسول الله أول خافقٍ ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديه النصر من ذي كرامةٍ ... إلهٍ عزيزٍ فعله أفضل الفعل
عشيّة ساروا حاشدين وكلّنا ... مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلمّا تراءينا أناخوا فعقّلوا ... مطايا وعقّلنا مدى غرض النّبل
وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا ... وما لكمُ إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً ... فخاب وردّ الله كيد أبي جَهْلِ
وما نحن إلا في ثلاثين راكباً ... وهم مئتان بعد واحدة فضل
فيال لؤيّ لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإني أخاف أن يصبّ عليكمُ ... عذاب فتدعوا بالندامة والثّكل

قال[١] : فأجابه أبو جهل بن هشام ـ لعنه الله ـ فقال :

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل ... وللشاغبين بالخلاف وبالبَطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا ... عليه ذوي الأحساب والسّؤدُد الجَذْلِ

ثم ذكر تمامها .

قال ابن هشام[٢] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة ـ رضي الله عنه ـ ولأبي جهل ـ لعنه الله ـ .

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ـ يعني من السنة الثانية ـ يريد قريشاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٦ ـ ٥٩٨) .

قال ابن هشام[١] : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

وقال الواقديّ[٢] : استخلف عليها سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ في مئتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقّاص ، وكان مقصده أن يعترض لعير قريش ، وكان فيه أمية بن خلف ومئة رجل ، وألفان وخمسمئة بعير .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

[غزوة العُشيرة]

ثم غزا قريشاً . يعني بذلك الغزوة التي يقال لها : غزوة العشيرة ، وبالمهملة ، والعشير وبالمهملة ، والعشيراء وبالمهملة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

قال الواقديّ[٣] : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج ، عليه السلام ، يتعرّض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق[٤] : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخَبَار[٥] ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها : ذات الساق ، فصلّى عندها ، فثمّ مسجده ، فصنع له عندها طعام ، فأكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أثافيّ البرمة[٦] معلوم هنالك ، واستقي له من ماء يقال له : المشيرب . ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبةَ عبد الله ، ثم صبّ لليسار حتى هبط يليل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضّبوعة ، ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بِصُخَيْراتِ اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مُدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقد قال البخاريّ[٧] : حدثنا عبد الله ، ثنا وهب ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٥٩٨) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/٨) .

(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد (٢/٩) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٥٩٨ ـ ٥٩٩) .

(٥) قال الفيروزابادي : الخَبَار : موضع قريب من المدينة ، وكان على طريق رسول الله ﷺ حين خرج يريد قريشاً قبل وقعة بدر . انظر « المغانم المطابة » ص (١٢٧) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

(٦) كذا في (آ) و(ط) : ((فرسوم أثافي البرمة)) وفي « السيرة النبوية » : ((فموضع أثافي البرمة)) .

(٧) رواه « البخاري » رقم (٣٩٤٩) .

زيد بن أرقم ، فقيل له : كم غزا النبيّ ﷺ من غزوة؟ قال : تسع عشرة . قال : كم غزوت أنت معه؟ قال : سبع عشرة غزوة . قلت : فأيُّهنَّ كان[١] أول؟ قال : العشير ، أو العسيرة . فذكرت لقتادة ، فقال : العشيرة . وهذا الحديث ظاهر في أنّ أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين . وبهما مع حذف التاء . وبهما مع المد ، اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبيّ ﷺ زيد بن أرقم ؛ العشيرة ، وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم ، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث ، والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق[٢] : ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ ما قال ، فحدّثني[٣] يزيد بن محمد بن خثيم ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، حدّثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً ، فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، فوادعهم ، فقال لي عليّ بن أبي طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن نأتي هؤلاء النفر من بني مدلج ، يعملون في عين لهم ، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم ، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه ، فوالله ما أهبّنا[٤] إلّا رسول الله ﷺ [يحرّكنا] بقدمه فجلسنا ، وقد تترّبنا من تلك الدّقعاء ، [فيومئذ] قال رسول الله ﷺ لعليّ : « يا أبا تراب » . لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا ، فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : « أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والّذي يضربك يا عليّ على هذه ـ ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه ـ حتى يبل[٥] منها هذه » . ووضع يده على لحيته . وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وله شاهد من وجه آخر في تسمية عليّ أبا تراب ، كما في « صحيح البخاريّ »[٦] أنّ علياً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه ، فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فقالت : خرج مغاضباً ، فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ، ويقول : « قم أبا ترابٍ ، قم أبا تُرابٍ » .

---

(١) كذا في (آ) و(ط) : وفي جميع نسخ « البخاري » : ((فأيهم كانت)) . قال ابن مالك والصواب ؛ ((فأيُّها أو أيُّهن)) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٩) .

(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢ ـ ١٣) .

(٤) أهبَّنا : أيقظنا من النوم .

(٥) في (آ) : « تبل » وأثبت لفظ (ط) .

(٦) رواه البخاري (٤٤١) و(٦٢٨٠) .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق[١] : ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشرة ، حتى أغار كرز بن جابر الفهريّ على سرح[٢] المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له : سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الأولى ، وفاته كرز فلم يدركه .

وقال الواقديّ[٣] : وكان لواؤه مع عليّ بن أبي طالب .

قال ابن هشام ، والواقديّ : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق[٤] : فرجع رسول الله ﷺ ، فأقام جمادى ورجباً وشعبان ، وقد كان بعث رسول الله ﷺ بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أنّ بعث سعد هذا كان بعد حمزة ، ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً ، وقد تقدّم ذكر الواقديّ لهذه البعوث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة ، كلّها في السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : حدّثني عبد المتعال بن عبد الوهّاب ، حدثني يحيى بن سعيد . قال عبد الله ابن الإمام أحمد : وحدّثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأمويّ ، حدّثنا أبي ، ثنا المجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبي وقّاص قال : لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ، جاءته جهينة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا ، فأوثق حتى نأتيك وتؤمنّا . فأوثق لهم فأسلموا . قال : فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مئة ، وأمرنا أن نغير على حيّ من بني كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم ، وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة ، فمنعونا ، وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! فقال بعضنا لبعض : ما ترون؟ فقال بعضنا : نأتي نبيّ الله ﷺ فنخبره . وقال قوم : لا ، بل نقيم ههنا . وقلت أنا في أناس معي : لا ، بل نأتي عير قريش فنقتطعها . وكان الفيء إذ ذاك : من أخذ شيئاً فهو له . فانطلقنا إلى العير ، وانطلق أصحابنا إلى النبيّ ﷺ ، فأخبروه الخبر ، فقام غضبان محمرّ الوجه فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرّقين؟ إنّما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لأبعثنّ عليكم رجلاً ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش » . فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسديّ ، فكان أول أمير في الإسلام .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١) .
(٢) السرح : المال يُسام في المرعى من الأنعام . « لسان العرب » (سرح) .
(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد (٢/ ٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٠ ـ ٦٠١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٧٨) وإسناده ضعيف .

وقد رواه البيهقيّ في « الدلائل »[١] من حديث يحيى بن أبي زائدة ، عن مجالد به نحوه ، وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! : فقالوا : نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام[٢] .

ثم رواه[٣] من حديث أبي أسامة ، عن مجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك ، عن سعد بن أبي وقّاص ، فذكر نحوه ، فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك ، وهذا أنسب ، والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضي أنّ أول أمراء السّرايا عبد الله بن جحش الأسديّ ، وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق ، أنّ أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب[٤] ، وللواقديّ[٥] حديث زعم أنّ أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب ، والله أعلم .

باب سريّة عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى ، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كلّ شيء قدير

قال ابن إسحاق[٦] : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسديَّ في رجب مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وهم ؛ أبو حذيفة بن عتبة ، وعكّاشة بن محصن بن حرثان ، حليف بني أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان ، حليف بني نوفل ، وسعد بن أبي وقّاص الزّهريّ ، وعامر بن ربيعة الوائليّ ، حليف بني عديّ ، وواقد بن عبد الله بن عبد منافٍ بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التّميميّ ، حليف بني عديّ أيضاً ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث ، حليف بني عديّ أيضاً ، وسهيل بن بيضاء الفهريّ ، فهؤلاء سبعة ثامنهم[٧] أميرهم عبد الله بن جحش ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٤) .
(٢) وهي كذلك في « المسند » للإمام أحمد (١/ ١٧٨) .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩٥) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٠٥) .
(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٦) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٢) .
(٧) كذا في (آ) و(ط) وهو خطأ من المؤلف رحمه الله ، وذلك أنه ذكرهم ثمانية وعدَّهم سبعة ؛ فإن ابن إسحاق أدخل في أسماء الثمانية بعد أبي حذيفة بن عتبة ، عبدَ الله بن جحش ، فمجموع من ذكرهم ابن إسحاق تسعة ، فلما ذكرهم المصنِّف دون أميرهم عبد الله ، حسب أن الباقي سبعة ، ظناً منه أن مجموع من ذكرهم ابن إسحاق ثمانية ، لذلك أتى المؤلف رحمه الله برواية ابن إسحاق القادمة ليبيِّن الاضطراب الحادث بين الروايتين ـ في ظنّه ـ فقال : « فالله أعلم » .

وقال يونس[١] ، عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية ، وأميرهم التاسع ، فالله أعلم ، وستأتي تسميتهم على خلاف ما قال ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق[٢] : وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً ، فلمّا سار بهم يومين فتح الكتاب ، فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطّائف ، فترصّد بها قريشاً وتعلّم لنا من أخبارهم » . فلمّا نظر في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . وأخبر أصحابه بما في الكتاب ، وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلّف منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : بحران . أضلّ سعد بن أبي وقّاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلّفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه ، حتى نزل نخلةَ ، فمرّت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً[٣] ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرميّ .

قال ابن هشام : واسم الحضرميّ عبد الله بن عبّاد الصَّدفيّ .

قال السّهيليّ[٤] : وقيل غير ذلك في نسبه ـ وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّ ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلمّا رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكّاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عمّار لا بأس عليكم منهم . وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ، فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم فليمتنعنّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام . فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التّميميّ عمرو بن الحضرميّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابُه بالعير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أنّ عبد الله قال لأصحابه : إنّ لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس .

---

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٨ ـ ٢٠) من طريقه .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٤) .

(٣) الأدم : الجلود . واحدها أديم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (١/ ١٨٩) .

(٤) انظر « الروض الأنف » : (٥/ ٧٩ ـ ٨٠) .

قال[١] : لمّا نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ ، أسقط في أيدي القوم ، وظنّوا أنّهم قد هلكوا وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدّم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يردّ عليهم من المسلمين ممّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ، تفائل بذلك على رسول الله ﷺ : عمرو بن الحضرميّ قتله واقد بن عبد الله ؛ عمرو عمرت الحرب ، والحضرميّ حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلمّا أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ[٣] : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢١٧][٤] أي ؛ إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ أي : قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ الآية .

قال ابن إسحاق[٥] : فلمّا نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشّفق[٦] ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا نفديكموهما حتّى يقدم صاحبانا ـ يعني سعد بن أبي وقّاص ، وعتبة بن غزوان ـ فإنّا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم » . فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ . فأمّا الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٣ ـ ٦٠٤) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٣٦٨ ـ ٣٧٢) .
(٤) ورواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٩/ ١١) وحسَّنه الحافظ ابن حجر في « العجاب في بيان الأسباب » وسيأتي عند المصنف من رواية ابن أبي حاتم .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥) .
(٦) الشفق : الخوف .

قال ابن إسحاق[١] : فلمّا تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة ٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق[٢] : والحديث في ذلك عن الزّهريّ ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن الزّهريّ[٣] ، وكذا روى شعيب[٤] ، عن الزّهريّ ، عن عروة نحواً من هذا ، وفيه : وكان ابن الحضرميّ أوّل قتيل بين المسلمين والمشركين .

وقال عبد الملك بن هشام[٥] : هو أوّل قتيل قتله المسلمون ، وهذه أوّل غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أوّل من أسره المسلمون .

قلت : وقد تقدّم فيما رواه الإمام أحمد[٦] ، عن سعد بن أبي وقّاص أنّه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام .

وقد ذكرنا في « التفسير »[٧] لما أورده ابن إسحاق شواهد [مسندة] .

فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدّميّ حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدّثني الحضرميّ ، عن أبي السّوّار ، عن جندب بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ بعث رهطاً ، وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح ـ أو عبيدة بن الحارث ـ فلمّا ذهب ينطلق بكى صبابةً[٨] إلى رسول الله ﷺ ، فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحشٍ ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال : « لا تكرهنّ أحداً على السّير معك من أصحابك » . فلمّا قرأ الكتاب استرجع ، وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخبّرهم الخبر ، وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيّتهم ، فلقوا ابن الحضرميّ ، فقتلوه ، ولم يدروا أنّ ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٦٠٥) .
(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠ ـ ٢١) .
(٤) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٦) تقدم في ص٢٤ .
(٧) ذكره المؤلف في « تفسيره » (١/ ٣٦٨) بسند ابن أبي حاتم ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١/ ٢٥٠) إلى ابن أبي حاتم وغيره .
(٨) أي : شوقاً .

المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام . فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧] .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّيّ الكبير في « تفسيره »[١] : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ وذلك أنّ رسول الله ﷺ بعث سريّة ، وكانوا سبعة نفر ، عليهم عبد الله بن جحشٍ ، وفيهم عمار بن ياسرٍ ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبي وقاصٍ ، وعتبة بن غزوان ، وسهل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعيّ ، حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحشٍ كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل[٢] ، فلمّا نزل بطن ملل فتح الكتاب ، فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ؛ فإنّني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ ، فسار ، وتخلّف عنه سعد وعتبة ؛ أضلاّ راحلة لهما ، فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بنِ كيسان ، والمغيرة بن عثمان ، وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرميّ ، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون ، وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنّه يتّبع طاعة الله ، وهو أول من استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون : إنّما قتلناه في جمادى .

قال السّدّيّ : وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب ، وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رئي تلك الليلة ، فالله أعلم .

وهكذا روى العوفيّ ، عن ابن عباس أنّ ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ، ولم يشعروا[٣] .

وكذا تقدّم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم .

وقد تقدّم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة ، دخل أولئك في الحرم ، فيتعذّر عليهم ذلك ، فأقدموا عليهم عالمين بذلك .

وذكره المصنف في « تفسيره » (١/ ٣٦٨) بسنده عن السُّدِّي . ورواه الطبري في « تفسيره » (٢/ ٣٤٩) عن السُّدي .

(٢) ملل : اسم موضع على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة من ناحية مكة بين الحرمين . انظر « معجم البلدان » (٤/ ٦٣٧) و« المغانم المطابة » ص (٣٩١) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٣٦٩) و« تفسير الطبري » (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) .

وكذا قال الزُّهريُّ ، عن عروة . رواه البيهقيّ[١] ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان .

قال الزُّهريُّ ، عن عروة : فبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ ، عقل[٢] ابن الحضرميِّ ، وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرّمه ، حتى أنزل الله « براءة » رواه البيهقيّ[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : فقال أبو بكر الصدِّيق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام .

قال ابن هشامٍ[٥] : هي لعبد الله بن جحشٍ : [من الطويل]

تعدّون قتلاً في الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرّشد راشدُ
صدودكمُ عمَّا يقول محمد ... وكفر به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله في البيت ساجد
فإنّا وإن عيّرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سقَينا من ابن الحضرميّ رماحنا ... بنخلةَ لمّا أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غُلّ من القدّ عاند[٦]

فصل

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

قال بعضهم : كان ذلك في رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم ، وهو رواية عن محمد بن إسحاق[٧] .

وقد روى أحمد[٨] عن ابن عباس ما يدلّ على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢١) .
(٢) قال ابن الأثير : العقل : الدِّيَة ، وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدِّية من الإبل ، فعقلها في فناء أولياء المقتول ؛ أي شدها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه ، فسميت الدِّية عقلا بالمصدر . « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٢٧٨) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٨) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٦) عاند : سائل بالدم لا ينقطع . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٣) .
(٧) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد « (١/ ٢٤٢) ، وتفسير « الطبري » (٢/ ٣ ـ ٥) و« دلائل النبوة » (٢/ ٥٧٥) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٥) ، وهو حديث صحيح .

والله أعلم . وقيل : في شعبان منها . قال ابن إسحاق : بعد غزوة عبد الله بن جحش . ويقال : صرفت القِبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة[١] .

وحكى هذا القول ابن جرير[٢] ، من طريق السّدّيّ بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

[وبه] قال الجمهور الأعظم ؛ إنّها صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى[٣] عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ أنّها حوّلت يوم الثلاثاء النصف من شعبان[٤] ، وفي هذا التحديد نظرٌ ، والله أعلم .

وقد تكلّمنا على ذلك مستقصى في « التفسير »[٥] عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ[٦] ﴾ [البقرة : ١٤٤] . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطّغام[٧] على ذلك ؛ لأنّه أول نسخ وقع في الإسلام . هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النّسخ عند قوله[٨] : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ ننسأها[٩] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

وقد قال البخاريّ[١٠] : حدّثنا أبو نعيم ، سمع زهيراً ، عن أبي إسحاق ، عن البراء أنّ النبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً [أو سبعة عشر شهراً] ، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنّه صلّى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممّن كان معه ، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله ، لقد صلّيت مع النبيّ ﷺ قِبَل مكة . فداروا كما هم قِبَل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٦) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٦) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٦) .
(٤) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٤) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٨ _ ٢٨٠) .
(٦) هكذا في (آ) و(ط) بالتاء ، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي . انظر « حجّة القراءات » لابن مجاهد ص (١١٦ _ ١١٧) .
(٧) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم . انظر « لسان العرب » (طغم) .
(٨) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢١٤ _ ٢١٨) .
(٩) هكذا في (آ) و(ط) وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ الباقون : (نُنْسها) . انظر « تفسير » القرطبي (١/ ٦٧ _ ٦٨) و« حجة القراء السبعة » لابن مجاهد (١٠٩ _ ١١٠) .
(١٠) رواه « البخاري » (٤٤٨٦) .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

ورواه مسلم[١] من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم[٢] : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا الحسن بن عطيّة ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كان رسول الله ﷺ قد صلّى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحبّ أن يوجّه نحو الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . قال : فوجّه نحو الكعبة . وقال السّفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فأنزل الله : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

وحاصل الأمر أنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد[٣] ، عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فصلّى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة ، واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً . وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام ، يحبّ أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتّضرّع والابتهال إلى الله ، عزّ وجلّ ، فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك ، فأنزل الله عز وجل[٤] : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ الآية .

فلمّا نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك . كما رواه النّسائيّ[٥] ، عن أبي سعيد بن المعلّى ، وأنّ ذلك كان وقت الظُّهر .

وقال بعض الناس[٦] : نزل تحويلها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيّد ذلك ما ثبت في « الصحيحين »[٧] ، عن البراء أنّ أول صلاة صلّاها ، عليه السلام ، إلى الكعبة بالمدينة ، العصر . والعجب أنّ أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصّبح من اليوم الثاني .

كما ثبت في « الصحيحين »[٨] ، عن ابن عمر قال : بينما النّاس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم

---

(١) رواه « مسلم » (٥٢٥) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٤) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٥) وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٩ ـ ٢٤) و« تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٨) .
(٥) رواه النسائي (٢/ ٥٥) (٧٣١) وفي السنن الكبرى (١١٠٠٤) وإسناده ضعيف .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٤٩) .
(٧) رواه البخاري (٤٠) ، ومسلم (٥٢٥) مع إبهام الصلاة .
(٨) رواه البخاري (٤٠٣) ومسلم (٥٢٦) .

آتٍ ، فقال : إنّ رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

وفي « صحيح مسلم »[١] ، عن أنس بن مالك نحو ذلك .

والمقصود أنّه لمّا نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة الأغبياء ، وقالوا : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أنّ ذلك من الله ؛ لما يجدونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم ؛ من أنّ المدينة مهاجره ، وأنّه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال[٢] : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ الآية [البقرة : ١٤٤] . وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كلّه عن سؤالهم ، وتعنّتهم ، فقال[٣] : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] أي ؛ هو المالك المتصرّف الحاكم الذي لا معقّب لحكمه ، الذي يفعل ما يشاء في خلقه ، ويحكم ما يريد في شرعه ، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضلّ من يشاء عن الطريق القويم ، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرِّضا والتّسليم .

ثم قال تعالى[٤] : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي ؛ خياراً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم ، وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كان يصلّي بها موسى فمن قبله من المرسلين ، كذلك جعلناكم خيار الأمم ، وخلاصة العالم ، وأشرف الطّوائف ، وأكرم التّالد والطّارف[٥] ؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس ؛ لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم ، كما ثبت في « صحيح البخاريّ »[٦] ، عن أبي سعيد مرفوعاً مِن استشهاد نوح بهذه الأمّة يوم القيامة . وإذا استشهد بهم نوح مع تقدّم زمانه ، فمن بعده بطريق الأولى والأحرى .

ثم قال تعالى مبيّناً حكمته في حلول نقمته بمن شكّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على من صدّق وتابع هذه الكائنة ، فقال[٧] : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٢٧) .
(٢) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٨٠) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) .
(٥) التالد والطارف : القديم والحديث من المال .
(٦) رواه « البخاري » (٣٣٣٩) .
(٧) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

قال ابن عباس[١] : إلّا لنرى ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ أي : وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقعِ كبيرة المحلّ شديدة الأمر ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ أي ؛ فهم مؤمنون بها مصدّقون لها ، لا يشكّون ولا يرتابون بل يرضون ويسلّمون ، ويؤمنون ، ويعملون ؛ لأنّهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم .

وقوله[٢] : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ ﴾ أي : بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدّاً يطول استقصاؤها ، وذلك مبسوط في « التفسير »[٣] ، وسنزيد ذلك بياناً في كتابنا « الأحكام الكبير »[٤] .

وقد روى الإمام أحمد[٥] : حدّثنا عليّ بن عاصم ، حدّثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمر[٦] بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ـ يعني في أهل الكتاب ـ : « إنّهم لم يحسدونا على شيءٍ كما يحسدوننا على يوم الجمعة الّتي هدانا الله لها[٧] وضلّوا عنها[٨] ، وعلى القبلة الّتي هدانا الله لها وضلّوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين » .

فصل

في فرضية صوم شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر[٩]

قال ابن جرير[١٠] : وفي هذه السنة فرض شهر رمضان . وقد قيل : إنّه فرض في شعبان منها . ثم حكى[١١] أنّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم عنه ، فقالوا : هذا يومٌ نجّى الله فيه موسى ، فقال : « نحن أحقّ بموسى [منكم] » فصامه ، وأمر الناس

(١) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٣ ـ ١٤) و« تفسير القرطبي » (٢/ ١٥٦) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٨) .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٣ ـ ٢٨٠) .
(٤) قلت : وهو مما لم يتمه رحمه الله . قال ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (٨/ ٣٩٩) بتحقيقي عند تعداد مؤلفاته : ((وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج)) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وهو حديث صحيح .
(٦) في (آ) و(ط) : « عمرو » . والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » . وانظر « تهذيب الكمال » (٢/ ٤٨٤) .
(٧) في (آ) : « إليها » والمثبت من (ط) .
(٨) لفظ : ((عنها)) سقط من (ط) .
(٩) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٤) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(١٠) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٧) .
(١١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٧) .

بصيامه . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين »[١] عن ابن عباسٍ .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ الآية [البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٥] .

وقد تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٢] بما فيه كفايةٌ من إيراد الأحاديث المتعلّقة بذلك ، والآثار المرويّة في ذلك ، والأحكام المستفادة منه ، ولله الحمد .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا أبو النّضر ، حدّثنا المسعوديّ ، حدّثنا عمرو بن مرّة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوالٍ ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوالٍ . فذكر أحوال الصلاة ، قال : وأمّا أحوال الصيام ، فإنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فجعل يصوم من كلّ شهرٍ ثلاثة أيامٍ ، وصام عاشوراء ، ثم إنّ الله ، عزّ وجلّ ، فرض عليه الصيام ، وأنزل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً ، فأجزأ ذلك عنه .

ثم إنّ الله ، عزّ وجلّ ، أنزل الآية الأخرى : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخّص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصّيام ، فهذان حولان . قال : وكانوا يأكلون ، ويشربون ، ويأتون النّساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إنّ رجلاً من الأنصار يقال له : صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ، ثم نام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائماً ، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً ، فقال : « ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ » فأخبره . قال : وكان عمر قد أصاب من النساء[٤] بعدما نام ، فأتى رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، فأنزل الله ، عزّ وجلّ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ورواه أبو داود في « سننه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث المسعوديّ نحوه[٥] .

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٣٠٥ ـ ٣١٣) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٤٦) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) بعده في « مسند الإمام أحمد » : « من جارية أو من حُرَّة » .
(٥) رواه أبو داود (٥٠٧) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٧٤) .

وفي « الصحيحين »[١] من حديث الزّهريّ ، عن عروة ، عن عائشة أنّها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلمّا نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر .

وللبخاريّ[٢] عن ابن عمر وابن مسعودٍ مثله ، ولتحرير هذا موضعٌ آخر من « التفسير »[٣] ، ومن « الأحكام الكبير » وبالله المستعان .

قال ابن جريرٍ[٤] : وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إنّ رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيومٍ أو يومين ، وأمرهم بذلك .

قال : وفيها صلّى النبيّ ﷺ صلاة العيد ، وخرج بالناس إلى المصلّى ، فكان أوّل صلاة عيدٍ صلّاها ، وخرجوا بين يديه بالحربة ، وكانت للزّبير ، وهبها له النّجاشيّ ، فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد .

قلت : وفي هذه السّنة ، فيما ذكره غير واحدٍ من المتأخّرين ، فرضت الزّكاة ذات النّصب ، كما سيأتي تفصيل ذلك كلّه بعد وقعة بدرٍ ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثّقة ، وعليه التّكلان ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم .

غزوة بدرٍ العظمى

يوم الفرقان يوم التقى الجمعان[٥]

قال الله تعالى[٦] : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

وقال الله تعالى[٧] : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۝٥ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٠٠١) ومسلم رقم (١١٢٥) .

(٢) رواه البخاري (١٨٩٢) عن ابن عمر ، و(٤٥٠٣) عن ابن مسعود . ورواه أيضاً مسلم في (١١٢٦) و(١١٢٧) عنهما .

(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٣٠٥ـ ٣٢٥) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٨) .

(٥) قال ابن أبي شيبة في « المغازي » رقم (١٢٠) : ((كانت بدر لسبع عشرة من رمضان في يوم جمعة)) ثم أورد رواية أخرى عقبها برقم (١٢١) ولفظها : ((وكانت بدر يوم الاثنين لسبع عشرة من رمضان)) .

(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٢/ ٩٢ ـ ٩٣) .

(٧) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٨) .

ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٨] وما بعدها إلى تمام القصّة من سورة « الأنفال » ، وقد تكلّمنا عليها هنالك[١] ، وسنورد هاهنا في كلّ موضعٍ ما يناسبه .

قال ابن إسحاق[٢] ، رحمه الله ، بعد ذكره سريّة عبد الله بن جحشٍ : ثم إنّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حربٍ مقبلاً من الشّام في عيرٍ لقريشٍ عظيمةٍ ، فيها أموالٌ وتجارةٌ ، وفيها ثلاثون رجلاً أو أربعون ، منهم مخرمة بن نوفلٍ ، وعمرو بن العاص .

قال موسى بن عقبة[٣] ، عن الزّهريّ : كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرميّ بشهرين . قال : وكان في العير ألف بعيرٍ ، تحمل أموال قريشٍ بأسرها إلّا حويطب بن عبد العزّى ، فلهذا تخلّف عن بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : فحدّثني محمد بن مسلم بن شهابٍ ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكرٍ ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير ، وغيرهم من علمائنا ، عن ابن عباسٍ ، كلٌّ قد حدّثني بعض الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدرٍ ، قالوا : لمّا سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشّام ، ندب المسلمين إليهم وقال : « هذه عير قريشٍ فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ؛ لعلّ الله ينفّلكموها » فانتدب الناس ، فخفّ[٥] بعضهم وثقل بعضٌ ؛ وذلك أنّهم لم يظنّوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً ، وكان أبو سفيان ، حين دنا من الحجاز ، يتحسّس[٦] الأخبار ، ويسأل من لقي من الرّكبان ؛ تخوّفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرّكبان ؛ أنّ محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمروٍ الغفاريّ ، فبعثه إلى مكّة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمروٍ سريعاً إلى مكّة .

قال ابن إسحاق[٧] : فحدّثني من لا أتّهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب ، قبل قدوم ضمضمٍ إلى مكّة بثلاث ليالٍ ، رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطّلب ، فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبةٌ ، فاكتم عليّ ما أحدّثك . قال لها : وما رأيت؟

---

(١) انظر القصة بتمامها وما يتعلّق بها ، في « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٧٣) ولتمام الفائدة راجع « المغازي » لابن أبي شيبة رقم (١٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٦) .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٢) وذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » في « المغازي » منه ص(١٠٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧) .
(٥) في (آ) : « فخفف » والمثبت من (ط) .
(٦) في (آ) : « يتجسس » . وتحسّس الخبر : تَطلَّبه وتبحَّثه ، والتحسُّس شبه التسمُّع والتبصُّر . « لسان العرب » (حسس) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٧ ـ ٦٠٩) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٢٨) .

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا ، يالغدر[١] ، لمصارعكم في ثلاثٍ . [فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله ، مثل[٢] به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا ، يا لغدر ، لمصارعكم في ثلاثٍ] . ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيسٍ[٣] ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكّة ولا دارٌ إلّا دخلتها منها فلقةٌ[٤] . قال العباس : والله إنّ هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ، لا تذكريها لأحدٍ .

ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إيّاها ، فذكرها الوليد لأبيه[٥] عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدّثت به قريشٌ . قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهلٍ بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فلمّا رآني أبو جهلٍ قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلمّا فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهلٍ : يا بني عبد المطّلب [متى حدثت فيكم هذه النّبيّة؟! قال : قلت : وما ذاك؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة . قال : قلت : وما رأت؟ قال : يا بني عبد المطّلب] أما رضيتم أن يتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم؟! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّه قال : انفروا في ثلاثٍ . فسنتربّص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول ، فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيءٌ ، نكتب عليكم كتاباً ؛ أنّكم أكذب أهل بيتٍ في العرب . قال العباس : فوالله ما كان منّي إليه كبير شيءٍ ، إلّا أنّي جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثمّ تفرّقنا ، فلمّا أمسيت لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلّا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النّساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة [لشيءٍ] ممّا سمعت؟! قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ ، وايم الله لأتعرّضنّ له ، فإذا عاد لأكفيكنّه . قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ مغضبٌ ، أرى أنّي قد فاتني منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنّي لأمشي نحوه ، أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللّسان ، حديد النّظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ[٦] . قال : قلت في نفسي : ما له ، لعنه الله ، أكلّ هذا فرقٌ منّي أن أشاتمه؟! وإذا هو قد سمع ما لم

---

(١) قال السهيلي في « الروض الأنف » (٥/ ١١٦) : هكذا هو بضم الغين والدال ؛ جمع غَدُورٍ . . . أي إن تخلّفتم فأنتم غُدُرٌ لقومكم .

(٢) أي : قام منتصباً . انظر « القاموس المحيط » (مثل) .

(٣) أبو قبيس : هو اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما . انظر « معجم البلدان » (١/ ٨٠) .

(٤) الفِلْقة : القطعة .

(٥) في (آ) و(ط) : « لابنه » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » ، و« تاريخ الطبري » .

(٦) أي يسرع .

أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرٍو الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي ، واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره ، وحوّل رحله ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريشٍ ، اللّطيمة اللّطيمة[(١)] ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر ، فتجهّز الناس سراعاً وقالوا : أيظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ؟! والله ليعلمنّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عقبة[(٢)] رؤيا عاتكة ، كنحوٍ من سياق ابن إسحاق . قال[(٣)] : فلمّا جاء ضمضم بن عمرٍو على تلك الصّفة ، خافوا من رؤيا عاتكة ، فخرجوا على الصّعب والذّلول .

قال ابن إسحاق[(٤)] : فكانوا بين رجلين ؛ إمّا خارجٍ وإمّا باعثٍ مكانه رجلاً ، وأوعبت قريشٌ[(٥)] ، فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ، إلّا أنّ أبا لهب بن عبد المطّلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، قد أفلس بها .

قال ابن إسحاق[(٦)] : وحدّثني ابن أبي نجيحٍ ، أنّ أميّة بن خلفٍ كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيطٍ وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراني قومه ، بمجمرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومجمرٌ[(٧)] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليٍّ ، استجمر ، فإنّما أنت من النّساء . قال : قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به . قال : ثم تجهّز ، وخرج مع الناس . هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصّة .

وقد رواها البخاريّ[(٨)] على نحوٍ آخر ، فقال : حدّثني أحمد بن عثمان ، حدّثنا شريح بن مسلمة ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، حدّثني عمرو بن ميمونٍ ، أنّه سمع عبد الله بن مسعودٍ حدّث عن سعد بن معاذٍ أنّه كان صديقاً لأميّة بن خلفٍ ، وكان أميّة إذا مرّ بالمدينة ، نزل على سعد بن معاذٍ ، وكان سعدٌ إذا مرّ بمكّة نزل على أميّة ، فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انطلق سعد بن معاذٍ معتمراً ، فنزل على أميّة بمكّة ، فقال لأميّة : انظر لي ساعة خلوةٍ ؛ لعلّي أطوف بالبيت . فخرج به قريباً

---

(١) اللطيمة : الجِمال التي تحمل العِطر والبزّ ، غير الميرة . والمعنى أدركوها . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ٢٥١) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤) .

(٣) أي موسى بن عقبة . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٠٥) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٩ ـ ٦١٠) .

(٥) أي خرجوا بأجمعهم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٥/ ٢٠٦) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٠) . قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٤) : بيّن ابن إسحاق ـ في روايتنا هذه ـ الصفة التي كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأي نفسه في ترك الخروج من مكة .

(٧) المجمرة : ما يُوضع فيه الجمر مع البَخُور . والمجمَر : العود يُتبخر به . انظر « لسان العرب » (جمر) .

(٨) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٠) .

من نصف النّهار ، فلقيهما أبو جهلٍ ، فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك؟ قال : هذا سعدٌ . قال له أبو جهلٍ : ألا أراك تطوف بمكّة آمناً ، وقد آويتم الصّباة[١] ، وزعمتم أنّكم تنصرونهم وتُعينونهم ، أما والله ، لولا أنّك مع أبي صفوان ، ما رجعت إلى أهلك سالماً . فقال له سعدٌ ، ورفع صوته عليه : أما والله ، لئن منعتني هذا ، لأمنعنّك ما هو أشدّ عليك منه ؛ طريقك على المدينة . فقال له أميّة : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنّه سيّد أهل الوادي ، قال سعدٌ : دعنا عنك يا أميّة ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّهم قاتلوك » . قال : بمكّة؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أميّة فزعاً شديداً ، فلمّا رجع إلى أهله قال : يا أمّ صفوان ، ألم تري ما قال لي سعدٌ؟ قالت : وما قال لك؟ قال : زعم أنّ محمداً أخبرهم أنّهم قاتليّ ، فقلت له : بمكّة؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكّة . فلمّا كان يوم بدرٍ ، استنفر أبو جهلٍ الناس فقال : أدركوا عيركم ، فكره أميّة أن يخرج ، فأتاه أبو جهلٍ فقال : يا أبا صفوان ، إنّك متى يراك الناس قد تخلّفت وأنت سيّد أهل الوادي ، تخلّفوا معك . فلم يزل به أبو جهلٍ حتى قال : أمّا إذ غلبتني[٢] ، فوالله لأشترينّ أجود بعيرٍ بمكّة . ثم قال أميّة : يا أمّ صفوان ، جهّزيني . فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربيّ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلّا قريباً . فلمّا خرج أميّة ، أخذ لا ينزل منزلاً إلّا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدرٍ .

وقد رواه البخاريّ في موضعٍ آخر[٣] ، عن أحمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق به نحوه . تفرّد به البخاريّ[٤] .

وقد رواه الإمام أحمد[٥] ، عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيدٍ ، كلاهما عن إسرائيل ، وفي رواية إسرائيل : قالت له امرأته : والله إنّ محمداً لا يكذب .

قال ابن إسحاق[٦] : ولمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان[٧] بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتونا من خلفنا . وكانت الحرب التي كانت بين قريشٍ وبين بني بكرٍ ، في ابنٍ لحفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤيٍّ ؛ قتله رجلٌ من بني بكرٍ بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفصٍ ، فقتل عامراً وخاض بسيفه في

---

(١) يقصد رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين من مكة إلى المدينة . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٣) : ((الصباة ؛ بضم المهملة وتخفيف الموحدة ، جمع صابيء بموحدة مكسورة ثم تحتانية خفيفة بغير همزة ، وهو الذي ينتقل من دين إلى دين)) .

(٢) في (آ) و(ط) : « عبتني » وأثبت لفظ « صحيح البخاري » .

(٣) رواه البخاري (٣٦٣٢) .

(٤) في (آ) و(ط) : « محمد بن إسحاق » والتصحيح من « صحيح البخاري » .

(٥) في « المسند » (١/ ٤٠٠) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦١٠ ـ ٦١١) .

(٧) في (ط) : « ما كانوا » .

بطنه ، ثم جاء من الليل فعلّقه[١] بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير ، قال : لمّا أجمعت قريشٌ المسير ، ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكرٍ ، فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة [بن مالك] بن جعشم المدلجيّ ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه . فخرجوا سراعاً .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى[٣] : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٧ ـ ٤٨] . غرّهم ـ لعنه الله ـ حتى ساروا ، وسار معهم منزلةً منزلةً ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحدٍ منهم ، فأسلمهم لمصارعهم ، فلمّا رأى الجدّ والملائكة تنزل للنصر ، وعاين جبريل ، نكص على عقبيه ، وقال : إنّي بريءٌ منكم ، إنّي أرى ما لا ترون ، إنّي أخاف الله . وهذا كقوله [تعالى][٤] : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] .

وقد قال [الله] تعالى[٥] : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] . فإبليس ـ لعنه الله ـ لمّا عاين الملائكة يومئذٍ تنزل للنصر ، فرّ ذاهباً ، فكان أوّل من هرب يومئذٍ ، بعد أن كان هو المشجّع لهم ، المجير لهم ، كما غرّهم ووعدهم ومنّاهم ، وما يعدهم الشّيطان إلّا غروراً .

وقال يونس[٦] عن ابن إسحاق : خرجت قريشٌ على الصّعب والذّلول ، في تسعمئةٍ وخمسين مقاتلاً ، معهم مئتا فرسٍ يقودونها ، ومعهم القيان يضربن بالدّفوف ، ويغنّين بهجاء المسلمين ، وذكر المطعمين لقريشٍ يوماً يوماً .

وذكر الأمويّ[٧] أنّ أوّل من نحر لهم ، حين خرجوا من مكّة ، أبو جهلٍ ؛ نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أميّة بن خلفٍ بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمروٍ بقديدٍ عشراً ، ومالوا من قديدٍ إلى مياهٍ نحو

---

(١) أي سيف عامر .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٢) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٦ ـ ١٩) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (٨/ ١٠١ ـ ١٠٢) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٥/ ١٠٩) .
(٦) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٢) .
(٧) وأخرجه الواقدي في « المغازي » (١/ ١٤٤) عن موسى بن عقبة ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٩ ـ ١١٠) .

البحر ، فظلّوا فيها وأقاموا بها يوماً ، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة ، فنحر لهم يومئذٍ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء ، فَنَحَر لهم نبيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج عشراً ، ونحر لهم العباس بن عبد المطّلب عشراً ، ونحر لهم على ماء بدرٍ أبو البختريّ عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأمويّ : [حدّثنا أبي] حدّثنا أبو بكرٍ الهذليّ قال : كان مع المشركين ستّون فرساً وستّمئة درعٍ ، وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستّون درعاً .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيرهم من مكّة ، ومسيرهم إلى بدرٍ . وأمّا رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق[١] : وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان ، في أصحابه ، واستعمل ابن أمّ مكتومٍ على الصلاة بالناس ، وردّ أبا لبابة من الرّوحاء ، واستعمله على المدينة ، ودفع اللّواء إلى مصعب بن عميرٍ ، وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ؛ إحداهما مع عليّ بن أبي طالبٍ ، يقال لها : العقاب . والأخرى مع بعض الأنصار .

قال ابن هشامٍ[٢] : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذٍ .

وقال الأمويّ : وكان معهم فرسان كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق[٣] : وجعل رسول الله ﷺ على السّاقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النّجّار .

وقال الأمويّ[٤] : وكان معهم فرسان ، على إحداهما مصعب بن عميرٍ ، وعلى الأخرى الزّبير بن العوّام ، ومرّةً سعد بن خيثمة ، ومرةً المقداد بن الأسود .

وقد روى الإمام أحمد[٥] ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد .

وروى البيهقيّ[٦] ، من طريق ابن وهبٍ ، عن أبي صخرٍ ، عن أبي معاوية البجليّ[٧] ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ أنّ عليّاً قال له : ما كان معنا إلّا فرسان ؛ فرسٌ للزّبير ، وفرسٌ للمقداد بن الأسود . يعني يوم بدرٍ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٢ ـ ٦١٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٤) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١١٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٢٥ ، ١٣٨) وهو حديث صحيح .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩) .
(٧) في (آ) و(ط) : « البلخي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » (٣٤/ ٣٠٣) .

قال الأمويّ[١] : حدّثنا أبي ، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالدٍ عن البهيّ[٢] قال : كان مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ فارسان ؛ الزّبير بن العوّام على الميمنة ، والمقداد بن الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها[٤] ، فكان رسول الله ﷺ وعليٌّ ومرثد بن أبي مرثدٍ يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة[٥] يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عفان ، عن حمّاد بن سلمة ، حدّثنا عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيشٍ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : كنّا يوم بدرٍ كلّ ثلاثةٍ على بعيرٍ ؛ كان أبو لبابة وعليٌّ زميلَي رسول الله ﷺ . قال : فكانت عقبة[٧] رسول الله ﷺ ، فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما بأقوى منّي ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النّسائيّ[٨] عن الفلاّس ، عن ابن مهديٍّ ، عن حمّاد بن سلمة به .

قلت : ولعلّ هذا كان قبل أن يردّ أبا لبابة من الرّوحاء ، ثم كان زميلاه عليٌّ ومرثدٌ بدل أبي لبابة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدّثنا محمد بن جعفرٍ ، حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى[١٠] ، عن سعد بن هشامٍ ، عن عائشة : أنّ رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدرٍ . وهذا على شرط « الصحيحين » . وإنّما رواه النّسائيّ[١١] ، عن أبي الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المزّيّ في « الأطراف »[١٢] : وتابعه سعيد بن بشيرٍ[١٣] ، عن قتادة ، وقد رواه

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » ، « المغازي » ص (٧٩) .
(٢) في (آ) و(ط) : « التيمي » . والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٣/ ٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٤) أي يتعاقبونها في الركوب واحداً بعد واحد . انظر « لسان العرب » (عقب) .
(٥) وهو من موالي رسول الله ﷺ انظر ترجمته في « أسد الغابة » (١/ ١٥٦) و« الإصابة » (١/ ١٣٥) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤١١) وهو حديث حسن من أجل عاصم بن بهدلة .
(٧) أي جاءت نَوْبَتُه ووقت ركوبه . انظر « لسان العرب » (عقب) .
(٨) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٨٠٧) .
(٩) في « المسند » (٦/ ١٥٠) وهو حديث صحيح .
(١٠) في (آ) و(ط) : « زرارة بن أبي أوفى » وهو خطأ . والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٩/ ٣٣٩) .
(١١) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٨٠٩) .
(١٢) يعني « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » والنقل منه (١١/ ٤١٠) .
(١٣) في (آ) و(ط) : « سعيد بن بشر » والتصحيح من « تحفة الأشراف » وانظر « تهذيب الكمال » (١٠/ ٣٤٩) .

هشامٌ ، عن قتادة ، عن زرارة ، عن أبي هريرةَ[١] ، فالله أعلم .

وقال البخاريّ[٢] : حدّثنا يحيى بن بكيرٍ ، ثنا اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، أنّ عبد الله بن كعبٍ قال : سمعت كعب بن مالكٍ يقول : لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها ، إلّا في غزوة تبوك ، غير أنّي تخلّفت عن غزوة بدرٍ ، ولم يعاتب الله أحداً تخلّف عنها ، إنّما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريشٍ ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعادٍ ، تفرّد به .

قال ابن إسحاق[٣] : فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكّة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم مرّ على تُربان ، ثم على ملَلٍ ، ثم على غَميس الحَمام ، ثم على صخيرات اليمامة ، ثم على السّيالة ، ثم على فجّ الرّوحاء ، ثم على شنوكة ، وهي الطريق المعتدلة ، حتى إذا كان بعرق الظّبية ، لقي رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلّم على رسول الله ﷺ . قال : أوَفيكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : نعم . فسلّم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله ، فأخبرني عمّا في بطن ناقتي هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقشٍ : لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليّ ، فأنا أخبرك عن ذلك ؛ نزوت عليها ، ففي بطنها منك سخلةٌ . فقال رسول الله ﷺ : « مه ، أفحشت على الرجل » . ثم أعرض عن سلمة ، ونزل رسول الله ﷺ سجسج ، وهي بئر الرّوحاء ، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ، ترك طريق مكّة بيسارٍ وسلك ذات اليمين على النّازية ، يريد بدراً ، فسلك في ناحيةٍ منها ، حتى إذا جزع وادياً[٤] يقال له : رُحْقَان[٥] بين النّازية وبين مضيق الصّفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريباً من الصّفراء ، بعث بسبس بن عمروٍ الجهني ، حليف بني ساعدة ، وعديّ بن أبي الزّغباء ، حليف بني النّجار إلى بدرٍ ، يتجسّسان له الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حربٍ وعِيره .

وقال موسى بن عقبة[٦] : بَعَثَهما قبل أن يخرج من المدينة ، فلمّا رجعا فأخبراه بخبر العير ؛ استنفر الناس إليها ، فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً ، فقد بعثهما مرّتين ، والله أعلم .

---

(١) انظر « السنن الكبرى » للنسائي (٨٨١٠) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٥١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣ـ٦١٤) .
(٤) جزع الوادي : أي قطَعه ولا يكون إلا عَرْضاً . « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٢٦٩) .
(٥) في (آ) و(ط) : ((وحقان)) وهو خطأ ، والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٤) و« المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(١٥٤) .
(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٢) .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[١] : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدّمهما ، فلمّا استقبل الصّفراء ، وهي قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبليها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما : مُسلحٌ . وللآخر : مُخرىءٌ ، وسأل عن أهلهما ، فقيل : بنو النار ، وبنو حراقٍ ، بطنان من غفارٍ . فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فتركهما والصّفراء بيسارٍ ، وسلك ذات اليمين ، على وادٍ يقال له : ذفران ، فجزع فيه ثم نزل ، وأتاه الخبر عن قريشٍ ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريشٍ ، فقام أبو بكرٍ الصدّيق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمروٍ فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ، فوالّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بِركِ الغُمادِ[٢] ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له [به] . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا عليّ أيّها الناس » . وإنّما يريد الأنصار ، وذلك أنّهم كانوا عدد الناس ، وأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنّا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمّتنا ، نمنعك ممّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوّف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره ، إلّا ممّن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم . فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذٍ : والله لكأنّك تريدنا يارسول الله . قال : « أجل » . قال : فقد آمنّا بك ، وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطّاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحقّ ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلّف منا رجلٌ واحدٌ ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً ، إنّا لصبُرٌ في الحرب ، صدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر على بركة الله . قال : فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعدٍ ونشّطه ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم » . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله[٣] .

وله شواهد من وجوهٍ كثيرةٍ ، فمن ذلك ما رواه البخاريّ في « صحيحه »[٤] : حدّثنا أبو نعيمٍ ، حدّثنا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٤) ولفظ ((به)) الذي بين الحاصرتين مستدرك منها .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد بأقصى اليمن ، وقيل : هو في أقاصي هجر ، انظر « معجم البلدان » (١/ ٥٨٩) و« الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص (٨٦) بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس . وقال السهيلي في « الروض الأنف » (٢/ ٦٥) : « وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة بالحبشة » .

(٣) ولتمام الفائدة راجع « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٤) رواه البخاري (٣٩٥٢) .

إسرائيل ، عن مخارقٍ ، عن طارق بن شهابٍ قال : سمعت ابن مسعودٍ يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه ، أحبّ إليّ ممّا عدل به ؛ أتى النبيّ ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبيّ ﷺ أشرق وجهه وسرّه ، انفرد به البخاريّ دون مسلمٍ ، فرواه في مواضع من « صحيحه » ، من حديث مخارقٍ به[1] . ورواه النّسائيّ[2] من حديثه ، وعنده : جاء المقداد يوم بدرٍ على فرسٍ . . . فذكره .

وقال الإمام أحمد[3] : حدّثنا عبيدة ، هو ابن حميدٍ ، عن حميدٍ الطويل ، عن أنسٍ قال : استشار النبيّ ﷺ مخرجه إلى بدرٍ ، فأشار عليه أبو بكرٍ ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم ، فقال بعض الأنصار : إيّاكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار . فقال بعض الأنصار : يا رسول الله[4] ، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برْك الغُماد لاتبعناك ، وهذا الإسناد ثلاثيٌّ صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضاً[5] : حدّثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنس بن مالكٍ أنّ رسول الله ﷺ شاور حيث بلغه إقبال أبي سفيان . قال : فتكلّم أبو بكرٍ فأعرض عنه ، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عبادة : إيّانا يريد رسول الله ﷺ ، والّذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بِرك الغماد لفعلنا . فندب رسول الله ﷺ الناس . قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ، ووردت عليهم روايا[6] قريشٍ ، وفيهم غلامٌ أسود لبني الحجّاج فأخذوه ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه ، فيقول : ما لي علمٌ بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشامٍ ، وعتبة بن ربيعة ، [وشيبة] ، وأميّة بن خلفٍ . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه ، قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه قال : ما لي بأبي سفيان علمٌ ، ولكن هذا أبو جهلٍ وعتبة وشيبة وأُميّة [في الناس][7] فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلي ، فلمّا رأى ذلك انصرف فقال : « والذي نفسي بيده إنّكم لتضربونه إذا صدقكم ، وتتركونه إذا كذبكم . قال : وقال

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٩) .
(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١١١٤٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٨٨) .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « المسند » : « فقال قائل الأنصار : تستشيرنا يا نبي الله؟ » .
(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .
(٦) الروايا : جمع راوِيَة ، والراوية : البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء . انظر « لسان العرب » (روي) .
(٧) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » .

رسول الله ﷺ : « هذا مصرع فلان غداً » . يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا . فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .

ورواه مسلم[١] ، عن أبي بكرٍ ، عن عفّان به نحوه .

وقد روى ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره » ، وابن مردويه[٢] ، واللفظ له ، من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن أسلم ، عن أبي عمران ، أنّه سمع أبا أيوب الأنصاريّ يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إنّي أخبرت عن عير أبي سفيان أنّها مقبلةٌ ، فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير ، لعلّ الله يغنمناها؟» . فقلنا : نعم . فخرج وخرجنا ، فلمّا سرنا يوماً أو يومين ، قال لنا : « ما ترون في القوم ، فإنّهم قد أخبروا بمخرجكم؟ » . فقلنا : لا والله ، ما لنا طاقةٌ بقتال القوم ، ولكنّا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون في قتال القوم؟ » . فقلنا مثل ذلك . فقال المقداد بن عمروٍ : إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . قال : فتمنّينا معشر الأنصار لو أنّا قلنا مثل ما قال المقداد، أحبّ إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيمٌ . قال : فأنزل الله ، عزّ وجلّ، على رسوله : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال : ٥] . وذكر تمام الحديث .

وروى ابن مردويه أيضاً[٣] ، من طريق محمد بن عمروٍ بن علقمة بن وقّاصٍ اللّيثيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، حتى إذا كان بالرّوحاء ، خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، بلغنا أنّهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال عمر مثل قول أبي بكرٍ ، ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال سعد بن معاذٍ : يا رسول الله ، إيّانا تريد ، فوالّذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قطّ ، ولا لي بها علمٌ ، ولئن سرت حتى تأتي بِرك الغماد من ذي يمنٍ ، لنسيرنّ معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكم متّبعون ، ولعلّك أن تكون خرجت لأمرٍ وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعدٍ : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ الآيات .

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٩) .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٦٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وانظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٥) وفي سنده ابن لهيعة ، وفيه كلام .

(٣) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٨٥٠٧) ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة به ، وذكره المصنف في « التفسير » (٣/ ٥٥٥) بسند ابن مردويه . والسيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٦٣) ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه ، وفي سنده محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، وهو صدوق له حسن الحديث ، على أن والده عمرو بن علقمة مجهول ، كما هو مبين في « تحرير التقريب » .

وذكره الأمويّ في « مغازيه »[١] ، وزاد بعد قوله : وخذ من أموالنا ما شئت : وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منّا كان أحبّ إلينا ممّا تركت ، وما أمرت به من أمرٍ ، فأمرنا تبعٌ لأمرك ، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غُمدان[٢] ، لنسيرنّ معك .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفِران ، فسلك على ثنايا يقال لها : الأصافرُ ، ثم انحطّ منها إلى بلدٍ يقال له : الدّبة[٤] . وترك الحنّان بيمينٍ ، وهو كثيبٌ عظيمٌ كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدرٍ ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه .

قال ابنُ هشامٍ : هو أبو بكرٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : ـ كما حدّثني محمد بن يحيى بن حَبّان ـ : حتى وقف على شيخٍ من العرب ، فسأله عن قريشٍ وعن محمدٍ وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال : أو ذاك بذاك؟ قال : « نعم » . قال الشيخ : فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به رسول الله ﷺ ـ وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به قريشٌ ـ فلمّا فرغ من خبره قال : ممّن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نحن من ماءٍ » . ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماءٍ؟ أمن ماء العراق؟ قال ابن هشامٍ : يقال لهذا الشيخ : سفيان الضّمريّ .

قال ابن إسحاق[٦] : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلمّا أمسى بعث عليّ بن أبي طالبٍ ، والزّبير بن العوّام ، وسعد بن أبي وقّاصٍ ، في نفرٍ من أصحابه إلى ماء بدرٍ ، يلتمسون الخبر له ، كما حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير[٧] ، فأصابوا راويةً لقريشٍ ، فيها أسلم غلام بني الحجّاج ، وعريضٌ أبو يسارٍ غلام بني العاص بن سعيدٍ ، فأتوا بهما ، فسألوهما ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلّي ، فقالوا : نحن سقاة قريشٍ ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ،

---

(١) انظر « سبل الهدى والرشاد » (٤/ ٤٢ ، ٤٣) .

(٢) غمدان : قصبة صنعاء باليمن ، كان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخرّبه عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فصار تلاً عظيماً . انظر « الروض المعطار » ص (٤٢٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٥ ـ ٦١٦) ، و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٥) .

(٤) في (آ) و(ط) : « الدِّية » ، والتصحيح من هامش (ط) و« السيرة النبوية » و« تاريخ الطبري » . والدبة : بلد بين الأصافر وبدر . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٥٤٧) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٦) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وهو مرسل .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٦ ـ ٦١٧) .

(٧) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٦) ، و« دلائل البيهقي » (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) .

فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما[١] قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ ، وسجد سجدتيه وسلّم ، وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما! صدقا والله ، إنّهما لقريش ، أخبراني عن قريشٍ » . قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى . والكثيب : العقنقل[٢] . فقال لهما رسول الله ﷺ : « كم القوم؟ » قالا : كثيرٌ . قال : « ما عدّتهم؟ » . قالا : لا ندري . قال : « كم ينحرون كلّ يوم؟ » . قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التّسعمئة إلى الألف » . ثم قال لهما : « فمن فيهم من أشراف قريشٍ؟ » . قالا : عتبة بن رَبيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختريّ بن هشام ، وحكيم بن حزامٍ ، ونوفل بن خويلدٍ ، والحارث بن عامرٍ بن نوفلٍ ، وطعيمة بن عديّ بن نوفلٍ ، والنّضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، ونبيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمروٍ ، وعمرو بن عبد ودٍّ . قال : فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان بسبس بن عمروٍ ، وعديّ بن أبي الزّغباء[٤] قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تلٍّ قريبٍ من الماء ، ثم أخذا شنّاً[٥] لهما يستقيان فيه ، ومجديّ بن عمروٍ الجهنيّ على الماء ، فسمع عديٌّ وبسبسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العير غداً أو بعد غدٍ ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . قال مجديٌّ : صدقت . ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عديٌّ وبسبسٌ ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدّم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمروٍ : هل أحسست أحداً؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلاّ أنّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التّلّ ، ثم استقيا في شنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ففتّه ، فإذا فيه النّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها[٦] وترك بدراً بيسارٍ ، وانطلق حتى أسرع ، وأقبلت قريشٌ ، فلمّا نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بنُ الصّلت بن مخرمة ابن المطّلب بن عبد منافٍ رؤيا ، فقال : إنّي رأيت[٧] فيما يرى النائم ، وإنّي لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجلٍ قد أقبل على فرسٍ ، حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، وفلانٌ ، وفلانٌ . فعدّ رجالاً ممّن قتل يوم بدرٍ من

(١) أذلقوهما : بالغوا في ضربهما وآذوهما . انظر « شرح غريب السيرة » لأبي ذر الخشني (٢/ ٣٤) .
(٢) العقنقل : الرمل المتراكم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦١٧ ـ ٦١٨) .
(٤) تصحفت في (آ) إلى « الرغباء » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .
(٥) الشن : القربة . انظر « مختار الصحاح » (شنن) .
(٦) فساحل بها : أي أخذها إلى طريق الساحل .
(٧) لفظ « رأيت » سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

أشراف قريشٍ ، ثم رأيته ضرب في لبّة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباءٌ من أخبية العسكر إلّا أصابه نضحٌ من دمه . فبلغت أبا جهلٍ ، لعنه الله ، فقال : هذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني المطّلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق[١] : ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجّاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشامٍ : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ـ وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوقٌ كلّ عامٍ ـ فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا . وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهبٍ الثّقفيّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجحفة : يا بني زهرة ، قد نجّى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفلٍ ، وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبنها وارجعوا ، فإنّه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعةٍ ، لا ما يقول هذا . قال : فرجعوا ، فلم يشهدها زهريٌّ واحدٌ ؛ أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ، ولم يكن بقي بطنٌ من قريشٍ إلّا وقد نفر منهم ناسٌ ، إلّا بني عديٍّ ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحدٌ . قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبي طالبٍ ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريشٍ محاورةٌ ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشمٍ ، وإن خرجتم معنا ، أنّ هواكم مع محمدٍ . فرجع طالبٌ إلى مكة مع من رجع ، وقال في ذلك : [من الرجز]

لاهُمّ إمّا يغزونّ طالبْ ... في عصبةٍ محالفٍ[٢] محاربْ

في مِقنبٍ[٣] من هذه المقانبْ ... فليكن المسلوب غير السّالبْ

وليكن المغلوب غير الغالبْ

قال ابن إسحاق[٤] : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، خلف العقنقل وبطن الوادي ، وهو يليل ، بين بدرٍ وبين العقنقل ، الكثيب الذي خلفه قريشٌ ، والقليب ببدرٍ ، في العدوة الدّنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال الله تعالى[٥] : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ أي ؛ من ناحية الساحل . ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٨ ـ ٦١٩) .

(٢) في (ط) : « مخالف » .

(٣) المقنب : جماعة الخيل مقدار ثلاثمئة أو نحوها . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٥) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٩ ـ ٦٢٠) .

(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٠ ـ ١٢) .

مَفْعُولًا ﴾ الآيات [الأنفال : ٤٢] . وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً[١] ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماءٌ ، لبّد لهم الأرض[٢] ، ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشاً منها ماءٌ لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت : وفي هذا قوله تعالى[٣] : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١١] . فذكر أنّه طهّرهم ظاهراً وباطناً ، وأنّه ثبّت أقدامهم ، وشجّع قلوبهم ، وأذهب عنهم تخذيل الشيطان ، وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر ، وأنزل النصر عليهم من فوقهم ، في قوله[٤] : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ . أي : على الرءوس ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ . أي : لئلاّ يستمسك منهم السلاح . ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ [الأنفال : ١٢ - ١٤] .

قال ابن جريرٍ[٥] : حدّثني هارون بن إسحاق ، ثنا مصعب بن المقدام ، ثنا إسرائيل ، ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن عليّ بن أبي طالبٍ قال : أصابنا من الليل طشٌّ من المطر[٦] ، يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجَف ، نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ ، يعني قائماً يصلّي[٧] ، وحرّض على القتال .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا عبد الرحمن بن مهديٍّ ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائمٌ ، إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ يصلّي ويبكي حتى أصبح . وسيأتي هذا الحديث مطوّلاً . ورواه النّسائي[٩] ، عن بندارٍ ، عن غندرٍ ، عن شعبة به .

---

(١) الدهس : قيل : هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملاً ، وليس بتراب ولا طين . انظر « لسان العرب » (دهس) .
(٢) لبّد الأرض : جعلها قوية لا تسوخ فيها الأرجل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ٢٢٤) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » : (٣/ ٥٦٢ - ٥٦٥) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٦٥ - ٥٦٧) .
(٥) انظر تفسير الطبري (٩/ ١٩٤ - ١٩٥) و« تاريخه » (٢/ ٤٢٤ - ٤٢٦) .
(٦) طش المطر : الضعيف القليل منه « النهاية » .
(٧) أي يدعو الله تعالى .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٢٥) وهو حديث صحيح .
(٩) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٢٣) . عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة به . وكذا في « جامع المسانيد » للمصنف (١٩/ ١٠٥) و« تحفة الأشراف » (٧/ ٣٥٧ و٣٥٨) وليس عن بندار (وهو محمد بن بشار) عن غندر كما في (آ) و(ط) هنا .

وقال مجاهد[١] : أنزل عليهم المطر ، فأطفأ به الغبار ، وتلبّدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدرٍ ، ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلّي إلى جذم شجرةٍ هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول : « يا حيّ يا قيّوم » . يكرّر ذلك ويلظّ به ، عليه السلام[٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدرٍ ، نزل به .

قال ابن إسحاق[٤] : فحُدّثت عن رجالٍ من بني سلِمة ، أنّهم ذكروا أنّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلًا أنزلكه الله ، ـ ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرّأي والحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » . قال : يا رسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزلٍ ، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله ، ثم نغوّر[٥] ما وراءه من القلب[٦] ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرّأي » .

قال الأمويّ[٧] : حدّثنا أبي ، قال : وزعم الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباسٍ قال : بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقباص ، وجبريل عن يمينه ، إذ أتاه ملكٌ من الملائكة ، فقال : يا محمد ، إنّ الله يقرأ عليك السلام . فقال رسول الله ﷺ : « هو السّلام ، ومنه السلام ، وإليه السلام » . فقال الملك : إنّ الله يقول لك : إنّ الأمر هو الذي أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله ﷺ : « ياجبريل ، هل تعرف هذا ؟ » . فقال : ما كلُّ أهل السماء أعرف ، وإنّه لصادقٌ ، وما هو بشيطانٍ .

---

(١) وأخرجه عنه الطبري في « تفسيره » (٩/ ١٩٦) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٤٤٧) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٢٢) من حديث علي ، رضي الله عنه وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٠) وإسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة ، وقد وصله الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) من حديث الحباب ، وفي سنده مجاهيل . قال الذهبي في تلخيصه : قلت : حديث منكر ، وسنده ـ سكت عنه ، ولعله يريد وسنده (واهٍ) أو نحوه ، ورواه الأموي من حديث ابن عباس كما في « البداية » (٥/ ٨٢) وفيه الكلبي ، وهو كذاب .

(٥) قال أبو ذر الخشني : من رواه بالغين المعجمة فمعناه نذهبه وندفنه ، ومن رواه بالعين المهملة ـ وهو لفظ رواية الطبري ـ فمعناه نفسده . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٥) .

(٦) القُلُب : جمع قَلِيب ، وهو البئر قبل أن تُطوى ـ أي تبنى بالحجارة ـ فإذا طُويت فهي الطَّوِيّ . انظر « لسان العرب » (قلب) .

(٧) أورده المؤلف مختصراً في « تفسيره » (٣/ ٥٦٤) .

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغوّرت ، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه ، فملىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

وذكر بعضهم أنّ الحباب بن المنذر لمّا أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ ، نزل ملكٌ من السماء ، وجبريل عند النبيّ ﷺ ، فقال الملك : يا محمد ، ربّك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إنّ الرأي ما أشار به الحباب . فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل ، فقال : ليس كلّ الملائكة أعرفهم ، وإنّه مَلكٌ وليس بشيطانٍ . وذكر الأمويّ ، أنّهم نزلوا على القليب الذي يلي المشركين نصف الليل ، وأنّهم نزلوا فيه ، واستقوا منه ، وملؤوا الحياض حتى أصبحت ملاءً ، وليس للمشركين ماءٌ .

قال ابن إسحاق[١] : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أنّه حدّث أنّ سعد بن معاذٍ قال : يا نبيّ الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعدّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ؛ جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا[٢] ، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ما نحن بأشدّ حبّاً لك منهم ، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ، ما تخلّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخيرٍ ، ثم بني لرسول الله ﷺ عريشٌ كان فيه .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت ، فأقبلت ، فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصوّب[٤] من العقنقل ، وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي ، قال : « اللهمّ هذه قريشٌ قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادّك وتكذّب رسولك ، اللهمّ فنصرك الذي وعدتني ، اللهمّ أحنهم[٥] الغداة » . وقد قال رسول الله ﷺ وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم ، وهو على جملٍ له أحمر : « إن يكن في أحدٍ من القوم خيرٌ ، فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا » .

قال[٦] : وقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة ، أو أبوه إيماء بن رحضة الغفاريّ ، بعث إلى قريشٍ ابناً له بجزائر[٧] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدّكم بسلاحٍ ورجال ، فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه ، أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذي عليك ، فلعمري إن كنّا إنّما نقاتل الناس ، ما بنا ضعفٌ عنهم ، وإن كنا إنّما نقاتل الله ، كما يزعم محمدٌ ، فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٠) .
(٢) عبارة : « من قومنا » ليست في « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢١) .
(٤) أي : تَتَصَوَّبُ .
(٥) أحنهم : أهلكهم . والحَيْن : الهلاك . انظر « لسان العرب » (حين) .
(٦) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢١) .
(٧) جمع جزور ، وهو ما يصلح لأن يُذبح من الإبل . انظر « لسان العرب » (جزر) .

قال[١] : فلمّا نزل الناس ، أقبل نفرٌ من قريشٍ حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ ، فيهم حكيمُ بنُ حِزَامٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » . فما شرب منه رجلٌ يومئذٍ إلّا قتل ، إلّا ما كان من حكيم بن حزامٍ ، فإنّه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجّاني يوم بدرٍ .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً ، كما سيأتي بيان ذلك في فصلٍ نعقده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم ، إن شاء الله .

ففي « صحيح البخاريّ »[٢] ، عن البراء قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحاب بدرٍ ثلاثمئةٍ وبضعة عشر ، على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النّهر ، وما جاوزه معه إلّا مؤمنٌ .

وللبخاريّ أيضاً[٣] عنه قال : استُصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيّفاً على ستين ، والأنصار نيّفاً وأربعين ومئتين .

وروى الإمام أحمد[٤] ، عن نصر بن بابٍ[٥] ، عن حجّاجٍ ، عن الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ أنّه قال : كان أهل بدرٍ ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً ، وكان المهاجرون ستةً وسبعين ، وكان هزيمة أهل بدرٍ لسبع عشرة مضين ، يوم الجمعة ، في شهر رمضان .

وقال الله تعالى[٦] : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ الآية [الأنفال : ٤٣] . وكان ذلك في منامه تلك الليلة . وقيل : إنه نام في العريش ، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم ، فجعل الصدّيق يوقظه ، ويقول : يا رسول الله ، دنوا منّا ، فاستيقظ . وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً . ذكره الأمويّ[٧] . وهو غريبٌ جدّاً . وقال تعالى[٨] : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٤] . فعندما تقابل الفريقان ، قلّل الله كلاً منهما في أعين الآخرين ، ليجترىء هؤلاء على هؤلاء ، وهؤلاء على هؤلاء ؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارضاً لقوله

---

(١) أي : ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٢) .

(٢) رواه البخاري (٣٩٥٩) .

(٣) رواه البخاري (٣٩٥٦) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٨) وإسناده ضعيف لضعف نصر بن باب الخراساني ، والحجاج مدلس ، وهو ابن أرطاة ، لكنه حديث حسن بشواهده .

(٥) في (آ) : « رئاب » وانظر « الجرح والتعديل » (٨/ ٤٦٩) .

(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٤/ ١٣) .

(٧) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٦٧) .

(٨) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٣ ـ ١٤) .

تعالى في سورة « آل عمران »[١] : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ . فإنّ المعنى في ذلك ، على أصحّ القولين ، أنّ الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة ، على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة[٢] أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إيّاهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيّد المؤمنين بنصره ، فجعلهم في أعين الكافرين على الضِّعف منهم ، حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ، ولهذا قال : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ .

قال إسرائيل[٣] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة[٤] ، عن عبد الله : لقد قُلّلوا في أعيننا يوم بدرٍ ، حتى إنّي لأقول لرجلٍ إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مئةً .

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ ، وغيره من أهل العلم ، عن أشياخٍ من الأنصار قالوا : لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عميربن وهبٍ الجمحيّ ، فقالوا : احزر[٦] لنا القوم أصحاب محمدٍ . قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمئة رجلٍ ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ؛ أللقوم كمين أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت ، يا معشر قريشٍ ، البلايا[٧] تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت النّاقع ، قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلّا سيوفهم ، والله ما ما أرى أن يقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم . فلمّا سمع حكيم بن حزامٍ ذلك ، مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنّك كبير قريشٍ وسيّدها ، والمُطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخيرٍ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرميّ . قال : قد فعلت ، أنت عليّ بذلك ، إنّما هو حليفي ، فعليّ عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظليّة[٨] ـ يعني أبا جهل ـ فإنّي لا أخشى أن يشجُر أمر الناس غيره . ثم قام عتبة خطيباً ، فقال : يا معشر قريشٍ ، إنّكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه ؛ لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجلٍ يكره النظر إليه ؛ قتل

---

(١) الآية (١٣) منها . انظر « تفسير ابن كثير » (٢/ ١٢ ـ ١٤) .
(٢) في (ط) : « المسابقة » .
(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ١٣) .
(٤) في (ط) : « عن أبي عبيد وعبد الله » وهو خطأ .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٢ ـ ٦٢٤) و« تاريخ الطبري » (٤١١ ـ ٤٤٢) .
(٦) حزر الشيء حزراً : قدَّره بالتخمين . انظر « المعجم الوسيط » (حزر) .
(٧) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت ـ صاحب الناقة ـ فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٥) .
(٨) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/ ٦٢٣) : والحنظلية أُمُّ أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخرِّبة .

ابن عمّه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا ، وخلّوا بين محمدٍ وبين سائر العرب ، فإن أصابوه ، فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ، ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون . قال حكيمٌ : فانطلقت حتى جئت أبا جهلٍ ، فوجدته قد نثل درعاً له ، فهو يهنئها ، فقلت له : يا أبا الحكم ، إنّ عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ والله سحره[١] حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكُم الله بيننا وبين محمدٍ ، وما بعتبة ما قال ، ولكنّه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزورٍ ، وفيهم ابنه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خفرتك[٢] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف ثم صرخ : واعمراه واعمراه . قال : فحميت الحرب ، وحقب[٣] أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلمّا بلغ عتبة قول أبي جهلٍ : انتفخ والله سحره . قال : سيعلم مصفّر استه[٤] من انتفخ سحره ، أنا أم هو .

ثم التمس عتبة بيضةً ؛ ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضةً تسعه ؛ من عظم رأسه ، فلمّا رأى ذلك اعتجر[٥] على رأسه ببردٍ له .

وقد روى ابن جريرٍ[٦] ، من طريق مسوّر بن عبد الملك اليربوعيّ ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم ، إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزامٍ يستأذن . قال : ائذن له . فلمّا دخل قال : مرحباً يا أبا خالدٍ ، ادن . فحال له عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله فقال : حدّثنا حديث بدرٍ . فقال : خرجنا حتى إذا كنّا بالجحفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريشٍ بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنّكم لا تطلبون من محمدٍ إلّا دم ابن الحضرميّ ، وهو حليفك ، فتحمّل بديته ، ويرجع الناس . فقال : أنت عليّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظليّة ، يعني أبا جهلٍ ، فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمّك ؟ فجئته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : فسخت عقدي من عبد شمسٍ ، وعقدي اليوم إلى بني مخزومٍ . فقلت له : يقول لك

---

(١) أي : رِئتُه ، يقال ذلك للجبان . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٢/٣٤٦) .
(٢) قال السهيلي : أي اطلُب من قريش الوفاء بخُفرتهم لك . انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٢٥) .
(٣) يقال : حقب الأمر . إذا اشتدَّ . انظر « لسان العرب » (حقب) .
(٤) قال الزبيدي في « تاج العروس » (صفر) : يقال في الشتم : هو مصفر استه . أي ضرّاط .
(٥) اعتجر ، معناه تعمم بغير تلحٍّ ، أي لم يجعل تحت لحيته منها شيئاً . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/٣٦) .
(٦) انظر « تاريخ الطبري » (٢/٤٤٣) .

عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم [عن ابن عمّك][١] بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره . قال حكيمٌ : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلاّ يفوتني من الخبر شيءٌ ، وعتبة متكىءٌ على إيماء بن رحضة الغفاريّ ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهلٍ والشّرّ في وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسلّ أبو جهلٍ سيفه ، فضرب به متن فرسه . فقال إيماء بن رحضة : بئس الفأل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفّ رسول الله ﷺ أصحابه وعبّأهم أحسن تعبئةٍ ، فروى التّرمذيّ[٢] ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : صفّنا رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ليلاً .

وروى الإمام أحمد[٣] ، من حديث ابن لهيعة : حدّثني يزيد بن أبي حبيبٍ ، أنّ أسلم أبا عمران حدّثه ، أنّه سمع أبا أيوب يقول : صَفَفنا يوم بدرٍ ، فبدرت منّا بادرةٌ أمام الصفّ ، فنظر إليهم النبيّ ﷺ فقال : « معي معي » . تفرّد به أحمد . وهذا إسنادٌ حسنٌ .

وقال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني حَبّان بن واسع بن حبّان ، عن أشياخ من قومه ، أنّ رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدرٍ ، وفي يده قدحٌ[٥] يعدّل به القوم ، فمرّ بسواد بن غزيّة حليف بني عديٍّ بن النّجّار ، وهو مستنتلٌ[٦] من الصفّ ، فطعن في بطنه بالقدح وقال : « استوِ يا سواد » . فقال : يا رسول الله ، أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، فأقدني . فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، فقال : « استقد » . قال : فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » . قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك ، أن يمسّ جلدي جلدك . فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ وقاله[٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يضحك الربّ من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدوّ حاسراً » . فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه .

---

(١) زيادة من « تاريخ الطبري » .
(٢) رواه الترمذي (١٦٧٧) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٢٠) والراوي عن ابن لهيعة هو عبد الله بن المبارك ، ولذلك حسّنه المصنف .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٦) وفي سنده جهالة .
(٥) القِدْح : السهم .
(٦) أي : متقدِّم .
(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « وقاله له » .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨) .

قال ابن إسحاق[١] : ثم عدّل رسول الله ﷺ الصّفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكرٍ ، ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره[٢] : وكان سعد بن معاذٍ ، رضي الله عنه ، واقفاً على باب العَرِيش متقلّداً بالسيف ، ومعه رجالٌ من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدوّ من المشركين . والجنائب النّجائب مهيّأةٌ لرسول الله ﷺ ، إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذٍ .

وقد روى البزّار في « مسنده »[٣] من حديث محمد بن عقيلٍ ، عن عليٍّ أنّه خطبهم فقال : يا أيّها الناس ، من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنّي ما بارزني أحدٌ إلّا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكرٍ ؛ إنّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ ؛ لئلاّ يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلّا أبو بكرٍ ، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحدٌ ، إلّا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس . قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريشٌ ؛ فهذا يجؤه ، وهذا يتلتله ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلّا أبو بكرٍ ؛ يضرب هذا ويجأ هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول : ربّي الله . ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه ، فبكى حتى اخضلّت لحيته ثم قال : أنشدكم الله ، أَمؤمن آل فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم فقال عليٌّ : فوالله ، لساعةٌ من أبي بكرٍ ، خيرٌ من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ؛ ذاك رجلٌ يكتم إيمانه ، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه ، ثم قال البزّار : لا نعلمه يروى إلّا من هذا الوجه .

فهذه خصوصيّةٌ للصدّيق حيث هو مع الرسول ﷺ في العريش ، كما كان معه في الغار ، رضي الله عنه وأرضاه ، ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرّع والدّعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهمّ إنّك إن تَهلك هذه العصابةُ ، لا تعبد بعدها في الأرض » . وجعل يهتف بربّه ، عزّ وجلّ ، ويقول : « اللهمّ أنجز لي ما وعدتني ، اللهمّ نصرك » . ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرّداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، يلتزمه من ورائه ، ويسوّي عليه رداءه ، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك[٤] . هكذا حكى السّهيليّ عن قاسم بن ثابتٍ أنّ الصدّيق إنّما قال : بعض مناشدتك ربّك . من باب الإشفاق ؛ لما رأى من نصبه في الدّعاء والتضرّع ، حتى سقط الرّداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله ، أي ؛ لم تتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٩) .

(٣) « البحر الزخار » رقم (٧٦١) ، وهو في « كشف الأستار » برقم (٢٤٨١) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/ ٤٧) : رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

(٤) رواه بنحوه مسلم رقم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بالنصر ، وكان ، رضي الله عنه ، رقيق القلب ، شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ[١]

وحكى السّهيليّ عن شيخه أبي بكر بن العربيّ[٢] أنّه قال : كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف ، والصدّيق في مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف في هذا الوقت يعني أكمل . قال : لأنّ لله أن يفعل ما يشاء ، فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادةٌ .

قلت : وأمّا قول بعض الصّوفيّة : إنّ هذا المقام ، في مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قولٌ مردودٌ على قائله ؛ إذ لم يتدبّر هذا القائل عور[٣] ما قال ، ولا لازمه ، ولا ما يترتّب عليه ، والله أعلم[٤]

هذا وقد تواجه الفئتان ، وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان ، بين يدي الرحمن ، واستغاث بربّه سيّد الأنبياء ، وضجّ الصّحابة بصنوف الدّعاء ، إلى ربّ الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء ، فكان أوّل من قتل من المشركين ، الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ . قال ابن إسحاق[٥] : وكان رجلاً شرساً سيّيء الخلق فقال : أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم ، أو لأهدمنّه ، أو لأموتنّ دونه ، فلمّا خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطّلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة ، فأطنّ[٦] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، تشخب رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ـ زعم ـ أن يبرّ يمينه ، واتّبعه حمزة ، فضربه حتى قتله في الحوض .

قال الأمويّ[٧] : فحمي عند ذلك عتبة بن ربيعة ، وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلمّا توسّطوا بين الصّفّين ، دعوا إلى البراز ، فخرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثةٌ ، وهم : عوفٌ ومعوّذٌ ابنا الحارث ، وأمّهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة ـ فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم من حاجةٍ . وفي روايةٍ[٨] : فقالوا : أكفاءٌ كرامٌ ، ولكن أخرجوا

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٣٠) .
(٢) وهو الحافظ المحدِّث الكبير ، عالم أهل الأندلس في عصره ، المتوفى سنة (٥٤٦هـ) . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (٦/ ٢٣٢) .
(٣) العور : الشَّين والقُبح . انظر « لسان العرب » (عور) .
(٤) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٩) : قال الخطابي : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربِّه من النبي ﷺ في تلك الحال ؛ بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم ؛ لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال ؛ لتسكن نفوسهم عند ذلك ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ما قال ، كفّ عند ذلك وعلم أنه استجيب له ؛ لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٥) .
(٦) أطنَّ قدمه : قطعها . انظر « القاموس المحيط » (طنن) .
(٧) انظر الخبر بنحوه في « المغازي » للواقدي (١/ ٦٨) .
(٨) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٥) و« دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٧٢) .

إلينا من بني عمّنا . ونادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبيّ ﷺ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا عليّ »[١] .

وعند الأمويّ ، أنّ النّفر من الأنصار لمّا خرجوا ، كره ذلك رسول الله ﷺ ؛ لأنّه أول موقفٍ واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه، فأحبّ أن يكون أولئك من عشيرته، فأمرهم بالرّجوع، وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن إسحاق[٢] : فلمّا دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفي هذا دليلٌ أنّهم كانوا ملبّسين ، لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال عليٌّ : عليٌّ . قالوا : نعم ، أكفاءٌ كرامٌ . فبارز عبيدة ، وكان أسنّ القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة ، فأمّا حمزة ، فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأمّا عليٌّ ، فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعليٌّ بأسيافهما على عتبة ، فذفّفا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه ، رضي الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين[٣] ، من حديث أبي مجلزٍ ، عن قيس بن عبادٍ ، عن أبي ذرٍّ أنّه كان يقسم قسماً أنّ هذه الآية : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] نزلت في حمزة وصاحبيه ، وعتبة وصاحبيه ، يوم برزوا في بدرٍ . هذا لفظ البخاريّ في تفسيرها .

وقال البخاريّ[٤] : حدّثنا حجّاج بن منهالٍ ، حدّثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلزٍ ، عن قيس بن عبادٍ ، عن عليّ بن أبي طالبٍ ، أنّه قال : أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن ، عزّ وجلّ ، في الخصومة يوم القيامة .

قال قيسٌ : وفيهم نزلت : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدرٍ ؛ عليٌّ وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة . تفرّد به البخاريّ .

وقد أوسعنا الكلام عليها في « التفسير »[٥] بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمنّة .

وقال الأمويّ : حدّثنا معاوية بن عمرٍو ، عن أبي إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن عبد الله البهيّ قال : برز عتبة وشيبة والوليد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعليٌّ ، فقالوا : تكلّموا نعرفكم . فقال حمزة، أنا أسد الله، وأسد رسول الله ﷺ، أنا حمزة بن عبد المطّلب . فقال : كفءٌ كريمٌ .

---

(١) رواه أبو داود مختصراً رقم (٢٦٦٥) وهو حديث صحيح .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥) .
(٣) رواه البخاري (٤٧٤٣) ومسلم (٣٠٣٣) .
(٤) رواه البخاري (٤٧٤٤) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٥/ ٤٠١) .

وقال عليٌّ : أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ﷺ . وقال عبيدة : أنا الذي في الحلفاء . فقام كلّ رجلٍ إلى رجلٍ ، فقاتَلوهم فقتلهم الله . فقالت هند في ذلك : [من المتقارب]

أعينيّ جودا بدمعٍ سَرِبْ على خير خِندفَ[1] لم ينقلبْ
تداعى له رهطه غدوةً بنو هاشمٍ وبنو المطّلبْ
يذيقونه حدّ أسيافهم يَعُلّونه بعد ما قد عطِبْ

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا ، هو ابن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، ولمّا جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ ، فأفرشه[2] رسول الله ﷺ قدمه ، فوضع خدّه على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله ، لو رآني أبو طالبٍ ، لعلم أنّي أحقّ بقوله : [من الطويل]

ونُسلِمه[3] حتى نُصرَّعَ حوله ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل[4]

ثم مات ، رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنّك شهيدٌ » . رواه الشافعيّ ، رحمه الله .

وكان أوّل قتيلٍ من المسلمين في المعركة ، مِهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ؛ رمي بسهمٍ فقتله .

قال ابن إسحاق[5] : فكان أوّل من قتل ، ثم رمي بعده حارثة بن سراقة ، أحد بني عديّ بن النّجّار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهمٍ فأصاب نحره فمات .

وثبت في « الصحيحين »[6] عن أنسٍ ، أنّ حارثة بن سراقة قتل يوم بدرٍ ، وكان في النّظّارة[7] ، أصابه سهمٌ غربٌ فقتله ، فجاءت أمّه فقالت : يا رسول الله ، أخبرني عن حارثة ، فإن كان في الجنّة صبرت ، وإلّا فليرينّ الله ما أصنع . يعني من النّياح ، وكانت لم تحرَّم بعدُ[8] . فقال لها رسول الله ﷺ : « ويحك ، أهبلت ، إنّها جنانٌ ثمانٍ ، وإنّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن إسحاق[9] : ثم تزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعضٍ .

---

(١) خندف : لقب ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة نسب إليها بعض قبائل العرب ، ومنهم قريش . انظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص (١٠ ـ ١١ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) .

(٢) في (آ) و(ط) : « فأشرفه » والمثبت من هامش (ط) نقلاً عن « السيرة الحلبية » وهو أصحُ .

(٣) أي ولا نسلمه .

(٤) جمع حليلة وهي الزوجة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٧) .

(٦) رواه البخاري (٢٨٠٩ و٣٩٨٢ و٦٥٥٠ و٦٥٦٧) ليس الحديث في « صحيح مسلم » .

(٧) عبارة « وكان في النظارة » ليست في البخاري ، وهي عند أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٤) .

(٨) أي النياحة .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥) .

وقال[١] : أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنّبل » .

وفي « صحيح البخاريّ »[٢] ، عن أبي أسيدٍ قال : قال لنا رسول الله يوم بدرٍ : « إذا أكثبوكم ـ يعني المشركين ـ فارموهم واستبقوا نبلكم » .

وقال البيهقيّ[٣] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدّثني [عمر بن] عبد الله [بن عروة بن عروة] بن الزّبير ، قال : جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدرٍ : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله . وسمّى خيله : خيل الله .

قال ابن هشامٍ[٤] : كان شعار الصحابة يوم بدرٍ : أحدٌ أحدٌ .

قال ابن إسحاق[٥] : ورسول الله ﷺ في العريش ، معه أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، يعني وهو يستغيث الله ، عزّ وجلّ ، كما قال الله تعالى[٦] : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٩ ـ ١٠] .

قال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا أبو نوحٍ قرادٌ ، ثنا عكرمة بن عمّارٍ ، ثنا سماكٌ الحنفيّ أبو زُميلٍ ، حدّثني ابن عباسٍ ، حدّثني عمر بن الخطاب ، قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمئةٍ ونيّفٌ ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ ، فاستقبل النبيّ ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهمّ أنجز لي ما وعدتني ، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، فلا تعبد بعد في الأرض أبداً » .

قال : فما زال يستغيث ربّه ويدعوه ، حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءَه فردّه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا رسول الله ، كفاك مناشدتك ربّك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ وذكر تمام الحديث كما سيأتي .

---

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٨٤) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٧٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧) .
(٦) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٨ ـ ٥٦٢) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) وهو حديث حسن .

وقد رواه مسلمٌ ، وأبو داود ، والترّمذيّ ، وابن جريرٍ ، وغيرهم[١] ، من حديث عكرمة بن عمّارٍ اليمانيّ ، وصحّحه عليّ بن المدينيّ ، والترّمذيّ .

وهكذا قال غير واحدٍ عن ابن عباسٍ ، والسّدّيّ ، [وابن] جريجٍ ، وغيرهم ؛ أنّ هذه الآية نزلت في دعاء النبيّ ﷺ يوم بدرٍ[٢] .

وقد ذكر الأمويّ وغيره ، أنّ المسلمين عجّوا إلى الله ، عزّ وجلّ ، في الاستغاثة بجنابه ، والاستعانة به . وقوله تعالى : ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ أي ؛ ردفاً لكم ومدداً لفئتكم . رواه العوفيّ عن ابن عباسٍ ، وقاله مجاهدٌ ، وابن كثيرٍ ، وعبد الرحمن بن زيدٍ ، وغيرهم[٣] .

وقال أبو كدينة ، عن قابوسٍ ، [عن أبيه][٤] ، عن ابن عباسٍ : ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ : وراء كلّ مَلَكٍ ملكٌ . وفي روايةٍ عنه بهذا الإسناد : ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ بعضهم على أثر بعضٍ[٥] . وكذا قال أبو ظبيان ، والضّحّاك ، وقتادة . وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبيّ ، عن ابن عباسٍ قال : وأمدّ الله نبيّه ﷺ والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمئةٍ مجنّبةٍ ، وميكائيل في خمسمئةٍ مجنّبةٍ[٦] ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جريرٍ[٧] : حدّثني المثنّى ، حدّثنا إسحاق ، ثنا يعقوب بن محمدٍ الزّهريّ ، حدّثني عبد العزيز بن عمران ، عن الزّمْعيّ[٨] ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبيرٍ ، عن عليٍّ قال : نزل جبريل في ألفٍ من الملائكة عن ميمنة النبيّ ﷺ ، وفيها أبو بكرٍ ، ونزل ميكائيل في ألفٍ من الملائكة عن ميسرة النبيّ ﷺ ، وأنا في الميسرة .

ورواه البيهقيّ في « الدّلائل »[٩] من حديث محمد بن جبيرٍ عن عليٍّ ، فزاد : ونزل إسرافيل في ألفٍ من الملائكة ، وذكر أنّه طعن يومئذٍ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر[١٠] أنّه نزلت ثلاثة آلافٍ من الملائكة . وهذا غريبٌ ، وفي إسناده ضعفٌ ، ولو صحّ لكان فيه تقويةٌ لما تقدّم من

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣) وأبو داود (٢٦٩٠) والترمذي (٣٠٨١) والطبري في « تفسيره » (٩/ ١٨٩) .
(٢) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٠) . و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٩) .
(٣) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٠ ـ ١٩١) . و« التفسير » (٣/ ٥٦٠) .
(٤) سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٠) و« تفسير الطبري » (٩/ ١٩١) .
(٥) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩١) . و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٦٠) .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٥) . و« التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٠) .
(٧) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٢) .
(٨) في (آ) و(ط) : « الربعي » والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٢٩/ ١٧١) .
(٩) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٥٥) .
(١٠) أي عليٌّ ، رضي الله عنه .

الأقوال ، ويؤيّدها قراءة من قرأ : بألفٍ من الملائكة مردَفين[١] بفتح الدال ، والله أعلم .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، ثنا محمد بن سنانٍ القزّاز ، ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو عليٍّ الحنفيّ ، حدّثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهبٍ ، أخبرني إسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافعٍ ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، عن أبيه عن جدّه ، عن عليٍّ قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، قاتلت شيئاً من قتالٍ ، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل . قال : فجئت فإذا هو ساجدٌ يقول : يا حيّ يا قيُّوم ، يا حيّ يا قيّوم . لا يزيد عليها ، فرجعت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، فذهبت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النّسائيّ في « اليوم والليلة »[٣] ، عن بندارٍ ، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي عليّ الحنفيّ به .

وقال الأعمش[٤] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : ما سمعت مناشداً ينشد أشدّ من مناشدة محمدٍ ﷺ يوم بدرٍ ، جعل يقول : اللهمّ إنّي أنشدك عهدك ووعدك ، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، ثم التفت وكأنّ شقّ وجهه القمر ، وقال : كأنّي أنظر إلى مصارع القوم عشيّة . رواه النسائيّ من حديث الأعمش به[٥] . وقال : لمّا التقينا يوم بدرٍ ، قام رسول الله ﷺ يصلّي ، فما رأيت مناشداً ينشد حقّاً له ، أشدّ مناشدةً من رسول الله ﷺ . . . وذكره .

وقد ثبت إخباره ، عليه الصلاة والسلام ، بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدرٍ ، في « صحيح مسلم » عن أنس بن مالكٍ ، كما تقدّم[٦] .

وسيأتي في « صحيح مسلم » أيضاً عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعودٍ ، أنّه أخبر بذلك يوم الوقعة ، وهو مناسبٌ .

وفي الحديثين الآخرين عن أنسٍ وعمر ، ما يدلّ على أنّه أخبر بذلك قبل ذلك بيومٍ ، ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبل ذلك بيومٍ وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعةٍ يوم الوقعة ، والله أعلم .

---

(١) وهي قراءة نافع . انظر « حجة القراءات » ص (٣٠٧) .

(٢) « دلائل النبوة » (٣/ ٤٩) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٢٢) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦١١) وفي « السنن الكبرى » (١٠٤٤٧) .

(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٠) .

(٥) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٤٤٢) .

(٦) رواه مسلم رقم (١٧٧٩) .

وقد روى البخاريّ[١] ، من طرقٍ ، عن خالدٍ الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، أنّ النبيّ ﷺ قال وهو في قبّةٍ له يوم بدرٍ : اللهمّ أنشدك عهدك ووعدك ، اللهمّ إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكرٍ بيده وقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربّك . فخرج وهو يثب في الدّرع ، وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر : ٤٥ ـ ٤٦] . وهذه الآية مكيّةٌ .

وقد جاء تصديقها يوم بدرٍ ، كما رواه ابن أبي حاتمٍ[٢] : حدّثنا أبي ، ثنا أبو الرّبيع الزّهرانيّ ، ثنا حمّادٌ ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لمّا نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ قال عمر : أيّ جمعٍ يهزم ؟! وأيّ جمعٍ يغلب ؟! قال عمر : فلمّا كان يوم بدرٍ ، رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدّرع وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ ، فعرفت تأويلها يومئذٍ[٣] .

وروى البخاريّ[٤] ، من طريق ابن جريجٍ ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول : نزّل على محمدٍ ﷺ بمكّة وإنّي لجاريةٌ ألعب : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ .

وقال ابن إسحاق[٥] : وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهمّ إن تهلك هذه العصابة اليوم ، لا تعبد . وأبو بكرٍ يقول : يا نبيّ الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإنّ الله منجزٌ لك ما وعدك . وقد خفق النبيّ ﷺ خفقةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكرٍ ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النّقع . يعني الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم وقال : والّذي نفس محمدٍ بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبرٍ ؛ إلّا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمراتٌ يأكلهنّ : بخٍ بخٍ أفما بيني وبين أن أدخل الجنّة إلّا أن يقتلني هؤلاء ؟! قال : ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل ، رحمه الله .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا هاشمٌ ، ثنا سليمان ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : بعث رسول الله ﷺ بسبسة[٧] عيناً ؛ ينظر ما صنعت عِير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغير النبيّ ﷺ ـ قال : لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ـ قال : فحدّثه الحديث . قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلّم فقال : إنّ لنا

---

(١) رواه البخاري (٢٩١٥ و٣٩٥٣ و٤٨٧٥ و٤٨٧٧) .
(٢) ذكره المؤلف في « تفسيره » (٧/ ٤٥٧) .
(٣) وهو مرسل .
(٤) رواه البخاري (٤٨٧٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٧) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٣٦) .
(٧) في (ط) : « بَسْبَسا » ، وهو بموحدتين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة مفتوحة . وفي « صحيح مسلم » : « بُسَيْسَة » بموحدة مصغراً ، وانظر « الإصابة » (١/ ٢٨٨) و« شرح صحيح مسلم » للنووي (١٣/ ٤٤) .

طلبةً ، فمن كان ظهره حاضراً ، فليركب معنا . فجعل رجالٌ يستأذنونه في ظهورهم في علو المدينة ، قال : لا ، إلّا من كان ظهره حاضراً . وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدرٍ ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يتقدّمنّ أحدٌ منكم إلى شيءٍ ، حتى أكون أنا أُوذنه » . فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنّةٍ عرضها السماوات والأرض » . قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاريّ : يا رسول الله ، جنّةٌ عرضها السماوات والأرض ؟ قال : « نعم » . قال : بخ بخ . فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول : بخٍ بخٍ ؟ » . قال : لا والله يا رسول الله ، إلّا رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فإنّك من أهلها » . قال : فأخرج تمراتٍ من قرَنه[1] ، فجعل يأكل منهنّ ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنّها حياةٌ طويلةٌ . قال : فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل ، رحمه الله .

ورواه مسلمٌ[2] ، عن أبي بكر بن أبي النّضر[3] ، وجماعةٍ ، عن أبي النّضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جريرٍ[4] أنّ عميراً قاتل وهو يقول ، رضي الله عنه : [من الرجز]

ركضاً إلى الله بغير زادِ إلّا التّقى وعمل المعادِ
والصّبر في الله على الجهادِ وكلّ زادٍ عرضة النّفادِ
غير التّقى والبرّ والرّشادِ

وقال الإمام أحمد[5] : حدّثنا حجّاجٌ ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : لمّا قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتويناها ، وأصابنا بها وعكٌ ، وكان رسول الله ﷺ يتخبّر عن بدرٍ ، فلمّا بلغنا أنّ المشركين قد أقبلوا ، سار رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وبدرٌ بئرٌ ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين منهم ؛ رجلاً من قريشٍ ، ومولىً لعقبة بن أبي معيط ، فأمّا القرشيّ فانفلت ، وأمّا المولى فأخذناه[6] ، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديدٌ بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : « كم

---

(١) القَرَن : جعبة من جلود تشق ويجعل فيها النُّشَّاب ، وهو النبل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ٥٥) .

(٢) رواه مسلم (١٩٠١) .

(٣) في (آ) و(ط) : « عن أبي بكر بن أبي شيبة » والتصحيح من « صحيح مسلم » وانظر « تهذيب الكمال » (٣٣/ ١٤٩) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٨) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١١٧) وهو حديث صحيح .

(٦) في (آ) و(ط) : « فوجدناه » والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .

القوم ؟ » . قال : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديدٌ بأسهم . فجهد النبيّ ﷺ أن يخبره كم هم ، فأبى ، ثم إنّ النبيّ سأله : « كم ينحرون من الجزر ؟ » فقال : عشراً كلّ يوم . فقال النبيّ ﷺ : « القوم ألفٌ ، كلّ جزورٍ لمئةٍ وتبعها » . ثم إنّه أصابنا من الليل طشٌّ من مطرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجَف ؛ نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربّه ويقول : « اللهمّ إنّك إن تهلك هذه الفئةُ ؛ لا تعبد » . فلمّا طلع الفجر نادى « الصلاة عباد الله » . فجاء الناس من تحت الشجر والحجَف ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ ، وحرّض على القتال ، ثم قال : « إنّ جمع قريشٍ تحت هذه الضّلع[1] الحمراء من الجبل » . فلمّا دنا القوم منّا وصاففناهم ، إذا رجلٌ منهم على جملٍ له أحمر ، يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عليُّ ، ناد لي حمزة ـ وكان أقربهم من المشركين ـ من صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسي ، وقولوا : جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنّي لست بِأَجْبَنكم . فسمع ذلك أبو جهلٍ فقال : أنت تقول ذلك ؟ والله لو غيرك يقوله ؛ لأعضضته ، قد ملأت رئتُك جَوفَك رعباً . فقال : إيّاي تعيّر يا مصفّر استه ؟ ستعلم اليوم أيّنا الجبان . فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد ؛ حميّةً ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتيةٌ من الأنصار شببةٌ[2] . فقال عُتْبةُ : لا نُريدُ هؤلاءِ ، ولكنْ يُبارِزُنا مِن بني عَمِّنا مِن بني عبدِ المُطَّلِب . فقال رسولُ الله ﷺ : قُمْ يا عليُّ ، وقُم يا حمزةُ ، وقُم يا عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب . فقتل الله عُتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عُتبة ، وجُرح عُبيدةُ ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا سبعين ، وجاء رجلٌ من الأنصار قصيرٌ بالعباس بن عبد المُطّلب أسيراً ، فقال العباسُ : يا رسول الله ، إنّ هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجلٌ أجلحُ ، من أحسن الناس وجهاً ، على فرسٍ أبلق ، ما أراه في القوم . فقال الأنصاريُّ : أنا أسرتُه يا رسول الله . فقال : اسكُت ، فقد أيّدك الله بملكٍ كريم . قال : فأسرنا من بني عبد المُطّلب ؛ العباس ، وعقيلاً ، ونوفل بن الحارث . هذا سياقٌ حسنٌ ، وفيه شواهدُ لما تقدّم ولما سيأتي . وقد تفرّد بطُوله الإمامُ أحمدُ .

وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به[3] .

ولمّا نزل رسولُ الله ﷺ ، من العريش ، وحرّض الناس على القتال ، والناسُ على مصافّهم صابرين ، ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى آمراً لهم[4] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الآية [الأنفال : ٤٥] .

وقال الأُمويُّ : حدّثنا معاويةُ بنُ عمروٍ ، عن أبي إسحاق قال : قال الأوزاعيُّ : كان يُقالُ : قلّما ثبت

---

(١) الضِّلَع : جبيل منفرد صغير . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٩٦) .
(٢) في (ط) : « مشبية » و« شَبَبَة » : جمع شاب وفي « مسند الإمام أحمد » : « سِتَّة » .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٦٦٥) وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « تفسير » المؤلف (٤/ ١٤ ـ ١٥) .

قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس ، أو يغُضّ طرفه ، ويذكُر الله ، رجوتُ أن يسلم من الرِّياء .

وقال عُتبةُ بنُ ربيعة يوم بدرٍ لأصحابه : ألا ترونهم ، يعني أصحاب النبيّ ﷺ ، جُثيّاً على الرُّكب ، كأنّهم حرسٌ يتلمّظُون كما تتلمّظُ الحيّاتُ[1] ، أو قال : الأفاعي .

قال الأمويُّ في « مغازيه » : وقد كان النبيُّ ﷺ ، حين حرّض المُسلمين على القتال ، قد نفل كُلَّ امرىءٍ ما أصاب ، وقال : « والّذي نفسي بيده ، لا يُقاتلُهم اليوم رجُلٌ [فيُقتلُ] صابراً مُحتسباً ، مُقبلاً غير مُدبرٍ ، إلّا أدخله الله الجنّة » . وذكر قصّة عُمير بن الحُمام ، كما تقدّم .

وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكرٍ الصدّيقُ ، كما كانا في العريش يُجاهدان بالدُّعاء والتّضرُّع ، ثُم نزلا ، فحرّضا وحثّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان ؛ جمعاً بين المقامين الشريفين .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدّثنا وكيعٌ ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ، ونحنُ نلُوذُ برسول الله ﷺ ، وهو أقربُنا إلى العدُوّ ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً .

ورواه النّسائيُّ[3] ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن عليٍّ قال : كُنّا إذا حمي البأسُ ولقي القومُ ، اتّقينا[4] برسول الله ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدّثنا أبو نُعيم ، حدّثنا مسعرٌ ، عن أبي عونٍ ، عن أبي صالح الحنفيّ ، عن عليٍّ قال : قيل لعليٍّ ولأبي بكرٍ ، رضي الله عنهما ، يوم بدرٍ : مع أحدكما جبريلُ ، ومع الآخر ميكائيلُ ، وإسرافيلُ ملَكٌ عظيمٌ ، يشهدُ القتال ولا يُقاتلُ ، أو قال : يشهدُ الصّفّ .

وهذا يُشبهُ ما تقدّم من الحديث ؛ أنّ أبا بكرٍ كان في الميمنة ، ولمّا تنزّل الملائكةُ يوم بدرٍ تنزيلاً ، كان جبريلُ على أحد المُجنّبتين في خمسمئةٍ من الملائكة ، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكرٍ الصدّيق ، وكان ميكائيلُ على المُجنّبة الأُخرى في خمسمئةٍ من الملائكة ، فوقَفُوا في الميسرة ، وكان عليُّ بنُ أبي طالبٍ فيها .

وفي حديثٍ رواه أبو يعلى[6] ، من طريق محمد بن جُبير بن مُطعم ، عن عليٍّ قال : كنتُ أمتحُ[7] على القليب يوم بدرٍ ، فجاءت ريحٌ شديدةٌ ، ثم أُخرى ثُم أُخرى ، فنزلَ ميكائيلُ في ألفٍ من الملائكة ،

---

(١) أي : تخرج لسانها .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٦) ، وهو حديث صحيح .
(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٣٩) .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « السنن الكبرى » : « بعثنا » وجاء في هامشها في النسخ : « ألفينا » .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٤٧) وهو حديث حسن .
(٦) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم (٤٨٩) . وقد ذكره المصنف هنا بمعناه وفي إسناده ضعف .
(٧) متح الماء : نزعه واستخرجه .

فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكرٍ ، وإسرافيلُ في ألفٍ في الميسرة وأنا فيها ، وجبريلُ في ألفٍ . قال : ولقد طعنتُ يومئذٍ حتى بلغ [الدّمُ][1] إبطي .

وقد ذكر صاحبُ « العقد »[2] وغيرُه، أنّ أفخر بيتٍ قالته العربُ، قولُ حسان بن ثابتٍ : [من الكامل]

وبِبئرِ[3] بدرٍ إذ يكُفُّ مطيّهُم[4] جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

وقد قال البخاريُّ[5] : حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيم ، حدّثنا جريرٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن مُعاذ بن رفاعة بن رافعٍ الزُّرقيّ ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدرٍ ، قال : جاء جبريلُ إلى رسول الله ﷺ فقال : ما تعُدُّون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المُسلمين » . أو كلمةً نحوها . قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخاريُّ .

وقد قال الله تعالى[6] : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ يعني الرؤوس ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

وفي « صحيح مسلمٍ »[7] من طريق عكرمة بن عمّارٍ ، عن أبي زُمَيلٍ ، حدّثني ابنُ عباسٍ قال : بينما رجلٌ من المُسلمين [يومئذ][8] يشتدُّ في أثر رجلٍ من المُشركين أمامه ، إذ سمع ضربةً بالسّوط فوقه ، وصوت الفارس يقولُ : أقدم حيزُومُ . إذ نظر إلى المُشرك أمامه قد خرّ مُستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم [أنفه][9] وشُقّ وجهُه كضربة السّوط ، فاخضرّ ذلك أجمعُ ، فجاء الأنصاريُّ فحدّث ذاك رسول الله ﷺ، فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثّالثة » . فقتلوا يومئذٍ سبعين ، وأسرُوا سبعين .

قال ابنُ إسحاقَ[10] : [و] حدّثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن حزمٍ ، عمّن حدّثه عن ابن عباسٍ ، عن رجُلٍ من بني غفارٍ قال : حضرتُ أنا وابنُ عمٍّ لي بدراً ، ونحنُ على شِركنا ، فإنّا لفي جبلٍ ننتظرُ الوقعة على من تكونُ الدّبرةُ[11] ، فننتهبُ ، فأقبلت سحابةٌ ، فلمّا دنت من الجبل ، سمعنا منها حمحمة الخيل ،

(١) تكملة من « مسند أبي يعلى » .
(٢) انظر « العقد الفريد » (٦/ ١٠٦) .
(٣) كذا في (آ) و(ط) وفي « العقد الفريد » : « بيوم » .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « العقد الفريد » : « يرد وجوههم » .
(٥) رواه البخاري (٣٩٩٢) .
(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٦) .
(٧) رواه مسلم (١٧٦٣) .
(٨) تكملة من « صحيح مسلم » .
(٩) تكملة من « صحيح مسلم » والخطم : الأثر على الأنف .
(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٢) .
(١١) الدبرة : الهزيمة في القتال . انظر « المعجم الوسيط » (دبر) .

وسمعنا فارساً يقولُ : أقدم حيزومُ . فأمّا صاحبي فانكشف قناعُ قلبه ، فمات مكانه ، وأمّا أنا فكدتُ أن أهلك ، ثُم انتعشتُ[١] بعد ذلك .

وقال ابنُ إسحاق[٢] : وحدّثني عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أُسيدٍ مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ، قال بعد أن ذهب بصرُه : لو كنتُ اليوم ببدرٍ ومعي بصري ؛ لأريتُكم الشّعب الذي خَرَجَت منه الملائكةُ ، لا أشُكُّ فيه ولا أتمارى .

فلمّا نزلت الملائكةُ ورآها إبليسُ ، وأوحى الله إليهم[٣] : ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال : ١٢].

وتثبيتُهم أنّ الملائكة كانت تأتي الرّجُل في صورة الرجل يعرفُه ، فيقولُ له : أبشرُوا فإنّهم ليسوا بشيءٍ ، والله معكم ، كُرُّوا عليهم .

ولمّا رأى إبليسُ الملائكة ، ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ [الأنفال : ٤٨] وهو في صورة سُراقة ، وأقبل أبو جهلٍ يُحرّضُ أصحابه ويقولُ : لا يهُولنّكم خذلانُ سُراقة إيّاكم ، فإنّه كان على موعدٍ من محمدٍ وأصحابه . ثُم قال : واللاّت والعُزّى ، لا نرجعُ حتى نُفرّق محمداً وأصحابه في الجبال ، فلا تقتُلُوهم وخُذُوهُم أخذاً .

وقال الواقديُّ[٤] : حدّثني ابنُ أبي حبيبة ، عن داود بن الحُصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : كان الملَكُ يتصوّرُ في صورة من يعرفُون ، فيقولُ : إنّي قد دنوتُ منهم وسمعتُهم يقولون : لو حملُوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيءٍ ، إلى غير ذلك من القول ، فذلك قولُه : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية .

وروى البيهقيُّ[٥] ، من طريق سلامة ، عن عُقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن أبي حازمٍ ، عن سهل بن سعدٍ قال : قال أبو أُسيدٍ ، بعدما ذهب بصرُه : يا بن أخي ، والله لو كنتُ أنا وأنت ببدرٍ ، ثُم أطلق اللهُ بصري ، لأريتُك الشّعب الذي خرجت علينا منه الملائكةُ ، من غير شكٍّ ولا تمارٍ .

وروى البخاريُّ[٦] ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهّاب ، عن خالدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدرٍ : « هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسه ، وعليه أداةُ الحرب » .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « تماسكت » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٢ ـ ٥٣) عن ابن إسحاق بسياق أطول من هذا .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٧) .
(٤) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٧٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٥٣) .
(٦) رواه البخاري (٣٩٩٥) .

وقال الواقديُّ[١] : حدّثنا ابنُ أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وأخبرني موسى بنُ محمد بن إبراهيم التّيميُّ ، عن أبيه ، وحدّثني عائذُ[٢] بنُ يحيى ، عن أبي الحُويرث ، عن عُمارة بن أُكيمة اللّيثيّ[٣] ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزامٍ ، قالوا : لمّا حضر القتالُ ورسولُ الله ﷺ رافعٌ يديه ، يسألُ الله النصر وما وعده ، يقولُ : « اللهمّ إن ظهروا على هذه العصابة ، ظهر الشّركُ ، ولا يقُومُ لك دينٌ » . وأبو بكرٍ يقولُ : والله لينصُرنّك الله ، وليُبيّضنّ وجهك . فأنزل الله ألفاً من الملائكة مُردفين ، عند أكتاف[٤] العدُوّ ، قال رسولُ الله ﷺ : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ مُعتجرٌ بعمامة صفراء ، آخذٌ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلمّا نزل إلى الأرض تغيّب عنّي ساعةً ، ثُمّ طلع وعلى ثناياهُ النّقعُ[٥] ، يقولُ : أتاك نصرُ الله إذ دعوته » .

وروى البيهقيُّ[٦] ، عن أبي أُمامة بن سهلٍ ، عن أبيه قال : يا بُنيّ ، لقد رأيتُنا يوم بدرٍ وإنّ أحدنا ليُشيرُ إلى رأس المُشرك ، فيقعُ رأسُه عن جسده ، قبل أن يصل إليه السيفُ .

وقال ابنُ إسحاق[٧] : حدّثني والدي ، حدّثني رجالٌ من بني مازنٍ ، عن أبي واقدٍ اللّيثيّ قال : إنّي لأتبعُ رجلاً من المشركين لأَضْرِبَهُ ، فوقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفتُ أنّ غيري قد قتله .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن عيسى بن عبد الله التّيميّ ، عن الرّبيع بن أنسٍ قال : كان الناسُ يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم ، بضربٍ فوق الأعناق وعلى البنان ، مثل سمة النّار وقد أُحرق به[٨] .

وقال ابنُ إسحاق[٩] : حدّثني من لا أتّهمُ ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : كان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائمَ بيضاً قد أرخوها على ظهورهم ، إلّا جبريل فإنّه كانت عليه عمامةٌ صفراءُ .

وقد قال ابنُ عباسٍ[١٠] : لم تُقاتل الملائكةُ في يومٍ سوى يوم بدرٍ من الأيام ، وكانوا يكُونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً ، لا يضربون .

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٣ ـ ٥٤) ، ورواه الواقدي في « مغازيه » (١/ ٨١) بروايات عديدة .
(٢) في (آ) و(ط) : « عابد » والتصحيح من « تهذيب الكمال » (١٧/ ٤١٤ ـ ٤١٥) .
(٣) بعده في م : « عن عكرمة » . وهو خطأ .
(٤) وفي « مغازي الواقدي » : « أكناف » .
(٥) النقع : الغبار . انظر « لسان العرب » (نقع) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٥٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٣) ، وإسناده ضعيف .
(٨) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٧٢) إلى ابن أبي حاتم .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) .
(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٤) .

وقال الواقديُّ[١] : حدثني عبدُ الله بنُ موسى بن أبي أُميّة ، عن مُصعب بن عبد الله ، عن مولىً لسُهيل بن عمروٍ ، سمعتُ سُهيل بن عمروٍ يقولُ : لقد رأيتُ يوم بدرٍ رجالًا بيضاً على خيلٍ بُلقٍ[٢] ، بين السماء والأرض مُعلِمين ، يقتُلون ويأسرُون ، وكان أبو أُسيدٍ يُحدّثُ بعد أن ذهب بصرُه قال : لو كنتُ معكم الآن ببدرٍ ومعي بصري ، لأريتُكم الشّعب الذي خرجت منه الملائكةُ ، لا أشُكُّ ولا أمتري .

قال[٣] : وحدّثني خارجةُ بنُ إبراهيم ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ لجبريل : « مَن القائلُ يوم بدرٍ من الملائكة : أقدم حيزُومُ ؟ » . فقال جبريلُ : « يا محمدُ ، ما كُلّ أهل السماء أعرفُ » .

قلتُ : وهذا الأثرُ مُرسلٌ ، وهو يرُدُّ قول من زعم أنّ حيزُوم اسمُ فرس جبريل ، كما قاله السُّهيليُّ وغيرُه[٤] ، والله أعلمُ .

وقال الواقديُّ[٥] : حدّثني إسحاقُ بنُ يحيى ، عن حمزة بن صُهيبٍ ، عن أبيه قال : فما أدري كم يدٍ مقطُوعةٍ ، وضربةٍ جائفةٍ لم يدم كلمُها ، قد رأيتُها يوم بدرٍ .

وحدّثني[٦] محمدُ بنُ يحيى ، عن أبي عُفَير[٧] ، عن رافع بن خديجٍ ، عن أبي بُردة بن نيارٍ قال : جئتُ يوم بدرٍ بثلاثة أرؤُسٍ ، فوضعتُهنّ بين يدي رسول الله ﷺ فقلتُ : أمّا رأسان فقتلتُهما ، وأمّا الثالثُ فإنّي رأيتُ رجلاً طويلاً قتله[٨] ، فأخذتُ رأسه . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك فُلانٌ من الملائكة » .

وحدّثني[٩] موسى بنُ محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : كان السائبُ بنُ أبي حُبيشٍ يُحدّثُ في زمن عُمر يقولُ : والله ما أسرني أحدٌ من الناس . فيقالُ : فمن ؟ يقولُ : لمّا انهزمت قُريشٌ ، انهزمتُ معها ، فأدركني رجلٌ أبيضُ[١٠] طويلٌ ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ فوجدني مربوطاً ، فنادى في العسكر[١١] : من أسر هذا ؟ [فليس أحدٌ يزعم أنه أسرني][١٢] ، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٦) .
(٢) البَلَق : سواد وبياض ، وكذا (البُلْقة) يقال : فرس أبلق وفرس بلقاء . « مختار الصحاح » (بلق) .
(٣) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٧) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩) .
(٥) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٨) .
(٦) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٨ ـ ٧٩) .
(٧) في (آ) و(ط) : « أبي عقيل » . والتصحيح من « المغازي » مصدر المؤلف في نقله ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٦/ ٢٢٦) ، و« المشتبه في أسماء الرجال » للذهبي (٢/ ٤٨٧) .
(٨) في « المغازي » للواقدي : ((ضربه)) .
(٩) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٩) .
(١٠) في (ط) : « أشعر » . وما جاء في (آ) موافق لما في « المغازي » .
(١١) في « المغازي » : « المعسكر » .
(١٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .

« من أسرك ؟ » . قلتُ : لا أعرفُه . وكرهتُ أن أُخبره بالذي رأيتُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « أسرك ملَكٌ من الملائكة ، اذهب يا بن عوفٍ بأسيرك » .

وقال الواقديّ[١] : حدثني عائذُ بنُ يحيى ، حدثنا أبو الحُويرث ، عن عُمارة بن أُكيمة ، عن حكيم بن حِزام قال : لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ، وقد وقع [بوادي خَلْصٍ][٢] بجادٌ[٣] من السماء قد سدّ الأُفُق ، فإذا الوادي يسيلُ نَمْلاً[٤] ، فوقع في نفسي أنّ هذا شيءٌ من السماء أُيّد به محمدٌ ، فما كانت إلّا الهزيمةُ ، ولقي الملائكة .

وقال إسحاقُ بنُ راهويهِ[٥] : حدّثنا وهبُ بنُ جرير بن حازمٍ ، حدثني أبي عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبي ، عن جُبير بن مُطعمٍ قال : رأيتُ قبل هزيمة القوم ، والناسُ يقتتلون ، مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النملِ الأسودِ ، فلم أشُكّ أنها الملائكةُ ، فلم يكُن إلّا هزيمةُ القوم .

ولمّا تنزّلت الملائكةُ للنصر ، ورآهم رسولُ الله ﷺ حين أغفى إغفاءةً ثم استيقظ ، وبشّر بذلك أبا بكرٍ وقال : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ يقُودُ فرسه ، على ثناياه النّقعُ » . يعني من المعركة ، ثم خرج رسولُ الله ﷺ من العريش في الدّرع ، فجعل يُحرّضُ على القتال ، ويُبشّرُ الناس بالجنة ، ويُشجّعُهم بنزول الملائكة ، والناسُ بعدُ على مصافّهم لم يحملوا على عدوّهم ، حصل لهم السكينة والطُّمأنينةُ ، وقد حصل النُّعاسُ الذي هو دليلٌ على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال[٦] : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ[٧] ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال : ١١] .

وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحُدٍ بنصّ القرآن ، ولهذا قال ابنُ مسعودٍ[٨] : النعاسُ في المصافّ من الإيمان ، والنعاسُ في الصلاة من النِّفاق .

وقال الله تعالى[٩] : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١٩] .

---

(١) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٨٠) .
(٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .
(٣) البجاد : الكساء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٩٦) .
(٤) في م : « نهلاً » .
(٥) وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٢/ ٢١١ ـ ٢١٢) وعزاه إلى إسحاق بن راهويه ، وقال : هذا إسناد حسن إن كان إسحاق بن يسار سمعه من جبير .
(٦) انظر التفسير (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣) .
(٧) في (آ) و(ط) : « يُغَشِّيكُمُ » بضم الياء وتشديد الشين ونصب « النعاس » وهي قراءة ابن عامر وأهل الكوفة وفي قراءة أبي عمرو وابن كثير : « إذا يغشاكم » . انظر « حجة القراءات » ص (٣٠٨) .
(٨) انظر « تفسير الطبري » (٤/ ١٤١ و٩/ ١٩٣) .
(٩) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣) .

قال الإمامُ أحمدُ[١] : حدثنا يزيدُ بنُ هارون ، ثنا محمدُ بنُ إسحاق ، حدثني الزُّهريُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أنّ أبا جهلٍ قال حين التقى القومُ : اللهمّ أقْطَعُنا للرّحم ، وآتانا بما لا نعرفُ ، فأحنه الغداة . فكان هو المُستفتِح .

وكذا ذكره ابنُ إسحاق في « السيرة »[٢] .

ورواه النسائيُّ[٣] ، من طريق صالح بن كيسان ، عن الزُّهريّ .

ورواه الحاكمُ[٤] ، من حديث الزُّهريّ أيضاً ، ثم قال : صحيحٌ على شرط الشيخين ، ولم يُخرجاه .

وقال الأُمويُّ[٥] : حدثنا أسباطُ بنُ محمدٍ القرشيُّ ، عن مُطرّفٍ ، عن عطية في قوله : ﴿ إن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ . قال : قال أبو جهلٍ : اللهم انصُر أعزّ الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت : ﴿ إن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ .

وقال عليُّ بنُ أبي طلحة[٦] ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧] . قال : أقبلت عِيرُ أهل مكة تُريدُ الشام، فبلغ ذلك أهل المدينة، فخرجوا ومعهم رسولُ الله ﷺ يُريدون العيـر ، فبلغ ذلك أهل مكة ، فأسرعوا إليها ؛ لكيلا يغلب عليها النبيُّ ﷺ وأصحابُه ، فسبقت العيرُ رسول الله ﷺ ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يُحبُّون أن يلقَوُا العير ، وسار رسولُ الله ﷺ بالمسلمين يُريد القوم ، وكره القومُ مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبيُّ ﷺ والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رَملةٌ دِعصةٌ[٧] ، فأصاب المسلمين ضعفٌ شديدٌ ، وألقى الشيطانُ في قلوبهم الغيظ ، يُوسوسُهم : تزعُمون أنّكم أولياءُ الله وفيكم رسولُه ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم كذا ؟! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهّروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرملُ لبداً ، ومشى الناسُ عليه والدوابُّ ، فساروا إلى القوم ، وأمدّ[٨] الله نبيّه ﷺ والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، فكان جبريلُ في خمسمئةٍ من الملائكة مُجنّبةً ، وميكائيلُ في خمسمئةٍ من الملائكة مُجنّبةً ، وجاء إبليسُ في جندٍ من الشياطين ومعه رايتُه[٩] ، وهم في صورة رجالٍ من بني مُدلجٍ ، والشيطانُ في

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٣١) ، وهو حديث صحيح .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٨) .
(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١١٢٠١) .
(٤) « المستدرك » (٢/ ٣٢٨) .
(٥) وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٨) .
(٦) وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٨٦) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٧٨ ـ ٧٩) بلفظه .
(٧) الدعصة : المستدير من الرمل . انظر « لسان العرب » (دعص) .
(٨) في (ط) : و« أيد » .
(٩) في (ط) : « ذريته » .

صورة سُراقة بن مالكٍ بن جُعشُم ، وقال الشيطانُ للمشركين : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ﴾ [الأنفال ٤٨] . فلمّا اصطفّ الناسُ قال أبو جهلٍ : اللهم أولانا بالحقّ فانصُره . ورفع رسولُ الله ﷺ يديه فقال : « يا ربّ ، إن تهلك هذه العصابةُ فلن تُعبد في الأرض أبداً » . فقال له جبريلُ : خُذ قُبضةً من التراب . فأخذ قُبضةً من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحدٍ إلّا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابٌ من تلك القُبضة ، فولّوا مدبرين ، وأقبل جبريلُ إلى إبليس ، فلمّا رآه ، وكانت يدُه في يد رجلٍ من المشركين ، انتزع إبليسُ يده ثم ولّى مدبراً وشيعتُه ، فقال الرجلُ : يا سُراقةُ ، أما زعمت أنّك لنا جارٌ ؟ قال : ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقيُّ في « الدلائل » .

وقال الطّبرانيُّ[١] : ثنا مسعدةُ بنُ سعدٍ العطّارُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ المُنذر الحزاميُّ ، ثنا عبدُ العزيز بنُ عمران ، ثنا هشامُ بنُ سعدٍ ، عن عبد ربّه بن سعيد بن قيسٍ الأنصاريّ ، عن رفاعة بن رافعٍ قال : لمّا رأى إبليسُ ما تفعلُ الملائكةُ بالمشركين يوم بدرٍ ، أشفق أن يخلُص [القتلُ] إليه ، فتشبّث به الحارثُ بنُ هشامٍ وهو يظُنُّ أنّه سُراقةُ بنُ مالكٍ ، فوكز في صدر الحارث فألقاه ، ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر ، ورفع يديه فقال : اللهم إنّي أسألُك نظرتك إيّاي . وخاف أن يخلُص القتلُ إليه . وأقبل أبو جهلٍ فقال : يا معشر الناس ، لا يهُولنّكم[٢] خذلانُ سُراقة بن مالكٍ ، فإنّه كان على ميعادٍ من محمدٍ ، ولا يهُولنّكم قتلُ شيبة وعُتبة والوليد ، فإنّهم قد عجّلُوا ، فواللاّت والعُزّى لا نرجعُ حتى نفرقهم بالجبال[٣] ، فلا أُلفينّ رجلاً منكم قتل رجلاً ، ولكن خُذُوهم أخذاً حتى تعرِّفوهم سوء صنيعهم ، من مُفارقتهم إيّاكم ، ورغبتهم عن اللاّت والعُزّى . ثم قال أبو جهلٍ مُتمثّلاً : [من الرجز]

ما تنقمُ الحربُ الشّمُوسُ منّي بازلُ عامين حديثٌ سنّي
لمثل هذا ولدتني أُمّي

وروى الواقديُّ[٤] ، عن موسى بن يعقوب الزّمْعيّ ، [عن عمّه][٥] ، عن أبي بكر بن أبي سليمان بن[٦] أبي حثمة ، سمعتُ مروان بن الحكم يسألُ حكيم بن حزامٍ عن يوم بدرٍ ، فجعل الشيخُ يكرهُ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٤٥٥٠) وما بين الحاصرتين زيادة منه . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٧٧) : وقال : فيه عبد العزيز بن عمران . وهو ضعيف .

(٢) في « المعجم الكبير » : « يهزمنكم » .

(٣) في (آ) و « معجم الطبراني » : « نفرنهم بالجبال » . وأثبت لفظ (ط) .

(٤) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٩٥) ، وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٧٩ ـ ٨٠) ، من طريق الواقدي به .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « المغازي » و« دلائل النبوة » .

(٦) في (آ) و(ط) : « عن » . وأثبت لفظ « المغازي » .

ذلك ، فألحّ عليه ، فقال حكيمٌ : التقينا فاقتتلنا ، فسمعتُ صوتاً وقع من السماء إلى الأرض ، مثل وقع الحصاة في الطّست ، وقبض النبيُّ ﷺ القبضةَ الترابَ ، فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقديُّ[(١)] : وحدّثنا إسحاقُ بنُ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، سمعتُ نوفل بن مُعاوية الدّيليّ يقولُ : انهزمنا يوم بدرٍ ونحن نسمعُ صوتاً كوقع الحصى في الكأس[(٢)] ، في أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدّ الرعب علينا .

وقال الأُمويُّ[(٣)] : ثنا أبي ، [ثنا ابنُ إسحاق] ، حدّثني الزُّهريُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، أنّ أبا جهلٍ حين التقى القومُ قال : اللهم أقطعُنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرفُ ، فَأَحِنْهُ الغداة . فكان هو المستفتح . فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجّع الله المسلمين على لقاء عدوّهم ، وقلّلهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسولُ الله ﷺ خفقةً في العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ مُعتجرٌ بعمامته ، آخذٌ بعنان فرسه يقُودُه ، على ثناياه النّقعُ ، أتاك نصرُ الله وعِدَتُه » . وأمر رسولُ الله ﷺ فأخذ كفّاً من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القوم فقال : « شاهت الوجوهُ » . ثُم نفخهم[(٤)] بها ، ثم قال لأصحابه : « احملُوا » . فلم تكُن إلّا الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .

وقال زيادٌ ، عن ابن إسحاق[(٥)] : ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حَفنةً من الحصباء ، فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شاهت الوجوهُ » . ثُم نفخهم بها ، وأمر أصحابه فقال : « شُدُّوا » . فكانت الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديد قريشٍ ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السُّدّيُّ الكبيرُ : قال رسولُ الله ﷺ لعليٍّ يوم بدرٍ : « أعطني حصىً من الأرض » . فناوله حصىً عليه ترابٌ ، فرمى به في وجوه القوم ، فلم يبق مشركٌ إلّا دخل في عينيه من ذلك التراب شيءٌ ، ثم ردفهم المسلمون يقتُلونهم ويأسرُونهم ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ وهكذا قال عُروةُ ، وعكرمةُ ، ومجاهدٌ ، ومحمدُ بنُ كعبٍ ، ومحمدُ بنُ قيسٍ ، وقتادةُ ، وابنُ زيدٍ ، وغيرُهم ؛ أنّ هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدرٍ . وقد فعل ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مثل ذلك في غزوة حُنينٍ ، كما سيأتي في موضعه ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله ، وبه الثقةُ .

وذكر ابنُ إسحاق[(٦)] ، أنّ رسول الله ﷺ لمّا حرّض أصحابه على القتال ، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب ، وهزمهم الله تعالى ، صعِد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكرٍ ، ووقف سعدُ بنُ مُعاذٍ ومن معه

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٩٥) .

(٢) في (ط) : « الطاس » .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٨) .

(٤) في (ط) : « ثم نفحهم » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .

من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوفُ ؛ خيفة أن تكُرّ راجعةٌ من المشركين إلى النبيّ ﷺ .

قال ابنُ إسحاق[١] : ولمّا وضع القومُ أيديهم يأسِرُون ، رأى رسولُ الله ﷺ ، فيما ذُكر لي ، في وجه سعد بن مُعاذٍ الكراهية لما يصنعُ الناسُ ، فقال له : « كأنّي بك يا سعدُ تكرهُ ما يصنعُ القومُ ؟ » . قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعةٍ أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخانُ في القتل أحبّ إليّ من استبقاء الرجال .

قال ابنُ إسحاق[٢] : وحدثني العباسُ بنُ عبد الله بن معبَدٍ ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عباسٍ ، أنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه يومئذٍ : « إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشمٍ وغيرهم قد أُخرجُوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشمٍ فلا يقتُله ، ومن لقي أبا البَختريّ بن هشامِ بن الحارث بن أسدٍ فلا يقتُله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ فلا يقتُله ، فإنه إنّما خرج مستكرهاً » . فقال أبو حُذيفة بنُ عُتبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترُكُ العباس ، والله لئن لقيتُه لألحمنّه بالسيف . فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعُمر : « يا أبا حفصٍ ، قال عُمرُ : والله إنّه لأولُ يومٍ كنّاني فيه رسولُ الله ﷺ بأبي حفصٍ ، أيُضربُ وجهُ عمّ رسول الله بالسيف ؟ » . فقال عمرُ : يا رسول الله ، دعني فلأضربْ عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فقال أبو حُذيفة : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قُلتُ يومئذٍ ، ولا أزالُ منها خائفاً إلّا أن تُكفّرها عنّي الشهادةُ ، فقُتل يوم اليمامة شهيداً ، رضي الله عنه .

مقتلُ أبي البختريّ بن هشامٍ

قال ابنُ إسحاق[٣] : وإنّما نهى رسولُ الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ ؛ لأنّه كان أكفّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، كان لا يُؤذيه ولا يبلُغُه عنه شيءٌ يكرهُه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، فلقيه المُجذّرُ بنُ ذيادٍ البلويُّ حليفُ الأنصار فقال له : إنّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك . ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكة ، وهو جُنادةُ بنُ مُليحة ، وهو من بني ليثٍ . قال : وزميلي ؟ فقال له المُجذّرُ : لا والله ، ما نحنُ بتاركي زميلك ، ما أمرنا رسولُ الله إلّا بك وحدك . قال : لا والله ، إذاً لأمُوتنّ أنا وهو جميعاً ، لا يتحدّثُ عنّي نساءُ قريش مكّة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة .

وقال أبو البختريّ وهو يُنازلُ المُجذّر : [من الرجز]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨ ـ ٦٢٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠) .

لـن يَتْـرُكَ[١] ابـنُ حُـرّةٍ زميلَـهُ حتـى يمُـوتَ أو يـرى سبيلَـهُ

قال : فاقتتلا . فقتله المُجذّرُ بنُ ذيادٍ ، وقال في ذلك : [من الرجز]

إمّـا جهلـتَ أو نسيـت نسبـي فـأثبـتِ النّسبـة أنّـي مـن بلـي
الطّـاعنيـن بـرمـاح اليـزنـي[٢] والطّاعنين[٣] الكبش[٤] حتى يَنْحَني
بشّـر بيُتمٍ مَـن أبـوه البَختـريّ أو بشّـرن بمثلهـا منّـي بنـي
أنـا الـذي يقـالُ أصلـي مـن بلـي أطعُـنُ بـالصّعـدةْ[٥] حتـى تنثنـي
وأعبـطُ القِـرن بعضـبٍ مشرفـي أُرزمُ للمـوت كـإرزام المـرِي
فلا يَرى مُجذّراً يفري فري

ثم أتى المُجذَّرُ رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحقّ ، لقد جَهِدْتُ عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلّا أن يُقاتلني ، فقاتلتُه فقتلتُه .

فصل

[في مقتل أُميّة بن خلفٍ][٦]

قال ابنُ إسحاق[٧] : وحدّثني يحيى بنُ عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، وحدّثنيه أيضاً عبدُ الله ابنُ أبي بكرٍ وغيرُهما ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : كان أُميّةُ بنُ خلفٍ لي صديقاً بمكّة ، وكان اسمي عبد عمرٍو ، فسمِّيْتُ[٨] حين أسلمتُ : عبد الرحمن ، فكان يلقاني إذ نحنُ بمكّة فيقولُ : يا عبد عمرٍو ، أرغبتَ عن اسمٍ سمّاكه أَبُوكَ[٩] ؟ قال : فأقولُ : نعم . قال : فإنّي لا أعرفُ الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعُوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبُني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرفُ . قال : وكان إذا دعاني : يا عبد عمرٍو ، لم أُجبه . قال : فقلتُ له : يا أبا عليٍّ ، اجعل ما شئت . قال : فأنت عبدُ الإله .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « لن يُسلم » .
(٢) اليزني : نسبة إلى ذي يزن ، ملك من ملوك اليمن .
(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « والضاربين » .
(٤) الكبش : سيد القوم . انظر « مختار الصحاح » (كبش) .
(٥) الصعدة : عصا الرّمح ، ثم سمي الرمح صعدة . « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٧) .
(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣١) .
(٨) كذا في (آ) و« السيرة النبوية » لابن هشام و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٥١) : « فسميت » ، وفي (ط) : « فتسمّيت » .
(٩) كذا في (آ) و(ط) : « أبوك » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « أبواك » .

قال : قلتُ : نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأُجيبُه فأتحدّثُ معه ، حتى إذا كان يومُ بدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه عليٍّ ، وهو آخذٌ بيده . قال : ومعي أدراعٌ لي قد استلبتُها ، فأنا أحملُها ، فلمّا رآني قال : يا عبد عمروٍ . فلم أُجبه . فقال : يا عبد الإله . فقلتُ : نعم . قال : هل لك فيّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك ؟ قال : قلتُ : نعم ، ها الله [ذا][1] . قال : فطرحتُ الأدراعُ من يدي ، وأخذتُ بيده وبيد ابنه ، وهو يقولُ : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللَّبن[2] ؟ ثُم خرجت أمشي بهما .

قال ابنُ إسحاق[3] : حدّثني عبدُ الواحد بنُ أبي عونٍ ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : قال لي أُميّةُ بنُ خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ منكم ، المُعلَمُ بريشة نعامةٍ في صدره ؟ قال : قلتُ : حمزةُ . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدُ الرحمن : فوالله إنّي لأقُودُهما إذ رآه بلالٌ معي ؛ وكان هو الذي يُعذّبُ بلالاً بمكّة على [ترك][4] الإسلام ، فلمّا رآه قال : رأسُ الكُفر أُميّةُ بنُ خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . قال : قلتُ : أي بلالُ ، أسيريَّ ؟ . قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : ثُم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أُميّةُ بن خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطُوا بنا حتى جعلُونا في مثل المَسَكَةِ[5] ، فأنا أذُبُّ عنه . قال : فأخلف رجلٌ السيف ، فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أُميّةُ صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ . قال : قلتُ : انجُ بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أُغني عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما[6] بأسيافهم حتى فرغُوا منهما . قال : فكان عبدُ الرحمن يقولُ : يرحمُ الله بلالاً ، فجعني بأدراعي وبأسيريّ .

وهكذا رواه البخاريُّ في « صحيحه »[7] قريباً من هذا السّياق ، فقال في الوكالة : حدّثنا عبدُ العزيز ، هو ابنُ عبد الله ـ حدّثنا يوسفُ ـ هو ابنُ الماجشُون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الرحمن بن عوفٍ قال : كاتبتُ أُميّة بن خلفٍ كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي[8] بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلمّا ذكرتُ الرحمن قال : لا أعرفُ الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهليّة . فكاتبتُه عبد عمروٍ ، فلمّا كان يومُ بدرٍ ، خرجتُ إلى جبلٍ لأُحرزه حين نام الناسُ ، فأبصره

---

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفي « تاريخ الطبري » : « هلم إذاً » .
(٢) قال ابن هشام : يريد باللبن : أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن . انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٣١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٢) .
(٤) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٢) .
(٥) أي : جعلونا في حلقة كالسوار ، وأحدقوا بنا . « النهاية » (٤/ ٣٣١) .
(٦) أي : قطعوا لحمهما . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) .
(٧) رواه البخاري رقم (٢٣٠١) .
(٨) الصاغية : بصاد مهملة وغين معجمة ، خاصة الرجل . عن « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (٥/ ٢٤٨) .

بلالٌ ، فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار فقال : أُميّةُ بنُ خلف ؟! لا نجوتُ إن نجا أُميّةُ ، فخرج معه فريقٌ من الأنصار في آثارنا ، فلمّا خشيتُ أن يلحقُونا ، خلّفتُ لهم ابنه لأشغلهم فقتلُوه ، ثم أتوا حتى تبعُونا ، وكان رجُلاً ثقيلاً ، فلمّا أدركُونا قلتُ له : ابرُك . فبرك فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه ، فتخلّلُوه بالسُّيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدُهم رجلي بسيفه . فكان عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ يُرينا ذلك الأثر[١] في ظهر قدمه .

سمع يوسفُ صالحاً ، وإبراهيمُ أباه . تفرّد به البخاريُّ من بينهم كلّهم .

وفي مُسند رفاعة بن رافعٍ[٢] ، أنّه هو[٣] الذي قتل أُميّة بن خلفٍ .

مقتلُ أبي جهلٍ ، لعنه الله

قال ابنُ هشامٍ[٤] : وأقبل أبو جهلٍ يومئذٍ يرتجزُ [وهو يقاتل][٥] ويقولُ : [من الرجز]

ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ منّي بازلُ عامين حديثٌ سنّي
لمثل هذا ولدتني أُمّي

قال ابنُ إسحاق[٦] : ولمّا فرغ رسولُ الله ﷺ من عدُوّه ، أمر بأبي جهلٍ أن يُلتمس في القتلى ، وكان أوّلُ من لقي أبا جهلٍ ، كما حدّثني ثورُ بنُ زيدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وعبدُ الله بنُ أبي بكرٍ أيضاً قد حدّثني ذلك ، قالا : قال مُعاذُ بنُ عمروٍ بن الجمُوح أخو بني سلمة : سمعتُ القوم ، وأبو جهلٍ في مثل الحرجة[٧] ، وهم يقُولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه . فلمّا سمعتُها جعلتُه من شأني ، فصمدتُ[٨] نحوه ، فلمّا أمكنني ، حملتُ عليه فضربتُه ضربةً أطنّت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبّهتُها حين طاحت ، إلّا بالنّواة تطيحُ من تحت مرضخة النّوى حين يُضربُ بها . قال : وضربني ابنُه عكرمةُ على عاتقي ، فطرح يدي فتعلّقت بجلدةٍ من جنبي ، وأجهضني القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامّة يومي وإنّي لأسحبُها خلفي ، فلمّا آذتني وضعتُ عليها قدمي ، ثُم تمطّيتُ بها عليها حتى طرحتُها ـ قال ابنُ

---

(١) لفظ « الأثر » سقط من (ط) وانفردت به (آ) .
(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤٥٣٥) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٨٢) وعزاه للطبراني ، وقال : وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف .
(٣) أي : رافع بن مالك والد رفاعة .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤) .
(٥) زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥) .
(٧) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتفّ .
(٨) أي : قصدت .

إسحاق[١] : ثُم عاش بعد ذلك حتى كان زمنُ عثمان ، ثُم مرّ بأبي جهلٍ ، وهو عقير[٢] ، مُعوّذُ بنُ عفراء فضربه حتى أثبته ، وتركه وبه رمقٌ ، وقاتل مُعوّذٌ حتى قُتل ، فمرّ عبدُ الله بنُ مسعودٍ بأبي جهلٍ ، حين أمر رسولُ الله ﷺ أن يُلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « انظُرُوا ، إن خفي عليكم في القتلى ، إلى أثر جُرحٍ في رُكبته ، فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبةٍ لعبد الله بن جُدعان ونحنُ غُلامان ، وكنتُ أشفّ منه بيسيرٍ ، فدفعتُه فوقع على رُكبتيه فجُحش في إحداهما جحشاً لم يزل أثرُه به . قال ابنُ مسعودٍ : فوجدتُه بآخر رمقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلي على عُنُقه ، قال : وقد كان ضبث[٣] بي مرّةً بمكّة ، فآذاني ولكزني ، ثُم قلتُ له : هل أخزاك الله يا عدُوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟! قال : أعمَدُ من رجُلٍ قتلتُموه ، أخبرني لمن الدّائرةُ اليوم ؟ قال : قلتُ : لله ولرسوله .

قال ابنُ إسحاق[٤] : وزعم رجالٌ من بني مخزُوم ، أنّ ابن مسعودٍ كان يقولُ : قال لي[٥] : لقد ارتقيتَ مُرتقىً صعباً يا رُويعي الغنم . قال : ثُم احتززتُ رأسه ، ثُم جئتُ به رسول الله ﷺ فقلتُ : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدوّ الله .

فقال : « الله الذي لا إله غيرُه ؟ » . وكانت يمينَ رسول الله ﷺ ، فقلتُ : نعم ، والله الذي لا إله غيرُه . ثُم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله . هكذا ذكر ابنُ إسحاق ، رحمه الله .

وقد ثبت في «الصحيحين»[٦] ، من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشُون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : إنّي لواقفٌ يوم بدرٍ في الصفّ ، فنظرتُ عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غُلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما ، فتمنّيتُ أن أكُون بين أظلَعَ منهما ، فغمزني أحدُهما فقال : يا عمّ ، أتعرفُ أبا جهلٍ ؟ فقلتُ : نعم ، وما حاجتُك إليه ؟ قال : أُخبرتُ أنّه يسُبُّ رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه ، لا يُفارقُ سوادي سوادَه حتى يموت الأعجلُ منّا .

فتعجّبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ وهو يجُولُ في الناس ، فقلتُ : ألا تريان ؟ هذا صاحبُكم الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما ، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبيّ ﷺ فأخبراه فقال : « أيُّكما قتله ؟ » . قال كُلٌّ منهما : أنا قتلتُه . قال : « هل مسحتُما سيفيكُما ؟ » . قالا : لا . قال : فنظر النبيُّ ﷺ في السيفين فقال : « كلاكُما قتله » . وقضى بسلبه لمُعاذ بن عمرِو بن الجمُوح ، والآخرُ مُعاذُ ابنُ عفراء .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) .
(٢) أي : جريح .
(٣) ضبث : قبض .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٦) ، و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٥٥) .
(٥) يعني أبو جهل ، لعنه الله .
(٦) رواه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢) .

وقال البخاريُّ[١] : حدّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيم ، ثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال عبدُ الرحمن : إنّي لفي الصّفّ يوم بدرٍ ، إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السّنّ ، فكأنّي لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدُهما سراً من صاحبه : يا عمّ ، أرني أبا جهلٍ . فقلتُ : يا بن أخي ، وما تصنعُ به ؟ قال : عاهدتُ الله إن رأيتُه ، أن أقتُله أو أموت دونه . فقال لي الآخرُ سراً من صاحبه مثله . قال : فما سرّني أنّي بين رجُلين مكانهما ، فأشرتُ لهما إليه ، فشدّا عليه مثل الصّقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء .

وفي « الصحيحين »[٢] أيضاً ، من حديث سُليمان التّيميّ ، عن أنس بن مالكٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « من ينظُرُ ما صنع أبو جهلٍ ؟ » . قال ابنُ مسعودٍ : أنا يا رسول الله . فانطلق ، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . قال : فأخَذ بلحيته . قال : فقلتُ : أنت أبو جهلٍ ؟ فقال : وهل فوق رجلٍ قتلتُموه . أو قال : قتله قومُه .

وعند البخاريّ[٣] ، عن أبي أُسامة ، عن إسماعيل ، عن قيسٍ[٤] ، عن ابن مسعودٍ ، أنّه أتى أبا جهلٍ فقال : قد أخزاك الله ؟[٥] فقال : هل أعمَد من رجلٍ قتلتُموه .

وقال الأعمشُ[٦] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله قال : انتهيتُ إلى أبي جهلٍ وهو صريعٌ وعليه بيضةٌ ومعه سيفٌ جيّدٌ ، ومعي سيفٌ رديءٌ ، فجعلتُ أنقُفُ رأسه بسيفي وأذكُرُ نقفاً كان ينقُفُ رأسي بمكّة ، حتى ضعُفتْ يدُه ، فأخذتُ سيفه ، فرفع رأسه فقال : على من كانت الدّائرةُ ؛ لنا أو علينا ؟ ألستَ رُويعينا بمكّة ؟ قال : فقتلتُه ثُم أتيتُ النّبيَّ ﷺ فقلتُ : قتلتُ أبا جهلٍ . فقال : « الله الذي لا إله إلاّ هو ؟ » . فَاسْتَحْلَفني ثلاث مرّاتٍ ، ثُم قام معي إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[٧] : حدّثنا وكيعٌ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة قال : قال عبدُ الله : انتهيتُ إلى أبي جهلٍ يوم بدرٍ وقد ضُربت رجلُه [وهو صريع][٨] ، وهو يذُبُّ الناس عنه بسيفٍ له ، فقلتُ : الحمدُ لله الذي أخزاك الله يا عدُوّ الله . قال : هل هو إلاّ رجلٌ قتله قومُه ، قال : فجعلتُ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٨) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٦٢) و(٣٩٦٣) و(٤٠٢٠) ومسلم (١٨٠٠) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٦١) .
(٤) في (آ) و(ط) : « عن إسماعيل بن قيس » وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » .
(٥) في (ط) : « هل أخذاك الله ؟ » .
(٦) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٤٧٠) ، من طريق الأعمش به ، وإسناده ضعيف .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٤٤) ، وإسناده ضعيف .
(٨) زيادة من « مسند الإمام أحمد » .

أتناولُه بسيفٍ لي غير طائلٍ ، فأصبتُ يده ، فندر[١] سيفُه ، فأخذتُه فضربتُه حتى قتلتُه . قال : ثُم خرجتُ حتى أتيتُ النبيَّ ﷺ كأنّما أُقَلُّ من الأرض ، فأخبرتُه فقال : « الله الذي لا إله إلّا هو ؟ » . فردّدها ثلاثاً . قال : قلتُ : الله الذي لا إله إلّا هو . قال : فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال : « الحمدُ لله الذي قد أخزاك الله يا عدُوّ الله ، هذا كان فرعون هذه الأُمّة » .

وفي روايةٍ أُخرى : قال ابنُ مسعودٍ : فنفَلني سيفه .

وقال أبو إسحاق الفزاريُّ[٢] ، عن الثّوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن ابن مسعودٍ قال : أتيتُ رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، فقلتُ : قد قتلتُ أبا جهلٍ . فقال : « الله الذي لا إله إلّا هو ؟ » . فقلتُ : الله الذي لا إله إلّا هو . مرّتين أو ثلاثاً . قال : فقال النبيُّ ﷺ : « الله أكبرُ ، الحمدُ لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . ثُم قال : « انطلق فأرنيه » . فانطلقتُ فأريتُه فقال : « هذا فرعونُ هذه الأُمّة » .

ورواه أبو داود ، والنّسائيُّ . من حديث أبي إسحاق السّبيعيّ به[٣] .

وقال الواقديُّ : وقف رسولُ الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال : « رحم الله ابني عفراء ، فهما شُركاءُ في قتل فرعون هذه الأُمّة ورأس أئمّة الكُفر » . فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكةُ ، وابنُ مسعودٍ قد شرك في قتله » رواه البيهقيُّ[٤] .

وقال البيهقيُّ[٥] : أخبرنا الحاكمُ ، أخبرنا الأصمُّ ، حدّثنا أحمدُ بنُ عبد الجبار ، حدّثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن عنبسة بن الأزهر ، عن أبي إسحاق قال : لمّا جاء رسولَ الله ﷺ البشيرُ يوم بدرٍ بقتل أبي جهلٍ ، استحلفه ثلاثة أيمانٍ بالله الذي لا إله إلّا هو ، لقد رأيتَه قتيلاً ؟ فحلف له ، فخرّ رسولُ الله ﷺ ساجداً .

ثُم روى البيهقيُّ[٦] ، من طريق أبي نُعيم ، عن سلمة بن رجاءٍ ، عن الشّعثاءِ ؛ امرأةٍ من بني أسدٍ ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أنّ رسول الله ﷺ صلّى ركعتين ؛ حين بُشّر بالفتح ، وحين جيء برأس أبي جهلٍ .

وقال ابنُ ماجه[٧] : حدّثنا أبو بشرٍ بكرُ بنُ خلفٍ ، حدّثنا سلمةُ بنُ رجاءٍ قال : حدّثتني شعثاءُ ، عن

---

(١) أي : سقط .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٤٤) ، وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود (٢٧٠٩) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٧٠) وهو حديث حسن .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٨ـ٨٩) .
(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩) .
(٦) في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩) .
(٧) رواه ابن ماجه (١٣٩١) ، وإسناده ضعيف .

عبد الله بن أبي أوفى ، أنّ رسول الله ﷺ صلّى يوم بُشّر برأس أبي جهلٍ ركعتين .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا[١] : حدّثنا أبي ، حدّثنا هُشيمٌ[٢] ، أخبرنا مُجالدٌ ، عن الشّعبيّ ، أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إنّي مررتُ ببدرٍ فرأيتُ رجلاً يَخْرُجُ من الأرض ، فيضربُه رجلٌ بمقمعةٍ معه حتى يغيب في الأرض ، ثُم يخرُجُ فيفعلُ به مثل ذلك مراراً . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهل بنُ هشامٍ يُعذّبُ إلى يوم القيامة » .

وقال الأُمويُّ في « مغازيه » : سمعتُ أبي ، ثنا المُجالدُ بنُ سعيدٍ ، عن عامرٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : إنّي رأيتُ رجلاً جالساً في بدر ، ورجلٌ يضربُ رأسه بعمودٍ من حديدٍ ، حتى يغيب في الأرض . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهلٍ ، وُكّل به ملَكٌ يفعلُ به كلّما خرج ، فهو يتجلجلُ[٣] فيها إلى يوم القيامة »[٤] .

وقال البخاريُّ[٥] : حدّثنا عُبيدُ بنُ إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشامٍ ، عن أبيه قال : قال الزُّبيرُ : لقيتُ يوم بدرٍ عُبيدة بن سعيدٍ بن العاص ، وهو مُدجّجٌ لا يُرى منه إلّا عيناه ، وهو يُكنى أبا ذات الكرش ، فقال : [أنا][٦] أبو ذات الكرش . فحملتُ عليه بعنَزةٍ ، فطعنتُه في عينه فمات . قال هشامٌ : فأُخبرتُ أنّ الزُّبير قال : لقد وضعتُ رجلي عليه ، ثُم تمطّيتُ فكان الجهد أن نزعتُها ، وقد انثنى طرفاها . قال عُروةُ : فسأله إيّاها رسولُ الله ﷺ فأعطاه [إيّاها][٧] ، فلمّا قُبض رسولُ الله ﷺ أخذها ، ثُم طلبها أبو بكرٍ ، فأعطاه ، فلمّا قُبض أبو بكرٍ سألها إيّاه عمرُ ، فأعطاه إيّاها ، فلمّا قُبض عمرُ أخذها ، ثُم طلبها عثمانُ منه ، فأعطاه إيّاها ، فلمّا قُتل عثمانُ وقعت عند آل عليٍّ ، فطلبها عبدُ الله بنُ الزُّبير ، فكانت عنده حتى قُتل .

وقال ابنُ هشامٍ[٨] : حدّثني أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمغازي ، أنّ عُمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرّ به : إنّي أراك كأنّ في نفسك شيئاً ، أراك تظُنُّ أنّي قتلتُ أباك ، إنّي لو قتلتُه لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنّي قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المُغيرة ، فأمّا أبوك فإنّي مررتُ به وهو

---

(١) ورواه أيضاً البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩ـ٩٠) ، وإسناده ضعيف .

(٢) في (آ) و(ط) : « هشام » وهو خطأ ، والصواب ما أثبته وانظر « تهذيب الكمال » (٣٠/ ٢٧٢) و(٢٧/ ٢١٩) .

(٣) أي : يغوص في الأرض حين يخسف به . انظر « النهاية » (١/ ٢٨٤) .

(٤) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه البخاري (٣٩٩٨) .

(٦) لفظ « أنا » سقط من (آ) وأثبته من (ط) .

(٧) لفظ « إياها » سقط (آ) وأثبته من (ط) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٦ ـ ٦٣٧) .

يبحثُ بحث الثّور برَوقه[١] ، فحِدتُ عنه ، وقصد له ابنُ عمّه عليٌّ فقتله .

قال ابنُ إسحاق[٢] : وقاتل عُكّاشةُ بنُ محصن بن حُرثان الأسديُّ ، حليفُ بني عبد شمسٍ ، يوم بدرٍ بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً من حطبٍ فقال : « قاتل بهذا يا عُكّاشةُ » فلمّا أخذه من رسول الله ﷺ هزّه ، فعاد سيفاً في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيفُ يُسمّى العون ، ثُم لم يزل عنده يشهدُ به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طُليحةُ الأسديُّ أيام الرّدّة ، وأنشد طُليحةُ في ذلك قصيدةً ، منها قولُه : [من الطويل]

عشيّة غادرتُ ابنَ أقرم ثاوياً وعُكّاشةَ الغنميَّ عند مجال

وقد أسلم بعد ذلك طُليحةُ ، كما سيأتي بيانُه .

قال ابنُ إسحاق[٣] : وعُكّاشةُ هو الذي قال ، حين بشّر رسولُ الله ﷺ أُمّته بسبعين ألفاً يدخُلُون الجنة بغير حسابٍ[٤] ولا عذابٍ : ادعُ الله أن يجعلني منهم . قال : « اللهمّ اجعله منهم » . وهذا الحديثُ مُخرّجٌ في الصّحاح والحسان وغيرها[٥] .

قال ابنُ إسحاق[٦] : وقال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « منّا خيرُ فارسٍ في العرب » . قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : « عُكّاشةُ بنُ مِحصَنٍ » فقال ضرارُ بنُ الأزور الأسديُّ : ذاك رجلٌ منّا يا رسول الله . قال : « ليس منكم ولكنّهُ منّا[٧] » . للحلف .

وقد روى البيهقيُّ[٨] عن الحاكم ، من طريق محمد بن عُمر الواقديّ ، حدّثني عمرُ بنُ عثمان الجَحْشيُّ[٩] عن أبيه ، عن عمّته قالت : قال عُكّاشةُ بنُ مِحصَنٍ : انقطع سيفي يومَ بدرٍ ، فأعطاني رسولُ الله ﷺ عُوداً ، فإذا هو سيفٌ أبيضُ طويلٌ ، فقاتلتُ به حتى هزم الله المُشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

---

(١) الروق : القرن . انظر « القاموس المحيط » (روق) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٣٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٣٨) .
(٤) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٣٥) طبع دار ابن كثير .
(٥) رواه البخاري (٥٧٠٥) و(٥٧٥٢) و(٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٣٨) .
(٧) لفظ « منّا » سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩) .
(٩) تحرفت في (ط) إلى : « الخشني » والصواب ما جاء في (آ) .

وقال الواقديُّ[١] : وحدّثني أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن داود بن الحُصين ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل عدّةٍ قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريشٍ يوم بدرٍ ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طابٍ ، فقال : « اضرب به » . فإذا هو[٢] سيفٌ جيّدٌ ، فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جسر أبي عُبيدٍ[٣] .

ردُّه ، عليه السلامُ ، عين قتادة

قال البيهقيُّ في « الدلائل »[٤] : أخبرنا أبو سعدٍ المالينيُّ ، أخبرنا أبو أحمد بنُ عديٍّ ، حدّثنا أبو يعلى ، حدّثنا يحيى الحِمّاني ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ سليمان ، ابنُ الغسيل ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جدّه قتادة بن النُّعمان ، أنّه أُصيبت عينُه يوم بدرٍ ، فسالت حدقتُه على وجنته ، فأرادوا أن يقطعُوها ، فسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » . فدعاه فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدري أيَّ عينيه أُصيبت .

وفي روايةٍ[٥] : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز ، أنّه لمّا أخبره بهذا الحديث عاصمُ بنُ عمر بن قتادة ، وأنشد مع ذلك : [من الطويل]

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدّ عَيْنُهُ فـرُدّت بكـفّ المُصطفـى أيّمـا ردّ[٦]

فقال عمرُ بنُ عبد العزيز ، رحمه الله ، عند ذلك مُنشداً قول أُميّة بن أبي الصّلت في سيف بن ذي يزن ، فأنشده عمرُ في موضعه : حقّاً . [من البسيط]

تلك المكارمُ لا قَعبان من لبنٍ شيبـا بمـاءٍ فعـادا بعـدُ أبـوالا

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٩٣ ـ ٩٤) .
(٢) لفظ ((هو)) سقط من (ط) .
(٣) وجسر أبي عبيد هذا على مرحلتين من الكوفة وبه جرت معركة شهيرة بين المسلمين والفرس سنة (١٤هـ) وقيل سنة (١٣هـ) . انظر « معجم البلدان » (٢/ ١٤٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٦٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩ ـ ١٠٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٧) .
(٦) البيت في « شذرات الذهب » (١/ ١٨٠) وفيه : « . . . أحسن الرَّدِّ » .

فصلٌ
قصةٌ أُخرى شبيهةٌ بها

قال البيهقيُّ[(١)] : أنا أبو عبد الله الحافظُ ، أنا محمدُ بنُ صالحٍ ، أنا الفضلُ بنُ محمدٍ الشّعرانيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ المنذر ، أخبرنا عبدُ العزيز بنُ عمران ، حدّثني رفاعةُ بنُ يحيى ، عن مُعاذ بن رفاعة بن رافعٍ ، عن أبيه رفاعة بن رافع بن مالكٍ ، عن أبيه قال : لمّا كان يومُ بدرٍ تجمّع الناسُ على أُميّة[(٢)] بن خلفٍ ، فأقبلتُ إليه ، فنظرتُ إلى قطعةٍ من درعه قد انقطعت من تحت إبطه . قال : فطعنتُه بالسيف فيها طعنةً قَطَعَتْهُ[(٣)] ، ورُميتُ بسهمٍ يوم بدرٍ ، ففُقِئت عيني فبصق فيها رسولُ الله ﷺ ودعا لي ، فما آذاني منها شيءٌ . وهذا غريبٌ من هذا الوجه ، وإسنادُه جيّدٌ ، ولم يُخرجُوه[(٤)] .

ورواه الطّبرانيُّ من حديث إبراهيم بن المُنذر .

قال ابنُ هشامٍ[(٥)] : ونادى أبو بكرٍ ابنه عبد الرحمن وهو يومئذٍ مع المشركين لم يُسلم بعدُ ، فقال : أين مالي يا خبيثُ ؟ فقال عبدُ الرحمن : [من الرجز]

لم يبق إلا شكّةٌ ويعبُوبْ وصارمٌ يقتُلُ ضُلاّل الشّيبْ

يعني لم يبق إلّا عُدّةُ الحرب ، وحِصانٌ ـ وهو اليعبُوبُ ـ يقاتلُ عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقولُه في حال كفره .

وقد روينا في « مغازي الأمويّ » أنّ رسول الله ﷺ جعل يمشي يوم بدرٍ هو وأبو بكرٍ الصّدّيقُ بين القتلى ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ : [من الطويل]

نُفلّــقُ هــامــاً ....

فيقولُ الصديقُ[(٦)] :

... مــن رجــالٍ أعــزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٠) .
(٢) في (آ) و(ط) : « أبي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » .
(٣) لفظ « قطعته » سقط من (ط) .
(٤) انظر « المستدرك على الصحيحين » (٣/ ٢٣٢) ، وقال الحافظ الذهبي في تلخيصه : عبد العزيز بن عمران ضعّفوه .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٨) .
(٦) يكمل أبو بكر رضي الله عنه ما قاله رسول الله ﷺ من شعر حصين بن الحمام . انظر « الشعر والشعراء » (٢/ ٦٤٨) .
والحديث ذكره المؤلف في « تفسيره » (٣/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) .

ذكر طرح رؤوس الكفر في بئرٍ [يومَ][١] بدرٍ

قال ابن إسحاق[٢] : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب[٣] ، طرحوا فيه إلّا ما كان من أميّة بن خلفٍ ، فإنّه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليخرجوه فتزايل[٤] [لحمه][٥] ؛ فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة ، فلمّا ألقاهم في القليب وقف عليهم [رسول الله ﷺ][٦] فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربي حقّاً » . قال : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟! فقال : « لقد علموا أنّ ما وعدهم ربّهم حقٌّ » . قالت عائشة : والناس يقولون : « لقد سمعوا ما قلت لهم » . وإنما قال رسول الله ﷺ : « لقد علموا » .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدثني حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ ، قال : سمع أصحاب النبيّ ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول : « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أميّة بن خلفٍ ، ويا أبا جهل بن هشامٍ ـ فعدّد من كان منهم في القليب ـ هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » . فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جيّفوا ؟! فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني » .

وقد رواه الإمام أحمد[٨] ، عن ابن أبي عديٍّ ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ ، فذكر نحوه ، وهذا على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق[٩] : وحدّثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله ﷺ قال : « يا أهل القليب ، بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم ؛ كذّبتموني وصدّقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ماوعدكم ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً » .

قلت : وهذا ممّا كانت عائشة أمّ المؤمنين ، رضي الله عنها ، تتأوّله من الأحاديث ـ كما قد جمع ما

---

(١) سقط لفظ « يوم » في (آ) وأثبته من (ط) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩) .
(٣) القليب : البئر . « القاموس المحيط » (قلب) .
(٤) تزايل : تفرق . عن حاشية « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٥) سقط لفظ « لحمه » من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٦) ما بين الحاصرتين تكملة لازمة من « السيرة النبوية » (١/ ٦٣٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٠٤) ، وهو حديث صحيح .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩) .

كانت تتأوّله من الأحاديث في جزءٍ وتعتقد أنّه معارضٌ لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] . وليس هو بمعارضٍ له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ؛ للأحاديث الدّالة نصّاً على خلاف ما ذهبت إليه ، رضي الله عنها وأرضاها .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا عبيد بن إسماعيل ، حدّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : ذكر عند عائشة ، رضي الله عنها ، أنّ ابن عمر رفع إلى النبيّ ﷺ : « إنّ الميّت يعذّب في قبره ببكاء أهله » . فقالت : وَهَلَ[٢] ، رحمه الله ، إنّما قال رسول الله ﷺ : « إنّه ليعذّب بخطيئته وذنبه ، وإنّ أهله ليبكون عليه الآن » . قالت[٣] : وذاك مثل قوله : إنّ رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدرٍ من المشركين ، فقال لهم ما قال ، قال : « إنّهم ليسمعون ما أقول » . وإنّما قال : « إنّهم الآن ليعلمون أنّ ما كنت أقول لهم حقٌّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [النمل : ٨٠] . ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] تقول : حين تبوّؤوا مقاعدهم من النار .

وقد رواه مسلمٌ[٤] عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميّت بعد دفنه في غير ما حديثٍ[٥] ، كما سنقرّر ذلك في كتاب الجنائز من « الأحكام الكبير » إن شاء الله .

ثم قال البخاريّ[٦] : حدّثني عثمان ، ثنا عبدة ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبيّ ﷺ على قليب بدرٍ ، فقال : « هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ » . ثم قال : « إنّهم الآن يسمعون ما أقول لهم » . وذكر لعائشة فقالت : إنّما قال النبيّ ﷺ : « إنّهم الآن ليعلمون أنّ الذي كنت أقول لهم هو الحقّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ حتى قرأت الآية .

وقد رواه مسلمٌ عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة ، وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيعٍ ، كلاهما عن هشام بن عروة[٧] .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٨) .
(٢) لفظ « وَهَلَ » سقط من (ط) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٧٩) .
(٤) رواه مسلم (٩٣٢) .
(٥) كقوله ﷺ : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان » رواه البخاري رقم (١٣٣٨) و(١٣٧٤) ومسلم رقم (٢٨٧٠) (٧٠) و(٧١) وأبو داود (٣٢٣١) والنسائي (٩٧/٧) ، من حديث أنس رضي الله عنه .
(٦) رواه البخاري (٣٩٨٠) و(٣٩٨١) .
(٧) رواه مسلم (٩٣٢) .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا عبد الله بن محمدٍ ، سمع روح بن عبادة ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالكٍ ، عن أبي طلحة ، أنّ رسول الله ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قريشٍ ، فقذفوا في طويٍّ من أطواءِ[٢] بدرٍ خبيثٍ مخبثٍ ، وكان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعَرْصة ثلاث ليالٍ ، فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث ، أمر براحلته فشدّ عليها رحلها ، ثم مشى واتّبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلّا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرّكيّ[٣] ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ؛ يا فلان بن فلانٍ ، ويا فلان بن فلانٍ : « أيسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً ، فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ » . فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلّم من أجسادٍ لا أرواح فيها ؟ فقال النبيّ ﷺ : « والذي نفس محمدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادةُ[٤] : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ؛ توبيخاً ، وتصغيراً ، ونقمةً ، وحسرةً ، وندماً .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلّا ابن ماجه ، من طرقٍ ، عن سعيد بن أبي عروبةَ[٥] .

ورواه الإمام أحمد[٦] ، عن يونس بن محمدٍ المؤدّب ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال : حدّث أنس بنُ مالكٍ . فذكر مثله ، فلم يذكر أبا طلحة ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، ولكنّ الأول أصحّ وأظهر ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنّ رسول الله ﷺ ترك قتلى بدرٍ ثلاثة أيامٍ حتى جيّفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أميّة بن خلفٍ ، يا أبا جهل بن هشامٍ ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً » . قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله ، أتناديهم بعد ثلاثٍ ؟ وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطعون أن يجيبوا » .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الأطواء : جمع طويّ وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار . « فتح الباري » (٧/ ٣٠٢) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الركي ، بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره : البئر قبل أن تطوى . « فتح الباري » (٧/ ٣٠٢) .

(٤) يعني راوي الحديث .

(٥) رواه مسلم (٢٨٧٥) وأبو داود (٢٦٩٥) والترمذي (١٥٥١) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٥٧) .

(٦) رواه « المسند » (٣/ ١٤٥) .

(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٧) .

ورواه مسلمٌ[١] ، عن هدبة بن خالدٍ ، عن حمّاد بن سلمة به .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال حسان بن ثابتٍ[٣] : [من الوافر]

عرفتُ ديار زينب بالكثيبِ ... كخطّ الوحي في الورق القشيبِ
تداولَها الرِّياح وكلُّ جَونٍ ... من الوسميّ منهمرٍ سكوبِ
فأمسى رسمها خلَقاً وأمست ... يباباً بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكّر كلّ يومٍ ... وردّ حرارة القلب[٤] الكئيب
وخبّر بالذي لا عيب فيه ... بصدقٍ غيرِ إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدرٍ ... لنا في المشركين من النصيب
غداة كأنّ جمعهمُ حراءٌ ... بدت أركانه جُنْح الغروب
فلاقيناهمُ منا بجمعٍ ... كأسد الغاب مُرْدَانٍ وشُيب
أمام محمدٍ قد وازروه ... على الأعداء في لفْح الحروب
بأيديهمْ صوارم مرهفاتٌ ... وكلّ مجرّبٍ خاظي الكعوب
بنو الأوس الغطارفُ وازرتْها ... بنو النّجّار في الدّين الصّليب
فغادرنا أبا جهلٍ صريعاً ... وعتبةَ قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجالٍ ... ذوي حسبٍ إذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لمّا ... قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقّاً ... وأمر الله يأخذ بالقلوبِ
فما نطقوا ولو نَطَقُوا لقالوا ... صدقتَ وكنت ذا رأيٍ مصيب

قال ابن إسحاق[٥] : ولمّا أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القليب ، أُخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر لونه ، فقال : « يا أبا حذيفة[٦] ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيءٌ » . أو كما قال رسول الله ﷺ ، فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ،

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٤) ، وفيه : « هَدَّاب بن خالد » وكان يعرف بالاسمين معاً . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٤/ ٣٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ٨٢) بتحقيق الدكتور وليد عرفات .
(٤) في « ديوان حسّان » : « الصدر » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٠ ـ ٦٤١) .
(٦) في (ط) : « يا حذيفة » وهو خطأ ، وما جاء في (آ) هو الصواب .

فكنت أرجو أن يهديَه ذلك للإسلام ، فلمّا رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنني ذلك . فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ ، وقال له خيراً .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا الحميديّ ، حدثنا سفيان ، ثنا عمروٌ ، عن عطاءٍ ، عن ابن عباسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾ قال : هم والله كُفَّار قريشٍ . قال عمرو : هم قريشٌ ، ومحمدٌ ﷺ نعمة الله ، ﴿ وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . قال : النار يوم بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال حسّان بن ثابتٍ[٣] : [من البسيط]

قومي الذين همُ آووا نبيّهم ... وصدّقوه وأهل الأرض كفّار
إلّا خصائص أقوامٍ همُ سلفٌ ... للصالحين من الأنصار أنصارُ
مستبشرين بقسم الله قولهمُ ... لمّا أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً ففي أمنٍ وفي سعةٍ ... نعم النبيّ ونعم القَسم والجار
[فأنزلوه بدارٍ لا يخاف بها ... من كان جارهم داراً هي الدار][٤]
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدرٍ لحينهمُ ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلّاهمُ بغرورٍ ثم أسلمهمْ ... إنّ الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إنّي لكم جارٌ فأوردهم ... شرّ الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولّوا عن سَراتهمُ ... من منجدين ومنهم فرقةٌ غاروا

وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا يحيى بن أبي بكيرٍ[٦] وعبد الرزاق قالا : حدثنا إسرائيل ، [عن سماك بن حربٍ][٧] ، عن عِكْرِمَة[٨] ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا فرغ رسول الله ﷺ من القتلى ، قيل له : عليك العِير ، ليس دونها شيءٌ . فناداه العباس وهو في الوثاق : إنّه لا يصلح لك . قال : « لم ؟ » قال : لأنّ الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٤) .
(٣) انظر « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .
(٤) هذا البيت سقط من (آ) واستدرك من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٤) .
(٥) رواية يحيى في « المسند » (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١/ ٣١٤) وروايته سماك عن عكرمة فيها اضطراب .
(٦) في (آ) و(ط) : « يحيى بن أبي بكر » وهو خطأ من النسّاخ ، والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .
(٧) سقط من النسخ ، والمثبت من « المسند » .
(٨) هو عكرمة البَرْبَريّ ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس وراويته . مات سنة (١٠٥) هـ . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٢) و« شذرات الذهب » (٢/ ٣٢) بتحقيقي .

وقد كان جملة من قتل من سَراة الكُفَّار يوم بدرٍ سبعين ، هذا مع حضور ألفٍ من الملائكة ، وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم ؛ أن سَيُسْلِمُ منهم بشرٌ كثيرٌ ، ولو شاء الله لسلّط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلّيّة ، وقد كان في الملائكة جبريل ، الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوطٍ وكنّ سبعاً ، فيهن من الأمم والدوابّ والأراضي والمزروعات ، ما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهنّ حتى بلغ بهنّ عَنان السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهنّ منكَّساتٍ ، وأتبعهنّ بالحجارة التي سوِّمت لهم ، كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوطٍ فيما تقدم[١]

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين ، وبيّن تعالى حكمه في ذلك فقال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ الآية [محمد : ٤] .

وقال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ الآية [التوبة : ١٤ ـ ١٥] .

فكان قتل أبي جهلٍ على يدي شابٍّ من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعودٍ ، ويمسك بلحيته ، ويصعد على صدره حتى قال له : لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رويعي الغنم ، ثم بعد هذا حزّ رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ، فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صَاعِقةٌ ، أو أن يسقط عليه سقف منزله ، أو يموت حتف أنفه ، واللهُ أعلم .

وقد ذكر ابن إسحاق[٢] فيمن قتل يوم بدرٍ مع المشركين ممن كان مسلماً ، ولكنّه خرج معهم تقيّةً منهم؛ لأنّه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه ، جماعةٌ ؛ منهم : الحارث بن زمعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة][٣] ، وعليّ بن أميّة بن خلفٍ ، والعاص بن منبّه بن الحجّاج . قال : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] . وكان جملة الأسارى يومئذٍ سبعين أسيراً ، كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله ﷺ ؛ عمّه العباس بن عبد المطّلب ، وابن عمّه عقيل بن أبي طالبٍ ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدلّ الشافعيّ والبخاريّ[٤] وغيرهما بذلك ، على أنّه ليس كلّ من ملَك ذا رحمٍ محرمٍ يعتق

---

(١) انظر ما تقدم من كلام المؤلف على قوم لوط في الجزء الأول من الكتاب .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤١) .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤١) .
(٤) انظر « فتح الباري » (٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨) .

عليه ، وعارضوا به حديث الحسن ، عن سمرة في ذلك[١] ، فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص بن الرّبيع بن عبد شمس بن أميّة ، زوج زينب بنت النبيّ ﷺ[٢] .

فصل

وقد اختلف الصحابة في الأسارى ؛ أيقتلون أو يفادون ؟ على قولين ، كما قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عليّ بن عاصمٍ ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ ، وذكر رجلاً ، عن الحسن قال : استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدرٍ ، فقال : « إنّ الله ، عزّ وجلّ ، قد أمكنكم منهم » . قال : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . قال : فأعرض عنه النبيّ ﷺ ، ثم عاد النّبيُّ ﷺ فقال : « أيها الناس ، إنّ الله قد أمكنكم منهم ، وإنما هم إخوانكم بالأمس » . [قال][٤] : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبيّ ﷺ ، ثم عاد النبيّ ﷺ فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكرٍ الصّدّيق ، فقال : يا رسول الله ، نرى[٥] أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغمّ ، فعفا عنهم ، وقبل منهم الفداء . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ الآية [الأنفال : ٦٨] انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد[٦] ـ واللفظ له ـ ومسلمٌ ، وأبو داود ، والترمذيّ وصحّحه ، وكذا عليّ بن المدينيّ ، وصحّحه من حديث عكرمة بن عمّارٍ ، حدّثنا سماكٌ الحنفيّ أبو زُمَيلٍ ، حدّثني ابن عباسٍ ، حدّثني عمر بن الخطاب ، قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدرٍ ، وهم ثلاثمئةٍ ونيّفٌ ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ ، فذكر الحديث كما تقدّم إلى قوله : فقُتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً . واستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ وعليّاً وعمر ، فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان ، وإنّي أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوةً لنا على الكُفّارِ ، وعسى أن يهديهم الله ، فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطّاب ؟ » قال : قلت : والله

(١) وقد رواه أحمد في « المسند » (٥/ ١٥ و١٨ و٢٠) وأبو داود (٣٩٤٩) والترمذي (١٣٦٥) والنسائي في « السنن الكبرى » (٤٨٩٨) و(٤٩٠٢) ، وهو حديث صحيح .

(٢) قال ابن العماد الحنبلي : ولما أسلم لم يجدِّد له النبي ﷺ نكاحه على بنته ، بل أبقاهما على نكاحهما . انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٥٢) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٤٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٨٧) وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، صدوق يخطىء ويصرُّ ، ولكن للحديث شاهد من حديث ابن عمر وابن مسعود ، فهو حديث حسن لغيره .

(٤) زيادة من : « مسند الإمام أحمد » .

(٥) كذا في (آ) و(ط) : « نرى » والذي في « مسند الإمام أحمد » : « إن ترى » .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) ومسلم (١٧٦٣) وأبو داود (٢٦٩٠) والترمذي (٣٠٨١) .

ما أرى ما رأى أبو بكرٍ ، ولكن أرى أن تمكّنني من فلانٍ ـ قريبٍ لعمر ـ فأضرب عنقه ، وتمكّن عليّاً من عقيلٍ فيضرب عنقه ، وتمكّن حمزة من فلانٍ أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنّه ليست في قلوبنا هوادةٌ للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهويَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ ، ولم يهوَ ما قلت ، وأخذ منهم الفداء ، فلمّا كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبيّ ﷺ وأبي بكرٍ وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدتُ بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لِلّذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء ، قد عُرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشّجرة » ـ لشجرةٍ قريبةٍ ـ وأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكونَ[١] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ من الفداء ، ثم أحلّ لهم الغنائم ، وذكر تمام الحديث .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة[٣] ، عن عبد الله[٤] قال : لما كان يوم بدرٍ ، قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » قال : فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم ؛ لعلّ الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذّبوك ، قرّبهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه[٥] عليهم ناراً . فقال العباس : قطعت رحمك . قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يردّ عليهم شيئاً ، فقال ناسٌ : يأخذ بقول أبي بكرٍ . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عمر . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، فخرج عليهم فقال : « إنّ الله ليُلين قلوب رجالٍ فيه حتّى تكون ألين من اللّبن[٦] ، وإنّ الله ليشدّ قلوب رجالٍ فيه حتّى تكون أشدّ من الحجارة ، وإنّ مثلك يا أبا بكرٍ ، كمثل إبراهيم ، عليه السلام ، قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . ومثلك يا أبا بكرٍ كمثل عيسى ، قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وإنّ مثلك يا عمر كمثل نوح ، قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ وإنّ مثلك يا عمر كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ أنتم عالةٌ ، فلا يبقينَّ أحدٌ إلّا بفداءٍ أو ضربة عنقٍ . قال عبد الله : فقلت : يا رسول الله ، إلا سهيل بن

---

(١) كذا في (آ) « تكون » بالتاء وهي قراءة أبي عمرو ، وقرأ الباقون « يكون » بالياء وهو ما جاء في (ط) انظر « حجة القراءات » لابن مجاهد ص(٣١٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٨٣ و٣٨٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) في « ط » : « عبيدة » . وهو خطأ وما جاء في (آ) موافق لما في « مسند الإمام أحمد » وهو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي . انظر « تهذيب الكمال » (١٤/ ٦١) .

(٤) يعني (ابن مسعود) وإذا أطلق (عبد الله) عند المُحدِّثين فالمعني بذلك (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) .

(٥) في « مسند الإمام أحمد » : « أضرم » .

(٦) في (ط) : « من اللين » .

بيضاء[١] ؛ فإنّي قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت . قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارةٌ من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال : « إلاّ سهيل بن بيضاء » . قال : فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ[٢] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾ إلى آخر الآيتين ، وهكذا رواه الترمذيّ ، والحاكم من حديث أبي معاوية[٣] ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه ابن مردويه[٤] من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك ، وقد روي عن أبي أيوب الأنصاريّ بنحوه[٥] .

وقد روى ابن مردويه ، والحاكم في « المستدرك »[٦] من حديث عبيد الله بن موسى ، حدّثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجرٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عمر ، قال : لمّا أسر الأسارى يوم بدرٍ أسر العباس فيمن أسر ، أسره رجلٌ من الأنصار ، قال : وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال : « إنّي لم أنم الليلة من أجل عمّي العبّاس ، وقد زعمت الأنصار أنّهم قاتلوه » . قال عمر : أفآتيهم ؟ قال : « نعم » . فأتى عمر الأنصار ، فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رِضىً ؟ قالوا : فإن كان له رضىً فخذه . فأخذه عمر ، فلمّا صار في يده ، قال له عمر : يا عباس ، أسلم فوالله لأن تسلم أحبّ إليّ من أن يسلم الخطّاب ، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

---

(١) قال العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في تعليقه على « مسند الإمام أحمد » بتحقيقه (٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) : « الصواب سهل بن بيضاء ، وهو أخو سهيل لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها في نفير بدر ، فشهد بدراً مع المشركين ، فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ، فخلى عنه ، والذي روى هذه القصة في سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ مسلماً ، لا شك فيه ، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلاً أشهر من أخيه سهل ، والقصة في سهل » . انظر « طبقات ابن سعد » (٤/ ٢١٣) ، و« الإصابة » (٣/ ١٩٤) .

(٢) تقدم التعليق عليها . انظر ص(٩٥) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٧١٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢١ ـ ٢٢) ، وإسناده ضعيف .

(٤) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٣) من حديث عبد الله بن عمر ، والسيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٣) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنهما .

(٥) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٣) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٢) ، وعزاه لابن مردويه . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٩) بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : هو على شرط مسلم ، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي الكوفي ، قال الحافظ ابن حجر : صدوق لين الحفظ ، وهو ممن يعتبر به في المتابعات حسبُ ، ولم يتابع .

قال : واستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ ، فقال أبو بكرٍ : عشيرتك ؛ فأرسلهم ، واستشار عمر ، فقال : اقتلهم . ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكون[1] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية . ثم قال الحاكم[2] : هذا حديثٌ صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وروى الترمذيّ ، والنّسائيّ ، وابن حبان[3] في « صحيحه »[4] من حديث سفيان الثّوريّ ، عن هشام بن حسّان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن عليٍّ قال : جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ ، فقال : خيّر أصحابك في الأسارى ، إن شاؤوا الفِدَاء وإن شاؤوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم . قالوا : الفداء ويقتل منا ، وهذا حديثٌ غريبٌ جدّاً ، ومنهم من رواه مرسلاً ، عن عبيدة ، والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق[5] ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن ابن عبّاسٍ في قوله : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يقول : لولا أنّي لا أعذّب من عصاني ، حتى أتقدّم إليه ، لمسّكم فيما أخذتم عذابٌ عظيمٌ .

وهكذا روي عن ابن أبي نجيحٍ ،عن مجاهدٍ أيضاً[6] ، واختاره ابن إسحاق[7] وغيره .

وقال الأعمش[8] : سبق منه أن لا يعذّب أحداً شهد بدراً ، وهكذا روي عن سعد بن أبي وقّاصٍ ، وسعيد بن جبيرٍ ، وعطاء بن أبي رباحٍ[9] .

وقال مجاهدٌ والثّوريّ[10] : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ أي : لهم بالمغفرة .

وقال الوالبي[11] ، عن ابن عباسٍ : سبق في أمّ الكتاب الأول ، أنّ المغانم وفداء الأسارى حلالٌ لكم ، ولهذا قال بعده : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] .

---

(١) انظر التعليق على ص(٩٥) .
(٢) بعده في (ط) : « في صحيحه » .
(٣) في (آ) و(ط): « ابن ماجه » وهو سبق قلم من النسَّاخ والصواب ما أثبته، وعبارة في «صحيحه» انفردت بها (آ) .
(٤) رواه الترمذي (١٥٦٧) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٦٢) وابن حبان في « الإحسان » رقم (٤٧٩٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٧٥ ـ ٦٧٦) .
(٦) رواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٧) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٧٦) .
(٨) وقد ذكره المصنف في « التفسير » (٤/ ٣٤) .
(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) عن سعد ، وعن سعيد بن جبير ، الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٦) ، وذكره عن عطاء بن أبي رباح المؤلف في « تفسيره » (٤/ ٣٤) .
(١٠) ذكره عن مجاهد ، السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وعن الثوري ، المؤلف في « تفسيره » (٤/ ٣٤) .
(١١) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٤) .

وهكذا روي عن أبي هريرة ، وابن مسعودٍ ، وسعيد بن جبيرٍ ، وعطاءٍ ، والحسن ، وقتادة ، والأعمش ، واختاره ابن جرير[١] .

وقد ترجّح هذا القول بما ثبت في « الصحيحين »[٢] عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرّعب مسيرة شهرٍ ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي ، وأعطيت الشّفاعة ، وكان النّبيّ يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى النّاس عامّةً » .

وروى الأعمش ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ : « لم تحلّ الغنائم لسود الرّؤوس غيرنا »[٣] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾ ، فأذن الله تعالى في أكل الغنائم ، وفداء الأسارى .

وقد قال أبو داود : حدّثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشيّ[٤] ، ثنا سفيان بن حبيبٍ ، ثنا شعبة ، عن أبي العنبس ، عن أبي الشّعثاء ، عن ابن عباسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدرٍ أربعمئة[٥] . وهذا كان أقلّ ما فودي به أحدٌ منهم من المال ، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهمٍ .

وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ الآية [الأنفال : ٧٠] .

وقال الوالبيّ[٦] ، عن ابن عباسٍ : نزلت في العباس ، ففادى نفسه بالأربعين أوقيّةً من ذهبٍ .

قال العباس : فآتاني الله أربعين عبداً ـ يعني كلّهم يتّجر له ـ قال : وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله ، جلّ ثناؤه .

وقال ابن إسحاق[٧] : حدّثني العباس بن عبد الله بن معبدٍ[٨] ، عن بعض أهله ، عن ابن عباسٍ ،

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٤٤ ـ ٤٦) .
(٢) رواه البخاري (٣٣٥) و(٤٣٨) و(٣١٢٢) مختصراً ، ومسلم (٥٢١) .
(٣) رواه الترمذي (٣٠٨٥) وقال : حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٤) في (آ) و(ط) : « العبسي » . والتصحيح من « سنن أبي داود » وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ٣٨٢) .
(٥) رواه أبو داود (٢٦٩١) ، وهو حديث صحيح دون جملة « أربعمئة » .
(٦) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٩) .
(٧) ورواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٥٠٦) والطبري في « تاريخه » (٢/ ٤٦٣) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤١) .
(٨) في (آ) و(ط) : « مغفل » والتصحيح من هامش (ط) و« تاريخ الطبري » و« دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » (١٤/ ٢١٩) .

قال : لمّا أمسى رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، والأسارى محبوسون بالوثاق بات النبيّ ﷺ ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : ما لك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : « سمعت أنين عمّي العباس في وثاقه » فأطلقوه ، فسكت ، فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[١] : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمئة أوقيّةٍ من ذهبٍ .

قلت : وهذه المئة كانت عن نفسه ، وعن ابني أخويه عقيلٍ ونوفلٍ ، وعن حليفه عتبة بن عمروٍ أحد بني الحارث بن فهرٍ ، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادّعى أنّه كان قد أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « أمّا ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادّعى أنّه لا مال عنده ، قال : « فأين المال الّذي دفنتَه أنت وأمّ الفضل ، وقلت لها : إن أصبت في سفري فهذا لبنيّ ، الفضل وعبد الله وقثم ؟ » . فقال : والله إنّي لأعلم أنّك رسول الله ، إنّ هذا شيءٌ ما علمه إلا أنا وأمّ الفضل . رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابن عباسٍ[٢] .

وثبت في « صحيح البخاريّ »[٣] من طريق موسى بن عقبة ، قال الزّهريّ : حدّثني أنس بن مالكٍ قال : إنّ رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تذرون منه درهماً » .

قال البخاريّ[٤] : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيبٍ ، عن أنسٍ ، أنّ النّبيّ ﷺ أتي بمالٍ من البحرين ، فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مالٍ أتي به رسول الله ﷺ ؛ إذ جاءه العباس ، فقال : يا رسول الله ، أعطني ؛ إنّي فاديت نفسي وفاديت عقيلاً ، فقال : « خذ » . فحثا في ثوبه ثم ذهب يقلّه ، فلم يستطع ، فقال : مر بعضهم يرفعه إليّ . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت عليّ . قال : « لا » . فنثر منه ثم ذهب يقلّه ، فلم يستطع . فقال : مر بعضهم يرفعه إليّ . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت عليّ : قال : « لا » . فنثر منه ، ثم احتمله على كاهله ثم انطلق ، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا ؛ عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله [ﷺ] وثمّ منها درهمٌ .

وقال البيهقيّ[٥] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصرٍ ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّيّ ، قال : كان فداء العباس وابني أخويه ؛ عقيل بن أبي طالبٍ ونوفل بن الحارث بن عبد المُطّلبِ ، كلّ رجلٍ أربعمئة دينارٍ ، ثم توعّد تعالى الآخرين ، فقال : ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧١] .

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤١) ، عن ابن إسحاق به .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٣) ، عن ابن إسحاق به .
(٣) رواه البخاري (٢٥٣٧) و(٣٠٤٨) و(٤٠١٨) .
(٤) رواه البخاري معلقاً (٤٢١) و(٣٠٤٩) و(٣١٦٥) بصيغة الجزم .
(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٠) .

فصلٌ

والمشهور أنّ الأسارى يوم بدرٍ كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين ، كما ورد في غير ما حديثٍ مما تقدّم ، وسيأتي إن شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازبٍ في « صحيح البخاريّ »[١] أنّهم قتلوا يوم بدرٍ سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدرٍ من المسلمين من قريشٍ ستةٌ ، ومن الأنصار ثمانيةٌ ، وقتل من المشركين تسعةٌ وأربعون ، وأسر منهم تسعةٌ وثلاثون . هكذا رواه البيهقيّ عنه[٢] . قال : وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال[٣] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدرٍ أحد عشر رجلاً ؛ أربعةٌ من قريشٍ ، وسبعةٌ من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعةٌ وثلاثون[٤] رجلاً .

وقال في موضعٍ آخر : وكان مع رسول الله ﷺ أربعةٌ وأربعون[٥] أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك .

ثم روى البيهقيّ[٦] ، من طريق أبي صالحٍ كاتب اللّيث ، عن اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن الزّهريّ ، قال : وكان أوّل قتيلٍ من المسلمين ؛ مِهجعٌ مولى عمر ، ورجلٌ من الأنصار ، وقتل يومئذٍ من المشركين زيادةٌ على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك . قال[٧] : ورواه ابن وهبٍ ، عن يونس بن يزيد ، عن الزّهريّ ، عن عروة بن الزُّبير .

قال البيهقيّ : وهو الأصحّ فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم . ثم استدلّ على ذلك بما ساقه هو[٨] والبخاريّ أيضاً من طريق أبي إسحاق ، عن البراء بن عازبٍ ، قال : أمّر رسول الله ﷺ على الرّماة يوم أحدٍ عبد الله بن جبيرٍ ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبيّ ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئةً ؛ سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٦) .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٢) .
(٣) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٣) .
(٤) كذا في (آ) : « ثلاثون » ، وفي (ط) : « عشرون » ، وفي « دلائل النبوة » : « وأربعون » .
(٥) في (آ) و(ط) : « أربعون » وأثبت لفظ « دلائل النبوة » .
(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .
(٧) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٤) .
(٨) يعني في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٤) .

قلت : والصحيح أنّ جملة المشركين كانوا ما بين التّسعمئة إلى الألف ، وقد صرّح قتادة[١] بأنّهم كانوا تسعمئةٍ وخمسين رجلاً ، وكأنّه أخذه من هذا الذي ذكرناه ، والله أعلم .

وفي حديث عمر المتقدّم[٢] ، أنّهم كانوا زيادةً على الألف . والصحيح الأول ؛ لقوله عليه السلام : « القوم ما بين التسعمئة إلى الألف »[٣] .

وأمّا الصحابة يومئذٍ فكانوا ثلاثمئةٍ وبضعة عشر رجلاً ، كما سيأتي التنصيص على ذلك ، وعلى أسمائهم ، إن شاء الله .

وتقدّم في حديث الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ أنّ وقعة بدرٍ كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان . وقاله أيضاً عروة بن الزبير ، وقتادة ، وإسماعيل السّدّيّ الكبير ، وأبو جعفرٍ الباقر[٤] .

وروى البيهقيّ[٥] من طريق قتيبة ، عن جريرٍ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله بن مسعودٍ في ليلة القدر ، قال : تحرَّوها لإحدى عشرة بقين ؛ فإنّ صبيحتها يوم بدرٍ .

قال البيهقيّ[٦] : وروي عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل عن ليلة القدر ، فقال : ليلة تسع عشرة . ما شكّ . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقيّ[٧] : والمشهور عن أهل المغازي أنّ ذلك لسبع عشرة ليلةً مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقيّ[٨] : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدّثنا أبو عمرو بن السّمّاك ، حدّثنا حنبلَ بن إسحاق ، ثنا أبو نعيمٍ ، ثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصاريُّ عن يوم بدرٍ ، فقال : إمّا لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت . وهذا غريبٌ جداً .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[٩] في ترجمة قُباث بن أشيم اللّيثيّ ، من طريق الواقديّ وغيره بإسنادهم إليه ، أنّه شهد يوم بدرٍ مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلّة أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : وجعلت

---

(١) فيما ذكره الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٧٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) وإسناده صحيح .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) ضمن سياق حديث طويل .
(٤) وقد أخرج أقوالهم البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .
(٦) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨) .
(٧) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨) .
(٨) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩) .
(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) (المخطوط) .

أقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلّا النساء ، والله لو خرجت نساء قريشٍ بأكمتها[١] ، ردّت محمداً وأصحابه ، فلمّا كان بعد الخندق ، قلت : لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمدٌ ، وقد وقع في نفسي الإسلامُ . قال : فقدِمتها ، فسألت عنه فقالوا : هو ذاك في ظلّ المسجد في ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلّمت ، فقال : « يا قباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدرٍ : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النّساء ؟ » فقلت : أشهد أنّك رسول الله ؛ فإنّ هذا الأمر ما خرج منّي إلى أحدٍ قطّ ، ولا ترمرمت[٢] به إلّا شيئاً حدّثت به نفسي ، فلولا أنّك نبيٌّ ما أطلعك الله[٣] عليه ، هلمّ أبايعك على الإسلام ؛ فأسلمت .

فصلٌ

وقد اختلفت الصحابة ، رضي الله عنهم ، يوم بدرٍ في المغانم من المشركين يومئذٍ ؛ لمن تكون منهم ، وكانوا ثلاثة أصنافٍ ، حين ولّى المشركون ؛ ففرقةٌ أحدقت برسول الله ﷺ ، تحرسه خوفاً من أن يرجع أحدٌ من المشركين إليه ، وفرقةٌ ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقةٌ جمعت المغانم من متفرّقات الأماكن ، فادّعى كلّ فريقٍ من هؤلاء أنّه أحقّ بالمغنم من الآخرين ؛ لما صنع من الأمر المهمّ .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحولٍ ، عن أبي أُمَامَة الباهليّ ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا أصحابَ بدرٍ نزلت حين اختلفنا في النّفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه بين المسلمين عن بواءٍ ، يقول : على السواءِ[٥] . وهكذا رواه أحمد[٦] ، عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : على السواء . أي : ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتّبعوا العدوّ ، وبين

---

(١) في الأصل : « أكمها » . وفي م : « بالها » .

(٢) هكذا في (آ) وترمرم : حَرَّكَ فاه للكلام ولم يتكلم . وفي (ط) « ولا تزمزمت » بزاءين ، وكذلك هو عند ابن الأثير في « النهاية » (٢/ ٣١٣) ، وقال : الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يُفهم .

(٣) سقط لفظ الجلالة من (ط) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٢) .

(٥) في (آ) و(ط) : « عن سواء » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « على السواء » وهو الصواب وقد أثبتناه عنه ، ويؤكد ذلك شرح المؤلف الآتي بعد قليل .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٢٢) . وهو حديث حسن لغيره .

الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصّص بها فريقاً منهم ممّن ادّعى التّخصيص بها ، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه ، كما قد يتوهّمه بعض العلماء ؛ منهم أبو عبيدٍ[١] وغيره ، والله أعلم .

بل قد تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقّار من مغانم بدرٍ .

قال ابن جريرٍ[٢] : وكذا اصطفى جملاً لأبي جهلٍ ، كان في أنفه برةٌ[٣] من فضّةٍ ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا معاوية بن عمروٍ ، ثنا [أبو إسحاق][٥] ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش[٦] بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي سلاّمٍ ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصّامت قال : خرجنا مع النبيّ ﷺ ، فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدوّ ، فانطلقت طائفةٌ في آثارهم يهزِمون ويَقتُلون ، وأكبّت طائفةٌ على العسكر[٧] يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفةٌ برسول الله ﷺ ؛ لا يصيب العَدُوُّ منه غِرَّةً ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعضٍ ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها [وجمعناها][٨] وليس لأحدٍ فيها نصيبٌ . وقال الذين خرجوا في طلب العدوّ : لستم بأحقّ بها[٩] منّا ، نحن نفينا منها العدوّ وهزمناهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : خفنا أن يصيب العدوّ منه غِرَّةً ؛ فاشتغلنا به . فنزلت : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] . فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدوّ نفّل الرّبع ، فإذا أقبل راجعاً نفّل الثّلث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى التّرمذيّ وابن ماجه[١٠] من حديث الثوريّ ، عن عبدالرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذيّ : هذا حديثٌ حسنٌ .

---

(١) في (ط) : « عبيدة » . وانظر « كتاب الأموال » لأبي عبيد ص(٣٨٢ ـ ٣٨٨) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٧٩) .
(٣) البرة : حَلْقة تجعل في لحم الأنف . قاله ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ١٢٢) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) . وهو حديث حسن لغيره .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » ومكانه في (ط) : « ثنا ابن إسحاق » .
(٦) في (آ) و(ط) : « ابن عباس » وهو تصحيف ، والصواب ما أثبته ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ٣٧) .
(٧) في (ط) : « على المغنم » .
(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من « مسند الإمام أحمد » .
(٩) في (آ) و(ط) : « به » . وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .
(١٠) رواه الترمذي (١٥٦١) ، وابن ماجه (٢٨٥٢) ، وهو حديث حسن .

ورواه ابن حبّان في « صحيحه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيحٌ على شرط مسلمٍ ، ولم يخرجه[(١)] .

وقد روى أبو داود ، والنّسائيّ ، وابن حبّان ، والحاكم[(٢)] من طرقٍ ، عن داود بن أبي هندٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، قال رسول الله ﷺ : « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » . فتسارع في ذلك شبّان الرّجال ، وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلمّا كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال الشّيوخ : لا تستأثروا علينا ؛ فإنّا كنّا ردءاً لكم ، ولو انكشفتم لفئتم إلينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها هاهنا ، ومعنى الكلام أنّ الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله ، يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . ثم ذكر ما وقع في قصة بدرٍ ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الآية [الأنفال : ٤١]فالظاهر أنّ هذه الآية مبيّنةٌ لحكم الله في الأنفال ، الذي جعل مردّه إليه وإلى رسوله ﷺ ، فبيّنه تعالى ، وحكم فيها بما أراد تعالى ، وهو قول ابن[(٣)] زيدٍ[(٤)] ، وقد زعم أبو عبيدٍ القاسم بن سلاّم[(٥)] ، رحمه الله ، أنّ رسول الله ﷺ قسم غنائم بدرٍ على السّواء بين الناس ، ولم يخمّسها ، ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدّم ، وهكذا روى الوالبيّ ، عن ابن عباسٍ ، وبه قال مجاهدٌ ، وعكرمة والسّدّيّ ، وفي هذا نظرٌ ، والله أعلم ؛ فإنّ سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها ، كلّها في غزوة بدرٍ ، فيقتضي [أنّ][(٦)] ذلك نزل جملةً في وقتٍ واحدٍ غير متفاصلٍ بتأخّرٍ يقتضي نسخ بعضه بعضاً ، ثم في « الصحيحين »[(٧)] عن عليٍّ ، رضي الله عنه ، أنّه قال في قصة شارفيه اللّذين اجتبّ أسنمتهما حمزة : إنّ

---

(١) رواه ابن حبان (٤٨٥٥) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٢) رواه أبو داود (٢٧٣٧) والنسائي في « السنن الكبرى » (١١١٩٧) وابن حبان (٥٠٩٣) « الإحسان » والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) ، وهو حديث صحيح .

(٣) في (ط) : « أبي » . والتصحيح من « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٩) و« الطبري » (٩/ ١٧٨) فهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ١١٤) .

(٤) يعني أن ابن زيد قال بأن آية : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ . . . ﴾ محكمة وليست منسوخة كما قال أبو عبيد في كتابه « الأموال » ص(٣٨٤) .

(٥) انظر « كتاب الأموال » ص(٣٨٤) .

(٦) لفظ « أن » سقط من (آ) وأثبته من (ط) لتمام المعنى .

(٧) رواه البخاري (٢٣٧٥) و(٣٠٩١) ومسلم (١٩٧٩) .

إحداهما كانت من الخمس يوم بدرٍ . ما يردّ صريحاً على أبي عبيدٍ ؛ أنّ غنائم بدرٍ لم تخمّس ، والله أعلم . بل خمّست كما هو قول البخاريّ وابن جريرٍ ، وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح ، والله أعلم .

فصلٌ
في رجوعه ، عليه السلام ، من بدرٍ إلى المدينة ، وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيّداً منصوراً عليه من ربّه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدّم أنّ الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت في « الصحيحين »[١] أنّه كان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعرْصة ثلاثة أيامٍ ، وقد أقام عليه الصلاة والسلام ، بعرْصة بدرٍ ثلاثة أيامٍ كما تقدّم ، وكان رحيله منها ليلة الإثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدرٍ ، فقرّع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدّم ذكره ، ثم سار ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث ، عليه الصلاة والسلام ، بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنّصر والظّفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السّافلة .

قال أسامة بن زيدٍ : فأتانا الخبر حين سوّينا [التّراب][٢] على رقيّة بنت رسول الله ﷺ ، وكان زوجُها عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، قد احتبس عندها يمرّضها بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدرٍ .

قال أسامة : فلمّا قدم أبي زيد بن حارثة جئته وهو واقفٌ بالمصلّى ، وقد غشيه الناس ، وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشامٍ ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ العاص بن هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بن خلفٍ ، ونُبَيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج .

قال : قلت : يا أبت ، أحقٌّ هذا ؟ قال : إي والله يا بنيّ .

وروى البيهقيّ[٣] ، من طريق حمّاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيدٍ : أنّ النبيّ ﷺ خلّف عثمان وأسامة بن زيدٍ على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٥) و(٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) .
(٢) لفظ « التراب » سقط من (آ) واستدركته من (ط) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٣٠) .

رسول الله ﷺ بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهيعة ، فخرجت فإذا زيدٌ قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدّقت حتى رأينا الأسارى ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه .

وقال الواقديّ[١] : صلّى رسول الله ﷺ مرجعه من بدرٍ العصر بالأثيل ، فلمّا صلّى ركعةً تَبَسَّمَ ، فسئل عن تبسّمه ، فقال : « يُرى[٢] ميكائيل وعلى جناحه النّقع ، فتبسّم إليّ ، وقال : إنّي كنت في طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدرٍ ، على فرسٍ أنثى معقود الناصية ، قد عصم ثنيّته[٣] الغبار ، فقال : يا محمد ، إنّ ربي بعثني إليك ، وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : « نعم » .

قال الواقدي[٤] : قالوا : وقدّم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأُثيل ، فجاءا يوم الأحد حين اشتدّ الضّحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وأبو جهلٍ ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأميّة بن خلفٍ ، وأسر سهيل بن عمروٍ . قال عاصم بن عديٍّ : فقمت إليه ، فنحوته[٥] ، فقلت : أحقّاً يا بن رواحة ؟ فقال : إي والله ، وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرّنين . ثم تتبّع دور الأنصار بالعالية يبشّرهم داراً داراً ، والصّبيان يشتدّون[٦] معه يقولون : قتل أبو جهلٍ الفاسق . حتى إذا انتهى إلى دار بني أميّة ، وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، يبشّر أهل المدينة ، فلمّا جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وقتل أميّة بن خلفٍ ، وأبو جهلٍ ، وأبو البختريّ ، وزمعة بن الأسود ، وأسر سهيل بن عمروٍ ذو الأنياب ، في أسرى كثيرٍ . فجعل بعض الناس لا يصدّقون زيداً ، ويقولون : ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاً[٧] ، حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا ، وقدم زيدٌ حين سوّينا على رقيّة بنت رسول الله ﷺ التّراب[٨] بالبقيع ، وقال رجلٌ من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه . وقال آخر لأبي لبابة : قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون فيه أبداً ، وقد قتل علية أصحابه ، وقتل[٩] محمدٌ ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيدٌ لا يدري ما يقول من الرّعب ، وجاء فَلاً . فقال أبو لبابة : يكذّب الله

(١) انظر « المغازي » (١/ ١١٣) .
(٢) في « المغازي » و« دلائل النبوة » : « مرَّ بي » .
(٣) في (ط) : « ثنييه » .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١١٤) .
(٥) أي : قصدته .
(٦) في (ط) : « ينشدون » .
(٧) الفل : المنهزم .
(٨) لفظ « التراب » من (ط) .
(٩) في (ط) : « قتل » بلا واو .

قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيدٌ إلّا فَلاً . قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبي ، فقلت : أحقٌّ ما تقول ؟ فقال : إي والله حقٌّ ما أقول يا بنيّ . فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت : أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدّمنّك إلى رسول الله إذا قدم ، فليضربنّ عنقك . فقال : إنّما هو شيءٌ سمعته من الناس يقولونه . قالوا : فجيء بالأسرى ، وعليهم شُقران مولى رسول الله ﷺ ، وكان قد شهد معهم بدراً ، وهم تسعةٌ وأربعون رجلاً ، الذين أُحصوا .

قال الواقديّ[١] : وهم سبعون في الأصل ، مجتمعٌ عليه ، لا شكّ فيه . قال : ولقي رسول الله ﷺ إلى الرّوحاء رؤوس الناس يهنّئونه بما فتح الله عليه .

فقال له أُسيد بن الحضير : يا رسول الله ، الحمد لله الذي أظفرك ، وأقرّ عينك ، والله يا رسول الله ، ما كان تخلّفي عن بدرٍ وأنا أظنّ أنّك تلقى عدوّاً ، ولكن ظننت أنّها عِيرٌ ، ولو ظننت أنّه عدوٌّ ما تخلّفت . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيطٍ ، والنّضر بن الحارث ، وقد جعل على النّفل عبد الله بن كعبٍ بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النّجّار ، فقال راجزٌ من المسلمين ـ قال ابن هشامٍ : يقال : إنّه هو عديّ بن أبي الزّغباء ـ : [من الرجز]

أقم لها صدورها يا بسبس ... ليس بذي الطّلح لها معرَس
ولا بصحراءِ غميرٍ محبس ... إنّ مطايا القوم لا تحبَّسُ
فحملها على الطريق أكيس ... قد نصر الله وفرّ الأخنس

قال : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء نزل على كثيبٍ بين المضيق وبين النّازية ، يقال له : سيَرٌ . إلى سرحةٍ به ، فقسم هنالك النّفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السّواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالرّوحاء لقيه المسلمون يهنّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقشٍ ، كما حدّثني عاصم بن عمر ، ويزيد بن رومان : ما الذي تهنّئوننا به ؟ والله إن لقينا إلا عجائز صُلعاً كالبدن المعقّلة فنحرناها ، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال : « أي ابن أخي ، أولئك الملأ » . قال ابن هشامٍ[٣] : يعني الأشراف والرّؤساء .

---

(١) انظر « المغازي » (١/١١٦ ـ ١١٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٤٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٤٤) .

مقتل النّضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيطٍ لعنهما الله

قال ابن إسحاق[١] : حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصّفراء قتل النّضر بن الحارث ، قتله عليّ بن أبي طالبٍ ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعِرق الظّبية[٢] قتل عقبة بن أبي معيطٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصّبية يا محمّد ؟ قال : « النّار » . وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوفٍ ، كما حدّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسرٍ . وكذا قال موسى بن عقبة في « مغازيه »[٤] ، وزعم أنّ رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره . قال : ولمّا أقبل إليه عاصم بن ثابتٍ ، قال : يا معشر قريشٍ ، علام أُقتل من بين من هاهنا ؟ قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حمّاد بن سلمة[٥] ، عن عطاء بن السّائب ، عن الشّعبيّ ، قال : لمّا أمر النبيّ بقتل عقبة ، قال : أتقتلني يا محمد من بين قريشٍ ؟ قال : « نعم! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجدٌ خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها ، فما رفعها حتّى ظننت أنّ عينيَّ ستَنْدُران[٦] ، وجاء مرّةً أخرى بسلا شاةٍ فألقاه على رأسي وأنا ساجدٌ ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » .

قال ابن هشامٍ[٧] : ويقال : بل قتل عقبة عليّ بن أبي طالبٍ ، فيما ذكره الزّهريّ وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شرّ عباد الله ، وأكثرهم كُفْرَاً ، وعناداً ، وبغياً ، وحسداً ، وهجاءً للإسلام وأهله ، لعنهما الله ، وقد فعل .

قال ابن هشامٍ[٨] : فقالت قُتيلة بنت الحارث ، أخت النّضر بن الحارث في مقتل أخيها : [من الكامل]

يـا راكبـاً إنّ الأثيـل مظنّـةٌ … من صبح خامسةٍ وأنت موفّق

أبلـغ بهـا ميتـاً بـأنّ تحيّـةً … ما إن تزال بها النّجائب تخفق

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٤٤) .

(٢) موضع بين مكة والمدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٢٣٩) و(٢٦٠) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .

(٤) ورواه عنه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١١٧) .

(٥) ذكره البلاذري في « أنساب الأشراف » (١/ ١٤٨) .

(٦) أي : تسقطان .

(٧) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٤٤) .

(٨) في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي (٢/ ٤٢) : « قال ابن إسحاق » وجاء في هامشها مايلي : « في (آ) و(ر) : قال ابن هشام » .

منّـي إليـك وعبـرةً مسفـوحـةً ... جـادت بـوابلها وأخـرى تخنـقُ[١]
هـل يسمعـنّ النّضـر إن ناديتـه ... أم كيـف يسمـع ميّـتٌ لا ينطـقُ
أَمحمـدٌ يـا خيـر ضنءٍ[٢] كـريمةٍ ... مـن قـومها والفحـل فحـلٌ معـرقُ
مـا كـان ضـرّك لـو مننـت وربّمـا ... مـنّ الفتـى وهـو المغيـظ المحنـقُ
أو كنـت قـابـل فـديـةٍ فلينفقـن ... بـأعـزّ مـا يغلـو بـه مـا ينفـقُ
والنّضـر أقـرب مـن أسـرت قـرابـةً ... وأحقّهـم إن كـان عتـقٌ يعتـقُ
ظلّـت سيـوف بنـي أبيـه تنوشـه ... لله أرحـامٌ هنـالـك تشقـقُ
صبـراً يقـاد إلـى المنيّـة متعبـاً ... رسـف المقيّـد وهـو عـانٍ مـوثـق

قال ابن هشامٍ[٣] : ويقال ، والله أعلم : إنّ رسول الله ﷺ لمّا بلغه هذا الشّعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد تلقّى رسولَ الله ﷺ بهذا الموضع أبو هندٍ مولى فروة بن عمروٍ البياضيّ حجّامه ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه زقٌّ خمرٍ مملوءٌ حيساً ـ وهو التّمر والسّويق بالسّمن ـ هديةً لرسول الله ﷺ فقبله منه ، ووصّى به الأنصار .

قال ابن إسحاق[٥] : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني نبيه بن وهبٍ أخو بني عبد الدّار أنّ رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه ، وقال : « استوصوا بهم خيراً » . قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عميرٍ لأبيه وأمّه ، في الأسارى ، قال أبو عزيزٍ : مرّ بي أخي مصعب بن عميرٍ ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال : شدّ يديك به ؛ فإنّ أمّه ذات متاعٍ لعلّها تفديه منك . قال أبو عزيزٍ : فكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التّمر ؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجلٍ منهم كسرة خبزٍ إلا نفحني بها ، فأستحيي فأردّها فَيَرُدُّها عليّ ما يمسّها .

قال ابن هشامٍ[٧] : وكان أبو عزيزٍ هذا صاحب لواء المشركين ببدرٍ بعد النّضر بن الحارث ، ولمّا قال

---

(١) هذا البيت لم يرد في « السيرة النبوية » لابن هشامٍ التي بين يدي ، فليستدرك .
(٢) في (ط) : « ضي » . والضنء من كل شيء : نَسْلُهُ .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٦) .

أخوه مصعبٌ لأبي اليَسَرِ ، وهو الذي أسره ، ما قال ، قال له أبو عزيزٍ : يا أخي ، هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعبٌ : إنّه أخي دونك . فسألت أمّه عن أغلى ما فدي به قرشيٌّ ، فقيل لها : أربعة آلاف درهمٍ . فبعثت بأربعة آلاف درهمٍ ففدته بها .

قلت : أبو عزيزٍ هذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير في « غابة الصحابة »[١] ، وعدّه خليفة بن خيّاطٍ في أسماء الصحابة[٢] . وكان أخا مصعب بن عميرٍ لأَبَوَيْهِ[٣] ، وكان لهما أخٌ آخر لأبويهما ، وهو أبو الرّوم بن عُمَيْرٍ ، وقد غلط من جعله قتل يوم أحدٍ كافراً ، ذاك أبو عزّة ، كما سيأتي في موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : حدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أنّ يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، قال : قدم بالأسارى حين قُدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبيّ ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوفٍ ومعوِّذٍ ابني عفراء . قال : وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنّي لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتي بهم . قالت : فرجعت إلى بيتي ، ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمروٍ في ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبلٍ . قالت : فلا والله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أي أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألا متّم كراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلّا قول رسول الله ﷺ من البيت : « يا سودة ، أعلَى الله وعلى رسوله تحرّضين » ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحقّ ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت ، ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكمّيّته ، إن شاء الله .

ذكر فرح النّجَاشيّ ، رضي الله عنه ، بوقعة بدرٍ

قال الحافظ البيهقيّ[٥] : أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفيّ ببغداد ، ثنا أحمد بن سلمان النّجّاد ، ثنا عبد الله بن أبي الدّنيا ، حدّثني حمزة بن العباس ، ثنا عبدان بن عثمان ، ثنا عبد الله بن المبارك ، أنا عبدُ الرحمن بن يزيد بن[٦] جابرٍ ، عن عبد الرحمن ـ رجلٍ من أهل صنعاء ـ قال :

---

(١) يريد « أسد الغابة في معرفة الصحابة » والنقل في المطبوع منه بدار الشعب بالقاهرة (٦/ ٢١٣) .
(٢) انظر « طبقات خليفة » (١/ ٣٣) .
(٣) في (آ) و(ط) : « لأبيه » . والذي في « أسد الغابة » (٦/ ٢١٣) : « لأبويه » وهو ما أثبته لانسجامه مع السياق .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) .
(٦) في (ط) : « عن » . وهو خطأ .

أرسل النّجاشيّ ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه ، فدخلوا عليه وهو في بيتٍ عليه خُلْقانُ ثيابٍ ، جالسٌ على التراب ، قال جعفرٌ : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلمّا أن رأى ما في وجوهنا قال : إنّي أبشّركم بما يسرّكم ؛ إنّه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي ، فأخبرني أنّ الله قد نصر نبيّه ، وأهلك عدوّه ، وأُسر فلانٌ وفلانٌ ، وقتل فلانٌ وفلانٌ ، التقوا بوادٍ يقال له : بدرٌ . كثير الأراك ، كأنّي أنظر إليه ، كنت أرعى به[١] لسيّدي ـ رجلٍ من بني ضمرة ـ إبله . فقال له جعفرٌ : ما بالك جالساً على التراب ليس تحتك بساطٌ ، وعليك هذه الأخلاق[٢] ؟ قال : إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إنّ حقاً على عباد الله أنْ يحدثوا لله تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمةٍ . فلمّا أحدث الله لي نصر نبيّه ﷺ ، أحدثت له هذا التواضع .

فصلٌ
في وصول خبر مصاب أهل بدرٍ إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق[٣] : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريشٍ الحيسمان بن عبد الله الخزاعيّ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكَم بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، وزمعة بن الأسود ، ونبيهٌ ومنبّهٌ ، وأبو البختريّ بن هشام . فلمّا جعل يعدّد أشراف قريشٍ ، قال صفوان ابن أميّة : والله إن يعقل هذا ، فسلوه عنّي . فقالوا : ما فعل صفوان بن أميّة ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحقّقوه قطّعت النساء شعورهنّ ، وعقرت خيولٌ كثيرةٌ ورواحل .

وذكر السّهيليّ[٤] عن كتاب « الدلائل » لقاسم بن ثابتٍ أنّه قال : لما كانت وقعة بدرٍ سمع أهل مكة هاتفاً من الجنّ يقول : [من الطويل]

أزار الحنيفيّــون بــدراً وقيعــةً ... سينقضّ منها ركن كسرى وقيصرا
أبـادت رجـالًا مـن لـؤيٍّ وأبـرزت ... خـرائـد يضـربـن الـتـرائـب حسّـرا
فيـا ويـح مـن أمسـى عـدوّ محمـدٍ ... لقد جار عن قصد الهدى وتحيّرا

---

(١) سقط من : (ط) .
(٢) في (آ) و(ط) : « الأخلاط » وما أثبته هو الصواب ، والأخلاق : جمع الخلَق ، وهو البالي من الثياب .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٦) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

قال ابن إسحاق[(١)] : وحدَّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباسٍ ، عن عكرمة مولى ابن عباسٍ قال : قال أبو رافعٍ مولى رسول الله ﷺ : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلَم العباس ، [وأسلمت][(٢)] أمّ الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرّقٍ في قومه ، وكان أبو لهبٍ قد تخلّف عن بدرٍ فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ؛ لم يتخلّف رجلٌ إلاّ بعث مكانه رجلاً ، فلمّا جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدرٍ من قريشٍ ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إنّي لجالسٌ فيها أنحت أقداحي ، وعندي أمّ الفضل جالسةً ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهبٍ يجرّ رجليه بشرٍّ ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينا هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال : فقال أبو لهبٍ : هلمّ إليّ ، فعندك لعمري الخبرُ . قال : فجلس إليه والناس قيامٌ عليه فقال : يا بن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلاّ أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بلقٍ بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيءٌ . قال أبو رافعٍ : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهبٍ يده فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : وثاورته[(٣)] ، فاحتملني وضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أمّ الفضل إلى عمودٍ من عمد الحجرة فأخذته ، فضربته به ضربةً فلعت[(٤)] في رأسه شجّةً منكرةً ، وقالت : أَستضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولّياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

زاد يونس ، عن ابن إسحاق[(٥)] : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ، ما دفناه حتى أنتن ، وكانت قريشٌ تتّقي هذه العدسة كما تتّقى الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش : ويحكما ، ألا تستحيان! إنّ أباكما قد أنتن في بيته ، لا تدفنانه ؟! فقالا : إنّا نخشى عدوى هذه القرحة . فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه . فوالله ما غسّلوه إلاّ قذفاً بالماء عليه من بعيدٍ ، ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة ، فأسندوه إلى جدارٍ ثم رضموا عليه بالحجارة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٦ ـ ٦٤٧) .
(٢) لفظ « وأسلمت » لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) أي : « بادرته » .
(٤) في (آ) و(ط) : « فبلغت » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفلَعَتْ : شقت .
(٥) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق[١] : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنّها كانت لا تمرّ على مكان أبي لهبٍ هذا إلّا تستّرت بثوبها حتى تجوزَ .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدثني يحيى بن عبّادٍ [بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عَبّاد] ، عن أبيه[٣] قال : ناحت قريشٌ على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فَيَبْلُغَ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم[٤] ؛ لا يأرب عليكم محمدٌ وأصحابه في الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عَذَّب الله به أحياءهم في ذلك الوقت ، وهو تركهم النّوح على قتلاهم ؛ فإنّ البكاء على الميت مما يُبِلُّ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق[٥] : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده ؛ زمعة ، وعقيلٌ ، والحارث ، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه . قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلامٍ له ، وكان قد ذهب بصره : انظر هل أحلّ النّحب ؟ هل بكت قريشٌ على قتلاها ؟ لعلّي أبكي على أبي حكيمة ـ يعني ولده زمعة ـ فإنّ جوفي قد احترق . قال : فلمّا رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلّته . قال : فذاك حين يقول الأسود : [من الوافر]

أتبكــي أن أضــلَّ لهــا بعيــرٌ ... ويمنعهــا مــن النــوم السّهــود
فــلا تبكــي علــى بكــرٍ ولكــن ... علــى بــدرٍ تقـاصـرتِ الجـدود
علــى بــدرٍ سـراة بنـي هُصيـصٍ ... ومخـزومٍ ورهـط أبـي الـوليـد
وبكّــي إن بكيـت علـى عقيـلٍ[٦] ... وبكّــي حــارثــاً أسـد الأسـود
وبكّيهــم ولا تَسَمــي[٧] جميعــاً ... ومــا لأبــي حكيمـة مـن نـديـد
ألا قــد ســادَ بعــدهــمُ رجــالٌ ... ولــولا يــوم بــدرٍ لــم يســودوا[٨]

---

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/١٤٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨) .
(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٧) .
(٤) في (ط) : « تستأنسوا » . واستأنى به : انتظر به . « لسان العرب » (أنى) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٤٨) .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : « أبا عقيل » وفي « السيرة النبوية » : « على عقيل » ولعله أصحُّ .
(٧) أي : لا تسأمي .
(٨) في بعض هذه الأبيات إقواء .

فصل

في بعث قريشٍ إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم

قال ابن إسحاق[١] : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبيرة السّهميّ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ له بمكّة ابناً كيّساً تاجراً ذا مالٍ ، وكأنّكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » . فلمّا قالت قريشٌ : لا تعجلوا بفداء أسراكم ؛ لا يأرب عليكم محمدٌ وأصحابه . قال المطّلب بن أبي وداعة ـ وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى ـ صدقتم ، لا تعجلوا ، وانسلّ من الليل ، وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهمٍ ، فانطلق به .

قلت : وكان هذا أول أسيرٍ فُدي ، ثم بعثت قريشٌ في فداء أسراهم ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرٍو ، وكان الذي أسره مالك بن الدّخشم ، أخو بني سالم بن عوفٍ ، فقال في ذلك : [من المتقارب]

أسـرتُ سُهيـلاً فـلا أبتغـي ... أسيـراً بـه مـن جميـع الأُمـمْ

وخنـدف تعلـم أن الفتـى ... فتـاهـا سهيـلٌ إذا يُظلـمْ

ضربت بذي الشفر حتى انثنى ... وأكرهت نفسي على ذي العلَمْ

قال ابن إسحاق[٢] : وكان سهيلٌ رجلاً أعلَم[٣] من شفته السُّفْلى .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاءٍ أخو بني عامرٍ بن لؤيٍّ ، أنّ عمر بن الخطّاب قال لرسول الله ﷺ : دعني أنزع ثنيّة سهيل بن عمرٍو يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطنٍ أبداً . فقال رسولُ الله ﷺ : « لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيّاً » .

قلت : وهذا حديثٌ مرسلٌ ، بل معضلٌ .

قال ابن إسحاق[٥] : وقد بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا : « إنّه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه » .

قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيلٌ بمكة ، حين مات رسول الله ﷺ وارتدّ من ارتدّ من العرب ، ونجم النّفاق بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس ، وثبّتهم على الدين الحنيف ، كما سيأتي في موضعه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .
(٣) الأعلم : المشقوق الشفة . « لسان العرب » (علم) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .

قال ابن إسحاق[١] : فلمّا قاولهم فيه مكرزٌ وانتهى إلى رضائهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رِجلي مكان رجله وخلّوا سبيله ، حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلّوا سبيل سهيلٍ وحبسوا مكرزاً عندهم . وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً[٢] أنكره ابن هشامٍ[٣] ، فالله أعلم .

[قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ قال : وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق[٥] : وكانت أمّه بنت عقبة بن أبي معيطٍ .

قال ابن هشام[٦] : بل كانت أمّه أخت أبي معيطٍ . قال ابن هشام : وكان الذي أسره عليّ بن أبي طالبٍ][٧]

قال ابن إسحاق[٨] : وحدثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، [قال] : فقيل لأبي سفيان : افد عمراً ابنك . قال : أيجمع عليّ دمي ومالي ؟ قتلوا حنظلة وأفدي عمراً ؟! دَعُوه في أيديهم يُمْسِكُوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة ، إذ خرج سعد بن النّعمان بن أُكّالٍ ، أخو بني عمرو بن عوفٍ ، ثم أحد بني معاوية معتمراً ، ومعه مريّةٌ[٩] له ، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالنّقيع[١٠] ، فخرج من هنالك معتمراً ، [ولا يخشى الذي صنع به][١١] ، لم يظنَّ أنّه يحبس بمكة ، إنّما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحدٍ جاء حاجّاً أو معتمراً إلّا بخيرٍ ، فعدا عليه أبو سفيان بن حربٍ بمكة ، فحبسه بابنه عمروٍ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠) .

(٢) قلت : وهي قوله ـ كما في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) ـ : [من الطويل]

فديت بأزواد ثمان سبا فتىً … ينال الصميمَ غُرْمُها لا المواليا
رهنت يدي والمال أيسر من يدي … عليَّ ولكني خشيت المخازيا
وقلت سهيلٌ خيرُها فاذهبوا به … لأبنائنا حتى نُدير الأمانيا

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٦) في « السيرة النبوية » (١/ ٦٥٠) .

(٧) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٥٠ ـ ٦٥١)

(٩) مريَّة : تصغير امرأة .

(١٠) في (آ) و(ط) : « البقيع » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) . والنقيع : موضع قرب المدينة . انظر « معجم البلدان » (٤/ ٨٠٨) .

(١١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .

أرهـط ابـن أُكّـالٍ أجيبـوا دعـاءه ... تعاقـدتـم لا تسلمـوا السيـد الكهـلا
فـإنّ بنـي عمـروٍ لئـامٌ أذلّـةٌ ... لئن لم يفكّوا[١] عن أسيرهم الكبلا

قال : فأجابه حسّان بن ثابتٍ يقول[٢] : [من الطويل]

لـو كـان سعـدٌ يـوم مكـة مطلقـاً[٣] ... لأكثـر فيكـم قبـل أن يـؤسـر القتـلا
بعضـبٍ حسـامٍ أو بصفـراءَ نبعـةٍ ... تحـنّ إذا مـا أُنبضـت تحفـز النّبـلا

قال : ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبيّ ﷺ فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى سبيل سعدٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن أميّة ، ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب .

قال ابن هشامٍ[٥] : وكان الذي أسره خراش بن الصّمّة أحد بني حرامٍ .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارةً ، وكانت أمّه هالة بنت خويلدٍ أخت خديجة بنت خويلدٍ ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوّجه بابنتها زينب ، وكان لا يخالفها ، وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام ، قد زوّج ابنته رقيّة أو أمّ كلثوم من عتبة بن أبي لهبٍ ، فلمّا جاء الوحي قال أبو لهبٍ : اشغلوا محمداً بنفسه . وأمر ابنه عتبة فطلّق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول ، فتزوّجها عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ومشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوّجك بأيّ امرأةٍ من قريشٍ شئت . قال : لا والله إذاً ؛ لا أفارق صاحبتي ، وما أحبّ أنّ لي بامرأتي امرأةً من قريشٍ . وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره ، فيما بلغني .

قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابتٌ في « الصحيح »[٦] كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٧] : وكان رسول الله ﷺ لا يُحلّ بمكة ، ولا يحرّم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرّق بينهما .

---

(١) في (ط) : « يكفوا » .
(٢) انظر « ديوان حسان » (١/ ٤٣٥) .
(٣) في « ديوان حسان » : « خافكم » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) .
(٦) رواه « البخاري » (٣١١٠) و(٣٧٢٩) و« مسلم » (٢٤٤٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٢) .

قلت : إنّما حرّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية ، سنة ستٍّ من الهجرة ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق[١] : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لمّا بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . قالت : فلمّا رآها رسول الله ﷺ ، رقّ لها رقّةً شديدةً ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها الذي لها ، فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

قال ابن إسحاق[٢] : فكان ممّن سمّي لنا ممّن منّ عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداءٍ ؛ من بني أميّة أبو العاص بن الرّبيع ، ومن بني مخزومٍ المُطَّلِبُ بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزومٍ ، أسره بعضُ بني [الحارث][٣] بن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله ، فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلّيَ سبيل زينب ، يعني أن تهاجر إلى المدينة ، فوفّى أبو العاص بذلك ، كما سيأتي .

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق هاهنا فأخّرناه ؛ لأنّه أنسب ، والله أعلم .

وقد تقدّم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه بمئة أوقيّةٍ من الذهب .

وقال ابن هشامٍ[٥] : كان الذي أسره[٦] أبو أيوب خالد بن زيدٍ .

قال ابن إسحاق[٧] : وصيفيّ بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ ، ترك في أيدي أصحابه ، فأخذوا عليه ليبعثنّ لهم بفدائه ، فخلّوا سبيله ، ولم يف لهم ، فقال حسّان بن ثابتٍ في ذلك[٨] : [من الطويل]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٣) لفظ « الحارث » سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » (١/ ٦٥٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٦) في (آ) و(ط) : أسر أبي العاص ، وهو خطأ ، لأن الذي أسر أبا العاص هو خراش بن الصِّمَّة ، كما تقدم في الصفحة التي قبلها .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٠) وفي « ديوان حسّان » (٢/ ١٣٠) : « صيفي بن عابد » .
(٨) انظر « ديوان حسان » (١/ ١٤٩) .

وما كان صيفيٌّ ليوفي أمانةً[١] قفا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارد

قال ابن إسحاق[٢] : وأبو عزّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهيب بن حذافة بن جمح ، كان محتاجاً ذا بناتٍ ، قال : يا رسول الله ، لقد عرفت ما لي من مالٍ ، وإنّي لذو حاجةٍ وذو عيالٍ ؛ فامنن عليّ . فمنّ عليه رسول الله ﷺ ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً ، فقال أبو عزّة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك :

[من الطويل]

مَن مبلغٌ عني الرسول محمداً بأنّك حقٌّ والمليك حميد
وأنت امرؤٌ تدعو إلى الحقّ والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤٌ بوّئت فينا مباءةً لها درجاتٌ سهلةٌ وصعود
فإنّك من حاربته لمحاربٌ شقيٌّ ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذُكّرتُ بدراً وأهله تَأَوَّبَ[٣] ما بي حسرةٌ وقعود

قلت : ثم إنّ أبا عزّة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله ، فرجع إليهم ، فلمّا كان يوم أحدٍ أسر أيضاً ، فسأل من النبيّ ﷺ أن يمنّ عليه أيضاً ، فقال النبيّ ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت محمداً مرّتَيْنِ » . ثم أمر به ، فضربت عنقه[٤] ، كما سيأتي في غزوة أحدٍ .

ويقال : إنّ فيه قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرّتين »[٥]

وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلّا منه ، عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن الزّبير قال : جلس عمير بن وهبٍ الجمحيّ مع صفوان بن أميّة في الحجر ، بعد مصاب أهل بدرٍ بيسيرٍ ، وكان عمير بن وهبٍ شيطاناً من شياطين قريشٍ ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقَون منه عناءً وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عميرٍ في أسارى بدرٍ .

قال ابن هشام[٧] : وكان الذي أسره رفاعة بن رافعٍ ، أحد بني زريقٍ .

قال ابن إسحاق[٨] : فحدّثني محمد بن جعفرٍ ، عن عروة قال ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ،

---

(١) في « الديوان » : « بذمة » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٠) .
(٣) من الأوب وهو الرجوع .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٠ _ ٢٨١) .
(٥) رواه « البخاري » (٦١٣٣) و« مسلم » (٢٩٩٨) ، والحديث ليس خاصاً بأبي عزّة .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٦١) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦١) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦١ _ ٦٦٣) .

فقال صفوان : والله إنْ[١] في العيش بعدهم خيرٌ . قال له عميرٌ : صدقت والله ، أما والله لولا دَينٌ عليّ ليس عندي قضاؤه ، وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيعة بعدي ، لركبت إلى محمدٍ حتى أقتله ، فإنّ لي فيهم[٢] علّةً ؛ ابني أسيرٌ في أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان بن أميّة ، فقال : عليّ دَينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم . فقال له عميرٌ : فاكتم عنّي شأني وشأنك . قال : سأفعل . قال : ثم أمر عميرٌ بسيفه فشحذ له وسمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفرٍ من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدرٍ ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهبٍ ، وقد أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيفَ ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهبٍ ، ما جاء إلّا لشرٍّ ، وهو الذي حرّش بيننا ، وحزرنا[٣] للقوم يوم بدرٍ . ثم دخل عمر[٤] على رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله ، هذا عدوّ الله عمير بن وهبٍ ، قد جاء متوشّحاً سيفه . قال : « فأدخله عليّ » . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ؛ فإنّه غير مأمونٍ . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلمّا رآه رسول الله ، وعمر آخذٌ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحيةٍ خيرٍ من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهلِ الجنة » . قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهدٍ . قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسيرِ الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال : قبّحها الله من سيوفٍ ، وهل أغنت شيئاً ؟ قال : « اصدقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلّا لذلك . قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أميّة في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريشٍ ، ثم قلت : لولا دَينٌ عليّ وعيالٌ عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمّل لك صفوان بن أميّة بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك » . فقال عميرٌ : أشهد أنّك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزّل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنّي لأعلم ما أتاك به إلّا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحقّ ، فقال رسول الله ﷺ : « فقّهوا أخاكم في دينه ، وعلّموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » . ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ، إنّي كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحبّ أن تأذن لي فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ؛ لعلّ الله يهديهم ، وإلّا آذيتهم في دينهم كما

---

(١) في (ط) : « ما أن » . و« إن » هنا بمعنى « ما » النافية .
(٢) في « السيرة النبوية » : « قِبَلهم » .
(٣) حزر : قدر بالتخمين .
(٤) لفظ « عمر » سقط من : (ط) .

كنتُ أوذي أصحابك في دينهم . قال : فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهبٍ يقول : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ ، تنسيكم أيامَ[١] بدرٍ .

وكان صفوان يسأل عنه الرّكبان ، حتى قدم راكبٌ فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلّمه أبداً ، ولا ينفعه بنفعٍ أبداً .

قال ابن إسحاق[٢] : فلمّا قدم عميرٌ مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذىً شديداً ، فأسلم على يديه ناسٌ كثيرٌ .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهبٍ ، أو الحارث بن هشامٍ ، هو الذي رأى عدوّ الله إبليس ، حين نكص على عقبيه يوم بدرٍ ، وفرّ هارباً ، وقال : إنّي بريءٌ منكم ، إنّي أرى ما لا ترون . وكان إبليس يومئذٍ في صورة سراقة بن مالك بن جعشمٍ أمير مدلجٍ .

فصل

ثم إنّ الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، تكلّم على ما نزل من القرآن في قصة بدرٍ ، وهو من أول سورة « الأنفال » إلى آخرها ، فأجاد وأفاد[٣] ، وقد تقصّينا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير »[٤] فمن أراد الاطّلاع على ذلك فلينظره ثمّ ، ولله الحمد والمنّة .

فصل

ثم شرع ابن إسحاق في تَسْمِيَةِ من شهد بدراً من المسلمين[٥] ، فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً ، ثم أسماء من شهدها[٦] من الأنصار أوسها وخزرجها ، إلى أن قال[٧] : فجميع من شهد بدراً من المسلمين ؛ من المهاجرين والأنصار ؛ من شهدها [منهم] ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلاثمئة رجلٍ وأربعة عشر رجلاً ؛ من المهاجرين ثلاثةٌ وثمانون ، ومن الأوس أحدٌ وستون رجلاً ، ومن الخزرج مئةٌ وسبعون رجلاً . وقد سردهم البخاريّ في « صحيحه »[٨] مرتّبين على حروف

---

(١) في (ط) : « وقعة » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٦ ـ ٦٧٧) .
(٤) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٥ ـ ٥٩٩) و(٤/ ٣ ـ ٤٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٧٧ ـ ٧٠٦) ولفظ « منهم » مستدرك منه .
(٦) سقط من : (ط) .
(٧) انظر « سيرة ابن إسحاق » ص (٢٨٨) وانظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٧٠٦) .
(٨) انظر « صحيح البخاري » ، باب تسمية من سمي من أهل بدر . . ، من كتاب « المغازي » . « فتح الباري » (٧/ ٣٢٦) بعد الحديث رقم (٤٠٢٧) .

المعجم ، بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبي بكرٍ ، وعمر[١] ، وعثمان ، وعليٍّ ، رضي الله عنهم .

وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتّبين على حروف المعجم[٢] ، وذلك من كتاب « الأحكام الكبير » للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المَقْدِسِيِّ ، وغيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيِّد ولد آدم محمدٍ رسول الله ﷺ .

حرف الألف

أُبيّ بن كعبٍ النّجّاريّ سيِّد القُرّاء ، الأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ المخزوميّ . أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان ، أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنمٍ . كذا قال موسى بن عقبة[٣] .

وقال الأمويّ : سوادٌ بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عديّ . شكّ فيه . وقال سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق[٤] : سواد بن زريق بن ثعلبة .

وقال ابن عائذٍ : سواد بن زيدٍ[٥] . أسير بن عمروٍ الأنصاريّ أبو سليطٍ . وقيل : أسير بن عمروٍ بن أميّة بن لوذان بن سالم بن ثابتٍ الخزرجيّ . ولم يذكره موسى بن عقبة .

أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسيّ . كذا سماه موسى بن عقبة[٦] . وسماه الأمويّ في « السيرة » أُنَيْسَاً[٧] .

[قلت : وأنس بن مالكٍ خادم النبيّ ﷺ ، لما روى عمر بن شبّة النّميريّ[٨] ، حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، عن أبيه ، عن ثمامة بن أنس قال : قيل لأنس بن مالكٍ : أشهدت بدراً ؟ قال : وأين أغيب عن بدرٍ لا أمّ لك ؟! .

---

(١) اسم « عمر » رضي الله عنه ، سقط من : (ط) .

(٢) وقد ذكرهم بترتيب آخر ابن سَيِّد الناس في « عيون الأثر » (١/ ٤١٧ ـ ٤٣٢) طبع دار ابن كثير .
وقد صنَّف العالم الحموي (محمد الحسن السَّمان الحموي) صاحب « فيض المنعم من صحيح مسلم » مصنَّفاً في ذكرهم لازال مخطوطاً ويحتفظ به مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدُبي .

(٣) يعني تسمية « أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غنم » فقط . وقد ذكر هذا القول معزواً لابن عقبة ، ابنُ الأثير في « أسد الغابة » (١/ ١٠٣) وابنُ حجر في « الإصابة » (١/ ٧٣ ـ ٧٤) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٨) .

(٥) وذكره بهذه التسمية ابنُ حجر في « الإصابة » (١/ ٧٤) ، ولم يعزها لأحد .

(٦) انظر « أسد الغابة » (١/ ١٥٠) .

(٧) في (ط) والأموي في السيرة أنيس ، وهو خطأ .

(٨) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٣٦١) .

وقال محمد بن سعدٍ[١] : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، ثنا أبي ، عن مولىً لأنس بن مالكٍ ، أنّه قال لأنسٍ : شهدت بدراً ؟ قال : لا أمّ لك ، وأين أغيب عن بدرٍ ؟! قال محمد بن عبد الله الأنصاريّ : خرج أنس بن مالكٍ مع رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وهو غلامٌ يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجّاج المزّيّ في « تهذيبه »[٢] : هكذا قال الأنصاريّ ، ولم يذكر ذلك أحدٌ من أصحاب المغازي] .

أنس بن معاذ [بن أنس] بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمروٍ بن مالك بن النّجار . أنسة الحبشيّ مولى رسول الله ﷺ . أوس بن ثابت بن المنذر النّجاريّ . أوس بن خَوْلِيٍّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن [الخزرج الخزرجيّ . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث] بن خوليٍّ . أوس بن الصّامت الخزرجيّ أخو عبادة بن الصّامت . إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكرٍ حليف بني عديّ بن كعبٍ .

حرف الباء

بجير بن أبي بجيرٍ حليف بني النّجّار . بحّاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمّارة البلويّ حليف الأنصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمروٍ بن سعيد[٣] بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنيّ حليف بني ساعدة ، وهو أحد العينين[٤] هو وعديّ بن أبي الزّغباء كما تقدّم . بشر ابن البراء بن معرورٍ الخزرجيّ الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجيّ والد النّعمان بن بشيرٍ . ويقال : إنّه أول من بايع الصّدّيق . بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسيّ ، ردّه ، عليه الصلاة والسلام ، من الرّوحاء واستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يَعار بن قيس بن عديّ بن أميّة بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . تميمٌ مولى خراش بن الصّمّة . تميمٌ مولى بني غنم بن السّلم . وقال ابن هشامٍ[٥] : هو مولى سعد بن خيثمة .

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٣٦١) .

(٢) انظر « تهذيب الكمال » (٣/ ٣٦٨) .

(٣) في « الاستيعاب » (١/ ١٩٠) و« جمهرة أنساب العرب » ص (٤٤٤) و« أسد الغابة » (١/ ٢١٣) و« الإصابة » (١/ ٢٨٨) : « سعد » .

(٤) يعني أنه كان هو وعدي عينين يترقبان موعد نزول عِير أبي سفيان ببدر ، قبيل الغزوة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٠) .

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عديّ بن العجلان . ثابت بن ثعلبة ـ ويقال لثعلبة هذا : الجذع ـ بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة . ثابت بن خالد بن النّعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النّجار النّجاريّ . ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عديّ بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار النجّاريّ . ثابت بن عمرو بن زيد بن عديّ بن سَوادِ بن مالك بن غنم بن مالك بن النجّار النجّاريّ . ثابت بن هزّالٍ الخزرجيّ . ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس . ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالكٍ النجّاريّ . ثعلبة بن عمرو بن محصنٍ الخزرجيّ . ثعلبة بن عتمة بن عديّ بن نابي السّلميّ . ثقف بن عمروٍ ، من بني حجر آل بني سليمٍ ، وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسدٍ .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النّجّار النّجّاريّ . جابر بن عبد الله بن رئاب بن النّعمان بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سِلمة السّلميّ ، أحد الذين شهدوا العقبة .

[قلت : فأمّا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرامٍ السّلميّ أيضاً ، فذكره البخاريّ فيهم في مسندٍ[١] ، عن سعيد بن منصورٍ ، عن أبي معاويةَ ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابرٍ قال : كنت أميح[٢] لأصحابي الماء يوم بدرٍ . وهذا الإسناد على شرط مسلمٍ ، لكن قال محمد بن سعدٍ[٣] : ذكرت لمحمد بن عمر ـ يعني الواقديّ ـ هذا الحديث ، فقال : هذا وهمٌ من أهل العراق . وأنكر أن يكون جابرٌ شهد بدراً .

وقال الإمام أحمد بن حنبلٍ[٤] : حدثنا روح بن عبادة ، ثنا زكريا بن إسحاق ، ثنا أبو الزّبير ، أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوةً ، ولم أشهد بدراً ولا أحداً ، منعني أبي ، فلمّا قتل أبي يوم أحدٍ ، لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ عن غزاةٍ .

ورواه مسلم[٥] ، عن أبي خيثمة عن روحٍ][٦] .

---

(١) لعله في كتابه « المصنّف في أسماء الصحابة » الذي ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١/ ٨٩) .

(٢) في (ط) : « أمتح » .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (١١/ ٢١٧) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٢٩) .

(٥) رواه « مسلم » (١٨١٣) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) .

جبّار بن صخرٍ السلميّ . جبر بن عتيكٍ الأنصاريّ . جبير بن إياسٍ الخزرجيّ .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافعِ الخزرجيّ . الحارث بن أوس بن معاذٍ ، ابن أخي سعد بن معاذٍ الأوسيّ . الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة بن زيد بن مالك بن الأوس ، ردّه ، عليه الصلاة والسلام ، من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن خزمة بن عديٍّ بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، حليفٌ لبني زعورا بن عبد الأشهل . الحارث بن الصّمّة الخزرجيّ ، ردّه عليه الصلاة والسلام ؛ لأنّه كسر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن عرفجة الأوسيّ . الحارث بن قيس بن خالدٍ[1] أبو خالدٍ الخزرجيّ . الحارث بن النّعمان بن أميّة الأنصاريّ . حارثة بن سراقة النّجّاريّ ، أصابه سهمٌ غربٌ وهو في النّظّارة ، فرفع إلى الفردوس . حارثة بن النّعمان بن رافعٍ الأنصاريّ . حاطب بن أبي بلتعة اللّخميّ ، حليف بني أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة الأشجعيّ ، من بني دهمان . هكذا ذكره ابن هشامٍ[2] عن غير ابن إسحاق .

وقال الواقديّ[3] : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍّ .

وكذا ذكره ابن عائذٍ في « مغازيه » .

وقال ابن أبي حاتمٍ[4] : حاطب بن عمرو بن عبد شمسٍ . سمعته من أبي ، وقال : هو رجل مجهولٌ .

الحباب بن المنذر الخزرجيّ . ويقال : كان لواء الخزرج معه يومئذٍ . حبيب بن أسود مولى بني حرامٍ من بني سلِمة . وقال موسى بن عقبة[5] : حبيب بن سعدٍ . بدل « أسود » .

وقال ابن أبي حاتمٍ[6] : حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج . أنصاريّ بدريّ . حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه الأنصاريّ أخو عبد الله بن زيد الذي أري النِّداء[7] . الحصين بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ . حمزة بن عبد المطلب بن هاشمٍ عمّ رسول الله ﷺ .

---

(١) في (ط) : « خلدة » وانظر « أسد الغابة » (١/ ٤١١) و(٦/ ٨١) و« الإصابة » (١/ ٥٩٣) و« سيرة ابن هشام » (١/ ٧٠٠) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٨) وليس عنده : « الأشجعي من بني دهمان » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٥٦) .

(٤) انظر « الجرح والتعديل » (٣/ ٣٠٣) .

(٥) انظر « الاستيعاب » (١/ ٣١٩) .

(٦) انظر « الجرح والتعديل » (٣/ ٩٦) .

(٧) أي : الأذان .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياسٍ المتقدّم . خالد بن زيدٍ أبو أيوب النّجّاريّ . خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاريّ . خارجة بن الحميّر ، حليف بني خنساء من الخزرج ، وقيل : اسمه حمزة[١] بن الحميّر . وسمّاه ابن عائذٍ : أبا خارجة[٢] ، فالله أعلم . خارجة بن زيدٍ الخَزْرَجيّ صهر الصّدّيق . خبّاب بن الأرتّ ، حليف بني زهرة ، وهو من المهاجرين الأوّلين ، وأصله من بني تميم ، ويقال : من خزاعة . خبّابٌ مولى عتبة بن غزوان ، من المهاجرين الأوّلين . خراش بن الصّمّة السّلميّ . خبيب بن إساف [بن عنبة][٣] الخَزْرَجيّ . خريم بن فاتكٍ . ذكره البخاريّ[٤] فيهم . خليفة بن عديٍّ الخزرجيّ . خليد بن قيس بن النّعمان بن سنان بن عبيدٍ [الأنصاريّ السّلميّ][٥] . خنيس بن حذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهمٍ بن عمرو بن هصيصٍ بن كعب بن لؤيّ السّهميّ . قتل يومئذٍ فتأيّمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب . خوّات بن جبيرٍ الأنصاريّ ، ضرب له بسهمه وأجره ، ولم يشهدها بنفسه . خوليّ بن أبي خَوْلِيٍّ ! العجليّ حليف بني عديّ . من المهاجرين الأوّلين . خلاّد بن رافعٍ . وخلاّد بن سويدٍ . وخلاّد بن عمرو بن الجموح الخزرجيّون .

حرف الذّال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجيّ . ذو الشّمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامرٍ ، من خزاعة ، حليفٌ لبني زهرة ، قتل يومئذٍ شهيداً .

قال ابن هشامٍ[٦] : واسمه عميرٌ ، وإنّما قيل له : ذو الشّمالين ؛ لأنّه كان أعسر .

حرف الرّاء

رافع بن الحارث الأوسيّ . رافع بن عُنجَدة . قال ابن هشامٍ[٧] : هي أمّه . رافع بن المعلّى بن لوذان الخزرجيّ قتل يومئذٍ . ربعيّ بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجدّ بن عجلان بن ضبيعة . وقال موسى بن عقبة : ربعيّ بن أبي رافعٍ . ربيع بن إياسٍ الخزرجيّ . ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن

(١) في (ط) : « حارثة » .
(٢) في (آ) و(ط) : « خارجة » والتصحيح من « المشتبه » (١/ ٢٥١) و« تبصير المنتبه » (١/ ٤٥٦) .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من : (آ) . وانظر « أسد الغابة » (٢/ ١١٨) و« الإصابة » (٢/ ٢٦١) .
(٤) انظر « التاريخ الكبير » (٣/ ٢٢٤) .
(٥) ما بين الحاصرتين سقط من : (آ) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨١) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٨) .

لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليفٌ لبني عبد شمس بن عبد منافٍ ، وهو من المهاجرين الأوّلين . رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجيّ . رفاعة بن رافعٍ الزّرقيّ ، أخو خلّاد بن رافعٍ . رفاعة بن عبد المنذر بن زنبرٍ الأوسيّ أخو أبي لبابة . رِفاعةُ بن عمرو بن زيدٍ الخزرجيّ .

حرف الزّاي

الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ ، ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريّه . زياد بن عمروٍ . وقال موسى بن عقبة[1] : زياد بن الأخرس بن عمروٍ الجهنيّ . وقال الواقديّ : زياد بن كعبٍ بن عمروٍ بن عديٍّ بن عمرو بن رفاعة بن كليبٍ بن مودوعة[2] بن عديّ بن عمرو بن الرُّبْعي[3] بن رشدان بن قَيْسٍ بن جهينة . زياد بن لبيد الزّرقيّ . زيد[4] بن المزيّن بن قيسٍ الخزرجيّ . زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عديّ بن عجلان بن ضبيعة . زيد بن حارثة شراحيل[5] مولى رسول الله ﷺ ، رضي الله عنه . زيد بن الخطّاب بن نُفَيْلٍ أخو عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنهما . زيد بن سهل بن الأسود بن حرامٍ النّجّاريّ أبو طلحة ، رضي الله عنه .

حرف السّين

سالم بن عميرٍ الأوسيّ . سالم بن عوفٍ الخزرجيّ . [سالم بن معقلٍ مولى أبي حذيفة][6] . السّائب بن عثمان بن مظعونٍ الجمحيّ . شهد[7] مع أبيه . سبرة بن فاتكٍ . ذكره البخاريّ . سبيع بن قيس بن عيشة الخزرجيّ . سراقة بن عمروٍ النّجّاريّ . سراقة بن كعبٍ النّجّاريّ أيضاً . سعد بن خولة مولى بني عامرٍ بن لؤيٍّ ، من المهاجرين الأوّلين . سعد بن خيثمة الأوسيّ ، قتل يومئذٍ شهيداً . سعد بن الرّبيع الخزرجيّ الذي قتل يوم أحدٍ شهيداً . سعد بن زيد بن مالك الأوسيّ . [وقال الواقدي][8] سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجيّ . سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النّجّاريّ . سعد بن عبيدٍ الأنصاريّ . سعد بن

---

(١) انظر « الاستيعاب » (٢/ ٥٣٣) و« أسد الغابة » (٢/ ٢٧٣) .
(٢) في (آ) : « بردعة » وفي (ط) : « برذعة » والتصحيح من « أسد الغابة » وانظر « الإصابة » (٢/ ٥٨٦) .
(٣) في (ط) : « الزبعري » . وانظر « أسد الغابة » (٢/ ٢٧٣) و« تبصير المنتبه » (٢/ ٥٩٢) .
(٤) في (آ) و(ط) : « زياد » والتصحيح من « الاستيعاب » (٢/ ٥٥٨) و« أسد الغابة » (٢/ ٣٠٠) و« الإصابة » (٢/ ٦٢٠) وعندهم جميعاً وسماه الواقدي « يزيد » .
(٥) في (ط) : « شرحبيل » .
(٦) سقط من : (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) يعني شهد بدراً .
(٨) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) .

عثمان بن خلدة الخزرجيّ أبو عبادة . وقال ابن عائذٍ : أبو عبيدة . سعد بن معاذٍ الأوسيّ . كان لواء الأوس معه . سعد بن عبادة بن دليمٍ الخزرجيّ . ذكره غير واحدٍ ؛ منهم عروة ، والبخاريّ ، وابن أبي حاتمٍ ، والطّبرانيّ فيمن شهد بدراً ، ووقع في « صحيح مسلمٍ »[١] ما يشهد بذلك حين شاور النبيّ ﷺ في ملتقى النّفير من قريشٍ ، فقال سعد بن عبادة : كأنّك تريدنا يا رسول الله ، الحديث . والصحيح أنّ ذلك سعد بن معاذٍ ، والمشهور[٢] أنّ سعد بن عبادة ردّه من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة . وقيل : لدغته حيّةٌ ، فلم يتمكّن من الخروج إلى بدرٍ . حكاه السّهيليّ عن ابن قتيبة[٣] ، فالله أعلم .

سعد بن أبي وقّاصٍ مالك بن أهيبٍ الزّهريّ ، أحد العشرة . سعد بن مالكٍ أبو سهلٍ . قال الواقديّ[٤] : تجهّز ليخرج ، فمرض فمات قبل الخروج . سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيلٍ العدويّ ، ابن عمّ عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعهم من بدرٍ ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . سفيان بن بشر بن عمروٍ الخزرجيّ . سلمة بن أسلم بن حريشٍ الأوسيّ . سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة . سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة . سليمٌ بن الحارث النّجاريّ . سليم بن عمروٍ السّلميّ . سليم بن قيس بن فهدٍ الخزرجيّ . سليم بن ملحان ، أخو حرام بن ملحان النّجّاريّ . سماك بن أوس بن خرشة ، أبو دجانة . ويقال : سماك بن خرشة . سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجيّ . وهو أخو بشير بن سعدٍ المتقدّم . سهل بن حنيفٍ الأوسيّ . سهل بن عتيكٍ النّجّاريّ . سهل بن قيسٍ السّلميّ . سهيل[٥] بن رافعٍ النّجّاريّ . الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبويّ كما تقدّم . سهيل بن وهبٍ الفهريّ ، وهو ابن بيضاء ، وهي أمّه . سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان ، من المهاجرين ، حليف بني عبد شمس بن عبد منافٍ . سنان بن صيفيٍّ السّلميّ . سواد بن زريق بن زيدٍ الأنصاريّ[٦] . وقال الأمويّ : سواد بن رزام . سواد بن غزيّة بن أُهيبٍ البلويّ . سويبط بن سعد بن حرملة العبدريّ . سويد بن مخشيٍّ أبو مخشيٍّ الطّائيّ ، حليف بني عبد شمسٍ ، وقيل : اسمه أربد[٧] بن حميّرٍ[٨]

---

(١) انظر « مسلم » (١٧٧٩) .
(٢) اختُلف في شهود سعد بن عبادة بدراً . انظر « الاستيعاب » (٢/ ٥٩٤) و« أسد الغابة » (٢/ ٣٥٦) و« الإصابة » (٣/ ٦٦) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٢٩٦) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٠١) .
(٥) في (آ) : « سهل » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب . وانظر « الاستيعاب » (٢/ ٦٣٣) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٨) .
(٧) في (آ) و(ط) : « أزيد » وفي « أسد الغابة » (١/ ٧٢) و« الإصابة » (١/ ٤٢) و« تبصير المنتبه » (١/ ٤٦٥) : « أربد » .
(٨) في (آ) : « حميرة » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .

حرف الشّين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة ، حليف بني عبد شمسٍ ، من المهاجرين الأوّلين . شمّاس بن عثمان المخزوميّ .

قال ابن هشامٍ[١] : واسمه عثمان بن عثمان ، وإنّما سمّي شمّاساً ؛ لحسنه وشبهه شمّاساً كان في الجاهليّة . شقران مولى رسول الله ﷺ .

قال الواقديّ[٢] : لم يسهم له ، وكان على الأسرى ، فأعطاه كلّ رجلٍ ممّن له في الأسرى[٣] شيئاً ، فحصل له أكثر من سهمٍ .

حرف الصّاد

صهيب بن سنانٍ الرّوميّ ، من المهاجرين الأوّلين . صفوان بن وهب بن ربيعة الفهريّ ، أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذٍ . صخر بن أميّة بن خنساء السّلميّ .

حرف الضّاد

ضحّاك بن حارثة بن زيدٍ السّلميّ . ضحّاك بن عبد عمروٍ النجّاريّ . ضمرة بن عمروٍ الجهنيّ . وقال موسى بن عقبة[٤] : ضمرة بن كعب بن عمروٍ حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمروٍ .

حرف الطّاء

طلحة بن عبيد الله التّيميّ ، أحد العشرة ، قدم من الشام بعد مرجعهم من بدرٍ ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . طفيل بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، من المهاجرين ، وهو أخو حصينٍ وعبيدة . طفيل بن مالك بن خنساء السّلميّ . طفيل بن النّعمان بن خنساء السّلميّ ، ابن عمّ الذي قبله . طُليب بن عمير بن وهب بن أبي[٥] كثير[٦] بن عبد بن[٧] قصيٍّ . ذكره الواقديّ[٨] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٣) .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ١٥٣) .
(٣) لفظ « الأسرى » سقط من (آ) .
(٤) انظر « الاستيعاب » (٢/ ٧٤٩) و« أسد الغابة » (٣/ ٦٢) .
(٥) سقط من (ط) وانظر « الاستيعاب » (٢/ ٧٧٢) و« الإصابة » (٣/ ٥٤٠) .
(٦) في (آ) و(ط) : « كبير » والتصحيح من « الاستيعاب » و« الإصابة » .
(٧) سقط من : (ط) . وانظر « الاستيعاب » و« الإصابة » .
(٨) انظر « المغازي » (١/ ١٥٤) .

حرف الظّاء

ظُهير بن رافعٍ الأوسيّ . ذكره البخاريّ[1]

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ ، الذي حمته الدّبر[2] حين قتل بالرّجيع . عاصم بن عديٍّ بن الجدّ بن عجلان ، ردّه عليه السلام من الرّوحاء ، وضرب له بسهمه وأجره . عاصم بن قيس بن ثابتٍ الخزرجيّ . عاقل بن البكير ، أخو إياسٍ وخالدٍ وعامرٍ . عامر بن أميّة بن زيد بن الحسحاس النجّاريّ . عامر بن الحارث الفهريّ . كذا ذكره سلمة ، عن ابن إسحاق ، وابن عائذٍ . وقال موسى بن عقبة وزيادٌ ، عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث[3] . عامر بن ربيعة بن مالكٍ العنزي ، حليف بني عديٍّ ، من المهاجرين . عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلويّ القضاعيّ ، حليف بني مالك بن سالم بن غنمٍ .

قال ابن هشامٍ[4] : ويقال : عمرو[5] بن سلمة . عامر بن عبد الله بن الجرّاح [بن هلال بن أُهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهرٍ ، أبو عبيدة بن الجرّاح][6] ، أحد العشرة ، من المهاجرين الأوّلين . عامر بن فهيرة مولى أبي بكرٍ . عامر بن مخلّدٍ النجّاريّ . عائذ بن ماعص بن قيسٍ الخزرجيّ . عبّاد بن بشر بن وقشٍ الأوسيّ . عبّاد بن قَيس بن عامرٍ الخزرجيّ . عبّاد بن قَيس بن عيشة الخزرجيّ ، أخو سبيعٍ المتقدّم . عبادة[7] بن الخشخاش القضاعيّ . عبادة بن الصّامت الخزرجيّ . عبادة[8] بن قيس بن كعب بن قيسٍ . عبد الله بن أميّة بن عرفطة . عبد الله بن ثعلبة بن خزمة ، أخو بحّاثٍ المتقدّم . عبد الله بن جحش بن رئابٍ[9] الأسديّ . عبد الله بن جبير بن النّعمان الأوسيّ . عبد الله بن الجدّ بن قيسٍ السّلميّ . عبد الله بن حقّ بن أوس السّاعديّ . وقال موسى بن عقبة ، والواقديّ ، وابن عائذٍ : عبد ربٍّ

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠١٢) و(٤٠١٣) .
(٢) الدَّبْر : جماعة النحل والزنابير . انظر « القاموس المحيط » (دبر) .
(٣) انظر الاختلاف في اسمه في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٣) .
(٥) في (ط) : « عمر » .
(٦) سقط من : (آ) وأثبته من (ط) . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ١٢٨) و« الإصابة » (٣/ ٥٨٦) .
(٧) في (ط) : « عبَّاد » .
(٨) في (ط) : « عبَّاد » .
(٩) في (آ) : « ريان » . وانظر « الاستيعاب » (٣/ ٨٧٧) و« أسد الغابة » (٣/ ١٩٤) و« الإصابة » (٤/ ٣٥) .

ابن حقٍّ . وقال ابن هشام[١] : عبد ربّه بن حقٍّ . عبد الله بن الحميّر ، حليفٌ لبني حرامٍ ، وهو أخو خارجة بن الحميّر من أشجع . عبد الله بن الرّبيع بن قيسٍ الخزرجيّ . عبد الله بن رواحة الخزرجيّ . عبد الله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة[٢] الخزرجيّ ، الذي أري النّداء . عبد الله بن سرَاقة العدويّ . لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقديّ ولا ابن عائذٍ ، وذكره ابن إسحاق وغيره[٣] . عبد الله بن سلمة بن مالكٍ العجلانيّ[٤] ، حليف الأنصار . عبد الله بن سهل[٥] بن رافعٍ ، أخو بني زعورا . عبدُ الله بن سهيل بن عمروٍ ، خرج مع أبيه والمشركين ، ثم فرّ من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم . عبد الله بن طارق بن مالكٍ القضاعيّ ، حليف الأوس . عبد الله بن عامرٍ ، من بليٍّ ، ذكره ابن إسحاق[٦] . عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول الخزرجيّ ، وكان أبوه رأس المنافقين . عبد الله بن عبد الأسد بن هلالٍ بن عبد الله بن عمر[٧] بن مخزومٍ ، أبو سلمة ، زوج أمّ سلمة ، قتل يومئذٍ[٨] . عبد الله بن عبد مناف بن النّعمان السّلميّ . عبد الله بن عبسٍ . عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد[٩] بن تيم بن مرّة بن كعبٍ ، أبو بكرٍ الصّدّيق ، رضي الله عنه . عبد الله بن عرفطة بن عديٍّ الخزرجيّ . عبد الله بن عمروٍ[١٠] بن حرامٍ السّلميّ ، أبو جابرٍ . عبد الله بن عمير بن عديٍّ الخزرجيّ . عبد الله بن قيس بن خالدٍ النجّاريّ . عبد الله بن قيس بن صخر بن حرامٍ السّلميّ . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجّار ، جعله النّبيّ ﷺ مع عديّ بن أبي الزّغباء على النّفل يوم بدرٍ . عبد الله بن مخرمة بن عبد العُزّى ، من المهاجرين الأوّلين . عبد الله بن مسعودٍ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) . وهو قول ابن إسحاق ، وإنما سكت عليه ابن هشام ولم يذكر قولاً آخر بعده .

(٢) كذا في (آ) و(ط) وفي « المغازي » للواقدي (١/ ١٦٦) و« سيرة ابن هشام » (١/ ٦٩٢) و« أسد الغابة » (٣/ ٢٤٧) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه » . وفي « الإصابة » (٤/ ٩٧) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد . . » ثم قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : كذا نسبه أبو عمر ـ انظر « الاستيعاب » (٣/ ٩١٢) ـ فزاد في نسبه ثعلبة ، والمعروف إسقاطه . انتهى من « الإصابة » ، وليس عند ابن عبد البر « ثعلبة » الأخير .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٤) و« الإصابة » (٤/ ١٠٥) حيث أشار الحافظ ابن حجر إلى أن ابن إسحاق والزبير وخليفة اتفقوا على شهوده بدراً . وقال عقب ذلك : واختلف على موسى بن عقبة في شهوده بدراً .

(٤) في (آ) و(ط) : « العجلان » والتصحيح من « الاستيعاب » (٣/ ٩٢٣) و« أسد الغابة » (٣/ ٢٦٦) .

(٥) في (آ) : « سهيل » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٢٦٩) و« الإصابة » (٤/ ١٢٢) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) .

(٧) في (ط) : « عمرو » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٢٩٤) و« الإصابة » (٤/ ١٥٢) .

(٨) والصواب أنه شهد أحداً ، وأن وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة أربع بعد انتقاض جرح أصابه بأحد . وهو قول الجمهور ـ كما نقله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٤/ ١٥٤) .

(٩) قوله : « ابن سعد » سقط من : (آ) . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٣٠٩) و« الإصابة » (٤/ ١٦٩) .

(١٠) في (ط) : « عمر » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٣٤٦) و« الإصابة » (٤/ ١٨٩) .

الهذليّ ، حليف بني زهرة ، من المهاجرين الأوّلين . عبد الله بن مظعونِ الجمحيّ ، من المهاجرين الأولين . عبد الله بن النّعمان بن بُلدُمة السّلميّ . عبد الله بن أُنَيسَة[١] بن النّعمان السّلميّ . عبد الرحمن ابن جبر بن عمروٍ ، أبو عبسٍ[٢] الخزرجيّ . عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة ، أبو عقيلٍ القُضاعيُّ البلويّ . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلابٍ الزّهريّ ، أحد العشرة ، رضي الله عنهم . عبس بن عامر بن عديٍّ السّلميّ ، عبيد بن التّيّهان ، أخو أبي الهيثم بن التّيّهان ، ويقال : « عتيكٌ » بدل « عبيدٍ » . عبيد[٣] بن ثعلبة من بني غنم بن مالكٍ . عبيد[٤] بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامرٍ . عبيد بن أبي عبيدٍ . عبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، أخو الحصين والطّفيل ، وكان أحد الثلاثةِ الذين بارزوا يوم بدرٍ ، فقطعت يده ، ثم مات بعد المعركة ، رضي الله عنه . عتبان بن مالك بن عمروٍ الخزرجيّ . عتبة بن ربيعة بن خالدٍ بن معاوية البهرانيّ ، حليف بني أميّة بن لوذان . عتبة بن عبد الله بن صخرٍ السّلميّ . عتبة بن غزوان بن جابرٍ ، من المهاجرين الأوّلين . عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد منافٍ الأمويّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخُلَفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلّف على زوجته رقيّة بنت رسول الله ﷺ يمرّضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأَجره . عثمان بن مظعونٍ الجمحيّ أبو السّائب ، أخو عبد الله وقدامة ، من المهاجرين الأوّلين . عديّ بن أبي الزّغباء الجهنيّ ، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ وبسبس بن عمروٍ بين يديه عيناً . عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان . عصيمة ، حليفٌ لبني الحارث بن سوادٍ ، من أشجع ، وقيل : من بني أسد بن خزيمة . عطيّة بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجيّ . عقبة بن عامر بن نابي السّلميّ . عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجيّ ، أخو سعد بن عثمان . عقبة بن عمروٍ ، أبو مسعودٍ البدريّ . وقع في « صحيح البخاريّ »[٥] أنّه شهد بدراً ، وفيه نظرٌ عند كثيرٍ من أصحاب المغازي[٦] ؛ ولهذا لم يذكروه . عقبة بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة حليفٌ لبني عبد شمسٍ ، وهو أخو شجاع بن وهبٍ ، من المهاجرين الأوّلين . عقبة بن وهب بن كَلدة ، حليف بني غطفان . عكّاشةبن محصنٍ الغنميّ ، من المهاجرين الأوّلين ، وممّن لا حساب عليه . عليّ بن أبي طالبٍ الهاشميّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذٍ ، رضي الله عنه . عمّار بن ياسرٍ العنسيّ المذحجيّ ، من المهاجرين الأولين . عمارة بنُ حزم بن زيدٍ النجّاريّ . عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الشيخين المقتدى بهما ، رضي الله عنهما . عمرو بنُ إياسٍ من أهل اليمن ، حليفٌ لبني

---

(١) كذا في (ط) : « ابن أنيسة » ، وهو الصواب وفي (آ) : « ابن هنسة » .

(٢) في (آ) : « عنس » . وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .

(٣) في (آ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٥٣٥) و« الإصابة » (٤/ ٤٠٨) .

(٤) في (آ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٥٣٩) و« الإصابة » (٤/ ٤١١) .

(٥) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٠٧) .

(٦) انظر ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني حول هذا الموضوع في « فتح الباري » (٧/ ٣١٨ـ ٣١٩) .

لوذان بن عمرو بن سالمٍ ، وقيل : هو أخو ربيعٍ وودقة . عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عديٍّ بن مالك بن عديٍّ بن عامرٍ ، أبو حكيم . عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهرٍ الفهريّ . عمرو بن سراقة العدويّ ، من المهاجرين ، عمرو بن أبي سرح الفهريّ ، من المهاجرين . وقال الواقديّ ، وابن عائذٍ : « معمرٌ » بدل « عمروٍ » . عمرو بن طلق بن زيد بن أميّة بن سنان بن كعب بن غنمٍ وهو في بني حرام . عمرو بن الجموح بن حرامٍ الأنصاريّ . عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم . ذكره الواقديّ والأمويّ عمرو بن قيس بن مالك بن عديٍّ[1] [بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي][2] بن عامرٍ ، أبو خارجة . ولم يذكره موسى بن عقبة . عمرو بن عامر بن الحارث الفهريّ . ذكره موسى بن عقبة . عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسيّ . عمرو بن معاذٍ الأوسيّ ، أخو سعد بن معاذٍ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ، ويقال : عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السّلميّ . عمير بن حرام بن الجموح السّلميّ . ذكره ابن عائذٍ والواقديّ . عمير بن الحمام بن الجموح ، ابن عمّ الذي قبله ، قتل يومئذٍ شهيداً . عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازنٍ ، أبو داود المازنيّ . عمير بن عوفٍ ، مولى سهيل بن عمروٍ . وسمّاه الأمويّ وغيره عمرو بن عوفٍ . وكذا وقع في « الصحيحين »[3] في حديث[4] بعث أبي عبيدة إلى البحرين . عُمَيرُ بن مالك بن أهيبٍ الزّهريّ ، أخو سعد بن أبي وقّاصٍ ، قتل يومئذٍ شهيداً . عنترة مولى بني سليم ، وقيل : إنّه منهم . فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجّاريّ ، وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجّاريّة ، قتل يومئذٍ شهيداً . عويم بن ساعدة الأنصاريّ من بني أميّة بن زيدٍ . عياض بن غنمٍ الفهريّ ، من المهاجرين الأوّلين ، رضي الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنّام بن أوسٍ الخزرجيّ . ذكره الواقديّ[5] ، وليس بمجمعٍ عليه .

---

(١) بعده في (آ) و(ط) : « بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي » والتصحيح في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٤) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٤) وانفردت به (ط) .

(٣) انظر « صحيح البخاري » (٣١٥٨) و(٤٠١٥) و(٦٤٢٥) و« صحيح مسلم » (٢٩٦١) وقال الحافظ في « فتح الباري » (٦/ ٢٦٢) : وكأنه كان يقال فيه بالوجهين ، وقد فرق العسكري بين عمير بن عوف وعمرو بن عوف ، والصواب الوحدة .

(٤) لفظ « حديث » سقط من : (آ) .

(٥) انظر « المغازي » (١/ ١٧٢) .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجيّ . فروة بن عمرو بن ودقة الخزرجيّ .

حرف القاف

قتادة بن النّعمان الأوسيّ . قدامة بن مظعونٍ الجمحيّ ، من المهاجرين ، أخو عثمان وعبد الله . قطبة بن عامر بن حديدة السّلميّ . قيس بن السّكن النّجّاريّ . قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيدٍ المازنيّ ، كان على الساقة يوم بدرٍ . قيس بن محصن بن خالدٍ الخزرجيّ . قيس بن مخلّد بن ثعلبة النّجّاريّ .

حرف الكاف

كعب بنُ حمارٍ ، وَيُقالُ : جمّازٍ[١] . ويقال : حمّان[٢] . وقال ابن هشامٍ[٣] : من غبشان ، ويقال : كعب بن مالك بن ثعلبة بن جمّازٍ . وقال الأمويّ : كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنمٍ الغسّانيّ ، من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة . كعب بن زيد بن قيسٍ النّجّاريّ . كعب بن عمروٍ ، أبو اليسر السّلميّ . كلفة بن ثعلبة ، أحد البكّائين . ذكره موسى بن عقبة . كنّاز بن حصين بن يربوعٍ ، أبو مرثدٍ الغنويّ ، من المهاجرين الأوّلين .

حرف الميم

مالك بن الدّخشم ، ويقال[٤] : ابن الدّخشن الخزرجيّ . مالك بن أبي خوليٍّ الجعفيّ ، حليف بني عديٍّ . مالك بن ربيعة ، أبو أسيدٍ الساعديّ . مالك بن قدامة الأوسيّ . مالك بن عمروٍ ، أخو ثقف بن عمروٍ ، وكلاهما مهاجريّ ، وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسدٍ . مالك بن مسعودٍ الخزرجيّ . مالك بن نميلة . وقال الواقديّ[٥] : مالك بن ثابت بن نميلة المزنيّ ، حليفٌ لبني عمرو بن عوفٍ . مبشّر ابن عبد المنذر بن زنبرٍ الأوسيّ ، أخو أبي لبابة ورفاعة ، قتل يومئذٍ شهيداً . المجذّر بن ذيادٍ[٦] البلويّ ، مهاجريٌّ . محرز بن عامرٍ النّجّاريّ . محرز بن نضلة الأسديّ ، حليف بني عبد شمسٍ ، مهاجريٌّ ،

---

(١) انظر « الاستيعاب » (٣/ ١٣١٢) و« أسد الغابة » (٤/ ٤٧٣) .
(٢) انظر « الإصابة » (٥/ ٥٩١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) .
(٤) انظر « الإصابة » (٥/ ٧٢١) .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ١٦١) .
(٦) في (آ) و(ط) : « زياد » والتصحيح من « الاشتقاق » لابن دُريد ص(٥٥٠) .

محمد بن مسلمة ، حليف بني عبد الأشهل . مدلجٌ ، ويقال : مدلاج بن عمروٍ . أخو ثقف بن عمروٍ ، مهاجريٌّ . مرثد بن أبي مرثدٍ الغنويّ . مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطّلب بن عبد منافٍ ، من المهاجرين الأوّلين ، وقيل : اسمه عوفٌ . مسعود بن أوسٍ الأنصاريّ النّجّاريّ . مسعود بن خلدة الخزرجيّ . مسعود بن ربيعة القاريّ ، حليف بني زهرة ، مهاجريٌّ . مسعود بن سعدٍ ـ ويقال : ابن عبد سعدٍ ـ ابن عامر بن عديٍّ بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث . مسعود بن سعد بن قيسٍ الخزرجيّ . مصعب بن عميرٍ العبدريّ ، مهاجريٌّ ، كان معه اللّواء يومئذٍ . معاذ بن جبلٍ الخزرجيّ . معاذ بن الحارث النّجّاريّ ، وهذا هو ابن عفراء ، أخو عوفٍ ومعوّذٍ . معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجيّ . معاذ بن ماعصٍ الخزرجيّ ، أخو عائذٍ . معبد بن عبّاد بن قشير بن الفدم[١] بن سالم[٢] بن غنمٍ ، ويقال : معبد بن عبادة بن قيسٍ . وقال الواقديّ[٣] : « قشعرٌ » بدل « قشيرٍ » . وقال ابن هشام[٤] : قشغرٌ . أبو حميضة . معبد بن قيس بن صخرٍ السّلميّ ، أخو عبد الله بن قيسٍ . معتّب بن عبيد بن إياسٍ البلويّ القضاعيّ . معتّب بن عوفٍ الخزاعيّ ، حليف بني مخزومٍ ، من المهاجرين . معتّب بن قشيرٍ الأوسيّ . معقل بن المنذر السّلميّ . معمر بن الحارث الجمحيّ ، من المهاجرين . معن بن عديٍّ الأوسيّ . معوّذ بن الحارث النّجّاريّ ، وهو ابن عفراء ، أخو معاذٍ وعوفٍ . معوّذ بن عمرو بن الجموح السّلميّ ، لعله أخو معاذ بن عمروٍ . المقداد بن عمروٍ البهرانيّ ، وهو المقداد بن الأسود ، من المهاجرين الأوّلين ، وهو ذو المقال المحمود الذي تقدّم ذكره ، وكان أحد الفرسان يومئذٍ . مليل بن وبرة الخزرجيّ . المنذر بن عمروٍ بن خنيسٍ السّاعديّ . المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجيّ . المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاريّ ، من بني جَحْجَبَى . مهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ، أصله من اليمن ، وكان أول قتيلٍ من المسلمين يومئذٍ .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفرٍ وهو[٥] كعبٌ . نعمان بن عبد عمروٍ النّجّاريّ ، وهو أخو الضّحّاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النّجّاريّ . نعمان بن عصر [ابن الرّبيع][٦] بن الحارث ، حليفٌ

---

(١) في (آ) : « القذم » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) بعده في « أسد الغابة » (٥/ ٢٢٠) و« الإصابة » (٦/ ١٦٦) : « بن مالك بن سالم » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٦٧) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٣) .

(٥) في (آ) و(ط) : « بن » والتصحيح من « الأنساب » للسمعاني (٤/ ١٠١) و« أسد الغابة » (٥/ ٣١٤) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « الاستيعاب » (٤/ ١٤٨٧) و« أسد الغابة » (٥/ ٣٣٦) و« الإصابة » (٦/ ٤٤٨) .

لبني الأوس . نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجيّ ، ويقال له : قوقلٌ . نعمان بن يسارٍ[١] ، مولىً لبني نعمان بن سنان بن[٢] عبيدٍ ، ويقال : نعمان بن سنانٍ . نوفل بن عبد الله بن نضلة الخزرجيّ .

حرف الهاء

هانىء بن نيارٍ ، أبو بردة البلويّ ، خال البراء بن عازبٍ . هلال بن أميّة الواقفيّ ، وقع ذكره في أهل بدرٍ في « الصحيحين »[٣] ، في قصة كعب بن مالكٍ ، ولم يذكره أحدٌ من أصحاب المغازي . هلال بن المعلّى الخزرجيّ ، أخو رافع بن المعلّى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التّميميّ ، حليف بني عديٍّ ، من المهاجرين . وديعة بن عمرو بن جرادٍ الجهنيّ . ذكره الواقديّ[٤] وابن عائذٍ . ودفة[٥] بن إياس بن عمروٍ الخزرجيّ ، أخو ربيع بن إياسٍ . وهْب بن سعد بن أبي سرحٍ ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذٍ والواقديّ ، في بني عامر بن لؤيٍّ[٦] ، ولم يذكره ابن إسحاق .

حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جناب[٧] بن حبيب بن جرّة السّلميّ ، قال السّهيليّ[٨] : شهد هو وأبوه وابنه ـ يعني بدراً ـ ولا يعرف لهم نظيرٌ في الصحابة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق ولا الأكثرون ، لكن شهدوا معه بيعة الرِّضوان . يزيد بن الحارث بن قيسٍ الخزرجيّ ، وهو الذي يقال له : ابن فُسحم . وهي أمّه ، قتل يومئذٍ شهيداً ببدرٍ . يزيد بن عامر بن حديدة ، أبو المنذر السّلميّ . يزيد بن المنذر بن[٩] سرحٍ السّلميّ ، وهو أخو معقل بن المنذر .

---

(١) ليس له ترجمة بهذا الاسم في « الاستيعاب » و« أسد الغابة » و« الإصابة » .
(٢) لفظ « ابن » سقط من (ط) .
(٣) انظر « صحيح البخاري » (٤٤١٨) و« صحيح مسلم » (٢٧٦٩) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٦٢) .
(٥) في (ط) : « ورقة » . قال الحافظ في « الإصابة » (٦/ ٦٠٢) : اختلف في ضبطه ؛ فقيل بالفاء ، وقيل بالقاف ، والأكثر على أنه بالدال .
(٦) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد » (٣/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) و« المغازي » للواقدي » (١/ ١٥٦) .
(٧) في (آ) : « حبان » ولا يوجد هذا الاسم في نسب يزيد بن الأخنس في « أسد الغابة » (٥/ ٤٧٤) .
(٨) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٣٠٠) .
(٩) لفظ « ابن » سقط من : (آ) .

باب الكنى

أبو أُسيدٍ مالك بن ربيعة ، تقدّم . أبو الأعور بن الحارث بن ظالمِ النّجّاريّ ، وقال ابن هشامٍ[١] : أبو الأعور الحارث بن ظالمٍ . وقال الواقديّ[٢] : أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالمٍ . أبو بكرٍ الصدِّيق عبد الله بن عثمان ، تقدّم . أبو حبّة بن عمرو بن ثابتٍ ، أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوفٍ الأنصاريّ . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، من المهاجرين ، وقيل : اسمه مهشّمٌ . أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة ابن عفراء . أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجّاريّ . أبو سبرة بن[٣] أبي رهم بن عبد العزّى ، من المهاجرين . أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو عكّاشة ، ومعه ابنه سنانٌ ، من المهاجرين . أبو الضّيّاح[٤] النّعمان ـ وقيل : عمير ـ ابن ثابت بن النّعمان بن أميّة بن امرىء القيس بن ثعلبة ، رجع من الطريق ، وقتل يوم خيبر ، رجع لجرحٍ أصابه من حجرٍ فضرب له بسهمه . أبو عرفجة ، من حلفاء بني جحجبى . أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ . أبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، تقدّم . أبو مرثدٍ الغنويّ كنّاز بن حصينٍ ، تقدّم . أبو مسعودٍ البدريّ عقبة بن عمروٍ ، تقدّم . أبو مليل بن الأزعر بن زيدٍ الأوسيّ .

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلاثمئةٍ وأربعة عشر رجلاً[٥] ، منهم رسول الله ﷺ ، كما قال البخاريّ[٦] : ثنا عمرو بن خالدٍ ، ثنا زهيرٌ ، ثنا أبو إسحاق ، سمعت البراء بن عازبٍ يقول : حدّثني أصحاب محمدٍ ﷺ ، ورضي عنهم ، ممّن شهد بدراً ، أنّهم كانوا عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ؛ بضعة عشر وثلاثمئةٍ . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلّا مؤمنٌ .

ثمّ رواه البخاريّ من طريق إسرائيل وسفيان الثّوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء نحوه[٧] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٥) .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ١٦٤) .
(٣) في (آ) و(ط) : « مولى » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٥) و« الاستيعاب » (٤/ ١٦٦٦) و« أسد الغابة » (٦/ ١٣٤) .
(٤) في (ط) : « الصياح » وبعده في (آ) و(ط) : « بن » .
(٥) وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ١٨٨) بعد أن ذكر ما تقدم مما قاله المؤلف : « من المهاجرين ستة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مئة وسبعون ، وإنما قلَّ عدد الأوس عن الخزرج ، وإن كان أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء ، لأن منازلهم كانت في حوالي المدينة ، وجاء النّفير بغتة » .
(٦) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٧) .
(٧) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٨) و(٣٩٥٩) .

قال ابن جريرٍ[١] : وهذا قول عامّة السّلف ؛ أنّهم كانوا ثلاثمائةٍ وبضعة عشر رجلاً .

وقال البخاريّ[٢] أيضاً : ثنا محمودٌ ، ثنا وهبٌ ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيّفاً على ستين ، والأنصار نيّفاً وأربعين ومئتين . هكذا وقع في هذه الرواية .

وقال ابن جريرٍ[٣] : ثنا محمد بن عبيدٍ المحاربيّ ، ثنا أبو مالكٍ الجنبيّ ، عن الحجّاج ـ وهو ابن أرطاة ـ عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباسٍ ، قال : كان المهاجرون يوم بدرٍ سبعين رجلاً ، وكان الأنصار مئتين وستةً وثلاثين رجلاً ، وكان حامل راية النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ ، وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة . وهذا يقتضي أنّهم كانوا ثلاثمئةٍ وستة رجالٍ .

قال ابن جريرٍ[٤] : وقيل : كانوا ثلاثمئةٍ وسبعة رجالٍ .

قلت : وقد يكون هذا عدّ معهم النبيّ ﷺ ، والأوّل عدّهم بدونه ، فالله أعلم .

وقد تقدّم[٥] عن ابن إسحاق أنّ المهاجرين كانوا ثلاثةً وثمانين رجلاً ، وأنّ الأوس أحدٌ وستون رجلاً ، والخزرج مئةٌ وسبعون رجلاً ؛ وسردهم . وهذا مخالفٌ لما ذكره البخاريّ ، ولما روي عن ابن عباسٍ ، فالله أعلم .

وفي « الصحيح »[٦] عن أنسٍ ، أنّه قيل له : شهدت بدراً ؟ فقال : وأين أغيب ؟

وفي « سنن أبي داود » عن سعيد بن منصورٍ ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة بن نافعٍ ، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرامٍ أنّه قال : كنت أميح أصحابي الماء يوم بدرٍ ، وهذان لم يذكرهما البخاريّ ولا الضّياء ، فالله أعلم .

قلت : وفي الذين عدّهم ابن إسحاق في أهل بدرٍ من ضرب له بسهمٍ في مغنمها مع أنّه[٧] لم يحضرها ، تخلّف عنها لعذرٍ أذن له في التّخلّف بسببه ، وكانوا ثمانيةً أو تسعةً ، وهم ؛ عثمان بن عفان ، تخلّف على رقيّة بنت رسول الله ﷺ يمرّضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٢) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٦) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣١) وفي (ط) : « حدثني » .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٢) .
(٥) تقدم في الصفحة التي قبلها (١٢٠) .
(٦) ذكره الحافظ في « الفتح » (٧/ ٢٩٢) وعزاه للإمام أحمد ، وذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٣٩٧) وعزاه لابن سعد في « طبقاته » .
(٧) في (ط) : « وأنه » .

زيد بن عمرو بن نفيلٍ ، كان بالشام ، فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله ، كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره ، وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، ردّه رسول الله ﷺ من الرّوحاء حين بلغه خروج النّفير من مكة ، فاستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أميّة ، ردّه رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصّمّة ، كسر بالرّوحاء فرجع ، فضرب له بسهمه ـ زاد الواقديّ[١] : وأجره ـ وخوّات بن جبيرٍ ، لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الضّيّاح بن ثابتٍ ، خرج مع رسول الله ﷺ ، فأصاب ساقه[٢] فصيل حجرٍ[٣] ، فرجع ، وضرب له بسهمه وأجره . قال الواقديّ[٤] : وسعد بن[٥] مالكٍ ، تجهّز ليخرج فمات . وقيل : إنّه مات بالرّوحاء . فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذٍ أربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ستةٌ وهم ؛ عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصّفراء[٦] ، رحمه الله ، وعمير بن أبي وقّاصٍ ، أخو سعد بن أبي وقّاصٍ الزّهريّ ، قتله العاص بن سعيدٍ[٧] ، وهو ابن ستّ عشرة سنةً ، ويقال[٨] : إنّه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى ، فأذن له في الذّهاب ، فقتل ، رضي الله عنه . وحليفهم ذو الشّمالين بن عبد عمروٍ الخزاعيّ ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البكير الليثيّ ، حليف بني عديٍّ ، ومهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ، وكان أول قتيلٍ قتل من المسلمين يومئذٍ . ومن الأنصار ثمانيةٌ وهم ؛ حارثة بن سراقة ، رماه حبّان بن العرقة بسهمٍ ، فأصاب حنجرته ، فمات ، ومعوّذٌ وعوفٌ ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث ـ ويقال : ابن فُسحم ـ وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلّى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشّر بن عبد المنذر ، رضي الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدّم . قال ابن إسحاق : وكان معهم فَرسان ؛ على أحدهما

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ١٦٣) .
(٢) في (آ) : « رأسه » .
(٣) الفصيل من الحجر : القطعة منه . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٤٥١) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٦٨) .
(٥) في (آ) و(ط) : « أبو » .
(٦) الصفراء : وادٍ قرب المدينة ، كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة ، وبينه وبين بدر مرحلة . انظر « معجم البلدان » (٣/ ٣٩٩) و« المغانم المطابة » ص (٢١٩) .
(٧) كذا في (آ) و(ط) . والذي في « المغازي » (١/ ١٤٥) : « عمرو بن عبد » . وفي « الاستيعاب » (٣/ ١٢٢١) و« طبقات ابن سعد » (٣/ ١٤٩ ، ١٥٠) و« أسد الغابة » (٤/ ٢٩٩) و« الإصابة » (٤/ ٧٢٥) : « عمرو بن عبد ود » . ولعل المصنف تابع السهيلي في « الروض الأنف » (٥/ ٢٩٧) حيث عزاه إلى الواقدي . والذي في « طبقات ابن سعد » عن الواقدي : « عمرو بن عبد ود » كما سبق .
(٨) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .

المقداد بن الأسود ، واسمها بعزجة ـ ويقال : سبحة ـ وعلى الأخرى الزّبير بن العوّام ، واسمها اليعسوب . وكان معهم لواءٌ يحمله مصعب بن عميرٍ ، ورايتان ؛ يحمل إحداهما للمهاجرين عليّ بن أبي طالبٍ ، والتي للأنصار يحملها سعد بن عبادة ، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذٍ .

وأمّا جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم : إنّهم كانوا ما بين التّسعمئة إلى الألف ؛ وقد نصّ عروة وقتادة أنّهم كانوا تسعمئةٍ وخمسين رجلاً . وقال الواقديّ[1] : كانوا تسعمئةٍ وثلاثين رجلاً . وهذا التحديد يحتاج إلى دليلٍ ، وقد تقدّم في بعض الأحاديث أنّهم كانوا أزيد من ألفٍ ، فلعلّه عدد أتباعهم معهم . والله أعلم .

وقد تقدّم في الحديث الصحيح عند البخاريّ[2] ، عن البراء أنّه قتل منهم سبعون ، وأسر سبعون . وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالكٍ في قصيدةٍ له : [من الكامل]

فـأقـام بـالعَطَـن المعطّـن منهـمُ ... سبعـون عتبـةُ منهـمُ والأسـود

وقد حكى الواقديّ[3] الإجماع على ذلك ، وفيما قاله نظرٌ ؛ فإنّ موسى بن عقبة وعروة بن الزّبير قالا خلاف ذلك ، وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح ، والله أعلم .

وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره[4] ، وحرّر ذلك الحافظ الضّياء في « أحكامه » جيّداً ، وقد تقدّم في غضون سياقات القصة ذكر أوّل من قتل منهم ، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ ، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلَم الخزاعيّ ـ أو العقيليّ ـ حليف بني مخزومٍ ، وما أفاده ذلك ؛ فإنه أسر ، وهو القائل في شعره : [من الطويل]

ولسنا على الأعقاب تدمى كُلُومُنَا ... ولكـن علـى أقـدامنـا يقطـر الـدَّم

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيطٍ ، والنّضر بن الحارث ، قتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى ، وقد اختلف في أيّهما قتل أولاً على قولين ، وأنّه ، عليه الصلاة والسلام ، أطلق جماعةً من الأسارى مجّاناً بلا فداءٍ ، منهم ؛ أبو العاص بن الربيع الأمويّ ، والمطّلب بن حنطب بن الحارث المخزوميّ ، وصيفيّ بن أبي رفاعة كما تقدّم ، وأبو عزّة الشاعر ، ووهب بن عميرٍ بن

---

(١) الذي في « المغازي » (١/ ٣٩) : « خرجوا بتسعمئة وخمسين » .
(٢) رواه البخاري (٣٩٨٦) .
(٣) ذكر الواقدي في « المغازي » الذي بين أيدينا (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤) أقوالاً مختلفة في عدد قتلى وأسرى المشركين ، ولم يذكر فيها إجماعاً ولا اتفاقاً .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٨ ـ ٧١٥) و(٢/ ٣ ـ ٨) .

وهبٍ الجمحيّ ، كما تقدّم ، وفادى بقيّتهم ، حتى عمّه العباس أخذ منه أكثر ممّا أخذ من سائر الأسرى ؛ لئلاّ يحابيه لكونه عمّه ، مع أنّه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه ، فأبى عليهم ذلك وقال : لا تتركوا منه درهماً ، وقد كان فداؤه متفاوتاً ، فأقلّ ما أخذ أربعمئةٍ ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقيّةً من ذهبٍ . قاله موسى بن عقبة . وأخذ من العباس مئة أوقيّةٍ من ذهبٍ ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه ، كما قال الإمام أحمد[١] : ثنا عليّ بن عاصمٍ قال : قال داود : ثنا عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : كان ناس من الأسرى يوم بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة . قال : فجاء غلامٌ يوماً يبكي إلى أبيه ، فقال[٢] : ما شأنك ؟ فقال : ضربني معلّمي . فقال : الخبيث يطلب بذحل بدرٍ[٣] ، والله لا تأتيه أبداً . انفرد به أحمد ، وهو على شرط السّنن ، وتقدّم بسط ذلك كلّه ، ولله الحمد والمِنَّةُ .

فصل
في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخاريّ[٤] في هذا الباب : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا معاوية بن عمرٍو ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميدٍ ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدرٍ ، فجاءت أمّه إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى[٥] ما أصنع . فقال : « ويحك ، أو هبلت ، أوَ جنّةٌ واحدةٌ هي ؟ إنّها جنانٌ كثيرةٌ ، وإنّه في جنّة الفردوس » . تفرّد به البخاريّ من هذا الوجه .

وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابتٍ وقتادة ، عن أنسٍ ، وأنّ حارثة كان في النّظّارة ، وفيه : « إنّ ابنكِ أصاب الفردوس الأعلى » . وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على فضل أهل بدرٍ ؛ فإنّ هذا الذي لم يكن في بحبحة[٦] القتال ولا في حومة الوغى ، بل كان من النّظّارة من بعيدٍ ، وإنّما أصابه سهمٌ غربٌ ، وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس ، التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنه تفجّر أنهار الجنة ، التي أمر الشارع أمّته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها ، فإذا كان هذا حال هذا ، فما ظنّك بمن كان واقفاً في نحر العدوّ ، وعدوّهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٧) ، وهو حديث حسن .

(٢) في (آ) : « أمه فقالت » .

(٣) في (آ) : « بدخل بدر » وفي (ط) : « يدخل بدرا » والتصحيح من « المسند » والذحل : الثأر . انظر « لسان العرب » (ذحل) .

(٤) رواه « البخاري » (٣٩٨٢) و(٦٥٥٠) .

(٥) في (آ) و(ط) : « فترى » وفي « صحيح البخاري » : « ترى » .

(٦) في (ط) : « بحيحة » .

ثم روى البخاريّ ومسلمٌ جميعاً[١] ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السّلميّ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، قصّة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأنّ عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه ؛ فإنّه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : « قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ولفظ البخاريّ : « أليس من أهل بدرٍ ؟! ولعلّ الله اطّلع على أهل بدرٍ ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة » أو : « قد غفرت لكم » . فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم .

وروى مسلمٌ[٢] ، عن قتيبة ، عن الليث ، عن أبي الزّبير ، عن جابرٍ ، أنَّ عبداً لحاطبٍ جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً ، فقال : يارسول الله ، ليدخلنّ حاطبٌ النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنّه شهد بدراً والحديبية » .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سليمان بن داود ، ثنا أبو بكر بن عيّاشٍ ، حدّثني الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابرٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل النّار رجلٌ شهد بدراً أو الحُديبية » . تفرّد به أحمد ، وهو على شرط مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا يزيد ، أنبأنا حمّاد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النّجود ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنّ الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ورواه أبو داود[٥] ، عن أحمد بن سنانٍ ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد بن هارون به .

وروى البزّار في « مسنده »[٦] ثنا محمد بن مرزوقٍ ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا عكرمة ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّي لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله » . ثم قال : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلّا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرّد البزّار بهذا الحديث ، ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقال البخاريّ[٧] في باب شهود الملائكة بدراً : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا جريرٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن معاذ بن رفاعة بن رافعٍ الزّرقيّ ، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدرٍ ـ قال : جاء جبريل إلى

---

(١) رواه « البخاري » (٣٩٨٣) و« مسلم » (٢٤٩٤) .
(٢) رواه « مسلم » (٢٤٩٥) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رواه أبو داود (٤٦٥٤) ، وهو حديث صحيح .
(٦) هو في « كشف الأستار » (٢٧٦١) وقال في « المجمع » (٩/ ١٦١) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .
(٧) رواه « البخاري » (٣٩٩٢) .

النبيّ ﷺ ، فقال : ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » ـ أو كلمةً نحوها ـ قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخاريّ .

فصل

في قدوم زينب بنت الرسول ﷺ ، مهاجرةً[١] من مكة إلى المدينة (بعد وقعة بدرٍ بشهرٍ ، بمقتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص للنبيّ ﷺ ، كما تقدّم)[٢]

قال ابن إسحاق[٣] : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلّي سبيله ـ يعني كما تقدّم ـ بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : « كونا ببطنِ يأجج[٤] حتى تمرّ بكما زينب ، فتصحباها فتأتياني بها » . فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدرٍ بشهرٍ ـ أو شيعه ـ فلمّا قدم أبو العاص مكة أمرها باللّحوق بأبيها ، فخرجت تجهّز .

قال ابن إسحاق[٥] : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، قال : حدّثت عن زينب أنّها قالت : بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : يابنة محمدٍ ، ألم يبلغني أنّك تريدين اللّحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أي ابنة عمّ ، لا تفعلي ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاعٍ مما يرفق بك في سفرك أو بمالٍ تتبلّغين به إلى أبيك ، فإنّ عندي حاجتك فلا تضطني[٦] منّي ؛ فإنّه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنّي خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق[٧] : فتجهّزت ، فلمّا فرغتْ من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودجٍ لها ، وتحدّث بذلك رجالٌ من[٨] قريشٍ ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، والفهريّ[٩] ، فروّعها هبّارٌ بالرّمح ، وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ـ

---

(١) لفظ « مهاجرة » سقط من : (ط) .
(٢) ما بين القوسين لم يرد في (ط) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٣) .
(٤) يأجج : موضع بمكة .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٥٣ ـ ٦٥٤) .
(٦) في (ط) : « تضطبني » ومعنى : « لا تضطني » أي لا تنقبضي مني » .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥) .
(٨) لفظ « من » لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) .
(٩) في (آ) و(ط) : « ابن عبد العُزى الفهري » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .

فيما يزعمون ـ فطرحت [ذا بطنها][١] ، وبرك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لا يدنو منّي رجلٌ إلّا وضعت فيه سهماً . فتكركر الناس عنه[٢]

وأتى أبو سفيان في جلّةٍ من قريشٍ ، فقال : أيّها الرجل ، كفّ عنّا نبلك حتى نكلّمك . فكفّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تصب ؛ خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانيةً ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمدٍ ، فيظنّ الناس إذ خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا ، وأنّ ذلك منّا ضعفٌ ووهنٌ ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجةٍ ، وما لنا من ثؤرةٍ[٣] ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات وتحدّث الناس أن قد رددناها ، فسلّها سرّاً وألحقها بأبيها . قال : ففعل . وقد ذكر ابن إسحاق[٤] أنّ أولئك النّفر الذين ردّوا زينب لمّا رجعوا إلى مكة قالت هند تذمّهم على ذلك : [من الطويل]

أفي السّلم أعيارٌ جفاءً وغلظةً ... وفي الحرب أشباه النّساء العَوَارِكِ[٥]

وقد قيل : إنّها قالت ذلك للذين رجعوا من بدرٍ ، بعد ما قتل منهم الذين قتلوا .

قال ابن إسحاق[٦] : فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها ليلاً على رسول الله ﷺ .

وقد روى البيهقيّ في « الدلائل »[٧] من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزّبير ، عن عروة ، عن عائشة ، فذكر قصّة خروجها وردّهم لها ووضعها ما في بطنها ، وأنّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه ؛ لتجيء معه ، فتلطّف زيدٌ ، فأعطاه راعياً من مكة ، فأعطى الخاتم لزينب ، فلمّا رأته عرفته ، فقالت : من دفع إليك هذا ؟ قال : رجلٌ في ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلاً ، فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة . قال : فكان رسول الله ﷺ يقول : « هي أفضل بناتي أصيبت فيّ » . قال : فبلغ ذلك عليّ بن الحسين بن زين العابدين ، فأتى عروة فقال : ما حديثٌ بلغني أنك تحدِّثه[٨] ؟ فقال عروة : والله ما أحبّ أنّ لي ما بين المشرق والمغرب وأنّي أنتقص فاطمة حقّاً هو لها ، وأمّا بعد فلك[٩] أن لا أُحَدِّث به أبداً .

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .
(٢) أي : رجعوا . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ١٦٦) .
(٣) أي : طلب ثأر .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٥) العوارك : الحُيَّض من النساء .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧) .
(٨) في (آ) : « بحدثته » وفي (ط) : « تحدثته » والتصحيح من « دلائل النبوة » .
(٩) في (آ) و(ط) : « وأما بعد ذلك » والتصحيح من « دلائل النبوة » .

قال ابن إسحاق[١] : فقال في ذلك عبد الله بن رواحة[١] ، أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوفٍ ـ قال ابن هشامٍ : هي لأبي خيثمة ـ : [من الطويل]

أتاني الذي لا يقدر النَّاس قدره ... لزينب فيهم من عقوقٍ ومأثمِ
وإخراجها لم يخز فيها محمدٌ ... على مأقطٍ وبيننا عطر منشمِ
وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضمٍ ... ومن حربنا في رغم أنفٍ ومندمِ
قرنَّا ابنه عمراً ومولى يمينه ... بذي حلَقٍ جلد الصّلاصل محكمِ
فأقسمت لا تنفكّ منّا كتائبٌ ... سراةُ خميسٍ من لُهامٍ مسوّمِ
نروع قريش الكفر حتى نعلّها ... بخاطمةٍ فوق الأنوف بميسمِ
ننزّلهم أكناف نجدٍ ونخلةٍ ... وإن يُتهموا بالخيل والرّجل نتهمِ
يد الدهر حتى لا يعوّج سربنا ... ونلحقهم آثار عادٍ وجرهمِ
ويندم قومٌ لم يطيعوا محمداً ... على أمرهم وأيّ حينٍ تندّمِ
فأبلغ أبا سفيان إمّا لقيتَه ... لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلمِ
فأبشر بخزيٍ في الحياة معجّلٍ ... وسربال قارٍ خالداً في جهنّمِ

قال ابن إسحاق[٢] : ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر ، هو عامر بن الحضرميّ .

وقال ابن هشامٍ : إنّما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرميّ ، فأمّا عامر بن الحضرميّ ، فإنّه قتل يوم بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد حدّثني يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن بكير بن عبد الله بن الأشجّ ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن أبي إسحاق الدّوسيّ ، عن أبي هريرة قال : بعث النبيّ ﷺ سريّةً أنا فيها ، فقال : « إن ظفرتم بهبّار بن الأسود ، والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرّقوهما بالنّار » . فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال : « إنّي قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما[٤] ، ثم رأيت أنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يحرق بالنار إلّا الله ، عزّ وجلّ ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » . تفرّد به ابن إسحاق ، وهو على شرط السّنن[٥] ولم يخرجوه .

وقال البخاريّ[٦] : ثنا قتيبة ، ثنا اللّيث ، عن بكيرٍ ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن أبي هريرة ، رضي

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٥ ـ ٦٥٦) والأبيات في « ديوانه » ص(١٣٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٧) .
(٤) في (آ) و(ط) : « أخذتموها » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٥) في (آ) : « الشيخين » . وهو خطأ من الناسخ ، يقول المؤلف بعده : « ولم يخرّجوه » ويقصدُ أصحاب السنن .
(٦) رواه « البخاري » (٣٠١٦) .

الله عنه ، أنّه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعثٍ ، فقال : « إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار » . ثم قال حين أردنا الخروج : « إنّي أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً ، وإنّ النار لا يعذّب بها إلّا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » .

وقد ذكر ابن إسحاق[1] أنّ أبا العاص أقام بمكة على كفره ، واستمرّت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارةٍ لقريشٍ ، فلمّا قفل من الشام لقيته سريّةٌ ، فأخذوا ما معه ، وأعجزهم هرباً ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح ، وكبّر ، وكبّر الناس ؛ صرخت من صُفّة النساء : أيها الناس ، إنّي قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلّم رسول الله ﷺ ، أقبل على الناس ، فقال : « أيّها الناس ، هل سمعتم الذي سمعت ؟ » . قالوا : نعم . قال : « أما والذي نفس محمدٍ بيده ما علمت بشيءٍ [من ذلك][2] حتى سمعت ما سمعتم ، وإنّه يجير على المسلمين أدناهم » . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فدخل على ابنته زينب فقال : « أي بنيّة ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصنّ إليك ؛ فإنّك لا تحلّين له » . قال : وبعث رسول الله ﷺ ، فحثّهم على ردّ ما كان معه ، فردّوه بأسره لا يفقد منه شيئاً ، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكّة ، فأعطى كلّ إنسانٍ ما كان له ، ثم قال : يا معشر قريشٍ ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مالٌ لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيّاً كريماً . قال : فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلّا تخوّف أن تظنّوا أنّي إنّما أردت أن آكل أموالكم ، فلمّا أدّاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[3] : فحدّثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، قال : ردّ عليه رسول الله ﷺ ، زينب على النكاح الأوّل ، ولم يحدث شيئاً . وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد[4] ، وأبو داود ، والترمذيّ ، وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق[5] ، وقال الترمذيّ : ليس بإسناده بأسٌ ، ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين .

وقال السّهيليّ[6] : لم يقل به أحدٌ من الفقهاء ، فيما علمت .

وفي لفظٍ : ردّها عليه رسول الله ﷺ ، بعد ستّ سنين .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨) .
(٢) تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢١٧) وهو حديث حسن بشواهده .
(٥) رواه أبو داود (٢٢٤٠) والترمذي (١١٤٣) وابن ماجه (٢٠٠٩) وهو حديث حسن بشواهده .
(٦) انظر مسند أحمد (٣/ ٣٦٩) .

وفي روايةٍ : بعد سنتين بالنّكاح الأوّل . رواه ابن جريرٍ[١] ،

وفي روايةٍ : لم يحدث نكاحاً[٢] .

وهذا الحديث قد أشكل على كثيرٍ من العلماء ؛ فإنّ القاعدة عندهم أنّ المرأة إذا أسلمت وزوجها كافرٌ ، فإن كان قبل الدخول تعجّلت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدّة ، فإن أسلم فيها استمرّ على نكاحها ، وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها ، وزينب ، رضي الله عنها ، أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ ، وهاجرت بعد بدرٍ بشهرٍ ، وحرّم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ستٍّ ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمانٍ ، فمن قال : ردّها عليه بعد ستّ سنين . أي من حين هجرتها ، فهو صحيحٌ ، ومن قال : بعد سنتين . أي : من حين حرّمت المسلمات على المشركين ، صحيحٌ أيضاً ، وعلى كلّ تقديرٍ ، فالظاهر انقضاء عدّتها في هذه المدة التي أقلّها سنتان من حين التحريم أو قريبٌ منها ، فكيف ردّها عليه بالنّكاح الأوّل ؟ فقال قائلون : يحتمل أنّ عدّتها لم تنقض ، وهذه قصة عين يتطرّق إليها الاحتمال . وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأوّل الذي رواه أحمد والترمذيّ ، وابن ماجه[٣] من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ ردّ بنته على أبي العاص بن الربيع بمهرٍ جديدٍ ونكاحٍ جديدٍ .

قال الإمام أحمد : هذا حديثٌ ضعيفٌ واهٍ ، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيبٍ ، إنّما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزميّ ، والعرزميّ لا يساوي حديثه شيئاً ، والحديث الصحيح الذي روي أنّ النّبيّ ﷺ أقرّهما على النكاح الأوّل .

وهكذا قال الدارقطنيّ[٤] : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباسٍ أنّ رسول الله ﷺ ردّها بالنكاح الأوّل .

وقال الترمذيّ[٥] : هذا حديثٌ في إسناده مقالٌ ، والعمل عليه عند أهل العلم أنّ المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنّه أحقّ بها ما كانت في العدّة ، وهو قول مالكٍ ، والأوزاعيّ ، والشافعيّ ، وأحمد ، وإسحاق .

وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدّتها ، ومن روى أنّه جدّد لها نكاحاً فضعيفٌ ، ففي قضية زينب ، والحالة هذه ، دليلٌ على أنّ المرأة إذا أسلمت وتأخّر إسلام زوجها حتى انقضت عدّتها فنكاحها لا ينفسخ

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٧٢) .
(٢) رواه الترمذي (١١٤٣) ، وحسّنه .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٠٧ و٢٠٨) والترمذي (١١٤٢) وابن ماجه (٢٠١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٤) انظر « سنن الدارقطني » (٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .
(٥) وذلك عقب حديث عمرو بن شعيب السابق ، وانظر أيضاً قول البيهقي في « السنن الكبرى » (٧/ ١٨٨) .

بمجرّد ذلك ، بل تبقى بالخيار ؛ إن شاءت تزوّجت غيره ، وإن شاءت تربّصت وانتظرت إسلام زوجها أيّ وقتٍ كان ، وهي امرأته ما لم تتزوّج ، وهذا القول فيه قوةٌ ، وله حظٌّ من جهة الفقه ، والله تعالى أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري[١] حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدّتهن . حدّثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشامٌ ، عن ابن جريجٍ . وقال عطاءٌ ، عن ابن عباسٍ : كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين ؛ كانوا مشركي أهل حربٍ يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركي أهل عهدٍ لا يقاتلهم ولا يقاتلونه ، وكان إذا هاجرت امرأةٌ من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حلّ لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه ، وإن هاجر عبدٌ منهم أو أمةٌ فهما حران ولهما ما للمهاجرين ، ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهدٍ . هذا لفظه بحروفه ، فقوله : فكان إذا هاجرت امرأةٌ من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر . يقتضي أنها كانت تستبرىء بحيضةٍ ، لا تعتدّ بثلاثة قروءٍ ، وقد ذهب قومٌ إلى هذا . وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه . يقتضي أنّه ، وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدّة ، أنّها تردّ إلى زوجها الأوّل ما لم تنكح زوجاً غيره ، كما هو الظّاهر من قصة زينب بنت النبيّ ﷺ ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، والله أعلم .

فصلٌ

فيما قيل من الأشعار في غزوة بدرٍ العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق[٢] ، عن حمزة بن عبد المطلب ، وأنكرها ابن هشامٍ : [من الطويل]

ألم تر أمراً كان من عجب الدّهر ... وللحَين أسبابٌ مبيّنة الأمرِ
وما ذاك إلّا أنّ قوماً أفادهم ... فخانوا تواصٍ بالعقوق وبالكفرِ
عشيّة راحوا نحو بدرٍ بجمعهم ... فكانوا رهوناً للرّكيّة من بدر
وكنّا طلبنا العِير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنويّةٌ ... لنا غير طعنٍ بالمثقّفة السّمرِ
وضربٍ ببيضٍ يختلي الهام حدّها ... مشهّرة الألوان بيّنة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغيّ ثاوياً ... وشيبة في قتلى تجرجمُ في الجفر
وعمروٌ ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشُقّت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤيّ بن غالبٍ ... كرامٍ تفرّعن الذّوائب من فهر
أولئك قومٌ قتّلوا في ضلالهم ... وخلّوا لواءً غير محتضر النّصر

---

(١) رواه « البخاري » (٥٢٨٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٨ـ٩) .

لـواءَ ضـلالٍ قـاد إبليس أهلـه ... فخـاس بهـم إنّ الخبيـث إلى غـدرِ
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً ... برئت إليكم ما بيَ اليوم من صبر
فـإنـي أرى مـا لا تـرون وإنّنـي ... أخـاف عقـاب الله والله ذو قسـر
فقـدّمهـم للحيـن حتـى تـورّطـوا ... وكـان بمـا لـم يخبـر القـوم ذا خبـر
فكـانـوا غـداة البئـر ألفـاً وجمعنـا ... ثـلاث مئيـنٍ كـالمسـدّمـة الـزّهـر
وفينـا جنـود الله حيـن يمـدّنـا ... بهم في مقامٍ ثَمّ مستوضح الذّكرِ
فشـدّ بهـم جبريـل تحت لـوائنـا ... لـدى مـأزقٍ فيـه منـايـاهـمُ تجـري

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشامٍ ، أخي أبي جهلٍ عمرو بن هشامٍ ، تركناها عمداً .

وقال عليّ بن أبي طالبٍ ـ وأنكرها ابن هشامٍ[1] ـ : [من الطويل]

ألـم تـر أنّ الله أبلـى رسـولـه ... بـلاءَ عـزيـزٍ ذي اقتـدارٍ وذي فضـلِ
بمـا أنـزل الكفّـار دار مـذلّـةٍ ... فـلاقـوا هـوانـاً مـن إسـارٍ ومـن قتـل
فـأمسـى رسـول الله قـد عـزّ نصره ... وكـان رسـول الله أُرسـل بـالعـدل
فجـاء بفـرقـانٍ مـن الله منـزلٍ ... مبيّنـةٌ آيـاتـه لـذوي العقـل
فـآمـن أقـوامٌ بـذاك وأيقنـوا ... فـأمسـوا بحمـد الله مجتمعـي الشمـل
وأنكـر أقـوامٌ فـزاغـت قلـوبهـم ... فـزادهـمُ ذو العرش خبـلاً علـى خبـل
وأمكـن منهـم يـوم بـدرٍ رسـولـه ... وقـومـاً غضـابـاً فعلهـم أحسـن الفعـل
بـأيـديهـمُ بيـضٌ خفـافٌ عصـوا بهـا ... وقـد حـادثـوهـا بـالجـلاء وبـالصّقـل
فكـم تـركـوا مـن نـاشـئٍ ذي حميّـةٍ ... صـريعـاً ومـن ذي نجـدةٍ منهـم كهـل
تبيـت عيـون النـائحـات عليهـمُ ... تجـود بـإسبـال الـرّشـاش وبـالـوبـل
نـوائـح تنعـى عتبـة الغـيّ وابنـه ... وشيبـة تنعـاه وتنعـى أبـا جهـل
وذا الرّجل تنعى وابن جدعان فيهم ... مسلّبـةً حـرّى مبيّنـة الثُكـل
ثـوى منهـمُ فـي بئـر بـدرٍ عصـابـةٌ ... ذوو نجداتٍ في الحروب وفي المحل
دعـا الغـيّ منهـم مـن دعـا فـأجـابـه ... وللغـيّ أسبـابٌ مـرمّقـة الـوصـل
فـأضحَـوا لَـدى دار الجحيـم بمعـزلٍ ... عن الشّغب والعدوان في أسفل السُّفْل

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضتها من الحارث بن هشامٍ أيضاً ، تركناها قصداً .

وقال كعب بن مالكٍ[2] : [من الطويل]

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » (٢/ ١١ ـ ١٢) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٦٦ ـ ١٦٧) بتحقيق د . سامي مكي العاني ، طبع عالم الكتب ببيروت .

عجبــت لأمــر الله والله قــادرٌ ... علــى مــا أراد ليــس لله قــاهــرُ
قضى يوم بـدرٍ أن نـلاقيَ معشراً ... بغوا وسبيل البغي بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهمُ ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمع بني النجّار تحت لوائه ... يمشّون في الماذيّ والنّقع ثائرُ
فلمّا لقيناهم وكلٌّ مجاهد ... لأصحابه مستبسل النّفس صابرُ
شهدنا بأنّ الله لا ربّ غيره ... وأنّ رسول الله بالحقّ ظاهرُ
وقد عرّيت بيضٌ خفافٌ كأنها ... مقابيس يزهيها لعينيك شاهرُ
بهنّ أبدنا جمعهم فتبدّدوا ... وكان يلاقي الحَين من هو فاجرُ
فكبّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنَه وهو عاثرُ
وشيبة والتّيميّ غادرن في الوغى ... وما منهم إلّا بذي العرش كافرُ
فأمسوا وَقود النار في مستقرّها ... وكلّ كفورٍ في جهنم صائرُ
تلظّى عليهم وهي قد شبّ حميها ... بزبر الحديد والحجارة ساجرُ
وكان رسول الله قد قال أقبلوا ... فولّوا وقالوا إنّما أنت ساحرُ
لأمرٍ أراد الله أن يَهلكوا به ... وليس لأمرٍ حمّه الله زاجرُ

وقال كعبٌ[1] في يوم بدرٍ : [من الطويل]

ألا هل أتى غسّانَ في نأي دارها ... وأخبرُ شيءٍ بالأمور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسيّ عداوة ... معدٌّ معاً جهّالها وحليمها
لأنّا عبدنا الله لم نرج غيره ... رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له في قومه إرث عزّةٍ ... وأعراق صدقٍ هذّبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأنّنا ... أسود بقاءٍ لا يرجّى كليمها
ضربناهمُ حتى هوى في مكرّنا ... لمنخر سوء من لؤيٍّ عظيمها
فولّوا ودسناهم ببيضٍ صوارمٍ ... سواءٌ علينا حلفها وصميمها

وقال كعبٌ[2] أيضاً : [من الوافر]

لعمر أبيكما يا بَنَي لؤيٍّ ... على زهوٍ لديكم وانتخاءِ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٢٠٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٥) .

لمـا حـامـت فـوارسكـم ببـدرٍ ... ولا صبـروا بـه عنـد اللقـاءِ
وردنـاه بنـور الله يجلـو ... دجـى الظّلمـاء عنّـا والغطـاء
رسـول الله يقـدمنـا بـأمـرٍ ... مـن امـر الله أحكـم بـالقضـاء
فمـا ظفـرت فـوارسكـم ببـدرٍ ... ومـا رجعـوا إليكـم بـالسّـواء
فـلا تعجـل أبـا سفيـان وارقـب ... جيـاد الخيـل تطلُـع مـن كـداء
بنصـر الله روحُ القـدس فيهـا ... وميكـالٌ فيـا طيـب المـلاء

وقال حسّان بن ثابتٍ[١] ـ قال ابن هشامٍ: ويقال: هي لعبد الله بن الحارث السّهميّ ـ : [من البسيط]

مستشعري حلق الماذيّ يقدمهم ... جلد النّحيزة ماضٍ غير رعديدِ
أعني رسول إله الخلق[٢] فضّله ... على البريّة بالتقوى وبالجودِ
وقد زعمتم بأن تحموا ذِماركمُ ... وماء بدرٍ زعمتم غير موردِ
ثمّ وردنا ولم نسمع[٣] لقولكمُ ... حتى شربنا رواءً غير تصريدِ
مستعصمين بحبلٍ غير منجذمٍ ... مستحكمٍ من حبال الله ممدودِ
فينا الرسول وفينا الحقّ نتبعه ... حتى الممات ونصرٌ غير محدودِ
وافٍ وماضٍ شهابٌ يستضاء به ... بدرٌ أنار على كلّ الأماجيدِ

وقال حسان بن ثابتٍ أيضاً[٤] :

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكةٍ ... إبارتُنا الكفّار[٥] في ساعة العسرِ
قتلنا سراة القوم عند مجالنا[٦] ... فلم يرجعوا إلّا بقاصمة الظّهر
قتلنا أبا جهلٍ وعتبة قبله[٧] ... وشيبة يكبو لليدين وللنّحر[٨]
قتلنا سُويداً ثم عتبة بعده ... وطعمة أيضاً عند ثائرة القتر
فكم قد قتلنا من كريمٍ مرزَّإٍ ... له حسبٌ في قومه نابهُ الذّكر

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٢٨) مع تقديم وتأخير .
(٢) في « ديوانه » : « أعني الرسول فإن الله » .
(٣) في « ديوانه » : « ولم نُهدد » .
(٤) الأبيات في «ديوانه» (١/ ١٤٢) وفيها تداخل ونقص وخلاف عما في كتابنا و«السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٢١ ـ ٢٢.
(٥) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « قَتَلْنَا مِنَ الكُفَّار . . . » .
(٦) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « عند رحالهم » .
(٧) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « بعده » .
(٨) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « وشيبة أيضاً عند نائرة الصَّبر » .

تـركنـاهـمُ للعـاويـات[١] ينبنهـم ... ويصلـون نـاراً بعـد حـاميـة القعـر
لعمـرك مـا حـامت فـوارس مـالـكٍ ... وأشيـاعهـم يـوم التقينـا علـى بـدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، في يوم بدرٍ ، وفي قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعليٍّ مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، وأنكرها ابن هشام : [من الطويل]

ستبلـغ عنّـا أهـل مكـة وقعـةٌ ... يهبّ لهـا مـن كـان عـن ذاك نـائيـا
بعتبـة إذ ولّـى وشيبـة بعـده ... ومـا كـان فيهـا بكـر عتبـة راضيـا
فـإن تقطعـوا رِجلـي فـإنّـيَ مسلـمٌ ... أرجّـي بهـا عيشـاً مـن الله دانيـا
مع الحور أمثال التّماثيل أخلصت ... مـن الجنـة العليـا لمـن كـان عـاليـا
وبعـت بهـا عيشـاً تعـرّقـت صفـوه ... وعـاجلتـه حتـى فقـدتُ الأدانيـا
فـأكـرمني الـرحمـن مـن فضـل منّـه ... بثوبٍ من الإسلام غطّى المساويا
ومـا كـان مكـروهـاً إلـيّ قتـالهـم ... غـداة دعـا الأكفـاء مـن كـان داعيـا
ولـم يبـغ إذ سـالـوا النبـيّ سـواءنـا ... ثـلاثتنـا حتـى حضـرنـا المنـاديـا
لقينـاهـمُ كـالأسـد تخطـر بـالقنـا ... نقاتل في الرحمنِ من كان عاصيا
فمـا بـرحـت أقـدامنـا مـن مقـامنـا ... ثـلاثتنـا حتـى أُزيـروا المنـائيـا

وقال ابن إسحاق[٢] : وقال حسّان بن ثابتٍ[٣] أيضاً ؛ يذمّ الحارث بن هشامٍ على فراره يوم بدرٍ ، وتركه قومه لا يقاتل دونهم : [من الكامل]

تبَلـت فـؤادَك فـي المنـام خـريـدةٌ ... تشفـي الضّجيـع ببـاردٍ بسّـامِ
كـالمسـك تخلطـه بمـاء سحـابـةٍ ... أو عـاتـقٍ كـدم الـذّبيـح مـدام
نفـج الحقيبـة بـوصهـا متنضّـدٌ ... بلهـاء غيـر وشيكـة الأقسـام
بنيـت علـى قطـنٍ أجـمّ كـأنّـه ... فُضُـلاً إذا قعـدت مـداك رخـام
وتكـاد تكسـل أن تجـيء فـراشَهـا ... فـي جسـم خـرعبـةٍ وحسـن قـوام
أمّـا النهـار فـلا أفتّـر ذكـرهـا ... والليـل تـوزعنـي بهـا أحـلامـي
أقسمـت أنسـاهـا وأتـرك ذِكـرهـا ... حتى تغيّـب فـي الضـريح عظامي
يـا مـن لعـاذلـةٍ تلـوم سفـاهـةً ... ولقـد عصيت علـى الهـوى لـوّامي
بكـرت علـيّ بسحـرةٍ بعـد الكـرى ... وتقـاربٍ مـن حـادث الأيـام

---

(١) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « للخامعات تنوبهم » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦ ـ ١٨) .
(٣) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » ص(٢٩) .

زعمت بأنّ المرء يكرب عمره ... عدمٌ لمعتكرٍ من الأصرام
إن كنت كاذبةَ الذي حدّثتِني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرّةٍ ولجام
تذر العناجيج الجياد بقفرةٍ ... مرّ الدّموك بمحصدٍ ورجام
ملأت به الفرجين فارمدّت به ... وثوى أحبّته بشرّ مقام
وبنو أبيه ورهطه في معركٍ ... نصر الإله به ذوي الإسلام
طحنتهمُ والله ينفذ أمره ... حربٌ يشبّ سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه ... جزر السباع ودسنه بحوام
من بين مأسورٍ يشدّ وثاقه ... صقرٍ إذا لاقى الأسنّة حام
ومجدّلٍ لا يستجيب لدعوةٍ ... حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذلّ المبيّن إذ رأى ... بيض السيوف تسوق كلّ همام
بيدَيْ أغرّ إذا انتمى لم يخزه ... نسب القصار سميدع مقدام
بيضٌ إذا لاقت حديداً صمّمت ... كالبرق تحت ظلال كلّ غمام

قال ابن هشام(١) : تركنا في آخرها ثلاثة أبياتٍ أقذع فيها . [من الكامل]

قال ابن هشامٍ(٢) : فأجابه الحارث بن هشامٍ ، أخو أبي جهلٍ عمرو بن هشامٍ فقال : [من الكامل]

القوم أعلم ما تركت قتالهم ... حتى حبوا مهري بأشقر مزبد
وعرفت أنّي إن أقاتل واحداً ... أُقْتَلْ ولا ينكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبّة فيهمُ ... طمعاً لهم بعقاب يومٍ مفسد

وقال حسان(٣) أيضاً : [من الكامل]

يا حار قد عوّلت غير معوّلٍ ... عند الهياج وساعة الأحسابِ
إذ تمتطي سرُح اليدين نجيبةً ... مرطى الجراء طويلة الأقرابِ
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ... ترجو النّجاء وليس حين ذهابِ
ألّا عطفت على ابن أمّك إذ ثوى ... قعص الأسنّة ضائع الأسلابِ
عجل المليك له فأهلك جمعه ... بشنار مخزيةٍ وسوء عذابِ

وقال حسّان(٤) أيضاً : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨) برواية : « الله أعلم ما تركت » .
(٣) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٩٨) و« السيرة النبوية » (٢/ ١٩ ـ ٢٠) .
(٤) انظر « ديوان حسان » (١/ ١٨٠) و« السيرة النبوية » (٢/ ١٩) .

لقد علمتْ قريشٌ يوم بدرٍ ... غداة الأسر والقتل الشديدِ
بأنّا حين تشتجر العوالي ... حماةُ الحرب يوم أبي الوليدِ
قتلنا ابنيْ ربيعة يوم سارا ... إلينا في مضاعفة الحديدِ
وفرّ بها حكيمٌ يوم جالت ... بنو النّجّار تخطر كالأسودِ
وولّت عند ذاك جموع فهرٍ ... وأسلمها الحويرث من بعيدِ
لقد لاقَيْتُمُ ذلّاً وقتلاً ... جهيزاً نافذاً تحت الوريدِ
وكلّ القوم قد ولّوا جميعاً ... ولم يلووا على الحسب التّليدِ

وقالت هند بنت أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب ، ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب : [من الطويل]

لقد ضمّن الصّفراءُ مجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلاً وافر اللّبّ والعقلِ
عبيدة فابكيه لأضياف غربةٍ ... وأرملةٍ تهوي لأشعث كالجذل
وبكّيه للأقوام في كلّ شتوةٍ ... إذا احمرّ آفاق السماء من المحل
وبكّيه للأيتام والرّيح زفزفٌ ... وتشبيب قدرٍ طالما أزبدت تغلي
فإن تصبح النّيران قد مات ضَوْؤها ... فقد كان يذكيهنّ بالحطب الجزل
لطارق ليلٍ أو لملتمس القرى ... ومستنبحٍ أضحى لديه على رسل

وقال الأمويّ في « مغازيه » : حدّثني سعيد بن قطنٍ ، قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدراً : [من الطويل]

ألمّا تكن رؤياي حقّاً ويأتكم ... بتأويلها فلٌّ من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى ... بعينيه ما تفري السيوف القواضب
فقلتم ولم أكذب كذبت وإنّما ... يكذّبني بالصّدق من هو كاذب
وما جاء إلّا رهبة الموت هارباً ... حكيمٌ وقد أعيت عليه المذاهب
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم ... وخطّيّةٌ فيها الشّبا والثّعالب
كأن حريقُ النار لمعَ ظباتها ... إذا ما تعاطتها اللّيوث المشاغب
ألا بأبي يوم اللقاء محمداً ... إذا عضّ من عُون الحروب الغوارب
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم ... كفاحاً كما تمري السحاب الجنائب
فكم بردت أسيافه من مليكةٍ ... وزعزع وردٌ بعد ذلك صالب
فما بال قتلى في القليب ومثلهم ... لدى ابن أخي أسرى له ما تضارب
فكانوا نساء أم أتى لنفوسهم ... من الله حَينٌ ساق والحَين حالب
فكيف رأى عند اللقاء محمداً ... بنو عمّه والحرب فيها التجارب
ألم يغشكم ضرباً لوقعه الـ ... ـجبان وتبدو بالنهار الكواكب

حلفت لئن عادوا لنصطلينّهم بحاراً تردّى تجربتْها المقانب
كأنّ ضياء الشمس لمع ظباتها لها من شعاع النور قرنٌ وحاجب

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأمويّ : [من الطويل]

هلاّ صبرتم للنبيّ محمدٍ ببدرٍ ومن يغشى الوغى حقّ صابرِ[١]
ولم ترجعوا عن مرهفاتٍ كأنّها حريقٌ بأيدي المؤمنين بواترُ
ولم تصبروا للبيض حتى أُخذتمُ قليلاً بأيدي المؤمنين المساعر
وولّيتم نفراً وما البطل الذي يقاتل من وقع السلاح بنافرِ
أتاكم بما جاء النبيّون قبله وما ابن أخي البرّ الصّدوق بشاعرِ
سيكفي الذي ضيّعتمُ من نبيّكم وينصره الحيّان عمروٌ وعامرُ

وقال طالب بن أبي طالبٍ يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القليب من قريشٍ الذين قتلوا يومئذٍ من قومه ، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك : [من الطويل]

ألا إنّ عيني أنفدت دمعها سكباً تبكّي على كعبٍ وما إن ترى كعبا
ألا إنّ كعباً في الحروب تخاذلوا وأرداهمُ ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمّات غدوةً فيا ليت شعري هل أرى لهمُ قربا
فيا أخوينا عبد شمسٍ ونوفلاً فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ودٍّ وألفةٍ أحاديث فيها كلّكم يشتكي النّكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ وحرب أبي يكسوم إذ ملؤوا الشّعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما إن جنينا في قريشٍ عظيمةً سوى أنْ حمينا خير من وطىء التّربا
أخا ثقةٍ في النائبات مُرَزَّأً كريماً نثاه لا بخيلاً ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه يؤمّون نهراً لا نزوراً ولا صربا
فوالله لا تنفكّ نفسي حزينةً تململ حتى تصدقوا الخزرج الضّربا

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق[٢] أشعاراً من جهة المشركين قويّة الصّنعة ، يرثون بها قتلاهم يوم بدرٍ ، فمن ذلك قول ضرار بن الخَطّاب بن مرداسٍ أخي بني محارب بن فهرٍ ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسّهيليّ في « روضه » يتكلّم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك : [من الطويل]

---

(١) من بعض هذه الأبيات إقواء .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣ ـ ١٤) .

عجبت لفخر الأوس والحَيْن دائرٌ ... عليهم غداً والدّهر فيه بصائرُ
وفخرِ بني النّجّار أن كان معشرٌ ... أصيبوا ببدر كلّهم ثمّ صائر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنّا رجالٌ[١] بعدهم سنغادر
وتردي بنا الجرد العناجيج وسْطَكُم ... بني الأوس حتى يشفيَ النّفسَ ثائر
ووسط بني النجّار سوف نكرّها ... لها[٢] بالقنا والدّارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلّا الأمانيَّ ناصر
وتبكيهمُ من أهل يثرب نسوةٌ ... لهنّ بها ليلٌ عن النّوم ساهر
وذلك أنّا لا تزال سيوفنا ... بهنّ دمٌ ممّن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدرٍ فإنّما ... بأحمدَ أمسى جدّكم وهْو ظاهر
وبالنّفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون في اللأْواءِ والموت حاضر
يعدّ أبو بكرٍ وحمزة فيهمُ ... ويدعى عليٌّ وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتّجت في ديارها ... بنو الأوس والنّجّار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤيِّ بن غالبٍ ... إذا عُدّت الأنساب كعبٌ وعامر
هم الطّاعنون الخيل في كلّ معركٍ ... غداة الهياج الأطيبون الأكاثر[٣]

فأجابه كعب بن مالكٍ بقصيدته التي أسلفناها[٤] ، وهي قوله : [من الطويل]

عجبت لأمر الله والله قادرٌ ... على ما أراد ليس لله قاهرُ

قال ابن إسحاق[٥] : وقال أبو بكرٍ واسمه شدّاد بن الأسود بن شَعوب .

قلت : وقد ذكر البخاريّ[٦] أنّه خلف على امرأة أبي بكرٍ الصدّيق ، حين طلّقها الصديق ، وذلك لمّا[٧] حرّم الله المشركات على المسلمين ، واسمها أمّ بكرٍ : [من الوافر]

تُحَيِّي بالسّلامة أمّ بكرٍ ... وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقليب قليبِ بدرٍ ... من القينات والشَّرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدرٍ ... من الشّيزى تكلّل بالسّنام[٨]

---

(١) في الأصول (رجالًا) وهو خطأ صححه عن « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٢) في (آ) : « بها » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) في (ط) : « الأكابر » .
(٤) انظر ص(١٤٨ ـ ١٤٩) من هذا الجزء .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٢٩) .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٩٢١) .
(٧) لفظ « لما » سقط من (ط) .
(٨) والسّنام : لحم ظهر البعير . انظر « لسان العرب » (سنم) .

وكـم لـك بـالطّـويِّ طـويّ بـدرٍ ... مـن الحـومـات[١] والنَّعـم المُسـام

وكـم لـك بـالطـويّ طـويّ بـدرٍ ... مـن الغـايـات والـدّسْـع العظـام[٢]

وأصحـاب الكـريـم أبـي علـيٍّ ... أخـي الكـأس الكـريمـة والنّـدَام

وإنّـك لـو رأيـت أبـا عقيـلٍ ... وأصحـاب الثّنيّـة مـن نَعـام

إذاً لظلِلـت مـن وجـدٍ عليهـم ... كـأمّ السّقـب[٣] جـائلـة المـرام

يخبّـرنـا الـرسـول لسـوف نحيا ... وكيـف حيـاة أصـداءٍ وهـام

قلت : وقد أورد البخاريّ بعضها في « صحيحه »[٤] ليعرف به حال قائلها .

قال ابن إسحاق[٥] : وقال أُميّة بن أبي الصّلت[٦] ، يرثي من قتل من قريشٍ يوم بدرٍ : [من مجزوء الكامل]

ألاّ بكيـتِ علـى الكـرا ... م بني الكرام أولي الممادحْ

كبُكـا الحمـام علـى فـرو ... ع الأيْك في الغصن الجوانح

يبكيـن حـرّى مستكيـ ... ـنـاتٍ يـرحـن مـع الرّوائـح

أمثـالهـنّ البـاكيـا ... ت المعـولات مـن النّـوائـح

مـن يبكهـم يبكـي علـى ... حـزْنٍ ويصـدق كـلّ مـادح

مـاذا ببـدرٍ والعقنـ ... ـقل مـن مـرازبـةٍ جحـاجـح

فمـدافـع البـرقيـن فـالـ ... ـحنّـان مـن طـرف الأواشـح

شُمـطٍ وشبّـانٍ بهـا ... ليـلٍ مغـاويـرٍ وحـاوح

ألاّ تـرون لمـا أرى ... ولقـد أبـان لكـلّ لامـح

أن قـد تغيّـر بَطْـنُ مكّـة ... فهـي مـوحشـة الأبـاطـح

مـن كـلّ بطـريـقٍ لبطـ ... ـريـق نقـيّ الـودّ واضـح

دعمـوص أبـواب الملـو ... ك وجـائـبٍ للخـرق فـاتـح

ومـن السّـراطمـة الخـلا ... جمـة المـلاوثـة المنـاجـح

---

(١) في (آ) : « الحرمات » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .

(٢) هذا البيت تقدم في (آ) إلى ما قبل البيت الذي قبله وترتيب الأبيات في (ط) كما أثبته موافق لترتيبها في « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٣) السقب : ولد الناقة .

(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣٩٢١) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠ـ ٣٢) .

(٦) الأبيات في « ديوان أمية بن أبي الصَّلت » ص(٣٤٨) صنعة د. عبد الحفيظ السطلي ، مع تقديم وتأخير .

القــــائليـــــن الفــــاعليـ	ـــن الآمـريـن بكـلّ صـالـح
المطعميــــن الشّحــم فــو	ق الخبـز شحمـاً كـالأنـافـخْ
نقـل الجفـان مـع الجفـا	ن إلـى جفـانٍ كـالمنـاضـح
ليســت بـأصفـارٍ لمـن	يعفـــو ولا رحٍّ رحـــارح
للضّيـف ثـم الضيـف بعـ	ـد الضيف والبسط السّلاطح
وهـب المئيـن مـن المئيـ	ـن إلى المئين من اللّواقح
سـوق المـؤبّـل للمـؤبّـ	ـل صـادراتٍ عـن بـلادح
لكـرامهـم فـوق الكـرا	م مـزيّـةٌ وزن الـرّواجـح
كتشـاقـل الأرطـال بـالـ	ـقسطاس بـالأيـدي الموائـح
خـذلتهـمُ فئـةٌ وهـم	يحمـون عـورات الفضـائـح
الضّـاربيـن التّقـدميّـ	ـة بـالمهنّـدة الصّفـائـح
ولقـد عنـانـي صـوتهـم	مـن بيـن مستسـقٍ وصـائـح
لله درّ بنــــــي علـ	ـي أيّـمٍ منهـم ونـاكـح
إن لـم يغيـروا غـارةً	شعـواء تجحـر كـلّ نـابـح
بـالمقـربـات المبعـدا	ت الطّامحات مع الطّوامح
مُـرداً علـى جـردٍ إلـى	أُسـدٍ مكـالبـةٍ كـوالـح
ويـلاقِ قـرنٌ قـرنـه	مشـي المصـافـح للمصـافـح
بـزَهـاء ألـفٍ ثـمّ ألـ	ـفٍ بيـن ذي بـدنٍ ورامـح

قال ابن هشامٍ[١] : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ .

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس ، الذي حمله كثرة جهله وقلّة عقله ، على أن مدح المشركين وذمّ المؤمنين ، واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشامٍ ، وأضرابه من الكفرة اللئّام ، والجهلة الطّغام ، ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله ، وحبيبه وخليله ، فَخر البشر ، ومَن وجهه أنور من القمر ، ذي العِلم الأكمل ، والعقل الأشمل ، ومِن صاحبه الصدّيق المبادر إلى التصديق ، والسابق إلى الخيرات ، وفعل المكرمات ، وبذل الألوف والمئات ، في طاعة ربّ الأرض والسماوات ، وكذلك بقيّة أصحابه الغرّ الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام ، رضي الله عن جميعهم ، ما اختلط الضّياء والظلام ، وما تعاقبت الليالي والأيام ، وقد تركنا أشعاراً كثيرةً أوردها ابن إسحاق ، رحمه الله ، خوف الإطالة وخشية الملالة ، وفيما أوردنا كفايةٌ ، ولله الحمد والمنّة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢) .

وقد قال الأمويّ في « مغازيه »[١] : سمعت أبي ، ثنا[٢] سليمان بن أرقم ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهليّة .

قال سليمان : فذكر ذلك للزّهريّ فقال : عفا عنه إلّا قصيدتين ؛ كلمة أميّة التي ذكر فيها أهل بدرٍ ، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأحوص .

وهذا حديثٌ غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروكٌ[٣] ، والله أعلم .

فصل

في ذكر غزوة بني سُلَيمٍ سنة ثنتين من الهجرة النبويّة

قال ابن إسحاق[٤] : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدرٍ في عَقِيْبِ[٥] شهر رمضان ، أو في شوالٍ ، ولمّا قدم المدينة لم يقم بها إلّا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سليمٍ .

قال ابن هشامٍ[٦] : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاريّ ، أو ابن أمّ مكتومٍ الأعمى .

قال ابن إسحاق[٧] : فبلغ ماءً من مياههم يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كَيْداً ، فأقام بها بقيّة شوالٍ وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جُلّ تلك[٨] الأسارى من قريشٍ .

فصل

غزوة السّويق في ذي الحجّة منها ، وهي غزوة قرقرة الكُدْر[٩]

قال السّهيليّ[١٠] : والقَرقرة : الأرض الملساء ، والكُدْر : طيرٌ في ألوانها كدرةٌ .

---

(١) وذكره ابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (٣/ ١١٠٥) .
(٢) في (ط) : « حدثنا » .
(٣) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : « ضعيف » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٠) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) طبع دار ابن كثير .
(٥) في (ط) : « عقب » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٨) لفظ « تلك » الثاني هذا لم يرد في (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .
(٩) مكان هذا العنوان في (ط) : « فصل غزوة بني سليم سنة اثنتين من الهجرة » وهو السابق لهذا في (آ) كما هو مثبت .
(١٠) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٤٠٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وكان أبو سفيان ـ كما حدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتّهم ـ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فَلُّ قريشٍ من بدرٍ ، نذر أن لا يمسّ رأسه ماءٌ من جنابةٍ حتى يغزو محمداً ، فخرج في مئتي راكبٍ من قريشٍ لتبرّ يمينه ، فسلك النّجديّة حتى نزل بصدر قناةٍ إلى جبلٍ يقال له : ثيبٌ[٢] . من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النّضير تحت الليل ، فأتى حُيَيّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سلاّم بن مشكم ، وكان سيّد بني النّضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبَطَن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريشٍ ، فأتوا ناحيةً منها يقال لها : العريض ، فحرّقوا في أصوارٍ من نخلٍ بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرثٍ لهما ، فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم .

قال ابن هشامٍ[٣] : واستعمل على المدينة أبا لبابة بَشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، ووجد أصحابُ رسول الله ﷺ أزواداً كثيرةً قد ألقاها المشركون يتخفّفون منها وعامّتها سويقٌ ، فسمّيت غزوة السّويق . قال المسلمون : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون هذه لنا غزوةً ؟ قال : « نعم » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سلاّم بن مشكمٍ اليهوديّ :

[من الطويل]

وإنّي تخيّرت المدينة واحداً ... لحلفٍ فلم أندم ولم أتلوّمِ
سقاني فروّاني كُمَيتاً مُدامةً ... على عجَلٍ منّي سلام بن مشكم
ولمّا تولّى الجيش قلت ولم أكن ... لأُفرحه : أبشر بغزوٍ ومغنم
تأمّل فإنّ القوم سرٌّ وإنّهم ... صريح لؤيٍّ لا شماطيط جُرهم
وما كان إلاّ بعض ليلة راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خلّة معدم

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) .
(٢) في (ط) : « نيب » وما جاء في (آ) هو الصواب ، وانظر لتمام الفائدة تعليق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٨٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩١) .

فصل

في دخول علي بن أبي طالبٍ ، رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدرٍ ، لما رواه البخاريّ ومسلمٌ[١] ، من طريق الزّهريّ ، عن عليٍّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليٍّ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قال : كانت لي شارفٌ من نصيبي من المغنم يوم بدرٍ ، وكان النبيّ ﷺ أعطاني شارفاً ممّا أفاء الله عليه من الخمس يومئذٍ ، فلمّا أردت أن أبتنيَ بفاطمة بنت النبيّ ﷺ ، واعدت رجلاً صوّاغاً في بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخرٍ ، فأردت أن أبيعه من الصّوّاغين فأستعين به في وليمة عرسي ، فبينا أنا أجمع لشارفيّ من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفايَ مناختان إلى جنب حجرة رجلٍ من الأنصار ، حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفيّ قد أُجبّت أسنمتها ، وبُقرت خواصرهما ، وأُخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينيّ حين رأيت المنظر ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطّلب ، وهو في هذا البيت ، وهو في شَربٍ من الأنصار ، وعنده قَينةٌ وأصحابه ، فقالت في غنائها : [من الوافر]

ألا يا حمزُ للشّرف النّواء

فوثب حمزة إلى السيف ، فأجبّ أسنمتهما[٢] ، وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما . قال عليٌّ : فانطلقت حتى أدخل على النبيّ ﷺ وعنده زيد بن حارثة ، فعرف النبيّ ﷺ الذي لقيت فقال : « ما لك ؟ » . فقلت : يا رسول الله ، ما رأيت كاليوم ، عدا حمزة على ناقتيّ فأجبّ أسنمتهما ، وبقر خواصرهما ، وها هو ذا في بيتٍ معه شَربٌ ، فدعا النبيّ ﷺ بردائه فارتداه ، ثم انطلق يمشي ، واتّبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة ، فاستأذن عليه فأذن له ، فطفق النبيّ ﷺ يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة ثمِلٌ محمرّةٌ عيناه ، فنظر حمزة إلى النبيّ ﷺ ، ثم صعّد النّظر فنظر إلى ركبتيه ، ثم صعّد النظر فنظر إلى وجهه ، ثم قال حمزة : وهل أنتم إلّا عبيدٌ لأبي ؟ فعرف النبيّ ﷺ أنّه ثمِلٌ ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى ، فخرج وخرجنا معه ، هذا لفظ البخاريّ في كتاب المغازي .

وقد رواه في أماكن أُخر من « صحيحه » بألفاظٍ كثيرةٍ ، وفي هذا دليلٌ على ما قدّمناه من أنّ غنائم بدرٍ قد خمّست ، لا كما زعمه أبو عبيدٍ القاسم بن سلاّمٍ في كتاب « الأموال »[٣] ، من أنّ الخمس إنّما نزل بعد

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٠٣) ومسلم رقم (١٩٧٩) .

(٢) في (آ) : « أسنمتها » .

(٣) انظر « كتاب الأموال » ص(٣٨٤) .

قسمتها ، وقد خالفه في ذلك جماعةٌ ؛ منهم البخاريّ وابن جريرٍ ، وبيّنّا غلطه في ذلك في « التفسير »[١] وفيما تقدّم ، والله أعلم .

وكان هذا الصّنع من حمزة وأصحابه ، رضي الله عنهم ، قبل أن تحرّم الخمر ، بل قد قُتل حمزة يوم أحدٍ ، كما سيأتي ، وذلك قبل تحريم الخمر ، والله أعلم .

وقد يَستدلّ بهذا الحديث من يرى أنّ عبارة السّكران مسلوبةٌ لا تأثير لها ؛ لا في طلاقٍ ، ولا إقرارٍ ، ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرَّرٌ في كتاب « الأحكام » .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا سفيان ، عن ابن[٣] أبي نجيحٍ ، عن أبيه ، عن رجلٍ سمع عليّاً يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ، فقلت : ما لي من شيءٍ ، فكيف ؟ ثم ذكرت صلته وعائدته ، فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شيءٍ ؟ » . قلت : لا . قال : « فأين درعك الحطميّة التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » . قال : هي عندي . قال : « فأعطنيها » . قال : فأعطيتها إياه . هكذا رواه أحمد في « مسنده » ، وفيه رجلٌ مبهمٌ .

وقد قال أبو داود[٤] : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل الطّالقانيّ ، ثنا عبدة ، ثنا سعيدٌ ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لما تزوّج عليٌّ فاطمة ، رضي الله عنهما ، قال له رسول الله ﷺ : « أعطها شيئاً » . قال : ما عندي شيءٌ . قال : « أين دِرعك الحُطَميّة ؟ » .

ورواه النسائيّ[٥] ، عن هارون بن إسحاق ، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن أيوب السّختيانيّ به .

وقال أبو داود[٦] : حدّثنا كثير بن عبيدٍ الحمصيّ ، ثنا أبو حيوة ، عن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني غيلان بن أنسٍ من أهل حمصٍ ، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن رجلٍ من أصحاب النبيّ ﷺ ، أنّ عليّاً لما تزوّج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أراد أن يدخل بها ، فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي شيءٌ ، فقال له النبيّ ﷺ : « أعطها درعك » ، فأعطاها درعه ، ثم دخل بها .

---

(١) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٩) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٠) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي بعده .
(٣) لفظ « ابن » سقط من (آ) وأثبته من (ط) وهو الصواب .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢١٢٥) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رواه النسائي (٣٣٧٦) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أبو داود رقم (٢١٢٦) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي قبله .

وقال البيهقيّ في « الدلائل »[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ[٢] ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبّار ، ثنا يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ ، عن عليٍّ قال : خَطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت مولاةٌ لي : هل علمت أنّ فاطمةَ قد خُطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا . قالت : فقد خُطبت ، فما يمنعك أن تأتيَ رسول الله ﷺ فيزوّجك ؟ فقلت : وعندي شيءٌ أتزوج به ؟ فقالت : إنّك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك . قال : فوالله ما زالت تُرجّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، فلما أن قعدت بين يديه أُفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلّم جلالةً وهيبةً ، فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ، ألك حاجةٌ ؟ » . فسكتّ ، فقال : « ما جاء بك ، ألك حاجةٌ ؟ » . فسكتّ ، فقال : « لعلّك جئت تخطب فاطمة » . فقلت : نعم . فقال : « وهَلْ عندك من شيءٍ تستحلّها به » . فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال : « ما فعلت درعٌ سلّحتُكها ؟ » فوالذي نفس عليٍّ بيده ، إنّها لحُطَميّةٌ ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندي . فقال : « قد زوّجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلّها بها » . فإن كانت لَصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : فولدت فاطمة لعليٍّ حسناً ، وحسيناً ، ومحسّناً ، مات صغيراً ، وأمّ كلثومٍ ، وزينب .

ثم روى البيهقيّ[٤] من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عليٍّ قال : جهّز رسول الله ﷺ فاطمة في خَميلٍ وقِربةٍ ووسادة أدُمٍ حشوها إذخرٌ .

ونقل البيهقيّ عن كتاب « المعرفة » لأبي عبد الله بن منده ، أنّ علياً تزوّج فاطمة بعد سنةٍ من الهجرة ، وابتنى بها بعد ذلك بسنةٍ أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشّارفين ، يقتضي أنّ ذلك عقب وقعة بدرٍ بيسيرٍ ، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية ، والله أعلم .

فصل

في ذكر جُمَلٍ من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة

تقدّم ما ذكرناه من تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بعائشة أمّ المؤمنين ، رضي الله عنها ، وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمّن ذلك وفيات أعيانٍ من المشاهير من المؤمنين والمشركين ،

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٦٠) .

(٢) يعني الحاكم صاحب « المستدرك على الصحيحين » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٣١) .

(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٦١) .

فكان ممّن توفّي فيها : الشهداء يوم بدرٍ ، وهم أربعة عشر ، ما بين مهاجريٍّ وأنصاريٍّ ، تقدّم تسميتهم ، والرؤساء من مشركي قريشٍ ، وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور .

وتوفّي بعد الوقعة بيسيرٍ أبو لهبٍ عبد العزّى بن عبد المطلب ، لعنه الله ، كما تقدّم . ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، بما أحلّ الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقيّة بنت رسول الله ﷺ قد توفّيت ، وساووا عليها التراب ، وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرّضها بأمر النبيّ ﷺ له بذلك ، ولهذا ضرب له بسهمه في مغانم بدرٍ ، وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوّجه بأختها الأخرى أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان : ذو النّورين ، ويقال : إنّه لم يُغْلِق أحدٌ على ابنتي نبيٍّ ، واحدةً بعد الأخرى غيره ، رضي الله عنه وأرضاه .

وفيها حوّلت القبلة ، كما تقدّم[١] ، وزيد في صلاة الحضر على ما سلف .

وفيها فرض الصّيام صيام رمضان ، كما تقدم .

وفيها فرضت الزكاة ذات النّصُب ، وفرضت زكاة الفطر .

وفيها خضع المشركون من أهل المدينة ، واليهود الذين هم بها ؛ من بني قينقاع وبني النّضير وبني قريظة ، ويهود بني حارثة ، وصانعوا المسلمين ، وأظهر الإسلام طائفةٌ كثيرةٌ من المشركين واليهود ، وهم في الباطن منافقون ؛ منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحلّ بالكلّيّة ، فبقي مذبذباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير[٢] : وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل ، وكانت معلّقةً بسيفه .

قال ابن جريرٍ[٣] : وقيل : إنّ الحسن بن عليٍّ ولد فيها .

قال : وأما الواقديّ فإنّه زعم أنّ ابن أبي سبرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبي جعفرٍ ، أنّ عليّ بن أبي طالبٍ بنى بفاطمة في ذي الحجّة منها . قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحةً ، فالقول الأوّل باطلٌ .

***

(١) انظر « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٨ ـ ٦٢) بتحقيق شيخيَّ المحدّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، والمحقّق الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٨٦) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٨٥) .

سنة ثلاث من الهجرة

في أوّلها كانت غزوة نجدٍ ، ويقال لها : غزوة ذي أمرّ[١] .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السّويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجّة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمرّ .

قال ابن هشام[٣] : واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجدٍ صفَراً كلّه أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

وقال الواقديّ[٤] : بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محاربٍ تجمّعوا بذي أمرّ يريدون حربه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيعٍ الأول سنة ثلاثٍ ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعمئةٍ وخمسون رجلاً ، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال ، حتى بلغ ماءً يقال له : ذو أمرّ فعسكر به ، وأصابهم مطرٌ كثيرٌ ، فابتلّت ثياب رسول الله ﷺ ، فنزل تحت شجرةٍ هناك ، ونشر ثيابه لتجفّ ، وذلك بمرأىً من المشركين ، واشتغل المسلمون في شؤونهم ، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم ، يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث . فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمدٍ . فذهب ذلك الرجل ، ومعه سيفٌ صقيلٌ ، حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : « الله » . ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، فقال : « من يمنعك مني ؟ » . قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثّر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ، فلمّا رجع إلى أصحابه ، فقالوا : ويلك ، ما لك ؟ فقال : نظرت إلى رجلٍ طويلٍ فدفع في صدري ، فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملَكٌ ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثّر عليه جمعاً ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام . قالوا : ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١) انظر ما قاله شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله في ضبطه لاسم هذا الموقع فيما علَّقه على « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٢٣ ـ ٢٤) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٣) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٦) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٤) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٩٤) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٤) .

اذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ الآية [المائدة : ١١] .

قال البيهقيّ[١] : وسيأتي في غزوة ذات الرّقاع قصةٌ تشبه هذه ، فلعلّهما قصتان .

قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ؛ لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم ، بل استمر على دينه ، ولكن عاهد النبيّ ﷺ أن لا يقاتله ، والله أعلم .

غزوة الفُرُع[٢] من بُحْرَان[٣]

قال ابن إسحاق[٤] : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كلّه ، أو إلّا قليلاً منه ، ثم غزا يريد قريشاً .

قال ابن هشام[٥] : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ . قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحران ، وهو معدنٌ بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيعٍ الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقال الواقديّ[٦] : إنما كانت غيبته ، عليه السلام ، عن المدينة عشرة أيامٍ ، فالله أعلم .

خبر يهود بني قينُقاع من أهل المدينة

وقد وزعم الواقديّ[٧] أنها كانت في يوم السبت ، النصف من شوالٍ سنة ثنتين من الهجرة ، فالله أعلم. وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٥] .

قال ابن إسحاق[٨] : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أنّ رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ، ثم قال : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريشٍ من النّقمة وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسلٌ ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » . قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنّا قومك ! لا يغرّنّك أنّك لقيت قوماً لا عِلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصةً ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس » .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٦٩) .
(٢) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٣١٥ ـ ٣١٦) .
(٣) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٥٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٥٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٦) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٥) .
(٦) انظر « المغازي » (١/ ١٩٧) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٥) .
(٧) انظر « المغازي » (١/ ١٧٦) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٤) .

قال ابن إسحاق[١] : فحدثني مولىً لزيد بن ثابتٍ ، عن سعيد بن جبيرٍ ، أو عن[٢] عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيهم : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ يعني أصحاب بدرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وقريشٍ : ﴿ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٢-١٣] .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ بني قينقَاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحدٍ .

قال ابن هشامٍ[٤] : فذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسْوَر بن مخرمة ، عن أبي عونٍ ، قال : كان من أمر بني قينقاع أنّ امرأةً من العرب قدمت بجلبٍ لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغٍ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلمّا قامت انكشفت سوأتها ؛ فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصَّائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فأُغضبَ[٥] المسلمون ، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق[٦] : فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في مواليّ - وكانوا حلفاء الخزرج - قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في مواليّ . قال : فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبيّ ﷺ - قال ابن هشامٍ[٧] : وكان يقال لها : ذات الفضول - فقال له رسول الله ﷺ : « أرسلني » . وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً ، ثم قال : « ويحك أرسلني » . قال : لا والله لا أُرسلك حتى تحسن في مواليّ ؛ أربعمئة حاسرٍ وثلاثمئة دارعٍ ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداةٍ واحدةٍ ، إني والله امرؤٌ أخشى الدّوائر . قال : فقال له رسول الله ﷺ : « هم لك » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٤) .
(٢) في (آ) و(ط) : « وعن » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧ - ٤٨) .
(٥) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مغضب » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩) .

قال ابن هشام[١] : واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إياهم أبا لبابة بَشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلةً .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني أبي ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصَّامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ ، تشبّث بأمرهم عبد الله بن أُبيّ ، وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصَّامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني عوفٍ ، لهم من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرّأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولّى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفّار وولايتهم . قال : ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت القصة من المائدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ الآيات ، حتى قوله : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾ يعني عبد الله بن أُبيّ ، إلى قوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥١ ـ ٥٦] يعني عبادة بن الصَّامت . وقد تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٣] .

سريّـة زيد بن حارثة

[رضي الله عنه]

قال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : وكانت بعد وقعة بدرٍ بستة أشهرٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان من حديثها أنّ قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدرٍ ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجارٌ ، فيهم أبو سفيان ، ومعه فضةٌ كثيرةٌ ، وهي عُظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائلٍ ، يقال له : فُرات بن حيّان ـ يعني العجليّ ، حليف بني سهمٍ ـ ليدلّهم على تلك الطريق .

قال ابن إسحاق[٥] : فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، فلقيهم على ماءٍ يقال له : القَرَدة . من مياه نجدٍ ، فأصاب تلك العِير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك حسان بن ثابتٍ[٦] : [من الطويل]

دعوا[٧] فلجات الشام قد حال دونها ... جـلادٌ كـأفـواه المخـاض الأوارك

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ١٢٣ ـ ١٣١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٦) .
(٦) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٨٥) .
(٧) في « ديوان حسَّان بن ثابت » : « ذروا » .

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم ... وأنصاره حقّاً وأيدي الملائكِ
إذا سلكت للغور من بطن عالجٍ[١] ... فقولا لها ليس الطريق هنالِكِ

قال ابن هشام[٢] : وهذه الأبيات في قصيدةٍ لحسان ، وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث .

وقال الواقديّ[٣] : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السّريّة مستهلّ جمادى الأولى على رأس ثمانيةٍ وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العِير صفوان بن أميّة ، وكان سبب بعثه زيد بن حارثة ؛ أنّ نعيم بن مسعودٍ قدم المدينة ومعه خبر هذه العِير ، وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحُقَيق في بني النّضير ، ومعهم سليط بن النّعمان وكان أسلم ، فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر ، فتحدّث بقضية العير نعيم بن مسعودٍ ، وخروج صفوان بن أميّة فيها ، وما معه من الأموال ، فخرج سليطٌ من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم ، فأخذوا الأموال ، وأعجزهم الرّجال ، وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير ، فخمّسها رسول الله ﷺ ، فبلغ خمسها عشرين ألفاً ، وقسّم أربعة أخماسها على السّريّة ، وكان فيمن أسر الدليل فُرات بن حيّان ، فأسلم ، رضي الله عنه .

قال ابن جرير[٤] : وزعم الواقديّ أنّ في ربيعٍ من هذه السنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثومٍ بنت رسول الله ﷺ ، وأُدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف اليهوديّ

وكان من بني طيّىء ، ثم أحد بني نبهان ، ولكنّ أُمّه من بني النّضير . هكذا ذكره ابن إسحاق[٥] قبل جلاء بني النّضير ، وذكره البخاريّ[٦] والبيهقيّ[٧] بعد قصة بني النّضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتي ، فإن بني النّضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحدٍ ، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر ، كما سنبيّنه بطريقه إن شاء الله .

قال البخاريّ في « صحيحه »[٨] : قتل كعب بن الأشرف ، حدّثنا عليّ بن عبد الله ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ : « مَن لكعب بن الأشرف ؛ فإنّه قد آذى

---

(١) رواية هذه الشطرة في « ديوان حسّان بن ثابت » : « إذا هبطت حوران من رمل عالجٍ » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٩٧) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٩١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص (٢٩٧) .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤٠٣٧) .
(٧) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٨٧) .
(٨) رقم (٤٠٣٧) .

الله ورسوله ؟ » . فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله ، أتحبّ أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال : « قل » . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً ، وإنّه قد عنّانا ، وإني قد أتيتك أستسلفك . قال : وأيضاً والله لتملّنّه . قال : إنّا قد اتبعناه ، فلا نحبّ أن ندعه حتى ننظر إلى أيّ شيءٍ يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا . قال : نعم ، ارهنوني . قلت : أيّ شيءٍ تريد ؟ قال : ارهنوني نساءكم . فقالوا : كيف نرهنك نساءنا ، وأنت أجمل العرب . قال : فارهنوني أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا ؛ فيسبّ أحدهم ، فيقال : رهن بوسقٍ أو وسقين . هذا عارٌ علينا ، ولكن نرهنك اللأمَةَ . قال سفيان : يعني السلاح . فواعده أن يأتيه ليلاً ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كعبٍ من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمروٍ : قالت : أسمع صوتاً كأنّه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لو دعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب . قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، قيل لسفيان : سمّاهم عمروٌ ؟ قال : سمّى بعضهم . قال عمروٌ : جاء معه برجلين . وقال غير عمروٍ : أبو عبس بن جبرٍ والحارث بن أوسٍ وعبّاد بن بشرٍ۔ قال عمروٌ : جاء معه برجلين فقال : إذا ما جاء ، فإني نائلٌ[1] بشَعره فأشمّه ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . وقال مرّةً : ثم أشمّكم . فنزل إليهم متوشّحاً وهو ينفح منه ريح الطّيب ، فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً . أي : أطيب . وقال غير عمروٍ : قال : عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب . قال عمروٌ : فقال : أتأذن لي أن أشمّ رأسك ؟ قال : نعم . فشمّه ثم أشمّ أصحابه ، ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن مِنْهُ ، قال : دونكم . فقتلوه ، ثم أتوا النبيّ ﷺ فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق[2] : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيّىءٍ ثم أحد بني نبهان ، وأمّه من بني النّضير ، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدرٍ ، حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، قال : والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم ، لَبطن الأرض خيرٌ من ظهرها . فلما تيقّن عدوّ الله الخبر ، خرج إلى مكة ، فنزل على المطّلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السّهميّ ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرّض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ، ويندب من قتل من المشركين يوم بدرٍ . فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها : [من الكامل]

طحنتْ رحى بدرٍ لمهلك أهله ... ولمثل بدرٍ تستهلّ وتدمعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابتٍ[3] ، رضي الله عنه ، ومن غيره ، ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبّب بنساء المسلمين ، ويهجو النبيّ ﷺ وأصحابه .

---

(١) في (ط) : « مائلٌ » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .
(٣) ومما جاء في جواب حسّان بن ثابت رضي الله عنه عليه كما في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣) وهي في « ديوانه » (١/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) مع بعض الخلاف وانظر تعليق محققه عليها : =

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بني النّضير ، أو فيهم ، قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء ، وركب إلى قريشٍ فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك الله ، أدينُنا أحبّ إلى الله أم دين محمدٍ وأصحابه ؟ وأيّنا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحقّ ؟ إنّا نطعم الجزور الكوماءَ ، ونسقي اللبن على الماء ، ونطعمهم ما هبّت الشّمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلاً . قال : فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ ـ ٥٢] .

قال موسى ومحمد بن إسحاق[(١)] : وقدم المدينة فجعل يعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ ، وجعل يشبّب بأمّ الفضل بنت الحارث ، وبغيرها من نساء المسلمين حتى آذاهم .

قال ابن إسحاق[(٢)] : فقال رسول الله ﷺ كما حدّثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة : « من لي بابن الأشرف ؟ » . فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » . قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلّا ما يُعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : « لم تركت الطعام والشراب ؟ » . فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا ؟ قال : « إنما عليك الجهد » . قال : يا رسول الله ، إنه لا بدّ لنا من أن نقول . قال : « فقولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حلٍّ من ذلك » . قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسِلكان بن سلامة بن وقشٍ ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرَّضاعة ، وعبّاد بن بشر بن وقشٍ ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذٍ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبسٍ بن جبرٍ أخو بني حارثة . قال : فقدّموا بين أيديهم إلى عَدُوِّ الله كعبٍ سلكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدّث معه ساعةً ، تناشدا شعراً ـ وكان أبو نائلة يقول الشعر ـ ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ، إني قد جئتك لحاجةٍ أريد ذكرها لك فاكتم عني . قال : أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ؛ عادتْنا العرب ، ورمتنا عن قوسٍ واحدةٍ ، وقطعت عنّا السّبل ، حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . فقال كعب بن

=
أبكي لكعب ثم عُلَّ بعبرة ... منه وعاش مجدَّعاً لا يسمعُ
ولقد رأيت ببطن بدرٍ منهمُ ... قتلى تسُحّ لها العيون وتدمعُ
فابكي فقد أبكيت عبداً راضعاً ... شبه الكُليب إلى الكليبة يتبعُ

- قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .

الأشرف : أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سِلكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثّق لك ، وتحسن في ذلك . قال : ترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتَبيعهم ، وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحلْقة ما فيه وفاءٌ . وأراد سِلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها ، فقال : إن في الحلْقة لوفاءً . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا ، فيجتمعو إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[1] : فحدّثني ثور بن زيدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجّههم وقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلةٍ مقمرةٍ ، فانطلقوا حتى انتَهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهدٍ بعرسٍ ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : أنت امرؤٌ محاربٌ ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشرّ . قال : يقول لها كعبٌ : لو دعي الفتى لطعنةٍ أجاب . فنزل فتحدّث معهم ساعةً وتحدّثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شِعب العجوز ، فنتحدّث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشَون فمشوا ساعةً ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شمّ يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قطّ . ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله . فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغولاً في سيفي فأخذته ، وقد صاح عدوّ الله صيحةً لم يبق حولنا حصنٌ إلّا أُوقدت عليه نارٌ . قال : فوضعته في ثُنّته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدوّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذٍ بجرحٍ في رجله أو في رأسه ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أُمية بن زيدٍ ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاثٍ ، حتى أسندنا في حرّة العُرَيض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوسٍ ، ونزفه الدَّم ، فوقفنا له ساعةً ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه ، فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائمٌ يصلي ، فسلّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا ، وقد خافت يهود لوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهوديٌّ إلّا وهو خائفٌ على نفسه .

قال ابن جريرٍ[2] : وزعم الواقديّ أنهم جاؤوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[3] : وفي ذلك يقول كعب بن مالكٍ : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٨) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري (٢/ ٤٩١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧) .

فغــودر منهــم كعــبٌ صــريعــاً ... فــذلّــت بعــد مصــرعــه النّضيــر
علــى الكفّيــن ثــم وقــد علتْــه ... بــأيــدينــا مشهّــرةٌ ذكــور
بــأمــر محمــدٍ إذ دسّ ليــلاً ... إلــى كعــبٍ أخــا كعــبٍ يسيــر
فمــا كــره فــأنــزلــه بمكــرٍ ... ومحمــودٌ أخــو ثقــةٍ جســور

قال ابن هشامٍ[١] : وهذه الأبيات في قصيدةٍ له في يوم بني النّضير ستأتي .

قلت : كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدرٍ ، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحُقيق بعد وقعة أحدٍ ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت[٢] : [من الكامل]

لله درّ عصــــابــــةٍ لاقَيتَهـــــم ... يابن الحُقيق وأنت يابن الأشرف
يسْـرون بـالبيـض الخفَـاف إليكـمُ ... مرُحـاً كـأُسدٍ فـي عَـرِيـنٍ مغرف
حتـى أتـوكـم فـي محـلّ بـلادكـم ... فسقــوكــمُ حتفــاً ببيــضٍ ذفّــف
مستنصيــريــن لنصــر ديــن نبيّهــم ... مستصغــريــن لكــلّ أمــرٍ مجحــفِ

قال محمد بن إسحاق[٣] : وقال رسول الله ﷺ : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » . فوثب عند ذلك محيّصة بن مسعودٍ الأوسيّ على ابن سنينة ـ رجلٍ من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم ـ فقتله ، وكان أخوه حويّصة بن مسعودٍ أسنّ منه ، ولم يسلم بعد ، فلمّا قتله جعل حويّصة يضربه ويقول : أي عدوّ الله ، أقتلتَه ؟ أما والله لربّ شحمٍ في بطنك من ماله . قال محيّصة : فقلت : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويّصة ، وقال : والله لو أمرك محمدٌبقتلي لتقتلني ؟! قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها . قال : فوالله إن دِيناً بلغ بك هذا لعجبٌ ، فأسلم حويّصة .

قال ابن إسحاق[٤] : حدّثني بهذا الحديث مولىً لبني حارثة ، عن ابنة محيّصة ، عن أبيها .

وقال في ذلك محيّصة : [من الطويل]

يلــوم ابــنُ أمّ لــو أمــرت بقتلــه ... لطبّقــت ذِفــراه بــأبيــضَ قــاضــب
حسام كلون الملح أُخلص صقله ... متــى مــا أُصــوّبــه فليــس بكــاذب
ومــا سـرّنــي أنّــي قتلتــك طــائعــاً ... وأنّ لنــا مــا بيــن بصــرى ومــأرب

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧ ـ ٥٨) و« ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٤١١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٨) .

وحكى ابن هشامٍ[١] : عن أبي عبيدة ، عن أبي عمروٍ المدنيّ أنّ هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة ، وأن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلمّا قتله محيّصة عن أمر رسول الله ﷺ ، يوم بني قريظة ، قال له أخوه حويّصة ما قال ، فردّ عليه محيّصة بما تقدّم ، فأسلم حويّصة يومئذٍ ، فالله أعلم .

تنبيهٌ : ذكر البيهقيّ والبخاريّ قبله خبر بني النّضير قبل وقعة أحدٍ ، والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أنّ الخمر حرّمت ليالي حصار بني النّضير ، وثبت في « الصحيح »[٢] أنّه اصطبح الخمرَ جماعةٌ ممّن قتل يوم أحدٍ شهيداً ، فدلّ على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً ، وإنما حرّمت بعد ذلك ، فتبيّن ما قلناه من أن قصة بني النّضير بعد وقعة أحدٍ[٣] ، والله أعلم .

تنبيهٌ آخر : خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدرٍ كما تقدّم ، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ على يدي الأوس ، وخبر بني النّضير بعد وقعة أحدٍ كما سيأتي ، وكذلك مقتل أبي رافعٍ اليهوديّ تاجر أهل الحجاز ، على يدي الخزرج على المشهور ، وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق ، كما سيأتي .

غزوة أُحدٍ في شوالٍ سنة ثلاثٍ

فائدةٌ ذكرها المؤلف في تسمية أحدٍ :

قال : سمّي أحدٌ أحداً ؛ لتوحّده من بين تلك الجبال[٤] .

وفي « الصحيح »[٥] : « أحدٌ جبلٌ يحبّنا ونحبّه » .

قيل : معناه أهله . وقيل : لأنّه كان يبشّره بقرب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل المُحبُّ . وقيل : على ظاهره ، كقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

وفي الحديث عن أبي عبس بن جبرٍ[٦] : « أحدٌ يحبّنا ونحبّه ، وهو على باب الجنة ، وعِيرٌ[٧] يبغضُنا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٢٨١٥) و(٤٠٤٤) و(٤٦١٨) .
(٣) قلت : وكذا ذكرها المؤلف في كتابه « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص(١٥٧ ـ ١٥٨) فرتّب الكلام عليها فيما جرى بعد غزوة أحد ، وقد سبقه إلى ذلك ابن سيد الناس في « عيون الأثر » (٢/ ٧٣) .
(٤) وقد ذكر الفيروزابادي مثل كلام المؤلف وزاد عليه في كتابه الهام « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(١٠) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٤٨١) ومسلم رقم (١٣٦٥) .
(٦) ذكره الهيثمي في « كشف الأستار عن زوائد البزّار » رقم (١١٩٩) وفي « مجمع الزوائد » (٤/ ١٢) وقال : وفيه من لم أعرفه .
(٧) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

ونبغضه ، وهو على بابٍ من أبواب النار » . قال السّهيليّ مقوّياً لهذا الحديث : وقد ثبت أنّه ، عليه الصلاة والسلام ، قال : « المرء مع من أحبّ » . وهذامن غريب صنع السهيليّ ؛ فإن هذا الحديث إنّما يراد به الناس ، ولا يسمّى الجبل امرأً .

وكانت هذه الغزوة في شوالٍ سنة ثلاثٍ . قاله الزّهريّ ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، ومالكٌ(١) .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوالٍ .

وقال قتادة : يوم السبت الحادي عشر منه .

قال مالكٌ : وكانت الوقعة في أول النهار ، وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ الآيات وما بعدها إلى قوله : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران : ١٢١ ـ ١٧٩] .

وقد تكلّمنا على تفاصيل ذلك في كتابنا » بما فيه كفايةٌ . ولله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخّص الوقعة ممّا ساقه محمد بن إسحاق ، وغيره من علماء هذا الشأن .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وكان من حديث أحدٍ ، كما حدّثني محمد بن مسلمٍ الزهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حبّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ ، وغيرهم من علمائنا ، كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحدٍ ، وقد اجتمع حديثهم كُلُّه فيما سقت ، قالوا ـ أو من قال منهم ـ : لمّا أصيب يوم بدرٍ من كفّار قريشٍ أصحابُ القليب ، ورجع فُلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حربٍ بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهلٍ ، وصفوان بن أُمية ، في رجالٍ من قريشٍ ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدرٍ ، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العِير من قريشٍ تجارةٌ ، فقالوا : يا معشر قريشٍ ، إن محمداً قد وتَرَكم وقتل خياركم ؛ فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرنا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق(٢) : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

---

(١) وأكده ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠١) .

قالوا : فأجمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العِير ، بأحابيشها[١] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وكان أبو عزّة عمرو بن عبد الله الجمحيّ قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، وكان فقيراً ذا عيالٍ وحاجةٍ ، وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزّة ، إنّك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعنّا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، فلا أريد أن أُظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنّا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أُعينك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسرٍ ويسرٍ . فخرج أبو عزّة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول : [من الرجز]

أيا بني عبد مناة الرُّزّامْ أنتم حماةٌ وأبوكمُ حامْ
لا يعدوني نصركم بعد العامْ لا تسلموني لا يحلّ إسلامْ

قال : وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرّضهم ويقول : [من الرجز]

يا مال مال الحسب المقدَّمِ أنشد ذا القربى وذا التّذمّمِ
من كان ذا رحمٍ ومن لم يرحمِ الحِلْفَ وسْط البلد المحرّمِ
عند حطيم الكعبة المعظّمِ

قال : ودعا جبير بن مطعمٍ غلاماً حبشيّاً ، يقال له : وحشيٌّ . يقذف بحربةٍ له قذف الحبشة ، قلّما يخطىء بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعيمة بن عديٍّ ، فأنت عتيقٌ . فخرجت قريشٌ بحدّها وحديدها وجدّها وأحابيشها ، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظّعن ؛ التماس الحفيظة وأن لا يفرّوا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حربٍ ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عكرمة بن أبي جهلٍ بزوجته ابنة عمّه أمّ حكيمٍ بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج عمّه الحارث بن هشامٍ بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عميرٍ الثّقفيّة ، وخرج عمرو بن العاص برَيْطة بنت منبّه بن الحجّاج ، وهي أمّ ابنه عبد الله بن عمروٍ . وذكر غيرهم ممّن خرج بامرأته ، قال : وكان وحشيٌّ كلما مَرَّ بهند بنت عتبة ، أو مرّت به ، تقول : ويهاً أبا دسمة ، اشف واشتف ـ يعني تَحَرِّضه على قتل حمزة بن عبد المطلب ـ فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبلٍ ببطن السّبخة من قناةٍ على شفير الوادي مقابل المدينة ، فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال لهم : « إنّي قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثَلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينةٍ ، فأوّلتها المدينة » . وهذا الحديث رواه البخاريّ ومسلمٌ[٢] جميعاً ، عن أبي كريبٍ ، عن أبي أُسامة ، عن بريد بن عبد الله بن أبي

---

(١) انظر التعريف بهم في حاشية « زاد المعاد » (٣/ ١٧٢) .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٢٢) ومسلم رقم (٢٢٧٢) .

بـردة ، عن أبي بـردة ، عن أبي موسى الأشعريّ ، عن النبيّ ﷺ قال : « رأيت في المنام أنّي أهاجر من مكة إلى أرضٍ بهـا نخلٌ، فذهب وهَلي إلى أنّها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب ، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحدٍ، ثم هززته أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقراً، والله خيرٌ، فإذا هم النّفر من المؤمنين يوم أحدٍ ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصّدق الذي آتانا الله[١] بعد يوم بدرٍ » .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهبٍ ، أخبرني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباسٍ ، قال : تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقّار يوم بدرٍ . قال ابن عباسٍ : وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحدٍ ؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا جاءه المشركون يوم أحدٍ ، كان رأيه أن يقيم بالمدينة ، فيقاتلهم فيها ، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً : تخرج بنا يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحدٍ . ورجَوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدرٍ ، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله ، أقم ، فالرّأي رأيك . فقال لهم : « ما ينبغي لنبيٍّ أن يضع أداته بعدما لبسها ، حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه » . قال : وكان قال لهم يومئذٍ قبل أن يلبس الأداة : « إنّي رأيت أنّي في درعٍ حصينةٍ ، فأوّلتها المدينة ، وأنّي مردفٌ كبشاً ، فأوّلته كبش الكتيبة ، ورأيت أنّ سيفي ذا الفقّار فُلّ ، فأوّلته فَلاًّ فيكم ، ورأيت بقراً تذبح ، فبقرٌ ، والله خيرٌ » . ورواه التّرمذيّ وابن ماجه ، من حديث عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن أبيه به[٣] .

وروى البيهقيّ[٤] من طريق حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيدٍ ، عن أنسٍ مرفوعاً ، قال : « رأيت فيما يرى النائمُ كأنّي مردفٌ كبشاً ، وكأن ظبة سيفي انكسرت ، فأوّلت أنّي أقتل كبش القوم ، وأوّلت كسر ظبة سيفي قتل رجلٍ من عترتي » . فقتل حمزة ، وقتل رسول الله ﷺ طلحة ، وكان صاحب اللّواء .

وقال موسى بن عقبة : ورجعت قريشٌ فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب ، وسار أبو سفيان بن حربٍ في جمع قريشٍ ، وذلك في شوالٍ من السنة المقبلة من وقعة بدرٍ ، حتى نزلوا ببطن

---

(١) لفظ الجلالة لم يرد في (ط) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠٤) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٥٦١) وابن ماجه رقم (٢٨٠٨) ، وهو حديث حسن ، في سنده ابن أبي الزناد ، قال الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) (٢/ ٥٧٦) وقد مشاه جماعة وعدّلوه ، وهو إن شاء الله حسن الحال في الرواية .

(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠٥) ، وإسناده ضعيف ، والصحيح أن الذي قتل طلحة ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الوادي الذي قِبَل أُحدٍ ، وكان رجالٌ من المسلمين لم يشهدوا بدراً ، ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وتَمَنَّوا لقاء العدوّ ؛ ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدرٍ ، فلمّا نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أُحدٍ ، فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدوّ عليهم ، وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيّتنا . ثم إنّ رسول الله ﷺ أُري ليلة الجمعة رؤيا ، فأصبح ، فجاءه نفرٌ من أصحابه فقال لهم : « رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح ، والله خيرٌ ، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبيه ـ أو قال : « به فلولٌ » ـ فكرهته ، وهما مصيبتان ، ورأيت أنّي في درعٍ حصينةٍ ، وأنّي مردفٌ كبشاً » فلمّا أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا أوّلتَ رؤياك ؟ قال : « أَوّلْتُ البقر الذي رأيت نفراً فينا وفي القوم ، وكرهت ما رأيت بسيفي » . ويقول رجالٌ : كان الذي رأى بسيفه ، الذي أصاب وجهه ؛ فإن العدوّ أصاب وجهه يومئذٍ ، وقصموا رباعيته وخرقوا شفته ، يزعمون أنّ الذي رماه عتبة بن أبي وقّاص ، وكان البقر مَن قتل من المسلمين يومئذٍ . وقال : « أوّلت الكبش أنّه كبش كتيبة العدوّ يقتله الله ، وأوّلت الدّرع الحصينة المدينة ، فامكثوا واجعلوا الذّراريّ في الآطام ، فإن دخل علينا القوم في الأزقّة ، قاتلناهم ورُموا من فوق البيوت » . وكانوا قد سكّوا أزقّة المدينة بالبنيان حتى كانت كالحصن . فقال الذين لم يشهدوا بدراً : كنّا نتمنّى هذا اليوم وندعو الله ، فقد ساقه الله إلينا وقرّب المسير . وقال رجالٌ من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شِعبنا ؟ وقال رجالٌ : ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرث يزرع ؟ وقال رجالٌ قولاً صدقوا به ومضوا عليه ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، قال : والذي أنزل عليك الكتاب لنجالدنّهم . وقال نعمان بن مالك بن ثعلبة ، وهو أحد بني سالمٍ : يا نبيّ الله ، لا تحرمنا الجنَّة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنّها . فقال له رسول الله ﷺ : « بم ؟ » . قال : لأنّي أحبّ الله ورسوله ، ولا أفرّ يوم الزّحف . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » . واستُشهد يومئذٍ . وأبى كثير من الناس إلّا الخروج إلى العدوّ ، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه ، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ، ولكن غلب القضاء والقدر ، وعامّة من أشار عليه بالخروج رجالٌ لم يشهدوا بدراً ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدرٍ من الفضيلة ، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ الجمعة ، وعظ الناس وذكّرهم وأمرهم بالجدّ والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بلأمته فلبسها ، ثم أذّن في الناس بالخروج ، فلمّا رأى ذلك رجالٌ من ذوي الرأي ، قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة ، وهو أعلم بالله وما يريد ، ويأتيه الوحي من السماء ، فقالوا : يا رسول الله ، امكث كما أمرتنا . فقال : « ما ينبغي لنبيّ إذا أخذ لأمة الحرب وأذّن بالخروج إلى العدوّ ، أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلّا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدوّ ، وانظروا ما آمركم به فافعلوه » . قال : فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، فسلكوا على البدائع ، وهم ألف رجلٍ ، والمشركون ثلاثة آلافٍ ، فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحدٍ ، ورجع عنه عبد الله بن أُبيّ بن سلول في ثلاثمئةٍ ، فبقي رسول الله ﷺ في سبعمئةٍ .

قال البيهقيّ[١] : هذا هو المشهور عند أهل المغازي ؛ أنّهم بقوا في سبعمئة مقاتلٍ . قال : والمشهور عن الزّهريّ أنّهم بقوا في أربعمئة مقاتلٍ ، كذلك رواه يعقوب بن سفيان[٢] ، عن أصبغ ، عن ابن وهبٍ ، عن يونس ، عن الزّهريّ . وقيل عنه بهذا الإسناد : سبعمئةٍ ، فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مئة فرسٍ ، وكان لواؤه مع طلحة بن عثمان . قال : ولم يكن مع المسلمين فرسٌ واحدةٌ . ثم ذكر الوقعة كما سيأتي تفصيلها ، إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : لمّا قصّ رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم : « إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدَعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقامٍ ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » . وكان رأي عبد الله بن أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج إليهم ، فقال رجالٌ من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحدٍ وغيره ممّن كان فاته بدرٌ : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنّا جبُنّا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله بن أُبيٍّ : يا رسول الله ، لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ قطُّ إلّا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلّا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأْمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من بني النجّار يقال له : مالك بن عمروٍ . فصلّى عليه ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلمّا خرج عليهم قالوا : يا رسول الله ، إن شئت فاقعد . فقال : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه .

قال ابن هشامٍ[٤] : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : حتى إذا كان بالشّوط بين المدينة وأُحدٍ ، انخزل عنه عبد الله بن أُبيٍّ بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، وما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيّها الناس ؟! فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النِّفَاق والرّيب ، واتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرامٍ السّلميّ ، والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم ، أذكّركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيّكم عند ما حضر من عدوّهم . قالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنّه يكون قتالٌ . فلمّا استعصوا عليه وأبوا إلّا الانصراف ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيّه .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٢٠) .
(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٨٢) للفسوي .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) والعبارة فيه : « واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٧] يعني ، أنّهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم . وذلك لأنّ وقوع القتال أمره ظاهرٌ بيّنٌ واضحٌ ، لا خفاء به ولا شكّ فيه ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ ﴾ الآية [النساء : ٨٨] . وذلك أن طائفةً قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبُيّن في « الصحيح »[(١)]

وذكر الزّهريّ أن الأنصار استأذنوا حينئذٍ رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : « لا حاجة لنا فيهم » .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنّ بني سلمة وبني حارثة ، لما رجع عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ، همّتا أن تفشلا ، فثبّتهما الله تعالى . ولهذا قال : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

قال جابر بن عبد الله : ما أُحبّ أنها لم تنزل ، والله يقول : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾ . كما هو ثابتٌ في « الصحيحين » عنه[(٢)] .

قال ابن إسحاق[(٣)] : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذبّ فرسٌ بذَنبه ، فأصاب كلاّب سيفٍ فاستلّه فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف : « شِم سيفك ـ أي أغمده ـ فإنّي أرى السيوف ستُسلّ اليوم » . ثم قال النبيّ ﷺ لأصحابه : « مَن رجلٌ يخرج بنا على القوم من كثَبٍ ـ أي من قربٍ ـ من طريقٍ لا يمرّ بنا عليهم ؟ » . فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مالٍ لمربع بن قيظيٍّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله ، فإنّي لا أحلّ لك أن تدخل في حائطي .

قال ابن إسحاق[(٤)] : وقد ذُكر لي أنّه أخذ حفنةً من ترابٍ في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك يا محمد ، لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » . وقد بدر إليه سعد بن زيدٍ أخو بني عبد الأشهل ، قبل نهي رسول الله ﷺ ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشّعب من

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٥٨٩) و« صحيح مسلم » رقم (٢٧٧٦) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٥) .

أُحدٍ ، في عُدْوة الوادي إلى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحدٍ ، وقال : « لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال » . وقد سرّحت قريشٌ الظّهر والكراع في زروعٍ كانت بالصّمغة من قناة للمسلمين ، فقال رجلٌ من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال ، أتُرعى زروعُ بني قيلة ولما نضارب ؟! وتعبّأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمئة رجلٍ ، وأمّر على الرّماة يومئذٍ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو معلّم يومئذ بثيابٍ بيضٍ ، والرّماة خمسون رجلاً ، فقال : « انضح الخيل عنا بالنّبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لا نؤتينّ من قِبلك » وسيأتي شاهد هذا في « الصحيحين » إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق[١] : وظاهرَ رسول الله ﷺ بين درعين ـ يعني لبس درعاً فوق درعٍ ـ ودفع اللّواء إلى مصعب بن عميرٍ ، أخي بني عبد الدار .

قلت : وقد ردّ رسول الله ﷺ جماعةً من الغلمان يوم أحدٍ ، فلم يمكّنهم من حضور الحرب لصغرهم ؛ منهم عبد الله بن عمر ، كما ثبت عنه في « الصحيحين » قال : عُرضتُ على النبيّ ﷺ يوم أحدٍ فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني . وكذلك ردّ يومئذٍ أسامة بن زيدٍ ، وزيد بن ثابتٍ ، والبراء بن عازبٍ ، وأسيد بن ظهيرٍ ، وعَرابة بن أوس بن قيظيٍّ ، ذكره ابن قتيبة في « المعارف »[٢] وأورده السّهيليّ[٣] . قال : وهو الذي يقول فيه الشّمّاخ[٤] : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ ... تلقّاها عَرابة باليمين

ومنهم سعد ابن حبتة ، ذكره السّهيليّ أيضاً ، وأجازهم كلّهم يوم الخندق ، وكان قد ردّ يومئذٍ سمرة بن جندبٍ ورافع بن خديجٍ ، وهما ابنا خمس عشرة سنةً ، فقيل : يا رسول الله ، إنّ رافعاً رامٍ . فأجازه . فقيل : يا رسول الله ، فإنّ سمرة يصرع رافعاً . فأجازه .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[٥] : وتعبّأت قريشٌ ، وهم ثلاثة آلافٍ ، ومعهم مئتا فرسٍ قد جنّبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشامٍ . وقال رسول الله ﷺ : « من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ » . فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بني ساعدة فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب به في العدوّ حتى ينحني » . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقّه . فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٦٦) .
(٢) انظر « المعارف » ص(٣٣٠) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٤٥٣) .
(٤) البيت في « ديوان الشمّاخ » ص(٣٣٦) طبع دار المعارف بمصر .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٦) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا يزيد وعفان قالا : حدّثنا حمّادٌ ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحدٍ فقال : « من يأخذ هذا السيف ؟ » . فأخذه قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : « من يأخذه بحقّه ؟ » . فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة سماكٌ : أنا آخذه بحقّه . فأخذه ففلق به هام المشركين .

ورواه مسلمٌ[٢] ، عن أبي بكرٍ ، عن عفّان به .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكان له عصابةٌ حمراء يعلم بها عند الحرب ، يعتصب بها فيعلم الناس أنه سيقاتل . قال : فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصّفين .

قال : فحدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ، عن رجلٍ من الأنصار من بني سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : « إنها لمشيةٌ يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدار يحرّضهم على القتال : يا بني عبد الدار ، قد ولّيتم لواءنا يوم بدرٍ ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفُونا لواءنا ، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فهمّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلِّم إليك لواءنا ! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع . وذلك أراد أبو سفيان .

قال : فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعضٍ ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدّفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرّضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول : [من الرجز]

ويْهاً بني عبد الدار ويْهاً حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتّار

وتقول أيضاً : [من مجزوء الرجز]

إن تُقبلوا نعانق ونفرش النّمارق
أو تدبروا نفارق فراقَ غيرِ وامق

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامرٍ عبد عمرو بن صيفيّ بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الأوس ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٧) .

وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يعِد قريشاً أن لو قد لقي قومه ، لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس ، كان أول من لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامرٍ . قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . وكان يسمّى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق[١] : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس .

قال ابن هشام[٢] : وحدّثني غير واحدٍ من أهل العلم ، أنّ الزّبير بن العوّام قال : وجدتُ في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة : وقلت : أنا ابن صفيّة عمّته ومن قريشٍ ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة وتركني ، والله لأنظرنّ ما يصنع . فاتّبعته فأخرج عصابةً له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت . وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب ، فخرج وهو يقول : [من الرجز]

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسّفح لدى النخيلِ
أن لا أقوم الدهر في الكيّول أَضربْ بسيف الله والرسولِ

وقال الأمويّ : حدّثني أبو عبيدٍ في حديث النبيّ ﷺ[٣] ؛ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل ، فسأله سيفاً يقاتل به ، فقال : « لعلك إن أعطيتك ، تقاتل في الكيّول ؟ » . قال : لا . فأعطاه سيفاً ، فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهر في الكيّول

وهذا حديثٌ يروى عن شعبة ، ورواه إسرائيل ، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن هنيدة بن خالدٍ أو غيره يرفعه . الكيّول يعني مؤخّر الصفوف ، سمعته من عدّةٍ من أهل العلم ، ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن إسحاق[٤] : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجلٌ لا يدع جريحاً إلا ذفّف عليه ، فجعل كلّ منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتّقاه بدرقته[٥] ، فعضّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٨) .
(٣) وذكره أبو عبيد في كتابه « غريب الحديث » (٢/ ٢٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .
(٥) أي : بترسه .

على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزّبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقيّ في « الدلائل »[١] من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزّبير بن العوّام بذلك .

قال ابن إسحاق[٢] : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يُحمش الناس حمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلمّا حملت عليه السيف وَلْوَلَ ، فإذا امرأةٌ ، فأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأةً .

وذكر موسى بن عقبة أنّ رسول الله ﷺ لما عرضه ، طلبه منه عمر ، فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزّبير ، فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه الثالثة ، فطلبه أبو دجانة ، فدفعه إليه ، فأعطى السيف حقّه . قال : فزعموا أنّ كعب بن مالكٍ قال : كنت فيمن جرح من المسلمين ، فلمّا رأيت مَثْل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوزت ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع اللأْمة يحوز المسلمين ، وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال : وإذا رجلٌ من المسلمين قائمٌ ينتظره وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدُر المسلم والكافر ببصري ، فإذا الكافر أفضلهما عدّةً وهيئةً . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت ورِكه ، وتفرّق فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة .

مقتل حمزة ، رضي الله عنه

قال ابن إسحاق[٣] : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قَتَل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف [بن عبد الدار] ، وكان أحد النَّفر الذين يحملون اللواء .

وكذلك قَتَل عثمانَ بنَ أبي طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول : [من الرجز]

إن علـى أهـل اللـواء حقـا   أن يخضبوا الصّعدة أو تندقّا

فحمل عليه حمزة فقتله ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزّى الغبشانيّ ، وكان يكنى بأبي نيارٍ ، فقال حمزة : هلمّ [إليّ] يابن مقطّعة البُظور . وكانت أمّه أمّ أنمارٍ مولاة شريق بن عمرو بن وهبٍ الثّقفيّ ، وكانت ختّانةً بمكة ، فلمـا التقيـا ضربه حمزة فقتله ، قال وحشيٌّ غلام جبيرٍ بن مطعم : والله إنّي لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يُليق شيئاً ، مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدّمني إليه سباعٌ ، فقال حمزة : هلمّ إليّ يا بن مقطّعة البظور . فضربه ضربةً فكأنما أخطأ رأسه ، وهززت حربتي ، حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه ، فوقعت في ثُنّته[٤] حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى ، فغلب فوقع ، وأمهلته

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٣٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .
(٤) أي : ما بين السُّرَّة والعانة من أسفل البطن .

حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحّيت إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيره .

(وقال أبو بكر بن أبي عاصم : حدّثني عبد الوهّاب بن نجدة ، حدّثنا بقيّة ، عن بحيرٍ ، عن خالد بن معدان ، عن أبي بلالٍ ، عن عبد الله بن السائب ، أنّ رسول الله ﷺ كان يوم الشّعب آخر أصحابه ، ولم يكن بينه وبين العدوّ غير حمزة يقاتل العدوّ ، فرصده وحشيٌّ فقتله ، وقد قتل الله بيد حمزة من الكُفَّار أحداً وثلاثين ، وكان يدعى أسد الله)[1]

قال ابن إسحاق[2] : وحدّثني عبد الله بن الفضل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن جعفر بن عمرو بن أميّة الضّمريّ قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عديٍّ بن الخيار ، أخو[3] بني نوفل بن عبد منافٍ ، في زمان معاوية ، فأدربنا[4] مع الناس ، فلما مررنا بحمص ، وكان وحشيٌّ مولى جبيرٍ قد سكنها وأقام بها ، فلمّا قدمناها قال عبيد الله بن عديٍّ : هل لك في أن نأتي وحشياً ، فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجلٌ ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديثٍ تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه [ودعاه] . قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسةٍ له ، وإذا شيخٌ كبيرٌ مثل البغاث ، وإذا هو صاحٍ لا بأس به ، فلمّا انتهينا إليه سلّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عديّ فقال : ابنٌ لعديّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله ما رأيتُك منذ ناولتُك أمّك السّعديّة التي أرضعتك بذي طوى ، فإنّي ناولتُكها وهي على بعيرها ، فأخذتُك بعُرضيك ، فلمعت لي قدماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفتَ عليّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدّثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنّي سأحدّثكما كما حدّثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ؛ كنت غلاماً لجبيرِ بن مطعمٍ ، وكان عمُّه طعيمة بن عديٍّ قد أصيب يوم بدرٍ ، فلمّا سارت قريشٌ إلى أُحدٍ قال لي جبيرٌ : إن قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعَيْمَة[5] ، فأنت عتيقٌ . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشيّاً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلّما أخطىء بها شيئاً ، فلمّا التقى الناس خرجتُ أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته في عرض الناس كأنّه الجمل الأورق ، يهدّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيءٌ ، فوالله إني لأتهيّأ له ، أريده وأستتر منه بشجرةٍ أو بحجرٍ ليدنو مني ، إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العزّى ،

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط) وانفردت به (آ) ، والحديث إسناده ضعيف ، وفي متنه شذوذ ففيه أن حمزة قتل الله بيده واحداً وثلاثين ، وعدد من قتل في أحد لا يتجاوز بضعاً وعشرين ، وأن حمزة قتل منهم أربعة .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٠) .

(٣) في (ط) : « أحد » وهو خطأ ، وما جاء في (آ) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٤) أي : دخلنا الدَّرب .

(٥) لفظ « طُعَيْمَة » لم يرد في (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام ، وهو مما انفردت به (آ) .

فلمّا رآه حمزة قال : هلمّ إليّ يابن مقطّعة البظور . قال : فضربه ضربةً كأنما أخطأ رأسه . قال : وهززت حربتي ، حتى إذا رضيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت في ثنّته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوءَ نحوي فغُلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجةٌ ، إنما قتلته لأُعتق ، فلمّا قدمت مكة عتقت ثم أقمت ، حتى [إذا] افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطَّائف فكنت بها ، فلما خرج وفدُ الطَّائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا ، تعيّت عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همّي ، إذ قال لي رجلٌ : ويحك ! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحقّ .

قال : فلمّا قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحقّ ، فلما رآني قال[1] : « أوحشيٌّ ؟ » . قلت : نعم يارسول الله . قال : « اقعد فحدّثني كيف قتلت حمزة » . قال : فحدّثته كما حدّثتكما ، فلمّا فرغت من حديثي قال : « ويحك ! غيّب عني وجهك فلا أرينّك » . قال : فكنت أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان ؛ لئلاّ يراني ، حتى قبضه الله عز وجلّ ، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذّاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً في يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيّأت له ، وتهيّأ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززت حربتي ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصاريّ بالسيف ، فربُّك أعلم أيّنا قتله ، فإن كنت قتلتُه ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقتلت شرّ الناس .

قلت : الأنصاريّ هو أبو دجانة سماك بن خرشة ، كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة مع مسيلمة .

وقال الواقديّ في « الرّدّة » : هو عبد الله بن زيد بن عاصمٍ المازنيّ .

وقال سيف بن عمر[2] : هو عديّ بن سهلٍ ، وهو القائل : [من المتقارب]

ألـم تـر أنـي ووحشيَّهـم قتلـتُ مسيلمـةَ المفتتَـنْ
ويسألني الناس عن قتله فقلت ضربتُ وهذا طعنْ

والمشهور أنّ وحشياً هو الذي بدره بالضربة ، وذفّف عليه أبو دجانة ؛ لما روى ابن إسحاق[3] ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن ابن عمر ، قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود .

---

(١) في (ط) : « قال لي » .
(٢) في (ط) : « سيف بن عمرو » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .

وقد روى البخاريّ[١] قصة مقتل حمزة ، من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضّمريّ قال : خرجت مع عبيد الله بن عديِّ بن الخيار . فذكر القصة كما تقدّم . وذكر أن عبيد الله بن عديٍّ كان معتجراً عمامةً ، لا يَرى منه وحشيٌّ إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ما تقدّم ، وهذه قيافةٌ عظيمةٌ ـ كما عرف مجزّزٌ المدلجيّ أقدام زيدٍ وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما[٢] ـ وقال في سياقته : فلمّا أن صفّ الناس للقتال ، خرج سباعٌ فقال : هل من مبارزٍ ؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : يا سباع ، يا بن أمّ أنمارٍ مقطّعة البظور ، أتحادُّ الله ورسوله ؟ ثم شدّ عليه ، فكان كأمس الذاهب . قال : وكمنتُ لحمزة تحت صخرةٍ ، فلما دنا مني رميته بحربتي ، فأضعها في ثنّته حتى خرجت من بين وركِه . قال : فكان ذلك آخر العهد به . إلى أن قال : فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذّاب ، قلت : لأخرج إلى مسيلمة لعلّي أقتله فأكافىء به حمزة . قال : فخرجت مع الناس ، فكان من أمره ما كان . قال : فإذا رجلٌ قائمٌ في ثلمة جدارٍ ، كأنّه جملٌ أورق ، ثائر الرأس . قال : فرميته بحربتي ، فأضعها بين ثديَيه حتى خرجت من كتفيه . قال : ووثب إليه رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته . قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسارٍ ، أنّه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جاريةٌ على ظهر البيت : وا أميراه[٣] ، قتله العبد الأسود .

قال ابن هشام[٤] : فبلغني أن وحشيّاً لم يزل يُحَدّ في الخمر حتى خُلع من الدّيوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أنّ الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قلت : وتوفّي وحشيّ بن حربٍ أبو دَسْمة ـ ويقال : أبو حرب ـ بحمص ، وكان أول من لبس الثياب المدلوكة .

قال ابن إسحاق[٥] : وقاتل مصعب بن عميرٍ دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمِئة [الليثيّ] ، وهو يظنّ أنّه رسول الله [ﷺ] ، فرجع إلى قريشٍ فقال : قتلت محمداً .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[٦] ، عن سعيد بن المسيّب أنّ الذي قتل مصعباً هو أُبيّ بن خلفٍ ، فالله أعلم .

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٧٢) .
(٢) وذلك فيما رواه البخاري رقم (٣٥٥٥) و(٣٧٣١) و(٦٧٧٠) و(٦٧٧١) ومسلم رقم (١٤٥٩) .
(٣) كذا في (آ) : « وا أميراه » وفي (ط) : « وا أمير المؤمناه » وفي « صحيح البخاري » : « وا أمير المؤمنين » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٦) وذكره البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢١١) .

قال ابن إسحاق[١] : فلمّا قُتل مصعب بن عميرٍ ، أعطى رسول الله ﷺ اللّواء عليَّ بن أبي طالبٍ .

وقال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : كان اللواء أولاً مع عليّ بن أبي طالبٍ ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع بني عبد الدار قال : « نحن أحقّ بالوفاء منهم » أخذ اللواء من عليٍّ فدفعه إلى مصعب بن عميرٍ ، فلما قُتل مصعبٌ أعطى اللواء عليَّ بن أبي طالبٍ .

قال ابن إسحاق[٢] : وقاتَل عليّ بن أبي طالبٍ ورجالٌ من المسلمين .

قال ابن هشامٍ[٣] : وحدّثني مسلمة بن علقمة المازنيّ قال : لمّا اشتد القتال يوم أُحدٍ ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى عليٍّ أن قدّم الرَّاية ، فتقدّم عليٌّ وهو يقول : أنا أبو القصم . فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين ، أن هل لك يا أبا القُصَم في البِراز من حاجةٍ ؟ قال : نعم . فبرزا بين الصفّين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عليٌّ فصرعه ، ثم انصرف ولم يُجْهِز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته ، فعطفتْني عليه الرّحمُ ، وعرفت أنّ الله قد قتله .

[وقد فعل ذلك عليٌّ ، رضي الله عنه ، يوم صفّين مع بُسر بن أبي أرطاة ، لما حمل عليه ليقتله ، أبدى له عن عورته فرجع عنه ، وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه عليٌّ في بعض أيام صفّين ، أبدى عن عورته فرجع عليٌّ أيضاً .

ففي ذلك يقول الحارث بن النّضر : [من الطويل]

أفي كلّ يومٍ فارسٌ غير منتهٍ ... وعورتُه وسْط العجاجة باديه

يكُفّ لها عنه عليٌّ سِنانه ... ويضحك منها في الخَلاء معاويهْ

وذكر يونس ، عن ابن إسحاق[٤] ، أن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ حامل لواء المشركين يومئذٍ دعا إلى البِراز ، فأحجم الناس عنه ، فبرز إليه الزبير بن العوّام ، فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض ، فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال : « إنّ لكلّ نبيٍّ حوارياً ، وحواريّ الزبير »[٥] . وقال : « لو لم يبرز إليه ؛ لما رأيت من إحجام الناس عنه » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٤) وأورده البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٢٧) عن يونس به ، إلا أنه لم يسم الرجل الذي دعا للبراز .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧١٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو عند الترمذي رقم (٣٧٤٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانظر « جامع الأصول » لابن الأثير (٩/ ٥ ـ ٦) بتحقيق والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى وأدام النفع به .

وقال ابن إسحاق[١] : قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعدُ بن أبي وقاصٍ ، وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح ، فقتَل مسافع بن طلحة بن أبي طلحة وأخاه الجُلاس ، كلاهما يشعره سهماً ، فيأتي أمّه سلافة ، فيضع رأسه في حِجرها ، فتقول : يا بنيّ ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأقلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصمٍ ، أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصمٌ قد عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً ، ولا يمسّه . ولهذا حماه الله منهم يوم الرّجيع ، كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٢] : والتقى حنظلة بن أبي عامر ـ واسمه عمرٌو ، ويقال : عبد عمرو بن صيفيّ . وكان يقال لأبي عامرٍ في الجاهلية : الراهب . لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله ﷺ : الفاسق ؛ لمّا خالف الحقّ وأهله ، وخرج من المدينة هرباً من الإسلام ، ومخالفةً للرسول ، عليه السلام ، وحنظلة الذي يُعْرَفُ بحنظلة الغسيل ؛ لأنّه غسّلته الملائكة ، كما سيأتي ـ هو وأبو سفيان صخر بن حربٍ ، فلمّا علاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود ، وهو الذي يقال له : ابن شَعوب . فضربه شدّادٌ فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ صاحبكم لتغسّله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه » . فسُئلت صاحبته ـ قال الواقديّ : هي جميلة بنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، وكانت عروساً عليه تلك الليلة ـ فقالت : خرج وهو جنبٌ حين سمع الهاتفة . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسّلته الملائكة » .

وقد ذكر موسى بن عقبة أنّ أباه ضرب برجله في صدره وقال : ذنبان أصبتهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرّحم ، برّاً بالوالد .

قال ابن إسحاق[٣] : وقال شدّاد بن الأسود في قتله حنظلة : [من الرجز]

لأحمينّ صاحبي ونفسي ... بطعنةٍ مثلِ شُعاع الشمسِ

وقال ابن شَعوب : [من الطويل]

ولولا دفاعي يا بن حربٍ ومشهدي ... لأُلفيتُ يوم النّعف غير مجيبِ
ولولا مَكرّي المهرَ بالنّعف قرقرت ... عليه ضِباعٌ أو ضِراءُ كَليبِ

وقال أبو سفيان : [من الطويل]

ولو شئتُ نجّتني كمَيتٌ طِمرّةٌ ... ولم أحملِ النّعماءَ لابن شَعوب
ومازال مُهري مزجر الكلب منهمُ ... لدُنْ غدوةٍ حتى دنت لِغُروب
أقاتلهم وأدّعي يا لغالبٍ ... وأدفعهم عني بركن صليبِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٥) .

فبكّي ولا ترعي مقالة عاذلٍ ... ولا تسأمي مِن عَبرةٍ ونحيبِ
أباك وإخواناً له قد تتابعوا ... وحقّ لهم من عيرةٍ بنصيب
وسلّى الذي قد كان في النّفس أنَّني ... قتلت من النّجّار كلّ نجيب
ومِن هاشمٍ قَرماً كريماً ومُصعباً ... وكان لدى الهيجاء غيرَ هَيوب
فلو أنني لم أشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجئ في القلب ذاتَ نُدوب
فآبوا وقد أودى الجلابيبُ منهمُ ... بهم خدَبٌ من مُعبطٍ[1] وكئيب
أصابهمُ مَن لم يكن لدمائهم ... كِفاءً ولا في خَطّةٍ بضريب

فأجابه حسان بن ثابتٍ[2] :

ذكرتَ القُروم الصِّيد من آل هاشمٍ ... ولستَ لزُورٍ قلتَه بمصيبِ
أتعجبُ أن أقصدتَ حمزةَ منهمُ ... نجيباً وقد سمّيتَه بنجيبِ
ألم يقتلوا عَمراً وعتبةَ وابنَه ... وشيبةَ والحجّاجَ وابنَ حبيبِ
غداةَ دعا العاصي عليّا فراعه ... بضربة عضبٍ بلّه بخضيبِ

فصل

قال ابن إسحاق[3] : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه [عبّاد] ، عن عبد الله بن الزّبير ، عن الزبير قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها ؛ مشمّراتٍ هوارب ، ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثيرٌ ، إذ مالت الرُّمَاة على العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخٌ : ألا إنّ محمداً قد قتل . فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحدٌ منهم . قال : فحدّثني بعض أهل العلم ، أنّ اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثيّة ، فرفعته لقريشٍ ، فلاثوا به ، وكان اللواء مع صؤابٍ ، غلامٍ لبني أبي طلحة ، حبشيٍّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللّواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول :

اللهمّ هل أعزرتُ ؟ يعني اللهمّ هل أعذرتُ ؟ .

---

(١) في « السيرة النبوية » : « معطب » .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٤٤٦) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٧) .

فقال حسان بن ثابتٍ في ذلك[١] :

فخرتم باللّواء وشرُّ فخرٍ ... لواءٌ حين ردّ إلى صُؤابِ
جعلتم فخركم فيه لعبدٍ ... وألأم مَن يطا عفر التّرابِ
ظننتم والسّفيه له ظنونٌ ... وما إن ذاك من أمر الصّوابِ
بأنّ جِلادنا يوم التقينا ... بمكة بيعكم حمر العيابِ
أقرّ العين أن عصبت يداه ... وما إن تعصبان على خضابِ

وقال حسان بن ثابت [أيضاً] في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم[٢] :

إذا عضلٌ سيقت إلينا كأنّها ... جَداية[٣] شِركٍ[٤] معلَمات الحواجبِ
أقمنا لهم طعناً مبيراً منكّلاً ... وحزناهمُ بالضرب من كلّ جانبِ
فلولا لواء الحارثيّة أصبحوا ... يباعون في الأسواق بيع الجلائبِ

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون ، وأصاب منهم العدوّ ، وكان يوم بلاءٍ وتمحيصٍ ، أكرم الله فيه من أكرم بالشّهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسول الله ﷺ ، فدثّ بالحجارة حتى وقع لشقّه ، فأصيبت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقّاصٍ .

فحدّثني حميدٌ الطّويل[٥] ، عن أنس بن مالكٍ قال : كسرت رباعِية النبيّ ﷺ يوم أحدٍ ، وشجّ في وجهه ، وجعل الدّم يسيل في وجهه ، فجعل يمسح الدّم ويقول : « كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيّهم وهو يدعوهم إلى الله » ؟ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

قال ابن جريرٍ في « تاريخه »[٦] : حدّثنا محمد بن الحسين ، حدّثنا أحمد بن المفضّل[٧] ، حدّثنا أسباطٌ ، عن السُّدّيِّ قال : أتى ابن قمئة الحارثيّ ، فرمى رسول الله ﷺ بحجرٍ ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجّه في وجهه فأثقله ، وتفرّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق طائفةٌ فوق الجبل إلى الصّخرة ، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس : « إليّ عباد الله ، إليّ عباد الله » . فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحدٌ إلّا طلحة وسهل بن حنيفٍ ، فحماه طلحة ، فرمي بسهمٍ في يده فيبست يده ، وأقبل أُبيّ بن خلفٍ الجمحيّ ، وقد حلف ليقتلنّ النبيّ ﷺ فقال : « بل أنا أقتله » .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٦٧) و« السيرة النبوية » (٢/ ٧٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٢٧) و« السيرة النبوية » (٢/ ٧٩) .
(٣) الجداية : الغزال الصغير .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٩) .
(٥) سيأتي الحديث بعد صفحات من هذا الجزء ص١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٦) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥١٩) .
(٧) في (ط) : « أحمد بن الفضل » ، محرف .

فقال : يا كذاب ، أين تفرّ ؟ . فحمل عليه ، فطعنه النبيّ ﷺ في جيب الدّرع ، فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خُوار الثّور ، فاحتَملوه وقالوا : ليس بك جراحةٌ ، فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنّك » ؟ لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم . فلم يلبث إلّا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح ، وفشا في الناس أنَّ رسول الله ﷺ قد قُتل ، فقال : بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبيّ ، فيأخذ لنا أمنةً من أبي سفيان ، يا قوم ، إنّ محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلُوكم . فقال أنس بن النضر : يا قوم ، إن كان محمدٌ قد قتل ، فإن ربَّ محمدٍ لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ ﷺ ، اللهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء . ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل ، وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس ، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلمّا رأوه وضع رجلٌ سهماً في قوسه ، فأراد أن[1] يَرْميه ، فقال : « أنا رسول الله » . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى [أنّ] في أصحابه من يمتنع [به] ، فلمّا اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ، ذهب عنهم الحزْن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجلّ ، في الذين قالوا : إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٤][2] فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وهمّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس لهم أن يعلونا ، اللهمّ إن تقتل هذه العصابة ، لا تعبد في الأرض » . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذٍ : اعل هبل ، حنظلة بحنظلة ، ويوم أحدٍ بيوم بدر . وذكر تمام القصّة . وهذا غريبٌ جداً ، وفي بعضه نكارةٌ ، والله أعلم[3]

قال ابن هشام[4] : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيدٍ [عن أبيه ، عن أبي سعيدٍ] أنّ عتبة بن أبي وقّاصٍ رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السّفلى ، وجرح شفته السّفلى ، وأنّ عبد الله بن شهابٍ الزّهريّ شجّه في جبهته[5] ، وأنّ [عبد الله] بن قمئة جرح وجنته ، فدخلت حلْقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله ﷺ في حفرةٍ من الحفر التي عمل أبو عامرٍ ؛ ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ عليّ بن أبي طالبٍ بيده ﷺ ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصّ مالك بن سنانٍ ، أبو أبي سعيدٍ ، الدَّم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده[6] ، فقال : « من مسّ دمه دمي لم تصبه النّار » .

---

(١) قوله : « فأراد أن » لم يرد في (ط) .
(٢) أورد ناسخ (ط) الآية إلى قوله تعالى : ﴿ . . . مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ وأتممها ناسخ (آ) .
(٣) في (ط) : « وفيه نكارة » فقط .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٠) .
(٥) في (آ) : « في وجهه » وما جاء في (ط) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام مصدر المؤلف .
(٦) أي : ابتلعه .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لمّا وقع لشقّه أُغمي عليه، فمرّ به سالمٌ مولى أبي حذيفة ، فأجلسه ومسح الدم عن وجهه، فأفاق وهو يقول: « كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى الله » ؟ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية . رواه ابن جريرٍ ، وهو مرسلٌ ، وسيأتي بسط هذا في فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكُفّار[1] ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٢ ـ ١٥٣] .

قال الإمام أحمد[2] : ثنا سليمان بن داود ، أنا عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله ، عن ابن عباسٍ أنّه قال : ما نصر الله في موطنٍ كما نصر يوم أحدٍ . قال : فأنكرنا ذلك ، فقال : بيني وبين من أنكر [ذلك] كتاب الله ، إن الله يقول في يوم أحدٍ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ يقول ابن عباسٍ : والحسّ القتل . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ [وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ] وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإنما عنى بهذا الرّماة ، وذلك أنّ النبيّ ﷺ أقامهم في موضعٍ ، ثم قال : « احموا ظهورنا[3] ، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نغنم فلا تَشركونا » . فلمّا غنم النبيّ ﷺ وأباحوا عسكر المشركين ، أكبّ الرّماة جميعاً ، فدخلوا في العسكر ينهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ ، فهم هكذا ـ [وشبّك] بين [أصابع] يديه ـ والتبسوا[4] ، فلمّا أخلّ الرّماة تلك الخَلَّة[5] التي كانوا فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبيّ ﷺ ، فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناسٌ كثيرٌ[6] ، وقد كان لرسول الله ﷺ

---

(١) انظر « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيم الجوزية (٣/ ١٧٦) بتحقيق والدي الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وزميله الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٨٧) .

(٣) في (آ) : « احمو ظهرنا » وأثبت لفظ (ط) ، وهو الموافق لما في « المسند » .

(٤) في (آ) : « وانتشبوا » وأثبت لفظ (ط) .

(٥) أي : ولما ترك الرُّماة مركزهم . جاء في « مختار الصحاح » (خلل) : « أخلَّ الرجل بمركزه تركه » .

(٦) وقال الإمام ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ١٧٦) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت : « وكان الدولة أول النهار للمسلمين على الكُفّار ، فانهزم عدوّ الله ، وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم ، فلما رأى الرُّماة هزيمتهم ، تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه ، وقالوا : يا قوم الغنيمة ، فذكّرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ ، فلم يسمعوا ، وظنّوا أن ليس للمشركين رجعة ، فذهبوا في طلب الغنيمة ، وأخلّوا بالثغر ، وكرّ فرسان المشركين ، فوجدوا الثغر خالياً ، قد خلا من الرُّماة ، فجازوا منه ، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم ، فأحاطوا بالمسلمين ، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة ، وهم سبعون » .

وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعةٌ أو تسعةٌ ، وجال المسلمون جولةً نحو الجبل ، ولم يبلغوا ـ حيث يقول الناس ـ الغار ، إنما كانوا تحت المهراس[١] ، وصاح الشيطان : قتل محمدٌ . فلم يشكّ فيه أنّه حقٌّ ، فما زلنا كذلك ما نشكّ أنّه حقٌّ ، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السّعدين ، نعرفه بتكفُّئه إذا مشى . قال : ففرحنا كأنّه لم يصبنا ما أصابنا . قال : فرقي نحونا وهو يقول : « اشتدّ غضب [الله] على قومٍ دمّوا وجه رسول الله » . ويقول مرّةً أخرى : « اللهمّ [إنّه] ليس لهم أن يعلونا » . حتى انتهى إلينا فمكث ساعةً ، فإذا أبو سفيان يَصيح في أسفل الجبل : [اعْلُ هُبَلْ] مرّتين ، يعني آلهته أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أُجيبه ؟ قال : « بلى » . قال : فلمّا قال : اعل هبل . قال : الله أعلى وأَجَلُّ . [فقال أبو سفيان : يا بن الخطّاب ، قد أنعمت عينُها فعاد عنها . أو : فعال عنها . فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكرٍ ، وها أنا ذا عمر . قال :] فقال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والأيام دول ، وإنّ الحرب سجال . قال : فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . قال : إنّكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا .

ثم قال أبو سفيان : [أما] إنكم [سوف] تجدون في قتلاكم مُثْلَةً ، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا . قال : ثم أدركته حميّة الجاهليّة فقال : أما إنّه إن كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن أبي حاتمٍ ، والحاكم في « مستدركه » والبيهقيّ في « الدلائل »[٢] من حديث سليمان بن داود الهاشميّ به . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وهو من مرسلات ابن عباسٍ ، وله شواهد من وجوهٍ كثيرةٍ ، سنذكر منها ما تيسّر ، إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التّكلان ، [وهو المستعان] .

قال البخاريّ[٣] : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبيّ ﷺ جيشاً من الرّماة ، وأمّر عليهم عبد الله بن جبيرٍ ، وقال : « لا تبرحوا ؛ إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا [فلا] تعينونا » . فلما لقيناهم[٤] هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهنّ ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله : عهد [إليّ] النبيّ ﷺ : أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلمّا أبوا صرفت وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمدٌ ؟ فقال : « لا تجيبوه » .

---

(١) المهراس : ماء بجبل أحد . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص(٣٩٦) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١٦٤٤) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٩٦) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٦٩) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٤٣) .

(٤) في (ط) : « فلما لقينا » .

فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال : « لا تجيبوه » . فقال : أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ فقال : إن هؤلاء قد قُتلوا[١] ، فلو كانوا أحياءً لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، والله قد أبقى الله لك ما يحزنك[٢] . فقال أبو سفيان : اعل هبل . فقال النبيّ ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال النبيّ ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، وستجدون في القوم مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني ، وهذا من أفراد البخاريّ دون مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا حسن بن موسى[٤] ، حدّثنا زهيرٌ ، حدثنا أبو إسحاق ، أن البرَاء بن عازبٍ قال : جعل رسول الله ﷺ على الرّماة يوم أحدٍ ، وكانوا خمسين رجلاً ، عبد الله بن جبيرٍ . قال : ووضعهم موضعاً ، وقال : « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا ، حتى أرسل إليكم ، [وإن رأيتمونا ظهرنا على العدوّ وأوطأناهم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم] » . قال : فهزموهم . قال : فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل ، قد بدت أسوقهنّ وخلاخلهنّ رافعاتٍ ثيابهنّ . فقال أصحاب عبد الله [بن جبيرٍ] : الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبيرٍ : أَفَنَسيتم[٥] ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : إنّا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة . فلمّا أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين [رجلاً] .

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئةً ؛ سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ ثم أقبل على أصحابه ، فقال : أمَّا هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدوّ الله ، إنّ الذين عددت لأحياءٌ كلّهم ، وقد أبقى الله[٦] لك ما يسوءك . فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب

---

(١) في (ط) : « إن هؤلاء قتلوا » .
(٢) لفظ (ط) : « والله قد أبقى الله عليك ما يخزيك » .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٩٣) ، وإسناده صحيح .
(٤) في (ط) : « حدثنا موسى » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٢٨١) .
(٥) في (ط) : « أنسيتم » .
(٦) في (ط) : « وقد بقي لك » .

سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني ، ثم أخذ يرتجز : [مجزوء الرجز]

اعل هبل اعل هبل

فقال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . قال : إنّ العزّى لنا ، ولا عزّى لكم . قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم » .

ورواه البخاريّ[١] من حديث زهيرٍ ، وهو ابن معاوية[٢] ، مختصراً ، وقد تقدّم روايته له مطولةً من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا عفان ، ثنا حمّاد بن سلمة ، أنا ثابتٌ وعليّ بن زيدٍ ، عن أنس بن مالكٍ أن المشركين لما رهقوا النبيّ ﷺ وهو في سبعةٍ من الأنصار ورجلين من قريشٍ ، قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . فجاء رجلٌ من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلما رهقوه أيضاً قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » .

ورواه مسلمٌ[٤] ، عن هدبة بن خالدٍ ، عن حمّاد بن سلمة به .

وقال البيهقيّ في « الدلائل »[٥] بإسناده ، عن عُمَارة بن غزيّة ، عن أبي الزُّبير ، عن جابرٍ قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحدٍ ، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيدِ الله ، وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : « ألا أحدٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « كما أنت يا طلحة » . فقال رجلٌ من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعِد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ، ثم قتل الأنصاريّ فلحقوه ، فقال : « ألا رجلٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله ، فقال رجلٌ من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فأذن له . فقاتل مثل قتاله وقتال صاحبه ، ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه ، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيحبسه فيستأذنه رجلٌ من الأنصار للقتال ، فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة بن عُبيد الله ، فغشوهما ، فقال رسول الله ﷺ : « من لهؤلاء يا طلحة ؟ » . فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله ، فقال : حسّ . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلتَ : بسم الله ، أو ذكرت اسم الله ؛

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٨٦) و(٤٠٦٧) و(٤٥٦١) .
(٢) هو زهير بن مُعَاوية بن حُدَيج أبو خيثمة الجُعْفي الكُوفي . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٤٢٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٦) .
(٤) رواه مسلم رقم (١٧٨٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٣٦) .

لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك ، حتى تلج بك في جوّ السماء » . ثم صعِد رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وهم مجتمعون .

وروى البخاريّ[١] ، عن أبي بكرٍ عبد الله بن أبي شيبة ، عن وكيعٍ ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازمٍ قال : رأيت يد طلحة شلّاء ؛ وقى بها النبيّ ﷺ يوم أحدٍ .

وفي « الصحيحين »[٢] من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهديّ قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة وسعدٍ ، عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة[٣] : حدّثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشمٍ الزهريّ ، سمعت سعيد بن المسيّب يقول : سمعت سعد بن أبي وقّاصٍ يقول : نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحدٍ ، وقال : « ارم ، فداك أبي وأمي » .

وأخرجه البخاريّ[٤] ، عن عبد الله بن محمدٍ ، عن مروان به .

وفي « صحيح البخاريّ »[٥] من حديث عبد الله بن شدّادٍ ، عن عليّ بن أبي طالبٍ قال : ما سمعت النبيّ ﷺ جمع أبويه لأحدٍ إلا لسعد بن مالكٍ ، فإني سمعته يقول يوم أحدٍ : « يا سعد ، ارم فِداك أبي وأمي » .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : حدّثني صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعدٍ ، عن سعد بن أبي وقّاصٍ ، أنه رمى يوم أحدٍ دون رسول الله ﷺ . قال سعدٌ : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النّبل ويقول : « ارم ، فِداك أبي وأمي » . حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصلٌ فأرمي به .

وثبت في « الصحيحين »[٧] من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه [عن جده ، عن سعد بن أبي وقّاص] ، قال : رأيت يوم أحدٍ عن يمين النبيّ ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثيابٌ بيضٌ ، يقاتلان عنه أشدّ القتال ، ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وقال أحمد[٨] : ثنا عفّان ، ثنا حمادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٣) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٦٠) و(٤٠٦١) ، ومسلم رقم (٢٤١٤) .
(٣) هو في « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٣٩) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٠٥٥) .
(٥) رقم (٢٩٠٥) و(٤٠٥٨) و(٤٠٥٩) و(٦١٨٤) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٢) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤٠٥٤) ومسلم رقم (٢٣٠٦) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، وإسناده صحيح .

رسول الله ﷺ يوم أحدٍ ، والنبيّ ﷺ خلفه يتترّس به ، وكان رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا يصيبك سهمٌ ، نحري دون نحرك . وكان أبو طلحة يشور نفسه[١] بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : إني جلدٌ يا رسول الله ، فوجّهني في حوائجك ، ومرني بما شئت .

وقال البخاري[٢] : حدّثنا أبو معمرٍ ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا عبد العزيز ، عن أنسٍ قال : لما كان يوم أحدٍ انهزم الناس عن النبيّ ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوِّبٌ عليه بحجفةٍ له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النّزع ، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمرّ معه بجعبةٍ من النّبل فيقول : انثرها لأبي طلحة . قال : ويشرف النبيّ ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي ، لا تشرفْ يُصِبكَ سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكرٍ ، وأمّ سليمٍ وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما ، تَنْقُزان القِرب على متونهما ، تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً .

قال البخاري[٣] : وقال لي خليفة : حدّثنا يزيد بن زريعٍ ، حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن أنسٍ ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشّاه النّعاس يوم أحدٍ حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وآخذه ، ويسقط فآخذه . هكذا ذكره البخاريّ معلّقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٤ ـ ١٥٥] .

قال البخاري[٤] : ثنا عبدان[٥] ، ثنا أبو حمزة ، عن عثمان بن موهبٍ قال : جاء رجلٌ حجّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريشٌ . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني سائلك عن شيءٍ أتحدّثني ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أنّ عثمان بن

(١) أي : يعرضها على القتل .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٦٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٨) تعليقاً .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٦) .
(٥) وهو لقبه ، واسمه « عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي روّاد العَتَلي المروزي أبو عبد الرحمن » .

عفَّان فرّ يوم أحدٍ ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيّب عن بدرٍ فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنّه تخلّف عن بيعة الرّضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فكبّر . قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبيّن لك عما سألتني عنه ؛ أما فراره يوم أحدٍ ، فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيّبه عن بدرٍ ؛ فإنه كان تحته بنت النبيّ ﷺ وكانت مريضةً ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن لك أجر رجلٍ ممّن شهد بدراً وسهمه » وأما تغيّبه عن بيعة الرّضوان ؛ فإنه لو كان أحدٌ أعزّ ببطن مكة من عثمان بن عفّان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرّضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكّة ، فقال النبيّ ﷺ بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » . فضرب بها على يده ، فقال : « هذه لعثمان » . اذهب بهذا الآن معك .

وقد رواه البخاريّ أيضاً في موضعٍ آخر ، والترمذيّ من حديث أبي عوانة[١] ، عن عثمان بن عبد الله بن موهبٍ به .

وقال الأمويّ في « مغازيه »[٢] : عن ابن إسحاق ، حدّثني يحيى بن عبّادٍ ، عن أبي ، عن جدّه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أوجب طلحة » . حين صنع ما صنع برسول الله ﷺ ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المنقّى دون الأعوص ، وفرّ عثمان بن عفّان ، وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان رجلان[٣] من الأنصار ، حتى بلغوا الجلعب ، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم : « لقد ذهبتم فيها عريضةً » .

والمقصود أن أُحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدرٍ ، منها ؛ حصول النّعاس حال التحام الحرب ، وهذا دليلٌ على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكّلها على خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدرٍ : ﴿ إِذْيغشاكم ٱلنُّعَاسَ[٤] أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ الآية [الأنفال: ١١] وقال هاهنا : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ يعني المؤمنين الكمّل ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النّعاس في الحرب من الإيمان ، والنّعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٤] .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استنصر يوم أحدٍ كما استنصر يوم بدرٍ بقوله : « إن تشأ لا تعبد في الأرض » . كما قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الصّمد وعفّان ، قالا : ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحدٍ : « اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض » .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٦٨) والترمذي رقم (٣٧٠٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٣١١) .
(٣) في (ط) : « رجل » .
(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .
(٥) في « المسند » (٣/ ١٥٢) .

ورواه مسلمٌ[١] ، عن حجّاج بن الشاعر ، عن عبد الصّمد ، عن حمّاد بن سلمة به .

وقال البخاريّ[٢] : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجلٌ للنبيّ ﷺ يوم أحدٍ : أرأيت إن قتلت أين أنا ؟[٣] قال : « في الجنة » فألقى تمراتٍ في يده ثم قاتل حتى قتل .

ورواه مسلمٌ والنسائيّ[٤] من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيهٌ بقصة عمير بن الحمام التي تقدّمت في غزوة بدرٍ ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

فصلٌ فيما لقي النبيّ ﷺ يومئذٍ من المشركين قبّحهم الله

قال البخاريّ[٥] : ما أصاب النبيّ ﷺ من الجراح يوم أُحدٍ : حدّثنا إسحاق بن نصرٍ ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن همّام بن منبّهٍ ، سمع أبا هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيه ـ يشير إلى رباعيته ـ اشتد غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه مسلمٌ[٦] من طريق عبد الرزاق .

حدّثنا[٧] مخلد بن مالكٍ ، حدّثنا يحيى بن سعيدٍ الأمويّ ، حدثنا ابن جريجٍ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة عن ابن عباسٍ قال : اشتد غضب الله على من قتله النبيّ ﷺ في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قومٍ دمّوا وجه نبيّ الله .

وقال أحمد[٨] : ثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أن رسول الله ﷺ قال يوم أحدٍ ، وهو يسلت الدم عن وجهه ، وهو يقول : « كيف يفلح قومٌ شجّوا نبيّهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله ؟! » .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٤٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٠٤٦) .
(٣) في (ط) : « فأين أنا » .
(٤) رواه مسلم رقم (١٨٩٩) والنسائي رقم (٣١٥٤) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٠٧٣) .
(٦) في « صحيحه » رقم (١٧٩٣) .
(٧) القول للإمام البخاري ، والحديث في صحيحه رقم (٤٠٧٤) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٥٣) .

فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

ورواه مسلم[١] عن القعنبيّ ، عن حمّاد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد[٢] ، عن هشيمٍ ويزيد بن هارون ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحدٍ ، وشجّ في جبهته حتى سال الدّم على وجهه ، فقال : « كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى ربّهم ؟! » . فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب ، عن أبي حازمٍ ، أنه سمع سهل بن سعدٍ وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ ، [فقال : أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ] ، ومن كان يسكب الماء ، وبما دووي . قال : كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله ، وعليٌّ يسكب عليه الماء بالمجنّ ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدّم إلا كثرةً أخذت قطعةً من حصيرٍ ، فأحرقتها [وألصقتها] ، فاستمسك الدّم ، وكُسرت رباعيته يومئذٍ ، وجرح وجهه ، وكسرت البيضة على رأسه .

وقال أبو داود الطيالسيّ في « مسنده »[٤] : ثنا ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرني عيسى بن طلحة ، عن أمّ المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان أبو بكرٍ إذا ذكر يوم أحدٍ بكى ثم قال : ذاك يومٌ كلّه لطلحة ، ثم أنشأ يحدّث قال : كنت أول من فاء يوم أحدٍ ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه . وأُراه قال : يحميه . قال : فقلت : كن طلحة . حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجلاً من قومي أحبّ إليّ ، وبيني وبين المشرق رجلٌ لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجرّاح ، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » . يريد طلحة ، وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله ، قال : وذهبتُ لأنزع ذاك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقّي لما تركتني . فتركته ، فكره أن يتناولهما بيده ، فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليهما بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيّته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقّي لما تركتني . قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيّته الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة ، رضي الله عنه ، من أحسن الناس هتماً ، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فإذا به بضعٌ وسبعون من بين طعنةٍ ورميةٍ وضربةٍ ، وإذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٩١) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٩٩ و٢٠١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٠٧٥) .
(٤) رقم (٦) .

وذكر الواقديّ[١] عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبيرٍ قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً ، فنظرت إلى النّبل تأتي من كلّ ناحيةٍ ، ورسول الله ﷺ وسطها ، كلّ ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهابٍ الزُّهريّ يقول يومئذٍ : دلّوني على محمد ، لا نجوت إن نجا . ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحدٌ ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان بن أميّة ، فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله إنه منا ممنوعٌ ، خرجنا أربعةً ، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إليه .

قال الواقديّ[٢] : والثابت عندنا[٣] أن الذي رمى [في] وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة ، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقّاص ـ وقد تقدّم عن ابن إسحاق نحو هذا ـ وأن الرّباعية التي كسرت له ، عليه الصلاة والسلام ، هي اليمنى السّفلى .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني صالح بن كيسان ، عمّن حدّثه ، عن سعد بن [أبي] وقّاصٍ قال : ما حرصت على قتل أحدٍ قطُّ ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقّاصٍ ، وإن كان ما علمت[٥] لسيّيء الخلق ، مبغّضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من دمّى وجه رسوله » .

وقال عبد الرزاق[٦] : أنا معمرٌ ، عن الزّهريّ ، وعن عثمان الجزريّ ، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقّاصٍ يوم أحدٍ حين كسر رباعيته ودمّى وجهه فقال : « اللهم لاَ تُحل عليه الحول حتى يموت كافراً » . فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجُوزجانيّ : ثنا محمد بن الحسن ، حدّثني إبراهيم بن محمدٍ ، حدّثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حزمٍ ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيفٍ ، أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحدٍ بعظمٍ بالٍ .

هذا حديثٌ غريبٌ رأيته في أثناء كتاب « المغازي » للأمويّ في وقعة أحدٍ .

ولمّا نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال ، رجع وهو يقول : قتلت محمداً . وصرخ الشيطان أزبّ العقبة يومئذٍ بأبعد صوتٍ : ألا إن محمداً قد قتل . فحصل بهتَةٌ عظيمةٌ في المسلمين ، واعتقد كثيرٌ من الناس ذلك ، وصمّموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ،

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٢٣٧) .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ٢٤٤) .
(٣) في (ط) : « ثبت عندي » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) وفيه مجهول .
(٥) في (آ) : « وإن كان ما علمته » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) .
(٦) في « المصنَّف » (٥/ ٢٩٠) .

منهم أنس بن النّضر وغيره ممن سيأتي ذكره ، وقد أنزل الله تعالى التّسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤ ـ ١٥١] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا « التفسير »[١] ولله الحمد .

وقد خطب الصدِّيق ، رضي الله عنه ، في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية . قال : فكأنّ الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحدٌ إلا يتلوها .

وروى البيهقيّ في « دلائل النبوة »[٢] من طريق ابن نجيحٍ ، عن أبيه قال : مرّ رجلٌ من المهاجرين يوم أحدٍ على رجلٍ من الأنصار ، وهو يتشحّط في دمه ، فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصاريّ : إن كان محمدٌ ﷺ قد قتل فقد بلّغ الرسالة ، فقاتلوا عن دينكم . فنزل [قوله تعالى] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية ، ولعل هذا الأنصاريّ هو أنس بن النّضر ، رضي الله عنه ، وهو عمّ أنس بن مالكٍ .

قال الإمام أحمد[٣] : ثنا يزيد ، ثنا حميدٌ ، عن أنسٍ أن عمّه غاب عن قتال بدرٍ فقال : غبت عن أول قتالٍ قاتله النبيّ ﷺ للمشركين ، لئن أشهدني الله قتالاً للمشركين ليرينّ الله[٤] ما أصنع . فلما كان يوم أحدٍ انكشف المسلمون ، فقال : [اللهم] إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم ، فلقيه سعد بن معاذٍ دون أحدٍ ، فقال سعدٌ : أنا معك . قال سعدٌ : فلم أستطع أصنع ما صنع . فوجد فيه بضعٌ وثمانون من بين ضربةٍ بسيف ، وطعنةٍ برمحٍ ، ورميةٍ بسهمٍ . قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ١٠٨) وما بعدها .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٤٨) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٠١) .

(٤) لفظ الجلالة لم يرد في (ط) .

ورواه الترمذيّ عن عبد بن حميدٍ ، والنسائيّ عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به[١] ، وقال الترمذيّ : حسنٌ .

قلت : بل على شرط « الشيخين »[٢] من هذا الوجه .

وقال أحمد[٣] : حدثني ، بهزٌ وثنا هاشمٌ [قالا] : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابتٍ[٤] قال : قال أنسٌ : عَمّي ـ قال هاشمٌ : أنس بن النّضير ـ سمّيت به ، ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ . قال : فشقّ عليه ، وقال : أول مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ غبت عنه! لئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينّ الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحدٍ . قال : فاستقبل سعد بن معاذٍ ، فقال له أنسٌ : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة ، أجده دون أحدٍ . قال : فقاتلهم حتى قتل ، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ . قال : فقالت أخته عمتي الرّبيّع بنت النّضر : فما عرفت أخي إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلمٌ[٥] عن محمد بن حاتمٍ ، عن بهز بن أسدٍ . ورواه الترمذيّ والنسائيّ[٦] من حديث عبد الله بن المبارك ، وزاد النسائيّ : وأبي داود ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذيّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبيّ بن خلفٍ ، أخو بني جمح ، قد حلف وهو بمكة ليقتلنّ رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلْفتُه قال : « بل أنا أقتله إن شاء الله » . فلما كان يوم أحدٍ أقبل أبيّ في الحديد مقنّعاً ، وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمدٌ ، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عميرٍ ، أخو بني عبد الدّار ، يقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عميرٍ ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أُبيّ بن خلفٍ من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه بحربته ، فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دمٌ ، فأتاه أصحابه فاحتملوه ، وهو يخور خُوار الثّور ، فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خدشٌ . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « أنا أَقتُلُ أبياً » . ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون . فمات إلى النار ، فسحقاً لأصحاب السّعير[٧] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٠١) والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٠٣) .

(٢) في (ط) : « على شرط الصحيحين » وكلاهما بمعنى .

(٣) رواه أحمد في مسنده ٣/ ١٩٤ .

(٤) يعني (ثابت بن أسلم البناني) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ١٩٥) .

(٥) رواه مسلم رقم (١٩٠٣) .

(٦) رواه الترمذي رقم (٣٢٠٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٩١) .

(٧) وانظر « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ١٨٨) و« الفصول في سيرة الرسول ﷺ » لابن كثير ص(١٤٩) .

وقد رواه موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن سعيد بن المسيّب نحوه .

وقال ابن إسحاق[١] : لما أسند رسول الله ﷺ في الشّعب ، أدركه أُبيّ بن خلفٍ وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوتَ . فقال القوم : يا رسول الله ، يعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « دعوه » . فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصّمّة ، فقال بعض القوم ، فيما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضةً ، تطايرنَ عنه تطاير الشُّعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنةً تدأدأ منها[٢] عن فرسه مراراً .

وذكر الواقديّ[٣] ، عن يونس بن محمدٍ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، عن أبيه نحو ذلك .

قال الواقديّ[٤] : وكان ابن عمر يقول : مات أُبيّ بن خلفٍ ببطن رابغٍ ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هويٍّ من الليل ، فإذا أنا بنارٍ تأجّج ، فهبتها ، وإذا رجلٌ يخرج منها في سلسلةٍ يجتذبها يهيّجه العطش ، فإذا رجلٌ يقول : لا تسقه ؛ فإنّه قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أُبيّ بن خلفٍ .

وقد ثبت في « الصحيحين »[٥] كما تقدم من طريق عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن همامٍ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله » . ورواه البخاريّ من طريق ابن جريجٍ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ : اشتد غضب الله على من قتله رسول الله في سبيل الله .

وقال البخاريّ[٦] : وقال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً قال : لما قتل أَبِي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبيّ ﷺ ينهونني ، والنبيّ ﷺ لم ينه . وقال النبيّ ﷺ : « لا تبكه ـ أو ما تبكيه ـ مازالت الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفع » . هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلّقاً ، وقد أسنده في الجنائز ، عن بندارٍ ، عن غندرٍ ، عن شعبة .

ورواه مسلمٌ والنسائيُّ[٧] من طرقٍ ، عن شعبة به .

وقال البخاريّ[٨] : ثنا عبدان ، أنا عبد الله [بن المبارك] ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٤) .
(٢) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/ ٨٤) : « تدأدأ . . . تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج » .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٢٥١) .
(٤) وذكره ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ١٨٨) بنحوه .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٧٤) ومسلم رقم (١٧٩٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٠٨٠) معلقاً .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٤٧١) والنسائي رقم (١٨٤٤) .
(٨) رواه البخاري رقم (٤٠٤٥) .

أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوفٍ أتي بطعامٍ ، وكان صائماً ، فقال : قتل مصعب بن عميرٍ وهو خيرٌ مني ، كفّن في بردةٍ إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطّي رجلاه بدا رأسه ـ وأراه قال : وقتل حمزة وهو خيرٌ مني ـ ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ـ أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا[1] أن تكون حسناتنا عجّلت لنا . ثم جعل يبكي حتى ترك الطّعام . انفرد به البخاريّ .

وقال البخاريّ[2] : حدّثنا أحمد بن يونس ، حدّثنا زهيرٌ ، حدّثنا الأعمش ، عن شقيقٍ ، عن خبّاب بن الأرتّ قال : هاجرنا مع النبيّ ﷺ ونحن نبتغي وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى ـ أو : ذهب ـ لم يأكل من أجره شيئاً ؛ كان منهم مصعب بن عميرٍ ، قتل يوم أحدٍ ، فلم يترك إلّا نمرةً ، كنا إذا غطّينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطّي بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبيّ ﷺ : « غطّوا بها رأسه ، واجعلوا على رجليه الإذخر » . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها .

وأخرجه بقية الجماعة[3] إلا ابن ماجه ، من طرقٍ عن الأعمش به .

وقال البخاريّ[4] : ثنا عبيد الله بن سعيدٍ ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كان يوم أحدٍ هزم المشركون ، فصرخ إبليس ، [لعنة الله عليه] : أي عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة ، فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : [أي] عباد الله ، أَبي أبي . [قال] : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

قال عروة : فوالله مازالت في حذيفة بقيّة خيرٍ حتى لقي الله ، عزّ وجلّ .

قلت : كان سبب ذلك ؛ أن اليمان وثابت بن وقشٍ كانا في الآطام مع النساء ؛ لكبرهما وضعفهما ، فقالا : إنَّه لم يبق من آجالنا إلا ظِمءُ حمارٍ . فنزلا ليحضرا الحرب ، فجاء طريقهما ناحية المشركين ؛ فأما ثابتٌ فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأً ، وتصدّق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ، ولم يعاتب أحداً منهم ؛ لظهور العذر في ذلك .

فصلٌ

قال ابن إسحاق[5] : وأصيبت يومئذٍ عين قتادة بن النّعمان[6] حتى سقطت على وجنته ، فردّها رسول الله ﷺ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما .

---

(١) في (آ) : « خشيت » .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٨٢) .

(٣) رواه مسلم رقم (٩٤٠) وأبو داود رقم (١٢٨٧٦) والترمذي رقم (٣٨٥٣) والنسائي رقم (١٩٠٢) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٦٥) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٨) .

(٦) قال ابن حجر العسقلاني : مات سنة (٢٣) هـ على الصحيح . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ١٧٩) .

وفي الحديث ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحدٍ حتى سالت على خدّه، فردّها رسول الله ﷺ مكانها، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى[١] .

وروى الدارقطنيّ[٢] بإسنادٍ غريب عن مالكٍ ، عن محمد بن عبد الله بن أبي صَعْصَعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النّعمان قال : أصيبت عيناي يوم أحدٍ فسقطتا على وجنتيّ ، فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما ، وبصق فيهما فعادتا تبرقان .

والمشهور الأول : أنه إنما أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لمّا وفد بعض ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً[٣] : [من الطويل]

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينُه   فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرّدِّ
فعادت كما كانت لأول أمرها   فيا حسن ما عينٍ ويا حسن ما خدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك[٤] : [من البسيط]

تلك المكارم لا قَعبانِ من لبنٍ   شِيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته ، رضي الله عنه .

فصلٌ

قال ابن هشام[٥] : وقاتلت أمّ عُمَارة نسيبة بنت كعبٍ المازنيّة يوم أحدٍ ، فذكر سعيد بن أبي زيدٍ الأنصاريّ ، أنّ أمّ سعدٍ بنت سعد بن الرّبيع كانت تقول : دخلت على أمّ عُمَارة فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك . فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاءٌ فيه ماءٌ ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدّولة والرّيح للمسلمين ، فلمّا انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمت أباشر القتال ، وأذبُّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ . قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غَورٌ ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة أقمأه الله ، لمّا ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عميرٍ ، وأناسٌ ممّن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدوّ الله كانت عليه درعان .

---

(١) ذكره بنحوه ابن عبد البرّ في « الاستيعاب » (٢/ ١٢٧٥) والسهيلي في « الروض الأنف » (٦/ ٣٣) .
(٢) ذكره السهيلي في « الروض الأنف » (٦/ ٣٣) وعزاه للدارقطني .
(٣) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٨٠) بتحقيقي .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨١) .

قال ابن إسحاق[(١)] : وترّس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه ، يقع النّبل في ظهره ، وهو منحنٍ عليه ، حتى كثر فيه النّبل .

قال ابن إسحاق[(١)] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقّت سِيتها[(٢)] ، فأخذها قتادة بن النّعمان ، فكانت عنده .

قال ابن إسحاق[(٣)] : وحدّثني القاسم بن عبد الرحمن [بن رافعٍ] أخو بني عديّ بن النجّار قال : انتهى أنس بن النّضر عمّ أنس بن مالكٍ إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . قال : فما تصنعون بالحياة بعدّه ؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ، وبه سمّي أنس بن مالكٍ .

فحدّثني[(٤)] حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ قال : لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذٍ سبعين ضربةً ، فما عرفه إلّا أخته ، عرفته ببنانه[(٥)] .

قال ابن هشام[(٦)] : وحدّثني بعض أهل العلم ، أنّ عبد الرحمن بن عوفٍ أصيب فوه يومئذٍ ، فهتم وجرح عشرين جراحةً أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج .

فصلٌ

قال ابن إسحاق[(٧)] : وكان أول من عرف رسول الله ﷺ ـ بعد الهزيمة وقول الناس : قُتل رسول الله ﷺ. كما ذكر لي الزّهريّ ـ كعب بن مالكٍ، قال: رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ . فأشار إليّ[(٨)] رسول الله ﷺ أن أنصت.

قال ابن إسحاق[(٩)] : فلمّا عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشّعب ، معه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٢) .
(٢) أي : طرفها .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٥) أي : من أطراف أصابعه . قال الرازي في « مختار الصحاح » . (بنن) : « البنانة : واحدة البنان ، وهي أطراف الأصابع » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٨) لفظ « إليّ » سقط من (ط) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .

أبو بكرٍ الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعليّ بن أبي طالبٍ ، وطلحة بن عبيد الله ، والزّبير بن العوّام ، والحارث بن الصّمّة ، ورهطٌ من المسلمين ، فلمّا أسند رسول الله ﷺ في الشّعب أدركه أبيّ بن خلفٍ ، فذكر قتله عليه الصلاة والسلام أُبياً كما تقدّم .

قال ابن إسحاق[١] : وكان أبيّ بن خلفٍ ـ كما حدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ـ يلقى رسول الله ﷺ بمكّة فيقول : يا محمد ، إنّ عندي العودَ ؛ فرساً أعلفه كلّ يوم فَرْقاً من ذُرةٍ ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلك ، إن شاء الله » . فلمّا رجع إلى قريشٍ ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبيرٍ ، فاحتقن الدم ، فقال : قتلني والله محمدٌ . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إنْ بك بأسٌ . قال : إنّه قد كان قال لي بمكّة : « أنا أقتلك » فوالله لو بصق عليّ لقتلني . فمات عدوّ الله بسرفٍ[٢] ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق[٣] : فقال حسان بن ثابتٍ في ذلك[٤] : [من الوافر]

لقد ورث الضّلالة عن أبيه ... أُبـيّ يـوم بـارزه الـرّسـولُ
أتيـت إليـه تحمـل رِمّ عظـمٍ ... وتـوعـده وأنـت بـه جهـولُ
وقد قتلت بنو النجّار منكم ... أميّـة إذ يغـوّث يـا عقيـلُ
وتـبّ ابنـا ربيعـة إذ أطاعـا ... أبـا جهـلٍ لأمّهمـا الهَبُـولُ
وأفلـت حـارثٌ لمّـا شغلنـا ... بـأسـر القـوم أُسرتـه فليـلُ

وقال حسان بن ثابتٍ أيضاً[٥] : [من الوافر]

ألا مـن مبلـغٌ عنـي أُبيّـا ... لقد ألقيت في سحق السّعيرِ
تمنّـى بـالضّـلالـة مـن بعيـدٍ ... وتقسم إن قدرت مع النّذورِ
تمنّيـك الأمـانـي مـن بعيـدٍ ... وقول الكُفر يرجع في غرورِ
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظٍ ... كريم البيت ليس بذي فجورِ
لـه فضـلٌ علـى الأحيـاء طُـرّا ... إذا نـابـت ملمّـات الأمـورِ

قال ابن إسحاق[٦] : فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشّعب ، خرج عليّ بن أبي طالبٍ حتى ملأ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٤) .
(٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة ، وقيل تسعة ، وقيل اثني عشرة . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٢٥٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) .
(٤) انظر « ديوانه » (١/ ١٥٨) .
(٥) انظر « ديوانه » (١/ ٤٩٠) .
(٦) انظر « البسيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٥) .

درقته ماءً من المهراس ، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم ، وصبّ على رأسه وهو يقول : « اشتدّ غضب الله على من دمّى وجه نبيّه » . وقد تقدّم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق[١] : فبينا رسول الله ﷺ في الشّعب ، معه أولئك النّفر من أصحابه ، إذ علت عاليةٌ من قريشٍ الجبل .

قال ابن هشامٍ : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : « اللهمّ إنّه لا ينبغي لهم أن يعلونا » . فقاتل عمر بن الخطّاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض النبيّ ﷺ إلى صخرةٍ من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدّن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين ، فلمّا ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ، فحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزُّبير [عن الزبير] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ : « أوجب طلحة » . حين صنع برسول الله ﷺ يومئذٍ ما صنع .

قال ابن هشام[٢] : وذكر عمر مولى غُفْرَة[٣] أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصبته ، وصلّى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أتيٌّ[٥] لا يُدرى من هو ، يقال له : قُزمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له : « إنّه لمن أهل النّار » . قال : فلمّا كان يوم أحدٍ قاتل قتالاً شديداً ، فقتل وحده ثمانيةً أو سبعةً من المشركين ، وكان ذا بأسٍ ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفرٍ . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فأبشر . قال : بماذا أبشّر ؟ فوالله إنْ قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلمّا اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر ، كما سيأتي ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عبد الرّزاق ، حدّثنا معمرٌ ، عن الزّهريّ ، عن ابن المسيّب ، عن أبي

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٧) .

(٣) واسمه (عمر بن عبد الله المدني) ويعرف بمولى غُفْرة ، وهو ضعيف كثير الإرسال ، وهذا الخبر من مرسلاته . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٧٨) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٨) .

(٥) أي : غريب .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٠٩) .

هريرة قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر ، فقال لرجلٍ ممّن يدّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلمّا حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً ، فأصابته جراحةٌ ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت : « إنّه من أهل النار » . فإنّه قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات . فقال النبيّ ﷺ : « إلى النّار » . فكاد بعض القوم أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك ، إذ قيل : فإنّه لم يمت ، ولكن به جراحٌ شديدةٌ . فلمّا كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه ، فأُخبر النبيّ ﷺ بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنّي عبد الله ورسوله » . ثم أمر بلالاً فنادى في الناس : « إنّه لا يدخل الجنَّة إلا نفسٌ مسلمةٌ ، وإنّ الله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[١] من حديث عبد الرّزاق به .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان ممّن قتل يوم أحدٍ مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفِطْيَون ، فلمَّا كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمدٍ عليكم لحقٌّ . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدّته وقال : إن أُصبت فمالي لمحمدٍ يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « مخيريق خير يهود » .

قال السّهيليّ[٣] : فجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق ـ وكانت سبع حوائط ـ أوقافاً بالمدينة . قال محمد بن كعبٍ القرظيُّ : وكانت أول وقفٍ بالمدينة .

وقال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنّه كان يقول : حدّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصلّ قطّ ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقشٍ .

قال الحصين : فقلت لمحمود بن لبيدٍ[٥] : كيف كان شأن الأُصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلمّا كان يوم أحدٍ بدا له ، فأسلم ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عُرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، فقالوا : والله إنّ هذا لَلأصيرمُ ، ما جاء به ؟! لقد تركناه وإنّه لمنكرٌ لهذا الحديث ! فسألوه فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؛ أحدبٌ على قومك ، أم رغبةٌ في الإسلام ؟ فقال : بل رغبةٌ في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم رقم (١١١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٨) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٠) .
(٥) هو (محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي المدني ، أبو نُعَيم صحابي صغير ، وجلُّ روايته عن الصحابة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٥٣) .

فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : « إنّه لمن أهل الجنَّة » .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني أبي ، عن أشياخٍ من بني سلمة قالوا : كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعةٌ مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلمّا كان يوم أحدٍ أرادوا حبسه ، وقالوا : إنّ الله قد عذرك . فأتى رسول الله ﷺ وقال : إنّ بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنَّة . فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك » . وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة » . فخرج معه فقتل يوم أحدٍ ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[٢] : ووقعت هند بنت عتبة ـ كما حدّثني صالح بن كيسان ـ والنّسوة اللاتي معها ، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدّعن الآذان والأنوف ، حتى اتّخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً[٣] وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقِرطتها وحشياً ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

وذكر موسى بن عقبة ، أنّ الذي بقر عن كبد حمزة وحشيٌّ ، فحملها إلى هند ، فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت : [من الرجز]

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سُعرِ
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمّه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيتَ وحشيُّ غليل صدري
فشكر وحشيٍّ عليّ عمري ... حتى ترمّ أعظمي في قبري

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدرٍ وبعد بدر ... يا بنت[٥] وقّاعٍ عظيم الكفر
صبّحك الله غداة الفجر ... ملهاشميّين[٦] الطّوال الزّهر
بكلّ قطّاعٍ حسامٍ يفري ... حمزة ليثي وعليٌّ صقري

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٠) وهذه رواية ضعيفة فيها مجاهيل .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٢) .
(٣) الخدم ، جمع خَدَمة ، وهي الخلخال .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٢/ ٩١) .
(٥) في (آ) : « يا ابنة » وما جاء في (ط) موافق لما في « السيرة النبوية » .
(٦) أي : من الهاشميين .

إذْ رام شيبٌ وأبوك غدري فخضّبا منه ضواحي النّحر
ونذرك السّوء فشرُّ نذر

قال ابن إسحاق[١] : وكان الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذٍ سيّد الأحابيش ، مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزجّ الرّمح ويقول : ذق عُقق . فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيد قريشٍ يصنع بابن عمّه ما ترون لحماً[٢] . فقال : ويحك ! اكتمها عنّي ؛ فإنّها كانت زلّةً .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم إنّ أبا سفيان ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يومٌ بيوم بدر ، اعل هبل . أي أظهر : دينك . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجلُّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » . فقال له أبو سفيان : هلمّ إليّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « ائته فانظر ما شأنه » . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتَلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنّه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرّ .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مَثْلٌ ، والله ما رضيت وما سخطت وما نهيتُ ولا أمرت . قال : ولمّا انصرف أبو سفيان نادى : إنّ موعدكم بدرٌ العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه : « قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعدٌ » .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ ، فقال : « اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنّهم يريدون مكّة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها ، لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأُناجزنّهم » . قال عليٌّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجّهوا إلى مكة .

ذكر[٤]
دعاء النبيّ ﷺ بعد الوقعة يوم أحدٍ

قال الإمام أحمد[٥] : ثنا مروان بن معاوية الفَزَاريُّ ، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكّيّ ، عن ابن رفاعة

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٣) .
(٢) يريد أنه ميت لا يقدر على الانتصار .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٢) .
(٤) لفظ « ذكر » لم يرد في (ط) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٤) ورجاله ثقات ، وقد صححه العلماء كما في السنة لابن أبي عاصم (٣٨١)=

الزّرقيّ ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحدٍ وانكفأ المشركون ، قال رسول الله ﷺ : « استووا حتى أُثني على ربي ، عزّ وجلّ » . فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : « اللهم لك الحمد كُلُّه ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مُضلَّ لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرّب لما باعدت ، ولا مبعّد لما قرّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النّعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة[١] ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذٌ بك من شرّ ما أعطيتنا وشرّ ما منعتنا ، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكُفْرَ والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفّنا مسلمين، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصّالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك ويصدّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحقّ » .

ورواه النسائيّ في « اليوم والليلة »[٢] ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد ابن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصـــلٌ

قال ابن إسحاق[٣] : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنيّ ، أخو بني النجّار ، أن رسول الله ﷺ قال : « من رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ » فقال رجلٌ من الأنصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمقٌ ، قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات. فقال : أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ما جزى نبياً عن أمّته . وأبلغ قومك عنِّي السّلام ، وقل لهم : إن سعد بن الرّبيع يقول لكم : إنّه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيّكم ، ومنكم عينٌ تطرف . قال: ثم لم أبرح حتى مات. قال: فجئت النبيّ ﷺ فأخبرته خبره.

قلت : كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن مسلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقديّ[٤] ، وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك . أجابه بصوتٍ ضعيفٍ ، وذكره .

= وفي الأدب المفرد للبخاري (٦٩٩) والحاكم (٣/ ٢٣ و٢٤) وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦/ ١٢٢) رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، وأما تضعيفه فهو تهويلات الذهبي ـ رحمه الله ـ .

(١) العيلة : الفقر .

(٢) رواه النسائي في « في اليوم والليلة » (٦٠٩) « السنن الكبرى » رقم (١٠٤٤٥) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٣) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ٢٩٢) .

وقال الشيخ أبو عمر في « الاستيعاب »[١] : كان الرجل الذي التمس سعداً أُبيّ كعبٍ . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النّقباء ليلة العقبة ، رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوفٍ .

قال ابن إسحاق[٢] : وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي ، قد بقر بطنه عن كبده ، ومثّل به ؛ فجُدع أنفه وأذناه ، فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفيّة ، وتكون سنّةً من بعدي ، لتركته حتى يكون في بطون السّباعِ وحواصل الطَّير ، ولئن أظهرني الله على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأمثّلنّ بثلاثين رجلاً منهم » . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ ، وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدّهر لنمثّلنّ بهم مثلةً لم يمثّلها أحدٌ من العرب .

قال ابن إسحاق[٣] : فحدّثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعبٍ ، وحدّثني من لا أتّهم ، عن ابن عباسٍ أن الله ، عزّ وجلّ ، أنزل في ذلك : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٦ ـ ١٢٧] الآية ، قال : فعفا رسول الله ﷺ ، وصبر ، ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآيات مكّيّةٌ ، وقصة أحدٍ بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا مع هذا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني حميدٌ الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة قال : ما قام رسول الله ﷺ في مقامٍ قطُّ ففارقه حتى يأمر بالصَّدقة ، وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام[٥] : ولما وقف النبيّ ﷺ على حمزة قال : « لن أُصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قطُّ أغيظ إليّ من هذا » . ثم قال : « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوبٌ في أهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » . قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوي رسول الله ﷺ من الرّضاعة ؛ أرضعتهم ثلاثتهم ثُويبة مولاةً أبي لهبٍ .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ ، أنبأنا عبد الرحمن ، يعني ابن أبي الزِّناد ،

---

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٢/ ٥٩٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) وفي سند هذه الرواية مجاهيل فهي ضعيفة .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٦٥) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) بمعناه (٣/ ٢٩٠) من طريق آخر مرسلاً ، فهو حديث حسن .

عن هشامٍ ، عن عروة قال : أخبرني أبي الزُّبيرُ أنه لمّا كان يوم أحدٍ أقبلت امرأةٌ تسعى ، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى . قال : فكره النبيّ ﷺ أن تراهم ، فقال : « المرأةَ المرأة » . قال الزُّبير : فتوسّمت أنّها أمي صفية ، قال : فخرجت أسعى إليها ، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى ، قال : فلدمت في صدري ، وكانت امرأةً جلدة ، قالت : إليك ، لا أرض لك . قال : فقلت : إن رسول الله ﷺ عزم عليكِ . قال : فوقفت ، وأخرجت ثوبين معها ، فقالت : هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة ، فقد بلغني مقتله ، فكفّنوه فيهما . قال : فجئنا بالثوبين لنكفِّن فيهما حمزة ، فإذا إلى جنبه رجلٌ من الأنصار قتيلٌ ، قد فُعل به كما فعل بحمزة . قال : فوجدنا غضاضةً وحياءً أن نكفِّن حمزة في ثوبين والأنصاريّ لا كفن له ، فقلنا : لحمزة ثوبٌ وللأنصاريّ ثوبٌ ، فقدّرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر ، فأقرعنا بينهما ، فكفّنّا كلّ واحدٍ منهما في الثوب الذي طار له[١] .

ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أُحدٍ

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني من لا أتّهم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجّي ببردةٍ ، ثم صلّى عليه فكبّر سبع تكبيراتٍ ، ثم أُتي بالقتلى يوضعون إلى حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلّى عليه ثنتين وسبعين صلاةً . وهذا غريبٌ وسنده ضعيفٌ .

قال السّهيليّ[٣] : ولم يقل به أحدٌ من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد[٤] : ثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، ثنا عطاء بن السّائب ، عن الشّعبيّ ، عن ابن مسعودٍ قال : إن النساء كنّ يوم أُحدٍ خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفتُ يومئذٍ رجوت أن أبرّ : إنه ليس أحدٌ منا يريد الدنيا ، حتى أنزل الله : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . فلمّا خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أُمروا به ، أُفرد رسول الله ﷺ في [تسعة] ؛ سبعةٍ من الأنصار ورجلين[٥] من قريشٍ ، وهو عاشرهم ، فلمّا رهِقوه قال : « رحم الله رجلاً ردّهم عنّا » . (قال : فقام رجلٌ من الأنصار فقاتل ساعةً حتى قتل ، فلما رهِقوه أيضاً قال : «رحم الله رجلاً ردّهم عنا»)[٦] . فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ

---

(١) كذا في (آ) و(ط) : « الذي طار له » أي قدر له . وفي « المسند » : « الذي صار له » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٢) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٦٣) ، وإسناده ضعيف .

(٥) في (ط) : « واثنين » .

(٦) ما بين القوسين سقط من (ط) .

لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا »[١] . فجاء أبو سفيان فقال : اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله أعلى وأجل » . فقالوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدرٍ ، يومٌ لنا ويومٌ علينا ، ويومٌ نُساء ويومٌ نُسرّ ، حنظلة بحنظلة ، وفلانٌ بفلانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا سواء ، أما قتلانا فأحياءٌ يرزقون ، وقتلاكم في النَّار يعذّبون » . قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلةٌ ، وإن كانت لعن غير ملإٍ منَّا ، ماأمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرّني . قال : فنظروا ، فإذا حمزة قد بُقر بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها ، فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : « أأكلتْ منه شيئاً ؟ » قالوا : لا . قال : « ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النَّار » . قال : فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلَّى عليه ، وجيء برجلٍ من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلّى عليه ، فرفع الأنصاريّ وترك حمزة ، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلَّى عليه ، ثم رفع وترك حمزة ، حتى صلّى عليه يومئذٍ سبعين صلاةً . تفرّد به أحمد . وهذا إسنادٌ فيه ضعفٌ أيضاً من جهة عطاء بن السائب ، فالله أعلم .

والذي رواه البخاريّ[٢] أثبت ، حيث قال : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا اللّيث ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالكٍ ، أنّ جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحدٍ في ثوبٍ واحدٍ ، ثم يقول : « أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ » . فإذا أشير له إلى أحدهما[٣] قدّمه في اللّحد وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة » . وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصلّ عليهم ، ولم يغسّلوا . تفرّد به البخاريّ دون مسلمٍ .

ورواه أهل « السنن »[٤] من حديث اللّيث بن سعدٍ به .

وقال أحمد[٥] : ثنا محمدٌ ، يعني ابن جعفرٍ ، ثنا شعبة ، سمعت عبد ربّه يحدّث عن الزُّهريّ ، عن ابن جابرٍ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيّ ﷺ أنه قال في قتلى أُحدٍ : « فإنّ كلّ جرحٍ أو كلّ دمٍ يفوح مسكاً يوم القيامة » ولم يصلّ عليهم .

وثبت أنه صلَّى [عليهم] بعد ذلك بسنين عديدةٍ قبل وفاته بيسيرٍ ، كما قال البخاريّ[٦] : ثنا محمد بن عبد الرّحيم ، ثنا زكريا بن عديٍّ ، أنا [ابن] المبارك ، عن حيوة ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ،

---

(١) في (آ) : « ما أنصفتما أصحابنا » وأثبت لفظ (ط) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٧٩) .
(٣) في « صحيح البخاري » : « فإذا أشير إلى أحدٍ » .
(٤) رواه أبو داود رقم (٣١٣٨) و(٣١٣٩) والترمذي رقم (١٠٣٦) والنسائي رقم (١٩٥٤) وابن ماجه رقم (١٥١٤) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤٠٤٢) .

عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامرٍ قال : صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحدٍ بعد ثماني سنين ، كالمودّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم فرطٌ ، وأنا عليكم شهيدٌ ، وإنّ موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني[١] أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافسوها » . قال : فكان آخر نظرةٍ نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

ورواه البخاريّ في مواضع أخر ، ومسلمٌ ، وأبو داود ، والنّسائيّ[٢] ، من حديث يزيد بن أبي حبيبٍ به نحوه .

وقال الأمويّ : حدّثني أبي ، ثنا الحسن بن عُمارة ، عن حبيب بن أبي ثابتٍ قال : قالت عائشة : خرجنا من السّحَر مخرج رسول الله ﷺ إلى أحدٍ نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجلٌ محتجرٌ ينشد[٣] ويقول :

« لبّث قليلاً يشهد[٤] الهيجا حمل »

قالت : فنظرنا فإذا أسيد بن حضيرٍ ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقبل ، عليه امرأةٌ بين وَسقين . قالت : فدنونا منها ، فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله ﷺ واتّخذ من المؤمنين شهداء ، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخي وزوجي .

وقال ابن إسحاق[٥] : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه[٦] ، وكان أخاها لأبيها وأمّها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزّبير بن العوّام : « القَها فأرجعها ؛ لا ترى ما بأخيها » . فقال لها : يا أمّه ، إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي . قالت : ولم وقد بلغني أنه مُثّل بأخي ، وذلك في الله ؟! فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلما جاء الزُّبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك ، قال : « خلّ سبيلها » . فأتته فنظرت إليه ، وصلّت عليه ، واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق[٧] : ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ، ودفن معه ابن أُخته عبد الله بن جحشٍ ـ وأمّه

---

(١) في (آ) : « ولكن » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٤٤) و(٣٥٩٦) و(٤٠٨٥) و(٦٤٢٦) و(٦٥٩٠) ومسلم رقم (٢٢٩٦) وأبو داود رقم (٣٢٢٣) و(٣٢٢٤) والنسائي رقم (١٩٥٣) .

(٣) في (ط) : « يشتد » والمثل في « معجم الأمثال العربية » لصديقي وزميلي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد (٤/ ٩٦) ومصادره مذكورة فيه .

(٤) في « معجم الأمثال العربية » : « يلحق » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) .

(٦) يعني إلى حمزة رضي الله عنه وأرضاه .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) وقد ذكر الخبر باختصار .

أميمة بنت عبد المطلب ـ وكان قد مُثّل به ، غير أنه لم يبقر عن كبده ، رضي الله عنهما .

قال السّهيليّ[(١)] : وكان يقال له : المجدّع في الله . قال : وذكر سعدٌ أنه هو وعبد الله بن جحشٍ دعوا بدعوةٍ فاستجيبت لهما ؛ فدعا سعدٌ أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه ، فكان ذلك ، ودعا عبد الله بن جحشٍ أن يلقاه فارسٌ فيقتله ويجدع أنفه في الله . فكان ذلك .

وذكر الزُّبير بن بكّارٍ أن سيفه يومئذٍ انقطع ، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرجوناً[(٢)] ، فصار في يد عبد الله بن جحشٍ سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمئتي دينارٍ . وهذا كما تقدّم لعكّاشة في يوم بدرٍ .

وقد تقدّم في « صحيح البخاريّ » أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد ، وإنما أرخص لهم في ذلك ؛ لما بالمسلمين من الجراح التي يشقّ معها أن يحفروا لكلّ واحدٍ واحداً ، ويقدّم في اللّحد أكثرهما أخذاً للقرآن ، وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللّحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرامٍ ، والد جابرٍ ، وبين عمرو بن الجموح ؛ لأنهما كانا متصاحبين ، ولم يغسّلوا[(٣)] ، بل تركهم بجراحهم ودمائهم ، كما روى ابن إسحاق[(٤)] ، عن الزّهريّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرف على القتلى يوم أحدٍ قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دمٍ ، والريح ريح مسكٍ » . قال : وحدّثني عمّي موسى بن يسارٍ ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ : « ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون الدّم ، والرّيح ريح المسك » . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين »[(٥)] من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[(٦)] : ثنا عليّ بن عاصمٍ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ يوم أحدٍ بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود ، وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

ورواه أبو داود وابن ماجه[(٧)] من حديث عليّ بن عاصمٍ به .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٤) .

(٢) جاء في « مختار الصّحاح » (عرجن) : « العرجون : أصل العذق الذي يَعْوَجّ ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً » .

(٣) يعني الشهداء جميعاً .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٣٧) و(٢٨٠٣) و(٥٥٣٣) ومسلم رقم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٧) ، وإسناده ضعيف .

(٧) رواه أبو داود رقم (٣١٣٤) وابن ماجه رقم (١٥١٥) ، وإسناده ضعيف .

وقال الإمام أبو داود في « سننه »[١] : حدّثنا القعنبيّ ، أنّ سليمان بن المغيرة حدّثهم ، عن حميد بن هلالٍ ، عن هشام بن عامرٍ أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحدٍ فقالوا : قد أصابنا قرحٌ وجهدٌ ، فكيف تأمرنا ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد[٢] » . قيل : يا رسول الله ، فأيّهم يقدّم ؟ قال : « أكثرهم قرآناً » .

ثم رواه[٣] من حديث الثوريّ ، عن أيوب ، عن حميد بن هلالٍ ، عن هشام بن عامرٍ ، فذكره ، وزاد : « وأعمقوا » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث صُرعوا » .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عليّ بن إسحاق ، ثنا عبد الله وعتّابٌ ، أنا عبد الله ، أنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدينيّ ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحدٍ ، فأرسلنني[٦] أخواتي إليه بناضحٍ لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل ، فادفنه في مقبرة بني سلمة . قال : فجئته وأعوانٌ ليّ ، فبلغ ذلك نبيّ الله ﷺ وهو جالسٌ بأحدٍ ، فدعاني فقال : « والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته » فدفن مع أصحابه بأحدٍ ، تفرّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا محمد بن جعفرٍ ، ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيسٍ ، عن نُبيحٍ ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحدٍ حملوا من مكانهم ، فنادى منادي النبيّ ﷺ أن ردّوا القتلى إلى مضاجعهم .

وقد رواه أبو داود والنسائيّ[٨] من حديث الثّوريّ ، والترمذيّ من حديث شعبة[٩] ، والنسائيّ أيضاً وابن ماجه[١٠] من حديث سفيان بن عيينة ، كلّهم عن الأسود بن قيسٍ به .

وقال أحمد[١١] : ثنا عفّان ثنا أبو عوانة ، ثنا الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزيّ[١٢] ، عن جابر بن

---

(١) رقم (٣٢١٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) لفظ « الواحد » لم يرد في « سنن أبي داود » .
(٣) في « سننه » رقم (٣٢١٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وإسناده ضعيف .
(٦) في (ط) : « فأرسلني » .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(٨) رواه أبو داود رقم (٣١٦٥) والنسائي رقم (٢٠٠٤) ، وهو حديث صحيح .
(٩) رواه الترمذي رقم (١٧١٧) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) رواه النسائي رقم (٢٠٠٣) وابن ماجه رقم (١٥١٦) ، وهو حديث صحيح .
(١١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(١٢) في (ط) : « . . كلهم عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي . . . » .

عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين ليقاتلهم ، وقال لي أبي عبد الله : يا جابر ، لا عليك أن تكون في نظّاري أهل المدينة ، حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا ، فإني والله لولا أني أترك بناتٍ لي بعدي ، لأحببت أن تقتل بين يديّ . قال : فبينا أنا في النّظّارين ، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي ، عادلتهما على ناضحٍ ، فدخلتْ بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجلٌ ينادي : ألا إنّ النبيّ ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت . فرجعنا بهما ، فدفنّاهما حيث قتلا ، فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، إذ جاءني رجلٌ فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمّال معاوية ، فبدا فخرج طائفةٌ منه . فأتيته فوجدته على النّحو الذي دفنتُه ، لم يتغيّر إلا ما لم يدع القتل ، أو القتيل . ثم ساق الإمام أحمد قصة وفائه دين أبيه ، كما هو ثابتٌ في « الصحيحين »[١]

وروى البيهقيّ[٢] ، من طريق حمّاد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن أبي الزّبير ، عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحدٍ ، بعد أربعين سنةً ، استصرخناهم إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً .

وفي رواية ابن إسحاق ، عن جابرٍ قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس .

وذكر الواقديّ[٣] ، أن معاوية لمّا أراد أن يجري العين ، نادى مناديه : من كان له قتيلٌ بأُحدٍ فليشهد . قال جابرٌ : فحفرنا عنهم ، فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائمٌ على هيئته ، ووجدت جاره في قبره عمرو بن الجموح ، ويده على جرحه فأزيلت عنه ، فانبعث جرحه دماً . ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك ، رضي الله عنهم أجمعين ، وذلك بعد ستٍّ وأربعين سنةً من يوم دفنوا .

وقد قال البخاريّ[٤] : ثنا مسدّدٌ ، ثنا بشر بن المفضّل ، ثنا حسينٌ المعلّم ، عن عطاءٍ ، عن جابرٍ قال : لما حضر أحدٌ ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتَل من أصحاب النبيّ ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعزّ علي منك ، غير نفس رسول الله ﷺ ، وإنّ عليّ ديناً فاقض ، واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحنا فكان أول قتيلٍ ، فدفنت معه آخَر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخَر ، فاستخرجته بعد ستة أشهرٍ ، فإذا هو كيوم وضعته ، هُنَيَّةً غير أُذنه .

وثبت في « الصحيحين »[٥] من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابرٍ أنه لما قتل أبوه ،

---

(١) هو في « صحيح البخاري » رقم (٢١٢٧) و(٢٣٩٥) و(٢٣٩٦) و(٤٠٥٣) ولم نجده في « صحيح مسلم » بهذا اللفظ .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩١) وليس عنده جملة « بعد أربعين سنة » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ٢٦٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (١٣٥١) .

(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٨٠) تعليقاً ، وموصولاً رقم (١٢٤٤) ومسلم رقم (٢٤٧١) (١٣٠) .

جعل يكشف عنه الثوب ويبكي ، فنهاه الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفعتموه »[١] .

وفي روايةٍ ، أن عمّته هي الباكية .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكرٍ أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، حدّثنا فيض بن وثيقٍ البصريّ ، حدّثنا أبو عبادة الأنصاريّ ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لجابرٍ : « يا جابر ، ألا أبشّرك ؟ » قال : بلى ، بشّرك الله بالخير . فقال : « أشعرتَ أن الله أحيا أباك فقال : تمنّ عليّ عبدي ما شئت أعطكه . قال : ياربّ ، ما عبدتك حقّ عبادتك ، أتمنّى عليك أن تردّني إلى الدنيا ، فأُقتل مع نبيّك ، وأقتل فيك مرةً أخرى . قال : إنه قد سلف مني أنّه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقيّ[٣] : أنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الإسفراييني ، ثنا أبو سهلٍ بشر بن أحمد ، أنا أحمد بن الحسين بن نصرٍ ، ثنا عليّ بن المدينيّ ، حدّثنا موسى بن إبراهيم [بن كثيرٍ] بن بشير بن الفاكه الأنصاريّ ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصّمّة الأنصاريّ ثم السّلميّ قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إليّ رسول الله ﷺ فقال : « ما لي أراك مهتمّاً ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، قتل أبي ، وترك ديناً وعيالاً . فقال : « ألا أخبرك ؟ ما كلّم الله أحداً إلا من وراء حجابٍ ، وإنه كَلَّم أباك كفاحاً ، وقال له يا عبدي ، سلني أعطك . فقال : أسألك أن تردّني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً . فقال : إنه قد سبق مني [القول] إنّهم إليها لا يرجعون . قال : ياربّ ، فأبلغ من ورائي » . فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٩] .

وقال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيلٍ ، سمعت جابراً يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أبشّرك يا جابر ؟ » قال : قلت : بلى . قال : « إنّ أباك حيث أصيب بأحدٍ ، أحياه الله ، ثم قال له : ما تحبّ يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي ربِّ ، أحبّ أن تردّني إلى الدنيا ، فأقاتل فيك ، فأقتل مرّةً أخرى » .

وقد رواه أحمد[٥] ، عن عليّ بن المدينيّ ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن عليّ بن ربيعة السّلميّ ، عن عبد الله بن محمد بن عقيلٍ ، عن جابرٍ ، وزاد : فقال الله : « إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون » .

---

(١) هي عند البخاري رقم (١٢٤٤) وعند مسلم رقم (٢٤٧١) (١٢٩) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩٨) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩٨) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٦١) ، وإسناده حسن .

وقال أحمد[١] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، إذا ذَكر أصحاب أحدٍ : « أما والله لوددت أني غودرت مع أصحاب نحصِ الجبل » . يعني سفح الجبل ، تفرّد به أحمد .

وقد روى البيهقيّ[٢] ، من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهبٍ ، عن عبيد بن عميرٍ ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرَّ على مصعب بن عُمير وهو مقتولٌ على طريقه ، فوقف عليه ، فدعا له ثم قرأ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [الأحزاب : ٢٣] . قال : «أشهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزوروهم ، والذي نفسي بيده ، لا يسلّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة ؛ إلا ردّوا عليه » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وروي عن عبيد بن عميرٍ مرسلاً .

وروى البيهقيّ[٣] من حديث موسى بن يعقوب ، عن عبّاد بن أبي صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كان النبيّ ﷺ يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشّعب[٤] قال : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدّار » . ثم كان أبو بكرٍ بعد النبيّ ﷺ يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكرٍ يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقديّ[٥] : كان النبيّ ﷺ يزورهم كلّ حولٍ ، [فإذا تفوّه][٦] الشّعبَ يقول : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدّار » . ثم كان أبو بكرٍ يفعل ذلك كلّ حولٍ ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم ، فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعدٌ يسلّم ، ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلّمون على قوم يردّون عليكم . ثم حكى زيارتهم ، عن أبي سعيدٍ ، وأبي هريرة ، وعبد الله ابن عمر ، وأمّ سلمة ، رضي الله عنهم .

وقال ابن أبي الدّنيا[٧] : حدّثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافعٍ ، ثنا العطّاف بن خالدٍ ، حدّثتني خالتي قالت : ركبت يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لا تزال تأتيهم - فنزلت عند حمزة ، فصلّيت ما شاء الله أن أصلّي ، وما في الوادي داعٍ ولا مجيبٌ ، إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابّتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي : السلام عليكم . قالت : فسمعت ردّ السلام عليّ يخرج من تحت الأرض ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧٥) ، وإسناده حسن .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٤) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٠٦) .
(٤) أي : جانبه .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ٣١٣) .
(٦) في (ط) فإذا بلغ نقرة .
(٧) في كتابه « من عاش بعد الموت » ص(٤٠) .

أعرفه كما أعرف أن الله عزّ وجلّ خلقني ، وكما أعرف الليل من النهار ، فاقشعرّت كلّ شعرةٍ مني .

وقال محمد بن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن أبي الزّبير ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ قال : قال النبيّ ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحدٍ ، جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهبٍ معلّقةٍ في ظلّ العرش ، فلمّا وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلهم قالوا : من يبلّغ إخواننا عنا أنّا أحياءٌ في الجنة نرزق ؛ لئلا ينكلوا عن الحرب ، ولا يزهدوا في الجهاد ؟ فقال الله عزّ وجلّ : أنا أبلّغهم عنكم » . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

وروى مسلمٌ والبيهقيّ[٢] من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروقٍ قال : سألنا عبد الله بن مسعودٍ عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم كطيرٍ خضرٍ[٣] ، تسرح في أيّها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلّقةٍ بالعرش » . قال : « فبينما هم كذلك ، إذ اطّلع عليهم ربّك اطّلاعةً ، فقال : سلوني ما شئتم . فقالوا : يا ربّنا ، وما نسألك ونحن نسرح في الجنّة في أيّها شئنا ؟! فلمّا رأوا أن لن يُتركوا من أن يسألوا ، قالوا : نسألك أن تردّ أرواحنا إلى أجسادنا في الدّنيا ، نقتل في سبيلك » . قال : « فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تُركوا » .

فصلٌ
في عدد الشّهداء

قال موسى بن عقبة[٤] : جميع من استشهد يوم أحدٍ من المهاجرين والأنصار ، تسعةٌ وأربعون رجلاً .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاريّ[٥] عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً ، فالله أعلم .

وقال قتادة ، عن أنسٍ[٦] : قتل من الأنصار يوم أحدٍ سبعون[٧] ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١١٩) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٠٣) واللفظ له .
(٣) في (ط) : « أرواحهم في جوف طير خضر » .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٨٠) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٣٩٨٦) .
(٦) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٧٨) .
(٧) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٥٠) .

وقال حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحدٍ ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالكٌ[١] ، عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ ، عن سعيد بن المسيّب : قتل من الأنصار يوم أحدٍ سبعون ، ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيدٍ سبعون . وهكذا قال عكرمة ، وعروة ، والزهريّ ، ومحمد بن إسحاق ، في قتلى أحدٍ . ويشهد له قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ [آل عمران : ١٦٥] يعني أنهم قتلوا يوم بدرٍ سبعين وأسروا سبعين .

وعن ابن إسحاق[٢] : قتل من الأنصار يوم أحدٍ خمسةٌ وستون ، أربعةٌ من المهاجرين ؛ حمزة ، وعبد الله بن جحشٍ ، ومصعب بن عميرٍ ، وشمّاس بن عثمان ، والباقون من الأنصار ، وسرد أسماءَهم على قبائلهم ، وقد استدرك عليه ابن هشامٍ زيادةً على ذلك خمسةً آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشامٍ ، وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً .

وعن عروة : كان الشهداء يوم أحدٍ أربعةً ـ أو قال : سبعةً ـ وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعةٌ وأربعون .

قال موسى : وقتل من المشركين يومئذٍ ستة عشر رجلاً . وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الرّبيع[٣] ، عن الشافعيّ : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزّة الجمحيّ ، وقد كان في الأسارى يوم بدرٍ ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ بلا فديةٍ ، واشترط عليه ألّا يقاتله ، فلمّا أسر يوم أحدٍ قال : يا محمد ، امنن عليّ لبناتي ، وأعاهد أن لا أقاتلك . فقال له رسول الله ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك بمكّة ، وتقول : خدعت محمداً مرتين » . ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذٍ قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين » .

فصـــل

قال ابن إسحاق[٤] : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقيتْه حمنةُ بنت جحشٍ ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناسَ ونعي إليها أخوها عبد الله بن جحشٍ ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عميرٍ ، فصاحت

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٦) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٨٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .

وولولت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زوج المرأة منها لبمكان » . لما رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه[١] : ثنا محمد بن يحيى ، ثنا إسحاق بن محمدٍ الفَرْوي ، ثنا عبد الله بن عمر ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحشٍ ، عن أبيه ، عن حمنة بنت جحشٍ أنه قيل لها : قُتل أخوك . فقالت : رحمه الله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . قالوا : قتل زوجك . قالت : واحزناه . فقال رسول الله ﷺ : « إن للزوج من المرأة لشعبةً ، ما هي لشيء » !

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني عبد الواحد بن أبي عونٍ ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاصٍ قال : مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينارٍ ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحدٍ ، فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلانٍ ، هو بحمد الله كما تحبّين . قالت : أرُونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مصيبةٍ بعدك جللٌ .

قال ابن هشامٍ : الجَلل يكون من القليل ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل .

قال امرؤ القيس[٣] : [من المتقارب]

لقتل بني أسدٍ ربّهم ... ألا كلّ شيءٍ خلاه جلل

أي : صغيرٌ وقليلٌ .

قال ابن إسحاق[٤] : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » . وناولها عليّ بن أبي طالبٍ سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدقه معك سهل بن حُنيفٍ وأبو دُجانة » .

وقال موسى بن عقبة في موضعٍ آخر : ولما رأى رسول الله ﷺ سيف عليٍّ مخضّباً بالدِّماء قال : « لئن كنتَ أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، والحارث بن الصّمّة ، وسهل بن حنيفٍ » .

وروى البيهقيُّ[٥] ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : جاء عليّ بن أبي طالبٍ بسيفه يوم أحدٍ وقد انحنى فقال لفاطمة : هاكِ السَّيف حميداً ؛ فإنها قد شفتْني .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٥٩٠) وإسناده ضعيف .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٩) .
(٣) انظر « ديوانه » ص(٢٦١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٠) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٣) .

فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيفٍ ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابتٍ ، والحارث بن الصّمّة » .

قال ابن هشامٍ[١] : وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقَار .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم ، عن ابن أبي نجيحٍ قال : نادى منادٍ يوم أحدٍ : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا عليٌّ[٢] .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعليٍّ : « لا يصيب المشركون منّا مثلها حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق[٣] : ومرّ رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل ، فسمع البكاء والنّوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ، فبكى ثم قال : « لكنّ حمزة لا بواكي له » . فلما رجع سعد بن معاذٍ ، وأُسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل ، أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ .

فحدّثني[٤] حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيفٍ ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : « ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتنّ بأنفسكن » . قال : ونهى رسول الله يومئذٍ عن النّوح . فيما قال ابن هشامٍ .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق منقطعٌ ، ومنه مرسلٌ .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : ثنا زيد بن الحباب ، حدّثني أسامة بن زيدٍ ، حدّثني نافعٌ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحدٍ ، فجعل نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهنّ ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكنّ حمزة لا بواكي له » . قال : ثم نام فاستنبه ، وهنّ يبكين ، قال : « فهنّ اليوم إذا يبكين يندبن حمزة ؟! » . وهذا على شرط مسلمٍ[٥] .

وقد رواه ابن ماجه[٦] ، عن هارون بن سعيدٍ ، عن ابن وهبٍ ، عن أسامة بن زيدٍ اللّيثيّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ مرّ بنساء بني عبد الأشهل يبكين هلكاهنّ يوم أحدٍ ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٠) .
(٢) قوله ﷺ : « ولا فتى إلا عليّ » سقط من (ط) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٩) .
(٤) القائل ابن إسحاق .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٠) ، قال ابن القطان الفاسي عن أسامة بن زيد الليثي لم يحتج به مسلم إنما أخرج له استشهاداً ، والحديث حسن .
(٦) رواه ابن ماجه رقم (١٥٩١) ، وهو حديث حسن .

« لكنّ حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويحهنّ! ما انقلبن بعدُ ؟! مروهنّ فلينقلبن ، ولا يبكين على هالكٍ بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أزقّة المدينة ، إذا النّوح والبكاء في الدّور ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم . فقال : « لكنّ حمزة لا بواكي له » . واستغفر له ، فسمع ذلك سعد بن معاذٍ ، وسعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبلٍ ، وعبد الله بن رواحة ، فمشَوا إلى دورهم ، فجمعوا كلّ نائحةٍ وباكيةٍ كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمّ النبيّ ﷺ ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنّوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا ؟ » فأُخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم ، وقال لهم خيراً ، وقال : « ما هذا أردت ، وما أحبّ البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواءً .

قال موسى بن عقبة[١] : وأخذ المنافقون ، عند بكاء المسلمين ، في المكر والتّفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين ، وظهر غشّ اليهود ، وفارت المدينة بالنّفاق فَور المرجل ، وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنّه طالب ملكٍ ؛ تكون له الدّولة وعليه . وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم . فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق ، وتعزية المسلمين ؛ يعني فيمن قتل منهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] الآيات كلّها ، كما تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٢] ولله الحمدُ والمنّة .

ذكر
خروج النبيّ ﷺ بأصحابه ، على ما بهم من القرح والجراح ، في أثر أبي سفيان ؛ إرهاباً له ولأصحابه حتى بلغ حمراء الأسد[٣] وهي على ثمانية أميالٍ من المدينة

قال موسى بن عقبة[٤] بعد اقتصاصه وقعة أحدٍ وذِكره رجوعه ، عليه الصلاة والسلام ، إلى المدينة :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢١٦) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٩٠) وما بعدها ، و(٤/ ٦٩) وما بعدها .
(٣) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(١١٩ ـ ١٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢١٧) .

وقدم رجلٌ من أهل مكة على رسول الله ﷺ ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ، فقال : نازلتُهم فسمعتهم يتلاومون ؛ يقول بعضهم لبعضٍ : لم تصنعوا شيئاً ؛ أصبتم شوكة القوم وحدّهم ، ثم تركتموهم ، ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوسٌ يجمعون لكم ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه ، وبهم أشدُّ القَرح ، بطلب العدوّ ؛ ليسمعوا بذلك ، وقال : « لا ينطلقنّ معي إلّا من شهد القتال » . فقال عبد الله بن أُبيّ : أنا راكبٌ معك . فقال : « لا » . فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء ، فانطلقوا ، فقال الله في كتابه العزيز : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] .

قال : وأذن رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته . قال : وطلب رسول الله ﷺ العدوّ حتى بلغ حمراء الأسد .

وهكذا روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواءً .

وقال محمد بن إسحاق في « مغازيه » : وكان يوم أحدٍ يوم السبت النّصف من شوّالٍ ، فلما كان الغد من يوم الأحد لستّ عشرة ليلةً مضت من شوّالٍ ، أذّن مُؤَذِّنُ رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ ، وأذّن مؤذّنه ألّا يخرجنّ أحدٌ إلّا من حضر يومنا بالأمس ، فكلّمه جابر بن عبد الله ، فأذن له .

قال ابن إسحاق[١] : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنّوا به قوةً ، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[٢] : فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابتٍ ، عن أبي السّائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخٌ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ ، قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابّةٍ نركبها ، وما منّا إلا جريحٌ ثقيلٌ ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غُلب حملته عقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميالٍ ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن هشامٍ : وقد كان استعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : حدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أن معبد بن أبي معبدٍ الخزاعيّ ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصحٍ لرسول الله ﷺ بتهامة ، صفقهم معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٠١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٠١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٠١ ـ ١٠٢) .

يومئذٍ مشركٌ ، مرّ برسول الله ﷺ وهو مقيمٌ بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حربٍ ومن معه بالرّوحاء ، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟! لنكرّنّ على بقيتهم فلنفرغنّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه ، يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطُّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنَق عليكم شيءٌ لم أر مثله قطُّ . قال : ويلك ما تقول ؟ قال : واللهِ ما أُراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم ؛ لنستأصل شأفتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعرٍ . قال : وما قلتَ ؟ قال: قلتُ[١] : [من البسيط]

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

تردي بأسدٍ كرام لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل

فظلت عدواً أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سموا برئيسٍ غير مخذول

فقلت : ويل ابن حربٍ من لقائكمُ ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

إني نذيرٌ لأهل البسل ضاحيةً ... لكلّ ذى إربةٍ منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخشٍ قنابلُه[٢] ... وليس يُوصف ما أنذرت بالقيل

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلّغون عني محمداً رسالةً أرسلكم بها إليه وأحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظٍ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه ، فأخبروه أنّا قد أجمعنا السّير إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيتهم . فمرّ الرّكب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وكذا قال الحسن البصريّ .

وقد قال البخاريّ[٣] : ثنا أحمد بن يونس ـ أُراه قال : ـ ثنا أبو بكرٍ ، عن أبي حَصينٍ ، عن أبي الضّحى ، عن ابن عباسٍ : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ . قالها إبراهيم ، عليه السلام ، حين ألقي في النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] تفرّد بروايته البخاريّ .

وقد قال البخاريّ[٤] : حدّثنا محمد بن سَلَامٍ، حدّثنا أبو معاوية ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ،

---

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٣) .

(٢) في « السيرة النبوية » : لابن هشام « تنابلة » .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٥٦٣) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٧٧) .

رضي الله عنها ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] . قالت لعروة : يابن أختي ، كان أبواك منهم ؛ الزُّبير ، وأبو بكرٍ ، رضي الله عنهما ، لَّما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا ، فقال : « من يذهب في إثرهم ؟ » فانتدب منهم سبعون رجلاً ، فيهم أبو بكرٍ والزُّبير . هكذا رواه البخاريّ .

وقد رواه مسلمٌ مختصراً[١] من أوجهٍ ، عن هشامٍ .

وهكذا رواه سعيد بن منصورٍ وأبو بكرٍ الحميديّ جميعاً ، عن سفيان بن عيينة[٢] .

وأخرجه ابن ماجه[٣] من طريقه ، عن هشام بن عروة به .

ورواه الحاكم في « مستدركه »[٤] من طريق أبي سعيدٍ المؤدّب ، عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث البهيّ ، عن عروة ، وقال في كلّ منهما : صحيحٌ ، ولم يخرجاه . كذا قال .

وهذا السياق غريبٌ جداً ؛ فإن المشهور عند أصحاب المغازي ، أنّ الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كلّ من شهد أحداً ، وكانوا سبعمئةٍ ، كما تقدّم ، قتل منهم سبعون ، وبقي الباقون .

وقد روى ابن جريرٍ[٥] من طريق العوفيّ ، عن ابن عباسٍ قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرّعب يوم أحدٍ ، بعد الذي كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحدٍ في شوّالٍ ، وكان التّجّار يقدَمون في ذي القعدة المدينة ، فينزلون ببدرٍ الصّغرى في كلّ سنةٍ مرةً ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحدٍ ، وكان أصاب المسلمين القَرح ، واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، واشتدّ عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا معه ويتّبعوا ما كانوا متّبعين ، وقال : « إنما يرتحلون الآن فيأتون الحجّ ، ولا يقدرون على مثلها حتى عامٍ قابلٍ » . فجاء الشيطان يخوّف أولياءه ، فقال : إنّ الناس قد جمعوا لكم . فأبَى عليه الناس أن يتّبعوه ، فقال : « إني ذاهبٌ ، وإن لم يتّبعني أحدٌ » . فانتدب معه أبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، وطلحةُ ، والزُّبير ، وسعدٌ ، وعبد الرحمن بن عوفٍ ، وأبو عبيدة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصّفراء ، فأنزل الله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وهذا غريبٌ أيضاً .

وقال ابن هشامٍ[٦] : ثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حربٍ لمّا انصرف يوم أُحد أراد الرّجوع إلى

(١) رقم (٢٤١٨) .
(٢) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٣/ ١١٢٥) والحميدي في « مسنده » (٢٦٣) .
(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٢٤) .
(٤) (٢/ ٢٩٨) و(٣/ ٢٩) .
(٥) انظر « تفسير الطبري » (٤/ ١٧٧) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .

المدينة ، فقال لهم صفوان بن أميّة : لا تفعلوا ؛ فإن القوم قد حرِبوا[١] ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غيرُ الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا ، فقال النبيّ ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همّوا بالرّجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوّمت لهم حجارةٌ ، لو صبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » . قال : وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمسٍ ، جدّ عبد الملك بن مروان لأُمّه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزّة الجمحيّ ، وكان رسول الله ﷺ قد أسره ببدرٍ ثم منّ عليه ، فقال : يا رسول الله ، أقلني . فقال : « لا والله ، لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير » . فضرب عنقه .

قال ابن هشامٍ[٢] : وبلغني عن ابن المسيّب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابتٍ » . فضرب عنقه .

وذكر ابن هشامٍ[٣] أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمّار بن ياسرٍ ، وقال : « ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه » . ففعلا ، رضي الله عنهما .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد الله بن أُبيّ ، كما حدّثني الزهريّ ، له مقامٌ يقومه كلّ جمعةٍ ، لا ينكَر له ، شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، وهو يخطب الناس ، قال فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأعزّكم به فانصروه وعزّروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحدٍ ما صنع ، ورجع الناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس أي عدوّ الله ، والله لست لذلك بأهلٍ ، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدّد أمره . فلقيه رجالٌ من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلكَ ، ما لك ؟ قال : قمت أشدّد أمره فوثب إليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويعنّفونني ، لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدّد أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

ثم ذكر ابن إسحاق[٥] ما نزل من القرآن في قصة أحدٍ من سورة « آل عمران » ، من عند قوله : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] . قال : إلى تمام ستين آيةً . وتكلّم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير » بما فيه كفايةٌ . ثم شرع ابن إسحاق في

---

(١) أي : اشتد غضبهم . انظر « لسان العرب » (حرب) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٦) .

ذكر شهداء أحدٍ، وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم، كما جرت عادته ، فذكر من المهاجرين أربعةً ؛ حمزة ، ومصعب بن عميرٍ ، وعبد الله بن جحشٍ ، وشمّاس بن عثمان ، رضي الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسةٍ وستين رجلاً ، واستدرك عليه ابن هشام خمسةً آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشامٍ ، ثم سمّى ابن إسحاق من قتل من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً ، على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسَر من المشركين سوى أبي عزّة الجمحيّ ، كما ذكره الشافعيّ وغيره ، وقتله رسول الله ﷺ صَبراً بين يديه ؛ أمر الزُّبيرَ ـ ويقال : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ـ فضرب عنقه .

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكُفَّارُ في وقعة أحدٍ من الأشعار

وإنما نورد شعر الكُفَّار لنذكر جوابها من شعر الإسلام[١] ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام ، وأقطع لشبهة الكفرة[٢] الطّغَام .

قال الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحدٍ ، قول هُبيرة بن أبي وهبٍ المخزوميّ ـ وهو على دين قومه من قريشٍ ـ : [من البسيط]

ما بال همّ عَميدٍ بات يطرقني	بالودّ من هندَ إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتعذُلُني	والحرب قد شغلت عنّي مواليها
مهلاً فلا تعذُليني إنّ من خُلُقي	ما قد علمتِ وما إن لستُ أخفيها
مساعفٌ لبني كعبٍ بما كلفوا	حمّال عبءٍ وَأَثْقَالٍ أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشتَرفٍ	ساطٍ سبوحٍ إذا يجري يُبَاريها
كأنه إذْ جرى عَيرٌ بفدفدةٍ	مكدّمٌ لاحقٌ بالعُون يحميها
من آل أعوج يرتاح النّديُّ له	كجذع شعراء مستعلٍ مراقيها
أعددتُه ورقاق الحدّ منتخلاً	ومارناً لخطوبٍ قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النّهي محكمةً	نِيطَتْ عليّ فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمنٍ	عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة : أنّى تذهبون بنا	قلنا : النّخيل ، فأمّوها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجرّ[٣] من أُحدٍ	هابت معدٌّ فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضراباً وطعناً صادقاً خذِماً	مما يرون وقد ضمّت قواصيها

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٩) .
(٢) في (آ) : « الكُفّار » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) الجرّ : أصل الجبل .

ثمّتَ رحنا كأنّا عارضٌ بردٌ ... وقام هام بني النجّار يبكيها
كأنّ هامهم عند الوغى فلقٌ ... من قيض رُبدٍ نفته عن أداحيها
أو حنظلٌ ذعذعتْه الرِّيح في غصنٍ ... بالٍ تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سَحّا لا حساب له ... ونطعنُ الخيل شزراً في مآقيها
وليلةٍ يصطلي بالفرث جازرها ... يختصّ بالنّقرى المثرين داعيها
وليلةٍ من جمادى ذات أنديةٍ ... جربى جُماديّةٍ قد بثّ أسريها
لا ينبَح الكلب فيها غير واحدةٍ ... من القريس ولا تسري أفاعيها
أَوقدتُ فيها لذي الضّرّاء جاحمةً ... كالبرق ذاكية الأركان أحميها
أورثني ذاكمُ عمرٌو ووالده ... من قبله كان بالمثني يغاليها
كانوا يبارون أنواء النجوم فما ... دنّت عن السّورة العليا مساعيها

قال ابن إسحاق[١] : فأجابه حسان بن ثابتٍ ، رضي الله عنه ، فقال ـ قال ابن هشامٍ : وتروى لكعب بن مالكٍ ولغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر ، والله أعلم ـ : [من البسيط]

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم ... إلى الرَّسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنَّار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموهم أحابيشاً بلا حسبٍ ... أئمة الكُفْر غرّتكم طواغيها
ألّا اعتبرتم بخيل الله إذ قَتلت ... أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمنٍ ... وجزّ ناصيةٍ كنا مواليها

قال ابن إسحاق[٢] : وقال كعب بن مالكٍ ، يجيب هُبيرة بن أبي وهبٍ المخزوميّ أيضاً : [من الطويل]

ألا هل أتى غسّان عنا ودونهم ... من الأرض خرقٌ سيره متنعنعُ
صحارٍ وأعلامٌ كأنّ قتامها ... من البعد نقعٌ هامدٌ متقطّع
تظلّ به البُزل العراميس رزّحاً ... ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح صليبها ... كما لاح كتّان التّجار الموضّع
به العين والآرام يمشين خلفةً ... وبيض نعامٍ قيضه يتفلّع
مُجالدنا عن ديننا كلّ فخمةٍ ... مذرّبةٍ فيها القوانس تلمع
وكلّ صموتٍ في الصّوان كأنها ... إذا لبست نِهيٌ من الماء مترع

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣١) والأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ١٦٦) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣٢) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(١٨٠ ـ ١٨٥) .

ولكن ببدرٍ سائلوا من لقيتمُ   من النَّاس والأنباءُ بالغيب تنفع

وإنّا بأرض الخوف لو كان أهلها   سوانا لقد أجلوا بليلٍ فأقشعوا

إذا جاء منّا راكبٌ كان قوله   أعدّوا لما يزجي ابن حربٍ ويجمع

فمهما يهمّ الناس مما يكيدنا   فنحن له من سائر الناس أوسع

فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده الـ   ـبريّة قد أعطوا يداً وتوزّعوا

نجالد لا تبقى علينا قبيلةٌ   من الناسِ إلا أن يهابوا ويفظعوا

ولمّا ابتنوا بالعرض قالت سراتنا   علام إذا لم نمنع العرض نزرع

وفينا رسول الله نتبع أمره   إذا قال فينا القول لا نتطلّع

تدلّى عليه الرّوح من عند ربّه   ينزّل من جوّ السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصرنا   إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

وقال رسول الله لمّا بدوا لنا   ذروا عنكم هول المنيّات واطمعوا

وكونوا كمن يشري الحياة تقرّباً   إلى ملكٍ يحيا لديه ويرجع

ولكن خذوا أسيافكم وتوكّلوا   على الله إنّ الأمر لله أجمع

فسرنا إليهم جهرةً في رحالهم   ضحيّا علينا البيض لا نتخشّع

بملمومةٍ فيها السَّنَوَّر والقنا   إذا ضربوا أقدامها لا تورّع

فجئنا إلى موجٍ من البحر وسطه   أحابيش منهم حاسرٌ ومقنّع

ثلاثة آلافٍ ونحن نصيّةٌ   ثلاث مِئِينٍ إن كثرنا وأربع

نغاورهم تجري المنيّة بيننا   نشارعهم حوض المنايا ونشرع

تهادى قسيّ النّبع فينا وفيهم   وما هو إلاّ اليثربيّ المقطّع

ومنجوفةٌ حِرميّةٌ صاعديّةٌ   يذرُّ عليها السّمّ ساعة تصنع

تصوب بأبدان الرّجال وتارةً   تمرّ بأعراض البصار تقعقع

وخيلٌ تراها بالفضاء كأنّها   جراد صباً في قرّة يتريّع

فلمّا تلاقينا ودارت بنا الرّحا   وليس لأمرٍ حمّه الله مدفع

ضربناهمُ حتى تركنا سَراتهم   كأنّهمُ بالقاع خُشْبٌ مُصَرَّع

كدُنْ غُدوةً حتى استفقنا عشيّةً   كأن ذكانا حرّ نارٍ تلفّع

وراحوا سراعاً موجعين كأنهم   جهامٌ هراقت ماءه الريح مقلع

ورحنا وأخرانا بطاءٌ كأننا   أسودٌ على لحمٍ ببيشة ظلّع

فنلنا ونال القوم منا وربما   فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارت رحانا واستدارت رحاهمُ   وقد جعلوا كُلٌّ من الشرّ يشبع

ونحن أناسٌ لا نرى القتل سُبّةً   على كلّ من يحمي الذّمار ويمنع

جلادٌ على ريب الحوادث لا نرى ... على هالكٍ عيناً لنا الدّهرَ تدمع
بنو الحرب لا نعيا بشيءٍ نقوله ... ولا نحن مما جرّت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفُحّشٍ ... ولا نحن من أظفارها نتوجّع
وكنّا شهاباً يتّقي الناس حرّه ... ويفرج عنه من يليه ويسفع
فخرت عليّ ابن الزّبعرى وقد سرى ... لكم طلبٌ من آخر الليل متبع
فسل عنك في عليا معدٍّ وغيرها ... من الناس مَنْ أخزى مقاماً وَأَشْنَعُ
ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً ... ومن خدّه يوم الكريهة أضرع
شددنا بحول الله والنصر شدّةً ... عليكم وأطراف الأسنّة شرّع
تكرّ القنا فيكم كأن فروعها ... عزالي مزادٍ ماؤها يتهزّع
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكر اللّواء فهو في الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا ... أبى الله إلّا أمره وهو أصنع

[قال ابن إسحاق[1] : وقال عبد الله بن الزّبعري في يوم أحدٍ ، وهو يومئذٍ مشركٌ بعد : [من الرمل]

يا غُرَابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ ... إنّما تنطقُ شيئاً قد فُعلْ
إنّ للخير وللشرّ مدى ... وكلا ذلك وجهٌ وقَبلْ
والعطيّات خساسٌ بينهم ... وسواءٌ قبر مثرٍ ومقلْ
كلّ عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ ... وبنات الدّهر يلعبن بكلْ
أبلغنْ حسّان عنّي آيةً ... فقريض الشّعر يشفي ذا الغُللْ
كم ترى بالجرّ من جمجمةٍ ... وأكفّ قد أُترّت ورجلْ
وسرابيلَ حسانٍ سريت ... عن كماةٍ أهلكوا في المنتزلْ
كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ... ماجد الجدّين مِقْدام بطلْ
صادق النّجدة قرمٍ بارعٍ ... غير ملتاثٍ لدى وقع الأسلْ
فسل المهراس ما ساكنه ... بين أقحافٍ وهامٍ كالحجلْ
ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسلْ
حين حكّت بقباءٍ بركها ... واستحرّ القتل في عبد الأشلْ
ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصاً ... رقص الحفّان يعلو في الجبلْ
فقتلنا الضّعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدلْ
لا ألوم النّفس إلّا أنّنا ... لو كررنا لفعلنا المفتعلْ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٣٦) والأبيات في « ديوان عبد الله بن الزبعرى » (٤١) وما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته عن (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

بسيوف الهند تعلو هامهم ... عللاً تعلوهمُ بعد نهل

قال ابن إسحاق[١] : فأجابه حسَّان بن ثابتٍ ، رضي الله عنه : [من الرمل]

ذهبت بابن الزّبعرى وقعةٌ ... كان منّا الفضل فيها لو عدلْ
ولقد نلتم ونلنا منكمُ ... وكذاك الحرب أحياناً دولْ
نضعُ الأسياف في أكتافكم ... حيث نهوي عللاً بعد نهلْ
نخرج الأصبح من أستاهكم ... كسُلاح[٢] النّيب يأكلن العصلْ
إذ تولّون على أعقابكم ... هرَّباً في الشّعب أشباه الرّسلْ
إذ شددنا شدّةً صادقةً ... فأجأناكم إلى سفح الجبلْ
بخناطيل كأمذاق الملا ... من يلاقوه من الناس يهلْ
ضاق عنا الشّعب إذ نجزعه ... وملأنا الفرط منه والرّجَلْ[٣]
برجالٍ لستمُ أمثالهم ... أُيِّدوا جبريل نصراً فنزلْ
وعلونا يوم بدرٍ بالتّقى ... طاعة الله وتصديق الرّسلْ
وقتلنا كلّ رأسٍ منهمُ ... وقتلنا كلّ جحجاحٍ رفلْ
وتركنا في قريشٍ عورةً ... يوم بدرٍ وأحاديث المثلْ
ورسول الله حقاً شاهدٌ ... يوم بدرٍ والتّنابيل الهبلْ
في قريشٍ من جموعٍ جمّعوا ... مثل ما يجمع في الخصب الهملْ
نحن لا أمثالكم ولد استها ... نحضر البأس إذا البأس نزلْ

قال ابن إسحاق[٤] : وقال كعبٌ يبكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحدٍ ، رضي الله عنهم : [من المتقارب]

نشجتَ وهل لك من منشج ... وكنت متى تذّكر تلججِ
تذكُّر قومٍ أتاني لهم ... أحاديث في الزمن الأعوجِ
فقلبك من ذكرهم خافقٌ ... من الشّوق والحزن المنضجِ
وقتلاهمُ في جنان النعيم ... كرام المداخل والمخرجِ
بما صبروا تحت ظلّ اللّواء ... لواء الرسول بذى الأضوجِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣٧) والأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٦٧ ـ ٦٨) .
(٢) السُّلاح بالضم : النَّجْوُ .
(٣) جمع رِجلة ، وهي المطمئن من الأرض .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣٨) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(١٥٧ - ١٥٨) .

غــداة أجـابـت بـأسيـافهـا　　جميعـاً بنـو الأوس والخـزرجِ
وأشيـاع أحمـد إذ شـايعـوا　　علـى الحـقّ ذي النـور والمنهـجِ
فمـا بـرحـوا يضـربـون الكمـاة　　ويمضـون فـي القسطـل المـرهـجِ
كـذلـك حتـى دعـاهـم مليـكٌ　　إلـى جنّـةٍ دوحـة المـولـجِ
كحمـزة لمَّـا وفـى صـادقـاً　　بـذي هبّـةٍ صـارمٍ سلجـجِ
فَكُلهـم مـات حُـرَّ البـلاء　　علـى مِلَّـة الله لـم يخْـرَجِ
فـلاقـاه عبـد بنـي نـوفـلٍ　　يبـربـر كـالجمـل الأدعـجِ
فـأوجـره حـربـةً كـالشّهـاب　　تلهّـب فـي اللَّهـب الموهَـجِ
ونعمـان أوفـى بميثـاقـه　　وحنظلـة الخيـر لـم يحنـجِ
عـن الحـقّ حتـى غـدت روحـه　　إلـى منـزلٍ فـاخـر الـزّبـرجِ
أولئـك لا مـن ثـوى منكـمُ　　مـن النـار فـي الـدّرك المـرتـجِ

قال ابن إسحاق[١] : وقال حسّان بن ثابتٍ يبكي حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحدٍ ـ وهي على رويّ قصيدة أُمية بن أبي الصّلت في قتلى المشركين يوم بدرٍ .

قال ابن هشامٍ : ومن [أهل العلم بالشعر من] ينكر هذه لحسان ، والله أعلم ـ : [من مجزوء الرجز]

يـا مـيّ قـومـي فـانـدُبـنْ　　بسُحيـرةٍ شجـو النّـوائـحْ
كـالحـامـلات الـوقـر بـالثّقْـ　　ـل الملحّـات الـدّوالـحْ
المعـولات الخـامشـا　　ت وجـوه حـرّاتٍ صحـائـحْ
وكـأنّ سيـل دمـوعهـا الـ　　أنصـاب تخضـب بـالـذّبـائـحْ
ينقضـن أشعـاراً لهـنْ　　ـن هنـاك بـاديـة المسـائـحْ
وكـأنّهـا أذنـاب خيـ　　ـلٍ بـالضّحـى شمـسٍ روامـح
مـن بيـن مشـزورٍ ومَجْـ　　ـزورٍ يـذعـذع بـالبـوارح
يبكيـن شجـواً مسلبـا　　تٍ كـدّحتهـنّ الكـوادح
ولقـد أصـاب قلـوبهـا　　مجـلٌ لـه جلـبٌ قـوارح
إذ أقصـد الحِـدثـان مَـن　　كنّـا نـرجّـي إذ نشـايـح
أصحـاب أُحْـد غـالهـم　　دهـرٌ ألـمّ لـه جـوارح
مـن كـان فـارسنـا وحـا　　مِيَنـا إذا بعـث المسـالـح
يـا حمـز لا والله لا　　أنسـاك مـا صـرّ اللّقـائـح

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥١) والأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢) .

لمنـــاخ أيتـــامٍ وأضـ … ـيـافٍ وأرملـةٍ تـلامـح
ولمـا ينـوب الـدّهـرُ فـي … حـربٍ لحـربٍ وهـي لاقـحْ
يـا فـارسـاً يـا مـدرهـاً … يـا حمز قـد كنت المصامحْ
عنـا شـديـدات الخطـوب … إذا ينـوب لهـن فـادحْ
ذكّـرتنـي أسـد الـرسـو … ل وذاك مـدرهنـا المنـافـحْ
عنـــا وكـــان يعـــدّ إذ … عـدّ الشّـريفـون الجحـاجـحْ
يعلـو القمـاقـم جهـرةً … سبـط اليـديـن أغـرّ واضـح
لا طـائـشٌ رعـشٌ ولا … ذو علّـةٍ بـالحمـل آنـحْ
بحـرٌ فليـس يغـبّ جـا … رأ منـه سيـبٌ أو منـادحْ
أودى شبـاب أولـي الحفـا … ئـظ والثّقيلـون المـراجـح
المطعمـــون إذا المشـــا … تـي مـا يصفّفهـنّ نـاضـح
لحـم الجـلاد وفـوقـه … مـن شحمـه شطـبٌ شـرائـح
ليـدافعـوا عـن جـارهـم … مـا رام ذو الضّغـن المكـاشـح
لهفـــي لشبـــانٍ رُزِئـ … ـنـاهـم كـأنهـم المصـابـحْ
شـمّ بطـارقـةٍ غطـا … رفـةٍ خضـارمـةٍ مسـامـح
المشتـرون الحمـد بـالأ … مـوال إنّ الحمـد رابـحْ
والجـامـزون بلجمهـم … يـومـاً إذا مـا صـاح صـائـح
مـن كـان يُـرمـى بـالنّـوا … قـر مـن زمـانٍ غيـر صـالـح
مـا إن تـزال ركـابـه … يـرسمـن فـي غُبـرٍ صحـاصـح
راحـت تبـارى وهـو فـي … ركـبٍ صـدورهـمُ رواشـح
حتـى تَـؤُوبَ لـه المعـا … لـي ليـس مـن فـوز السّفـائـح
يـا حمـز قـد أوحـدتنـي … كـالعـود شـذّبـه الكـوافـح
أشكـو إليـك وفـوقـك التّـ … ـرب المكـوّر والصّفـائـح
مـن جنـدلٍ يلقيـه … فوقك إذ أجاد الضّرح ضارح
فـي واسـعٍ يحشـونـه … بـالتُّـرْب سـوّتـه المماسـح
فعـزاؤنـا أنّـا نقـو … ل وقـولنـا بـرحٌ بـوارح
مـن كـان أمسـى وهـو عمّـ … ـمـا أوقـع الحِـدثـان جـانـح
فليـأتنـا فلتبـك عيـ … ـنـاه لهلكـانـا النّـوافـح
القـائليـن الفـاعليـ … ـن ذوي السّماحة والممادح
مـن لا يـزال نـدى يـديـ … ـه لـه طـوال الـدّهـر مـائـحْ

قال ابن هشام[١] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال كعب بن مالكٍ يبكي حمزة وأصحابه : [من الكامل]

طرقتْ همومك فالرّقاد مسهّدُ ... وجزعت أن سلخ الشباب الأغيدُ

ودعت فؤادك للهوى ضمريّةٌ ... فهواك غوريٌّ وصحوك منجدُ

فدع التّماديَ في الغواية سادراً ... قد كنت في طلب الغواية تفندُ

ولقد أنى لك أن تناهى طائعاً ... أو تستفيق إذا نهاك المرشد

ولقد هددت لفقد حمزة هدّةً ... ظلّت بنات الجوف منها ترعد

ولو انّه فجعت حراء بمثله ... لرأيت راسيَ صخرها يتبدّد

قرمٌ تمكّن في ذؤابة هاشمٍ ... حيث النّبوّة والنّدى والسّؤدُد

والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت ... ريحٌ يكاد الماء منها يجمد

والتارك القرن الكميّ مجدّلاً ... يوم الكريهة والقنا يتقصّد

وتراه يرفُل في الحديد كأنه ... ذو لبدةٍ شثن البراثن أربد

عمّ النبيّ محمدٍ وصفيّه ... ورد الحِمام فطاب ذاك المورد

وأتى المنيّة معلماً في أسرةٍ ... نصروا النبيّ ومنهمُ المستشهدُ

ولقد إخال بذاك هنداً بشّرت ... لتميت داخل غصّةٍ لا تبرد

مما صبحنا بالعقنقل قومها ... يوماً تغيّب فيه عنها الأسعد

وببئر بدرٍ إذ يردّ وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد

حتى رأيت لدى النبيّ سراتهم ... قسمين يقتل من يشاء ويطرد

فأقام بالعطن المعطّن منهمُ ... سبعون عتبة منهم والأسودُ

وابن المغيرة قد ضربنا ضَرْبَةً ... فوق الوريد لها رشاشٌ مزبد

وأميّة الجمحيّ قوّم ميله ... عضبٌ بأيدي المؤمنين مهنّد

فأتاك فَلّ المشركين كأنّهم ... والخيل تثفنهم نعامٌ شرّد

شتّان من هو في جهنّم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مخلّد

قال ابن إسحاق[٣] : وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أحدٍ ـ قال ابن هشامٍ : وأنشدنيها أبو زيدٍ لكعب بن مالكٍ ، فالله أعلم ـ : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥٥) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥٦) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ١٦٢) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(٢٠٠ ـ ٢٠١) .

بكت عيني وحُقّ لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويلُ
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسولُ
أبا يعلى لك الأركان هدّت ... وأنت الماجد البرّ الوصول
[عليك سلام ربّك في جنانٍ ... مخالطها نعيمٌ لا يزول]
ألا يا هاشم الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حسنٌ جميل
رسول الله مصطبرٌ كريمٌ ... بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغٌ عني لؤيّا ... فبعد اليوم دائلةٌ تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يُشفى الغليل
نسيتم ضربنا بِقَلِيب بدرٍ ... غداة أتاكمُ الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهلٍ صريعاً ... عليه الطير حائمةً تجول
وعتبة وابنه خرّا جميعاً ... وشيبة عضّه السيف الصّقيل
ومتركنا أميّة مجلعبّاً ... وفي حيزومه لدْنٌ نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها ... ففي أسيافنا منها فلول[١]
ألا يا هند فابكي لا تملّي ... فأنت الواله العبرى الهبول
ألا يا هند لا تبدي شماتاً ... بحمزة إنّ عزّكمُ ذليلُ

قال ابن إسحاق[٢] : وقالت صفيّة بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب ـ وهي أمّ الزّبير ، عمّة النبيّ ﷺ ، ورضي الله عنهم أجمعين ـ : [من الطويل]

أسائلةٌ أصحاب أُحُدٍ مخافةً ... بنات أبي من أعجمٍ وخبيرِ
فقال الخبير إنّ حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزيرِ
دعاه إله الحقّ ذو العرش دعوةً ... إلى جنةٍ يحيا بها وسرورِ
فذلك ما كنا نرجّي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصيرِ
فوالله لا أنساك ما هبّت الصَّبا ... بكاءً وحزناً محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مِدرها ... يذود عن الإسلام كلّ كفور
فيا ليت شِلوي عند ذاك وأعظمي ... لدى أضبعٍ تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النّعيّ عشيرتي ... جزى الله خيراً من أخٍ ونصيرِ

---

(١) تأخر هذا البيت في (آ) إلى ما بعد البيت الذي بعده .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٧) .

قال ابن إسحاق[(١)] : وقالت نُعْمُ امرأة شمّاس بن عثمان تبكي زوجها : [من البسيط]

يا عين جودي بفيضٍ غير إبساسِ ... على كريمٍ من الفتيان لبّاس
صعب البديهة ميمونٍ نقيبته ... حمّال ألويةٍ ركّاب أفراس
أقول لمّا أتى الناعي له جزعاً ... أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لمّا خلت منه مجالسه ... لا يبعد الله منا قرب شمّاس

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوعٍ يعزّيها فقال : [من البسيط]

إقْنَيْ حياءك في سترٍ وفي كرمٍ ... فإنّما كان شمّاسٌ من الناس
لا تقتلي النّفس إذ حانت منيّته ... في طاعة الله يوم الرَّوع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري ... فذاق يومئذٍ من كأس شمّاس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ، حين رجعوا من أحدٍ : [من الطويل]

رجعتُ وفي نفسي بلابل جمّةٌ ... وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
من أصْحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرهم ... بني هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنّني قد نلت شيئاً ولم يكن ... كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرةً ، تركنا كثيراً منها ، خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفايةٌ ، ولله الحمد .

وقد أورد الأمويّ في « مغازيه » من الأشعار أكثر ممّا ذكره ابن إسحاق ، كما جرت عادته ، ولا سيّما هاهنا ، فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابتٍ أنّه قال في غزوة أحد ـ فالله أعلم ـ : [من الرمل]

طاوَعوا الشيطان إذ أخزاهم ... فاستبان الخزي فيهم والفشل
حين صاحوا صيحةً واحدةً ... مع أبي سفيان قالوا اعل هبل
فأجبناهم جميعاً كلّنا ... ربّنا الرحمن أعلى وأجلّ
أُثبتوا نسقيكموها مُرّةً ... من حياض الموت والموت نهل
واعلموا أنّا إذا ما نضّجت ... عن حيال الموت قدرٌ تشتعل

وكأنّ هذه الأبيات قطعةٌ من جوابه لعبد الله بن الزّبعرى[(٢)] ، والله أعلم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨) .
(٢) وقد تقدمت في ص(٢٣٦) من هذا الجزء .

آخر الكلام على وقعة أحدٍ

فصلٌ

قد تقدّم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسّرايا ، ومن أشهرها وقعة أحدٍ ، وكانت في النصف من شوالٍ منها ، وقد تقدّم بسطها ، ولله الحمد .

وفيها في أحدٍ توفّي شهيداً أبو يعلى ، ويقال : أبو عمارة . أيضاً ؛ حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، الملقّب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبيّ ﷺ[١] ، هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعتهم كلّهم ثويبة مولاة أبي لهبٍ ، كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه[٢] ، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل ، رضي الله عنه ، فإنّه كان من الشجعان الأبطال ، ومن الصدّيقين الكبار ، وقتل معه يومئذٍ تمام السبعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال مصعبٌ الزّبيريّ : ولد ليعلى بن حمزة خمسة بنين ، كلّهم انقرضوا . وكانت له بنتٌ لها : عُمارة .

قلت : وهي التي تناولها عليٌّ ، وقال لفاطمة : دونك ابنة عمّك ، فاختصم في حضانتها عليٌّ وزيد بن حارثة وجعفرٌ ، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها امرأة جعفرٍ ، وقال : « الخالة بمنزلة الأمّ »[٣] .

وفيها عقد عثمان بن عفّان عقده[٤] على أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، بعد وفاة أختها رُقيّة ، وكان عقده عليها في ربيع الأول منها ، وبنى بها في جمادى الآخرة منها ، كما تقدّم ، فيما ذكره الواقديّ .

وفيها ، قال ابن جريرٍ[٥] : ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ بن أبي طالبٍ . قال : وفيها علقت بالحسين ، رضي الله عنهم أجمعين .

* * *

---

(١) أي شاركه الرّضاع .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٦٤٥) و(٥١٠٠) ومسلم رقم (١٤٤٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رضاع النبي ﷺ وحمزة رضي الله عنه ، والبخاري رقم (٥١٠١) و(٥١٠٦) و(٥١٠٧) و(٥١٢٣) و(٥٣٧٢) ومسلم رقم (١٤٤٩) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها ، في رضاعه ﷺ وأبي سلمة بن عبد الأسد .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ورواه أحمد في « المسند » (١/ ١١٥) وأبو داود رقم (٢٢٨٠) من حديث علي رضي الله عنه .

(٤) لفظ « عقده » لم ترد في (ط) .

(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٣٧) .

سنة أربع من الهجرة النبويّة

في المحرّم منها كانت سريّة أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسديّ ، فانتهى إلى ماء يقال له : قطنٌ .

قال الواقديّ[١] : ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيدٍ اليربوعيّ ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً ، فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلمّا كان هلال[٢] المحرّم على رأس خمسةٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله ﷺ فقال : « اخرج في هذه السّريّة ، فقد استعملتك عليها » . وعقد له لواءً وقال : « سر حتى أرض بنى أسدٍ ، فأغرعليهم » . وأوصاه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وخرج معه في تلك السّرية خمسون ومئةٌ ، فانتهى إلى أدنى قطنٍ ، وهو ماءٌ لبني أسدٍ ، وكان هناك طليحة الأسديّ وأخوه سلمة ابنا خويلدٍ ، وقد جمعا خلقاً من بني أسدٍ ليقصدوا حرب النبيّ ﷺ ، فجاء رجلٌ منهم إلى النبيّ ﷺ فأخبره بما تمالؤوا عليه ، فبعث معه أبا سلمة في سريّته هذه ، فلما انتهوا إلى أرضهم ، تفرّقوا وتركوا نعَماً كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كلّه أبو سلمة ، وأسر منهم معه ثلاثة مماليك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل الأسديّ الذي دلّهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفيّ النبيّ ﷺ ؛ عبداً ، وخمّس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه ، ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدّثني عبد الملك بن عميرٍ ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوعٍ ، عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أبو أسامة الجشميّ ، فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فيما نرى ، وبعثه رسول الله ﷺ في المحرّم - يعني من سنة أربع - إلى قطنٍ ، فغاب بضع عشرة ليلةً ، فلمّا دخل المدينة انتقض به جرحه ، فمات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدّت أمي حتى خلت أربعة أشهرٍ وعشر ، ثم تزوّجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليالٍ بقِين من شوّالٍ ، وكانت أمي تقول : ما بأسٌ بالنكاح في شوال والدخول فيه ، وقد تزوّجني رسول الله ﷺ في شوّالٍ وأعرس بي فيه[٣] .

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٣٤٠) .
(٢) لفظ « هلال » لم يرد في (ط) .
(٣) في (ط) : « قد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى فيه » .

قال : وماتت أمّ سلمة في ذي القعدة سنة تسعٍ وخمسين . رواه البيهقيّ[١]

قلت : سنذكر فيْ أواخر هذه السنة في شوّالها تزويج النبيّ ﷺ بأمّ سلمة ، وما يتعلّق بذلك من ولاية الابن أمّه في النّكاح ، ومذاهب العلماء في ذلك ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

غزوة الرّجيع[٢]

قال الواقديّ : وكانت في صفرٍ ـ يعني سنة أربعٍ ـ بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليخبروه . قال : والرّجيع على سبعة أميالٍ من عُسفان .

قال البخاريّ[٣] : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشام بن يوسف ، عن معمرٍ ، عن الزّهريّ ، عن عمرو بن أبي سفيان الثّقفيّ ، عن أبي هريرة قال : بعث النبيّ ﷺ سريّةً عيناً ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابتٍ ، وهو جدّ عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكّة ، ذكروا لحيٍّ من هذيلٍ يقال لهم : بنو لحيان ، فتبعوهم بقريبٍ من مئة رامٍ ، فاقتصّوا آثارهم ، حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمرٍ تزوّدوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجؤوا إلى فدفدٍ ، وجاء القوم فأحاطوا بهم ، فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ؛ ألاّ نقتل منكم رجلاً . فقال عاصمٌ : أمّا أنا فلا أنزل في ذمة كافرٍ ، اللهم أخبر عنا رسولك . فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفرٍ با لنّبل ، وبقي خبيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلمّا أعطوهم العهد والميثاق ، نزلوا إليهم ، فلمّا استمكنوا منهم ، حلّوا أوتار قسيّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما :هذا أول الغدر . فأبى أن يصحبهم ، فجرّوه ، عالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه ، وانطلقوا بخبيبٍ وزيدٍ حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفلٍ ، وكان خبيبٌ هو قتل الحارث يوم بدرٍ ، فمكث عندهم أسيراً ، حتى إذا أجمعوا قتله ، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها فأعارته . قالت : فغفلت عن صبيٍّ لي ، فدرج إليه حتى أتاه ، فوضعه على فخذه ، فلمّا رأيته فزعت فزعةً عرف ذلك مني ، وفي يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله . وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ ، لقد رأيته يأكل من قطف عنبٍ وما بمكة يومئذٍ ثمرةٌ ، وإنه لموثَقٌ في الحديد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دعوني أصلّي ركعتين . ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أنّ ما بي جزعٌ من الموت لزدت . فكان

---

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣١٩) .

(٢) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٥٣ ـ ١٥٤) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٨٦) .

أوّل من سنّ الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهمّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً. ثم قال: [من الطويل]

ولستُ أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع

قال: ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريشٌ إلى عاصمٍ؛ ليؤتَوا بشيءٍ من جسده يعرفونه، وكان عاصمٌ قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدرٍ، فبعث الله عليه مثل الظّلّة من الدّبْر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيءٍ.

وقال البخاريّ[١]: ثنا عبد الله بن محمدٍ، ثنا سفيان، عن عمرو، سمع جابر بن عبد الله يقول: الذي قتل خبيباً هو أبو سِروعة.

قلت: واسمه عقبة بن الحارث، وقد أسلم بعد ذلك، وله حديثٌ في الرّضاع، وقد قيل: إن أبا سِروعة وعقبة أخوان، فالله أعلم.

هكذا ساق البخاريّ في كتاب المغازي من «صحيحه» قصة أصحاب الرّجيع.

ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد[٢]، من طرقٍ، عن الزهريّ، عن عَمْرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثّقفي حليف بني زهرة، ومنهم من يقول: عُمَر بن أبي سفيان. والمشهور عَمْرٌو.

وفي لفظٍ للبخاريّ[٣]: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهطٍ سريّةً عيناً، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. وساق نحوه.

وقد خالفه محمد بن إسحاق، وموسى بن عقبة وعروة بن الزّبير في بعض ذلك، ولنذكر كلام ابن إسحاق؛ ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف، على أنّ ابن إسحاق إمامٌ في هذا الشأن، وغير مدافعٍ، كما قال الشافعيّ، رحمه الله: من أراد المغازي فهو عِيالٌ على محمدٍ بن إسحاق.

قال محمد بن إسحاق[٤]، رحمه الله: ثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عضلٍ والقارة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستةً من أصحابه وهم؛ مَرثد بن أبي مرثدٍ الغنويّ، حليف حمزة بن عبد المطلب ـ قال ابن إسحاق: وهو أمير القوم ـ وخالد بن البكير اللّيثيّ، حليف بني عديٍّ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوفٍ، وخبيب بن عديٍّ، أخو بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوفٍ، وزيد بن الدّثنة، أخو بني

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٨٧).
(٢) من «صحيحه» رقم (٧٤٠٢) و(٣٠٤٥).
(٣) في «صحيحه» رقم (٣٠٤٥).
(٤) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/١٦٩).

بياضة بن عامرٍ ، وعبد الله بن طارقٍ ، حليف بني ظَفرٍ . رضي الله عنهم . هكذا قال ابن إسحاق أنّهم كانوا ستةً ، وكذا ذكر موسى بن عقبة[١] ، وسمّاهم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخاريّ أنهم كانوا عشرةً ، وعنده أنّ أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرّجيع ـ ماءٍ لهذيلٍ بناحية الحجاز ، من صدور الهدأة ـ غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم ـ وهم في رحالهم ـ إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكن عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأما مرثدٌ وخالد بن البكير وعاصم بن ثابتٍ فقالوا: والله لا نقبل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً . وقال عاصم بن ثابتٍ : [من الرجز]

ما عِلّتي وأنا جلدٌ نابل ... والقوس فيها وَتَرٌ عنابل
تزلّ عن صفحتها المعابل ... الموت حقّ والحياة باطل
وكلّ ما حمّ الإله نازل ... بالمرء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فأمّي هابل

وقال عاصمٌ أيضاً : [من الرجز]

أبو سليمان وريش المقعد ... وضالةٌ مثل الجحيم الموقد
إذا النّواجي افترشت لم أرعد ... ومجنأٌ من جلد ثورٍ أجرد
ومؤمنٌ بما على محمد

وقال أيضاً : [من الرجز]

أبو سليمان ومثلي رامى ... وكان قومي معشراً كراما

قال : ثم قاتل حتى قتل ، وقتل صاحباه ، فلمّا قتل عاصمٌ ، أرادت هذيلٌ أخذ رأسه ؛ ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شُهَيدٍ[٣] ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحدٍ ؛ لئن قدرت على رأس عاصمٍ ، لتشربنّ في قِحفه الخمر ، فمنعته الدّبْر ـ هكذا ذكره البخاريّ بعد وصول خبيبٍ وزيد بن الدّثنة إلى مكّة . وهذا الذي ذكره ابن إسحاق أنسب ـ قال : فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله الوادي ، فاحتمل عاصماً فذهب به ، وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشركٌ ، ولا يمسّ مشركاً أبداً ؛ تنجّساً ، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدّبْر منعته :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٩) .
(٣) في (آ) و(ط) : « سهيل » .

يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصمٌ نذر أن لا يمسه مشركٌ ، ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته .

قال ابن إسحاق[1] : وأما خبيبٌ وزيد بن الدّثنة وعبد الله بن طارقٍ فلانوا ورقّوا ورغبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم فأشروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظّهران ، انتزع عبد الله ابن طارقٍ يده من القِران ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظّهران ، وأما خبيب بن عديٍّ ، وزيد بن الدّثنة ، فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشامٍ : فباعوهما من قريشٍ بأسيرين من هذيلٍ كانا بمكّة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهابٍ التّميميّ ، حليف بني نوفلٍ لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفلٍ ، وكان أبو إهابٍ أخا الحارث بن عامرٍ لأمّه ؛ ليقتله بأبيه . قال : وأما زيد بن الدّثنة فابتاعه صفوان بن أمية ؛ ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له : نسطاسٌ . إلى التّنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهطٌ من قريشٍ ، فيهم أبو سفيان بن حربٍ ، فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحبّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأني جالسٌ في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً . قال : ثم قتله نسطاسٌ . قال : وأما خبيب بن عديّ ، فحدّثني عبد الله بن أبي نجيحٍ ، أنه حدّث عن ماويّة مولاة حجير بن أبي إهابٍ ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيبٌ عندي ، حبس في بيتي ، فلقد أطّلعت عليه يوماً ، وإنّ في يده لقِطفاً من عنبٍ مثل رأس الرّجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق[2] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا : قالت : قال لي حين حضره القتل : ابعثي إليّ بحديدةٍ أتطهّر بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحيّ الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . قالت : فوالله إن هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجلٍ . فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ، ثم قال : لعمرك ما خافت أمّك غدري [حين] بعثتك بهذه الحديدة إليّ ، ثمّ خلّى سبيله .

قال ابن هشامٍ : ويقال : إنّ الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصمٌ : ثم خرجوا بخبيبٍ ، حتى جاءوا به إلى التّنعيم ليصلُبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدَعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهّما وأحسنهما ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧١) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٢) .

ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أني إنما طوّلت جزعاً من القتل ، لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيبٌ أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

قال : ثم رفعوه على خشبةٍ ، فلمّا أوثقوه قال : اللهمّ إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك ، فبلّغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال : اللهمّ أحصهم عدداً ، واقتلهم بَدَداً ، ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه . وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذٍ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيبٍ ، وكانوا يقولون : إنّ الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه ، زلّت عنه .

فائدةٌ : قال السّهيليّ[١] : وإنّما صارت الركعتان سنّةً ـ يعني عند القتل ـ لأنها فعلت في زمان النبيّ ﷺ ، فأقرّ عليها ، واستحسنت من صنيعه . قال : وقد صلاّها زيد بن حارثة في حياة النبيّ ﷺ . ثم ساق[٢] بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معينٍ ، عن يحيى بن عبد الله بن بكيرٍ ، عن اللّيث بن سعدٍ قال : بلغني أنّ زيد بن حارثة استأجر من رجلٍ بغلاً من الطائف ، واشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء ، فمال به إلى خربةٍ ، فإذا بها قتلى كثيرةٌ ، فلمّا همّ بقتله قال له زيدٌ : دعني حتى أصلّي ركعتين . فقال : صلّ ركعتين ، لطالما صلّى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً . قال : فصلّيت ثم جاء ليقتلني ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا صارخٌ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر ، فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول : لا تقتله . فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا أنا بفارسٍ على فرسٍ ، في يده حربةٌ في رأسها شُعْلةٌ من نارٍ ، فطعنه بها حتى أنفذه فوقع ميتاً . ثم قال : لمّا دعوتَ الله في المّرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولمّا دعوته في المّرة الثانية كنت في السماء الدّنيا ، ولمّا دعوته في الثالثة أتيتك . قال السّهيليّ : وقد صلاّها حجر بن عديّ بن الأدبر حين حمل إلى معاوية من العراق ، ومعه كتاب زياد بن أبيه ، وفيه أنّه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعةٍ من التابعين ، منهم الحسن وابن سيرين ، فلمّا دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أوَ أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله ، فصلّى ركعتين قبل قتله ، رحمه الله . قال : وقد عاتبت معاوية عائشة في قتله ، فقال : إنّما قتله من شهد عليه . ثم قال : دعيني وحجراً ، فإنّي سألقاه على الجادّة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب عنّي مثلك من قومي .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »[٣] : أنّ خبيباً وزيد بن الدّثنة قتلا في يومٍ واحدٍ ، وأنّ رسول الله ﷺ سمع يوم قتلا وهو يقول : « وعليكما ـ أو عليك ـ السلام ، خبيبٌ قتلته قريشٌ » .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ١٩٢) .
(٢) يعني السهيلي .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٢٦) .

وذكر أنّهم لمّا صلبوا زيد بن الدّثنة ، رموه بالنّبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلّا إيماناً وتسليماً . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنّهم لمّا رفعوا خبيباً على الخشبة ، نادَوه يناشدونه : أتحبّ أنّ محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ، ما أحبّ أن يفديني بشوكةٍ يشاكها في قدمه . فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدّثنة . فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : زعموا أنّ عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبادٍ ، عن عقبة بن الحارث قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً ؛ لأنّي كنت أصغر من ذلك ، ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة ، فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطّاب استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيم الجمحيّ على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشيةٌ وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجلَ مصابٌ . فسأله عمر في قَدمةٍ قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأسٍ ، ولكنّي كنت فيمن حضر خبيب بن عديّ حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلسٍ قطّ إلّا غشي عليّ . فزادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأمويّ : حدّثني أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أنّ عمر قال : من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامرٍ .

قال ابن هشامٍ[٣] : أقام خبيبٌ في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقيّ ، من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدّثني جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه عمرو بن أمية ، أنّ رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده ، قال : جئت إلى خشبة خبيبٍ فرقيت فيها وأنا أتخوّف العيون ، فأطلقتُه فوقع إلى الأرض ، ثم اقتحمت فانتبذت قليلاً ، ثم التفتّ فلم أر شيئاً ، فكأنّما ابتلعته الأرض ، فلم تذكر لخبيبٍ رمّةٌ حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق[٤] ، عن محمد بن أبي محمدٍ ، عن سعيدٍ أو عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا قتل أصحاب الرّجيع قال ناسٌ من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم أقاموا في أهليهم ، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم . فأنزل الله فيهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤] . وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السّريّة :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٤) .

قال ابن إسحاق : وكان ممّا قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيبٍ حين أجمعوا على قتله ـ قال ابن هشامٍ : ومن الناس من ينكرها له ـ : [من الطويل]

لقد جمّع الأحزاب حولي وألّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمعِ
وكلّهم مبدي العداوة جاهدٌ ... عليّ لأنّي في وثاقٍ مضيّع
وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم ... وقرّبتُ من جذعٍ طويلٍ ممنّع
إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي ... وما أرصد الأعداءُ لي عند مَصْرَعي
فذا العرش صبّرني على ما يُراد بي ... فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأْ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع
وقد خيّروني الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حِذار الموت إنّي لميّتٌ ... ولكن حذاري جحم نارٍ ملفّع
فوالله ما أرجو إذا متّ مسلماً ... على أيّ جنبٍ كان في الله مضجعي[1]
فلست بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً ... ولا جزعاً إنّي إلى الله مرجعي

وقد تقدّم في « صحيح البخاريّ » بيتان من هذه القصيدة ، وهما قوله : [من الطويل]

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع

وقال حسان بن ثابتٍ[2] يبكي خبيباً ، فيما ذكره ابن إسحاق : [من البسيط]

ما بال عينك لا ترقا مدامعها ... سحّا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا ... لا فشلٍ حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيّبةً ... وجنّة الخُلد عند الحور في الرُّفُق
ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قتلتم شهيد الله في رجلٍ ... طاغٍ قد اوعث في البلدان والرُّفَق

قال ابن هشامٍ : تركنا بعضها ؛ لأنه أقذع فيها .

وقال حسان[3] يهجو الذين غدروا بأصحاب الرّجيع من بني لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق : [من البسيط]

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مصرعي » كما سيأتي في رواية البخاري .
(٢) انظر « ديوانه » (١/ ٢١٣) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ١٧١) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٩) .

إن سرك الغدر صِرفاً لا مزاج له ... فأت الرّجيع فسل عن دار لحيان
قومٌ تواصوا بأكل الجار بينهم ... فالكلب والقرد والإنسان مثلان
لو ينطق التّيس يوماً قام يخطبهم ... وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شان

وقال حسان بن ثابتٍ[1] أيضاً يهجو هذيلاً وبني لحيان على غدرهم بأصحاب الرّجيع ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين : [من الطويل]

لعمري لقد شانت هذيل بن مدركٍ ... أحاديث كانت في خُبيبٍ وعاصمِ
أحاديث لحيانٍ صَلَوْا بقبيحها ... ولحيان جرّامون شرّ الجرائم
أناسٌ همُ من قومهم في صميمهم ... بمنزلة الزّمعان دُبْر القوادم
همُ غدروا يوم الرّجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفّةٍ ومكارم
رسول رسول الله غدراً ولم تكن ... هذيلٌ توقّى منكرات المحارم
فسوف يرون النصر يوماً عليهمُ ... بقتل الذي تحميه دون الحرائم
أبابيل دبرٍ شُمّسٍ دون لحمه ... حمت لحم شهّادٍ عظام الملاحم
لعلّ هذيلاً أن يروا بمصابه ... مصارع قتلى أو مقاماً لماتم
ونوقع فيها وقعةً ذات صولةٍ ... يوافي بها الرّكبان أهل المواسم
بأمر رسول الله إنّ رسوله ... رأى رأي ذي حزمٍ بلحيان عالم
قُبيّلةٌ ليس الوفاء يُهمّهم ... وإن ظلموا لم يدفعوا كفّ ظالم
إذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلّهمُ دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمرٌ كرأي البهائم

وقال حسان ، رضي الله عنه ، أيضاً[2] يمدح أصحاب الرّجيع ، ويسمّيهم في شعره كما ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى : [من الكامل]

صَلّى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرّجيع فأُكرموا وأُثيبوا
رأس السّريّة مرثدٌ وأميرهم ... وابن البكير أمامهم وخُبيبُ
وابنٌ لطارق وابن دثنة منهمُ ... وافاه ثمّ حِمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالي إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥١٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٧٩) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٣) .

قال ابن هشام[١] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسَّان .

سريّة عمروِ بن أُميّة الضّمريّ ، على إثر مقتل خُبيبٍ[٢]

قال الواقدي[٣] : حدّثني إبراهيم بن جعفرٍ عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن عمر بن أُمية الضمري ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عونٍ ، وزاد بعضهم على بعضٍ ، قالوا : كان أبو سفيان بن حربٍ قد قال لنفرٍ من قريشٍ بمكة : ما أحدٌ يغتال محمداً ؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجلٌ من العرب فدخل عليه منزله ، وقال له : إن أنت قوّيتني خرجت إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ بالطريق خرّيتٌ ، معي خنجرٌ مثل خافية النّسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقةً ، وقال : اطو أمرك ؛ فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فينميه إلى محمدٍ . قال : قال : العربيّ : لا يعلمه أحدٌ . فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً ، وصبّح ظهر الحرّة صبح سادسةٍ ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ ، حتى أتى المصلّى ، فقال له قائلٌ : قد توجّه إلى بني عبد الأشهل . فخرج الأعرابيّ يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل ، فعقل راحلته ، ثم أقبل يؤمّ رسول الله ﷺ فوجده في جماعةٍ من أصحابه ، يحدّث في مسجده ، فدخل ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه :

« إنّ هذا الرجل يريد غدراً ، والله حائلٌ بينه وبين ما يريده » . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » . فذهب يُجنىء على رسول الله ﷺ كأنه يسارّه ، فجبذه أسيد بن حضيرٍ وقال : تنحّ عن رسول الله ﷺ . وجذب بداخلة إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله ، هذا غادرٌ . فأسقط في يد الأعرابيّ ، وقال : دمي دمي يا محمد . وأخذه أسيد بن حضيرٍ يلبّبه ، فقال له النبيّ ﷺ : « اصدقني ، ما أنت وما أقدمك ؟ فإن صدقتني نفعك الصِّدق ، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به » . قال العربيّ : فأنا آمنٌ ؟ قال : « فأنت آمنٌ » . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له ، فأمر به فحبس عند أسيد بن حضيرٍ ، ثم دعا به من الغد فقال : « قد آمنتك ، فاذهب حيث شئت ، أوَ خيرٌ لك من ذلك ؟ » . قال : وما هو ؟ فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله » . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ، والله يا محمد ، ما كنت أفرَق [من] الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ، ثم اطّلعتَ على ما هممت به مما سبقت به الرّكبان ، ولم يطّلع عليه أحدٌ ، فعرفت أنك ممنوعٌ وأنك على حقٍّ ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبيّ ﷺ يتبسّم ، وأقام أياماً ، ثم استأذن النبيّ ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكرٍ .

وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضّمريّ ولسلمة بن أسلم بن حريشٍ : « اخرجا حتى تأتيا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٣) .
(٢) قوله : « على إثر مقتل خبيب » لم يرد في (ط) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٤٢) .

أبا سفيان بن حربٍ ، فإن أصبتما منه غرّةً فاقتلاه » . قال عمرٌو : فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج ، فقيّدنا بعيرنا ، وقال لي صاحبي : يا عمرو ، هل لك في أن نأتي مكّة ، فنطوف بالبيت أسبوعاً ونصلي ركعتين ؟ فقلت : إني أعرَف بمكة من الفرس الأبلق ، وإنهم إن رأوني عرفوني ، وأنا أعرف أهل مكة ؛ إنهم إذا أمسوا انفجعوا بأفنيتهم ، فأبى عليّ فانطلقنا ، فأتينا مكّة فطفنا أسبوعاً[١] وصلّينا ركعتين ، فلمّا خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرّفني وقال : عمرو بن أمية! وأخبر أباه ، فنذر بنا أهل مكّة فقالوا : ما جاء عمرٌو في خيرٍ . وكان عمرٌو فاتكاً في الجاهلية ، فحشد أهل مكة وتجمّعوا ، وهرب عمرٌو وسلمة ، وخرجوا في طلبهما ، واشتدّوا في الجبل . قال عمرٌو : فدخلت غاراً فتغيّبت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل ، وعمّى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا ، فلما كان الغد ضحوةً ، أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التّيميّ يختلي لفرسه حشيشاً ، فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكّة ، وقد أقصروا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا . قال : فخرجت إليه فطعنته طعنةً تحت الثّدي بخنجري ، فسقط وصاح ، فأسمع أهل مكّة ، فأقبلوا بعد تفرّقهم ، ودخلت الغار ، وقلت لصاحبي : لا تتحرّك . فأقبلوا حتى أتوه ، وقالوا : من قتلك ؟ قال : عمرو بن أُمية الضّمريّ . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت لخيرٍ . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا ، فإنه كان بآخر رمقٍ فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم ، فحملوه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا ، فقال صاحبي : يا عمرو بن أُمية ، هل لك في خبيب بن عديٍّ ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوبٌ ، حوله الحرس . فقلت : أمهلني وتنحّ عني ، فإن خشيت شيئاً فانح إلى بعيرك فاقعد عليه ، فأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ودعني ، فإني عالمٌ بالمدينة . ثم اشتددت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري ، فما مشيت به إلّا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا ، فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة ، فما أنسى وقعها دب[٢] ـ يعني صوتها ـ ثم أهلت عليه التّراب برجلي ، فأخذت طريق الصّفراء ، فأعيوا ورجعوا ، وكنتُ لا أُدرك مع بقاء نَفَسي ، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبيّ ﷺ فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغميم ، غميم ضجَنان ، فدخلت في غارٍ معي قوسي وأسهمي وخنجري ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجلٌ من بني بكرٍ من بني الدّيل ، أعور طويلٌ ، يسوق غنماً ومعزى، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من بني بكرٍ . فقال : وأنا من بني بكرٍ . ثم اتّكأ ورفع عقيرته يتغنّى ويقول : [من الوافر]

فلست بمسلمٍ ما دمت حياً ... ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي : والله إني لأرجو أن أقتلك . فلمّا نام قمت إليه ، فقتلته شرّ قِتلةٍ قتلتها أحداً قطُّ ، ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثتهما قريشٌ يتجسّسان الأخبار ، فقلت : استأسرا . فأبى أحدهما ، فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر ، فشددته وثاقاً ، ثم أقبلت به إلى

---

(١) في (ط) : « سبعاً » .

(٢) في (ط) : « فما أنسى وجيبها » .

النبيّ ﷺ ، فلما قدمت المدينة رآني صبيانٌ وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون : هذا عمرٌو . فاشتدّ الصِّبيان إلى النبيّ ﷺ فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهاميه بوَتَر قوسي ، فلقد رأيت النبيّ ﷺ وهو يضحك ، ثم دعا لي بخيرٍ . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيامٍ . رواه البيهقيّ[١]

وقد تقدّم أن عَمْراً لما أهبط خبيباً لم ير له رِمّةً ولا جسداً ، فلعله دفن مكان سقوطه . والله أعلم ، وهذه السّريّة إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحوٍ من سياق الواقديّ لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السّرية جبّار بن صخرٍ ، فالله أعلم ، ولله الحمد .

سرية بئر مَعُونَة

وقد كانت في صفرٍ منها ، وأغرب مكحولٌ[٢] ، رحمه الله ، حيث قال[٣] : إنها كانت بعد الخندق[٤]

قال البخاريّ[٥] : ثنا أبو معمرٍ ، ثنا عبد الوارث[٦] حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالكٍ قال : بعث النبيُّ ﷺ[٧] سبعين رجلاً لحاجةٍ يقال لهم : القرّاء . فعرض لهم حيّان من بني سليمٍ ـ رِعلٌ وذكوان ـ عند بئرٍ يقال لها : بئر معونة . فقال القوم : والله ما إيّاكم أردنا ، وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبيّ ﷺ . فقتلوهم ، فدعا النبيّ ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذلك بدء القنوت ، وما كنا نقنت .

ورواه مسلمٌ[٨] ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، بنحوه .

ثم قال البخاريّ[٩] : ثنا عبد الأعلى بن حمّادٍ ، ثنا يزيد بن زريعٍ ، ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن أنس بن مالكٍ أن رِعلاً وذكوان وعصيّة وبني لحيان استمدّوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ ، فأمدّهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسمّيهم القرّاء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنّهار ، ويصلّون بالليل ، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبيّ ﷺ ، فقنت شهراً يدعوفي الصّبح على أحياءٍ من أحياء العرب ؛

---

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٣٣) .

(٢) هو مكحول الشامي أبو عبد الله ، فقيه ثقة كثير الإرسال ، من كبار رواة الحديث ، مات سنة بضع عشرة ومئة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٤١٥) و« شذرات الذهب » (٢/ ٦٦) .

(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٣٠٠) .

(٤) قلت : رتّبها قبل الخندق أيضاً ، ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٢٢١) حيث قال : ومن قال : « وفي هذا الشهر بعينه ، وهو صفر من السنة الرابعة ، كانت وقعة بئر معونة . . . » .

(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٨٨) .

(٦) في (آ) : « عبد الرازق » وهو خطأ ، وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .

(٧) في (ط) : « بعث رسول الله ﷺ » .

(٨) في « صحيحه » رقم (٦٧٧) (١٤٧) .

(٩) رواه البخاري رقم (٤٠٩٠) .

على رِعلٍ وذكوان وعصيّة وبني لحيان . قال أنسٌ : فقرأنا فيهم قرآناً ، ثم إنّ ذلك رفع : « بلّغوا عنا قومنا أنّا لقينا ربّنا فرضي عنّا وأرضانا » .

ثم قال البخاريّ[1] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا همّامٌ ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدّثني أنس بن مالكٍ أن النبيّ ﷺ بعث خاله حراماً ـ أخاً لأمّ سليم ـ في سبعين راكباً ، وكان رئيس المشركين عامر بن الطّفيل خيَّر رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال ، فقال : يكون لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألفٍ وألفٍ . فطعن[2] عامرٌ في بيت أمّ فلانٍ ، فقال : غدّةٌ كغدّة البكر في بيت امرأةٍ من آل فلانٍ ، ائتوني بفرسي ، فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرامٌ ، أخو أمّ سليمٍ ، وهو رجلٌ أعرج ، ورجلٌ من بني فلانٍ ، فقال : كونا قريباً حتى آتيهم ، فإن آمنوني كنتم قريباً ، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم . فقال : أتؤمنوني حتى أُبَلِّغ رسالة رسول الله ﷺ ؟ فجعل يحدّثهم ، وأومؤوا إلى رجلٍ فأتاه من خلفه فطعنه . قال همَّام : أحسبه قال : حتى أنفذه بالرّمح . فقال : الله أكبر ، فزت وربّ الكعبة . فلحق الرجل ، فقتلوا كلُّهم غير الأعرج ، وكان في رأس جبلٍ ، فأنزل الله علينا ، ثم كان من المنسوخ : « إنا قد لقينا ربّنا فرضي عنا وأرضانا » . فدعا النبيّ ﷺ عليهم ثلاثين صباحاً ؛ على رِعلٍ وذَكوان وبني لحيان وعصيّة الذين عصوا الله ورسوله .

وقال البخاريّ[3] : ثنا حِبّان ، ثنا عبد الله ، أخبرني معمرٌ ، حدّثني ثمامة بن عبد الله بن أنسٍ ، أنه سمع أنس بن مالكٍ يقول : لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم [بئر] معونة قال بالدّم هكذا ؛ فنضحه على وجهه ورأسه ، ثم قال : فزت وربّ الكعبة .

وروى البخاريّ[4] ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، أخبرني أبي قال : لما قتل الذين ببئر معونة ، وأُسر عمرو بن أُمية الضّمريّ ، قال له عامر بن الطّفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيلٍ ، فقال له عمرو بن أُمية : هذا عامر بن فُهيرة . قال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . فأتى النبيّ ﷺ خبرهم ، فنعاهم فقال : « إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربّهم ، فقالوا : ربّنا أخبر عنَّا إخواننا بما رضينا عنك ، ورضيت عنا ، فأخبرهم عنهم » .

وأصيب يومئذٍ فيهم عروة بن أسماء بن الصّلت ، فسمّي عروة به ، ومنذر بن عمرو ، وسمّي به منذراً .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٩١) .
(٢) أي : أصيب بمرض الطاعون ، وأم فلان هي سلول بنت شيبان امرأة أخيه .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٩٢) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٩٣) .

هكذا وقع في رواية البخاريّ مرسلاً عن عروة .

وقد رواه البيهقيّ[١] من حديث يحيى بن سعيدٍ ، عن أبي أسامة ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخاريّ هاهنا ، فالله أعلم .

وروى الواقديّ[٢] ، عن مصعب بن ثابتٍ ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، فذكر القصة ، وشأن عامر بن فهيرة ، وإخبار عامر بن الطّفيل أنه رفع إلى السّماء ، وذكر أنّ الذي قتله جبّار بن سُلمى الكلابيّ ، قال : ولما طعنه بالرّمح قال : فزت وربّ الكعبة . ثم سأل جبّارٌ بعد ذلك : ما معنى قوله : فزت ؟! قالوا : يعني بالجنّة ، فقال : صدق والله ، ثم أسلم جبّارٌ بعد ذلك لذلك .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »[٣] ، عن عروة أنه قال : لم يوجد جسد عامر بن فُهيرة ، يرون أن الملائكة وارته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق[٤] : فأقام رسول الله ﷺ ، يعني بعد أحدٍ ، بقية شوّالٍ وذا القعدة وذا الحجّة والمحرّم ، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفرٍ على رأس أربعة أشهرٍ من أُحدٍ ، فحدثني أبي إسحاق بن يسارٍ ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشامٍ ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزمٍ ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براءٍ عامر بن مالك بن جعفرٍ ملاعب الأسنّة على رسول الله ﷺ بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالًا من أصحابك إلى أهل نجدٍ يدعونهم إلى أمرك ، رجوتُ أن يستجيبوا لك . فقال ﷺ : « إني أخشى عليهم أهل نجدٍ » . فقال أبو براءٍ : أنا لهم جارٌ . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ، المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ فيهم الحارث بن الصّمّة ، وحرام بن ملحان ، أخو بني عديّ بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصّلت السّلميّ ، ونافع بن بُديل بن ورقاء الخزاعيّ ، وعامر بن فُهيرة ، مولى أبي بكرٍ ، في رجالٍ من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامرٍ وحرّة بني سليمٍ ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدوّ الله عامر بن الطّفيل ، فلمّا أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامرٍ ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم ، وقالوا : لن نخفر أبا براءٍ ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً . فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليمٍ ، عصيّة ورعلاً وذكوان والقارة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلمّا رأوهم أخذوا أسيافهم ، ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٥٢) .
(٢) انظر « الواقدي » (١/ ٣٤٧) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٤٢) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٣٨) .

آخرهم ، إلّا كعب بن زيدٍ أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمقٌ ، فارتثّ من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق ، وكان في سرح القوم عمرو بن أُمية الضّمريّ ، ورجلٌ من الأنصار من بني عمرو بن عوفٍ ، فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً . فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفةٌ ، فقال الأنصاريّ لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر . فقال الأنصاريّ : لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن موطنٍ قتل فيه المنذر بن عمروٍ ، وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل ، وأخذ عمرٌو أسيراً ، فلمّا أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامرُ بن الطّفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبةٍ كانت على أمّه ، فيما زعم . قال : وخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامرٍ حتى نزلا في ظِلٍّ هو فيه ، وكان مع العامريّين عهدٌ من رسول الله ﷺ وجوارٌ لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتما ؟ قالا : من بني عامرٍ ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامرٍ فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلمّا قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، أخبره بالخبر ، فقال رسول الله : « لقد قتلت قتيلين ، لأدينّهما » . ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبي براءٍ ، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً » . فبلغ ذلك أبا براءٍ فشقّ عليه إخفار عامرٍ إيّاه ، وما أصاب من [أصحاب رسول الله ﷺ] بسببه وجواره .

فقال حسّان بن ثابتٍ[1] في إخفار عامرٍ أبا براءٍ ، ويحرّض بني أبي براءٍ على عامرٍ : [من الوافر]

بنـي أمّ البنيـن ألـم يـرعكـم   وأنتـم مـن ذوائـب أهـل نجـدِ
تهكّـم عـامـرٍ بـأبـي بـراءٍ   ليخفـره ومـا خطـأٌ كعمـد
ألا أبلـغ ربيعـة ذا المسـاعـي   فما أحدثت في الحَدَثان بعدي
أبـوك أبـو الحـروب أبـو بـراءٍ   وخـالـك مـاجدٌ حَكَمُ بن سعدِ

قال ابن هشامٍ[2] : أمّ البنين ، أمّ أبي براءٍ ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالكٍ على عامر بن الطّفيل ، فطعنه في فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براءٍ ، إن أمت فدمي لعمّي فلا يتبعنّ به ، وإن أعش فسأرى رأيي . وذكر موسى بن عقبة ، عن الزّهريّ نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمروٍ ، وقيل : مرثد بن أبي مرثدٍ .

---

(١) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٣٢) مع تقديم وتأخير وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٧ - ١٨٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٨) .

وقال حسان بن ثابت[١] يبكي قتلى بئر معونة ـ فيما ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله ، والله أعلم ـ : [من الوافر]

على قتلى معونة فاستهلّي ... بدمع العين سَحّا غير نزرِ
على خيل الرّسول غداة لاقَوا ... ولاقتهم منايـاهـم بقـدر
أصابهم الفناء بعقد قومٍ ... تُخوّن عقد حبلهمُ بغدر
فيا لهفي لمنذر إذ تولّى ... وأعنق في منيّته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم ... من أبيض ماجدٍ من سرّ عمرو

غزوة بني النَّضير[٢]

وهي التي أنزل الله فيها سورة « الحشر »

في « صحيح البخاريّ »[٣] عن ابن عباسٍ ، أنه كان يسمّيها سورة بني النّضير .

وحكى البخاريّ[٤] عن الزّهريّ ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النّضير بعد بدرٍ بستة أشهرٍ قبل أحدٍ .

وقد أسنده ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره »[٥] عن أبيه ، عن عبد الله بن صالحٍ ، عن اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن الزّهريّ به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفرٍ الرّقّيّ ، عن مطرّف بن مازنٍ اليمانيّ ، عن معمرٍ ، عن الزّهريّ ، فذكر غزوة بدرٍ في سابع عشر رمضان سنة اثنتين ، قال : ثم غزا بني النّضير ، ثم غزا أحداً في شوالٍ سنة ثلاثٍ ، ثم قاتل يوم الخندق في شوالٍ سنة أربعٍ .

وقال البيهقيّ[٦] : وقد كان الزّهريّ يقول : هي قبل أحدٍ . قال : وذهب آخرون إلى أنّها بعدها ، وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكره ابن إسحاق كما تقدّم ؛ فإنّه بعد ذكره بئر معونة ، ورجوع عمرو بن أميّة ، وقتله ذينك الرجلين من بني عامرٍ ، ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ ، ولهذا قال له رسول الله ﷺ : « لقد قتلت رجلين ، لأدينّهما » .

---

(١) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٠٧) . و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٩) .
(٢) انظر « عيون الأثر » (٢/ ٧٣) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٥٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٢٩) و(٤٨٨٣) .
(٤) رواه البخاري تعليقاً في المغازي : باب حديث بني النضير ، قبل الحديث (٤٠٢٨) .
(٥) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ١٨٧) لابن أبي حاتم وغيره .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٥٤) .

قال ابن إسحاق(١) : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النَّضير يستعينهم في دية ذَيْنَكَ القتيلين من بني عامر ، اللذين قتلهما عمرو بن أُمية ، للعهد الذي كان رسول الله ﷺ قد أعطاهما ، وكان بين بني النَّضير وبين بني عامرٍ عقدٌ وحلفٌ ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت . ثم خلا بعضهم ببعضٍ فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعدٌ ـ فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرةً ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعبٍ ، فقال : أنا لذلك . فصعِد ليلقي عليه صخرةً كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه ، فيهم أبو بكرٍ وعمر وعليّ ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث(٢) النبيّ ﷺ أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً [من المدينة] ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلاً المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي(٣) : فبعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النّفاق يثبّتونهم ويحرّضونهم على المقام ، ويعِدونهم النَّصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وحمي حييّ بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ، ونابذوه بنقض العهود ، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقديُّ(٤) : فحاصرهم(٥) خمس عشرة ليلةً .

وقال ابن إسحاق(٦) : وأمر النبيّ ﷺ بالتهيّؤ لحربهم والمسير إليهم . قال ابن هشامٍ : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ ، وذلك في شهر ربيعٍ الأول .

قال ابن إسحاق(٧) : فسار حتى نزل بهم ، فحاصرهم ستّ ليالٍ ، ونزل تحريم الخمر حينئذٍ(٨) ، وتحصّنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادَوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ قال : وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أُبيّ ، ووديعة ومالكٌ وسويدٌ وداعسٌ ، قد بعثوا إلى بني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٠) .
(٢) أي استبطأ .
(٣) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٣٦٦) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ٣٧٤) .
(٥) في (ط) : « فحاصروهم » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٠) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩١) .
(٨) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٩) وتعليقي عليه .

النَّضير ؛ أن اثبتوا وتمنّعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربّصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليَهم ويكفّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[١] ، ففعل .

وقال العوفيّ عن ابن عباسٍ : أعطى كلّ ثلاثةٍ منهم بعيراً يعتقبونه ، وسقاءً . رواه البيهقيّ[٢] .

وروى[٣] من طريق يعقوب بن محمدٍ الزُّهريّ ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن محمدٍ بن مسلمة ، أنّ رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النّضير ، وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليالٍ .

وروى البيهقيّ[٤] وغيره أنه كانت لهم ديونٌ مؤجّلةٌ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ضعوا وتعجّلوا » وفي صحته نظرٌ ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٥] : فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر ؛ سلاّم بن أبي الحُقيق ، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق ، وحييّ بن أخطب . فلمّا نزلوها دان لهم أهلها .

فحدّثني[٦] عبد الله بن أبي بكرٍ أنه حدّث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدّفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، بزهاءٍ وفخرٍ ما رئي مثله لحيٍّ من الناس في زمانهم . قال : وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ ـ يعني النخيل والمزارع ـ فكانت له خاصةً ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيفٍ وأبا دجانة ذكَرا فقراً فأعطاهما . وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصّمّة . حكاه السّهيليّ[٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : ولم يسلم من بني النّضير إلا رجلان ؛ وهما يامين بن عمير بن كعبٍ ، ابن عمّ عمرو بن جحّاشٍ ، وأبو سعد بن وهبٍ ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين : « ألم تر ما لقينا من ابن

---

(١) أي : السلاح .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٥٩) .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٠) .
(٤) في « السنن الكبرى » (٦/ ٢٨) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥٢) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩١) .
(٦) القائل ابن إسحاق رحمه الله .
(٧) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٢٣٣) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٢) .

عمّك ، وما همّ به من شأني ؟ » فجعل يامين لرجلٍ جُعلاً على أن يقتل عمرو بن جحّاشٍ فقتله ، لعنه الله .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة « الحشر » بكمالها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سَلَّطَ عليهم به رسوله ﷺ ، وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسّرها ، وقد تكلّمنا عليها بطولها مبسوطةً في كتابنا « التفسير »[1] ولله الحمد .

قال الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر : ١ ـ ٥] .

سبّح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة ، وأخبر أنه يسبّح له جميع مخلوقاته العلويّة والسّفليّة ، وأنه العزيز وهو منيع الجناب ، فلا ترام عظمته وكبرياؤه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدّر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم من اليهود ، الذين شاقّوا الله ورسوله ، وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المقتضي لقتالهم ، كما تقدّم ، حتى حاصرهم المؤيّد بالرعب والرّهب مسيرة شهرٍ ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ستّ ليالٍ ، فذهب بهم الرعب كلّ مذهبٍ ، حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم ، وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلّت به ركابهم ، على أنهم لا يستصحبون شيئاً من السلاح ؛ إهانةً لهم واحتقاراً ، فجعلوا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ . ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم هذا الجلاء ، وهو التّسيير والنّفي من جوار الرسول ﷺ من المدينة ، لأصابهم ما هو أشدّ منه من العذاب الدنيويّ ، وهو القتل ، مع ما ادّخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدّر لهم . ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم ، وترك ما بقي منه لهم ، وأن ذلك كلّه سائغٌ ، فقال : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ وهو جيّد التمر ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ إن الجميع قد أُذن فيه شرعاً وقدراً ، فلا حرج عليكم فيه ، ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس هو بفسادٍ ، كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهارٌ للقوة ، وإخزاءٌ للكفرة الفجرة .

وقد روى البخاريّ ومسلم[2] ، جميعاً عن قتيبة ، عن اللّيث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله ﷺ حرّق نَخْل بني النّضير ، وقطع ، وهي البويرة[3] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ٨١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٨٤) ومسلم رقم (١٧٤٦) .

(٣) وهي تصغير البئر التي يُستقى منها الماء . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٦٦) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

وعند البخاريّ(١) ، من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النَّضير وقطع ، وهي البويرة ، ولها يقول حسان بن ثابتٍ(٢) : [من الوافر]

وهـان على سراة بني لؤيٍّ ... حـريـقٌ بـالبُـويـرة مستطيـر

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول(٣) : [من الوافر]

أدام الله ذلـك مـن صنيـعٍ ... وحرّق في نـواحيها السعيـر
ستعلـم أيّنـا منهـا بنـزهٍ ... وتعلـم أيّ أرضينـا تضيـر

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالكٍ(٤) يذكر إجلاء بني النَّضير وقتل كعب بن الأشرف ، فالله أعلم : [من الوافر]

لقـد خـزيـت بغـدرتهـا الحبـور ... كـذاك الـدّهـر ذو صـرفٍ يـدورُ
وذلـك أنهـم كفـروا بـربٍّ ... عظيـمٍ أمـره أمـرٌ كبيـرُ
وقـد أوتـوا معـاً فهمـاً وعلمـاً ... وجـاءهـمُ مـن الله النـذيـرُ
نـذيـرٌ صـادقٌ أدّى كتـابـاً ... وآيـاتٍ مبيّنـةً تنيـرُ
فقـالـوا مـا أتيـت بـأمـر صـدقٍ ... وأنـت بمنكـرٍ منـا جـديـرُ
فقـال بلـى لقـد أدّيـت حقـاً ... يصـدّقنـي بـه الفهِـم الخبيـرُ
فمـن يتبعـه يهـد لكـلّ رشـدٍ ... ومـن يكفـر بـه يُجْـزَ الكفـورُ
فلمّـا أُشـربـوا غـدراً وكفـراً ... وجـدّ بهـم عـن الحـقّ النّفـورُ
أرى الله النبـيّ بـرأي صـدقٍ ... وكـان الله يحكـم لا يجـورُ
فـأيّـده وسلّطـه عليهـم ... وكـان نصيـره نعـم النصيـرُ
فغـودر منهـم كعـبٌ صـريعـاً ... فـذلّـت بعـد مصـرعـه النَّضيـرُ
علـى الكفّيـن ثـمّ وقـد علتـه ... بـأيـدينـا مشهّـرةٌ ذُكـورُ
بـأمـر محمـدٍ إذ دسّ ليـلاً ... إلـى كعـبٍ أخـا كعـبٍ يسيـرُ
فمـا كَـره فـأنـزلـه بمَكـرٍ ... ومحمـودٌ أخـو ثقـةٍ جسـورُ
فتلـك بنـو النَّضيـر بـدار سـوءٍ ... أبـارهـمُ بمـا اجتـرمـوا المبيـرُ
غـداة أتـاهـمُ فـي الزّحـف رهـواً ... رسـول الله وهـو بهـم بصيـرُ

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٣٢٦) و(٤٠٣٢) .
(٢) انظر « ديوانه » (١/ ٢١٠) ولفظ صدر البيت فيه : « لهان . . . » .
(٣) البيتان في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٢) مع بعض الخلاف في ألفاظهما .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (١٦٨ ـ ١٦٩) . وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٩) .

وغسّــــان الحمـــاة مــــؤازروه ... علـى الأعـداء وهـو لهـم وزيـر
فقــال السّلـم ويحكـم فصـدّوا ... وخــالــف أمـرهـم كـذبٌ وزور
فــذاقـوا غـبّ أمـرهـم وبـالاً ... لكــلّ ثــلاثــةٍ منهـم بعيـر
وأجلـوا عــامـديـن لقينقــاعٍ ... وغــودر منهـــمُ نخــلٌ ودور

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسِمَاكٍ اليهوديّ ، فتركناها قصداً .

قال ابن إسحاق[١] : وكان ممّا قيل في بني النّضير ، قول ابنِ لُقَيمٍ العبسيّ ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريفٍ الأشجعيّ : [من الطويل]

أهلـي فـداءٌ لامرىءٍ غيـر هـالـكٍ ... أحـلّ اليهـود بـالحسيّ المـزنّـم
يقيلـون فـي جمـر الغضـاة وبـدّلـوا ... أهيضـب عـودى بـالـوديّ المكمّـم
فـإن يـك ظنّـي صـادقـاً بمحمـدٍ ... تـروا خيلـه بيـن الصّـلا ويـرمـرم
يـؤمّ بهـا عمـرو بـن بهثـة إنّهـم ... عـدوّ ومـا حـيّ صـديـقٌ كمجـرم
عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ في الوغى ... يهـزّون أطـراف الـوشيـج المقـوّم
وكـلّ رقيـق الشّفـرتيـن مهنّـدٍ ... تـوورثـن مـن أزمـان عـادٍ وجـرهـم
فمـن مبلـغٌ عنـي قـريشـاً رسـالـةً ... فهل بعدهم في المجد من متكرّم
بـأنّ أخـاهـم فـاعلمُـنّ محمـداً ... تليـد النّـدى بيـن الحجـون وزمـزم
فدينوا له بالحقّ تجسم أموركم ... وتسمـو مـن الدّنيـا إلـى كـلّ معظـم
نبـيٌّ تـلاقتـه مـن الله رحمـةٌ ... ولا تسـألـوه أمـر غيـبٍ مـرجّـم
فقـد كـان فـي بـدرٍ لعمـريَ عبـرةٌ ... لكـم يـا قـريشـاً والقليـب الملمّـم
غـداة أتـى فـي الخـزرجيّـة عـامـداً ... إليكـم مطيعـاً للعظيـم المكـرّم
معـانـاً بـروح القـدس ينكـي عـدوّه ... رسـولاً مـن الـرحمـن حقّـاً بمعلـم
رسـولاً مـن الـرحمـن يتلـو كتـابـه ... فلمّـا أنـار الحـقّ لـم يتلعثـم
أرى أمـره يـزداد فـي كـلّ مـوطـنٍ ... علـوّاً لأمـرٍ حمّـه الله محكـم

قال ابن إسحاق[٢] : وقال عليّ بن أبي طالبٍ ـ وقال ابن هشامٍ : قالها رجلٌ من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها لعليٍّ ـ : [من المتقارب]

عــرفـت ومـن يعتـدل يعـرفِ ... وأيقنـت حقـاً ولـم أصـدفِ
عـن الكلـم المحكـم الآي[٣] مـن ... لـدى الله ذي الـرّأفـة الأرأف

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٦) .
(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « اللاء » .

رسائل تدرس في المؤمنين بهنّ اصطفى أحمد المصطفي
فأصبح أحمد فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقف
فيا أيّها الموعدوه سفاهاً ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب وما آمِنُ الله كالأخوف
وأن تُصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعبِ أبي الأشرف
غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجمل الأجنف
فأنزل جبريل في قتله بوحيٍ إلى عبده ملطف
فدسّ الرسول رسولاً له بأبيض ذي هبّةٍ مرهف
فباتت عيونٌ له معولاتٌ متى ينع كعبٌ لها تذرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً فإنّا من النّوح لم نشتف
فخلاّهمُ ثم قال اظعنوا دحوراً على رغم الآنف
وأجلى النّضير إلى غربةٍ وكانوا بدارٍ ذوي زخرف
إلى أذرعاتٍ ردافاً وهم على كلّ ذي دبَر أعجف

وتركنا جوابها أيضاً من سَمَّاكٍ اليهوديّ قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفيء ، وأنه حكم بأموال بني النّضير لرسول الله ﷺ ، وملّكها له ، فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى ، كما ثبت في « الصحيحين » عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنّه قال : كانت أموال بني النّضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ، ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً ، فكان يعزل نفقة أهله سنةً ، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدّةً في سبيل الله ، عزّ وجلّ .

ثم بينّ تعالى حكم الفيء ، وأنّه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسانٍ على منوالهم وطريقتهم : ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارمٌ وعفّان ، قالا : حدّثنا معتمرٌ ، سمعت أبي يقول : حدّثنا أنس بن مالكٍ ، عن نبيّ الله ﷺ ، أن الرجل كان يجعل له من ماله النّخلات ، أو كما شاء الله ، حتى فتحت عليه قريظة والنّضير . قال : فجعل يردّ بعد ذلك . قال : وإنّ أهلي أمروني أن آتي النبيّ ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبيّ الله ﷺ أعطاه أمّ أيمن ، أو كما شاء الله . قال : فسألت النبيّ ﷺ فأعطانيهنّ ، فجاءت أمّ أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول : كلا والله الذي لا إله إلاّ هو ، لا يعطيكهنّ وقد أعطانيهنّ . أو كما قالت . فقال النبيّ ﷺ : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلا والله . قال: ويقول : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلاً والله . قال : ويقول : « لك كذا وكذا » . حتى أعطاها ـ حسبته

قال ـ عشرة أمثاله . أو قال : قريباً من عشرة أمثاله . أو كما قال . أخرجاه بنحوه من طرقٍ ، عن معتمرٍ به .

ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا لبني النّضير في الباطن ، كما تقدّم ، ووعدهم النصر ، فلم يكن من ذلك شيءٌ ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، وغرّوهم من أنفسهم ، فقال : ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر : ١١ ـ ١٢] . ثم ذمّهم تعالى على جُبنهم ، وقلّة علمهم ، وخفّة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قال للإنسان : ﴿ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦ـ١٧] .

قصّة عمرو بن سعدى القرظيّ
حين مرّ على ديار بني النّضير وقد صارت يباباً[1] ، ليس بها داعٍ ولا مجيب

وقد كانت بنو النّضير أشرف من بني قريظة ، حتى حداه ذلك على الإسلام ، وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة .

قال الواقديّ : ثنا إبراهيم بن جعفرٍ ، عن أبيه قال : لمّا خرجت بنو النّضير من المدينة ، أقبل عمرو بن سعدى ، فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها ، وفكّر ثم رجع إلى بني قريظة ، فوجدهم في الكنيسة ، فنفخ في بوقهم ، فاجتمعوا ، فقال الزَّبير بن باطا : يا أبا سعيدٍ ، أين كنت منذ اليوم لم نرك ؟ وكان لا يفارق الكنيسة ، وكان يتألّه في اليهوديّة ، قال : رأيت اليوم عبراً قد عبّرنا بها ؛ رأيت منازل إخواننا خاليةً بعد ذلك العزّ والجلد ، والشّرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم ، وملكها غيرهم ، وخرجوا خروج ذُلٍّ ، ولا والتوراة ما سلّط هذا على قومٍ قطُّ لله بهم حاجةٌ ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزّهم ، ثم بيّته في بيته آمناً ، وأوقع بابن سُنينة سيّدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم ، وهم أهل جدِّ يهود ، وكانوا أهل عدّةٍ وسلاحٍ ونجدةٍ ، فحصرهم ، فلم يخرج إنسانٌ منهم رأسه حتى سباهم ، وكلّم فيهم ، فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم ، قد رأيتم ما رأيتم ، فأطيعوني وتعالوا نتّبع محمداً ، فوالله إنّكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، قد بشّرنا به وبأمره ابن الهيّبان أبو عميرٍ وابن حراشٍ ، وهما أعلم يهود ، جاءانا يتوكّفان قدومه ، وأمرانا باتباعه ، جاءانا من بيت المقدس ، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ، ودفنّاهما بحرّتنا هذه . فأسكت القوم ، فلم يتكلّم منهم متكلّمٌ ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوفهم بالحرب والسّباء والجلاء . فقال الزَّبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في التي نزلت على

(١) أي : خراباً .

موسى ، ليس في المثاني الذي أحدثنا . قال : فقال له كعب بن أسدٍ : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتّباعه ؟ قال : أنت . قال كعبٌ : فلم ، والتوراة ما حلت بينك وبينه قطّ ؟! قال الزّبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا ، فإن اتّبَعته اتّبعناه ، وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعبٍ . فذكر ما تقاولا في ذلك ، إلى أن قال كعبٌ : ما عندي في أمره إلّا ما قلت ، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقيّ[١]

غزوة بني لحيان
التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان

هاهنا ذكرها البيهقيّ في « الدلائل »[٢] ، وإنّما ذكرها ابن إسحاق ، فيما رأيت ، من طريق ابن هشام[٣] ، عن زيادٍ عنه ، في جمادى الأولى من سنة ستٍّ من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة ، وهو أشبه ممّا ذكره البيهقيّ ، والله أعلم ، فلنؤخّرها إلى هناك .

وقال الحافظ البيهقيّ[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار قال : حدّثنا يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق قال : حدّثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزمٍ وغيره ، قالوا : لمّا أصيب خبيبٌ وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ؛ ليصيب من بني لحيان غرّةً ، فسلك طريق الشام ؛ ليري أنّه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم ، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنّا هبطنا عسفان ؛ لرأت قريشٌ أنا قد جئنا مكة » . فخرج في مئتي راكبٍ حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ، ثم انصرفا ، فذكر أبو عياشٍ الزّرقيّ أنّ رسول الله ﷺ صلّى بعسفان صلاة الخوف .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الرّزاق ، ثنا الثّوريّ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أبي عيّاشٍ قال : كنّا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، فاستقبلنا المشركون ، عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرّتهم . ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاةٌ هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء : ١٠٢] . قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح ، فصففنا خلفه صفّين ، ثم ركع ، فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصفّ الذي

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٧٩) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٤) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٥٩) ، وإسناده صحيح .

يليه، والآخرون قيامٌ يحرسونهم، فلمّا سجدوا وقاموا جلس الآخَرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدّم هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبيّ والصفّ الذي يليه والآخرون قيامٌ يحرسونهم ، فلمّا جلسوا جلس الآخرون ، فسجدوا ؛ ثم سلّم عليهم ، ثم انصرف . قال : فصلاها رسول الله ﷺ مرتين ؛ مرةً بعسفان ومرةً بأرض بني سليمٍ . ثم رواه أحمد[١] ، عن غندرٍ ، عن شعبة ، عن منصورٍ به نحوه . وقد رواه أبو داود[٢] عن سعيد بن منصورٍ ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنسائيّ[٣] عن الفلاّس ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، [و] عن محمد بن المثنى وبندارٍ ، عن غندرٍ ، عن شعبة ، ثلاثتهم عن منصورٍ به . وهذا إسنادٌ على شرط « الصحيحين » ولم يخرجه واحدٌ منهما ، لكن روى مسلم[٤] من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الزّبير، عن جابرٍ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فلمّا أن صلّي الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلةً لاقتطعناهم . فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك ، وذكر لنا رسول الله ﷺ قال : « وقالوا : إنّه ستأتيهم صلاةٌ هي أحبّ إليهم من الأولاد » . فذكر الحديث كنحو ما تقدّم .

وقال أبو داود الطّيالسيّ[٥] : حدّثنا هشامٌ ، عن أبي الزّبير ، عن جابر بن عبد الله قال : صلّى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخلٍ ، فهمّ به المشركون ، ثُمَّ قالوا : دعوهم ؛ فإنّ لهم صلاةً بعد هذه الصلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم . قال : فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره ، فصلّى بأصحابه العصر ، فصفّهم صفّين ؛ رسول الله ﷺ بين أيديهم ، والعدوّ بين يدى رسول الله ﷺ ، فكبّر وكبّروا جميعاً ، وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه ، والآخرون قيامٌ ، فلمّا رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدّم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبّروا جميعاً ، وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونهم ، والآخرون قيامٌ ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون .

وقد استشهد البخاريّ في « صحيحه »[٦] برواية هشامٍ هذه ، عن أبي الزُّبير ، عن جابرٍ .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا عبد الصمد ، ثنا سعيد بن عُبيدٍ الهُنائيّ ، ثنا عبد الله بن شقيقٍ ، حدّثنا أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعُسفان ، فقال المشركون : إنّ لهؤلاء صلاةً هي أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ـ وهي العصر ـ فأجمعوا أمركم ، فميلوا عليهم ميلةً واحدةً . وإنّ جبريل أتى

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٦٠) .
(٢) رواه أبو دواد في « السنن » رقم (١٢٣٦) .
(٣) رواه النسائي في « المجتبى » (٣/ ١٧٧) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٨٤٠) .
(٥) في « مسنده » رقم (١٧٣٨) .
(٦) رقم (٤١٣٠) تعليقاً .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٢٢) ، وإسناده حسن .

رسول الله ﷺ ، فأمره أن يقسم أصحابه شطرين ، فيصلّي ببعضهم ، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ؛ ثم تأتي الأُخرى فيصلون معه ، ويأخذ هؤلاء حِذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعةٌ ركعةٌ مع رسول الله [ﷺ] ، ولرسول الله [ﷺ] ركعتان .

ورواه التّرمذيّ والنسائيّ[١] من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذيّ : حسنٌ صحيحٌ .

قلت : إن كان أبو هريرة شهد هذا ، فهو بعد خيبر ، وإلّا فهو من مرسلات الصحابيّ ، ولا يضرّ ذلك عند الجمهور ، والله أعلم .

ولم يذكر في سياق حديث جابرٍ عند مسلم ، ولا عند أبي داود الطيالسيّ ، أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكنّ الظاهر أنّها واحدةٌ . بقي الشأن في أنّ غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فإنّ من العلماء ، منهم الشافعيّ ، من يزعم أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد يوم الخندق ؛ فإنّهم أخّروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعةً إذ ذاك ، لفعلوها ولم يؤخّروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إنّ غزوة بني لحيان التي صلّى فيها صلاة الخوف بعُسفان ، كانت بعد بني قريظة .

وقد ذكر الواقديّ[٢] بإسناده ، عن خالد بن الوليد قال : لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان ، فوقفت بإزائه وتعرّضت له ، فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ، ثم لم يعزم لنا ، فأطلعه الله على ما في أنفسنا من الهمّ به ، فصلّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ستٍّ[٣] بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي .

وفي سياق حديث أبي عيّاشٍ الزّرقيّ ، ما يقتضي أنّ آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عُسفان ، فاقتضى ذلك أنّها أول صلاة خوفٍ صلاّها ، والله أعلم[٤] .

وسنذكر ، إن شاء الله تعالى ، كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله ، وبه الثقة ، وعليه التّكلان .

غزوة ذات الرِّقَاع[٥]

قال ابن إسحاق[٦] : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النّضير شهري ربيعٍ وبعض

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٩٢٣) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .
(٣) وقال ابن قيم الجوزية : قال نافع : كانت سنة ست في ذي القعدة ، وهذا هو الصحيح ، وهو قول الزّهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم . انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٥٥) .
(٤) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٢٥) .
(٥) وتسمى غزوة نجد أيضاً . انظر « عيون الأثر » (٢/ ٧٩) و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٤) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٥٨) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٣) .

جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محاربٍ وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذرٍّ .

قال ابن هشامٍ : ويقال : عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرِّقاع .

قال ابن هشامٍ : لأنهم رقّعوا فيها راياتهم ، ويقال : لشجرةٍ هناك اسمها ذات الرِّقاع . وقال الواقديّ : بجبلٍ فيه بقعٌ حمرٌ وسودٌ وبيضٌ . وفي حديث أبي موسى : إنما سمّيت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم [من] الخِرَق من شدّة الحرّ . قال ابن إسحاق : فلقي بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حربٌ ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشامٍ[١] حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيدٍ التّنّوريّ ، عن يونس بن عبيدٍ ، عن الحسن عن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن أبي الزّبير ، عن جابرٍ ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر . ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجدٍ ولا ذات الرّقاع ، ولم يتعرّض لزمانٍ ولا مكانٍ . وفي كون غزوة ذات الرّقاع ـ التي كانت بنجدٍ ، لقتال بني محاربٍ وبني ثعلبة بن غطفان ـ قبل الخندق نظرٌ . وقد ذهب البخاريّ إلى أنّ ذلك كان بعد خيبر ، واستدلّ على ذلك ، بأنّ أبا موسى الأشعريّ شهدها ، كما سيأتي ، وقدومه إنّما كان ليالي خيبر صحبة جعفرٍ وأصحابه ، وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صلّيت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجدٍ صلاة الخوف . ومما يدل على أنها بعد الخندق أنّ ابن عمر إنّما أجازه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازه يوم الخندق .

وقد ثبت [عنه] في « الصحيح »[٢] أنّه قال : غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجدٍ ، فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقديّ[٣] : إنّه عليه السلام خرج إلى ذات الرّقاع في أربعمئةٍ ، ويقال : سبعمئةٍ ، من أصحابه ليلة السبت ، لعشرٍ خلون من المحرم سنة خمسٍ . فيه نظرٌ ، ثم لا يحصل به نجاةٌ من أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد الخندق ؛ لأنّ الخندق كان في شوالٍ سنة خمسٍ على المشهور ، وقيل : في شوالٍ سنة أربعٍ . فتحصّل على هذا القول مخلصٌ من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٩٤٢) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٩٦) .

قصة
غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق[١] في هذه الغزوة : حدّثني عمرو بن عبيدٍ ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، أن رجلاً من بني محاربٍ يقال له : غورثٌ ، قال لقومه من غطفان ومحاربٍ : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتِك به . قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ ، وسيف رسول الله ﷺ في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : « نعم » . فأخذه فاستلّه ثم جعل يهزّه ويهمّ ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : « لا ، وما أخاف منك ؟ » قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : « لا ، يمنعني الله منك » . ثم عمد إلى سيف النبيّ ﷺ ، فردّه عليه ، فانزل الله ، عزّ وجلّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني يزيد بن رُومان ، أنها [إنما] أنزلت في عمرو بن جحَاشٍ أخي بني النّضير ، وما همّ به .

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورثٍ هذا ، عن عمرو بن عبيدٍ القدَريّ ، رأس الفرقة الضّالة ، وهو وإن كان لا يتّهم بتعمّد الكذب في الحديث ، إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه ؛ لبدعته ودعائه إليها .

وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين » من غير هذا الوجه ، ولله الحمد .

وقد أورد الحافظ البيهقي[٣] هاهنا طُرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في « الصحيحين »[٤] من حديث الزهريّ ، عن سنان بن أبي سنانٍ وأبي سلمة ، عن جابرٍ أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجدٍ ، فما قفل رسول الله ﷺ ، أدركته القائلة في وادٍ كثير العضاه ، فتفرّق الناس يستظلّون بالشجر ، وكان رسول الله ﷺ تحت ظلّ شجرةٍ ، فعلّق بها سيفه ، قال جابرٌ : فنمنا نومةً ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فأجبناه ، وإذا عنده أعرابيٌّ جالسٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائمٌ ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف وجلس » . ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك .

وقد رواه مسلم[٥] أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفّان ، عن أبانٍ ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٦) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٧٣) .
(٤) رواها البخاري رقم (٤١٣٥) ومسلم رقم (٨٤٣) (١٣) و(١٤) .
(٥) رواه مسلم رقم (٨٤٣) .

عن أبي سلمة ، عن جابرٍ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرّقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها لرسول الله ﷺ ، فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلّقٌ بشجرةٍ ، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخترطه ، وقال لرسول الله ﷺ : تخافني ؟ قال : « لا » قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « الله يمنعني منك » . قال : فتهدّده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف وعلّقه . قال : ونودي بالصلاة ، فصلّى بطائفةٍ ركعتين ، ثم تأخّروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعاتٍ وللقوم ركعتان .

وقد علّقه البخاريّ[١] بصيغة الجزم ، عن أبانٍ به .

قال البخاريّ : وقال مسدّدٌ ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشرٍ : إنّ اسم الرجل غورث بن الحارث .

وأسند البيهقيّ[٢] ، من طريق أبي عوانة ، عن أبي بشرٍ ، عن سليمان بن قيسٍ ، عن جابرٍ قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخلٍ ، فرأوا من المسلمين غِرّةً ، فجاء رجلٌ منهم يقال له : غورث بن الحارث .

حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال : من يمنعك مني ؟ قال : « الله » . فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال : « من يمنعك مني ؟ » . فقال : كن خير آخذٍ . قال : « تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » .

قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أُقاتلك ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك . فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلّى أربع ركعاتٍ ، بكلّ طائفةٍ ركعتين . وقد أورد البيهقيّ هنا طرق صلاة الخوف بذات الرّقاع ، عن صالح بن خوّات بن جبيرٍ ، عن سهل بن أبي حثمة ، وحديث الزهريّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه في صلاة الخوف بنجدٍ ، وموضع ذلك كتاب « الأحكام » والله تعالى أعلم .

قصة
الذي أُصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني عمّي صدقة بن يسارٍ[٤] ، عن عقيل بن جابرٍ ، عن جابر بن

(١) رقم (٤١٣٦) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٨) .
(٤) قال أبو ذر الخشني : ذِكر « عمي » في هذا الحديث خطأ ، وصدقة هذا جزري سكن بمكة . وليس بعم محمد بن إسحاق . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ١٩١) .

عبد الله الأنصاريّ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقاع من نخلٍ ، فأصاب [رجلٌ] امرأة رجلٍ من المشركين ، فلمّا انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمدٍ دماً . فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلًا ، فقال : « من رجلٌ يكلؤنا ليلتنا ؟ » فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول الله . قال : « فكُونا بفم الشّعب من الوادي » . وهما عمار بن ياسرٍ ، وعبّاد بن بشرٍ ، فلمّا خرجا إلى فم الشّعب قال الأنصاريّ للمهاجريّ : أيّ الليل تحبّ أن أكفيكه ؛ أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع المهاجريّ فنام ، وقام الأنصاريّ يصلّي . قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل ، عرف أنه ربيئة القوم ، فرمى بسهمٍ فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه ، وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهمٍ آخر فوضعه فيه . قال : فانتزعه ، فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ صاحبه ، فقال : اجلس فقد أُثبتّ . قال : فوثب الرجل ، فلمّا رآهما الرجل ، عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجريّ ما بالأنصاريّ من الدماء ، قال : سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك ؟! قال : كنت في سورةٍ أقرؤها ، فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها ، فلما تابع عليّ الرّمي ركعت فآذنتك ، وايم الله لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها .

هكذا ذكره ابن إسحاق في « المغازي » .

وقد رواه أبو داود[(١)] ، عن أبي توبة ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقديّ[(٢)] ، عن عبد الله العمريّ ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمدٍ ، عن صالح بن خوّاتٍ ، عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله قال : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالّهم نسوةً ، وكان في السبي جاريةٌ وضيئةٌ ، وكان زوجها يحبّها ، فحلف ليطلبنّ محمداً ، ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلّص صاحبته . ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقديّ[(٣)] : وكان جابر بن عبد الله يقول : [بينا] أنا مع رسول الله ﷺ ، إذ جاء رجلٌ من أصحابه بفرخِ طائرٍ ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ، فأقبل إليه أبواه أو أحدهما ، حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أنَّ الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا الطائر ؟! أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمةً لفرخه ، فوالله لربّكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه » .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٩٨) ، وهو حديث حسن .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ٣٩٦) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٩٨) .

قصة

جمل جابرٍ في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق[١] : حدّثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرّقاع من نخلٍ ، على جملٍ لي ضعيفٍ ، فلمّا قفل رسول الله ﷺ جعلت الرّفاق تمضي ، وجعلت أتخلّف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : « ما لك يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، أبطأ بي جملي هذا . قال : « أنخه » . قال : فأنختُه وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطني هذه العصا من يدك » . أو : « اقطع عصاً من شجرةٍ » . ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فَنَخَسَهُ بها نَخَسَاتٍ ، ثم قال : اركب ، فركبتُ ، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقةً فقال لي : « أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ » قال : قلت : بل أهبه لك . قال : « لا ، ولكن بعنيه » .

قال : قلت : فسُمنيه . قال : « قد أخذتُه بدرهمٍ » . قال : قلت : لا ، إذاً تغبنني يا رسول الله . قال : « فبدرهمين » . قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ ، حتى بلغ الأوقيّة . قال : فقلت : أفَقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قلت : فهو لك . قال : « قد أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوّجت بعد ؟ » قال : قلت : نعم يا رسول الله . قال : « أثيّبا أم بكراً ؟ » قال : قلت : بل ثيّبا . قال : « أفلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك ؟ » . قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبي أُصيب يوم أحدٍ ، وترك بناتٍ له سبعاً ، فنكحت امرأةً جامعةً ، تجمع رؤوسهن ، فتقوم عليهن . قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً ، أمرنا بجزورٍ فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعتْ بنا فنفضت نمارقها » .

قال : فقلت : والله يا رسول الله ، ما لنا من نمارق . قال : « إنّها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيِّساً » . قال : فلمّا جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزورٍ فنحرت ، فأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلمّا أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا . قال : فحدّثتُ المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله ﷺ . قالت : فدونك ، فسمعٌ وطاعةٌ . فلمّا أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنختُه على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلست في المسجد قريباً منه . قال : وخرج رسول الله ﷺ ، فرأى الجمل فقال : « ما هذا ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، هذا جملٌ جاء به جابرٌ . قال : « فأين جابرٌ ؟ » . فدعيت له . قال : فقال : « يابن أخي ، خذ برأس جملك ، فهو لك » . قال : ودعا بلالاً فقال : « اذهب بجابرٍ فأعطه أُوقيّة » . قال : فذهبت معه ، فأعطاني أوقيّةً ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويُرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرّة . وقد أخرجه صاحبا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٦) .

« الصحيح » من حديث عبيد الله بن عمر العمريّ ، عن وهب بن كيسان ، عن جابرٍ بنحوه .

(قال السّهيليّ[(١)] : في هذا الحديث إشارةٌ إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله ؛ أنّ الله أحيا [والده] وكلّمه ، فقال له : « تمنّ عليّ » . وذلك أنّه شهيدٌ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] وزادهم على ذلك في قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] . ثم جمع لهم بين العوض والمعوّض ، فردّ عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . والرّوح للإنسان بمنزلة المطيّة ، كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : ولذلك اشترى رسول الله [ﷺ] من جابرٍ جمله وهو مطيّته فأعطاه ثمنه ، ثم ردّه عليه وزاده مع ذلك . قال : ففيه تحقيقٌ لما كان أخبره [به] ، عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيليّ ههنا إشارةٌ غريبةٌ وتخيّلٌ بديعٌ . والله سبحانه وتعالى أعلم)[(٢)]

وقد ترجم الحافظ البيهقيّ في كتابه « دلائل النبوة »[(٣)] على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه . وهذا الحديث له طرقٌ عن جابرٍ وألفاظٌ كثيرةٌ ، وفيه اختلافٌ كثيرٌ في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائقٌ بكتاب البيع من « الأحكام » والله أعلم .

وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتي ، ومُسْتَبْعَد تعداد ذلك ، والله أعلم .

غزوة بدرٍ الآخرة

وهي بدرٌ الموعد[(٤)] ، التي تواعدوا إليها من أحدٍ ، كما تقدم .

قال ابن إسحاق[(٥)] : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرّقاع ، أقام بها بقية جمادى [الأولى] وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول . قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بدراً ، وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة ، حتى نزل مجنّة من ناحية الظّهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسفان . ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشر قريشٍ ، إنه لا يصلحكم إلّا عامٌ خصيبٌ ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عامُ جدبٍ ، وإني راجعٌ فارجعوا . فرجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة جيش السّوَيق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السّويق .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/٢٤٨) .

(٢) ما بين القوسين ورد في حاشية الأصل (آ) وما بين الحاصرتين سقط منه وأثبته من (ط) .

(٣) (٣/ ٣٨١) .

(٤) وقال المؤلف في « الفصول في سيرة الرسول » ص(١٦٣) : « وهذه الغزوة تسمى بدراً الثالثة ، وبدر الموعد » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٩) .

قال : وأتى مخشيّ بن عمرو الضّمريّ ، وقد كان وادع النبيّ ﷺ في غزوة وَدّان على بني ضمرة ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء قريشٍ على هذا الماء ؟ قال : « نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك ، حتى يحكم الله بيننا وبينك » . قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك من حاجةٍ . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولم يلق كيداً .

قال ابن إسحاق[1] : وقد قال عبد الله بن رواحة ـ يعني في انتظارهم أبا سفيان ، ورجوعه بقريشٍ عامه ذلك ـ قال ابن هشامٍ : وقد أنشدنيها [أبو] زيدٍ لكعب بن مالكٍ[2] : [من الطويل]

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صدقاً وما كان وافيا

فأُقسم لو لاقيتنا فلقيتنا ... لأُبْتَ ذَميماً وافتقدت المواليا

تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعَمْراً أبا جهلٍ تركناه ثاويا

عصيتم رسول الله أُفٍّ لدينكم ... وأمركم السَّيْءِ الذي كان غاويا

فإني وإن عنّفتموني لقائلٌ ... فِدىً لرسول الله أهلي وماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهاباً لنا في ظلمة الليل هادياً

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابتٍ في ذلك[3] : [من الطويل]

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلادٌ كأفواه المخاض الأوارِكِ

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم ... وأنصاره حقاً وأيدي الملائكِ

إذا سلكت للغَور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالكِ

أقمنا على الرّسّ النّزوع ثمانياً ... بأرعن جرّارٍ عريض المباركِ

بكلّ كميتٍ جَوزه نصف خلقه ... وقُبٍّ طوالٍ مشرفات الحواركِ

ترى العرفج العاميّ تذري أصوله ... مناسم أخفاف المطيّ الرّواتكِ

فإن نلق في تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيّانٍ يكن رهن هالك

وإن تلق قيس بن امرىء القيس بعده ... يزد في سواد لونُه لونُ حالكِ

فأبلغ أبا سفيان عني رسالةً ... فإنك من غرّ الرجال الصّعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ وقد أسلم فيما بعد ذلك ـ : [من الطويل]

أحسان إنّا يا بن آكلة الغفا ... وجدّك نغتال الخروق[4] كذلكِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٠) .
(٢) انظر « ديوانه » ص (٢٢٢) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ٨٥) وفيها بعض الخلاف عما في كتابنا بألفاظها وترتيبها .
(٤) في هامش « السيرة النبوية » : « الغفا : التمر . يري أنهم أهل نخيل وتمر . ونغتال : نقطع . والخروق : جمع خرق وهو الفلاة الواسعة » .

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ... ولو وألت منا بشدٍّ مدارك
إذا ما انبعثنا من مناخٍ حسبتَه ... مُدَمَّنَ أهل الموسم المتعارك
أقمتَ على الرّسّ النّزوع تريدنا ... وتتركنا في النخل عند المداركِ
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا ... فما وطئت ألصقنه بالدَّكادك
أقمنا ثلاثاً بين سلعٍ وفارعٍ ... بجرد الجياد والمطيّ الرّواتك
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم ... كمأخذكم بالعين أرطال آنُك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها ... على نحو قول المعصم المتماسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها ... فوارس من أبناء فهر بن مالكِ
فإنك لا في هجرة إن ذكرتَها ... ولا حرمات دينها أنت ناسكُ

قال ابن هشامٍ[١] : تركنا منها أبياتاً ؛ لاختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة[٢] ، عن الزهريّ ، وابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزّبير ، أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يثبّطونهم ، فسلّم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وأخذوا معهم بضائع ، وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان ، وإلّا اشترينا من بضائع موسم بدرٍ . ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنّةَ ورجوعه ، وفي مقاولة الضّمريّ ، وعرض النبيّ ﷺ المنابذة فأبى ذلك .

قال الواقديّ[٣] : خرج رسول الله ﷺ إليها في ألفٍ وخمسمئةٍ من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وكان خروجه إليها في مستهلّ ذي القعدة . يعني سنة أربعٍ . والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاثٍ . وهذا وهمٌ ؛ فإنّ هذه تواعدوا إليها من أحدٍ ، وقد كانت أحدٌ في شوالٍ سنة ثلاثٍ كما تقدّم ، والله أعلم .

قال الواقديّ[٤] : فأقاموا ببدرٍ مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢١٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٨٤) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٨٧) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ٣٨٨) .

فصلٌ

في جملٍ من الحوادث الواقعة سنة أربعٍ من الهجرة

قال ابن جريرٍ[١] : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه ـ قلت : من رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ـ وهو ابن ست سنين ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ، ونزل في حفرته والده عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه .

قلت : وفيه توفّي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزومٍ القرشيّ المخزوميّ[٢] ، وأمّه برّة بنت عبد المطلب ، عمّة رسول الله ﷺ ، وكان رضيع رسول الله ﷺ ؛ ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهبٍ ، وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان[٣] والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يومٍ واحدٍ ، وقد هاجر هو وزوجته أمّ سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة ، وقد ولد لهما بالحبشة أولادٌ ، ثم هاجر من مكّة إلى المدينة ، وتبعته أمّ سلمة إلى المدينة كما تقدّم ، وشهد بدراً وأحداً ، ومات من آثار جرحٍ جرحه بأُحدٍ ، رضي الله عنه وأرضاه ، له حديثٌ واحدٌ في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأمّ سلمة قريباً .

قال ابن جريرٍ[٤] : وفي ليالٍ خلون من شعبان ولد الحسين بن عليّ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ورضي الله عنهم .

قال[٥] : وفي شهر رمضان من هذه السنة ، تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلاليّة .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البرّ[٦] ، عن عليِّ بن عبد العزيز الجرجانيّ أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث ، ثم استغربه وقال : لم أره لغيره ، وهي التي يقال لها : أمّ المساكين . لكثرة صدقاتها عليهم وبرّها لهم وإحسانها إليهم ، وأصدقها ثنتي عشرة أوقيّةً ونشّاً ، ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطّفيل بن الحارث فطلّقها .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) .
(٢) ترجمته في « أسد الغابة » (٦/ ١٥٢) .
(٣) كذا في (آ) و(ط) ، والصحيح هنا والله أعلم ، ذكر عثمان بن مظعون ، لا عثمان بن عفَّان ، لأن عثمان بن مظعون ، هو الذي هاجر إلى الحبشة ، انظر « الإصابة » (٢/ ٤٦٤) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) .
(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١١٩) .
(٦) في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٤/ ١٨٥٤) .

قال أبو عمر بن عبد البر[١] ، عن عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد منافٍ .

قال ابن الأثير في « الغابة »[٢] : وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحشٍ ، فقتل عنها يوم أحدٍ .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله ﷺ ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثةً حتى توفّيت ، رضي الله عنها .

وقال الواقدي[٣] : في شوالٍ من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أمّ سلمة بنت أبي أميّة .

قلت : وكانت قبله عند زوجها ، أبي أولادها ، أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد بدراً وأحداً كما تقدّم ، وجرح يوم أحدٍ ، فداوى جرحه شهراً حتى برأ ، ثم خرج في سريةٍ ، فغنم منها نَعَماً ومغنماً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ، ثم انتقض عليه جرحه ، فمات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، فلما حلّت في شوالٍ خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة ، وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فتذكر أنها امرأةٌ غيرى ؛ أي شديدة الغيرة ، وأنها مُصبيةٌ ؛ أي لها صبيانٌ يشغلونها عنه ، ويحتاجون إلى مؤنةٍ ، تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : « أما الصّبية فإلى الله وإلى رسوله ـ أي نفقتهم ـ ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها » . فأذنت في ذلك ، وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم ، فزوّج النبيّ ﷺ . تعني : قد رضيت وأذنت . فتوهّم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه الصواب في ذلك ، ولله الحمد والمنة ، وأن الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها ، وساغ هذا ؛ لأن أباه ابن عمّها ، فللابن ولاية أمّه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوّة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده ، وخالفه الثلاثة ؛ أبو حنيفة ومالكٌ وأحمد بن حنبلٍ ، رحمهم الله ، ولبسط هذا موضعٌ آخر يذكر فيه ، وهو كتاب النّكاح من « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا يونس ، ثنا ليث ، يعني ابن سعدٍ ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرٍو ، عن المطلب ، عن أمّ سلمة قال : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً فسررت به ؛ قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبةٌ ، فيسترجع عند مصيبته ، ثم يقول : اللهم أجُرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها . إلا فعل به » . قالت

---

(١) انظر « الاستيعاب » (٤/ ١٨٥٤) .

(٢) يعني في « أسد الغابة » والنقل فيه (٧/ ١٢٩) .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٤٤) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٧) ، والمطلب روايته عن الصحابة مرسلة ، إلا أمثال أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وسلمة بن الأكوع ومن كان قريباً من طبقتهم ، ولكن يشهد للحديث ما بعده .

أمّ سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفّي أبو سلمة استرجعت ، وقلت : اللهم أجُرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها . ثم رجعت إلى نفسي ، قلت : من أين لي خيرٌ من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدّتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يديّ من القرظ ، وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدمٍ حشوها ليفٌ ، فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسي ، فلمّا فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرّغبة ، ولكني امرأةٌ فيّ غيرةٌ شديدةٌ ؛ فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذّبني الله به ، وأنا امرأةٌ قد دخلت في السنّ ، وأنا ذات عيالٍ . فقال : « أمّا ما ذكرتِ من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السنّ ؛ فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي » . قالت : فقد سلّمت لرسول الله ﷺ . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه ؛ رسول الله ﷺ .

وقد رواه الترمذيّ والنسائيّ[(١)] ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمّه أمّ سلمة ، عن أبي سلمة به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وفي رواية للنسائي[(٢)] عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة . ورواه ابن ماجه[(٣)] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجمحيّ ، عن أبيه ، عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن إسحاق[(٤)] : ثم انصرف رسول الله ﷺ ـ يعني من بدرِ الموعد ـ راجعاً إلى المدينة ، فأقام بها حتى مضى ذو الحجّة ، وولي تلك الحجّة المشركون ، وهي سنة أربعٍ .

وقال الواقديّ[(٥)] : وفي هذه السنة ـ يعني سنة أربع ـ أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابتٍ أن يتعلّم كتاب يهود .

قلت : فثبت عنه في « الصحيح »[(٦)] أنه قال : تعلّمته في خمسة عشر يوماً ، والله أعلم .

* * *

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥١١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٩٠٩) و(١٠٩١٠) ، وهو حديث صحيح بطرقه وانظر مسند أحمد (٤٤/ ٢٧١) .

(٢) في الكبرى (١٠٩١١) .

(٣) في « السنن » رقم (١٥٩٨) ، وهو حديث صحيح بطرقه .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .

(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٦١) .

(٦) روى البخاري أصله برقم (٧١٩٥) تعليقاً ولم يذكر عدد الأيام فيه ، وقد وصله في « تاريخه الكبير » ، ورواه أبو داود رقم (٣٦٤٥) والترمذي رقم (٢٧١٥) وقال : حسن صحيح وهو كما قال .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجَنْدَل[١]

في ربيع الأول [منها]

قال ابن إسحاق[٢] : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل[٣] .

قال ابن هشام[٤] : في ربيع الأول ـ [يعني] من سنة خمس ـ واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري .

قال ابن إسحاق[٥] : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي[٦] بإسناده ، عن شيوخه ، عن جماعة من السَّلَف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام ، وقيل له : إن ذلك مما يفزع قيصر وذكر له [أن] بدومة الجندل جمعاً كثيراً[٧] ، وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان بها[٨] سوق عظيم ، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ، ويكمُن النهار ، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له : مذكور . هادٍ خِرِّيت[٩] ، فلما دنا من دومة الجَنْدَل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب في كل [وجه] ، وجاء الخبرُ أهلَ دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم ، فلم يجد بها[١٠] أحداً ، فأقام بها

---

(١) انظر « عيون الأثر » (٢/ ٨٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٨) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٦٣) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .

(٣) دومة الجندل : على سبع مراحل من دمشق ، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٤٨٧) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .

(٦) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٢) .

(٧) في (آ) : « كبيراً » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .

(٨) في (ط) : « لها » .

(٩) الخِرِّيت : الماهر . انظر « النهاية » (٢/ ١٩) .

(١٠) في (ط) : « فيها » .

أياماً ، وبثَّ السرايا ، ثم رجعوا ، وأخذ محمد بن مسلمة رجلاً منهم ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه ، فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله ﷺ [الإسلام] ، فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

قال الواقدي[١] : وكان خروجه ، عليه السلام ، إلى دومة الجندل في ربيع الأول[٢] سنة خمس .

قال : وفيه[٣] توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله ﷺ[٤] في هذه الغزوة .

وقد قال أبو عيسى الترمذي في « جامعه »[٥] : ثنا محمد بن بشار ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب : أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر .

وهذا مرسل جيد[٦] ، وهو يقتضي أنه ، عليه السلام ، غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه ، على ما ذكره الواقدي ، رحمه الله .

غزوة الخندق

وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة « الأحزاب » ، فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٢) .

(٢) في (ط) : « في ربيع الآخر » .

(٣) يعني في شهر ربيع الأول من سنة خمس من الهجرة النبوية .

(٤) يعني : وابنها غائب مع رسول الله ﷺ .

(٥) رقم (١٠٣٨) .

(٦) فهو ضعيف .

كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩ ـ ٢٧] ، وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في « التفسير »[(١)] ، ولله الحمد والمنَّة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة . نصَّ على ذلك ابن إسحاق ، وعروة بن الزُّبير ، وقتادة ، والبيهقي ، وغير واحد من العلماء ، سلفاً وخلفاً[(٢)] .

وقد روى موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع ، وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل ، عن موسى بن داود ، عنه[(٣)] .

قال البيهقي[(٤)] : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ؛ لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أُحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع[(٥)] ، ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعيَّن أن الخندق في شوال من سنة خمس[(٦)] ، والله أعلم .

وقد صرَّح الزُّهري[(٧)] بأن الخندق كانت بعد أُحد بسنتين ، ولا خلاف أن أُحداً في شوال سنة ثلاث ،

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلِّف (٦/ ٣٨٤) .
(٢) قلت : ومنهم ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٠) والذهبي في « الإعلام بوفيات الأعلام » ص (٢٢) وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٣) قلت : وهو ما رجّحه الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩٥) .
(٥) انظر ص(٢٧٤) من هذا الجزء .
(٦) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٠) .
(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٢٨٥) .

إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة التالية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقي ، وبه قال يعقوب بن سفيان الفَسَوي ، وقد صرّح بأن بدراً في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدراً الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور ؛ فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة . وعن مالك : من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة ، والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور أن أُحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة ، والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في « الصحيحين »[١] من طريق عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : « عُرضتُ على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني ، وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني » .

فقد أجاب عنه جماعة من العلماء ، منهم البيهقي[٢] بأنه عُرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة[٣] .

قلتِ : ويحتمل أنه أراد أنّه لما عرض عليه [في] يوم الأحزاب ، كان قد استكمل خمس عشرة سنة ، التي يجاز لمثلها الغِلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلّغ نافعٌ عمرَ بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا لفرق بين الصغير والكبير ، ثم كتب به إلى الآفاق ، واعتمد على ذلك جمهور العلماء ، والله أعلم .

وهذا سياق القصة ، مما ذكره ابن إسحاق وغيره :

قال ابن إسحاق[٤] : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، فحدثني يزيد بن رُومان ، عن عُروة ، ومن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القُرظي ، والزُّهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، وبعضهم يُحَدِّث ما لا يحدِّث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ـ منهم : سلاّم بن أبي الحُقيق النّضري ، وحُييّ بن أخطب النّضري ، وكِنَانَة بن الرَّبيع بن أبي الحُقيق ، وهَوْذَة بن قيس الوائلي ، وأبو عَمّار الوائلي ، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٦٤) و(٤٠٩٧) ومسلم رقم (١٨٦٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩٦) .
(٣) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٤) .

خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفَدِيننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحقِّ منه . فهم الذين أنزل الله عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ ـ ٥٢] فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب النَّبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، في بني فزارة ، والحارث بن عوف [بن] أبي حارثة المُرِّي ، في بني مُرَّة ، ومِسْعَر بن رُخيلة بن نُويرة بن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خُلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة .

قال ابن هشام[١] : يقال : إن الذي أشار به سلمان .

قال الطَّبري والسُّهيلي[٢] : أوّل من حفر الخنادق منوشهر بن إيرج بن أفريدون ، وكان في زمن موسى ، عليه السلام .

قال ابن إسحاق[٣] : فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون ، وتخلَّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من يَنْسَلُّ خفية بغير إذنه ولا علمه ، عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ [بَيْنَكُمْ] كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور : ٦٢ ـ ٦٤] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٤) وانظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٢) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (١/ ٣٧٩) و« الروض الأنف » (٦/ ٣٠٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٦) .

قال ابن إسحاق[١] : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له : جُعيل . سمَّاه رسول الله ﷺ عَمراً ، فقالوا فيما يقولون : [من الرجز]

سمَّاه من بعد جُعَيْلٍ عَمْرا   وكان للبائس يوماً ظهرا[٢]

وكانوا إذا قالوا : عَمرا . قال معهم رسول الله ﷺ : « عَمراً » . وإذ قالوا : ظهراً . قال لهم : « ظهراً » .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » . فقالوا مجيبين له : [من الرجز]

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث شعبة ، عن معاوية بن قُرّة ، عن أنس ، نحوه .

وقد رواه مسلم[٥] من حديث حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن ثابت ، وحُميد ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري[٦] : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم ، ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

قال : يقول النبي ﷺ يجيبهم : « اللهم [إنه] لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » . قال : ويؤتون بملء كفي من الشعير ، فيصنع [لهم] بإهالة سنِخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهي بشعة في الحلق ، ولها ريح منتن .

وقال البخاري[٧] : ثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وهم يحفرون ، ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢١٧) .
(٢) ظهراً : أي قوة .
(٣) رواه البخاري رقم (٢٨٣٤) و(٤٠٩٩) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٧٩٥) و(٦٤١٣) ومسلم رقم (١٢٧) و(١٨٠٥) .
(٥) في « صحيحه » رقم (١٨٠٥) (١٣٠) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٨٣٥) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤٠٩٨) .

ورواه مسلم(١) ، عن القَعْنَبيّ ، عن عبد العزيز ، به .

وقال البخاري(٢) : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : كان النبيُّ ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنُه ـ أو اغبرّ بطنه ـ يقول : [من الرجز]

والله لـولا الله مـا اهتـدينـا ... ولا تصـدقنـا ولا صلينـا
فـأنـزلـن سكينـة علينـا ... وثبـت الأقـدام إن لا قينـا
إن الأُلـى قـد بغَـوا علينـا ... إذا أرادوا فتنـة أبينـا

ورفع بها صوته : « أبينا ، أبينا » .

ورواه مسلم(٣) ، من حديث شعبة به .

ثم قال البخاري(٤) : ثنا أحمد بن عثمان ، ثنا شريح بن مَسْلَمة ، حدثني إبراهيم بن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخَنْدَق رسول الله ﷺ ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة(٥) ، وهو ينقل من التراب يقول : [من الرجز]

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصـدقنـا ولا صلّينـا
فـأنـزلـن سكينـة علينـا ... وثبـت الأقـدام إن لا قينـا
إن الأُلـى قـد بغَـوا علينـا ... إذا أرادوا فتنـة أبينـا

ثم يمدُّ صوته بآخرها .

وقال البيهقي في « الدلائل »(٦) : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفَّار ، ثنا إسماعيل بن الفضل البلخي(٧) ثنا إبراهيم بن يوسف البلخي ، ثنا المسيّب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، [أن] رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال : [من الرجز]

بسـم الله وبـه هُـدِينـا ... ولـو عَبَـدْنَـا غيـرَه شَقِيْنَـا
يا حبذا ربّاً وحبَّ دِيْناً

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٠٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤١٠٤) .
(٣) رواه مسلم رقم (١٨٠٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٠٦) .
(٥) انظر « ديوانه » ص(١٣٩) بتحقيق د . وليد قصَّاب .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٤) .
(٧) في (ط) : « البجلي » وهو تحريف .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا سليمان ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال ، وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخرة ، فأصلح الأنصار والمهاجرة » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٢] من حديث غُنْدَر[٣] ، عن شُعبة .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني ، فيها [من الله] تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوّته ، عاين ذلك المسلمون ، فمن ذلك أن جابر بن عبد الله كان يُحدّث أنه اشتدت عليهم في حفر الخندق كُدْيَةٌ[٥] ، فشكَوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكُدْيَة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحقّ لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً ، عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاري[٦] ، رحمه الله : [حدثنا خلاَّد بن يحيى] ، ثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال : إنَّا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كَيْدةٌ[٧] شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كُدية عرضت في الخندق . فقال : « أنا نازل » . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب ، فعاد كثيباً أهيل أو أهيم ، فقلت : يا رسول الله ، ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر ، فَعِنْدي شيء ؟ قالت : عندي شعير وعَنَاق[٨] . فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البُرمة ، ثم جئت النبي ﷺ ، والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعيم[٩] لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : « كم هو ؟ » . فذكرت له ، قال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة و[لا] الخبز من التنُّور حتى آتي » . فقال : « قوموا » . فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحكِ ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت :

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢١٠) .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٤١٣) ومسلم رقم (١٨٠٥) .
(٣) وهو لقبه ، واسمه (محمد بن جعفر الهذلي البصري) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٢٢٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٧) .
(٥) الكدية : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٠١) .
(٧) وهي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض وانظر « فتح الباري » (٧/ ٣٩٦) .
(٨) العناق : الأنثى من ولد الماعز .
(٩) الطُعَيم : تصغير طعام .

نعم . فقال : « ادخلوا ولا تضاغطوا »[١] . فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمِّر البُرمة والتنُّور إذا أخذ منه ، ويقرّب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر [الخبز] ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية ، قال : « كلي هذا وأهدِي ، فإنَّ الناس أصابتهم مجاعة » . تفرَّد به البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد[٢] ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم ، عن جابر بقصة الكُدية وربط الحجر على بطنه الكريم .

ورواه البيهقي في « الدلائل »[٣] عن الحاكم[٤] ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، بقصة الكُدية والطعام ، وطوله أتم من رواية البخاري ؛ قال فيه : لما علم النبي ﷺ بمقدار الطّعام قال للمسلمين جميعاً : « قوموا إلى جابر » . فقاموا ، قال : فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله ، وقلت : جاء بالخَلق على صاع من شعير وعناق ! ودخلت على امرأتي أقول : افتضحتِ ؛ جاءكِ رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين . فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم . قال : فكشفت عني غمّاً شديداً . قال : فدخل رسول الله ﷺ فقال : « خذي ودعيني من اللحم » . وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ، ثم يخمِّر هذا ويخمِّر هذا ، فما زال يقرِّب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنّور والقِدْرُ أملأَ ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « كلي وأهدي » . فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع .

وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة[٥] ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، به ، وأَبْسَطُ أيضاً ، وقال في آخره : وأخبرني أنهم كانوا ثمانمئة أو قال : ثلاثمئة . وقال يونس بن بكير ، عن هشام بن سعد ، عن أبي الزّبير ، عن جابر ، فذكر القصة بطولها في الطعام فقط ، وقال : وكانوا ثلاثمئة .

ثم قال البخاري[٦] : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان ، أخبرنا سعيد بن ميناء ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حُفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خَمَصَاً [شديداً] ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ؟ [فإني] رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً . فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بُهيمة داجن فذبحتها ، وطحنت [الشعير] ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه . فجئته

---

(١) أي : لا تزاحموا .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٠٠) .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٥) .
(٤) يعني صاحب « المستدرك على الصحيحين » وهو شيخ البيهقي .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٢٢) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٠٢) وما بين الحاصرتين تكملة منه .

فساررته فقلت : يا رسول الله ، [ذبحنا] بهيمة لنا ، وطحنَّا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سُؤْراً[١] ، فحي هلاً بكم » . فقال رسول الله ﷺ : « لا تُنزلنَّ برمتكم ، ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء » . فجئت ، وجاء رسول الله ﷺ يقدَم الناس ، حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلتُ الذي قلتِ . فأخرجت لنا عجيناً ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادع خَبَّازة فلتخبز معك ، واقدحي من بُرمتكم ولا تنزلوها » . وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن بُرمتنا لتغطّ كما هي ، وإنّ عجيننا كما هو .

[ورواه مسلم[٢] ، عن حجَّاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم ، به نحوه] .

وقد روى محمد بن إسحاق[٣] هذا الحديث ، وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه ، فقال : حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وكانت عندي شُويهة غير جدِّ سمينة . قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ . قال : وأمرتُ امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحتُ تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ ، فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق . قال : وكنا نعمل فيه نهاراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا . قال : فقلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شُويهة[٤] كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده . قال : فلما أن قلت ذلك قال : « نعم » . ثم أمر صارخاً ، فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل معه الناس[٥] ، فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرّك وسمى الله تعالى ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه[٦] من طريق سعيد بن ميناء ؛ عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، عنه ، عن جابر مثله سواء .

---

(١) أي : طعاماً . وهي من الألفاظ الفارسية المعرَّبة .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٠٣٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٨) .
(٤) الشويهة : تصغير شاة . انظر « مختار الصحاح » (شوه) .
(٥) في (ط) : « وأقبل الناس معه » .
(٦) في « مسنده » (٣/ ٣٧٧) ، وإسناده حسن .

قال محمد بن إسحاق[١] : وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حُدِّث أن ابنةً لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : دعتني أمي عَمْرَة بنت رواحة ، فأعطتني حَفنة من تمرٍ في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت : فأخذتها وانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : « تعالي يا بُنية ، ما هذا معك ؟ » . قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : « هاتيه » . قالت : « فصببته في كفي رسول الله ﷺ ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا[٢] بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ في أهل الخندق أن هَلُمَّ إلى الغداء » . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق ، وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي[٣] من طريقه ، ولم يزد .

قال ابن إسحاق[٤] : وحُدِّثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ [صخرة] ، ورسول الله ﷺ قريب مني ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب [به] ضربة لمعت تحت المعول بُرْقَةٌ ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته بُرْقَةٌ أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت بُرْقَةٌ أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول [وأنت تضرب ؟] قال : « أوَ قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « أما الأولى ، فإن الله فتح عليّ بها اليمن ، وأما الثانية ، فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة ، فإن الله فتح عليّ بها المشرق » .

قال البيهقي[٥] : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وذكره أبو الأسود ، [عن] عروة .

ثم روى البيهقي[٦] من طريق محمد بن يونس الكديمي ، وفي حديثه نظر .

لكن رواه ابن جرير في « تاريخه »[٧] عن محمد بن بشار بُنْدَار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٨) .
(٢) في (آ) : « دعا » وأثبت لفظ (ط) ودحا : بسط ووسع . انظر « النهاية » (٢/ ١٠٦) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٨) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٨) .
(٧) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٦٧) .

عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَني ، عن أبيه ، عن جدِّه ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خطَّ الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً .

قال : واحتق[1] المهاجرون والأنصار في سلمان ، فقال رسول الله ﷺ : « سلمان منَّا أهل البيت » . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا ، وسلمان ، وحذيفة ، والنعمان بن مُقَرِّن ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا بلغنا الندى ، ظهرت لنا صخرة بيضاء مَرْوَة ، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبير فتح ، وكبَّر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ ، وسألوه عن ذلك النور ، فقال : « لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا » . واستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله ، موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ . [الأحزاب : ٢٢] وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرَّزوا ؟! فنزل فيهم : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢] . وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني[2] : ثنا هارون بن ملول ، ثنا أبو عبد الرحمن ، ثنا عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما أمر النبيُّ ﷺ بالخندق فَخُنْدق على المدينة ، قالوا : يا رسول الله ، إنا وجدنا صفاة[3] لا نستطيع حفرها ، فقام النبي ﷺ ، وقمنا معه ، فلما أتاها أخذ المعول ، فضرب به ضربة وكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال : [« فتحت فارس » . ثم ضرب أخرى فكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال :] « فتحت الروم » . ثم ضرب أخرى فكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال : « جاء الله بحِمْيَر أعواناً وأنصاراً » .

وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف ، فالله أعلم .

---

(١) أي : تخاصم .
(٢) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٣١) وعزاه للطبراني بإسنادين في أحدهما حُيي بن عبد الله وثقه ابن معين وضعّفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
(٣) أي : صخرة .

وقال الطبراني[١] أيضاً : ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني سعيد بن محمد الجرمي ، ثنا أبو تُميلة ، ثنا نُعَيم بن سعيد العبدي أن عكرمة حدث عن ابن عباس ، قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شَدُّوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : « هل دللتم على رجل يطعمنا أَكلة ؟ » قال رجل : نعم . قال : « إما لا فتقدَّم فدلنا عليه » . فانطلقوا إلى [بيت] الرجل ، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جيء ؛ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي . وله معزة ومعها جديها ، فوثب إليها ، فقال النبي ﷺ : « الجدي من ورائها » . فذبح الجدي ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت ، فأدركت القِدر ، فثردت قصعتها ، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها ، وقال : « بسم الله ، اللهم بارك فيها ، اطعموا » . فأكلوا منها حتى صدروا ، ولم يأكلوا منها إلا ثلثها ، وبقي ثلثاها ، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه ، أن اذهبوا وسرِّحوا إلينا بعدَّتكم . فذهبوا ، فجاء أولئك العشرة ، فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربَّة البيت ، وسمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : « اذهبوا بنا إلى سلمان » . وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوني فأكون أول من ضربها » . فقال : « بسم الله » . فضربها فوقعت فلقة ثلثها ، فقال : « الله أكبر ، قصور الروم[٢] ورّب الكعبة » . ثم ضرب أخرى فوقعت فِلقة ، فقال : « الله أكبر ، قصور فارس ورب الكعبة » . فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا ، وهو يعدنا قصور فارس والرُّوم .

ثم قال الحافظ البيهقي[٣] : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفَّار ، ثنا محمد بن غالب بن حرب ، ثنا هوذة ، ثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهري[٤] ، حدثني البراء بن عازب الأنصاري ، قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها أخذ المعول وقال : « بسم الله » . وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال : « الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله » . ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض » . ثم ضرب الثالثة ، فقال : « بسم الله » . فقطع [بقية] الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة » .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ٣٧٦) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٣٢) وعزاه للطبراني ، وقال : ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ونعيم العبدي وهما ثقتان .

(٢) في (ط) : « أكبر قصور الشام » .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢١) .

(٤) في « دلائل النبوة » : « الزهراني » .

وهذا حديث غريب أيضاً ، تفرَّد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصري روى عن البراء ، وعبد الله بن عمرو ، وعنه حُميد الطويل ، والجريري ، وعوف الأعرابي .

قال أبو حاتم[١] ، عن إسحاق بن منصور ، عن ابن معين : كان ثقة . وقال علي بن المديني : كان يحيى بن سعيد القطَّان لا يحدِّث عنه .

وقال النسائي[٢] : ثنا عيسى بن يونس ، ثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السَّيباني ، عن أبي سكينة ـ رجلٍ من المحرَّرين ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، قال لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي ﷺ وأخذ المعول ، ووضع رداءه ناحية الخندق ، وقال : « ﴿ وَتَمَّتْ كلمات[٣] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٥] » . فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ، ثم ضرب الثانية ، وقال : « ﴿ وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ » . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة ، فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة ، وقال : « ﴿ وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ » . فندر الثلث الباقي ، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس ، فقال سلمان : يا رسول الله ، رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة . قال رسول الله ﷺ : « يا سلمان ، رأيتَ ذلك ؟ » . قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله . قال : « فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني » . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنِّمنا ذراريهم ، ونخرِّب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك ، قال : « ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها ، حتى رأيتها بعيني » . قالوا : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ، ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا ، ثم قال : « ثم ضربت الضربة الثالثة ، فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى ، حتى رأيتها بعيني » . ثم قال رسول الله ﷺ : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . هكذا رواه النسائي مطولاً . وإنما روى منه أبو داود[٤] : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . عن عيسى بن محمد الرملي ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيباني ، به .

ثم قال ابن إسحاق[٥] : وحدثني من لا أتَّهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار

---

(١) انظر « الجرح والتعديل » لابنه ٨/ الترجمة ١٠٥١ .

(٢) رواه النسائي رقم (٣١٧٦) ، وهو حديث حسن .

(٣) قرأها بالجمع كلمات : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر وقرأ الباقون ، ومنهم عاصم : كلمة بالإفراد .

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٣٠٢) ، وهو حديث حسن .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .

في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتِحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة ، إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصل من غير وجه ، ولله الحمد .

فقال الإمام أحمد[١] : ثنا حجَّاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بعثت بجوامع الكلم ، ونصرتُ بالرُّعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت في يدي » .

وقد رواه البخاري[٢] منفرداً به ، عن يحيى بن بكير ، وسعيد بن عفير ، كلاهما عن الليث ، به ، وعنده ، قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرت بالرُّعب ، وأوتيت جوامع الكَلِم ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فَتُلَّت[٤] في يدي » .

وهذا إسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وفي « الصحيحين »[٥] : « إذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هَلَكَ كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتُنفِقُنَّ كنوزهما في سبيل الله » .

وفي الحديث الصحيح[٦] : « إن الله زوى لي الأرض ؛ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أُمتي ما زُوي لي منها » .

فصـــل

قال ابن إسحاق[٧] : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٥٥) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٩٧٧) و(٧٠١٣) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠١) .
(٤) أي : ألقيت .
(٥) رواه البخاري رقم (٣١٢٠) و(٣٦١٨) ومسلم رقم (٢٩١٨) .
(٦) رواه مسلم رقم (٢٨٨٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .

من رومة[١] ، بين الجُرف[٢] وزَغَابة[٣] ، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تِهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أُحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٤] في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب : ١٠] .

قال البخاري[٥] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا عبدة ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزابُ حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم .

قال ابن إسحاق[٦] : وخرج حُيي بن أخطب النَّضري حتى أتى كعب بن أسد القُرظي صاحب عقدهم وعهدهم ، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حُيي ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب ! افتح لي . قال : ويحك يا حُيي! إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال : ويحك ! افتح لي أُكلّمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جشيشتك[٧] أن آكل معك منها . فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعزّ الدّهر وبحر طام . قال : وما ذاك ؟ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بذَنب نَقَمى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب : جئتني والله بذلّ الدهر ، وبجهام[٨] قد هراق ماؤه ، يَرْعَد ويُبْرق ، وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ! فدعني وما أنا عليه ؛ فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً .

---

(١) وهي بئرٌ في عقيق المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٤٠) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .
(٢) الجُرْف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٨٨) .
(٣) زغابة : موضع قريب من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(١٧١) .
(٤) سلع : موضع بقرب المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(١٨٣) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٠٣) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٠) .
(٧) الجشيشة : نوع من أنواع الطعام . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٢٧٣) .
(٨) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

وقد تكلم عمرو بن سعد القُرظي فأحسنَ ، فيما ذكره موسى بن عقبة[١] ، ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ، ومعاقدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوَّه .

قال ابن إسحاق[٢] : فلم يزل حُيي بكعب يفتل في الذروة والغارب حتى سمح له ـ يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ ، وفي محاربته مع الأحزاب ـ على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ؛ أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حُيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم . يعني لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً . قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم . فنازلهم حُيي على ذلك ، فعند ذلك نقضوا العهد ، ومزّقوا الصحيفة التي كان فيها العهد ، إلا بني سَعْيَة أَسد ، وأَسِيد ، وثعلبة ، فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين ، بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سَيِّد الأوس ، وسعد بن عُبَادة ، وهو يومئذ سَيِّد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوَّات بن جبير ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ، ولا تفتُّوا في أعضاد المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس » . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة[٤] : فدخلوا معهم حصنهم ، فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف ، فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ؟! يريدون بني النَّضير ، ونالوا من رسول الله ﷺ ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم ، فأغضبوه ، فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ما جئنا لهذا ، ولمَا بيننا أكبر من المشاتمة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النَّضير أو أَمَرَّ منه . فقالوا : أكلت أير أبيك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق[٥] : نالوا من رسول الله ﷺ ، [وقالوا] : مَنْ رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حِدّة ، فقال له سعد بن عُبَادة : دع عنك مشاتمتهم ، لِما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلّموا

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢١) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢) .

عليه ، وقالوا : عضل والقارة . أي : كغدرهم بأصحاب الرَّجيع ، خُبَيب وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين » .

قال موسى بن عقبة[١] : ثم تقنَّع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلاً ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأته عن بني قريظة خير ، ثم إنه رفع رأسه فقال : « أبشروا بفتح الله ونصره » . فلما أن أصبحوا ، دنا القوم بعضهم من بعض ، وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة . وقال سعيد بن المسيِّب : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد » .

قال ابن إسحاق[٢] : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، [ونجم النفاق] ، حتى قال معتِّب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وحتى قال أوس بن قيظي : يا رسول الله ، [إن] بيوتنا عورة من العدوِّ ـ وذلك عن ملأ من رجال قومه ـ فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا ؛ فإنها خارج من المدينة .

قلت : وهؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٢ ـ ١٣] .

قال ابن إسحاق[٣] : فأقام رسول الله ﷺ ـ يعني مرابطاً ـ وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ـ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ومن لا أتَّهم ، عن الزُّهري ـ إلى عُيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المُرِّي ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح إلا المراوضة ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك ، بعث إلى السَّعدين ، فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : « بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما » . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قِرىً أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : « أنت وذاك » . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق[١] : فقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال ، إلا أنَّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطَّاب بن مرداس ، أحد بني محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيئوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون مَن الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمَّموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ودٍّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق ، خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو ، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلا أخذتها منه . قال : أجل. قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا بن أخي ، فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليٍّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي ، رضي الله عنه ، وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نَصَرَ الحجارة من سَفَاهَة رأيه ... ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصددتُ حين تركته متجدِّلًا ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعَفَفْتُ عن أثوابه ولو انني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبُنَّ الله خاذلَ دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليٍّ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٥) .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال في ذلك حسان بن ثابت[١] :

[من المتقارب]

فَـرَّ وألقـى لنـا رُمْحَـهُ لعلـك عكـرم لـم تفعـلِ
ووليت تعدو كعدو الظليـ ـم ما أن تحور عن المعدلِ
ولم تلق ظهرك مستأنساً كـأن قفـاك قفـا فُـرعـلِ

قال ابن هشام : الفراعل : صغار الضباع .

وذكر الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »[٢] ، عن ابن إسحاق في موضع آخر غير « السيرة » قال : خرج عمرو بن عبد ودٍّ وهو مقنع بالحديد ، فنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : « إنه عمرو ، اجلس » . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنِّبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تُبرزون إلي رجلاً ؟ فقام علي فقال : أنا يا رسول الله . فقال : « اجلس » . ثم نادى الثالثة فقال : [من مجزوء الكامل]

ولقـد بحـحـت مـن الندا ء بجمعكم هل من مبارزْ
ووقفـت إذ جَبُـنَ المشجـ ـع موقف القرن المناجزْ
ولـذاك إنـي لـم أزل متسـرعـاً قِبل الهـزاهـزْ
إن الشَّجَـاعَـة فـي الفتـى والجُود من خير الغـرائزْ

قال : فقام علي ، رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ، أنا . فقال : « إنه عمرو » . فقال : وإن كان عَمراً . فأذن له رسول الله ﷺ ، فمشى إليه ، حتى أتى وهو يقول : [من مجزوء الكامل]

لا تعجلـنَّ فقـد أتـا ك مجيب صوتك غير عاجزْ
فـي نيَّـةٍ وبصيـرةٍ والصِّدق مَنْجى كل فَـائزْ
إنـي لأرجـو أن أُقيـ ـم عَليك نائحةَ الجنَائزْ
مـن ضـربـة نجلاء يبـ ـقى ذِكْرُهَا عند الهَزَاهِزْ

فقال له عمرو: من أنت ؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال: غيرك يابن أخي ، ومن أعمامك من هو أسنُّ منك ، فإني أكره أن أُهريق دمك . فقال له عليٌّ : لكني والله لا أكره أن أهريق دمك فغضب ، فنزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو عليٍّ مغضباً ، واستقبله عليٌّ بدرقته ، فضربه عمرو في الدَّرقة فقدها وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه ، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتله . فثمّ علي يقول : [من الكامل]

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٠٩) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٦) .
(٢) (٣/ ٤٣٨) .

أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا — عني وعنهم أخِّروا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي — ومصمّم في الرأس ليس بنابي

إلى أن قال :

عبَد الحجارة من سَفَاهَة رأيه — وعبدت ربّ محمد بصوابِ

إلى آخرها .

قال : ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطّاب : هلا استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوأته ، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه . قال : وخرجتْ خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عنه البيهقي[١] ، أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقّه ، فمات في الخندق ، وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : « هو لكم ، لا نأكل ثمن الموتى » .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا نصر بن باب ، ثنا حجَّاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين ، فأُعطوا بجيفته مالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية » . فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البيهقي[٣] من حديث حمَّاد بن سلمة ، عن حجاج ، هو ابن أرطاة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفاً . فقال رسول الله ﷺ : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » . وقد رواه الترمذي[٤] ، من حديث سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب .

وقد ذكر موسى بن عقبة ، أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل ، وعرضوا عليه الدية ، فقال : « إنه خبيث خبيث الدية ، فلعنه الله ولعن ديته ، فلا أرب لنا في ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » .

وذكر يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام ، فضربه ، فشقه باثنتين ، حتى فلَّ في سيفه فَلاًّ ، وانصرف وهو يقول : [من السريع]

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٣٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٤٠) .
(٤) رواه الترمذي في « جامعه » رقم (١٧١٥) .

إني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي

وقد ذكر ابن جرير[١] أن نوفلاً لما تورط في الخندق ، رماه الناس بالحجارة ، فجعل يقول : قِتلة أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل إليه علي فقتله ، وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن ، فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ، ومكَّنهم من أخذه إليهم . وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقي[٢] ، من طريق حمَّاد بن زيد ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم ، ومعي عُمر بن أبي سلمة ، فجعل يطأطىء لي فأصعد على ظهره ، فأنظر . قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فما يرتفع له شيء إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الأطم ، قلت : يا أبت ، رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : فدىً لك أبي وأمي .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ، قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فمرَّ سعد وعليه درع مقلَّصة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرقد بها ويقول : [من الرجز]

لبِّث قليلاً يشهد الهيجا حمَلْ لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ

فقالت له أمه : الحق بنيَّ ، فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل .

قال ابن إسحاق[٤] : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : رماه حبان بن قيس بن العرِقة ، أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العرِقة . فقال له سعد : عرَّق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنتَ وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولاتمتني حتى تقر عيني من بني قريظة .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٧٤) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٠٤) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٦) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٧) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدثني من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي ، حليف بني مخزوم . وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً ، قاله لعِكْرِمَة بن أبي جهل :

أعكـرم هـلا لمتنـي إذ تقـول لـي ... فـداك بـآطـام المـدينـة خـالـدُ
ألست الذي ألزمت سعداً مرشة ... لهـا بيـن أثنـاء المـرافـق عـانـد
قضـى نحبـه منهـا سعيـد فـأعـولـت ... عليه مع الشمط العذارى النواهِدُ
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا ... عُبيـدة جمعـاً منهـم إذ يكـابـد
على حين ما هم جائر عن طريقه ... وآخـر مـرعـوب عـن القصـد قـاصـد

قال ابن إسحاق[٢] : والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقر الله عينه ؛ فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك ، كما سيأتي بيانه ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ، حتى قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عَبَّاد ، قال : كانت صفية بنت عبد الله في فارعٍ حصن حسَّان بن ثابت ، قال : وكان حسَّان معنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ ، فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : ما لي بسلبه حاجة يا بنة عبد المطلب .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٧) .
(٣) رواه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري ورواه النسائي في الكبرى رقم (٨٢٢٣) بزيادة « من فوق سبع سموات » وهي زيادة صحيحة بلفظ « لقد حكمت فيهم بحكم الملك » ورواية كتابنا : رواها ابن إسحاق مرسلة وابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسلة ، فهي ضعيفة بهذا اللفظ .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٨) .

حكى السهيلي[١] عن بعضهم أنه قال : كان حسان جباناً شديد الجبن . قال : وأنكر آخرون ذلك ، وطعنوا في الخبر ، فقالوا : هو منقطع . قالوا : وقد كان يهاجي المشركين من الشعراء ؛ كابن الزِّبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وغيرهما ، فلم يعيِّره واحد منهم بالجبن . قال : وممن أنكر ذلك الشيخ أبو عمر النمري . قالوا : وبتقدير صحة هذا الخبر ، لعله كان منقطعاً في الآطام لعلة عارضة . ومال إلى هذا السهيلي . والله أعلم .

قال موسى بن عقبة[٢] : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن بين كتائبهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يدري الرجل أتم صلاته أم لا . قال : ووجَّهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة ، فقاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر ، دنت الكتيبة ، فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « شغلونا عن صلاة العصر ، ملأ الله بطونهم وقلوبهم ـ وفي رواية : وقبورهم ـ ناراً » . فلما اشتد البلاء ، نافق ناس كثير ، وتكلموا بكلام قبيح ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب ، جعل يبشرهم ويقول : « والذي نفسي بيده ليفرَّجن عنكم ما ترون من الشدة ، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً ، أن يدفع الله إليَّ مفاتيح الكعبة ، وليهلكنَّ الله كسرى وقيصر ، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا إسحاق ، ثنا روح ، ثنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن علي ، عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً ؛ كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » . وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي ، به .

ورواه مسلم والترمذي[٤] من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن علي ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال البخاري[٥] : حدثنا المكي بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، وقال : يا رسول الله ، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب . قال النبي ﷺ : « والله ما صليتها » . فنزلنا مع رسول الله ﷺ بطحان ، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلى العصر بعدما غربت

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٣٢٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠١) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١١١) .
(٤) رواه مسلم رقم (٦٢٧) والترمذي رقم (٢٩٨٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١١٢) .

الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، به[١] .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبي ﷺ عدواً ، فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك ، قال : « اللهم مَن حبسنا عن الصلاة الوسطى ، فاملأ بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً » . ونحو ذلك . تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي ، وهو ثقة ، يصحح له الترمذي وغيره .

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث . وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا ؛ لصحة الحديث ، وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كمال هو مذهب مكحول والأوزاعي ، وقد بوب البخاري على ذلك[٣] ، واستدل بهذا الحديث ، وبقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة ، كما سيأتي : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » . وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يعنِّف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستَر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس ؛ لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

وقال آخرون من العلماء ، وهم الجمهور ، منهم الشافعي : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك ، فلهذا أخروها يومئذ . وهو مشكل ، فإن ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، وهو إمام في المغازي ، قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق ، فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً . كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مشكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير ، مع شدة حرصهم على المحافظة على الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء .

قال الإمام أحمد[٤] : حدثنا يزيد وحجاج قالا : حدثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هَوِيٌّ من الليل ، حتى

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦) ومسلم (٦٣١) والترمذي (١٨٠) والنسائي (١٣٦٥) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠١) ، وإسناده صحيح .
(٣) انظر « صحيح البخاري » قبل رقم (٩٤٥) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٦٧) وإسناده صحيح .

كفينا ، وذلك قوله : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . قال : فدعا رسول الله ﷺ بلالاً ، فأمره فأقام ، فصلى الظهر كما كان يصليها في وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك ، وذلك قبل أن يُنزَل ـ قال حجاج : في صلاة الخوف ـ : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٩] .

وقد رواه النسائي[١] ، عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبي ذئب ، به : قال : شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد[٢] : ثنا هشيم ، ثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله . قال : فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلّى الظهر ، ثم أقام فصلّى العصر ، ثم أقام فصلّى المغرب ، ثم أقام فصلّى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار[٣] : ثنا محمد بن معمر ، ثنا مؤمَّل ، يعني ابن إسماعيل ، حدثنا حمَّاد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي المخارق ، عن مجاهد ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ شُغل يوم الخندق عن صلاة الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام ، فصلَّى الظهر ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى العصر ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى المغرب ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى العشاء ، ثم قال : « ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » . تفرَّد به البزّار ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله .

فصل

في دعائه [عليه] السلام على الأحزاب

وكيف صرفهم الله تعالى ، بحوله وقوته ؛ استجابة لرسوله ﷺ[٤] ، وصيانة لحوزته الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الرِّيح الشديدة ؛ فزلزل أبدانهم .

---

(١) في « السنن الكبرى » رقم (٦٦٠) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٧٥) وهو حديث حسن .
(٣) في « كشف الأستار » (٣٦٥) وإسناده ضعيف .
(٤) في (آ) : « عليه السلام » وأثبت لفظ (ط) .

قال الإمام أحمد[١] : ثنا أبو عامر ، ثنا الزُّبير ـ يعني ابن عبد الله ـ ثنا رُبيح بن أبي سعيد [الخدري] ، عن أبيه قال : قلنا [يوم الخندق] : يا رسول الله ، هل من شيء نقوله ؟ [فقد] بلغت القلوب الحناجر . قال : « نعم ، اللهم استر عوراتِنا وآمن روعاتِنا » . قال : فصرف[٢] الله وجوه أعدائه بالرِّيح ، فهزمهم الله بالرّيح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره »[٣] عن أبيه ، عن أبي عامر ، وهو العَقَديُّ[٤] ، عن الزّبير بن عبد الله مولى عثمان بن عَفَّان ، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد . فذكره ، وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا حسين ، [عن] ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه ، وقام ورفع يديه مدًّاً يدعو عليهم ، ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلّى .

وثبت في « الصحيحين »[٦] من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .

وفي رواية[٧] : « اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى البخاري[٨] ، عن قُتيبة ، عن اللَّيث ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبيه ، عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعزّ جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وقال ابن إسحاق[٩] : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه في ما وصف الله من الخوف والشدة ؛ لتظاهر

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣) وإسناده ضعيف وفيه سقط ، فرُبيح هو ابن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري ، يروي عن أبيه عن جده ، كما سيأتي في الحديث الذي بعده .
(٢) في (ط) : « فضرب » .
(٣) وذكره السيوطي في « الدّر المنثور » (٥/ ١٨٥) وعزاه لابن أبي حاتم .
(٤) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي . مات سنة أربع ـ أو خمس ـ ومئتين . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٣٨٦) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٣) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٣٣) و(٤١١٥) و(٦٣٩٢) و(٧٤٨٩) ومسلم رقم (١٧٤٢) .
(٧) وهي عند البخاري رقم (٢٩٦٦) و(٣٠٢٥) وعند مسلم رقم (١٧٤٢) (٢٠) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٤١١٤) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٩) .

عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم . قال : ثم إن نُعَيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف [بن ثعلبة] بن قنفذ بن هلال بن خُلاَوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت و« إن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذِّلْ عَنَّا إن استطعت ، فإن الحرب خُدْعَة » . فخرج نُعَيم بن مسعود حتى أتى بني قُريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم وُدِّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتَّهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّي لكم وفراقي محمداً ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه ؛ نصحاً لكم ، فاكتموه عني . قالوا : نفعل . قال : تعلَّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنَّا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنُعطيَكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إليَّ ، ولا أراكم تتَّهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتَّهم . قال : فاكتموا عنِّي . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر ، فأعدُّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدَثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ؛ ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضرَّسَتكم[١] الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدَّثكم نُعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين

---

(١) أي : إن نالت منكم . انظر « شرح غريب ألفاظ السيرة » للخشني (٣/ ٨) .

انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نُعيم بن مسعود لَحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة إنتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلَّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً . فأبوا عليهم ، وخذَّل الله بينهم ، وبعث الله الرِّيح في ليلة[١] شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق[٢] من قصة نُعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة . وقد أورده عنه البيهقي في « الدلائل »[٣] ، فإنه ذكر ما حاصله أن نُعيم بن مسعود كان يُذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله ﷺ ذات يوم عشاءً ، فأشار إليه أن تعال ، فجاء فقال : « ما وراءك ؟ » . فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت بنو قريظة : نعم . فأرسلوا إلينا بالرُّهُن . وقد ذكر ، كما تقدم ، أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حُيي بن أخطب ، بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « إني مُسِرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره » . قال : « إنهم قد أرسلوا إليَّ يدعونني إلى الصُّلح وأَرُدُّ بني النضير إلى دورهم وأموالهم » . فخرج نُعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان ، وقال رسول الله ﷺ : « الحرب خُدْعَة ، وعسى أن يصنع الله لنا » . فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم ، فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة ، فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن [تكون] قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الصلح على أن يردَّ بني النضير إلى المدينة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق[٥] : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخي قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد . قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : « مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « في ليالٍ » .
(٢) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣١) .

القوم ثم يرجع » فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة « أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة » . فما قام رجل من القوم ؛ من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يقم أحد دعاني ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني ، فقال : « يا حُذيفة ، اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يفعلون ، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والرّيح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ مَن جليسه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ؛ ما تطمئن لنا قِدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا ، فإني مرتحل . ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ : « لا تُحدثْ شيئاً حتى تأتيني » . ثم شئت ؛ لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مِرط لبعض نسائه مراجل ، فلما رآني أدخلني إلى رجليه ، وطرح عليَّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم . وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجّاج في « صحيحه »[1] من حديث الأعمش ، عن إبراهيم بن يزيد التّيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت . فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقُرّ ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ » فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله ، ثم قال : « يا حُذيفة ، قم فأتنا بخبر القوم » فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : « ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليَّ » . قال : فمضيت كأنما أمشي في حَمّام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يَصْلِي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تذعرهم عليَّ » . ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حَمّام ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فأصابني البَرْد حين رجعت وقُررت ، فأخبرت رسول الله ﷺ ، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : « قم يا نومان » .

وقد روى الحاكم ، والحافظ البيهقي في « الدلائل »[2] هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عَمّار ، عن محمد بن عبد الله الدُّؤَليّ ، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ ، فقال جلساؤه : أمَا والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنّوا

---

(١) رقم (١٧٨٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٥١) .

ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود ، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا ، نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ، ويقولون : إن بيوتنا عورة . وما هي بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمئة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً ، حتى أتى عليَّ ، وما عليَّ جُنَّةٌ من العدو ولا من البرد إلا مِرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي . قال : فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي فقال : « من هذا ؟ » فقلت : حذيفة . فقال : « حذيفة! » . فتقاصرتُ بالأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . قال : « قم » . فقمت ، فقال : « إنه كائن في القوم خبر ، فأتني بخبر القوم » . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قُرَّاً . قال : فخرجت ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » . قال : فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قُرّاً في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد منه شيئاً . قال : فلما ولَّيت قال : « يا حذيفة ، لا تُحْدِثَنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني » . قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقَّد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ، ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش ، فأضعه على كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تُحدثنَّ فيهم شيئاً حتى تأتيني » . فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ، ثم إني شجَّعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر ، يقولون : يا آل عامر ، الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضربهم بها ، ثم خرجت نحو رسول الله ﷺ ، فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك ، إذ أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك مُعْتَمِّين ، فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلِّي ، فوالله ما عدا أن رجعت ؛ راجعني القُرُّ وجعلت أُقَرْقِفُ ، فأومأ إليَّ رسول الله ﷺ بيده ، وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل عليَّ شملته ، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم ؛ أخبرته أني تركتهم يرحلون . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ يعني الآيات كلها إلى قوله : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾ [الأحزاب : ٩ ـ ٢٥] .

أي صرف الله عنهم عدوهم بالرِّيح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم . ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ ﴾ أي ؛ لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم ، بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت في « الصحيحين »[١] عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » ، وفي قوله : ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ . إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق[٢] ، رحمه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم » . قال : فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك ، حتى فتح الله عليه مكة .

وهذا بلاغ من [ابن] إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : ثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان بن صُرَدٍ ، رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « الآن نغزوهم ولا يغزونا » . وهكذا رواه البخاري ، من حديث إسرائيل وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سليمان بن صُرَد ، به[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة ؛ ثلاثة من بني عبد الأشهل ، وهم : سعد بن معاذ ـ وستأتي وفاته مبسوطة ـ وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غَنَمة الجشميان السلميان ، وكعب بن زيد النجاري ، أصابه سهم غرب فقتله . قال : وقتل من المشركين ثلاثة ، وهم : مُنَبِّه بن عثمان بن عبيد بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، اقتحم الخندق بفرسه فتورَّط فيه فقتل هناك ، وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم ، وعمرو بن عبد ودٍّ العامري ، قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام[٦] : وحدثني الثقة أنه حُدِّث عن الزُّهري ، أنه قال : قتل عليٌّ يومئذ عمرو بن عبد ودٍّ وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : يقال : عمرو بن عبد ودٍّ . ويقال : عمرو بن عبدٍ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١١٤) ومسلم رقم (٢٧٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٦٢) ، وإسناده صحيح .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٠٩) و(٤١١٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٣) .

فصل
في غزوة بني قُريظة[١]

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد ، مع ما ادخر[٢] الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم ، وذلك لكفرهم ونقضهم العهود والمواثيق[٣] التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وممالأتهم الأحزاب عليه ، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً ، وباؤوا بغضب من الله ورسوله ، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥ ـ ٢٧] .

قال البخاري[٤] : ثنا محمد بن مقاتل ، ثنا عبد الله ، ثنا موسى بن عقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة ، يبدأ فيكبِّر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون ، لربِّنا حامدون ؛ صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وقال محمد بن إسحاق[٥] ، رحمه الله : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسول الله ﷺ ، كما حدثني الزهري ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رِحَالةٌ ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : ما وضعتِ الملائكة السلاح بعدُ ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم . فأمر رسول الله ﷺ مؤذِّناً فأذن [في] الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلِّين العصر إلا في بني قُريظة .

قال ابن هشام[٦] : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

---

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » (٢/١٠٣) ، و « زاد المعاد » (٣/١١٧) ، و « الفصول في سيرة الرسول » ص(١٧١) ، و « شذرات الذهب » (١/١٢٢) بتحقيقي .

(٢) في (ط) : « مع ما أعدّ » .

(٣) لفظ « والمواثيق » انفردت به (آ) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤١١٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٣) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .

وقال البخاري[١] : ثنا [عبد الله] بن أبي شيبة ، ثنا ابن نُمَير[٢] ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل فقال : قد وضعتَ السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم . قال : « فإلى أين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قُريظة . فخرج النبي ﷺ إليهم .

وقال أحمد[٣] : وثنا حسن ، ثنا حمَّاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل ، وجاء جبريل ، فرأيته من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد ، أوَضعتم أسلحتكم ؟ فقال[٤] : « وضعنا أسلحتنا » فقال[٥] : إنّا لم نضع أسلحتنا بعدُ ، انهد إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري[٦] : ثنا موسى ، ثنا جرير بن حازم ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك قال : كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري[٧] : ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، ثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « لا يُصَلّينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة » . فأدرك بعضَهم العصرُ في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيَها . وقال بعضهم : بل نصلي ؛ لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فلم يعنِّف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم[٨] ، عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، به .

وقال الحافظ البيهقي[٩] : ثنا أبو عبد الله الحافظ[١٠] ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن خالد بن خَلِيٍّ ، ثنا بشر بن شعيب ، عن أبيه ، ثنا الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب ، وضع عنه اللأمة واغتسل واستجمر ، فتبدى له جبريل ، عليه السلام ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١١٧) .
(٢) في (آ) : « ابن أبي نمير » وهو خطأ ، واسمه (عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي أبو هشام) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٢٧٣) و (٤/ ٣٣١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٨٠) ، وهو حديث صحيح .
(٤) القائل رسول الله ﷺ جواباً على سؤال جبريل عليه السلام .
(٥) القائل جبريل عليه السلام تعقيباً على جواب رسول الله ﷺ .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١١٨) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤١١٩) .
(٨) رواه مسلم رقم (١٧٧٠) .
(٩) في « دلائل النبوة » (٤/ ٧ ـ ٨) .
(١٠) يعني الحاكم صاحب « المستدرك على الصحيحين » .

فقال : عَذِيرك من محارب ، ألا أراك قد وضعتَ اللأْمة وما وضعناها بعدُ . قال : فوثب النبي ﷺ فزعاً ، فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة . قال : فلبس الناس السلاح ، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلِّي حتى نأتيَ بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ ، فليس علينا إثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلَّوها حين جاؤوا بني قريظة احتساباً ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقي[١] من طريق عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان عندها ، فسلَّم علينا رجل ونحن في البيت ، فقام رسول الله ﷺ فزعاً ، وقمت في أثره ، فإذا بدِحية الكلبي ، فقال : « هذا جبريل ، أمرني أن أذهب إلى بني قريظة ، وقال : قد وضعتم السلاح ، لكنا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد » . وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق . فقال رسول الله ﷺ فزعاً ، وقال لأصحابه : « عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة » . فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدَعوا الصلاة . فصلّوا . وقالت طائفة : والله إنَّا لفي عزيمة رسول الله ﷺ ، وما علينا من إثم . فصلت طائفة إيماناً واحتساباً ، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنِّف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين ، وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة ، فقال : « هل مرَّ بكم أحد ؟ » فقالوا : مرَّ علينا دِحْيَة الكلبي[٢] على بغلة شهباء ، تحته قطيفة ديباج . فقال : « ذلك جبريل ، أُرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب » . فحاصرهم النبيّ ﷺ ، وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف[٣] حتى يسمعهم كلامه ، فناداهم : « يا إخوة القردة والخنازير » . فقالوا : يا أبا القاسم ، لم تكن فحاشاً . فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم . ولهذا الحديث طرق جديدة ، عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ ، من هو ؟ بل الإجماع على أن كلاًّ من الفريقين مأجور ومعذور ، غير معنَّف ؛ فقالت طائفة من العلماء : الذين أخّروا الصلاة عن وقتها المقدّر لها ، حتى صلّوها في بني قُريظة ، هم المصيبون ؛ لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصٌّ ، فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٨) .

(٢) وذلك لأن جبريل عليه السلام غالباً ما كان ينزل بصورته رضي الله عنه . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : « يأتيني جبريل في صورة دحية » وانظر « المسند » للإمام أحمد (٢/ ١٠٧) و « مجمع الزوائد » (٩/ ٣٧٨) ، و « الإصابة » (٣/ ١٩١) .

(٣) الحَجَفُ : جمع حجفة : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . انظر « مختار الصحاح » (حجف) .

قال أبو محمد بن حزم الظّاهري في كتابه[(١)] « السيرة »[(٢)] : وعلم الله أنا لو كنّا هناك ، لم نصلِّ العصر إلا في بني قُريظة ، ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية الموصلة[(٣)] إلى الأخذ بالظّاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم ، هم المصيبون ؛ لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة ، لا تأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلّة الدالة على أفضلية[(٤)] الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنّفهم ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها الذي حوّلت إليه يومئذ ، كما يدَّعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخّروا ، فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون[(٥)] بالقضاء ، وقد فعلوه . وأما على قول من يجوِّز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري ، حيث احتجّ على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخّر ، ولا على من قدّم أيضاً ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق[(٦)] : وقَدَّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ومعه رايته[(٧)] ، [إلى بني قُريظة] وابتدرها الناس .

وقال موسى بن عقبة في « مغازيه »[(٨)] ، عن الزهري : فبينما رسول الله ﷺ في مغتسله ، كما يزعمون ، قد رَجَّلَ أحد شقيه ، أتاه جبريل على فرس عليه لأْمَتُهُ ، حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله ﷺ ، فقال له جبريل : غفر الله لك ، أَوَقد وضعتَ السلاح ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدو ، وما زِلْتُ في طلبهم حتى هزمهم الله . ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار . فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بني قُريظة ، فَأَنَا عامد إليهم بمن معي من الملائكة ؛ لأُزلزل بهم الحصون ، فاخْرُجْ بالناسِ . فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل ، فمرّ على مجلس بني غَنْمٍ وهم ينتظرون رسول الله ﷺ ، فسألهم فقال : « مرَّ عليكم فارس آنفاً ؟ » قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الكلبي على فرس أبيض ، تحته نمط أو قطيفة من ديباج ، عليه اللأْمَةُ .

---

(١) في (ط) : « في كتاب » .
(٢) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص(١٩٢) بتحقيق العالمين الفاضلين د . إحسان عباس ، ود . ناصر الدين الأسد ، ومراجعة العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .
(٣) لفظ « الموصلة » لم يرد في (ط) .
(٤) في (آ) : « وعلى فضيلة » وأثبت لفظ (ط) .
(٥) في (آ) : « وأكثر ما كانوا يؤمروا » وأثبت لفظ (ط) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .
(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « برايته » وما بين الحاصرتين تكملة منها .
(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١١) .

فذكروا أن رسول الله ﷺ ، قال : « ذاك جبريل » . وكان رسول الله ﷺ يُشَبِّهُ دِحْيَةَ الكلبي بجبريل ، فقال : « الحقوني ببني قريظة ، فصلّوا فيهم العصر » . فقاموا ومن شاء الله من المسلمين ، فانطلقوا إلى بني قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ، فذكروا الصلاة ، فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة ؟! وقال آخرون : هي الصلاة . فصلى منهم قوم ، وأخَّرت طائفة الصلاة حتى صلَّوها في بني قُريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجَّل منهم الصلاة ومن أخّرها ، فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنّف واحداً من الفريقين . قال : فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله ، فإن الله كافيك اليهود . وكان عليٌّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه ، رضي الله عنهن ، فكره عليٌّ أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « لم تأمرني بالرجوع ؟ » فكتمه ما سمع منهم ، فقال : « أظنُّك سمعت لي منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو قد رأوني ، لم يقولوا شيئاً مما سمعت » . فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم ، وكانوا في أعلاه ، نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم ، حتى أسمعهم ، فقال : « أجيبوا يا معشر يهود ، يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزي الله ، عز وجل » . فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، وردَّ الله حُيَي بن أخطب ، حتى دخل حصن بني قُريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر ، وكانوا حلفاء الأنصار ، فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أذنتُ لك » . فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ، ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال . فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه ، وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بكم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سُقط في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله توبة نصوحاً ، يعلمها الله من نفسي . فرجع إلى المدينة ، فربط يديه إلى جِذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله ﷺ ، كما ذكر[١] ، حين راث[٢] عليه أبو لبابة : « أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ؟ » قالوا : يا رسول الله ، قد والله انصرف من عند الحصن ، وما ندري أين سلك . فقال رسول الله ﷺ : « قد حدث لأبي لبابة أمر ، ما كان عليه » . فأقبل رجل من عند المسجد فقال : يا رسول الله ، قد رأيت أبا لبابة ارتبط بحبل إلى جذع من جذوع المسجد . فقال رسول الله ﷺ : « لقد أصابته بعدي فتنة ، ولو جاءني لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فلن أُحَرِّكه من مكانه حتى يقضيَ الله فيه ما يشاء » .

وهكذا رواه ابن لهيعة[٣] ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة .

---

(١) قوله : « كما ذكر » لم يرد في (ط) .
(٢) أي : أبطأ . وفي (ط) : « حين غاب » .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٤) .

وكذا ذكره محمد بن إسحاق في « مغازيه »[١] في مثل سياق موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، ومثل رواية أبي الأسود ، عن عُرْوَة .

قال ابن إسحاق[٢] : ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم ، يقال لها : بئر أُنا[٣] ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقد كان حُيَي بن أخطب دخل معهم حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ؛ وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونُصَدِّقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لَنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم عليَّ هذه ، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإنْ نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإنْ نظهر فلعمري لنَجِدَنَّ النساء والأبناء . قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإن أبيتم عليَّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أَمَّنُونا فيه ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّة . قالوا : أنفسد سبتنا ونُحدِث فيه ما لم يُحدِث فيه مَن كان قبلنا ، إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ . فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً . ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ـ وكانوا حلفاء الأوس ـ نستشيره في أمرنا . فأرسله رسول الله ﷺ ، فلما رأوه ، قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فَرَقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : « نعم » . وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما ، حتى عرفت أني قد خُنْتُ الله ورسوله ﷺ . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتَّى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت . وعَاهَدَ الله ؛ أن لا أطأ بني قُريظة أبداً ، ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .
(٣) قال الفيروزابادي في « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٣٠) : بئر أُنا : بضم الهمزة ، وتخفيف النون ، كهنا ، وقيل بالفتح ، والتشديد ، كحتَّى ، وقيل : أَنّي ، بالفتح ، وكسر النون المشدَّدة بعده ياء .
وقال السمهودي في « وفاء الوفا » (٢/ ١٢٥) : وهي غير معروفة اليوم .

قال ابن هشام(١) : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

قال ابن هشام(٢) : أقام مرتبطاً ست ليال ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة ، فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وقول موسى بن عقبة : إنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به ، أشبه ، والله أعلم .

وذكر ابن إسحاق(٣) أن الله أنزل توبته على رسوله ﷺ من آخر الليل ، وهو في بيت أُمِّ سلمة ، فجعل يتبسّم(٤) ، فسألته أُمُّ سلمة ، فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة ، فاستأذنته أن تبشّره ، فأذن لها فخرجت فبشّرته ، فثار الناس إليه يبشّرونه ، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه فقال : والله لا يحلني منه إلا رسول الله ﷺ . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حلَّه من رباطه ، رضي الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق(٥) : ثم إنَّ ثعلبة بن سَعْية ، وأُسَيد بن سَعْيَةَ ، وأسد بن عُبيد ، وهم نفر من بني [هَدْلٍ] ، ليسوا من بني قُريظة ولا النَّضير ، نسبُهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ . وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي ، فمر بحرس رسول الله ﷺ ، وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : [أنا] عمرو بن سُعْدى . [وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً] . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني [إقالة] عثرات الكرام . ثم خلّى سبيله ، فخرج على وجهه ، حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَ أين توجه من الأرض إلى يومه هذا . فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال : « ذاك رجل نجّاه الله بوفائه » . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمَّة فيمن أُوثق [من بني قريظة] ، فأصبحت رُمَّته ملقاة ، ولم يُدر أين ذهب ، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، والله أعلم أيُّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق(٦) : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ، إنهم [كانوا] موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمتَ . يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أُبي ، كما تقدم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٧) .
(٤) في (ط) : « يبتسم » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٨) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٣٩) .

قال ابن إسحاق[(١)] : فلما كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الأوس ، ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « فذلك إلى سعد بن معاذ » وكان رسول الله ﷺ [قد جعل سعد بن معاذ] في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : رُفيدة . في مسجده ، وكانت تداوي الجرحى ، فلما حكَّمه في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّؤوا له بوسادة من أَدَم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإنَّ رسول الله ﷺ إنما ولَّاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا [عليه] قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجالَ بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ؛ عن كلمته التي سمع منه ، فلمَّا انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيِّدكم » . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ رسول الله ﷺ المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولَّاك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم [فيهم] لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ ؛ إجلالاً له ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتُسبى الذَّراري والنساء .

قال ابن إسحاق[(٢)] : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو[(٣)] بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقّاص اللَّيثي قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعةٍ »[(٤)] .

وقال ابن هشام[(٥)] : حدثني من أثق به من أهل العلم ، أنَّ علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزبير بن العوَّام ، وقال : والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزةُ أو أقتحم حصنهم . فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

وقد قال الإمام أحمد[(٦)] : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت أبا أُمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فأتاه على حمار ، فلمَّا دنا قريباً من المسجد ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٣) في (ط) : « عن عبد الرحمن بن عمر . . . » .
(٤) وهو مرسل ، وكذلك رواه ابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسلاً .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٢) .

سَيِّدكم[١] ، أو : خيركم » . ثم قال : « إن هؤلاء نزلوا على حُكمك » . قال : تُقْتَلُ مقاتلتهم وتسبى ذُرِّيتهم . قال : فقال رسول الله ﷺ : « قضيت بحكم الله » . وربما قال : « قضيت بحكم المِلِك » . وفي رواية[٢] : « المَلَكِ » أخرجاه في « الصحيحين »[٣] من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا حُجَينٌ ويونس ، قالا : ثنا اللَّيث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه[٥] رسول الله ﷺ بالنار ، فانتفخت يده ، فحسمه أخرى[٦] ، فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى ذلك ، قال : اللهم لا تخرج نفسي حتى تقرَّ عيني من بني قريظة . فاستمسك عرقه ، فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه ، فحكم أن تقتل رجالهم ، وتسبى نساؤهم ، وذراريهم ، يستعين بهم المسلمون ، فقال رسول الله ﷺ : « أصبت حكم الله فيهم » وكانوا أربعمئة ، فلمَّا فرغ من قتلهم ، انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً[٧] ، عن قتيبة ، عن اللَّيث به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[٨] : ثنا ابن نُمير ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة ، قالت : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها ، اخرج إليهم . قال رسول الله ﷺ : « فأين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ ، فردَّ الحكم فيهم إلى سعد ، قال : فإنِّي أحكم أن تقتل المقاتلة ، وتسبى النساء والذُّرِّيَّة ، وتقسم أموالهم . قال هشام : قال أبي : فأُخبرت أن رسول الله ﷺ قال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .

وقال البخاري[٩] : ثنا زكريا بن يحيى ، ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أُصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له : حِبَّان بن العَرِقة ، رماه في الأكحل ، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعته ، اخرج

---

(١) في (ط) : « قوموا لسيدكم » .
(٢) هي في « المسند » أيضاً (٣/ ٢٢) ، لكن عن عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٢٦٢) ومسلم رقم (١٧٦٨) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٥٠) .
(٥) أي : كواه .
(٦) في (آ) و (ط) : « . . فانتفخت يده فنزفه ، فحسمه أخرى . . . » وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .
(٧) رواه الترمذي (١٥٨٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٧٩) ، وهو حديث صحيح .
(٨) في « المسند » (٦/ ٥٦) وهو حديث صحيح .
(٩) رواه البخاري رقم (٤١٢٢) .

إليهم . قال النبي ﷺ : « فأين ؟ » فأشار إلى بني قُريظة ، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه ، فردَّ الحكم إلى سعد ، قال : فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى النساء والذُّرِّيَّة ، وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرني أبي ، عن عائشة ، أن سعداً قال : اللهم إنَّك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إليَّ أن أجاهدهم فيك ، من قوم كذَّبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإني أظنّ أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء ، فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب ، فافجرها واجعل موتي فيها . فانفجرت من لبَّته[١] فلم يرُعهم ، وفي المسجد خيمة من بني غِفَار ، إلّا الدَّمُ يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو[٢] جرحه دماً ، فمات منها .

وهكذ رواه مسلم[٣] من حديث عبد الله بن نُمير ، به .

قلت : كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة ، فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم ، وأقرَّ الله عينه أتمَّ قرارٍ ، دعا ثانياً بهذا الدعاء ، فجعلها الله له شهادة ، رضي الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً ، إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد[٤] من وجه آخر ، عن عائشة مطولاً جداً ، وفيه فوائد ، فقال : ثنا يزيد ، أنبأ محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جدِّه علقمة بن وقّاص قال : أخبرتني عائشة ، قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وئيد الأرض ورائي ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّة . قالت : فجلست إلى الأرض ، فمرَّ سعد وعليه درع من حديد ، قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد . قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرَّ وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

لَبِّثْ قليـلاً يُـدرك الهيجـا حَمَـلْ ... مَا أَحْسَنَ الموتَ إذا حَانَ الأَجَلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة ، فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تسبغة[٥] له ؛ تعني المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك ، والله إنكِ لجريئة ، وما يؤمنكِ أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوُّز . فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها ، فرفع الرجل التسبغة[٦] عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد الله ، فقال : يا عمر ، ويحك ، إنك قد أكثرت منذ اليوم ،

---

(١) اللَّبَّة : موضع القلادة من الصدر انظر « فتح الباري » (٧/ ٤١٥) .
(٢) أي : يسيل .
(٣) رواه مسلم رقم (١٧٦٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٤١) .
(٥) في (ط) : « سبغة » وما جاء في (آ) هو الصواب . وانظر « لسان العرب » (سبغ) .
(٦) في (ط) : « السبغة » .

وأين التحوُّز أو الفرار إلَّا إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ قالت : ويرمي سعداً رجل من قريش ، يقال له : ابن العَرِقة . وقال : خذها وأنا ابن العَرِقَة . فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد ، فقال : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية . قالت : فرقأ كَلْمُهُ ، وبعث الله الرِّيح على المشركين ، ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . فلحق أبو سفيان ومن معه بتِهَامة ، ولحق عُيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصّنوا في صياصيهم[١] ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأمر بقبَّة من أَدَمٍ فضربت على سعد في المسجد . قالت : فجاءه جبريل ، وإنَّ على ثناياه لنقعَ الغبار ، فقال : أقد وَضَعْتَ السلاح ؟ لا والله ما وضعتِ الملائكة السلاح بعدُ ، اخرج إلى بني قُريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأْمَتَهُ ، وأذَّن في الناس بالرَّحيل أن يخرُجوا ، فمرَّ على بني غَنْم ، وهم جيران المسجد حوله ، فقال : « من مرَّ بكم ؟ » قالوا : مرَّ بنا دِحْيَةُ الكلبيُّ . وكان دِحْيَةُ الكلبيُّ تشبه لحيته وسنُّه ووجهه جبريل ، عليه السلام ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلمَّا اشتد حصرهم واشتدَّ البلاء ، قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنَّه الذَّبح ، قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله ﷺ : « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » . فأُتي به على حمار عليه إكاف من ليف ، قد حمل عليه وحفَّ به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النِّكاية ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ، ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه ، فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . ـ قال : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيِّدكم فأنزلوه » . قال عمر : سيدنا الله . ـ قال : « أنزلوه » . فأنزلوه ، قال رسول الله ﷺ : « احكم فيهم » . فقال سعد : فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتُسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم . فقال رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله » . ثم دعا سعد ، فقال : اللهمَّ إن كنتَ أبقيت على نبيِّك ﷺ من حرب قريش شيئاً ، فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم ، فاقبضني إليك . قالت : فانفجر كلْمُه ، وكان قد برىء حتى لا يرى منه إلَّا مثل الخرص ، ورجع إلى قبَّته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ . قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر . قالت : فوالذي نفس محمد بيده ، إنِّي لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] . قال علقمة : فقلت : يا أُمَّه ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنَّه إذا وجد ، فإنَّما هو آخذ بلحيته .

وهذا الحديث إسناده جيد[٢] ، وله شواهد من وجوه كثيرة . وفيه التَّصريح بدعاء سعد مرتين ؛ مرَّة

---

(١) أي : في حصونهم .

(٢) عمرو بن علقمة مجهول ، لكن الحديث له شواهد كما قال المصنف رحمه الله ، دون قوله : كانت عينه لا تدمع على أحد ، فهي مخالفة لما رواه البخاري (١٣٥٣) عن رسول الله ﷺ أن عينيه دمعتا عند وفاة ابنه إبراهيم .

قبل حكمه في بني قريظة ، ومرة بعد ذلك كما قلناه أولاً ، ولله الحمد والمنَّة ، وسنذكر كيفية وفاته[١] ودفنه وفضله في ذلك ، رضي الله عنه وأرضاه ، بعد فراغنا من القصة .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث ، امرأة من بني النَّجَّار . - قلت : هي نسيبة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذَّاب، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز . ثم خرج إلى سوق المدينة ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخُرج بهم إليه أرسالاً ، وفيهم عدوُّ الله حييُّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستُّمئة أو سبعمئة ، والمكثِّر لهم يقول : كانوا ما بين الثمانمئة والتِّسعمئة .

قلت : وقد تقدَّم فيما رواه اللَّيث ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّهم كانوا أربعمئة ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذْهَبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً : يا كعب ، ما تُراه يُصنع بنا ؟ قال : أفي كلِّ موطن لا تعقلون ! ألا ترون الداعي لا ينزع ! وأنَّه من ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدَّأب حتى فرغ منهم ، وأُتي بحييِّ بن أخطب وعليه حلَّة له فُقَّاحيَّة ، قد شقَّها عليه من كلِّ ناحية قدر أُنملةٍ ؛ لئلاّ يُسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلمَّا نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنَّه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيُّها الناس ، إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوَّال الثَّعلبيُّ : [من الطويل]

لعمرك ما لام ابنُ أخطب نفسه ولكنَّه من يخذُل الله يُخْذَلِ
لجاهد حتى أبلغ النَّفس عُذرها وقَلْقَل يبغي العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

وقد ذكر ابن إسحاق[٤] قصة الزَّبير بن باطا ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان قد منَّ يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وجزَّ ناصيته ، فلمَّا كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ فقال له ثابت : أُريد أن أُكافئك . فقال : إنَّ الكريم يجزي [الكريم] . فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه ؛ فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال : شيخ كبير لا أهل [له] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له ، ثم جاءه ، فأخبره فقال : أهل [بيت] بالحجاز لا مال [لهم] ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزَّبير بن باطا ، فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال له : يا ثابت ، ما فعل

---

(١) أي وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) .

الذي كان وجهه مرآة صينيَّة تتراءى فيها عذارى الحيّ ؟ يعني كعب بن أسد . قال : قتل . قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادي حُيَيُّ بن أخطب ؟ قال: قتل. قال : فما فعل مقدِّمتنا إذا شددنا[١] وحاميتنا إذا فررنا ؛ عزَّال بن شموأل ؟ قال : قتل . قال : فما فعل المجلسان ؟ يعني بني كعب بن قُريظة وبني عمرو بن قُريظة . قال : ذهبوا قتلوا . قال : فإنِّي أسألك يا ثابت ، بيدي عندك ، إلَّا ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضحٍ حتى ألقى الأحبَّة . فقدَّمه ثابت فضربت عنقه ، فلمَّا بلغ [أبا بكر] الصدِّيق قوله : ألقى الأحبَّة . قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلَّداً .

قال ابن إسحاق : « فيلة » . بالفاء [والياء المثنَّاة من أسفل] .

وقال ابن هشام[٢] : بالقاف والباء الموحَّدة .

وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذي يستقي الماء لسقي النَّخل .

وقال أبو عُبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل [كلِّ] من أنبت منهم ، فحدَّثني شعبة بن الحجَّاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطيَّة القرظيِّ قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كلُّ من أنبت [منهم] ، وكنت غلاماً ، فوجدوني لم أُنبت فخلَّوا سبيلي .

ورواه أهل « السنن الأربعة[٤] » ، من حديث عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظيِّ نحوه .

وقد استدلَّ به من ذهب من العلماء إلى أنَّ إنبات الشَّعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ ، بل هو بلوغ في أصحِّ قولي الشافعيِّ .

ومن العلماء من يفرِّق بين صبيان أهل الذِّمَّة ، فيكون بلوغاً في حقِّهم دون غيرهم ؛ لأن المسلم قد يتأذَّى بذلك المقصد .

وقد روى ابن إسحاق[٥] ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، أنَّ سلمى بنتَ قيس أُمَّ المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن سِمْوالَ ، وكان قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله ، إن رفاعة يزعم أنَّه سيصلِّي ويأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

---

(١) في (آ) : « شردنا » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٣) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .

(٤) هو عند أبي داود رقم (٤٤٠٤) و(٤٤٠٥) وعند الترمذي رقم (١٥٨٤) وعند النسائي في « المجتبى » رقم (٤٩٩٦) وعند ابن ماجه رقم (٢٥٤١) و(٢٥٤٢) ، وهو حديث صحيح .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لم يقتل من نسائهم إلَّا امرأة واحدة . قالت : والله إنَّها لعندي تحدَّث معي تضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ما لك ؟ قالت : أُقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثتُه . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها . وكانت عائشة ، تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ؛ طِيب نفسها وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنَّها تُقتل .

وهكذا رواه الإمام أحمد[٢] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، به .

قال ابن إسحاق[٣] : هي التي طرحت الرَّحا على خلاَّد بن سويد فقتلته . يعني فقتلها رسول الله ﷺ به[٤] . قاله ابن إسحاق في موضع آخر ، وسمَّاها نُباتة[٥] امرأة الحكم القرظيِّ .

قال ابن إسحاق[٦] : ثم إنَّ رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ؛ سهمين للفرس ، وسهماً لراكبه ، وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين .

قال : وكان أول فيء وقعت فيه السُّهمان وخُمِّس .

قال ابن إسحاق[٧] : وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً ، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بني عمرو ابن قريظة ، وكان عليها حتى توفِّي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت ، ثم أسلمت بعد ذلك ، فسرَّ رسول الله ﷺ بإسلامها ، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوَّجها ، فاختارت أن تستمرَّ على الرِّقِّ ليكون أسهل عليها ، فلم تزل عنده حتى توفي ، عليه الصلاة والسلام .

ثم تكلم ابن إسحاق[٨] على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب . وقد ذكرنا ذلك مستقصىً في تفسيرها[٩] ، ولله الحمد والمنَّة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) .

(٢) في « المسند » (٦/ ٢٧٧) ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٢٦٧١) وهو حديث حسن .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) والكلام له لا لابن إسحاق ، ولعله له في موطن آخر ، والله أعلم .

(٤) قال الإمام الشافعي ـ فيما نقله البيهقي : « قد جاء الخبر أن رسول الله ﷺ قتل القرظية » ولم يصح خبر على أي معنى قتلها ، وقد يحتمل أن تكون أسلمت ثم ارتدت ولحقت بقومها فقتلها لذلك ، ويحتمل غيره » (السنن الكبرى ٩/ ٨٢ ، ومعرفة السنن (١٨٠١٨) .

(٥) كذا في (آ) و(ط) : « نباتة » وفي « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص (١٧٥) : « وبَنَانَة » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٥) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٥) .

(٩) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ٣٨٤) .

وقد قال ابن إسحاق[١] : واستُشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاَّد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجيُّ ، طرحت عليه رحاً فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرَّحا ، تلك المرأة التي لم يُقتل من بني قُريظة امرأة غيرها ، كما تقدَّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان من بني أسد بن خزيمة ، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرتهم اليوم .

* * *

وفاة سعد بن معاذ[٣] رضي الله عنه

قد تقدَّم أن حبَّان بن العَرِقة ، لعنه الله ، رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ كيّاً بالنار ، فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقرَّ عينه من بني قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذِّمام ، ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلمَّا ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة ، وباءت[٤] بنو قريظة بسواد الوجه والصَّفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدَّم ، فلمَّا ضيَّق عليهم وأخذهم من كل جانب ، أنابوا إلى أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراه الله ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس ، وكانوا حلفاءهم في [الجاهليَّة] ، وهو سعد بن معاذ ، فرضوا بذلك ، ويقال : بل نزلوا ابتداءً[٥] على حكم سعد ؛ لما يرجون من حنوِّه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنَّهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير ؛ لشدَّة إيمانه وصدِّيقيَّته ، رضي الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، وكان في خيمة في المسجد النبويِّ ، فجيء به على حمار تحته إكافٌ قد وطِّئ تحته لمرضه ، ولمَّا قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له ، قيل : لينزِّل من شدَّة مرضه . وقيل : توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ؛ ليكون أبلغ في نفوذ حكمه ، والله أعلم ، فلمَّا حكم فيهم بالقتل والسَّبي ، وأقرَّ الله عينه وشفى صدره منهم ، وعاد إلى خيمته من المسجد النبويِّ صحبة رسول الله ﷺ ، دعا الله عزَّ وجلَّ ، أن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .
(٣) ترجمته ومصادرها في « سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٧٩) ، و « الإعلام بوفيات الأعلام » ص(٢٢) ، و « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٤) في (آ) : « وفازت » وأثبت لفظ (ط) .
(٥) في (آ) : « ابتداءة » وأثبت لفظ (ط) .

تكون له شهادة ، واختار الله له ما عنده ، فانفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[١] : فلمَّا انقضى شأن بني قُريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

حدَّثني معاذ بن رفاعة الزُّرقيُّ ، قال : حدَّثني من شئت من رجال قومي ، أنَّ جبريل أتى رسول الله ﷺ ، حين قبض سعد بن معاذ ، من جوف الليل ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميِّت الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتزَّ له العرش[٢] ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجرُّ ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات ، رضي الله عنه . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الحافظ البيهقيُّ في « الدلائل »[٣] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدَّثنا أبي وشعيب بن اللَّيث ، قالا : حدَّثنا اللَّيث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رِفَاعة ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء ، وتحرَّك له العرش ؟ قال : فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ . قال : فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرَّتين ، فسبَّح القوم . ثم قال : « الله أكبر ، الله أكبر » . فكبَّر القوم . فقال رسول الله ﷺ : « عجبت لهذا العبد الصالح ، شُدِّد عليه في قبره ، حتى كان هذا حين فُرِّج له » .

وروى الإمام أحمد والنَّسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، ويحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرَّك له عرش الرحمن ، وفتحت له أبواب السماء ، شدِّد عليه ، ثم فرَّج الله عنه »[٤] .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : حدَّثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله قال : لمَّا دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ ، سبَّح رسول الله ﷺ ، فسبَّح الناس معه ، ثم كبَّر فكبَّر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممَّ سبَّحت ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرَّجه الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد[٦] ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، به .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٠) .
(٢) روى البخاري رقم (٣٨٠٣) ، ومسلم رقم (٢٤٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩) .
(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٧) واللفظ له ، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٢٤) ، وهو حديث حسن .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥١) .
(٦) في « المسند » (٣/ ٣٦٠) ، وإسناده حسن .

قال ابن هشام[١] : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ للقبر ضمَّة ، لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن للقبر ضغطة ، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ » . وهذا الحديث سنده على شرط « الصحيحين » إلَّا أن الإمام أحمد رواه عن غندر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة ، به[٣] .

وقد رواه الحافظ البزَّار[٤] ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : [حدَّثنا عبد الأعلى بن حمَّاد ، حدَّثنا داود بن عبد الرحمن ، حدَّثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال :] قال رسول الله ﷺ : « لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف مَلك إلى الأرض ، لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمَّه القبر ضمَّة » . قال : ثم بكى نافع .

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزَّار : رواه غيره ، عن عبيد الله ، عن نافع مرسلاً .

ثم رواه البزَّار[٥] ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتَّاب ، عن مسكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، ما وطئوا الأرض قبلها » . وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد » .

قال البزَّار[٦] : [حدَّثنا] إسماعيل بن حفص ، حدَّثنا محمد بن فضيل ، حدَّثنا عطاء بن السَّائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتزَّ العرش لحبِّ لقاء الله سعد بن معاذ . قال : فقال : إنَّما يعني السَّرير . ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف : ١٠٠] . قال : تفسَّخت أعواده . قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس ، فلمَّا خرج قيل له : يا رسول الله ، ما حبسك ؟ قال : « ضمَّ سعد في القبر ضمَّة ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٢) في « المسند » (٦/ ٥٥) ، وهو حديث حسن .
(٣) يشير المؤلف إلى وجود اختلاف في إسناد الحديث على شعبته ، فإن غندراً ، وهو محمد بن جعفر من أوثق الناس في شعبته ، قد أبهم الراوي عن شعبة . وأما يحيى بن سعيد القطان فرواه عن شعبة ولم يذكر الواسطة بين نافع وشعبة . ورواه سبعة من أصحاب شعبة عنه عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن امرأة ابن عمر صفية عن عائشة فسموا هذا المبهم ، ورواية السبعة هذه هي التي صوَّبها الإمام الدارقطني في كتاب « العلل » (٥/ الورقة ١٠٨) (بشار) .
(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٩) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٣٠٨) وعزاه للبزار بإسنادين ، وقال : « ورجال أحدهما رجال الصحيح » .
(٥) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٨) .
(٦) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٧) .

فدعوت الله فكشف عنه » . قال البزّار : تفرّد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلّم فيه[١] .

وقد ذكر البيهقي[٢] ، رحمه الله ، بعد روايته ضمّة سعد ، رضي الله عنه ، في القبر ، أثراً غريباً فقال : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبّار ، حدَّثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني أُميَّة بن عبد الله أنّه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : « كان يقصِّر في بعض الطُّهور من البول » .

وقال البخاريُّ[٣] : حدَّثنا محمد بن المثنَّى ، حدَّثنا الفضل بن مساور ، حدَّثنا أبو عوانة عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال : سمعت النبيَّ ﷺ يقول : « اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ » .

وعن الأعمش[٤] ، حدَّثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبيِّ ﷺ مثله ، فقال رجل لجابر : فإن البراء بن عازب يقول : اهتزَّ السَّرير . فقال : إنَّه كان بين هذين الحيَّين ضغائن ، سمعت النبيَّ ﷺ يقول : « اهتزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » .

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس ، وابن ماجه ، عن عليِّ بن محمد ، عن أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر[٥] .

وقال أحمد[٦] : ثنا عبد الرزاق ، [عن] ابن جريج ، أخبرني أبو الزُّبير ، أنَّه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ [يقول] وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : « اهتزَّ لها عرش الرحمن » .

ورواه مسلم[٧] ، عن عبد بن حميد ، والتِّرمذيُّ ، عن محمود بن غيلان ، كلاهما عن عبد الرزاق ، به .

وقال الإمام أحمد[٨] : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا عوف ، ثنا أبو نضرة ، سمعت أبا سعيد ، عن النبيِّ ﷺ : « اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ » .

ورواه النسائيُّ[٩] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى ، به .

---

(١) هكذا قال ، وعطاء بن السائب ثقة ، لكنه اختلط ، ورواية محمد بن فضيل عنه بعد الاختلاط ، فانظر تحرير تقريب التهذيب (٣/ ١٤) (بشار) .

(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠) .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٨٠٣) .

(٤) القائل البخاري عطفاً على الرواية السابقة لها .

(٥) رواه مسلم رقم (٢٤٦٦) ، وابن ماجه رقم (١٥٨) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٥) .

(٧) رواه مسلم رقم (٢٤٦٦) ، والترمذي رقم (٣٨٤٨) .

(٨) في « المسند » (٣/ ٢٣) ، وهو حديث صحيح .

(٩) في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٢٥) ، وهو حديث صحيح .

وقال أحمد[١] : ثنا عبد الوهّاب ، عن سعيد ، قال قتادة : ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازته موضوعة : « اهتزَّ لها عرش الرحمن » .

ورواه مسلم[٢] عن محمد بن عبد الله الرُّزِّيِّ ، عن عبد الوهّاب ، به .

وقد روى البيهقيُّ[٣] من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصريِّ قال : اهتزَّ عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزّار[٤] : ثنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرَّزاق[٥] ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : [لما] حملت جنازة سعد قال المنافقون : ما أخفَّ جنازته . وذلك لحكمه في بني قريظة ، فسئل رسول الله ﷺ فقال : « لا ، ولكنَّ الملائكة كانت تحمله » . إسناد جيد .

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا محمد بن بشّار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : أُهديت للنبيِّ ﷺ حلَّة حرير ، فجعل أصحابه يمسُّونها ، ويعجبون من لينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ، لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين » .

ثم قال : رواه قتادة والزهريُّ ، سمعنا أنساً ، عن النبيِّ ﷺ .

وقال أحمد[٧] : ثنا عبد الوهّاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عَرُوبَة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنَّ أُكَيْدِر دُومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جُبَّة ، وذلك قبل أن ينهى عن الحرير ، فلبسها ، فعجب الناس منها ، فقال : « والذي نفس محمد بيده ، لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه » . وهذا إسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه ، وإنَّما ذكره البخاريُّ تعليقاً[٨] .

وقال أحمد[٩] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، حدَّثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ـ قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ـ قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنَّك بسعد لشبيه . ثم بكى وأكثر البكاء ،

---

(١) في « المسند » (٣/ ٢٣٤) .
(٢) رقم (٢٤٦٧) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٨) .
(٤) ورواه الترمذي أيضاً رقم (٣٨٤٩) وقال : حسن صحيح غريب ، وعبد بن حميد (١١٩٥) ، وابن حبان (٧٠٣٢) ، والطبراني في الكبير (٥٣٤٢) .
(٥) هو في مصنفه (٢٠٤١٤) .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٨٠٢) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٣٤) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٢٦١٦) .
(٩) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢١) .

وقال : رحمة الله على سعد ، كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدِر دُومة ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجُبَّة من ديباج ، منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فقام على المنبر ، أو جلس ، فلم يتكلَّم ، ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجُبَّة ، وينظرون إليها ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أحسن ممَّا ترون » .

وهكذا [رواه] الترمذيُّ والنَّسائيُّ[١] ، من حديث [محمد بن] عمرو به ، وقال الترمذيُّ : حسن صحيح .

قال ابن إسحاق[٢] ، بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ : وفي ذلك يقول رجل من الأنصار : [من الطويل]

وما اهتزَّ عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلَّا لسعدِ أبي عمرو

قال : وقالت أمُّه ـ يعني كُبيشةَ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدريَّة الخزرجيَّة ـ حين احتمل سعد على نعشه تندبه : [من مجزوء الرجز]

ويل امِّ سعد سعدا ... صرامة وحدّا
وسُؤدداً ومجدا ... وفارساً معدا
سدَّ به مسدا ... [يقدُّ هاماً قدّا]

قال : يقول رسول الله ﷺ : « كلُّ نائحة تكذب إلَّا نائحة سعد بن معاذ » .

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، وكان قدوم الأحزاب[٣] في شوَّال سنة خمس كما تقدَّم ، فأقاموا قريباً من شهر ، ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قُريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد ، فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجَّة من سنة خمس ، والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق[٤] : إنَّ فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجَّة . قال : وولي تلك الحجَّة المشركون .

قال ابن إسحاق[٥] : وقال حسَّان بن ثابت[٦] يرثي سعد بن معاذ ، رضي الله عنه : [من الطويل]

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٧٢٣) ، و« النسائي » رقم (٥٣١٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٣) في (ط) : « إذا كان قدوم الأحزاب » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٩) .
(٦) انظر « ديوانه » (١/ ٤١٥) .

لقد سَجَمَتْ[١] من دمع عينيَ عبرةٌ ... وحُقَّ لعيني أن تفيضَ على سعدِ
قتيلٌ ثوى في معركٍ فجعتْ بِهِ ... عيون ذواري الدمع دائمة الوَجدِ
على مِلَّةِ الرحمن وارث جَنَّةٍ ... مع الشُّهداء وَفْدُهَا أَكْرَمُ الوفدِ
فإن تك قد ودَّعتَنا وتركتنا[٢] ... وأمسيتَ في غبراءَ مظلمةِ اللَّحدِ
فأنت الذي يا سعد أُبت بمشهد ... كريم وأثواب المكارم والحمدِ
بحكمك في حيَّي قُريظة بالذي ... قضى الله فيهم ماقضيتَ على عمدِ
فوافق حكمَ الله حكمُكَ فيهمُ ... ولم تعفُ إذ ذكِّرت ما كان من عهدِ
فإن كان ريب الدَّهر أمضاك في الألى[٣] ... شَروا هذه الدنيا بجنَّاتها[٤] الخُلْدِ
فنعمَ مَصِيرُ الصَّادقين إذا دُعُوا ... إلى الله يوماً للوجاهةِ والقَصْدِ

***

فصل
فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قُرَيْظَةَ

قال البخاريُّ[٥] : ثنا حجَّاج بن منهال ، ثنا شعبة ، ثنا عديُّ بن ثابت ، أنه سمع البَرَاء بن عازب قال : قال النبيُّ ﷺ لحسَّان : « اهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك » .

قال البخاريُّ[٦] : وزاد إبراهيم بن طَهْمَان ، عن الشَّيبانيِّ ، عن عديِّ بن ثابت ، عن البَرَاء بن عازب قال : قال النبيُّ ﷺ يوم قُريظة لحسَّان بن ثابت : « اهج المشركين ، فإنَّ جبريل معك » .

وقد رواه البخاريُّ أيضاً ، ومسلم والنَّسائيُّ[٧] ، من طرق ، عن شعبة ، بدون الزيادة التي ذكرها البخاريُّ يوم بني قُريظة .

قال ابن إسحاق[٨] ، رحمه الله : وقال ضرار بن الخَطَّاب بن مرداس ، أخو بني مُحَارب بن فهر في يوم الخندق ـ قلت : وذلك قبل إسلامه ـ : [من الوافر]

---

(١) « الديوان » : « سفحت » .
(٢) « الديوان » : « عن مودة » .
(٣) « الديوان » : « في الأولى » .
(٤) في « الديوان » : « بجناته » .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٢٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٢٤) .
(٧) رواه البخاري رقم (٦١٥٣) ، ومسلم رقم (٢٤٨٦) ، و« النسائي » رقم (٦٠٢٤) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .

ومشفقـةٍ تظـنُّ بنـا الظُّنـونـا ... وقـد قُـدنـا عَـرنـدسـةً طَحُـونَـا
كـأنَّ زُهـاءهـا أُحُـدٌ إذا مـا ... بـدت أركـانُـه للنـاظـرينَـا
تـرى الأبـدان فيهـا مُسبِغـات ... علـى الأبطـال واليَلَـبَ الحصينَـا
وجُـرداً[١] كـالقـداح مسوَّمـات ... نـؤمُّ بهـا الغُـواة الخـاطئينَـا
كـأنَّهـمُ إذا صـالـوا وصلنـا ... ببـاب الخنـدقيـن مصـافحـونَـا
أُنـاس لا نـرى فيهـم رشيـداً ... وقـد قـالـوا ألسنـا راشـدينَـا
فـأحجـرنـاهـمُ شهـراً كـريتـاً[٢] ... وكنَّـا فـوقهـم كـالقـاهـرينَـا
نـراوحهـم ونغـدو كـلَّ يـوم ... عليهـم فـي السِّـلاح مـدجَّجينَـا
بـأيـدينـا صـوارم مُـرهفـات ... نقـدُّ بهـا المفـارق والشُّـؤونَـا
كـأنَّ وميضهـنَّ معـرَّيـاتٍ ... إذا لاحـت بـأيـدي مصلِتينَـا
وميـض عقيقـة لَمعـت بليـلٍ ... تـرى فيهـا العقـائـق مستبينَـا
فلـولا خنـدقٌ كـانـوا لـديـه ... لـدمَّـرنـا عليهـم أجمعينَـا
ولكـن حـال دونهـمُ وكـانـوا ... بـه مـن خـوفنـا متعـوِّذينـا
فـإن نـرحـل فـإنَّـا قـد تـركنـا ... لـدى أبيـاتكـم سعـداً رهينـا
إذا جـنَّ الظَّـلام سمعـت نَـوْحَـى ... علـى سعـد يـرجِّعـن الحنينـا
وسـوف نـزوركـم عمَّـا قـريـبٍ ... كمـا زرنـاكـم متـوازرينَـا
بجمـع مـن كنـانـة غيـر عُـزْلٍ ... كـأُسـد الغـاب إذ حَمَـتِ العـرينَـا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة ، رضي الله عنه[٣] ، فقال : [من الوافر]

وسـائلـةٍ تُسـائـل مـا لقينـا ... ولـو شهـدت رأتنـا صـابـرينَـا
صبـرنـا لا نـرى لله عِـدلاً ... علـى مـا نـابنـا متـوكِّلينَـا
وكـان لنـا النَّبـيُّ وزيـرَ صـدقٍ ... بـه نعلـو البـريَّـة أجمعينَـا
نقـاتـل معشـراً ظلمـوا وعقُّـوا ... وكـانـوا بـالعـداوة مُـرصـدينَـا
نعـاجلهـم إذا نهضـوا إلينـا ... بضـرب يُعْجِـلُ المُتَسـرِّعينَـا
تـرانـا فـي فضـافضَ سـابغـات ... كغـدران المَـلاَ متسـربلينَـا
وفـي أيمـاننـا بيـض خِفَـافٌ ... بهـا نشفـي مـراح الشـاغبينَـا
ببـاب الخنـدقيـن كـأنَّ أُسـداً ... شـوابكهـنَّ يحميـن العـرينَـا

---

(١) في (آ) : « وخوداً » وأثبت لفظ (ط) ، و« السيرة النبوية » لابن هشام ، والجرد : الخيل العتاق .
(٢) الكريت : التام الكامل .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص (٢١٥) .

فـوارسنـا إذا بكـروا وراحـوا — علـى الأعـداء شـوسـاً معلِمينَـا
لننصـر أحمـداً والله حتـى — نكـون عبـاد صـدق مخلصينَـا
ويعلـم أهـل مكّـة حيـن سـاروا — وأحـزابٌ أتـوا متحـزِّبينَـا
بـأنَّ الله ليـس لـه شـريـك — وأنَّ الله مـولـى المـؤمنينَـا
فـإمـا تقتلـوا سعـداً سَفـاهـاً — فـإنّ الله خيـر القـادرينَـا
سيـدخلـه جنـانـاً طيِّبـات — تكـون مُقـامـة للصَّـالحينَـا
كمـا قـد ردَّكـم فـلاً شـريـداً — بغيظكـمُ خـزايـا خـائبينَـا
خـزايـا لـم تنـالـوا ثَـمَّ خيـراً — وكـدتـم أن تكـونـوا دامـرينَـا
بـريـح عـاصـف هبَّـت عليكـم — فكنتـم تحتهـا متكمِّهينَـا

قال ابن إسحاق[١] : وقال عبد الله بن الزِّبعرى السَّهميُّ[٢] في يوم الخندق ـ قلت : وذلك قبل أن يُسْلِم ـ : [من الكامل]

حيِّ الـدِّيـار محَـا معـارف رسمهـا — طـولُ البلـى وتـراوح الأحقـابِ
فكـأنمـا كتـب اليهـودُ رسـومهـا — إلا الكنيـف ومعقـد الأطنـابِ
قفـراً كـأنَّـك لـم تكـن تلهـو بهـا — فـي نعمـة بـأوانـس أتـرابِ
فـاترك تـذكُّر مـا مضـى مـن عيشـة — ومحلَّـة خلَـق المقـام يبـابِ
واذكـر بـلاء معـاشـر واشكـرهـمُ — سـاروا بـأجمعـه مـن الأنصـابِ
أنصـابِ مَكّـة عـامـديـن ليثـربِ — في ذي غياطل جحفل جبجابِ[٣]
يـدَع الحُـزونَ[٤] منـاهجـاً معلـومـة — فـي كـلِّ نشـز ظـاهـر وشعـابِ
فيهـا الجيـاد شـوازب مجنـوبـة[٥] — قـبُّ البطـون لـواحـق الأقـرابِ
مـن كـلِّ سَلهبـة[٦] وأجـرد سلهـب — كـالسِّيـد بـادر غفلـة الـرُّقَّـابِ
جيـشٌ عيينـةُ قـاصـد بِلـوائـه — فيـه وصخـر قـائـد الأحـزابِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٧) .
(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزّبعرى » ص(٢٩) جمع وتقديم الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، مع بعض الخلاف اليسير .
(٣) « الجبجاب » : الكثير .
(٤) « الحزون » : جمع حزن ، وهو ما ارتفع من الأرض ، « والمناهج » :جمع منهج ، وهو الطريق الواضح « والنشز » : المرتفع من الأرض .
(٥) أي مقودة ، والشوازب والقب واللواحق كلها بمعنى ضامرات ، والأقراب جمع قرب ، وهو الحاصرة .
(٦) « السلهبة » : الطويل ، « والسِّيد » : الذئب .

قرمان[١] كالبدرين أصبح فيهما ... غيث الفقير ومعقل الهرَّابِ
حتَّى إذا وردوا المدينة وارتدوا ... للموت كلَّ مجرَّب قضَّابِ
شهراً وعشراً قاهرين محمداً ... وصحابه في الحرب خير صحابِ
نادوا برحلتهم صبيحة قلتمُ ... كدنا نكون بها مع الخيَّابِ
لولا الخنادق غادروا من جمعهم ... قتلى لطيرٍ سُغَّبٍ وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت[٢] ، رضي الله عنه ، فقال : [من الكامل]

هل رسمُ دارسةِ المقام يباب ... متكلِّم لمحاور بجوابِ
قفرٌ عفا رِهَم السَّحاب رُسومه ... وهبوب كلِّ مُطلَّة مربابِ[٣]
ولقد رأيت بها الحلول يزينُهُمْ ... بيض الوجوه ثواقب الأحسابِ
فدع الدِّيار وذكر كلِّ خريدة ... بيضاء آنسة الحديث كَعابِ
واشك الهموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظلموا الرسول غضابِ
ساروا بجمعهمُ إليه وألَّبوا ... أهل القرى وبوادي الأعرابِ
جيشٌ عيينة وابن حرب فيهمُ ... متخمِّطون[٤] بحلبة الأحزابِ
حتى إذا وردوا المدينة وارتجَوا ... قتل الرسول ومغنم الأسلابِ
وغدوا علينا قادرين بأيدهم[٥] ... رُدُّوا بغيظهمُ على الأعقابِ
بهبوب معصفة تفرِّق جمعهم ... وجنود ربِّك سيد الأربابِ
فكفى الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم في الأجر خير ثوابِ
من بعد ما قنطوا ففرَّق جمعهم ... تنزيل نصر مليكنا الوهَّابِ
وأقرَّ عين محمد وصحابه ... وأذلَّ كلَّ مكذِّب مرتابِ
عاتي الفؤاد موقَّع[٦] ذي ريبة ... في الكفر ليس بطاهر الأثوابِ
علِق الشقاءُ بقلبه ففؤاده ... في الكفر آخر هذه الأحقابِ

قال : وأجابه كعب بن مالك[٧] ، رضي الله عنه ، أيضاً فقال : [من الكامل]

أبقى لنا حدَث الحروب بقيَّة ... من خير نِحلة ربِّنا الوهَّابِ

---

(١) القرم : السيد .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٨٠) .
(٣) الدائمة الثابتة ، والرِّهم : جمع رِهمة ، وهو المطر .
(٤) أي مختلطون .
(٥) الأيد : القوة .
(٦) أي : ذو عيب .
(٧) الأبيات في « ديوانه » ص (١٥١) .

بيضاء مشرفة الذُّرى ومعاطناً	حمّ الجذوع غزيرة الأحلابِ
كاللُّوب يُبذَلُ جمُّها وحفيلها	للجار وابن العمِّ والمنتابِ
ونزائعاً[١] مثل السِّراح نمى بها	علف الشَّعير وجزَّة المقضابِ
عري الشَّوى منها وأردف نحضها	جرد المتون وسائر الآرابِ
قوداً تراحُ إلى الصِّياح إذا غدت	فعل الضِّراء تراح للكَلاَّبِ[٢]
وتحوط سائمة الديار وتارة	تُردي العدا وتؤوب بالأسلابِ
حوشَ الوحوش مُطارة عند الوغى	عبس اللِّقاء مبينة الإنجابِ
علفت على دعة فصارت بُدَّناً	دُخس[٣] البضيع خفيفة الأقصابِ
يغدون بالزَّغف المضاعف شكُّه	وبمترصاتٍ في الثِّقاف صيابِ
وصوارمٍ نزع الصَّياقل علْبها[٤]	وبكلِّ أروع ماجد الأنسابِ
يصل اليمين بمارن متقارب	وُكلت وقيعته إلى خبَّابِ
وأغرَّ أزرق في القناة كأنَّه	في طُخية[٥] الظَّلماء ضوءُ شهابِ
وكتيبة ينفي القِرانَ قتيرُها	وتردُّ حدَّ قواحز[٦] النُّشَّابِ
جأوى[٧] ململمة كأنَّ رماحها	في كلِّ مجمعة ضريمة غابِ
تأوى إلى ظلِّ اللِّواء كأنَّه	في صعدة الخطِّيِّ فيء عقابِ
أعيت أبا كرِب وأعيت تبَّعاً	وأبت بسالتها على الأعرابِ
ومواعظ من ربِّنا نُهدى بها	بلسان أزهر طيِّب الأثوابِ
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها	من بعد ما عرضت على الأحزابِ
حِكماً يراها المجرمون بزعمهم	حرجاً ويفهمها ذوو الألبابِ
جاءت سخينة كي تغالب ربَّها	فليغلبنَّ مغالب الغلاَّبِ

قال ابن هشام[٨] : حدَّثني من أثق به ، حدَّثني عبد الملك بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله ﷺ قال له لمَّا سمع منه هذا البيت : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

---

(١) النزائع : الخيل العربية التي نزعت من الأعداء . والسِّراح ، جمع سرحان ، وهو الذئب .
(٢) الكلاب : الصائد صاحب الكلاب .
(٣) كثيرة اللحم .
(٤) أي : صلابتها .
(٥) الطخية : شدة السواد .
(٦) قواحز النشاب : أي السهام المرتفعة .
(٧) الجأواء : التي يخالط سوادها حمرة .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦١) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك » ص(١٩٤ ـ ١٩٧) .

قلت : ومراده بسخينة : قريش ، وإنما كانت العرب تسمِّيهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السُّخن ، الذي لا يتهيَّأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[١] : وقال كعب بن مالك أيضاً : [من الكامل]

من سرَّه ضرب يمعمع[٢] بعضه	بعضاً كمعمعة الأَباء[٣] المحرَقِ
فليأت مأسدة تسنُّ سيوفها	بين المذاد وبين جزع الخندقِ
دربوا بضرب المعلِمين وأسلموا	مهجات أنفسهم لربِّ المشرقِ
في عصبة نصر الإله نبيَّه	بهمُ وكان بعبده ذا مرفقِ
في كلِّ سابغة يحطُّ فضولها	كالنِّهي[٤] هبَّت ريحه المترقرقِ
بيضاءَ محكمة كأنَّ قتيرها	حدق الجنادب[٥] ذات شكٍّ موثقِ
جدلاء يحفزها نجاد مهنَّد	صافي الحديدة صارم ذي رونقِ
تلكم مع التَّقوى تكون لباسنا	يوم الهياج وكلَّ ساعة مصدقِ
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا	قدماً ونُلحقها إذا لم تلحقِ
فترى الجماجم ضاحياً هاماتها	بَلْهَ الأكفِّ كأنها لم تُخلقِ
نلقى العدوَّ بفخمة ملمومة	تنفي الجموع كقصد رأس المُشرقِ
ونعدُّ للأعداء كلَّ مقلَّص	وَرْدٍ ومحجول القوائم أبلقِ
تردي بفرسان كأنَّ كماتهم	عند الهياج أسود طلٍّ مُلْثِقِ
صدق يعاطون الكماة حتوفهم	تحت العماية بالوشيج المزهقِ
أمر الإله بربطها لعدوِّه	في الحرب إن الله خير موفِّقِ
لتكون غيظاً للعدوِّ وحُيَّطاً	للدار إن دلفت خيول النزَّقِ
ويعيننا الله العزيز بقوة	منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيع أمر نبيِّنا ونجيبه	وإذا دعا لكريهة لم نُسبقِ
ومتى يناد إلى الشدائد نأتها	ومتى نر الحومات فيها نعنقِ
من يتَّبع قول النبيِّ فإنه	فينا مطاع الأمر حقُّ مصدَّقِ
فبذاك ينصرنا ويظهر عزَّنا	ويصيبنا من نيل ذاك بمرفقِ
إن الذين يكذِّبون محمداً	كفروا وضلُّوا عن سبيل المتَّقي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦١) .

(٢) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها .

(٣) الأباء واحدتها أباءة وهي القصبة .

(٤) النهي : الغدير من الماء .

(٥) الجنادب : الجراد .

قال ابن إسحاق[١] : وقال كعب بن مالك[٢] أيضاً : [من الطويل]

لقد علم الأحزاب حين تألَّبوا ... علينا وراموا ديننا ما نُوادعُ
أضاميم من قيس بن عيلان أصْفَقَتْ ... وخندف لم يدروا بما هو واقعُ
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمن راءٍ وسامعُ
إذا غايظونا في مقام أعاننا ... على غيظهم نصر من الله واسعُ
وذلك حفظ الله فينا وفضله ... علينا ومن لم يحفظ الله ضائعُ
هدانا لدين الحقِّ واختاره لنا ... ولله فوق الصانعين صنائعُ

قال ابن هشام[٣] : وهذه الأبيات في قصيدة له . يعني طويلة .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال حَسَّان بن ثابت[٥] في مقتل بني قُريظة : [من الوافر]

لقد لقيت قريظة ما سآها ... وما وجدت لذلٍّ من نصيرِ
أصابهمُ بلاء كان فيه ... سوى ما قد أصاب بني النَّضيرِ
غداة أتاهمُ يهوي إليهم ... رسول الله كالقمر المنيرِ
له خيل مجنَّبة تعادى ... بفرسان عليها كالصقورِ
تركناهم وما ظفروا بشيء ... دماؤهمُ عليها كالعبيرِ
فهم صرعى تحوم الطير فيهم ... كذاك يُدان ذو العند الفجورِ
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً ... من الرحمن إن قبلت نذيري

قال : وقال حسَّان بن ثابت[٦] أيضاً في بني قريظة : [من الوافر]

تفاقد معشر نصروا قريشاً ... وليس لهم ببلدتهم نصيرُ
همُ أوتوا الكتاب فضيَّعوه ... وهم عمي من التوراة بورُ
كفرتم بالقُرانِ وقد أتيتم ... بتصديق الذي قال النذيرُ
فهان على سراة بني لؤيّ ... حريق بالبويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال : [من الوافر]

أدام الله ذلك من صنيعٍ ... وحرَّق في طوائفها السعيرُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص (١٨٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧١) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٢٨) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢١٠) .

ستعلـــم أيُّنـــا منهـــا بنُـــزه وتعلـــم أيَّ أرْضَينـــا تضيـــرُ
فلـــو كـــان النَّخيـــل بهـــا ركـابـاً لقـــالـــوا لا مقـــام لكـــم فسيـــروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدَّم في « صحيح البخاريِّ » بعض هذه الأبيات .

وذكر ابن إسحاق[١] جواب حسَّان في ذلك لجبل بن جوَّال الثعلبيِّ ، تركناه قصداً .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال حَسَّان بن ثابت[٣] أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قُريظة :

[من الطويل]

ألا يـا لقـومـي هـل لمـا حـمَّ دافـع وهل ما مضى من صالح العيش راجعُ
تذكَّرت عصراً قد مضى فتهافتت بنات الحشا وانهلَّ مني المدامعُ
صبـابـة وجـد ذكَّـرتنـيَ إخـوةً وقتلـى مضـى فيهـا طفيـل ورافـع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت منـازلهـم فـالأرض منهـم بـلاقـعُ
وفَـوا يـوم بـدر للـرسـول وفـوقهـم ظـلال المنـايـا والسيـوف اللَّـوامـعُ
دعـا فـأجـابـوهُ بحـقٍّ وكلُّهـم مطيـع لـه فـي كـلِّ أمـر وسـامـعُ
فمـا نكلـوا حتـى تـوالَـوا جمـاعـة ولا يقطـع الآجـال إلّا المصـارعُ
لأنهـمُ يـرجـون منـه شفـاعـة إذا لـم يكـن إلا النبيـون شـافـعُ
فـذلـك يـا خيـر العبـاد بـلاؤنـا إجـابتنـا لله والمـوتُ نـاقـعُ
لنـا القـدم الأولـى إليـك وخلفنـا لأولنـــا فـــي ملـــة الله تـــابـــعُ
ونعلـــم أن الملـــك لله وحـــده وأن قضـــاء الله لا بـــد واقـــعُ

***

مقتل أبي رَافِعٍ سَلّام بن أبي الحُقَيق اليهودي
لعنه الله

وكان في قصر له في أرض خيبر ، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز[٤]

قال ابن إسحاق[٥] : ولما انقضى شأن الخندق وأمرُ بني قريظة ، وكان سلاَّم بن أبي الحُقَيق ـ وهو

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٠) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٦٧) مع بعض الخلاف .
(٤) مكان هذه الفقرة كاملة في (ط) : « مقتل أبي رافع اليهودي » فقط .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٣) .

أبو رافع ـ فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلاّم بن أبي الحُقيق وهو بخيبر ، فأذن لهم .

قال ابن إسحاق[١] : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله [بن كعب] بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار ؛ [الأوس] والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول [الفحلين] ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا مَن رجل لرسول الله ﷺ في العداوة [كابن الأشرف] ، فذكروا ابن أبي الحُقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر ، عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعيّ ، وخزاعيُّ بن أسود ، حليف لهم من أسلم ، فخرجوا ، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا ، حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحُقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلَّا أغلقوه على أهله . قال : وكان في علِّيَّة ، له إليها عجلة . قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أُناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . قال : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة ؛ تخوُّفاً أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، فنوَّهت بنا ، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلُّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قُبطيَّة ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفُّ يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني . أي حسبي حسبي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيِّئ البصر . قال : فوقع من الدَّرجة ، فوثئت يده وثئاً شديداً ، وحملناه حتى نأتيَ به منهراً من عيونهم فندخل فيه ، فأوقدوا النيران ، واشتدُّوا في كلِّ وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدوَّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال يهود حوله ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدِّثهم وتقول : أما سمعت صوت ابن عتيك ثم أَكْذَبْتُ [نفسي] وقلت : أنَّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أكبَّت عليه تنظر في وجهه ، فقالت : فاظ وإله يهود . فما سمعت كلمة كانت ألذَّ على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر ، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ ، فأخبرناه بقتل عدوِّ الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلُّنا يدَّعيه . قال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٣) .

فقال : « هاتوا أسيافكم » . فجئنا بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : « هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام » . قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت[1] في ذلك : [من الكامل]

لله درُّ عِصـــابـــة لاقيتُهُـــمْ ... يابن الحُقَيق وأنت يا بن الأشرف
يَسْـرُون بـالبيـض الخِفـاف إليكـمُ ... مُـرحـاً كـأُسـد فـي عـريـن مُغـرف
حتـى أتَـوكـم فـي محـلٍّ بـلادكـم ... فسقَـوكُـم حتفـاً ببيـضٍ ذُفَّـف
مستبصـريـن لنصـر ديـن [نبيِّهـم] ... مستصغـريـن لكـلِّ أمـر مُجحـف

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاريّ[2] : ثنا إسحاق بن نصر ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبيُّ ﷺ رهطاً إلى أبي رافع ، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله .

ثم قال البخاريّ[3] : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهوديِّ رجالاً من الأنصار ، وأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلمَّا دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فإني منطلق ومتلطِّف للبوَّاب ؛ لعلِّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس ، فهتف به البوَّاب : يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت ، فلمَّا دخل الناس أغلق الباب ، ثم علَّق الأغاليق على وَدٍّ . قال : فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسمَر عنده ، وكان في علاليَّ له ، فلمَّا ذهب عنه أهل سمره ، صَعِدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل ، فقلت : إنِ القوم نذِروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله . فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت ، فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأُمِّك الويل ، إنَّ رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه ، حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢/ ٢١١) ، وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر (٢/ ١٨٠) بتحقيقي بالاشتراك مع الأساتذة : د . حسام الدين فرفور ، رياض عبد الحميد مراد ، د . نزار أباظة ، بإشراف أستاذنا العلاّمة الدكتور شاكر الفحّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٣٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٣٩) .

الأبواب باباً باباً ، حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي ، وأنا أُرى أني قد انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلمَّا صاح الديك ، قام الناعي على السُّور فقال : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز . فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النَّجاء ، فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبيِّ ﷺ فحدَّثته ، فقال لي : « ابسط رِجلك » . فبسطت رجلي فمسحها ، فكأنما لم أشتكها قطُّ .

ثم قال البخاريُّ[١] : ثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأوديُّ ، ثنا شريح ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم ، فانطلقوا حتى دنَوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر. قال: فتلطَّفت حتى أدخل الحصن، ففقدوا حماراً لهم، فخرجوا بقبس يطلبونه . قال : فخشيت أن أُعرف . قال : فغطَّيت رأسي ، وجلست كأني أقضي حاجة ، فقال البواب : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أُغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن ، فتعشَّوا عند أبي رافع ، وتحدَّثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم ، فلمَّا هدأت الأصوات ولا أسمع حركة ، خرجت . قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوَّة ، فأخذتُه ففتحت به باب الحصن . قال : قلت : إن نذِر بي القوم انطلقت على مَهَل ، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلَّقتها عليهم من ظاهر ، ثم صعِدت إلى أبي رافع في سلَّم ، فإذا البيت مظلم ، قد طفىء سراجه ، فلم أدر أين الرجل ؟ فقلت : أبا رافع . قال : من هذا؟ قال: فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح ، فلم تغن شيئاً . قال : ثم جئت كأني أُغيثه ، فقلت: ما لك أبا رافع ؟ وغيَّرت صوتي . قال : ألا أُعجبك ، لأُمِّك الويل ، دخل عليَّ رجل فضربني بالسيف . قال : فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً ، فصاح وقام أهله ، ثم جئت وغيَّرت صوتي كهيئة المغيث ، فإذا هو مستلق على ظهره ، فأضع السيف في بطنه ثم أنكفىء عليه ، حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً ، حتى أتيت السُّلَّم أريد أن أنزل ، فأسقط منه فانخلعت رِجلي ، فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل ، فقلت : انطلقوا فبشِّروا رسول الله ﷺ ، فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلمَّا كان في وجه الصبح صعِد الناعية فقال : أنعى أبا رافع . قال : فقمت أمشي ما بي قلَبة ، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشَّرته . تفرد به البخاريّ بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة ، انفكَّت قدمه ، وانكسرت ساقه ، ووثئت رِجله ويده ، فلمَّا عصبها استكنَّ ما به ؛ لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك ؛ لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرَّت نفسه ، ثاوره الوجع في

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٤٠) .

رجله ، فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ، ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ، ولم يبق بها وجع يتوقَّع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدَّمت ، والله أعلم .

هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[١] مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمَّى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق ، وإبراهيم ، وأبو عُبيد .

ثم قال : قال الزُّهريُّ : قال ابن كعب[٢] : فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر ، فقال : « أفلحت الوجوه » قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ، قال : « أفتكتموه ؟ » قالوا : نعم ، قال : « ناولني السّيف » فسلَّه فقال : « أجل هذا طعامه في ذُباب السيف » .

* * *

مقتل خالد بن سُفْيَان بن نُبَيح الهُذَلي[٣]

ذكره الحافظ البيهقيُّ في « الدلائل »[٤] تِلو مقتل أبي رافع .

قال الإمام أحمد[٥] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أُنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبيح الهُذَليَّ يجمع لي الناس ليغزوني ، وهو بعُرَنَة[٦] ، فأْته فاقتله » . قال : قلت : يا رسول الله ، انعته لي حتى أعرفه . قال : « إذا رأيته وجدت له قُشعريرة » . قال : فخرجت متوشِّحاً سيفي حتى وقعت عليه ، وهو بعُرَنَةَ مع ظُعُنٍ يرتاد لهنّ منزلًا ، حين[٧] كان وقت العصر ، فلمَّا رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القُشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة ، فصلَّيت وأنا أمشي نحوه ؛ أومىء برأسي للركوع والسجود ، فلمَّا انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إنّا في ذلك . قال : فمشَيت معه شيئاً ، حتى إذ أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُكبَّات عليه ، فلمَّا قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال : « أفلح الوجه » . قال : قلت : قتلته يا رسول الله .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨) .
(٢) في (آ) و(ط) : « أُبي بن كعب » .
(٣) انظر « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ٢١٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٩٦) ، وفي إسناده ضعف .
(٦) قال ياقوت : عُرَنَةُ : بوزن هُمزة وضُحكة وهو الذي يضحك من الناس فيكون في القياس الكثير . . . واد بحذاء عرفات ، . . . وقيل مسجد عرفة والمسيل كله . عن « معجم البلدان » (٤/ ١١١) .
(٧) في (آ) و(ط) : « وحين » والتصحيح من « دلائل النبوة » للبيهقي مصدر المؤلف .

قال : « صدقت » . قال : ثم قام معي رسول الله ﷺ ، فدخل في بيته فأعطاني عصاً فقال : « أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس » . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ماهذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : « آية بيني وبينك يوم القيامة ، إنَّ أقلَّ الناس المتخصِّرون يومئذ » . قال : فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه ، حتى إذا مات أُمر بها فضمَّت في كفنه ، ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد(١) ، عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر [بن الزُّبير] ، عن بعض ولد عبد الله بن أُنيس ـ أو قال : عن عبد الله بن عبد الله بن أُنيس ـ عن عبد الله بن أُنيس ، فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود(٢) ، عن أبي معمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن ابن عبد الله بن أُنيس ، عن أبيه ، فذكر نحوه .

ورواه الحافظ البيهقيُّ(٣) ، من طريق محمد بن سلمة(٤) ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه فذكره .

وقد ذكر نحوه عُروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة في « مغازيهما » مرسلة ، فالله أعلم .

قال ابن هشام(٥) : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سُفيان : [من الطويل]

تَرَكْتُ ابن ثَورٍ كالحُوار وحولَهُ	نوائحُ تَفْرِي كلَّ جَيب مقدَّدِ
تناولتُه والظُّعن خلفي وخلفَه	بأبيض من ماء الحديد مُهَنَّدِ
عَجُوم لهام الدَّارعين كأنه	شهاب غضىً من مُلهب متوقِّدِ
أقولُ له والسَّيفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ	أنا ابنُ أُنيسٍ فارساً غير قُعدُدِ
أنا ابنُ الذي لم يُنْزِلِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ	رحيبُ فناءِ الدَّارِ غيرُ مزنَّد
وقلت له خُذْهَا بضربة ماجدٍ	حنيفٍ على دين النبيِّ محمدِ
وكنتُ إذا هَمَّ النَّبيُّ بكافرٍ	سَبَقْتُ إليه باللِّسان وباليدِ

قلت : عبد الله بن أُنيس بن أسعد بن حرام ، أبو يحيى الجُهَنيُّ ، صحابيٌّ مشهور كبير القدر ، كان

---

(١) في « المسند » (٣/ ٤٩٦) ، وفي إسناده ضعف .
(٢) في « سننه » رقم (١٢٤٩) ، وفي إسناده ضعف .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤٢) .
(٤) في (آ) : « من طريق محمد بن مسلمة » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٠) .

فيمن شهد العقبة ، وشهد أُحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخَّر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور ، وقيل : توفِّي سنة أربع وخمسين[(١)] ، والله أعلم .

وقد فرَّق عليُّ بن المدينيِّ ، وخليفة بن خيَّاط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاريِّ[(٢)] ، الذي روى عن النبيِّ ﷺ أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء ، فخنث فمها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذيُّ[(٣)] ، من طريق عبد الله العمريِّ ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . ثم قال الترمذيُّ : وليس إسناده يصحُّ ، وعبد الله العمريُّ ضعيف من قبل حفظه .

***

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي وإسلامه[(٤)]

قال محمد بن إسحاق[(٥)] ، بعد مقتل أبي رافع : وحدَّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد[(٦)] مولى حبيب بن أبي أوس الثَّقفيِّ ، عن حبيب بن أبي أوس ، حدَّثني عمرو بن العاص ، مِن فيه ، قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالًا من قريش كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشيِّ فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشيِّ ، فإنّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن مَن قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إنّ هذا لرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نُهدي له . وكان أحبَّ ما يهدى إليه من أرضنا الأَدَمُ[(٧)] ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده ، إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمريُّ ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُمية ، لو قد دخلتُ على النجاشيِّ فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي ، هل أهديت لي من بلادك

---

(١) وقال ابن حجر العسقلاني : « ومات بالشام في خلافة معاوية ، سنة أربع وخمسين ، ووهم من قال سنة ثمانين » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ١٩٢) .

(٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ١٩٢) .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٧٢١) ، والترمذي رقم (١٨٩١) .

(٤) لفظ « وإسلامه » لم يرد في (ط) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٦) .

(٦) في (آ) : « وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي حبيب ، عن راشد . . . » وهو وهم من ناسخها ، والله أعلم ، وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ، طبع دار ابن كثير .

(٧) الأدم : الجلد .

شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيُّها الملك ، قد أهديت لك أَدَماً كثيراً . قال : ثم قرَّبتُه إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيُّها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ؛ فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ثم مدَّ يده ، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقَّت الأرض لدخلت فيها فرَقاً منه . ثم قلت له : أيُّها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟! قال : قلت : أيُّها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو! أطعني واتَّبعه ، فإنَّه والله لعلى الحقِّ ، وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى بن عِمْرَان على فرعون وجنوده . قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام المِيسم ، وإنَّ الرجل لنبيّ ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على النبيِّ ﷺ ، فتقدَّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخَّر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو ، بايع فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها » . قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق[١] : وقد حدَّثني من لا أتَّهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهميُّ[٢] : [من الطويل]

أَنْشُدُ عُثمان بن طلحة حِلْفَنَا ... ومُلقى نِعَال القومِ عند المُقَبَّلِ
وما عَقَدَ الآباءُ من كلِّ حِلفة ... وما خالدٌ من مثلها بمحلَّلِ
أمفتاحَ بيتٍ غير بيتكَ تبتغي ... وما يبتغى من مَجْدِ بيتٍ مؤثَّلِ
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه ... وعثمان جاءا بالدُّهيم المعضَّلِ

قلت : كان إسلامهم بعد الحُديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين ، كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله تعالى ؛ لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشيِّ كان بعد وقعة الخندق ، والظاهر أنه ذهب في بقيَّة سنة خمس ، والله أعلم .

* * *

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٨) .
(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزبعرى » ص(٤٤) .

فصل
في تزويج النَّبيِّ ﷺ بأُم حَبيبة بنت أبي سُفْيَان[١]

ذكر البيهقيُّ[٢] بعد وقعة الخندق من طريق الكلبيِّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة : ٧] . قال : هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أمَّ المؤمنين ، وصار معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقيُّ[٣] : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، ثنا علي بن عيسى[٤] ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا يحيى بن عبد الحميد ، أنبأ ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزُّهريِّ ، عن عُرْوَة ، عن أُمِّ حبيبة ، أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشيِّ فمات ، وأن رسول الله ﷺ تزوَّج بأُمِّ حبيبة وهي بأرض الحبشة ، وزوَّجها إيّاه النجاشيُّ ، ومَهَرَهَا أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهَّزها من عنده ، وما بعث إليها رسول الله ﷺ بشيء . قال : وكان مهور أزواج النبيِّ ﷺ أربعمئة .

قلت : الصحيح أن مهور أزواج النبيِّ ﷺ كانت ثنتي عشرة أوقيَّة ونشّاً ، والأوقيَّة أربعون درهماً ، والنَّشُّ : النصف ، وذلك يعدل خمسمئة درهم .

ثم روى البيهقيُّ[٥] ، من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً ، فَخَلَفَ على زوجته أُمِّ حبيبة رسول الله ﷺ ، زوَّجها منه عثمان بن عَفَّان ، رضي الله عنه .

قلت : أمّا تنصُّر عبيد الله بن جَحْش فقد تقدَّم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة ؛ استزلَّه الشيطان فزيَّن له دين النَّصارى ، فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله ، وكان يلقى المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم[٦] . وقد تقدَّم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عُروة : إنَّ عثمان زوَّجها منه فغريب ؛ لأن عثمان كان قد رجع إلى مَكَّة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رُقيَّة كما تقدَّم ، والله أعلم .

---

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٥) بتحقيقي ، وقوله : « بنت أبي سفيان » لم يرد في (ط) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٥٩) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٠) .
(٤) سقط من (ط) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٠) وهي رواية ضعيفة لضعف ابن لهيعة .
(٦) أي : أبصرنا أمرنا ولم تبصروا أمركم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٣٠) .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عَمِّها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أَصْحَمَة النجاشيُّ ملك الحبشة ، كما قال يونس ، عن محمد بن إسحاق : حدَّثني أبو جعفر محمد بن عليِّ بن الحسين قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أُميَّة الضَّمريَّ إلى النجاشيِّ ، فزوَّجه أمَّ حَبيبة بنت أبي سفيان ، وساق عنه أربعمئة دينار .

وقال الزُّبير بن بكَّار[١] : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشيِّ جارية يقال لها : أَبرهة . كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فاستأذنت عليَّ فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أُزوِّجكِه . فقلت : بشَّرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك : وكِّلي من يزوِّجك . قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص ، فوكَّلته ، وأَعطيت أَبرهة سوارين من فضَّة ، وخدمتين[٢] من فضة كانتا عليَّ ، وخواتيم من فضة كانت في كلِّ أصابع رجليَّ ؛ سروراً بما بشَّرتني به ، فلما أن كان من العشيِّ أمر النجاشيُّ جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشيُّ وقال : الحمد لله ، الملك القدُّوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشَّر به عيسى ابن مريم ، أمَّا بعد ، فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلَّم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله ، أحمده وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون ، أمّا بعد ، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوَّجته أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ﷺ . ودفع النجاشيُّ الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال : اجلسوا ، فإن من سنة الأنبياء إذا تزوَّجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرَّقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أُمية خارجاً من عند النجاشيِّ بعد الخندق إنما كان في قضية أُمِّ حبيبة ، فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه ، عليه السلام ، بأُمِّ حبيبة كان في سنة ستّ ، وأن تزويجه بأُمِّ سلمة كان في سنة أربع .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦١) .
(٢) أي : خلخالين .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٢) .

قلت : وكذا قال خليفة ، وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى ، وابن البرقيِّ : إن تزويج أُمِّ حبيبة كان في سنة ستّ . وقال بعض الناس : سنة سبع .

قال البيهقي : وذهب ابن إسحاق إلى أنه ﷺ تزوج بأُم حبيبة قبل أُمِّ سلمة .

قال البيهقيُّ : وهو أشبه .

قلت : قد تقدَّم تزويجه ، عليه السلام ، بأُمِّ سلمة في أواخر سنة أربع ، وأمَّا أُمُّ حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ؛ لما تقدَّم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أُمية عند النجاشيِّ ، فهو في قضيتها ، والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في « الغابة »[١] عن قتادة ، أن أمَّ حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوَّجها . وحَكَى عن بعضهم أنه تزوَّجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتجَّ هذا القائل بما رواه مسلم[٢] من طريق عكرمة بن عمَّار اليماميِّ[٣] ، عن أبي زميل سماك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطنيهن . قال : « نعم » . قال : تؤمِّرني على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : « نعم » . قال : وعندي أحسن العرب وأجملهم أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوِّجكها . . . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أُنكر على مسلم ؛ لأن أبا سُفيان لما جاء يجدِّد العقد قبل الفتح ، دخل على ابنته أمِّ حبيبة فثنت عنه فراش النبيِّ ﷺ ، فقال : والله ما أدري أرغبتِ بي عنه ، أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدي يا بنيَّة شرّ .

وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمَّار . وهذا القول منه لا يتابع عليه .

وقال آخرون : أراد أن يجدِّد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه .

وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه . وهذه كلُّها ضعيفة ، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوِّجه ابنته الأخرى عزَّة ، لما رأى في ذلك من الشرف له ، واستعان بأختها أُمِّ حبيبة كما في « الصحيحين »[٤] ، وإنما وهم الراوي هذا بتسميته أُمَّ حبيبة ، وقد أفردنا لذلك جزءاً مفرداً .

قال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم : توفِّيت أُمُّ حبيبة سنة أربع وأربعين[٥] .

---

(١) انظر « أسد الغابة » (٧/ ١١٦) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٥٠١) .
(٣) في (ط) : « اليماني » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣١) .
(٤) رواه البخاري رقم (٥١٠١) و(٥١٠٦) و(٥٣٧٢) ومسلم رقم (١٤٤٩) .
(٥) وهو ما جزم به ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (١/ ٢٣٦) بتحقيقي .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة ، وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

* * *

تزويجه ، عليه السلام ، بزينب بنت جَحش[(١)]

وهي بنت أُميمة بنت عبد المطلب ، عمَّة رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

قال قتادة ، والواقدي ، وبعض أهل المدينة : تزوَّجها ، عليه السلام ، سنة خمس . زاد بعضهم : في ذي القعدة .

قال الحافظ البيهقيُّ : تزوَّجها بعد بني قُريظة .

وقال خليفة بن خيَّاط ، وأبو عبيدة معمر بن المثنَّى ، وابن منده : تزوَّجها سنة ثلاث . والأول أشهر ، وهو الَّذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسِّرين ، والفقهاء ، وأهل التاريخ في سبب تزويجه إيَّاها ، عليه السلام ، حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في « مسنده »[(٢)] تركنا إيراده قصداً ؛ لئلاً يضعه بعض من لا يفهم على غير موضعه ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧ـ٣٨] .

وقد تكلَّمنا على ذلك في « التفسير »[(٣)] بما فيه كفاية .

فالمراد بالَّذي أنعم الله عليه ـ هاهنا ـ زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ، أنعم الله [عليه] بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق ، وزوَّجه بابنة عمَّته زينب بنت جحش .

قال مُقاتل بن حيَّان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخِمَاراً ، وملحفةً ودرعاً ، وخمسين مُدّاً من طعام ، وعشرة أمداد من تمر ، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زوجها يشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فجعل صلى الله عليه وسلم يقول له : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » . قال الله : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ .

---

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٣) بتحقيقي .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٤٩) .

(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ٤١٩) .

قال علي بن الحسين زين العابدين ، والسُّدِّيُّ : كان الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه ، عليه السلام . وقد تكلم كثير من السَّلف بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر ، تركناها قصداً .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ وذلك أنَّ زيداً طلَّقها ، فلما انقضت عدتها ، بعث إليها رسول الله ﷺ ، يخطبها إلى نفسها ، ثم تزوجها ، وكان الذي زوَّجها منه ربُّ العالمين تبارك وتعالى[١] ، كما ثبت في « صحيح البخاري »[٢] عن أنس بن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكنَّ أهاليكنَّ ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات .

وفي رواية[٣] من طريق عيسى بن طَهْمَان ، عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : أنكحني الله من السماء .

وفيها أنزلت آية الحجاب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

وروى البيهقي[٤] من حديث حَمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « اتق الله ، وأمسك عليك زوجك » . قال أنس : فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النَّبيِّ ﷺ تقول : زوَّجكن أهاليكنَّ ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري ، عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدَّمي ، عن حمَّاد بن زيد .

ثم روى البيهقيُّ[٥] من طريق عَفَّان ، عن حَمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش ، فقال النبي ﷺ : « أمسك عليك أهلك » . فنزلت : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ . ثم قال : [رواه] البخاري[٦] ، عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلَّى بن منصور ، عن حَمَّاد مختصراً .

وقال ابن جرير : ثنا ابن حميد ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي ﷺ : إنِّي لأدِلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدِلُّ بهنَّ ؛ أنَّ جدِّي وجدَّك واحد ـ تعني عبد المطَّلب ، فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أُمِّها أُميمة بنت عبد المطلب ـ وأني أنكحنيك الله ، عزَّ وجلَّ ، من السماء ، وأن السفير جبريل ، عليه السلام .

---

(١) قلت : واعتبر الإمام ابن القيم ذلك من خواصّها . انظر « زاد المعاد » (١/ ١٠٥) .

(٢) رواه البخاري رقم (٧٤٢٠) .

(٣) وهي عند البخاري رقم (٧٤٢١) وعند النسائي في « السنن الكبرى » (١١٤١١) باللفظ الذي ساقه المؤلف رحمه الله .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٥) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٦) .

(٦) وهو في « صحيحه » رقم (٤٧٨٧) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا هاشم ـ يعني ابن القاسم أبا النَّضر ـ ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدَّة زينب ، قال النبيُّ ﷺ لزيد : « اذهب فاذكرها عليَّ » . فانطلق حتى أتاها وهي تخمِّر عجينها . قال : فلمَّا رأيتها ، عَظمت في صدري ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أنَّ رسول الله ﷺ ذكرها ، فولَّيتها ظهري ، ونكصت على عقبيَّ وقلت : يا زينب ، أبشري ، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربِّي ، عزَّ وجلَّ . فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن . قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ ، أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطَّعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتَّبعته ، فجعل يتتَّبع حُجَر نسائه يسلِّم عليهنَّ ، ويقلن : يا رسول الله ﷺ ، كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أنَّ القوم[٢] قد خرجوا ، أو أُخبر . قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى السِّتر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووعِظ القوم بما وعِظوا به ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية .

وكذا رواه مسلم والنسائي[٣] من طرق ، عن سليمان بن المغيرة .

* * *

ذكر
نزول الحِجَاب صَبيحة عُرْسِهَا[٤] الذي ولي الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أُمَّهَات المؤمنين ، وذلك وفق الرأي العُمَريِّ .

قال البخاريُّ[٥] : ثنا محمد بن عبد الله الرَّقاشيُّ ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك قال : لما تزوَّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطَعِمُوا ثم جلسوا يتحدَّثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلمَّا رأى ذلك قام ، فلمّا قام ، قام من قام ، وقعد ثلاثة نفرٍ ، وجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٩٥) .
(٢) في (ط) : « والقوم » .
(٣) رواه مسلم رقم (١٤٢٨) والنسائي رقم (٣٢٥١) .
(٤) يعني زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها ، وقوله : « الذي ولي الله عقد نكاحه » لم يرد في (ط) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٧٩١) .

انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

وقد رواه البخاري في مواضع أُخر ومسلم والنسائي[١] ، من طرق عن معتمر .

ثم رواه البخاريُّ[٢] منفرداً به من حديث أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري[٣] : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : بُنِيَ على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فَأُرْسِلْتُ على الطعام داعياً ، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبيَّ الله ، ما أجد أحداً أدعوه . قال : « فارفعوا طعامكم » . وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي ﷺ ، فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » . قالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ؟ فتقرَّى[٤] حُجَر نسائه كلِّهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقُلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي ﷺ ، فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة ، فما أدري آخْبَرْتُهُ ، أم أُخبر أن القوم خرجوا ؟ فخرج حتى إذا وضع رجله في أُسكفَّة الباب[٥] داخلة[٦] وأخرى خارجة ، أرخى السِّتر بيني وبينه ، وأُنزلت آية الحجاب . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

ثم رواه[٧] منفرداً به أيضاً ، عن إسحاق ـ هو ابن منصور ـ عن عبد الله بن بكر السَّهميِّ ، عن حميد ، عن أنس ، بنحو ذلك ، وقال : رجلان ، بدل : ثلاثة ، فالله أعلم .

قال البخاريُّ[٨] : وقال إبراهيم بن طَهْمَان ، عن الجَعْد أبي عثمان ، عن أنسٍ ، فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم[٩] : ثنا أبي ، ثنا أبو المظفَّر ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان اليشكريِّ ، عن أنس بن مالك ، قال : أَعْرَس رسول الله ﷺ ببعض نسائه ، فصنعت أُمُّ سُلَيم حَيْساً ثم

---

(١) هو عند البخاري رقم (٦٢٣٩) و(٦٢٧١) وعند مسلم رقم (١٤٢٨) (٩٢) وعند النسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٢٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٧٩٢) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٧٩٣) .
(٤) أي : تتبع .
(٥) أي : عتبته . انظر « مختار الصحاح » (سكف) .
(٦) لفظ « داخلة » سقط من (ط) .
(٧) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٤٧٩٤) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٥١٦٣) تعليقاً .
(٩) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٤٤٢) .

وضعته في تَوْر[١] ، فقالت : اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره أنَّ هذا مِنَّا له قليل . قال أنس : والناس يومئذ في جهد ، فجئت به فقلت : يا رسول الله بعثتْ بهذا أمُّ سُلَيم إليك ، وهي تقرئك السلام وتقول : أخبره أن هذا منّا له قليل . فنظر إليه ثم قال : « ضعه » . فوضعتُه في ناحية البيت ، ثم قال : « اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً » فسمَّى رجالاً كثيراً . قال : « ومن لقيتَ من المسلمين » . فدعوت من قال لي ، ومن لقيت من المسلمين ، فجئت والبيت والصُّفة والحُجْرَة ملأى من الناس ، فقلت : يا أبا عثمان ، كم كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمئة . قال أنس : فقال لي رسول الله ﷺ : « جيء به » . فجئت به إليه ، فوضع يده عليه ودعا ، وقال : « ما شاء الله » . ثم قال : « ليتحلَّق عشرة عشرة ، ويُسَمُّوا ، وليأكل كلُّ إنسان مما يليه » . فجعلوا يسمُّون ويأكلون حتى أكلوا كلُّهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ارفعه » . قال : فجئت فأخذت التَّوْر فنظرت ، فما أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته . قال : وتخلَّف رجال يتحدَّثون في بيت رسول الله ﷺ ، وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولِّية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث ، فشقُّوا على رسول الله ﷺ ، وكان أشدَّ الناس حياءً ، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً ، فقام رسول الله ﷺ ، فخرج فسلَّم على حجره وعلى نسائه ، فلمَّا رأوه قد جاء ظنُّوا أنهم قد ثقَّلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله ﷺ ، حتى أرخى السِّتر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً ، وأنزل الله عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا [فَسْـَٔلُوهُنَّ] مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣ ـ ٥٤] . قال أنس : فقرأهن عليَّ قبل الناس ، وأنا أَحْدَثُ الناس بهن عهداً .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي[٢] جميعاً ، عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه مسلم أيضاً[٣] ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزَّاق ، عن معمر ، عن الجعد أبي عثمان ، به .

وقد روى هذا الحديث البخاريُّ والترمذيُّ والنسائيُّ[٤] ، من طرق ، عن بيان أبي بشر الأحمسيِّ الكوفيِّ ، عن أنس ، بنحوه .

---

(١) أي : في إناء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ١٩٩) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٤٢٨) (٩٤) والترمذي رقم (٣٢١٨) والنسائي رقم (٣٣٨٧) .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٤٢٨) (٩٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٥١٧٠) والترمذي رقم (٣٢١٩) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٤١٧) .

ورواه ابن أبي حاتم[١] من حديث أبي نَضْرَةَ العَبْدي ، عن أنس ، بنحوه ، ولم يخرجوه .

ورواه ابن جرير[٢] ، من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهري ، عن أنس ، بنحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش ، رضي الله عنها ، من المهاجرات الأُوَل ، وكانت كثيرة الخير والصَّدقة ، وكان اسمها أولاً بَـرَّة فسمَّاها النبيُّ ﷺ زينب ، وكانت تُكنَّى بأُمِّ الحكم ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : ما رأيت امرأة قطُّ خيراً في الدِّين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرَّحم ، وأعظم أمانة وصدقة .

وثبت في « الصحيحين »[٣] كما سيأتي في حديث الإفك ، عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله ﷺ عنِّي زينب بنت جحش ، وهي التي كانت تُسَاميني من نساء النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلَّا خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج في « صحيحه »[٤] : ثنا محمود بن غيلان ، ثنا الفضل بن موسى السِّينانيُّ ، ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، [عن عائشة بنت طلحة] ، عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : « أسرعكنَّ لُحوقاً بي أطولكن يداً » . قال : فكنَّا نتطاول أيُّنا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق . انفرد به مسلم .

قال الواقديُّ وغيره من أهل السِّير والمغازي والتَّواريخ[٥] : توفِّيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلَّى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، ودفنت بالبقيع ، وهي أول امرأة صُنِعَ لها النَّعش .

❊ ❊ ❊

---

(١) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٤٤٣) .
(٢) انظر « تفسير الطبري » (٢٢/ ٣٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٧٥٠) ومسلم رقم (٢٧٧٠) .
(٤) رقم (٢٤٥٢) .
(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٨/ ١١٥) ، و« تاريخ الطبري » (٤/ ١١٣) ، و« شذرات الذهب » (١/ ١٧١) بتحقيقي .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي[١] : يقال : في المحرم منها كانت سرية محمد بن مسلمة قِبَلَ نجد ، وأسروا فيها ثُمامة بن أُثال اليمامي .

قلت : لكن في سياق ابن إسحاق ، عن سعيد المقبريِّ ، عن أبي هريرة ، أنه شهد ذلك ، وهو إنما هاجر بعد خيبر ، فتؤخَّر إلى ما بعدها ، والله أعلم .

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لِحْيَان ، على الصحيح .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان فتح بني قُريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجَّة ، وولي تلك الحجَّة المشركون . يعني في سنة خمس كما تقدَّم . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجَّة والمحرَّم وصفراً وشهري ربيع ، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرَّجيع ، خُبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرَّةً .

قال ابن هشام[٣] : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم ، والمقصود أنه ، عليه السلام ، لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصَّنوا في رؤوس الجبال فمال إلى عُسْفَان فلقي بها جمعاً من المشركين ، وصلَّى بها صلاة الخوف .

وقد تقدَّم ذِكر هذه الغزوة في سنة أربع ، وهنالك ذكرها البيهقيُّ ، والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق ، فإنّ صلاة الخوف على المشهور إنما فُعلت بعد يوم الخندق .

وقد ثبت أنه صلَّى بعُسْفَان يوم بني لحيان ، فلتكتب هاهنا ، وتحوَّل من هناك اتِّباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده ، كما قال الشافعيُّ رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك[٤] في غزوة بني لحيان : [من الطويل]

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٧٨) .
(٢) انظر (٢/ ٢٧٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(١٩٤) .

لَـوَ أنَّ بني لحيان كـانـوا تناظـروا لقُوا عُصَباً في دارهم ذات مَصْدَقِ
لقُوا سَرَعـانـاً يمـلأ السَّرب رَوعـه أمـام طَحـونٍ كـالمجـرَّة فيلـقِ
ولكنَّهـم كـانـوا وِبـاراً تتبَّعـت شِعـابَ حجـارٍ غيـر ذي متنفَّـقِ

* * *

غَزْوَة ذي قرد

قال ابن إسحاق[١] : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلّا ليالي قلائل ، حتى أغار عُيينة بن حصن [بن حذيفة] بن بدر الفَزَاريُّ ، في خيل من غطفان على لقاح النبيِّ ﷺ بالغابة ، وفيها رجلٌ من بني غِفَار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللِّقاح .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومن لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ كلٌّ قد حدَّث في غزوة ذي قَرَدٍ بعض الحديث ـ أنه كان أول من نذِر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلميُّ ، غدا يريد الغابة متوشِّحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عُبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ[٣] نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سَلْعٍ[٤] ، ثم صرخ : واصباحاه . ثم خرج يشتدُّ في آثار القوم ، وكان مثل السَّبُع ، حتى لحق بالقوم ، فجعل يردّهم بالنَّبل ويقول إذا رمى : [من مجزوء الرجز]

خُـذْهَـا [و] أنـا ابـنُ الأَكـوعْ اليـــومُ يـــوم الـــرُّضَّـــعْ

فإذا وجِّهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمي رمى ، ثم قال :

خُـذْهَـا [و] أنـا ابـن الأَكـوعْ اليـــومُ يـــوم الـــرُّضَّـــعْ

قال : فيقول قائلهم أُوَيْكِعُنا[٥] هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : « الفَزَعَ الفَزَعَ » . فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ ، فكان أول من انتهى إليه من الفُرسان المقداد بن الأسود ، ثم عبَّاد بن بشر ، وسعد بن زيد ، وأُسيد بن ظهير ـ يشكُّ فيه ـ وعُكَّاشة بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) .
(٣) قال الفيروزابادي : وهي ثنية مشرفة على المدينة ، يطأها من يريد مكة ، وقيل : من يريد الشام . « المغانم المطابة » ص(٨٠) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله تعالى وأحسن إليه .
(٤) قال الفيروزابادي : سلع : جُبيل بسوق المدينة . وقال الأزهري : موضع بقرب المدينة . « المغانم المطابة » ص(١٨٣) .
(٥) أي : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .

محصن ، ومحرز بن نضلة ، أخو بني أَسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعيّ ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش عُبيد بن زيد بن صامت ، أخو بني زريق . قال : فلمَّا اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ ، أمَّر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : « اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس » . وقد قال النبيُّ ﷺ لأبي عيَّاش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : « يا أبا عيَّاش ، لو أَعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني ، فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عيَّاش معاذ بن ماعص ، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدَة ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعدُّ سَلَمَةَ بن الأكوع ثامناً ، ويطرح أُسيد بن ظهير ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، وكان يقال له : الأخرم . ويقال له : قُمير . وكانت [الفرس] التي تحته لمحمود بن مسلمة ـ وكان يقال للفرس : ذو اللِّمَّة . فلما انتهى إلى العدوِّ قال لهم : قفوا معشر بني اللَّكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقدر عليه حتى وقف على أَرِيَّة من بني عبد الأشهل ، أي : رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق[١] : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره .

قال ابن هشام[٢] : وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضاً وقَّاص بن مجزِّز المدلجيُّ .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني بعض من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن محرزاً كان على فرس لعُكَّاشة بن محصن يقال لها : الجَنَاح ، فقتل محرز واستلبت الجَنَاح ، فالله أعلم .

قال[٤] : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حَبيب بن عُيينة وغشَّاه برده ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين ـ قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم ـ فإذا حبيبٌ مسجّى ببُرد أبي قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة . فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة ، ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه » . قال : وأدرك عُكَّاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرُّمح فقتلهما جميعاً واستنقذوا بعض اللِّقاح . قال : وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرَّحتني في مئة رجل لاستنقذت بقية السَّرح وأخذت بأعناق

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٣) وقد نقل المؤلف عنها بتصرف .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٤) .
(٤) القائل (ابن إسحاق) . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .

القوم . فقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « إنهم الآن ليُغبَقون في غطفان » . فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلاً حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفاريِّ على ناقة من إبل النبيِّ ﷺ ، حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلمَّا فرغت قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجَّاني الله عليها . قال : فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال : « بئس ما جزيتِها أن حملك الله عليها ونجَّاك بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله » .

قال ابن إسحاق[١] : والحديث في ذلك عن أبي الزُّبير المكِّيِّ ، عن الحسن البصريِّ . هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكره من الإسناد والسِّياق .

وقد قال البخاريُّ[٢] : رحمه الله ، بعد قصة الحُديبية وقبل خيبر : غزوة ذي قَرَد ، وهي الغزوة التي أغاروا على لِقَاح النبيِّ ﷺ قبل خيبر بثلاث ، ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَّن بالأولى ، وكانت لقاح النبيِّ ﷺ ترعى بذي قرد ، قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف ، فقال : أُخذت لقاح النبيِّ ﷺ . فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه . قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة ، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول : أنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضَّع . وأرتجز حتى استنقذت اللِّقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة . قال : وجاء النبيُّ ﷺ والناس فقلت : يا رسول الله ، قد حميت القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . فقال : « يابن الأكوع ملكت فَأَسْجِحْ[٣] » . ثم رجعنا ، ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم[٤] ، عن قتيبة ، به ، ورواه البخاريُّ[٥] ، عن أبي عاصم النَّبيل ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن مولاه سلمة ، بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا هاشم بن القاسم ، ثنا عكرمة بن عمَّار ، حدَّثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحُديبية مع رسول الله ﷺ ، فخرجت أنا ورباح غلام النبيِّ ﷺ بظهر رسول الله ﷺ ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله ، كنت أريد أن أندِّيَه مع الإبل ، فلمَّا كان بغَلَسٍ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤١٩٤) .
(٣) أي : اعف .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٨٠٦) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٣٠٤١) من طريق مكي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي أبو السكن .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٥٢) وهو حديث صحيح . وانظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

أغار عبد الرحمن بن عُيينة على إبل رسول الله ﷺ ، فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يا رباح ، اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغير على سرحه . قال : وقمت على تلّ فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه . قال : ثم اتَّبعت القوم ، معي سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشَّجر . فإذا رجع إليَّ فارس جلست له في أصل شجرة ، ثم رميت ، فلا يُقبل عليَّ فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم ، وأنا أقول : أنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرُّضَّع . قال : فألحق برجل منهم فأرميه ، وهو على راحلته فيقع سهمي في الرَّجل حتى انتظم كتفه ، فقلت :

خُـذْهَـا وأنـا ابـن الأكـوعِ اليـوم يـوم الـرُّضَّـعِ

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنَّبل ، فإذا تضايقت الثَّنايا علوت الجبل فردَيتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز ، حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلَّا خلَّفته وراء ظهري ، فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً ، وأكثر من ثلاثين بردة يستخفُّون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعت على طريق رسول الله ﷺ ، حتى إذا امتدَّ الضُّحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاريُّ مدداً لهم ، وهم [في] ثنيَّة ضيِّقة ، ثم علوت الجبل ، فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقِينا [من هذا] البرح ، ما فارقنا بسحر حتى الآن ، وأخذ كلَّ شيء في أيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عُيينة : لولا أنَّ هذا يرى أنَّ وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إليه نفر منهم أربعة ، فصعِدوا في الجبل ، فلمَّا أسمعتُهم الصوت قلت : أتعرفونني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذي كرَّم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : إنْ أظُن . قال : فما برحتُ مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ ، يتخَلَّلون الشجر ، وإذا أولهم الأخرم الأسديُّ ، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ] وعلى أثر أبي قتادة المقداد بن الأسود الكنديُّ ، فولَّى المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فآخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ، انذر القوم ـ يعني احذرهم ـ فإني لا آمن أن يقتطعوك ، فاتَّئد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أنَّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحل بيني وبين الشهادة .

قال : فخلَّيت عَنَانَ فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عُيينة ، ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن ، وطعنه عبد الرحمن فقتله ، فتحوَّل عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة ، وقتله أبو قتادة ، وتحوَّل أبو قتادة على فرس الأخرم ، ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبيِّ ﷺ شيئاً ، ويعرضون قبل غيبوبة الشَّمس إلى شِعْبٍ فيه ماءٌ يقال له : ذو قرد . فأرادوا أن يشربوا منه ، فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه ، واشتدوا في الثنيَّة ثنيَّةِ ذي بئر ، وغربت الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه فقلت :

خـذهـا وأنـا ابـن الأكـوع اليــوم يــوم الــرُّضَّــعِ

قال : فقال : يا ثُكل أمِّ أكوع بُكرةَ . فقلت : نعم ، أي عدوَّ نفسه . وكان الذي رميته بكرة ، وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ، ويخلفون فرسين فجئت [بهما] أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنبيِّ الله ﷺ في خمسمئة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خَلَفْتُ ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، خلِّني فأنتخب من أصحابك مائة ، فآخذ على الكُفَّار بالعشوة ، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال : « أكنتَ فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ » قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله ﷺ ، حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : « إنهم يُقْرَون الآن بأرض غطفان » . فجاء رجل من غطفان فقال : مَرُّوا على فلان الغطفانيِّ ، فنحر لهم جزوراً ، فلمَّا أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة ، فتركوها وخرجوا هراباً ، فلمَّا أصبحنا قال رسول الله ﷺ : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجَّالتنا سلمة » . فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة ، فلمَّا كان بيننا وبينها قريب من ضحوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق ، جعل ينادي : هل من مسابق ؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً ، وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي ، فقلت له : أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله ﷺ . قال : قلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، خلِّني فلأسابق الرجل . قال : « إن شئت » . قلت : اذهب إليك . فطفر عن راحلته وثنيت رجليَّ فطفرت عن الناقة ، ثم إني ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسي ، ثم إني عدوت حتى ألحقه ، فأَصُكُّ بين كتفيه بيدي ، قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظنُّ . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم[١] ، من طرق ، عن عكرمة بن عمَّار ، بنحوه ، وعنده : سبقتُه إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . ولأحمد هذا السياق .

ذكر البخاريُّ والبيهقيُّ هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم ، فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإنَّ خيبر كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبيِّ ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها ، فقد أوردها ابن إسحاق[٢] بروايته ، عن أبي الزبير ، عن الحسن البصريِّ مرسلاً ، وقد جاء متَّصلاً من وجوه أخر .

قال الإمام أحمد[٣] : ثنا عفَّان ، ثنا حمَّاد بن زيد ، ثنا أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أبي المُهَلَّب ،

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٨٠٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٤٣٠) .

عن عِمْرَان بن حُصين قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل ، وكانت من سوابق الحاجِّ ، [فأسر الرجل][١] ، فأخذت العضباء معه . قال : فمرَّ به رسول الله ﷺ وهو في وثاق ، ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة فقال : يا محمد ، علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاجِّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف » . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبيِّ ﷺ . وقال فيما قال : وإني مسلم . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلتها وأنت تملك أمرك ، أفلحت كلَّ الفلاح » . قال : ومضى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إني جائع فأطعمني ، وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله ﷺ : « هذه حاجتك » . ثم فدي بالرجلين ، وحبس رسول الله ﷺ العضباء لرحله . قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة ، فذهبوا [به] ، وكانت العضباء فيه ، قال : وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبلهم بأفنيتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوَّموا ، فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء ، فأتت على ناقة ذلول مجرَّسة[٢] فركبتها ، ثم وجَّهتها قبل المدينة . قال : ونذرت إنِ اللهُ أنجاها عليها لتنحرنَّها ، فلمَّا قدمت المدينة عرفت الناقة ، فقيل : ناقة رسول الله ﷺ . قال : وأُخبر رسول الله ﷺ بنذرها ، أو أتته فأخبرته ، فقال : « بئس ما جزيتها » أو : « بئس ما جزتها أن أنجاها الله عليها لتنحرنَّها » . قال : ثم قال رسول الله ﷺ : « لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

ورواه مسلم[٣] ، عن أبي الرَّبيع الزَّهرانيِّ ، عن حمَّاد بن زيد ، به .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قَرَد قول حسان بن ثابت ، رضي الله عنه[٥] : [من الكامل]

لولا الذي لاقت ومسَّ نُسورها ... بجنوب سايةَ أمس في التَّقوادِ
للقينكم يحملن كلَّ مدجَّج ... حامي الحقيقة ماجدِ الأجدادِ
ولسرَّ أولاد اللَّقيطة أننا ... سِلْم غداة فوارس المقدادِ
كنّا ثمانية وكانوا جحفلاً ... لجِباً فشُكُّوا بالرِّماح بدادِ
كنا من القوم الذين يلونهم ... ويقدِّمون عنان كلِّ جوادِ
كلاً وربِّ الراقصات إلى منى ... يقطعن عرض مخارم الأطوادِ
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم ... ونؤوب بالملَكات والأولادِ
رهواً بكلِّ مقلَّص وطِمرَّة ... في كلِّ معترك عطفن ووادِ

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و(ط) واستدركته من « مسند الإمام أحمد » .

(٢) أي : مدربة في الركوب .

(٣) في « صحيحه » رقم (١٦٤١) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .

(٥) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٢٧٦) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

أفنى دوابرها ولاح متونها … يومٌ تقاد به ويوم طرادِ
فكذاك إنَّ جيادنا ملبونةٌ … والحرب مشعلة بريح غوادِ
وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي … جنن الحديد وهامة المرتادِ
أخذ الإله عليهم لحرامه … ولعزَّة الرحمن بالأسدادِ
كانوا بدار ناعمين فبدِّلوا … أيام ذي قَرَد وجوه عنادِ

قال ابن إسحاق[1] : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان ، وحلف لا يكلِّمه أبداً ، وقال : انْطَلَقَ إلى خيلي وفوارسي فجعَلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الرَّويّ اسم المقداد ، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد[2] : [من الرجز]

إذا أردتم الأشدَّ الجلدا … أو ذا غناءٍ فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهدُّ هدّاً

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت[3] في يوم ذي قرد : [من المتقارب]

أظنَّ عُيينةُ إذ زارها … بأن سوف يهدم فيها قُصُورا
فأُكذبتَ ما كنت صدَّقته … وقلتم سنغنم أمراً كبيرا
فعفت المدينة إذ زرتها … وآنست للأُسد فيها زئيرا
وولَّوا سراعاً كشدِّ النَّعام … ولم يكشفوا عن ملطٍّ حصيرا
أمير علينا رسول المليـ … ـك أحبب بذاك إلينا أميرا
رسول نصدِّق ما جاءه … ويتلو كتاباً مضيئاً منيرا

وقال كعب بن مالك[4] في يوم ذي قرد ، يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين : [من الطويل]

أيحسب أولاد اللَّقيطة أننا … على الخيل لسنا مثلهم في الفوارسِ
وإنا أُناس لا نرى القتل سُبَّة … ولا ننثني عند الرِّماح المداعسِ
وإنا لنقري الضَّيف من قمع الذُّرى … ونضرب رأس الأبلخ[5] المتشاوسِ
نردُّ كُماة المعلَمين إنا انتخوا … بضرب يسلِّي نخوة المتقاعسِ
بكلِّ فتى حامي الحقيقة ماجد … كريم كسِرحان الغَضَاةِ مخالسِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٧) .
(٢) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٦٩) مع بعض الخلاف .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(١٧٦ ـ ١٧٧) مع بعض الخلاف اليسير .
(٥) أي : المتكبر .

يذودون عن أحسابهم وتِلادهم ... ببيض تقدُّ الهام تحت القوانسِ
فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم ... بما فعل الإخوان يوم التَّمارسِ
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتمُ ... ولا تكتموا أخباركم في المجالسِ
وقولوا زللنا عن مخالب خادر ... به وحَر في الصدر ما لم يمارسِ

* * *

غَزْوَةُ بني المُصْطَلِقْ من خُزَاعَة

قال البخاريُّ : وهي غزوة المُرَيْسِيع[(١)]

قال محمد بن إسحاق[(٢)] : وذلك في سنة ستّ . وقال موسى بن عقبة : سنة أربع . وقال النُّعمان بن راشد ، عن الزُّهريِّ : كان حديث الإفك في غزوة المريسيع . هكذا حكاه البخاريُّ ، عن مغازي موسى بن عقبة ؛ أنَّها كانت في سنة أربع[(٣)] .

والذي حكاه البيهقيُّ[(٤)] عنه وعن عروة ؛ أنَّها كانت في شعبان ، سنة خمس .

وقال الواقديُّ[(٥)] : كانت لليلتين من شعبان ، سنة خمس ، في سبعمئة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[(٦)] ، بعدما أورد قصة ذي قَرَد : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ، ورجباً ، ثم غزا بني المُصْطَلِقْ من خُزَاعَة في شعبان ، سنة ستّ .

قال ابن هشام[(٧)] : واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفاريَّ ، ويقال : نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيُّ .

قال ابن إسحاق[(٨)] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبَّان ، كُلّ قد حدَّثني بعض حديث بني المُصْطَلِقْ ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أنَّ بني المُصْطَلِقْ يجمعون

---

(١) المُرَيْسِيع : اسم ماءٍ من ناحية قُديد إلى الساحل . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص(٣٨٠) . وانظر خبر هذه الغزوة في « الروض الأنف » (٦/ ٣٩٩) ، و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٩) ، و« عيون الأثر » (٢/ ١٣٤) ، و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٧٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٧/ ٤٣٠) : « كذا ذكره البخاري ، وكأنه سبق قلم ، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٥) .

(٥) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٤) ولم يرد فيه ذكر لقوله : « في سبعمئة » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٠) .

له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضِرَار ، أبو جُويرية بنت الحارث التي تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد هذا ، فلمَّا سمع بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماءٍ من مياههم يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قُديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفَّل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

وقال الواقديُّ[١] : خرج رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شعبان ، سنة خمس من الهجرة ، في سبعمئة من أصحابه إلى بني المصطلق ، وكانوا حلفاء بني مدلج ، فلمَّا انتهى إليهم ، دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصِّدِّيق ، ويقال : إلى عمّار بن ياسر . وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة ، ثم أمر عمر بن الخطَّاب ، فنادى في الناس ، أن قولوا : لا إله إلا الله ، تمنعوا بها أنفسكم ، وأموالكم . فأبوا ، فترامَوا بالنَّبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين ، فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، ولم يقتل من المسلمين إلَّا رجل واحد .

وثبت في « الصحيحين »[٢] من حديث عبد الله بن عون ، قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدُّعاء قبل القتال ، فقال : قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارُّون ، وأنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سبيهم ، فأصاب يومئذ ـ أحسبه قال : ـ جُويرية بنت الحارث[٣] . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك ، وكان في ذلك الجيش .

قال ابن إسحاق : وقد أُصيب رجل من المسلمين ، يقال له : هشام بن صُبابة . أصابه رجل من الأنصار ، وهو يرى أنه من العدوِّ ، فقتله خطأً .

وذكر ابن إسحاق[٤] أنَّ أخاه مِقْيَس بن صُبابة قدم من مكة مظهراً للإسلام ، فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ ؛ لأنَّه قتل خطأً ، فأعطاه ديته ، ثم مكث يسيراً ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدّاً إلى مكة ، وقال في ذلك : [من الطويل]

شَفَى النفس أن قد بات بالقاع مُسْنَداً   يُضرِّجُ[٥] ثَوبيه دماءُ الأخادعِ

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٤٤٠) .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٥٤١) ومسلم رقم (١٧٣٠) .
(٣) هي أُم المؤمنين جُويرية بنت الحارث المصطلقية ، سباها النبي ﷺ في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق ، في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي ، وقيل : صفوان بن مالك ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس ، فكاتبها ، فقضى عنها النبي ﷺ كتابها ثم أعتقها وتزوجها ، وكان اسمها برَّة ، فغيّره النبي ﷺ وسماها جويريَة ، وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين ، ولها خمس وستون سنة ، رضي الله عنها وأرضاها . انظر ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٦) بتحقيقي .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٣) .
(٥) أي : يلطِّخ . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٣/ ٤١) .

وكانت همومُ النفس من قبل قتله   تُلِمُّ فتحميني وطاء المضاجعِ
حللت به وِتْرِي وأدركت ثُؤرتي   وكنت إلى الأوثان أوّل راجعِ
ثأرت به فِهراً وحمَّلت عقله   سَراة بني النَّجّار أربابَ فَارعِ[١]

قلت : ولهذا كان مِقْيَسُ هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم ، وإن وجدوا مُعلَّقين بأستار الكعبة .

قال ابن إسحاق[٢] : فبينا الناس[٣] على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطّاب أجير له من بني غِفَار ، يقال له : جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه ، فازدحم جهجاه ، وسنان بن وبر الجهنيُّ ، حليف بني عوف بن الخزرج ، على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنيُّ : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبيٍّ بن سلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم ؛ غلامٌ حدث ، فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نَافرونا ، وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعُدُّنا وجلابيب قريش[٤] هذه ، إلَّا كما قال الأول : سَمِّنْ كلبك يأكلك[٥] ، أما والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ؛ أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله ، لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم ؛ لتحَوّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوِّه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مر به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : « فكيف يا عمر ، إذا تحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ، ولكن أذِّن بالرحيل » . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلَّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلَّمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل . حَدَباً[٦] على ابن أُبيٍّ ودفعاً عنه . فلمَّا استقلَّ رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن حضير ، فحيَّاه بتحية النبوة وسلَّم عليه ، وقال : يا رسول الله ، والله

---

(١) وقال السهيلي في « الروض الأنف » نقلاً عن ابن إسحاق : « وقال مِقَيس بن صُبابة أيضاً : [من البسيط]
جلّلتـه ضربـة بـاءت لهـا وشـلٌ   من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلـت والمـوت تغشـاه أسِرّتـه   لا تأمنن بني بكر إذا ظُلموا »

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٠) .

(٣) كذا في (آ) و(ط) : « فبينا الناس . . . » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « فبينا رسول الله ﷺ » .

(٤) وهو لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقّبهم بذلك المشركون . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٠) .

(٥) وعند بعضهم : « أسمن كلبك يأكلك » وهو مثل مشهور من أمثال العرب . انظر مصادره في « معجم الأمثال العربية » لصديقي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد (٤/ ٥٣) .

(٦) أي : تحنناً . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٠) .

لقد رحتَ في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : « أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ » قال : أيُّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : « عبد الله بن أُبيٍّ » . قال : وما قال ؟ قال : « زعم أنَّه إن رجع إلى المدينة ؛ أخرج الأعزُّ منها الأذلَّ » . قال : فأنت والله يا رسول الله ، تخرجه إن شئت ، هو والله الذَّليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنَّ قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجُوه ، فإنَّه ليرى أنَّك قد استلبته مُلكاً . ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض ، فوقعوا نياماً ، وإنَّما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ؛ من حديث عبد الله بن أُبيٍّ ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس ، وسلك الحجاز ، حتى نزل على ماءٍ بالحجاز فُوَيق النَّقيع ، يقال له : بقعاء . فلمَّا راح رسول الله ﷺ ، هبَّت على الناس ريح شديدة ، فآذتهم وتخوَّفوها ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تخوَّفوها ؛ فإنَّما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار » . فلمَّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زيد بن التَّابوت ، أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين ، مات ذلك اليوم[١] . وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، والواقديُّ .

وروى مسلم[٢] ، من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر نحو هذه القصة ، إلَّا أنه لم يسمِّ الذي مات من المنافقين ، قال : هبَّت ريح شديدة والنبيُّ ﷺ في بعض أسفاره ، فقال : « هذه لموت منافق » . فلمَّا قدمنا المدينة ، إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين .

قال ابن إسحاق[٣] : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ؛ في ابن أبيٍّ ، ومن كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله ﷺ[٤] بأذن زيد بن أرقم ، وقال : « هذا الذي أوفى الله بأذنه » .

قلت : وقد تكلَّمنا على تفسيرها بتمامها ؛ في كتابنا « التفسير »[٥] بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ، ولله الحمد والمنَّة ، فمن أراد الوقوف عليه ، أو أحبَّ أن يكتبه هاهنا ، فليطلبه من هناك ، وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق[٦] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنَّه بلغني أنَّك تريد قتل عبد الله بن أُبيٍّ ، فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرَّ بوالده منّي ،

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٨٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٢) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٠٣) .
(٤) في « الروض الأنف » : « فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ » .
(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ١٥١) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٢) .

وإنّي أخشى أن تأمر [به غيري] فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيٍّ يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : « بل نترفَّق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث ؛ كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويعنِّفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : « كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتلتُه يوم قلت لي : اقتُله . لأرعدت له آنُف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » . فقال عمر : قد والله علمت ؛ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري .

وقد ذكر عكرمة ، وابن زيد ، وغيرهما ، أنَّ ابنه عبد الله ، رضي الله عنه ، وقف لأبيه عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول عند مضيق المدينة فقال : قف ، فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك ، فلمَّا جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك ، فأذن له ، فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق[١] : وأُصيب يومئذ من بني المُصْطَلَق ناس ، وقتل عليٌّ بن أبي طالب منهم رجلين ؛ مالكاً وابنه .

قال ابن هشام[٢] : وكان شعار المسلمين : يا منصور ، أَمِتْ أَمِتْ .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً ، فقسمهم في المسلمين .

وقال البخاري[٤] : ثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبَّان ، عن ابن محيريز ، أنَّه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخُدري فجلست إليه ، فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق ، فأصبنا سَبْياً من سبي العرب ، فاشتهينا النساء ، واشتدَّت علينا العُزُوبة ، وأحببنا العزل ، وقلنا : نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، قبل أن نسأله . فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلَّا وهي كائنة » وهكذا رواه[٥] .

قال ابن إسحاق[٦] : وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة ، عن عائشة قالت : لمَّا قسم رسول الله ﷺ سبايا بني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٣٨) .
(٥) يعني البخاري في كتاب المغازي من « صحيحه » ورواه بمواضع أخرى من « صحيحه » بألفاظ أخرى مختلفة عن ألفاظ روايته هذه .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .

المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شمَّاس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبتْه على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاَّحة ، لا يراها أحد إلَّا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها . قالت : فوالله ، ما هو إلَّا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها[١] ، وعرفت أنَّه سيرى منها ما رأيت . فَدَخَلَتْ عليه فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن شمَّاس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي . قال : « فهل لك في خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أقضي عنك كتابتك ، وأتزوَّجك ؟ » . قالت : نعم ، يا رسول الله . قال : « قد فعلت » . قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوَّج جُويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ . فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد أعتق بتزويجه إيَّاها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق[٢] قصة الإفك بتمامها في هذه الغزوة ، وكذلك البخاريُّ[٣] ، وغير واحد من أهل العلم، وقد حرَّرتُ طرق ذلك كلِّه في تفسير سورة النُّور[٤] ، فليلحق بكماله إلى هاهنا . وبالله المستعان .

وقال الواقديُّ[٥] : ثنا حرام ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : قالت جُويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبيِّ ﷺ بثلاث ليال ، كأنَّ القمر يسير من يثرب ، حتى وقع في حَجْري ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس ، حتى قدم رسول الله ﷺ ، فلمَّا سُبينا رجوت الرُّؤيا . قالت : فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوَّجني ، والله ما كلَّمته في قومي ، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، وما شعرت إلَّا بجارية من بنات عمِّي تخبرني الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقديُّ[٦] : ويقال : إنَّ رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة[٧] ، عن بني المصطلق أنَّ أباها طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوَّجه إيَّاها .

***

---

(١) قلت : والكره هنا من باب غيرة المرأة من المرأة وخوفها منها على زوجها .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤١٤١) و(٤٧٥٠) .
(٤) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ١٧) .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ٤١١) .
(٦) انظر « المغازي » (١/ ٤١٢) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي » (٤/ ٥١) .

قصة الإفْكِ[١]

وهذا سياق محمد بن إسحاق لحديث الإفك .

قال ابن إسحاق[٢] : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن علقمة بن وقّاص ، وسعيد بن المسيِّب ، وعُرْوَة بن الزُّبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة . قال الزُّهريُّ : كل[٣] قد حدَّثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدَّثني القوم .

قال ابن إسحاق[٤] وحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، [عن عمرة بنت عبد الرحمن] ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكلّ قد دخل في حديثها ، عن هؤلاء جميعاً ، يحدِّث بعضهم ما لم يحدِّث صاحبه ، وكلّ كان عنها ثقة ، فكلُّهم حدَّث عنها بما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتُهن خرج سهمها ، خرج بها معه ، فلمَّا كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنَّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلَق[٥] ، لم يهبّجهنّ[٦] اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحِّلون لي ، ويحملونني فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدُّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلمَّا فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجَّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذَّن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزع ظفارِ ، فلمَّا فرغت انسلَّ من عنقي ، ولا أدري ، فلمَّا رجعت إلى الرَّحل ذهبت ألتمسه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرَّحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فألتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحِّلون لي البعير ، وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنُّون أنّي فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدُّوه على البعير ، ولم يشكُّوا أنّي فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر ، وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفَّفت بجلبابي ، ثم اضطجعت في

---

(١) الإفك : الكذب . انظر « مختار الصحاح » (أفك) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٣) في (ط) : « وكل » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٥) العلق : جمع علقة ، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء . قاله الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤١) .
(٦) في (آ) و(ط) : « لم يهجهن » وأثبت لفظ « الروض الأنف » (٦/ ٤٣٦) وانظر التعليق عليه في هذا الموضع ففي ذلك فائدة إن شاء الله .

مكاني ، وعرفت أن لو افتُقدت لرُجع إليَّ . قالت : فوالله إنِّي لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطَّل السُّلميُّ ، وقد كان تخلَّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليَّ ، وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب ، فلمَّا رآني قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ وأنا متلفّفة في ثيابي . قال : ما خلَّفكِ ، يرحمكِ الله ؟ قالت : فما كلَّمته . ثم قرَّب إليَّ البعير ، فقال : اركبي . واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلمَّا اطمأنّوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتجَّ العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، لا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلَّا أنّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ؛ كنت إذا اشتكيت رحمني ، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليَّ وعندي أُمِّي تمرِّضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يا رسول الله ـ حين رأيت ما رأيت من جفائه لي ـ لو أذنت لي فانتقلت إلى أمّي فمرَّضتني ؟ قال : « لا عليك » . قالت : فانتقلت إلى أُمِّي ، ولا علم لي بشيء ممَّا كان ، حتى نقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنّا قوماً عرباً ، لا نتَّخذ في بيوتنا هذه الكُنف التي تتَّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنَّما كنا نخرج في فسح المدينة ، وإنَّما كانت النساء يخرجن في كلّ ليلة في حوائجهنَّ ، فخرجتُ ليلة لبعض حاجتي ومعي أُمُّ مسطح ، ابنة أبي رُهم بن المطَّلب . قالت : فوالله ، إنَّها لتمشي معي ، إذ عثرت في مِرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب ، واسمه عوف . قالت : فقلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدراً . قالت : أوَما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني [بالذي] كان من قول أهل الإفك . قلت : أوَقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي . قالت : وقلت لأُمِّي : يغفر الله لك ، تحدَّث الناس بما تحدَّثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ؟ قالت : أي بُنيَّة ، خَفِّضي[١] عليك الشأن ، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها ، لها ضرائر ، إلَّا كثَّرن ، وكثَّر الناس عليها . قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحقّ ، والله ما علمت عليهم إلَّا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ؛ والله ما علمت منه إلَّا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلَّا وهو معي » . قالت : وكان كِبْر ذلك عند عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع الذي قال مسطح ، وحمنة بنت جحش ؛ وذلك أنَّ أُختها زينب بنت جحش [كانت] عند

---

(١) في (آ) : « خففي » وأثبت لفظ (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

رسول الله ﷺ ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني[(١)] في المنزلة عنده غيرها ، فأمَّا زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلَّا خيراً ، وأمَّا حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارُّني لأختها ، فشقيت بذلك ، فلمَّا قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أُسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس ، نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا أمرك ، فوالله إنَّهم لأهلٌ أن تضرب أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك [يُرى] رجلاً صالحاً ، فقال : كذبت ، لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلَّا أنَّك قد عرفت أنَّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أُسيد [بن حضير] : كذبت لعمر الله ، ولكنَّك منافق تجادل عن المنافقين . قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شرّ ، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليَّ . قالت : فدعا عليّ بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأمَّا أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلَّا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأمَّا عليّ فإنَّه قال : يا رسول الله ، إنَّ النساء لكثير ، وإنَّك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية فإنَّها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرة ليسألها . قالت : فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقي رسول الله ﷺ . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلَّا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلَّا أنّي كنت أعجن عجيني ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتي الشاة فتأكله . قالت : ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنَّه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتَّقي الله ، وإن كنتِ قد قارفت سوءاً مما يقول الناس ، فتوبي إلى الله ؛ فإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلَّا أن قال لي ذلك ، فقلص[(٢)] دمعي ، حتى ما أحسّ منه شيئاً ، وانتظرت [أبويَّ] أن يجيبا عنِّي رسول الله ﷺ ، فلم يتكلَّما . قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر [شأناً] من أن يُنزِّل الله فيَّ قرآناً يُقرأ به ويصلَّى به ، ولكنّي كنت أرجو أن يُرى النبيّ ﷺ في نومه شيئاً يكذّب به الله عني ؛ لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ، وأمَّا قرآناً ينزل فيّ ، فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلمَّا لم أر أبويَّ يتكلَّمان ، قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ فقالا : والله ما ندري بماذا نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت : فلمَّا استعجما عليّ ، استعبرت فبكَيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله ممَّا ذكرت أبداً ، والله إنّي لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنّي منه بريئة ، لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون ، لا تصدِّقونني . قالت : ثم التمست اسم يعقوب ، فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] . قالت : فوالله ما برح رسول الله ﷺ [مجلسه] حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ،

---

(١) أي : تنازعني .

(٢) أي : ارتفع .

فسجِّي بثوبه، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأمَّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت وما باليت ، قد عرفت أنّي بريئة ، وأنَّ الله غير ظالمي ، وأمَّا أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ ، حتى ظننت لتخرجنَّ أنفسهما ؛ فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس : قالت : ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ، فجلس وإنَّه ليتحدَّر من وجهه مثل الجمان[١] في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة، قد أنزل الله، [عزَّ وجلَّ] ، براءتك . قالت : قلت : الحمد لله[٢] ثم خرج إلى الناس فخطبهم [وتلا عليهم] ما أنزل الله، عزَّ وجلَّ، من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أُثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممَّن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدَّهم .

وهذا الحديث مخرَّج في « الصحيحين »[٣] عن الزُّهريِّ .

وهذا السياق فيه فوائد جمَّة ، وذكر حدّ القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود في « سننه »[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه : [من الطويل]

لقد ذاق حسّان الذي كان أهله ... وحَمْنَةُ إذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطَوا برجم الغيب زوج نبيِّهم ... وسَخطةَ ذي العرش الكريم فأُتْرِحوا
وآذَوا رسول الله فيها فجُلِّلوا ... مخازي تبقى عمّموها وفُضِّحوا
وصبّت عليهم محصدات كأنَّها ... شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

وقد ذكر ابن إسحاق[٦] أن حسان بن ثابت قال شعراً[٧] ، يهجو فيه صفوان بن المعطَّل وجماعة من قريش ممَّن تخاصم على الماء من أصحاب جهجهاه كما تقدَّم ، أوَّله : [من البسيط]

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا ... وابنُ الفُريعة أمسى بيضةَ البلد
قد ثكلت أمُّه من كنت صاحبه ... أو كان منتشباً في بُرثن الأسد
ما لقتيلي الذي أغدو فآخذه ... من دية فيه يعطاها ولا قوَد
ما البحر حين تهبُّ الرِّيح شامِيَة ... فيغطئلّ ويرمي العبر بالزَّبد
يوماً بأغلب منِّي حين تبصرني ... ملغيظ أفري كفري العارض البرد

(١) قال الخشني : الجمان : حب من فضة يصنع على مثال الدُّرِّ . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٢) .
(٢) في (آ) : « لحمد الله » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) رواه البخاري رقم (٢٦٦١) و(٤١٤١) و(٤٧٥٠) ومسلم رقم (٢٢٧٠) (٥٦) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٤٤٧٥)وهو حديث حسن يشهد له حديث عمرة عن عائشة الذي قبله رقم (٤٤٧٤) فإنه يقوى بها ، فهو حسن .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٧) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٤) .
(٧) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٢٨٤) مع بعض الفارق الطفيف في ألفاظها .

أمَّا قريش فإني لا أسالمها حتى ينيبوا من الغيَّات للرَّشد
ويتركوا اللاّت والعزَّى بمعزلة ويسجدوا كلُّهم للواحد الصمد
ويشهدوا أنَّ ما قال الرسول لهم حقّ فَيُوفوا بحقّ الله والوُكد

قال : فاعترضه صفوان بن المعطّل ، فضربه بالسيف وهو يقول : [من الطويل]

تلقَّ ذُباب السيف عنّي فإنَّني غلامٌ إذا هُوجيت لستُ بشاعرِ

وذكر[١] أن ثابت بن قيس بن شمَّاس أخذ صفوان حين ضرب حسَّان ، فشدَّه وَثاقاً ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسَّان بالسيف . فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟ قال : لا . فأطلقه ، ثم أتوا كلّهم رسول الله ﷺ ، فقال ابن المعطَّل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب فضربته . فقال رسول الله ﷺ : « يا حسّان ، أتشوَّهت على قومي إذ هداهم الله » . ثم قال : « أحسن يا حسان فيما أصابك » . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوَّضه منها بيرحاء التي تصدَّق بها أبو طلحة ، وجارية قبطيَّة ، يقال لها : سيرين . جاءه منها ابنه عبد الرحمن[٢] .

قال : وكانت عائشة تقول : سُئل [عن] ابن المعطَّل ، فوجد رجلاً حصوراً[٣] ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم قال حسان بن ثابت[٥] ، يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة : [من الطويل]

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ وتصبح غَرْثَى من لحوم الغَوافلِ
عقيلة حيّ من لؤيّ بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائلِ
مهذَّبة قد طيّب الله خِيمها وطهَّرها من كلّ سوءٍ وباطلِ
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمُ فلا رفعتْ سوطي إليّ أناملي
وكيف وودّي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافلِ
له رَتَب عالٍ على الناس كلِّهم تقاصر عنه سَورة المتطاولِ
فإنَّ الذي قد قيل ليس بلائط ولكنَّه قول امرىء بي ماحلِ

وقد زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق قبل البيت الأوَّل :

---

(١) يعني ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٥) .
(٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٣١٤) ، و« شذرات الذهب » (٢/ ٣١٤) بتحقيقي .
(٣) الحصور : وأما في حق يحيى عليه السلام أنه كان حصوراً ، يعني لا يأتي النساء ، فغلط بل هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، كأنه حصر عنها .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٦) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥١٠) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » (٢/ ١٤٦) بتحقيقي بالاشتراك مع عدد من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلاّمة الدكتور شاكر الفحّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

رأيتـكِ وليغفـر لـك الله حُـرَّة ... مـن المحصنـات غيـر ذات غـوائـلِ
حصـان رزان مـا تُـزنّ بـريبـة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ
وإنَّ الـذي قـد قيـل ليـس بـلائـط ... بك الدّهر بل قيل امرىء متماحلِ
فـإن كنت أهجـوكـم كمـا بلَّغـوكـمُ ... فـلا رجعـت سـوطـي إليَّ أنـامـلي
فكيـف وودّي مـا حييـت ونصرتـي ... لآل رسـول الله زيـن المحـافـلِ
وإنَّ لهـم عـزّاً يـرى النـاس دونـه ... قصـاراً وطـال العـزّ كـلّ التّطـاولِ

ولِيُكتب هاهنا الآيات من سورة النُّور ، وهي من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور : ١١ـ٢٦] . وما أوردناه هنالك من الأحاديث ، والطُّرق ، والآثار عن السَّلف والخلف[١] ، وبالله التوفيق .

* * *

غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ[٢]

وقد كانت في ذي القعدة سنة ستّ بلا خلاف . وممَّن نصَّ على ذلك الزُّهريُّ ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وغيرهم ، وهو الذي رواه ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة أنها كانت في ذي القعدة سنة ستّ .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : ثنا إسماعيل بن الخليل ، عن عليّ بن مسهر ، أخبرني هشام بن عُروة ، عن أبيه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الحُديبية في رمضان ، وكانت الحُديبية في شوّال ، وهذا غريب جدّاً عن عُروة .

وقد روى البخاريُّ ومسلم[٤] جميعاً ، عن هُدْبَة ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمَرٍ ، كلُّهنَّ في ذي القعدة [إلَّا العُمْرَة التي مع حجَّته ؛ عمرة من الحُديبية في ذي القعدة] وعُمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعُمْرَة من الجِعْرَانَة[٥] في ذي القعدة ، حيث قسم غنائم حنين ، وعمرة مع حجَّته . وهذا لفظ البخاريّ .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ١٧ ـ ٣٥) .
(٢) انظر خبرها في « المغازي » لابن أبي شيبة ص(٢٧٠) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٢) ، و« زاد المعاد » (٣/ ٢٥٥) ، و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٨٤) .
(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٨٧) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٤٨) ، ومسلم رقم (١٢٥٣) .
(٥) الجِعْرَانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٣٣٦) .

وقال ابن إسحاق[١] : ثم قام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوَّالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيّ .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهَدْيَ ، وأحرم بالعُمْرَة ؛ ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ، ومعظِّماً له .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني محمد بن مُسلم بن شِهَاب الزُّهريّ ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ، ومَرْوان بن الحَكَم ، أنَّهما حدَّثاه قَالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحُديبية ، يريد زِيارة البيت لايريد قتالاً ، وساق معه الهَدْيَ سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمئة رجل ، وكانت كلّ بدنة عن عشرة نفرٍ ، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول : كُنَّا أصحاب الحُديبية أربع عشرة مئة .

قال الزهريّ[٣] : وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بعُسْفَان لقيه بِشْرُ[٤] بن سُفيان الكَعبيّ فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُوذُ المَطَافِيل ، قد لبسوا جلود النّمور ، وقد نزلوا بذي طُوىً[٥] ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدَّموها إلى كُرَاع الغَمِيم[٦] . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلَّوا بيني وبين سائر العرب؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظنّ قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السَّالفة». ثم قال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله . قال : فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل[٧] بين شعاب ، فلمَّا خرجوا منه ، وقد شقَّ ذلك على المسلمين ، فأفضَوا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٠٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٠٨ـ٣٠٩) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/٤٥٣) .
(٤) وقال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/٣٠٩) : « ويقال : بُسْر » . وهو الصواب ، فقد أورده ابن عبد البرّ في « الاستيعاب » ، وابن الأثير في « أُسد الغابة » ، وابن حجر العسقلاني في « الإصابة » في رسم (بُسْر) ولم يذكروا فيه خلافاً .
(٥) ذو طُوىً : موضع قرب مكة .
(٦) كراع الغميم : موضع في الحجاز بين مكة والمدينة . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/١١٥٣) .
(٧) الأجرل : الكثير الحجارة .

إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله ﷺ : « قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه » . فقالوا ذلك ، فقال : « والله إنها للحطّة[١] التي عرضت على بني إسرائيل ، فلم يقولوها » .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : « اسلكوا ذات اليمين » بين ظهري الحَمْضِ في طريق تخرجه على ثنيَّة المرار ، مهبط الحُديبية من أسفل مكّة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلمَّا رأت خيل قريش قَتَرَةَ الجيش[٢] قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك في ثنيّة المُرَار[٣] بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت . فقال : « ما خلأت ، وما هو لها بخُلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعونني قريش اليوم إلى خُطّة[٤] يسألونني فيها صلة الرَّحم ، إلا أعطيتهم إيَّاها » . ثم قال للناس : « انزلوا » . قيل له : يا رسول الله ، ما بالوادي ماء ننزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قليب من تلك القُلُب ، فغرزه في جوفه ، فجاش بالرَّواء ، حتى ضرب الناس عنه بعطن[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : فحدَّثني بعض أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب ، سائق بدن رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلتُ بسهم رسول الله ﷺ . فالله أعلم أيّ ذلك كان . ثم استدلّ ابن إسحاق للأول بأن جارية من الأنصار جاءت البئر ، وناجية في أسفله يميح ، فقالت : [من الرجز]

يا أيُّها المائح دَلوي دونكا   إني رأيت الناس يحمدونكا
يُثنون خيراً ويُمجّدونكا

فأجابها فقال :

قد علمت جاريةٌ يمانيهْ   أنّي أنا المائح واسمي ناجيه
وطعنة ذات رشاش واهيه   طعنتها عند صدور العاديه

قال الزهريّ في حديثه : فلمَّا أطمأنّ رسول الله ﷺ ، أتاه بُديل بن ورقاء ، في رجال من خزاعة ، فكلَّموه وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظّماً لحرمته .

---

(١) قال الله تعالى لهم ﴿ وقولو حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا ، فاستهزؤوا وقالوا حبة في شعرة .
(٢) أي : غباره .
(٣) ثنية المُرَار : موضع عند الحُديبية من نواحي مكة . عن تعليق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » ص(٨٥) بتصرف .
(٤) أي : خصلة . والعطن : مبرك الإبل حول الماء .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٠) .

ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت .

فاتّهموهم وجبّهوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ؛ فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدّث بذلك عنا العرب . قال الزّهريّ : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ ؛ مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر بن لؤيّ ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « هذا رجل غادر » . فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلّمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة ، أو ابن زبّان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : « إنَّ هذا من قوم يتألّهون ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه » . فلمّا رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك . قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن الحُليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أَيُصَدُّ عن بيت الله من جاءه معظّماً له ؟ والذي نفس الحُليس بيده لتخلُنّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه ، كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزّهريّ في حديثه[١] : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثّقفيّ ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم ؛ من التّعنيف ، وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ـ وكان عُرْوَة لسُبَيْعَة بنت عبد شمس ـ وقد سمعتُ بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، [ثم] جئتكم ، حتى آسيتكم بنفسي . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضّها بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النّمور ، يعاهدون الله ، لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وايم الله لكأنّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال : وأبو بكر الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، خلف رسول الله ﷺ ، فقال : امصص بظر اللاّت ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : « هذا ابن أبي قُحَافَة » . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلّمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد . قال : فجعل يقرع يده ، إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ ، قبل ألاّ تصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ، ما أفظّك

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١١) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٧) .

وأغلظك . قال : فتبسّم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمّد ؟ قال : « هذا ابن أخيك ، المغيرة بن شعبة » . قال : أي غدر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءَتَكَ إلَّا بالأمس ؟!

قال الزّهريّ : فكلَّمه رسول الله ﷺ ، بنحو ممّا كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلّا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنّجاشيّ في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قطّ مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ، فَرَوا رأيكم .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعيّ ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له ، يقال له : الثّعلب . ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني بعض من لا أتّهم ، عن عكرمة ، [عن ابن عباس] أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله [ﷺ] ؛ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخذوا [أخذاً] ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنّبل ، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها وغلظتي عليها ، ولكني أدلّك على رجل أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظّماً لحرمته ، فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعُظماء قريش ، فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلّغ رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .

قال ابن إسحاق[٣] : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « لا نبرح حتى نناجز القوم » . ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرّضوان تحت الشجرة ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤ـ ٣١٥) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٥ـ ٣١٦) .

فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألّا نفرَّ . فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلّا الجدّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته ، [قد] ضبأ إليها ، يستتر من الناس ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من [أمر] عثمان باطل .

قال ابن هشام[1] : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشّعبيّ أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرّضوان أبو سنان الأسديّ .

قال ابن هشام[2] : وحدّثني من أثق به ، عمّن حدّثه بإسناد له ، عن ابن أبي مُلَيكَة ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد الضعيف ثابت في « الصحيحين »[3] .

قال ابن إسحاق[4] : قال الزّهريّ : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤيّ إلى رسول الله ﷺ وقالوا : ائت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلّا أن يرجع عن عامه هذا ، فوالله لا يتحدّث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ ، تكلّم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلمّا التأم الأمر ولم يبق إلّا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟! قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟! قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟! قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدَّنيّة في ديننا ؟! قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه ، فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ألست برسول الله ؟! قال : « بلى » . قال : أوَلسنا بالمسلمين ؟! قال : « بلى » . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟! قال : « بلى » . قال : فعلام نعطي الدّنيّة في ديننا ؟! قال : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيّعني » . فكان عمر ، رضي الله عنه يقول : ما زلت أصوم ، وأتصدّق ، وأصلّي ، وأعتق ، من الذي صنعت يومئذ ؛ مخافة كلامي الذي تكلّمت يومئذ ، حتى رجوت أن يكون خيراً . قال : ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » . قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهمّ . قال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٦١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٩٩) ، ومسلم رقم (١٨٥٦) (٦٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) .

فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : باسمك اللهمّ » . فكتبها ، ثم قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . [قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال : فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو »] اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناس ، ويكفّ بعضهم عن بعض ، [على] أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمد لم يردّوه عليه ، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمد [وعهده] دخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ـ فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ـ وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ؛ السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها .

قال : فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح ؛ لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلمّا رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه ، دخل [على] الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، وقال : يا محمد ، قد لجّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيَك هـذا . قال : « صدقت » . فجعل ينتره بتلبيبه ويجرّه ، يعني ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أُردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنّا لا نغدر بهم » . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : [اصبر] يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضنّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضية . فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ، ورجالاً من المشركين ؛ أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص ـ وهو [يومئذ] مشرك ـ وعليّ بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة . وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحلّ ، وكان يصلّي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعيّ ، فلمّا رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق ، تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « والمقصّرين » . قالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت التّرحيم للمحلّقين دون المقصّرين ؟ قال : « لم يشكّوا » .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدّثني مجاهد ، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية ـ في هداياه ـ جملاً لأبي جهل ، في رأسه برة من فضّة ؛ ليغيظ بذلك المشركين . هذا سياق محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، لهذه القصة ، وفي سياق البخاريّ ـ كما سيأتي ـ مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق ، كما ستراها إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ، ونذكر ما في الأحاديث الصّحاح والحسان ما فيه شاهد ، في كلّ موطن بحسبه ، إن شاء الله تعالى ، وعليه التّكلان ، وهو المستعان .

قال البخاريّ[٢] : ثنا خالد بن مخلد ، ثنا سليمان بن بلال ، ثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلّى لنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل [بوجهه] علينا فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . [فقال] : « قال الله تعالى : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ؛ فأمّا من قال : مطرنا برحمة الله ، وبرزق الله ، وبفضل الله . فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأمّا من قال : مطرنا بنجم كذا . فهو مؤمن بالكوكب كافر بي » . وهكذا رواه في غير موضع من « صحيحه » . ومسلم من طرق[٣] . وقد روى عن الزّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبي هريرة .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : تعدّون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرّضوان يوم الحُديبية ، كنا مع النبيّ ﷺ أربع عشرة مئة ، والحُديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ ، فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماءٍ ، فتوضّا ثم مضمض ودعا ، ثم صبّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا . انفرد به البخاريّ .

وقال ابن إسحاق[٥] في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] : صلح الحُديبية .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٩) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤١٤٧) .
(٣) رواه مسلم (٧١) (١٢٥) و(٧٢) (١٢٦) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/٣٢٢) .

قال الزهريّ : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلمّا كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلّهم بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلَّم أحد في الإسلام ـ يعقل شيئاً ـ إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزّهريّ أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل في قول جابر ، ثم خرج [عام فتح مكة] بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وقال البخاريّ[١] : ثنا يوسف بن عيسى ، ثنا ابن فضيل ، ثنا حصين ، عن سالم ، عن جابر ، قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضَّأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضّأ به ولا [ما] نشرب إلّا ما في ركوتك . قال : فوضع النبيّ ﷺ يده في الرّكوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضّأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : [لو] كنا مئة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مئة .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٢] من طُرق ، عن حُصَين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر ، به .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا الصّلت بن محمد ، ثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قلت لسعيد بن المسيّب : بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مئة . فقال لي سعيد : حدّثني جابر : كانوا خمس عشرة مئة ، الذين بايعوا النبيّ ﷺ يوم الحُديبية . تابعه أبو داود[٤] : حدّثنا قُرّة ، عن قتادة . تفرّد به البخاريّ .

ثم قال البخاريّ[٥] : ثنا عليّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض » . وكنا ألفاً وأربعمئة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٦] من طُرق ، عن سُفيان بن عُيينة به .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٥٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣٥٧٦) ، ومسلم رقم (١٨٥٦) (٧٣) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٥٣) .
(٤) يعني (الطَّيَالسي) صاحب « المسند » واسمه (سُليمان بن داود البصري الطّيَالسي) المتوفى سنة (٢٠٤)هـ ، وكان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث ، رحمه الله . انظر « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي (٣/ ٢٥) بتحقيقي .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٥٤) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٨٤٠) ، و« مسلم » رقم (١٨٥٦) (٧١) .

وهكذا رواه اللَّيث بن سعد ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال : يا رسول الله ، ليدخلنّ حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنه شهد بدراً والحديبية » . رواه مسلم[١] .

وعند مسلم[٢] أيضاً من طرق [عن] ابن جُريج ، أخبرني أبو الزّبير ، أنه سمع جابراً يقول : أخبرتني أمّ مبشّر[٣] أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل أحدٌ النّار ، إن شاء الله ، من أصحاب الشجرة ، الذين بايعوا تحتها » . فقالت حَفْصَةُ : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حَفْصَةُ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] فقال رسول الله ﷺ : « قد قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] » .

قال البخاريّ[٤] : وقال عبيد الله بن معاذ : ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، حدّثني عبد الله بن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمئة ، وكانت أَسْلَم ثُمُن المهاجرين . تابعه محمد بن بشّار ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا شعبة . هكذا رواه البخاريّ معلّقاً ، عن عبيد الله .

وقد رواه مسلم[٥] ، عن عُبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شُعبة ، وعن محمد بن المثنّى ، عن أبي داود ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن النّضر بن شُمَيل ، كلاهما عن شُعبة ، به .

ثم قال البخاريّ[٦] : ثنا عليّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن الزّهريّ ، عن عُرْوَة ، عن مروان والمِسْوَر بن مخرمة قالا : خرج النّبيّ ﷺ عام الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ، فلمّا كان بذي الحُليفة قلّد الهديَ ، وأشعر ، وأحرم منها . تفرّد به البخاريّ ، وسيأتي هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلّها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق ؛ من أن أصحاب الحديبية كانوا سبعمئة ، وهو ـ والله أعلم ـ إنما قال ذلك تفقّهاً من تلقاء نفسه ؛ من حيث إنّ البدن كنّ سبعين بدنةً ، وكلّ منها عن عشرة ، على اختياره ، فيكون المهلّون سبعمئة ، ولا يلزم أن يهدي كلّهم ، ولا أن يحرم كلّهم أيضاً ؛ فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم ، فيهم أبو قتادة ، ولم يُحْرِم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحِمَار الوحشيّ ، فَأَكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق ، فقال : « أمنكم أحد أمره أن يحمل عليها ، أو أشار إليها ؟ » قالوا : لا . قال : « فكلوا ما بقي من لَحْمِهَا » .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .
(٣) هي أم مُبَشّر بنت البراء بن معرور الأنصارية ، وهي امرأة زيد بن حارثة ، وكانت من كبيرات الصحابيات . انظر « جامع الأصول » (١٥/ ٣٧٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥٥) تعليقاً .
(٥) رواه مسلم رقم (١٨٥٧) (٧٥) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٥٧) و(٤١٥٨) .

وقد قال البخاري[١] : ثنا سعيد بن الربيع ، ثنا عليُّ بن المبارك ، عن يحيي ، عن عبد الله بن أبي قتادة ، أن أباه حدَّثه قال : انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحُديبية ، فأحرم أصحابه ولم أُحرم .

وقال البخاريُّ : ثنا محمد بن رافع ، ثنا شَبَابَة [بن سَوَّار الفَزَاريُّ] ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها .

ثنا[٢] موسى ، ثنا أبو عوانة ، ثنا طارق ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه ، أنه كان ممن بايع تحت الشجرة ، فرجعنا إليها العام المقبل ، فَعُمِّيَتْ علينا .

وقال البخاريُّ[٣] أيضاً : ثنا محمود ، ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجّاً فمررت بقوم يصلُّون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة ، حيث بَايَعَ النبيُّ ﷺ بيعة الرِّضوان ، فأتيت سعيد بن المسيِّب فأخبرته ، فقال سعيد : حدَّثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة . قال : فلمَّا كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم ؟ فأنتم أعلم .

ورواه البخاريُّ ومسلم[٤] من حديث الثوري وأبي عَوَانة وشَبَابَةَ عن طارق .

وقال البخاري[٥] : ثنا إسماعيل ، حدّثني أخي ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عبّاد بن تميم قال : لما كان يوم الحرّة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : عَلَامَ يبايع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ . وكان شهد معه الحُديبية .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٦] من طرق ، عن عمرو بن يحيى ، به .

وقال البخاريّ[٧] : ثنا قتيبة [بن سعيد] ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد قال : قلت لسلمة بن الأَكْوَع : على أيّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحُديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم[٨] من حديث يزيد بن أبي عُبيد .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٨٢٢) .
(٢) القائل الإمام البخاري في « صحيحه » رقم (٤١٦٤) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٦٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٦٤) و(٤١٦٥) ، ومسلم رقم (١٨٥٩) (٧٧) و(٧٨) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٦٧) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٥٩) ، ومسلم رقم (١٨٦١) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤١٦٩) .
(٨) رواه مسلم رقم (١٨٦٠) .

وفي « صحيح مسلم »[١] عن سلمة أنه بايع ثلاث مرّات ؛ في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم .

وفي « صحيح مسلم »[٢] عن معقل بن يسار ، أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس . وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سِنَان ، وهو وهب بن محصن ، أخو عُكَّاشة بن مِحْصَن ، وقيل : سِنَان بن أبي سِنَان .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا شجاع بن الوليد ، سمع النّضر بن محمد ، ثنا صَخْرُ بن الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدّثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحُديبية أرسل عبد الله إلى فرس له ، عند رجل من الأنصار ، أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يَدْري بذلك ، فبايعه عبد الله ، [ثم ذهب إلى الفَرَس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يَستلئمُ للقتال ، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة][٤] . قال : فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، وهي التي يتحدّث[٥] الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمّار : ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا عمر بن محمد العُمَريّ ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبيّ ﷺ يوم الحُديبية تفرّقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس مُحْدقُون بالنَّبيّ ﷺ ، فقال : يا عبد الله ، انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ؟ فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر ، فخرج فبايع . تفرّد به البخاريّ[٦] من هذين الوجهين .

* * *

ذكر[٧]

سياق البخاريّ لعُمْرَة الحُديبية

قال في كتاب المغازي[٨] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، سمعت الزّهريّ حين حدّث هذا الحديث ، حفظت بعضه ، وثبّتني مَعْمَر ، عن عُرْوَة بن الزّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومَرْوَان بن الحَكم ، يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبيّ ﷺ عام الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ،

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٠٧) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٨٥٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٨٦) .
(٤) ما بين القوسين سقط من (ط) .
(٥) في (ط) : « تحدث » .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤١٨٧) تعليقاً .
(٧) لفظ « ذكر » لم يرد في (ط) .
(٨) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤١٧٨) و(٤١٧٩) .

فلمّا أتى ذا الحُليفة قلّد الهدي وأشهره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خُزَاعَة ، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بغُدَير الأَشْطَاط[١] أتاه عينه ، قال : إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك . فقال : « أشيروا أيها الناس عليّ ، أترون أن أميل إلى عيالهم ، وذراريّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدّونا عن البيت؟ فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب [أحد] فتوجّه له ، فمن صدّنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم الله » . هكذا رواه هاهنا ، ووقف ، ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال في كتاب الشّهادات[٢] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا عبد الرزّاق ، أنبأ مَعْمَر ، أخبرني الزّهريّ ، أخبرني عُرْوَة بن الزّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومَروان بن الحكم ، يصدّق كلّ واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحُديبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبيّ ﷺ : « إن خالد بن الوليد بالغميم ، في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين » . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بالثّنيّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ . فألحّت ، فقالو : خَلأَتِ القَصْواء ، خلأت القصواء . فقال رسول الله ﷺ : « ما خَلأَت القصواء ، وما ذاك لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حرمات الله [إلا أعطيتهم إيّاها] » . ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُديبية ، على ثَمَد قليل الماء يَتَبَرَّضُه الناس تبرّضاً ، فلم يلبّثه الناس حتى نزحوه ، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّيّ حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن وَرْقَاء الخُزَاعيّ ، في نفر من قومه من خُزَاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تِهَامة ـ فقال : إني تركت كعب بن لؤيّ ، وعامر بن لؤيّ ، نزلوا أعداد مياه الحُديبية ، معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت . فقال النبيّ ﷺ : « إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاؤوا مادَدْتُهم مدة ، ويخلّوا بيني وبين الناس ، [فإن أظهر ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس] فعلوا ، وإلاّ فقد جمّوا ، وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذنّ أمر الله » . قال بديل : سأبلّغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشاً ، فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدّثهم بما قال رسول الله ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، ألستم

---

(١) غدير الأشطاط : موضع قرب عُسفان . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٨١) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢) في الشروط ، لا في الشهادات .

بالوالد؟ قالوا : بلى . قال : أولست بالولد؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتّهموني؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ ، فلمّا بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا : بلى . قال : فإنّ هذا قد عرض لكم خطّة رشد اقبلوها ودعوني آته . فقالوا : ائته . فأتاه ، فجعل يكلّم النبيّ ﷺ ، فقال النبيّ ﷺ نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت [بأحد] من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى ، فإني والله لا أرى وجوهاً ، [وإني لأرى] أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر : امصص بظر اللاّت ، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ قال : من ذا؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها ، لأجبتك . قال : وجعل يكلّم النبيّ ﷺ ، فكلما تكلّم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال [له] : أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غدر ، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيّ ﷺ : « أمّا الإسلام فأقبل ، وأمّا المال فلست منه في شيء » . ثم إن عروة [جعل] يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ؛ وفدت على قيصر وكسرى والنّجاشيّ ، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخّم نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة : دعوني آته . فقالوا : ائته . فلمّا أشرف على النبيّ ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : « هذا فلان ، وهو من قوم يعظّمون البدن فابعثوها له » . فبعثت له ، واستقبله الناس يلبّون ، فلمّا رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت . [فلمّا رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت ، فما أرأى أن يصدّوا عن البيت] . فقام رجل منهم يقال له : مكرز بن حفص . فقال : دعوني آته . قالوا : ائته . فلمّا أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ : « هذا مكرز ، وهو رجل فاجر » . فجعل يكلّم النبي ﷺ ، [فبينما هو يكلّمه] إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : « [لقد] سُهِّلَ لَكُمْ [من] أَمْرِكُمْ » . قال معمر : قال الزهريّ في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبيّ ﷺ الكاتب ، فقال النبيّ ﷺ : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال سهيل : أمّا الرحمن ، فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهمّ ، كما كنت تكتب . فقال

المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبيّ ﷺ : « اكتب باسمك اللهمّ » . ثم قال : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك [عن] البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : « والله إني لرسول الله وإن كذّبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله » .

[قال الزهريّ] : وذلك لقوله : « لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حُرُمَات الله ، إلّا أعطيتهم إيّاها » . فقال له النبيّ ﷺ : « على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به » . قال سهيل : والله لا تتحدّث العرب أنا أُخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل ، وإن كان على دينك ، إلّا رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد ، أول من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ . فقال النبي ﷺ : « إنا لم نقض الكتاب بعد » . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . فقال النبيّ ﷺ : « فأجزه لي » . قال : ما أنا بمجيزه لك . قال : « بلى ، فافعل » . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ ـ وكان قد عذّب عذاباً شديداً في الله ـ قال : فقال عمر ، رضي الله عنه : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبيّ الله حقّاً؟ قال : « بلى » . قلت : ألسنا على الحقّ ، وعدوّنا على الباطل؟ قال : « بلى » . قلت : [فلم] نعطي الدّنيّة في ديننا إذاً؟ . قال : « إني رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصري » . قلت : أولست كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال : « بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ » [قال] : قلت : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوّف به » . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحقّ ، وعدوّنا على الباطل؟ . قال : بلى . [قال] : قلت : فلم نعطي الدّنيّة في ديننا إذاً؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ، وليس يعصي ربّه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحقّ . قلت : أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال : بلى ، أفاخبرك أنك تأتيه العام؟ فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوِّف به .

قال الزهريّ : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً . قال : فلمّا فرغ من قضيّة الكتاب ، قال رسول الله ﷺ [لأصحابه] : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلمّا لم يقم منهم أحد دخل على أمّ سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أمّ سلمة : يا نبيّ الله ، أتحبّ ذلك؟ اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً . ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله

[تعالى] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ [فَٱمْتَحِنُوهُنَّ] ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشِّرك ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبيّ ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير ـ رجل من قريش ـ وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً . فاستلّه الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد ، لقد جرّبت به ، [ثم جرّبت به] ، ثم جرّبت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ [حين رآه] : « لقد رأى هذا ذُعراً » . فلمّا انتهى إلى النبيّ ﷺ قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبيّ الله ، قد والله أوفى الله ذمتّك ، قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم . فقال النبيّ ﷺ : « ويلُ امِّه ، مسعرَ حرب ، لو كان له أحد » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم ، فخرج حتى أتى سِيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعِير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبيّ ﷺ تناشده الله والرّحم لما أرسل [إليهم] ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبيّ ﷺ [إليهم] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ [مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ] ﴾ حتى بلغ ﴿ [ٱلْحَمِيَّةَ] حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٤ ـ ٢٦] . وكانت حميّتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ الله ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا السياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهريّ ، فقد رواه عن الزهريّ جماعة ؛ منهم سفيان بن عيينة ، ومعمر ، ومحمد بن إسحاق ، كلّهم عن الزهريّ ، عن عروة ، عن مروان ، ومسور ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاريّ[١] في أول كتاب الشّروط ، عن يحيى بن بكير ، عن اللَّيث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فذكر القصة . وهذا هو الأشبه ؛ فإن مروان ، ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقال البخاريّ : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا مالك بن مِغْوَل ، سمعت أبا حصين قال : قال أبو وائل : لمّا قدم سهل بن حنيف من صفّين أتيناه نستخبره ، فقال : اتّهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٧١١) و(٢٧١٢) .

أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلنَ بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ، ما نسدّ منها خُصماً[١] إلا انفجر علينا خصم ، ما ندري كيف نأتي له .

وقال البخاريّ : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره ، و [كان] عمر بن الخطَّاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمّك [يا] عمر ، نزّرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كلّ ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحرّكت بعيري ثم تقدّمت [أمام] المسلمين ، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن . فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه فقال : « لقد أُنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾ [الفتح : ١] .

قلت : وقد تكلّمنا على سورة « الفتح » بكمالها في كتابنا « التفسير »[٢] بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة ، ومن أحبّ أن يكتب ذلك هاهنا[٣] فليفعل .

* * *

فصل

في ذكر السّرايا والبعوث التي كانت في سنة ستّ من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي ، عن الواقديّ قال : في ربيع الأول منها أو الآخر ، بعث رسول الله ﷺ عكّاشة بن محصن ، في أربعين رجلاً إلى [الغَمْر][٤] فهربوا منه ، ونزل على مياههم ، وبعث في آثارهم ، وأخذ منهم مائتي بعير ، فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بعث [أبي] عُبيدة بن الجرّاح إلى ذي القصّة ، في أربعين رجلاً أيضاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، حتى أتوها في عماية الصّبح ، فهربوا منه في رؤوس الجبال ، فأسر منهم رجلاً ، فقدم به على رسول الله ﷺ فأسلم .

وبعث محمد بن مسلمة في عشرة نفر ، فكمن القوم لهم حتى ناموا ، [فقتل] أصحاب محمد بن مسلمة كلّهم ، وأفلت هو جريحاً .

---

(١) الخُصم : الجانب .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٧/ ٤٥٣) .
(٣) في (ط) : « هنا » .
(٤) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٨٣) .

• وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالحموم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنَة ، يقال لها : حَليمة ، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سُليم ، فأصابوا منها نعماً ، وشاءً وأسراءً[١] ، وكان فيهم زوج حليمة هذه ، فوهبها[٢] رسول الله ﷺ لزوجها ، وأطلقهما .

• وفيها كان بَعْثُ زيد بن حارثة أيضاً ، في جمادى الأولى إلى بني ثَعْلَبة ، في خمسة عشر رجلاً ، فهربت منه الأعراب ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيراً ، ثم رجع بعد أربع ليالٍ .

• وفيها خرج زَيْدُ بن حارثة في جمادى الأولى إلى العِيص .

قال : وفيها أُخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الرَّبيع ، فاستجار بزَينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، وقد ذكر ابن إسحاق قصّته حين أُخذت العِير التي كانت معه ، وقتل أصحابه ، وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر ، فلمّا جاء المدينة استجار بها ، فأجارته بعد صلاة الصّبح ، فأجاره لها رسول الله ﷺ ، وأمر الناس بردّ ما أخذوا من عِيره ، فردّوا كلّ شيء كانوا أخذوه منه ، حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلمّا رجع بها إلى مكة ، وأدّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع ، أسلم وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردّ عليه رسول الله ﷺ زوجته[٣] بالنّكاح الأول ، ولم يُحْدِث نكاحاً ولا عقداً ، كما تقدّم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهجرتها ستّ سنين ، ويروى سنتان . وقد بيّنّا أنه لا منافاة بين الروايتين ؛ وأنّ إسلامه تأخّر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفّار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح ، لا كما تقدم من كلام الواقديّ ، من أنّه سنة ستّ ، والله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة ، أنّ دِحْيَة بن خليفة الكلبيّ أقبل من عند قيصر ، وقد أجازه بأموال وخِلَعٍ ، فلمّا كان بحِسْمَى[٤] لقيه ناس من جذام ، فقطعوا عليه الطريق ، فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً ، رضي الله عنه .

قال الواقديّ[٥] : حدّثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة قال : خرج عليّ ، رضي الله عنه ، في مائة رجل إلى أن نزل إلى حيّ من بني سعد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أنّ لهم جَمْعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار إليهم باللّيل ، وكمن بالنهار ، وأصاب عيناً لهم ، فأقرّ له أنه بعث إلى خيبر ، يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

---

(١) في (آ) و (ط) : « وأسروا » .
(٢) في (ط) : « فوهبه » وهو خطأ .
(٣) يعني « زينب » .
(٤) حِسْمَى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حِسْمَى في غربتهم ، وفي شرقهم شروري . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٠٣) .
(٥) انظر « المغازي » (٢/ ٥٦٢) .

قال الواقديّ ، رحمه الله تعالى : وفي سنة ستّ ، في شعبان منها ، كانت سريّة عبد الرحمن [بن] عوف ، إلى دومة الجندل ، وقال له رسول الله ﷺ : « إن هم أطاعوا فتزوّج بنت ملكهم » . فأسلم القوم ، وتزوّج عبد الرحمن بنت ملكهم ؛ تُماضِر بنت الأصبغ الكلبية ، وهي أمّ أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقديّ : في شوال سنة ستّ كانت سريّة كرز بن جابر الفهريّ إلى العرنيّين الذين قتلوا راعيَ رسول الله ﷺ ، واستاقوا النّعم ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر ، في عشرين فارساً ، فردّوهم .

فكان من أمرهم ما أخرجه البخاريّ ، ومسلم[١] ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنّ رهطاً من عكل وعرينة ـ وفي رواية : من عكل أو عرينة ـ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول [الله] ، إنّا أناس أهل ضَرْعٍ ، ولم نكن أهل ريف ، فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيها ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا ، حتى إذا كانوا ناحية الحرّة قتلوا راعي رسول الله ﷺ ، واستاقوا الذّود ، وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبيّ ﷺ في طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ، وتركهم في ناحية الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حضّ على الصّدقة ، ونهى عن المثلة .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة، ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

وفي رواية مسلم[٢] ، عن معاوية بن قرّة ، عن أنس ، أنّ نفراً من عرينة أتوا رسول الله ﷺ فاسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة المُومُ ـ وهو البِرْسَام[٣] ـ فقالوا : هذا الوجع قد وقع يا رسول الله، فلو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : « نعم ، فاخرجوا فكونوا فيها » . فخرجوا فقتلوا الرّاعيين ، وذهبوا بالإبل ، وعنده شباب من الأنصار قريب من عشرين ، فأرسلهم إليهم ، وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم ، فأُتي بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم .

وفي « صحيح البخاريّ »[٤] من طريق أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس ، أنه قال : قدم رَهْطٌ من عُكل فأسلموا ، واجتَوَوُا المدينة ، فأَتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال : « الحقوا بالإبل ، واشربوا من أبوالها وألبانها » . فذهبوا فكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، فجاء الصّريخ إلى رسول الله ﷺ ، [فأرسل في طلبهم] فلم ترتفع الشمس حتى أُتي بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكواهم

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤١٩٢) و(٥٧٢٧) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .
(٣) ويعرف في أيامنا بداء ذات الجنب ، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٣٣) (٣٠١٨) و(٦٨٠٤) و(٦٨٠٥) .

بها ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وألقاهم في الحرّة يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا ولم يحسمهم .

وفي رواية عن أنس ، قال[١] : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش .

قال أبو قِلابة[٢] : فهؤلاء قتلوا ، وسرقوا ، وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا الله ورسوله .

وقد روى البيهقيّ[٣] من طريق عُثمان بن أبي شَيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال : « اللهمّ عمّ عليهم الطّريق ، واجعلها عليهم أضيق من مَسك حمل » . قال : فعمّى الله عليهم السبيل فأُدْرِكوا ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَل أعينهم .

وفي « صحيح مسلم »[٤] : إنما سملهم ؛ لأنهم سَمَلوا أَعْيُنَ الرّعاء .

* * *

فصل

فيما وقع من الحوادث في هذه السنة أعني سنة ستّ من الهجرة

• فيها نزل فرض الحجّ[٥] ، كما قرّره الشافعيّ ، رحمه الله ، زمن الحُديبية ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة ١٩٦] ولهذا ذهب إلى أن الحجّ على التّراخي لا على الفور ؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم لم يحجّ إلّا في سنة عشر . وخالفه الثلاثة ؛ مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحجّ يجب على كلّ من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله [تعالى] : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ . وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا « التفسير » ، ولله الحمد والمنة ، بما فيه كفاية .

• وفي هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين ؛ تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحُديبية

---

(١) يعني البخاري رقم (٥٦٨٥) .

(٢) وذلك عقب نص الحديث رقم (٢٣٣) المتعلق بقصتهم من « صحيح البخاري » .

(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٨٨) .

(٤) رقم (١٦٧١) (١٤) .

(٥) والصحيح في السنة التاسعة أو العاشرة ، وأما الآية الكريمة : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن كانت قد نزلت سنة ست عام الحُديبية ، فليس فيها فرضية الحج ، وإنما فيها الأمر بإتمامه ، وإتمام العُمرة بعد الشروع فيها ، وذلك لا يقتضي وجوب الابتداء . وانظر « زاد المعاد » لابن قيم الجوزية (٢/ ١٠١) بتحقيق والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وزميله وأستاذي المحدِّث الشيخ شعيب الأرناؤوط ـ نفع الله بهما ـ طبع مؤسسة الرسالة .

على أنه : لا يأتيك منا أحد ، وإن كان على دينك ، إلا رددته علينا . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ ﴾ الآية [الممتحنة : ١٠] .

• وفي هذه السنة كانت غزوة المُرَيْسِيع[١] ، التي كانت فيها قضيّة الإفك ، ونزول براءة أمّ المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، كما تقدّم .

• وفيها كانت عُمْرَة الحُديبية ، وما كان من صدّ المشركين لرسول الله ﷺ ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب عشر سنين ، فأمن الناس فيهن بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال ، وقد تقدّم كلّ ذلك مبسوطاً في أماكنه ، ولله الحمد والمنّة ، وولي الحجّ في هذه السنة المشركون .

• قال الواقديّ[٢] : وفيها في ذي الحجّة منها بعث رسول الله ﷺ ستة نفرٍ مصطحبين حاطب بن أبي بَلْتَعَة ، إلى المُقوقس صاحب الإسكندريّة ، وشُجاع بن وهب ، من بني أَسد بن خُزيمة ، شهد بدراً ، إلى الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ ، يعني ملك عرب النّصارى [بالشام] ، ودِحْيَةَ بن خليفة الكلبيّ ، إلى قَيْصَر ، وهو هِرَقْل ملك الرُّوم ، وعبد الله بن حُذَافَة السّهميّ إلى كِسْرى ملك الفرس ، وسَلِيط بن عمرو العَامريّ إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ ، وعمرو بن أُمية الضّمريّ ، إلى النجاشيّ ملك النّصارى بالحبشة ، وهو أصحمة بن أبجر[٣] .

* * *

---

(١) وتسمى أيضاً (غزوة بني المصطلق) . انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٢٣) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٤) نقلاً عن الواقدي .
(٣) انظر تفاصيل ذلك والتعليق عليه في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .

سنة سبع من الهجرة النبوية

غزوة خَيبر في أوّلها

قال شعبة ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله : ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] . قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة[١] : لمّا رجع رسول الله ﷺ من الحُديبية مَكَثَ بالمدينة عشرين يوماً[٢] ، أو قريباً من ذلك ، ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إيّاها .

وحكى موسى ، عن الزهريّ ، أنّ افتتاح خيبر في سنة ستّ . والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدّمنا .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، حين رجع من الحُديبية ، ذا الحجّة وبعض المحرّم ، ثم خرج في بقيّة المحرّم إلى خيبر .

وقال يونس بن بُكَير[٤] ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن عُرْوَة ، عن مروان والمِسْوَر ، قالا : انصرف رسول الله ﷺ عام الحُديبية ، فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجّة ، فأقام بها حتى سار إلى خيبر [في المحرَّم] ، فنزل بالرّجيع ؛ وادٍ بين خيبر وغطفان ، فتخوّف أن تُمدّهم غطفان ، فبات حتى أصبح ، فغدا إليهم .

قال البيهقيّ : وبمعناه رواه الواقديّ عن شيوخه ، في خروجه في أوّل سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عبد الله بن أبي بكر قال : كان افتتاح خيبر في عقب المحرّم ، وقدم النبيّ ﷺ في آخر صفر .

قال ابن هشام[٥] : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيّ .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥) .
(٢) في « دلائل النبوة » : « ليلة » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٩٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا عَفَّان ، ثنا وهيب ، ثنا خُثَيم ـ يعني ابن عِرَاك ـ عن أبيه أنّ أبا هُريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبيّ ﷺ بخيبر ، وقد استخلف سِبَاع بن عُرْفُطَةَ ـ يعني الغَطَفَانيّ ـ على المدينة . قال : فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصّبح في الركعة الأولى بـ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم : ١] وفي الثانية : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] فقلت في نفسي : ويل لفلان ، إذا اكتال اكتال بالوافي ، وإذا كال كال بالنَّاقص . قال : فلمّا صلّى زوَّدَنا شيئاً حتى أتينا خيبر ، وقد افتتح النَّبيّ ﷺ خيبر . قال : فكلّم المسلمين ، فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقيّ[٢] ، من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خُثَيم بن عِرَاك ، عن أبيه ، عن نفر من بني غِفَار قالوا : إنّ أبا هُريرة قدم المدينة . . . فذكره .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان رسول الله ﷺ ، حين خرج من المدينة إلى خيبر ، سلك على عِصر ، فبُني له فيها مسجد ، ثم على الصّهباء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بوادٍ يقال له : الرّجيع . فنزل بينهم وبين غطفان ؛ [ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ ، فبلغني أنّ غطفان] لمّا سمعوا بذلك جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلةً ، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً ، ظنّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أموالهم وأهليهم ، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير أنّ سويد بن النّعمان أخبره أنّه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، حتى إذا كانوا بالصّهباء ، وهي من أدنى خيبر ، صلّى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤت إلا بالسّويق ، فأمر به فثُرِّي ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ، ثم صلى ولم يتوضّأ .

وقال البخاريّ[٥] : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سَلَمَة بن الأَكْوَع قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ، ألا تُسمعنا من هُنَيْهَاتِكَ ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ، يقول : [من الرجز]

لاهُمّ[٦] لولا [أنتَ] ما اهْتَدَينَا ... ولا تَصَدّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
فاغفر فِدَاءً لَكَ ما اتّقينا ... وثَبّتِ الأَقْدَامَ إن لاقينا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٤٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ١٩٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤١٩٥) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤١٩٦) .
(٦) عند البخاري : « اللهم » وهو المشهور ، وهو كذلك في « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٢) .

وألقيَـنْ[١] سكينـة علينـا   إنّـا إذا صيـح بنـا أَبَيْنَـا

وبالصّياح عوّلوا علينا

فقال رسولُ الله ﷺ : « من هذا السَّائق ؟ » قالوا : عامر بن الأكوع . قال : « يرحمه الله » . فقال رجل من القوم : وجبت يا نبيّ الله ، لولا أمتعتنا به . فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مَخْمَصَةٌ شديدة ، ثم إنّ الله فتحها عليهم ، فلمّا أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم ، أوقدوا نيراناً كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذه النّيران ؟ على أيّ شيء تُوقدون ؟ » قالوا : على لحم . قال : « على أيّ لحم ؟ » قالوا : لحم الحمر الإنسيّة . قال النبيّ ﷺ : « أهريقُوها واكسروها » . فقال رجل : يا رسول الله ، أو نهريقها ونغسلها ؟ فقال : « أو ذاك » . فلمّا تصافّ الناس كان سيف عامر قصيراً ، فتناول به ساق يهوديّ ليضربه ، فيرجع ذباب سيفه ، فأصاب عين ركبة عامرٍ فمات منه ، فلمّا قفلوا قال سلمة : رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي ، قال : « ما لك ؟ » قلت : فداك أبي وأمّي ، زعموا أنّ عامراً حبط عمله . قال النبيّ ﷺ : « كذب من قاله ، إنّ له لأجرين » ـ وجمع بين إصبعيه ـ « إنّه لجاهِد مُجَاهِدٌ ، قلّ عربيّ مشى بها مثله » .

ورواه مسلم[٢] من حديث حاتم بن إسماعيل ، وغيره ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة ، به نحوه . ويروى : « نشأ بها مثله » .

قال السّهيليّ[٣] : ويروى : « قلّ عربيّ مشابهاً مثله » . ويكون منصوباً على الحاليّة من نكرة ، وهو سائغ ؛ إذا دلّت على تصحيح معنى ، كما جاء في الحديث : فصلّى وراءه رجال قياماً .

وقد روى ابن إسحاق[٤] قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيميّ ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلميّ أنّ أباه حدّثه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عمّ سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هَناتك » . قال : فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ فقال : [من الرجز]

والله لَـولا الله مَـا اهْتَـدَيْنَـا   ولا تَصَـدَّقْنَـا وَلَا صَلَّيْنَـا

إنّـا إذا قَـومٌ بَغَـوا علينـا   وإن أرادوا فتنــةً أَبَيْنَـا

فَـأَنْـزِلَـنْ سَكِيْنَـةً علينـا   وثبِّـت الأَقْـدَامَ إنْ لاقَيْنَـا

---

(١) في « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٢) : « وأنزلن » .

(٢) في « صحيحه » رقم (١٨٠٢) (١٢٣) و(١٨٠٢) الذي بعد (١٩٣٩) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٥٧٤) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) .

فقال رسول الله ﷺ : « يَرْحَمُكَ ربُك » . فقال عمر بن الخطّاب : وجبت يا رسول الله ، لو أمتعتنا به . فقُتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاريّ .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني من لا أتّهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلميّ ، عن أبيه ، عن أبي معتّب بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : « قفوا » . ثم قال : « اللهمّ ربّ السموات وما أظللن ، وربّ الأرضين وما أقللن ، وربّ الشّياطين وما أضللن ، وربّ الرّياح وما أذرين ، فإنّا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها ، وشرّ أهلها ، وشرّ ما فيها ، أقدموا بسم الله » . وهذا حديث غريب جدّاً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقيّ[٢] ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن العطارديّ ، عن يونس بن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمّع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان الأسلميّ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، حتى إذا كنّا قريباً وأشرفنا عليها ، قال رسول الله ﷺ للناس : « قفوا » . فوقف الناس ، فقال : « اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن ، وربّ الأرضين السبع وما أقللن ، وربّ الشياطين وما أضللن ، فإنّا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّ هذه القرية ، وشرّ أهلها ، وشرّ ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني من لا أتّهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ حتى [إذا] أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، وركبت خلف أبي طلحة ، وإنّ قدمي لتمسّ قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عُمّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه . فأدبروا هرّاباً ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » .

قال ابن إسحاق[٤] : ثنا هارون ، عن حميد ، عن أنس ، بمثله .

وقال البخاريّ[٥] : ثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك ، عن حميد الطّويل ، عن أنس بن مالك ، أنّ رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً ، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يَقْرَبْهُم حتى يصبح ، فلمّا أصبح خرجت اليهود

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٩) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣٠) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤١٩٧) .

بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحةِ قوم فساء صباح المنذَرين » . تفرّد به دون مسلم .

وقال البخاريّ(١) : حدّثنا صدقة بن الفضل ، حدّثنا ابن عيينة ، حدّثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال : صبّحْنا خيبر بكرة ، فخرج أهلها بالمساحي ، فلمّا بَصُروا بالنبيّ ﷺ قالوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . قال : فأصبنا من لحوم الحمر ، فنادى منادي النبيّ ﷺ : إنّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . تفرّد به البخاريّ دون مسلم .

وقال الإمام أحمد(٢) : ثنا عبد الرزاق ، ثنا مَعْمَر ، عن قتادة ، عن أنس قال : لمّا أتى النبيُّ ﷺ خَيْبَرَ ، فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم و[معهم] مساحيهم ، فلمّا رأوه ومعه الجيش ، نَكَصُوا فرجعوا إلى حِصْنِهِمْ ، فقال النَّبيّ ﷺ : « الله أكبر ، خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . تفرّد به أحمد ، وهو على شرط « الصحيحين » .

وقال البخاريّ(٣) : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : [صلّى النَّبيّ] ﷺ الصّبح قريباً من خيبر بغَلس ، ثم قال : « الله أكبر خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . فخرجوا يسعَون في السّكك ، فقتل النبيّ ﷺ المقاتلة ، وسبى الذّرّيّة ، وكان في السّبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبيّ ، ثم صارت إلى النبيّ ﷺ ، فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أأنت قلت لأنس : ما أصدقها ؟ فحرّك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرّد به دون مسلم .

وقد أورد البخاريّ ومسلم(٤) النّهي عن لحوم الحمر الأهليّة من طرق تُذكر في كتاب « الأحكام » .

وقد قال الحافظ البيهقيّ(٥) : أنبأ أبو طَاهِر الفقيه ، أنبأ حاجب بن أحمد الطّوسيّ ، ثنا محمد بن حماد الأبيورديّ ، ثنا محمد بن الفضيل ، عن مسلم الأعور الملائيّ ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويتّبع الجنائز ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم قريظة والنّضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف ، وتحته إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذيّ ، عن عليّ بن حُجر ، عن عليّ بن مسهر ، وابن ماجه ، عن

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤١٩٨) .
(٢) في « المسند » (٣/ ١٦٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٠) .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣١٥٥) و(٤٢١٥) و(٤٢١٦) ومسلم رقم (١٩٣٧) و(١٤٠٧) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٤) .

محمد بن الصّبّاح ، عن سفيان ، وعن عمرو بن رافع ، عن جرير ، كلّهم عن مسلم ، وهو ابن كيسان الملائيّ الأعور الكوفيّ ، عن أنس ، به[١] . وقال الترمذيّ : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهو يضعّف .

قلت : والذي ثبت في « الصحيح » عند البخاريّ[٢] عن أنس ، أنّ رسول الله ﷺ أجرى في زقاق خيبر ، حتى انحسر الإزار عن فخذه . فالظاهر أنّه كان يومئذ على فرس ، لا على حمار . ولعلّ هذا الحديث ـ إن كان صحيحاً ـ محمول على أنه ركبه في بعض الأيّام وهو محاصرها ، والله أعلم .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا محمد بن سعيد الخزاعيّ ، ثنا زياد بن الرَّبيع ، عن أبي عمران الجونيّ قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة ، فرأى طيالسة[٤] ، فقال : كأنّهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاريّ[٥] : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان عليّ بن أبي طالب تخلّف عن رسول الله ﷺ في خيبر ، وكان رمِداً فقال : أنا أتخلّف عن النبيّ ﷺ ؟ فلحق به ، فلمّا بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : « لأعطينّ الراية غداً ـ أو : ليأخذنّ الراية غداً ـ رجل يحبّه الله ورسوله ، يُفتح عليه » . فنحن نرجوها . فقيل : هذا عليّ . فأعطاه ، ففُتح عليه .

ورواه البخاريّ أيضاً ومسلم[٦] ، عن قتيبة ، عن حاتم ، به .

ثم قال البخاريّ[٧] : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد ، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله » . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم ؛ أيّهم يُعطاها ؟ فلمّا أصبح الناس غدَوا على النبيّ ﷺ ، كلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال : « أين عليّ بن أبي طالب ؟ » فقالوا : هو يا رسول الله ، يشتكي عينيه . قال : فأرسلوا إليه ، فأُتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له ، فبَرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حُمُر النّعم » .

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٠١٧) ، وابن ماجه رقم (٢٢٩٦) و(٤١٧٨) ، كما بيّنه الترمذي .
(٢) رقم (٣٧١) وانظر « صحيح مسلم » رقم (١٣٦٥) (٨٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٨) .
(٤) الطيالسة : جمع طيلسان ، من لباس العجم ، وهو فارسي معرّب . انظر « المصباح المنير » (طلس) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٩) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٧٥) و(٣٧٠٢) ومسلم رقم (٢٤٠٧) .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢١٠) .

وقد رواه مسلم والنّسائيّ جميعاً ، عن قُتيبة ، به[١] .

وفي « صحيح مسلم » والبيهقيّ[٢] من حديث سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله، ويحبّه اللهُ ورسوله يفتح الله عليه». قال عمر: فما أحببت الإمارة قطّ إلا يومئذ . فدعا عليّاً فبعثه ، ثم قال : « اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ، ولا تلتفت » . قال عليّ : على ما أقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقّها ، وحسابهم على الله » لفظ البيهقيّ.

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا مصعب بن المقدام ، وحجين بن المثنّى قالا : ثنا إسرائيل ، ثنا عبد الله بن عصمة العجليّ ، سمعت أبا سعيد الخدريّ ، رضي الله عنه ، يقول : إنّ رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ، ثم قال : « من يأخذها بحقّها ؟ » فجاء فلان فقال : أنا . قال : « أمط » . ثم جاء رجل ، فقال : « أمط » . ثم قال النبيّ ﷺ : « والذي كرّم وجه محمد ، لأعطينّها رجلاً لا يفرّ ، هاك يا عليّ » . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك ، وجاء بعجوتهما ، وقديدهما . تفرّد به أحمد ، وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة . وعبد الله بن عصمة ـ ويقال : ابن عُصَمَ ـ هذا يكنّى بأبي علوان العجليّ ، وأصله من اليمامة ، سكن الكوفة ، وقد وثّقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : شيخ .

وذكره ابن حبّان في « الثّقات »[٤] وقال : يخطىء كثيراً .

وذكره في « الضّعفاء » وقال[٥] : يُحَدِّث عن الأثبات ممّا لا يشبه حديث الثّقات ، حتى يسبق إلى القلب أنّها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بكير[٦] ، عن محمد بن إسحاق : حدّثني بُريدة بن سُفْيَان بن فَرْوَة الأسلميّ ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأَكْوَع [رضي الله عنه] قال : بعث النبيّ ﷺ أبا بكر ، رضي الله عنه ، إلى بعض حُصُون خيبر ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، وقد جَهد ، ثم بعث عمر ، رضي الله عنه ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، فقال رسول الله ﷺ : « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه اللهُ ورسوله ، ويحبّ اللهَ ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار » . قال سلمة : فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهو يومئذ أرمد ، فتفل في عينيه ، ثم قال : « خذ الراية وامض بها ، حتى يفتح الله

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٠٦) ، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨١٤٩) و(٨٥٨٧) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٠٥) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٦) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٦) ، وإسناده ضعيف بسبب عبد الله بن عصمة العجلي . وانظر كلام المصنف عليه.
(٤) انظر « كتاب الثقات » (٥/ ٥٧) .
(٥) في « كتاب المجروحين » (٢/ ٥) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

عليك » . فخرج بها والله يأنِحُ[1] ، يهرول هرولة ، وإنّا لخلفه نتّبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطّلع يهوديّ من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا عليّ بن أبي طالب . فقال اليهوديّ : علَيتم وما أُنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقيّ[2] : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصمّ ، أنبأ العُطَارديّ ، عن يونس بن بُكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، أخبرني أبي قال : لمّا كان يوم خيبر ، أخذ اللواء أبو بكر ، فرجع ولم يُفتح له ، وقتِل محمود بن مسلمة ، فرجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « لأدفعنّ لوائي غداً إلى رجل يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح له » فبتنا طيّبة نفوسنا أنّ الفتح غداً ، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ، ثم دعا باللّواء وقام قائماً ، فما منّا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلّا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولتُ أنا لها ، ورفعت رأسي ؛ لمنزلة كانت لي منه ، فدعا عليّ بن أبي طالب ، وهو يشتكي عينيه . قال : فمسحها ، ثم دفع إليه اللّواء ففُتح له . فسمعت عبد الله بن بريدة يقول : حدّثني أبي أنّه كان صاحب مرحب . قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أولُ حصون خيبر فتحاً حصنَ ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رحى منه فقتلته .

ثم روى البيهقيّ[3] عن يونس بن بُكَير ، عن المسيّب بن مَسْلَمة الأزديّ ، ثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشّقيقة ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلمّا نزل خيبر أخذته الشّقيقة ، فلم يخرج إلى الناس ، وإنّ أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل ، ثم رجع ، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله ويحبّه اللهُ ورسوله ، يأخذها عنوة » . وليس ثمّ عليّ ، فتطاولتْ لها قريش ، ورجا كلّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح ، وجاء عليّ [بن أبي طالب] على بعير له حتى أناخ قريباً ، وهو أرمد قد عصب عينه بشقّة برد قِطْريّ ، فقال رسول الله ﷺ: « ما لك ؟ » قال : رمدت بعدك . قال : « ادن مني » . فتفل في عينه ، فما وجِعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها ، وعليه جبّة أُرجوان حمراء ، قد أخرج خملها ، فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانيّ ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكِ سِلاحي بطلٌ مُجَرّبُ
إذا اللّيوث أَقْبَلَتْ تَلَهّبُ ... وأَحْجَمَتْ عن صَوْلَةِ المُغَلَّبِ[4]

---

(١) أي : حملها مثقلاً بها .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٠) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٠) .
(٤) في البيت إقواء .

فقال عليّ ، رضي الله عنه : [من الرجز]

أَنَا الذي سَمَّتني أُمّي حَيْدَرَه كَلَيْث غَابَاتٍ شَديد القَسْوَره
أكيلكم بالصّاع كيل السَّنْدَرَهْ

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره عليّ بضربة ، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه ، ووقع في الأضراس ، وأخذ المدينة[١] .

وقد روى الحافظ البزّار[٢] ، عن عبّاد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكير ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قصة بعثِ أبي بكر ، ثم عمر يوم خيبر ، ثم بعثِ عليّ ، فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة ، وفي إسناده من هو متّهم بالتّشيّع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقيّ[٣] واللفظ له ، من طريق عِكْرِمَة بن عمّار ، عن إياس بن سَلَمة بن الأَكْوَع ، عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلاً ، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة . قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً ، حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر ، فجعل يقول : [من الرجز]

والله لَولا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ مِنْ فَضْلِكَ مَا استَغْنَيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَثبِّت الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

قال : فقال رسول الله ﷺ : « من هذا القائل ؟ » فقالوا : عامر . فقال : « غفر لك ربّك » . قال : وما خصّ رسول الله ﷺ قطّ أحداً [به] إلا استُشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متّعتنا بعامر . قال : فقدمنا خيبر ، فخرج مرحب وهو يخطِر بسيفه ويقول[٤] : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أَنّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مجربُ
إِذَا الحُروبُ أَقْبَلَتْ تَلهَّبُ

قال : فبرز له عامر ، رضي الله عنه ، وهو يقول : [من الرجز]

قد عَلِمَتْ خيبرُ أنّي عَامِرُ شَاكي السِّلاح بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، فذهب يسفّل له ، فرجع على نفسه ،

(١) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٥) .
(٢) انظر « كشف الأستار » (٢٥٤٥) وفيه حكيم بن جبير ، وهو ضعيف
(٣) رواه مسلم رقم (١٨٠٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٠٧) .
(٤) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٣) .

فقطع أكحله وكانت فيها نفسه . قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : بطلَ عمل عامر ؛ قتل نفسه . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : « ما لك ؟ » فقلت : قالوا : إنّ عامراً بطل عمله . فقال : « من قال ذلك ؟ » فقلت : نفر من أصحابك . فقال : « كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين » . قال : وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ [رضي الله عنه] يدعوه وهو أرمد ، وقال : « لأعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله » . قال : فجئت به أقوده . قال : فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ ، فأعطاه الرّاية ، فبرز مرحب وهو يقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أنّي مَرْحَبُ شَـاكِـي السِّـلاح بَطَـلٌ مُجَـرّبُ
إذا الحُروب أَقْبَلَتْ تلهّبُ

قال : فبرز له عليّ وهو يقول : [من الرجز]

أنا الذي سمّتني أمّي حَيْدَرَه كليث غاباتٍ كريهِ المنظره
أوفيهم بالصّاع كيل السّندره[1]

قال : فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله ، وكان الفتح .

هكذا وقع في هذا السياق أنّ علياً هو الذي قتل مرحباً اليهوديّ ، لعنه الله .

وقال أحمد[2] : ثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدّثني ابن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن جدّه ، [عن] عليّ قال : لما قتلتُ مرحباً جئت برأسه إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى موسى بن عقبة[3] ، عن الزهريّ أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة .

وكذلك قال محمد بن إسحاق[4] : حدّثني عبد الله بن سهل ، أحد بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهوديّ من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أنّي مَرْحَب شَـاكـي السِّـلاح بَطَـلٌ مُجَـرّبُ
أطعُن أحياناً وحيناً أضربُ إذا اللّيـوث أقبلـت تحـرّب
إنّ حِمَايَ لَلْحِمَى لا يُقْرَبُ

قال : فأجابه كَعْبُ بن مَالك[5] : [من الرجز]

---

(١) السَّنْدَرَة : ضرب من الكيل .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١١١) وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢١٤) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢١٥) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » ص(١٥٤) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

قَـدْ عَلِمَـتْ خيبـرُ أَنّـي كَعْـبُ   مُفَـرِّجُ الغمّـا جـريء صُلـبُ
إذ شُبّـت الحَـرْبُ تلتهـا الحـرب   مَعْـيَ حُسـامٌ كـالعقيـقِ عَضـبُ
يطـأكُمـو حتـى يَـذلّ الصّعـب   نعطـي الجـزاء أو يفـيء النّهـبُ[١]
بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتبُ

قال : وجعل مرحب يرتجز ، ويقول : هل من مبارز ؟ [فقال رسول الله ﷺ] : « من لهذا ؟ » فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول [الله] ، أنا والله الموتور الثائر ، قتلوا أخي بالأمس . فقال : « قم إليه ، اللهم أعنه عليه » . قال : فلمّا دنا أحدهما من صاحبه دخلتْ بينهما شجرة عُمْرِيّة[٢] ، من شجر العُشَرَ[٣] ، فجعل كلّ واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع [صاحبه] بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كلّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرّجل القائم ، ما فيها فَنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتّقاه بالدّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله . وقد رواه الإمام أحمد[٤] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

قال ابن إسحاق[٥] : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنّي مـاضِ   حُلْـوٌ إِذَا شئـتُ وَسُـمّ قـاضِ

وهكذا رواه الواقديّ[٦] ، عن جابر وغيره من السَّلَف ، أن [محمد بن مسلمة] هو الذي قتل مرحباً ، وذكر الواقديّ أن محمداً قطع رجلي مرحب ، فقال له : أجهز عليّ . فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به عليّ وقطع رأسه ، فاختصما في سلبه إلى رسول الله ﷺ ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه : [من مجزوء الرجز]

هَـذَا سيـف مَـرْحَـبْ   مَـن يـذقـه يَعْطَـبْ

ثم ذكر ابن إسحاق[٧] أن أخا مَرْحَب ، وهو ياسر ، خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أمّه صفية بنت عبد المطلب : يُقتلُ ابني يا رسول الله . فقال :

---

(١) هذه الشطرة لم ترد في (ط) .
(٢) في (آ) : « عمورية » والعمرية : القديمة .
(٣) شجر العُشَر : شجر له صمغ .
(٤) في مسنده (٣/ ٣٨٥) ، وإسناده حسن .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٥) .
(٦) انظر « المغازي » (٢/ ٦٥٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٤) .

« بل ابنك يقتله إن شاء الله » . فالتقيا فقتله الزبير . [قال] : فكان الزّبير ـ إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً ـ يقول : والله ما كان صارماً ، ولكني أكرهته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ [برايته] ، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل منهم من يهود ، فطرح تُرسه من يده ، فتناول عليّ باب الحصن ، فترّس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتُني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما استطعنا أن نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي[١] ، والحاكم من طريق مُطَّلب بن زياد ، عن ليث بن أبي سُليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن عليّاً حمل الباب يوم خيبر حتى صعِد المسلمون عليه فافتتحوها ، وأنه جرّب بعد ذلك ، فلم يحمله أربعون رجلاً . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة ، عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً ، وكان جهدهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاريّ[٢] : ثنا مكّيّ بن إبراهيم ، ثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتْها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة . فأتيت النبيّ ﷺ فنفث فيه ثلاث نفَثات ، فما اشتكيت حتى الساعة .

ثم قال البخاريّ[٣] : حدّثنا عبد الله بن مسلمة ، حدّثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل قال : التقى النبيّ ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كلّ قوم إلى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدَع من المشركين شاذّة ولا فاذّة إلّا اتّبعها فضربها [بسيفه] ، فقيل : يا رسول الله ، ما أجزأ أحدٌ ما أجزأ فلان . قال : « إنه من أهل النار » . فقالوا : أيّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لأتّبعنّه ، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه . حتى جرح فاستعجل الموت ، فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل إلى النبيّ ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : « وما ذاك ؟ » فأخبره ، فقال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل الجنة » .

رواه أيضاً[٤] عن قتيبة ، عن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن سهل ، فذكر مثله أو نحوه .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٠٣) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٧) .
(٤) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٢٨٩٨) و(٤٢٠٢) .

وقال [البخاريّ][١] : ثنا أبو اليَمَان ، ثنا شعيب ، عن الزهريّ ، أخبرني سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر ، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممّن معه يدّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلمّا حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال ، حتى كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب ، فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته ، فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه ، فاشتدّ رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله ، صدّق الله حديثَك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : « قم يا فلان ، فأذِّن أنه لا يدخل الجنة إلّا مؤمن ، وأنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر » .

وقد روى موسى بن عقبة[٢] قصة العبد الأسود ؛ الذي رزقه الله الإيمان والشّهادة في ساعةٍ واحدةٍ ، وكذلك رواها ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، قالا : وجاء عبد حبشيّ أسود ، من أهل خيبر ، كان في غنم لسيده ، فلمّا رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ . فوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ ، فأقبل بغنمه حتى عمَد لرسول الله ﷺ ، فقال : إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الإسلام ؛ أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأن لا تعبد إلا الله » . قال : فقال العبد : فماذا يكون لي إن شهدتُ بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله ﷺ : « الجنة إن متّ على ذلك » . فأسلم العبد فقال : يا نبيّ الله ، إن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله ﷺ : « أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصباء ، فإن الله سيؤدّي عنك أمانتك » . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهوديّ أن غلامه قد أسلم . فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس ، فذكر الحديث في إعطائه الراية عليّاً ، ودنوّه من حصن اليهود وقتلِه مرحباً ، وقتل مع عليّ ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم ، فأُدخل في الفُسطاط ، فزعموا أن رسول الله ﷺ اطّلع في الفسطاط ، ثم اطّلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام من نفسه حقّاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين » .

وقد روى الحافظ البيهقيّ[٣] من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن ابن الهاد ، عن شرحبيل ابن سعد ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، فخرجت سريّة ، فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها ، فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود ، وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة .

ثم قال البيهقيّ[٤] : أنبأ محمد بن محمد بن مَحْمِش الفقيه[٥] ، أنبأ أبو بكر القطّان ، أنبأ أبو الأزهر ،

---

(١) رقم (٤٢٠٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٩) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢١) .
(٥) انظر « شذرات الذهب » (٥/ ٦٠) .

أنبأ مؤمّل بن إسماعيل ، أنبأ حمّاد ، أنبأ ثابت ، عن أنس ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني رجل أسود اللون ، قبيح الوجه ، منتن الريح ، لا مال لي ، فإن قاتلتُ هؤلاء حتى أقتل ، أدخلِ الجنة ؟ قال : « نعم » . فتقدّم فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول ، فقال : « لقد حسّن الله وجهك ، وطيّب ريحك ، وكثّر مالك » . و[قال] : « لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبّته عنه ؛ يدخلان فيما بين جلده وجبّته » .

ثم روى البيهقيّ[١] ، من طريق ابن جُريج ، أخبرني عِكْرِمَة بن خالد ، عن [ابن] أبي عمّار ، عن شدّاد بن الهاد ، أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتّبعه ، فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبيّ ﷺ بعض أصحابه ، فلمّا كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ ، فقسمه وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلمّا جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله ﷺ . فقال : ما على هذا اتّبعتك ، ولكني اتّبعتك على أن أُرمى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : « إن تصدق الله يصدقك » . ثم نهضوا إلى قتال العدّو ، فأُتي به رسول الله ﷺ يحمل ، وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبيّ ﷺ : « هو هو ؟ » قالوا : نعم . قال : « صدق الله فصدقه » . وكفّنه النبيّ [في جبّة النبيّ] ﷺ ، ثم قدّمه فصلّى عليه ، فكان ممّا ظهر من صلاته : « اللهم هذا عَبْدُكَ خرج مهاجراً في سبيلك ، قتل شهيداً ، أنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائيّ[٢] ، عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، به نحوه .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق[٣] : وتدنّى رسول الله ﷺ الأموال ، يأخُذُها مالاً مالاً ، ويفتتحها حِصناً حصناً ، وكان أول حصونهم فُتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ؛ أُلقيت عليه رحى منه فقتلته ، ثم القموص حصن أبي الحُقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ؛ منهن صَفِيّة بنت حُييّ بن أخطب ، وكانت عند كِنَانَة بن الرّبيع بن أبي الحُقَيق ، وبنتا عمّ لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفيّة لنفسه ، وكان دِحْيَة بن خَليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفيّة ، فلمّا اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمّها . قال : وفشت السَّبَايا من خيبر في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر . فذكر نهي رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢٢) .
(٢) رواه النسائي (٤/ ٦١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣٠) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٠٠) .

وقد اعتنى البخاريّ بهذا الفصل ؛ فأورد النهي عنها من طرق جيدة ، وتحريمُها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وهو مذهب الأئمة الأربعة . وقد ذهب بعض السَّلف ـ منهم ابن عبَّاس ـ إلى إباحتها ، وتنوّعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها ، فقيل : [لأنها كانت ظَهراً يستعينون بها في الحمولة . وقيل : لأنها لم تكن خُمّست بعد . وقيل] : لأنها كانت تأكل العَذِرة ، يعني جلاّلة .

والصحيح أنه نُهي عنها لذاتها ؛ فإن في [الأثر] الصحيح[١] أنه نادى [منادي] رسول الله ﷺ : إنَّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . فأكفؤُوها والقدور تفور بها[٢] ، وموضع تقرير ذلك في كتاب « الأحكام » .

قال ابن إسحاق[٣] : حدّثني سلاَّم بن كِرْكِرَة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ـ ولم يشهد جابر خيبر ـ أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت في « الصحيحين »[٤] من حديث حمّاد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عليّ ، عن جابر ، رضي الله عنه ، قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخّص في الخيل . لفظ البخاريّ .

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مكحول أن النبيّ ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع ؛ عن إتيان الحَبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهليّ ، وعن أكل كلّ ذي ناب من السّباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم . وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى تُجيب ، عن حنش الصّنعانيّ قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاريّ المغرب ، فافتتح قريةً من قرى المغرب يقال لها : جَرْبَة . فقام فينا خطيباً فقال : أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر ؛ قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « لا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر [أن يسقي ماءَه زرع غيره » يعني إتيان

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » (٣/ ١١) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٩٤٠) من حديث أنس .

(٢) قال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٣٠٣) : « وهذا مقدم على قول من قال من الصحابة : إنما حرّمها ، لأنها كانت ظهرَ القوم وحمولتهم ، فلما قيل له : فنيَ الظهرُ وأُكلت الحُمر ، حَرَّمها ، وعلى قول من قال : إنما حرَّمها ، لأنها لم تخمس ، وعلى قول من قال : إنما حرمها لأنها كانت حول القرية ، وكانت تأكل العَذرة ، وكل هذا في « الصحيح » لكن قول رسول الله : « إنها رجسٌ » مقدم على هذا كله ، لأنه من ظنِّ الراوي ، وقوله بخلاف التعليل بكونها رجساً » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣١) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢١٩) و(٥٥٢٤) ومسلم رقم (١٩٤١) (٣٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣١) .

الحَبَالى من السّبي « ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر] أن يصيب امرأة من السّبي حتى يستبرئها ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه » .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق ، به[١] .

ورواه الترمذيّ[٢] ، عن عمر بن حفص الشّيبانيّ[٣] ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سُليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن رُويفع بن ثابت ، مختصراً ، وقال : حسن .

وفي « صحيح البخاريّ »[٤] عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهليّة وعن أكل الثّوم . وقد حكى ابن حزم ، عن عليّ وشريك بن الحنبل ، أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثّوم النِّيْءِ .

والذي نقله الترمذيّ[٥] عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلّم الناس في الحديث الوارد في « الصحيحين »[٦] من طريق الزهريّ ، عن عبد الله والحسن ابني محمد ابن الحنفيّة ، عن أبيهما ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الأهليّة . هذا لفظ « الصحيحين » من طريق مالك وغيره ، عن الزهريّ ، وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر ، وهو مشكل من وجهين :

أحدهما ، أن يوم خيبر لم يكن ثَمّ نساء يتمتّعون بهنّ ؛ إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسِّباء عن نكاح المتعة .

الثاني ، أنه قد ثبت في « صحيح مسلم »[٧] عن الربيع بن سَبْرة بن مَعْبَد ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أذن لهم في المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها ، وقال : « إن الله قد حرّمها إلى يوم القيامة » . فعلى هذا يكون قد نهى عنها ، ثم أذن فيها ، ثم حرّمت ؛ فيلزم النّسخ مرتين ، وهو بعيد . ومع هذا فقد نصّ الشافعيّ على أنه لا يعلم شيئاً أُبيح ثم حرّم ، ثم أبيح ثم حرّم ، غير نكاح المتعة ،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٨ ـ ١٠٩) وأبو داود رقم (٢١٥٨) و(٢١٥٩) من طريق ابن إسحاق وإسناده حسن.
(٢) رقم (١١٣١) ، وهو حديث حسن كما ذكر الترمذي ونقله المصنف .
(٣) في الأصول : حفص بن عمر ، والمثبت من الترمذي .
(٤) رقم (٤٢١٥) .
(٥) رقم (١٨٠٨) و(١٨٠٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٢١٦) و(٥١١٥) و(٦٩٦١) ومسلم رقم (١٤٠٧) .
(٧) رقم (١٤٠٦) .

وما حداه على هذا ، رحمه الله ، إلا اعتماده على هذين الحديثين ، كما قدّمناه .

وقد حكى السهيليّ[١] وغيره ، عن بعضهم أنه ادّعى أنها أبيحت ثلاث مرات ، وحرّمت ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جدّاً . والله أعلم . واختلفوا ؛ أيّ وقت أول ما حرّمت ؟ فقيل : في خيبر . وقيل : في عمرة القضاء . وقيل : في عام الفتح . وهو الذي يظهر ، وقيل : في أوطاس . وهو قريب من الذي قبله . وقيل : في تبوك . وقيل : في حجّة الوداع ، رواه أبو داودُ[٢]

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث عليّ ، رضي الله عنه ، بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام الأحمدُ[٣] : حدّثنا سفيان ، عن الزهريّ ، عن الحسن وعبد الله ابني محمد ، عن أبيهما ـ وكان حسن أرضاهما في أنفسهما ـ أن عليّاً قال لابن عباس : إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر . قالوا : فاعتقد الراوي أن قوله : « خيبر » . ظرف للمنهيّ عنهما ، وليس كذلك ، إنما هو ظرف للنّهي عن لحوم الحمر ، فأمّا نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً ، وإنما جمعه معه ؛ لأن عليّاً ، رضي الله عنه ، بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ، ولحوم الحمر الأهلية ، كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين عليّ : إنك امرؤ تائهٌ ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقده في ذلك من الإباحة ، وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجّاج المزّيّ ، تغمّده الله برحمته ، آمين . ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحة الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر ، فتأوّله بأنها كانت حَمولتهم ، وأما المتعة ، فإنما كان يبيحها عند الضّرورة في الأسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرّفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز ، إلى زمن ابن جريج ، وبعده . وقد حكي عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس ، وهي ضعيفة ، وحاول بعض من صنّف في الخلاف نقل رواية عن الإمام أحمد بمثل ذلك ، ولا يصحّ أيضاً ، والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب « الأحكام » ، وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال ، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدّثه بعضُ أَسْلَم أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : والله يا رسول الله ، لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء . فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إيّاه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفتَ حالهم ، وأن

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٥٥٧) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٧٢) ، وهو شاذ ، والصحيح أن تحريم المتعة كان يوم الفتح كما أشار إليه المصنف .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٧٩) ، وأخرجه البخاري رقم (٥١١٥) ومسلم (١٤٠٧) من طريق سفيان وهو ابن عيينة به .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٢) .

ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إيّاه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عندهم ، وأكثرها طعاماً وودكاً » . فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصّعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

قال ابن إسحاق[١] : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهَوا إلى حصنهم الوطيح ، والسّلالم ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني بريدة بن سفيان الأسلميّ ، عن بعض رجال بني سلمة ، عن أبي اليَسَر كعب بن عمرو قال : إنّا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشيّة ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود ، تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ : « من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ » قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله . قال : « فافعل » . قال : فخرجت أشتدّ مثل الظّليم ، فلمّا نظر إليّ رسول الله ﷺ مولّياً قال : « اللهم أمتعنا به » . قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أُولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أُخراها فاحتضنتهما تحت يديّ ، ثم جئت بما أشتدّ ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً ، وكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمتعوا بي لعمري ، حتى كنت من آخرهم [موتاً] .

وقال الحافظ البيهقيّ في « الدلائل »[٣] : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانيّ ، ثنا أبو سعيد بن الأعرابيّ ، ثنا سعدان بن نصر ، ثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النّهديّ ، أو عن أبي قلابة قال : لما قدم النبيّ ﷺ خيبر قدم والثمرة خضِرة ، قال : فأسرع الناس فيها ، فَحُمُّوا ، فشكوا ذلك إليه ، فأمرهم أن يقرّسوا[٤] الماء في الشّنان ، ثم يحدروا عليهم بين أذاني الفجر ، ويذكروا اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عُقُل . قال البيهقيّ : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً ، وعنه : بين صلاتي المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا يحيى وبهز ، قالا : ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد بن هلال ، ثنا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٥) .
(٣) (٤/ ٢٤٢) .
(٤) أي : أن يبرِّدوه .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٨٦) ، وهو حديث صحيح .

عبد الله بن مغفّل ، قال : دُلِّيَ جراب من شحم يوم خيبر . قال : فالتزمته ، فقلت : لا أعطي أحداً منه شيئاً . قال : فالتفتّ فإذا رسول الله ﷺ يتبسّم .

وقال أحمد[1] : ثنا عفان ، ثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مغفّل ، قال : كنا محاصرين قصر خيبر ، فأُلقي إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت آخذه ، فرأيت النبيّ ﷺ فاستحييت . وقد أخرجه صاحبا « الصحيح » من حديث شعبة .

ورواه مسلم[2] أيضاً عن شيبان بن فرّوخ ، عن سليمان بن المغيرة ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق[3] : وحدّثني من لا أتّهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المزنيّ ، قال : أصبت من فيء خيبر جراب شحم . قال : فاحتملته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته ، وقال : هلمّ هذا ؛ حتى نقسمه بين المسلمين . قال : وقلت : لا والله لا أعطيكه . قال : وجعل يجاذبني الجراب. قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسّم ضاحكاً ، ثم قال لصاحب المغانم : [« لا أبا لك] ، خلّ بينه وبينه » . قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه . وقد استدلّ الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك ؛ في تحريمه شحوم ذبائح اليهود ـ ما كان حراماً عليهم ـ على غيرهم من المسلمين ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة ٥] قال : لكم . قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث ، وفيه نظر ، وقد يكون هذا الشّحم ممّا كان حلالاً لهم . والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُخمّس .

ويَعْضُدُ ذلك ما رواه الإمام أبو داودُ[4] : ثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو معاوية ، ثنا [أبو] إسحاق الشّيبانيّ ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلتُ : هل كنتم تخمّسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، فكان الرجل يجيء ، فيأخذ منه قدر ما يكفيه ، ثم ينصرف ، تفرّد به أبو داود ، وهو حسن[5] .

* * *

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٥٥) .
(٢) رقم (١٧٧٢) (٧٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٩) .
(٤) رقم (٢٧٠٤) .
(٥) هكذا قال ، ولو قال « صحيح » لكان أحسن ، فقد رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) عن هشيم عن أبي إسحاق الشيباني ، به ، ورجال إسناده رجال الصحيح .

ذكر
قصّة صَفِيَّة بنت حُيَي بن أخطب النّضرية[١]
رضي الله عنها

وكان من شأنها أنه لما أَجلى رسول الله ﷺ يهود بني النّضير من المدينة ، كما تقدّم ، فذهب عامّتهم إلى خيبر ، وفيهم حُيَيّ بن أخطب ، وبنو أبي الحُقَيق ، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم ، وكانت صَفِيّة إذ ذاك طفلة دون البُلوغ ، ثم لمّا تأهّلت للتّزويج ، تزوّجها بعض بني عمّها ، فلما زُفّت إليه وأُدخلت عليه بنى بها ، ومضى على ذلك ليالٍ ، رأت في منامها كأنّ قمر السماء قد سقط في حَجْرِهَا ، فقصّت رؤياها على ابن عَمِّهَا ، فلطم وجهها ، وقال : أتتمنّين مَلِكَ يَثْرِبَ أن يَصير بَعْلَكِ . فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إيّاهم ، وكانت صَفِيَّة في جملة السّبي ، وكان زوجها في جملة القَتْلَى . ولمّا اصطفاها رسول الله ﷺ ، وصارت في حوزه وملكه ، كما سيأتي ، وبنى بها ، بعد استبرائها [وحِلّها] ، وجد أثر [تلك] اللَّطمة في خدّها ، فسألها : « ما شأنها ؟ » فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصَّالحة ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال البخاريّ[٢] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : صلى النبيّ ﷺ الصُّبْحَ قريباً من خيبر بغلس ثم قال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا [بساحة] قومٍ فساء صباح المنذَرين » فخرجوا يسعون في السّكك ، فقتل النبيّ ﷺ المقاتلة وسبى الذُّرِّية ، وكان من السّبي صَفيَّةُ ، فصارت إلى دِحْيَةَ الكلبيّ ، ثم صارت إلى النَّبيِّ ﷺ ، فجعل عِتْقَهَا صَدَاقَها .

ورواه مسلم[٣] أيضاً من حديث حماد بن زيد ـ وله طرق ـ عن أنس .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا آدم ، ثنا شُعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب [قال] : سمعت أنس بن مالك يقول : سبى النبيّ ﷺ صَفِيَّة ، فأعتقها وتزوّجها . قال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فأعتقها . تفرّد به البخاريّ من هذا الوجه .

---

(١) ترجمتها في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٤/ ١٨٧١) ، و« الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين » ص(٤٥) ، و« جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٩) ، و« أسد الغابة » (٧/ ١٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/ ٢٣١) ، و« الإصابة في تمييز الصحابة » (٤/ ٣٤٦) ، و« شذرات الذهب » (١/ ٢٤٥) ، و« أعلام النساء » (٢/ ٣٣٣) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٠٠) .

(٣) رواه مسلم رقم (١٣٦٥) (٨٤ ـ ٨٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٠١) .

وقال البخاريّ[١] : ثنا عبد الغفّار بن داود ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن . [ح] وثنا أحمد [بن عيسى] ثنا ابن وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ ، عن عمرو مولى المطّلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيبر ، فلمّا فتح الله [عليه] الحصن ، ذُكر له جمال صَفِيَّة بنت حُييّ بن أَخْطَب ، وقد قتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاها النبيّ ﷺ لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سدّ الصّهباء حلّت ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، ثم صنع حَيْساً في نطع صغير ، ثم قال لي : « آذن من حولك » . فكانت تلك وليمته على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيت النبيّ ﷺ يحوّي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب . تفرّد به دون مسلم .

وقال البخاريّ[٢] : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال ، يُبنى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته ، وما كان فيها من خبز و[لا] لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقِط والسّمن ، فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلمّا ارتحل وطّأ لها خلفه ، ومدّ الحِجَاب . انفرد به البُخاريّ .

وقال أبو داود[٣] : ثنا مسدّد ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدِحية الكلبيّ ، ثم صارت لرسول الله ﷺ .

وقال أبو داود[٤] : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، [قال] : ثنا ابن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جمع السّبي ـ يعني بخيبر ـ فجاء دحية فقال : يا رسول الله ، أعطني جارية من السّبي . قال : « اذهب فخذ جارية » . فأخذ صفيّة بنت حييّ ، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله ، أَعطيت [دِحْيَةَ] ـ قال يعقوب : صفيّة بنت حييّ سيدة قريظة والنّضير ؟ ـ ما تصلح إلا لك . قال : « ادع بها » . فلمّا نظر إليها النبيّ ﷺ قال : « خذ جارية من السّبي غيرها » . وإن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوّجها .

وأخرجاه[٥] من حديث ابن عُليّة .

وقال أبو داود[٦] : ثنا محمد بن خلاد الباهليّ ، ثنا بهز بن أسد ، ثنا حمّاد بن سلمة ، ثنا ثابت ، عن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٢١١) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢١٣) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٨) .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧١) ، ومسلم رقم (١٣٦٥) في النكاح .
(٦) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٧) ، وهو حديث صحيح .

أنس قال : وقع في سهم دِحْيَة جَارِيَةٌ جميلة ، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أمّ سُليم تصنعها وتهيّئها . قال حمّاد : وأحسبه قال : وتعتدّ في بيتها ـ صفية بنت حُيَيّ . تفرّد به أبو داود .

قال ابن إسحاق[١] : فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بني أبي الحُقيق ، أُتي بصَفية بنت حييّ بن أخطب وبأُخرى[٢] معها ، فمرّ بهما بلال ـ وهو الذي جاء بهما ـ على قتلى من قتلى يهود ، فلمّا رأتهم التي مع صفية ، صاحت ، وصكّت وجهها ، وحثَت التراب على رأسها ، فلمّا رآها رسول الله ﷺ قال : « أعزبوا[٣] عني هذه الشيطانة » . وأمر بصَفِيّة فحِيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله ﷺ لبلال ـ فيما بلغني ـ [حين رأى بتلك اليهودية ما رأى] : « أنُزعتْ منكَ الرحمة يا بلال حتى تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! » . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق ، أن قمراً وقع في حَجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلّا أنك تمنّين مَلِكَ الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمةً خَضّر عينها منها . فأُتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها : « ما هذا ؟ » فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق[٤] : وأُتي رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْزُ بني النّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود ، فقال لرسول الله ﷺ : إني رأيت كنانة يَطيف بهذه الخرِبة كلّ غداة . فقال رسول الله ﷺ لكنانة : « أرأيت إن وجدناه عندك أقتلُكَ ؟ » قال : نعم . فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقي ، فأبى أن يؤدّيه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزّبير بن العَوّام فقال : « عذّبه حتى تستأصل ما عنده » . وكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

***

فصل

قال ابن إسحاق[٥] : وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنَيهم الوطيح والسُّلالم ، حتى [إذا]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٦) .
(٢) في (ط) : « وأخرى » .
(٣) أي : أبعدوا .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيّرهم[١] و[أن] يحقن دماءهم ، ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلّها ؛ الشقّ ، والنّطاة ، والكتيبة ، وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنَين ، فلمّا سمع [بهم] أهل فدك [قد صنعوا ما صنعوا] بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم ، ويخلّوا له الأموال ، ففعل .

[وكان ممّن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة بن مسعود ، أخو بني حارثة] فلمّا نزل أهل خيبر [على ذلك] سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم [في الأموال] على النصف [وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها] فصالحهم [رسول الله ﷺ على النصف] على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، وعامل أهل فَدَك بمثل ذلك .

* * *

فصل

في فتح حصونها[٢] وقسم أرضها

قال الواقديّ[٣] : لما تحوّلت اليهود من حصن ناعم وحصن الصّعب بن معاذ إلى قلعة الزَّبِير ، حاصره رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له : غزّال . فقال : يا أبا القاسم ، تؤمّنني على أن أدلّك على ما تستريح به من أهل النّطاة ، وتخرج إلى أهل الشّقّ ، فإن أهل الشّقّ قد هلكوا رُعباً منك ؟ قال : فأمّنه رسول الله ﷺ على أهله وماله ، فقال له اليهوديّ : إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، إنّ لهم تحت الأرض دُبُولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعتهم . فأمر رسول الله ﷺ بقطع دُبولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشدّ القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ [نفر] وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ ، وكان آخر حصون النّطاة ، وتحوّل إلى الشّقّ ، وكان به حصون ذوات عُدَد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبيّ ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها : سُمْوَان[٤] ، فقاتل عليها أهل الحصن أشدّ القتال ، فخرج منهم رجل يقال له : عزول . فدعا إلى البِراز ، فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ، ووقع السيف من يده ، وفرّ اليهوديّ راجعاً ، فاتّبعه الحباب فقطع عُرقوبه ، وبرز منهم آخر ، فقام إليه رجل من المسلمين ، فقتله اليهوديّ ، فنهض إليه

---

(١) في (آ) : « يسترهم » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام ، ويسيرهم : يجليهم .
(٢) أي : خيبر .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٦٦٦) .
(٤) في « المغازي » : « سمران » .

أبو دُجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البِراز ، فكبّر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، وأمامهم أبو دجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحّموا الجُدُر كأنهم الظباء ، حتى صاروا إلى حصن النّزار بالشّق ، وتمنّعوا أشدّ الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فتراموا ، ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلُهم ثيابَه ، عليه الصلاة والسلام . فأخذ عليه السلام كفّاً من الحصا فرمى حصنهم بها ، فرجف بهم حتى ساخ في الأرض ، وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

وقال الواقديّ[١] : ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكَتيبة والوَطِيح والسُّلاَلم ؛ حِصنَي بني أبي الحُقيق ، وتحصَّنوا أشدَّ التَّحصُّن ، وجاء إليهم كلُّ فَلٍّ كان قد انهزم من النَّطاة والشِّقِّ ، فتحصَّنوا معهم في القموص ـ وهو في الكتيبة ، وكان حصناً منيعاً ـ وفي الوطيح والسُّلالم ، وجعلوا لا يطلعون من حصونهم ، حتى همَّ رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم ، فلمَّا أيقنوا بالهلكة ـ وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً ـ نزل إليه ابن أبي الحُقيق ، فصالحه على حقن دمائهم ويُسيِّرهم ، ويخلُّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض ، والأموال ، والصَّفْرَاء ، والبيضاء ، والكراع والحَلْقة ، وعلى البزّ ، إلا ما كان على ظهر الإنسان ، يعني لباسهم ، فقال رسول الله ﷺ : « وبرئت منكم ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله إن كتمتم شيئاً » فصالحوه على ذلك .

قلت : ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفَوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة ، تبيَّن أنه لا عهد لهم ، فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله ، بسبب نقض العهود منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٢] : أنبأ أبو الحسن عليُّ بن محمد المقرىء الإسفرايينيُّ بها[٣] ، ثنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، ثنا يوسف [بن] يعقوب ، ثنا عبد الواحد بن غياث ، ثنا حمَّاد بن سلمة ، ثنا عبيد الله بن عمر ـ فيما يحسب أبو سلمة ـ عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم ، فغلب على الأرض والزَّرع والنَّخل ، فصالحوه على أن يُجلَوا منها ، ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله ﷺ الصّفراء والبيضاء ، ويخرجون منها ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيِّبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمَّة لهم ولا عهد ، فغيَّبوا مَسْكاً[٤] فيه مال وحليٌّ لحييِّ بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النَّضير ، فقال رسول الله ﷺ لعمِّ حييٍّ : « ما فعل مَسك حييٍّ الذي جاء به من النضير ؟ » فقال : أذهبته النَّفقات والحروب . فقال : « العهد قريب والمال أكثر من ذلك » .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٦٧٠) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢٩) .
(٣) لفظ « بها » لم يرد في (ط) .
(٤) المسك : الجلد .

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزُّبير ، فمسَّه بعذاب ، وقد كان حُيَيٌّ قبل ذلك دخل خَرِبةً ، فقال : قد رأيت حييّاً يطوف في خَرِبةٍ هاهنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحُقيق ، وأحدهما زوج صَفية بنت حييّ بن أخطب ، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريَّهم ، وقسم أموالهم بالنَّكث الذي نكثوا ، وأراد إجلاءهم منا ، فقالوا : يا محمد ، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرُغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أنَّ لهم الشَّطر من كلِّ زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كلَّ عام فيخرصها عليهم ، ثم يضمِّنهم الشَّطر ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خَرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال : يا أعداء الله ، تطعموني السُّحت ، والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إليَّ ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدَّتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم وحبِّي إياه على أن لا أعدل عليكم . فقالوا : بهذه قامت السموات والأرض . قال : فرأى رسول الله ﷺ بعين صفية خُضرة ، فقال : « ياصفية ، ما هذه الخضرة ؟ » فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأنَّ قمراً وقع في حجري ، فأخبرته بذلك فَلَطَمَني ، وقال : تتمنَّين مَلِكَ يثرب ؟! قالت : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ ؛ قتل زوجي وأبي ، فما زال يعتذر إليَّ ويقول : « إن أباكِ ألَّب عليَّ العرب » . وفعل وفعل ، حتى ذهب ذلك من نفسي . وكان رسول الله ﷺ يعطي كلَّ امرأة من نسائه ثمانين وَسقاً من تمر كلَّ عام ، وعشرين وسقاً من شعير ، فلمَّا كان في زمان عمر غشُّوا المسلمين ، وألقَوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه[١] ، فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها . فقسمها بينهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنا ، دعنا نكون فيها كما أقرَّنا رسول الله ﷺ وأبو بكر . فقال عمر لرئيسهم : أتُراني سقط عني قول رسول الله ﷺ : « كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً ؟ » وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحُديبية .

وقد رواه أبو داود[٢] مختصراً من حديث حمَّاد بن سلمة .

قال البيهقيُّ[٣] : علَّقه البخاريُّ في « كتابه » فقال : ورواه حمَّاد بن سلمة . قلت : ولم أره في « الأطراف »[٤] فالله أعلم .

وقال أبو داود[٥] : وحدَّثني سليمان بن داود المهريُّ ، ثنا ابن وهب ، أخبرني أُسَامة بن زيد اللَّيثيُّ ،

---

(١) يعني أن تزول المفاصل عن أماكنها .
(٢) في « سننه » رقم (٣٠٠٦) ، وإسناده حسن .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٣١) .
(٤) إنما علَّقه البخاري بعد الحديث (٢٧٣٠) من حديث ابن عمر عن أبيه ، وذكره المزي في « أطرافه » كذلك .
(٥) في « سننه » رقم (٣٠٠٨) ، وإسناده حسن .

عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألتْ يهودُ رسول الله ﷺ أن يقرَّهم ، على أن يعملوا على النصف مما خرج منها ، فقال رسول الله ﷺ : « أقرُّكم فيها على ذلك ما شئنا » . فكانوا على ذلك ، وكان التمر يقسم على السُّهمان من نصف خيبر ، ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس ، وكان أطعم كلَّ امرأة من أزواجه من الخمس مئة وَسق [من] تمر ، وعشرين وسقاً [من] شعير ، فلما أراد عمر إخراج اليهود ، أرسل إلى أزواج النبيِّ ﷺ فقال لهن : من أحبَّ منكن أن أقسم لها نخلاً بخَرصها مئة وسق ، فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن الزرع مزرعةً عشرين وسقاً من شعير فعلنا ، ومن أحبَّ أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا .

وقد روى أبو داودَ[١] من حديث محمد بن إسحاق ، حدَّثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مال فليلحق به ، فإني مخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا يحيى بن بكير ، ثنا اللَّيث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشَيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أعطيتَ بني المطَّلب من خمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إنما بنو هاشم وبنو المطَّلب شيء واحد » . قال جُبير بن مُطْعم : ولم يقسم النبيُّ ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً .

وفي لفظ[٣] : أن رسول الله ﷺ قال : « إن بني هاشم وبني المطَّلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعيُّ : دخلوا معهم في الشِّعب ، وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذمَّ أبو طالب بني عبد شمس وبني نوفل حيث يقول :

جَزَى الله عَنَّا عبد شمس ونَوفلاً ... عقوبة شرٍّ عاجلاً غير آجلِ

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا زائدة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً . قال : فسَّره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس ، فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس ، فله سهم .

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠٠٧) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٢٩) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٩٨٠) والنسائي رقم (٤١٤٨) ، وهو حديث صحيح .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٢٨) .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ، عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطّاب يقول : أما والذي نفسي بيده ، لولا أن أترك آخر الناس ببَّاناً[٢] ليس لهم شيء ، ما فتحت عليَّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبيُّ ﷺ خيبر ، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها . وقد رواه البخاريُّ أيضاً[٣] من حديث مالك ، وأبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهديٍّ ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، به . وهذا السياق يقتضي أنَّ خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داودُ[٤] : ثنا ابن السَّرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال . وبهذا قال الزهريُّ[٥] : خمَّس رسول الله ﷺ خيبر ، ثم قسم سائرها على من شهدها .

وفيما قاله الزُّهريُّ نظر ؛ فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الغانمين كما سيأتي بيانه ، وقد احتجَّ بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخيَّر في الأراضي المغنومة ؛ إن شاء قسمها ، وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح .

قال أبو داود : حدَّثنا الربيع بن سليمان المؤذِّن ، ثنا أسد بن موسى ، حدَّثنا يحيى بن زكريا ، حدَّثني سفيان، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير بن يسار ، عن سهل بن أبي حثمة ، قال : قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوائبه [وحاجته] ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . تفرَّد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بُشير بن يسار مرسلاً[٦] ، فعيَّن نصف النَّوائب ؛ الوطيح والكتيبة والسُّلالم وما حِيز معها ، ونصف المسلمين ؛ الشِّقَّ والنَّطاة وما حيز معهما ، وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما .

وقال أيضاً[٧] : ثنا حسين بن عليٍّ ، ثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشَير بن يسار ، مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر فقسمها على

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٥) .
(٢) أي شيئاً واحداً .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٢٥) وأبو داود (٣٠٢٠) .
(٤) في « سننه » رقم (٣٠١٨) ، وبلاغ ابن شهاب هذا إسناده صحيح .
(٥) رواه أبو داود رقم (٣٠١٩) ورواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٩٧٣٨) عن معمر عن الزهري .
(٦) في « سننه » رقم (٣٠١٠) و(٣٠١٣) ، هكذا رواه أبو داود موصولاً مرسلاً وإسناد الموصول صحيح . ورواه الطبراني في الكبير رقم (٥٦٣٤) والبيهقي في السنن (٦/ ٣١٧) .
(٧) يعني أبو داود في « سننه » رقم (٣٠١٢) ، ورواه أيضاً أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٦ ـ ٣٧) وإسناده صحيح .

ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلُّ سهم مئة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس . تفرَّد به أبو داود .

قال أبو داود[١] : ثنا محمد بن عيسى ، ثنا مجمِّع بن يعقوب بن مجمِّع بن يزيد الأنصاريُّ ، سمعت أبي يعقوب بن مجمِّع يقول ، عن عمِّه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاريِّ ، عن عمِّه مجمِّع بن جارية الأنصاريِّ ـ وكان أحد القرَّاء الذين قرؤوا القرآن ـ قال : قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمئة ، فيهم ثلاثمئة فارس ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهماً . تفرَّد به أبو داود .

وقال مالك : عن الزهريِّ ، أن سعيد بن المسيَّب أخبره أن النبيَّ ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة . رواه أبو داود[٢] . ثم قال أبو داود[٣] : قرىء على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدَّثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب : أن خيبر بعضها كان عنوة ، وبعضها صلحاً ، والكَتيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح . قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عَذق .

قال أبو داود : والعَذق : النَّخلة . والعِذق : العُرجون[٤] .

ولهذا قال البخاريُّ[٥] : ثنا محمد بن بشَّار ، ثنا حرميٌّ ، ثنا شعبة ، ثنا عُمارة ، عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

ثنا الحسن ، ثنا قرَّة بن حبيب ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شبعنا ـ يعني من التمر ـ حتى فتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : كانت الشِّقُّ والنَّطاة في سهمان المسلمين ؛ الشِّقُّ ثلاثة عشر سهماً ، ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد الحديبية ؛ من

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠١٥) ، ورواه أيضاً أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٠) وإسناده ضعيف ، فإن يعقوب بن مجمع بن جارية وإن كان حسن الحديث لكنه تفرد به وخولف فيه ،كما بينه الإمام ابن القيّم في زاد المعاد (٣/ ٢٩٤) (بشار) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠١٧) ، وهو حديث مرسل ، لكنه ثابت من طرق عديدة صحيحة ، لذلك قال ابن عبد البر في كتابه « التمهيد ٦/ ٤٤٥ » : أجمع العلماء على أن خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحاً ، وأن رسول الله ﷺ قسمها فما كان منها صلحاً أو أخذ بغير قتال كالذي جلا عنه أهله عمل ذلك بسنة الفيء ، وما كان منها عنوة عمل فيه بسنة الغنائم ، إلا أن ما فتحه الله عليه منها عنوة قسمه بين أهل الحديبية وبين من شهد الوقعة » (بشار) .

(٣) بعد الرقم (٣٠١٧) ، وإسناده ضعيف .

(٤) هذا التفسير من كلام الخطابي ، ولم نره عند أبي داود .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٢) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغِب عن خيبر ممَّن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله ، فضرب له بسهمه . قال : وكان أهل الحديبية ألفاً وأربعمئة ، وكان معهم مئتا فرس ، لكل فرس سهمان ، فصُرف إلى كلِّ مئة رجل سهمٌ من ثمانية عشر سهماً ، وزيد المئتا فارس أربعمئة سهمٍ لخيولهم .

وهكذا رواه البيهقيُّ[١] من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن كيسان أنهم كانوا ألفاً وأربعمئة ، ومئتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم ، وكان أول سهم من سهمان الشِّقِّ مع عاصم بن عديٍّ .

قال ابن إسحاق[٢] : وكانت الكتيبة خُمُساً لله تعالى ، وسهم النبيِّ ﷺ ، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعمة أزواج النَّبيِّ ﷺ ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك ، منهم محيِّصة بن مسعود ، أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من تمر ، وثلاثين وَسقاً من شعير . قال : وكان واديها اللَّذان قسِّمت عليه يقال لهما : وادي السُّرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

قال : وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبَّار بن صخر بن أُمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، وزيد بن ثابت ، رضي الله عنهما . قلت : وكان الأميرَ على خرص نخيل خيبر عبدُ الله بن رواحة ، فخرصها سنتين ، ثم لما قُتل ، رضي الله عنه ـ كما سيأتي في يوم مؤتة ـ ولي بعده جبَّار بن صخر ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاريُّ[٣] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثني مالك ، عن عبد المجيد بن سُهيل ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي سعيد الخدريِّ وأبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر ، فجاءه بتمرٍ جَنيبٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « كلُّ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة . فقال : « لا تفعل ، بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جَنيباً » .

قال البخاريُّ : وقال الدَّراورديُّ ، عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيَّب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدَّثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عديٍّ من الأنصار إلى خيبر وأمَّره عليها . وعن عبد المجيد ، عن أبي صالح السَّمَّان ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، مثله .

قلت : كان سهم النبيِّ ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها ـ وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فصالحوه ـ وأموال بني النَّضير ، المتقدِّم ذكرها ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/٢٣٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » (٢/٣٤٩) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٤) و(٤٢٤٥) .

خاصة ، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي مَجعل مال الله ؛ يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلمّا مات ، صلوات الله وسلامه عليه ، اعتقدت فاطمة وأزواج النبيِّ ﷺ ـ أو أكثرهن ـ أن هذه الأراضيَ تكون موروثة عنه ، ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ : « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة »[1] . ولمّا طلبت فاطمة وأزواج النبيِّ ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك ، وسألوا الصِّدِّيق أن يسلمه إليهم ، ذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » . وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ ، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي . وصدق ، رضي الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد في ذلك ، التابع للحقِّ ، وطلب العباس وعليٌّ ـ على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث ـ أن ينظرا في هذه الصدقة ، وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبيُّ ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصِّدِّيق ذلك ، ورأى أنَّ حقّاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ ، وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغضَّبت فاطمة ، رضي الله عنها ، عليه في ذلك ، ووجدت في نفسها بعض الموجدة ، ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محلَّه ومنزلته من رسول الله ﷺ ، وقيامه في نصرة النبيِّ ﷺ في حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيِّه وعن الإسلام وأهله خيراً ، وتوفِّيت فاطمة ، رضي الله عنها ، بعد ستة أشهر ، ثم جدَّد عليٌّ البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب ، سألوه أن يفوِّض أمر هذه الصدقة إلى عليٍّ ، والعباس ، وثقَّلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر ، رضي الله عنه ، ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيَّته ، فتغلَّب على عليٍّ عمُّه العباس فيها ، ثم تساوقا يختصمان إلى عمر ، وقدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة ، وسألا منه أن يقسمها بينهما ، فينظر كلٌّ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع ، وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث ، وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا . فاستمرَّا فيها ، ومن بعدهما من ولدهما إلى أيام بني العباس ، تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها ، أموال بني النَّضير وفدك ، وسهم رسول الله ﷺ من خيبر .

* * *

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » عند الحديث رقم (٦٧٣٠) : الحديث بهذا اللفظ مما اشتهر في كتب الأصول وغيرهم ، وقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ « نحن » لكن أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٦٣٠٩) بلفظ « إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة » . من حديث عمر رضي الله عنه ، بإسناد صحيح ، وهو بلفظ « لا نورث ما تركنا صدقة » في « البخاري » رقم (٦٧٢٨) ومسلم رقم (١٧٥٧) من حديث عمر رضي الله عنه ، ومن حديث غيره من الصحابة .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء، فرضخ[١] لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة، ولم يسهم لهم.

قال أبو داود[٢] : ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا بشر بن المفضَّل ، عن محمد بن زيد ، حدَّثني عمير مولى آبي اللَّحم قال : شهدت خيبر مع سادتي ، فكلَّموا فيَّ رسول الله ﷺ ، فأمر بي فقلِّدت سيفاً ، فإذا أنا أجرُّه ، فأخبر أني مملوك ، فأمر لي بشيء من خرثيِّ المتاع .

ورواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ[٣] جميعاً، عن قتيبة عن بشر بن المفضَّل [به. وقال الترمذيُّ: حسن صحيح.

ورواه ابن ماجه[٤] ، عن عليِّ بن محمد ، عن وكيع ، عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ ، عن عمير ، به .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء ، فرضخ لهنَّ [من الفيء][٦] ولم يضرب لهنَّ بسهم، حدَّثني سليمان بن سحيم، عن أمية بنت أبي الصَّلت، عن امرأة من بني غفار قد سمَّاها لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : « على بركة الله». قالت: فخرجنا معه . قالت : وكنت جارية حدثة [السنِّ] ، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله . [قالت] : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح [وأناخ][٧] ونزلت عن حقيبة رحله . [قالت:] وإذا بها دم مني، وكانت أول حيضة حضتها. قالت : فتقبَّضت إلى الناقة واستحييت . فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ما بي ، ورأى الدم ، قال : « ما لك ؟ لعلك نفست ؟ » قالت : نعم . قال : « فأصلحي من نفسك ، ثم خذي إناء من ماء ، فاطرحي فيه ملحاً ، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودي لمركبك » . قالت: فلمَّا فتح الله خيبر ، رضخ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي ، فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني [أبداً] . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها. قالت: وكانت لا تطَّهَّر من حيضها إلَّا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

---

(١) الرَّضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .

(٢) في « سننه » رقم (٢٧٣٠) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٥٥٧) والنسائي رقم (٧٥٣٥) .

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٢٨٥٥) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .

(٦) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .

(٧) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود[١] ، من حديث محمد بن إسحاق ، به .

قال شيخنا أبو الحجَّاج المزِّيُّ في « أطرافه »[٢] : ورواه الواقديُّ ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن أمِّ عليٍّ بنت أبي الحكم ، عن أميَّة بنت أبي الصَّلت ، عن النبيِّ ﷺ به .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا حسن بن موسى ، ثنا رافع بن سلمة الأشجعيُّ ، حدَّثني حشرج بن زياد ، عن جدَّته أمِّ أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خيبر ، وأنا سادسة ستِّ نسوة . قالت : فبلغ النبيَّ ﷺ أنَّ معه نساء . قالت : فأرسل إلينا فدعانا . قالت : فرأينا في وجهه الغضب ، فقال : « ما أخرجكن ، وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا نناول السهام ، ونسقي السَّويق ، ومعنا دواء للجرحى ، ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله . قال : « قمن فانصرفن » . قالت : فلمَّا فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاماً كسهام الرجال . فقلت لها : يا جدَّة ، وما الذي أخرج لكنَّ ؟ قالت : تمراً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأمَّا أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٤] : وفي كتابي ، عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصبهانيَّ أخبره ، حدَّثنا الحسين بن الجهم ، ثنا الحسين بن الفرج ، ثنا الواقديُّ ، حدَّثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، ومعي زوجي وهي حبلى ، فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي : « انقع [لها] تمراً ، فإذا انغمر بلُّه ، فامرثه لتشربه » . ففعلت ، فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أَجْدَى[٥] النساء ، [و] لم يسهم لهن ، فَأَجْدَى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ،
ومن انضمَّ إليهم من أهل اليمن ، على رسول الله ﷺ وهو مخيِّم بخيبر[٦]

قال البخاريُّ[٧] : ثنا [محمد] بن العلاء ، ثنا أبو أُسامة ، ثنا بُرَيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن أبي

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٣٨٠) وأبو داود رقم (٣١٣) وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » (١٣/ ١٢٣) بتحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدِّين رحمه الله ، وانظر « المغازي » (٢/ ٦٨٥) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٣٧١) وإسناده ضعيف .

(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

(٥) أي : أعطى .

(٦) نصّ العنوان في (ط) : « ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون » وعبارة « رضي الله عنه » زيادة مني .

(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٠) و(٤٢٣٢) .

بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبيِّ ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي ، أنا أصغرهم ؛ [أحدهما] أبو بُردة ، والآخر أبو رُهم ـ إمَّا قال : في بضع . وإما قال : في ثلاثة وخمسين ، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ـ فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشيِّ بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبيَّ ﷺ حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة . ودخلت أسماء بنت عميس ، وهي ممن قدم معنا ، على حفصة زوج النبيِّ ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشيِّ فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم [بالهجرة] فنحن أحقُّ برسول الله [ﷺ] منكم . فغضبت وقالت : كلاً والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار ـ أو [في] أرض ـ البُعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ ، وايم الله لا أطعم ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبيِّ ﷺ وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه . فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ قالت : يا نبيَّ الله ، إن عمر قال كذا وكذا . قال : « فما قلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحقَّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبيُّ . قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى ، وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .

وقال أبو بُرْدَة ، عن أبي موسى ، قال النبيُّ ﷺ : « إني لأعرف أصوات رُفْقَة الأَشعريِّين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم [بن حِزَام] ، إذا لقي العدوَّ ـ أو قال : الخيل ـ قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم[١] ، عن أبي كريب وعبد الله بن برَّاد ، عن أبي أسامة ، به .

ثم قال البخاريُّ[٢] : حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا حفص بن غياث ، ثنا بريد بن عبد الله بن أبي بُردة ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : قدمنا على النبيِّ ﷺ بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم[٣] .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٥٠٢) و(٢٥٠٣) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٣٣) .

(٣) هكذا قال ، وهو وهم منه رحمه الله ، فإن مسلماً رواه في صحيحه رقم (٢٥٠٢) ضمن الحديث الذي تقدم ذكره عند المصنف ونسبه هو إلى مسلم ، فهما واحد ، وقد نص المزي على ذلك في تحفة الأشراف (رقم ٩٠٤٩) ، لكن =

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ وصحَّحه من حديث بُريد ، به[١] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق[٢] أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْريَّ إلى النجاشيِّ ، يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبيُّ ﷺ خيبر .

قال [ابن هشام][٣] : وذكر سفيان بن عُيينة ، عن الأجلح ، عن الشعبيِّ ، أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه ، وقال : ما أدري بأيِّهما أنا أسرُّ ؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » وهكذا رواه سفيان الثَّوريُّ ، عن الأجلح ، عن الشعبيِّ مرسلاً .

وأسند البيهقيُّ[٤] ، من طريق حسن بن حسين العُرَنيِّ عن الأجلح ، عن الشعبيِّ ، عن جابر قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خَيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقَّاه وقبَّل جبهته وقال : « والله ما أدري بأيِّهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جَعْفَرَ » .

ثم قال البيهقيُّ[٥] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو الحسين بن أبي إسماعيل العلويُّ ، ثنا أحمد بن محمد البَيْرُوتيُّ ، ثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكِّيُّ بن إبراهيم الرُّعينيُّ ، ثنا سُفيان الثَّوريُّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة ، تلقَّاه رسول الله ﷺ ، فلمَّا نظر جعفر إليه حَجَلَ - قال مكيٌّ : يعني مشى على رجل واحدةٍ ؛ إعظاماً لرسول الله ﷺ - فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه . ثم قال البيهقيُّ : في إسناده من لا يعرف إلى الثَّوريِّ .

قال ابن إسحاق[٦] : وكان الذين تأخَّروا مع جعفر من أهل مَكَّة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلاً . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم ؛ جعفر بن أبي طالب الهاشميُّ ، وامرأته أسماء بنت عُمَيس ، وابنه عبد الله ، ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد وأَمَةُ بنت خالدٍ ، ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيقيب بن أبي فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعريُّ عبد الله بن قيس ، [حليف] آل عُتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن

= البخاري يقطِّع الحديث كما هو معروف من منهجه. وانظر كتابنا المسند الجامع ١١/ ٤٢٥ - ٤٢٧ حديث رقم (٨٩٠٧) (بشار) .

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٢٥) والترمذي رقم (١٥٥٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) وما بين الحاصرتين مستدرك منه .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٦) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٦) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) .

خُويلد بن أسد الأسديُّ ، وجهم بن قيس [بن عبد شرحبيل] العبدريُّ ، وقد ماتت امرأته أمُّ حَرْمَلَة [بنت] عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو وابنته خُزَيمة ماتا بها ، رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقّاص الزُّهريُّ ، وعُتبة بن مسعود ، حليف لهم من هُذَيل ، والحارث بن خالد بن صخر التَّيميُّ ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث ، رحمها الله ، وعُثمان بن ربيعة بن أُهبان الجمحيُّ ، ومحمية بن جزء الزُّبيديُّ حليف بني سهم ، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدويُّ ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عَمْرَة بنت السَّعديِّ ، والحارث بن عبد قيس بن لقيط الفِهْريُّ .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق الأشعريِّين الذين كانوا مع أبي موسى [الأشعريِّ] وأخويه أبا بُرْدَة وأبا رهم ، وعمَّه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريِّين غير أبي موسى ، ولم يتعرَّض لذكر أخويه وهما أسنّ منه ، كما تقدَّم في « صحيح البخاريِّ » . وكأنَّ ابن إسحاق ، رحمه الله ، لم يطَّلع على حديث أبي موسى في ذلك ، والله أعلم .

قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء ، من نساء من هلك من المسلمين هناك . وقد حرَّر هاهنا شيئاً كثيراً حسناً .

قال البخاريُّ[١] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سُفيان ، سمعت الزُّهْريَّ وسأله إسماعيل بن أُمَيَّة ، قال : أخبرني عنبسة بن سعيد ، أن أبا هُريرة أتى رسول الله ﷺ فسأله ـ يعني أن يقسم له ـ فقال بعض بني سعيد بن العاص : لا تعطه . فقال أبو هُريرة : هذا قاتل ابن قَوقَل . فقال : واعجباً لوبرٍ تدلَّى من قَدُوم الضأن ، تفرَّد به دون مسلم .

قال البخاريُّ[٢] : ويذكر عن الزّبيديّ ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني عَنْبَسَة بن سعيد ، أنه سمع أبا هُريرة يخبر سعيد بن العَاص قال : بعث رسول الله ﷺ [أباناً] على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبيِّ ﷺ بخيبر بعد ما افتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة : فقلت : يا رسول الله ، لا تقسم لهم . فقال أبان : وأنت بهذا يا وبر تحدَّر من رأس ضال ؟ فقال النبيُّ [ﷺ] : « يا أبان ، اجلس » . ولم يقسم لهم .

وقد أسند أبو داود[٣] هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عيَّاش ، عن محمد بن الوليد الزُّبيديِّ ، به نحوه .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٧) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٨) .
(٣) في « سننه » رقم (٢٧٢٣) .

ثم قال البخاريُّ[١] : ثنا موسى بن إسماعيل ، وثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدِّي ـ وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العَاص ـ أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبيِّ ﷺ فسلَّم عليه ، فقال أبو هُريرة : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوقَل . فقال أَبَانُ لأبي هُريرة : واعجباً لك ، وَبرٌ تردَّى من قدوم ضالٍ[٢] تنعى عليَّ امْرَأً أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده . هكذا رواه منفرداً به هاهنا .

وقال في الجهاد[٣] : حدَّثنا الحُميديُّ ، عن سُفْيان ، عن الزُّهريِّ ، عن عَنْبَسَة بن سعيد ، عن أبي هُريرة قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله ، أسهم لي . فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له . فقلت : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوقَل . الحديث .

قال سفيان : حدَّثنيه السَّعيديُّ ـ يعني عمرو بن يحيى بن سعيد ـ عن جدِّه ، عن أبي هريرة بهذا . ففي هذا الحديث التصريح من أبي هُريرة بأنه لم يشهد خيبر ، وتقدَّم في أول هذه الغزوة ، رواه الإمام أحمد[٤] من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هُريرة ، وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعد ما افتتح خيبر ، فكلَّم المسلمين ، فأشركونا في أسهامهم .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا روح ، ثنا حمَّاد بن سَلَمة ، عن عليِّ بن زيد ، عن عمَّار بن أبي عمَّار قال : قال أبو هُريرة : ما شهدت مع رسول الله ﷺ مغنماً قطُّ إلا قسم لي ، إلَّا خيبر ، فإنها كانت لأهل الحُديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى ، جاءا[٦] بين الحُديبية وخَيبر .

وقد قال البخاريُّ[٧] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدَّثني سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : افتتحنا خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل ، والبقر ، والمتاع ، والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ، ومعه عبد له يقال له : مِدْعَمٌ . أهداه له بعض بني الضُّبيب ، فبينما هو يحطُّ رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر ، حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلا ، والذي نفسي بيده إنَّ الشَّملة التي أصابها يوم خيبر : لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٩) .
(٢) كذا في (آ) و(ط) : « ضالٍ » وفي : « صحيح البخاري » : « ضأن » .
(٣) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٢٨٢٧) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٤٥) . وإسناده صحيح .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٣٥) . وإسناده ضعيف ، ومتنه منكر .
(٦) يعني أسلما .
(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٤) .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين فقال : هذا شيء كنت أصبته . فقال رسول الله ﷺ : « شراك أو شراكان من نار » .

ذكر
قصَّة الشَّاة المَسْمُومَة
وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها

قال البخاريُّ[١] : رواه عُرْوَة ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ . ثم قال : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا اللَّيث ، حدَّثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سَمٌّ . هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : ثنا حَجَّاج ، ثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هُريرة قال : لما فتحت خيبر أُهديت للنبيِّ ﷺ شاة فيها سمٌّ ، فقال رسول الله ﷺ : « اجْمَعوا لي من كان هاهنا من اليهود » . فجمعوا له ، فقال رسول الله ﷺ : « إنِّي سائلكم عن شيء ، فهل أنتُم صَادِقِيَّ عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أَبُوكم ؟ » قالوا : أَبُونا فلان . فقال رسول الله ﷺ : « كذبتم ، بل أبوكم فُلان » . قالوا : صدقت وبررت . فقال : « هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا ، كما عرفته في أبينا . فقال رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » . فقالوا : نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفونا فيها . فقال لهم رسول الله ﷺ : « والله لا نخلفكم فيها أبداً » . ثم قال لهم : « هل أنتم صادقيَّ عن شيء سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » . قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبيّاً لم يضرَّك .

وقد رواه البخاريُّ[٣] في الجزية ، عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً ، عن قُتيبة كلاهما عن اللَّيث ، به .

وقال البيهقيُّ[٤] : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، أنبأ أبو العَبَّاس الأصمُّ ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عبَّاد ابن العوَّام ، عن سُفْيَان بن حسين ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيَّب ، وأبي سَلَمَة بن عبد الرحمن ، عن أبي هُريرة أن امرأة من اليهود أَهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فقال لأصحابه : « أمسكوا ؛ فإنها

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٩) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٥١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٦٩) و(٥٧٧٧) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٥٩) .

مَسْمُومَةٌ » . وقال لها : « ما حَمَلَكِ على ما صنعت ؟ » قالت : أردت أن أعلم ؛ إن كنت نبيّاً فسيطلعك الله عليه وإن كنت كاذباً أُريح الناس منك . قال : فما عرض لها رسول الله ﷺ . رواه أبو داود[١] ، عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان ، به .

ثم روى البيهقيُّ[٢] ، عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سُرَيج ، ثنا عَبّاد ، عن هلال ـ هو ابن خبّاب ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فأرسل إليها ، فقال : « ما حملكِ على ما صنعت ؟ » قالت : أحببت ـ أو : أردت ـ إن كنت نبيّاً فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبيّاً أُريح الناس منك . قال : فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم . قال : فسافر مرة ، فلمّا أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم . تفرَّد به أحمد ، وإسناده حسن .

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث شُعبة ، عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك أن امرأة يهوديَّة أتت رسول الله ﷺ بشاة مَسْمُومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك . قالت : أردت لأقتُلك . فقال : « ما كان الله ليسلِّطك عليَّ » . أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : « لا » . قال أنس : فما زلت أعرفها في لَهوات[٥] رسول الله ﷺ .

وقال أبو داود[٦] : ثنا سليمان بن داود المهريُّ ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدِّث أن يهوديَّة من أهل خيبر سمَّت شاة مَصْلِيَّةً ، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذِّراع ، فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم » . وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة ، فدعاها فقال لها : « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهوديَّة : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتني هذه التي في يدي » . وهي الذِّراع . قالت : نعم . قال : « فما أردتِ بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبيّاً فلن تضرَّك ، وإن لم تكن نبيّاً استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله ﷺ ، ولم يعاقبها ، وتوفِّي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجم النبيُّ ﷺ على كاهله ، من أجل الذي أكل من الشاة ، حجمه أبو هند بالقَرن والشَّفرة ، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٥٠٩) ، وإسناده ضعيف .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) .
(٥) جاء في « فتح الباري » (٥/ ٢٣٢) و(١٠/ ٢٤٧) ما نصّه : اللَّهوات : جمع لهاة وهو سقف الفم ، أو اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل : هي أقصى الحلق ، وقيل : ما يبدو من الفم عند التبسم .
(٦) في « سننه » رقم (٤٥١٠) وإسناده ضعيف .

ثم قال أبو داود[١] : ثنا وهب بن بقيَّة ، ثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهوديَّة بخيبر شاة مَصْلِيَّةً ، نحو حديث جابر ، قال : فمات بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، فأرسل إلى اليهوديَّة ، فقال : « ما حملكِ على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت . ولم يذكر أمر الحِجَامة .

قال البيهقيُّ[٢] : ورويناه من حديث حَمَّاد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هُريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البَرَاء أمر بقتلها .

وروى البيهقيُّ[٣] من حديث عبد الرزَّاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهريِّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن امرأة يهوديَّة أَهْدَت إلى رسول الله ﷺ شاة مَصْلِيَّةً بخيبر ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هديَّة . وحذرت أن تقول : صدقة . فلا يأكل . قال : فأكل وأصحابه ، ثم [قال :] « أمسكوا » . ثم قال للمرأة : « هل سممت هذه الشَّاة ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها ، وهو في يده . قالت : نعم . قال : « لم ؟ » قالت : أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبيّاً لم يضرَّك . قال : فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل ، وأمر أصحابه فاحتجموا ، ومات بعضهم . قال الزهريُّ : فأسلمت ، فتركها النبيُّ ﷺ . قال البيهقيُّ ، هذا مرسل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وذكر ابنُ لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، وكذلك موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهوديَّة ـ وهي ابنة أخي مرحب ـ لصفيّة شاة مَصْلِيَّةً وسمَّتها ، وأكثرت في الكتف والذِّراع ؛ لأنه بلغها أنه أحبُّ أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ على صفيَّة ، ومعه بشر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، وهو أحد بني سلِمة ، فقدَّمت إليهم الشاة المصليَّة ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف ، وانتهش منها ، وتناول بِشر عظماً فانتهش منه ، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته ، اسْتَرَطَ[٤] بِشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم ؛ فإنَّ كتف هذه الشاة يخبرني أني نعيت فيها » . فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أُكلتي التي أكلتُ فما منعني أن ألفظها إلا أنِّي أعظمتك أن أنغِّصك طعامك ، فلمَّا [أَسَغْتَ] ما في فيك ، لم أرغب بنفسي عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي . فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لوْنُهُ كالطَّيلسان ، وماطله وجعه ، حتى كان لا يتحوَّل حتى يحوّل . قال الزهريُّ : قال جابر : واحتجم

---

(١) في « سننه » رقم (٤٥١١) وهو مرسل من هذا الوجه ، فأبو سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك النبي ﷺ (بشار) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٢) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٠) .
(٤) أي : ابتلع .

رسول الله ﷺ يومئذ ، حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشَّفرة ، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين ، حتى كان وجعه الذي توفي فيه ، فقال : « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً ، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري » . فتوفِّي رسول الله ﷺ شهيداً[1]

وقال محمد بن إسحاق[2] : فلمَّا اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلاَّم بن مِشكم شاة مصليَّة ، وقد سألت : أيُّ عضو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذِّراع . فأكثرت فيها من السُّمِّ ، ثم سمَّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلمَّا وضعتها بين يديه ، تناول الذِّراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ؛ فأمَّا بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال : « [إنَّ] هذا العظم يخبرني أنه مسموم » . ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك . فقلت : إن كان كذَّاباً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبَر . قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

قال ابن إسحاق[3] : وحدَّثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلَّى قال : كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفِّي فيه ـ ودخلت عليه أمُّ بشر بنت البراء بن معرور ـ : « يا أمَّ بشر ، إنَّ هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر » .

قال ابن هشام : الأَبْهَرُ : العرق المعلَّق بالقلب . قال : فإن كان المسلمون لَيرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار[4] : حدَّثنا هلال بن بشر وسليمان بن سيف الحرَّانيُّ قالا : ثنا أبو عتَّاب سهل بن حماد ، ثنا عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدريِّ ، أن يهوديَّة أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم ، قال رسول الله ﷺ : « أمسكوا ، فإنَّ عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » . فأرسل إلى صاحبتها : « أسممت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : أحببت إن كنت كاذباً أن أُريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه . فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله ، فلم يضرَّ أحداً منا . ثم قال : لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلَّا من هذا الوجه . قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة ، والله أعلم .

---

(١) حديث : « ما زلت أجد . . . أبهري » علقه البخاري برقم (٤٤٢٨) ووصله الحاكم (٣/ ٥٨) من حديث عائشة ورواه أبو داود من حديث أم مبشر رقم (٤٥١٣) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٨) ولفظ « فيه » مستدرك منها .

(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٤٢٤) .

وذكر الواقديُّ[١] أن عُيَينة بن حِصْن قبل أن يُسْلِمَ رأى في منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر ، فطمع من رؤياه أنه يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به ، فلمَّا قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد ، أعطني ما غنمت من حلفائي ـ يعني أهل خيبر ـ فقال له رسول الله ﷺ : « كذبت رؤياك » . وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة ، فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء ؟! والله ليظهرنَّ محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإنَّ يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلاَّم بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا ، ولنا منه ذبحان ؛ واحد بيثرب ، وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلاَّم : يملك الأرض ؟! قال : نعم والتوراة التي أُنزلت على موسى ، وما أحبُّ أن تعلم يهود بقولي فيه .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق[٢] : فلمَّا فرغ رسول الله ﷺ من خيبر ، انصرف إلى وادي القُرى ، فحاصر أهلها ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . ثم ذكر من قصة مِدعم ، وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلاَّ والذي نفسي بيده ، إن الشَّملة التي أخذها يوم خيبر ، لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

وقد تقدَّم في « صحيح البخاريِّ »[٣] نحو ما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم ، وسيأتي ذكر قتاله ، عليه السلام ، بوادي القُرَى .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا يحيى بن سعيد[٥] ، [عن يحيى بن سعيد][٦] ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن أبي عمرة ، عن زيد بن خالد الجهنيِّ ، أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفِّي [يوم خيبر] ، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ ، فقال : « صلُّوا على صاحبكم » . فتغيَّر وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلَّ في سبيل الله » . ففتَّشنا متاعه ، فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٦٧٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٨) .
(٣) رقم (٤٢٣٤) .
(٤) في « المسند » (٥/ ١٩٢) ، وإسناده ضعيف .
(٥) هو القطان .
(٦) هو الأنصاري .

وهكذا رواه أبو داود والنَّسائيُّ من حديث يحيى بن سعيد القطَّان ـ زاد أبو داود : وبشر بن المفضَّل ـ وابن ماجه[١] من حديث اللَّيث بن سعد ، ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاريِّ ، به .

وقد ذكر البيهقيُّ[٢] أن بني فَزَارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر ، وتجمَّعوا لذلك ، فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيَّناً ، فلمَّا تحقَّقوا ذلك ، هربوا كلَّ مهرب ، وذهبوا من طريقه كلَّ مذهب . وتقدَّم أن رسول الله ﷺ لما حلَّت صفية من استبرائها ، دخل بها بمكان يقال له : سدُّ الصَّهباء ، في أثناء طريقه إلى المدينة ، وأولم عليها بحَيس ، وأقام ثلاثة أيام يُبنى عليه بها ، وأسلمت ، فأعتقها وتزوَّجها ، وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين ، كما فهمه الصحابة لما مدَّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه ، رضي الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في « السيرة »[٣] قال : لمَّا أَعْرَسَ رسول الله ﷺ بصَفِيَّة بخيبر ، أو ببعض الطَّريق ، وكانت التي جمَّلتها إلى رسول الله ﷺ ، ومشَّطتها ، وأصلحت من أمرها أمُّ سليم بنت ملحان ، أمُّ أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله ﷺ في قبَّة له ، وبات أبو أيوب متوشِّحاً سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويطيف بالقُبَّة حتى أصبح ، فلمَّا رأى رسول الله ﷺ مكانه قال : « ما لك يا أبا أيوب ؟ » قال : خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخِفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم احفظ أبا أيُّوب كما بات يحفظني » .

ثم قال : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن سعيد بن المسيَّب . فذكر نومهم عن صلاة الصُّبح مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . قال : « صدقت » . ثم اقتاد ناقته غير كثير ، ثم نزل فتوضَّأ ، وصلَّى كما كان يصليها قبل ذلك .

وهكذا رواه مالك ، عن الزهريِّ ، عن سعيد مرسلاً[٤] . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود[٥] : ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة ، حتى إذا أدركنا الكرى عرَّس ، وقال لبلال : « اكلأ لنا الليل » . قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته ، فلم

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧١٠) والنسائي رقم (١٩٥٨) وابن ماجه رقم (٢٨٤٨) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٩) .
(٤) رواه مالك في « الموطأ » رقم (٢٥) مرسلاً .
(٥) رواه أبو داود رقم (٤٣٥) ، وهو حديث صحيح .

يستيقظ النبيُّ ﷺ ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه ، حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أوّلهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله ﷺ وقال : « يا بلال ! » قال : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال : فاقتادوا رواحلهم شيئاً ، ثم توضّأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالاً فأقام لهم[1] الصلاة ، وصلَّى بهم الصبح ، فلمَّا أن قضى الصلاة قال : « من نسي صلاة فَلْيُصَلِّها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وأقم الصلاة للذِّكرى ﴾[2] [طه : ١٤] » . قال يونس : وكان ابن شهاب يقرؤها كذلك .

وهكذا رواه مسلم[3] ، عن حرملة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب ، به . وفيه : أن ذلك كان مرجعهم من خيبر .

وفي حديث شعبة، عن جامع بن شدَّاد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالاً هو الذي كان يكلؤهم . وفي رواية أنه هو الذي كان يكلؤهم .

قال الحافظ البيهقيُّ[4] : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة، وفيه حديث الميضأة، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين، أو مرة ثالثة. قال: وذكر الواقديُّ في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شدَّاد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فالله أعلم.

ثم أورد البيهقيُّ[5] ما رواه صاحب « الصَّحيح »[6] من قصة عوف الأعرابيِّ ، عن أبي رجاء ، عن عِمْرَان بن حُصَين في قصة نومهم عن الصلاة ، وقصة المرأة صاحبة السَّطيحتين ، وكيف أخذوا منهما ماءً روَّى الجيش بكماله ، ولم ينقص ذلك منهما شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم[7] من حديث ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، وهو حديث طويل ، وفيه نومهم عن الصلاة ، وتكثير الماء من تلك الميضأة .

---

(١) لفظ « لهم » لم يرد في (ط) .
(٢) وقرأها أيضاً كذلك : ابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وابن السميفع . وقراءة العشرة : لِذِكري .
(٣) في « صحيحه » رقم (٦٨٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٧٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٧٧) .
(٦) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٤٤) .
(٧) في « صحيحه » رقم (٦٨١) .

وقد رواه عبد الرزاق[١] ، عن مَعْمَر ، عن قتادة .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا عبد الواحد ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر ـ أو قال : لما توَّجه رسول الله ﷺ [إلى خيبر] ـ أشرف الناس على وادٍ ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلَّا الله . فقال رسول الله ﷺ : « اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلَّا بالله . فقال : « يا عبد الله بن قيس » . قلت : لبَّيك يا رسول الله . قال : « ألا أدلُّك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فداك أبي وأمي . قال : « لا حول ولا قوة إلَّا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة[٣] من طرق ، عن عبد الرحمن بن ملٍّ ، أبي عثمان النَّهديِّ ، عن أبي موسى الأشعريِّ . والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ؛ فإنَّ أبا موسى إنَّما قدم بعد فتح خيبر ، كما تقدَّم .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، قد أعطى ابن لَقِيم العَبْسيَّ حين افتتح خَيبر ما بها من دَجَاجَة أو دَاجِنٍ ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لَقِيم في فتح خيبر : [من الكامل]

رُمِيَتْ نَطَاة من الرسول بفَيلَقٍ ... شهباءَ ذاتِ مناكبٍ وفَقَارِ
واستَيْقَنَتْ بالذُّلِّ لمَّا شُيِّعَتْ ... ورجالُ أَسْلَمَ وسطَها وغِفَارِ
صبحت بني عمرو بن زرعة غُدوةً ... والشَّقُّ أظلم أهلُه بنهارِ
جرَّت بأَبْطَحِهَا الذُّيول فلم تَدَعْ ... إلا الدَّجاج تصيحُ بالأسحارِ
ولكلِّ حصنٍ شاغلٌ من خيلهم ... من عبد الاشْهلِ أو بني النَّجَّارِ
ومهاجرينَ قَدَ اعلموا سيماهُمُ ... فوق المَغَافِرِ لم يَنُوا لفرارِ
ولقد علمتُ ليغلبنَّ محمد ... وليثوينَّ بها إلى أصفارِ
فَرَّت يهودٌ عند ذلك في الوغى ... تحت العَجَاج غمائمَ الأبصارِ

***

(١) في « المصنف » رقم (٢٠٥٣٨) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٥) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٠٤) وأبو داود رقم (١٥٢٦) إلى (١٥٢٨) والترمذي رقم (٣٤٦١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٧٦٧٩) إلى (٧٦٨١) و(٨٨٢٣) و(١٠٣٧١) و(١١٤٢٧) وابن ماجه رقم (٣٠٨٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٠) .

فصل

من استشهد بخيبر من الصَّحَابة ، على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار[١] رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين : ربيعة بن أَكْثَم بن سَخْبَرَة الأسديُّ ، مولى بني أُمَيَّة ، وثقيفُ بن عمرو ، ورفاعة بن مَسْرُوح ، حلفاء بني أمية ، وعبد الله بن الهُبَيب بن أُهيب بن سُحَيم بن غِيَرَةَ ، من بني سعد بن ليث ، حليف بني أسد وابن أُختهم .

ومن الأنصار : بِشر بن البَرَاء بن مَعْرُور ـ من أَكَلَةِ الشَّاة المَسْمُومة مع رسول الله ﷺ كما تقدَّم ـ وفُضَيل بن النُّعمان السَّلميَّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلَدة بن عامر بن زُريق الزُّرقيُّ ، ومحمود بن مسلمة الأشهليُّ ، وأبو ضيَّاح بن ثابت بن النُّعمان العَمْريُّ ، والحارث بن حاطب ، وعُرْوَة بن مُرَّة بن سُرَاقة ، وأوس الفائد ، وأُنيف بن حبيب ، وثابت بن أَثْلَةَ ، وطلحة ، وعُمَارة بن عُقبة ، رمي بسهم فقتله ، وعامر بن الأَكْوَع ، أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله ، رحمه الله ، كما تقدَّم ، والأسود الرَّاعي . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته ، وقد أسلفناها في أوائل الغزوة ، ولله الحمد والمِنَّة .

قال ابن إسحاق[٢] : وممَّن استُشهد بخيبر ـ فيما ذكره ابن شهاب [الزُّهري] ـ من بني زهرة ، مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، أوس بن قتادة ، رضي الله عنهم أجمعين .

* * *

[خبر الحَجَّاج بن عِلَاط البَهْزيّ رضي الله عنه][٣]

قال ابن إسحاق[٤] : ولما افتتحت[٥] خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ الحَجَّاج بن عِلَاط السُّلميُّ ثم البَهْزيُّ ، فقال : يا رسول الله ، إن لي بمكّة مالاً عند صاحبتي أمِّ شيبة بنت أبي طلحة ـ وكانت عنده ، له منها معرِّض بن الحجَّاج ـ ومالاً متفرقاً في تجَّار أهل مكة ، فأْذن لي يا رسول الله . فأذن له ، فقال : إنه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٤) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .
(٣) هذا العنوان لم يرد في (آ) وأثبته عن (ط) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٤) .
(٥) في (ط) : « فتحت » .

لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : « قل » . قال الحَجَّاج : فخرجت حتى [إذا] قدمت مكّة ، وجدت بثنيَّة البيضاء رجالاً من قريش يستمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومَنَعةً ورجالاً ، وهم يتجسَّسون الأخبار من الرُّكبان ، [فلمَّا رَأوني] قالوا : الحَجَّاج بن عِلاَط ـ قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي ـ عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك ، وعندي من الخبر ما يسرُّكم . قال : فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج . قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطُّ، وقد قتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله [قطُّ] وأسر محمد أسراً، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكّة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد ، إنما تنتظرون[1] أن يقدم [به] عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكّة [و] على غُرمائي ، فإني أُريد أن أقدَم خيبر ، فأُصيب من فَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التُّجار إلى ما هنالك . قال : فقاموا فجمعوا لي ما كان لي كأحثِّ جمع سمعت به . قال : وجئت صاحبتي فقلت : مالي ـ وكان عندها مال موضوع ـ فلعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التُّجار. قال: فلما سمع العباس بن عبد المطَّلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التُّجار ، فقال : ياحَجَّاج ، ما هذا الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر عنّي حتى ألقاك على خَلاء ؛ فإني في جمع مالي كما ترى ، فانصرف عنّي حتى أفرُغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كلِّ شيء كان لي بمكة ، [و] أجمعت الخروج ، لقيت العباس فقلت : احفظ عليَّ حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطَّلب ، ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل . قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عَروساً على بنت ملكهم ـ يعني صَفِيّة بنت حُييٍّ ـ وقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ، وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إي والله ، فاكتم عني ، ولقد أسلمت ، وما جئت إلَّا لآخذ مالي ؛ فرقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله [على ما تحبُّ . قال :] حتى إذا كان اليوم الثالث ، لبس العباس حلَّة له وتخلَّق[2] وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلمَّا رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التَّجلُّد لحرِّ المصيبة . قال : كلاَّ والله الذي حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر ، وتُرك عَروسَاً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه . فقالوا : يا لَعباد الله ،

---

(١) في (آ) : « تنظرون » .
(٢) أي : تطيب بالخلوق .

انفلت عدوُّ الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . قال : ولم يَنْشَبُوا[١] أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعةً .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل[٢] فقال : ثنا عبد الرزاق ، ثنا مَعْمَر ، سمعت ثابتاً يُحَدِّث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خَيْبَرَ ، قال الحَجَّاج بن عِلَاط : يا رسول الله ، إن لي بمكّة مالاً ، وإن لي بها أهلاً ، وإني أُريد أن آتيهم ، أفأنا في حلٍّ إن أنا نِلْتُ مِنْكَ أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندكِ ؛ فإني أُريد أن أشتري من غنائم محمدٍ وأصحابه ، فإنهم قد استُبيحوا وأُصيبت أموالهم . قال : وفشى ذلك بمكَّة ، فانقمع[٣] المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً . قال : وبلغ الخبر العباس فعقر ، وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال مَعْمَر : فأخبرني عُثمان الجَزَرِيُّ ، عن مِقْسَم قال : فأخذ ابناً له يقال له : قُثَم . واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

حَـيَّ قُثَـم [حـيَّ قثـم][٤]
شَبيـــه ذي الأَنْــفِ الأَشَـــمّ
نَبـــــيِّ ذي النِّعَـــــمْ
بِـــرَغْـــمِ مَـــنْ رَغِـــمْ

قال ثابت : عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط : ويلك ما جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مما جئت به، فقال الحجاج بن علاط لغلامه : أقرىء على أبي الفضل السلام ، وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه ، فإنّ الخبر على ما يسرُّه . فجاء غلامه ، فلمَّا بلغ باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضل. قال : فوثب العباس فرحاً حتى قبَّل بين عينيه ، فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه . قال : ثم جاءه الحَجَّاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حُييٍّ واتخذها لنفسه ، وخيَّرها أن يعتقها وتكون زوجة، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته . قال : ولكني جئت لمال كان لي هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ ، فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخف عليَّ ثلاثاً ، ثم اذكر ما بدا لك . قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حليٍّ ومتاع ، فجمعته ودفعته إليه ، ثم استمرَّ به ، فلمَّا كان

(١) في (آ) : « ولم يلبثوا » وأثبت لفظ (ط) .
(٢) في « المسند » (٣/ ١٣٨ و١٣٩) ، وإسناده صحيح .
(٣) أي : كأنهم ضربوا بالمقمعة ـ وهي آلة من حديد كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل ـ كناية عن القهر والذّلّ . انظر « مختار الصحاح » (قمع) .
(٤) ما بين الحاصرتين استدركته من « المسند » للإمام أحمد بن حنبل .

بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج ، فقال : ما فعل زوجكِ ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل ، لقد شقَّ علينا الذي بلغك . قال : أجل ، لا يُحزنني الله ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صفيةَ لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به . قالت : أظنُّك والله صادقاً . قال : فإني صادق ، والأمر على ما أخبرتك . ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش ، وهم يقولون إذا مرَّ بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ، ثم يذهب . قال : فردَّ الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس ، فأخبرهم الخبر ، فسُرَّ المسلمون وردَّ الله ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرّجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النَّسائيِّ[١] ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقيُّ[٢] ، من طريق محمود بن غيلان ، عن عبد الرزاق .

ورواه أيضاً[٣] من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه»[٤] أن قريشاً كان بينهم تراهن عظيم وتبايع، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خيبر . وكان الحجَّاج بن علاط السُّلميُّ ثم البهزيُّ قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر ، وكانت تحته أمُّ شيبة أخت [بني] عبد الدار بن قصيٍّ ، وكان الحجَّاج مكثراً من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خيبر ، استأذن الحَجَّاج رسول الله ﷺ في الذَّهاب إلى مكّة يجمع أمواله ، فأذن له ، فذكر نحو ما تقدَّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٥] : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حَسَّان[٦] : [من الخفيف]

---

(١) في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٤٦) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٨) .
(٣) يعني الحافظ البيهقي ، وهو عنده في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢٦٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٧) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٦٩) مع بعض الخلاف .

بئسَ مَا قَاتَلَتْ خيابرُ عمَّا ... جمَّعوا من مَزَارِعٍ ونخيلِ
كَرِهُوا الموتَ فَاستُبِيح حِمَاهُمْ ... وأقرُّوا فِعْلَ اللَّئيم الذَّليلِ
أَمِنَ الموت يهرُبون فإنَّ الـ ... ـموت موت الهزال غير جميلِ

وقال كعب بن مالك[1] فيما ذكره ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاريِّ : [من الطويل]

ونحن وردنا خيبراً وفُروضَه ... بكلِّ فتى عاري الأَشَاجِعِ مِذودِ[2]
جوادٍ لدى الغايات لا واهنِ القُوى ... جريء على الأعداءِ في كلِّ مَشْهَدِ
عظيمِ رماد القِدر في كلِّ شتوة ... ضروبٍ بنصل المشرفيِّ المُهَنَّدِ
يرى القَتْل مَدْحَاً إنْ أَصَاب شهادةً ... مِن الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ
يذود ويَحْمِي عن ذِمَارِ محمدٍ ... ويَدْفَعُ عنه باللِّسانِ وباليدِ
ويَنْصُرُهُ مِنْ كلِ أمرٍ يَريبُهُ ... يجُودُ بنفسٍ دونَ نفسِ محمدِ
يُصَدِّقُ بالإنباءِ بالغَيب مخلصاً ... يُريدُ بذاكَ العزَّ والفَوزَ في غدِ

* * *

فصل

في مروره ـ ﷺ ـ بوادي [القُرى] ومحاصرته قوماً من اليهود ، [ومصالحته يهود] تيماء على ما ذكره الواقديُّ

قال الواقديُّ[3] : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهريِّ ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي هُريرة [قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى ، وكان رفاعة] بن زيد بن وهب الجذاميُّ قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له : مِدعم . وكان يرحِّل لرسول الله ﷺ ، فلمَّا نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود ، وقدم إليها ناس من العرب ، فبينا مِدعم يحطُّ رحل رسول الله ﷺ ، وقد استقبلتنا يهود بالرَّمي حين نزلنا ، ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون في آطامهم ، فيقبل سهم عائر ، فأصاب مدعماً فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له بالجنة . فقال النبيُّ ﷺ: «كلاَّ والذي نفسي بيده، إن الشَّملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً». فلمَّا سمع بذلك الناس ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشِراك أو شراكين، فقال النبيُّ ﷺ: « شراك من نار أو شراكان من نار ». وهذا الحديث

---

(١) « ديوانه » ص(١٦٤) .
(٢) أي : مانع .
(٣) انظر « المغازي » (٢/٧٠٩) .

في «الصحيحين» من حديث مالك ، عن ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه[١] .

قال الواقديُّ[٢] : فعبَّى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفَّهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عبَّاد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم ، وحسابهم على الله . قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزُّبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر ، فبرز إليه عليٌّ فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دجانة فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، كلَّما قتل منهم رجل ، دعا من بقي منهم إلى الإسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم ، فيصلِّي رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عزَّ وجلَّ ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسَوا ، وغدا عليهم ، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، فتحها عنوة ، وغنَّمهم الله أموالهم ، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام ، فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنَّخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطيء به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى ، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلمَّا كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ، ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى ؛ لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز، وما وراء ذلك من الشام. قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى ، وغنَّمه الله عزَّ وجلَّ .

قال الواقديُّ[٣] : حدَّثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمَارة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء »[٤] . قالت : فذهب رجل من الحيِّ ، فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلَّى سبيله ولم يهِجْه ، وضنَّ بزوجته أن يفارقها ، وكان له منها أولاد ، وكان يحبُّها ، فعصى رسول الله ﷺ ، فرأى ما يكره .

***

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥) .

(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧١٠) .

(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧١٢) .

(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » برقم (٨٦٥ ـ بغية الباحث) وفي سنده الواقدي ، وهو متروك ، والقول النبوي في الصحيحين بنحوه من حديث جابر ، في البخاري برقم (٥٢٤٤) و(١٨٠١) ومسلم رقم (٧١٥) الذي بعد (١٩٢٨) .

فصـــل

ثبت في « الصحيحين »[١] أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر ، عامل يهودها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث : على أن يعملوها من أموالهم . وفي بعضها[٢] : وقال لهم النبيُّ ﷺ : « نقرُّكم [فيها] ما شئنا » .

وفي « السِّير » أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة ، يَخْرُصُهَا عليهم عند استواء ثمارها ، ثم يضمِّنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة ، بعث جبَّار بن صخر ، كما تقدَّم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : سألت ابن شهاب : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمَّسها وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال ؛ على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا [وبينكم] فأقرُّكم ما أقرَّكم الله » . فقبلوا ، وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفَّى الله نبيَّه ﷺ ، أقرَّها أبو بكر بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفِّي ، ثم أقرَّهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعنَّ بجزيرة العرب دينان »[٤] . ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله قد أذن لي [في] إجلائكم ، وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمعنَّ في جزيرة العرب دينان » . فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهَّز للجلاء . فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٨٥) و(٢٣٢٨) و(٢٣٣١) ومسلم رقم (١٥٥١) (١) و(٢) و(٣) .

(٢) كما عند البخاري رقم (٢٣٣٨) و(٣١٥٢) ومسلم رقم (١٥٥١) (٤) و(٦) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٦) .

(٤) هو عند أحمد في « المسند » (٦/ ٢٧٤) من حديث عائشة قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يُترك بجزيرة العرب دينان » وإسناده حسن وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب عند مسلم برقم (١٧٦٧) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً » .
وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » رواه البخاري رقم (٣٠٥٣) ومسلم رقم (١٦٣٧) .

قلت : قد ادَّعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمئة ، أن بأيديهم كتاباً من رسول الله ﷺ ؛ فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغترَّ بهذا الكتاب بعض العلماء ، حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ؛ من الشافعية الشيخ أبو عليِّ بن خيرون ، وهو كتاب مزوَّر مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بيَّنت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرَّض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم ، كابن الصَّبَّاغ في « شامله » ، والشيخ أبي حامد في « تعليقه » ، وصنَّف فيه ابن المُسلمة جزءاً منفرداً للردِّ عليه . وقد تحرَّكوا به بعد السبعمائة، وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه ، فإذا هو مكذوب ؛ فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ، ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه عليُّ بن أبو طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ، ولم تكن شرعت بعدُ ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلمَّا قدمنا تفرَّقنا في أموالنا . قال : فعُدِي عليَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي ، ففدعت يداي من مرفقيَّ ، فلما استصرخت عليَّ صاحبيَّ ؛ فأتياني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري . فأصلحا من يديَّ ، ثم قدما بي إلى عمر ، فقال : هذا عمل يهود . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنَّا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه كما بلغكم ، مع عَدْوتهم على الأنصاريِّ قبله ، لا نشكُّ أنهم كانوا أصحابه ، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به ، فإنِّي مخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر ، وقد كان وقفه في سبيل الله ، وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ ، كما هو ثابت في « الصحيحين »[٢] وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

***

قال الحافظ أبو بكر البيهقيُّ في « الدلائل »[٣] : جماع أبواب السَّرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضيَّة ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٧) .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٧٣٧) و(٢٧٦٤) و(٢٧٧٢) ومسلم رقم (١٦٣٢) و(١٦٣٣) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٠) .

سريَّة أبي بكر الصّدِّيق إلى بني فَزَارَة

قال الإمام أحمد[١] : ثنا بهز ، ثنا عكرمة بن عمَّار ، ثنا إياس بن سلمة ، حدَّثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة ، وأمَّره رسول الله ﷺ علينا ، فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء ، أمرنا أبو بكر فعرَّسنا ، فلمَّا صلَّينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننَّا الغارة ، فقتلنا على الماء من [مرَّ] قِبلنا[٢] . قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه من الذُّرية والنساء ، نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل . قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء ، وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم ، ومعها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنفَّلني أبو بكر بنتها . قال : فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ، ثم بتُّ فلم أكشف لها ثوباً . قال : فلقيني رسول الله ﷺ في السوق ، فقال لي : « يا سلمة ، هب لي المرأة » . قال : فقلت : والله يا رسول الله لقد أعجبتني ، وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال : « يا سلمة ، هب لي المرأة ، لله أبوك » . قال : فقلت : يا رسول الله ، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً . وهي لك يا رسول الله . قال : فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ، وفي أيديهم أسارى من المسلمين ، ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقيُّ[٣] من حديث عكرمة بن عَمَّار ، به .

* * *

سريَّة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه
إلى تُربةَ من أرض هَوَازِن وراء مَكَّة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقيُّ[٤] من طريق الواقديّ بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، في ثلاثين راكباً ، ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النَّهار ، فلمّا انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم ، وكرَّ عمر راجعاً إلى المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٤٦) .
(٢) كذا في (ط) وما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) .
(٣) هو عند مسلم في « صحيحه » رقم (١٧٥٥) وعند البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٢) .

سريَّة عبد الله بن رَوَاحَة
إلى يُسير بن رِزام اليهوديّ

ثم أورد[١] من طريق ابن لهيعة[٢] ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق موسى بنِ عقبة ، عن الزهريِّ ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً ، فيهم عبد الله بن أنيس ، إلى يُسير بن رِزام اليهوديِّ ، حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسولَ الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزُوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً ، مع كلِّ رجل منهم رديف من المسلمين ، فلمَّا بلغوا قرقرة ثبار ، وهي من خيبر على ستة أميال ، ندم يسير بن رزام ، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أُنيس ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، فزجر بعيره ، ثم اقتحم يسوق بالقوم ، حتى إذا استمكن من يُسير ، ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يُسير وفي يده مخرش من شوحط ، فضرب به وجه عبد الله بن أُنيس فشجَّه شجَّة مأمومة ، وانكفأ كلُّ رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدّاً ، ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله ﷺ في شجَّة عبد الله بن أُنيس ، فلم تقِح ولم تؤذه حتى مات .

* * *

سريَّة أخرى مع بَشير بن سعدٍ

روى[٣] من طريق الواقديِّ بإسناده ، أن رسول الله ﷺ بعث بَشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرَّة في أرض فَدَك ، فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه ، وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتالاً شديداً ، ثم لجأ إلى فَدَك ، فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرَّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقديُّ[٤] : [ثم] بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة . فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدريَّ ، وكعب بن عجرة ، ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نَهيك حليف بني مرَّة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله . وأن الصحابة لاموه على ذلك ، حتى سُقط في يده وندم على ما فعل .

---

(١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده (٤/ ٢٩٣) .
(٢) قال الحافظ في « تقريب التهذيب » وهو صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب أعدل من غيرهما ، وله في مسلم بعض شيء مقرون .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده (٤/ ٢٩٥) .
(٤) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٣) .

وقد ذكر هذه القصة يونس بن بُكير ، [عن] ابن إسحاق ، عن شيخ من بني سلِمة ، عن رجال من قومه ، أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبيَ إلى أرض بني مُرَّة ، فأصاب مرداس بن نَهيك حليفاً لهم من الحُرقة . قال : فقتله أُسامة .

قال ابن إسحاق[1] : فحدَّثني محمد بن أُسامة بن محمد بن أُسامة ، عن أبيه ، عن جدِّه أُسامة بن زيد قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ـ يعني مرداسَ بن نَهيك ـ فلما شهرنا عليه السِّلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه ، فقال : « يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ » فقلت : يا رسول الله ، إنما قالها تعوُّذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أُسامة بلا إله إلا الله ؟ » فوالذي بعثه بالحقِّ ما زال يردِّدها عليَّ حتى تمنَّيت أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وأني أسلمت يومئذٍ ولم أقتله . فقلت : إني أُعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، أبداً . فقال : « بعدي يا أسامة » . فقلت : بعدك .

قال الإمام أحمد[2] : حدثنا هُشَيم بن بَشير ، أنبأ حُصين ، عن أبي ظَبيان قال : سمعت أُسامة بن زيد يُحَدِّث قال : بَعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة . قال : فصبَّحناهم ، وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدِّهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتَهم . قال : فغشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلمَّا تغشَّيناه قال : لا إله إلا الله . فكفَّ عنه الأنصاريُّ وقتلتُه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « يا أُسامة ، أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، إنما كان متعوِّذاً [من القتل] . قال : فكرَّرها عليَّ حتى تمنَّيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ .

وأخرجه البخاريُّ ومسلم[3] من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق[4] : حدَّثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجُهَنيِّ ، عن جُنْدب بن مَكيثٍ الجُهنيِّ قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبيَّ ، كلب ليث ، إلى بني الملوَّح بالكَدِيد[5] ، وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سريَّته ، فمضينا حتى إذا كنا بالقُدَيد[6] ، لقينا الحارث بن مالك بن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٣) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٠٠) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٦٩) و(٦٨٧٢) ومسلم رقم (١٥٩) (٩٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٠٩) .
(٥) الكَديد : واد قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة . عن حاشية شيخنا العلاَّمة حَمَد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ص (٣٦٠) .
(٦) قديد : موضع بين الحرمين . انظر « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ، ص(٣٣٤) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .

البرصاء اللَّيثيُّ ، فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم . فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لِتُسلم ، فلا يضرُّك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا [منك] . قال : فأوثقه رباطاً وخلَّف عليه رويجلاً أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى نمرَّ عليك ، فإن نازعك فاحتزَّ رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكَديد ، فنزلنا عشيَّة بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه ، فعمدت إلى تلٍّ يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه ، وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم ، فنظر فرآني منبطحاً على التَّلِّ ، فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التَّلِّ ما رأيته في أول النَّهار ، فانظري لا تكون الكلاب اجترَّت بعض أوعيتِك ؟ فنظرت فقالت : والله ما أفقد منها شيئاً . قال : فناوليني قوسي وسهمين من نبلي . فناولته ، فرماني بسهم في جبيني ـ أو قال : في جنبي ـ فنزعته فوضعته ولم أتحرَّك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي ، فنزعته فوضعته ولم أتحرَّك . فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سَهْمَايَ ، ولو كان ربيئةً[1] لتحرَّك ، فإذا أصبحتِ فابتغي سهميَّ فخذيهما ، لا تمضغهما عليَّ الكلاب .

قال : فأمهلنا ، حتى إذا راحت روايحهم ، وحتى احتلبوا وعطَّنوا وسكنوا ، وذهبت عتَمة من الليل ، شننَّا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النَّعم ، ووجَّهنا قافلين به ، وخرج صريخ القوم إلى قومهم بقربنا . قال : وخرجنا سراعاً حتى نمرَّ بالحارث بن مالك بن البَرْصَاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريخ الناس ، فجاءنا ما لا قِبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قُدَيْدٍ ، بعث الله من حيث شاء ماءً ، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يُقدِم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ، ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجدُّ بها أو نحدوها ـ شكَّ النُّفَيليُّ ـ فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود[2] من حديث محمد بن إسحاق ، فقال في روايته : عبد الله بن غالب . والصواب غالب بن عبد الله كما تقدَّم .

وذكر الواقديُّ[3] هذه القصة بإسناد آخر ، وقال فيه : وكان معه من الصحابة مئة وثلاثون رجلاً .

ثم ذكر البيهقيُّ[4] من طريق الواقديِّ سرية بَشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب ، وغنموا نعماً كثيراً ، وكان بعثه في هذه السَّرِيَّة بإشارة أبي بكر وعُمَرَ ، رضي الله عنهما ، وكان

---

(١) الرَّبيئة : طليعة القوم الذي ينظر لئلا يدهم العدو . « لسان العرب » (ربأ) .

(٢) في « سننه » رقم (٢٦٧٨) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٦) .

(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠١) .

معه من المسلمين ثلاثمئة رجل ، ودليله حُسَيل بن نُويرة ، وهو الذي كان دليلَ النبيِّ ﷺ [إلى خَيبر] . قاله الواقديُّ[١] .

***

سَرِيَّة أبي حَدْرَدٍ إلى الغَابَةِ

قال يونس ، عن محمد بن إسحاق[٢] : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوته إلى الغابة ما حدَّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، عن أبي حدرد قال : تزوَّجت امرأة من قومي فأصدقتها مئتي درهم . قال : فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي ، فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت : مئتي درهم . فقال : « سُبْحَان الله ! والله لو كنتم تأخذونها من وادٍ ما زاد ، والله ما عندي ما أُعينك به » . فلبثت أياماً ، ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة . في بطن عظيم من جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم وشرف في جشم . قال : فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدَّم لنا شارِفاً عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً ، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلَّغوا على هذه » . فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس ، فكمنت في ناحية ، وأمرت صاحبيَّ فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبَّرت وشددت في العسكر فكبِّرا وشدَّا معي . فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرَّة أو نرى شيئاً ، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرَّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم وتخوَّفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقَّننَّ أمر راعينا ، ولقد أصابه شرٌّ . فقال نفر ممَّن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك . فقال : لا يذهب إلا أنا . قالوا : فنحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى يمرُّ بي ، فلمَّا أمكنني نفحته بسهم ، فوضعته في فؤاده ، فوالله ما تكلَّم ، فوثبت إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددت ناحية العسكر وكبَّرت ، وشدَّ صاحباي وكبَّرا ، فوالله ما كان إلا النَّجاءُ ممَّن كان [فيه] عندك [عندك][٣] ، بكلِّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خفَّ معهم من أموالهم ، واستَقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي ، فجمعت إليَّ أهلي .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٩) .

(٣) قال أبو ذرّ الخشني في « شرح غريب السيرة النبوية » (٣/ ١٧٤) : « عندك عندك ، كلمتان بمعنى الإغراء » .

السَّريَّة التي قتل فيها محلّمُ بن جثَّامة عامرَ بن الأَضْبَط

قال ابن إسحاق[١] : حدَّثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين ، منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعيٍّ ، ومحلِّم بن جثَّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيُّ على قعود له ، معه مُتيِّع له ، ووطب من لبن ، فسلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جثَّامة فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتيِّعه ، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر ، فنزل فينا القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء : ٩٤] .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه فذكره[٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : حدَّثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضَّمريَّ يحدِّث عُرْوَة بن الزّبير ، عن أبيه وجدِّه ـ قال : وكانا شهدا حنيناً ـ قال : فصلَّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر ، فقام إلى ظلِّ شجرة ، فقعد فيه ، فقام إلى عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعيِّ ، وهو سيد قيس ، وجاء الأقرع بن حابس يردُّ عن محلِّم بن جثَّامة وهو سيد خندفَ ، فقال رسول الله ﷺ لقوم عامر : « هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي . فقام رجل من بني ليث يقال له : ابن مُكَيتل . وهو قصد من الرجال ، فقال : يا رسول الله ، ما أجد لهذا القتيل مثلاً في غرَّة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أُولاها فنفرت أُخراها ، اسنن اليوم وغيِّر غداً . فقال رسول الله ﷺ : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدِّية ، فقال قوم محلِّم بن جثَّامة : ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ . قال : فجاء رجل طُوال ضرب اللحم ، في حلَّة قد تهيَّأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبيِّ ﷺ ، فقال النبيُّ ﷺ : « اللهم لا تغفر لمحلِّم » . [قالها ثلاثاً] فقام وإنه ليتلقَّى دموعه بطرف ثوبه . قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٦) .
(٢) انظر « المسند » (٦/ ١١) ، إسناده محتمل للتحسين .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٧) .

وهكذا رواه أبو داود[١] من طريق حَمّاد بن سلمة ، عن ابن إسحاق .

ورواه ابن ماجه[٢] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة ، عن أبيه وعمِّه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدِّه.

وهكذا رواه أبو داود[٣] من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدِّه ، بنحوه كما تقدَّم .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني سالم أبو النَّضر أنه قال : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال: يا معشر قيس ، سألكم رسول الله ﷺ قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إيَّاه ، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ، أو يلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم ، والله لتُسلمنَّه إلى رسول الله ﷺ أو لآتينَّ بخمسين من بني تميم [كلُّهم] يشهدون أن القتيل كافر ما صلَّى قط ، فلأُطَلَّنَّ دمه . فلمَّا قال ذلك لهم ، أخذوا الدِّية . وهذا منقطع معضلٌ .

وقد روى ابن إسحاق[٥] ، عمَّن لا يتَّهم ، عن الحسن البصريِّ ، أن محلِّماً لما جلس بين يديه ، عليه الصلاة والسلام ، قال له : « أمَّنته بالله ثم قتلته ؟! » ثم دعا عليه . قال الحسن : فوالله ما مكث محلِّم إلا سبعاً حتى مات ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ رسول الله ﷺ فقال : « إن الأرض لتطَّابق على من هو شرٌّ منه ، ولكنَّ الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم بما أراكم منه » .

وقال ابن جرير[٦] : ثنا وكيع ، ثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ محلِّم بن جَثَّامة مبعثاً ، فلقيهم عامر بن الأضبط فحيَّاهم بتحية الإسلام ـ وكانت بينهم حِنَةٌ في الجاهلية ـ فرماه محلِّم بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ ، فتكلَّم فيه عُيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله ، سُنَّ اليوم وغيِّر غداً . فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثُّكل ما ذاق نسائي . فجاء محلِّم في بُردين ، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) في « سننه » رقم (٤٥٠٣) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في « سننه » رقم (٢٦٢٥) ، وإسناده ضعيف .
(٣) في « سننه » رقم (٤٥٠٣) ، وإسناده ضعيف .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠٨) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٨) .
(٦) في « تفسيره » (٥/ ٢٢٢) ، وهذه القصة رواها ابن إسحاق بالعنعنة ، فهي ضعيفة .

« لا غفر الله لك » . فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتى مات ، فدفنوه فلفظته الأرض ، فجاؤوا النبيَّ ﷺ فذكروا ذلك له ، فقال : « إنَّ الأرض تقبل من هو شرٌّ من صاحبكم ، ولكنَّ الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » . ثم طرحوه بين صدفي جبل ، فألقوا عليه من الحجارة ، ونزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية [النساء ٩٤] . وقد ذكره موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ ، ورواه شعيب ، عن الزهريِّ ، عن عبد الله بن موهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمِّ محلِّم بن جثَّامة ، ولا عامر بن الأضبط . وكذلك رواه البيهقيُّ[1] ، عن الحسن البصريِّ بنحو هذه القصة ، وقال : وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية .

قلت : وقد تكلَّمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في « التفسير »[2] بما فيه الكفاية ، ولله الحمد والمنة .

***

سَرِيَّة عبد الله بن حُذَافَة السَّهْمِيِّ

ثبت في « الصحيحين »[3] من طريق الأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السُّلميِّ ، عن عليِّ بن أبي طالب قال : استعمل النبيُّ ﷺ رجلاً من الأنصار على سريَّة ، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا . قال : فأغضبوه في شيء فقال : اجمعوا لي حطباً . فجمعوا ، فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبيِّ ﷺ ، ذكروا ذلك له ، فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف » .

وهذه القصة ثابتة أيضاً في « الصحيحين »[4] من طريق يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقد تكلَّمنا عن هذه الآية بما فيه كفاية في « التفسير »[5] ولله الحمد والمنة .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣١٠) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٣٣٦) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٤٠) و(٧١٤٥) ومسلم رقم (١٨٤٠) (٤٠) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٥٨٤) ومسلم رقم (١٨٣٤) .
(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٣٠٤) .

عمْرَةُ القَضَاءِ

ويقال : القِصاص ، ورجَّحه السهيليُّ . ويقال : عمرة القضيَّة . فالأول قضاء عما كان أحصر عام الحُديبية ، والثاني من قوله تعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها ، على أن يرجع عنهم عامه هذا ، ثم يأتي في العام القابل ، ولا يدخل مكة إلا في جُلبان السلاح ، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام ، وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة « الفتح » المباركة : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ الآية [الفتح : ٢٧] . وقد تكلَّمنا عليها مستقصى في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية . وهي الموعود بها في قوله ، عليه الصلاة والسلام ، لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوِّف به » . وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رَوَاحة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ إلى مكة ، يوم عمرة القضاء وهو يقول[1] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله   اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله

أي : هذا تأويل الرُّؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ ، جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن إسحاق[2] : فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة ، أقام بها شهري ربيع وجمادين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوَّالاً ، يبعث فيما بين ذلك سراياه ، ثم خرج في ذي القعدة ، في الشهر الذي صدَّه فيه المشركون ، معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدُّوه عنها ـ قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدُّئليَّ ـ ويقال لها : عمرة القصاص ؛ لأنهم صدُّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ستٍّ ، فاقتصَّ رسول الله ﷺ منهم ، فدخل مكة في ذي القعدة ، في الشهر الحرام الذي صدُّوه فيه من سنة سبع . بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ .

وقال معتمر بن سليمان[3] ، عن أبيه في « مغازيه » : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من خيبر ، أقام بالمدينة وبعث سراياه ، حتى استهلَّ ذو القعدة ، فنادى في الناس أن يتجهَّزوا للعمرة . فتجهَّزوا وخرجوا إلى مكة .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١٤٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٠) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣١٤) .

وقال ابن إسحاق[١] : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدَّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدَّة .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صفُّوا له عند دار الندوة ؛ لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد ، اضطبع بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » . ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ، ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانيَّ ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنُّون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحيِّ من قريش ؛ للذي بلغه عنهم ، حتى حجَّ حَجَّة الوداع ، فلزمها ، فمضت السُّنَّة بها .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمَّاد ، هو ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدَم عليكم وفد وهَنهم حمَّى يثرب . فأمرهم النبيُّ ﷺ أن يرمُلوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلَّها إلا الإبقاء عليهم . قال أبو عبد الله : وزاد ابن سلمة ـ يعني حمَّاد بن سلمة ـ عن أيوب ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : لمَّا قدم النبيُّ ﷺ لعامه الذي استأمن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوَّتكم » ، والمشركون من قبل قعيقعان .

ورواه مسلم[٤] ، عن أبي الرَّبيع الزَّهرانيِّ ، عن حماد بن زيد . وأسند البيهقيُّ[٥] طريق حَمَّاد بن سَلَمَة .

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله ﷺ ، سترناه من غِلْمَان المشركين ومنهم ؛ أن يؤذوا رسول الله ﷺ . وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول[٨] : [من الرجز]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥٦) .
(٤) رواه مسلم رقم (١٢٦٦) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٦) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٢٥٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٨) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٤) .

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله خلُّوا فكلُّ الخير في رسولهِ
يـا ربِّ إنـي مـؤمـنٌ بقِيلـهِ أعـرفُ حـقَّ الله فـي قبـولـهِ
نحـن قَتَلْنـاكُـمْ علـى تـأويلـه كمـا قتلنـاكـم علـى تَنْـزِيلِـهِ
ضَرْباً يُزِيل الهَامَ عن مَقِيْلِهِ ويُـذْهِـلُ الخَلِيـلَ عَـنْ خَليلـهِ

قال ابن هشام[١] : نحن قتلناكم على تأويله . إلى آخر الأبيات لعمَّار بن ياسر في غير هذا اليوم . يعني يوم صفِّين . قاله السهيليُّ[٢]

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرُّوا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقرَّ بالتنزيل .

وفيما قاله ابن هشام نظرٌ ؛ فإنَّ الحافظ البيهقيَّ روى من غير وجه[٣] ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزّهريِّ ، عن أنس قال : لمَّا دخل النبيُّ ﷺ مَكَّةَ في عُمْرَةِ القَضَاءِ ، مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ـ وفي رواية : وهو آخذ بغَرْزِه[٤] ـ وهو يقول : [من الرجز]

خلُّـوا بنـي الكُفَّـار عـن سبيلـهِ قـد نـزَّل الـرحمـن فـي تنـزيلـهِ
بـأنَّ خيـر القتـل فـي سبيلـهِ [نحـن قَتَلْنـاكُـم علـى تـأويلـهِ]

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه : [من الرجز]

خلُّـوا بنـي الكُفَّـار عـن سبيلـهِ اليـوم نضـربكـم علـى تنـزيلـه
ضـربـاً يُـزيـل الهَـامَ عَـنْ مَقِيْلِـهِ ويُـذْهِـلُ الخَلِيْـلَ عَـنْ خليلـهِ
يَا ربِّ إنِّي مؤمنٌ بقِيلهِ

وقال يونس بن بكير[٥] ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل عام القضيَّة مكة ، فطاف بالبيت على ناقته ، واستلم الرُّكن بمحجنه ـ قال هشام : من غير علَّة ـ والمسلمون يشتدُّون حوله ، وعبد الله بن رواحة يقول[٦] : [من الرجز]

بســم الّــذي لا دِيــنَ إلا دينُــهُ بســمِ الــذي محمــدٌ رســولُــهُ
خلُّوا بني الكفَّار عن سبيلِهِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٢٨) .
(٣) في دلائل النبوة (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) .
(٤) الغرز : رِكابُ الرَّحْلِ .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٢٥) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٦) .

قال موسى بن عقبة[١] ، عن الزهريِّ : ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحُديبية معتمراً ، في ذي القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذي صدَّه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يأجَج وضع الأداة كلَّها ؛ الحجف والمجانَّ والرِّماح والنَّبل ، ودخلوا بسلاح الراكب ؛ السيوف ، وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العَامِريَّة ، فخطبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس ، وكان تحته أختها أمُّ الفضل بنت الحارث ، فزوَّجها العباس رسول الله ﷺ ، فلمَّا قدم رسول الله ﷺ ، أمر أصحابه فقال : « اكشفوا عن المناكب ، واسعوا في الطواف » . ليرى المشركون جلدهم وقوَّتهم ، وكان يكايدهم بكلِّ ما استطاع ، فاستكفَّ أهل مكة ؛ الرجال والنساء والصِّبيان ، ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشِّحاً بالسيف ، وهو يقول[٢] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله ... خلّوا فَكُلُّ الخيرِ في رَسُولِهِ[٣]

قد أنزل الرحمن في تنزيله ... في صحُف تتلى على رسوله

فاليوم نضربكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقِيله ... ويذهل الخليل عن خليله

قال : وتغيَّب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ ؛ غيظاً وحنقاً ، ونفاسة ، وحسداً ، وخرجوا إلى الخندمة ، فقام رسول الله ﷺ بمكة ، وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلمَّا أن أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزَّى ، ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدَّث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب بن عبد العزَّى : نناشدك الله والعقد لمَا خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاث . فقال سعد بن عبادة : كذبت ، لا أمَّ لك ، ليس بأرضك ولا بأرض آبائك ، والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال : « إني قد نكحت فيكم امرأة ، فما يضرُّكم أن أمكث حتى أدخل بها ، ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا ؟ » . فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا . فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذَّن بالرحيل ، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل بطن سرِف ، وأقام المسلمون ، وخلَّف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، [وقد لقيت ميمونة] ومن معها عناءً وأذى من سفهاء المشركين ومن

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٥) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٢٧) .
(٢) انظر « ديوان عبد الله بن رواحة » ص(١٤٤) وهي في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٢٨) و« الروض الأنف » (٧/ ٨) مع تقديم وتأخير ونقصٍ وزيادة .
(٣) تنبيه : لفظ الشطرة الثانية في (آ) و(ط) : « أنا الشهيد أنه رسوله » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام و« ديوانه » ص(١٤٤) .

صبيانهم ، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف ، فبنى بها ، ثم أدلج ، فسار حتى قدم[١] المدينة .

وقدَّر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ .

ثم ذكر قصة ابنة حمزة ، إلى أن قال : وأنزل الله ، عزَّ وجلَّ ، في تلك العمرة : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صُدَّ فيه .

وقد [روى] ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة بن الزبير نحواً من هذا السِّياق .

[ولهذا السياق] شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ، ففي « صحيح البخاريِّ »[٢] من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ، ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ، ولا يقيم بها إلا ما أحبُّوا . فاعتمر من العام المقبل ، فدخلها كما كان صالحهم ، فلمَّا أن أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج .

وقال الواقديُّ[٣] : حدَّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء ، وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل ، في الشهر الذي صدَّهم فيه المشركون .

وقال أبو داودُ[٤] : ثنا النُّفيليُّ ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حاضر الحميريَّ يحدِّث [أبي] مَيمونَ بن مِهْرَان قال : خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزّبير بمكّة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي . قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام ، منعونا أن ندخل الحرم . قال : فنحرت الهدي مكاني ، ثم أحللت ، ثم رجعت ، فلمَّا كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي ، فأتيت ابن عباس فسألته ، فقال : أبدل الهدي ؛ فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحُديبية ، في عمرة القضاء . تفرَّد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميريِّ ، عن ابن عباس ، فذكره .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٥] : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصمُّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يُونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يُسأل كثيراً : هل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذي نحر ، حين صدَّه المشركون عن البيت ؟ ولا يجد في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر

---

(١) في (ط) : « فأتى » .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٢٥٢) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/٣١٨) .
(٤) في « سننه » رقم (١٨٦٤) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/٣١٩) .

الحميريَّ عن ذلك ، فقال له : على الخبير سقطتَ ، حججت عام ابن الزُّبير في الحصر الأول ، فأهديت هدياً ، فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت في الحرم ، ورجعت إلى اليمن ، وقلت : لي برسول الله ﷺ أسوة . فلمَّا كان العام المقبل حججت ، فلقيت ابن عباس ، فسألته عما نحرت : عليَّ بدله أم لا ؟ قال : نعم فأبدل ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدي الذي نحروا عام صدَّهم المشركون ، فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزَّت الإبل عليهم ، فرخَّص لهم رسول الله ﷺ في البقر .

وقال الواقديُّ[(١)] : حدَّثني غانم بن أبي غانم ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : جعل رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الأسلميَّ على هديه ، يسير بالهدي أمامه ، يطلب الرِّعي في الشجر ، معه أربعة فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضيَّة ستين بَدَنَةً .

فحدَّثني[(٢)] محمد بن نُعَيم المُجْمِر ، عن أبيه ، عن أبي هُريـرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها .

قال الواقديُّ[(٣)] : وسار رسول الله ﷺ يلبِّي والمسلمون معه يلبُّون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مرِّ الظَّهران ، فيجد بها نفراً من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ، فقال : هذا رسول الله ﷺ يصبِّح هذا المنزل غداً إن شاء الله . ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً ، فأخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيل ، ففزعت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنا وهدنتنا ، ففيم يغزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران ، وقدَّم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجَج ، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مِكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ، ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدي والسلاح ، قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ، ما عُرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر ؛ السيوف في القرب ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « إني لا أُدخل عليهم السلاح » . فقال مِكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به ؛ البرُّ والوفاء . ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة [فقال : إن محمداً لا يدخل بسلاح ، وهو على الشرط الذي شرط لكم] فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبيِّ ﷺ ، خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال ، وخلَّوا مكة ، وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه . فأمر رسول الله ﷺ بالهدي أمامه حتى حبس بذي طوى ، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء ، وهم محدقون به يلبُّون ، وهم متوشِّحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذي طُوى ، وقف على ناقته

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٢) .
(٢) القائل الواقدي في « المغازي » (٢/ ٧٣٢) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٤) .

القصواء ، [والمسلمون حوله ، ثم دخل من الثَّنِيَّة التي تطلعه على الحَجون على راحلته القصواء] وابن رواحة آخذ بزمامها ، وهو يرتجز بشعره ويقول[١] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

إلى آخره .

وفي « الصحيحين »[٢] من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني من ذي القعدة سنة سبع ـ فقال المشركون : إنه يقدَم عليكم وفد قد وهَنتهم حمَّى يثرب . فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل ، يعني ابن زكريا ، عن عبد الله بن عثمان ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مرَّ الظَّهران في عمرته ، بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول : ما يتباعثون من العجف . فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا ، فأكلنا من لحمه ، وحسونا من مرقه ، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جَمامة . فقال : « لا تفعلوا ، ولكن اجمعوا لي من أزوادكم » . فجمعوا له ، وبسطوا الأنطاع ، فأكلوا حتى تركوا ، وحثا كلُّ واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد ، وقعدت قريش نحو الحِجر ، فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غَميزة » . فاستلم الرُّكن ثم رمل ، حتى إذا تغيَّب بالركن اليمانيِّ مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضَون بالمشي ، أما إنهم لينقزون نقز الظِّباء . ففعل ذلك ثلاثة أطواف ، فكانت سُنَّة . قال أبو الطُّفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجَّة الوداع . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

قال أبو داود[٤] : ثنا أبو سلمة موسى ، ثنا حمَّاد ـ يعني ابن سلمة ـ أنبأنا أبو عاصم الغنويُّ ، عن أبي الطُّفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت ، وأن ذلك سُنَّة . فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ؛ رمل رسول الله ﷺ ، وكذبوا ؛ ليس بسُنة ، إنَّ قريشاً قالت زمن الحديبية : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النَّغف . فلمَّا صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قِبل

(١) انظر « ديوانه » ص(١٤٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٥٦) ومسلم رقم (١٢٦٦) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٥) ، وإسناده حسن .
(٤) في « سننه » رقم (١٨٨٥) ، وهو حديث صحيح .

قعيقعان ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثاً » . قال : وليس بسُنة .

وقد رواه مسلم[١] من حديث سعيد الجُريريِّ ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثتهم عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس ، به نحوه .

وكونُ الرَّمَل في الطَّواف سُنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء ، وفي عمرة الجعرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباس ، فذكره[٢] . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره ، أنه صلَّى الله عليه وسلم رمل في حجة الوداع في الطواف[٣] . ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرَّملان وقد أطَّأ[٤] الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ[٥] وموضع تقرير هذا كتاب « الأحكام » .

وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سُنة ، كما ثبت في « الصحيحين »[٦] من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إنما سعى النبيُّ ﷺ بالبيت وبين الصّفا والمروة ؛ ليُريَ المشركين قوّته ، لفظ البخاريِّ .

وقال الواقديُّ[٧] : لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء ، دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذَّن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول . وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم ، حين يقوم بلال بن أمِّ بلال ينهق فوق الكعبة . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه ، لمَّا سمعوا بذلك غَطَّوا وجوههم .

قال الحافظ البيهقيُّ[٨] : قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقيُّ[٩] من طريق الواقديِّ ؛ أن هذا كان في عُمْرَة القَضَاء . والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح ، والله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٢٦٤) و(١٢٦٥) .
(٢) رواه أبو داود رقم (١٨٩٠) وابن ماجه (٢٩٥٣) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه مسلم رقم (١٢١٨) .
(٤) أي : ثبَّت .
(٥) رواه أحمد في « المسند » وأبو داود (١٨٨٧) وابن ماجه (١٩٥٢) وهو حديث صحيح .
(٦) رواه البخاري رقم (١٦٤٩) و(٤٢٥٧) ومسلم رقم (١٢٦٦) (٢٤١) .
(٧) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٧) .
(٨) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٩) .
(٩) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٩) .

وأما قصة تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بِمَيمُونَةَ

فقال ابن إسحاق[١] : حدَّثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوَّجه إيَّاها العباس بن عبد المطَّلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أمِّ الفضل ، فجعلت أمُّ الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوَّجها رسول الله ﷺ ، وأصدقها عنه أربعمئة درهم .

وذكر السُّهيليُّ[٢] أنَّه لمَّا انتهت إليها خِطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ . قال : وفيها نزلت الآية : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وقد روى البخاريُّ[٣] من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج مَيْمُونَة وهو محرمٌ ، وبنى بها وهو حلالٌ ، وماتت بِسَرِف .

قال السُّهيليُّ[٤] : وروى الدارقطنيُّ من طريق أبي الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الورَّاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة وهو حلال . قال : وتأوَّلوا رواية ابن عباس الأولى أنَّه كان محرماً ؛ أي في شهر حرام ، كما قال الشاعر[٥] : [من الكامل]

قَتَلوا ابنَ عَفَّان الخليفةَ مُحْرِماً فـدَعـا[٦] فلـم أر مثلـه مخـذولا

أي : في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ؛ لأنَّ الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ، ولا سيَّما قوله : تزوَّجها وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال ، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً ، وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذُّهْليُّ : ثنا عبد الرزاق قال : قال لي الثَّوريُّ : لا تلتفت إلى قول أهل المدينة ؛ أخبرني عمرو ، عن أبي الشَّعثاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج وهو محرم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٢٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٥٨) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٠) .
(٥) وهو الراعي النميري ، والبيت في « ديوانه » ص(٢٠٧) .
(٦) كذا في كتابنا هنا ، وفي « الروض الأنف » (٧/ ٣٠) : « فدعا » وفي « زاد المعاد » (٣/ ٣٣٠) : « ورعاً » .

قال أبو عبد الله[١] : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعاً ؛ عن عمرو عن أبي الشَّعثاء عن ابن عباس[٢] ، وابن خُثَيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس[٣] ؟ قال : نعم ، أمَّا حديث ابن خثيم فحدَّثنا هاهنا ـ يعني باليمن ـ وأمَّا حديث عمرو فحدَّثنا ثَمَّ ـ يعني بمكة ـ وأخرجاه في « الصحيحين »[٤] من حديث عمرو بن دينار به .

وفي « صحيح البخاريِّ »[٥] من طريق الأوزاعيِّ ، أنبأنا عطاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج مَيمونة وهو محرمٌ .

فقال سعيد بن المسيَّب : وَهَمَ[٦] ابن عباس ، وإن كانت خالته ؛ ما تزوَّجها إلا بعد ما أَحَلَّ .

وقال يونس[٧] ، عن ابن إسحاق : حدَّثني ثقة ، عن سعيد بن المسيَّب أنَّه قال : هذا عبد الله بن عباس ، يزعم أنَّ رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم . فذكر كلمته : إنَّما قدم رسول الله ﷺ مكة ، فكان الحلُّ والنِّكاح جميعاً ، فشُبِّه ذلك على الناس .

وروى مسلم وأهل السُّنن[٨] من طرق ، عن يزيد بن الأصمِّ العامريِّ ، عن خالته ميمونة بنت الحارث قال : تزوَّجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف . ولكن قال الترمذيُّ : روى غير واحد هذا الحديث ، عن يزيد بن الأصمِّ مرسلاً ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة [وهو حلال] .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٩] : أنبأنا أبو عبد الله [الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله] محمد بن عبد الله الأصفهانيُّ الزاهد ، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا مطر الورَّاق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي رافع قال : تزوَّج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت الرسولَ بينهما .

---

(١) يعني (الذُّهْلِيّ) وهو محمد بن يحيى بن عبد الله الذُّهْلِيّ النَّيْسَابُورِيّ ، أبو عبد الله ، المتوفى سنة (٢٥٨) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٢٥٩) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٢) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٦٢) ، وإسناده صحيح .
(٣) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢٨٣ و٣٦٢) ، وإسناده حسن .
(٤) رواه البخاري رقم (٥١١٤) ومسلم رقم (١٤١٠) .
(٥) رقم (١٨٣٧) .
(٦) أي : ذهب وهمه إليه . قاله ابن الأثير في « جامع الأصول » (٣/ ٥٢) وقد ذكر أبو داود أثر ابن المسيب هذا في « سننه » رقم (١٨٤٥) وهو صحيح مقطوع .
(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٣٦) .
(٨) هو عند مسلم رقم (١٤١١) وأبي داود رقم (١٨٤٣) والترمذي رقم (٨٤٥) والنسائي رقم (٥٤٠٤) وابن ماجه رقم (١٩٦٤) .
(٩) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٣٦) .

وهكذا رواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ[١] جميعاً ، عن قتيبة ، عن حَمَّاد بن زيد ، به ، ثم قال الترمذيُّ : حسن ، ولا نعلم أحداً أسنده غير حَمَّاد عن مطر . ورواه مالك ، عن ربيعة ، عن سليمانَ مرسلاً . ورواه سليمان بن بلال ، عن ربيعةَ مرسلاً .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، [ويقال : سنة ستين] ، رضي الله عنها .

* * *

ذكر خروجه ﷺ من مَكَّة بعد قضاء عُمْرَتِه

قد تقدَّم ما ذكره موسى بن عقبة ؛ أنَّ قريشاً بعثوا إليه حُويطب بن عبد العُزَّى بعد مضيِّ أربعة أيام ليرحل عنهم ، كما وقع به الشّرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عُرْسه بمَيْمُونةَ عندهم ، وإنَّما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرُج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن إسحاق[٢]

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبيُّ ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهل مكة [أن يدعوه يدخل مَكَّة] حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلمَّا كتبوا الكتاب ، كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقرُّ بهذا ، لو نعلم أنَّك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله .

قال : « أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله » . ثم قال لعليِّ بن أبي طالب : « امْحُ رسول الله » . قال : لا والله لا أمحوك أبداً . فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ، وليس يُحسن يكتب ، فكتب[٤] : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ؛ لا يُدخل مَكَّةَ إلَّا السيفَ في القِراب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها . فلمَّا دخلها ومضى الأجل ، أتَوا عليّاً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا ، فقد مضى الأجل . فخرج النبيُّ ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عمّ ، ياعمّ . فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : دونكِ ابنةَ عمِّكِ . فحملتها ، فاختصم فيها عليٌّ وزيد

---

(١) رواه الترمذي رقم (٨٤١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٥٤٠٢) ، وهو ضعيف بطوله ، وصح عنه « تزوج ميمونة وهو حلال » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥١) .

(٤) أي : أمر بالكتابة ﷺ ، وإلا فأُمِّيَّتُه مسلَّم بها ، نصّ عليها القرآن الكريم ، وهي من الإعجاز العظيم الذي كان في شخصيته ودعوته ﷺ كما هو معلوم لدى أهل العلم من المسلمين سلفاً وخلفاً . وانظر لتمام الفائدة الفصل الخاص بِأُمِّيَّتِهِ ﷺ من مقدمتي لكتاب « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي .

وجعفر ، فقال عليٌّ : أنا أخذتها وهي ابنة عَمِّي . وقال جعفر : ابنة عَمِّي ، وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنةُ أخي ، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها[1] وقال : « الخَالَةُ بمنزلةِ الأُمِّ » . وقال لعليٍّ : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » . وقال لجعفر : « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي » . وقال لزيد : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَولانَا » . قال عليٌّ : ألا تتزوَّج ابنةَ حمزة ؟ قال : « إنها ابنةُ أخي من الرَّضَاعَةِ » . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

وقد روى الواقديُّ[2] قصة ابنة حمزة ، فقال : حدَّثني ابن أبي حَبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس ، أن عُمَارة ابنة حمزة بن عبد المطلب ، وأمُّها سَلمى بنت عُميس ، كانت بمكة ، فلمَّا قدم رسول الله ﷺ كلَّم عليُّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال : علام نترك ابنة عمِّنا يتيمة بين ظهراني المشركين ؟ فلم ينه النبيُّ ﷺ عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلَّم زيد بن حارثة وكان وصيَّ حمزة ، وكان النبيُّ ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ؛ ابنة أخي . فلمَّا سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس . وقال عليٌّ : ألا أراكم تختصمون ، هي ابنة عمِّي ، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إليها سبب دُوني ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبيُّ ﷺ : « أنا أَحْكُمُ بينكم ، أمّا أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، [وأمّا أنت يا عليُّ فأخي وصَاحبي] ، وأما أنت يا جَعْفَرُ فتشبه خَلْقي وخُلُقي ، وأنت يا جعفر أولى بها ؛ تحتك خالتُها ، ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمَّتها » فقضى بها لجعفر .

قال الواقديُّ : فلما قضى بها لجعفر ، قام جعفر فحَجَل حول رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، كان النَّجاشيُّ إذا أرضى أحداً ، قام فَحَجَل حوله . فقال للنبيِّ ﷺ : تزوَّجها . فقال : « ابنة أخي من الرَّضاعة » . فزوَّجها رسول الله ﷺ سَلَمَةَ بن أبي سَلَمَة ، فكان النبيُّ ﷺ يقول : « هَلْ جَزَيْتُ سَلَمَةَ ؟ » .

قلت : لأنَّه ذَكَرَ الواقديُّ وغيره ، أنَّه هو الذي زوَّج رسول الله ﷺ بأُمِّه أُمِّ سَلَمَةَ ؛ لأنَّه كان أكبر من أخيه عُمر بن أبي سلمة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[3] : ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجَّة ، وتولَّى المشركون تلك الحجَّة .

قال ابن هشام[4] : وأنزل الله في هذه العُمرة ، فيما حدَّثني أبو عبيدة ، قوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ

---

(١) أي : لزوجة جعفر رضي الله عنه .

(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٨) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .

ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] يعني خيبر .

❊ ❊ ❊

فصـــل

ذكر البيهقيُّ[١] هاهنا سريَّة ابن أبي العَوجَاء السُّلميِّ إلى بني سُليم ، ثم ساق بسنده عن الواقديِّ[٢] : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزُّهريِّ قال : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضيَّة ، رجع في ذي الحجَّة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السُّلميَّ في خمسين رجلاً ، فخرج [إلى بني سُليم ، وكان عين بني سليم معه ، فلما فصل من المدينة ، خرج] العين إلى قومه ، فحذَّرهم وأخبرهم ، فجمعوا جمعاً كثيراً ، وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدُّون ، فلمَّا أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم ، دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنَّبل ولم يسمعوا قولهم ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه ، فرموهم ساعة ، وجعلت الأمداد تأتي ، حتى أحدقوا بهم من كلِّ جانب ، فقاتل القوم قتالاً شديداً ، حتى قتل عامَّتهم ، وأُصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من صفر سنة ثمان .

❊ ❊ ❊

فصـــل

قال الواقديُّ[٣] : في المحرَّم من هذه السنة ـ يعني سنة سبع ـ ردَّ رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع ، وقد قدَّمنا الكلام على ذلك .

وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا في الطريق ، وغلام خصيٌّ .

قال الواقديُّ[٤] : وفيها اتَّخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده . قال : والثَّبتُ عندنا أنَّه عُمل في سنة ثمان .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤١) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤١) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢١) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢٢) .

رَبِّ يسّر وأَعِنْ بحولِكَ وقوتك

سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية

فصل

في إسلام عمرو بن العَاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، رضي الله عنهم ، وكان قدومهم أوائل سنة ثمانٍ ، على ما سيأتي

قد تقدَّم طرف من ذلك ، فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافعٍ اليهوديِّ ، وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وإنَّما ذكره الحافظ البيهقيُّ[١] هاهنا بعد عُمْرَة القَضَاء ، فروى من طريق الواقديِّ[٢] : أنبأ عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه قال : قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أُحداً فنجوتُ ، ثم حضرت الخَنْدَقَ فنجوتُ . قال : فقلت في نفسي : كم أُوضِعُ[٣] ؟ والله ليظهرنَّ محمدٌ على قريش ، فلحقتُ بمالي بالوَهْطِ[٤] ، وأقللت من الناس ـ أي : من لقائهم ـ فلمّا حضر الحُديبية ، وانصرف رسول الله ﷺ في الصُّلح ، ورَجَعَتْ قريش إلى مَكّة ، جعلت أقول : يَدْخُل محمدٌ قابلاً مَكَّة بأصحابه ، ما مَكَّةُ بمنزل ولا الطائف ولا شيء خير من الخروج . وأنا بعدُ ناءٍ عن الإسلام ، وأرى لو أَسْلَمَتْ قريشٌ كلُّها لم أُسْلِمْ ، فقدمتُ مَكَّة وجمعت رجالاً من قومي ، وكانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، ويقدِّمونني فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومِدْرَهُنَا[٥] في يُمن نقيبة وبركةِ أمرٍ ، قال : قلت : تعلمون أنِّي والله لأرى أَمْرَ محمدٍ أَمْراً يعلو الأمور علوّاً منكراً ، وإنِّي قد رأيت رأياً . قالوا : وما هو ؟ قلت : نَلْحَقُ بالنجاشيِّ فنكون معه ، فإن يظهر محمدٌ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤٣) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤١) .
(٣) أي : أُدبر وأحاربُ .
(٤) في (آ) و(ط) : « بالرّهط » وهو خطأ ، والتصحيح من « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٤٤٧) وقد جاء فيه مايلي : « وهط . . . كرم كان لعمرو بن العاص بالطائف ، قيل : يعرش على ألف ألف خشبة . وقيل : قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وجّ ، كانت لعمرو بن العاص » .
(٥) أي : سيدنا ومقدَّمنا .

كنا عند النجاشيِّ ، فنكون تحت يد النَّجاشيِّ أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يد محمدٍ ، وإن تظهر قريش فنحن مَن قد عرفوا . قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا ما نهديه له . وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأَدَمُ ، فجمعنا أَدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشيِّ ، فوالله إنَّا لعنده إذ جاء عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه بكتابٍ كَتَبَهُ ، يُزَوِّجه أُمَّ حَبيبة بنت أبي سُفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُمَيَّة ، ولو قد دخلت على النجاشيِّ فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سَرَرْتُ قريشاً ، وكنت قد أجزأْتُ عنها حين قتلت رسول محمد . فدخلت على النجاشيِّ فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . ثُمَّ قدَّمته فأعجبه ، وفرَّق منه شيئاً بين بطارقته ، وأمر بسائره فأدخل في موضع ، وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول عدوٍّ لنا قد وترنا ، وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من ذلك ، ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنَّه كسره ، فابتدر منخِراي ، فجعلت أتلقَّى الدَّم بثيابي ، فأصابني من الذُّلِّ ما لو انشقَّت بي الأرض دخلت فيها ؛ فرَقاً منه . ثم قلت : أيها الملك ، لو ظننت أنَّك تكره ما قلت ما سألتك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرو ، تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو : فغيَّر الله قلبي عمَّا كنت عليه ، وقلت في نفسي : عرف هذا الحقَّ العرب والعجم وتخالف أنت ؟ ثم قلت : أتشهد أيُّها الملك بهذا ؟ قال : نعم ، أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعني واتَّبعه ، فوالله إنَّه لعلى الحقِّ ، وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت : أتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعني على الإسلام ، ثم دعا بطَست ، فغسل عني الدم وكساني ثياباً ، وكانت ثيابي قد امتلأت بالدّم فألقيتها ، ثم خرجت على أصحابي ، فلمَّا رأوا كسوة النجاشيِّ سُرُّوا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلِّمه في أول مرة ، وقلت : أعود إليه . فقالوا : الرأي ما رأيت . قال : ففارقتهم وكأنِّي أعمد لحاجة ، فعمدت إلى موضع السُّفن ، فأجد سفينة قد شحنت تدفع . قال : فركبت معهم ودفعوها ، حتى انتهوا إلى الشُّعيبة ، وخرجت من السفينة ومعي نفقة ، فابتعت بعيراً ، وخرجت أريد المدينة ، حتى مررت على مرِّ الظَّهران ، ثم مضيت ، حتى إذا كنت بالهدَة ، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة ، والآخر يمسك الرَّاحلتين . قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد . قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ؛ دخل الناس في الإسلام ، فلم يبق أحد به طعم ، والله لو أقمت لأُخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبع في مغارتها . قلت : وأنا والله قد أردت محمداً ، وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحَّب بي ، فنزلنا جميعاً في المنزل ، ثم ترافقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبي عنبة يصيح : يا رباح ،

يا رباح ، يا رباح . فتفاءلنا بقوله وسررنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد ، وولَّى مدبراً إلى المسجد سريعاً ، فظننت أنَّه بشَّر رسول الله ﷺ بقدومنا ، فكان كما ظننت ، وأنخنا بالحرَّة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودي بالعصر ، فانطلقنا حتى اطَّلعنا عليه وإنَّ لوجهه تهلُّلاً ، والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا ، فتقدَّم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدَّم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدَّمتُ ، فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه ، فما استطعت أن أرفع طرفي [إليه] حياءً منه . قال : فبايعته على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ، ولم يحضرني ما تأخَّر ، فقال : « إنَّ الإسلام يجبُّ ما كان قبله ، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها » . قال : فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزَبه منذ أسلمنا ، ولقد كنَّا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالد كالعاتب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقديّ[١] : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن أبي حبيب ، فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفيِّ ، عن مولاه حبيب ، عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق[٢] ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن مولاه حبيب قال : حدَّثني عمرو بن العاص مِن فيه . فذكر ما تقدَّم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياق الواقديِّ أبسط وأحسن . قال الواقديُّ ، عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب : وقَّت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنَّه قال : قبل الفتح . قلت : فإنَّ أبي أخبرني أنَّ عَمْراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان .

وسيأتي عند وفاة عمرو من « صحيح مسلم »[٣] ما يشهد لسياق إسلامه ، وكيفية حُسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسَّف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده ، عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته ، رضي الله عنه .

* * *

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٦) .

(٣) رقم (١٢١) .

طريقُ إسلام خالد بن الوليد

قال الواقديُّ[١] : حدَّثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت أبي يحدِّث عن خالد بن الوليد قال : لمَّا أراد الله بي ما أراد من الخير ، قذف في قلبي الإسلام ، وحضرني رُشدي ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلَّها على محمد ﷺ ، فليس [في] موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنِّي مُوضع في غير شيء ، وأنَّ محمداً سيظهر ، فلمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى الحُديبية خرجت في خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان ، فقمت بإزائه وتعرَّضت [له] فصلَّى بأصحابه الظُّهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خِيَرة ـ فاطَّلع على ما في أنفسنا من الهمِّ به ، فصلَّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منَّا موقعاً ، وقلت : الرجل ممنوع . فاعتزلَنا وعدل عن سير خيلنا ، وأخذ ذات اليمين ، فلمَّا صالح قريشاً بالحديبية ، ودافعته قريش بالراح ، قلت في نفسي : أيُّ شيء بقي ؟ أين المذهب ؟ إلى النجاشيِّ ؟ فقد اتَّبع محمداً ، وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل ؟ فأخرج من ديني إلى نصرانيَّة أو يهودية ، فأقيم مع عجم تابعاً ، فأقيم في داري [فيمن بقي ؟] فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضيَّة ، فتغيَّبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبيِّ ﷺ في عمرة القضية ، فطلبني فلم يجدني ، فكتب إليَّ كتاباً ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمَّا بعد ، فإنِّي لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك ، وقال : « أين خالد ؟ » فقلت : يأتي الله به . فقال : « [ما] مثله جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وحدَّه مع المسلمين كان خيراً [له] ولقدَّمناه على غيره » . فاستدرك يا أخي ما قد فاتك ، فقد فاتك مواطن صالحة .

قال : فلمَّا جاءني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام ، وسرَّني سؤال رسول الله ﷺ عني ، وأرى في النوم كأنِّي في بلاد ضيِّقة مجدبة ، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إنَّ هذه لرؤيا ، فلمَّا أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنَّها لأبي بكر . فقال : مخرجك الذي هداك الله [للإسلام] والضِّيق الذي كنت فيه [من] الشرك .

[قال :] فلمَّا أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ ، قلت : من أُصاحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فلقيت صفوان بن أُميَّة ، فقلت : يا أبا وهب ، أما ترى ما نحن فيه ، إنَّما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتَّبعناه ؛ فإنَّ شرف محمد لنا شرف . فأبى أشدَّ الإباء ، فقال : لو لم يبق غيري ما اتَّبعته [أبداً] .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .

فافترقنا، وقلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل ، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية، قلت : فاكتم عليَّ . قال : لا أذكره . فخرجت إلى منزلي ، فأمرت براحلتي ، فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة ، فقلت : إنَّ هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قتل من آبائه ، فكرهت أن أذكِّره ، ثم قلت : وما عليَّ وأنا راحل من ساعتي . فذكرت له ما صار الأمر إليه، فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جُحر ، لو صبَّ فيه ذنوب من ماءٍ لخرج . وقلت له نحواً ممَّا قلت لصاحبيَّ، فأسرع الإجابة، وقال: إنِّي غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدوَ ، وهذه راحلتي بفخٍّ مناخةً . قال : فاتَّعدت أنا وهو يأجَج ؛ إن سبقني أقام ، وإن سبقته أقمت [عليه] .

قال : فأدلجنا سَحَراً ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدَة ، فنجد عمرو بن العاص بها فقال : مرحباً بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتِّباع محمد ﷺ . قال : وذاك الذي أقدمني . فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ، فأنخنا بظهر الحرَّة ركابنا ، فأُخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرَّ بنا ، فلبست من صالح ثيابي ، ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي ، فقال : أسرع ، فإنَّ رسول الله ﷺ قد أُخبر بك ، فسرَّ بقدومك ، وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشي ، فاطَّلعت عليه ، فما زال يتبسَّم إليَّ حتى وقفت عليه ، فسلَّمت عليه بالنبوة ، فردَّ عليَّ السلام بوجه طلق ، فقلت : إنِّي أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّك رسول الله . فقال : « تعال » . ثم قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي هداك ، وقد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » . قلت : يا رسول الله ، قد رأيتَ ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحقِّ ، فادع الله [أن] يغفرها لي . فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام يجبُّ ما كان قبله » . قلت : يا رسول الله ، على ذلك ؟ قال : « اللهمَّ اغفر لخالد بن الوليد كلَّ ما أَوْضَعَ فيه من صدٍّ عن سبيلك » . قال خالد : وتقدَّم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ .

قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان . قال : فوالله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه .

* * *

سريَّـة شُجَاع بن وَهْب الأسديِّ إلى نفرٍ من هَوازِن

قال الواقديُّ[١] : [حدثني] ابن أبي سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوَة ، عن عمر بن

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٣) .

الحكم قال : بعث رسول الله ﷺ شُجَاع بن وَهْبٍ في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هَوازِن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار ، حتى صبَّحهم غارِّين ، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا يُمعِنوا في الطَّلب ، فأصابوا نَعَمَاً كثيراً وشاءً ، فاستاقُوا ذلك حتى قدموا المدينة ، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ، كلَّ رجلٍ .

وزعم غيره أنَّهم أصابوا سبياً أيضاً ، وأنَّ الأمير اصطفى منه جارية وضيئة ، ثم قدم أهلوهم مسلمين ، فشاور النبيُّ ﷺ أميرهم في ردِّهن إليهم ، فقال : نعم . فردُّوهن ، وخيَّر [الجارية][1] التي عنده فاختارت المقام عنده .

وقد تكون هذه السريَّة هي المذكورة فيما رواه الشافعيُّ[2] ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ بعث سريَّة قِبل نجد ، فكان فيهم عبد الله بن عمر . قال : فأصبنا إبلاً كثيراً ، فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً ، ونفَّلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً . أخرجاه في « الصحيحين » من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ، ومن حديث عبيد الله ، كلُّهم عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه[3] .

وقال أبو داود[4] : حدَّثنا هنَّاد ، حدَّثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى نجد، فخرجتُ فيها، فأصبنا نعماً كثيراً فنفَّلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكلِّ إنسان، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا، فأصاب كلُّ رجل منا اثني عشر بعيراً بعد الخمس، وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا، ولا عاب عليه ما صنع، فكان لكلٍّ منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله[5] .

سريَّـة كعب بن عُمَير إلى بني قُضَاعَة من أرض الشام

قال الواقديُّ[6] : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، [عن] الزُّهْريِّ ، قال : بعث رسول الله ﷺ كَعْبَ بن عُمير الغِفَاريَّ في خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهَوا إلى ذات أطلاح[7] من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنَّبل، فلمَّا رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ،

---

(١) لفظ « الجارية » الذي بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وورد في (ط) بعد قوله : « التي عنده » وموقعها الصحيح في المكان الذي أثبته كما يقتضيه السياق .
(٢) هو في « مسند الشافعي » (٢/ ١٢٤ بترتيب السِّندي) .
(٣) رواه البخاري رقم (٣١٣٤) ومسلم (١٧٤٩) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧٤٣) .
(٥) هو حديث صحيح بطرقه وشواهده انظر أبا داود رقم (٢٧٤١) .
(٦) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٢) .
(٧) انظر « معجم البلدان » (١/ ٣١١) .

قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا ، فأفلت منهم رجل جريح في القتلى ، فلمَّا أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فهمَّ بالبعثة إليهم ، فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

* * *

غزوة مُؤْتَة[1]

وهي سَرِية زيد بن حارثة ، في نحو من ثلاثة آلاف ، إلى أرض البلقاء مِنْ أرض الشام .

قال [محمد] بن إسحاق[2] بعد قصة عُمْرَة القضيَّة : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجَّة ـ وولي تلك الحجة المشركون ـ والمحرَّم وصفراً وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بَعْثَه إلى الشام ، الذين أصيبوا بمؤتة ، فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مُؤْتَـةَ في جمـادى الأولى من سنة ثمـان ، واستعمل عليهـم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أُصيبَ زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة على النّاس » .

فتجهَّز الناس ثم تهيَّؤوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقديُّ[3] : حدَّثني ربيعة بن عُثمان ، عن عمر بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النُّعمان بن فُنْحُصٍ اليهوديُّ ، فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة ، فإن قتل عبد الله بن رَوَاحَة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً ، فليجعلوه عليهم » .

فقال النُّعمـان : أبا القاسم ، إن كنت نبيَّاً ، فلو سمَّيت من سمَّيت قليلاً أو كثيراً ، أُصيبوا [جميعاً] ، إن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا سمَّوا الرجل على القوم ، فقالوا : إن أُصيب فلان

---

(١) مؤتة : بالضم ثم واو مهموزة ساكنة ، وتاء فوقها نقطتان ، وبعضهم لا يهمزه : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٣٣٠) .
وانظر خبر هذه الغزوة في « كتاب المغازي » ص(٣٦٦ ـ ٣٧٨) و« عيون الأثر » (٢/ ٢٠٨ ـ ٢١٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٤٠) و« الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٩٣ ـ ١٩٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) لابن العماد الحنبلي بتحقيقي .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٣) طبع دار ابن كثير .

(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٥) .

ففلان . فلو سمَّوا مئة أُصيبوا جميعاً . ثم جعل اليهوديُّ يقول لزيد : اعهد فإنَّك لا ترجع أبداً ، إن كان محمد نبيّاً . فقال زيد : أشهد أنه نبيٌّ صادق بارٌّ . رواه البيهقيُّ[١] .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما حضر خروجهم ، ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم ، فلمَّا ودَّع عبد الله بن رواحة مع من وُدِّع بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] ، فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة[٣] : [من البسيط]

لكنَّني أسأل الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا

أو طعنةً بيدَي حرَّان مُجْهِزَةً ... بحربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

حتى يُقَال إذا مَرُّوا على جَدَثي ... أرشَدَهُ الله من غازٍ وقد رَشَدا

قال ابن إسحاق[٤] : ثم إن القوم تهيَّؤوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ ، فودَّعه ثم قال[٥] : [من البسيط]

فَثَبَّتَ الله مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِرُوا

إنِّي تَفَرَّسْتُ فيك الخَيْرَ نافلةً[٦] ... الله يَعْلَمُ أنـي ثـابـتُ البَصَرِ[٧]

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ ... والوَجْهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ

قال ابن إسحاق[٨] : ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيِّعهم ، حتى إذا ودَّعهم وانصرف قال عبد الله بن رواحة[٩] : [من الكامل]

خَلَفَ السَّلامُ عَلَى امرئٍ وَدَّعْتُهُ ... فِي النَّخلِ خَيْرِ مُشَيِّعٍ وَخَلِيْلِ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٣) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص (١٤٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) .
(٥) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) و« ديوانه » ص(١٥٩) مع تقديم وتأخير وخلاف يسير .
(٦) في « ديوانه » : « إني تفرست فيك الخير أعرفه » .
(٧) في هذا البيت إقواء .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) .
(٩) البيت في « ديوانه » ص(١٤٨) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن الحجّاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى مُؤْتَة ، فاستعمل زيداً ، فإن قُتل زيدٌ فجعفر ، فإن قُتل جعفر فابنُ رَوَاحَة ، فتخلَّف ابن رَوَاحَة ، فجمَّع مع النبيِّ ﷺ ، فرآه فقال : « مَا خَلَّفك ؟ » فقال : أُجمِّع معك . قال : « لَغَدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وقال أحمد[٢] : ثنا معاوية ، ثنا الحَجَّاج ، عن الحَكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رَوَاحَة في سرية ، فوافق ذلك يوم الجمعة . قال : فقدَّم أصحابه ، وقال : أتخلَّف فأصلِّي مع رسول الله ﷺ الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فلمَّا صلَّى رسول الله ﷺ رآه فقال : « ما مَنَعَكَ أن تغدوَ مع أصحابك ؟ » قال : فقال : أردت أن أُصلِّيَ معك الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لَو أَنْفَقْتَ ما في الأرض جَميعاً مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَتَهُمْ » .

وهذا الحديث قد رواه الترمذيُّ[٣] من حديث أبي مُعَاوية ، عن الحَجَّاج ـ وهو ابن أرطاة ـ ثم علَّله الترمذيُّ بما حكاه عن شُعْبَة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مِقْسَم إلّا خمسة أحاديث ، وليس هذا منها .

قلت : والحجَّاج بن أرطاة في روايته نظر ، والله أعلم ، والمقصود من إيراد هذا الحديث ، أنه يقتضي أن خروج الأمراء إلى مُؤْتَةَ كان في يوم جمعة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان من أرض الشام[٥] ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآبَ[٦] من أرض البلقاء ، في مئة ألف من الرُّوم ، وانضمَّ إليه من لخْم وجذام والقين وبهراء وبليٍّ مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بليٍّ ، ثم أحد إراشة ، يقال له : مالك بن زافلة ـ وفي رواية يونس ، عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآب ، في مئة ألف من الرُّوم ومئة ألف من المستعربة . [وقيل : كان الرُّوم مئتي ألف ، ومَن عداهم خمسون ألفاً . وأقلُّ ما قيل : إن الرُّوم كانوا مئة ألف ، ومن العرب خمسون ألفاً . حكاه السُّهيليُّ[٧]] فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معانَ ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدوِّنا ؛ فإما أن يمدَّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضيَ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٥٦) ، وإسناده ضعيف ، وفي الباب عن ابن عمر عند البخاري رقم (٤٢٦١) دون آخره كما سيأتي بعد صفحات ، وآخره رواه البخاري رقم (٢٧٩٢) ومسلم (١٨٨٠) من حديث أنس .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٢٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) رقم (٥٢٧) وإسناده ضعيف .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٥) .

(٥) المدينة الشهيرة في جنوب المملكة الأدرنية الهاشمية . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢٨٧) .

(٦) انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢١٦) .

(٧) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٤١) .

له . قال : فشجَّع الناس عبد الله بن رَوَاحة وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون لَلتي خرجتم تطلبون ؛ الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ؛ إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رَوَاحة ، فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رَوَاحَة في محبسهم ذلك[١] : [من الوافر]

جَلَبْنَا الخيل من أجإٍ وَفَرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُومُ
حَذَوْنَاهَا من الصَّوَّان سِبْتاً ... أَزَلَّ كأَنَّ صَفْحَتَهُ أديمُ
أَقَامَتْ ليلتينِ على معانٍ ... فأُعقب بعد فَتْرَتِهَا جُمُومُ
فَرُحْنَا والجيادُ مُسَوَّمات ... تنفَّسُ في مناخِرِهَا السَّمُومُ
فلا وأبي مآبَ لنأتينها ... وإن كَانَتْ بها عَرَبٌ ورُوْمُ
فعبَّأنا أَعِنَّتها فَجَاءَتْ ... عوابسَ والغبارُ لها بريمُ
بذي لَجَب كأنَّ البَيضَ فيهِ ... إذا برزت قَوَانِسُهَا النّجومُ
فراضيةُ المعيشة طلّقتْها ... أَسِنَّتُنا فتنكحُ أو تَئِيمُ

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن زيد بن أَرْقَم قال : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك ، مُرْدِفي على حقيبةِ رَحْلِهِ ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه[٣] : [من الوافر]

إذا أدَّيتِني[٤] وحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيْرَةَ أَرْبَعٍ بعدَ الحِسَاءِ[٥]
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرْجِعْ إلى أَهْلي وَرَائي
وجَاءَ المُسْلِمُونَ وغَادَرُوني ... بأرض الشَّام مشتهيَ الثَّواءِ
وردَّكِ كُلُّ ذي نسبٍ قريبٍ ... إلى الرحمن مُنْقَطِعَ الإخاءِ
هُنَالِكَ لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ ... ولا نَخْلٍ أسافلُها رَوَاءِ

قال : فلمَّا سمعتهن منه بكَيت ، فخفقني بالدِّرَّة وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبتي الرَّحل ؟! ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز[٦] : [من الرجز]

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٩ ـ ١٥٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٦) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص(١٥١) وشرح الألفاظ عنه .
(٤) أي : أوصلتني . والخطاب للناقة الذي كان يركبها .
(٥) جمع حِسْي ، ويجمع على أحساء أيضاً ، وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخراً .
(٦) البيت في « ديوانه » ص(١٥٢) مع زيادة لم يبين جامعه مصدرها في موطنها عنده .

يـا زيـدَ زيـدَ اليَعْمَـلاتِ الـذُّبَّـلِ   تطـاول اللَّيـلُ هُـدِيـتَ فَـانـزِلِ

قال ابن إسحاق[١] : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها : مشارف . ثم دنا العدوُّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها : مؤتة . فالتقى الناس عندها ، فتعبَّأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له : قطبة بن قتادة . وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له : عباية بن مالك .

وقال الواقديُّ[٢] : حدَّثني ربيعة بن عثمان ، عن المقبريِّ ، عن أبي هُريرة قال : شهدت مُؤْتَةَ ، فلمَّا دنا منا المشركون ، رأينا ما لا قبل لأحد به ، من العُدَّة ، والسِّلاح ، والكُراع ، والدِّيباج ، والحرير ، والذهب ، فَبَرِقَ بَصَري ، فقال لي ثابت بن أَقْرَمَ : يا أبا هُريرة ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد معنا بدراً ، إنا لم نُنْصَر بالكثرة . رواه البيهقيُّ[٣]

قال ابن إسحاق[٤] : ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[٥] في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر ، فقاتل [بها ، حتى إذا ألحمه القتال] ، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام .

وقال ابن إسحاق[٦] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد [بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد] حدَّثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرَّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول : [من الرجز]

يـا حبَّـذا الجنـةُ واقتـرابهـا   طيبـــة وبـــارداً شـــرابُهـــا
والـروم روم قـد دنـا عـذابهـا   كـــافـــرةً بعيـــدةً أنســـابُهـــا
عليَّ إن لاقيتها ضِرابُهَا

وهذا الحديث قد رواه أبو داود[٧] من حديث ابن إسحاق ، ولم يذكر الشعر . وقد استدل [به] من

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٧) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٠) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٥) أي : هلك .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٧) رواه أبو داود رقم (٢٥٧٣) ، قال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في « مختصر سنن أبي داود » (٣/ ٣٩٧) : هكذا قال أبو داود ، ولا أدري لماذا هو ليس بالقوي ، الإسناد صحيح لا علة فيه ، وصرح ابن إسحاق بسماعه من يحيى بن عباد .

جوَّز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدوُّ ، كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تتبع في السَّير ، ويخشى من لحوق العدو لها وانتفاعهم بها ، أنها تذبح وتحرَّق ؛ ليحال بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيليُّ[١] : ولم يُنكر أَحَدٌ على جعفر ، فدلّ على جوازه [إذا خيف] أخذ العدوِّ له ، ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً .

قال ابن هشام[٢] : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم أن جعفراً أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه ، حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنةً ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد قال : حدَّثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرَّة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر ، أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردَّد بعض التردُّد ، ثم قال[٤] : [من الرجز]

أَقسمت يا نفسُ لتنزِلنَّهْ ... لتنزِلنَّ أو لتكرهنَّهْ
إن أجلب الناس وشدُّوا الرَّنَّه ... مالي أراك تكرهين الجنَّهْ
قد طال ما قد كنت مطمئنَّهْ ... هل أنت إلا نطفة في شنَّهْ

وقال أيضاً : [من الرجز]

يا نفسُ إن لا تقتلي تموتي ... هذا حِمام الموت قد صَليْتِ
وما تَمَنَّيتِ فقد أُعطيت ... إن تفعلي فعلهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه ؛ زيداً وجعفراً ثم نزل ، فلمَّا نزل أتاه ابن عمٍّ له بعَرق من لحم فقال : شدَّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيَّامك هذه ما لقيت . فأخذه من يده ، فانتهس منه نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال : وأنت في الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه . قال : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم ، أخو بني العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (١٥٣) مع بعض الخلاف .

قال ابن إسحاق[١] : ولما أُصيب القوم، قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني : « أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيَّرت وجوه الأنصار، وظنُّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . ثم قال : « لقد رفعوا إليَّ في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سُرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمَّ هذا؟» فقيل لي : مضيا ، وتردَّد عبد الله بن رواحة بعض التردُّد ثم مضى » . هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخاريُّ[٢] : ثنا أحمد بن واقد ، ثنا حمَّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيَهم خبرهم ، فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم » . تفرَّد به البخاريُّ ، ورواه في موضع آخر[٣] ، وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرُّهم أنهم عندنا » .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا أحمد بن أبي بكر ، ثنا مُغِيْرَة بن عبد الرحمن ـ المَخْزُوميُّ وليس بالخزاميِّ ـ عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : « إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة » . قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب ، فوجدناه في القتلى ، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية . تفرَّد به البخاريُّ أيضاً .

وقال البخاريُّ أيضاً[٥] : حدَّثنا أحمد، ثنا ابن وهب، عن عمرو، عن ابن أبي هلال ـ هو سعيد بن أبي هلال اللَّيثيُّ ـ قال : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل ، فعددت به خمسين ، بين طعنة وضربة ، ليس منها شيء في دُبره . وهذا أيضاً من أفراد البخاريِّ . ووجه الجمع بين هذه الرواية والتي قبلها ، أن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، اطَّلع على هذا العدد ، وغيره اطَّلع على أكثر من ذلك . أو أن هذه في قُبُله أصيبها قبل أن يقتل ، فلمَّا صرع إلى الأرض ، ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعدَّ ابن عمر ما كان في قُبُله وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل ، رضي الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ، ثم شماله ، ما رواه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٢٧٩٨) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦١) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٠) .

البخاريُّ[١] ، ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا عمر بن علي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر قال : كان ابن عمر إذا حيَّا ابن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين .

ورواه أيضاً[٢] في المناقب ، والنسائيُّ من حديث يزيد بن هارون ، عن إسماعيل بن أبي خالد به .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية .

ثم رواه[٤] عن محمد بن المثنَّى ، عن يحيى ، عن إسماعيل ، حدَّثني قيس ، سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرت في يدي صفيحة يمانية . انفرد به البخاريُّ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقيُّ[٥] : أخبرنا أبو نصر بن قَتَادَة ، أخبرنا أبو عمرو بن مَطَر ، ثنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحيُّ ، ثنا سليمان بن حَرْب ، ثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَير قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاريُّ ، وكانت الأنصار تفقِّهه ، فغشيه الناس ، فغشيتُه في من غشيه فقال : حدَّثنا أبو قتادة ، فارس رسول الله ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء ، وقال : « عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة » . قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ، ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليَّ . قال : « امض ، فإنك لا تدري أيُّ ذلك خير » . فانطلقوا فلبثوا ماشاء الله ، فصعِد رسول الله ﷺ المنبر ، فأمر فنودي : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ؛ إنَّهم انطلقوا فلقوا العدوَّ ، فقتل زيد شهيداً ـ فاستغفر له ـ ثم أخذ اللواء جعفر ، فشدَّ على القوم حتى قتل شهيداً ـ شهد له بالشهادة ، واستغفر له ـ ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ـ فاستغفر له ـ ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، هو أمَّر نفسه » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره » . فمن يومئذ سمي خالد سيف الله .

ورواه النسائي[٦] من حديث عبد الله بن المبارك، عن الأسود بن شيبان، به نحوه . وفيه زيادة حسنة، وهو أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لمَّا اجتمع إليه الناس قال: «ثاب خبر، ثاب خبر . . .» وذكر الحديث .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤) .
(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٧٠٩) وهو عند النسائي أيضاً في « السنن الكبرى » رقم (٨١٥٨) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٥) .
(٤) يعني البخاري وعو عنده رقم (٤٢٦٦) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦٧) .
(٦) في « السنن الكبرى » رقم (٨١٥٩) ، وهو حديث صحيح .

وقال الواقديُّ[١] : حدَّثني عبد الجَبَّار بن عُمَارَة بن غزيَّة ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال : لمَّا التقى الناس بمؤتة ، جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وكشف الله له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى معتَركهم ، فقال : « أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان ، فحبَّب إليه الحياة ، وكرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدُّنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين ، تحبِّب إليَّ الدُّنيا ؟! فمضى قدماً حتى استشهد » . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وقال : « استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو يسعى » .

قال الواقديُّ[٢] : وحدَّثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لمَّا قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان ، فحبَّب إليه الحياة ، وكره إليه الموت ، ومنَّاه الدُّنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تُمنِّيني الدنيا ؟! ثم مضى قدما حتى استشهد » . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « استغفروا لأخيكم ، فإنَّه شهيد ، دخل الجنة ، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت ، حيث يشاء من الجنة » . قال : « ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ، فاستشهد ، ثم دخل الجنة معترَضاً » . فشقَّ ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : « لمَّا أصابته الجراح نكل ، فعاتب نفسه فتشجَّع ، واستشهد فدخل الجنة » . فسُرِّي عن قومه .

قال الواقديُّ[٣] : وحدَّثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لمَّا أخذ خالد بن الوليد الراية ، قال رسول الله ﷺ : « الآن حَمِيَ الوَطِيس » .

قال الواقديُّ[٤] : فحدَّثني العَطَّاف بن خالد قال : لمَّا قتل ابن رواحة مساءً ، بات خالد بن الوليد ، فلمَّا أصبح ، غدا وقد جعل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمنته ميسرته . قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم ، وقالوا : قد جاءهم مدد . فرُعبوا وانكشفوا منهزمين . قال : فقتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة ، رحمه الله ، في « مغازيه » ، فإنَّه قال بعد عمرة الحديبية : ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فمكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة ، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم » . فانطلقوا ، حتى لقوا ابن أبي سبرة الغسَّانيَّ بمؤتة ، وبها جموع من نصارى العرب والروم ، بها تنوخ وبهراء ، فأغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم خرجوا فالتقَوا على

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦١) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦١) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٤) .
(٤) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٤) .

رَدَغٍ[١] أحمر ، فاقتتلوا قتالًا شديداً ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزوميِّ ، فهزم الله العدوَّ ، وأظهر المسلمين . قال : وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى ، يعني سنة ثمان . قال موسى بن عقبة : وزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مرَّ عليَّ جعفر في الملائكة ، يطير كما يطيرون ، له جناحان » . قال : وزعموا ، والله أعلم ، أنَّ يعلى بن أميَّة قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتُك » . قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كلَّه ووصفه لهم . فقال : والذي بعثك بالحقِّ ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإنَّ أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم» .

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق ، من أنَّ خالداً إنَّما حاشى بالقوم ، حتى تخلَّصوا من الروم وعرب النصارى فقط ، وموسى بن عقبة والواقديُّ مصرِّحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . رواه البخاريُّ[٢] ، وهذا هو الذي رجَّحه ومال إليه الحافظ البيهقيُّ[٣] بعد حكاية القولين ؛ لما ذكره من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين ، وهو أن خالداً لمَّا أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين ، حتى خلَّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة ، فلمَّا أصبح وحوَّل الجيش ميمنةً وميسرة ، ومقدمة وساقة ، كما ذكره الواقديُّ ، توهَّم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد ، هزموهم بإذن الله ، والله أعلم .

ولكن قال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لمَّا أقبل أصحاب مؤتة ، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، قال : ولقيهم الصِّبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصِّبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر » . فأُتي بعبد الله ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! . فقال رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الكرَّار إن شاء الله تعالى » . وهذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وعندي ، أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق ، فظنَّ أن هذا لجمهور الجيش ، وإنَّما كان للذين فرُّوا حين التقى الجمعان ، وأما بقيَّتهم فلم يفرُّوا ، بل نصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ

---

(١) في (آ) و(ط) : « زرع » والتصحيح من « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٢١٥) والردغ : الطين والوحل الكثير .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٢) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٧٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

المسلمين وهو على المنبر ، في قوله : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . فما كان المسلمون ليسمُّوهم فُرَّاراً بعد ذلك ، وإنما تلقَّوهم ؛ إكراماً لهم وإعظاماً ، وإنما كان التأنيبُ وحَثي التُّراب للذين فرّوا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا حسن ، ثنا زهير ، ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا . ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ ، فإن كانت لنا توبة ، وإلا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « مَن القوم ؟ » قال : فقلنا : نحن الفرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكَّارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين » . قال : فأتيناه حتى قبَّلنا يده .

ثم رواه عن غُنْدرٍ[٢] ، عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : كنّا في سريَّة ففررنا ، فأردنا أن نركب البحر ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، نحن الفرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكَّارون » .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه[٣] من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذيُّ : حسن ، لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد[٤] : ثنا إسحاق بن عيسى ، وأسود بن عامر قالا : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة ، فلمَّا لقينا العدوَّ انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا ، ثم قلنا : لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه . فخرجنا إليه ، فلمَّا لقيناه قلنا : نحن الفرَّارون يا رسول الله . قال : « بل أنتم العكَّارون ، وأنا فئتكم » . قال الأسود : « وأنا فئة كلِّ مسلم » .

وقال ابن إسحاق[٥] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبير ، [عن بعض آل الحارث بن هشام ، وهم أخواله] أنَّ أمَّ سلمة زوج النبي ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين ؟ قالت : ما يستطيع أن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٧٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) يعني الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٨٦) ، وإسناده ضعيف .
(٣) هو عند أبي داود رقم (٢٦٤٧) و(٥٢٢٣) والترمذي رقم (١٧١٦) وابن ماجه رقم (٣٧٠٤) ، ويزيد بن أبي زياد ، ضعيف .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

يخرج ، كلمَّا خرج صاح به الناس : يا فُرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! حتى قعد في بيته ما يخرج . وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعلَّ طائفة منهم فرُّوا لمَّا عاينوا كثرة جموع العدوِّ ، وكانوا أكثر منهم بأضعاف مضاعفة ؛ فإنَّ الصحابة ، رضي الله عنهم ، كانوا ثلاثة آلاف ، وكان العدُّو ـ على ما ذكروه ـ مئتي ألف ، ومثل هذا يسوِّغ الفرار ، على ما قد تقرَّر ، فلمَّا فرَّ هؤلاء ، ثبت باقيهم ، وفتح الله عليهم ، وتخلصوا من أيدي أولئك ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقديُّ وموسى بن عقبة من قبله .

ويؤيِّد ذلك [أيضاً ويزيده قوة ويشهد له] بالصحة ، ما رواه الإمام أحمد[١] : ثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعيِّ قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين ، في غزوة مؤتة ، [ورافقني][٢] مدديٌّ من اليمن ، ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المدديُّ طائفة من جلده ، فأعطاه إياه ، فاتخذه كهيئة الدَّرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم ، وفيهم رجل على فرس له أشقر ، عليه سرج مذهَّب وسلاح مذهَّب ، فجعل الروميُّ يغري بالمسلمين ، وقعد له المدديُّ خلف صخرة ، فمرَّ به الروميُّ فعرقب فرسه ، فخرَّ وعلاه ، فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلمَّا فتح الله للمسلمين ، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه السلب . قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد ، أما علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنِّي استكثرته . فقلت : لتردَّنَّه إليه أو لأعرِّفنَّكها عند رسول الله ﷺ . فأبى أن يردَّ عليه ، قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ ، فقصصت عليه قصة المدديِّ وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خالد ، ردَّ عليه ما أخذت منه » . قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ، ألم أفِ لك ؟! فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : « يا خالد ، لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركو لي أمرائي ، لكم صفوة أمرهم ، وعليهم كدره » . قال الوليد : سألت ثوراً عن هذا الحديث ، فحدَّثني عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن عوف ، بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود[٣] ، من حديث جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، به نحوه .

وهذا يقتضي أنَّهم غنموا منهم ، وسلبوا من أشرافهم ، وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدَّم فيما رواه البخاريُّ[٤] أن خالداً ، رضي الله عنه ، قال : اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٧) .

(٢) في (ط) : « ووافقني » .

(٣) رواه مسلم رقم (١٧٥٣) وأبو داود رقم (٢٧١٩) .

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٦) .

صفيحة يمانية . وهذا يقضي أنَّهم أثخنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلُّص منهم ، وهذا وحده دليل مستقلٌّ ، والله أعلم .

وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقديِّ والبيهقيِّ ، وحكاه ابن هشام[١] عن الزهريِّ .

قال البيهقيُّ[٢] ، رحمه الله : اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ، ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين ، وأن المشركين انهزموا . قال : وحديث أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ: « ثم أخذها خالد ، ففتح الله عليه » يدلُّ على ظهورهم عليهم . والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق[٣] أنَّ قُطبة بن قتادة العذريَّ ، وكان رأس ميمنة المسلمين ، حمل على مالك بن زافلة ـ قال ابن هشام : ويقال : رافلة . بالراء ـ وهو أمير أعراب النَّصارى ، فقتله ، وقال يفتخر بذلك : [من المتقارب]

طعنتُ ابن زافلةَ بن الإراش ... برُمحٍ مضى فيه ثم انحطَمْ
ضربت على جيده ضربة ... فمال كما مال غصن السَّلَمْ
وسقنا نساء بني عمِّه ... غداة رقوقين سوق النَّعَمْ

وهذا يؤيِّد ما نحن فيه ؛ لأنَّ من عادة أمير الجيش إذا قتل ، أن يفرَّ أصحابه ، ثم إنَّه صرَّح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم . وأمَّا ابن اسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلُّص من أيدي الروم ، وسمَّى هذا نصراً وفتحاً ؛ أي : باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدوِّ بهم ، وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادة أن يصطلموا بالكليَّة ، فلمَّا تخلَّصوا منهم وانحازوا عنهم ، كان هذا غاية المرام في هذا المقام ، وهذا محتمل ، لكنَّه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح الله عليهم » .

والمقصود أن ابن اسحاق يستدلُّ على ما ذهب إليه ، فقال : وقد قال ـ فيما كان من أمر الناس ، وأمر خالد بن الوليد ، ومخاشاته بالناس ، وانصرافه بهم ـ قيس بن المحسَّر اليعمريُّ ، يعتذر ممَّا صنع يومئذ وصنع الناس : [من الطويل]

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسي تَلُومني ... على موقفي والخَيل قابعةٌ قُبُلُ
وقفت بها لا مُستجِيراً فنافذاً ... ولا مانعاً من كان حمَّ لَهُ القَتْلُ
على أنَّني آسيت نفسي بخالدٍ ... أَلا خالدٌ في القوم ليس له مِثْلُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨١) .

وجاشت إليَّ النفسُ من نحو جعفرٍ ... بمُـؤْتَـةَ إذ لا يَنْفَـعُ النَّـابِـلَ النَّبْـلُ
وضَـمَّ إلينـا حُجْـزَتَيْهِـمْ كِلَيْهِمَـا ... مُهَـاجِـرَةٌ لا مُشْـرِكـون ولا عُـزْل

قال ابن اسحاق[١] : فبيَّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ؛ أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقَّق انحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : وأمَّا الزهريُّ فقال ، فيما بلغنا عنه : أمَّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق[٢] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أمِّ عيسى الخُزَاعيَّة ، عن أمِّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدَّتها أسماء بنت عُمَيس قالت : لمَّا أُصيب جعفر وأصحابه ، دخل عليَّ رسول الله ﷺ ، وقد دبغت أربعين مَنًّا ، وعجنت عجيني ، وغَسَّلْت بَنِيَّ ودهَّنتهم ونظَّفتهم .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « ائتيني ببني جعفر » . فأتيته بهم فشمَّهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمِّي ، ما يُبكيك ، أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم ، أُصيبوا هذا اليوم » . قالت : فقُمت أَصيح ، واجتمع إليَّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً ؛ فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .

وهكذا رواه الإمام أحمد[٣] من حديث ابن اسحاق .

ورواه ابن ماجه[٤] من طريق محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أمِّ عيسى ، عن أمِّ عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنَّها أمُّ جعفر وأمُّ عون .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا سفيان ، ثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : لمَّا جاء نَعي جعفر حين قتل ، قال النبيُّ ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد أتاهم أمر يشغلهم » . أو : « أتاهم ما يشغلهم » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٠) .
(٣) في « المسند » (٦/ ٣٧٠) وإسناده ضعيف بطوله .
(٤) رواه ابن ماجة رقم (١٦١١) : وهو حديث حسن .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٥) وإسناده حسن ، له شواهده حسب جمع من العلماء .

وهكذا رواه أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه[١] من حديث سُفيان بن عُيينة ، عن جعفر بن خالد بن سَارَة المَخْزُوميِّ المكيِّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، وقال الترمذيُّ : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق[٢] : حدَّثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قال : لما أتى نعيُ جعفر ، عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحُزْنَ . قالت : فدخل عليه رجل ، فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنَّيننا وفتنَّنا . قال : « ارجع إليهنَّ فأسكتْهنَّ » . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك . قالت : وربما ضرَّ التَّكلُّف ، يعني أهله . قالت : قال : « فاذهب فأسكتْهن ، فإن أَبين فاحثُ في أفواههنَّ التُّراب » . قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ، فوالله ما تركتَ نفسك ، وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ . قالت : وعرفت أنَّه لا يقدر [على أن] يحثي في أفواههنَّ التراب . انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه ، وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا قتيبة ، ثنا عبد الوهَّاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرتني عَمْرَة قالت : سمعت عائشة تقول : لمَّا قُتل ابن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحة ، جلس رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الحُزن . قالت عائشة : وأنا أطَّلع من صائر الباب ـ شقِّ ـ فأتاه رجل فقال : أي رسول الله ، إن نساء جعفر . وذكر بكاءهنَّ ، فأمره أن ينهاهنَّ . قالت : فذهب الرجل ، ثم أتى فقال : والله لقد غلبننا . فَزَعَمَتْ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « فاحث في أفواههنَّ من التُّرَاب » . قالت عائشة ، رضي الله عنها : فقلت : أَرْغَمَ الله أَنْفَكَ ، فو الله ما أنت تفعل ، وما تركتَ رسول الله ﷺ من العناء .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائيُّ[٤] من طُرُقٍ، عن يحيى بن سعيد الأنصاريِّ، عن عَمْرَة، عنها .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدِّث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً ، استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن قُتِلَ زيدٌ أو استشهد فأميركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدوَّ ، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه ، وأتى خبرُهم النبيَّ ﷺ فخرج إلى

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣١٣٢) والترمذي رقم (٩٩٨) وابن ماجه رقم (١٦١٠) ، وهو حديث حسن .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨١) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٦٣) .

(٤) رواه مسلم رقم (٩٣٥) وأبو داود رقم (٣١٢٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٨٤٦) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٤، ٢٠٥) ، وإسناده ضعيف ، فإن خالد بن سارة والد جعفر مجهول الحال فقد روى عنه اثنان وذكره ابن حبان في الثقات ، لذلك قال ابن القطاف : لا تعرف حاله ولا أعلم له إلا حديثين . أما قول الحافظ ابن حجر في التقريب أنه « صدوق » ففيه نظر ، كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٣٤٤) .

الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنَّ إخوانكم لقوا العدوَّ ، وإنَّ زيداً أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ؛ خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه » . قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا لي بني أخي » . قال : فجيء بنا كأننا أفرخ ، فقال : « ادعوا لي الحلاق » . فجيء بالحلاق ، فحلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيه عمِّنا أبي طالب ، وأمَّا عبد الله فشبيه خَلقي وخُلقي » . ثم أخذ بيدي فأشالها وقال : « اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » . قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أُمُّنا فذكرت له يتمنا ، وجعلت تفرح له ، فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة ؟! » ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائيُّ في السِّير بتمامه من حديث وهب بن جرير ، به[١] . وهذا يقتضي أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ، ثم نهاهم عنه بعدها .

ولعلَّه معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٢] ، من حديث الحكم ، عن عبد الله بن شداد ، عن أسماء ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لها لمَّا أصيب جعفر : « تسلَّبي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت » . تفرد به أحمد . فيحتمل أنه أذن لها في التسلُّب ، وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا ؛ لشدَّة حزنها على جعفرٍ أبي أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلُّب ، وهو المبالغة في الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت ؛ مما يفعله المعتدات على أزواجهنَّ ، من الإحداد المعتاد ، والله أعلم .

ويُروى : « تسلَّي ثلاثاً » أي : تصبَّري ، ثلاثاً ، وهذا بخلاف الرِّواية الأخرى ، والله أعلم .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد[٣] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن طلحة ، ثنا الحَكَم بن عُتيبة ، عن عبد الله بن شدَّاد ، عن أسماء بنت عُميس قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : « لا تُحِدِّي بعد يومك هذا » فإنه من أفراد أحمد أيضاً ، وإسناده لا بأس به[٤] ، ولكنَّه مشكل إن حمل على ظاهره ؛ لأنَّه قد ثبت في « الصحيحين »[٥] أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَحِلّ لامرأة تُؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميتها أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » ، فإن كان مارواه الإمام أحمد

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤١٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٠٤) وهو حديث صحيح .
(٢) في « المسند » (٦/ ٤٣٨) ، وهو حديث ضعيف .
(٣) في « المسند » (٦/ ٣٦٩) .
(٤) قال الإمام أحمد : إنه مخالف للأحاديث الصحيحة في الإحداد .
قال الحافظ ابن حجر : وهو مصير منه إلى أن يُعِلَّه بالشذوذ . انظر « فتح الباري » رقم (٥٣٣٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٢٨٠) ومسلم رقم (١٤٨٦) .

محفوظاً ، فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة في الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم ، والله أعلم .

قلت : وَرَثَتْ أسماء بنت عميس زَوجها بقصيدة تقول فيها : [من الطويل]

فآليت لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً ... عليكَ ولا يَنْفَكُّ جِلْديَ أَغْبَرا

فلله عينا مَنْ رأى مثلَه فتىً ... أَكَرَّ وأَحْمَى في الهِيَاجِ وأَصْبَرا

ثم لم تَنْشَبْ أن انقضت عدَّتُها ، فخطبها أبو بكر الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، فتزوَّجها ، فأَولم ، وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم عليُّ بن أبي طالب ، فلمَّا ذهب الناس استأذن عليٌّ أبا بكر ، رضي الله عنهما ، في أن يكلِّم أسماء من وراء السِّتر ، فأذن له ، فلما اقترب من السِّتر نفحه ريح طيبها ، فقال لها عليٌّ ، على وجه البَسْطِ : من القائلة في شعرها : [من الطويل]

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً ... عليك ولا يَنْفَكُّ جِلْديَ أَغْبَرا

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن ، فإنَّك امرؤ فيك دُعَابة ، فولدت للصِّدِّيق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ، ورسول الله ﷺ ذاهب إلى حَجَّة الوَدَاع ، فأمرها أن تغتسل وتُهِلَّ ، وسيأتي في موضعه ، ثم لمَّا توفي الصِّدِّيق ، تزوَّجها بعده عليُّ بن أبي طالب ، وولدت له أولاداً ، رضي الله عنه وعنها وعنهم أجمعين .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُرْوَة بن الزُّبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقَّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم الصِّبيان يشتدُّون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصِّبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر » . فأُتي بعبد الله بن جعفر ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! قال : فيقول رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الكرَّار إن شاء الله » وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : ثنا أبو مُعَاوية ، ثنا عاصم ، عن مُورِّق العِجْليِّ ، عن عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلقِّي بالصبيان من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٣) .

قال : فحملني بين يديه . قال : ثم جيء بأحد ابنَي فاطمة ، إما حَسَنٌ وإما حُسَين ، فأردفه خلفه ، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائيُّ وابن ماجة[1] من حديث عاصم [الأحول] عن مورِّق به .

وقال الإمام أحمد[2] : [ثنا روح] ، ثنا ابن جريج ، ثنا جعفر بن خالد بن سَارَة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقثم وعبيد الله ابنَي العباس ونحن صبيان نلعب ، إذ مر النبيُّ ﷺ على دابة فقال : « ارفعوا هذا إليَّ » . [فحملني أَمامه وقال لقثم : « ارفعوا هذا إليَّ »] فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحبَّ إلى عباس من قثم ، فما استحى من عمِّه أن حمل قثم وتركه . قال : ثم مسح على رأسي ثلاثاً ، وقال كلَّما مسح : « اللهم اخلف جعفراً في ولده » . قال : قلت لعبد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استُشهد . قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير ، قال : أجل .

ورواه النسائيُّ في « اليوم والليلة »[3] من حديث ابن جُريج ، به .

وهذا كان بعد الفتح ؛ فإن العَبَّاس إنما قدم المدينة بعد الفتح .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[4] : ثنا إسماعيل ، ثنا حبيب بن الشَّهيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقَّينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم . فحملنا وتركك .

هكذا رأيته في « المسند » ، وكأنه غلط في النسخة ، فإنه من مسند عبد الله بن جعفر ، فصوابه : قال : قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر : أتذكر إذ تلقَّينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك .

وبهذا اللفظ أخرجه البخاريُّ ، ومسلم[5] من حديث حبيب بن الشَّهيد . وهذا يعدُّ من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضاً ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح ، كما قدَّمنا بيانه ، والله أعلم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٢٨) وأبو داود رقم (٢٥٦٦) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٤٢٤٦) وابن ماجة رقم (٣٧٧٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٥) ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٩٠٥) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٣) .

(٥) رواه البخاري رقم (٣٠٨٢) ومسلم رقم (٢٤٢٧) وقد جاء الحديث عند مسلم مقلوباً ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » في ذلك منبِّهاً : جعل ـ يعني مسلم ـ المستفهِم عبد الله بن جعفر ، والقائل « فحملنا » عبد الله بن الزبير ، والذي في « صحيح البخاري » أصح .

فصل

في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة ؛ زيد وجعفر وعبد الله ، [رضي الله عنهم]

أما زيد بن حارثة[١] بن شَرَاحيلَ بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامر بن النّعمان بن عامر بن عبد ودٍّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيد اللاّت بن رُفَيدة بن ثَور بن كلب بن وَبَرَةَ بن تَغْلِبَ بن حُلْوَان بن عِمْرَان بن الحافِ بن قُضَاعة الكلبيُّ القضاعي ، مولى رسول الله ﷺ ؛ وذلك أن أُمَّه ذهبت تزور أهلها ، فأغارت عليهم خيل بلقَين فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمَّته خديجة بنت خويلد . وقيل : اشتراه رسول الله ﷺ لها ، فوهبته من رسول الله قبل النبوة ، فوجده أبوه ، فاختار المقام عند رسول الله ﷺ ، فأعتقه وتبنَّاه فكان يقال له : زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبُّه حُبّاً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالي ، ونزل فيه آيات من القرآن ؛ منها قوله [تعالى] : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤] . وقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وقوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وقوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى ﴿ أنعم الله عليه ﴾ أي بالإسلام ، ﴿ وأنعمتَ عليه ﴾ أي بالعِتْقِ ، وقد تكلّمنا عليها في « التفسير »[٢] .

والمقصود أن الله تعالى لم يسمِّ أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام ، وأعتقه رسول الله ﷺ ، وزوّجه مولاته أمَّ أيمن ، واسمها بركة ، فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له : الحِبُّ بن الحِبِّ . ثم زوَّجه بابنة عمَّته زينب بنت جحش ، وآخى بينه وبين عمِّه حمزة بن عبد المطلب ، وقدَّمه في الإمرة على ابن عمِّه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة ، كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد[٣] ، والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شَيبة ـ وهذا لفظه ـ : ثنا محمد بن عُبيد ،

---

(١) ترجمته في « الاستيعاب » (٤/ ٤٧) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٠٢) و« جامع الأصول » (١٤/ ١٠٥) و« أسد الغابة » (٢/ ٢٨١) و« الإصابة » (١/ ٥٦٣) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٢٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩ و٤١٩ ـ ٤٢٦) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٢٦) وابن أبي شيبة في « المصنَّف » رقم (١٨٨٢٤) .

عن وائل بن داود ، سمعت البَهِيَّ[١] يُحَدِّث أن عائشة كانت تقول : ما بَعَثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة في سريةٍ إلَّا أمَّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه .

ورواه النسائيُّ[٢] ، عن أحمد بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الطَّنافسيِّ ، به ، وهذا إسناد جيد قويٌّ على شرط الصحيح ، وهو غريب جداً ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سليمان ، ثنا إسماعيل ، أخبرني ابن دينار ، عن ابن عمر ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً ، وأمَّر عليهم أُسامةَ بن زيد ، فطعن بعض الناس في إمرته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : « إنْ تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ ، وإن هذا لمن أَحبِّ الناس إليَّ بعده » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٤] عن قُتيبة ، عن إسماعيل ـ هو ابن جعفر بن أبي كثير المدنيُّ ـ عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر . . . فذكره .

ورواه البخاريُّ[٥] من حديث موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن أبيه .

ورواه البزّار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العُمَريِّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار[٦] : ثنا عمر بن إسماعيل [بن مجالد ، حدثني أبي] عن مجالد ، عن الشعبيِّ ، عن مَسروق ، عن عائشة قالت : لما أُصيب زيد بن حارثة ، جيء بأُسامة بن زيد ، فأُوقف بين يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فأُخِّرَ ، ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « أُلاقي [مِنْكَ] اليوم ما لقيت منك أَمس » وهذا الحديث فيه غَرَابة ، والله أعلم .

وقد تقدم في « الصحيحين »[٧] أنه لما ذكر مُصَابهم وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ فوق المنبر ، جعل يقول : « أَخَذَ الراية زَيد فأُصيب ، ثم أَخذها جعفر فأُصيب ، ثم أخذها [عبد الله] بن رَوَاحَة [فأُصيب] ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم » . قال : وإن عينيه لتَذْرِفَان . وقال : «وما يسرُّهم أنهم عندنا» .

---

(١) وهو (عبد الله مولى مصعب بن الزبير) . انظر « خلاصة تذهيب تهذيب الكمال » للخزرجي (٣/ ٣٤٧) .
(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨١٨٢) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١٠) .
(٤) رواه البخاري رقم (٦٦٢٧) ومسلم رقم (٢٤٢٦) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٤٦٨) .
(٦) كما في « كشف الأستار عن زوائد البزّار » رقم (٢٦٧٥) وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد وهو متروك ، كما قال الحافظ في « التقريب » .
(٧) هو عند البخاري رقم (٤٢٦٢) وليس هو عند مسلم ، كما أومأ إليه المصنف سابقاً .

وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنَّة[١]

وقد قال حَسَّان بن ثابت[٢] يرثي زيد بن حارثة وابن رَوَاحَة : [من الخفيف]

عَيـنُ جُـودي بـدمعِـكِ المنزُورِ ... واذكُـري فـي الـرَّخـاءِ أَهْـلَ القُبُـورِ
واذكـري مُـؤْتَـةَ ومـا كـان فيهـا ... يـوم راحـوا فـي وقعـة التَّغـويـرِ
حيـنَ راحـوا وغـادروا ثَـمَّ زَيـداً ... نعم مَأوى الضَّريكِ[٣] والمأسورِ
حِـبَّ خيـر الأنـام طُـرّاً جميعـاً ... سَيِّـدِ النـاس حُبُّـهُ فـي الصُّـدورِ
ذاكُـمُ أحمـدُ الـذي لا سِـوَاهُ ... ذاك حُـزْنـي لـه معـاً وَسُـرُوري
إنَّ زيـداً قـد كـان مِنَّـا بـأمـرٍ ... ليـس أَمْـرَ المُكَـذِّب المَغْـرورِ
ثـم جُـودي للخَـزْرجـيِّ بـدمـعٍ ... سَيِّـداً كـان ثَـمَّ غيـر نَـزُورِ
قـد أَتَـانَـا مـن قتلهـم مـا كَفَـانَـا ... فَبحُـزنٍ نَبيـتُ غيـرِ سـرورِ

وأما جعفر بن أبي طالب[٤] بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عُمِّ رسول الله ﷺ ، وكان أكبر من أخيه عليٍّ بعشر سنين ، وكان عَقيلٌ أَسَنَّ من جعفر بعشر سنين ، وكان طَالب أَسَنَّ من عَقيلٍ بعشر سنين ، أسلم جعفرٌ قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وكانت له هنالك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدَّمنا ذلك في هجرة الحبشة ، ولله الحمد . وقد قَدِم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدري بأيهما أنا أسر ؛ أبقدوم جعفرٍ ، أم بفتح خيبر ؟ » وقام إليه واعتنقه وقبَّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية : « أشبهت خَلقي وخُلقي » . فيقال : إنَّه حجل عند ذلك فرحاً . كما تقدَّم ذلك في موضعه . ولله الحمد والمنة . ولمَّا بعثه إلى مؤتة جعله في الإمرة مصلِّياً ـ أي : ثانياً ـ لزيد بن حارثة ، ولمَّا قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كلِّه مقبل غيرُ مدبر ، وكانت قد قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك اللواء ، فلمَّا فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إنَّ رجلاً من الرُّوم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضي الله عن جعفر ولعن قاتله . وقد أَخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد ، فهو ممن يُقطع له بالجنَّة ، وجاء في الأحاديث تسميته بذي الجَنَاحين .

---

(١) وقد خرجه المصنف من كتاب « دلائل النبوة » للبيهقي .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٩٥) مع بعض الخلاف اليسير .
(٣) الضريك : الفقير السَّيِّىء الحال .
(٤) ترجمته في « الاستيعاب » (٢/ ١٤٩) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٤٨) و« جامع الأصول » (١٣/ ٢٤٦) بتحقيقي و« أسد الغابة » (١/ ٣٤١) و« الإصابة » (١/ ٨٥) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٠٦) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

وروى البخاريُّ[١] ، عن ابن عُمَرَ أنَّه كان إذا سَلَّم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذي الجَنَاحَين .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخَطَّاب نفسِه ، والصحيح ما في « الصحيح » عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعالى عَوَّضه عن يديه بجَنَاحين في الجَنَّة ، وقد تقدَّم بعض ما رُوي في ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذيُّ[٢] : ثنا عليُّ بن حجر ، ثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة » .

وتقدَّم في حديث أنَّه ، رضي الله عنه ، قُتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة .

وقال ابن الأثير في « الغابة »[٣] : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين سنة . قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل : إنَّه كان أسنَّ من عليٍّ بعشر سنين . يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة ؛ لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة ، والله أعلم .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله : الطَّيَّار . لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدَّحاً ، وكان لكرمه يُقال له : أبو المَسَاكين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا عفَّان ، ثنا وُهيب ، ثنا خالد ، عن عِكْرمة ، عن أبي هُريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضلُ من جعفر بن أبي طالب . وهذا إسناد جيِّد إلى أبي هريرة ، وكأنه [إنَّما] يفضِّله في الكَرَم ، فأما في الفضيلة الدِّينية ، فمعلوم أنَّ الصِّديق والفَاروق بل وعثمان بن عفَّان أفضل منه ، وأمَّا أخوه عليٌّ ، رضي الله عنهما ، فالظَّاهر أنَّهما متكافئان ، أو عليٌّ أفضل منه .

وإنَّما أراد أبو هُريرة تفضيله في الكرم ، بدليل ما رواه البخاريُّ[٥] ؛ ثنا أحمد ابن أبي بكر ، ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجُهَنيُّ ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المَقْبُريِّ ، عن أبي هُريرة أنَّ

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤) .

(٢) في « جامعه » رقم (٣٧٦٣) ، وهو حديث حسن بشواهده ، من حديث ابن عمر ، وابن عباس وعلي بن أبي طالب ، والبراء ، وغيرهم.

(٣) يعني « أسد الغابة في معرفة الصحابة » وهو فيه (١/ ٣٤٤) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤١٣) .

(٥) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٨) .

الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة ، وإنّي كنت ألزم رسول الله ﷺ بشِبَع بطني حين لا آكل الخمير ، ولا ألبس الحرير ، ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت أُلصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإنّي كنت لأستقرىء الرجل الآية هي معي ؛ كي ينقلب [بي] فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرج إلينا العكَّة التي ليس فيها شيء فنشقُّها فنلعق ما فيها . تفرَّد به البخاريُّ .

وقال حسَّان [بن ثابت] يرثي جعفراً[١] : [من الكامل]

ولقد بَكيتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ ... حبِّ النبيِّ على البريَّة كُلِّهَا
ولقد جَزِعْتُ وقُلْتُ حين نُعِيْتَ لي ... مَن للجِلادِ لدى العُقَاب وظِلِّهَا
بالبيض حين تُسَلُّ من أَغمادِهَا ... ضرباً وإنهال الرِّماح وعلِّهَا
بعد ابنِ فاطمةَ المُبَاركِ جعفرٍ ... خيرِ البريَّة كُلِّهَا وأجلِّهَا
رُزْءاً وأَكرَمِهَا جميعاً مَحْتِداً ... وأعزِّها متظلِّماً وأذلِّهَا
للحَقِّ حين يَنُوب غير تَنَحُّلٍ ... كَذِباً وأنداهَا يَداً وأقلِّهَا
فُحْشاً وأكثرها إذا ما يُجتدى ... فَضْلاً وأبذَلِهَا ندىً وأبلِّهَا
بالعرفِ غيرَ مُحمدٍ لا مثلُه ... حَيٌّ مِنَ احياء البريَّة كُلِّهَا

وأمَّا ابن رَوَاحَة ، فهو عبد الله بن رَوَاحَة[٢] بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك بن الأغرِّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج أبو محمد ـ ويقال : أبو رواحة . ويقال : أبو عمر ـ الأنصاريُّ الخزرجيُّ ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عمرة بنت رواحة ، أسلم قديماً وشهد العقبة ، وكان أحد النُّقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج ، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وكان يبعثه صلى الله عليه وسلم على خرصها كما قدَّمنا ، وشهد عمرة القضاء ، ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ ـ وقيل : بغرزها . يعني الرِّكاب ـ وهو يقول :

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

الأبيات ، كما تقدَّم .

وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة ، كما تقدَّم ، وقد شجَّع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٢٣) مع بعض الخلاف اليسير .
(٢) ترجمته في « الاستيعاب » (٣/ ٨٩٨) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٦٥) و« الإصابة » (٢/ ٣٠٦) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٣٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

ذلك ، وشجَّع نفسه أيضاً حتى نزل بعدما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . ويروي أنَّه لمَّا أنشد النبيَّ ﷺ شعره ـ حين ودَّعه ، الذي يقول فيه : [من البسيط]

فثبَّـت الله مـا أَتـاك مـن حسـن تثبيت موسى ونصراً كالَّذي نُصروا ـ

قال رسول الله ﷺ : « وأنت فثبَّتك الله » .

قال هشام بن عروة : فثبَّته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنَّة .

وروى حمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أنَّ عبد الله بن رَوَاحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانَه خارجاً من المسجد ، حتى فرغ النبيُّ من خطبته ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » .

وقال البخاريُّ في « صحيحه »[١] :

وقال مُعاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة .

وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك ، عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النُّميريِّ ، عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربِّنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ، ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبيُّ ﷺ : « يرحم الله ابن رواحة ، إنه يحبُّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة » . وهذا حديث غريب جداً .

وقال البيهقيُّ : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو بكر ، أنبأ محمد بن أيوب ، أنبأ أحمد بن يونس ، ثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار أنَّ عبد الله بن رواحة قال لصاحب [له] : تعال [حتى] نؤمن ساعة . قال : أولسنا بمؤمنين ؟ قال : بلى ، ولكنَّا نذكر الله فنزداد إيماناً .

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالَكائيُّ، من حديث أبي اليمان، عن صفوان بن سُلَيم، عن شريح بن عبيد ، أنَّ عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين، وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول « شرح البخاري » . ولله الحمد والمنة .

---

(١) في الباب قبل الحديث رقم (٨) في الإيمان : باب الإيمان وقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » تعليقاً ، ووصله أبو بكر بن أبي شيبة في « مصنَّفه » (١١/ ٢٦) و(١٣/ ٣٤٦) عن الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل : اجلس بنا نؤمن ساعة ، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١/ ٤٨) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٦٥) ، وإسناده ضعيف .

وفي « صحيح [البخاري] »[١] عن أبي الدَّرداء قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر في حرٍّ شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة . رضي الله عنه . وقد كان من شعراء الصَّحابة المشهورين .

وممَّا نقله البخاريُّ[٢] من شعره قوله في رسول الله ﷺ[٣] : [من الطويل]

وَفِينـا رسـولُ الله يتلـو كتـابَـهُ [إذا] انشقَّ معروف من الفجر ساطعُ
يَبِيْـتُ يُجَافـي جَنْبَـهُ عَـنْ فِـرَاشِـهِ إذا استَثْقلَتْ بالمشركين المَضَاجِعُ
أتـى بـالهُـدى بعـد العمـى فَقُلُـوبُنَـا بـه مُـوقنِـاتٌ أنَّ مـا قـال واقـعُ

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا عِمْرَان بن مَيْسَرة ، ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر ، عن النعمان بن بشير قال : أغمي على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته عمرة تبكي : واجبلاه ، واكذا ، واكذا تعدِّد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟!

ثنا قُتيبة ، ثنا عَبْثَرٌ ، عن حصين ، عن الشعبيِّ ، عن النعمان بن بشير قال : أُغمي على عبد الله بن رواحة . . . بهذا ، فلمَّا مات لم تبك عليه .

وقد قدَّمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع ، رضي الله عنهم :

كفـى حـزنـاً أنِّـي رجعـت وجعفـر وزيـد وعبـد الله فـي رَمـس أقبُـرِ
قضـوا نحبهـم لمَّـا مضـوا لسبيلهـم وخلِّفــت للبلــوى مــع المتغبِّــرِ

وسيأتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثي به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

فصل
في ذكر من استشهد يوم مُؤْتَةَ من المسلمين[٥]

فمن المهاجرين : جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زَيد بن حارثة [الكلبيُّ] ومسعود بن الأسود بن

---

(١) صحيح البخاري رقم (١٩٤٥) ، ورواه مسلم في « صحيحه » أيضاً رقم (١١٢٢) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١١٥٥) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص(١٦٢) مع بعض الخلاف والتقديم والتأخير ، ومع بيت رابع هو :
وأعلم عِلماً ليس بـالظنّ أنني إلى الله محشورٌ هنـاك وراجِعُ
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٧) و(٤٢٦٨) .
(٥) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص(٢٢٢) وقد زاد على ما ذكره المؤلف شهداء آخرين .

حارثة بن نضلة العَدَويُّ ، وَوَهْب بن سعد بن أبي سَرْح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار : عبد الله بن رَوَاحَة ، وعبَّاد بن قيس الخزرجيَّان ، والحارث بن النُّعمان بن إساف بن نَضْلَة النجّاريُّ ، وسُرَاقة بن عمرو بن عطيَّة بن خَنْسَاء المازنيُّ ، أربعة نفر .

فمجموع من قتل من المسلمين يومئذٍ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق[١]

لكن قال ابن هشام[٢] : وممَّن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكره ابن شِهَاب الزّهريُّ ، أبو كُلَيب ، وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيَّان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو ، وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً[٣] ، فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً ، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ؛ أحدهما ، وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله ، عدَّتها ثلاثة آلاف مقاتل ، وأخرى كافرة عدَّتها مئتا ألف مقاتل ؛ من الروم مئة ألف ، ومن نصارى العرب مئة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ، ثم مع هذا كله لا يُقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول : لقد اندقَّت في يدي يومئذ تسعة أسياف ، وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية . فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلِّها ؟! دع غيره من الأبطال والشجعان ، من حَمَلَةِ القرآن ، وقد تحكَّموا في عبدة الصُّلبان ، عليهم لعائن الرحمن ، في ذلك الزمان ، وفي كلِّ أوان . وهذا مما يدخل في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٣] .

* * *

حديثٌ

فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السَّريَّة

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحة ، رضي الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرْعَة عُبَيْدُ الله[٤] بن عبد الكريم الرَّازيّ ـ نضَّر الله وجهه ـ في كتابه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) .

(٣) وهو ما ذكره ابن حزم في « جوامع السيرة » .

(٤) في (آ) و(ط) : « عبد الله » وهو خطأ ، والتصحيح من « شذرات الذهب » (٣/ ٢٧٨) بتحقيقي .

« دلائل النبوة » وهو كتاب جليل[١] ـ : ثنا صَفْوان بن صالح الدمشقيُّ ، ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر .

(ح) وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، ثنا الوليد وعمرو ـ يعني ابن عبد الواحد ـ قالا : ثنا ابن جابر ، سمعت سُلَيم بن عامر الخبائريَّ يقول : أخبرني أبو أمامة الباهليُّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان ، فأخذا بضَبْعيَّ فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا : اصعد . فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنَّا سنسهله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عواء أهل النار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم معلَّقين بعراقيبهم ، مشقَّقة أشداقهم ، تسيل أشداقُهم دماً ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلَّة صومهم » . فقال : « خابت اليهود والنصارى » . قال سُليم : [لا أدري] أسمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه « ثم انطلقا بي ، فإذا قوم أشدُّ شيء انتفاخاً ، وأنتنُ شيء ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم أشد [شيء] انتفاخاً ، وأنتن شيء ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض . قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الزانون والزواني ، ثم انطلقا بي ، فإذا بنساءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الحيات ، فقلت : ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بي ، فإذا بغِلْمَان يلعبون بين بحرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذراريُّ المؤمنين . ثم أشرفا بي شرفاً ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بي شرفاً آخر ، فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلام ، وهم ينتظرونك »[٢] .

* * *

فصل

فيما قيل من الأشعار في غَزْوَة مُؤْتَةَ

قال ابن إسحاق[٣] : وكان مما بُكِي به أصحاب مؤتة قول حَسَّان[٤] : [من الطويل]

تأوّبني ليلٌ بيثربَ أعسرُ ... وهمٌّ إذا ما نوَّم الناس مسهرُ

---

(١) قلت : وهو مخطوط لم يطبع بعد فيما أعلم .
(٢) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » رقم (١٩٨٦) وعنه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٧٤٩١) وإسناده صحيح . وذكره بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٧٦٦٧) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٧٦ ـ ٧٧) : « ورجاله رجال الصحيح » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٩٨) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

لـذكـرى حبيـبٍ هَيَّجَتْ لـي عَبـرةً ... سَفُـوحـاً وأسبـابُ البُكـاء التَّـذَكُّـرُ
بلـى إنّ فُقـدان الحبيـبِ بليّـةٌ ... وكـم مـن كـريـم يُبتلـى ثـم يَصْبِـرُ
رأيـت خيـارَ المسلميـن تـواردوا ... شعـوبـاً وخلفـاً بعـدهـم يتـأخـرُ
فـلا يُبْعِـدَنَّ الله قتلـى تتـابعـوا ... بمـؤتـة منهـم ذو الجنـاحيـن جعفـرُ
وزيـد وعبـد الله حيـن تتـابعـوا ... جميعـاً وأسبـاب المنيّـة تخطـرُ
غـداة مضَـوا بـالمـؤمنيـن يقـودهـم ... إلـى المـوت ميمـون النقيبـة أزهـرُ
أغـرُّ كضـوء البـدر مـن آل هـاشـم ... أبـيّ إذا سيـم الظـلامـة مجسـرُ
فَطَـاعَـنَ حتّـى مَـالَ غيـر مـوسَّـدٍ ... بمعتـرَك فيـه القنـا مُتَكَسِّـرُ
فَصَـارَ مـع المستشهـديـن ثَـوَابُـهُ ... جِنَـانٌ وملتـفّ الحـدائـقِ أخضـرُ
وكنـا نـرى فـي جعفـر مِـنْ محمـدٍ ... وفـاءً وأمـراً حـازمـاً حيـن يـأمـرُ
ومـا زال فـي الإسلام من آل هاشمٍ ... دعـائـمُ عـزّ لا يُـزلْـن ومفخـرُ
هُمُ جبل الإسلام والناس حولهم ... رِضـام إلـى طـود يـروق ويقهـرُ
بهـاليـلُ منهـم جعفـر وابـن أمـه ... علـيّ ومنهـم أحمـد المتخيَّـرُ
وحمـزة والعبّـاس منهـم ومنهـمُ ... عقيل وماء العود من حيث يُعصرُ
بهـم تفـرجُ الـلأواء فـي كـلّ مـأزق ... عَمَاسٍ إذا ما ضَاقَ بالناس مَصْدَرُ
هُـمُ أوليـاء الله أنـزل حكمَـه ... عليهـم وفيهـم ذا الكتـاب المطهّـرُ

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه[١] : [من الكامل]

نـام العيـونُ ودمـعُ عينـك يهمُـلُ ... سَحّاً كما وَكَفَ الطِّبابُ المُخضِلُ
فـي ليلـة وردت علـيَّ هُمُـومُهَـا ... طـوراً أَحِـنُّ وتـارةً أتمَلمـلُ
واعتـادنـي حُـزْنٌ فبِـتّ كـأنّنـي ... ببنـاتِ نعـشٍ والسِّمَـاكُ مُـوَكَّـلُ
وكـأنمـا بيـن الجَـوانِـحِ والحَشَـا ... ممّـا تـأوَّبنـي شِهَـابٌ مُـدْخَـلُ
وَجـداً علـى النّفـر الـذيـن تتـابعـوا ... يـومـاً بمـؤتـة أسنـدوا لـم ينقلـوا
صلـى الإلـه عليهـمُ مـن فتيـةٍ ... وسقـى عِظَـامَهُـمُ الغَمَـامُ المسبـلُ
صبـروا بمُـؤْتَـةَ لـلإلـه نفـوسهـمْ ... حَـذَرَ الـرّدى ومَخَـافَـةً أن يَنْكُلُـوا
فمَضَـوا أمـام المسلميـن كـأنّهـم ... فُنُـقٌ[٢] عليهـن الحـديـد المـرفـلُ
إذ يهتـدونَ بجعفـرٍ ولـوائـهِ ... قُـدَّام أولهـم فنعـم الأوّلُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٢٠٥ـ٢٠٦) .
(٢) الفنق : الفحول من الإبل ، الواحد فنيق .

حتى تفرجت الصفوف وجعفرٌ ... حيث التقى وعث الصفوف مجدّلُ
فتغيّر القمرُ المنيرُ لفقدهِ ... والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادت تأفِلُ
قرْم علا بنيانه من هاشم ... فرعاً أشمّ وسؤددا ما ينقلُ
قوم بهم عَصَمَ الإلهُ عِبَادَهُ ... وعليهمُ نَزَلَ الكِتَابُ المنزلُ
فضلوا المعاشر عزّة وتكرّماً ... وتغمّدت أحلامهم من يجهلُ
لا يطلقون إلى السّفاه حُبُاهُمُ ... ويرى خطيبهمُ بحق يفصلُ
بيض الوجوه ترى بطون أَكُفِّهِمْ ... تندى إذا اعتَذَرَ الزّمَانُ الممحلُ
وبهَدْيِهِمْ رضي الإلهُ لِخَلْقِهِ ... وبجدّهم نُصِرَ النَّبيّ المرسلُ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم يدعوهم إلى الله ، عزَّ وَجَلَّ ، وإلى الدخول في الإسلام[١]

ذكر الواقديّ[٢] أن ذلك كان في آخر سنة ستّ في ذي الحجَّة ، بعد عُمْرَة الحُديبية .

وذكر البيهقيّ[٣] هذا الفصل في هذا الموضع ، بعد غزوة مُؤْتَةَ ، والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحُديبية ؛ لقول أبي سُفيان لِهِرَقْلَ حين سأله : هل يَغْدرُ ؟ فقال : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها .

وفي لفظ للبخاري[٤] : وذلك في المدة التي ماد[٥] فيها أبو سُفيان رسول الله .

---

(١) لتمام الفائدة فيما يتصل برسائل رسول الله ﷺ لملوك الأمم وزعماء القبائل راجع كتاب « إعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٤) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٧٦) .

(٤) في « صحيحه » رقم (٧) .

(٥) أي : صالحهم إلى مدة استقرت بينهم . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٢) .

وقال محمد بن إسحاق[١] : كان ذلك ما بين الحُدَيبية ووفاته ، عليه الصلاة والسلام . ونحن نذكر ذلك هاهنا ، وإن كان قول الواقدي محتملاً ، والله أعلم .

وقد روى مسلم[٢] ، عن يوسف بن حَمَّاد المعنيّ ، عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي عَرُوْبَة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى وقَيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كلّ جَبَّار ؛ يدعوهم إلى الله ، عزّ وجلّ ، وليس بالنجاشيّ الذي صلّى عليه .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني الزّهريّ[٣] ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن عبد الله بن عباس ، حدثني أبو سفيان ، مِن فيه إلى فيّ ، قال : كنا قوماً تُجَّاراً ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلمّا كانت الهُدْنَة ـ هُدْنَة الحُدَيبية ـ بيننا وبين رسول الله ﷺ لم نأمن أن وجدنا أمناً ، فخرجْتُ تاجراً إلى الشام مع رهطٍ من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حمّلني بضاعةً ، وكان وجه متجرنا من الشام غَزَّة من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها ، وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس ، فأخرجهم منها ، وردّ عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه ، فلمّا أن بلغه ذلك ، وقد كان منزله بحمص من أرض الشام ، فخرج منها يمشي متشكّراً إلى بيت المقدس ؛ليصلي فيه ، تُبسط له البسط ، وتطرح له عليها الرّياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلّى بها ، فأصبح ذات غداة وهو مهموم ، يقلِّب طرفه إلى السماء ، فقالت بطارقته : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموماً . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهرٌ . فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود ، وهم تحت يديك وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع هذا في نفسك منهم ، فابعث في مملكتك كلّها ، فلا يبقى يهوديّ إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فإنهم في ذلك من رأيهم يدبرونه ، إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرَى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل ، يحدثك عن حدث كان ببلاده ، فاسأله عنه . فلمّا انتهى إليه ، قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟ فسأله فقال : رجل من العرب من قريش ، خرج يزعم أنه نبيّ ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجتُ من بلادي وهم على ذلك . فلمّا أخبره الخبر قال : جرّدوه . فإذا هو مختون ، فقال : هذا والله الذي قد أُريت ، لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شرطته ، فقال له : قَلِّب لي الشام ظهراً لبطنٍ ، حتى تأتيَ برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٥) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٧٤) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٦) و« دلائل النبوة » (٤/ ٣٨١) .

قال أبو سفيان : فوالله إنّي وأصحابي لَبِغزّة ، إذ هجم علينا ، فسألنا : ممّن أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعاً ، فلمّا انتهينا إليه ، قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف ـ يريد هرقل ـ قال : فلمّا انتهينا إليه قال : أيكم أمسّ به رحماً ؟ فقلت : أنا . قال : أدنوه مني . قال : فأجلسني بين يديه ثم أمر بأصحابي ، فأجلسهم خلفي ، وقال : إن كذب فردوا عليه .

قال أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا عليّ ، ولكنّي كنت امرءاً سَيّداً ، أتكرم وأستحي من الكذب ، وعرفت أنّ أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عنّي ، ثم يتحدثوا به عنّي بمكّة ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم . فزهّدْتُ له شأنه ، وصَغّرت له أَمْرَهُ ، فوالله ما التفت إلى ذلك منّي ، وقال لي : أخبرني عما أسألك عنه من أمره . فقلت : سلني عما بدا لك ؟ فقال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : محضاً[1] ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله ، فهو يتشبّه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرني هل كان له مُلك فاستلبتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه ؟ قلت : لا . قال : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟ فقلت : الأحداثُ والضّعفاء والمساكين ، فأمّا أشرافهم وذوو الأسنان[2] فلا . قال : فأخبرني عمّن يصحبه ، أيحبه ويلزمه ، أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : قلّ ما صحبه رجل ففارقه . قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سِجَال ، يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً أغرّه به إلا هي ، قلت : لا ، ونحن منه في مدّة ، ولا نأمن غدره فيها ، فوالله ما التفت إليها مني . قال : فأعاد عليّ الحديث ، فقال : زعمتَ أنه [من] أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبيّ إذا أخذه ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبّه به ، فقلت : لا . وسألتك هل كان له مُلك فاستلبتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ، فقلتَ : لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كلّ زمان ، وسألتك عمّن يتبعه ، أيحبه ويلزمه ، أم يَقليه ويفارقه ، فزعمت أنه قلّ من يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان ، لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ، فزعمت أنها سِجَال ؛ يُدال عليكم وتدالون عليه ، وكذلك تكون حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يغدر ، فزعمت أنه لا يغدر ، فلئن كنت صدقتني ، ليغلبنّ على ما تحت قدميّ هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه . ثم قال : الحَق بشأنك . قال : فقمت وأنا أضرب بإحدى يديّ على الأخرى ، وأقول : يا عباد الله ، لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة[3] ! أصبح ملوك بني

---

(١) أي : خالص النسب . انظر « لسان العرب » (محض) .

(٢) أي : كبار السنّ .

(٣) أي : كبر شأنه وعظم واتسع ، وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، لأن أبا كبشة الخزاعي ، واسمه وجز ، كان قد خالف قريشاً في عبادة الأوثان ، وعبد الشِّعرى العبور ، وهو النجم المعروف في نجوم السماء ، فلما-

الأصفر[١] يخافونه في سلطانهم .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدثني الزّهريّ قال : حدثني أُسقفٌ من النَّصارى ، قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دِحْيَةُ بن خليفة على هِرَقْل بكتاب رسول الله ﷺ فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم ، سَلاَمٌ على من اتَّبَع الهُدَى .

أمّا بعد : فأسلِم تَسلَم ، وأَسلِم يؤتك الله أَجْرَكَ مَرَّتين ، فإن أَبَيْتَ فإنَّ إثم الأكّارين[٣] عَلَيْكَ » . قال : فلمّا انتهى إليه كتابه وقرأه ، أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل من أهل رُومية ، كان يقرأ من العِبْرَانِيّة ما يقرأ ، يخبره عما جاءه من رسول الله ﷺ ، فكتب إليه : إنه النبيُّ الذي ينتظر لا شك فيه ، فاتّبعه . فأمر بعظماء الرُّوم ، فجمعوا له في دَسْكرة[٤] ملكه ، ثم أمر بها فأشرجت عليهم ، واطلع عليهم من عِلِّيّة له وهو منهم خائف ، فقال : يا معشر الرُّوم ، إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله النبيّ الذي كُنَّا ننتظر ونجد ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم . فنخروا نَخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدَّسكرة فوجدوها مُغْلَقَةً دونهم ، فخافهم وقال : ردُّوهم عليَّ . فردّوهم عليه ، فقال لهم : يا معشر الرُّوم ، إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها ؛ لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فلقد رأيت منكم ما سرَّني . فوقعوا له سُجَّداً ، ثم فتحت لهم أبواب الدَّسْكَرَة فخرجوا .

وقد روى البخاريُّ قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أُخر ، أحببنا أن نوردها بسندها وحروفها من « الصحيح » ؛ ليُعلم ما بين السياقين من التباين ، وما فيها من الفوائد .

قال البخاريُّ قبل الإيمان من « صحيحه »[٥] : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ثنا شعيب ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مَسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره ، أن أبا سُفْيَان أخبره أن هِرَقْلَ أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تُجَّاراً بالشام في المدَّة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكُفّار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء[٦] ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الرّوم ، ثم دعاهم

= خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأصنام شبّهوه به ، وقيل : كان جدَّ جدِّ النبي ﷺ لأمه ، أرادوا : أنه نزع إليه في الشبه . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٣) .

(١) بنو الأصفر : هم الروم ، سمُّوا بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من الصفرة . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٣) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٤) .

(٣) الأكارون : الذين يحرثون الأرض . انظر « القاموس المحيط » (أكر) .

(٤) الدَّسْكَرَة : بناء على هيئة القصر . انظر « النهاية » (٢/ ١١٧) .

(٥) رقم (٧) .

(٦) إيلياء : هي بيت المقدس . انظر « الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص(٦٨) .

ودعا بالتَّرجمان فقال : أيّكم أَقْرَبُ نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ ؟. قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه مني ، وقرِّبوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبني فكذِّبوه ، فوالله لولا أن يأثِروا عنِّي كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أوّل ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قطُّ قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدُّ أحد منهم سَخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كُنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدَّة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكنِّي كلمة أُدخِل فيها شيئاً غيرَ هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إيَّاه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سِجَالٌ ؛ ينال منَّا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصِّدْق والعَفَاف والصِّلة . فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرُّسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ، فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت : رجل يتأسَّى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك ، فذكرت أن لا ، فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب مُلْكَ أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاهم ؟ فذكرت أن ضعفاهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتدُّ أحد منهم سَخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرُّسل لا تغدِر . وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصّدق والعَفَاف ، فإن كان ما تقول حقاً ، فسيملك موضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظنُّ أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه ، لتجشَّمت لقاءه ، ولو كنت عنده ، لغَسَلْتُ عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دِحْيَةَ إلى عظيم بُصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ عبد الله ورسولهِ إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم ، سَلَامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسْلَم ، يؤتك الله أجرك مَرَّتين ، فإن توليتَ فإنَّ عليك إثم الأريسيِّين[١] ، و : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ

---

(١) أي : الفلاحين . انظر « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤][١]

قال أبو سفيان : فلمَّا قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصَّخب ، وارتفعت الأصوات ، وأُخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أُخرجنا : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشَة ! إنَّه يخافه مَلِكُ بني الأصفر ! فما زلت موقناً أنَّه سيظهر ، حتى أدخل الله عليَّ الإسلام . قال : وكان ابن النَّاطور ـ صاحب إيلياء وهرقل ـ سُقُفّاً على نصارى الشام، يُحَدِّثُ أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيثَ النَّفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حَزَّاءً ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنِّي رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمَّنَّك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أَرسل به ملك غسَّان ، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلمَّا استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنَّه مختتن . وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون. فقال هرقل : هذا مُلْك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص، فلم يَرِم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه ، يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبيٌّ ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت ، ثم اطَّلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرُّشد ، وأن يثبُت لكم مُلككم ، فتبايعوا لهذا النبيِّ . فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلِّقت، فلمَّا رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان قال: ردُّوهم عليَّ. وقال : إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل . قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان ، ويونس ، ومعمر ، عن الزهريِّ .

وقد رواه البخاريُّ في مواضع كثيرة في « صحيحه » بألفاظ يطول استقصاؤها[٢] .

وأخرجه بقية الجماعة ، إلا ابن ماجه ، من طرق عن الزُّهريِّ[٣] .

وقد تكلَّمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لـ « صحيح البخاريِّ » بما فيه كفاية ، وذكرنا فيه من الفوائد والنُّكت المعنوية واللفظية ، ولله الحمد والمنَّة .

---

(١) انظر نصّ الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(٧٠) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٢) ومنها في الأرقام (٢٩٤١) و(٤٥٥٣) و(٢٨٠٤) و(٢٩٤١) و(٢٩٧٨) و(٦٢٦٠) وغيرها .

(٣) رواه مسلم رقم (١٧٧٣) وأبو داود رقم (٥١٣٦) والترمذي رقم (٢٧١٧) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٠٦٤) .

وقال ابن لهيعة ، عن الأسود ، عن عُرْوَة قال[١] : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ ، فأراد أن يعلم ما يعلم من أمر رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه ، فأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً ، منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ، ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب ، وليس بنبيٍّ . قال : فأخبروني بأعلمِكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عَمِّه ، وقد قاتله . فلمَّا أخبروه ذلك ، أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبا سفيان . فقال : هو ساحر كذاب . فقال هرقل : إني لا أريد شتمه ، ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش . قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط . قال هرقل : هل كان حَلّافاً كذَّاباً مخادعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك . قال : لعله يطلب مُلكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان : لا . ثم قال : من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا . قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا ، إلا أن يغدر مدَّته هذه . فقال هرقل : وما تخاف من مدَّته هذه ؟ قال : إن قومي أمدُّوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر . فغضب أبو سفيان وقال : لم يغلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب ـ وهو يوم بدر ـ ثم غزوته مرَّتين في بيوتهم ، بقر البطون ، ونجدِّع الآذان والفروج . فقال هرقل : أكاذباً تراه أم صادقاً ؟ فقال : بل هو كاذب . فقال : إن كان فيكم نبي ، فلا تقتلوه ، فإنَّ أفعل الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غَرَابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ، ولا البخاريِّ . وقد أورد موسى بن عقبة في « مغازيه » قريباً مما ذكره عُروة بن الزُّبير ، والله أعلم .

وقال ابن جرير في « تاريخه »[٢] : ثنا ابن حُميد ، ثنا سلمة ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدِحْيَةَ بن خليفة الكلبيِّ حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ : والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ، ولكنِّي أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف ، فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم منِّي ، وأجوز قولًا عندهم منِّي ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال : فجاءه دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وبما يدعو إليه ، فقال ضغاطر : صاحبك والله نبي مرسل ، نعرفه بصفته ، ونجده في كتابنا

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٤) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٠) .

باسمه . ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثيابا بياضاً ، ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يامعشر الرُّوم ، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ، يدعونا فيه إلى الله ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . قال : فلما رجع دحية إلى هرقل ، فأخبره الخبر ، قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ، فضغاطر والله كان أعظم عندهم ، وأجوز قولاً منِّي .

وقد روى الطبرانيُّ[١] من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه ، عن عبد الله بن شداد ، عن دحية الكلبيِّ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الرُّوم بكتاب ، فقلت : استأذنوا لرسولِ رسولِ الله ﷺ . فأُتي قيصر فقيل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنَّه رسول الله . ففزعوا لذلك ، فقال : أدخله . فأدخلني عليه وعنده بطارقته، فأعطيته الكتاب، فإذا فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » . فنخر ابن أخ له أحمر أَزرق سبط ، فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم ، فإنه بدأ بنفسه ، وكتب صاحبَ الرُّوم ، ولم يكتب ملكَ الرُّوم . قال : فقرىء الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ، ثم بعث إليَّ ، فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقفِّ فدخل عليه ، وكان صاحب أمرهم ، يصدرون عن رأيه وعن قوله ، فلمَّا قرأ الكتاب قال الأسقفُّ : هو والله الذي بشَّرنا به موسى وعيسى ، الذي كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقفُّ : أمَّا أنا فإنِّي مُصَدِّقه ومتَّبعه. فقال قيصر : أعرف أنَّه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهب مُلْكي وقتلني الرُّوم .

وبه قال محمد بن إسحاق[٢] ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لمَّا أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينيَّة ؛ لِما بلغه من أمر النبيِّ ﷺ جمع الرُّوم فقال : يا معشر الرُّوم ، إني عارض عليكم أموراً ، فانظروا فيما أردت بها . قالوا : ما هي ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل ، نجده في كتابنا ، نعرفه بصفته التي وُصف لنا ، فهلمَّ فلنتَّبعه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. فقالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ، ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثرهم رجالاً ، وأقصاهم بلداً ؟! قال : فهلمَّ أعطيه الجزية كلَّ سنة ، أكسر عنِّي شوكته ، وأستريح من حربه بما أعطيه إياه. قالوا: نحن نعطي العرب الذُّلّ والصغار بخرج يأخذونه منَّا، ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنعهم بلداً ؟! لا والله لا نفعل هذا أبداً . قال : فهلمَّ فلأصالحه على أنْ أُعطيه أرض سورية ، ويدعني وأرضَ الشام ـ قال : وكانت أرض سورية ؛ فلسطين ، والأردن ، ودمشق ، وحمص ، وما دون

---

(١) في « المعجم الكبير » رقم (٤١٩٨) وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك ، ويحيى بن عبد الحميد الحِمّاني وهو ضعيف .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥١) .

الدرب من أرض سورية ، وما كان وراء الدَّرب عندهم فهو الشام ـ فقالوا : نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفتَ أنها سُرَّة الشام ؟! لا نفعل هذا أبداً . فلمَّا أبوا عليه قال : أما والله لتودُّن أنَّكم قد ظفرتم ، إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدَّرب ، استقبل أرض الشام ، ثم قال : السلام عليكِ يا أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينيَّة ، والله أعلم .

***

ذكر

إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق[١] : ثم بعث رسول الله ﷺ شُجَاع بن وَهْب ، أخا بني أسد بن خُزيمة ، إلى المنذر بن الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيِّ ، صاحب دمشق .

قال الواقديُّ[٢] : وكتب معه : « سَلامٌ على من اتَّبع الهُدى وآمنَ بهِ ، وأدعوكَ إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريكَ له ؛ يبقى لك مُلْكُكَ »[٣] ، فقدم شُجَاع بن وَهْب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إنِّي سأسير إليه .

***

ذكر

بعثه ﷺ إلى كِسْرى مَلِكِ الفُرس

روى البخاريُّ[٤] من حديث اللّيث ، عن يونس ، عن الزُّهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبةَ ، عن ابن عبَّاس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزّقَهُ . قال : فحسبت أن ابن المُسَيّب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَزّقوا كلّ مُمَزّقٍ .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٢) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٢) .
(٣) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(١٠٦ ـ ١٠٨) بتحقيقي.
(٤) في « صحيحه » رقم (٧٢٦٤) .

وقال عبد الله بن وهب[١] ، عن يونس ، عن الزُّهريِّ ، حدثني عبد الرحمن بن عبد القاريُّ ، أنَّ رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهَّد ثم قال : « أمَّا بعد : فإنِّي أُريد أن أبعث بعضكم إلى مُلُوك الأعاجم ، فلا تختلفوا عليَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى ابن مريم » . فقال المهاجرون : يا رسول الله ، إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا . فبعث شُجَاع بن وَهْب إلى كسرى ؛ فأمر كسرى بإيوانه أن يزيَّن ، ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشُجَاع بن وَهْب ، فلما أن دخل عليه أمرَ كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه ، فقال شُجَاع بن وهب : لا ، حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله ﷺ . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناوله الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه ، فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » . قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه ، وصَاح وغضب ومَزَّق الكِتَاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشُجَاع بن وهب فأُخرج ، فلمَّا رأى ذلك قعد على راحلته ، ثم سار ، ثم قال : والله ما أُبالي على أيّ الطريقين أكون إذ أَدّيت كتاب رسول الله ﷺ . قال : ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتُمس فلم يوجد ، فطُلِبَ إلى الحيرة فسَبَق ، فلما قدم شُجَاع على النبيِّ ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَزَّق كِسْرى مُلْكَهُ » .

وروى محمد بن إسحاق[٢] ، عن عبد الله بن أبي بكر ، [عن الزُّهريِّ] عن أبي سلمة ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه مزَّقه، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ قال : « مزَّق ملكه » .

وقال ابن جرير[٣] : ثنا أحمد بن حُمَيد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : وبَعَثَ عبدَ الله بن حُذَافَةَ بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس ، وكتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس ، سَلامٌ على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ؛ لأُنذر من كان حياً ، ويحقَّ القول على الكافرين ، فإن تُسلِمْ تَسلَمْ ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك »[٤] قال : فلما قرأه شقَّه ، وقال : يكتب إليَّ بهذا وهو عبدي ؟! قال : ثم كتب كسرى إلى باذام ، وهو نائبه على اليمن ، أن ابعث إلى هذا الرجل

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٥) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٤) .
(٤) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين » لابن طولون ص(٦٦) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

بالحجاز رجلين من عندك جَلدين فليأتياني به . فبعث باذام قهرمانه ، وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له : خُرخرة . وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لأباذويه : ائت بلاد هذا الرجل وكلِّمه وأتني بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف ، فسألوه عنه فقال : هو بالمدينة . واستبشر أهل الطائف ـ يعني وقريش بهما ـ وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض : أبشروا ، فقد نصِب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل . فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلَّمه أباذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك [كسرى] قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معي ، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرِّب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، وقال : « ويلكما ! من أمركما بهذا ؟! » قالا : أمرنا ربُّنا . يعنيان كسرى ، فقال رسول الله ﷺ : « ولكنَّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي » . ثم قال : « ارجعا حتى تأتياني غداً » . قال : وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، بأن الله قد سلَّط على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا ، في ليلة كذا وكذا ؛ من الليل ؛ سُلِّط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟! إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذلك عني ، وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخفِّ والحافر ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » . ثم أعطى خُرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك ، فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول ، وليكوننَّ ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فإنه نبيٌّ مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا . فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ، فإني قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ؛ لما كان استحلَّ من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قِبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه ، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال : وقد قال باذويه لباذام : ما كلَّمت أحداً أهيب عندي منه . فقال له باذام : هل معه شُرَط ؟ قال : لا .

قال الواقديُّ[1] ، رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء ، لعشر ليالٍ مضين من جمادى الأولى من سنة سبع من الهجرة ، لست ساعات مضت منها .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/٦٥٦) .

قلت : وفي شعر بعضهم ما يُرشد أن قتله كان في شهرٍ حَرام ، وهو قول بعض الشعراء : [من الرمل]

قَتَلوا كسرى بليلٍ مُحْرِماً فتـولّـى لـم يُمَتَّـع بكَفَـنْ

وقال بعض شعراء العرب : [من الوافر]

وكِسْرى إذ تقـاسمـه بنُـوهُ بأسيافٍ كما اقتُسِمَ اللِّحامُ
تمخضت المنُونُ له بيومٍ أتـى ولكـلِّ حـاملـةٍ تَمَـامُ

وروى الحافظ البيهقي[١] من حديث حَمّاد بن سَلَمَة ، عن حُمَيد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ رَبّي قد قتل الليلة ربَّك » . قال : وقيل له ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ : إنه قد استخلف ابنته . فقال : « لا يُفْلِحُ قومٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ » .

قال االبيهقيُّ[٢] : وروي في حديث دحية بن خليفة ، أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل عامل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعَّد صاحب صنعاء ، ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه ؟ لتكفينَّه أو لأفعلنَّ بك . فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربَّه الليلة » . فوجدوه كما قال .

قال[٣] : وروى داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبيِّ نحو هذا .

ثم روى البيهقيُّ[٤] من طريق أبي بكر بن عيَّاش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال : « إن في وجه سعد خبراً » . فقال : يا رسول الله ، هلك كسرى . فقال : « لعن الله كسرى ، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظّاهر أنه لما أَخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين ـ يعني الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ـ فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به ، عليه الصلاة والسلام ، وشاع في البلاد ، وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره ، عليه السلام ، وهكذا بنحو هذا التقدير . ذكره البيهقي ، رحمه الله .

ثم روى البيهقيُّ[٥] من غير وجه ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بُعث له ـ أو قيض له ـ عارض يعرض عليه الحقَّ ، فلم يفجأ كسرى إلا

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٠) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) .
(٣) يعني في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .

برجل يمشي وفي يده عصا ، فقال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم ، لا تكسرها . فولَّى الرجل ، فلما ذهب ، أرسل كسرى إلى حجَّابه فقال : من أذن لهذا الرجل عليَّ ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد . فقال : كذبتم . قال : فغضب عليهم وتهدَّدهم ، ثم تركهم . قال : فلما كان رأس الحول ، أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، قال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم ، لا تكسرها . فلما انصرف عنه دعا حجَّابه ، فقال لهم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل ، معه العصا ، فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها . فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعيُّ : أنبأنا ابن عُيينة ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هَلَكَ كِسرى فلا كِسْرى بعده ، وإذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله » . أخرجه مسلم[١] من حديث ابن عُيينة ، وأخرجاه[٢] من حديث الزُّهريِّ ، به .

قال الشافعيُّ : ولما أُتي كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مَزَّقه ، فقال رسول الله ﷺ : « تَمَزَّقَ مُلْكُهُ » .

وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مَسْكٍ[٣] ، فقال رسول الله ﷺ : « ثَبَتَ مُلْكُهُ » .

قال الشافعيُّ وغيره من العلماء[٤] : ولمَّا كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة ، فأسلم من أسلم منهم ، شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » . قال : فباد مُلك الأكاسرة بالكُلِّية ، وزال مُلْكُ قيصر عن الشام بالكُلِّية ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عَظَّموا كتابه ، والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلْكَ الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام ، وكانت العرب تُسمِّي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الرُّوم ، وكسرى لمن ملك الفُرس ، والنجاشيُّ لمن ملك الحَبَشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند ، ولهم أعلامُ أجناس غير ذلك ؛ وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٩١٨) (٧٥) .
(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٦١٨) ومسلم وهو عنده رقم (٢٩١٨) (٧٥) .
(٣) المَسْكُ : الجلد . انظر « القاموس المحيط » (مسك) .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٤) .

وروى مسلم[١] ، عن قُتيبة وغيره ، عن أبي عَوَانة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سَمُرَة قال : قال رسول الله ﷺ : « لتَفتحنَّ عِصَابَةٌ من المسلمين كُنُوزَ كسرى في القصر الأبيض » .

وروى أسباط ، عن سماك ، عن جابر بن سَمُرَة مثل ذلك[٢] ، وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم ، فأصبنا من ذلك ألف درهم .

***

بعثه ـ ﷺ ـ [إلى] المُقَوقِس صاحب مدينة الإسكندرية واسمه جُرَيج بن مِيْنَا القِبْطِيُّ

قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن عبد الرحمن بن عبد القاريِّ ، أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه ، فقَبَّلَ الكتاب ، وأكرم حاطباً وأحسن نزله ، وسرَّحه إلى النبيِّ ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة ، وبغلة بسرجها ، وجاريتين ؛ إحداهما أمُّ إبراهيم[٣] ، وأمّا الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدي . رواه البيهقي[٤] .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، عن جدِّه حاطب بن أبي بلتعة ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية . قال : فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إليَّ وقد جمع بطارقته ، وقال : إنِّي سائلك عن كلام ، فأحبُّ أن تفهم عني . قال : قلت : هَلُمَّ . قال : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو نبيّاً ؟ قلت : بلى ، هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا ، لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى ابن مريم ، أليس تشهد أنَّه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ، ألَّا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم ، قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببذرقة يبذرقونك إلى مأمنك . قال : فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار ، منهنَّ أمُّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدويِّ ،

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٩١٩) .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٨٩) .
(٣) واسمها (مارية القبطية) . انظر ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٦٩) بتحقيقي .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٥) .

وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسَّان بن ثابت الأنصاريِّ[١] ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق[٢] أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوارٍ ؛ إحداهنَّ مارية أمُّ إبراهيم ، والأخرى سِيْرين التي وهبها لحَسَّان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حَسَّان[٣]

قلت : وكان في جملة الهديَّة غلام أسود خصي ، اسمه مأبور ، وخُفَّان ساذَجان أسودان ، وبغلة بيضاء اسمها الدُّلدل ، وكان مأبور هذا خصيّاً ، ولم يعلموا بأمره باديء الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، ولا يعلمون بحقيقة الحال ، وأنَّه خصي ، حتى قال بعضهم : إنَّه الذي أمر رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب بقتله ، فوجده خصيّاً فتركه ، والحديث في « صحيح مسلم »[٤]

قال ابن إسحاق[٥] : وبعث رسول الله ﷺ سَلِيطَ بن عمرو بن عبد ودٍّ ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى هَوذَة بن عليٍّ صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرميِّ ، إلى المنذر بن ساوى ، أخي بني عبد القيس ، صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندى وعمَّار[٦] بن الجُلَنْدى الأزديَّين ، صاحبي عُمَان .

* * *

غَزْوَةُ ذاتِ السّلاسِلِ[٧]

ذكرها الحافظ البيهقي[٨] هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعُروة بن الزّبير ، قالا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل من مشارف الشام في بَلِيٍّ ، وعبد الله ، ومن يليهم من قُضَاعَة ـ قال عُرْوَةُ بن الزّبير : بنو بَلِيٍّ أخوال العاص بن وائل ـ فلما صار إلى هناك خاف من كثرة

---

(١) وهو المشهور عند المؤرخين وأصحاب السِّير .

(٢) انظر « الذخائر والتحف » لابن الزُّبير ص(٦ ـ ٧) .

(٣) قال ابن الزبير في « الذخائر والتحف » ص(٧) : « وكانتا لهما شأن عظيم وجمال بارع ، لم يكن بمصر أحسن منهما » .

(٤) رقم (٢٧٧١) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٦٠٧) .

(٦) المعروف في اسمهما (جيفر وعبد) .

(٧) انظر أخبارها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفا » (٢/ ٤٢١) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٤٠) و« السيرة النبوية الصحيحة » (٢/ ٤٧١) . وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٣٤١) : « وذكر ابن إسحاق نزولهم على ماءٍ لجذام يقال له : السلسل ، قال : وبذلك سمّيت ذات السلاسل » .

(٨) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٧) .

عدوّه ، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين ، فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سَراة المهاجرين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وأَمَّر عليهم رسول الله ﷺ أَبا عبيدة بن الجَرَّاح .

قال موسى بن عُقبة : فلما قَدِموا على عمرو قال : أنا أَميركم ، وأنا أَرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأَبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنَّما أنتم مددٌ أُمددته . فلما رأى ذلك أَبو عُبيدة ـ وكان رجلاً حسن الخلُق ليِّن الشِّيمة ـ قال : تعلَّم يا عمرو أن آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قَدِمْتَ على صَاحِبكَ فتطاوعا » . وإنك إن عَصيتني لأُطيعَنَّك ، فسلَّم أبو عُبيدة الإمارة لعمرو بن العاص .

وقال محمد بن إسحاق[١] : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَين التَّميمي قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أمَّ العاص بن وائل كانت من بني بليٍّ ، فبعثه رسول الله ﷺ [إليهم] يستألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماءٍ بأرض جذام يقال له : السلاسل . وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل . قال : فلمَّا كان عليه وخاف ، بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأوَّلين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجَّهه : « لا تختلفا » . فخرج أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنَّما جئت مدداً إليَّ . فقال له أبو عبيدة : لا ، ولكنِّي على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلاً ليِّناً سهلاً ، هيِّناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : أنت مددي . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إنَّ رسول الله ﷺ قد قال لي : « لاتختلفا » . وإنك إن عصيتني أطعتك . فقال له عمرو : فإني أميرٌ عليك ، وإنَّما أنت مددٌ لي . قال : فدونك . فصلى عمرو [بن العاص] بالناس .

وقال الواقديُّ[٢] : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أنَّ أبا عبيدة لمَّا آب إلى عمرو بن العاص ، فصاروا خمسمئة ، فساروا الليل والنهار حتى وطيء بلاد بليٍّ ودوَّخها ، وكلَّما انتهى إلى موضع بلغه أنَّه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلمَّا سمعوا بك تفرَّقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليٍّ وعذرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير ، فاقتتلوا ساعةً ، وتراموا بالنَّبل ، ورمي يومئذٍ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهربوا ، وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرَّقوا ، ودوَّخ عمرو ما هناك ، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ، ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٩٩) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٤٠١) .

وقال أبو داود[(١)] : ثنا ابن المثنَّى ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت يحيى بن أيوب يُحَدِّث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عِمْرَان بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السَّلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك . قال : فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « يا عمرو ، صليتَ بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال : فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً .

ثنا[(٢)] محمد بن سلمة ، [ثنا ابن وهب ،] ثنا ابن لهيعة ، وعمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عِمْرَان بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ، أنَّ عمرو بن العاص كان على سرية . فذكر الحديث بنحوه ، قال : فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم صلى بهم . فذكر نحوه ، ولم يذكر التيمم .

قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، وقال فيه : فتيمَّم .

وقال الواقدي[(٣)] : حدثني أفلح بن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيش[(٤)] ، عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا ، احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت ، فإن اغتسلت مت . فدعا بماءٍ فتوضأ ، وغسل فرجه وتيمَّم ، ثم قام فصلى بهم ، فكان أوَّل من بعث عوف بن مالك بريداً ، قال عوف : فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « عوف بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يا رسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ، ثم قال : « أخبرني » . [فأخبرته] بما كان من مسيرنا ، وما كان بين أبي عبيدة وعمرو ، ومطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » . قال : ثم أخبرته أن عَمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماءٌ ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكت رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته ، فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق ، إني لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . قال : فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يبلغنا أنَّه قال له شيئاً .

---

(١) في « سننه » رقم (٣٣٤) ، وهو حديث صحيح .

(٢) القائل أبو داود ، والحديث في « سننه » رقم (٣٣٥) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٤٠١) .

(٤) في (آ) و(ط) : « حدثني أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رُقيش » والتصحيح من « دلائل النبوة » و« تقريب التهذيب » لابن حجر العسقلاني .

وقال ابن إسحاق[1] : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يُعضُّوها[2] ، وكنت امرأً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عَشيراً[3] على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشفرة ، فجزَّأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي ، فاطَّبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنَّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما ، فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيَّآن ما في بطونهما منه ، فلمَّا أن قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، فجئته وهو يصلي في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم ، بأبي أنت وأمي . فقال : « صاحبُ الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع ، بل معضل .

قال الحافظ البيهقي[4] : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن ربيعة بن لقيط ، عن مالك بن هِدم ، أظنُّه عن عوف بن مالك ، فذكر نحوه ، إلا أنَّه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه ، فأخبرته فقال : قد تعجلت أجرك . ولم يأكله . ثم حكى عن أبي عُبَيْدَة مثله ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتمامه كنحو ما تقدَّم .

وقال الحافظ البيهقي[5] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا عليُّ بن عاصم ، ثنا خالد الحَذَّاء ، عن أبي عثمان النَّهْديِّ ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السَّلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدَّثت نفسي أنَّه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده . قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه ، فقلت : يا رسول الله ، من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : إنِّي لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » . قلت : ثم من ؟ حتى عدَّد رهطاً ، قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٥) .
(٢) أي : يقسموها أعضاءً .
(٣) أي : نصيباً .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٠٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٤٠٠) .

وهذا الحديث مخرَّج في « الصحيحين »[(١)] من طريق خالد بن مِهْرَان الحَذَّاء ، عن أبي عثمان النَّهديِّ ، واسمه عبد الرحمن بن مَلٍّ ، حدثني عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السَّلاسل ، فأتيته فقلت : أيُّ الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « ثمَّ عمر بن الخطاب » . فعدَّ رجالاً ، وهذا لفظ البخاري .

وفي رواية[(٢)] : قال عمرو : فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم .

* * *

سَرِيةُ أَبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ إلى سيف البحر[(٣)]

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل ، وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجرَّاح ، وهم ثلاثمئة . قال جابر : وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجُمع كلُّه ، فكان مزودَي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني ، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة . قال : فقلت : وما تعني تمرة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال : ثم انتهينا إلى البحر ، فإذا حوت مثل الظرب . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر براحلة فرحلت ، ثم مرَّت تحتهما فلم تصبهما . أخرجاه في « الصحيحين »[(٤)] من حديث مالك ، بنحوه .

وهو في « الصحيحين » أيضاً[(٥)] من طريق سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمئة راكب ، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد ، حتى أكلنا الخبَط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبَط . قال : ونحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم ثلاثاً ، فنهاه أبو عبيدة . قال : وألقى البحر دابة يقال لها : العنبر . فأكلنا منها نصف شهر وادّهنّا ، حتى ثابت إلينا أجسامنا وصلحت . ثم ذكر قصة الضِّلع . فقوله في الحديث : نرصد عيراً لقريش . دليل على أنَّ هذه السريَّة كانت قبل صلح الحُدَيبية ، والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٢) و(٤٣٥٨) ومسلم رقم (٢٣٨٤) .
(٢) وهي عند البخاري رقم (٤٣٥٨) .
(٣) انظر خبرها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفا » للكلاعي (٢/ ٤٢٨) .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٤٨٣) و(٤٣٦٠) ومسلم رقم (١٩٣٥) (٢١) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٣٦١) و(٥٤٩٤) ومسلم رقم (١٩٣٥) .

والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قَيس بن سَعد بن عُبَادَة ، رضي الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقي[(١)] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، ثنا إسماعيل بن قُتيبة ، ثنا يحيى بن يحيى ، ثنا أبو خَيْثَمَة ، وهو زُهير بن معاوية ، عن أبي الزّبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ ، وأمَّر علينا أبا عُبيدة ، نتلقَّى عيراً لقريش ، وزوَّدنا جِرَاباً[(٢)] من تمرٍ ، لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبيُّ ، ثم نشرب عليها الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعِصيِّنا الخبَط ، ثم نبلُّه بالماء فنأكله . قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر ، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابَّة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة . ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم ؛ فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمئة حتى سمنَّا ، ولقد كنّا نغرف من وقب عينه بالقلال الدُّهن ، ونقتطع منه الفِدَر كالثَّور ، أو كقَدر الثور ، ولقد أخذ منَّا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه ، فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها ، فمرَّ تحتها ، وتزوَّدنا من لحمها وشائقَ ، فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه . ورواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس ، وأبو داود ، عن النُّفيليِّ ، ثلاثتهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي [الكوفي] عن أبي الزُّبير محمد بن مسلم بن تَدْرُس المَكِّي ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، [به] .

قلت : ومقتضى [أكثر] هذه السِّيَاقَات ، أنَّ هذه السريَّة كانت قبل صُلح الحُديبية ، ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقيِّ ، رحمه الله ، فإنَّه أوردها بعد مُؤْتَةَ وقبل غزوة الفتح ، والله أعلم .

وقد ذكر البخاري[(٣)] بعد غزوة مؤتة سرية أُسامة بن زيد إلى الحُرَقَاتِ[(٤)] من جُهينة ، فقال : حدَّثنا عمرو بن محمد ، ثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جندب ، ثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة ، فصبَّحْنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلمَّا غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلمّا قدمنا بلغ النبيَّ ﷺ فقال : « يا أسامة ، أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوِّذاً . فما زال يكرِّرها ، حتى تمنَّيت أنِّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدَّم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/٨٠٤) .
(٢) الجراب : المزود أو الوعاء . انظر « القاموس المحيط » (جرب) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٩) .
(٤) انظر « مراصد الاطلاع » (١/٣٩٣) .

ثم روى البخاري[١] من حديث يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، علينا مرّةً أبو بكر ، ومرّة أُسامة بن زيد ، رضي الله عنهما .

ثم ذكر الحافظ البيهقيُّ[٢] هاهنا موت النجاشي ـ صاحب الحبشة ـ على الإسلام ، ونَعيَ رسول الله ﷺ له إلى المسلمين ، وصلاته عليه[٣] ، فروى من طريق مالك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هُريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ نَعى إلى الناس النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلَّى ، فصفَّ بهم وكبَّر أربع تكبيرات . أخرجاه[٤] من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً[٥] من حديث اللّيث ، عن عقيل ، عن الزهريِّ ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة بنحوه .

وأخرجاه[٦] من حديث ابن جُريج ، عن عطاءٍ ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَاتَ اليومَ رَجُلٌ صَالِحٌ » فصلُّوا على أَصْحَمَة .

وقد تقدَّمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها ، ولله الحمد .

قلت : والظّاهر أن موت النجاشيِّ كان قبل الفتح بكثير ؛ فإنَّ في « صحيح مسلم » أنَّه لمَّا كتب إلى ملوك الآفاق ، كتب إلى النَّجاشيِّ ، وليس هو بالمسلم[٧] ، وزعم آخرون كالواقدي أنَّه هو ، والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي[٨] من طريق مسلم بن خالد الزَّنجيِّ ، عن موسى بن عقبة ، عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لمَّا تزوج النبيّ ﷺ أُمَّ سَلَمة قال : « قد أَهْدَيْتُ إلى النجاشيِّ أواقي من مِسكٍ وحُلّة ، وإنِّي لا أراه إلا قد مات ، ولا أرى الهدية إلا ستُرَدُّ عليَّ ، فإن ردَّت عليَّ ـ أظنُّه قال ـ قسمتها بينكنَّ » أو « فهي لكِ » . قال : فكان كما قاله رسول الله ﷺ ؛ مات النجاشيُّ وردَّت الهدية ، فلمَّا رُدَّت عليه ، أعطى كلَّ

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٠) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤١٠) .
(٣) انظر « عمدة الأحكام » للمقدسي ص (١١٧) بتحقيقي ، ومراجعة والدي وأستاذي المحدّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار الثقافة العربية بدمشق ، و« إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(٥٧ ـ ٨٠) بتحقيقي .
(٤) رواه البخاري رقم (١٢٤٥) و(١٣٣٣) ومسلم رقم (٩٥١) (٦٢) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٣٢٧) و(١٣٢٨) ومسلم رقم (٩٥١) (٦٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (١٣٢٠) و(٣٨٧٧) ومسلم رقم (٩٥٢) (٦٥) .
(٧) قلت : ولكنه أسلم حين وصلته الرسالة وردّ عليها ردّاً حسناً كما هو مبين فيما ساقه ابن طولون من النصوص في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » ص(٥٥ ـ ٥٦) بتحقيقي ، والذي أرجحه هو أن الذي كتب له هو نفسه الذي صلى عليه ، ﷺ .
(٨) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤١٢) .

امرأةٍ من نسائهِ أوقيَّةً من ذلك المِسْكِ ، وأعطى سائره أُمَّ سلمة ، وأعطاها الحُلّة ، والله أعلم .

* * *

غَزْوَةُ الفتح الأعظم(١)

وكانت في رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع ، فقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الآية [الحديد : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر : ١ ـ ٣] .

وكان سبب الفتح بعد هُدنة الحُديبية ما ذكره محمد بن إسحاق ، حدثني الزُّهريُّ ، عن عُرْوَة بن الزّبير ، عن المسور بن مَخْرَمَة ، ومروان بن الحكم ، أنهما حدَّثاه جميعاً قالا : كان في صُلح الحُديبية أنه من شاء أن يدخُل في عقد محمدٍ وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خُزَاعَة وقالوا : نحن ندخل في عقد محمدٍ وعهده . وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم . فمكثوا في تلك الهُدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم إن بني بكر وثبوا على خُزَاعة ليلاً ، بماءٍ يقال له : الوتير . وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمدٌ ، وهذا الليل وما يرانا أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح ، وقاتلوهم معهم ، للضِّغن على رسول الله ﷺ ، وإنَّ عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خُزَاعَة وبني بكر بالوتير ، حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبره الخبر ، وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها : [من الرجز]

لا هُـمَّ إنـي نـاشـدٌ محمـدا ... حِلْـفَ أبيـه وأبينـا الأتلَـدَا

قـد كنتـم وُلـداً وكنـا والـدا ... ثُمَّـت أسلمنـا فلـم ننـزع يـدا

فانصر رَسُولَ الله نصراً أعتدا(٢) ... وادعُ عبـاد الله يـأتـوا مَـدَدا

فيهـم رسـولُ الله قـد تجـرَّدا ... إن سِيـمَ خسفـاً وجهـهُ تـرَبَّـدَا

---

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » (٢/ ٢٢٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٤٧) و« الفصول في سيرة الرسول » ص (١٩٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٧) بتحقيقي و« صحيح السيرة النبوية » (٢/ ٤٧٣) .

(٢) أي : نصراً حاضراً .

فـي فَيْلَقٍ كـالبحر يجري مُزبدا ... إن قـريشـاً أخلفـوك المـوعـدَا
ونقضـوا ميثـاقَـكَ المـؤكَّـدا ... وجعلـوا لـي فـي كَـداءٍ رُصَّـدا
وزعمـوا أن لسـتُ أدعـو أحـدا ... فهـم أذَلُّ وأقـلُّ عـددا
هـم بيّتـونا بـالـوتيـر هُجَّـدا ... وقتَّلـونـا رُكَّعـاً وسُجَّـدا

فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم » . فما برح رسول الله ﷺ حتى مرّت بنا عَنَانَةٌ[١] في السماء ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذه السَّحَابَة لَتَسْتَهِلُّ بنصر بني كعب » . وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز ، وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يُعَمِّي على قريش خبره ، حتى يبغتهم في بلادهم .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان السبب الذي هاجهم ، أنَّ رجلاً من بني الحضرميِّ ، اسمه مالك بن عبَّاد ، من خلفاء الأسود بن رزن خرج تاجراً ، فلمَّا توسط أرض خُزَاعَة ، عدوا عليه ، فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خُزَاعَة فقتلوه ، فعدت خُزَاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدُّئِليِّ ـ وهم منخر بني كنانة وأشرافهم ؛ سلمى وكلثوم وذؤيب ـ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدثني رجل من الدُّئِل قال : كان بنو الأسود بن رزن يودَون في الجاهلية ديتين ديتين .

قال ابن إسحاق[٤] : فبينا بنو بكر وخُزَاعَة على ذلك ، إذ حجز بينهم الإسلام ، فلمَّا كان يوم الحُديبية ، ودخل بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خُزَاعَةُ في عقد رسول الله ﷺ ، وكانت الهُدْنة ، اغتنمها بنو الدُّئل من بني بكر ، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً بأولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدُّئليُّ في قومه ، وهو يومئذٍ سيدُهم وقائدهم ، وليس كلُّ بني بكر تابعة ، فبيَّت خزاعة وهم على الوتير ـ ماءٍ لهم ـ فأصابوا رجلاً منهم ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلمَّا انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : [يا نوفل] إنا قد دخلنا الحرم ! إلهك إلهك . فقال كلمةً عظيمةً : لا إله اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنَّكم لتشرقون في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! ولجأت خزاعة إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة ، وإلى دار مولى لهم يقال له : رافعٌ .

---

(١) أي : سحابة .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٠) .

وقد قال الأخزر بن لُعْطٍ الدُّئليُّ في ذلك[١] : [من الطويل]

ألا هل أتى قُصوى الأحابيش أنَّنا ... رَدَدْنا بني كعبٍ بأفوقَ ناصلِ
حَبَسْنَاهُمُ في دارةِ العبد رافعٍ ... وعندَ بُدَيْل مَحْبِساً غير طَائلِ
بدار الذليل الآخذ الضَّيم بعدما ... شفَينا النُّفوس مِنْهمُ بالمناصلِ
حبسناهمُ حتى إذا طالَ يومهم ... نَفَحْنَا لهم مِنْ كُلِّ شعبٍ بوابلِ
نُذَبِّحُهمْ ذبح التيُوس كأنَّنا ... أُسُودٌ تبارى فيهمُ بالقواصلِ
هم ظلَموننا واعتدَوا في مسيرهمْ ... وكانوا لدى الأنصاب أَوَّل قَاتلِ
كأنَّهم بالجِزْعِ إذ يطرودُنَهم ... قَفَا ثورَ حَفَّانُ النَّعام الجَوَافلِ

قال : فأجابه بُدَيل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له : بُديل بن أُمِّ أَصْرَم ، فقال : [من الطويل]

تعاقد قوم يفخرونَ ولم نَدَعْ ... لهم سيِّداً يندوهمُ غير نافلِ
أمن خيفةِ القوم الأُلى تزدريهمُ ... تجيز الوتير خائفاً غير آيلِ
وفي كلِّ يوم نحن نحبو حباءنا ... لعقلٍ ولا يُحبى لنا في المعاقلِ
ونحن صبحنا بالتَّلاعة داركم ... بأسيافنا يسبقن لوم العواذلِ
ونحن منعنا بين بيض وعتْوَد ... إلى خَيف رضوى من مجرِّ القنابلِ
ويوم الغميم قد تكفَّتَ ساعياً ... عبيس فجعناه بجلد حلاحلِ
أأنْ أجمرت في بيتها أُمُّ بعضكم ... بجعموسها تنزون إن لم نُقَاتلِ
كذبتم وبيتِ اللهِ ما إن قتلتمُ ... ولكن تركنا أمركم في بَلابِلِ

قال ابن إسحاق[٢] : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « كأنكم بأبي سُفيان قد جاءكم يشدُّ في العقد ويزيد في المدة » .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأخبروه بما أصيب منهم ، ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين ، حتى لقوا أبا سفيان بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشدُّ العقد ويزيد في المدة ، وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلمَّا لقي أبو سفيان بُديلاً قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظنَّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، فقال : سرت في

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٢) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٥) .

خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي . قال : فعمَد أبو سفيان إلى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتَّه ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً . ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلمَّا ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عنِّي ؟ فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحبَّ أن تجلس على فراشه . فقال : يا بنية ، والله لقد أصابك بعدي شرٌّ . ثم خرج فأتى رسول الله ﷺ فكلَّمه ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلِّم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل .ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه ، فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وعندها حسن ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا عليُّ ، إنك أمسُّ القوم بي رحماً ، وأقربهم مني قرابةً ، وقد جئت في حاجةٍ ، فلا أرجعنَّ كما جئت بن خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بُنيَّ ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحدٌ على النبيِّ ﷺ . فقال : يا أبا الحسن ، إنِّي أرى الأمور قد اشتدت عليَّ ، فانصحني ؟ قال : والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنَّك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . فقال : أوَترى ذلك مغنياً عنِّي شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنُّ ، ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيُّها الناس ، إنِّي قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلمَّا قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة ، فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى العدوِّ ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار عليَّ بأمر صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني عنَّا شيئاً أم لا ؟ قالوا : بماذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت . قالوا : هل أجاز ذلك محمدٌ ؟ قال : لا . قالوا : ويحك ! ما زادك الرجل على أن لعب بك ، فما يغني عنَّا ما قلت . فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

فائدةٌ ذكرها السُّهيليُّ[١] ، تكلَّم على قول فاطمة في هذا الحديث : وما يُجِيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ . على ما جاء في الحديث : « ويجير على المسلمين أدناهم » . قال : وجه الجمع بينهما ، بأن المراد بالحديث من يجير واحداً أو نفراً يسيراً ، وقول فاطمة فيمن يجير عدوّاً من غزو الإمام إيَّاهم فليس له ذلك . قال : كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوفٌ على إجازة الإمام ، لقوله ﷺ

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٨٥) .

لأمِّ هانئ : « قد أجرنا من أجرت يا أمَّ هانئ » . قال : ويروى هذا عن عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « ويجير عليهم أدناهم » . ما يقتضي دخول العبد والمرأة ، والله أعلم .

وقد روى البيهقي[١] من طريق حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هُريرة قال : قالت بنو كعبٍ : [من الرجز]

لاهُـمَّ إنِّـي نـاشـدٌ محمـداً ... حلـف أبينـا وأبيـه الأَتْلَـدَا
فانصر هداك الله نصراً أعْتدا ... وادع عبـاد الله يـأتـوا مـددا

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة[٢] : ثم إن بني نفاثة من بني الدُّئل أغاروا على بني كعب ، وهم في المدَّة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بني نفاثة ، وأعانتهم قريش بالسلاح والرَّقيق ، واعتزلتهم بنو مدلج ، ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ، وفي بني الدُّئل رجلان هما سيداهم ؛ سلم بن الأسود ، وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممَّن أعانهم صفوان بن أمية ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو ، فأغارت بنو الدُّئل على بني عمرو ، وعامَّتهم ـ زعموا ـ نساءٌ وصبيانٌ وضعفاءُ الرجال ، فألجؤوهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة ، فخرج ركبٌ من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا له الذي أصابهم ، وما كان من قريش عليهم في ذلك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ارجعوا فتفرَّقوا في البلدان » . وخرج أبو سفيان من مكَّة إلى رسول الله ﷺ، وتخوَّف الذي كان ، فقال : يا محمد ، اشدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال رسول الله ﷺ : « ولذلك قدمتَ ؟ هل كان من حدث قِبلكم ؟ » فقال : معاذ الله ، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية ، لا نغيِّر ولا نبدل . فخرج من عند رسول الله ﷺ فأتى أبا بكر فقال : جدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال أبو بكر : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، والله لو وجدت الذَّرَّ تقاتلكم لأعنتها عليكم . ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديداً فأخلقه الله ، وما كان منه متيناً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان : جزيت من ذي رحم شرَّاً . ثم دخل على عثمان فكلَّمه ، فقال عثمان : جواري في جوار رسول الله ﷺ . ثم اتَّبع أشراف قريش يكلمهم ، فكلُّهم ، يقول : عقدنا في عقد رسول الله ﷺ . فلمَّا يئس ممَّا عندهم ، دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلمها ، فقالت : إنما أنا امرأة ، وإنَّما ذلك

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٩) .

إلى رسول الله ﷺ . فقال لها : فأْمري أحد ابنيك . فقالت : إنَّهما صبيَّان ، وليس مثلهما يجير . قال : فكلِّمي عليّاً .

فقالت : أنت فكلِّمه . فكلَّم عليّاً ، فقال له : يا أبا سفيان ، إنَّه ليس أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها ، فأجِر بين عشيرتك . قال : صدقت ، وأنا كذلك ، فخرج فصاح : ألا إنِّي قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرني أحدٌ . ثم دخل على النبيِّ ﷺ فقال : يا محمد ، إني قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرني أحدٌ ولا يردَّ جواري . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟! » فخرج أبو سفيان على ذلك ، فزعموا ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أبو سفيان : « اللهمَّ خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتةً ، ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » . وقدم أبو سفيان مكة ، فقالت له قريش : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله ، لقد أبى عليَّ ، وقد تتبعت أصحابه ، فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أنَّ عليَّ بن أبي طالب قد قال لي : لم تلتمس جوار الناس على محمد ، ولا تجير أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقُّها أن لا يُخفر جواره ؟ فقمت بالجوار ، ثم دخلت على محمد ، فذكرت له أنِّي قد أجرت بين الناس ، وقلت : ما أظنُّ أن تُخفرني . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟! » فقالوا مجيبين له : رضيت بغير رضا ، وجئتنا بما لا يغني عنَّا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك عليٌّ ، لعمر الله ما جوارك بجائز ، وإنَّ إخفارك عليهم لهيِّنٌ . ثم دخل على امرأته فحدَّثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم ، فما جئت بخير . قال : ورأى رسولُ الله ﷺ سحاباً فقال : « إنَّ هذه السحاب لتبِضُّ بنصر بني كعب » . فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجَهاز ، وأمر عائشة أن تجهِّزه وتخفي ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة ، فوجد عندها حنطة تُنسف وتُنقَّى ، فقال لها : يا بنيَّة ، لماذا تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت ، فقال : أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بني الأصفر ؟ ـ وهم الرُّوم ـ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت . قال : فدخل رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله ، أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال : « نعم » . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : « لا » . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال : « لا » . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : « نعم » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، أليس بينك وبينهم مدَّةٌ ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ » قال : وأذَّن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب . وذكر القصة كما سيأتي .

وقال محمد بن إسحاق[١] : حدثني محمد بن جعفرٍ ، عن عُروة ، عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة ، فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمَّى لنا شيئاً ، غير أنَّه قد أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنَّه سائر إلى مكة ، وأمر بالجدّ والتهيُّؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها » . فتجهز الناس ، فقال حَسَّان يحرّض الناس ، ويذكر مصاب خُزَاعَة[٣] : [من الطويل]

عناني ولم أشهد ببطحاء مكَّة	رجال بني كَعْبٍ تحزُّ رِقَابُهَا
بأيدي رجال لم يَسُلّوا سيوفهم	وقتلى كثير لم تجنَّ ثيابها
أَلا لَيْتَ شِعْري هل تنالنَّ نُصرتي	سهيل بن عمرو حرُّها وعقابها
وصفوان عَود حزَّ من شُفر استه	فهذا أوان الحرب شُدَّ عصابها
فلا تأمننَّا يا بن أمِّ مجالد	إذا احتلبت صرفاً وأعصل نابُها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابُها

* * *

قصةُ حاطب بن أبي بَلْتَعَة

قال محمد بن إسحاق[٤] : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزُّبير وغيره من علمائنا قالوا : لمَّا أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكَّة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ـ زعم محمد بن جعفر أنَّها من مزينة ، وزعم لي غيره أنَّها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ـ وجعل لها جُعلاً على أن تبلّغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليَّ بن أبي طالب ، والزُّبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » . فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها عليٌّ : إنِّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، ولتخرِجنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك .

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٧) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٩٦) مع بعض الخلاف .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٨) .

فلمَّا رأت الجدَّ منه قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، أما والله إنِّي لمؤمنٌ بالله وبرسوله ، ما غيَّرت ولا بدلت ، ولكنَّني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلأضرب عنقه ؛ فإنَّ الرَّجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر ، لعلَّ الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر . فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . وأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾ إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلة ، وقد ذكر السهيليُّ[١] أنه كان في كتاب حاطب : إنَّ رسول الله ﷺ قد توجَّه إليكم بجيش كالليل يسير كالسَّيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم ، فإنَّه منجز له ما وعده . قال : وفي « تفسير ابن سَلام »[٢] أنَّ حاطباً كتب : إن محمداً قد نفر ؛ فإمَّا إليكم وإمَّا إلى غيركم ، فعليكم الحذر .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا قُتيبة ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني الحسن بن محمد ، أنَّه سمع عبيد الله بن أبي رافع ، سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإنَّ بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها » . فانطلقنا تعادى بنا خيلُنا حتى أتينا الرَّوضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فقلنا : لتخرجِنَّ الكتاب أو لنلقينَّ الثياب . قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة . إلى ناسٍ بمكَّة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال : « يا حاطب ، ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، لاتعجل عليَّ ، إنِّي كنت امرأ ملصقاً في قريش ـ يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ـ وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضاً

---

(١) في « الروض الأنف » (٧/ ٨٦) .

(٢) ومؤلِّفه الإمام يحيى بن سَلَّام بن أبي ثعلبة التَّيمي البَصْري ثم الإفريقي ، وكان مفسّراً ، فقيهاً ، عالماً بالحديث واللغة . أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم . و« تفسيره » الذي أشار إليه المؤلِّف مخطوط لم يطبع بعد ، ومنه أجزاء في تونس والقيروان ، مات سنة (٢٠٠)هـ . انظر ترجمته ومصادرها والتعليق عليها في « الأعلام » للزركلي (٨/ ١٤٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٧٤) .

بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « أما إنَّه قد صدقكم » . فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنَّه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فأنزل الله السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وأخرجه بقية الجماعة[١] ، إلا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا حُجَينٌ ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنَّ حاطبَ بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكَّة يذكر أنَّ رسول الله ﷺ أراد غزوهم ، فدُلَّ رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب ، فأرسل إليها ، فأخذ كتابها من رأسها ، وقال : « يا حاطب ، أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إنّي لم أفعله غشّاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً ، قد علمت أنَّ الله مظهر رسوله ، ومتمٌّ له أمره ، غير أنِّي كنت عريراً[٣] بين ظَهريهم ، وكانت والدتي معهم ، فأردت أن أتخذ هذا عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال : « أتقتل رجلاً من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله قد اطَّلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم » . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد ، وإسناده على شرط مسلم ، ولله الحمد .

* * *

فصــل

قال ابن إسحاق[٤] : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهريُّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكَديد ، بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مرَّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ـ وقال عروة بن الزُّبير : كان معه اثنا عشر ألفاً .

وكذا قال الزهريُّ وموسى بن عقبة ـ فسبَّعت سُلَيم ، وبعضهم يقول : ألَّفت سليم ـ وألَّفت مزينة ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٤) وأبو داود رقم (٢٦٥٠) والترمذي (٣٣٠٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٥٨٥) .

(٢) في « المسند » (٣/ ٣٥٠) .

(٣) أي دخيلاً غريباً ، ولم أكن من حميمهم .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٩) .

وفي كلِّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاريُّ[(١)] ، عن محمود ، عن عبد الرَّزَّاق ، عن معمر ، عن الزهريِّ نحوه .

وقد روى البيهقي[(٢)] من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهريِّ ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان . قال : وسمعت سعيد بن المسيَّب يقول مثل ذلك ، لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعدما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال : صامِ رسول الله ﷺ حتى بلغ الكَدَيد ـ الماء الذي بين قُديد وعسفان ـ أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخاريُّ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنَّه لم يذكر التَّرديد بين شعبان ورمضان .

وقال البخاريُّ[(٣)] : ثنا عليُّ بنُ عبدِ الله ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ في رمضان ، فصام حتى بلغ عُسفان ، ثم دعا بإناءٍ فشرب نهاراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله ﷺ في السَّفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر .

وقال يونس ، عن إبن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح ، واستعمل على المدينة أبا رُهم كلثوم بن الحصين الغفاريَّ ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكَديد ـ ماءً بين عسفان وأَمَج ـ فأفطر ، ودخل مكة مفطراً ، فكان الناس يرون أن آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر ، وأنَّه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقيُّ[(٤)] : فقوله : خرج لعشر من رمضان . مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق . ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن حامد بن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق ، أنَّه قال : خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان .

ثم روى البيهقيُّ[(٥)] من حديث أبي إسحاق الفزاريِّ ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقيُّ : وهذا الإدراج وهم ، إنما هو من كلام الزهريِّ .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهريِّ قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ـ فتح

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٦) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٠) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣) .

مكة ـ فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثماني سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقيُّ[١] من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكَديد ثم أفطر . فقال الزهريُّ : وإنَّما يؤخذ بالأحدث فالأحدث . قال الزهريُّ : فصبَّح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى « الصَّحيحين » من طريق عبد الرزاق ، والله أعلم .

وروى البيهقيُّ[٢] من طريق سعيد بن عبد العزيز التَّنوخيِّ ، عن عطية بن قيس ، عن قزعة بن يحيى ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاماً حتى بلغنا الكَديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس شَرجين ؛ منهم الصَّائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدوَّ فيه ، أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدَّثني عطية بنُ قيس ، عمَّن حدَّثه ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاماً حتى بلغنا الكَديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصَّائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزل تلقاء العدوِّ ، أمرنا بالفطر ، فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهريُّ من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنَّهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان ، يقتضي أنَّ مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقيُّ[٤] ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، ومحمد بنِ علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمرو بن شعيب ، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ[٥] : ثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤) .
(٣) في « المسند » (٣/ ٨٧) وأصله في « صحيح مسلم » رقم (١١٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤) .
(٥) في « مسنده » رقم (١٦٦٧) .

خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم ، والناس معه مشاة وركباناً ، وذلك في شهر رمضان ، فقيل : يا رسول الله ، إنَّ الناس قد اشتدَّ عليهم الصوم ، وإنَّما ينظرون إليك كيف فعلت . فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماءٌ فرفعه ، فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أُخبر النبيُّ ﷺ أنَّ بعضهم صائمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أولئك العصاة » . وقد رواه مسلم[١] من حديث الثَّقفيِّ والدَّراورديِّ ، عن جعفر بن محمد .

وروى الإمام أحمد[٢] من حديث محمد بن إسحاق ، حدَّثني بُشَير بن يسار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان ، فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكَديد دعا بماءٍ في قعب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون ؛ يُعلمهم أنَّه قد أفطر ، فأفطر المسلمون . تفرَّد به أحمد .

* * *

فصل

في إسلام العبَّاس بن عبد المطَّلب عمِّ النبيِّ ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ابن عمِّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزوميِّ أخي أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة

قال ابن إسحاق[٣] : وقد كان العبَّاس بن عبد المطَّلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق . قال ابن هشام : لقيه بالجُحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهريُّ .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وعبد الله بن أبي أُميَّة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنِيقِ العُقَاب فيما بين مكَّة والمدينة[٥] ، والتمسا الدُّخول عليه ، فكلَّمته أُمُّ سلمة

---

(١) في « صحيحه » رقم (١١١٤) .
(٢) في « المسند » (١/ ٢٦١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠-٤٠١) .
(٥) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص (٤١٩) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .

فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابنُ عمِّك ، وابن عمَّتك وصهرك . قال : « لا حاجة لي بهما ؛ أمَّا ابن عمِّي فهتك عِرْضي[١] ، وأمَّا ابن عمَّتي فهو الذي قال لي بمكَّة ما قال »[٢] . قال : فلمَّا خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنيٌّ له ، فقال : والله ليأذننَّ لي أو لآخذنَّ بيد بنيَّ هذا ، ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلمَّا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ رقَّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه ، واعتذر إليه ممَّا كان مضى منه : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ إنـي يـومَ أحمـلُ رايـةً ... لِتَغْلِـبَ خيـل الـلاَّتِ خيـلِ محمـدِ
لَكَـالْمُـدلـج الحَيْـرَان أظلـم لَيْلُـهُ ... فهـذا أَوَانـي حيـن أُهـدى وأَهْتَـدي
هَـدَانـي هـادٍ غيـر نفسـي ونـالنـي ... مـع الله مـن طَـرَّدْتُ كـلَّ مطـرَّدِ
أَصُـدُّ وأنـأى جـاهـداً عـن محمـدٍ ... وأُدعـى وإنْ لـم أنتسـب مـن محمِـد
هُـمُ مـا هُـمُ مـن لـم يَقُـلْ بِهـواهُـمُ ... وإن كـان ذَا رأي يُلَـمْ ويفنَّـدِ
أُريـد لأُرضيهـم ولَسْـتُ بـلائـطٍ ... مع القوم ما لم أُهد في كل مقعدِ
فقُـلْ لثقيـف لا أُريـد قِتَـالَهَـا ... وقُـل لثقيـفٍ تلـك غيـريَ أَو عـدي
فما كُنْتُ في الجيش الذي نال عَامراً ... وما كان عن جَرَّا لساني ولا يدي
قبـائـلُ جـاءَت مـن بـلادٍ بعيـدةٍ ... نـزائـعُ جـاءت مِـنْ سهـامٍ وسَـرْدُدِ

قال ابن إسحاق[٣] : فزعموا أنَّه حين أنشد رسول الله ﷺ :

. . . . ونـالنـي ... مـع الله مـن طـرَّدت كـلَّ مُطَـرَّد

ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال : « أنت طَرَّدتني كُلَّ مُطَرَّد ! » .

***

فصـل

ولمَّا انتهى رسول الله ﷺ إلى مرِّ الظَّهران[٤] ، نزل فيه فأقام ؛ كما روى البخاريُّ عن يحيى بن بكير ،

---

(١) لأنه كان يؤذي رسول الله ـ ﷺ ـ ويهجوه .
(٢) فهو الذي قال له ﷺ : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سُلَّماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك . قاله السُّهيلي في « الروض الأنف » (٧/ ٨٩) بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠١) .
(٤) مرّ الظَّهران : موضع على مرحلة من مكة . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢٥٧) .

عن اللَّيث ، ومسلم[١] عن أبي الطَّاهر ، عن ابن وهب كلاهما ، عن يونس ، عن الزهريِّ ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : كنَّا مع رسول الله ﷺ بمرِّ الظَّهران نجتني الكباثَ[٢] ، وإنَّ رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالأسود منه فإنَّه أطيب » . قالوا : يا رسول الله ، أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبيٍّ إلا وقد رعاها ؟ » .

وقال البيهقيُّ[٣] : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجَبَّار ، عن يونس بن بُكير ، عن سِنَان بن إسماعيل ، عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لمَّا فرغ أهل مُؤْتَةَ ورجعوا ، أمَرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى مَكّة ، فلمَّا انتهى إلى مرِّ الظَّهران نزل بالعقبة ، فأرسل الجُناة يَجْتَنُون الكَبَاث ، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمر الأراك . قال : فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني . قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حَبَّة طيِّبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقَّة ساقي ابن مسعود وهو يرقى في الشَّجرة فيضحكون ، فقال رسول الله ﷺ : « تَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّة سَاقَيْهِ ؟ فوالذي نفسي بيَدِهِ لهُمَا أَثْقَلُ في الميزان من أُحد » .

وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيءٍ ، جاء به وخياره فيه إلى رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك[٤] :

هَـذَا جَنَـايَ وخِيَـارُه فيـهْ   إذْ كـلُّ جـانٍ يـدهُ إلـى فِيـهْ

وفي « الصَّحيحين »[٥] عن أنس قال : أنفجنا[٦] أرنباً ونحن بمرِّ [الظَّهران] فسعى القوم فلغبوا ، فأدركتها فأخذتها ، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بورِكها أو فخذيها فقبله .

وقال ابن إسحاق[٧] : ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران ، وقد عُمِّيت الأخبار عن قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .

وذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة[٨] أنَّ رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلاً يقتصُّون

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٤٠٦) ومسلم رقم (٢٠٥٠) .
(٢) انظر فوائده في « زاد المعاد » (٤/ ٣٣٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٩) .
(٤) هذا مثل من أمثال العرب الشهيرة . انظره مع مصادره في « معجم الأمثال العربية » (١/ ٣٦٥) لصديقي وزميلي الأستاذ رياض عبد الحميد مراد ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
(٥) رواه البخاري رقم (٢٥٧٢) و(٥٤٨٩) و(٥٥٣٥) ومسلم رقم (١٩٥٣) .
(٦) أي : أثرنا . انظر « لسان العرب » (نفج) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠) .
(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٦) .

العيون ، وخُزَاعَة لا تدع أحداً يمضي وراءها ، فلمّا جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين ، وقام إليه عمر يجأ في عنقه ، حتى أجاره العبَّاس بن عبد المطَّلب ، وكان صاحباً لأبي سفيان .

قال ابن إسحاق[1] : وقال العبَّاس حين نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران : قلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلّي أجد بعض الحطَّابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة . قال : فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قطُّ ولا عسكراً ! قال : يقول بُديل : هذه والله خُزَاعَة حمشتها الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خُزَاعَة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة . فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك ، فدى لك أبي وأُمي ؟ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة ، فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك . قال : فركب خلفي ورجع صاحباه ـ وقال عُرْوَة : بل ذهبا إلى النبي ﷺ فأسلما ، وجعل يستخبرهما عن أهل مكّة . وقال الزهريُّ وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ [قال ابن إسحاق :] قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ . حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدوُّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . [وزعم عُرْوَة بن الزّبير أن عمر وجأ[2] في رقبة أبي سفيان ، وأراد قتله فمنعه منه العباس .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزُّهريِّ أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمَّة جِمالهم ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : وفد رسول الله ﷺ . فلقيهم العباس ، فدخل بهم على رسول الله ، فحادثهم عامَّة الليل ، ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فشهدوا ، وأن محمداً رسول الله ، فشهد حكيم وبديل ، وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك . ثم أسلم بعد الصبح ، ثم سألوه أن يؤمِّن قريشاً ، فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ـ وكانت بأعلى مكة ـ ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ـ وكانت بأسفل مكة ـ ومن أغلق بابه فهو آمن » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٢) .

(٢) وجأه باليد والسكين : ضربه . انظر « القاموس المحيط » (وجأ) .

قال العباس :] ثم خرج [عمر] يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . قال : فاقتحمتُ عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه . قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرته . ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة دوني رجل . فلما أكثر عمر في شأنه . قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن [لو] كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به » . قال : فذهبت به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد . قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أنْ تعلم أني رسول الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أمَّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق فأسلم . قال العباس : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحبُّ هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : « [نعم] من دخل دار أبي سفيان فهو آمن [زاد عُرْوَة : « ومن دخل دار حكيم بن حِزَام فهو آمن » .

وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهريِّ] ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » . فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ؛ حتى تمرَّ به جنود الله فيراها » .

[وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ أن أبا سفيان وبُدَيْلاً ، وحكيم بن حِزَام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل ، .وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحُرمة . فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ ، فعزله عن راية الأنصار ، وأعطاها الزبير بن العوَّام ، فدخل بها من أعلى مكة وغرزها بالحَجون ، ودخل خالد من أسفل مكة ، فلقيه بنو بكر وهذيل ، فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا بالحزْورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد] .

قال [العباس[1] :] فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٢) .

أحبسه . قال : ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرَّت قبيلة قال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : سُلَيم . فيقول : مالي ولسليم . ثم تمرُّ به القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة . حتى نفِدت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلة إلا سألني عنها ، فإذا أخبرته قال : مالي ولبني فلان . حتى مرَّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحَدق من الحديد ، فقال : سبحان [الله] يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً . قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذاً . قال : قلت : النَّجاء إلى قومك . حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت الدَّسم الأحمس ، قبِّح من طليعة قوم . فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرَّنَّكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وذكر عُرْوَة بن الزُّبير أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوهاً كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه عليَّ . فقال له رسول الله ﷺ : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدَّقوني إذ كذَّبتموني ، ونصروني إذ أخرجتموني » . ثم شكى إليه قول سعد بن عبادة حين مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحُرمة . فقال رسول الله ﷺ : « كذب سعد ، بل هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » .

وذكر عُرْوَة أن أبا سُفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ، ورأى الناس يجنحون للصلاة ، وينتشرون في استعمال الطَّهارة خاف وقال للعباس : ما بالهم ؟ قال : إنهم سمعوا النِّداء ، فهم ينتشرون للصلاة . فلما حضرت الصلاةُ ورآهم يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ، ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ! قال : نعم ، والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ[1] ، أنه لما توضَّأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكفَّفون ، فقال : يا عَبَّاس ، ما رأيت كالليلة ولا مُلْكَ كِسْرى وقَيْصَرَ .

وقد روى الحافظ البيهقيُّ[2] ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجَبّار ، عن

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٤٠) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٢) .

يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكَّائيُّ ، عن ابن إسحاق منقطعة . فالله أعلم . على أنه قد روى البيهقيُّ[1] من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زياد البكَّائيِّ ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذكر القصة ، إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال أبو سفيان : وما تسع داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » . قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » . قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » . فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخاريُّ[2] : ثنا عُبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حِزَام ، وبُديل بن وَرْقَاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظَّهران ، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ! فقال بديل بن ورقاء : نيران بني عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله ﷺ ، فأسلم أبو سفيان ، فلما سار ، قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » . فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمرُّ مع رسول الله ﷺ ، تمرُّ كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرَّت كتيبة فقال : يا عباس ، من هذه ؟ قال : هذه غفار . قال : ما لي ولغفار . ثم مرَّت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرَّت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرَّت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار ، عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس ، حبذا يوم الذِّمار . ثم جاءت كتيبة ، وهي أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : « ما قال ؟ » قال : كذا وكذا . فقال : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » . وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال عروة : وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم ، قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوَّام : ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : نعم . قال : وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل مِن أعلى مكة من كَداء ، ودخل رسول الله ﷺ من كُدى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان ؛ حبيش بن الأشعر ، وكُرز بن جابر الفهريُّ .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٣١ ـ ٣٢) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٠) .

وقال أبو داودُ[١] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب ، فأسلم بمرِّ الظَّهران ، فقال له العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان [رجل] يحبُّ هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صِفَةُ دُخُولِهِ ـ ﷺ ـ مَكَّةَ

ثبت في « الصحيحين »[٢] من حديث مالك ، عن الزُّهريِّ ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ دخل مكَّة وعلى رأسه المِغْفَر ، فلما نزعه ، جاءه رجل فقال : إن ابن خَطَل[٣] متعلق بأستار الكعبة . فقال : « اقتلوه » . قال مالك : ولم يكن رسول الله ﷺ ، فيما نرى ، والله أعلم ، محرِماً .

وقال أحمدُ[٤] : ثنا عَفَّان ، ثنا حمَّاد ، أنا أبو الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل [يوم فتح] مكّة وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاء .

ورواه أهل السنن الأربعة[٥] ، من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذيُّ : حسن صحيح .

ورواه مسلم[٦] ، عن قتيبة ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، من غير إحرام[٧] .

وروى مسلم[٨] من حديث أبي أُسامة ، عن مساور الوَرَّاق ، عن جعفر بن عمرو بن حُريث ، عن أبيه

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠٢١) ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٨٦) ومسلم رقم (١٣٥٧) وانظر « جامع الأصول » (٨/ ٣٧٣) .

(٣) ابن خَطَل : هو عبد الله بن خَطَل التيمي ، مشرك ، أمر النبي ﷺ ، بقتله يوم فتح مكة فقتل ، وله قصة . انظر ترجمته وقصته في « جامع الأصول » (١٣/ ٤٥٥) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار ابن الأثير ببيروت .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٦٣) ، وهو حديث صحيح .

(٥) رواه أبو داود رقم (٤٠٧٦) والترمذي رقم (١٧٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٩٧٥٧) وابن ماجه رقم (٢٨٢٢) و(٣٥٨٥) .

(٦) في « صحيحه » رقم (١٣٥٨) .

(٧) جاء في «صحيح مسلم»: دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء . قال النووي: فيه جواز لباس الثياب السوداء وفي الرواية الأخرى: «خطب الناس وعليه عمامة سوداء» فيه جواز لباس الأسود في الخطبة، وإن كان الأبيض أفضل منه، كما ثبت في الحديث «خير ثيابكم البياض» وأما لباس الخطباء السواد في حال الخطبة، فجائز، ولكن الأفضل البياض، وإنما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بياناً للجواز .

(٨) في « صحيحه » رقم (١٣٥٩) (٤٥٣) وليس لفظ « الحرقانية » عنده وإنما سبق إلى ذهن المؤلف رحمه الله من=

قال : كأنِّي أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مَكّة وعليه عِمَامَةٌ حَرَقانيّة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه .

وروى مسلم في « صحيحه » ، والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[1] من حديث عَمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء .

وروى أهل السنن الأربعة[2] من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضي ، عن عمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق[3] ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة قالت : كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تُسمَّى العُقَاب ، وكانت قطعة من مرط مرحَّل .

وقال البخاريُّ[4] : ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة قال : سمعت عبد الله بن مُغَفَّل يقول : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة « الفتح » يرجِّع . وقال[5] : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعت كما رجَّع .

[وقال محمد بن إسحاق[6] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أن] رسول الله ﷺ لمَّا انتهى إلى ذي طُوى ، وقف على راحلته معتجراً بشقَّة برد [حِبَرة] حمراء ، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحل .

وقال الحافظ البيهقيُّ[7] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا دَعْلَج بن أحمد ، ثنا أحمد بن عليٍّ الأبَّار ، ثنا عبد الله بن أبي بكر المقدَّميُّ ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذَقَنه على راحلته متخشعاً .

وقال[8] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو بكر بن بالويه ، ثنا أحمد بن صاعد ، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، ثنا جعفر بن عون ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن أبي مسعود أن رجلاً كلَّم

= رواية النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٩٧٥٩) والله أعلم .

(١) رواه مسلم رقم (١٣٥٨) والترمذي رقم (١٦٧٩) والنسائي رقم (٢٨٦٦) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٥٩٢) والترمذي رقم (١٦٧٩) والنسائي رقم (٢٨٦٦) وابن ماجه رقم (٢٨١٧) ، وهو حديث حسن عند العلماء .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٦٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٨١) .

(٥) القائل (معاوية بن قرَّة) راوي الحديث . وانظر « فتح الباري » (٨/ ١٤) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٥) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٦٨) وهو عند الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وفي إسناده عبد الله بن أبي بكر المقدَّمي ، وهو ضعيف .

(٨) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٩) .

رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فأخذته الرِّعدة ، فقال : « هوِّن عليك ، فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » . قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس ، وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل بن أبي الحارث ، موصولاً .

ثم رواه[١] عن أبي زكريا المزكِّي ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل عن قيس ، مرسلاً ، قال : وهو المحفوظ .

وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكَّة ، في مثل هذا الجيش الكثيف العَرَمْرَم ، بخلاف ما اعتمده سُفَهَاء بني إسرائيل ، حين أُمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ، أي رُكَّعٌ ، يقولون : حِطَّة . فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون : حنطة في شعرة .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا الهيثم بن خارجة ، ثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كَداءِ التي بأعلى مَكَّة ، وتابعه أبو أسامة ووهيب : في كَداء .

ثنا[٣] عُبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن أبيه : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كداء ، وهو أصحُّ .

إن أراد أن المرسل أصحُّ من المسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمدِّ هي المذكورة في الروايتين ، وهي في أعلى مكَّة ، وكُدى مقصوراً في أسفل مكة ، وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدَّم أنَّه ، عليه السلام ، بعث خالد بن الوليد من أعلى مكَّة ، ودخل هو ، عليه السلام ، من أسفلها من كُدى ، وهو في « صحيح البخاريِّ » ، فالله أعلم .

وقد قال البيهقيُّ[٤] : أنبأنا أبو الحسن بن عَبْدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفَّارُ ، ثنا عبد الله بن [الصَّقر ، عن][٥] إبراهيم بن المنذر الحزاميِّ ، ثنا معن ، ثنا عبد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لمَّا دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل ، فتبسَّم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر ، كيف قال حسَّان ؟ » فأنشده أبو بكر ، رضي الله عنه[٦] :

---

(١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٩) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٩٠) .

(٣) القائل البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٩١) .

(٤) في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٦) .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « دلائل النبوة » .

(٦) البيتان في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ١٧) مع بعض الخلاف في ألفاظهما وهما الحادي عشر والثاني عشر من قصيدة مؤلَّفة من واحد وثلاثين بيتاً .

عدمت بنيَّتي إن لم تروها تثير النَّقع من كتفي كَداء[(١)]
ينازعن الأعنَّة مسرَجات يلطِّمهن بالخُمُر النساء

فقال رسول الله ﷺ : « ادخُلُوها مِنْ حَيْثُ قال حَسَّان » .

وقال محمد بن إسحاق[(٢)] : حدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، عن جدتَّه أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لمَّا وقف رسول الله ﷺ بذي طوى ، قال أبو قُحَافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنيَّة ، اظهري بي على أبي قُبيس . قالت : وقد كُفَّ بصره . قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بنيَّة ، ماذا تَرين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السَّواد مقبلاً ومُدْبراً . قال : أي بنيّة ، ذلك الوازع . يعني الذي يأمر الخيل ويتقدَّم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السَّواد .

فقال : قد والله إذاً دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي . فانحطَّت به ، وتلقَّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته . قالت : وفي عنق الجارية طوق من ورِق ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها . قالت : فلمَّا دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلمَّا رآه رسول الله ﷺ قال : « هلاَّ تركت الشَّيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشيَ أنت إليه . قال : فقالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال : « أسلم » . فأسلم . قالت : ودخل به أبو بكر ، وكان رأسه كالثَّغامة بياضاً ، فقال رسول الله ﷺ : « غيِّروا هذا من شعره » . ثم قام أبو بكر ، فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشُد الله والإسلام طوق أختي . فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أي أُخيَّة ، احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل . يعني الصِّدِّيق ذلك اليوم على التَّعيين ؛ لأن الجيش فيه كثرة ، ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس ، ولعل الذي أخذه تأوَّل أنَّه من حربيٍّ ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[(٣)] : ثنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العبَّاس الأصمُّ ، ثنا بحر بن نصر ، ثنا ابن وهب ، أخبرني ابن جريج ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة ، فأتى به النبيَّ ﷺ ، فلمَّا وقف به على رسول الله ﷺ قال : « غيِّروه ولا تقرِّبوه سواداً » .

قال [ابن وهب] : وأخبرني عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ هنَّأ أبا بكر بإسلام أبيه .

---

(١) في رواية هذا البيت إقواء .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٩٦) .

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طوى ، أمر الزُّبير بن العوّام أن يدخل في بعض الناس من كُدى ، وكان الزُّبير على المجنَبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كَداء .

قال ابن إسحاق[٢] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجَّه داخلاً قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلُّ الحرمة . فسمعها رجل ، قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب ، فقال : [يا رسول الله ،] أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟! ما نأمن أن يكون له في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ لعليٍّ : « أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق ، أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مرَّ به . وقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلُّ الحرمة ـ يعني الكعبة ـ فقال النبيُّ ﷺ : « بل هذا يوم تعظَّم فيه الكعبة » . وأمر بالراية ـ راية الأنصار ـ أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دُفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ : دفعها إلى الزُّبير بن العوام . فالله أعلم .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، ثنا عبد الله بن السَّريِّ الأنطاكيُّ ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، وحدَّثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة ، فجعل يهزُّها ويقول : اليوم يوم الملحمة ، يوم تستحلُّ الحرمة . قال : فشقَّ ذلك على قريش وكبُر في نفوسهم . قال : فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول[٣] : [من الخفيف]

يـا نبـيَّ الهُـدى إليـك لَجَـا حَيْـ	ـيُ قـريـشٍ ولاتَ حيـنَ لَجَـاءِ
حيـن ضـاقـت عليهـمُ سَعَـةُ الأر	ضِ وعَـادَاهُـمْ إلـهُ السَّمَـاءِ
[والتقـت حلقتـا البِطَـانِ علـى القـو	مِ ونُـودُوا بـالصَّيلـم الصَّلعـاءِ][٤]
إن سعـداً يـريـد قـاصِمَـةَ الظَّهْـ	ـرِ بـأهـل الحَجُـونِ والبَطْحَـاءِ
خَـزْرَجـيٌّ لـو يستطيـعُ مـن الغَيْـ	ـظِ رَمَـانَـا بـالنَّسـر والعَـوَّاءِ
فَـانهَيَـنْـهُ فـإنّـه الأَسَـدُ الأسْـ	ـودُ واللّيـث والـغٌ فـي الـدِّمَـاءِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٦) .
(٣) الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسابع والثامن في « الروض الأُنف » للسهيلي (٧/٩٩ ـ ١٠٠) ونسبها لضرار بن الخطّاب .
(٤) هذا البيت لم يرد في (آ) و(ط) وأثبته من « الروض الأنف » (٧/ ١٠٠) .

فلئـــن أقحـــم اللـــواءَ ونَـــادَى ... يـــا حُمَـــاةَ اللّـــوَاءِ أَهْـــلَ اللّـــواءِ
لتكُـــونَـــنَّ بـــالبطَـــاحِ قـــريـــشٌ ... بقعـــة القـــاع فـــي أكـــفِّ الإمـــاءِ
إنّـــه مُصْلَـــتٌ يُـــريـــد لهـــا الـــرأ ... يَ صَمُـــوتٌ كـــالحيَّـــةِ الصَّمَّـــاءِ

قال : فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورَأفةٌ بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ، ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد . قال : فيروى أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أحبَّ أن لا يخيِّبها إذ رغبت إليه واستغاثت به ، وأحبَّ أن لا يغضب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه .

قال ابن إسحاق[1] : وذكر ابن أبي نَجيح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط أسفل مكَّة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى، وفيها: أسلم، وسليم، وغفار، ومزينة ، وجهينة، وقبائل من قبائل العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجرَّاح بالصَّفِّ من المسلمين، ينصبُّ لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، فضربت له هنالك قُبَّتُهُ .

وروى البخاريُّ[2] ، من حديث الزُّهريِّ ، عن عليِّ بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أُسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله ، أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رِباع ؟ » . ثم قال : « لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن » .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا أبو اليَمَان، ثنا شعيب ، ثنا أبو الزِّناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبي سلمى عن أبي هُريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: « منزلنا ـ إن شاء الله، إذا فتح الله ـ الخَيْفُ، حيث تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ » .

وقال الإمام أحمد[4] : ثنا يونس ، ثنا إبراهيم ، يعني ابن سعد ، عن الزُّهريِّ ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « منزلنا غداً ، إن شاء الله ، بخَيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » . ورواه البخاريُّ[5] من حديث إبراهيم بن سعد ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق[6] : وحدَّثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صَفْوَان بن أُمية ، وعِكْرِمَة بن أبي جهل ، وسُهَيل بن عمرو ، كانوا قد جمعوا ناساً بالخَنْدَمَةِ ليقاتلوا ، وكان حِمَاسُ بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر يُعِدُّ سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٧) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٥٨٨) و(٤٢٨٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٤) .
(٤) في « المسند » (٢/ ٣٥٣) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٥) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٧) .

تُعِدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله إني لأرجو أن أُخدمك بعضهم . ثم قال : [من الرجز]

إن يُقْبلوا اليوم فما لي عِلَّهْ هَـذَا سِـلاَحٌ كَـامِـلٌ وأَلَّـهْ
وذو غِرَارَينِ سريعُ السَّلَّهْ

قال : ثم شهد الخَنْدَمَةَ[1] مع صفوان ، وعِكْرِمَة ، وسهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بني محارب بن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقذ ، وكانا في جيش خالد ، فشذا عنه ، فسلكا غير طريقه ، فقتلا جميعاً ، وكان قبل كرز قتل خنيس . قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهنيُّ ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال : [من الرجز]

إنّـك لـو شَهِـدْتِ يـوم الخَنْـدَمَـه إذ فـرَّ صَفْـوانُ وفَـرَّ عِكْـرِمَـهْ
وأبـو يـزيـدَ قـائـمٌ كـالـموتَـمَـهْ[2] واستقبلتهـم بـالسيـوف المسلمـهْ
يقطعـن كـلَّ سـاعـد وجُمجمـة ضـربـاً فـلا يسمـع إلا غمغمـهْ
لهـم نَهيـت خلفنـا وهمهمـة لـم تنطقي فـي اللوم أدنـى كلِمـهْ

قال ابن هشام[3] : وتُروى هذه الأبيات للرَّعَّاش الهُذليِّ .

قال : وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

وقال الطبرانيُّ[4] : ثنا عليُّ بن سعيد الرازيُّ ، ثنا أبو حسان الزِّياديُّ ، ثنا شعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرَّم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حِياله من السماء حرام ، وإنه لا يحلُّ لأحد قبلي ، وإنما حلَّ لي ساعة من نهار ، ثم عاد كما كان » . فقيل له : هذا خالد بن الوليد يقتل . فقال : « قم يا فلان فأْت خالد بن الوليد ، فقل له فليرفع يديه من القتل » . فأتاه الرجل فقال : إن النبيَّ ﷺ

---

(١) الخندمة : جبل بمكّة . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٨٤) .
(٢) قال الخشني : الموتمة : هي التي قتل زوجها فبقي لها أيتام . « شرح غريب السيرة » (٣/ ٧٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٠٩) .
(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (١١٠٠٣) وفي « الأوسط » رقم (٣٨٧٨) وفي « سنده » شعيب بن صفوان الثقفي وهو ضعيف عند التفرد ، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، ورواية شعيب بن صفوان عنه بعد الاختلاط .

يقول : اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين إنساناً ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال : « ألم أنهك عن القتل ؟ » فقال : جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرتُ عليه . فأرسل إليه : « ألم آمرك ؟ » قال : أردتُ أمراً ، وأراد الله أمراً ، فكان أمر الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فسكت عنه النبيُّ ﷺ ، فما ردَّ عليه شيئاً .

قال ابن إسحاق[١] : وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سمَّاهم ، وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، وهم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ؛ كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتدَّ ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكَّة وقد أهدر دمه ، فرَّ إلى عثمان ، وكان أخاه من الرَّضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له ، صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : « نعم » . فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمتُّ فيقتله » . فقالوا : يا رسول الله ، هلا أومأت إلينا ؟ فقال : « إن النبيَّ لا يقتُل بالإشارة » .

وفي رواية : « إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين » .

قال ابن هشام[٢] : وقد حَسُنَ إسلامه بعد ذلك ، وولاه عمر بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح ، أو بعد انقضاء صلاتها في بيته ، كما سيأتي بيانه .

قال ابن إسحاق[٣] : وعبد الله بن خطل ؛ رجل من بني تيم بن غالب ـ قلت : ويقال : إن اسمه عبد العزَّى بن خطل . ويحتمل أنه كان كذلك ، ثم لما أسلم سمِّي عبد الله ـ ونما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدِّقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ، ثم ارتدَّ مشركاً[٤] ، وكان له قَينتان ؛ فَرْتَنَى وصاحبتها ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قَينتيه ، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الأسلميُّ ، وسعيد بن حُريث المخزوميُّ ، وقتلت إحدى قَينتيه ، واستؤمن للأخرى . قال : والحُويرث بن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قصيٍّ ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكَّة ، ولما تحمَّل العباس بفاطمة وأمِّ كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة ، نخس بهما الحُويرث هذا الجمل الذي هما عليه ، فسقطتا إلى الأرض ، فلما أُهدر دمه قتله عليُّ بن أبي طالب . قال : ومِقْيَس بن صُبابة ؛ لأنه قتل قاتل أخيه خطأً بعدما أخذ الدِّيَة ، ثم ارتدَّ مشركاً ، قتله رجل من قومه يقال له : نُميلة بن عبد الله . قال : وسَارَة

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٩-٤١٠) .

(٤) ولتمام الفائدة انظر « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » (٤/ ٦١) وتعليقي على « عمدة الأحكام » ص (١٥٧) .

مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل ؛ لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكَّة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحمَّلت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة ، وكأنها عُفي عنها أو هربت ثم أُهدر دمها ، والله أعلم ، فهربت حتى استُؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمَّنها ، فعاشت إلى زمن عمر فأَوطَأها رجلٌ فرساً فماتت . وذكر السُّهيليُّ[١] أن فَرْتَنَى أسلمت أيضاً .

قال ابن إسحاق[٢] : وأما عِكْرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أُمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، واستأمنت له من رسول الله ﷺ فَأَمَّنه ، فذهبت في طلبه ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم .

وقال البيهقي[٣] : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمِش الفقيه ، أنبأ أبو بكر محمد بن الحسين القطَّان ، أنبأ أحمد بن يوسف السُّلميُّ ، ثنا أحمد بن المفضَّل ، ثنا أسباط بن نصر الهمدانيُّ ، قال : زعم السُّدِّيُّ ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلِّقين بأستار الكعبة » . وهم عِكْرِمَة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خَطَل ، ومِقْيَسُ بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح . فأما عبد الله بن خَطَل فأُدرك وهو متعلِّق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حُريث ، وعمَّار بن ياسر ، فسبق سعيد عمَّاراً ، وكان أشبَّ الرجلين ، فقتله ، وأما مِقْيَسُ فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عِكْرِمَةُ فركب البحر فأصابتهم قاصف ، فقال أهل السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا . فقال عكرمة : والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجي في البرِّ غيره ، اللهم إنَّ لك عليَّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه ، أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنَّه عفوّاً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح فإنه اختبأ عند عثمان بن عَفَّان ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، بايع عبد الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ، كلُّ ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا : ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ، هلا أومأت إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين » .

ورواه أبو داود والنَّسائيُّ[٤] من حديث أحمد بن المفضَّل به نحوه .

---

(١) انظر « الرّوض الأنف » (٧/ ١١١) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٠) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٥٩) .

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٦٨٣) والنسائي رقم (٤٠٧٨) ، وهو حديث صحيح .

وقال البيهقيُّ[١] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصمُّ ، أنبأنا أبو زُرعة الدِّمشقيُّ ، ثنا الحَسن بن بِشْر الكُوفيُّ ، ثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أمَّن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مَكّة إلا أربعة ؛ عبد العزَّى بن خَطَل ، ومِقْيَس بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وأُمَّ سَارَة .

فأمّا عبد العزَّى بن خَطَل فإنه قُتل وهو متعلِّق بأستار الكعبة . قال : ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عَفّان من الرَّضاعة ، فأتى به رسولَ الله ﷺ ليشفع له ، فلما بُصر به الأنصاريُّ اشتمل على السَّيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ ، فجعل يتردَّد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبيُّ ﷺ يده فبايعه ، ثم قال للأنصاريِّ : « قد انتظرتك أن توفي بنذرك » . قال : يا رسول الله ، هِبْتك ، أفلا أَومَضْتَ إليَّ ؟ قال : « إنه ليس للنبيِّ أن يُومِض » .

وأما مِقْيَس بن صُبَابة ، فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ، ثم ارتداده بعد ذلك . قال : وأما أُمُّ سَارَة فكانت مولاة لقريش ، فأتت النبيَّ ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئاً ، ثم بعث معها رجلٌ بكتاب إلى أهل مكّة ، فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة .

وروى محمد بن إسحاق[٢] ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن مِقْيَس بن صُبابة قُتل أخوه هشام يوم بني المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنُّه مشركاً ، فقدم مِقْيَس مظهراً للإسلام ليطلب دِيَة أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع إلى مَكَّة مشركاً ، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قُتِلَ وهو بين الصَّفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقيُّ[٣] شعره حين قتل قاتل أخيه ، وهو قوله : [من الطويل]

شفى النفس من[٤] قد بات بالقاع مسنداً	يضرِّج ثوبيه دماءُ الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله	تلمُّ وتنسيني وطاء المضاجع
قتلت به فِهراً وغرَّمت عقله	سَراة بني النَّجّار أرباب فارع
حللت به نذري وأدركت ثؤرتي	وكنت إلى الأوثان أول راجع

[قلت :] وقيل : إن القَينتين اللّتين أُهدر دمهما كانتا لمِقْيَس بن صُبابة هذا ، وإنَّ ابن عمه قتله بين الصفا والمروة .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٠) .
(٢) وهو عند البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦١) من طريقه .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٣) و« دلائل النبوة » (٥/ ٦١) .
(٤) في « السيرة النبوية » و« دلائل النبوة » : « أن » .

وقال بعضهم : قتل ابن خَطَل الزُّبير بن العَوَّام ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[١] : حدَّثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرَّة مولى عقيل بن أبي طالب ، أن أُمَّ هانىء ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم .

قال ابن هشام[٢] : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أُمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق[٣] : وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزوميِّ ، قالت : فدخل عليَّ أخي عليُّ بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنّهما . فأغلقتُ عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مَكَّة ، فوجدته يغتسل من جفنة[٤] ، إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشَّح به ، ثم صلى ثمانيَ ركعات من الضحى ، ثم انصرف إليَّ ، فقال : « مرحباً وأهلاً بأُمِّ هانئ ، ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليٍّ ، فقال : « قد أجرنا من أَجْرتِ وأَمَّنَّا من أَمَّنتِ ، فلا يَقْتُلُهما » .

وقال البخاريُّ[٥] : ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، عن ابن أبي ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبيَّ ﷺ يصلِّي الضُّحى غير أمِّ هانئ ، فإنها ذكرت أنه يوم فتح مَكّة اغتسل في بيتها ، ثم صلَّى ثمانيَ ركعات . قالت : ولم أره صلَّى أخفَّ منها ، غير أنه يتمُّ الرّكوع والسجود .

وفي « صحيح مسلم »[٦] من حديث اللَّيث ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن سعيد بن أبي هند ، أن أبا مُرّة مولى عقيل حَدَّثَهُ أن أمَّ هانىء بنت أبي طالب حدَّثته أنه لما كان عام الفتح ، فَرَّ إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتْهما ، قالت : فدخل عليَّ عليٌّ فقال : أقتلهما . فلما سمعتُه أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مَكّة ، فلما رآني رحَّب ، وقال : « ما جاء بكِ ؟ » قلت : يا نبيَّ الله ، كنت أمَّنت رجلين من أحمائي ، فأراد عليٌّ قتلهما . فقال رسول الله ﷺ : « قد أجرنا من أجرتِ يا أمَّ هانئ » .

ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ، ثم صلى ثمانيَ ركعات سبحة الضُّحى .

وفي رواية[٧] : أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٤) الجفنة : كالقصعة . انظر « مختار الصحاح » (جفن) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٢) .
(٦) رقم (٣٣٦) (٧١) مختصراً في الحيض : باب تستر المغتسل بثوب ونحوه ، واللفظ الذي ساقه المؤلف فهو للبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٨٠) .
(٧) وهي بنحوها عند البخاري في « صحيحه » رقم (٣٥٧) وعند مسلم رقم (٣٣٦) (٨٢) .

أمُّ هانئ . قال : « مرحباً بأمِّ هانئ » . قالت : يا رسول الله ، زعم ابن أمِّي عليٌّ بن أبي طالب أنه قاتلٌ رجلين قد أجرتهما . فقال : « قَدْ أَجَرْنَا من أجرت يا أمَّ هانئ » . قالت : ثم صلى ثماني ركعات ، وذلك ضحى . فظَن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح . وجاء التصريح بأنه كان يسلِّم مِنْ كلِّ ركعتين .

وهو يردُّ على السهيلي[١] وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانياً بتسليمة واحدة .

وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ، ثماني ركعات ، يُسَلّم من كل ركعتين ، ولله الحمد .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صَفية بنت شَيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكَّة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الرُّكن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها فوجد فيها حَمَامَةً من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفَّ له الناس في المسجد .

وقال موسى بن عقبة[٣] : ثم سَجَدَ سَجْدَتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطَّلع فيها ودعا بماءٍ فشرب منها وتوضأ ، والناس يبتدرون وضوءه ، والمشركون يتعجَّبون من ذلك ، ويقولون : ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به ـ يعني مثل هذا ـ وأخَّر المقام إلى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق[٤] : فحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلُّ مأثُرة أو دم أو مال يُدَّعى فهو موضوع تحت قدميَّ هاتين ، إلا سِدانة البيت وسقاية الحاجِّ ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسَّوط والعصا ففيه الدية مغلَّظة ؛ مئة من الإبل ؛ أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية كلها [الحجرات ١٣] . ثم قال : « يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطُّلقاء » . ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه عليُّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ،

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ١٠٨) والمقصود بقوله : « وغيره » الطبري كما جاء مبيناً عند السُّهيلي .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٢) ، وإسناده معضل . قال الحافظ العراقي في تخريجه : رواه ابن الجوزي في « الوفا » من طريق ابن أبي الدنيا ، وفيه ضعف .

فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السّقَاية ، صلّى الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعي له فقال : « هاكَ مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا سفيان ، عن ابن جُدْعَان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ، يوم فتح مَكَّة، وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدَق وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزم الأحزاب وحدَه، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسَّوط أو العصا فيه مئة من الإبل ». وقال مرة أخرى: « مغلَّظة فيها، أربعون خَلِفة في بطونها أولادها، ألا إن كلَّ مأثُرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى ـ وقال مرة: ومال ـ تحت قدميَّ هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاجِّ وسِدَانَة البيت ، فإني أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » .

وهكذا رواه أبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجة[٢] من حديث علي بن زيد بن جُدْعَان ، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفانيِّ ، عن ابن عمر به .

قال ابن هشام[٣] : وحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم ، عليه السلام ، مصوَّراً في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ؟! ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ » [آل عمران : ٦٧] ثم أمر بتلك الصُّور كلِّها فطمست .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا سليمان ، أنبأ عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان في الكعبة صور ، فأمر رسول الله ﷺ [عمر بن الخطاب] أن يمحوها ، فبلَّ عمر ثوباً ومحاها به ، فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء .

وقال البخاريُّ[٥] : ثنا صدقة بن الفضل ، ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمئة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، جاء الحقُّ وما يبدىء الباطل وما يعيد » .

وقد رواه مسلم[٦] من حديث ابن عُيينة .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢ / ١١)، إسناده ضعيف بطوله ، ولأوله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود رقم (٤٥٤٧) فهو به حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٥٤٩) وابن ماجة رقم (٢٦٢٨) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٤١٣) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣ / ٣٩٦) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٧) .

(٦) رقم (١٧٨١) في الجهاد والسّير : باب إزالة الأصنام من حول الكعبة .

وروى البيهقيُّ[١] ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عليِّ بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة ثلاثمئة صنم ، فأخذ قضيبه فجعل يهوي به إلى الصنم ، وهو يهوي ، حتى مرَّ عليها كلِّها .

ثم من طريق سويد ، عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مَكَّة وجد بها ثلاثمئة وستين صَنماً ، فأشار إلى كلِّ صنم بعصاً وقال : « جاء الحقّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فكان لا يشير إلى صَنَمٍ إلا ويَسْقُطُ من غير أن يمسَّه بعصاه .

ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً ، فالذي قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق[٢] : أنبأنا أبو الربيع ، عن يعقوب القمِّيِّ ، ثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبزى قال : لمَّا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، جاءت عجوز شمطاء حبشيَّة تخمش وجهها ، وتدعو بالويل ، فقال رسول الله ﷺ : « تلك نائلة ، أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام[٣] : حدَّثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أنَّه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها ، وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرَّصاص ، فجعل النبيُّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أَسدٍ الخزاعيُّ : [من الوافر]

وفي الأصنام معتبَرٌ وعلمٌ لمن يرجو الثّواب أو العِقَابَا

وفي « صحيح مسلم »[٤] عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة ، قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه ، وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله ﷺ قوس ، وهو آخذ بسِيتها ، فلمَّا أتى على الصنم ، جعل يطعُن في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فلمَّا فرغ من طوافه أتى الصفا ، فعلا عليه ، حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٦) .
(٤) رقم (١٧٨٠) .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبد الصّمد، ثنا أبي ، ثنا أيوب ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا قدم مَكَّة، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخرجت ، فأُخرج صورة إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، وفي أيديهما من الأزلام، فقال: « قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقسما بها قطُّ » . ثم دخل البيت ، فكبَّر في نواحي البيت ، وخرج ولم يصلِّ . تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا عبد الصمد ، ثنا همام ، ثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سوار ، فقام إلى كلِّ سارية ، فدعا ولم يصلِّ فيه . ورواه مسلم ، عن شيبان بن فرُّوخ ، عن همام بن يحيى العوذيِّ ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا هارون بن معروف ، ثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أنَّ بكيراً حدَّثه عن كريب ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمَّا هم فقد سمعوا أنَّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوَّراً ، فما باله يستقسم ؟! » .

وقد رواه البخاريُّ والنسائيُّ[٤] من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزريُّ، أنَّه سمع مِقسماً يحدِّث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ، ثم خرج فصلَّى ركعتين . تفرَّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا إسماعيل ، أخبرنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى في البيت ركعتين .

قال البخاريُّ[٧] : وقال الليث : ثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته ، مردفاً أسامة بن زيد ، [ومعه بلال] ، ومعه عثمان بن طلحة ، من الحجبة ، حتى أناخ في المسجد ، فأمره أن يأتي بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهاراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناسُ ، فكان عبد الله بن عمر أول

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣١١) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٣٣١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٧٧) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٣٥١) والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٧٧٢) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٨٣) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠) ، وهو حديث صحيح .
(٧) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٨٩) تعليقاً ورقم (٢٩٨٨) موصولاً .

من دخل ، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلَّى فيه . قال عبد الله : فنسيت أن أسأله كم صلَّى من سجدة .

ورواه الإمام أحمد(١) ، عن هشيم ، ثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن عباس ، وأسامة بن زيد ، وعثمان بن طلحة ، وبلال ، فأمر بلالاً فأجاف عليهم الباب ، فمكث فيه ما شاء الله ، ثم خرج . قال ابن عمر : فكان أوَّل من لقيت منهم بلالاً ، فقلت : أين صلَّى رسول الله ﷺ ؟ قال : هاهنا بين الأسطوانتين .

قلت : وقد ثبت في « صحيح البخاريِّ » وغيره(٢) ، أنَّه ﷺ صلى في الكعبة تلقاء وُجهة بابِها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربيِّ مقدار ثلاثة أذرع .

قال ابن هشام(٣) : وحدَّثني بعض أهل العلم ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذِّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتَّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتَّاب : لقد أكرم الله أَسِيداً أن لا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محقٌّ لاتَّبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلَّمت لأَخبرت عني هذه الحصا . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « قد علمت الذي قلتم » . ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتَّاب : نشهد أنَّك رسول الله ، ما اطَّلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني والدي ، حدَّثني بعض آل جبير بن مطعم ، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مكة أمر بلالاً ، فعلا على الكعبة على ظهرها ، فأذَّن عليها بالصلاة ، فقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع(٤) هذا الأسود على ظهر الكعبة .

وقال عبد الرزاق(٥) ، عن معمر ، عن أيوب قال : قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذَّن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعِد ؟! فقال : دعه ، فإن يكن الله يكرهه ، فسيغيِّره .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/٣) ، وهو حديث صحيح ، لكن قوله : ومعه الفضل بن عباس شاذ .
(٢) هو عند البخاري رقم (٥٠٥) وعند أبي داود رقم (٢٠٢٣) وعند النسائي رقم (٧٤٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٣) .
(٤) في « دلائل النبوة » للبيهقي : « قبل أن يرى » .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٧٩) .

وقال يونس بن بكير وغيره ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين .

وقال محمد بن سعد[١] ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، أنَّ أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً ، فقال في نفسه : لو جمعت لمحمد جمعاً ، فإنَّه ليحدِّث نفسه بذلك ، إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال : « إذاً يُخْزِيْكَ الله » . قال : فرفع رأسه ، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه ، فقال : ما أَيْقَنْتُ أنَّك نبيٌّ حتى السَّاعة .

قال البيهقيُّ : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة ، أنبأنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسن المقرى ، أنبأنا أحمد بن يوسف السُّلميُّ ، ثنا محمد بن يوسف الفِرْيَابيُّ ، ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السَّفر ، عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطؤون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال . فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال : « إذاً يخزيك الله » . فقال : أتوب إلى الله ، وأستغفر الله مما تفوَّهتُ به . ثم روى البيهقيُّ ، من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشَّرقيِّ ، عن محمد بن يحيى الذُّهليِّ ، ثنا [محمد] بن موسى بن أعين الجزريُّ ، ثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لمَّا كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « قلت لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله » . فقال أبو سفيان : أشهد أنَّك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا إسحاق ، ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، أخبرني حسن بن مسلم ، عن مجاهد ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لم تحلَّ لأحد قبلي ، ولا تحلُّ لأحد بعدي ، ولم تحلل لي إلا ساعة من الدَّهر ، لا ينفَّر صيدها ، ولا يعضد شوكها ، ولا يختلى خلاها ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » . فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ؛ فإنَّه لا بدَّ منه للقَين والبيوت . فسكت ثم قال : « إلا الإذخر ، فإنَّه حلال » .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٠٢) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣١٣) .

وعن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم ـ هو ابن مالك الجزريُّ ـ عن عكرمة[١] ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ . تفرّد به البخاريُّ من الوجه الأوَّل ، وهو مرسل ، ومن الوجه الثاني أيضاً .

وبهذا الحديث وأمثاله استدلَّ من ذهب إلى أن مَكَّة فتحت عَنْوَة ، وللوقعة التي كانت في الخَنْدَمَة[٢] ، كما تقدَّم ، وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين ، وهي ظاهرة في ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعيِّ أنها فتحت صلحاً ؛ لأنها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » . وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله تعالى .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سعيد بن شرحبيل ، ثنا الليث ، عن المقبريِّ ، عن أبي شريح العدويِّ ، أنَّه قال لعمرو بن سعيد ، وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيُّها الأمير ، أحدِّثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعتْه أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلَّم به ؛ إنَّه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إنَّ مكة حرَّمها الله ولم يحرِّمها الناس ، لا يحلُّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجراً ، فإنْ أحد ترخَّص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إنَّ الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم . وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهد الغائب » . فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو ؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارّاً بدم ، ولا فاراً بخربة .

وروى البخاريُّ أيضاً ومسلم[٤] ، عن قتيبة ، عن اللّيث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق[٥] أن رجلاً يقال له : ابن الأَثْـوَع . قتل رجلاً في الجاهلية من خُزَاعَة يقال له : أحمر بأساً . فلمَّا كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع وهو بمكة ، قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ : « يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلاً لأدينَّه » .

---

(١) يعني (عكرمة البَرْبَرِيّ) مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، مات سنة (١٠٤) وقيل (١٠٥)هـ . انظر « تقريب التهذيب » ص(٣٩٧) و« شذرات الذهب » (٢/ ٣٢) بتحقيقي .

(٢) الخندمة : جبل بمكَّة . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٨٤) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٥) .

(٤) هو عند البخاري رقم (١٨٣٢) وعند مسلم رقم (١٣٥٤) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلميُّ ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لمَّا بلغ رسولَ الله ﷺ ما صنع خراش بن أميَّة قال : « إنَّ خراشاً لقتَّال » .

وقال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني سعيد بن أبي سعيد المقبريُّ ، عن أبي شريح الخزاعيِّ العدويِّ قال : لمَّا قدم عمرو بن الزّبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلمَّا كان الغد من يوم الفتح ، عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال : « يا أيُّها الناس ، إن الله قد حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة ، فلا يحلُّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ، ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحلُّ لأحد يكون بعدي ، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة ؛ غضباً على أهلها ، ألا ثُمَّ قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إنَّ رسول الله ﷺ قد قاتل فيها . فقولوا : إنَّ الله قد أحلَّها لرسوله ، ولم يحلَّها لكم . يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينَّه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النَّظرين ؛ إن شاؤوا فدم قاتله ، وإنْ شاؤوا فعقله » . ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيُّها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية . فقال أبو شريح : إني كنتُ شاهداً ، وكنتَ غائباً ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلِّغ شاهدنا غائباً ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك .

قال ابن هشام[٣] : وبلغني أنَّ أوَّل قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع ، قتلتْه بنو كعب ، فوداه رسول الله ﷺ بمئة ناقة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : لمَّا فتحت مكَّة على رسول الله ﷺ قال : « كُفُّوا السّلاح ، إلا خُزَاعَة عن بني بكر » . فأذن لهم حتى صلَّى العصر ، ثم قال : « كفُّوا السلاح » . فلقي رجل من خُزَاعَة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال ـ فرأيته وهومسند ظهره إلى الكعبة قال ـ : « إنَّ أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية » . وذكر تمام الحديث ، وهذا غريب جداً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٧٩) ، وإسناده حسن ، ولبعضه شواهد يصح بها .

وقد روى أهل السُّنَن[١] بعض هذا الحديث ، فأما ما فيه من أنه رخَّص لخُزَاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر إلى العصر من يوم الفتح ، فلم أره إلا في هذا الحديث[٢] ، وكأنه ـ إن صحَّ ـ من باب الاختصاص لهم ممَّا كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير . والله أعلم .

وروى الإمام أحمد[٣] ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عيينة ، ويزيد بن هارون ، ومحمد بن عبيد ، كلُّهم عن زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبيِّ ، عن الحارث بن مالك ابن البرصاء الخزاعيِّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : « لا تُغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة » .

ورواه الترمذيُّ[٤] ، عن بُنْدَار ، عن يحيى بن سعيد القطَّان به ، وقال : حسن صحيح .

قلت : فإن كان نهياً ، فلا إشكال ، وإن كان نفياً ، فقال البيهقيُّ[٥] : معناه على كفر أهلها .

وفي « صحيح مسلم »[٦] من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبيِّ ، عن عبد الله بن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدويِّ قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكَّة : « لا يقتل قرشيٌّ صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة » . والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام[٧] : وبلغني أنَّ رسول الله ﷺ حين افتتح مكَّة ودخلها ، قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلمَّا فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » .

وهذا الذي علَّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في « مسنده »[٨] فقال : ثنا بهز وهاشم ، قالا : حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، وقال هاشم : حدَّثني ثابت البنانيُّ ، ثنا عبد الله بن رباح ، قال : وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام . قال : وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ـ قال هاشم : يكثر أن يدعونا ـ إلى رحله . قال : فقلت :

---

(١) هو عند أبي داود رقم (٣٥٤٦) و(٤٥٦٢) و(٤٥٦٦) والترمذي رقم (١٣٩٠) و(١٥٨٥) والنسائي رقم (٢٥٣٩) و(٣٧٦٦) و(٤٨٦٦) وابن ماجه رقم (٢٦٥٥) .

(٢) قلت : بل ورد ذلك من حديث مجاهد عن ابن عمر ، رواه ابن حبان (٥٩٩٦) بإسناد حسن ، ويصلح أن يكون شاهداً للحديث الذي ذكره المؤلف (بشار) .

(٣) في « المسند » (٣/ ٤١٢) و(٤/ ٣٤٣) .

(٤) رواه الترمذي رقم (١٦١١) في السِّير : باب ما جاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذه لا تغزى بعد اليوم » .

(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧٥) .

(٦) رقم (١٧٨٢) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٦) .

(٨) (٢/ ٥٣٨) ، وهو حديث صحيح .

ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال : فأمرت بطعام يصنع ، ولقيت أبا هريرة من العشاء . قال : قلت : يا أبا هريرة ، الدَّعوة عندي الليلة . قال : أستبقتني ؟! ـ قال هاشم : قلت : نعم ـ قال : فدعوتهم فهم عندي . قال : فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ قال : فذكر فتح مكة . قال : أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة . قال : فبعث الزبير على إحدى المجنِّبتين ، وبعث خالداً على المجنِّبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر ، وأخذوا بطن الوادي ، ورسول الله ﷺ في كتيبته . قال : وقد وبَّشت قريش أوباشها . قال : قالوا : نقدِّم هؤلاء ، فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أُصيبوا أعطيناه الذي سئلنا . قال أبو هريرة : فنظر فرآني فقال : « يا أبا هريرة » . فقلت : لبيك رسول الله . فقال : « اهتف لي بالأنصار ، ولا يأتيني إلا أنصاريٌّ » . فهتفت بهم ، فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ . قال : فقال رسول الله ﷺ : « أتَرون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : « احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا » . قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا ، فما يشاء أحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجِّه إلينا منهم شيئاً . قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله ، أُبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم قال : فقال رسول الله ﷺ : « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال : فغلَّق الناس أبوابهم . قال : وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت . قال : وفي يده قوس ؛ آخذ بسِية القوس . قال : فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه . قال : فجعل يطعُن بها في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل » . قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه ، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه . قال : والأنصار تحته . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته . قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أقلتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : « فما اسمي إذاً ؟! كلا ، إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والممات مماتكم » . قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بالله ورسوله . قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذِرانكم » .

وقد رواه مسلم والنَّسائيُّ[1] من حديث سليمان بن المغيرة ، زاد النَّسائيُّ : وسلام بن مسكين .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٨٠) (٨٤) و(٨٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٢٩٨) من حديث سليمان بن المغيرة وسلاَّم بن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً[١] من حديث حَمَّاد بن سلمة ، ثلاثتهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصاريِّ نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام[٢] : وحدَّثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمير بن الملوَّح ، يعني الليثيَّ ، أراد قتل النبيِّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : « أفضالة ؟ » قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : « ماذا كنت تحدِّث به نفسك ؟ » قال : لا شيء ، كنت أذكر الله .

قال : فضحك النبيُّ ﷺ ثم قال : « استغفر الله » . ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شي أحبَّ إليَّ منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدَّث إليها فقالت : هلمَّ إلى الحديث . فقال : لا . وانبعث فضالة يقول[٣] : [من الكامل]

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يــأبــى عليــكِ اللهُ والإســلامُ
أو مــا رأيــت محمــداً وقبيلــه ... بــالفتــح يــوم تكسَّــر الأصنــامُ
لــرأيــتِ ديــن الله أضحــى بيِّنــاً ... والشِّــرك يغشــى وجهــه الإظــلامُ

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبيَّ الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمِّنه يا رسول الله ، صلَّى الله عليك . فقال : « هو آمن » . فقال : يا رسول الله ، فأعطني آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان ، فداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به ، قال : ويلك ! اعزُب عني فلا تكلِّمني . قال : أي صفوان ، فداك أبي وأمي ، أفضل الناس وأبرُّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك ، عِزُّه عزُّك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنتني . قال : « صدق » . قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق[٥] ، عن الزهريِّ أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان ، وأمَّ حكيم بنت الحارث بن

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٨٠) (٨٦) من حديث حَمَّاد بن سلمة .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) .
(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) مع بعض الخلاف في ألفاظها .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٨) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .

هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل [أسلمتا] ، وقد ذهبت وراءه إلى اليمن ، فاسترجعتْه فأسلم ، فلما أسلما أقرّهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسّان ابنَ الزِّبعرى وهو بنَجْرَان ببيت واحد ما زاد عليه : [من الكامل]

لا تَعْـدَمَـنْ رجـلاً أحلَّـك بُغْضُـه   نجـران فـي عيـش أحـذَّ لئيـمِ

فلما بلغ ذلك ابن الزِّبعرى[٢] ، خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وقال حين أسلم : [من الخفيف]

يـا رسـول المَلِيْـكِ إنَّ لسـانـي   راتِـقٌ مـا فتقـتُ إذ أنـا بُـورُ
إذ أُبـاري الشيطـان فـي سنـن الغَـ   ـيِّ ومـن مـال ميلـه مثبـورُ
آمَـنَ اللحـم والعظـام لـربِّـي   ثـم قلبـي الشّهيـد أنـت النَّـذيـرُ
إننـي عنـك زاجـرٌ ثَـمَّ حيّـاً   مـن لـؤيٍّ وكلُّهـم مغـرورُ

قال ابن إسحاق[٣] : وقال عبد الله بن الزِّبعرى[٤] أيضاً حين أسلم : [من الكامل]

مَنَـعَ الـرُّقَـادَ بـلابـلٌ وهمـومُ   والليـل معتلـجُ الـرِّواق بهيـمُ
ممّـا أتـانـي أنَّ أحمـدَ لامنـي   فيـه فبـتُّ كـأننـي محمـومُ
يا خير مَنْ حملت على أوصالها   عيـرانـةٌ سُـرُحُ اليـديـن غَشـومُ
إنـي لمعتـذر إليـكَ مـن الـذي   أَسْدَيْـتَ إذ أنـا فـي الضَّـلالِ أهيـمُ
أيـام تـأمـرنـي بـأغـوى خُطَّـةٍ   سهـمٌ وتـأمـرنـي بهـا مخـزومُ
وأَمُـدُّ أسبـاب الـرَّدى ويَقُـودنـي   أمـر الغُـواة وأمـرهـم مشـؤومُ
فـاليـوم آمـنَ بـالنبـيِّ محمـدٍ   قلبـي ومخطـئ هـذه محـرومُ
مضـت العَـدَاوَةُ وانقضـت أسبـابهـا   ودعـت أواصـر بيننـا وحلـومُ
فـاغفـر فـدىً لـك والِـدايَ كـلاهمـا   زَلَلـي فـإنـك راحـمٌ مـرحـومُ
وعليـك مـن علـم المليـك عَـلامـةٌ   نـورٌ أغـرُّ وخـاتـم مختـومُ
أعطـاكَ بعـد محبـة بـرهـانَـهُ   شـرفـاً وبـرهـانُ الإلـه عظيـمُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٨) .
(٢) الأبيات مع ثلاثة أبيات أخرى في « ديوان عبد الله بن الزبعرى » ص(٣٦) بتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (٤٥ ـ ٤٦) .

ولقد شَهِدْتُ بأن دينكَ صادقٌ حقٌّ وأنك في العباد جسيمُ
واللهُ يشهدُ أن أحمدَ مصطفىً مستقبلٌ في الصَّالحين كَريمُ
قَرْمٌ علا بنيانُه من هاشم فرعٌ تمكَّن في الذُّرى وأُرومُ

قال ابن هشام(١) : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزِّبَعرى السَّهْميُّ من أكبر أعداء الإسلام ، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين ، ثم مَنَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذَّبِّ عنه .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق(٢) : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بني سُليم سبعمئة ، ويقول بعضهم : ألف . ومن بني غِفَار أربعمئة ، ومن أسلم أربعمئة ، ومن مُزَيْنَة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصارِ وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عُرْوَة والزُّهريُّ وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق(٣) : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حَسَّان بن ثابت(٤) : [من الوافر]

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِوَاءُ إلى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاءُ
ديارٌ من بني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ
وكَانَتْ لا يَزَالُ بها أنيسٌ خِلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وشاءُ
فَدَعْ هَذَا ولكن مَن لِطَيفٍ يُؤرقني إذا ذَهَبَ العَشَاءُ
لشَعْثَاءَ التي قد تيَّمته فليس لقلبه منها شفاءُ
كأن خبيئةً من بيتِ رأسٍ يكونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ ومَاءُ
إذا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يوماً فَهُنَّ لطيِّب الرَّاح الفِدَاءُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢١) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٧ ـ ١٨) مع بعض الخلاف في ألفاظها ، وبعضها في « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » (٢/ ١٥٣) بتحقيقي بالاشتراك مع مجموعة من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحَّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

نُـولِّيهَـا المـلامـة إنْ ألمنـا ... إذَا مَـا كَـانَ مَغْـثٌ أو لِحَـاءُ
ونَشْـرَبُهَـا فَتَتْـرُكُنَـا ملـوكـاً ... وأُسـداً مَـا يُنَهْنِهُنَـا اللقَـاءُ
عَـدِمْنَـا خَيْلَنَـا إنْ لَـمْ تَـرَوْهَـا ... تُثِيـرُ النَّقْـعَ مـوعـدهَـا كَـدَاءُ
يُنَـازعـن الأعنَّـة مصغيـاتٍ ... علـى أكتـافهـا الأَسَـلُ الظِّمَـاءُ
تَظَـلُّ جِيـادُنَـا مُتَمَطِّـرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُـنَّ بـالخُمُـرِ النِّسَـاءُ
فَـإمَّـا تُعـرضـوا عنَّـا اعتمـرنـا ... وكـان الفَتْـحُ وانكشـف الغِطَـاءُ
وإلا فَـاصْبِـروا لجِـلادِ يـوم ... يعـزُّ الله فيـه مـن يشـاءُ
وجِبـريـل رسـولُ الله فِيْنَـا ... ورُوح القُـدْسِ ليـس لَـهُ كِفَـاءُ
وقـال اللهُ قـد أرسلـتُ عبـداً ... يقـول الحَـقَّ إن نفـع البـلاءُ
شَهِـدْتُ بـه فقـومـوا صـدِّقـوه ... فقُلْتُـم لا نَقُـوم ولا نَشَـاءُ
وقـال الله قـد سيَّـرت جُنْـداً ... هُـمُ الأَنْصَـارُ عُـرضتهـا اللقـاءُ
لنـا فـي كـل يـوم مـن معـدّ ... سِبـاب أو قِتَـالٌ أو هِجَـاءُ
فنُحكـم بـالقَـوافي مـن هَجَـانَـا ... ونضـربُ حيـنَ تختلـطُ الـدِّمـاءُ
ألا أَبْلِـغْ أبـا سُفْيَـانَ عنّـي ... مغلغلـة فقـد بـرح الخَفَـاءُ
بـأنَّ سيُـوفنـا تـركتـك عبـداً ... وعبـد الـدّار سَـادَتُهَـا الإمـاءُ
هجـوتَ محمـداً فـأجبـت عنـه ... وعنـد الله فـي ذاك الجَـزَاءُ
أتهجـوه وَلَسْـتَ لَـهُ بكُـفءٍ ... فشـرُّكمـا لخيـركُمـا الفِـدَاءُ
هجـوتَ مبـاركـاً بـراً حَنيْفـاً ... أميـنَ الله شِيْمَتُـهُ الـوفـاءُ
أمـن يهجـو رَسُـولَ الله مِنْكُـم ... ويَمْـدَحُـهُ ويَنْصُـرُهُ سَـوَاءُ
فـإنَّ أبـي ووالـده وعِـرْضـي ... لِعْـرضِ مُحمـدٍ مِنْكُـمْ وِقَـاءُ
لِسَـانـي صَـارِمٌ لا عَيْـبَ فيـهِ ... وبَحْـري لا تُكَـدِّرهُ الـدِّلاءُ

قال ابن هشام[١] : قالها حَسَّان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجِّه ؛ لما في أثناء هذه القصيدة مما يدلُّ على ذلك ، وأبو سُفْيَان المذكور في البيت هو أبو سُفيان بن الحَارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام[٢] : وبلغني عن الزُّهري أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطِّمن الخيل بالخمُر ، تبسَّم إلى أبي بكر ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وقال أنس بن زُنَيم الدُّئليُّ ، يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخُزَاعيُّ ـ يعني لما جاء يستنصر عليهم ، كما تقدَّم ـ[٢] : [من الطويل]

أأنتَ الذي تُهدَى معدٌّ بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشْهَدِ
وما حَمَلَتْ من ناقة فوق رَحْلها ... أبرَّ وأوفى ذمَّة من محمدِ
أحثَّ على خير وأسبغ نائلاً ... إذا راح كالسيف الصَّقيل المُهَنَّدِ
وأَكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السَّابق المتجرِّدِ
تعلَّمْ رسولَ الله أنك مُدركي ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليدِ
تعلَّمْ رسول الله أنك قادرٌ ... على كلِّ صرم متهمين ومنجدِ
تعلَّم بأنَّ الرَّكب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلفو كلِّ موعدِ
ونبَّوا رسول الله أني هجوته ... فلا حملت سوطي إليَّ إذاً يدي
سوى أنني قد قُلت ويل امِّ فِتْيَةٍ ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعدِ
أصابهمُ من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزَّت عبرتي وتبلُّدي
وإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً ... بعبد بن عبد الله وابنة مهودِ
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فإن لا تدمع العين أكمدِ
وسَلْمَى وسَلْمى ليس حيٌّ كمثله ... وإخوتهِ وهل مُلوك كأَعبدِ
فإنِّيَ لا ديناً فتقت ولا دماً ... هرقت تبيَّنْ عالم الحقِّ واقصدِ

قال ابن إسحاق[٣] : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح[٤] : [من الوافر]

نفَى أهلَ الحَبَلَّقِ[٥] كلَّ فجٍّ ... مزينةُ غدوة وبنو خفافِ
ضَربناهم بمكَّة يوم فتح النْـ ... ـبِيِّ الخيرِ بالبيضِ الخِفَافِ
صَبَحْنَاهم بسبع من سُلَيم ... وألفٍ من بني عثمان وافِ
نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضرباً وطعناً ... ورشقاً بالمُرَيَّشةِ اللِّطافِ
ترى بين الصُّفوف لها حفيفاً ... كما انْصَاعَ الفُواق من الرِّصافِ
فرحنا والجياد تجول فيهم ... بأرماح مقوَّمة الثِّقافِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) .
(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٥) .
(٤) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩٥) .
(٥) قال الخشني : الحبلق : الغنم الصغار . انظر « شرح غريب السيرة النبوية » (٣/ ٨٧) .

فــأُبنــا غــانميــن بمــا اشتهينــا   وآبــوا نــادميــن علــى الخــلافِ
وأعطينــــا رســـولَ الله مِنَّـــا   مــواثقنــا علــى حُســنِ التَّصَــافــي
وقَــدْ سَمِعُــوا مَقَــالَتَنَــا فهمُّــوا   غَــدَاةَ الــرَّوع مِنَّــا بــانْصِــرَافِ

وقال ابن هشام[١] : وقال عباس بن مِرْدَاس السُّلميُّ في فتح مكة[٢] : [من الكامل]

منَّــا بمكّــة يــوم فتــح محمــدٍ   ألــفٌ تسيــل بــه البِطَــاح مُسَــوَّمُ
نَصروا الــرَّسُولَ وشَاهَــدوا آياتــهِ   وشِعَــارُهُــمْ يَــومَ اللِّقَــاءِ مُقَــدَّمُ
فــي منــزل ثبتــت بــه أَقْــدَامُهُــمْ   ضَنْــكٍ كــأنَّ الهــامَ فيــه الحَنْتَــمُ
جــرَّت سَنَــابِكَهَــا بنجــدٍ قَبْلَهَــا   حتــى استقــامَ لهــا الحِجَــازُ الأَدْهَــمُ
الله مَكَّنَـــــهُ لَـــــهُ وأذلَّـــــه   حُكْــم السيــوفِ لنــا وجــدٌّ مِــزْحَــمُ
عُــود الــرِّيــاسة شــامخ عِــرْنِيْنُــهُ   متطلِّــعٌ ثُغَــرَ المَكَــارِمِ خِضْــرِمُ

وذكر ابن هشام[٣] في سبب إسلام عباس بن مِرْدَاس ، أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له : ضِمَار . فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول : [من الكامل]

قُــل للقبــائــل مــن سُلَيــم كلِّهــا   أودى ضِمَــارُ وعَــاشَ أَهْــلُ المَسْجــدِ
إنَّ الــذي ورث النُّبُــوّةَ والهُــدى   بعدَ ابن مَرْيَمَ مِنْ قُرَيشٍ مُهتدي
أودى ضِمَــارُ وكــان يُعْبَــدُ مَــرَّةً   قبــل الكِتَــابِ إلــى النَّبــيِّ محمــدِ

قال : فحرَّق عباس ضِمَاراً ، ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم .

وقد تقدَّمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجانِّ ، مع أمثالها وأشكالها ، ولله الحمد والمِنَّة .

***

بعثه ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جَذِيْمَة من كِنَانَة

قال ابن إسحاق[٤] : فحدَّثني حكيم بن حكيم بن عَبَّاد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٦) .
(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٨) .

قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكّة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب ؛ سُلَيم بن منصور ومُدْلج بن مُرَّة ، فوطئوا بني جَذيمة بن عامر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة ، فلمَّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق(١) : وحدَّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جَذيمة قال : لمّا أمرنا خالد أن نضع السلاح ، قال رجل منا ـ يقال له : جحدم ـ : ويلكم يا بني جَذيمة ، إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق(٢) : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : فلمَّا وضعوا السِّلاح أمر بهم خالد [عند ذلك] ، فَكُتِّفوا ، ثم عرضهم على السَّيف ، فقتل من قتل منهم ، فلمَّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السَّمَاء ثم قال : « اللهمَّ إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد »(٣) .

قال ابن هشام : حدَّثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « هَلْ أَنكَرَ عليه أحد ؟ » فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة ، فنهمه خالد(٤) ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجعه فاشتدَّت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أمَّا الأول يا رسول الله ، فابني عبد الله ، وأمَّا الآخر فسالم مولى أبي حُذيفة .

قال ابن إسحاق(٥) : فحدَّثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فقال : « يا عليُّ ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » . فخرج عليٌّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه لَيَدِي مِيلغة الكلب(٦) ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مالٍ إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم عليٌّ حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٠) .
(٣) ورواه بنحوه البخاري رقم (٤٣٣٩) في « المغازي » : باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، والنسائي في « المجتبى » (٨/ ٢٣٧) في آداب القضاء : باب الردّ على الحاكم إذا قضى بغير الحق ، وأحمد في « المسند » (٢/ ١٥١) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وسيشير المؤلف إليه بعد قليل .
(٤) أي : فزجره . انظر « القاموس المحيط » (نهم) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٩) .
(٦) وهي عبارة عن إناءٍ من خشب يشرب منه كلب الحراسة عند أصحاب الأغنام . وانظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٣/ ٩٠) .

أُعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا نعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال : « أَصبتَ وأَحْسَنْتَ » . ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القِبْلَةَ قائماً شاهراً يديه ، حتى إنه ليُرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق[١] : وقد قال بعض من يعْذِرُ خالداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حُذَافَة السَّهميُّ ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام[٢] : قال أبو عمرو المدينيُّ : لمَّا أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صبأنا[٣] صبأنا ، وهذه مرسلات ومنقطعات .

وقد قال الإمام أحمد : حدَّثنا عبد الرَّزَّاق ، ثنا مَعْمَر ، عن الزُّهريِّ ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني ـ أحسبه قال : ـ جَذيمة . فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ؛ فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا . وجعل خالد بهم أسراً وقتلاً[٤] . قال : ودفع إلى كلِّ رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كلُّ رجل منَّا أسيره . قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره . قال : فقدموا على النبيِّ ﷺ فذكروا له صنيع خالد ، فقال النبيُّ ﷺ ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد » مرتين[٥] .

ورواه البخاريُّ والنسائيُّ[٦] من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق[٧] : وقد قال لهم جَحْدَم لمَّا رأى ما يَصنع بهم خالد : يا بني جَذيمة ، ضاع الضَّرب ، قد كنت حذَّرتكم ما وقعتم فيه .

قال ابن إسحاق[٨] : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ـ فيما بلغني ـ كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ؟ فقال : إنما ثأَرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٣) قال ابن الأثير في « جامع الأصول » (٨/ ٤١٥) : « صبأ : إذا خرج من دين إلى دينٍ غيره » .
(٤) أسراً وقتلاً ، بالنصب ، على أنه مفعول مطلق ، أي جعل يأسرهم أسراً ويقتلهم قتلاً .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٣٣٩) والنسائي في « المجتبى » (٨/ ٢٣٧) وانظر التعليق المتقدم ص(٨٣٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .

كذبتَ ، قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك ثأرتَ بعمِّك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شرٌّ ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ، ما أدركتَ غَدوة رجل من أصحابي ولا رَوحتَه » .

ثم ذكر ابن إسحاق[١] قصة الفَاكِه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، عمِّ خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبدعوف[٢] بن عبد الحارث بن زُهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، وعَفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ، ورجوعهم ، ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته ، فادَّعاه رجل منهم يقال له : خالد بن هشام . ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم قبل أن يصلوا إلى أهل الميِّت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم فقاتلوه ، حتى قتل عَوف والفاكه وأخذت أموالهما ، وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام ، وفرَّ منهم عفَّان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهمَّت قريش بغزو بني جَذيمة ، فبعثت بنو جَذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم ، ووَدَوا لهم القتيلين وأموالهما ، ووضعوا الحرب بينهم .

يعني فلهذا قال خالد بن الوليد لعبد الرحمن : إنما ثأرتُ بأبيك . يعني حين قتلته بنو جَذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما ثأر بعمِّه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله ، والمظنون بكلٍّ منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يُقال هذا في وقت المخاصمة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نُصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمر ، واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صبأنا صبأنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيَّتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ ، بل استمرَّ به أميراً ، وإن كان قد تبرَّأ منه في صنيعه ذلك ، وودَى ما كان جناه خطأً في دمٍ أو مالٍ ، ففيه دليلٌ لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله ، والله أعلم ، ولهذا لم يعزله الصِّدِّيق حين قتل مالك بن نُوَيْرَة أيام الرِّدَّة ، وتأوَّل عليه ما تأوَّل حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أمَّ تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله ؛ فإن في سيفه رهقا . فقال الصديق : لا أغمد سيفاً سلَّه الله على المشركين[٣] .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهريِّ ، عن ابن أبي

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٢) مطبوع في « السيرة النبوية » لابن هشام الذي بين يدي و« الروض الأنف » (٧/ ١٢٩) : « وعوف بن عبد مناف » وهو خطأ ، والصواب ما في كتابنا هنا . وانظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص(١٣١) .
(٣) لتمام الفائدة راجع ما ذكره ابن العماد الحنبلي في هذه القصة في « شذرات الذهب » (١/ ١٣٥ - ١٣٦) بتحقيقي .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٣) .

حَدْرَد الأَسْلَميّ قال : كنت يومئذٍ في خيل خالد بن الوليد ، فقال فتى من بني جَذيمة ، وهو في سنّي ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه برُمَّة ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى . فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة ، فقائدي إلى هؤلاء النِّسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردَّني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسيرٌ ما طلبت . فأخذت برُمَّته فقدته بها ، حتى وقفته عليهن فقال : اسلَمي حُبَيش على نفد العيش[1] : [من الطويل]

أَريتُـكِ إذ طـالبتُكـم فَـوَجَـدْتُكُـمْ ... بحَلْيَـةَ أو ألفيتكُـم بـالخـوانِـقِ
ألـم يَـكُ أهـلاً أن يُنـوَّل عـاشـقٌ ... تكلَّـف إدلاج السُّـرى والـودائـقِ
فلا ذَنْبَ لي قَدْ قُلْتُ إذ أَهْلُنَا مَعاً ... أثيبـي بـودٍّ قبـل إحـدى الصَّفـائـقِ
أثيبـي بـودٍّ قبـل أن تشحـط النَّـوى ... وينـأى الأميـر بـالحَبيـب المُفَـارقِ
فـإنِّـيَ لا ضيَّعـتُ سِـرَّ أَمَـانَـةٍ ... ولا رَاقَ عينـي عنـكِ بعـدكِ رائـقُ
سـوى أنَّ مـا نـال العَشيـرة شَـاغـلٌ ... عـن الـودِّ إلا أن يكـون التَّـوامـقُ[2]

قالت : وأنت فحُيِيت عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تترى[3] .

قال : ثم انصرفت به ، فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق[4] : فحدَّثني أبو فراس بن أبي سُنبلة الأسلميُّ ، عن أشياخ منهم ، عمَّن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُرِبَتْ عنقه فأكبَّت عليه ، فما زالت تقبِّله حتى ماتت عنده .

وروى الحافظ البيهقيُّ[5] من طريق الحُمَيديِّ ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عبد الملك بن نوفل بن مُسَاحق ، أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له : ابن عِصَام ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » . قال : فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قِبَل تهامة ، فأدركنا رجلاً يسوق بظعائن ، فقلنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرأيتم إن لم أفعل ، ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا : نقتلك . فقال : فهل أنتم منظريّ حتى أدرك الظَّعائن ؟ قال : قلنا : نعم ، ونحن مدركوك . قال : فأدرك الظَّعائن فقال : اسلمي حُبَيش قبل نفاد العيش . فقالت الأخرى : اسلم عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تترى . ثم

---

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٣) و« الروض الأُنف » (٧/ ١٣١) وقال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منهما له .
(٢) « التوامق » : الحب ، وفي هذا البيت والذي قبله إقواء .
(٣) في رواية السُّهيلي في « الروض الأنف » بعض الخلاف عما هنا فراجعه .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٤) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ١١٦) .

ذكر الشعر المتقدِّم إلى قوله : وينأى الأمير بالحَبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدَّمناه ، فضربنا عنقه . قال : فانحدرت الأخرى من هَوْدَجها ، فحنت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقيُّ[١] من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، ثنا محمد بن عليِّ بن حرب المروزيُّ ، ثنا عليُّ بن الحُسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحويِّ ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا ، وفيهم رجل فقال لهم : إنِّي لست منهم ، إنِّي عشقت امرأة فلحقتها ، فدعوني أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم . قال : فإذا امرأة أدماء طويلة ، فقال لها : اسلَمي حُبَيش قبل نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناهما . قال : فقالت : نعم فديتك . قال : فقدَّموه فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه ، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلمَّا قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : « أَمَا كَانَ فِيْكُمْ رَجُلٌ رَحِيْمٌ ؟ » .

***

بعث خالد بن الوليد لهدمِ العُزَّى

قال ابن جرير[٢] : وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزَّى ، وكانت بيتاً بنخلة يعظِّمه قريش وكِنَانة ومُضر ، وكان سدنتها وحُجَّابُهَا من بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم ، فلمَّا سمع حاجبها السُّلميُّ بمسير خالد بن الوليد إليها علَّق سيفه عليها ، ثم اشتدَّ في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

[من الطويل]

أيـا عُـزَّ شُـدّي شـدَّة لا شَـوَى لهـا ... علـى خـالـد ألقـي القنـاع وشمِّـري

أيا عُزَّ إن لم تقتُلي المرءَ خالداً ... فبـوئـي بـإثـم عـاجـلٍ أو تَنَصَّـري

قال : فلمَّا انتهى خالد إليها هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى الواقديُّ[٤] وغيره أنه لمَّا قدمها خالد لخمسٍ بقين من رمضان فهدمها ، ورجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « ما رأيتَ ؟ » قال : لم أر شيئاً ، فأمره بالرُّجوع ، فلمَّا رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول ، فعلاها بالسيف وجعل يقول : [من الرجز]

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ١١٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٦٥) بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٦) و« الروض الأنف » (٧/ ١٣٤) .
(٤) انظر « المغازي » (٣/ ٨٧٣) .

يا عُزَّ كُفْرَانَك لا سُبحانَكِ إنـي رأيـتُ اللهَ قَـدْ أَهَـانَـكِ

ثم خرَّب ذلك البيت الذي كانت فيه ، وأخذ ما كان فيه من الأموال ، رضي الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعْبَدُ أَبَدَاً » .

وقال البيهقيُّ[1] : أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر ، أنبأنا أحمد بن عليٍّ ، ثنا أبو كُريب ، عن ابن فُضيل ، عن الوليد بن جُميع ، عن أبي الطُّفيل قال : لمَّا فتح رسول الله ﷺ مَكَّة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ، وكانت بها العُزَّى ، فأتاها ، وكانت على ثلاث سَمُرات ، فقطع السَّمرات وهَدَمَ البيت الذي كان عليها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» . فرجع خالد ، فلمَّا نظرت إليه السَّدنة وهم حجَّابها ، أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون : يا عُزَّى خَبِّليه ، يا عُزَّى عوِّريه ، وإلا فموتي برغمٍ . قال : فأتاها خالد ، فإذا امرأة عُرْيَانَةٌ ناشرةٌ شعرها ، تحثو التُّراب على رأسها ووجهها ، فعمَّمها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي فأخبره ، فقال : « تلك العُزَّى » .

* * *

فصل

في مدة إقامته ، عليه السلام ، بمكَّة

لا خلاف أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أقام ببقية شهر رمضان يَقْصُرُ الصَّلاة ويُفطرُ ، وهذا دليل من قال من العلماء : إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يَقْصُرَ ويُفْطِرَ إلى ثمانية عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر ، كما هو مقرَّر في موضعه .

قال البخاريُّ[2] : ثنا أبو نُعيم ، ثنا سُفيان .

(ح) وحدَّثنا قَبيصة ، ثنا سفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ عشراً نَقْصُرُ الصلاة .

وقد رواه بقية الجماعة[3] من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرميِّ البصريِّ ، عن أنس به نحوه .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧٧) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) هو عند مسلم رقم (٦٩٣) وأبو داود رقم (١٢٣٣) والترمذي رقم (٥٤٩) والنسائي في « المجتبى » (٣/ ١٢١) وابن ماجه رقم (١٠٧٧) وانظر « جامع الأصول » (٥/ ٧٠١) .

ثم قال البخاريُّ[١] : ثنا عبدان ، ثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين .

ورواه البخاريُّ أيضاً من وجه آخر ـ زاد البخاريُّ : وحصين كلاهما ـ وأبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به[٢] .

وفي لفظ لأبي داود : سبع عشرة .

وحدَّثنا[٣] أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ تسع عشرة نَقْصُرُ الصلاة .

وقال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة ، فإذا زدنا أتممنا .

وقال أبو داود[٤] : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا ابن عليَّة ، ثنا عليُّ بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح ، فأقام ثماني عشرة ليلة لا يصلِّي إلا ركعتين ، يقول : « يا أهل البلد ، صلُّوا أربعاً فإنا سَفْر » .

وهكذا رواه الترمذيُّ[٥] من حديث عليِّ بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ثم روى أبو داود[٦] من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق ، لم يذكروا ابن عباس .

وقال ابن إدريس[٧] ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، ومحمد بن عليِّ بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعمرو بن شعيب ، وغيرهم قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة .

***

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٠٨٠) وأبو داود رقم (١٢٣٠) والترمذي رقم (٥٤٩) وابن ماجه رقم (١٠٧٥) .
(٣) القائل (الإمام البخاري) رقم (٤٢٩٩) .
(٤) رقم (١٢٢٩) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف .
(٥) رواه الترمذي برقم (٥٤٥) بلفظ مختلف ، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان ، ولكن له شواهد يقوى بها .
(٦) رقم (١٢٣١) وفي سنده ضعف .
(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/٢٩٦) .

فصل

فيما حكم به صلَّى الله عليه وسلَّم بمكَّة من الأحكام

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ .

(ح) وقال اللّيث[2] : حدَّثني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عُروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : كان عُتبة بن أبي وقّاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبِض ابن وليدة زمعة ، وقال عُتبة : إنه ابني . فلمَّا قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح ، أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة ، فأقبل به إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي ، عهد إليَّ أنه ابنهُ ، فقال عبد بن زمعة : يا رسول الله ، هذا أخي ، هذا ابن زمعة ولد على فراشه . فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة ، فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقَّاص ، فقال رسول الله ﷺ : « هو لك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة ، من أجل أنه ولد على فراشه » . وقال رسول الله ﷺ : « احتجبي منه يا سودة » . لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقَّاص .

قال ابن شهاب ، قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرِّح بذلك .

وقد رواه البخاريُّ أيضاً ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذيُّ ، جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وابن ماجه من حديثه[3] ، وانفرد البخاريُّ بروايته له من حديث مالك ، عن الزهريِّ .

ثم قال البخاريُّ[4] : ثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبد الله ، أنا يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه . قال عروة : فلمَّا كلَّمه أسامة فيها ، تلوَّن وجه رسول الله ﷺ وقال : « أتكلِّمني في حدٍّ من حدود الله ؟! » فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله . فلمَّا كان العشيُّ قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أمَّا بعد ، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٠٣) .

(٢) ووصله الذهلي في « الزهريات » . قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٨/ ٢٤) .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٢١٨) ومسلم (١٤٥٧) من طريق الليث عن الزهري به ، ليس بينهما يونس ، وأخرجه أبو داود (٢٢٧٣) وابن ماجه رقم (٢٠٠٤) من طريق ابن عيينة عن الزهري ولم نقف عليه في الترمذي .

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٤) .

سرقت لقطعت يدها » . ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوَّجت ، قالت عائشة : فكانت تأتيني بعد ذلك فأَرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ .

وقد رواه البخاريُّ في موضع آخر ، ومسلم[١] من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزّهريِّ ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفي « صحيح مسلم »[٢] من حديث سبرة بن معبد الجُهنيِّ قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نهانا عنها . وفي رواية فقال : « ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفي رواية في « مسند أحمد » و« السنن » أن ذلك كان في حجة الوداع[٣] ، فالله أعلم .

وفي « صحيح مسلم »[٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن أبي العُميس ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رخَّص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ، ثم نهانا عنها .

قال البيهقيُّ[٥] : وعام أوطاس هو عام الفتح ، فهو وحديث سبرة سواء . قلت : من أثبت النَّهي عنها في غزوة خيبر قال : إنها أُبيحت مرتين وحرِّمت مرتين ، وقد نصَّ على ذلك الشافعيُّ وغيره . وقد قيل : إنها أبيحت وحرِّمت أكثر من مرتين ، فالله أعلم . وقيل : إنها حرِّمت مرة واحدة ، وهي هذه المرة في غزوة الفتح . وقيل : إنها إنما أبيحت للضرورة . فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت ، وهذا رواية عن الإمام أحمد[٦] ، وقيل : بل لم تحرَّم مطلقاً ، وهي على الإباحة .

هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة ، وموضع تحرير ذلك في « الأحكام » .

***

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٤٨) و(٦٨٠٠) ومسلم رقم (١٦٨٨) .

(٢) رقم (١٤٠٦) (٢٢) وقد أطال الإمام ابن القيم الكلام حول هذا الموضوع بما لا مزيد عليه في كتابه العظيم « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٧) فليراجع .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٠٤) وأبو داود رقم (٢٠٧٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٥٥٤١) وابن ماجه (١٩٦٢) وهذه الرواية مخالفة لما قبلها ، فهي شاذة .

(٤) رقم (١٤٠٥) (١٨) .

(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٨٩) .

(٦) وقد سلف قول المؤلف رحمه الله في الكلام على غزوة خيبر ص(٤١٢) أنها رواية ضعيفة عن الإمام أحمد ولا تصح أيضاً عنه .

فصل

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الرزاق ، ثنا ابن جريج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح . قال : جلس عند قرن مسقلة ، فبايع الناس على الإسلام والشهادة . قال : قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الإيمان بالله ، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . تفرَّد به أحمد .

وعند البيهقي : فجاءه الناس ؛ الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، فبايعهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير[٢] : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام ، فجلس لهم ـ فيما بلغني ـ على الصَّفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا . قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة متنقِّبة متنكِّرة بحديثها ؛ لما كان من صنيعها بحمزة ، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك ، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال : « بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً » . فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال . قال : « ولا تسرقن » . فقالت : والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهَنة بعد الهنة ، وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان ، وكان شاهداً لما تقول : أما ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حلٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « وإنك لهند بنت عتبة ؟! » قالت : نعم ، فاعف عما سلف ، عفا الله عنك . ثم قال : « ولا تزنين » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟! ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » . قالت : قد ربَّيناهم صغاراً ، وقتلتهم ببدر كباراً ، فأنت وهم أعلم . فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب ، ثم قال : « ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن » .

فقالت : والله إنَّ إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التَّجاوز أمثل . ثم قال : « ولا تعصينني » . فقالت : في معروف . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « بايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » . فبايعهن عمر ، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ، ولا يمسُّ إلا امرأة أحلَّها الله له ، أو ذات محرم منه .

وثبت في « الصحيحين »[٣] عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قطُّ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤١٥) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٦١) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨٩١) و(٥٢٨٨) و(٧٢١٤) ومسلم رقم (١٨٦٦) .

وفي رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول : « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمئة امرأة »[١]

وفي « الصحيحين »[٢] عن عائشة ، أن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنِيَّ ، فهل عليَّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال : « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » .

وروى البيهقيُّ[٣] ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو أهل خِباء ـ الشكُّ من ابن بكير ـ أحبَّ إليَّ من أن يذلُّوا من أهل أخبائك ـ أو خِبائك ـ ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء ـ أو خِباء ـ أحبَّ إليَّ من أن يعزُّوا من أهل أخبائك ـ أو خبائك ـ . فقال رسول الله ﷺ : « وأيضا والذي نفس محمد بيده » . قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له ؟ قال : « لا ، إلا بالمعروف » . ورواه البخاريُّ[٤] ، عن يحيى بن بكير بنحوه ، وتقدَّم ما يتعلَّق بإسلام أبي سفيان .

وقال أبو داودُ[٥] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . ورواه البخاريُّ[٦] ، عن عثمان ابن أبي شيبة ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، عن جرير .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا عفان ، ثنا وهيب ، ثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلي حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . تفرد به أحمد .

وقال البخاريُّ[٨] : ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا الفضيل بن سليمان ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان النَّهديِّ ، عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبدٍ إلى النبيِّ ﷺ ليبايعه على الهجرة ، فقال :

---

(١) وهي عند الترمذي رقم (١٥٩٧) والنسائي (٧/ ١٤٩) وأحمد في « المسند » (٦/ ٣٥٧) وإسناده صحيح .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٢١١) و(٥٣٦٤) و(٥٣٨٠) و(٧١٨٠) ومسلم رقم (١٧١٤) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٠٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٦٦٤١) .
(٥) في « سننه » رقم (٢٤٨٠) .
(٦) في « صحيحه » رقم (١٨٣٤) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٣٥٣) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٠١) و(٦/ ٤٦٥) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٨) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٧) و(٤٣٠٨) .

« مضت الهجرة لأهلها ، أُبايعه على الإسلام والجهاد » . فلقيت أبا معبدٍ فسألته ، فقال : صدق مجاشع . وقال خالد ، عن أبي عثمان عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مجالد .

وقال البخاريُّ[(١)] : ثنا عمرو بن خالد ، ثنا زهير ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان قال : حدَّثني مجاشع قال : أتيت رسول الله ﷺ بأخي بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله ، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهل الهجرة بما فيها » . فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » . فلقيت أبا معبد بعد ، وكان أكبرهما سناً ، فسألته ، فقال : صدق مجاشع .

وقال البخاريُّ[(٢)] : ثنا محمد بن بشَّار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام . فقال : لا هجرة ، ولكن جهاد ، انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت . وقال النَّضر : أنا شعبة ، أنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر ، فقال : لا هجرة اليوم ـ أو بعد رسول الله ﷺ ـ . . . مثله .

حدَّثنا[(٣)] إسحاق بن يزيد ، ثنا يحيى بن حمزة ، حدَّثني أبو عمرو الأوزاعيُّ ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبر ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخاريُّ[(٤)] : ثنا إسحاق بن يزيد ، أنا يحيى بن حمزة ، أنا الأوزاعيُّ ، عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير ، فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله ، عزَّ وجلَّ ، وإلى رسوله ﷺ ؛ مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، فالمؤمن يعبد ربَّه حيث يشاء ، ولكن جهاد ونيَّة .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة ـ إما الكاملة أو مطلقاً ـ قد انقطعت بعد فتح مكة ؛ لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً ، وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبق هجرة ، اللهمَّ إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب ، وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ، ولكنَّ هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاً من الجهاد والإنفاق في سبيل الله مشروع ومرغَّب فيه إلى يوم القيامة ، ولكن ليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح ، فتح مكة . قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية [الحديد : ١٠] .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٥) و(٤٣٠٦) .

(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٩) و(٤٣١٠) .

(٣) القائل هو الإمام البخاري ، والحديث في « صحيحه » رقم (٤٣١١) .

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣١٢) .

وقد قال الإمام أحمد[(١)] : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، عن أبي البختري الطَّائيِّ ، عن أبي سعيد الخدريِّ ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه السورة الكريمة : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر : ١ ـ ٣] . قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، وقال : « الناس حيز وأنا وأصحابي حيز » . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيَّة » . فقال له مروان : كذبت . وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السَّرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدَّثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عِرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدِّرَّة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق . تفرَّد به أحمد .

وقال البخاريُّ[(٢)] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عَوَانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأنَّ بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رُئيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ؛ قال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . فذلك علامة أجلك ؛ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ . قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرَّد به البخاريُّ .

وهكذا روي من غير وجه ، عن ابن عباس أنه فسَّر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله . وبه قال مجاهد وأبو العالية والضَّحَّاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

فأما الحديث الذي قال [فيه] الإمام أحمد[(٣)] : ثنا محمد بن فضيل ، ثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . قال رسول الله ﷺ : « نُعيت إلي نفسي » . بأنه مقبوض في تلك السنة . تفرَّد به الإمام أحمد ، وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الخُرَاساني ، وفيه ضعف ، تكلَّم فيه غير واحد من الأئمة ، وفي لفظه نكارة شديدة ، وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل ؛ فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها ، كما تقدَّم بيانه ، وهذا لا خلاف فيه .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٢) ، وإسناده ضعيف بطوله . ولبعض فقراته شواهد .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٩٧٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢١٧) .

وقد توفِّي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ، بلا خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبرانيُّ[١] ، رحمه الله : ثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعيُّ ، ثنا أبي ، ثنا جعفر بن عون ، عن أبي العُمَيس ، عن أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ وفيه نكارة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال ، والله أعلم .

وقد تكلَّمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية[٢] ، ولله الحمد والمنَّة .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمَّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قِلاَبة ، عن عمرو بن سلِمة ـ قال لي أبو قِلاَبة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته ـ قال : كنا بماءٍ ممرَّ الناس ، وكان يمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يَغرى في صدري ، وكانت العرب تلوَّم بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كلُّ قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم . فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبيِّ حقاً ، قال : « صلُّوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن أحدكم ، وليؤمَّكم أكثرُكم قرآناً » . فنظروا فلم يكن أحد أكثرَ قرآناً مني ؛ لما كنت أتلقَّى من الرُّكبان ، فقدَّموني بين أيديَهم وأنا ابن ستٍّ أو سبع سنين ، وكانت عليَّ بردة إذا سجدت تقلَّصت عنِّي . فقالت امرأة من الحيِّ : ألا تغطُّون عنا استَ قارئكم ؟ فاشتروا ، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص ، تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم .

* * *

غزوة هَوَازن يوم حُنَينٍ

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٣٦٩) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ٥٢٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٢) .

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٥ ـ ٢٧] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسارٍ في كتابه[١] أن خروج رسول الله ﷺ إلى هَوَازن بعد الفتح في خامس شوالٍ سنة ثمان ، وزَعَمَ أن الفتح كان لعشرٍ بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلةً .

وهكذا رَوَى عن ابن مسعودٍ ، وبه قال عُرْوَة بن الزُّبير ، واختاره ابن جريرٍ في « تاريخه »[٢] .

وقال الواقديُّ[٣] : خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لستٍّ خلون من شوالٍ ، فانتهى إلى حُنينٍ في عاشره .

وقال أبو بكرٍ الصِّدِّيق : لن نُغْلَبَ اليوم من قلَّةٍ ، فانهزموا ، فكان أول من انهزم بنو سليمٍ ، ثم أهل مَكَّة ، ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما سَمِعَتْ هَوَازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكَّة جمعها مَلِكها مالكُ بن عوفٍ النَّصريُّ ، فاجتمع إليه مع هَوَازن ثقيفٌ كلُّها ، واجتمعت نصرٌ ، وجُشم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلالٍ وهم قليلٌ ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها ، ولم يحضرها من هوازن كعبٌ وكلابٌ ، ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسمٌ ، وفي بني جُشم دريد بن الصِّمَّة شيخٌ كبيرٌ ، ليس فيه شيءٌ إلا التَّيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرَّباً ، وفي ثقيفٍ سِّيدان لهم ، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتِّبٍ ، وفي بني مالكٍ ذو الخمار سُبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماع أمر الناس إلى مالك بن عوفٍ النَّصريِّ ، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاسٍ اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُريد بن الصِّمَّة في شجارٍ له يقاد به ، فلما نزل قال : بأيِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاسٍ . قال : نعم مجال الخيل ، لا حَزنٌ ضرس ، ولا سهلٌ دِهس ، ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟! قالوا : ساق مالك بن عوفٍ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالكٌ ؟ قالوا : هذا مالكٌ . ودُعي له . قال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٥٦) .
(٣) انظر « المغازي » (٣/ ٨٨٩ ـ ٨٩٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٧) .

مالي أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجلٍ أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : فأنقض به[١] . ثم قال : راعي ضأنٍ والله ، هل يردُّ المنهزم شيءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ؟ قال : لم يشهدها منهم أحدٌ . قال : غاب الحدُّ والجِدُّ ، لو كان يوم غلاءٍ ورفعةٍ لم تغب عنه كعبٌ وكلابٌ ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامرٍ ، وعوف بن عامرٍ . قال : ذانك الجذَعان من عامرٍ لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ثم قال دريدٌ لمالك بن عوفٍ : ارفعهم إلى متمنَّع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق الصُّبِيَّ على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . ثم قال مالكٌ : والله لتطيعنَّني يا معشر هوازن أو لأتَّكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ـ وكره أن يكون لدريدٍ فيها ذِكرٌ أو رأيٌ ـ فقالوا : أطعناك . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشهده ولم يَفُتْني[٢] : [من مجزوء الرجز]

يـا ليتنـي فيهـا جَـذَع   أخـبُّ فيهـا وأضَـعْ
أقـود وطْفـاء الـزَّمـع   كـأنهـا شـاةٌ صَـدَعْ

ثم قال مالكٌ للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدُّوا شدة رجلٍ واحدٍ .

قال ابن إسحاقٍ[٣] : وحدَّثني أُمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدَّث أن مالك بن عوفٍ بعث عيوناً من رجاله ، فأتَوه وقد تفرَّقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ، وما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلقٍ ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما تـرى . فوالله ما ردَّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدردٍ الأسلميَّ ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدردٍ ، فدخل فيهم

---

(١) أي : زجره .
(٢) البيتان في « السيرة النبوية » (٢/ ٤٣٩) و« الروض الأنف » (٧/ ١٣٦) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ دمشق » (٣/ ٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٩) .

فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالكٍ وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذٍ مشركٌ فقال : « يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدوَّنا غداً » . فقال صفوان : أغَصباً يا محمد ؟ قال : « بل عاريَّةً مضمونةً حتى نُؤدِّيَها إليك » . قال : ليس بهذا بأسٌ . فأعطاه مائة درعٍ بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسنادٍ .

وقد روى يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيبٍ والزهريِّ وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزمٍ وغيرهم ، قصة حُنينٍ ، فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدراع كما تقدم ، وفيه أن ابن حدردٍ لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذَّبه عمر بن الخطَّاب ، فقال له ابن أبي حدردٍ : لئن كذَّبتني يا عمر ، فربما كذَّبت بالحقِّ . فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال : « قد كنت ضالًّا فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريكٌ ، عن عبد العزيز بن رُفيعٍ ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنينٍ أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عاريَّةً مضمونةً » . قال : فضاع بعضها ، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له ، فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائيُّ[٢] من حديث يزيد بن هارون به ، وأخرجه النَّسائيُّ من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيعٍ ، عن ابن أبي مُلَيكة ، عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً ، فذكره . ورواه من حديث هشيمٍ ، عن حجَّاجٍ ، عن عطاءٍ أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . . . وساق الحديث .

وقال أبو داود[٣] : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا جريرٌ ، عن عبد العزيز بن رفيعٍ ، عن أُناسٍ من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال : « يا صفوان ، هل عندك من سلاحٍ ؟ » قال : عاريَّة أم غصباً ؟ قال : « لا ، بل عاريَّةٌ » . فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما هزم المشركون جُمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله ﷺ لصفوان : « قد فقدنا من أدراعك

---

(١) في « مسنده » (٣/ ٤٠٠) و(٦/ ٤٦٥) ، وهو حديث حسن .
(٢) رواه أبو داود في « سننه » رقم (٣٥٦٢) ، والنسائي في « سننه الكبرى » رقم (٥٧٧٩) من طريق يزيد بن هارون . والنسائي رقم (٥٧٨٠) من طريق إسرائيل . والنسائي ايضاً رقم (٥٧٧٨) من حديث هشيم . وينظر « تحفة الأشراف » للمزي (الحديث ٤٩٤٥) .
(٣) في « سننه » رقم (٣٥٦٣) ، وهو حديث حسن .

أدراعاً ، فهل نغرم لك ؟ » قال : لا يا رسول الله ، إن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذٍ . وهذا مرسلٌ أيضاً .

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلافٍ من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عُرْوَة ، والزُّهريِّ ، وموسى بن عقبة ، يكون مجموع الجيشين اللَّذين سار بهما إلى هَوَازن أربعة عشر ألفاً؛ لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأُضيف إليهم ألفان من الطُّلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوالٍ ، قال : واستخلَفَ على أهل مَكَّة عَتَّاب بن أُسِيد بن أبي العِيص بن أُمية بن عبد شمسٍ الأمويَّ .

قلت : وكان عُمُرُهُ إذ ذاك قريباً من عشرين سنةً . قال : ومضى رسول الله ﷺ يُريد لقاء هَوَازن . وذكر قصيدة العباس بن مرداسٍ السُّلميِّ في ذلك ، منها قوله[٢] : [من البسيط]

أَبْلِغ هَوَازن أَعَلاها وأَسْفَلَهَا ... مِنّي رسالةَ نُصحٍ فيه تِبْيَانُ

إنـي أظنُّ رسولَ الله صابِحكم ... جيشاً له في فضاء الأرض أركانُ

فيهم سُلَيمٌ أخوكُم غيرُ تارككم ... والمسلمون عبادُ الله غسَّانُ

وفي عِضادته اليمنى بنو أَسدٍ ... والأَجْرَبَان بنو عَبْسٍ وذُبيانُ

تكاد تَرْجُفُ منه الأرض رهبَتَه ... وفي مقدَّمِه أوسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق : أوسٌ وعثمان قبيلا مُزينة .

قال : وحدَّثني الزهريُّ ، عن سنان بن أبي سنانٍ الدُّئليِّ ، عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ أن الحارث بن مالكٍ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنينٍ ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية . قال : فسرنا معه إلى حنينٍ . قال : وكانت لكفار قريشٍ ومن سواهم من العرب شجرةٌ عظيمةٌ خضراء يقال لها : ذات أنواطٍ . يأتونها كلَّ سنةٍ فيعلِّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرةً خضراء عظيمةً . قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمدٍ بيده كما قال قوم

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٠) .

(٢) الأبيات مع غيرها في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤١) و« الروض الأنف » (٧/ ١٦٥) وهي مع أبيات غيرها في « ديوان العباس بن مرداس » ص(١٥٤ ـ ١٥٥) جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

موسى لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] . إنها السَّنن ، لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذيُّ ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزوميِّ ، عن سفيان ، والنَّسائيُّ ، عن محمد بن رافعٍ ، عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، كلاهما عن الزهريِّ ، كما رواه ابن إسحاق عنه . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ[١] . ورواه ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره »[٢] من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه مرفوعاً .

وقال أبو داود[٣] : ثنا أبو توبة ، ثنا معاوية بن سلامٍ ، عن زيد بن سلامٍ أنه سمع أبا سلامٍ ، عن السَّلوليِّ أنه حدَّثه سهلُ بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنينٍ فأطنبوا السير[٤] حتى كان عشيةً ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجلٌ فارسٌ ، فقال : يا رسول الله ، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازنَ عن بِكرة أبيهم بظُعُنهم وبنَعَمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنينٍ ، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » . ثم قال : « من يحرسنا الليلة » . قال أنس بن أبي مَرثدٍ : أنا يا رسول الله . قال : « فارْكب » . فركب فرساً له ، وجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « استقبل هذا الشِّعب حتى تكون في أعلاه ولا نُغرَّنَّ[٥] من قبلك الليلة » . فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ما أحسسنا . فثُوِّب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلِّي ، ويلتفت إلى الشِّعب ، حتى إذا قضى صلاته قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسُكم » . فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحتُ طلعت الشِّعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله ﷺ : « هل نزلتَ الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلِّياً أو قاضيَ حاجةٍ . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » .

وهكذا رواه النسائيُّ[٦] ، عن محمد بن يحيى بن كثيرٍ الحرَّانيِّ ، عن أبي توبة الربيع بن نافعٍ به .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١١٨٥) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٢) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١١٤) .
(٣) في « سننه » رقم (٢٥٠١) ، وهو حديث صحيح .
(٤) أي : بالغوا فيه .
(٥) أي : نؤُتينَّ .
(٦) في « السنن الكبرى » رقم (٨٨٧٠) .

فصل
في كيفية الوقعة وما كان في أول الأمر من الفرار
ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكيرٍ وغيره ، عن محمد بن إسحاق[١] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوفٍ بمن معه إلى حنينٍ فسبق رسولَ الله إليها ، فأعدُّوا وتهيَّئوا في مضايق الوادي وأحنائه ، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحطَّ بهم الوادي في عَماية الصبح ، فلمّا انحطَّ الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدَّت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحدٌ على أحدٍ ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلمُّوا إليَّ ، أنا رسول الله ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » . قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ، ومعه رهطٌ من أهل بيته ؛ عليُّ بن أبي طالبٍ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ـ وقيل : الفضيل بن أبي سفيان ـ وأيمن بن أمِّ أيمن ، وأسامة بن زيدٍ ، ومن الناس من يزيد فيهم قُثَم بن العباس ، ورهطٌ من المهاجرين منهم ؛ أبو بكر وعمر ، والعباس آخذٌ بحَكَمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها . قال : ورجلٌ من هوازن على جملٍ له أحمر ، بيده رايةٌ سوداء في رأس رمحٍ طويلٍ أمام هوازن ، وهوازن خلفه إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبعوه . قال : فبينما هو كذلك إذ هوى له عليُّ بن أبي طالبٍ ورجلٌ من الأنصار يريدانه . قال : فيأتي عليٌّ من خلفه فضرب عرقوبي الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاريُّ على الرجل فضربه ضربةً أطنَّ قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله . قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأُسارى مكتَّفين عند رسول الله ﷺ .

ورواه الإمام أحمد[٢] ، عن يعقوب بن إبراهيم الزُّهريِّ ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

قال ابن إسحاق[٣] : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذٍ [مع رسول الله ﷺ] ، وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو آخذٌ بثفر بغلة رسول الله ﷺ فقال : « من هذا ؟ » قال : ابن أمِّك يا رسول الله .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٢) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧٦) ، وإسناده حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٦) .

قال ابن إسحاق[١] : ولمَّا انهزم الناس تكلَّم رجالٌ من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضِّغن ، فقال أبو سفيان صخر بن حربٍ ـ وكان إسلامه بعدُ مدخولاً ، وكانت الأزلام معه يومئذٍ ـ : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية ـ يعني لأمِّه ـ وهو مشركٌ في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السِّحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت ، فضَّ الله فاك ، فوالله لأن يرُبَّني رجلٌ من قريشٍ أحبُّ إليَّ من أن يربَّني رجلٌ من هوازن .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عَفَّان بن مسلم ، ثنا حَمَّاد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالكٍ أن هوازن جاءت يوم حنينٍ بالنساء والصبيان والإبل والغنم ، فجعلوها صفوفاً يكثِّرون على رسول الله ﷺ ، فلما التقوا ولَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » . قال : فهزم الله المشركين ، ولم يُضرب بسيفٍ ولم يطعن برمحٍ . قال : وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ : « من قتل كافراً فله سلبه » . قال : فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم . وقال أبو قتادة : يا رسول الله ، إني ضربت رجلاً على حبل العاتق وعليه درعٌ له ، فأُجهضت عنه ، فانظر من أخذها . قال : فقام رجلٌ فقال : أنا أخذتها ، فأرضه منها وأعطنيها . قال : وكان رسول الله ﷺ لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت ، فسكت رسول الله ﷺ ، فقال عمر : والله لا يفيئها الله على أَسدٍ من أُسد الله ويعطيكها . فقال رسول الله ﷺ : « صدق عمر » . قال : ولقي أبو طلحة أمَّ سليم ومعها خَنجرٌ ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج به بطنه . فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أمُّ سليمٍ ؟ فضحك رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، اقتلُ من بعدنا من الطُّلقاء ؛ انهزموا بك . فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أمَّ سليمٍ » .

وقد روى مسلمٌ[٣] منه قصة خَنْجَر أمِّ سليمٍ ، وأبو داودُ[٤] قوله : « من قتل قتيلاً فله سلبه » . كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر في هذا مستغربٌ ، والمشهور أن ذلك أبو بكرٍ الصديق .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا أبي ، ثنا نافع أبو غالبٍ ، شهد أنس بن مالكٍ قال : فقال العلاء بن زيادٍ العدويُّ : يا أبا حمزة ، بسنِّ أيِّ الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنةً . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٣) .
(٢) في « مسنده » (٣/ ٢٧٩) ، وإسناده صحيح .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٨٠٩) .
(٤) في « سننه » رقم (٢٧١٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٥١) ، وإسناده صحيح .

فتمَّت له ستون سنةً ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنِّ أيِّ الرجال هو يومئذٍ ؟ قال : كأشبِّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه . قال : يا أبا حمزة ، وهل غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم، غزوت معه يوم حنينٍ ، فخرج المشركون بُكرة ، فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا ، وفي المشركين رجلٌ يحمل علينا فيدقُّنا ويحطِمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل ، فهزمهم الله فولَّوا ، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح ، فجُعل يُجاء بهم أُسارى رجلاً رجلاً ، فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ : إن عليَّ نذراً، لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنَّ عنقه . قال : فسكت رسول الله ﷺ ، وجيء بالرجل ، فلما رأى نبيَّ الله ﷺ قال : يا نبيَّ الله ، تبت إلى الله . قال : وأمسك نبيُّ الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره . قال : وجعل ينظر إلى النبيِّ ﷺ ليأمره بقتله ، ويهاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى النبيُّ ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه ، فقال : يا نبيَّ الله ، نذري ؟! قال : « لم أُمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك » . فقال : يا رسول الله ، ألا أومأت إليَّ ؟ قال : « إنه ليس لنبيٍّ أن يومىء » تفرد به أحمد[(١)]

وقال أحمد[(٢)] : حدَّثنا يزيد ، ثنا حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنينٍ : « اللهم إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم » . إسناده ثلاثيٌّ على شرط الشيخين ، ولم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاريُّ[(٣)] : ثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا غندرٌ ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازبٍ ـ وسأله رجلٌ من قيسٍ : أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ؟ فقال : ـ لكنَّ رسول الله ﷺ لم يفرَّ ؛ كانت هَوَازن رماةً ، وإنا لمَّا حملنا عليهم انكشفوا ، فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلتنا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان آخذٌ بزمامها ، وهو يقول :

« أنا النبيُّ لا كذب »

ورواه البخاريُّ ، عن أبي الوليد ، عن شعبة به وقال : [من مجزوء الرجز]

« أَنَـا النَّبِـيُّ لَا كَـذِبْ   أَنَا ابنُ عَبدِ المَطَّلِبْ »

قال البخاريُّ[(٤)] : وقال إسرائيل وزهيرٌ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : ثم نزل عن بغلته .

ورواه مسلمٌ والنسائيُّ[(٥)] عن بندارٍ . زاد مسلمٌ : وأبي موسى . كلاهما عن غندرٍ به .

---

(١) قلت : روى أبو داود بعضه في سننه (رقم ٣١٩٤) الشطر الثاني منه عن داود بن معاذ عن عبد الوارث عن نافع أبي غالب ، به ، وزاد فيه صفة القيام في صلاة الجنازة على الرجل والمرأة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢١) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣١٧) .

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣١٧) .

(٥) رواه مسلم رقم (١٧٧٦) (٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٣٨) .

وروى مسلم[١] من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

« أَنَـا النَّبِـيُّ لا كَـذِبْ　　أَنَا ابنُ عَبْدِ المُطَّلبْ

اللهم نزِّل نصرك » . قال البراء : ولقد كنا إذا حمي البأس نتَّقي برسول الله ﷺ ، وإن الشُّجَاع الذي يحاذي به .

وروى البيهقيُّ[٢] من طرقٍ أن رسول الله ﷺ قال يومئذٍ : « أنا ابن العواتك » .

وقال الطبرانيُّ[٣] : ثنا عباس بن الفضل الأسفاطيُّ ، ثنا عمرو بن عوفٍ الواسطيُّ ، ثنا هشيمٌ ، أنبأنا يحيى بن سعيدٍ ، عن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن سيَّابة بن عاصمٍ السُّلميِّ أن رسول الله ﷺ قال يوم حنينٍ : « أنا ابن العَوَاتِك » .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالكٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمدٍ مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنينٍ ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولةٌ ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين ، فضربتُه من ورائه على حبل عاتقه بالسيف ، فقطعتُ الدرع ، وأقبل عليَّ فضمَّني ضمَّةً وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت ، فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت : ما بال الناس ؟ فقال : أمر الله ، عزَّ وجلَّ . ثم رجعوا ، وجلس رسول الله ﷺ فقال : « من قتل قتيلاً له عليه بيِّنةٌ فله سلبه » . فقمت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله ، فقمت فقال : « ما لك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته ، فقال رجلٌ : صدق ، سلبُه عندي ، فأرضه مني . فقال أبو بكرٍ : لاها الله إذاً لا يعمِد إلى أَسدٍ من أُسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبيُّ ﷺ : « صدق فأعطه » . فأعطانيه فابتعت به مخرَفاً في بني سلمة ، فإنه لأول مالٍ تأثَّلته في الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلّا النسائيَّ[٥] من حديث يحيى بن سعيدٍ به .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٧٦) (٧٩) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٣٥) .
(٣) في « المعجم الكبير » (٧/ ٢٠١) رقم (٦٧٢٤) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦) وغيرهما ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣٢١) .
(٥) رواه مسلم رقم (١٧١٥) وأبو داود رقم (٢٧١٧) والترمذي رقم (١٥٦٢) وابن ماجه رقم (٢٨٣٧) .

قال البخاريُّ[١] : وقال اللَّيث بن سعدٍ : حدَّثني يحيى بن سعيدٍ ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمدٍ مولى أبي قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنينٍ نظرت إلى رجلٍ من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين ، وآخر من المشركين يختِله من ورائه ليقتُله ، فأسرعت إلى الذي يختِله ، فرفع يده ليضربني فأضربُ يده فقطعتها ، ثم أخذني فضمَّني ضماً شديداً حتى تخوَّفت ، ثم ترك فتحلَّل ، فدفعتُه ثم قتلته ، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس ، فقلت له : ما شأن الناس ؟ قال : أمر الله . ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « من أقام بينةً على قتيلٍ فله سلبه » . فقمت لألتمس بيِّنةً على قتيلي، فلم أر أحداً يشهد لي ، فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ، فقال رجلٌ من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يَذكر عندي ، فأرضه مني . فقال أبو بكرٍ : كلا ، لا يعطيه أُصيبع من قريشٍ، ويدع أَسداً من أُسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال : فقام رسول الله فأدَّاه إليَّ، فاشتريت به خرافاً ، فكان أول مالٍ تأثَّلته . وقد رواه البخاريُّ في موضعٍ آخر ومسلمٌ ، كلاهما عن قتيبة ، عن الليث بن سعدٍ به ، وقد تقدم من رواية نافعٍ أبي غالبٍ ، عن أنسٍ أن القائل لذلك عمر بن الخطاب، فلعله قاله متابعةً لأبي بكرٍ الصديق ، ومساعدةً وموافقةً له ، أو قد اشتبه على الراوي ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٢] : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمُّ ، أنبأنا أحمد بن عبد الجَبَّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني عاصم بن عمر ، عن عبد الرحمن بن جابرٍ ، عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم حنينٍ حين رأى من الناس ما رأى : « يا عباس ، ناد : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة » . فأجابوه : لبَّيك لبَّيك . فجعل الرجل يذهب ليعطِف بعيره ، فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ، ويأخذ سيفه وقوسه ، ثم يؤمُّ الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مئةٌ ، فاستعرض الناس فاقتتلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ، ثم جُعِلت آخراً بالخزرج ، وكانوا صُبُراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال : « الآن حمي الوطيس » . قال : فوالله ما رجعتْ راجعة الناس إلا والأُسارى عند رسول الله ﷺ مكتَّفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم وأبناءهم .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، وذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[٣] أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقرَّ بها عينه ، خرج إلى هوازن ، وخرج معه أهل مكة ، لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاةً حتى خرج النساء يمشين على غير دينٍ نُظَّاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٢) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٢٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٢٩) .

يكرهون مع ذلك أن تكون الصَّدمة برسول الله ﷺ وأصحابه ، قالوا : وكان معه أبو سفيان بن حربٍ وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمةً ، وهو مشركٌ لم يفرَّق بينهما . قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذٍ مالك بن عوفٍ النَّصريُّ ، ومعه دُريد بن الصِّمَّة يرعش من الكبر ، ومعه النساء والذَّراريُّ والنَّعم ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدردٍ عيناً ، فبات فيهم ، فسمع مالك بن عوفٍ يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجلٍ واحدٍ ، واكسروا أغماد سيوفكم ، واجعلوا مواشيَكم صفّاً ونساءكم صفّاً . فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان ، وصفوان وحكيم بن حزامٍ وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وصفَّ الناس بعضهم لبعضٍ ، وركب رسول الله ﷺ بغلةً له شهباء فاستقبل الصفوف ، فأمرهم وحضَّهم على القتال وبشَّرهم بالفتح إن صبروا ، فبينما هم كذلك حمل المشركون على المسلمين حملة رجلٍ واحدٍ ، فجال المسلمون جولةً ، ثم ولَّوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقي مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس ، فقلت : مائة رجلٍ . قالوا : ومرَّ رجلٌ من قريشٍ بصفوان بن أمية ، فقال : أبشر بهزيمة محمدٍ وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً . فقال له صفوان : تبشِّرني بظهور الأعراب ! فوالله لربٌّ من قريشٍ أحبُّ إليَّ من ربٍّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك . قال موسى : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشِّعار ؟ فجاءه فقال : سمعتهم يقولون : يا بني عبد الرحمن ، يا بني عبد الله ، يا بني عبيد الله . فقال : ظهر محمدٌ . وكان ذلك شعارهم في الحرب . قالوا : وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة ، فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول : « اللهم إني أَنشُدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا » . ونادى أصحابه وذمَّرهم : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، الله الله ، الكرَّة على نبيِّكم » . ويقال : حرَّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج ، يا أصحاب سورة البقرة » . وأمر من أصحابه من ينادي بذلك . قالوا : وقبض قُبضةً من الحصباء ، فحصب بها وجوه المشركين ونواحيهم كلَّها ، وقال : « شاهت الوجوه » . وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون . وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « الآن حمي الوطيس » . فهزم الله أعداءه من كلِّ ناحيةٍ حصبهم منها ، واتَّبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنَّمهم الله نساءهم وذراريَّهم ، وفرَّ مالك بن عوفٍ حتى دخل حصن الطائف هو وأناسٌ من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناسٌ كثيرٌ من أهل مكة حين رأوا نصرَ الله رسولَه ﷺ وإعزازه دينه . رواه البيهقيُّ .

وقال ابن وهبٍ[1] : أخبرني يونس ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ، فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلةٍ بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجُذاميُّ ، فلمَّا التقى الناس ولَّى المسلمون

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/١٣٧) .

مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار . قال العباس : وأنا آخذٌ بلجامها أكفُّها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أي عباس ، نادِ اصحاب السَّمرة » . قال : فوالله لكأنَّما عَطفتُهم حين سمعوا صوتي عطفةَ البقرة على أولادها ، فقالوا : يا لبَّيكاه ، يا لبَّيكاه . قال : فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار . ثم قُصِرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حمي الوطيس » . ثم أخذ صلَّى الله عليه وسلَّم حصياتٍ فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا وربِّ محمدٍ » . قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ـ ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته ، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً .

ورواه مسلمٌ[١] ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهبٍ به نحوه . ورواه أيضاً ، عن محمد بن رافعٍ ، عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ نحوه .

وروى مسلمٌ[٢] من حديث عكرمة بن عمَّارٍ ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما واجهنا العدوَّ تقدَّمت فأعلو ثنيَّةً فاستقبلني رجلٌ من المشركين فأرميه بسهمٍ ، وتوارى عني ، فما دريت ما صنع ، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنيَّةٍ أخرى ، فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ، فولَّى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزماً ، وعليَّ بردتان متَّزراً بإحداهما مرتدياً بالأخرى، قال : فاستطلق إزاري فجمعتها جمعاً ومررت على النبيِّ ﷺ وأنا منهزمٌ ، وهو على بغلته الشَّهباء، فقال ﷺ : « لقد رأى ابن الأكوع فزعاً » . فلما غَشوا رسولَ الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قُبضةً من ترابٍ من الأرض واستقبل به وجوههم، وقال : « شاهت الوجوه » . فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القُبضة، فولَّوا مدبرين، فهزمهم الله، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ في « مسنده »[٣] : ثنا حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن يعلى بن عطاءٍ ، عن عبد الله بن يسارٍ ، عن أبي عبد الرحمن الفِهْري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في حنينٍ ، فسرنا في يومٍ قائظٍ شديد الحرِّ، فنزلنا تحت ظلال السَّمُر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي ، وركبت فرسي ، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فُسطاطه ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرَّواح يا رسول الله ؟

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٧٥) (٧٦) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٧٧٧) .
(٣) رقم (١٤٦٨) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » (٥/ ٢٨٦) وهو حديث حسن ، يشهد له معنى حديث سلمة بن الأكوع الذي قبله وحديث العباس عند أحمد (١/ ٢٠٧) .

قال : « أجل » . ثم قال رسول الله ﷺ : « قم يا بلال » . فثار من تحت سَمُرةٍ كأن ظلَّه ظلُّ طائرٍ فقال : لبيك وسعديك ، وأنا فداؤك . فقال : « أسرج لي فرسي » . فأتاه بدَفَّتين من ليفٍ ليس فيهما أشرٌ ولا بطرٌ . قال : فركب فرسه فسرنا يومنا ، فلقينا العدوَّ ، وتشامت الخَيْلان ، فقاتلناهم فولَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه ، وحدَّثني من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنةً من التراب ، فحثى بها وجوه العدوِّ وقال : « شاهت الوجوه » . قال يعلى بن عطاءٍ : فحدَّثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقي أحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلةً من السماء ، كمرِّ الحديد على الطَّست الجديد ، فهزمهم الله عزو وجل .

ورواه أبو داود السِّجستانيُّ في « سننه »[(١)] عن موسى بن إسماعيل ، عن حَمَّاد بن سَلَمة به نحوه .

وقال الإمام أحمدُ[(٢)] : ثنا عَفَّان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا الحارث بن حصيرة ، ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعودٍ ، عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولَّى عنه الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قَدَماً ، ولم نولّهم الدُّبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة . قال : ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قُدُماً ، فحادت به بغلته ، فمال عن السَّرج ، فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولني كفّاً من تراب » . فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » . فهتفت بهم ، فجاؤوا وسيوفهم بأيمانهم كأنَّها الشُّهب ، وولَّى المشركون أدبارهم . تفرَّد به أحمد .

وقال البيهقيُّ[(٣)] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القَنطريُّ ، ثنا أبو قلابة ، ثنا أبو عاصم ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطَّائفيُّ ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاريُّ ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقُتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر . قال : وأخذ رسول الله ﷺ كفّاً من حصىً ، فرمى بها وجوهنا فانهزمنا .

ورواه البخاريُّ في « تاريخه »[(٤)] ولم ينسب عِياضاً .

وقال مسدَّدٌ : ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا عوف ، ثنا عبد الرحمن مولى أمِّ بُرْثُن ، عمن شهد حُنيناً

---

(١) رقم (٥٢٣٣) ، وهو حديث حسن ، كما في حديث أحمد الذي قبله .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٥٣) ، وفي إسناده ضعف .
(٣) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٢) .
(٤) انظر « التاريخ الكبير » (٧/ ١٩) .

كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ والمسلمون ، لم يقوموا لنا حلب شاةٍ ، فجئنا نهُشُّ سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ ، حتى إذا غشيناه ، فإذا بيننا وبينه رجالٌ حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه ، فارجعوا . فهُزِمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقيُّ[(١)] .

وقال يعقوب بن سفيان[(٢)] : ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم، حدَّثني محمد ابن عبد الله الشُّعيثيُّ ، عن الحارث بن بدل النَّصريِّ ، عن رجلٍ من قومه شهد ذلك يوم حنين ، وعمرو بن سفيان الثَّقفيِّ قال : انهزم المسلمون يوم حنين ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباسٌ وأبو سفيان بن الحارث . قال : فقبض رسول الله ﷺ قُبضةً من الحصباء ، فرمى بها في وجوههم . قال : فانهزمنا فما خيِّل إلينا إلا أنَّ كلَّ حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يطلبنا . قال الثَّقفيُّ : فأعجزتُ على فرسي حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بُكير في « مغازيه »[(٣)] عن يوسف بن صُهَيب عن عبد الله[(٤)] أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حُنَين إلا رجلٌ واحدٌ اسمه زيدٌ .

وروى البيهقيُّ[(٥)] من طريق الكُدَيميِّ ، ثنا موسى بن مسعودٍ ، ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفيُّ ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر السُّوائيِّ أنه قال : عند انكشافةٍ انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار ، وأخذ رسول الله ﷺ قبضةً من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا شاهت الوجوه » . فما أحدٌ يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذىً في عينيه .

ثم روى[(٦)] من طريقين ، عن أبي حذيفة ، ثنا سعيد بن السَّائب بن يسار الطائفيُّ ، حدَّثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامرٍ السُّوائيَّ ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعدُ ـ قال : فنحن نسأله عن الرُّعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال : فكان يأخذ لنا بحصاةٍ فيرمي بها في الطَّست فيطِنُّ . قال : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقيُّ[(٧)] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا العباس ، عن محمد بن بكير الحضرميِّ ، ثنا أيوب بن جابر ، عن صدقة بن

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٣) .
(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » (١/ ٣٢٧) .
(٣) وهو مرسل ، البزار في « كشف الأستار » رقم (١٨٢٨) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه موصولاً . قال البزار : لا نعلم رواه إلا بريدة ، ولا رواه عن عبد الله إلا يوسف بن صهيب ، وهو كوفي مشهور .
(٤) يعني عبد الله بن بريدة .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٣) .
(٦) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٤) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٥) .

سعيدٍ ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجتُ مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والله ما أخرجني إسلامٌ ولا معرفةٌ به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقفٌ معه : يا رسول الله ، إني أرى خيلاً بُلقاً . فقال : « يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافرٌ » . فضرب يده في صدري ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثالثة ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . قال : فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحدٌ من خلق الله أحبَّ إليَّ منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس ، وانهزام المسلمين ، ونداء العباس ، واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقيُّ[١] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو محمدٍ أحمد بن عبد الله المزنيُّ ، ثنا يوسف بن موسى ، ثنا هشام بن خالدٍ ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهذليِّ ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عُرِّي ، ذكرت أبي وعمِّي ، وقتل عليٍّ وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري من رسول الله ﷺ . قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً ، عليه درعٌ بيضاء كأنها فضةٌ ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمُّه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابنُ عمِّه ولن يخذله . قال : ثم جئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أُساوره سَوْرةً بالسيف إذْ رفع شُواظٌ من نار بيني وبينه ، كأنه برقٌ ، فخفت أن يمحشني ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى ، فالتفت رسول الله ﷺ وقال : « يا شيب [يا شيب] ادن مني ، اللهم أذهب عنه الشيطان » . قال : فرفعت إليه بصري ولهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري . فقال : « يا شيب ، قاتل الكُفَّار » .

وقال ابن إسحاق[٢] : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أُدرك ثأري ـ وكان أبوه قد قتل يوم أحدٍ ـ اليوم أقتل محمداً . قال : فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله ، فأقبل شيءٌ حتى تغشَّى فؤادي ، فلم أُطق ذاك وعلمت أنه ممنوع منّي .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : وحدَّثني والدي إسحاق بن يسار ، عمن حدَّثه ، عن جبير بن مطعمٍ قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والناس يقتتلون ، إذ نظرتُ إلى مثل البِجاد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وين القوم ، فإذا نملٌ منثورٌ قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشكُّ

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .

أنها الملائكة. ورواه البيهقيُّ، عن الحاكم، عن الأصمِّ، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكيرٍ، عن ابن إسحاق به. وزاد: فقال خَديج بن العوجاء النَّصريُّ ـ يعني في ذلك ـ: [من الطويل]

ولما دَنَـونـا مـن حُنيـنٍ ومـائـه ... رأينـا سـواداً مُنْكَـرَ اللّـونِ أَخْصَفـا

بملمـومـةٍ شهبـاءَ لـو قَـذَفـوا بهـا ... شَمَاريخَ من عَروى إذاً عادَ صَفْصَفَا

ولـو أنَّ قـومي طاوعتني سَرَاتُهم ... إذاً مـا لقينـا العـارضَ المتكشِّفـا

إذاً مـا لقِينـا جنـدَ آل محمـدٍ ... ثمـانيـن ألفـاً واستَمَـدُّوا بخِنْـدِفَـا

وقد ذكر ابن إسحاق[١] من شعر مالك بن عوف النَّصريِّ رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغى يرتجز ويقول: [من الرجز]

أَقْـدِمْ مُحـاجُ إنَّـه يـومٌ نُكُـرْ ... مثلـي علـى مِثْلـكَ يَحمـي ويكُـرّ

إذا أُضيـع الصَّـفُّ يـومـاً والـدُّبُرْ ... ثـم احـزألَّـت زمـرٌ بعـد زُمـرْ

كتـائـبٌ يكِـلُّ فيهـن البَصَـر ... قـد أطعُـنُ الطَّعنـة تقـذي بـالسُّبُرْ

حيـنَ يُـذَمُّ المُسْتكيـنُ المُنْجَحِـرْ ... وأَطْعُـنُ النَّجْـلاءَ تَعْـوي وتَهِـرّ

لهـا مِـن الجَـوْفِ رَشـاشٌ مُنْهَمِرْ ... تَفْهَـقُ تـاراتٍ وحينـاً تَنْفَجِـرْ

وثَعْلَـبُ العـامـلِ فيهـا مُنْكَسِـرْ ... يـا زيـنُ يـا بـنَ هَمْهَـم أيـن تَفِـرّ

قـد نَفِـذ الضِّـرْسُ وقـد طال العُمُرْ ... قـد علِـم البِيـضُ الطَّـويلاتُ الخُمُـرْ

أنِّـيَ فـي أمثـالِهـا غيـرُ غَمِـرْ ... إذ تَخْرُجُ الحاضِنُ مِن تحتِ السُّتُرْ

وذكر البيهقيُّ[٢] من طريق يونس بن بكيرٍ، عن أبي إسحاق أنه أنشد من شعر مالكٍ أيضاً حين ولَّى أصحابه منهزمين، وذلك قوله بعد ما أسلم، وقيل: هي لغيره: [من البسيط]

اذكُـرْ مسيـرَهـمُ للنـاسِ كلِّهـمُ ... ومـالـكٌ فـوقَـه الـرايـاتُ تَخْتَفِـقُ

ومـالـكٌ مـالـكٌ مـا فـوقَـه أحـدٌ ... يـومَ حنيـنٍ عليـه التـاجُ يـأْتَلِـقُ

حتى لقُوا الناسَ حينَ البأسِ يَقْدُمُهمْ ... عليهـم البَيْـضُ والأبْـدانُ والـدَّرَقُ

فضارَبوا الناسَ حتى لم يَرَوْا أحَداً ... حـولَ النبـيِّ وحتـى جَنَّـه الغَسَـقُ

حتـى تنـزَّل جبـريـلٌ بنصـرِهـمُ ... فـالقـومُ منهـزمٌ منـا ومُعْتَلِـقُ

منـا ولـو غيـرُ جبـريـلٍ يُقـاتِلُنـا ... لَمَنَّعَتْنـا إذاً أسيـافُنـا الغُلُـقُ

وقد وفَى عمرُ الفاروقُ إذ هزَموا ... بطعنـةٍ بـلَّ منهـا سَـرْجَـه العَلَـقُ

---

(١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٤٧).

(٢) انظر «دلائل النبوة» (٥/ ١٤٧).

قال ابنُ إسحاق[١] : ولما هزم الله المشركين ، وأمكن الله ورسوله ﷺ منهم ، قالت امرأةٌ من المسلمين : [من الرجز]

قد غلَبَتْ خيلُ الله خيلَ اللاَّتْ   واللهُ أحَــقُ بــالثَّبــاتْ

قال ابن هشامٍ : وقد أنشدنيه بعض أهل الرواية للشعر : [من الرجز]

غَلَبْتِ خيـلَ الله خيـلَ الـلاّتِ   وخيلُــه أحــقُّ بــالثَّبــاتِ

قال ابن إسحاق[٢] : فلما انهزمت هوازن استحرَّ القتل من ثقيفٍ في بني مالكٍ ، فقُتِل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، وكانت مع ذي الخِمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيبٍ ، فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال : « أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشاً » .

وذكر ابن إسحاق[٣] ، عن يعقوب بن عُتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلامٌ له نصرانيٌّ ، فجاء رجلٌ من الأنصار ليسلُبه ، فإذا هو أغرل ، فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب ، يعلم الله أن ثقيفاً غُرْلٌ . قال المغيرة بن شعبة الثقفيُّ : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل كذلك ، فداك أبي وأمي ، إنما هو غلامٌ لنا نصرانيٌّ . ثم جعلتُ أكشف له القتلى فأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى ؟

قال ابن إسحاق[٤] : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرةٍ ، وهرب هو وبنو عمِّه وقومُه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين ؛ رجلٌ من بني غِيَرة يقال له : وهبٌ . ورجلٌ من بني كُبَّة يقال له : الجُلاح . فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : « قتل اليوم سيد شباب ثقيفٍ ، إلا ما كان من ابن هنيدة » . يعني الحارث بن أويسٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : فقال العباس بن مِرْدَاسٍ[٦] يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه وذا الخِمار وحبسه نفسه وقومه للموت : [من الوافر]

ألا مَـن مُبْلِـغٌ غَيْـلانَ عنِّـي   وسـوف إخـالُ يـأتيـه الخَبيـرُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٦) الأبيات في« ديوانه » ص (٦٨ـ٧١) .

وعـروةَ إنمـا أُهْـدِي جـوابـاً ... وقـولاً غيـرَ قـولِكمـا يَسيـرُ
بـأنَّ محمـداً عبـدٌ رسـولٌ ... لـربٍّ لا يَضِـلُّ ولا يَجـورُ
وجَـدْنـاه نبيّـاً مثـلَ مـوسـى ... فكـلُّ فتـىً يُخـايـرُه مَخيـرُ
وبئـس الأمـرُ أمـرُ بنـي قَسِـيٍّ ... بـوَجٍّ إذ تُقُسِّمَـت الأُمـورُ
أضـاعـوا أمْـرَهـم ولكـلِّ قـومٍ ... أميـرٌ والـدوائـرُ قـد تَـدورُ
فجِئْنـا أُسْـدَ غـابـاتٍ إليهـم ... جنـودُ الله ضـاحيـةً تَسيـرُ
نَـؤُمُّ الجمـعَ جمـعَ بنـي قسـيٍّ ... علـى حَنَـقٍ نَكـادُ لـه نَطِيـرُ
وأُقْسِـمُ لـو هُـمُ مكَثـوا لسِـرْنـا ... إليهـم بـالجنـودِ ولـم يَغُـوروا
فكنـا أُسْـدَ لِيَّـةَ ثَـمَّ حتـى ... أبَحْنـاهـا وأسْلَمَـت النُّصـورُ
ويـومٌ كـان قبـلُ لـدَى حنيـنٍ ... فـأقْلَـع والـدمـاءُ بـه تَمـورُ
مِـن الأيـامِ لـم تَسْمَـعْ كيـومٍ ... ولـم يَسْمَـعْ بـه قـومٌ ذُكـورُ
قتَلْنـا فـي الغُبـارِ بنـي حُطَيْـطٍ ... علـى رايـاتِهـا والخيـلُ زُورُ
ولـم يَـكُ ذو الخِمـارِ رئيـسَ قـومٍ ... لهـم عَقْـلٌ يُعـاقِـبُ أو نَكِيـرُ
أقـام بهـم علـى سَنَـنِ المَنـايـا ... وقـد بـانـت لمُبْصِـرِهـا الأمـورُ
فـأفْلَـتَ مَـن نجـا منهـم جَـرِيْضـاً ... وقُتِّـلَ منهـمُ بَشَـرٌ كثيـرُ
ولا يُغْنـي الأمـورَ أخـو التَّـوانـي ... ولا الغَلِـقُ الصُّـرَيِّـرَةُ الحَصـورُ
أحـانهـمُ وحـان ومَلَّكـوه ... أمـورَهـمُ وأَفْلَتَـتِ الصُّقـورُ
بنـو عـوفٍ تَميـحُ بهـم جِيـادٌ ... أُهِيـنَ لهـا الفَصـافِـصُ والشَّعيـرُ
فلـولا قـاربٌ وبنـو أبيـه ... تُقُسِّمَـت المَـزارعُ والقُصـورُ
ولكـنّ الـرِّيـاسـةَ عُمِّمـوهـا ... علـى يُمْـنٍ أشـار بـه المُشِيـرُ
أطـاعـوا قـارِبـاً ولهـم جُـدُودٌ ... وأحْـلامٌ إلـى عِـزٍّ تَصيـرُ
فـإن يُهْـدَوْا إلـى الإسـلامِ يُلْفَـوا ... أُنـوفَ النـاسِ مـا سمَـر السَّمِيـرُ
فـإن لـم يُسْلِمـوا فهُـمُ أذانٌ ... بحـربِ الله ليـس لهـم نَصِيـرُ
كمـا حَكَّـتْ بنـو سَعْـدٍ وحـربٍ ... بـرَهْـطِ بنـي غَـزِيَّـةَ عَنْقَفِيـرُ
كـأنَّ بنـي مُعـاويـةَ بـنِ بكـرٍ ... إلـى الإسـلامِ ضـائِنـةٌ تَخـورُ
فقلْنـا أسْلِمـوا إنـا أخـوكـم ... وقـد بـرَأَت مِـن الإحَـنِ الصُّـدورُ
كـأن القـومَ إذ جـاؤوا إلينـا ... مِـن البَغْضـاءِ بعـدَ السِّلْـمِ عُـورُ

* * *

فصلٌ

ولما انهزمت هَوَازن وقف ملكُهم مالك بن عوفٍ النَّصريُّ على ثنيَّةٍ مع طائفةٍ من أصحابه ، فقال : قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أُخراكم .

قال ابن إسحاق[١] : فبلغني أن خيلاً طلعت ، ومالكٌ وأصحابه على الثَّنيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُهم . فقال : هؤلاء بنو سُليمٍ ، ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضي رماحهم أغفالاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثَّنية سلكوا طريق بني سُليمٍ ، ثم طلع فارسٌ ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل البادّ ، واضعاً رمحه على عاتقه ، عاصباً رأسه بمُلاءةٍ حمراء . قال : هذا الزبير بن العوام ، وأقسم باللات ليخالطنَّكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنيَّة أبصر القوم فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

* * *

فصل

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم ، فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجِعْرَانة فتحبس هناك .

قال ابن إسحاق[٢] : وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمروٍ الغِفاريَّ .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مرَّ يومئذٍ بامرأةٍ قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصِّفون عليها ، فقال لبعض أصحابه : « أدرك خالداً فقل له : إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأةً أو عسيفاً » . هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٧) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا أبو عامرٍ عبد الملك بن عمروٍ ، ثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزِّناد ، حدَّثني المرقَّع بن صيفيٍّ ، عن جدِّه رباح بن ربيعٍ أخي حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها ، وعلى مقدِّمته خالد بن الوليد ، فمرَّ رباحٌ وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأةٍ مقتولةٍ مما أصابت المقدِّمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجَّبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال : « ما كانت هذه لتقاتل » . فقال لأحدهم : « الحق خالداً فقل له : لا تقتلنَّ ذرِّيَّةً ولا عسيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود ، والنسائيُّ ، وابن ماجه[٢] من حديث المرقَّع بن صيفيٍّ به نحوه .

* * *

سريّـة أوطاسٍ[٣]

وكان سببها أن هَوَازن لما انهزمت ذهبت فرقةٌ منهم ، فيهم الرئيس مالك بن عوفٍ النصريُّ ، فلجؤوا إلى الطائف فتحصَّنوا بها ، وسارت فرقةٌ فعسكروا بمكانٍ يقال له : أوطاسٌ . فبعث إليهم رسول الله ﷺ سريةً من أصحابه ، عليهم أبو عامرٍ الأشعريُّ ، فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة ، فحاصر أهل الطائف كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما انهزم المشركون يوم حُنينٍ ، أتوا الطَّائف ومعهم مالك بن عوفٍ ، وعسكر بعضهم بأوطاسٍ ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلةَ ، ولم يكن فيمن توجَّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيفٍ ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثَّنايا . قال : فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان السُّلميُّ ـ ويعرف بابن الدُّغُنَّة[٥] ، وهي أمُّه ـ دريد بن الصِّمَّة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنُّ أنه امرأةٌ ، وذلك أنه في شجارٍ له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخٌ كبيرٌ ، وإذا دُريد بن الصِّمَّة ، ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريدٌ : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السُّلميُّ . ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلَّحتْك أمُّك ، خذ سيفي هذا من مؤخَّر رحلي في الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام واخفض عن الدِّماغ ، فإني كذلك كنت

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٨٨) ، وإسناده حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٦٦٩) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٢٥) و(٨٦٢٦) وابن ماجه رقم (٢٨٤٢) ، وهو حديث حسن .

(٣) أوطاس : وادٍ في ديار هوازن . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ١٣٢) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٣) .

(٥) ويقال : بفتح الدال ، وكسر الغين وتخفيف النون .

أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمَّك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصِّمَّة ، فربَّ ـ والله ـ يومٍ منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليمٍ أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تكشَّف ، فإذا عِجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراءً . فلما رجع ربيعة إلى أمِّه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عَمرة بنت دريدٍ أباها ، فمن ذلك قولها : [من البسيط]

قالوا قَتَلْنا دُريداً قلتُ قد صدَقوا ... فظلَّ دمعي على السِّرْبال منحدرُ[1]

لولا الذي قهر الأقوام كلَّهم ... رأتْ سُلَيمٌ وكعبٌ كيف تأْتَمِرُ

إذاً لصبَّحَهم غِبّاً وظاهرةً ... حيث استقَرَّت نواهم جَحْفَلٌ ذَفِرُ

قال ابن إسحاق[2] : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجَّه قِبل أوطاس أبا عامرٍ الأشعريَّ ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فرمي أبو عامرٍ فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعريُّ وهو ابن عمِّه فقاتلهم ، ففتح الله عليه ، وهزمهم الله ، عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريدٍ هو الذي رمى أبا عامرٍ الأشعريَّ بسهمٍ ، فأصاب ركبته فقتله ، وقال : [من الرجز]

إن تسْألوا عني فإني سَلَمهْ ... ابنُ سَمادِيرَ لمن توَسَّمهْ

أَضْرِبُ بالسيفِ رؤوسَ المُسْلِمَهْ

قال ابن هشامٍ[3] : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه ، أن أبا عامرٍ الأشعريَّ لقي يوم أوطاسٍ عشرة إخوةٍ من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامرٍ ، ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامرٍ ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعةً ، وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامرٍ ، وحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد عليَّ . فكفَّ عنه أبو عامرٍ ، فأفلت ، فأسلم بعدُ ، فحسن إسلامه ، فكان النبيُّ ﷺ إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامرٍ » . قال : ورمى أبا عامرٍ أَخَوان ؛ العلاء وأوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولَّى الناس أبا موسى ، فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجلٌ من بني جشم يرثيهما : [من المتقارب]

وإن الرَّزِيَّة قتل العلاءِ ... وأوفى جميعاً ولم يُسْنَدا

هما القَاتِلان أبا عامرٍ ... وقد كان ذا هبَّةٍ أَرْبَدا

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « ينحدرُ » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٤) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٧) .

هما تركاه لدى مَعْركٍ كأنَّ على عطفه مُجْسَدا
فلم يَرَ في الناس مثليهما أقلَّ عِثاراً وأرمى يَدا

وقال البخاريُّ[١] : ثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من حنينٍ بعث أبا عامرٍ على جيشٍ إلى أوطاسٍ ، فلقي دُريد بن الصِّمَّة ، فقتل دريدٌ وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثني مع أبي عامرٍ ، فرمي أبو عامرٍ في ركبته ، رماه جُشَميٌّ بسهمٍ فأثبته في ركبته . قال : فانتهيت إليه ، فقلت : يا عمِّ ، من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني . فقصدت له فلحقته ، فلما رآني ولَّى ، فاتَّبعته وجعلت أقول له : ألا تستحي ؟ ألا تثبت ؟ فكفَّ ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلتُه ، ثم قلت لأبي عامرٍ : قتل الله صاحبك . قال : فانزع هذا السهم . فنزعته فنزا منه الماء . قال : يا بن أخي أقرىء رسول الله ﷺ السلام ، وقل له : استغفر لي . واستخلَفني أبو عامرٍ على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات ، فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سريرٍ مُرَمَّلٍ ، وعليه فراشٌ قد أثَّر رمال السَّرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله : قل له : استغفر لي . قال : فدعا بماءٍ فتوضَّأ ، ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعُبَيدٍ أبي عامرٍ » . ورأيت بياض إبطيه ، ثم قال : « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك » . أو « من الناس » . فقلت : ولي فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيسٍ ذَنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » . قال أبو بردة : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأخرى لأبي موسى ، رضي الله عنهما .

ورواه مسلمٌ[٢] ، عن أبي كريبٍ محمد بن العلاء وعبد الله بن برَّادٍ ، عن أبي أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ـ هو الثوريُّ ـ عن عثمان البتِّيِّ ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : أصبنا نساءً من سبي أوطاسٍ ولهن أزواجٌ ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواجٌ ، فسألنا النبيَّ ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] . قال : فاستحللنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذيُّ والنسائيُّ[٤] من حديث عثمان البتِّيِّ به .

وأخرجه مسلمٌ في «صحيحه»[٥] من حديث شعبة، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٤٩٨) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٧٢) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه الترمذي رقم (١١٣٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٠٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رقم (١٤٥٦) (٣٥) .

وقد رواه الإمام أحمد، ومسلمٌ، وأبو داود، والنسائيُّ[١] من حديث سعيد بن أبي عروبة ـ زاد مسلمٌ : وشعبة ـ والترمذيُّ[٢] من حديث همام بن يحيى ، ثلاثتهم عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة الهاشميِّ ، عن أبي سعيدٍ أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاسٍ لهن أزواجٌ من أهل الشرك ، فكان أناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كفُّوا وتأثَّموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك : ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ .

وهذا لفظ أحمد بن حنبلٍ ، فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشميَّ ، وهو ثقةٌ ، وكأن هذا هو المحفوظ . والله أعلم .

وقد استدل جماعةٌ من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها . روي ذلك عن ابن مسعودٍ ، وأُبيِّ بن كعبٍ ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباسٍ ، وسعيد بن المسيَّب ، والحسن البصريِّ ، وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بَرِيرة ، حيث بيعت ثم خيِّرت في فسخ نكاحها أو بقائه ، فلو كان بيعها طلاقاً لها لما خيِّرت ، وقد تقصَّينا الكلام على ذلك في « التفسير » بما فيه كفايةٌ ، وسنذكره إن شاء الله في « الأحكام الكبير » . وقد استدل جماعةٌ من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث في سبايا أوطاسٍ ، وخالفهم الجمهور ، وقالوا : هذه قضية عَينٍ ، فلعلهن أسلمن أو كنَّ كتابياتٍ ، وموضع تقرير ذلك في « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى .

* * *

فصل

فيمن استشهد يوم حنينٍ وسرية أوطاسٍ

أيمن ابن أمِّ أيمن مولى رسول الله ﷺ ، وهو أيمن بن عُبيدٍ[٣] ، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسدٍ[٤] ؛ جمح به فرسه الذي يقال له : الجناح . فمات ، وسُرَاقَة بن مالك بن الحارث بن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٨٤) ومسلم رقم (١٤٥٦) (٣٣) و(٣٤) وأبو داود رقم (٢١٥٥) والنسائي رقم (٣٣٣٣) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠١٦) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر ترجمته في « الإصابة » (١/ ٩٢) .

(٤) انظر ترجمته في « الإصابة » (٣/ ٦٥٥) .

عديٍّ الأنصاريُّ[١] ، من بني العجلان ، وأبو عامرٍ الأشعريُّ[٢] ، أمير سرية أوطاسٍ ، فهؤلاء أربعةٌ ، رضي الله عنهم .

* * *

فصل

فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بُجَير بن زُهير بن أبي سُلمى[٣] : [من الكامل]

لـولا الإلـهُ وعبـدُه ولَّيتـمُ حيـن استخـفَّ الرُّعب كُلَّ جَبَانِ

بـالجِـزْع يـوم حَبَـا لنـا أَقْـرانُنَـا وسـوابـحٌ يكبـون لـلأذقـانِ

مـن بيـن سـاعٍ ثـوبُـهُ فـي كفِّـه ومقطَّـرٍ بسنـابـكٍ ولَبـانِ

واللهُ أكـرمنـا وأظهـر دِيْنَنَـا وأعـزَّنـا بعبـادةِ الـرَّحمـنِ

والله أَهْلَكَهُـمْ وفـرَّق جَمْعَهُـمْ وأَذَلَّهُـمْ بعِبَـادَةِ الشَّيْطَـانِ

قال ابن هشامٍ : ويروي فيها بعض الرُّواة :

إذ قَـامَ عَـمُّ نبيِّكـم ووليُّـهُ يَـدْعُـون يـا لَكتيبـةِ الإيمـانِ

أَيْـنَ الـذيـن هُـمُ أَجَابُـوا ربَّهُـمْ يـومَ العُـرَيْـضِ وبَيْعَـةِ الـرِّضْـوانِ

وقال عباس بن مِرْدَاسٍ السُّلَميُّ[٤] : [من الوافر]

فـإنـي والسَّـوابـحُ يـومَ جمـعٍ ومـا يَتْلـو الـرسـولُ مِـن الكتـابِ

لقـد أَحْبَبْـتُ مـا لَقِيَـتْ ثقيـفٌ بجَنْبِ الشِّعْبِ أمسِ مِن العذابِ

هُـمُ رأسُ العـدوِّ مِـنَ اهـلِ نجـدٍ فقتْلُهُـمُ ألـذُّ مِـن الشـرابِ

هـزَمْنـا الجمـعَ جمـعَ بني قَسـيٍّ وحَكَّـتْ بَـرْكَهـا ببنـي رِئـابِ

---

(١) انظر ترجمته في « الإصابة » (٢/ ١٨) وقيل في اسمه (سُرَاقة بن الحارث بن عدي) كما في « تجريد أسماء الصحابة » (١/ ٢٠٩) و« الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص (٢٠٧) و(سُرَاقة بن الحباب بن عدي) كما في « الإصابة » لابن حجر ، وأما لفظ (ابن مالك) الذي ورد في الكتاب عندنا فيبدو أنه سبق قلم من المؤلف رحمه الله ، أو أنه مقحم في نسخ الكتاب من النسَّاخ .

(٢) انظر ترجمته في « الإصابة » (٤/ ١٢٣) .

(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٩) و« الروض الأُنف » (٧/ ١٤٨) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(٤٧ ـ ٤٨) جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري .

وصِـرْمـاً مِـن هـلالٍ غـادَرَتْهـم ... بـأوطـاسٍ تُعَفَّـرُ بـالتُّـرابِ
ولـو لاقَيْـن جمـعَ بنـي كِـلابٍ ... لقـام نسـاؤُهـم والنَّقْـعُ كـابـي
ركَضْنـا الخيـلَ فيهـم بيـنَ بُـسٍّ ... إلـى الأوْرالِ تَنْحِـطُ بـالنِّهـابِ
بـذي لَجَـبٍ رسـولُ الله فيهـم ... كتيبتُـه تَعَـرَّضُ للضِّـرابِ

وقال عباس بن مرداسٍ[1] أيضاً : [من الكامل]

يـا خـاتَـمَ النُّبـآءِ إنـك مُـرْسَـلٌ ... بـالحَـقِّ كـلُّ هُـدَى السَّبيـلِ هُـداكـا
إن الإلـهَ بَنَـى عليـك محبـةً ... فـي خَلْقِـه ومحمـداً سمَّـاكـا
ثـم الـذيـن وفَـوْا بمـا عـاهَـدْتَهـم ... جنـدٌ بعَثْـتَ عليهـمُ الضَّحَّـاكـا
رجـلاً بـه ذَرَبُ السِّـلاحِ كـأنـه ... لَمَّـا تكَنَّفـه العـدوُّ يَـراكـا
يَغْشَى ذَوِي النَّسبِ القَريبِ وإنما ... يَبْغِـي رِضـا الـرَّحمنِ ثـم رِضـاكـا
أُنْبيـك أنّـي قـد رأيْـتُ مَكَـرَّهُ ... تحـتَ العَجـاجـةِ يَـدْمَـغُ الإشْـراكـا
طَـوْراً يُعـانِـقُ بـاليـديـن وتـارةً ... يَفْـرِي الجَمـاجـمَ صـارمـاً بَتَّـاكـا
يغْشَـى بـه هـامَ الكُمـاةِ ولـو تَـرى ... منـه الـذي عـايَنْـتُ كـان شِفـاكـا
وبنـو سُلَيْـمٍ مُعْنِقـون أمـامَـه ... ضَـرْبـاً وطعنـاً فـي العـدوِّ دِراكـا
يمشـون تحـتَ لـوائِـه وكـأنَّهـم ... أُسْـدُ العَـريـنِ أرَدْنَ ثَـمَّ عِـراكـا
مـا يَـرْتجـون مِـن القـريـبِ قَـرابـةً ... إلا لطـاعـةِ ربِّهـم وهَـواكـا
هـذي مشـاهـدُنـا التـي كـانـت لنـا ... مَعْـروفـةً ووليُّنـا مَـوْلاكـا

وقال عباس بن مرداسٍ[2] أيضاً : [من الطويل]

عَفـا مِجْـدَلٌ مِـن أهلِـه فمُتـالِـعُ ... فمِطْلَـى أَرِيـكٍ قـد خَـلا فـالمَصـانِـعُ
دِيـارٌ لنـا يـا جُمْـلُ إذ جُـلُّ عَيْشِنـا ... رَخِيٌّ وصَرْفُ الدَّهْرِ للحيِّ جامِعُ
حُبَيِّبَـةٌ ألْـوَتْ بهـا غُـرْبَـةُ النَّـوَى ... لِبَيْـنٍ فهـل مـاضٍ مِـن العيشِ راجِـعُ
فـإن تَبْتغـي الكفـارَ غيـرَ مَلـومـةٍ ... فـإنـي وزيـرٌ للنبـيِّ وتـابـعُ
دعـانـا إليـه خيـرُ وَفـدٍ عَلِمْتُـم ... خُـزَيْمـةُ والمَـرَّارُ منهـم وواسِـعُ
فجِئْنـا بـألـفٍ مِـن سُلَيْـمٍ عليهـمُ ... لَبـوسٌ لهـم مِـن نسـجِ داودَ رائِـعُ
نُبـايِعُـه بـالأخْشَبَيْـن وإنمـا ... يـدَ الله بيـنَ الأخْشَبَيْـن نُبـايِـعُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٢٢ ـ ١٢٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٠٧ ـ ١٠٩) .

فَجُسْنَـا مـع المهـديِّ مكـةَ عَنْـوةً بـأسيـافنـا والنَّقْـع كـابٍ وسـاطِـعُ
عَـلانيَـةً والخيـلُ يَغْشَـى مُتـونَهـا حميـمٌ وآنٍ مِـن دمِ الجـوفِ نـاقـعُ
ويـومَ حنيـنٍ حيـنَ سـارت هَـوازِنٌ إلينـا وضـاقـت بـالنفوسِ الأضـالـعُ
صبَـرْنـا مـع الضَّحَّـاكِ لا يستَفِـزُّنـا قِـراعُ الأعـادي منهـمُ والـوَقـائـعُ
أمـامَ رسـولِ الله يَخْفِـقُ فـوقَنـا لِـواءٌ كخُـذْروفِ السحـابـةِ لامـعُ
عَشِيَّـةَ ضَحَّـاكُ بـنُ سفيـانَ مُعْتَـصٍ بسيـفِ رسـولِ الله والمـوتُ كـانـعُ
نـذُودُ أخـانـا عـن أخينـا ولـو نَـرَى مَصـالاً لَكُنَّـا الأقْـرَبيـن نُتـابِـعُ
ولكـنَّ ديـنَ الله ديـنَ محمـدٍ رَضِينـا بـه فيـه الهُـدَى والشَّـرائـعُ
أقـام بـه بعـدَ الضَّـلالـةِ أمْـرَنـا ولـيـس لأمـرٍ حمَّـه الله دافـعُ

وقال عباسٌ[1] أيضاً: [من الطويل]

تَقطَّـعَ بـاقـي وَصْـلِ أُمِّ مُـؤَمَّـلِ بعـاقبـةٍ واستَبْـدَلَـت نِيَّـةً خُلْفـا
وقـد حَلَفَـت بـالله لا تَقْطَـعُ القُـوَى فمـا صـدَقَـت فيـه ولا بَـرَّتِ الحَلْفـا
خُفـافِيَّـةٌ بَطْـنُ العَقيـقِ مَصِيفُهـا وتَحْتَلُّ في البادين وَجْرةَ فالعُرْفا
فـإن تَتْبَـعِ الكفـارَ أمُّ مُـؤَمَّـلٍ فقـد زَوَّدَت قلبـي علـى نَـأْيِهـا شَغْفـا
وسـوف يُنَبِّيْهـا الخبيـرُ بـأنَّنـا أبَيْنـا ولـم نَطْلُـبْ سِوى ربِّنـا حِلْفـا
وأنَّـا مـع الهـادي النبـيِّ محمـدٍ وفَيْنـا ولـم يسْتَـوفِهـا معشـرٌ ألْفـا
بفتيـانِ صـدقٍ مِـن سُلَيـمٍ أعِـزَّةٍ أطاعوا فما يَعْصُون مِن أمرِه حَرْفا
خُفـافٌ وذَكْـوانٌ وعـوفٌ تَخـالُهـم مَصاعِبَ زافَتْ في طَروقتِها كُلْفا
كأنَّ النسيجَ الشُّهْبَ والبِيضَ مُلْبَسٌ أُسوداً تَلاقَت في مراصِدِها غُضْفا
بنـا عَـزَّ ديـنُ الله غيـرَ تَنَحُّـلٍ وزِدْنا على الحيِّ الذي معه ضِعْفا
بمكـةَ إذْ جِئْنـا كـأنَّ لِـواءَنـا عُقـابٌ أرادت بعـدَ تَحْليقِهـا خَطْفـا
على شُخَّصِ الأبْصارِ تَحْسَب بينَها إذا هي جالت في مَراوِدِها عَزْفا
غـداةَ وَطِئْنـا المشـركيـن ولـم نجـدْ لأمـرِ رسـولِ الله عَـدْلاً ولا صَـرْفـا
بمُعْتَـرَكٍ لا يَسْمَـعُ القـومُ وسْطَـه لنـا زَجْمـةً إلا التَّـذامـرَ والنَّقْفـا
ببِيـضٍ تُطِيـرُ الهـامَ عـن مُسْتَقَـرِّهـا ونَقْطِـفُ أعنـاقَ الكُمـاةِ بهـا قَطْفـا
فَكـائِـنْ تـرَكْنـا مِـن قتيـلٍ مُلَحَّـبٍ وأرملـةٍ تـدْعـو علـى بعلِهـا لَهْفـا

---

(١) أي: ابن مرداس، والأبيات في «ديوانه» ص(١١٤).

رِضا الله نَنْوي لا رِضا الناسِ نَبْتغي ... ولله ِما يبـدو جميعـاً ومـا يَخْفَـى

قال عباس بن مرداسٍ[(١)] أيضاً : [من البسيط]

مـا بـالُ عينِـكَ فيهـا عـائـرٌ سَهِـرُ ... مثلُ الحَماطَةِ أغْضَى فوقَها الشُّفُرُ
عيـنٌ تـأَوَّبهـا مِـن شَجْـوِهـا أرَقٌ ... فـالمـاءُ يَغْمُـرُهـا طَـوْراً ويَنْحَـدِرُ
كـأنَّـه نَظْـمُ دُرٍّ عنـدَ نـاظِمِـه ... تقَطَّـعَ السِّلْـكُ مِنـه فهْـو مُنْتَثِـرُ
يـا بُعْدَ مَنْـزِلِ مَـن تَـرْجو مَـوَدَّتَـه ... ومَـن أتَـى دونَـه الصَّمَّـانُ فـالحَفَـرُ
دَعْ ما تقدَّم مِن عهدِ الشبابِ فقد ... ولَّـى الشبـابُ وزار الشَّيْـبُ والـزَّعَـرُ
واذكُـرْ بـلاءَ سُلَيْـمٍ فـي مـواطِنِهـا ... وفـي سُلَيْـمٍ لأهـلِ الفخـرِ مُفْتَخَـرُ
قَـومٌ هُـمُ نصَـروا الـرحمنَ واتَّبَعـوا ... ديـنَ الـرسـولِ وأمْـرُ الناسِ مُشْتَجِرُ
لا يَغْرِسون فَسِيلَ النخلِ وَسْطَهُم ... ولا تَخـاوَرُ فـي مَشْتـاهـمُ البقـرُ
إلا سَـوابِـحَ كـالعِقْبـانِ مُقْـرَبَـةً ... فـي دارَةٍ حـولَهـا الأخْطـارُ والعَكَـرُ
تُدْعَى خُفافٌ وعوفٌ في جَوانبِها ... وحـيُّ ذَكْـوانَ لا مِيـلٌ ولا ضُجُـرُ
الضـاربـون جنـودَ الشِّرْكِ ضاحيـةً ... ببطـنِ مكـةَ والأرواحُ تُبْتَـدَرُ
حتـى دفَعْنـا وقَتْـلاهـم كـأنهـمُ ... نخـلٌ بظـاهـرةِ البَطْحـاءِ مُنْقَعِـرُ
ونحـن يـومَ حنيـنٍ كـان مَشْهَـدُنـا ... للـدِّيـنِ عِـزّاً وعنـدَ الله مُـدَّخَـرُ
إذ نَـرْكَـبُ المـوتَ مُخْضَـرّاً بَطـائنُـه ... والخيـلُ يَنْجابُ عنها ساطعٌ كَدِرُ
تحتَ اللِّواءِ مع الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنا ... كما مشَى الليثُ في غاباتِه الخَدِرُ
في مأزِقٍ مِن مَجَرِّ الحربِ كَلْكَلُها ... تكـادُ تـأْفُـلُ مِنـه الشمـسُ والقمـرُ
وقـد صبَـرْنـا بـأوطـاسٍ أسِنَّتَنـا ... لله ِنَنْصُـرُ مَـن شِئْنـا ونَنْتَصِـرُ
حتـى تـأَوَّب أقـوامٌ منـازِلَهـم ... لولا المليكُ ولولا نحن ما صدَروا
فمـا تَـرى معشـراً قَلُّـوا ولا كثُـروا ... إلا قـدَ اَصْبـح منـا فيهـمُ أثَـرُ

وقال عباسٌ[(٢)] أيضاً : [من الكامل]

يـا أيُّهـا الـرّجـلُ الـذي تَهْـوِي بـه ... وَجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ[(٣)]
إمَّـا أتيْـتَ علـى النبـيِّ فقـل لـه ... حقّـاً عليـك إذا اطْمَـأَنَّ المَجْلِسُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٧٢ ـ ٧٤) .
(٢) أي : ابن مرداس ، والأبيات في « ديوانه » ص(٨٧ ـ ٨٩) .
(٣) أي : شديدة .

يا خيرَ مَن ركِبَ المَطِيَّ ومَن مشى ... فوقَ الترابِ إذا تُعَدُّ الأنْفُسُ
إنا وفَيْنا بالذي عاهَدْتَنا ... والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماةِ وتُضْرَسُ
إذْ سال مِن أفناءِ بُهْثَةَ كلِّها ... جَمْعٌ تَظَلُّ به المخَارِمُ تَرْجُسُ
حتى صبَحْنا أهلَ مكةَ فَيْلَقاً ... شَهْباءَ يَقْدُمُها الهُمامُ الأَشْوَسُ
مِن كلِّ أغْلَبَ مِن سُلَيْمٍ فوقَه ... بيضاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخالِ وقَوْنَسُ[١]
يَرْوِي القناةَ إذا تَجاسَرَ في الوَغَى ... وتَخالُه أسَداً إذا ما يَعْبِسُ
يَغْشَى الكتيبةَ مُعْلِماً وبكفِّه ... عَضْبٌ يَقُدُّ به ولَدْنٌ مِدْعَسُ[٢]
وعلى حُنينٍ قد وَفَى مِن جَمْعِنا ... ألفٌ أُمِدَّ به الرسولُ عَرَنْدَسُ[٣]
كانوا أمامَ المؤمنين دَرِيئَةً ... والشمسُ يومئذٍ عليهم أشْمُسُ
نَمْضِي ويحْرُسُنا الإلهُ بحفظِه ... واللهُ ليس بضائعٍ مَن يحْرُسُ
ولقد حُبِسْنا بالمناقِبِ محْبِساً ... رضِيَ الإلهُ به فنِعْمَ المَحْبِسُ
وغداةَ أوطاسٍ شدَدْنا شدةً ... كفَتِ العدوَّ وقيل منها يا احبِسوا
تدعو هَوازِنُ بالإخاوةِ بينَنا ... ثَدْيٌ تمدُّ به هَوازِنُ أيْبَسُ
حتى تركْنا جمعَهم وكأنه ... عَيْرٌ تَعاقَبُه السِّباعُ مُفَرَّسُ

وقال أيضاً[٤] ، رضي الله عنه : [من الطويل]

فمَنْ مُبْلِغُ الأقوامِ أن محمداً ... رسولَ الإلهِ راشدٌ حيث يَمَّمَا
دعا ربَّه واستَنْصَرَ الله وحدَه ... فأصبح قد وفَّى إليه وأنْعَما
سَرَيْنا وواعَدْنا قُدَيْداً محمداً ... يؤُمُّ بنا أمراً مِن الله مُحْكَمَا
تَمارَوا بنا في الفجرِ حتى تبَيَّنوا ... مع الفجرِ فِتْياناً وغاباً مُقَوَّماً
على الخيلِ مَشْدوداً علينا دُروعُنا ... ورَجْلاً كدُفَّاعِ الأَتِيِّ عَرَمْرَماً
فإن سَراةَ الحيِّ إن كنتَ سائلاً ... سُلَيمٌ وفيهم مِنهمُ مَن تسَلَّمَا
وجندٌ مِن الأنصارِ لا يَخْذُلونه ... أطاعوا فما يَعْصُونه ما تكَلَّما
فإن تَكُ قد أمَّرْتَ في القوم خالداً ... وقدَّمْتَه فإنَّه قد تقَدَّما
بجُندٍ هداه الله أنت أميرُه ... تُصِيبُ به في الحقِّ مَن كان أظْلَما

---

(١) القونس : أعلى بيضة الحديد .
(٢) المدعس : الطعان .
(٣) العرندس : الشديد .
(٤) أي : (العباس بن مرداس) والأبيات في « ديوانه » ص(١٤١ ـ ١٤٣) .

حلَفْتُ يميناً بَرَّةً لمحمدٍ ... فأكْمَلْتُها ألفاً مِن الخيلِ مُلْجَمَا
وقال نبيُّ المؤمنين تقَدَّموا ... وحُبَّ إلينا أن تكونَ المُقَدَّما
وبِتْنا بنَهيِ المُستديرِ ولم يَكُنْ ... بنا الخوفُ إلا رغْبةً وتَحَزُّمَا
أطَعْناكَ حتى أسْلَم الناسُ كلُّهم ... وحتى صَبَحْنا الجمعَ أهلَ يَلَمْلَما
يَضِلُّ الحِصانُ الأبْلَقُ الوَرْدُ وَسْطَه ... ولا يطْمَئِنُّ الشيخُ حتى يُسَوِّما
سَمَوْنا لهم وِرْدَ القَطا زَفَّهُ ضُحىً ... وكلٌّ تَراهُ عن أخيه قَدَ أحْجَما
لَدُنْ غُدْوةٍ حتى ترَكْنا عَشِيَّةً ... حُنيناً وقد سالت دَوافِعُه دَمَا
إذا شِئْتَ مِن كُلٍّ رأيْتَ طِمِرَّةً ... وفارِسَها يَهْوِي ورُمحاً مُحَطَّمَا
وقد أحْرَزَت مِنا هَوازِنُ سَرْبَها ... وحُبَّ إليها أن نَخِيبَ ونُحْرَما

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداسٍ السُّلميِّ ، رضي الله عنه ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضاً ، وقد حصل ما فيه كفايةٌ من ذلك . والله أعلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة الطَّائف

قال عُرْوَة ، وموسى بن عُقْبَة عن الزهريِّ[١] : قَاتَلَ رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ، وحاصر الطّائف في شوالٍ سنة ثمانٍ .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : ولما قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال ، ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عُرْوَةُ بن مسعودٍ ولا غَيْلَان بن سَلَمَة ؛ كانا بجُرَش يتعلَّمان صنعة الدّبابات[٣] ، والمجانيق والضُّبور[٤] .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧٨) .
(٣) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ١٢٣) بتحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة ، طبع دار البشير بعمّان : « الدَّبابات : آلات تصنع من خشب وتغشّى بجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها للأسوار لينقوبها .
(٤) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ١٢٣) : « الضُّبور : جلود يُغشى بها يُتقى بها في الحرب » .

قال : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنينٍ ، فقال كعب بن مالكٍ[(١)] في ذلك : [من الوافر]

قضَيْنا مِن تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا
نُخَيِّرُها ولو نطقَت لقالت ... قَواطِعُهنَّ دَوْساً أو ثقيفَا
فلسْتُ لحاضنٍ إن لم تروْها ... بساحةِ داركم منا أُلوفا
وننْتَزِعُ العُروشَ ببطنِ وَجٍّ ... وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلوفَا
ويأْتِيكم لنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادِرُ خلفَه جمعاً كثيفَا
إذا نزَلوا بساحتِكم سمِعْتُم ... لها مما أناخَ بها رَجِيفَا
بأيديهم قَواضِبُ مُرْهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المُصْطَلِين بها الحتُوفَا
كأمثالِ العقائقِ أخْلَصَتْها ... قُيونُ الهندِ لم تُضْرَبْ كَتِيفَا
تَخالُ جَدِيَّةَ الأبْطالِ فيها ... غَداةَ الزَّحْفِ جادِيّاً مَدُوفَا
أجَدَّهُمُ أليس لهم نَصِيحٌ ... مِن الأقوامِ كان بنا عَرِيفَا
يُخَبِّرُهم بأنا قد جَمَعْنا ... عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفَا
وأنَّا قد أتَيْناهم بزَحْفٍ ... يُحِيطُ بسورِ حصنِهمُ صُفوفَا
رئيسُهُمُ النبيُّ وكان صُلْباً ... نقيَّ القلبِ مُصْطَبِراً عَروفَا
رشيدَ الأمرِ ذا حُكْمٍ وعلمٍ ... وحِلْمٍ لم يَكُنْ نَزِقاً خَفِيفاً
نُطِيعُ نَبِيَّنا ونُطِيعُ ربّاً ... هو الرحمنُ كان بنا رؤُوفَا
فإن تُلْقُوا إلينا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... ونجْعَلْكم لنا عَضُداً ورِيفَا
وإن تَأْبَوْا نُجاهِدْكم ونَصْبِرْ ... ولا يَكُ أمْرُنا رَعِشاً ضعيفَا
نُجالِدُ ما بَقِينا أو تُنِيبوا ... إلى الإسلامِ إذعاناً مُضِيفَا
نُجاهِدُ لا نُبالي ما لقِينا ... أأهْلَكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفَا
وكم مِن معشرٍ أَلَبوا علينا ... صَميمَ الجِذْمِ منهم والحَلِيفَا
أتَوْنا لا يَرَوْن لهم كِفاءً ... فجَدَّعْنا المَسامعَ والأُنوفَا
بكلِّ مُهَنَّدٍ لَيِّنٍ صَقيلٍ ... نَسوقُهمُ بها سَوْقاً عَنِيفَا
لأمْرِ اللهِ والإسلامِ حتى ... يقومَ الدِّينُ معتدلاً حَنِيفَا
وتُنْسَى اللاتُ والعُزَّى ووُدٌّ ... ونَسْلُبَها القَلائدَ والشُّنوفَا
فأمْسَوا قد أقَرُّوا واطْمَأنُّوا ... ومَن لا يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسوفَا

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٨٨) .

وقال ابن إسحاق[١] : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عميرٍ الثقفيُّ ـ قلت[٢] : وقد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيفٍ ، فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، وأبو عمر بن عبد البرِّ ، وابن الأثير ، وغير واحدٍ . وزعم المدائنيُّ أنه لم يسلم ، بل صار إلى بلاد الروم فتنصَّر ومات بها ـ : [من الطويل]

فمَن كان يَبْغِينا يريدُ قتالَنا ... فإنا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيمُها

وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما ترى ... وكانت لنا أَطْواؤُها[٣] وكُرومُها

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخبَرها ذو رأيِها وحَليمُها

وقد عَلِمَتْ إن قالت الحقَّ أننا ... إذا ما أبَت صُعْرُ الخُدودِ نُقِيمُها

نُقَوِّمُها حتى يَلينَ شَرِيسُها ... ويُعْرَفَ للحقِّ المُبينِ ظَلومُها

علينا دِلاصٌ مِن تُراثِ مُحَرِّقٍ ... كلَوْنِ السماءِ زَيَّنَتْها نُجومُها

نُرَفِّعُها عنا بِبِيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدَت في غَمْرةٍ لا نَشِيمُها

قال ابن إسحاق[٤] : وقال شَدَّاد بن عارضٍ الجُشَميُّ في مسير رسول الله ﷺ إلى الطَّائف : [من البسيط]

لا تَنْصُروا اللاتَ إن الله مُهْلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَن هوْ ليس ينْتَصِرُ

إن التي حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشْتَعَلت ... ولم تُقاتِلْ لدَى أحجارِها هَدَرُ

إن الرسولَ متى ينْزِلْ بلادَكمُ ... يَظْعَنْ وليس بها مِن أهلِها بشَرُ

قال ابن إسحاق[٥] : فسلك رسول الله ﷺ ـ يعني من حُنينٍ إلى الطَّائف ـ على نخلَة اليمانية ، ثم على قَرْنٍ ، ثم على المُلَيح ، ثم على بحرة الرُّغاء من لِيَّةَ ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني عمرو بن شعيبٍ أنه ، عليه السلام ، أقاد يومئذٍ ببحرة الرُّغاء حين نزلها بدمٍ ، وهو أول دمٍ أُقيد به في الإسلام ، رجلٌ من بني ليثٍ قتل رجلاً من هذيلٍ فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلِيَّة ، بحصن مالك بن عوفٍ فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريقٍ يقال لها : الضَّيقة . فلما توجَّه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨١) .

(٢) القائل هنا (ابن كثير) مؤلف الكتاب معقباً على ابن إسحاق الذي أورد الأبيات التالية في « السيرة النبوية » ونقلها عنه المؤلف .

(٣) الأطواء : الآبار .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨١) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .

فقال : « ما اسم هذه الطريق ؟ » فقيل : الضَّيْقة . فقال : « بل هي اليُسرى » . ثم خرج منها على نَخِبٍ ، حتى نزل تحت سِدرةٍ يقال لها : الصادرة . قريباً من مال رجلٍ من ثقيفٍ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : « إما أن تخرج إلينا وإما أن نُخرب عليك حائطك » . فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه .

وقال ابن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أُمَيَّة ، عن بُجَير بن أبي بُجَيرٍ ، سمعت عبد الله بن عمرٍو ، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبرٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا قبر أبي رِغالٍ ، وهو أبو ثقيفٍ ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يُدفع عنه ، فلما خرج أصابته النِّقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غُصنٌ من ذهبٍ ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » . قال : فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن .

ورواه أبو داود[٢] ، عن يحيى بن معينٍ ، عن وهب بن جرير بن حازمٍ ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقيُّ[٣] من حديث يزيد بن زُرَيْعٍ عن روح بن القاسم ، عن إسماعيل به أمية به .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل ناسٌ من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، [فكانت النَّبْلُ تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أُصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل][٥] فتأخَّروا إلى موضع مسجده ، عليه الصلاة والسلام ، اليوم بالطائف الذي بنته ثقيفٌ بعد إسلامها ، بناه عمرو بن أُمية بن وهبٍ ، وكانت فيه ساريةٌ لا تطلع عليها الشمس صبيحة كلِّ يومٍ إلا سُمع لها نقيضٌ فيما يذكرون . قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلةً .

قال ابن هشامٍ : ويقال : سبع عشرة ليلةً .

وقال عُروة ، وموسى بن عقبة عن الزهريِّ[٦] : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف وترك السَّبي بالجِعْرانة ، ومُلئت عُرُش مكة منهم ، ونزل رسول الله ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلةً يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحدٌ منهم غير أبي بكرة بن مسروحٍ أخي زيادٍ لأمِّه ، فأعتقه رسول الله ﷺ ، وكثرت الجراح ، وقطعوا طائفةً من أعنابهم ليغيظوهم بها ، فقالت لهم ثقيف :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٦/ ٢٩٧) .
(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٨٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٦/ ٢٩٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .
(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) مصدر المؤلف .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٥٧) .

لا تفسدوا الأموال ، فإنها لنا أو لكم . وقال عروة : أمر رسول الله ﷺ كلَّ رجلٍ من المسلمين أن يقطع خمس نخَلاتٍ أو خمس حُبْلاتٍ ، وبعث منادياً ينادي : « من خرج إلينا فهو حرٌّ » . فاقتحم إليه نفرٌ منهم ، فيهم أبو بكرة بن مسروحٍ أخو زياد بن أبي سفيان لأمِّه ، فأعتقهم ودفع كلَّ رجلٍ منهم إلى رجلٍ من المسلمين يعوله ويحمله .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا يزيد ، ثنا حجاجٌ ، عن الحكم ، عن مِقسَمٍ ، عن ابن عباسٍ أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد[٢] أيضاً : ثنا عبد القدُّوس بن بكر بن خُنيسٍ ، ثنا الحَجَّاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ، فخرج إليه عبدان فأعتقهما ، أحدهما أبو بكرة ، وكان رسول الله ﷺ يُعتق العبيد إذا خرجوا إليه .

وقال أحمد[٣] أيضاً : ثنا نصر بن بابٍ ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حرٌّ » . فخرج عبيدٌ من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله ﷺ . هذا الحديث تفرَّد به أحمد ، ومداره على الحَجَّاج بن أرطاة ، وهو ضعيفٌ ، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كلَّ عبدٍ جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق ، حكماً شرعياً مطلقاً عامّاً .

وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عامّاً ، ولو صَحَّ الحديث لكان التشريع العامُّ أظهر ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل قتيلاً فَلَهُ سَلَبُه »[٤] .

وقد قال يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق[٥] : حدَّثني عبد الله بن المكدَّم الثقفيُّ قال : لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيقٌ من رقيقهم ؛ أبو بكرة وكان عبداً للحارث بن كلدة ، والمنبعث وكان اسمه المضطجع ، فسمَّاه رسول الله ﷺ المنبعث ، ويُحنَّس ووَردان ، في رهطٍ من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وَفْدُ أهل الطائف فأسلموا ، قالوا : يا رسول الله ، ردَّ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عتقاء الله » . وردَّ على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله إليه .

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا غندرٌ ، ثنا شعبة ، عن عاصمٍ ، سمعت أبا عثمان قال :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/٢٣٦) ، وهو حديث حسن ، يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .

(٢) في « المسند » (١/٢٤٣) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .

(٣) في « المسند » (١/٢٤٨) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٣٢١) ومسلم رقم (١٧٥١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٥٩) .

(٦) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٦) ، ومسلم رقم (٦٣) .

سمعت سعداً ـ وهو أول من رمى بسهمٍ في سبيل الله ـ وأبا بكرة ـ وكان تسوَّر حصن الطائف في أُناسٍ ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ـ قالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه ، فالجنة عليه حرامٌ » . ورواه مسلمٌ من حديث عاصمٍ به .

قال البخاريُّ[١] : وقال هشامٌ : أنبأنا معمرٌ ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النَّهديِّ ، قال : سمعت سعداً وأبا بكرة ، عن النبيِّ ﷺ ، قال عاصمٌ : قلت : لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما . قال : أجل ، أمَّا أحدهما فأول من رمى بسهمٍ في سبيل الله ، وأمَّا الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثةٍ وعشرين من الطائف .

قال محمد بن إسحاق[٢] : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه ، إحداهما أمُّ سلمة ، فضرب لهما قبَّتين ، فكان يصلي بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنَّبْل .

قال ابن هشامٍ[٣] : ورماهم بالمنجنيق ، فحدَّثني من أثق به أن النبيَّ ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفراً من الصحابة دخلوا تحت دَبَّابةٍ ، ثم زحفوا ليخرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سكك الحديد مُحْمَاةً ، فخرجوا من تحتها ، فرمتْهُم ثقيف بالنَّبْل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فحينئذٍ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيفٍ ، فوقع الناس فيها يقطِّعون .

قال : وتقدَّم أبو سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شعبة ، فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلِّماهم ، فأمَّنوهما ، فدعَوا نساءً من قريشٍ وبني كنانة ليخرجن إليهم ـ وهما يخافان عليهن السِّباء إذا فتح الحصن ـ فأبين ، فقال لهما ابن الأسود بن مسعودٍ : ألا أدلُّكما على خيرٍ مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعودٍ حيث قد علمتما ـ وكان رسول الله ﷺ نازلاً بوادٍ يقال له : العقيق . وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف ـ وليس بالطائف مالٌ أبعد رِشاءً ولا أشدَّ مؤونةً ولا أبعد عِمارةً منه ، وإن محمداً إن قطَّعه لم يعمر أبداً ، فكلِّماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم .

وقد روى الواقديُّ[٤] عن شيوخه نحو هذا ، وعنده أن سلمان الفارسيَّ هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده ، وقيل : قدم به وبدبَّابتين . فالله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٨٢) .
(٤) انظر « المغازي » (٣/ ٩٢٩) .

وقد أورد البيهقيُّ[١] من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة أن عيينة بن حصنٍ استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام ، فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثَّبات في حصنهم ، وقال : لا يهولنَّكم قطع ما قطِّع من الأشجار . في كلامٍ طويلٍ ، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ : « ما قلت لهم ؟ » قال : دعوتهم إلى الإسلام ، وأنذرتهم النار ، وذكَّرتهم بالجنة . فقال : « كذبت ، بل قلت لهم كذا وكذا » . فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقيُّ[٢] عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن هشامٍ الدَّستوائيِّ ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي نجيحٍ السُّلميِّ ؛ وهو عمرو بن عبَسة ، رضي الله عنه ، قال : حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بلغ بسهمٍ فله درجةٌ في الجنة » . فبلَّغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعتُه يقول : « من رمى بسهمٍ في سبيل الله ، فهو عَدْل محرَّرٍ ، ومن شاب شيبةً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيُّما رجلٍ أعتق رجلاً مسلماً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامه وِقاءً ، كلَّ عظمٍ بعظمٍ ، وأيُّما امرأة مسلمةٍ أعتقت امرأةً مسلمةً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامها وقاء كلِّ عظمٍ من عظامها من النار » .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ وصحَّحه ، والنسائيُّ[٣] ، من حديث قتادة به .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا الحميديُّ ، سمع سفيان ، ثنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن زينب بنت أمِّ سلمة ، عن أمِّ سلمة قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي مخنَّثٌ ، فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخلنَّ هؤلاء عليكن » . قال ابن عيينة : وقال ابن جريجٍ : المخنَّث هِيتٌ . وقد رواه البخاريُّ أيضاً ومسلمٌ من طرقٍ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه به[٥] وفي لفظٍ : وكانوا يرونه من غير أولي الإربة من الرجال . وفي لفظٍ : قال رسول الله ﷺ : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا ؟! لا يدخلنَّ عليكن هؤلاء » . يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخلٌ في قوله تعالى : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور : ٣١] . والمراد بالمخنَّث في عرف السلف الذي لا هِمَّة له إلى النساء ، وليس المراد به الذي يُؤتى ؛

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٦٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٢/١٥٩) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٣٩٦٥) والترمذي رقم (١٦٣٨) والنسائي رقم (٣١٤٣) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٣٢٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (٥٢٣٥) ومسلم رقم (٢١٨٠) .

إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دلَّ عليه الحديث[١] ، وكما قتله أبو بكرٍ الصديق ، رضي الله عنه ، ومعنى قوله : تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . يعني بذلك عُكَن بطنها ، فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ، ثم تصير كلُّ واحدةٍ ثنتين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيفٍ .

وهذا المخنَّث قد ذكر البخاريُّ عن ابن جُريجٍ أن اسمه هِيتٌ ، وهذا هو المشهور .

لكن قال يونس ، عن ابن إسحاق[٢] قال : وكان مع رسول الله ﷺ مولىً لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذٍ مخنَّثٌ يقال له : ماتعٌ . يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته ، ولا يُرى أنه يفطن لشيءٍ من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يُرى أن له في ذلك إرباً ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد ، إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتنَّ منكم بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا ؟! » الحديث ، ثم قال لنسائه : « لا يدخلنَّ عليكم » . فحُجِب عن بيت رسول الله ﷺ .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن عمروٍ ، عن أبي العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمروٍ قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف ، فلم ينل منهم شيئاً ، قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله» . فثقل عليهم ، وقالوا : نذهب ولا نفتحه؟ فقال : «اغدوا على القتال» . فغدَوا ، فأصابهم جراحٌ ، فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » . فأعجبهم ، فضحك النبيُّ ﷺ . وقال سفيان مرةً : فتبسَّم .

ورواه مسلمٌ[٤] من حديث سفيان بن عيينة به ، وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب[٥] .

واختلف في نُسخ البخاريِّ ؛ ففي نسخةٍ كذلك ، وفي نسخةٍ : عن عبد الله بن عمرو بن العاص . والله أعلم .

وقال الواقديُّ[٦] : حدَّثني كثير بن زيدٍ ، عن الوليد بن رباحٍ ، عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة ليلةً من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدُّئليَّ فقال : « يا نوفل ، ما ترى في المقام عليهم ؟ » . قال : يا رسول الله ، ثعلبٌ في جُحرٍ ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرَّك .

---

(١) وهو قوله ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٠) وأبو داود رقم (٤٤٦٢) والترمذي رقم (١٤٥٦) وابن ماجة (٢٥٦١) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٦٠) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٥) .

(٤) رواه مسلم رقم (١٧٧٨) .

(٥) لكن قال النووي في « شرح مسلم » : هكذا هو في نسخ « صحيح مسلم » : عن عبد الله بن عَمرو ، بفتح العين وهو ابن عمرو بن العاص . وصوّبه الدارقطني من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(٦) انظر « المغازي » (٣/ ٩٣٦) .

قال ابن إسحاق[١] : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكرٍ الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً : « يا أبا بكرٍ ، إني رأيت أني أُهديت لي قَبعةٌ مملوءةٌ زبداً ، فنقرها دِيكٌ ، فهراق ما فيها » . فقال أبو بكرٍ ، رضي الله عنه : ما أظنُّ أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : « وأنا لا أرى ذلك » . قال : ثم إن خويلة بنت حكيمٍ السُّلَمية ، وهي امرأة عثمان بن مظعونٍ قالت : يا رسول الله ، أعطني ـ إن فتح الله عليك الطائف ـ حليَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حليَّ الفارعة بنت عقيلٍ ، وكانتا من أحلى نساء ثقيفٍ ، فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها : « وإن كان لم يؤذن في ثقيفٍ يا خويلة ؟ » . فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما حديثٌ حدَّثتْنيه خويلة زعمت أنك قلته ؟ قال : « قد قلته » . قال : أو ما أذن فيهم ؟ قال : « لا » . قال : أفلا أؤذِّن بالرحيل ؟ قال : « بلى » . فأذَّن عمر بالرحيل ، فلما استقلَّ الناس نادى سعيد بن عبيد بن أَسيد بن أبي عمرو بن علاجٍ : ألا إن الحيَّ مقيمٌ . قال : يقول عيينة بن حصنٍ : أجل ، والله مَجَدةً كراماً . فقال له رجلٌ من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمدٌ الطائف ، فأصيب من ثقيفٍ جاريةً أطؤها ، لعلها تلد لي رجلاً ، فإن ثقيفاً مناكير[٢] .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود[٣] ، عن عُرْوَة قصة خويلة بنت حكيم ، وقول رسول الله ﷺ ما قال ، وتأذين عمر بالرحيل ، قال : وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرِّحوا ظهرهم ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدهم واكفنا مُؤنتهم » .

وروى الترمذيُّ[٤] من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ قالوا : يا رسول الله ، أحرقتْنا نبال ثقيفٍ ، فادع الله عليهم . فقال : « اللهم اهد ثقيفاً » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ[٥] .

وروى يونس ، عن ابن إسحاق[٦] ، حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ وعبد الله بن المكدَّم ، عمن أدركوا من أهل العلم قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلةً أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٤) .
(٢) جمع منكر ، وهو الداهي الفطن .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٨) .
(٤) رواه الترمذي رقم (٣٩٤٢) .
(٥) وفيه عنعنة أبي الزُّبير » فهو ضعيف . لكن رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٤٣) من طريق عبد الرحمن بن سابط وأبي الزبير عن جابر مقتصراً على قوله « اللهم اهد ثقيفاً ، وإسناده قوي ، فيتقوى به .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٩) .

ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينة ، فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا . وسيأتي ذلك مفصَّلاً في رمضان من سنة تسعٍ إن شاء الله .

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق[١]

فمن قريشٍ ؛ سعيد بن سعيد بن العاص بن أُمية ، وعُرْفُطَة بن جنّابٍ ، حليفٌ لبني أمية من الأَسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكرٍ الصديق ، رمي بسهمٍ فتوفِّي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة المخزوميُّ ، من رميةٍ رُمِيَهَا يومئذٍ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليفٌ لبني عديٍّ ، والسَّائب بن الحارث بن قيس بن عديٍّ السَّهْمِيُّ ، وأخوه عبد الله ، وجُليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليثٍ .

ومن الأنصار ثم من الخزرج ؛ ثابت بن الجِذع السُّلَميُّ ، والحارث بن سهل بن أبي صَعْصَعَة المازنيُّ ، والمنذر بن عبد الله ، من بني ساعدة ، ومن الأوس ، رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذٍ اثنا عشر رجلاً ؛ سبعةٌ من قريشٍ ، وأربعةٌ من الأنصار ، ورجلٌ من بني ليثٍ ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق[٢] : ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بُجير بن زهير بن أبي سُلْمى يذكر حُنيناً والطّائف[٣] : [من الكامل]

كانت عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَيْنٍ ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبْرقِ
جَمَعَت بإغْواءِ هَوازِنُ جَمْعَها ... فتبَدَّدوا كالطائرِ المُتمزِّقِ
لم يَمْنَعوا منا مَقاماً واحداً ... إلا جِدارَهمُ وبطنَ الخندقِ
ولقد تعَرَّضْنا لكيما يَخْرُجوا ... فاسْتَحصنوا منا ببابٍ مُغْلَقِ
ترْتَدُّ حَسْرَانَا إلى رَجْراجةٍ ... شَهْباءَ تَلْمَعُ بالمنايا فَيْلَقِ
مَلْمومةٍ خضراءَ لو قذَفوا بها ... حَضَناً لظلَّ كأنه لم يُخْلَقِ
مشْيَ الضِّراءِ على الهَراسِ كأننا ... قُدُرٌ تفَرَّقُ في القِيادِ وتَلْتقي
في كلِّ سابغةٍ إذا ما استَحْصَنَت ... كالنِّهيِ هَبَّت رِيحُه المُتَرَقْرِقِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٧) .
(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٩) .

جُدُلٌ تَمَسُّ فُضولُهن نِعالَنا مِـن نَسْـجِ داودٍ وآلِ مُحَـرِّقِ

وقال أبو داود[١] : ثنا عمر بن الخطاب أبو حفصٍ ، ثنا الفريابيُّ ، ثنا أبانٌ ـ قال عمر : هو ابن عبد الله بن أبي حازمٍ ـ ، ثنا عثمان بن أبي حازمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه صخرٍ ـ هو ابن الغَيلة الأحمسيُّ ـ أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً ، فلما أن سمع ذلك صخرٌ ركب في خيلٍ يُمدُّ النبيَّ ﷺ ، فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخرٌ حينئذ عهداً وذمّةً لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وكتب إليه صخرٌ : أما بعد ، فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله ، وأنا مقبلٌ بهم ، وهم في خيلٍ ، فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعةً ، فدعا لأحمس عشر دعواتٍ : « اللهم بارك لأحمس في خيلها ورجالها » . وأتاه القوم ، فتكلَّم المغيرة بن شعبة فقال : يا رسول الله ، إن صخراً أخذ عمَّتي ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون . فدعاه فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم ، فادفع إلى المغيرة عمَّته » . فدفعها إليه ، وسأل رسول الله ﷺ ماءً لبني سُليم ، قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله ، أنزلنيه أنا وقومي . قال : « نعم » . فأنزله ، وأسلم ـ يعني السُّلَميِّين ـ فأتوا صخراً فسألوه أن يدفع إليهم الماء ، فأبى ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، أسلمنا وأتينا صخراً ليدفع إلينا ماءنا ، فأبى علينا . فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أَحرزوا أموالهم ودماءهم ، فادفع إليهم ماءهم » . قال : نعم يا نبيَّ الله . فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيَّر عند ذلك حمرةً ؛ حياءً من أخذِه الجارية وأخذه الماء . تفرَّد به أبو داود ، وفي إسناده اختلافٌ .

قلت : وكانت الحكمة الإلهيةُ تقتضي أن يؤخَّر الفتح عامئذٍ ؛ لئلا يستأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدَّم أنه ﷺ لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى ، وإلى أن يؤووه حتى يبلِّغ رسالة ربِّه عز وجل ، وذلك بعد موت عمِّه أبي طالبٍ ، فردُّوا عليه قوله وكذَّبوه ، فرجع مهموماً ، فلم يستفق إلا عند قرن الثَّعالب ، فإذا هو بغمامةٍ ، وإذا فيها جبريل ، فناداه ملك الجبال فقال : يا محمد ، إن ربَّك يقرأ عليك السلام ، وقد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، فإن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين . فقال رسول الله ﷺ : « بل أستأني بهم ؛ لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً »[٢] . فناسب قوله : « بل أستأني بهم » ؛ أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم ، وأن يؤخَّر الفتح ليقدَموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٦٧) ، وفي إسناده ضعف ، كما أومأ إليه المصنف في آخر الحديث بقوله : وفي إسناده اختلاف .

(٢) رواه بنحوه البخاري رقم (٣٢٣١) ومسلم رقم (١٧٩٥) .

فصل

في مرجعه ، عليه الصلاة والسلام ، عن الطائف وقِسْمَةِ غنائم هَوَازن التي أصابها يوم حنينٍ قبل دخوله مكة معتمراً من الجعرانة

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا ، حتى نزل الجِعْرَانة فيمن معه من المسلمين ، ومعه من هَوَازن سبيٌ كثيرٌ ، وقد قال له رجلٌ من أَصحابه يوم ظعن عن ثقيفٍ : يا رسول الله، ادع عليهم. فقال: « اللهم اهد ثقيفاً وأْتِ بهم ». قال: ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلافٍ من الذَّراريِّ والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدَّته.

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني عمرو بن شعيبٍ ـ وفي رواية يونس بن بكيرٍ عنه قال : [حدثنا] عمرو بن شعيبٍ ـ عن أبيه ، عن جدِّه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحنينٍ ، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم ، أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصلٌ وعشيرةٌ ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صردٍ أبو صردٍ ، فقال : يا رسول الله ، إنَّ ما في الحظائر من السبايا خالاتُك [وعماتك] وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا لابن أبي شَمِرٍ أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك ، رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت يا رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نرجوه وندَّخِرُ
أُمنُنْ على بَيْضةٍ قد عاقَها قدَرٌ ... مُمَزَّقٍ شَملُها في دَهْرِها غِيَرُ
أبقَت لها الحربُ هُتَّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبِهِمُ الغَمَّاءُ والغَمَرُ
إن لم تَدارَكْهُمُ نَعْماءُ تَنْشُرُها ... يا أرجحَ الناسِ حِلْماً حينَ يُختَبَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فوك تَمْلؤُه مِن مَحْضِها الدِّرَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... وإذْ يَزينُك ما تأتي وما تَذَرُ
لا تَجْعَلَنَّا كمَن شالتْ نَعامَتُه ... واستَبْقِ مِنا فإنا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنا لَنَشْكُرُ آلاءَ وإن كُفِرت ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « نساؤكم وأبناؤكم أَحَبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » . فقالوا : يا رسول الله ، خيَّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل أبناؤنا ونساؤنا أحبُّ إلينا . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صلَّيت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا . فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » . فلما صلَّى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ، قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقال الأقرع بن حابسٍ : أمَّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة : أمَّا أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداسٍ السُّلميُّ : أما أنا وبنو سليمٍ فلا . فقالت بنو سُليمٍ : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . قال : يقول عباس بن مرداسٍ لبني سُليمٍ : وهَّنتموني . فقال رسول الله ﷺ : « من أمسك منكم بحقِّه فله بكلِّ إنسانٍ ستُّ فرائض من أول فيءٍ نصيبه » . فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم . ثم ركب رسول الله ﷺ واتَّبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى شجرةٍ فانتزعت رداءه ، فقال : « يا أيها الناس ، ردوا عليَّ ردائي ، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نَعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذَّاباً » . ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعيرٍ فأخذ من سنامه وبرةً فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها وقال : « أيها الناس ، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردودٌ عليكم ، فأدُّوا الخياط والمِخْيط ، فإنَّ الغلول عارٌ وشنارٌ على أهله يوم القيامة » . فجاء رجلٌ من الأنصار بكبَّةٍ من خيوط شعر فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعيرٍ لي دَبِرٍ . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا حقي منها فلك » . فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها إلى هذا فلا حاجة لي بها . فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام ردَّ إليهم سبيهم قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسارٍ ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفي « صحيح البخاريِّ »[1] من طريق الليث ، عن عقيلٍ ، عن الزهريِّ ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسألوا أن يردَّ إليهم أموالهم ونساءهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « معي من ترون ، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين ؛ إما السَّبي ، وإما المال ، وقد كنتُ استأنيت بكم » . وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلةً حين قفل من الطائف ، فلما تبيَّن لهم أن رسول الله ﷺ غير رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : إنا نختار سبينا . فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أردُّ إليهم سبيهم ، فمن أحبَّ منكم أن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣١٨) .

يطيِّب ذلك فليفعل ، ومن أحبَّ منكم أن يكون على حظِّه حتى نعطيه إيَّاه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل » . فقال الناس : قد طيَّبنا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممَّن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » . فرجع الناس ، فكلَّمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه بأنهم قد طيَّبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن . ولم يتعرَّض البخاريُّ لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمثبِت مقدَّمٌ على النَّافي ، فكيف الساكت ؟!

وقد روى البخاريُّ[١] من حديث الزهريِّ ، أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعمٍ أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ، ومعه الناس مقفَلَه من حنينٍ ، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرةٍ فخطِفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ ، ثم قال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاه نَعَماً لقسمته بينكم ، ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » . تفرَّد به البخاريُّ .

وقال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني أبو وجزة يزيد بن عبيدٍ السَّعديُّ ، أن رسول الله ﷺ أعطى عليَّ بن أبي طالبٍ جاريةً يقال لها : رَيطة بنت هلال بن حيَّان بن عُمَيرة . وأعطى عثمان بن عفان جاريةً يقال لها زينب بنت حيَّان بن عمرو بن حيَّان . وأعطى عمر جاريةً فوهبها لابنه عبد الله .

قال ابن إسحاق[٣] : فحدَّثني نافعٌ ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمح ؛ ليصلحوا لي منها ويهيِّئوها ، حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغتُ ، فإذا الناس يشتدُّون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا . قلت : تلكم صاحبتكم في بني جمح ، فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأمَّا عيينة بن حصنٍ فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحيِّ نسباً ، وعسى أن يعظُم فداؤها . فلما ردَّ رسول الله ﷺ السبايا بستِّ فرائض ، أبى أن يردَّها ، فقال له زهير بن صردٍ : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارِدٍ ، ولا ثديها بناهدٍ ، ولا بطنها بوالدٍ ، ولا زوجها بواجدٍ ، ولا درُّها بماكدٍ . فردَّها بستِّ فرائض . قال : فزعموا أن عيينة لقي الأقرع فشكى إليه بذلك ، فقال : إنَّك والله ما أخذتها بيضاء غريرةً ، ولا نصَفاً وثيرةً .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٨٢١) و(٣١٤٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٠) .

قال الواقديُّ[١] : ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كلَّ رجلٍ أربعٌ من الإبل وأربعون شاةً .

وقال سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكرٍ أن رجلاً ممن شهد حنيناً قال : والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقةٍ لي ، وفي رِجلي نعلٌ غليظةٌ ، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه ، فقرع قدمي بالسَّوط ، وقال : « أوجعتني فتأخَّر عني » . فانصرفت، فلما كان من الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني . قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقَّع . فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني، فقرعت قدمك بالسوط ، فدعوتك لأعوِّضك منها » . فأعطاني ثمانين نعجةً بالضربة التي ضربني .

والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم بعد القسمة ، كما دلَّ عليه هذا السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيبٍ الذي أورده محمد بن إسحاق عنه ، عن أبيه ، عن جدِّه أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لمَّا ردَّ السَّبي وركب ، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له : اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى سمرةٍ ، فخطِفت رداءه فقال : « ردُّوا عليَّ ردائي أيها الناس ، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذَّاباً » . كما رواه البخاريُّ[٢] ، عن جبير بن مطعمٍ بنحوه .

وكأنهم خشُوا أن يردَّ إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم ، فسألوه قسمة ذلك ، فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة ، كما أمره الله ، عزَّ وجلَّ ، وآثر أناساً في القسمة ، وتألَّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعتَب عليه أناسٌ من الأنصار حتى خطبهم ، وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله ؛ تطييباً لقلوبهم ، وتنقَّد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج ، كذي الخويصرة وأشباهه ، قبَّحه الله ، كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك ، وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عارمٌ ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي يقول : ثنا السُّمَيط السَّدوسيُّ ، عن أنس بن مالكٍ قال : فتحنا مكة ، ثم إنَّا غزونا حنيناً ، فجاء المشركون بأحسن صفوفٍ رأيت ، فصفَّت الخيل ، ثم صفَّت المقاتلة ، ثم صفَّت النساء من وراء ذلك ، ثم صفَّت الغنم ، ثم النَّعَم . قال : ونحن بشرٌ كثيرٌ ، قد بلغنا ستة آلافٍ ، وعلى مجنِّبة خيلنا خالد بن الوليد . قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا . قال : فلم نلبث أن انكشف خيلنا ، وفرَّت الأعراب ومن نعلم من الناس .

---

(١) انظر « المغازي » (٣/ ٩٤٩) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٨٢١) و(٣١٤٨) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٥٧) .

قال : فنادى رسول الله ﷺ : « يالَلمهاجرين يا للمهاجرين ، يا للأنصار [يا للأنصار] » . قال أنسٌ : هذا حديث عمِّيه . قال : قلنا : لبيك يا رسول الله . قال : وتقدَّم رسول الله ﷺ . قال : وايم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله . . قال : فقبضنا ذلك المال ، ثم انطلقنا إلى الطائف ، فحاصرناهم أربعين ليلة ، ثم رجعنا إلى مكة . قال : فنزلنا ، فجعل رسول الله ﷺ يعطى الرجل المئة ، ويعطى الرجل المئة . قال : فتحدَّث الأنصار بينها : أمَّا من قاتله فيعطيه ، وأمَّا من لم يقاتله فلا يعطيه ! فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ، ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ، ثم قال : « لا يدخلنَّ عليَّ إلا أنصاريٌّ » أو « الأنصار » . قال : فدخلنا القبَّة حتى ملأناها . قال نبيُّ الله ﷺ : « يا معشر الأنصار » ـ أو كما قال ـ « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله . قال : فرضوا . أو كما قال .

وهكذا رواه مسلم[(١)] من حديث معتمر بن سليمان . وفيه من الغريب قوله : إنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف . وإنما كانوا اثني عشر ألفاً ، وقوله : إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة . وإنما حاصروها قريباً من شهر ، أو دون العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاريُّ[(٢)] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا هشامٌ ، ثنا مَعْمَر ، عن الزهريِّ ، حدَّثني أنس بن مالك قال : قال ناسٌ من الأنصار ، حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوزان ، فطفق النبيُّ ﷺ يعطي رجالًا المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟! قال أنس بن مالك : فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبَّة أدم ، ولم يدعُ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبيُّ ﷺ فقال : « ما حديثٌ بلغني عنكم ؟ » . فقال فقهاء الأنصار : أمّا رؤساؤنا يا رسول الله ، فلم يقولوا شيئاً ، وأما نَاسٌ منا حديثةٌ أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله ﷺ : « فإني لأعطي رجالًا حديثي عهد بكفر أتألَّفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبيِّ إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا . فقال لهم النبيُّ ﷺ : « فستجدون أثرةً شديدةً ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإني على الحوض » . قال أنسٌ : فلم يصبروا . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٦) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٣٣١) .

ثم رواه البخاريُّ ومسلمٌ[١] من حديث ابن عونٍ ، عن هشام بن زيد ، عن جدِّه أنس بن مالكٍ قال : لما كان يوم حنينٍ التقى هوزان ، ومع النبيِّ ﷺ عشرة آلافٍ والطُّلقاء ، فأدبروا ، فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك ، لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله ﷺ فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، فأعطى الطُّلقاء والمهاجرين ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبَّة ، فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله ﷺ ؟ » . قالوا : بلى . فقال رسول الله ﷺ : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » .

وفي روايةٍ للبخاريِّ[٢] من هذا الوجه قال : لما كان يوم حنينٍ أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنَعمهم وذراريِّهم ، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلافٍ والطُّلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذٍ نداءين لم يخلط بينهما ؛ التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، وأصاب يومئذٍ غنائم كثيرةً ، فقسم بين المهاجرين والطُّلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً . فقالت الأنصار : إذا كانت شديدةٌ فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . فبلغه ذلك ، فجمعهم في قبَّة فقال : « يا معشر الأنصار ، ما حديثٌ بلغني ؟ » فسكتوا ، فقال : « يا معشر الأنصار ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار » . قال هشامٌ : قلت : يا أبا حمزة ، وأنت شاهدٌ ذلك ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟

ثم رواه البخاريُّ ومسلمٌ[٣] أيضاً من حديث شعبة ، عن قَتَادَة ، عن أنسٍ قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال : « إن قريشاً حديثو عهدٍ بجاهليةٍ ومصيبةٍ ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألَّفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار » أو « شعب الأنصار » .

وأخرجاه[٤] أيضاً من حديث شعبة ، عن أبي التَّيَّاح يزيد بن حميد ، عن أنسٍ بنحوه ، وفيه : فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ، إن سيوفنا لتقطر من دمائهم ، والغنائم تقسم فيهم ! فخطبهم . وذكر نحو ما تقدم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٣) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٥) .
(٢) وهي عنده رقم (٤٣٣٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٣٤) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٣) .
(٤) يعني الشيخان ، وهو عند البخاري رقم (٤٣٣٢) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٤) .

وقال الإمام أحمد(١) : ثنا عفَّان ، ثنا حَمَّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنس بن مالكٍ أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، سيوفنا تقطر من دمائهم ، وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فجمعهم في قبَّةٍ له حتى فاضت ، فقال : « فيكم أحدٌ من غيركم ؟ » قالوا : لا ، إلا ابن أُختنا . قال : « ابن أُخت القوم منهم » . ثم قال : « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم . قال : « أنتم الشِّعار والناس الدِّثار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى . قال : « الأنصار كرشي وعيبتي ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ». وقال حمادٌ: أعطى مائةً من الإبل ، فسمَّى كلَّ واحدٍ من هؤلاء . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا ابن أبي عديٍّ ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلاَّلًا فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرِّقين فجمعكم الله بي ؟ ألم آتكم أعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « أفلا تقولون : جِئْتَنا خائفاً فأمَّنَّاك ، وطريداً فآويناك ، ومخذولًا فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المنُّ علينا ولرسوله . وهذا إسنادٌ ثلاثيٌّ على شرط « الصحيحين » ، فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالكٍ ، وقد روي عن غيره من الصحابة .

فقال البخاريُّ(٣) : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا وهيبٌ ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن عبّاد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلَّفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم ، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضُلاَّلًا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرِّقين فألَّفكم الله بي ؟ وعالةً فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنُّ . قال : « لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً ، لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعارٌ والناس دثارٌ ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ورواه مسلم(٤) من حديث عمرو بن يحيى المازنيِّ به .

وقال يونس بن بكيرٍ(٥) ، عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٤٦) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٠٤ و١٠٥) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٣٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٠٦١) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٧٦) .

لبيدٍ ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنينٍ ، وقسم للمتألِّفين من قريشٍ وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليلٌ ولا كثيرٌ ، وجد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ﷺ قومه . فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنّ هذا الحيَّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » . قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤٌ من قومي . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، فإذا اجتمعوا فأعلمني » فخرج سعدٌ ، فصرخ فيهم ، فجمعهم في تلك الحظيرة ، فجاء رجالٌ من المهاجرين ، فأذن لهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم ، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحدٌ إلا اجتمع له ، أتاه فقال : يا رسول الله ، قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم . فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المنُّ لله ولرسوله . قال : « أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدِّقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ، وخائفاً فأمَّنَّاك ، ومخذولاً فنصرناك » . فقالوا : المنُّ لله ولرسوله . فقال رسول الله ﷺ : « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعةٍ من الدنيا تألَّفتُ بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » . قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله قسماً . ثم انصرف وتفرَّقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد[1] من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيحٌ .

وقد رواه الإمام أحمد[2] ، عن يحيى بن بكيرٍ ، عن الفضل بن مرزوقٍ ، عن عطية بن سعدٍ العوفيِّ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ : قال رجلٌ من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد كنت أحدِّثكم أنه لو قد استقامت الأمور قد آثر عليكم . قال : فردُّوا عليه رداً عنيفاً . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم ، فقال لهم أشياء

(١) في « المسند » (٣/ ٧٦) ، وإسناده حسن .
(٢) في « المسند » (٣/ ٨٩) ، وإسناده ضعيف .

لا أحفظها ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » . وكلما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يا رسول الله . ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدّم . تفرَّد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد[١] منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيدٍ بنحوه .

ورواه أحمد[٢] أيضاً عن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ مختصراً .

وقال سفيان بن عُيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروقٍ ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديجٍ ، عن جدِّه رافع بن خديجٍ ، أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلَّفة قلوبهم من سبي حنين مئة من الإبل ، فأعطى أبا سفيان بن حربٍ مئةً ، وأعطى صفوان بن أمية مائةً ، وأعطى عيينة بن حصنٍ مئةً ، وأعطى الأقرع بن حابسٍ مئةً ، وأعطى علقمة بن علاثة مئةً ، وأعطى مالكَ بن عوفٍ مئةً ، وأعطى العباس بن مرداس دون المئة ، ولم يبلغ به أولئك ، فأنشأ يقول[٣] : [من المتقارب]

أتجعل نهبي ونهب العُبَيـ ... ـد بين عُيينة والأَقرعِ
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان مرداس في المجمعِ
وما كنت دون امرىءٍ منهما ... ومن تخفض اليوم لا يُرفعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرإٍ ... فلم أُعط شيئاً ولم أُمنعِ

قال : فأتمَّ له رسول الله ﷺ مئةً .

رواه مسلمٌ[٤] من حديث ابن عيينة بنحوه ، وهذا لفظ البيهقيِّ[٥] .

وفي روايةٍ ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق : فقال : [من المتقارب]

كانت نهاباً تلافيتها ... بكرِّي على المُهر في الأجرعِ
وإيقاظيَ الحيَّ أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجعِ
فأصبح نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرعِ
وقد كنت في الحرب ذا تُدرإٍ ... فلم أُعط شيئاً ولم أُمنعِ
إلا أفائل أعطيتُها ... عديد قوائمها الأربعِ

---

(١) في « المسند » (٣/ ٥٧) ، وإسناده صحيح .
(٢) في « المسند » (٣/ ٣٤٧) ، وإسناده ضعيف .
(٣) بعض هذه الأبيات والتي بعدها في « ديوان العباس بن مرداس » ص(١١١ ـ ١١٢) بتقديم وتأخير .
(٤) رواه مسلم رقم (١٠٦٠) (١٣٧) .
(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩) .

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمعِ
وَمَا كنت دون امرىء منهما ومــن تضــع اليــوم لا يُــرفــعِ

قال عروة ، وموسى بن عقبة عن الزهريّ : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : « أنت القائل : أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعُيينة ؟ » فقال أبو بكرٍ : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنت بشاعرٍ وما ينبغي لك . فقال : « كيف قال ؟ » . فأنشده أبو بكرٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « هما سواءٌ ، ما يضرُّك بأيّهما بدأت » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اقطعوا عني لسانه » . فخشي بعض الناس أن يكون أراد المُثلة به ، وإنما أراد النَّبيُّ ﷺ العطية . قال : وعبيدٌ فرسه .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : كنت عند النبيِّ ﷺ ، وهو نازلٌ بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلالٌ ، فأتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ فقال : ألا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له : « أبشر » . فقال : قد أكثرت عليَّ من أبشر . فأقبل على أبي موسى وبلالٍ كهيئة الغضبان فقال : « ردَّ البشرى فاقبلا أنتما » [قالا : قبلنا] ثم دعا بقدحٍ فيه ماءٌ ، فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ، ثم قال : « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » . فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أمُّ سلمة من وراء السِّتر أن أفضلا لأمِّكما . فأفضلا لها منه طائفةً . هكذا رواه .

وقال البخاريُّ[2] : حدَّثنا يحيى بن بكيرٍ ، ثنا مالكٌ ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالكٍ قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ ، فجذبه جذبةً شديدةً ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت به حاشية الرِّداء من شدة جذبته ، ثم قال : مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاءٍ .

وقد ذكر ابن إسحاق[3] الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذٍ مئةً من الإبل ، وهم ؛ أبو سفيان صخر بن حربٍ ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كَلَدة أخو بني عبد الدار ، وعلقمة بن عُلاثة ، والعلاء بن جارية الثَّقفيُّ حليف بني زهرة ، والحارث بن هشامٍ ، وجبير بن مطعمٍ ، ومالك بن عوفٍ النَّصريُّ ، وسهيل بن عمروٍ ، وحويطب بن عبد العزَّى ، وعُيينة بن حصنٍ ، وصفوان بن أُمية ، والأقرع ابن حابسٍ .

قال ابن إسحاق[4] : وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميُّ ، أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١٤٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٦) .

أصحابه : يا رسول الله ، أعطيتَ عيينة والأقرع مئةً مئةً ، وتركتَ جُعيل بن سراقة الضَّمريَّ ! فقال رسول الله ﷺ : « أما والذي نفس محمد بيده لَجُعَيلٌ خيرٌ من طِلاع الأرض ، كلُّهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألَّفتُهما ليسلما ، ووكلت جُعيل بن سراقة إلى إسلامه » .

ثم ذكر ابن إسحاق[١] من أعطاه رسول الله ﷺ دون المئة ممن يطول ذكره .

وفي الحديث الصحيح[٢] عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنينٍ وهو أبغض الخلق إليَّ ، حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إليَّ منه .

* * *

ذكر
قدوم مَالِك بن عوفٍ النَّصريّ على الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق[٣] : وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوفٍ « ما فعل ؟ » فقالوا : هو بالطائف مع ثقيفٍ . فقال ﷺ : « أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددتُ إليه أهله وماله وأعطيته مئةً من الإبل » . فلمَّا بلغ ذلك مالكاً انسلَّ من ثقيفٍ ، حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة ـ أو بمكة ـ فأسلم وحسن إسلامه ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مئةً [من الإبل] ، فقال مالك بن عوف رضي الله عنه : [من الكامل]

مَا إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثله ... في النَّاس كلِّهمُ بمثل محمدِ

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجْتُدي ... ومتى تشأْ يخبرك عمَّا في غدِ

وإذا الكَتيبةُ عرَّدت أنيابُها ... بالسَّمهريِّ وضرب كلِّ مهنَّدِ

فكأنَّه ليثٌ على أشباله ... وسْط الهباءة خادرٌ في مرصدِ

قال : واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل ؛ ثُمالة وسَلِمة وفَهمٌ ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضيَّق عليهم .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا جرير بن حازمٍ ، ثنا الحسن ، حدَّثني عمرو بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٩٣) .
(٢) الذي رواه مسلم رقم (٢٣١٣) والترمذي رقم (٦٦٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/٤٩١) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣١٤٥) .

تغلب ، رضي الله عنه ، قال : أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين ، فكأنهم عَتبوا عليه ، فقال : « إني أعطي قوماً أخاف ظَلَعهم وجزَعهم ، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن تغلب » . قال عمرٌو : فما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْر النَّعم . زاد أبو عاصمٍ ، عن جريرٍ ، سمعت الحسن ، ثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله ﷺ أتي بمال ـ أو سبي ـ فقسمه . . . بهذا .

وفي روايةٍ للبخاريّ[1] قال : أُتي رسول الله بمالٍ ـ أو بشيء ـ فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتَبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد » . فذكر مثله سواءً . تفرَّد به البخاريُّ .

وقد ذكر ابن هشامٍ[2] أن حسان بن ثابتٍ[3] ، رضي الله عنه ، قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخُّرهم عن الغنيمة : [من البسيط]

زَادَتْ هُمومٌ فماءُ العين مَنْحَدِرُ ... سَحّاً إذا حفَلته عَبرةٌ دِرَرُ
وجداً بشمَّاءَ إذ شمَّاءُ بهكنةٌ ... هيفاءُ لا ذنَنٌ فيها ولا خوَرُ
دع عنك شمَّاءَ إذ كانت مودَّتُها ... نزْراً وشرُّ وصال الواصل النَّزرُ
وأْتِ الرسول فقل يا خير مؤتمنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّد البشرُ
عَلامَ تُدعى سُليمٌ وهي نازحةٌ ... قُدَّام قومٍ همُ آووا وهم نصروا
سمَّاهُم الله أنصاراً بنصرهم ... دين الهدى وعَوان الحرب تستعرُ
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خانوا وما ضَجِروا
والناس أُلبٌ علينا فيكَ ليس لَنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزرُ
نُجالد النَّاس لا نبقي على أحدٍ ... ولا نضيِّع ما توحي به السُّور
ولا تُهِرُّ جناة الحرب نادِيَنا ... ونحن حين تلظَّى نارها سُعُرُ
كما رددنا ببدرٍ دون ما طَلَبوا ... أهل النِّفاق وفينا ينزل الظَّفرُ
ونحن جُنْدُك يوم النَّعفِ من أُحدٍ ... إذ حزَّبت بَطَراً أحزابها مضرُ
فما ونينا وما خمنا وما خبروا ... منَّا عِثاراً وكلُّ الناس قد عثروا

***

(١) في « صحيحه » رقم (٩٢٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٧) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٦٥) مع بعض الاختلاف في ألفاظها .

اعتراض بعض الجهلة من أهل الشِّقاق والنِّفاق
على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالاتفاق

قال البخاريُّ[١] : ثنا قَبيصة ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائلٍ ، عن عبد الله قال : لما قسم النبيُّ ﷺ قسمة حنينٍ قال رجلٌ من الأنصار : ما أراد بها وجه الله . قال : فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فتغيَّر وجهه ، ثم قال : « رحمة الله على موسى ، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر » .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث الأعمش به .

ثم قال البخاريُّ[٣] : ثنا قتيبة بن سعيدٍ ، ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ،عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبيُّ ﷺ ناساً ؛ أعطى الأقرع بن حابسٍ مائةً من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناساً ، فقال رجلٌ : ما أُريد بهذه القسمة وجه الله . فقلت : لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ . قال : « رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » .

وهكذا رواه[٤] من حديث منصور بن المعتمر به .

وفي رواية للبخاريِّ[٥] : فقال رجلٌ : والله إن هذه لقسمةٌ ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرنَّ رسول الله ﷺ . فأتيته فأخبرته ، فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟! رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : وحدَّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلابٍ الليثيُّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلِّقاً نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلَّمه التَّميميُّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجلٌ من بني تميمٍ يقال له : ذو الخويصرة . فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال له : يا محمد ، قد رأيتُ ماصنعتَ في هذا اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « أجل ، فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت . قال : فغضب النبيُّ ﷺ فقال : « ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٥) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٠٦٢) (١٤١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٣٦) .
(٤) يعني مسلم في « صحيحه » رقم (١٠٦٢) (١٤٠) .
(٥) وهي عنده رقم (٣١٥٠) .
(٦) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٦) .

من يكون ؟! » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألا نقتله ؟ فقال : « لا ، دعوه فإنه سيكون له شيعةٌ يتعمَّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة ، ينظر في النَّصل فلا يوجد شيءٌ ، ثم في القِدح فلا يوجد شيءٌ ، ثم في الفُوق فلا يوجد شيءٌ ، سبق الفرثَ والدم » .

وقال اللّيث بن سعدٍ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجلٌ بالجعرانة النبيَّ ﷺ منصرفه من حنينٍ ، وفي ثوب بلالٍ فِضةٌ ، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس ، فقال : يا محمد ، اعدل . قال : « ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » . فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتلَ هذا المنافق . فقال : « معاذ الله أن يتحدَّث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميَّة » . رواه مسلم[١] ، عن محمد بن رمحٍ ، عن الليث .

وقال أحمد[٢] : ثنا أبو عامرٍ ، ثنا قُرَّة ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن جابرٍ قال : بينما رسول الله ﷺ يقسم مغانم حنينٍ ، إذ قام إليه رجلٌ فقال : اعدل . فقال : « لقد شقِيت إن لم أعدل » . ورواه البخاريُّ[٣] ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قرَّة بن خالدٍ السَّدوسيِّ به .

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث الزهريِّ، عن أبي سلمة، عن أبي سعيدٍ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة رجلٌ من بني تميمٍ ، فقال : يا رسول الله ، اعدل . فقال رسول الله ﷺ : « ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إن لم أعدل » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيءٌ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم يُنظر إلى نَضيِّه ـ وهو قِدْحُه ـ فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى قُذذه فلا يوجد فيه شيءٌ ، قد سبق الفرثَ والدم ، آيتهم رجلٌ أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تَدردر ، ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس » . قال أبو سعيدٍ : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن عليَّ بن أبي طالبٍ قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت .

ورواه مسلم[٥] أيضاً من حديث القاسم بن الفضل ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيدٍ به نحوه .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٠٦٣) .
(٢) في « المسند » (٣/ ٣٣٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٣٨) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٦١٠) ومسلم رقم (١٠٦٤) (١٤٨) .
(٥) رواه مسلم (١٠٦٥) (١٥٠) مختصراً .

ذكر
مَجِيءِ أخت رسول الله ﷺ من الرَّضاعة ، إليه وهو بالجِعْرَانة واسمها الشَّيماء

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني بعض بني سعد بن بكرٍ أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن : « إن قدرتم على بِجادٍ ـ رجلٍ من بني سعد بن بكر ـ فلا يُفلتنَّكم » . وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزَّى ، أخت رسول الله ﷺ من الرَّضاعة ، قال : فعنفوا عليها في السَّوق ، فقالت للمسلمين : تعلَّموا والله إني لأخت صاحبكم من الرَّضاعة . فلم يصدِّقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني يزيد بن عبيدٍ السَّعديُّ ـ هو أبو وجزة ـ قال : فلما انتُهي بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرَّضاعة . قال : « وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضَّةٌ عضضْتنيها في ظهري وأنا متورِّكتُك . قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وخيَّرها وقال : « إن أحببت فعندي محبَّةً مكرمةً ، وإن أحببت أن أمتِّعك وترجعي إلى قومك فعلت » . قالت : بل تمتِّعني وتردُّني إلى قومي .

فمتَّعها رسول الله ﷺ وردَّها إلى قومها ، فزعمت بنو سعدٍ أنه أعطاها غلاماً يقال له : مكحولٌ ، وجاريةً ، فزوَّجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيَّـةٌ .

وروى البيهقيُّ[٢] من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جاريةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، أنا أختك ، أنا شيماء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكوني صادقةً ، فإن بك مني أثراً لا يبلى » . قال : فكشفت عن عضدها ، فقالت : نعم يا رسول الله ، وأنت صغيرٌ ، فعضضتني هذه العضَّة . قال : فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ، ثم قال : « سلي تُعطَي ، واشفعي تشفعي » .

وقال البيهقيُّ[٣] : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو عمرو إسماعيل بن نُجيدٍ السُّلميُّ ، ثنا أبو مسلم ، ثنا أبو عاصم ، ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمِّي عُمارة بن ثوبان ، أن أبا الطُّفيل أخبره قال : كنت غلاماً أَحمل عظم البعير ، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة . قال : فجاءته

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٥٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٩٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٩٩) .

امرأةٌ فبسط لها رداءه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمُّه التي أرضعته . هذا حديثٌ غريبٌ ، ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضُنه مع أمِّها حليمة السَّعديَّة ، وإن كان محفوظاً فقد عُمِّرت حليمة دهراً ، فإنَّ من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنةً ، وأقلُّ ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ، ثلاثون سنةً ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديثٌ مرسلٌ ، فيه أن أبويه من الرَّضاعة قدما عليه ، والله أعلم بصحَّته ؛ قال أبو داود في « المراسيل »(١) : ثنا أحمد بن سعيد الهمْدَانيُّ ، ثنا ابن وهبٍ ، ثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدَّثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً ، فجاءه أبوه من الرَّضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ، ثم أقبلت أمُّه ، فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرَّضاعة ، فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه . وقد تقدم أن هوازن بكمالها متواليةٌ برضاعته من بني سعد بن بكرٍ ، وهم شِرذمةٌ من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صُرَدٍ : يا رسول الله ، إنَّ ما في الحظائر أُمَّهاتك وخالاتك وحواضنك ، فامنن علينا منَّ الله عليك ، وقال فيما قال : [من البسيط]

أُمنن على نسوةٍ قد كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... إذ فُـوك يملـؤه مـن مَحْضِهَـا دِرر
أُمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يَـزينـك مـا تـأتـي ومـا تـذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم ، فعادت فواضله ﷺ عليهم قديماً وحديثاً ، خصوصاً وعموماً .

وقد ذكر الواقديُّ(٢) ، عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل ، عن أبيه قال : كان النُّضير بن الحارث بن كَلَدة من أحلم الناس ، فكان يقول : الحمد لله الذي منَّ علينا بالإسلام ، ومنَّ علينا بمحمد ﷺ ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الإخوة وبنو العمّ . ثم ذكر عداوته للنبيِّ ﷺ ، وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهو على دينهم بعدُ . قال : ونحن نريد إن كانت دائرةٌ على محمد أن نعين عليه ، فلم يمكنَّا ذلك ، فلما صار بالجعرانة ، فوالله إني لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ ، فقال : « أنُضير » . قلت : لبيك . قال : « هذا خيرٌ مما أردتَ يوم حنينٍ مما حال الله بينك وبينه » . قال : فأقبلت إليه سريعاً ، فقال : « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضِع » .

قلت : قد أرى أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم زده ثباتاً » . قال النُّضير : فوالذي بعثه بالحقِّ لكأنَّ قلبي حَجرٌ ثباتاً في الدِّين وتبصرةً بالحقِّ .

فقال رسول الله ﷺ : « الحَمْدُ للهِ الذي هَدَاهُ » .

---

(١) لم أقف عليه في كتاب « المراسيل » ونسبه المزي في تحفة الأشراف (١٩١٤١) إلى سنن أبي داود حسب ، وهو في « سنن أبي داود رقم (٥١٤٥) ، وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/٢٠٥) .

عُمْرَةُ الجِعْرَانَةِ[١] في ذي القعدة

قال الإمام أحمد[٢] : ثنا بهزٌ وعبد الصَّمد ، المعنى ، قالا : ثنا هَمَّامُ بن يحيى ، ثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالكٍ قلت : كم حجَّ رسول الله ﷺ ؟ قال : حَجَّةً واحدةً ، واعتمر أربع مِرارٍ ؛ عمرته زَمَنَ الحُديبية ، وعُمْرَتَهُ في ذي القعدة من المدينة ، وعُمْرَتَهُ من الجِعْرَانَة في ذي القعدة ، حيث قسم غنيمة حنينٍ ، وعمرته مع حَجَّته .

ورواه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأبو داود ، والترمذيُّ[٣] من طرق ، عن هَمَّام بن يحيى به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو النَّضر ، ثنا داود ، يعني العطَّار ، عن عمروٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَرٍ ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه[٥] من حديث داود بن عبد الرحمن العطَّار المكيِّ ، عن عمرو بن دينارٍ به ، وحَسَّنه الترمذيُّ .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ثنا حجَّاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، هو عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عُمَرٍ ، كلُّ ذلك في ذي القعدة يلبِّي حتى يستلم الحَجَر . غريبٌ من هذا الوجه ، وهذه الثلاث عُمَرٍ اللاتي وقعن في ذي القعدة ما عدا عمرته مع حَجَّته ، فإنها وقعت في ذي الحجَّة مع الحجَّة ، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذي القعدة فلعله لم يُرد عمرة الحُديبية ؛ لأنه صُدَّ عنها ، ولم يفعلها ، والله أعلم .

قلت : وقد كان نافعٌ ومولاه ابن عمر يُنْكِرَان أن يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجِعْرَانة بالكلية ، وذلك فيما قال البخاريُّ[٧] : ثنا أبو النّعمان ، ثنا حَمَّاد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر أن

---

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكَّة أقرب . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٣٣٦) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٣٤) .
(٣) رواه البخاري رقم (١٧٧٨) ومسلم رقم (١٢٥٣) وأبو داود رقم (١٩٩٤) والترمذي رقم (٨١٥) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٦) .
(٥) رواه أبو داود رقم (١٩٩٣) والترمذي رقم (٨١٦) وابن ماجه رقم (٣٠٠٣) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٨٠) لكن التقيد بأنها في ذي القعدة جاء في الرواية التي بعدها في « المسند » من طريق هشيم عن الحجاج بن أرطاة . .
(٧) في « صحيحه » رقم (٣١٤٤) .

عمر بن الخطَّاب قال : يا رسول الله ، إنه كان عليَّ اعتكاف يوم في الجاهلية . فأمره أن يفي به . قال : وأصاب عمر جاريتين من سبي حُنينٍ فوضعهما في بعض بيوت مكة . قال : فمنَّ رسول الله ﷺ على سبي حنينٍ فجعلوا يسعون في السِّكك ، فقال عمر : يا عبد الله ، انظر ما هذا ؟ قال : منَّ رسول الله ﷺ على السَّبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافعٌ : ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة ، ولو اعتمر لم يخفَ على عبد الله .

وقد رواه مسلمٌ[١] من حديث أيوب السَّختيانيِّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، به .

ورواه مسلمٌ[٢] أيضاً ، عن أحمد بن عَبْدَة الضَّبِّيِّ ، عن حماد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن نافعٍ قال : ذُكر عند ابن عمر عُمرة رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة ، فقال : لم يعتمر منها . وهذا غريبٌ جداً عن ابن عمرَ ، وعن مولاه نافعٍ في إنكارهما عُمرة الجِعْرَانة ، وقد أطبق النَّقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير كلُّهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في « الصحيحين »[٣] من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عُرْوَة ، عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله أن رسول الله ﷺ اعتمر في رجبٍ ، وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهدٌ ، وما اعتمر في رجبٍ قطُّ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا ابن نُميرٍ، ثنا الأعمش، عن مجاهدٍ قال: سأل عُرْوَةُ بن الزّبير ابنَ عمر : في أيِّ شهرٍ اعتمر رسول الله ﷺ ؟ قال: في رجبٍ. فسمعتنا عائشة، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر، فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرةً إلا وقد شهدها، وما اعتمر عمرةً قطُّ إلا في ذي القعدة.

وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[٥] من حديث جريرٍ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائيُّ[٦] أيضاً من حديث زهيرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهدٍ : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجَّة الوداع .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (١٧٧٧) مختصراً ، ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢١٩) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٤٣) .

(٥) رواه البخاري رقم (١٧٧٦) ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢٢٠) .

(٦) رواه أبو داود رقم (١٩٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٤٢١٨) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا مفضَّلٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد ، فإذا ابن عمر مستندٌ إلى حُجرة عائشة وأناسٌ يصلُّون الضُّحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ، ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعةٌ . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن ، كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً ، إحداهن في رجبٍ . قال : وسمعنا استنان عائشة في الحجرة . فقال لها عُرْوَة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً ، إحداهن في رجبٍ . فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النَّبيُّ ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجبٍ قطُّ .

وهكذا رواه الترمذيُّ[٢] ، عن أحمد بن منيعٍ ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن منصورٍ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا روحٌ ، ثنا ابن جُريجٍ ، أخبرني مزاحم بن أبي مزاحمٍ ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن مُخَرِّشٍ[٤] الكعبيِّ ، أن رسول الله ﷺ خرج من الجِعْرَانة ليلاً حين أمسى معتمراً ، فدخل مكّة ليلاً يقضي عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائتٍ ، حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرِفٍ ، حتى جامع الطريق طريق المدينة بسرفٍ . قال مخرِّشٌ : فلذلك خفيت عمرته على كثيرٍ من الناس .

ورواه الإمام أحمد[٥] ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن ابن جريجٍ كذلك وهو من أفراده .

والمقصود أن عُمْرَة الجِعْرَانة ثابتةٌ بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ، ومن نفاها لا حُجَّة معه في مقابلة من أثبتها ، والله أعلم . ثم هم كالمجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقَسْمِ غنائم حُنينٍ .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانيُّ في « معجمه الكبير »[٦] قائلاً : حدَّثنا الحسين بن إسحاق التُّستَريُّ ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن الحسن الأسديُّ ، ثنا إبراهيم بن طَهْمَان ، عن أبي الزُّبير ، عن عميرٍ مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباسٍ قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٥٥) ، وإسناده صحيح .
(٢) رواه الترمذي رقم (٩٣٧) .
(٣) في « المسند » (٣/ ٤٢٧) ، وإسناده حسن .
(٤) كذا في (آ) و(ط) : « مُخَرِّش » بالخاء المعجمة ، ورجّح الحافظ ابن حجر العسقلاني « مُحَرِّش » بالحاء المهملة انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٥١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٦) وهو أيضاً عند الترمذي رقم (٩٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٣٨٤٦) وفي « المجتبى » رقم (٢٨٦٣) ، وإسناده حسن .
(٦) (١١/ ٤٣١) رقم (١٢٢٢٣) .

نزل الجِعْرَانة فقسم بها الغنائم ، ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوالٍ ، فإنه غريبٌ جداً ، وفي إسناده نظرٌ ، والله أعلم .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا إسماعيل ، ثنا ابن جُريجٍ ، أخبرني عطاءٌ أن صفوان بن يعلى بن أُمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يُنزل عليه . قال : فبينا رسول الله ﷺ بالجِعْرَانة وعليه ثوبٌ قد أُظلَّ به ، معه فيه ناسٌ من أصحابه ، إذ جاءه أعرابيٌ عليه جبَّةٌ متضمِّخٌ بطيبٍ ، فقال : [يا رسول الله ، كيف ترى في رجلٍ أحرم بعمرةٍ في جبَّةٍ بعدما تضمَّخ بالطيب ؟] فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده أن تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا النبيُّ ﷺ محمرُّ الوجه يغطُّ كذلك ساعةً ، ثم سُرِّي عنه ، فقال : « أين الذى يسألني عن العمرة آنفاً ؟ » فالتمس الرجل فأتي به ، قال : « أما الطِّيب الذي بك فاغسله ثلاث مراتٍ ، وأمَّا الجبَّة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجِّك » .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث ابن جريجٍ ، وأخرجاه[٣] من وجهٍ آخر ، عن عطاءٍ ، كلاهما عن صفوان بن يعلى ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو أُسامة ، أنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كَداءٍ من أعلى مكَّة ، ودخل في العمرة من كُدىً .

وقال أبو داود[٥] : ثنا موسى أبو سلمة ، ثنا حَمَّادٌ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ ، أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة ، فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشَوا أربعاً ، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ، ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود .

ورواه أيضاً ابن ماجة[٦] من حديث ابن خثيمٍ ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباسٍ مختصراً .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا يحيى بن سعيدٍ ، عن ابن جريجٍ ، حدَّثني حسن بن مسلمٍ ، عن طاوسٍ ، أن ابن عباسٍ أخبره أن معاوية أخبره قال : قصَّرت عن رسول الله ﷺ بِمِشقصٍ أو قال : رأيته يقصَّر عنه بمشقصٍ عند المروة .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٩) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١١٨٠) .
(٣) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (١٧٨٩) و(١٨٤٧) و(٤٩٨٥) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١١٨٠) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٠١ و٢٠٢) وهو عند البخاري رقم (١٥٧٨) ومسلم رقم (١١٨٠) (٦) و(٧) و(٩) و(١٠) .
(٥) رواه أبو داود رقم (١٨٨٤) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أبو داود رقم (١٨٩٠) وابن ماجه رقم (٢٩٥٣) ، وهو حديث صحيح .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٩٨) .

وقد أخرجاه في « الصحيحين »[1] من حديث ابن جريجٍ به .

ورواه مسلم[2] أيضاً من حديث سفيان بن عُيينة ، عن هشام بن حُجيرٍ ، عن طاوسٍ ، عن ابن عباسٍ ، عن معاوية به .

ورواه أبو داود ، والنسائيُّ[3] أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن ابن طاوسٍ ، عن أبيه به .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد[4] : حدَّثني عمرو بن محمدٍ الناقد ، ثنا أبو أحمد الزُّبيريُّ ، ثنا سفيان ، عن جعفر بن محمدٍ ، عن أبيه ، عن ابن عباسٍ ، عن معاوية قال : قصَّرتُ عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجَّه أن يكون في عمرة الجِعْرَانة ، وذلك أن عُمْرَة الحُديبية لم يدخل إلى مكة فيها ، بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ، ولم يبق بمكة من أهلها أحدٌ حين دخل رسول الله ﷺ ، بل خرجوا منها ، وتغيَّبوا عنها مدة مقامه ﷺ بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلَّل منها بالاتفاق . فتعيَّن أن هذا التقصير الذى تعاطاه معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، من رأس رسول الله ﷺ عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا ، والله تعالى أعلم .

وقال محمد بن إسحاق[5] ، رحمه الله : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنَّةَ بناحية مرِّ الظَّهران .

قلت : الظَّاهر أنه ﷺ إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكَّة والمدينة .

قال ابن إسحاق[6] : فلمَّا فرغ رسول الله من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ، واستخلف عتَّاب بن أَسيدٍ على مكة ، وخلَّف معه معاذ بن جبلٍ يفقِّه الناس في الدين ، ويعلِّمهم القرآن .

وذكر عروة ، وموسى بن عقبة[7] أن رسول الله ﷺ خلَّف معاذاً مع عتَّابٍ بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلَّفهما بها حين رجع إلى المدينة .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٧٣٠) مختصراً ، ومسلم رقم (١٢٤٦) بنحوه .
(٢) رواه مسلم رقم (١٢٤٦) (٢٠٩) .
(٣) رواه أبو داود رقم (١٨٠٣) والنسائي رقم (٢٩٨٨) .
(٤) وهو في « المسند » (٤/ ٩٧) وانظر « أطراف المسند » (٥/ ٣٤٠) ، وهو حديث صحيح .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٠١) .

وقال ابن هشامٍ[١] : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله ﷺ عتَّاب بن أَسيدٍ على مكة رزقه كلَّ يومٍ درهماً ، فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهمٍ ، فقد رزقني رسول الله ﷺ[٢] درهماً كلَّ يومٍ ، فليست بي حاجةٌ إلى أحدٍ .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة ، أو في أول ذي الحجَّة .

قال ابن هشامٍ : قدمها لستٍّ بقين من ذي القعدة . فيما قال أبو عمروٍ المدينيُّ .

قال ابن إسحاق : وحجَّ الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحجُّ عليه ، وحجَّ بالمسلمين تلك السنة عتَّاب بن أَسيدٍ ، وهي سنة ثمانٍ . قال : وأقام أهل الطائف على شِركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسعٍ .

* * *

إسلام كعب بن زهير بن أبي سُلَمى رضي الله عنه ، وأبوه هو صاحب إحدى المعلَّقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذكر قصيدته التي سمعها رسول الله ﷺ وهي : بانت سُعَاد

قال ابن إسحاق[٣] : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بُجَير بن زهير بن أبي سُلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأنَّ من بقي من شعراء قريشٍ ؛ ابن الزِّبعرى ، وهُبيرة بن أبي وهبٍ ، هربوا في كل وجهٍ ، فإن كانت لك في نفسك حاجةٌ ، فطِر إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض . وكان كعبٌ قد قال[٤] : [من الطويل]

ألا أبلغا عنـي بُجَيـراً رسـالـةً ... فوَيحك ممَّا قلت وَيحك هل لَكَا

فبيِّـن لنـا إن كنـت لسـت بفـاعـل ... علـى أيِّ شـيءٍ غيـر ذلـك دلَّكـا

علـى خلقٍ لـم ألـف يـومـاً أبـاً لـه ... عليـه ومـا تُلفـي عليـه أبـاً لكـا

فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قـائـلٍ إمَّـا عثـرت لعـاً لكـا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .

(٢) أي : بمعنى أعطاني .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠١) .

(٤) الأبيات في « شرح ديوانه » ص (٦) .

سقاك بها المأمون كأساً رويَّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلَّكا

قال ابن هشامٍ[(١)] : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغٌ عني بُجيراً رسالةً ... فهل لك فيما قلت بالخَيف هل لَكا

شربت مع المأمون كأساً رويَّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلَّكا

وخالفت أسباب الهدى واتَّبعته ... على أيِّ شيءٍ ويب غيرك دلَّكا

على خُلُقٍ لم تلف أمَّاً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكَا

فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إمّا عثرت لعاً لكَا

قال ابن إسحاق[(٢)] : وبعث بها إلى بُجيرٍ ، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ ، فأنشده إيَّاها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع : سقاك بها المأمون : « صَدَقَ وإنه لَكَذُوبٌ ، أَنَا المأْمُون » . ولما سمع : على خلقٍ لم تُلفِ أُمّاً ولا أباً عليه . قال : « أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمّه » . قال : ثم كتب بجيرٌ إلى كعب يقول له : [من الطويل]

مَنْ مبلغ كعباً فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلاً وهي أَحْزَمُ

إلى الله لا العُزّى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النَّجاءُ وتسلمُ

لدى يومَ لا ينجو وليس بمفلتٍ ... من الناس إلا طاهر القلب مسلمُ

فدين زهيرٍ وهْو لا شيء دينه ... ودين أبي سُلمى عليَّ محرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوِّه ، وقالوا : هو مقتولٌ . فلما لم يجد من شيءٍ بدّاً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوِّه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجلٍ ـ كانت بينه وبينه معرفةٌ ـ من جُهينة ، كما ذُكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح ، فصلَّى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنْه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ فجلس إليه ، ووضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهيرٍ قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فقال : إذاً أنا يا رسول الله كعب بن زهيرٍ .

قال ابن إسحاق[(٣)] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجلٌ من الأنصار ، فقال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/٥٠٢) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٠٢) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٠٣) .

يا رسول الله، دعني وعدوَّ الله أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: « دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً ». قال: فغضب كعب بن زهيرٍ على هذا الحيِّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم؛ وذلك أنه لم يتكلَّم فيه رجلٌ من المهاجرين إلا بخيرٍ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ[1]: [من البسيط]

بانت سُعَادُ فقلبي اليوم متبولُ ... متيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ

وما سُعاد غَدَاة البين إذ برزت ... إلا أغنُّ غَضِيضُ الطَّرف مكحولُ

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنَّه مُنهلٌ بالراح معلولُ

شجَّت بذي شبمٍ من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمولُ

تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غاديةٍ بيضٌ يعاليلُ

فيا لها خلَّةٌ لو أنَّها صَدَقَتْ ... بوعدها أو لوَ اَنَّ النُّصْحَ مقبول

لكنَّها خلَّةٌ قد سيط من دمها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ

فما تدوم على حالٍ تكون بها ... كما تلوَّن في أثوابها الغولُ

وما تُمسِّك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما يُمسك الماء الغرابيلُ

فلا يغرَّنْك ما منَّت وما وعدت ... إن الأمانيَّ والأحلام تضليلُ

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيلُ

أرجو وآمُل أن يعجلنَ في أبدٍ ... وما لهن إخال الدَّهر تعجيلُ

أمست سُعَادُ بأرضٍ لا يبلِّغها ... إلا العِتاق النَّجيبات المراسيلُ

ولن يبلِّغها إلا عُذافرةٌ ... فيها على الأين إرقالٌ وتبغيلُ

من كل نضَّاخة الذِّفرى إذا عرِقت ... عُرضتُها طامس الأعلام مجهولُ

ترمي النِّجادَ بعيني مفردٍ لَهِقٍ ... إذا توقَّدت الحِزَّان والميلُ

ضخمٌ مقلَّدها فعمٌ مقيَّدها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ

حرفٌ أخوها أبوها من مُهجَّنة ... وعمُّها خالها قوداء شمليلُ

يمشي القُراد عليها ثم يُزلقه ... منها لَبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ

عَيرانةٌ قذفت بالنَّحض عن عُرضٍ ... مرفقها عن بنات الزَّور مفتولُ

قنواءُ في حرَّتيها للبصير بها ... عِتقٌ مبينٌ وفي الخدَّين تسهيلُ

كأنَّ ما فات عينيها ومذبحها ... من خطمها ومن اللَّحيين بِرطيلُ

تُمرُّ مثل عسيب النخل ذا خُصلٍ ... في غارزٍ لم تخوَّنه الأحاليلُ

---

(١) الأبيات في « شرح ديوانه » ص(٦ ـ ٢٥).

تهوي على يسراتٍ وهي لاهيةٌ ... ذوابلٍ وقعهنَّ الأرض تحليلُ

[سمر العجايات يتركن الحصا زِيمَاً ... لم يقِهنَّ رؤوس الأُكم تنغيلُ]

يوماً يظلُّ به الحرباء مرتبئاً ... كأنَّ ضاحيه بالشمس مملولُ

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ... وُرْق الجنادب يركضن الحصا قيلُوا

[كأنَّ أوب ذراعيها وقد عرقت ... وقد تلفَّع بالقُور العساقيلُ]

أوبَ يدَي فاقدٍ شمطاءَ مُعولةٍ ... قامت فجاوبها نُكدٌ مثاكيلُ

نَواحةٌ رخوة الضَّبعين ليس لها ... لما نعى بكرَها الناعون معقولُ

تفري اللَّبان بكفَّيها ومدرعها ... مشقَّقٌ عن تراقيها رعابيلُ

تسعى الغُواة جنابيها وقولهم ... إنَّك يا بن أبي سُلمى لمقتولُ

وقال كلُّ صديقٍ كنت آملهُ ... لا أُلهينَّك إنَّي عنك مشغولُ

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكمُ ... فكلُّ ما قدَّر الرحمن مفعولُ

كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمولُ

نبِّئت أنَّ رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمولُ

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذنِّي بأقوال الوشاة ولم ... أُذنب ولو كثرت فيَّ الأقاويلُ

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما قد يسمع الفيلُ

لظلَّ تُرعد من وجدٍ بوادره ... إن لم يكن من رسول الله تنويلُ

حتى وضعتُ يميني ما أنازعه ... في كفِّ ذي نَقَماتٍ قوله القيلُ

فلهْو أخوف عندي إذ أكلِّمه ... وقيل إنَّك منسوبٌ ومسؤولُ

من ضيغمٍ بضرَاء الأرض مخدره ... في بطن عثَّر غِيلٌ دونه غيلُ

يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحمٌ من الناس معفورٌ خراديلُ

إذا يساور قرناً لا يحلُّ له ... أن يترك القِرن إلا وهو مفلولُ

منه تظلُّ حمير الوحش نافرةً ... ولا تَمشَّى بواديه الأراجيلُ

ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ ... مضرَّجَ البزِّ والدِّرسان مأكولُ

إن الرسول لنورٌ يستضاء به ... مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ

في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم ... ببطن مكة لمَّا اسلموا زُولوا

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ ... عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ

يمشون مشيَ الجمال الزُّهر يعصمهم ... ضربٌ إذا عرَّد السُّود التَّنابيلُ

شُمُّ العرانين أبطالٌ لَبوسهمُ ... من نسج داود في الهيجا سرابيلُ
بيضٌ سوابغ قد شُكَّت لها حلقٌ ... كأنها حَلَق القفعاء مجدولُ
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهمُ ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
لا يقع الطَّعن إلا في نحورهمُ ... وما لهم عن حياض الموت تهليلُ

هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ، ولم يذكر لها إسناداً .

وقد رواها الحافظ البيهقيُّ في « دلائل النبوة »[1] بإسنادٍ متصلٍ ، فقال : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسديُّ بِهمْدان ، ثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميُّ ، ثنا الحجَّاج ابن ذي الرُّقيبة ـ بن عبد الرحمن ـ بن كعب بن زهير بن أبي سُلْمى ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : خرج كعبٌ وبجيرٌ ابنا زهيرٍ حتى أتيا أبرق العزَّاف ، فقال بجيرٌ لكعبٍ : اثبت في هذا المكان حتى آتي ـ هذا الرجل ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فأستمع ما يقول . فثبت كعبٌ ، وخرج بجيرٌ فجاء رسول الله ﷺ ، فعرض عليه الإسلام ، فبلغ ذلك كعباً فقال : [من الطويل]

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً ... على أي شيء ويب غيرك دلَّكا
على خُلُقٍ لم نلف أمّاً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويَّةٍ ... وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أَهْدَرَ دمه ، وقال : « مَنْ لَقِي كعباً فليقتله » . فكتب بذلك بجيرٌ إلى أخيه ، وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ، ويقول له : النَّجاء وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أنَّ رسول الله ﷺ لا يأتيه أحدٌ يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فأسلم وأقبل . قال : فأسلم كعبٌ ، وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم ، متحلِّقون معه حلقةً خلف حلقةٍ ، يلتفت إلى هؤلاء مرةً فيحدِّثهم ، وإلى هؤلاء مرةً فيحدِّثهم . قال كعبٌ : فأنخت راحلتي بباب المسجد [ثم دخلت المسجد] فعرفت رسول الله ﷺ بالصِّفة ، فتخطَّيت حتى جلست إليه ، فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّك محمدٌ رسول الله ، الأمان يا رسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قلت : كعب بن زهيرٍ . قال : « الذي يقول » . ثم التفَتَ رسول الله ﷺ [إلى أبي بكرٍ] فقال : « كيف قال يا أبا بكرٍ ؟ » فأنشده أبو بكرٍ : [من الطويل]

سَقَاكَ أبو بكرٍ بكأسٍ رَويَّةٍ ... وأنهلك المأمور منها وعلَّكَا

---

(١) (٥/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩) وما بين الحاصرتين في النقل زيادة منه ، وفي إسنادها ضعف .

قال : يا رسول الله ، ما قلتُ هكذا . قال : « فكيف قلت ؟ » قال : قلت : [من الطويل]

سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويَّةٍ وأنهلك المأمونُ منها وعلَّكا

فقال رسول الله ﷺ : « مأمونٌ والله » . ثم أنشده القصيدة كلَّها حتى أتى على آخرها ، وهي هذه القصيدة : [من البسيط]

بَانَتْ سُعَاد فقلبي اليوم متبولُ متيَّمٌ عندها لم يفد مكبولُ

وقد تقدَّم ما ذكرناه من الرَّمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقيِّ ، رحمهما الله عزَّ وجلَّ .

وذكر أبو عمر بن عبد البرِّ في كتاب « الاستيعاب »[1] أنَّ كعباً لمَّا انتهى إلى قوله :

إنَّ الرَّسولَ لنورٌ يُسْتَضَاءُ بهِ مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ

نُبِّئت أنَّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ

قال : فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا .

وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في « مغازيه »[2] ولله الحمد والمِنَّة .

قلت : ورد في بعض الروايات أنَّ رسول الله ﷺ أعطاه بُرْدَتَهُ حين أنشده القصيدة . وقد نظم ذلك الصَّرصريُّ[3] في بعض مدائحه .

وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في « الغابة »[4] قال : وهي البُردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيءٍ من هذه الكتب المشهورة بإسنادٍ أرتضيه ، فالله أعلم .

وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ قال له ـ لمَّا قال : بانت سعاد ـ : « ومن سعاد ؟ » قال : زوجتي يا رسول الله ، قال : « لم تَبِنْ » ولكن لم يصحَّ ذلك ، وكأنَّه على ذلك توهَّم أنَّ بإسلامه تبين امرأته ، والظاهر أنَّه إنَّما أراد البينونة الحسِّيَّة لا الحكميَّة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٣/ ١٣١٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢١١) .
(٣) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الصَّرْصري أبو زكريا ، الشيخ العلاَّمة القدوة ، كان إليه المنتهى في معرفة اللغة وحسن الشعر ، وديوانه ومدائحه سائرة . قتله التتار سنة (٦٥٦) حين دخلوا بغداد بعد أن قاومهم وقتل منهم عدداً كبيراً . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (٧/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) لابن العماد الحنبلي ، بتحقيقي .
(٤) انظر « أسد الغابة » (٤/ ٤٧٧) .

قال ابن إسحاق[١] : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلمَّا قال كعبٌ ـ يعني في قصيدته ـ : إذا عرَّد السود التَّنابيل . وإنَّما يريدنا معشر الأنصار ؛ لما كان صاحبنا صنع به ، وخصَّ المهاجرين من قريشٍ بمِدحته ؛ غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن : [من الكامل]

مَن سَرَّه كَرَمُ الحياة فلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ من صالحي الأنصارِ
ورثوا المكارم كابراً عن كابرٍ ... إنَّ الخيار همُ بنو الأخيارِ
المكرِهين السَّمهريَّ بأذرعٍ ... كسوالف الهنديِّ غير قصارِ
والنَّاظرين بأعينٍ محمرَّةٍ ... كالجمر غير كليلة الأبصارِ
والبَائعين نفوسهم لنبيِّهم ... للموت يوم تَعانقٍ وكرارِ
والقائدين الناس عن أديانهم ... بالمشرفيِّ وبالقنا الخطَّارِ
يتطهَّرون يرونه نُسُكاً لهم ... بدماء من علقوا من الكفَّارِ
دربوا كما دربت ببطن خفيَّةٍ ... غلب الرِّقاب من الأسود ضواري
وإذا حللتَ ليمنعوك إليهمُ ... أصبحت عند معاقل الأغفارِ
ضربوا عليًّا يوم بدرٍ ضربةً ... دانَتْ لوقعتها جميع نزارِ
لو يعلم الأقوام علميَ كلَّه ... فيهم لصدَّقني الذين أُماري
قومٌ إذا خوت النجوم فإنهم ... للطَّارقين النَّازلين مقاري

قال ابن هشام[٢] : ويقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد : « لولا ذكرت الأنصار بخيرٍ ، فإنهم لذلك أهلٌ » . فقال كعبٌ هذه الأبيات ، وهي في قصيدةٍ له .

قال : وبلغني عن عليِّ بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

وقد رواه الحافظ البيهقيُّ[٣] بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزاميِّ ، حدَّثني معن بن عيسى ، حدَّثني محمد بن عبد الرحمن الأوقص ، عن ابن جدعان ، فذكره ، وهو مرسلٌ .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البرِّ ، رحمه الله ، في كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب »[٤] بعد

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١١) .
(٤) (٣/ ١٣١٣) .

ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهيرٍ إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهيرٍ شاعراً مجوِّداً كثير الشعر مقدَّماً في طبقته هو وأخوه بُجيرٌ ، وكعبٌ أشعرهما ، وأبوهما زهيرٌ فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهيرٍ قوله : [من البسيط]

لو كنت أَعْجَبُ من شيءٍ لأعجبني ... سَعْيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يُدركها ... فالنفس واحدةٌ والهمُّ منتشر
والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

ثم أورد له ابن عبد البرِّ أشعاراً كثيرةً يطول ذكرها ولم يؤرِّخ وفاته ، وكذا لم يؤرِّخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب « الغابة في معرفة الصحابة »[١] ولكن حكى أن أباه توفِّي قبل المبعث بسنةٍ ، فالله أعلم .

وقال السهيليُّ[٢] : ومما أجاد فيه كعبُ بن زهيرٍ قوله يمدح رسول الله ﷺ : [من البسيط]

تجري به النَّاقةُ الأدماء مُعتجراً ... بالبُرد كالبَدر جلَّى ليلة الظُّلم
ففي عطافيه أو أثناء بُردته ... ما يعلم الله من دينٍ ومن كرم

* * *

فصل

فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمانٍ والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوالٍ غزوة هوازن بحُنينٍ ، وبعدها كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجِعْرَانة في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقديُّ[٣] : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالٍ بقين من ذي الحجَّة في سفرته هذه .

قال الواقديُّ : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفرٍ وعمرٍو ابني الجُلَنْدى[٤]

---

(١) انظر « أسد الغابة » (٧/ ٣٠٤) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٠٤) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٩٥) .
(٤) انظر « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ص(٩٦ ـ ١٠٠) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب . قال : وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضَّحَّاك بن سفيان الكلابيّ في ذي القعدة ، فاستعاذت منه ﷺ ، ففارقها ، وقيل : بل خيَّرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال : وفي ذي الحِجَّة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية ، فاشتدَّت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابلتها فيه سَلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى أبي رافعٍ فأخبرته فذهب فبشَّر به رسولَ الله ﷺ فأعطاه مملوكاً ، ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عديِّ بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد ابن الجعد بن عوف بن مبذولٍ . وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع . وقد قدَّمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزَّى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لخمسٍ بقين من رمضان منها .

قال الواقديُّ : وفيها كان هدم سُواعٍ الذي كانت تعبده هذيلٌ برُهاطٍ ، هدمه عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، ولم يجد في خزانته شيئاً . وفيها هُدم مناة بالمشلَّل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن زيدٍ الأشهليُّ ، رضي الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير « سورة النجم »(١) عند قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٩-٢٠] .

قلت : وقد ذكر البخاريُّ بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبده ويسمُّونه الكعبة اليمانية مضاهيةً للكعبة التي بمكة ، ويسمُّون التي بمكة الكعبة الشاميَّة ، ولتلك الكعبة اليمانية .

فقال البخاريُّ(٢) : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن قيسٍ ، عن جريرٍ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ » فقلت : بلى . فانطلقت في خمسين ومئة فارسٍ من أحمس ، وكانوا أصحاب خيلٍ ، وكنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده على صدري ، وقال : « اللهم ثبِّته واجعله هادياً مهدياً » . قال : فما وقعت عن فرسٍ بعدُ . قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعمٍ وبجيلة ، فيه نصبٌ تعبد ، يقال له : الكعبة اليمانية . قال : فأتاها فحرَّقها في النار وكسرها . قال : فلما قدم جريرٌ اليمن كان بها رجلٌ يستقسم بالأزلام ، فقيل له : إن رسول رسول الله ﷺ هاهنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك . قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير ، فقال : لَتكسرنَّها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربنَّ عنقك . فكسرها وشهد . ثم بعث جريرٌ رجلاً من أحمس يكنَّى أبا أرطاة إلى النبيِّ ﷺ يبشره بذلك ، قال : فلما

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٧/ ٤٣٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣٥٧) .

أتى رسولَ الله ﷺ قال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحقِّ ما جئت حتى تركتها كأنها جملٌ أجرب .
قال : فبرَّكَ رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مراتٍ .

ورواه مسلمٌ[1] من طرقٍ متعددةٍ ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن قيس بن أبي حازمٍ ، عن جرير بن عبد الله البجليِّ بنحوه .

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٧٦) (١٣٧) .

سنة تسع من الهجرة

ذكر
غزوة تَبُوك[1] في رجبٍ منها

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٨ـ٢٩] .

روي عن ابن عباسٍ ، ومجاهدٍ ، وعِكْرِمَة ، وسعيد بن جُبيرٍ ، وقتادة ، والضَّحَّاك وغيرهم ، أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قُربان المسجد الحرام في الحجِّ وغيره قالت قريشٌ : لينقطعنَّ عنا المتاجر والأسواق أيام الحجِّ ، وليذهبنَّ ما كنا نُصيب منها ، فعوَّضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يُسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

قلت : فعزم رسول الله ﷺ على قتال الرُّوم ؛ لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدّعوة إلى الحقِّ ؛ لقربهم إلى الإسلام وأهله .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

فلما عزم رسول الله ﷺ على غزو الرُّوم عام تَبُوك ـ وكان ذلك في حرٍّ شديدٍ وضيق من الحال ـ جلَّى للناس أمرها ودعا من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه ، فأوعب معه بشرٌ كثيرٌ ، كما سيأتي ، قريباً من ثلاثين ألفاً ، وتخلَّف آخرون ، فعاتب الله من تخلَّف منهم لغير عذرٍ من المنافقين والمقصِّرين ، ولامهم ووبَّخهم وقرَّعهم أشدَّ التَّقريع ، وفضحهم أشدَّ الفضيحة ، وأنزل فيهم قرآناً يُتلى وبيَّن أمرهم في

---

(١) انظر أخبارها في « الاكتفا بمغازي الرسول والثلاثة الخلفا » و« الروض الأنف » (٧/ ٣٠٤) و« عيون الأثر » (٢/ ٢٩٢) و« زاد المعاد » (٣/ ٤٦٠) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(٢١٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) بتحقيقي .

سورة « براءةٌ » كما قد بيَّنَّا ذلك مبسوطاً في « التفسير »[١] وأمر المؤمنين بالنَّفْر على كلِّ حالٍ . فقال تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ثم الآيات بعدها [التوبة : ٤١ ـ ٤٢] .

ثم قال تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] . فقيل : إن هذه ناسخةٌ لتلك . وقيل : لا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحِجَّة إلى رجبٍ يعني من سنة تسعٍ ثم أمر الناس بالتهيُّؤ لغزو الروم . فذكر الزهريُّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكرٍ ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ يحدِّث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدِّث ما لم يحدِّث بعضٌ ، أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُسْرةٍ من الناس وشدةٍ من الحرِّ وجدبٍ من البلاد ، وحين طابت الثمار ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلَّما يخرج في غزوة إلا كنَّى عنها إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس ، لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدوِّ الذي يصمد إليه ليتأهب الناس لذلك أُهبته ، فأمرهم بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال رسول الله ﷺ ذات يومٍ وهو في جَهازه ذلك ، للجدِّ بن قيسٍ أحد بني سِلمة : « يا جدُّ ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتنِّي ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجلٌ بأشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : « قد أذنت لك » . ففي الجدِّ أنزل الله هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] .

وقال قومٌ من المنافقين بعضهم لبعضٍ : لا تنفروا في الحرِّ ، زهادةً في الجهاد وشكّاً في الحقِّ وإرجافاً بالرسول ﷺ ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة : ٨١ ـ ٨٢] .

قال ابن هشام[٣] : حدثني الثقة ، عمَّن حدَّثه ، عن محمد بن طلحةَ بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٩٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٢/ ٥١٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٥١٧) .

إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيلم اليهوديِّ ـ وكان بيته عند جاسوم ـ يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرِّق عليهم بيت سُوَيْلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضَّحَّاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضَّحَّاك في ذلك :

[من الطويل]

كـادَت وبيـتِ الله نـارُ محمـدٍ ... يشيط بهـا الضَّحـاكُ وابـن أُبيـرقِ

وظلْتُ وقد طبَّقت كبس سَويلم ... أنوء على رجلي كسيراً ومرفقي

سلامٌ عليكم لا أعـوذُ لمثلها ... أخاف ومن تشمل به النار يُحرقِ

قال ابن إسحاق[١] : ثم إن رسول الله ﷺ جدَّ في سفره وأمر الناس بالجَهاز والانكماش ، وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله ، فحمل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفَّان نفقةً عظيمةً لم ينفق أحدٌ مثلها .

قال ابن هشام[٢] : فحدَّثني من أثق به أن عثمان أنفق في جيش العُسْرَة في غزوة تبوك ألف دينارٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللّهُمَّ ارض عن عثمان ، فإني عنه راضٍ » .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا هارون بن معروفٍ ، ثنا ضمرة ، ثنا عبد الله بن شَوذبٍ ، عن عبد الله بن القاسم ، عن كثيرٍ مولى عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عَفَّان إلى النبيِّ ﷺ بألف دينارٍ في ثوبه حين جهَّز النبيُّ ﷺ جيش العسرة . قال : فصبَّها في حجر النبيِّ ، فجعل النبيُّ ﷺ يقلِّبها بيده ، ويقول : « ما ضرَّ ابنَ عَفَّان ما عمل بعد اليوم » .

ورواه الترمذيُّ[٤] ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقعٍ ، عن ضمرة به . وقال : حسنٌ غريبٌ .

وقاله عبد الله بن أحمد في « مسند » أبيه[٥] : حدَّثني أبو موسى العنزيُّ ، حدَّثنا عبد الصَّمد بن عبد الوارث ، حدَّثني سكن بن المغيرة ، حدَّثني الوليد بن أبي هشامٍ ، عن فرقدٍ أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن خَبَّابٍ السُّلميِّ قال : خطب النبيُّ ﷺ فحثَّ على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان : عليَّ مئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حثَّ ، فقال عثمان : عليَّ مئةٌ أخرى

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٧ـ٥١٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٨) .

(٣) في « المسند » (٥/٦٣) ، وإسناده حسن .

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٧٠١) .

(٥) انظر « أطراف المسند » (٤/٢٥٧) .

بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يُحَرِّكها ، وأخرج عبد الصَّمَد يده ، كالمتعجِّب : « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » .

وهكذا رواه الترمذيُّ[١] ، عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن سكن بن المغيرة أبي محمد مولى لآل عثمان به . وقال : غريبٌ من هذا الوجه .

ورواه البيهقيُّ[٢] ، من طريق عمرو بن مرزوقٍ ، عن سكن بن المغيرة به . وقال : ثلاث مراتٍ ، وإنه التزم بثلاثمئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال عبد الرحمن : فأنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « ما ضرَّ عثمان بعدها » . أو قال : « بعد اليوم » .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ[٣] : حدَّثنا أبو عَوانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن جاوان ، عن الأحنف بن قيسٍ قال : سمعت عثمان بن عَفَّان يقول لسعد بن أبي وقّاصٍ وعليٍّ والزُّبير وطلحة : أَنشُدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من جهَّز جيش العسرة غفر الله له » فجهَّزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً . قالوا : اللهم نعم .

ورواه النسائيُّ[٤] من حديث حصينٍ به .

* * *

فصلٌ
فيمن تخلَّف معذوراً من البكَّائين وغيرهم

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٠٠) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١٤) .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم (٨٢) بتحقيق الدكتور محمد عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطال في تخريجه فليراجع .

(٤) رواه النسائي رقم (٣٦٠٨) ، وهو حديث صحيح .

لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٨٦ ـ ٩٣] . قد تكلَّمنا على تفسير هذا كله في « التفسير »[١] بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمِنَّة .

والمقصود ذكر البكَّائين الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم ، حتى يصحبوه في غزوته هذه ، فلم يجدوا عنده من الظَّهر ما يحملهم عليه ، فرجعوا وهم يبكون ؛ تأسُّفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله ، والنَّفقة فيه .

قال ابن إسحاق[٢] : وكانوا سبعة من الأنصار وغيرهم ؛ فمن بني عمرو بن عوفٍ سالم بن عميرٍ ، وعُلبة بن زيدٍ أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعبٍ أخو بني مازن بن النَّجّار ، وعمرو بن الحُمَام بن الجَمُوح أخو بني سلِمة ، وعبد الله بن المغفَّل المزنيُّ ، وبعض الناس يقولون : بل هو عبد الله بن عمروٍ المزنيُّ . وهرَميُّ بن عبد الله أخو بني واقفٍ ، وعرباض بن سارية الفَزَاريُّ .

قال ابن إسحاق[٣] : فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعبٍ النَّضريَّ لقي أبا ليلى ، وعبد الله بن مغفَّلٍ وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوَّى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضحاً له فارتحلاه ، وزوَّدهما شيئاً من تمرٍ ، فخرجا مع النبيِّ ﷺ . زاد يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : وأمَّا عُلبة بن زيدٍ فخرج من الليل ، فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغَّبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما أتقوَّى به . ولم تجعل في يد رسولك ﷺ ما يحملني عليه ، وإني أتصدَّق على كلِّ مسلمٍ بكلِّ مظلمةٍ أصابني فيها ؛ في مالٍ أو جسدٍ أو عرضٍ . ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « أين المتصدِّق هذه الليلة ؟ » فلم يقم أحدٌ ، ثم قال : « أين المتصدِّق ؟ فليقم » . فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : « أبشر ، فوالذي نفسي بيده ، لقد كُتبت في الزكاة المتقبَّلة » .

وقد أورد الحافظ البيهقيُّ[٤] هاهنا حديث أبي موسى الأشعريِّ ، فقال : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثيُّ ، حدَّثنا أبو أسامة ، عن بُريدٍ ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله لهم الحُملان ، إذ هم معه في جيش العُسْرَة ، وهو في غزوة تبوك ، فقلت : يا نبيَّ الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال : « والله لا أحملكم على شيءٍ » . ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، فرجعت حزيناً من منع

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٤/ ١٣٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١٦) .

رسول الله ، ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليَّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله ﷺ ، فلم ألبث إلا سُوَيعةً إذ سمعت بلالاً ينادي : أين عبد الله بن قيسٍ ؟ فأجبته فقال : أجب ، رسولُ الله ﷺ يدعوك . فلمَّا أتيت رسول الله ﷺ قال : « خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين » . لستة أبعرةٍ ابتاعهنَّ حينئذٍ من سعدٍ ، فقال : « انطلق بهنَّ إلى أصحابك ، فقل : إن الله ـ أو قال : إنَّ رسول الله ـ يحملكم على هؤلاء ، فاركبوهم » فقلتُ : إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ حين سألته لكم ، ومنعه لي في أول مرةٍ ، ثم إعطاءه إياي بعد ذلك ، لا تظنُّوا أنِّي حدَّثتكم شيئاً لم يقله . فقالوا لي : والله إنَّك عندنا لمصدَّقٌ ولنفعلنَّ ما أحببت . قال : فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم ، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله ﷺ من منعه إياهم ، ثم إعطائه بعد ، فحدَّثوهم بما حدَّثهم به أبو موسى سواءً . وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[١] جميعاً ، عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة . وفي روايةٍ لهما[٢] ، عن أبي موسى قال : أتيت رسول الله في رهطٍ من الأشعريِّين ليحملنا ، فقال : « والله ما أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه » . قال : ثم جيء رسولُ الله ﷺ بنهب إبلٍ ، فأمر لنا بستِّ ذودٍ غرِّ الذُّرى ، فأخذناها ، ثم قلنا : تغفَّلنا رسول الله ﷺ يمينه ، والله لا يبارك لنا . فرجعنا له فقال : « ما أنا حملتكم ، ولكنَّ الله حملكم » . ثم قال : « إنِّي والله ، إن شاء الله ، لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خيرٌ وتحلَّلتها » .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النِّيَّة حتى تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ من غير شكٍّ ولا ارتيابٍ ؛ منهم كعب بن مالك بن أبي كعبٍ أخو بني سلِمة ، ومرارة بن ربيعٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ ، وهلال بن أمية أخو بني واقفٍ ، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوفٍ ، وكانوا نفر صدقٍ لا يُتَّهمون في إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتي قصتهم مبسوطة قريباً ، إن شاء الله تعالى ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة : ١١٨] .

وأما أبو خيثمة ، فإنَّه عاد وعزم على اللُّحوق برسول الله ﷺ ، كما سيأتي .

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩) (٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١٣٣) ومسلم (١٦٤٩) (٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٩) .

فصلٌ

قال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق[١] : ثم استتبَّ برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير ، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضرب عبد الله بن أُبيٍّ عدوُّ الله عسكره أسفل منه ، وما كان فيما يزعمون بأقلِّ العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ تخلَّف عنه عبد الله بن أُبيٍّ في طائفةٍ من المنافقين وأهل الرَّيب .

قال ابن هشامٍ[٢] : واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاريَّ . قال : وذكر الدَّراورديُّ أنه استخلف عليها عام تبوك سِبَاع بن عُرْفُطَة .

قال ابن إسحاق[٣] : وخلَّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلَّفه إلا استثقالاً له وتخفُّفاً منه . فلما قالوا ذلك أخذ عليٌّ سلاحه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازلٌ بالجرف ، فأخبره بما قالوا فقال : « كذبوا ولكنِّي خلَّفتك لما تركتُ ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا عليُّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » فرجع عليٌّ ، ومضى رسول الله ﷺ في سفره .

ثم قال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقَّاصٍ ، عن أبيه سعدٍ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ هذه المقالة .

وقد روى البخاريُّ ومسلمٌ[٥] هذا الحديث من طريق شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاصٍ ، عن أبيه به .

وقد قال أبو داود الطَّيالسيُّ في « مسنده »[٦] : حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعدٍ ، عن أبيه قال : خلَّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ، أتخلِّفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » وأخرجاه من طرقٍ ، عن شعبة نحوه . وعلَّقه البخاريُّ أيضاً من طريق أبي داود ، عن شعبة .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢١٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٠) .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧٠٦) ومسلم رقم (٢٤٠٤) .
(٦) رقم (٢٠٦) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطال في تخريجه فليراجع .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا قُتيبة بن سعيدٍ ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بكير بن مسمارٍ ، عن عامرِ بن سعدٍ ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلَّفه في بعض مغازيه ، فقال عليٌّ : يا رسول الله ، تخلِّفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : « يا عليُّ ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » ورواه مسلمٌ ، والترمذيُّ[٢] ، عن قتيبة ، زاد مسلمٌ : ومحمد بن عبَّادٍ ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم إن أبا خيثمة رجع بعدما سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارٍّ ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رشَّت كلُّ واحدةٍ منهما عريشها ، وبرَّدت له فيه ماءً ، وهيَّأت له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله ﷺ في الضِّحِّ والريح والحرِّ ، وأبو خيثمة في ظلٍّ باردٍ وطعامٍ مُهيَّأٍ وامرأةٍ حسناء ، في ماله مقيمٌ ! ما هذا بالنَّصَف . والله لا أدخل عريش واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيِّئا زاداً . ففعلتا ، ثم قدَّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهبٍ الجمحيُّ في الطريق يطلب رسول الله ﷺ فترافقا ، حتى إذا دنَوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهبٍ : إنَّ لي ذنباً فلا عليك أن تخلَّف عني حتى آتي رسول الله ﷺ . ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مقبلٌ . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا خيثمة » . فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة . فلما بلغ أقبل فسلَّم على رسول الله ﷺ ، فقال له : « أولى لك يا أبا خيثمة ! » . ثم أخبر رسول الله الخبر ، فقال خيراً ، ودعا له بخيرٍ .

وقد ذكر عُرْوَة بن الزُّبير ، وموسى بن عُقْبَة قصة أبي خيثمة بنحوٍ من سياق محمد بن إسحاق وأبسط ، وذكر أن خروجه ، عليه السلام ، إلى تبوك كان في زمن الخريف . فالله أعلم .

قال ابن هشامٍ[٤] : وقال أبو خيثمة ، واسمه مالك بن قيسٍ ، في ذلك : [من الطويل]

لمَّا رأيتُ الناس في الدِّين نافقوا ... أَتَيْتُ التي كانت أَعَفَّ وأكرمَا
وبايعتُ باليمنى يدي لمحمدٍ ... فلم أكتسب إثماً ولم أغشَ محرمَا
تركت خضيباً في العريش وصِرمةً ... صَفايا كِراماً بُسْرُهَا قد تحمَّمَا
وكنتُ إذا شكَّ المُنافق أَسمَحَتْ ... إلى الدِّين نفسي شطرَه حيث يمَّما

(١) في « المسند » (١/ ١٨٥) .
(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٤٠٤) ، والترمذي رقم (٣٧٢٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢١) .

قال يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان ، عن محمد بن كعبٍ القرظيِّ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : لمَّا سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلَّف ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلَّف فلانٌ . فيقول : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . حتى قيل : يا رسول الله ، تخلَّف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره . فقال : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . فتلَّوم أبو ذرٍّ بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يتَّبع رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله ، ونظر ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل ماشٍ على الطريق . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا ذرٍّ » . فلما تأمَّله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذرٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . قال : فضرب الدَّهر من ضربه ، وسُيِّر أبو ذرٍّ إلى الرَّبذة ، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال : إذا متُّ فاغسلاني وكفِّناني من الليل ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأوَّل ركبٍ يمرُّون بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ . فلما مات فعلوا به كذلك ، فاطَّلع ركبٌ ، فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره ، فإذا ابن مسعودٍ في رهطٍ من أهل الكوفة فقال : ما هذا ؟ فقيل : جنازة أبي ذرٍّ . فاستهلَّ ابن مسعودٍ يبكي ، وقال : صدق رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . فنزل فوليه بنفسه حتى أجنَّه . إسناده حسنٌ ، ولم يُخرِّجوه[1] .

قال الإمام أحمد[2] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيلٍ في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧] . قال : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجلان والثلاثة على بعيرٍ واحدٍ ، وخرجوا في حرٍّ شديدٍ ، فأصابهم في يومٍ عطشٌ حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرةً في الماء وعسرةً في النفقة وعسرةً في الظَّهر .

قال عبد الله بن وهبٍ : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلالٍ ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبيرٍ ، عن عبد الله بن عباسٍ أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدِّثنا عن شأن ساعة العسرة . فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظٍ شديدٍ ، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطشٌ حتى ظننَّا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرَّحْل فلا يرجع حتى يظنَّ أن رقبته ستنقطع ، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره

---

(١) هذا اجتهاده رحمه الله في تحسين الحديث ، فالحديث إسناده ضعيف لضعف بريدة بن سفيان الأسلمي ، ضعّفه البخاري والنسائي والجوزجاني وأبو حاتم الرازي ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال العقيلي : سئل أحمد عن حديثه فقال : بلية ! (كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب ١/ ١٦٨) ولعل هذا هو الذي دعاهم إلى عدم تخريجه .
قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : وفي السيرة النبوية لابن إسحاق بسند ضعيف .

(٢) رواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٢٧) ، وهو في « تفسير عبد الرزاق » مرسلاً .

فيعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكرٍ الصديق : يا رسول الله ، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً ، فادع الله لنا . فقال : « أتحبُّ ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلَّت ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر . إسناده جيدٌ ، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق[١] ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجالٍ من قومه أن هذه القضيَّة كانت وهم بالحجر ، وأنَّهم قالوا لرجلٍ معهم منافقٍ : ويحك! هل بعد هذا من شيءٍ ؟! فقال : سحابةٌ مارَّةٌ . وذكر أن ناقة رسول الله ﷺ ضلَّت ، فذهبوا في طلبها ، فقال رسول الله ﷺ لعمارة بن حزمٍ الأنصاريِّ ـ وكان عنده ـ : « إن رجلاً قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبيٌّ ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته . وإني والله ما أعلم إلا ما علَّمني الله ، وقد دلَّني الله عليها ، هي في الوادي قد حبستْها شجرةٌ بزمامها » . فانطلقوا فجاؤوا بها فرجع عمارة إلى رحله ، فحدَّثهم عما جاء رسولَ الله ﷺ من خبر الرجل ، فقال رجلٌ ممن كان في رحل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللُّصَيت ، وكان في رحل عمارة قبل أن يأتيَ ، فأقبل عمارة على زيدٍ يجأ في عنقه ويقول : إن في رحلي لداهيةً وأنا لا أدري ، اخرج عني يا عدوَّ الله . فلا تصحبني . فقال بعض الناس : إن زيداً تاب . وقال بعضهم : لم يزل مصرّاً حتى هلك .

قال الحافظ البيهقيُّ[٢] : وقد روينا من حديث ابن مسعودٍ شبيهاً بقصة الراحلة . ثم روى من حديث الأعمش ، وقد رواه الإمام أحمدُ[٣] ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، أو عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ـ شكَّ الأعمش ـ قال : لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةٌ ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فتنحر نواضحنا ، فأكلنا وادَّهنَّا . فقال رسول الله ﷺ : « افعلوا » . فجاء عمر فقال : يا رسول الله ، إن فعلتَ قلَّ الظَّهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها البركة . فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فدعا بِنِطْعٍ فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذُرةٍ ، ويجيء الآخر بكفٍّ من التمر ، ويجيء الآخر بكسرةٍ حتى اجتمع على النِّطَع من ذلك شيءٌ يسيرٌ ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » . فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلةٌ ، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة».

ورواه مسلمٌ[٤] ، عن أبي كُرَيبٍ ، عن أبي مُعَاوية ، عن الأعمش به .

---

(١) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣١) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣٢) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١١) .
(٤) في « صحيحه » (٢٧) (٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه الإمام أحمد[١] من حديث سهيل بن أبي صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . ولم يذكر غزوة تبوك ، بل قال : كان في غزوةٍ غزاها .

ذكر
مروره ﷺ في ذهابه إلى تبوك
بمساكن ثمود وصرحتهم بالحِجْرِ

قال ابن إسحاق[٢] : وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحِجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مياهها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجينٍ عجنتموه فأعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً » . هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسنادٍ .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يعمر بن بشرٍ ، حدَّثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ أخبرنا معمرٌ ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ لمَّا مرَّ بالحِجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ؛ أن يصيبكم ما أصابهم » . وتقنَّع بردائه وهو على الرَّحل .

ورواه البخاريُّ[٤] من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق ، كلاهما عن معمرٍ بإسناده نحوه .

وقال مالكٌ[٥] ، عن عبد الله بن دينارٍ ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم » . ورواه البخاريُّ[٦] من حديث مالكٍ ومن حديث سليمان بن بلالٍ، كلاهما عن عبد الله بن دينارٍ .

ورواه مسلمٌ[٧] من وجهٍ آخر ، عن عبد الله بن دينارٍ نحوه .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا صخرٌ ـ هو ابن جويرية ـ عن نافعٍ ، عن ابن عمر

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٢١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢١) .
(٣) في « المسند » (٢/ ٦٦) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٣٨٠) و(٤٤١٩) .
(٥) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣٣) .
(٦) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٣٣) و(٤٤٢٠) و(٤٧٠٢) من حديث مالك ، و(٣٣٧٨) من حديث سليمان بن بلال .
(٧) في « صحيحه » رقم (٢٩٨٠) .
(٨) في « المسند » (٢/ ١١٧) .

قال : نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحِجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » . وهذا الحديث إسناده على شرط « الصحيحين » من هذا الوجه ، ولم يخرجوه ، وإنما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[١] من حديث أنس بن عياضٍ أبي ضَمْرَة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر به . قال البخاريُّ : وتابعه أسامة ، عن نافعٍ .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث شعيب بن إسحاق ، عن عبيد الله ، عن نافعٍ به .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمرٌ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ قال : لما مرَّ النبيُّ ﷺ بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالحٍ ، فكانت ترد من هذا الفجِّ ، وتصدر من هذا الفجِّ ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحةٌ أهمد الله من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله » . قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : « هو أبو رِغالٍ ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » . إسناده صحيحٌ ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعوديُّ ، عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماريِّ ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحِجر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنودي في الناس : الصلاةَ جامعةً . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسكٌ بعيره وهو يقول : « ما تدخلون على قومٍ غضب الله عليهم ؟ » فناداه رجلٌ منهم : نعجب منهم [يا رسول الله] . قال : « أفلا أنبِّئكم بأعجب من ذلك ؟ رجلٌ من أنفسكم ينبِّئكم بما كان قبلكم وما هو كائنٌ بعدكم ، فاستقيموا وسدِّدوا ، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً ، وسيأتي قومٌ لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً » . إسناده حسنٌ ، ولم يخرجوه .

وقال يونس بن بكيرٍ[٥] ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزمٍ عن العباس بن سهل بن سعدٍ الساعديِّ ـ أو عن العباس ، [عن سهل] بن سعدٍ ، الشكُّ منِّي ـ أن رسول الله ﷺ حين مرَّ

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٧٩) ومسلم رقم (٢٩٨١) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٨١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٦) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٣١) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٠) .

بالحجر ونزلها استقى الناس من بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ للناس : « لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضَّؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجينٍ عجنتموه فأعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له » . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له ؛ فأما الذي ذهب لحاجته ، فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره ، فاحتملته الريح حتى ألقته بجبلي طيِّءٍ ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : « ألم أنهكم أن يخرج رجلٌ إلا ومعه صاحبٌ له ؟ » ثم دعا للذي أُصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ [حين قدم] من تبوك ـ وفي رواية زيادٍ ، عن ابن إسحاق أن طيِّئاً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين رجع إلى المدينة ـ قال ابن إسحاق : وقد حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ أن العباس بن سهلٍ سمَّى له الرجلين ، لكنه استكتمه إيَّاهما ، فلم يحدِّثني بهما .

وقد قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا وهيب بن خالدٍ ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعدٍ الساعديِّ ، عن أبي حميدٍ الساعديِّ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأةٌ في حديقةٍ لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « اخرصوا » . فخرص القوم وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسقٍ ، وقال رسول الله ﷺ للمرأة : « أحصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » . قال : فخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله ﷺ : « إنها ستهبُّ عليكم الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقومنَّ فيها رجلٌ ، فمن كان له بعيرٌ فليوثق عقاله » . قال أبو حميدٍ : فعقلناها ، فلما كان من الليل ، هبَّت علينا ريحٌ شديدةٌ ، فقام فيها رجلٌ فألقته في جبل طيِّئٍ ، ثم جاء رسول الله ملك أيلة ، فأهدى لرسول الله بغلةً بيضاء ، وكساه رسول الله برداً ، وكتب له ببحرهم ، ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادي القرى ، فقال للمرأة : « كم جاءت حديقتكِ ؟ » قالت : عشرة أوسقٍ ، خرصَ رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « إني متعجِّلٌ ، فمن أحبَّ منكم أن يتعجَّل فليفعل » . قال : فخرج رسول الله وخرجنا معه ، حتى إذا أوفى على المدينة ، قال : « هذه طابة » . فلما رأى أُحداً قال : « هذا أحدٌ ، يحبُّنا ونحبُّه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « خير دور الأنصار بنو النجّار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني ساعدة ، ثم في كلِّ دور الأنصار خيرٌ » .

وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ(٢) من غير وجهٍ عن عمرو بن يحيى به نحوه .

وقال الإمام مالكٌ(٣) ، رحمه الله ، عن أبي الزُّبير ، عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبلٍ

---

(١) في « المسند » (٥/ ٤٢٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٤٨١) و(١٨٧٢) و(٣١٦١) و(٣٧٩١) و(٤٤٢٢) ومسلم رقم (١٣٩٢) .
(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .

أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء . قال : فأخَّر الصلاة يوماً ، ثم خرج فصلَّى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ، ثم خرج فصلَّى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال : « إنكم ستأتون غداً ، إن شاء الله ، عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائها شيئاً حتى آتيَ » . قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبضُّ بشيءٍ من ماءٍ ، فسألهما رسول الله ﷺ : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » قالا : نعم . فسبَّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيءٍ ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماءٍ كثيرٍ ، فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما هاهنا قد ملىء جناناً » .

وأخرجه مسلمٌ[١] من حديث مالكٍ به .

* * *

ذكر
خطبته ، عليه الصلاة والسلام ، في تبوك إلى نخلةٍ هناك

روى الإمام أحمد[٢] ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، ويونس بن محمدٍ المؤدِّب ، وحجَّاج بن محمدٍ ، ثلاثتهم عن اللّيث بن سعدٍ ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنه قال : إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسندٌ ظهره إلى نخلةٍ فقال : « ألا أخبركم بخير الناس وشرِّ الناس ؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه ، أو على ظهر بعيره ، أو على قدميه ، حتى يأتيَه الموت ، وإنَّ من شرِّ الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيءٍ منه » . ورواه النسائي[٣] ، عن قتيبة ، عن الليث به . وقال : أبو الخطاب لا أعرفه .

وروى البيهقيُّ[٤] من طريق يعقوب بن محمدٍ الزُّهريِّ ، عن عبد العزيز بن عمران ، حدَّثنا عبد الله بن مصعب بن منظور بن جَميل بن سنانٍ ، أخبرني أبي ، سمعت عقبة بن عامرٍ الجهنيَّ يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فاسترقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قِيد رمحٍ ، قال :

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٠٦) (١٠) في الفضائل : باب من معجزات النبي ﷺ .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧) و(٣/ ٤١) و(٣/ ٥٧) .
(٣) رواه النسائي رقم (٣١٠٦) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤١) .

«ألم أقل لك يا بلال: اكلأ لنا الفجر؟» فقال: يا رسول الله، ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك . قال: فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيدٍ، ثم صلّى وسار بقية يومه وليلته ، فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أيها الناس ، أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التَّقوى، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السُّنن سنة محمدٍ ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدي ما اتُّبع، وشرُّ العمى عمى القلب ، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفْلَى ، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى ، وشرَّ المعذرة حين يحضر الموت ، وشرَّ النَّدامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبْراً ، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هَجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذّاب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، عز وجل، وخير ما وقر في القلوب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنِّياحة من عمل الجاهليَّة ، والغلول من جثى جهنم ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، والشباب شعبةٌ من الجنون ، وشرَّ المكاسب كسب الرِّبا ، وشرَّ المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره، والشقيَّ من شقي في بطن أمِّه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرعٍ، والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشرَّ الرَّوايا روايا الكذب ، وكلَّ ما هو آتٍ قريبٌ ، وسِبابُ المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفرٌ ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألَّ على الله يكذبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم يأجره الله ، ومن يصبر على الرَّزيَّة يعوِّضه الله ، ومن يبتغ السُّمعة يسمِّع الله به . ومن يصبر يضعِّف الله له ، ومن يعص الله يعذِّبه الله ، اللهمَّ اغفر لي ولأمَتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهمَّ اغفر لي ولأمتي » . قالها ثلاثاً ، ثم قال : « أستغفر الله لي ولكم » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وفيه نكارةٌ ، وفي إسناده ضعفٌ ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وقال أبو داود[١] : ثنا أحمد بن سعيدٍ الهْمدانيُّ ، وسليمان بن داود قالا : أخبرنا ابن وهبٍ ، أخبرني معاوية ، عن سعيد بن غَزْوَان ، عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو حاجٌّ ، فإذا رجلٌ مقعدٌ ، فسأله عن أمره فقال : سأحدِّثك حديثاً ، فلا تحدِّث به ما سمعت أنِّي حيٌّ ؛ إنَّ رسول الله ﷺ نزل بتبوك إلى نخلةٍ فقال : « هذه قبلتنا » . ثم صلَّى إليها . قال : فأقبلتُ وأنا غلامٌ أسعى ، حتى مررت بينه وبينها ، فقال : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » . قال : فما قمت عليها إلى يومي هذا .

ثم رواه أبو داود[٢] من حديث سعيدٍ بن عبد العزيز التَّنوخيِّ ، عن مولى ليزيد بن نمران ، عن يزيد بن

(١) رواه أبو داود رقم (٧٠٧) ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود رقم (٧٠٥) ، وإسناده ضعيف .

نمران قال : رأيت بتبوك مُقعداً فقال : مررت بين يدي رسول الله ﷺ وأنا على حمارٍ ، وهو يصلِّي ، فقال : « اللهم اقطع أثره » .

فما مَشَيت عليها بعدُ .

وفي رواية : « قطع صلاتنا قطع الله أثره »[١] .

* * *

ذكر
الصَّلاة على مُعَاوية بن مُعَاوية[٢]
إن صحَّ الخبر في ذلك

روى البيهقيُّ[٣] من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفيُّ قال : سمعت أنس بن مالكٍ قال : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاعٍ ونورٍ لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريل رسول الله فقال : « يا جبريل ، ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياءٍ ونورٍ وشعاعٍ لم أرها طلعت فيما مضى ؟ » قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثيَّ مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملكٍ يصلُّون عليه . قال : « وممَّ ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] بالليل والنهار ، وفي ممشاه وفي قيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلِّي عليه ؟ قال : « نعم » . فصلَّى عليه ثم رجع . وهذا الحديث فيه غرابةٌ شديدةٌ ونكارةٌ ، والناس يسندون أمره إلى العلاء بن زيدٍ هذا ، وقد تكلَّموا فيه .

ثم قال البيهقيُّ[٤] : أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيدٍ الصَّفَّار ، حدَّثنا هشام بن عليٍّ ، أخبرنا عثمان بن الهيثم ، حدَّثنا محبوب بن هلالٍ ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنسٍ قال : جاء جبريل فقال : يا محمد ، مات معاوية بن مُعَاوية المُزَنيُّ ، أفتحبُّ أن تصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فضرب بجناحه ، فلم يبق من شجرةٍ ولا أكمةٍ إلا تضعضعت له . قال : فصلَّى وخلفه صفَّان من الملائكة ، في كل صفٍّ سبعون ألف ملكٍ . قال : قلت : « يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبّه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يقرؤها قائماً وقاعداً ، وذاهباً وجائياً ، وعلى كلِّ حالٍ . قال عثمان :

---

(١) وهي عند أبي داود رقم (٧٠٦) وهي ضعيفة .

(٢) ترجمته في « تجريد أسماء الصحابة » (٢/ ٨٣) و« الإصابة في تمييز الصحابة » (٣/ ٤٣٦) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٥) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٦) .

فسألت أبي : أين كان النبيُّ ﷺ ؟ قال : بغزوة تبوك بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلَّى عليه ، وهذا أيضاً منكرٌ من هذا الوجه .

***

قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا إسحاق بن عيسى ، حدَّثنا يحيى بن سُلَيم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشدٍ قال : لقيت التَّنوخيَّ رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص ، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفَنَد أو قُرب . فقلت : ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل ؟ فقال : بلى ، قدم رسول الله ﷺ تبوك ، فبعث دحية الكلبيَّ إلى هرقل ، فلما جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسِّيسي الرُّوم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم الدار ، فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إليَّ يدعوني إلى ثلاث خصالٍ ؛ يدعوني إلى أن أتَّبعه على دينه ، أو على أن نعطيَه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقي إليه الحرب ، والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب ليأخذنَّ [ما تحت قدميَّ] فهلمَّ فلنتَّبعه على دينه أو نعطه مالنا على أرضنا . فنخروا نخرة رجلٍ واحدٍ حتى خرجوا من برانسهم ، وقالوا : تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابيٍّ جاء من الحجاز ؟ فلما ظنَّ أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفَأهم ولم يكد ، وقال : إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم . ثم دعا رجلاً من عرب تُجيب كان على نصارى العرب ، قال : ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربيَّ اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه . فجاء بي فدفع إليَّ هرقل كتاباً ، فقال : اذهب بكتابي إلى هذا الرجل ، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصالٍ ؛ انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشيءٍ ، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل ، وانظر فيظهره هل به شيءٌ يريبك . قال : فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالسٌ بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : ها هو ذا . فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي ، فوضعه في حجره ثم قال : « ممن أنت ؟ » فقلت : أنا أخو تنوخ . قال : « هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم ؟ » قلت : إني رسول قوم وعلى دين قوم ، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم . فضحك وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] يا أخا تنوخ ، إني كتبت بكتابٍ إلى كسرى فمزَّقه ، والله ممزِّقه وممزِّقٌ ملكه ، وكتبت إلى النجاشيِّ بصحيفةٍ فخرَّقها ، والله مُخرِّقُه ، ومُخَرِّقٌ مُلكه ، وكتبتَ إلى صاحبك بصحيفةٍ فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خيرٌ » . قلت :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) ، وإسناده ضعيف ، سعيد بن أبي راشد فيه جهالة .

هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي . فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره ، قلت : من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية . فإذا في كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتقين ، فأين النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار ؟! » قال : فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي . فلما أن فرغ من قراءة كتابي ، قال : « إن لك حقاً وإنك رسول ، فلو وجدتَ عندنا جائزةً جوَّزناك بها ، إنَّا سَفْرٌ مرملون » . قال : فناداه رجلٌ من طائفة الناس ، قال : أنا أجوِّزه . ففتح رحله ، فإذا هو يأتي بحلةٍ صفُّوريَّةٍ فوضعها في حَجري ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لي : عثمان . ثم قال رسول الله : « أيُّكم ينزل هذا الرجل ؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصاريُّ وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله فقال : « تعال يا أخا تنوخ » . فأقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه ، فحلَّ حُبوته عن ظهره ، وقال : « هاهنا امض لما أمرت به » . فجُلت في ظهره ، فإذا أنا بخاتمٍ في موضع غضون الكتف مثل الحَجمة الضخمة . هذا حديثٌ غريبٌ ، وإسناده لا بأس به ، تفرَّد به الإمام أحمد .

***

ذكر
مصالحته ، عليه الصلاة والسلام ، مَلِكَ أَيْلَةَ وأهل جَرْبَاء وأَذْرُحَ وهو مُخَيِّمٌ على تَبُوكَ قبل رجوعه

قال ابن إسحاق[١] : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رُؤبة صاحب أَيلة ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم ، فكتب ليُحَنَّة بن رُؤبة وأهل أيلة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمنةٌ من الله ومحمدٍ النبيِّ رسول الله ليُحَنَّة بن رؤبة وأهل أيلة ، سُفنهم وسيَّارتهم في البرِّ والبحر ، لهم ذمَّة الله ومحمدٍ النبيِّ ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحلُّ أن يمنعوه ماءً يرِدونه ولا طريقاً يردونه من برٍّ أو بحرٍ » .

زاد يونس بن بكيرٍ[٢] ، عن ابن إسحاق بعد هذا : وهذا كتابُ جُهيم بن الصَّلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٥) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٤٨) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق[١] : وكتب لأهل جرباء وأذرح : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ النبيِّ رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمدٍ ، وأن عليهم مئة دينارٍ في كلِّ رجبٍ ، ومائة أوقيَةٍ طَيِّبةٍ ، وأن الله عليهم كفيلٌ بالنُّصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين » . قال : وأعطى النبيُّ ﷺ أهل أيلة بُرده مع كتابه أماناً لهم . قال : فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمدٍ بثلاثمئة دينارٍ .

***

بَعْثُهُ ، عليه الصلاة والسلام ، خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُومة

قال ابن إسحاق[٢] : ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دُومة ، وهو أُكَيدر بن عبد الملك ؛ رجلٌ من كِندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً . وقال رسول الله ﷺ لخالدٍ : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالدٌ ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلةٍ مقمرةٍ صائفةٍ ، وهو على سطحٍ له ، ومعه امرأته ، وباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قطُّ ؟! قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأُسرج له . وركب معه نفرٌ من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له : حسَّان . فركب وخرجوا معه بمَطاردهم . فلمَّا خرجوا تلقَّتهم خيل النبيِّ ﷺ ، فأخذته وقتلوا أخاه ، وكان عليه قَباءٌ من ديباجٍ مخوَّصٌ بالذهب ، فاستلبه خالدٌ ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه . قال : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالكٍ قال : رأيت قَباء أُكيدرٍ حين قدم به على رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجَّبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذٍ في الجنة أحسن من هذا » .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم إن خالد بن الوليد لمَّا قدم بأكيدرٍ على رسول الله ﷺ حقن له دمه فصالحه على الجزية ، ثم خلَّى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجلٌ من بني طيِّيءٍ ـ يقال له : بُجير بن بَجرة ـ في ذلك : [من الوافر]

تبارك سائق البقرات إنِّي ... رأيت الله يهدي كلَّ هاد

فمن يك حائداً عن ذي تبوكٍ ... فإنَّا قد أمرنا بالجهاد

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/٢٤٨ـ٢٤٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٦) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٦ـ٥٢٧) .

وقد حكى البيهقيُّ[١] أنَّ رسول الله ﷺ قال لهذا الشاعر : لا يفضض الله فاك » . فأتت عليه تسعون سنةً ما تحرَّك له فيها ضرسٌ ولا سنٌّ .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، أنَّ رسول الله ﷺ بعث خالداً مرجعه من تبوك في أربعمائةٍ وعشرين فارساً إلى أكيدر دومة . فذكر نحو ما تقدَّم ، إلا أنَّه ماكَره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنَّه قدم مع أُكَيدر إلى رسول الله ﷺ ثمانمئةٍ من السَّبي ، وألف بعيرٍ ، وأربعمئة درعٍ ، وأربعمئة رُمحٍ ، وذكر أنَّه لمَّا سمع عظيم أيلة يُحَنَّة بن رؤبة بقضية أُكَيدر دومة أقبل قادماً على رسول الله ﷺ ليصالحه ، فاجتمعا عند رسول الله ﷺ بتبوك ، فالله أعلم .

وروى يونس بن بكيرٍ[٢] ، عن سعد بن أوسٍ ، عن بلال بن يحيى ، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دومة الجندل ، فالله أعلم .

***

فصـــلٌ

قال ابن إسحاق[٣] : فأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلةً بتبوك لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة . قال : وكان في الطريق ماءٌ يخرج من وَشَلٍ ، يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له : وادي المشقَّق . فقال رسول الله ﷺ : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقينَّ منه شيئاً حتى نأتيَه » . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقَوا ما فيه ، فلمَّا أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، فقال : « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » فقيل له : يا رسول الله ، فلانٌ وفلانٌ . فقال : « أوَ لم أنههم أن يستقوا منه حتى آتيَه ؟ » ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوَشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصبَّ ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا بما شاء الله أن يدعوَ ، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إنَّ له حسّاً كحسِّ الصَّواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمعنَّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميُّ ، أنَّ عبد الله بن مسعودٍ كان يحدِّث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك ، فرأيت شُعلةً من نارٍ في ناحية

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٥١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٥٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .

العسكر ، فاتَّبعتها أنظر إليها . قال : فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجادين قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكرٍ وعمر يدلِّيانه إليه ، وإذا هو يقول : « أدنيا إليَّ أخاكما » . فدلَّياه إليه ، فلمَّا هيَّأه لشقِّه قال : « اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه » . قال : يقول ابن مسعودٍ : يا ليتني كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشام[١] : إنَّما سمِّي ذا البِجادين ، لأنَّه كان يريد الإسلام ، فمنعه قومه وضيَّقوا عليه ، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجادٌ ، وهو الكساء الغليظ ، فشقَّه باثنتين ، فَأْتزر بواحدةٍ وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فسمِّي ذا البِجادين .

قال ابن إسحاق[٢] : وذكر ابن شهابٍ الزهريُّ ، عن ابن أُكَيْمَة اللَّيثيِّ ، عن ابن أخي أبي رُهمٍ الغفاريِّ ، أنَّه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوكَ ، فسرت ذات ليلةٍ معه ونحن بالأخضر ، وألقى الله عليَّ النُّعاس ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة النبيِّ ﷺ ، فيُفزعني دنوُّها منه ؛ مخافة أن أُصيب رجله في الغرز ، فطفقت أحوز راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، فزاحمت راحلتي راحلته ورجله في الغرز ، فلم أستيقظ إلا بقوله : « حسِّ » . فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . قال : « سر » . فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمَّن تخلَّف عنه من بني غفارٍ ، فأُخبره به ، فقال وهو يسألني : « ما فعل النَّفر الحُمر الطِّوال الثِّطاط الذين لا شعر في وجوههم ؟ » فحدَّثته بتخلُّفهم ، قال : « فما فعل النفَر السُّود الجعاد القصار ؟ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منّا . قال : « بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشبكة شَدَخٍ » . فتذكَّرتهم في بني غفارٍ ، فلم أذكرهم ، حتى ذكرت أنَّهم رهطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهطٌ من أسلم حلفاء فينا . فقال رسول الله ﷺ : « ما منع أحد أولئك حين تخلَّف أن يحمل على بعيرٍ من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله ؟ إنَّ أعزَّ أهلي عليَّ أن يتخلَّف عني ؛ المهاجرون والأنصار وغفارٌ وأسلم » .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لمَّا قفل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة ، همَّ جماعةٌ من المنافقين بالفتك به ، وأن يطرحوه من رأس عَقَبةٍ في الطريق ، فأخبر بخبرهم ، فأمر الناس بالمسير من الوادي ، وصعِد هو العقبة ، وسلكها معه أولئك النفر وقد تلثَّموا ، وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسرٍ وحُذَيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمارٌ آخذٌ بزمام الناقة ، وحُذَيفة يسوقها ، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوهم ، فغضب رسول الله ﷺ ، وأبصر حذيفة غضبه ، فرجع إليهم ومعه محجنٌ ، فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنُّوا أن قد أظهر على

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٨) .

ما أضمروه من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ ، فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ، ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشِيتُهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الرَّكب ؟ » . قالا : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه ، وسمَّاهم لهما ، واستكتمهما ذلك ، فقالا : يا رسول الله ، أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدَّث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه » .

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة ، إلا أنَّه ذكر أنَّ النبيَّ ﷺ إنَّما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده ، وهذا هو الأشبه ، والله أعلم ، ويشهد له قول أبي الدَّرداء لعلقمة صاحب ابن مسعودٍ : أليس فيكم ـ يعني أهل الكوفة ـ صاحب السَّواد والوساد ؟ ـ يعني ابن مسعودٍ ـ أليس فيكم صاحب السرِّ الذي لا يعلمه غيره ؟ ـ يعني حذيفة ـ أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمدٍ ﷺ ؟ ـ يعني عماراً . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنَّه قال لحذيفة : أقسمت عليك بالله ، أنا منهم ؟ قال : لا ولا أبرِّىء بعدك أحداً . يعني حتى لا يكون مفشياً سرَّ النبيِّ ﷺ .

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلاً ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلاً .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من أمرهم وبما تمالؤوا عليه .

ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم ، قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

وروى البيهقيُّ[١] من طريق محمد بن سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرَّة ، عن أبي البَختريِّ ، عن حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به ، وعمارٌ يسوق الناقة ـ أو أنا أسوق وعمارٌ يقود به ـ حتى إذا كنّا بالعقبة إذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها . قال : فأنبهت رسول الله ﷺ ، فصرخ بهم فولَّوا مدبرين ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « هل عرفتم القوم ؟ » . قلنا : لا يا رسول الله ، قد كانوا متلثِّمين ، ولكنَّا قد عرفنا الرِّكاب . قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » . قلنا : لا . قال : « أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة ، فيلقوه منها » . قلنا : يا رسول الله ، أو لا تبعث إلى عشائرهم ؛ حتى يبعث إليك كلُّ قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تحدَّث العرب بينها أن محمداً قاتل بقومٍ ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » . ثم قال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيلة » . قلنا : يا رسول الله ، وما الدُّبيلة ؟ قال : « شهابٌ من نارٍ يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٠) .

وفي « صحيح مسلم »[١] من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس بن عبادٍ قال : قلت لعمارٍ : أرأيتم صنيعكم هذا فيما كان من أمر عليٍّ ؛ أرأياً رأيتموه ، أم شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافَّةً ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، منهم ثمانيةٌ لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط » .

وفي رواية له[٢] من وجهٍ آخر عن قتادة : « إن في أمتي اثني عشر منافقاً ، لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط ، ثمانيةٌ منهم تكفيكهم الدُّبَيلة ؛ سراجٌ من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجُم من صدورهم » .

قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : وروينا عن حُذَيفة أنَّهم كانوا أربعة عشر ، أو خمسة عشر ، وأشهد بالله أنَّ اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله ﷺ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثةً أنَّهم قالوا : ما سمعنا المنادي ولا علمنا بما أراد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في « مسنده »[٤] قال : حدثنا يزيد ـ هو ابن هارون ـ أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جُميع ، عن أبي الطُّفيل قال : لمَّا أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : إنَّ رسول الله ﷺ آخذٌ بالعقبة ، فلا يأخذها أحدٌ . فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمارٌ ، إذ أقبل رهطٌ متلثِّمون على الرَّواحل ، فغشُوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ ، وأقبل عمارٌ يضرب وجوه الرَّواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : « قُدْ[٥] قُد » . حتى هبط رسول الله ﷺ ، فلمَّا هبط نزل ورجع عمارٌ ، قال : « يا عمَّار ، هل عرفت القوم ؟ » قال : قد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثِّمون . قال : « هل تدري ما أرادوا ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه » . قال : فسارَّ عمارٌ رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثةً قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمارٌ : أشهد أن الاثني عشر الباقين حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

* * *

---

(١) رقم (٢٧٧٩) (٩) .
(٢) أي : للإمام مسلم وهي عنده رقم (٢٧٧٩) (١٠) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٦٢) .
(٤) (٥/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) ، وإسناده حسن .
(٥) أي : أسرع .

قصة مسجد الضِّرَار

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٧ ـ ١١٠] .

وقد تكلَّمنا على تفسير ما يتعلَّق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية[١] ، ولله الحمد .

وذكر ابن إسحاق[٢] كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله ، وكيفية أمر رسول الله ﷺ بخرابه مرجعه من تبوكَ قبل دخوله المدينة . ومضمون ذلك ؛ أن طائفةً من المنافقين بنَوا صورة مسجدٍ قريباً من مسجد قباءٍ ، وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه ؛ حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله رسوله ﷺ من الصلاة فيه ؛ وذلك أنه كان على جناح سفَرٍ إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذي أوانٍ ـ مكانٍ بينه وبين المدينة ساعةٌ ـ نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ الآية . أما قوله : ﴿ ضِرَارًا ﴾ . فلأنهم أرادوا مضاهاة مسجد قباءٍ ، ﴿ وَكُفْرًا ﴾ بالله لا للإيمان به ، ﴿ وَتَفْرِيقًۢا ﴾ للجماعة عن مسجد قباءٍ ، ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ وهو أبو عامرٍ الراهب الفاسق ، قبَّحه الله ، وذلك أنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبى عليه ، ذهب إلى أهل مكة فاستنفرهم ، فجاؤوا عام أحدٍ ، فكان من أمرهم ما قدَّمناه ، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ؛ ليستنصره على رسول الله ﷺ ، وكان أبو عامرٍ على دين هرقل ممن تنصَّر معهم من العرب ، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعِدهم ويمنِّيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كلَّ حينٍ ، فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة ، وباطنه دار حربٍ ومقرٌّ لمن يفد من عند أبي عامرٍ الراهب ، ومجمعٌ لمن هو على طريقتهم من المنافقين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ ﴾ . أي الذين بنوه ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ ﴾ . أي ؛ إنما أردنا

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٤/١٤٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٩) .

ببنائه الخير . قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . ثم قال الله تعالى لرسوله : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ . فنهاه عن القيام فيه لئلا يقرِّر أمره ، ثم أمره وحثَّه على القيام في المسجد الذي أسِّس على التقوى من أول يومٍ ، وهو مسجد قباءٍ ، لما دل عليه السياق ، والأحاديث الواردة في الثناء على تطهير أهله مشيرةٌ إليه ، وما ثبت في « صحيح مسلم »[1] من أنه مسجد رسول الله ﷺ لا ينافي ما تقدَّم ؛ لأنه إذا كان مسجد قباءٍ أسِّس على التقوى من أول يومٍ ، فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى ، وأثبت في الفضل منه وأقوى ، وقد أشبعنا القول في ذلك في « التفسير » ولله الحمد .

والمقصود أن رسول الله ﷺ لما نزل بذي أَوانٍ ، دعا مالك بن الدُّخشم ومعن بن عديٍّ ـ أو أخاه عاصم بن عديٍّ ـ رضي الله عنهما ، فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرِّقاه بالنار ، فذهبا فحرَّقاه بالنار ، وتفرَّق عنه أهله .

قال ابن إسحاق[2] : وكان الذين بنَوه اثني عشر رجلاً وهم ؛ خِذام بن خالدٍ وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد ، وثعلبة بن حاطبٍ ، ومعتِّب بن قشيرٍ ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبَّاد بن حنيفٍ أخو سهل بن حنيفٍ ، وجارية بن عامرٍ ، وابناه مجمِّعٌ وزيدٌ ، ونبتل بن الحارث ، وبَحزجٌ وهو إلى بني ضبيعة ، وبِجاد بن عثمان ، وهو من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابتٍ وهو إلى بني أميَّة .

قلت : وفي غزوة تبوك هذه صلَّى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوفٍ صلاة الفجر ، أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله ﷺ ذهب يتوضَّأ ومعه المغيرة بن شعبة ، فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة ، فتقدَّم عبد الرحمن بن عوفٍ ، فلما سلَّم الناس أعظموا ما وقع ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « أحسنتم وأصبتم » وذلك فيما رواه البخاريُّ[3] ، رحمه الله ، قائلاً : حدَّثنا .

[قدومه ﷺ المدينة]

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا أحمد بن محمدٍ ، حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة أقواماً ، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » . فقالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟! قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » . تفرد به من هذا الوجه .

---

(١) رقم (١٣٩٨) في الحج : باب لا تشد الرحَّال إلا إلى ثلاثة مساجد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٠) .

(٣) روى البخاري منه قصة الوضوء فقط رقم (٤٤٢١) وروى مسلم تاماً رقم (٢٧٤) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٤٢٣) .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا خالد بن مخلدٍ ، حدَّثنا سليمان ، حدَّثني عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعدٍ ، عن أبي حميدٍ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أحدٌ ؛ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه » .

ورواه مسلمٌ[2] ، من حديث سليمان بن بلالٍ به نحوه .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا عبد الله بن محمدٍ ، حدَّثنا سفيان ، عن الزهريِّ ، عن السائب بن يزيد قال : أذكر أنِّي خرجت مع الصبيان نتلقَّى رسول الله ﷺ إلى ثنيَّة الوداع مقدمه من غزوة تبوك .

ورواه أبو داود والترمذيُّ[4] من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال البيهقيُّ[5] : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطرٍ ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة[6] ، جعل النساء والصبيان والولائد يقلن : [من مجزوء الرمل]

طَلَـعَ البَـدْرُ عَلَيْنَـا مِـنْ ثَنِيَّـات الـوَدَاعِ
وجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَـــا دَعَـــا للهِ داعِ

قال البيهقيُّ[7] : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة ، لا أنه لما قدم المدينة من ثنيَّات الوَدَاع عند مقدمه من تبوك ، والله أعلم ، فذكرناه هاهنا أيضاً .

قال البخاريُّ[8] ، رحمه الله :

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٢٢) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٣٩٢) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٤٢٧) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧٧٩) والترمذي رقم (١٧١٨) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٦) وهو ما ذهب إليه ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢) وقال : « وبعض الرواة يهم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة ، وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكَّة إلى المدينة ، ولا يمرُّ بها إلا إذا توجه إلى الشام ، فلما أشرف على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أُحُد جبل يحبنا ونحبه » . وانظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(٨٠ ـ ٨١) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .
(٦) يعني من غزوة تبوك .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٦) .
(٨) رواه البخاري رقم (٤٤١٨) .

حديث كعب بن مالكٍ
رضي الله عنه

حدَّثنا يحيى بن بكيرٍ ، حدَّثنا اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، أن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ـ وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عمي ـ قال : سمعت كعب بن مالكٍ يحدِّث حين تخلَّف عن قصة تبوك ، قال كعبٌ : لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدرٍ ، ولم يعاتَب أحدٌ تخلَّف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريشٍ ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعادٍ ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدرٍ ، وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها ، كان من خبري أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلَّفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطُّ ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوةً إلا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله في حرٍّ شديدٍ ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومفازاً ، وعدوّاً كثيراً ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ؛ ليتأهبوا أُهبة غزوتهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ ، ولا يجمعهم كتابٌ حافظٌ ـ يريد الدِّيوان ـ قال كعبٌ : فما رجلٌ يريد أن يتغيَّب إلا ظنَّ أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظِّلال ، وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادرٌ عليه . فلم يزل يتمادى بي ، حتى اشتد بالناس الجدُّ ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جَهازي شيئاً ، فقلت : أتجهَّز بعده بيومٍ أو يومين ، ثم ألحقهم . فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهَّز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن ارتحل فأدركهم ـ وليتني فعلت ـ فلم يقدَّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم ، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموضاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوك : « ما فعل كعبٌ ؟ » فقال رجلٌ من بني سَلِمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، ونظره في عطفيه . فقال معاذ بن جبلٍ : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ . قال كعب بن مالكٍ ، قال : فلما بلغني أنه توجَّه قافلاً ، حضرني همِّي ، وطفقت أتذكَّر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكلِّ ذي رأيٍ من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً ، زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيءٍ فيه كذبٌ ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفرٍ بدأ بالمسجد ، فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً ، فقبل منهم

رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، عز وجل ، فجئته ، فلما سلَّمت عليه تبسَّم تبسُّم المغضب . ثم قال : « تعال » . فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلَّفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقلت : بلى ، إنِّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذرٍ ، ولقد أُعطيت جَدَلًا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني ، لَيُوشِكَنَّ الله أن يسخطك عليَّ ، ولئن حدَّثتك حديث صدقٍ تجد عليَّ فيه ، إنِّي لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذرٍ ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلَّفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » . فقمت ، وثار رجالٌ من بني سَلِمة فاتَّبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلَّفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك . فوالله ما زالوا يؤنِّبونني حتى هممت أن أرجع فأكذِّب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العَمْرِيُّ ، وهلال بن أميَّة الواقفيُّ . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوةٌ ، فمضيت حين ذكروهما لي . ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلَّف عنه ، فاجتنَبنا الناس وتغيَّروا لنا ، حتى تنكَّرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأما صاحباي فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلَدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ولا يكلِّمني أحدٌ ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا ؟ ثم أصلِّي قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس ، مَشيت حتى تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمِّي وأحبُّ الناس إليَّ ، فسلَّمت عليه ، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أُنشُدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي ، وتولَّيت حتى تسوَّرت الجدار . قال : وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعامٍ يبيعه بالمدينة يقول : من يدلُّني على كعب بن مالكٍ ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسَّان ، فإذا فيه : أمَّا بعد ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعةٍ ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء . فتيمَّمت بها التَّنُّور فسجرته بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلةً من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت : أطلِّقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فتكوني عندهم ، حتى يقضيَ الله في هذا الأمر . قال كعب :

فجاءت امرأة هلال بن أميَّة إلى رسول الله فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أميَّة شيخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « لا ، ولكن لا يقربك » . قالت : إنه والله ما به حركةٌ إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أميَّة أن تخدُمه . فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجلٌ شابٌّ ! قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ ، حتى كملت لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله عن كلامنا ، فلما صلَّيت الفجر صبح خمسين ليلةً وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا ، فبينا أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله ، عز وجل ، قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخٍ أوفى على جبل سَلعٍ بأعلى صوته : يا كعب بن مالكٍ ، أبشر . فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ ، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشِّروننا ، وذهب قبل صاحبيَّ مبشِّرون ، وركض رجلٌ إليَّ فرساً ، وسعى ساعٍ من أسلم ، فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشِّرني ، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فتلقَّاني الناس فوجاً فوجاً يهنِّئوني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . قال كعبٌ : حتى دخلت المسجد ، فإذا برسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس ، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّأني ، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة . قال كعبٌ : فلما سلَّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك » . قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا ، بل من عند الله » . وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمرٍ ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله : « أمسك عليك بعض مالك ، فهو خيرٌ لك » . قلت : فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر . فقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما نجَّاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيت . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، ما تعمَّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٧ـ١١٩] . فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحدٍ : قال الله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٩٥ـ٩٦] . قال

كعبٌ : وكنا تخلَّفنا أيُّها الثلاثة عن أَمْرِ أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التوبة : ١١٨] . ليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا من الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

وهكذا رواه مسلمٌ[١] ، من طريق الزهريِّ بنحوه .

وهكذا رواه محمد بن إسحاق[٢] ، عن الزهريِّ مثل سياق البخاريِّ ، وقد سقناه في « التفسير »[٣] من « مسند الإمام أحمد »[٤] ، وفيه زياداتٌ يسيرة ، ولله الحمد والمنَّة .

* * *

ذكر
أقوامٍ تخلَّفوا من العصاة غير هؤلاء

قال عليُّ بن طلحة الوالبيُّ ، عن ابن عباسٍ في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] . قال : كانوا عشرة رهطٍ تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوعه أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد ، وكان ممرُّ النبيِّ ﷺ إذا رجع من المسجد عليهم ، فلما مرَّ بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لبابة وأصحابٌ له ، تخلَّفوا عنك ، حتى تطلقهم وتعذرهم . قال : « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله ، عز وجل ، هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني ، وتخلَّفوا عن الغزو مع المسلمين » . فلما أن بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ . . . ﴾ . الآية . و ﴿ عَسَى ﴾ من الله واجبٌ ، فلما أُنزلت ، أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم ، فجاؤوا بأموالهم وقالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا فتصدَّق بها عنا ، واستغفر لنا . فقال : « ما أُمرت أن آخذ أموالكم » . فأنزل الله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣ ـ ١٠٦] . وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري فأرجئوا ، حتى نزل قوله تعالى :

---

(١) رقم (٢٧٦٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣١) .
(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ١٦٥) .
(٤) (٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩) ، وإسناده صحيح .

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ . . . ﴾ إلى آخرها [التوبة : ١١٧ ـ ١١٨] .

وكذا رواه عطية بن سعدٍ العوفيُّ ، عن ابن عباسٍ بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيَّب ومجاهدٌ ومحمد بن إسحاق[١] قصة أبي لبابة وما كان من أمره يوم بني قريظة ، وربطه نفسه حتى تيب عليه ، ثم إنه تخلَّف عن غزوة تبوك ، فربط نفسه أيضاً حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كلِّه صدقةً ، فقال له رسول الله ﷺ : « يكفيك من ذلك الثُّلث » . قال مجاهدٌ وابن إسحاق : وفيه نزل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ . . . ﴾ الآية . قال سعيد بن المسيَّب : ثم لم يُر منه بعد ذلك في الإسلام إلا خيرٌ ، رضي الله عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه ، واقتصروا على أنه كان كالزعيم لهم ، كما دلَّ عليه سياق ابن عباسٍ ، والله أعلم .

وروى البيهقيُّ[٢] من طريق أبي أحمد الزبيريِّ عن سفيان الثوريِّ ، عن سلمة بن كهيلٍ ، عن عياض بن عياضٍ ، عن أبيه ، عن أبي مسعودٍ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « إنَّ منكم منافقين ، فمن سَمَّيتُ فليقم ، قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان » . حتى عدَّ ستةً وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم ـ أو إن منكم ـ منافقين فسلوا الله العافية » . قال : فمرَّ عمر برجلٍ متقنِّعٍ ، وقد كان بينه وبينه معرفةٌ ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله ﷺ ، فقال : بُعداً لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلِّفون عن غزوة تبوك أربعة أقسامٍ ؛ مأمورون مأجورون كعليِّ بن أبي طالبٍ ومحمد بن مسلمة وابن أمِّ مكتومٍ ، ومعذورون وهم الضعفاء والمرضى والمقلُّون وهم البكَّاؤون ، وعصاةٌ مذنبون وهم الثلاثة وأبو لبابة وأصحابه المذكورون ، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون .

* * *

ذكر

ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة منصرفه من تبوك

قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا أبو البختريِّ عبد الله بن [محمد بن] شاكرٍ ، حدَّثنا زكريا بن يحيى ، حدَّثنا عمُّ أبي زَحر بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٦) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٣) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٧) .

حصنٍ ، عن جدِّه حميد بن منهبٍ قال : سمعت جدي خُرَيم بن أوس بن حارثة بن لامٍ يقول : هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله ، إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله ﷺ : « لا يفضض الله فاك » . فقال : [من المنسرح]

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي ... مُسْتَوْدَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنت ولا مُضغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطفةٌ تَرْكَبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَم نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضَى عالَمٌ بدَا طَبَقُ
حتى احتوى بيتَك المهيمنُ مِن ... خِنْدِفَ عَلْياءَ تحتَها النُّطُقُ
وأنت لمَّا وُلِدْتَ أشْرَقَت الأرْ ... ضُ وضاءَتْ بنورِك الأُفُقُ
فنحن في ذلك الضياءِ وفي النو ... ر وسُبُلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

ورواه البيهقيُّ[١] من طريقٍ أخرى ، عن أبي السُّكين زكريا بن يحيى الطائيِّ ، وهو في جزءٍ له مرويٍّ عنه .

قال البيهقيُّ : وزاد : ثم قال رسول الله ﷺ : « هذه الحِيرة البيضاء رُفعت لي ، وهذه الشَّيماء بنت بُقيلة الأزدية على بغلةٍ شهباء معتجرةً بخمارٍ أسود » . فقلت : يا رسول الله ، إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهي لي ؟ قال : « هي لك » . قال : ثُمَّ كانت الرِّدَّة ، فما ارتد أحدٌ من طيءٍ ، وكنا نقاتل من يلينا من العرب على الإسلام ، فكنا نقاتل قيساً وفيها عيينة بن حصنٍ ، وكنا نقاتل بني أسدٍ وفيهم طليحة بن خويلدٍ ، وكان خالد بن الوليد يمدحنا ، وكان فيما قال فينا : [من الطويل]

جزَى الله عَنَّا طيِّئاً في ديارِها ... بمُعْتَرَكِ الأبطالِ خيرَ جزاءِ
همُ أهلُ راياتِ السَّماحةِ والنَّدَى ... إذا ما الصَّبَا أَلْوَتْ بكلِّ خِباءِ
همُ ضرَبوا قَيْساً على الدِّينِ بعدَما ... أجابوا مُنادي ظلمةٍ وعَماءِ

قال : ثم سار خالد إلى مُسَيْلِمَة الكَذَّاب فسرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى ناحية البصرة ، فلقينا هرمز بكاظمةَ في جيشٍ هو أكبر من جمعنا ، ولم يكن أحدٌ من الناس أعدى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالدٌ ودعاه إلى البِراز ، فبرز له فقتله خالدٌ ، وكتب بخبره إلى الصديق ، فنفَّله سلبه ، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم ، وكانت الفرس إذا شَرُف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمئة ألف درهم . قال : ثم أقبلنا على طريق الطَّفِّ إلى الحيرة ، فأول من تلقَّانا حين دخلناها الشَّيماء بنت بقيلة ، كما قال رسول الله ﷺ : « على بغلةٍ شهباء معتجرةً بخمارٍ أسود » . فتعلَّقت بها وقلت : هذه وهبها لي

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٨) .

رسول الله ﷺ . فدعاني خالدٌ عليها بالبينة ، فأتيته بها ، وكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بَشِيرٍ الأنصاريَّ ، فسلَّمها إليَّ ، فنزل إليَّ أخوها عبد المسيح يريد الصلح ، فقال : بِعنيها . فقلت : لا أنقصها والله عن عشر مئة درهمٍ . فأعطاني ألف درهمٍ ، وسلَّمتها إليه ، فقيل : لو قلت مئة ألفٍ لدفعها إليك . فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مئةٍ .

* * *

قدوم وفد ثقيفٍ على رسول الله ﷺ في رمضان من سنة تسعٍ

تقدم أن رسول الله ﷺ لما ارتحل عن ثقيفٍ سئل أن يدعوَ عليهم فدعا لهم بالهداية ، وقد تقدم أن رسول الله ﷺ حين أسلم مالك بن عوفٍ النَّصريُّ أنعم عليه وأعطاه ، وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلاد ثقيفٍ ويضيِّق عليهم ، حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام ، وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود ، عن صخر بن العيلة الأحمسيِّ أنه لم يزل بثقيفٍ حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله ﷺ ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله ﷺ له في ذلك .

قال ابن إسحاق[1] : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيفٍ ، وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتَّبع أثره عروة بن مسعودٍ ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ـ كما يتحدث قومه ـ : « إنهم قاتلوك » . وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع ؛ للذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم . وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، رجاء أن لا يخالفوه ؛ لمنزلته فيهم ، فلما أشرف على عِلِّيَّةٍ له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رمَوه بالنبل من كلِّ وجهٍ فأصابه سهمٌ فقتله ، فيزعم بنو مالكٍ أنه قتله رجلٌ منهم يقال له : أوس ابن عوفٍ . أخو بني سالم بن مالكٍ ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بني عتَّابٍ يقال له : وهب بن جابرٍ . فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمني الله بها ، وشهادةٌ ساقها الله إليَّ ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم . فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إن مثَله في قومه كمثل صاحب يس في قومه » . وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبي بكرٍ الصديق ، وتابعه أبو بكرٍ البيهقيُّ في ذلك وهذا بعيدٌ ، والصحيح أن ذلك قبل حجة أبي بكرٍ كما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٧) .

قال ابن إسحاق[١] : ثم أقامت ثقيفٌ بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، فائتمروا فيما بينهم ، وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخي بني علاجٍ ، فائتمروا بينهم ، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عُميرٍ ، ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثةٌ من بني مالكٍ ، وهم ؛ الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّبٍ ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتِّبٍ ، وعثمان بن أبي العاص ، وأوس بن عوفٍ أخو بني سالمٍ ، ونُمير بن خرشة بن ربيعة .

وقال موسى بن عقبة : كانوا بضعة عشر رجلاً ، فيهم كنانة بن عبد ياليل ، وهو رئيسهم ، وفيهم عثمان بن أبي العاص ، وهو أصغر الوفد .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناةَ ، ألفوا المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رآهم ذهب يشتدُّ ليبشِّر رسول الله بقدومهم ، فلقيه أبو بكرٍ الصديق فأخبره عن ركب ثقيفٍ أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله شروطاً ، ويكتتبوا كتاباً في قومهم ، فقال أبو بكرٍ للمغيرة : أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدِّثه . ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكرٍ فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظَّهر معهم ، وعلَّمهم كيف يحيُّون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله ضربت عليهم قبَّةٌ في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيدٍ قبلهم ، وهو الذي كتب لهم كتابهم . قال : وكان مما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية [وهي اللات] ثلاث سنين ، فما برحوا يسألونه سنةً سنةً ويأبى عليهم ، حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألَّفوا سفهاءهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمىً إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حربٍ والمغيرة ليهدماها ، وسألوه مع ذلك أن لا يصلُّوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، فقال : « أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك ، وأما الصلاة فلا خير في دينٍ لا صلاة فيه » . فقالوا : سنؤتيكها وإن كانت دناءةً .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، عن حميدٍ ، عن الحسن ، عن عثمان بن أبي العاص ، أنَّ وفد ثقيفٍ قدموا على رسول الله ﷺ ، فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يُحشروا ولا يُعشروا ولا يُجبُّوا ولا يستعمل عليهم غيرهم . فقال

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٩) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وفيه عنعنة الحسن البصري .

رسول الله ﷺ : « لكم أن لا تُحشروا ولا تُعشَروا ، ولا يُستعمل عليكم غيركم ، ولا خير في دينٍ لا ركوع فيه » . وقال عثمان بن أبي العاص : يا رسول الله ، علِّمني القرآن واجعلني إمام قومي .

وقد رواه أبو داود[١] من حديث أبي داود الطَّيالسيِّ ، عن حماد بن سلمة ، عن حميدٍ به .

وقال أبو داود[٢] : حدَّثنا الحسن بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبِّهٍ ، [عن أبيه] ، عن وهبٍ قال : سألت جابراً عن شأن ثقيفٍ إذ بايعت ، قال : اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك : « سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أسلموا » .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص ـ وكان أحدثهم سناً ـ لأن الصِّدِّيق قال : يا رسول الله ، إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن .

وذكر موسى بن عقبة أن وفدهم كانوا إذا أتوا رسول الله خلَّفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم ، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله ﷺ فسأله عن العلم فاستقرأه القرآن ، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكرٍ الصديق ، فلم يزل دأبُه حتى فقه في الإسلام ، وأحبَّه رسول الله ﷺ حبّاً شديداً .

قال ابن إسحاق[٤] : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كان من آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيفٍ أن قال : « يا عثمان ، تجوَّز في الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا عفَّان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا سعيدٌ الجريريُّ ، عن أبي العلاء ، عن مطرِّفٍ ، عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله ، اجعلني إمام قومي . قال : « أنت إمامهم ، فاقتد بأضعفهم ، واتَّخذ مؤذِّناً لا يأخذ على أذانه أجراً » .

رواه أبو داود والترمذي[٦] من حديث حمَّاد بن سلمة به .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٦) ، وفيه عنعنة الحسن البصري .
(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٥) ، وإسناده حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وإسناده حسن .
(٦) رواه أبو داود رقم (٥٣١) وليس الحديث عند الترمذي ، ورواه أيضاً النسائي في « المجتبى » رقم (٦٧٢) ، وإسناده حسن .

ورواه ابن ماجه[١] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن إسماعيل بن عليَّة ، عن محمد بن إسحاق ، كما تقدم .

وروى أحمد[٢] ، عن عفَّان ، عن وهيبٍ ، وعن معاوية بن عمروٍ ، عن زائدة ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن داود بن أبي عاصمٍ ، عن عثمان بن أبي العاص أن آخر ما فارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال : « إذا صلَّيت بقومٍ فخفِّف بهم » . حتى وقَّت لي : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ . [العلق : ١] . وأشباهها من القرآن .

وقال أحمد[٣] : حدثنا محمد بن جعفرٍ ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، سمعت سعيد بن المسيَّب قال : حدَّث عثمان بن أبي العاص قال : آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال : « إذا أممت قوماً فخفِّف بهم الصلاة » . ورواه مسلم[٤] ، عن محمد بن مثنّى وبندارٍ ، كلاهما عن محمد بن جعفرٍ غندرٍ به .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا أبو أحمد الزبيريُّ ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفيُّ ، عن عبد الله بن الحكم ، أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول : استعملني رسول الله ﷺ على الطائف ، فكان آخر ما عهده إليَّ أن قال : « خفِّف عن الناس الصلاة » . تفرد به من هذا الوجه .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا يحيى بن سعيدٍ ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، حدَّثني موسى ـ هو ابن طلحة ـ أن عثمان بن أبي العاص حدَّثه أن رسول الله ﷺ أمره أن يؤمَّ قومه ، ثم قال : « من أمَّ قوماً فليخفِّف بهم ، فإن فيهم الضعيف والكبير والمريض وذا الحاجة ، فإذا صلَّى وحده فليصلِّ كيف شاء » . ورواه مسلم[٧] من حديث عمرو بن عثمان به .

وقال أحمد[٨] : حدثنا محمد بن جعفرٍ[٩] ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالمٍ ، سمعت أشياخاً من ثقيفٍ قالوا : حدَّثنا عثمان بن أبي العاص أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أُمَّ قومك ، وإذا أممت قوماً فأخفَّ بهم الصلاة ؛ فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة » .

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (٩٨٧) ، وهو حديث حسن .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وإسناده صحيح .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وإسناده صحيح .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٦٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٦) وإسناده صحيح .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٦٨) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وهو حديث صحيح .
(٩) في « المسند » : « محمد بن بكر » وفي « أطراف المسند » كما هنا .

وقال أحمد[١] : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجريريِّ ، عن أبي العلاء بن الشِّخِّير ، أن عثمان قال : يا رسول الله ، حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي . قال : « ذاك شيطانٌ يقال له : خِنزبٌ . فإذا أنت حسسته فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » . قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث سعيدٍ الجُرَيريِّ به .

وروى مالكٌ وأحمد ومسلمٌ وأهل السنن[٣] من طرقٍ ، عن نافع بن جبير بن مطعمٍ ، عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده ، فقال له : « ضع يدك على الذي تألَّم من جسدك ، وقل : بسم الله . ثلاثاً ، وقل سبع مراتٍ : أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر » .

وفي بعض الروايات : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم .

وقال أبو عبد الله بن ماجه[٤] : حدَّثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاريُّ ، حدثني عيينة بن عبد الرحمن ـ وهو ابن جوشنٍ ـ حدثني أبي ، عن عثمان بن أبي العاص قال : لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيءٌ في صلاتي ، حتى ما أدري ما أُصلِّي ، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « ابن أبي العاص ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا رسول الله ، عرض لي شيءٌ في صلاتي حتى ما أدري ما أُصلِّي . قال : « ذاك الشيطان ، ادنه » . فدنوت منه ، فجلست على صدور قدميَّ . قال : فضرب صدري بيده وتفل في فمي ، وقال : « اخرج عدوَّ الله » . ففعل ذلك ثلاث مراتٍ ، ثم قال : « الحق بعملك » . قال : فقال عثمان : فلعمري ما أحسبه خالطني بعدُ . تفرَّد به ابن ماجه .

قال ابن إسحاق[٥] : وحدَّثني عيسى بن عبد الله ، عن عطيَّة بن سفيان بن ربيعة الثقفيِّ ، عن بعض وفدهم قال : كان بلالٌ يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من شهر رمضان بفَطورنا وسَحورنا ، فيأتينا بالسَّحور ، فإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع . فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ يتسحَّر لتأخير السَّحور . ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس ذهبت كلُّها بعد . فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ . ثم يضع يده في الجفنة فيلقم منها .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٦) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٠٣) .
(٣) رواه الإمام مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٤٢) ومسلم رقم (٢٢٠٢) وأبو داود رقم (٣٨٩١) والترمذي رقم (٢٠٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٨٣٧) وابن ماجة رقم (٣٥٢٢) .
(٤) رواه ابن ماجة رقم (٣٥٤٨) ، وهو حديث صحيح .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٠) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه[١] ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفيِّ ، عن عثمان بن عبد الله بن أوسٍ ، عن جدِّه أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيفٍ . قال : فنزِّلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالكٍ في قبَّةٍ له ، كلَّ ليلةٍ يأتينا بعد العشاء يحدِّثنا قائماً على رجليه ، حتى يراوح بين رجليه من طول القيام فأكثر ما يحدِّثنا ما لقي من قومه من قريشٍ ، ثم يقول : « لا أنسى وكنا مستضعفين مستذلِّين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سِجال الحرب بيننا وبينهم ، نُدال عليهم ويُدالون علينا » . فلما كانت ليلةٌ أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنَّا الليلة . فقال : « إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيءَ حتى أتمَّه » . قال أوسٌ : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاثٌ ، وخمسٌ ، وسبعٌ ، وتسعٌ ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصَّل[٢] وحده ، لفظ أبي داود .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما فرغوا من أمرهم وتوجَّهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذي الهِرْم ، فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه بنو معتِّبٍ دونه ؛ خشية أن يُرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعودٍ . قال : وخرج نساء ثقيفٍ حُسَّراً يبكين عليها ، ويقلن : لتُبكينَّ دفَّاع ، أسلمها الرُّضَّاع ، لم يحسنوا المِصاع .

قال ابن إسحاق[٤] : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لكِ إهلاككِ . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحُليَّها أرسل إلى أبي سفيان وقال له : إن رسول الله قد أمرنا أن نقضي عن عروة بن مسعودٍ وأخيه الأسود بن مسعودٍ ، والد قارب بن الأسود ، دَيْنهما من مال الطاغية . فقضى ذلك عنهما . قلت : كان الأسود قد مات مشركاً ، ولكن أمر رسول الله بذلك تأليفاً وإكراماً لولده قارب بن الأسود ، رضي الله عنه .

وذكر موسى بن عقبة[٥] أن وفد ثقيفٍ كانوا بضعة عشر رجلاً ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنى والخمر ، فحرَّم عليهم ذلك كلَّه ، فسألوه عن الرَّبَّة ما هو صانعٌ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٩ و٣٤٣) وأبو داود رقم (١٣٩٣) وابن ماجة رقم (١٣٤٥) ، وإسناده ضعيف .
(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٢/ ٢٥٩) : « المفصل من القرآن الكريم هو من سورة ﴿ ق ﴾ إلى آخر القرآن على الصحيح ، وسمي مفصلاً لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٢) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٠٠) .

بها . قال : « اهدموها » . قالوا : هيهات ، لو تعلم الرَّبَّة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا بن عبد ياليل ! ما أجهلك ! إنما الرَّبَّة حجرٌ . فقالوا : إنا لم نأتك يا بن الخطاب . ثم قالوا : يا رسول الله ، تولَّ أنت هدمها ، أما نحن فإنا لن نهدمها أبداً . فقال : « سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها » . فكاتبوه على ذلك ، واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاؤوا قومهم تلقَّوهم ، فسألوهم ما وراءكم ؟ فأظهروا الحزن ، وأنهم إنما جاؤوا من عند رجلٍ فظٍّ غليظٍ ، قد ظهر بالسيف ، يحكم ما يريد وقد دوَّخ العرب ، قد حرَّم الربا والزنى والخمر ، وأمر بهدم الرَّبَّة ، فنفرت ثقيفٌ وقالوا : لا نطيع لهذا أبداً . قال : فأهّبوا للقتال وأعدُّوا السلاح . فمكثوا على ذلك يومين أو ثلاثةً ، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فرجعوا وأنابوا ، وقالوا : ارجعوا إليه ، فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه . قالوا : فإنا قد فعلنا ذلك ، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه، فافهموا مافي القضية واقبلوا عافية الله. قالوا : فلِم كتمتمونا هذا أولًا ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان. فأسلموا مكانهم، ومكثوا أياماً، ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمر عليهم خالد بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبة ، فعمدوا إلى اللات ، وقد استكفَّت ثقيفٌ رجالها ونساؤها والصبيان ، حتى خرج العواتق من الحِجال ، ولا يرى عامة ثقيفٍ أنها مهدومةٌ ، ويظنون أنها ممتنعةٌ ، فقام المغيرة بن شعبة ، فأخذ الكرزين ـ يعني المعْول ـ وقال لأصحابه : والله لأضحكنَّكم من ثقيفٍ .

فضرب بالكرزين ، ثم سقط يركض برجله ، فارتجَّ أهل الطائف بصيحةٍ واحدةٍ وفرحوا وقالوا : أبعد الله المغيرة ، قتلته الرَّبَّة . وقالوا لأولئك : من شاء منكم فليقترب . فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيفٍ إنما هي لَكاعِ حجارةٌ ومدرٌ ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه . ثم إنه ضرب الباب فكسره ، ثم علا سورها ، وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوَّوها بالأرض ، وجعل سادنها يقول : ليغضبنَّ الأساس فليَخسفنَّ بهم . فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالدٍ : دعني أحفر أساسها . فحفروه حتى أخرجوا ترابها ، وجمعوا ماءها وبناءها ، وبُهتت عند ذلك ثقيفٌ ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فقسم أموالها من يومه ، وحمدوا الله تعالى على اعتزاز دينه ونصرة رسوله .

قال ابن إسحاق[١] : وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ النبيِّ رسول الله إلى المؤمنين ؛ إن عضاه وجٍّ وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، وإن تعدَّى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبيَّ محمداً ، وإنَّ هذا أمر النبيِّ محمدٍ . وكتب خالد بن سعيدٍ بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدَّه أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمدٌ رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٢) .

وقد قال الإمام أحمد[1] : حدثنا عبد الله بن الحارث ـ من أهل مكة مخزوميٌّ ـ حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان ـ وأثنى عليه خيراً ـ عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، [عن أبيه] قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّة حتى إذا كنا عند السِّدرة وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن الأسود حذوها ، فاستقبل نخِباً ببصره ، يعني وادياً ، ووقف حتى اتَّقف الناس كلُّهم ، ثم قال : « إن صيد وجٍّ وعضاهه حرمٌ محرَّمٌ لله » . وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً .

وقد رواه أبو داود[2] من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفيِّ ، وقد ذكره ابن حبان في « ثقاته »[3] . وقال ابن معينٍ[4] : ليس به بأسٌ . تكلَّم فيه بعضهم ، وقد ضعَّف أحمد والبخاريُّ وغيرهما هذا الحديث[5] ، وصحَّحه الشافعيُّ وقال بمقتضاه ، والله أعلم .

* * *

ذكر
موت عبد الله بن أُبيٍّ
قَبَّحه الله

قال محمد بن إسحاق[6] : حدَّثني الزُّهري عن عروة ، عن أسامة بن زيدٍ ، رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله ﷺ على عبد الله بن أُبيٍّ يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فلما عرف فيه الموت قال رسول الله ﷺ : « أما والله إن كنت لأنهاكَ عن حبِّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فمَه ؟

وقال الواقديُّ[7] ، مرض عبد الله بن أُبيٍّ في ليالٍ بقين من شوالٍ ، ومات في ذي القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلةً ، فكان رسول الله يعوده فيها ، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه ، فقال : « قد نهيتك عن حبِّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فما نفعه ؟ ثم قال : يا رسول الله ، ليس هذا بحِين عتابٍ ! هو الموت ، [فإن متُّ] فاحضُر غُسلي ، وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفِّنِّي فيه ، وصلِّ عليَّ واستغفر لي . ففعل ذلك به رسول الله ﷺ . وروى

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٦٥) ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٢٣) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « الثقات » (٩/ ٣٣) .
(٤) انظر « الجرح والتعديل » (٧/ ٢٩٤) .
(٥) انظر « التاريخ الكبير » (١/ ١٤٠) و« ميزان الاعتدال » (٢/ ٣٩٣) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٨٥) .
(٧) انظر « المغازي » (٣/ ١٠٥٧) .

البيهقيُّ[(١)] من حديث سالم بن عجلان ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ نحواً مما ذكره الواقديُّ ، فالله أعلم .

وقد قال إسحاق بن راهويه[(٢)] : قلت لأبي أسامة : أحدثَّكم عبيد الله ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر قال : لما توفِّي عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيَه قميصه ليكفِّنه فيه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلِّي عليه ، فقام رسول الله ﷺ يصلِّي عليه ، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله ، تصلِّي عليه وقد نهاك الله عنه ؟! فقال رسول الله ﷺ : « إن ربي خيَّرني فقال : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾ [التوبة : ٨٠] . وسأزيد على السبعين » . فقال : إنه منافق أتصلِّي عليه ؟! فأنزل الله ، عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة : ٨٤] فأقرَّ به أبو أسامة ، وقال : نعم .

وأخرجاه في « الصحيحين »[(٣)] من حديث أبي أسامة .

وفي رواية للبخاريِّ وغيره[(٤)] : قال عمر ، رضي الله عنه : فقلت : يا رسول الله ، تصلِّي عليه وقد قال في يوم كذا : كذا وكذا ، وقال في يوم كذا : كذا وكذا ؟! فقال : « دعني يا عمر ، فإني بين خيرتين ، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفر له لزدت » . ثم صلَّى عليه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ . . . ﴾ الآية . قال عمر : فعجبت بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم .

وقال سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينارٍ ، سمع جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، يقول : أتى رسول الله ﷺ قبر عبد الله بن أبيٍّ بعدما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج ، فوضعه على ركبتيه ـ أو فخذيه ـ ونفث عليه من ريقه ، وألبسه قميصه . فالله أعلم .

وفي « صحيح البخاريِّ »[(٥)] بهذا الإسناد مثله ، وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأةً لما كان كسا العباس ، رضي الله عنه ، قميصاً حين قدم المدينة ، فلم يجدوا قميصاً يصلح له إلا قميص عبد الله بن أُبيٍّ . وقد ذكر البيهقيُّ هاهنا قصة ثعلبة بن حاطبٍ ، وكيف افتتن بكثرة المال ، ومنعه الصدقة ، وقد حرَّرنا ذلك في « التفسير »[(٦)] عند قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ . . . ﴾ الآية [التوبة : ٧٥] .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٦٧٠) ومسلم رقم (٢٧٧٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٦٧١) وأحمد في « المسند » (١/ ١٦) .
(٥) رقم (١٣٥٠) و(٣٠٠٨) .
(٦) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ١٢٤) .

فصــل

قال ابن إسحاق[١] : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

وقال حسَّان بن ثابتٍ[٢] ، رضي الله عنه ، يعدِّد أيَّام الأنصار مع رسول الله ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه .

قال ابن هشامٍ : وتُروى لابنه عبد الرحمن بن حسَّان : [من البسيط]

أَلَسْتُ خيرَ مَعَدٍّ كلِّها نفَراً ... ومَعْشراً إن هُمُ عُمُّوا وإن حُصِلوا

قومٌ همُ شهِدوا بدراً بأجْمعِهمْ ... مع الرسولِ فما آلَوْا وما خذَلوا

وبايَعوه فلم يَنْكُثْ به أحدٌ ... منهم ولم يَكُ في إيمانهِ دَخَلُ

ويومَ صبَّحَهم في الشِّعْبِ مِن أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كحرِّ النارِ مُشْتَعِلُ

ويومَ ذي قَرَدٍ يومَ استثار بهمْ ... على الجِيادِ فما خاموا وما نكَلوا

وذا العُشَيْرةِ جاسُوها بخيلِهمُ ... مع الرسولِ عليها البِيضُ والأَسَلُ

ويومَ وَدَّانَ أجْلَوا أهلَه رَقَصاً ... بالخيلِ حتى نهانا الحَزْنُ والجبلُ

وليلةً طلَبوا فيها عدوَّهمُ ... للهِ واللهُ يَجْزِيهم بما عمِلوا

وليلةً بحُنينٍ جالدوا معهُ ... فيها يَعُلُّهمُ في الحربِ إذ نهِلوا

وغزوةً يومَ نَجْدٍ ثَمَّ كان لهمْ ... مع الرسولِ بها الأَسْلابُ والنَّفَلُ

وغزوةَ القاعِ فرَّقْنا العدوَّ به ... كما تُفَرَّقُ دونَ المَشْرَبِ الرَّسَلُ

ويومَ بُويِعَ كانوا أهلَ بيعتِه ... على الجِلادِ فآسَوْه وما عدَلوا

وغزوةَ الفتحِ كانوا في سَرِيَّتِه ... مُرابِطِين فما طاشوا وما عَجِلوا

ويومَ خيبرَ كانوا في كَتيبتِه ... يَمْشُون كلُّهمُ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ

بالبِيضِ تُرْعَشُ في الأَيْمانِ عاريةً ... تَعْوَجُّ في الضَّرْبِ أحياناً وتَعْتَدِلُ

ويومَ سار رسولُ اللهِ مُحْتَسِباً ... إلى تبوكَ وهم راياته الأُوَلُ

وساسةُ الحربِ إن حربٌ بدَتْ لهمُ ... حتى بَدَا لهمُ الإقْبالُ فالقَفَلُ

أولئك القومُ أنصارُ النبيِّ وهمْ ... قومي أَصِيرُ إليهمْ حينَ أتَّصِلُ

ماتوا كِراماً ولم تُنْكَثْ عهودُهمُ ... وقَتْلُهمْ في سبيلِ اللهِ إذ قُتِلوا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٥٤) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٠٢-٥٠٣) .

ذكر

بعث رسول الله ﷺ أبا بكرٍ الصِّدِّيق أميراً على الحجّ سنة تسعٍ[1]

ونزول سورة « براءة »

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ في رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكرٍ أميراً على الحجِّ من سنة تسعٍ ؛ ليقيم للمسلمين حجَّهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجِّهم لم يصدُّوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهدٌ مؤقَّتٌ إلى أمدٍ ، فلما خرج أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، بمن معه من المسلمين ، وفصل عن المدينة ، أنزل عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ إلى آخر القصة .

ثم شرع ابن إسحاق يتكلَّم على هذه الآيات ، وقد بسطنا الكلام عليها في « التفسير »[2] ولله الحمد والمنة .

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث عليّاً ، رضي الله عنه ، بعد أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، ليكون معه ، ويتولَّى عليٌّ بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابةً عن رسول الله ﷺ ؛ لكونه ابن عمِّه من عصبته .

قال ابن إسحاق[3] : حدثني حكيم بن حكيم بن عبَّاد بن حُنيفٍ ، عن أبي جعفرٍ محمد بن عليٍّ أنه قال : لما نزلت « براءةٌ » على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكرٍ الصديق ، رضي الله عنه ، ليقيم للناس الحجَّ ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثتَ بها إلى أبي بكرٍ . فقال : « لا يؤدِّي عني إلا رجلٌ من أهل بيتي » . ثم دعا عليَّ بن أبي طالبٍ فقال : « اخرج بهذه القصة من صدر « براءة » وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنىً : ألا إنه لا يدخل الجنة كافرٌ ، ولا يحجُّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عُريانٌ ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ فهو له إلى مدته » . فخرج عليُّ بن أبي طالبٍ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكرٍ بالطريق ، فلما رآه أبو بكرٍ قال : أميرٌ أو مأمورٌ ؟ فقال : بل مأمورٌ . ثم مضيا ، فأقام أبو بكرٍ للناس الحجَّ ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجِّ التي كانوا عليها في

---

(١) انظر « حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج » للرشيدي ص (٩٠) بتحقيق الدكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد ، طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٤٤) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٥) .

الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام عليُّ بن أبي طالبٍ فأذَّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ ، وأجَّل الناسَ أربعة أشهرٍ من يوم أذَّن فيهم ؛ ليرجع كلُّ قومٍ إلى مأمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشركٍ ولا ذمة إلَّا أحدٍ كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ ، فهو له إلى مدته ، فلم يحجَّ بعد ذلك العام مشركٌ ، ولم يطف بالبيت عُريانٌ ، ثم قدما على رسول الله ﷺ ، وهذا مرسلٌ من هذا الوجه .

وقد قال البخاريُّ[1] : باب حجِّ أبي بكرٍ ، رضي الله عنه ، بالناس سنة تسعٍ ، حدَّثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، حدثنا فليحٌ ، عن الزهريِّ ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن أبا بكرٍ الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، بعثه في الحجَّة التي أمَّره النبيُّ عليها قبل حَجَّة الوَدَاع في رهطٍ يؤذِّن في الناس أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ .

وقال البخاريُّ[2] في موضع آخر : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثني عقيلٌ ، عن ابن شهابٍ ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكرٍ الصديق في تلك الحجة في المؤذِّنين ، بعثهم يوم النحر يؤذِّنون بمنىً أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ . قال حميدٌ : ثم أردف النبيُّ ﷺ بعليٍّ ، فأمره أن يؤذِّن بـ « براءةٌ » . قال أبو هريرة : فأذَّن معنا عليٌّ في أهل منىً يوم النحر بـ « براءةٌ » أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ .

وقال البخاريُّ[3] في كتاب الجهاد : حدثَّنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيبٌ ، عن الزهريِّ ، أخبرني حميدٌ بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر الصديق فيمن يؤذِّن يوم النحر بمنىً ؛ لا يحجُّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ . ويوم الحجِّ الأكبر يوم النَّحر ، وإنما قيل : الأكبر . من أجل قول الناس : الحجُّ الأصغر . فنبذ أبو بكرٍ إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحجَّ عام حجة الوداع ـ الذي حجَّ فيه رسول الله ﷺ ـ مشركٌ .

ورواه مسلمٌ[4] من طريق الزهريِّ به نحوه .

وقال الإمام أحمد[5] : حدَّثنا محمد بن جعفرٍ ، حدَّثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن الشعبيِّ ، عن محرَّر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع عليِّ بن أبي طالبٍ حين بعثه رسول الله ﷺ . فقال : ما كنتم تنادون ؟ قال : كنَّا نادي : إنه لا يدخل الجنة إلَّا مؤمنٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فإن أجله ـ أو أمده ـ إلى أربعة أشهرٍ ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريءٌ من

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٦٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٦٥٦) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٧٧) .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٣٤٧) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٩) .

المشركين ورسوله ، ولا يحجُ هذا البيت بعد العام مشركٌ . قال : فكنت أنادي حتى صحِل صوتي . وهذا إسنادٌ جيدٌ لكن فيه نكارةٌ من جهة قول الراوي : إنَّ من كان له عهدٌ فأجله إلى أربعة أشهرٍ . وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكنَّ الصحيح أن من كان له عهدٌ ، فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهرٍ ، ومن ليس له أمدٌ بالكلية ، فله تأجيل أربعة أشهرٍ ، بقي قسمٌ ثالثٌ وهو من له أمدٌ يتناهى إلى أقلَّ من أربعة أشهرٍ من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأوَّل فيكون أجله إلى مدته وإن قلَّ ، ويحتمل أن يقال : إنه يؤجَّل إلى أربعة أشهرٍ ؛ لأنه أولى ممن ليس له عهدٌ بالكلية ، والله تعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عفان ، ثنا حمَّادٌ ، عن سماكٍ ، عن أنس بن مالكٍ ، أن رسول الله ﷺ بعث بـ « براءةٌ » مع أبي بكرٍ ، فلمَّا بلغ ذا الحليفة قال : « لا يبلِّغها إلا أنا أو رجلٌ من أهل بيتي » . فبعث بها مع عليّ بن أبي طالب .

وقد رواه الترمذي[٢] من حديث حماد بن سلمة ، وقال : حسنٌ غريبٌ من حديث أنس .

وقد روى عبد الله بن أحمد[٣] ، عن لُوَيْن ، عن محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنشٍ ، عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ لما أردف أبا بكر بعليٍّ فأخذ منه الكتاب بالجحفة ، رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله ، نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : « لا ، ولكن جبريل جاءني فقال : لا يؤدِّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك » . وهذا ضعيف الإسناد ، ومتنه فيه نكارةٌ ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثيع ـ رجل من همدان ـ قال : سألنا عَلِيّاً : بأيِّ شيءٍ بُعِثتَ ؟ يوم بعثه رسول الله ﷺ مع أبي بكر في الحجة ، قال : بأربع ؛ لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته ، ولا يحجُّ المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا . وهكذا رواه الترمذي[٥] ، من حديث سفيان ـ هو ابن عُيَيْنة ـ عن أبي إسحاق السَّبيعيِّ ، عن زيد بن يُثيع ، عن عليٍّ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ . ثم قال : وقد رواه شعبةُ ، عن أبي إسحاق فقال : عن زيد بن أُثيل ، ورواه الثوريُّ ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عليٍّ .

قلت : رواه ابن جرير[٦] ، من حديث معمرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليٍّ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢١٢) .
(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٠) .
(٣) في « المسند » (١/ ١٥١) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٧٩) .
(٥) في « جامعه » رقم (٣٠٩٢) .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٦٤) .

وقال ابن جرير[١] : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرنا أبو صخرٍ ، أنه سمع أبا معاوية البجليَّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصَّهباء البكريَّ وهو يقول : سألت عليَّ بن أبي طالب عن يوم الحجِّ الأكبر فقال : إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يُقيمُ للناس الحجَّ ، وبعثني معه بأربعين آيةً من « براءة » حتى أتى عرفة ، فخطب الناس يوم عرفة ، فلمَّا قضى خطبته التفت إليَّ فقال : قمْ يا عليُّ فأدِّ رسالة رسول الله ﷺ . فقمتُ ، فقرأتُ عليهم أربعين آيةً من « براءة » ، ثم صدرنا حتى أتينا منىً ، فرميت الجمرة ، ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حُضوراً كلُّهم خطبة أبي بكر ، رضي الله عنه ، يوم عرفة ، فطفقْت أتتبَّعُ بها الفساطيط أقرؤها عليهم . قال عليٌّ : فمن ثَمَّ إخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عَرَفة .

وقد تقصَّيْنا الكلام على هذا المقام في « التفسير »[٢] وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار في ذلك مبسوطاً بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمِنَّة .

قال الواقديُّ[٣] : وقد كان خرج مع أبي بكر من المدينة ثلاثمئة من الصحابة ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وخرج أبو بكر معه بخمس بدَنات ، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ، ثم أردفه بعليٍّ ، فلحقه بالعرج فنادى بـ« براءةٌ » أمام الموسم .

* * *

فصـــل

كان في هذه السنة ـ أعني في سنة تسعٍ ـ من الأمور الحادثة غزوة تبوك في رجب منها كما تقدم بيانه .

قال الواقديُّ[٤] : وفي رجبٍ منها مات النجاشيُّ صاحب الحبشة ونعاه رسولُ الله ﷺ إلى الناس .

وفي شعبان منها ـ أي من هذه السنة ـ توفِّيت أمُّ كُلثوم بنتُ رسول الله ﷺ[٥] ، فغسَّلتْها أسماءُ بنتُ عُميس ، وصفية بنت عبد المطلب ، وقيل : غسَّلها نسوةٌ من الأنصار فيهن أمُّ عطية .

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٦٧) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٤٤) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ١٢٢) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ١٢٢) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) بتحقيقي .
(٥) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) .

قلت : وهذا ثابتٌ في « الصحيحين »[١] وثبت في الحديث أيضاً[٢] أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لمّا صلّى عليها وأراد دفنها قال : « لا يدخله أحدٌ قارف الليلة أهلَه » . فامتنع زوجها عثمان لذلك ، ودفنها أبو طلحة الأنصاريُّ ، رضي الله عنه ، ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولّى ذلك ممن يتبرّع بالحفر والدّفن من الصحابة كأبي عبيدة ، وأبي طلحة ، ومن شابههم فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يُقارف أهله من هؤلاء » . إذ يبعدُ أن عثمان كان عنده غيرُ أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، هذا بعيدٌ . والله أعلمُ .

وفيها صالح ملك أَيْلَة وأهل جرباء وأذرُح وصاحب دومة الجندل كما تقدَّم إيضاح ذلك كلّه في مواضعه .

وفيها هُدم مسجدُ الضِّرار الذي بناه جماعة المنافقين صورة مسجد ، وهو دار حرب في الباطن فأمر به ، عليه الصلاة والسلام ، فحُرِّق .

وفي رمضان منها قدم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم، ورجعوا إليهم بالأمان، وكسِّرت اللات كما تقدَّم .

وفيها توفي عبد الله بن أُبيٍّ بن سَلُول رأس المنافقين[٣] ، لعنه الله ، في أواخرها .

وقبله بأشهر توفي معاوية بن معاوية اللّيثيُّ ـ أو المزنيُّ ـ وهو الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ وهو نازلٌ بتبوك إن صحَّ الخبرُ في ذلك[٤] .

وفيها حجَّ أبو بكر ، رضي الله عنه ، بالناس عن إذن رسول الله ﷺ له في ذلك[٥] .

وفيها كان قدوم عامَّة وفود أحياء العرب ، ولذلك تُسمَّى سنةُ تسعٍ : سنة الوفود ، وها نحن نعقِدُ لذلك كتاباً برأسه اقتداءً بالبخاريِّ وغيره .

[تم الجزء الرابع من كتاب « البداية والنهاية » للإمام الحافظ المُؤرِّخ ابن كثير الدمشقي رحمه الله حسب تقسيمنا له[٦] ، ويتلوه الجزء الخامس وأوله كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ] .

●●●

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٥٣) و(١٢٥٤) و(١٢٦٣) ومسلم رقم (٩٣٩) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٢٨٥) .

(٣) انظر « شذرات الذهب » (١/١٢٨) .

(٤) وقد تقدم التعليق عليه ص (٦٦٨) .

(٥) وقد تقدم التعليق عليه ص (٦٩٥) .

(٦) وكان الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه وتصحيح تجاربه في الثامن عشر من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٢هـ ، والحمد لله على ما أنعم ووفق ، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه ، إنه تعالى خير مسؤول وأعظم معين ، والله أسأل أن يجزي خير الجزاء من أسهم في تدقيقه ومراجعته وتصحيح تجاربه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
ذكر أحداث السنة الثانية من الهجرة النبوية :	٧
كتاب المغازي	٧
ذكر أول المغازي ، وهي غزوة الأبواء ، ويقال لها : غزوة ودّان	١٥
ذكر غزوة بواط من ناحية رضوى	٢١
ذكر غزوة العُشيرة	٢٢
ذكر غزوة بدر الأولى	٢٤
ذكر سرية عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى	٢٥
ذكر تحويل القبلة من سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر	٣٠
ذكر فرض صوم شهر رمضان قبل غزوة بدر العظمى	٣٤
ذكر غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان	٣٦
ذكر مقتل أبي البختري بن هشام	٧٧
ذكر مقتل أمية بن خلف	٧٨
ذكر مقتل أبي جهل لعنه الله	٨٠
ذكر ردّه عليه السلام عين قتادة	٨٦
ذكر طرح رؤوس الكفر في بئرٍ يوم بدر	٨٨
ذكر رجوعه ﷺ من بدر إلى المدينة	١٠٥
ذكر النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله	١٠٨
ذكر فرح النجاشي ، رضي الله عنه ، بوقعة بدر	١١٠
ذكر وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة	١١١
ذكر بعث قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم	١١٤
ذكر من شهد بدراً من المسلمين	١٢١
ذكر فضل من شهد بدراً من المسلمين	١٤٠
ذكر قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة	١٤٢
ذكر فيما قيل من الأشعار في غزوة بدرٍ العظمى	١٤٧
ذكر غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة النبوية	١٥٨
ذكر غزوة السّويق في ذي الحجة منها وفي غزوة قرقرة الكُدر	١٥٨

الموضوع	الصفحة
ذكر في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ	١٦٠
ذكر جُملٍ من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة	١٦٢
أحداث سنة ثلاث من الهجرة :	١٦٤
ذكر غزوة الفرع من بحران وخبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة	١٦٥
ذكر سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه	١٦٧
ذكر خبر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي	١٦٨
ذكر خبر غزوة أحد	١٧٣
ذكر خبر مقتل حمزة رضي الله عنه	١٨٣
ذكر ما لقي النبي من المشركين في غزوة أحد	١٩٩
ذكر دعاء النبي ﷺ بعد الوقعة يوم أحد	٢١٢
ذكر الصلاة على حمزة رضي الله عنه وقتلى أحد	٢١٥
ذكر عدد الشهداء في وقعة أحد	٢٢٣
ذكر انصراف رسول الله ﷺ إلى المدينة عقب وقعة أحد	٢٢٤
ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه في إثر أبي سفيان	٢٢٧
ذكر ما تقاول به المؤمنون والكفّار في وقعة أحد من الأشعار	٢٣٢
ذكر آخر الكلام على وقعة أحد	٢٤٢
أحداث سنة أربع من الهجرة النبوية :	٢٤٣
ذكر غزوة الرَّجيع	٢٤٤
ذكر سرية عمرو بن أمية الضّمري	٢٥٢
ذكر سرية بئر معونة	٢٥٤
ذكر غزوة بني النَّضير	٢٥٨
ذكر قصة عمرو بن سعدى القرظي	٢٦٥
ذكر غزوة بني لحيان	٢٦٦
ذكر غزوة ذات الرِّقاع	٢٦٨
ذكر قصة غورث بن الحارث	٢٧٠
ذكر قصة الذي أصيبت امرأته في غزوة ذات الرِّقاع	٢٧٣
ذكر قصة جمل جابر في غزوة ذات الرِّقاع	٢٧٣
ذكر غزوة بدر الآخرة	٢٧٤
ذكر جمل من الحوادث الواقعة في سنة أربع من الهجرة	٢٧٧
أحداث سنة خمس من الهجرة النبوية :	٢٨٠
ذكر غزوة دومة الجندل	٢٨٠
ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب	٢٨١
ذكر دعائه عليه السلام على الأحزاب	٣٠٥

الموضوع	الصفحة
ذكر غزوة بني قريظة	٣١٢
ذكر خبر وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه	٣٢٦
ذكر ما قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة	٣٣٢
ذكر مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله	٣٣٩
ذكر مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي	٣٤٣
ذكر قصة عمرو بن العاص مع النجاشي وإسلامه	٣٤٥
ذكر زواج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان	٣٤٧
ذكر زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها	٣٥٠
ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها الذي ولي الله عقد نكاحه	٣٥٢
أحداث سنة ست من الهجرة النبوية :	٣٥٦
ذكر غزوة ذي قرد	٣٥٧
ذكر غزوة بني المصطلق من خزاعة	٣٦٤
ذكر قصة الإفك	٣٧٠
ذكر غزوة الحديبية	٣٧٥
ذكر سياق البخاري لعمرة الحديبية	٣٨٦
ذكر السّرايا والبعوث التي كانت في سنة ست من الهجرة	٣٩١
ذكر ما وقع من الحوادث سنة ست من الهجرة	٣٩٤
أحداث سنة سبع من الهجرة النبوية :	٣٩٦
ذكر غزوة خيبر في أولها	٣٦٩
ذكر قصة صفية بنت حيي بن أخطب النضرية رضي الله عنها	٤١٥
ذكر فتح حصون خيبر	٤١٨
ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله ﷺ وهو مخيم بخيبر	٤٢٧
ذكر قصة الشاه المسمومة	٤٣٢
ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة رضوان الله عليهم	٤٤٠
ذكر خبر الحجَّاج بن علاط البهزي رضي الله عنه	٤٤٠
ذكر مروره ﷺ بوادي القرى ومحاصرته قوماً من اليهود	٤٤٤
ذكر سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة	٤٤٨
ذكر سرية عمر بن الخطاب إلى تربة من أرض هوازن وراء مكة	٤٤٨
ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي	٤٤٩
ذكر سرية أخرى مع بشير بن سعد	٤٤٩
ذكر سرية أبي حدردٍ إلى الغابة	٤٥٢
ذكر السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط	٤٥٣

الموضوع	الصفحة
ذكر سرية عبد الله بن حذافة السّهمي	٤٥٥
ذكر عمرة القضاء	٤٥٦
ذكر زواجه ﷺ بميمونة رضي الله عنها	٤٦٤
ذكر خروجه ﷺ من مكة بعد قضاء عمرته	٤٦٦
أحداث سنة ثمان من الهجرة النبوية :	٤٦٩
ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم	٤٦٩
ذكر إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه	٤٧٢
ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى نفرٍ من هوازن	٤٧٣
ذكر سرية كعب بن عمير إلى بني قضاعة من أرض الشام	٤٧٤
ذكر غزوة مؤتة	٤٧٥
ذكر فضل الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم	٤٩٣
ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين	٤٩٩
ذكر ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة	٥٠١
ذكر بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق	٥٠٣
ذكر إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام	٥١١
ذكر بعثه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس	٥١١
ذكر بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الإسكندرية	٥١٦
ذكر غزوة ذات السلاسل	٥١٧
ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر	٥٢١
ذكر غزوة الفتح الأعظم	٥٢٤
ذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة	٥٣٠
ذكر إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ونفر من الصحابة	٥٣٥
ذكر صفة دخوله ﷺ مكة	٥٤٢
ذكر بعثه ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة	٥٦٨
ذكر بعث خالد بن الوليد لهدم العُزَّى	٥٧٣
ذكر مدة إقامته ﷺ بمكة	٥٧٤
ذكر ما حكم به ﷺ بمكة من الأحكام	٥٧٦
ذكر غزوة هوازن يوم حنين	٥٨٢
ذكر في كيفية وقعة حنين	٥٨٨
ذكر سرية أوطاسٍ	٦٠٢
ذكر من استشهد يوم حنين وسرية أوطاسٍ	٦٠٥
ذكر ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن	٦٠٦
ذكر غزوة الطائف	٦١١

الموضوع	الصفحة
ذكر مرجعه ﷺ من غزوة الطائف	٦٢٢
ذكر قدوم مالك بن عوفٍ النصري على الرسول ﷺ	٦٣٢
ذكر اعتراض بعض الجهلة على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالاتفاق	٦٣٤
ذكر مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة إليه وهو بالجعرانة	٦٣٦
ذكر عُمرة الجعرانة في ذي القعدة	٦٣٨
ذكر إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه	٦٤٣
ذكر ما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان من الهجرة والوفيات	٦٥٠
أحداث سنة تسع من الهجرة النبوية	٦٥٣
ذكر غزوة تبوك	٦٥٣
ذكر من تخلف معذوراً من البكائين وغيرهم	٦٥٦
ذكر أمور مختلفات وقعت في سنة تسع من الهجرة	٦٥٩
ذكر مروره ﷺ بمساكن ثمود في ذهابه إلى تبوك	٦٦٣
ذكر خطبته ﷺ في تبوك إلى نخلةٍ هناك	٦٦٦
ذكر الصلاة على معاوية بن معاوية	٦٦٨
ذكر قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك	٦٦٩
ذكر مصالحته ﷺ ملك إيلة وغيره	٦٧٠
ذكر بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدردومة	٦٧١
ذكر قصة مسجد الضِّرار	٦٧٦
ذكر قدومه ﷺ المدينة	٦٧٧
ذكر حديث كعب بن مالك رضي الله عنه	٦٧٩
ذكر أقوام تخلّفوا من العصاة	٦٨٢
ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة	٦٨٣
ذكر قدوم وفد ثقيفٍ على رسول الله ﷺ	٦٨٥
ذكر موت عبد الله بن أُبيّ قبّحه الله	٦٩٢
ذكر ما قيل في غزوة تبوك وأنها آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ	٦٩٤
ذكر بعثه ﷺ أبا بكر الصديق أميراً على الحج سنة تسع ونزول سورة براءة	٦٩٥
ذكر ما كان من الأمور الحادثة في سنة تسع للهجرة	٦٩٨
فهرس الموضوعات	٧٠٠

* * *